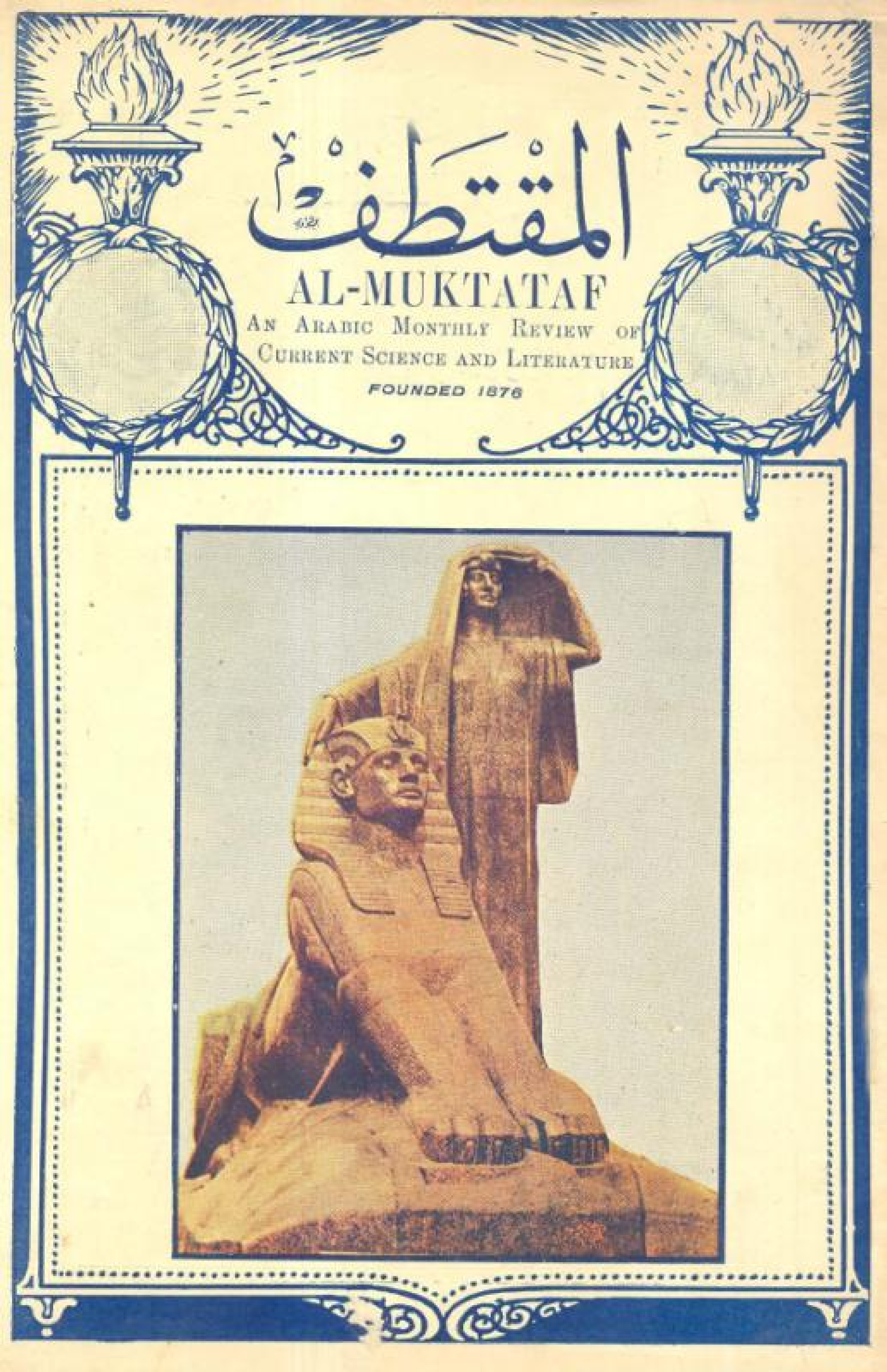

المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

١ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٥ صفر سنة ١٣٣٤

حقيقة الحال في المانيا

يودُّ المرء ان يعرف حقيقة الحال في المانيا في هذا الوقت · اي هل الطعام ميسور لسكانها بعد ان سُدَّت في وجوههم طرق البحر لانهُ ان كان قد قلَّ حتى امسى غير كافٍ لمعيشتهم فلا بدَّ من ان يثوروا على حكومتهم لان الجوع كافر لا يصبر الناس عليهِ طويلاً وتكون نهاية هذه الحرب قد دنت

ولقد كثرت الاقاويل وتوفَّرت القرائن على ان الطعام قلَّ في المانيا حتى جعل الالمان المقيمون في اميركا يرسلون الى اقاربهم طروداً منهُ بالبريد وان علماء الالمان استنبطوا وسيلة لتحويل المواد غير الآلية التي لا تؤكل الى مواد آلية مغذية فيمزجون كبريتات النشادر بسكَّر البنجر ويعالجون المزيج على طريقة كيماوية تجعلهُ طعاماً مغذياً اي يجعلون النيتروجين الذي في كبريتات النشادر يتحد بالسكر فتصير منهُ مادة آليَّة كاللحم تغتذي بها الخنازير وتصير لحماً في ابدانها · والحاجة تفتق الحيلة

وقد وقفنا الآن على رسالة رجل انكليزي كان معتقلاً في المانيا وأُخلي سبيلهُ حديثاً فوعى في ذاكرتهِ ما رآهُ وما سمعهُ وهو معتقل مما يستدلُّ منهُ على حال الالمان الآن من هذا القبيل · ويظهر لنا انهُ صادق وان استدلالهُ في محلهِ وعليهِ فيبعد جداً ان تطول هذه الحرب سنة اخرى الاَّ اذا حدثت حوادث ليست في الحسبان اغدقت الطعام على المانيا وزادت عدد جيوشها او اوقعت الشقاق بين الحلفاء او اثارت عليهم شعوبهم · وهاك خلاصة هذه الرسالة

انا نحن المعتقلين في رُهلبن قلما كنا نرى شيئاً نستدلُّ منهُ على احوال الحرب ولكننا كنا نرى اموراً كثيرة تدلُّ على احوال السكان وما آلت اليهِ بسبب الحرب · ولا شبهة

ان بعض ذلك كان يتسرب الى البلاد الانكليزية مما ينشر في الجرائد الالمانية وتنقله عنها جرائد المحايدين اما نحن فكنا نقرأ الجرائد الالمانية بالاضطراد وكنا اقدر من المقيمين في انكلترا على الفصل بين الغث والسمين منها فلم يكن في طاقة الجرائد الالمانية مثلاً ان تخدعنا بقولها ان مواسم سنة ١٩١٥ اقبلت اقبالاً عظيماً لاننا رأينا القيظ امتدَّ من اواخر شهر مارس الى اوائل شهر يوليو ثم هطلت امطار غزيرة مصحوبة بالصواعق . رأينا ذلك بعيوننا وسمعنا الحراس يشكون من انقطاع الامطار وضرر انقطاعها بالمزروعات . وكان بيننا اناس كثيرون على خبرة تامة بالزراعة فلم يخدعوا باقوال الجرائد . وعلمنا ان قش الحنطة قلَّ لانهم لم يعطونا قشاً لفرشنا فحشوناها بنشارة الخشب . وسُئِل رجل اميركي خبير عن مقدار النقص في المواسم فقال انهُ يختلف بين ولاية واخرى وان الولاية التي كان فيها لم يحصد الزارعون شيئاً من مزروعاتها

والذي يقرأ الجرائد الالمانية كلها من اولها الى آخرها كما كنا نفعل يستدلُّ منها اكثر مما يستدلُّ من يقرأ بعض الاقتباسات منها لا سيما واننا كنا متصلين بالسكان . وقد افرج عن البعض منا ثم اعتقلوا فاخبروا الذين كانوا لا يزالون معتقلين بما رأوهُ وسمعوهُ . وكان يصل الينا من وقت الى آخر اناس من الانكليز اعتقلوا حديثاً وهم عارفون بما وقع تحت نظرهم في البلاد فيخبروننا بما يعلمونهُ . وكان بيننا رجال لهم زوجات المانيات كنَّ يكاتبنهم ويذكرن اموراً طفيفة لا يرى الرقيب بأساً بالاغضاء عنها او لا يرى لها معنى سياسياً وهي عندنا ذات معنى كبير . مثال ذلك ان يأتي كتاب الى رجل من زوجتهِ تقول لهُ فيهِ أُخذ جارنا شرودر للجندية . والرجل يعلم ان شرودر هذا بدين سمين ثقيل الحركة يقضي ايامهُ في القهوات فيستدل من ذلك ان المانيا جنَّدت كل الذين يليقون للحرب وهي تجند الآن الذين لا يليقون لها ولا سيما اذا قالت زوجتهُ انهُ لم يخطر على بال شرودر انهُ يمكن ان يجنَّد

وعبارة واحدة مثل هذه في كتاب واحد لا يبنى عليها حكم لانها قد ترد على سبيل التهكم ولكن اذا تكررت امثالها في مكاتيب عديدة لاناس كثيرين لم تفسَّر الاَّ بان الحكومة الالمانية استنزفت كل اللائقين للخدمة الحربيَّة واخذت تدعو غيرهم . فقد سمعت انها جندت رجلاً لا يستطيع ان يمشي ميلين وان رجلاً آخر فقئت عينهُ في الحرب فأُعيد الى فرقتهِ لتفقأ عينهُ الاخرى وجندت رجلاً حاسر البصر لا يرى على بعد خمسة امتار ولما اعتذر بقصر بصرهِ قيل لهُ يمكنك اذاً ان تقف امام صفك لترى العدو

حينما نشبت الحرب منع الالمان من جعل خبزهم كلهِ من دقيق الحنطة وامرت

الحكومة بمزجه بعشره الى خمسهٍ من دقيق البطاطس فجعل الذين ضامهم مع المانيا يفخرون بان قمحها يكفيها الى منتهى الحرب . وكان الخبز كثيراً في اول الامر وبقي كثيراً الى شهر نوفمبر سنة ١٩١٤ حينما كان الالمان يتوقعون ان يقهروا الحلفاء ويبلغوا آماله . ثم تغيرت الحال في اواخر دسمبر وارتفع ثمن الخبز وصغرت ارغفتهُ وانحط نوعهُ وصار صلباً قاسياً وزاد اسوداداً شهراً بعد شهر . ثم مُنع بيع خبز الحنطة لنا وصرنا نأكل الخبز الاسمر المصنوع من حبوب اخرى غير القمح . وفي اول الامر تعذر علينا هضم هذا الخبز ثم قيل لنا ان الحكومة ستقلل جرايتنا منهُ لاننا لم نكن نأكلها كلها . الا ان الجندي الذي اخبرنا بامر الحكومة قال ايضاً ان الحبوب امست قليلة في البلاد فلا بدَّ من الاقتصاد . وبعد قليل صار الخبز يوزع على البيوت في البلاد كلها بمقدار محدود حسب عدد الانفس . سمعت انكلترا بذلك سمعاً اما نحن فعرفناهُ بالخُبْر لا بالخَبَر فان كل رجل منا كان يُعطى خُمْس رغيف في اليوم اي قدار ما يعطاهُ النفس في كل البلاد الالمانية فان الرغيف الواحد كان يقسم على خمسة انفس وقشرتهُ صلبة لا تعمل بها الا الاسنان القوية فصرنا نتضوَّر جوعاً

والجوع من جراء ذلك اصاب الفقراء دون الاغنياء لان الغني يستطيع ان يأكل مآكل كثيرة غير الخبز اما الفقراء فالخبز قوام معيشتهم . وكان بعض الفقراء يأتون سجننا من وقت الى آخر مرسلين في بعض الشؤُون فكان همهم الاكبر الوصول الى المطبخ والتهام ما فيهِ من فضلات الطعام . وذكرت الجرائد حينئذٍ ان في البلاد نباتات كثيرة يمكن اكلها والاغتذاء بها بدل الخبز . وقد رأيت مرةً امرأة ملأت خرجها من البقول البرية وعادت وهي تقول اخذوا اولادنا ورجالنا ليقتلوا وتركونا نخرج الى الحقول ونأكل الحشيش

ورأيت بعض الجنود من حراسنا يفتشون في الكناسة عن فتات الخبز العفن الذي كنا نطرحهُ ويجمعونهُ ويأخذونهُ الى عيالهم . وقال لنا واحد منهم ذات يوم « ان الخبز يفضل عنكم لكثرة ما يأتيكم من البسكت من بلادكم فارجو ان لا تطرحوا ما يفيض عنكم منهُ بل تعطوني اياهُ لارسلهُ الى بعض اصدقائي في سبندو فان النساء الفقيرات هناك يكدن يمتن جوعاً » هذا مع ان سبندو دار صنعة الحكومة وهي اصلح حالاً من غيرها

وكل ما قيل من ان المانيا لم تعبأ بالحصر البحري ولا أثر فيها هذا الحصر هذر وهذيان . فان الحصر البحري اثَّر فيها اشد تأثير فانهُ لم يبقَ فيها شيء من الاطعمة معتدل السعر الا البطاطس والخضر . وقد كثرت الخضر في ابانها لانهُ لم توجد علب من الصفيح لكبسها وحفظها الى غير وقتها اما الآن فلا بدَّ من ان تكون قد قلَّت كثيراً . وكثر

البطاطس في الفصل الذي يجنى فيهِ اما قبل ذلك فكان ما يباع منهُ للاكل كالبطاطس الذي يطعم للخنازير

ثم ان اهتمام الحكومة الشديد بامر البطاطس كان من اكبر الادلة على شدَّة الضيقة فانها وضعت يدها على كل غلتهِ لكي تتحكم في بيعهِ للبلديات وهي تبيعهُ للسكان . واتفق ان بلدية برلين خزنت نصيبها في اقبية تحت سكة الحديد فدبَّ فيهِ الفساد حتى اضطرَّت اخيراً ان تنقلهُ الى الحقول سماداً للمزروعات . وحدث مثل ذلك في اماكن اخرى خزن البطاطس فيها . واذا فقد الالمان البطاطس فبماذا يتقوَّتون

وكانت الحكومة الالمانية قد امرت ببيعنا بعض الاطعمة باثمان رخيصة بالنسبة الى ثمنها في البلاد لكي لا نعلم ما حدث من الغلاء فكنا نشتري رطل الزبدة الطبيعية بتسعة غروش وثمنهُ في برلين ٢٤ غرشاً ورطل الزبدة الصناعية بستة غروش وثمنهُ لغيرنا ثمانية غروش

وبذل الالمان همهم في ابدال صنف بآخر فابدلوا البترول بالفنول وقالوا ان في نشارة الخشب مادة مغذية يجب استخراجها منها كيماويًّا واستعمالها طعاماً . وبلغ ثمن الرطل (الليبرة) من لحم الخنزير ١٥ غرشاً وهو هزيل اعجف لان الالمان كانوا يسمنون خنازيرهم باطعامها كسب جوز الهند وهذا بطل وروده الى بلادهم الآن فلم يبقَ للخنازير طعام آخر تتقوت بهِ . ثم ابطلوا تقديم لحم الخنزير للمعتقلين وابدلوهُ ببعض انواع السمك . وجعلت الجرائد الالمانية تتغنى بمدح السمك طعاماً . وكان السمك يأتي الى المانيا من نروج بطريق اسوج ونحن نعلم كيف كان يأتي وبأية حالة لكن الالمان مكابرون وسيكابرون الى ان لا يبقى عندهم شيءٌ يأكلونهُ وقد يستحيل عليهم ان يمضوا شتاءً آخر

وكما نفدت مواد الطعام نفدت مواد الصناعة كالنحاس والنكل فاضطروا ان يصهروا ما عندهم من الادات النحاسية ليصنعوا منها كبسول قنابلهم وان يصهروا نقود النكل ليصبوا اغلفة خرطوشهم ومنعوا كل احد من ركوب اوتوموبيلهِ الاَّ اذا كان طبيباً لقلة الكاوتشوك واخذوا كل ما يستغني عنهُ السكان من احرمة الصوف . واقفلت كل معامل النسج والغزل الأَّ التي تعمل لاجل الجيش لقلة القطن والصوف . وغلا ثمن الجلد حتى صار ثمن الرطل (الليبرة) منهُ ٤٥ غرشاً

ولما أُطلق سبيلي رأيت في طريقي النساء في برلين يكنسنَ الشوارع ويسقنَ المركبات لقلة الرجال . ولما كنت معتقلاً كنت ارى النساء يمددن خطوط سكك الحديد حتى رسخ في ذهني وذهن رفاقي انهُ لم يبقَ من المانيا الاَّ القشور

وقد ثبت لنا ان ما اظهرهُ الالمان في اول الامر من العداء للانكليز كان ثورة غيظ اثارها في نفوسهم اقوال جرائدهم وتعاليم مثل رفنتلو وترتشكي · في اول الامر كان الحراس الذين يحرسون اسرى الحرب يقولون ان اولئك الاسرى مجرمون ويجب ان لا يطعموا الا مرة في النهار ويجب ان يكون طعامهم الخبز القفار لاغير · والجنود الذين كانوا يحرسوننا كانوا يعاملوننا بالفظاظة في اول الامر ثم تغيرت الحال رويداً رويداً لان غيظهم الاول كان اشد من ان يدوم « كالنار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكلهُ » ولاسيما بعد ان عاشروا الانكليز · قال لي احد الجنود انهُ أقنع قبلاً بان الانكليز متوحشون كلهم فوجد بعد الاختبار ان اكثرهم على جانب من الادب والظرف

ولو اجاز الرقيب لمحرر جريدة برلنرتاجبلات ان يكتب ما يشاء لاطنب في مدح الانكليز فقد انشأ مقالات كثيرة قال فيها ان اعداء الالمان الحقيقيين هم الروس لا الانكليز لان الانكليز لا يريدون محق المانيا بل ان تبقى دولة قوية عزيزة الجانب لتصد تيار السلاف لكن الرقيب اوقفهُ قبلما اوغل في هذا الموضوع · غير انهُ بقي يلمح اليهِ بالاستعارات وبيَّن ان ما قيل عن سوء معاملة الاسرى الالمان في البلاد الانكليزية غير صحيح · واعترض على الاغنية المسماة « اغنية البغض » وقال انهُ لا يليق وضعها في كتب تعليم القراءة ولام ناظمها لوماً شديداً · والَّف بعضهم تاريخاً ذم فيهِ انكلترا فانحى باللوم عليهِ وقال اننا ننتظر من اساتذتنا ان يمهدوا السبيل للصلح لا ان يزيدوا الاحقاد والضغائن

ولا يظهر لي ان المانيا كلها صارت من مذهب هذا المحرر بل لا يزال العتو والعنفوان شعار الجمهور في احاديثهم العمومية ولا يزالون يتوعدون ويتهددون قاصدين ان يبثوا الحماسة في نفوس سامعيهم ويقولون انهم لا يغمدون سيوفهم حتى تلحس انكلترا التراب امامهم · ولكن غطرستهم الفارغة قلما تخفى على الناقد البصير · وكل ثورة من هذه الثورات ثورات العتو والتبجح صارت اقصر من التي قبلها · وكثيراً ما قال عقلاؤهم ان المعارك في روسيا لا تنتج لهم شيئاً ولو كان الفوز فيها لهم لان الفوز الحقيقي في الميدان الغربي وهذا الفوز لا يزال ابعد من البعد

قال احد الاسرى لضابط صغير انهُ راهن على ان المانيا تخرج من هذه الحرب ظافرةً في ستة اشهر · فقال لهُ الضابط انك مجنون وحسبُ المانيا ان تخرج من الحرب في سنتين · وقال آخر على مسمع مني ان هذه الحرب ستزيد عدد الاشتراكيين في المانيا وان العمَّال فيها مجانين

ولا شبه عندي ان الآمال التي كانت تجيك في صدر الالماني في بداءة الحرب قد زالت الآن . ومن المحتمل انهُ لا يقدر الفشل التام لبلادهِ ولكنهُ عدل عن تقدير الفوز لها وصار يحسب ان الخاتمة ستكون صلحاً شريفاً لا تغبن بهِ بلادهُ واعجلهُ افضلهُ . وان تأخير عقد الصلح سببهُ الدعاوي الفارغة التي يدَّعيها محبو السيادة ومنعهم الجرائد من الخوض في طلب الصلح وتعيين شروطهِ

ولا يصدّق الالمان ما يقال عن المنكرات التي ارتكبها جنودهم لا سيما وانهم قلما سمعوا عنها لان جرائدهم ممنوعة من الاشارة اليها واذا بلغهم شيءٌ من اخبارها قالوا انها اقاصيص مختلقة او مبالغ فيها وان كل ما حدث انما هو من الاعمال الحربية الجائزة او التي تكال للعدو صاعاً بصاع مقابل ما يأتيهِ من المنكرات ولذلك اذا ارادت الحكومة الالمانية ان تلجأ الى وسيلة من الوسائل المنهي عنها في الحرب ادَّعت اوَّلاً ان اعداءها استعملوا هذه الوسيلة وجعلت الجرائد تنشر ذلك في طول البلاد وعرضها حتى اذا توسَّلت هي بها لم يلمها شعبها بل قالت انها تكيل لاعدائها الصاع بالصاع . وقد اعتذرت عن اعمالها الاخرى بالخداع فقالت ان سكاربرو التي ضربتها بوارجها وقتلت النساء والاطفال فيها هي قاعدة حربية وان مدينة لندن التي رمتها بلونات تزبلين بالقنابل حصن حربي ويجب ان لا يقيم فيها السكان وان الباخرة لوزيتانيا طرَّاد مسلَّح . هذا ما ادَّعتهُ الحكومة الالمانيـة تضليلاً لعامة الشعب ولذلك لا تبالي العامة الأ بما يمسها فعلاً كالضيق المالي والجوع وفقد الاهل والاقارب او رجوعهم مثخنين بالجراح او مصابين بعاهات لا شفاء لهم منها فقد بلغني ان في برلين وحدها عشرة آلاف من الجنود الذين فقدوا بصرهم في الحرب ويُرى ان تدبير عمل لهم يتعيشون بهِ في المستقبل من اكبر المشكلات

واهل النظر من الالمان يفكرون في حال البلاد المالية قلقين لانهم يعلمون ان ما قيل عن نجاح قرض الحرب خداع في خداع فان الذين اكتتبوا بهِ هم من المورّدين للحكومة الذين يقبضون منها ورقاً ثمن ما يوردونهُ لها فردوا لها ورقها ومن الذين اودعوا في البنوك اسهماً وسندات لا قيمة لها والسكان يفكرون في مقدار الضرائب التي ستضرب عليهم بعد الحرب وترتعد فرائصهم لانهُ لم يبقَ لهم رجاءٌ باخذ غرامة حربية

الزكام وعلاجهُ

جاء الشتاء واشتدَّ البرد وكثر تعرُّض الناس للزكام وآفات الحلق . وقلما يصاب احد بشيءٍ من ذلك الأ ويسأل نفسهُ قائلاً هل بردتُ او ابتلَّت رجلاي او تعرَّضتُ لمجاري الهواء البارد اوجلست مع احد مزكوم . ولا شبهة ان هذه الاسباب تساعد على احداث الزكام وآفات الحلق في كثير من الاحوال ولكن قد يتعرَّض الانسان لاشد درجات البرد وتبتل ثيابهُ كلها ويبتل بدنهُ ايضاً بل يغوص في لجة البحر ولا يصاب بشيءٍ من ذلك

والزكام وآفات الحلق واكثر الادواء الداخلة والباطنة تحدث من انواع خاصة من الميكروبات . وقد وُجد بالامتحان ان الذين فحصت حلوقهم وجد ميكروب التهاب الرئة في ربعها وميكروب الدفتيريا في عشرها وميكروب النزلة الوافدة (الانفلونزا) في ثلثها وميكروب الصديد في نصفها

وهذه الميكروبات تزيد عندنا في الشتاء والربيع وتقلُّ في الصيف وتدخل بيوتنا من غير استئذان وقلما يتيسر لنا منعها من الوصول الينا . ولا داعي لهذا المنع لان الجندي الذي لا يتمرَّن على الحرب ابداً ولا يتعرَّض للمخاطر لا يقوى على اعدائهِ ولا ينجو من الخطر اذا احدق بهِ

الوقاية مفيدة اذا كانت ممكنة ولكن المقاومة افيد منها . يحسن بالناس ان يسكنوا مدناً تحيط بها الاسوار والخنادق وبلاداً تكتنفها القلاع والحصون ولكنهم اذا صرفوا ما عندهم من الجنود حينئذٍ وابطلوا التمرُّن على استعمال الاسلحة جاءتهم الميكروبات يوماً بمدافع كمدافع الالمان واخذتهم على غرَّة فدكت حصونهم وهدمت اسوارهم

والناس درجات كثيرة من حيث تعودهم مقاومة عوادي الادواء فالذي جُدِر مرَّة او طُعِّمَ بطعم الجدري مراراً لا يخشى القيام مع المجدورين ولكن الذي لم يجدَّر ولم يطعَّم قلما يسلم من العدوى اذا دنا من مجدور . وعلى مقدار تعرُّض الناس للادواء يقلُّ فعل الادواء بهم ولكن يشترط ان يكون هذا التعرُّض متدرجاً حتى يكون ما يدخل الجسم من ميكروب الداء اقل مما يكفي للتغلب على جنود الجسم الطبيعية اي خلايا الدم البيضاء وبعض العصارات الواقية . والمعركة الاولى التي يكون الفوز فيها للجسم تزيدهُ قوة على الظفر في المعركة الثانية

جنود الجسم المنتبه (اي كريات دمهِ) اقدر على مقاومة عوادي الادواء من جنود الجسم الغافل ولذلك يؤثر البرد في النائم اكثر مما يؤثر في المستيقظ

خرجنا يوماً من ايام الشتاء قاصدين سقارة وكانت السماء صحواً في الصباح والشمس

مشرقة فلم نُعنَ بلبس ثياب مدفئة ولم نكد نصل الى سقارة حتى غابت السماء ووقع المطر وثارت ريح هوجاء شديدة البرد فابتلت ثيابنا وقرسنا البرد ولكننا حاولنا دفع البرد بالحركة وعدنا ولم نصب بمكروه لشدَّة انتباه اعصابنا

كان النساء منذ سنتين يلبسنَ اطواقاً تغطي اعناقهنَّ و يلففنَ حولها الفراء خوفاً من البرد · ولا شبهة في ان البرد كان يضرّهنَّ حينئذٍ ثم ابطلنَ لبس الاطواق العالية وصرنَ يكشفنَ العنق والنحر وجانباً كبيراً من الصدر فلم يصبن بمكروه بل صرنا اقدر على احتمال البرد

ينام الناس في فصل الصيف في هذا القطر من غير غطاء في الغالب وقد يستمرون على ذلك الى اواخر الخريف ولا يبردون ولا يصابون بآفة سببها البرد ولو نزعوا غطاءهم في الربيع دفعةً واحدة لبردوا واصيبوا بزكام شديد او بذات الرئة ولو كانت درجة حرارة الهواء حينئذٍ اعلى من درجة حرارته في اواخر الخريف وما ذلك الا لان الجسم يكون قد تدرَّج الى احتمال برد الليل من الصيف الى الخريف فبطل تأثير البرد فيهِ اي ان جنودهُ الداخلية تبقى مستيقظة عاملة تهجم على ما يدخلهُ من ميكروبات الامراض المشار اليها آنفاً وتقتلها او تأكلها · واما في الحالة الثانية فتكون جنود الجسم قد الفت الدفء فاذا جاء البرد بغتةً اضطرت ان تبذل كل قوتها في مقاومة فعلهِ فتعجز عن القيام بعمل آخر مع عملها اي تعجز عن محاربة ميكروبات الامراض وقتلها · ولكن اذا خفف المرء دثارهُ رويداً رويداً او اذا انتظر الى ان يشتد الحر في ايام الخماسين وخفف دثارهُ حينئذٍ دفعةً واحدة لم ينلهُ اقل ضرر لان الهواء لا يبرد حينئذٍ برداً يدعو جنود الجسم الى الاهتمام بهِ فتبقى على حراستها مستعدة لمحاربة الميكروبات

وهناك امر آخر لا يصحُّ الاغضاء عنهُ وهو ان الزكام يبقي في الجسم نوعاً من الوقاية كما ان الجدري يقي من يصاب بهِ من ان يجدر ثانيةً لكن الوقاية من الزكام لا تدوم اكثر من ثلاثة اشهر او اربعة على الراجح وقد لا تدوم ابداً ولذلك يصاب البعض بالزكام مرةً او مرتين فقط في السنة و يصاب غيرهم مراراً كثيرة · والظاهر ان هذا يتوقف على استعداد طبيعي في الجسم للانفعال بميكروبات الزكام وعلى تقوية حصونهِ الصحية لمقاومة هذه الميكروبات · اما الاستعداد الطبيعي فموروث ولكنهُ ليس صفة ثابتة كقصر القامة وبياض الوجه بل هو من الصفات المفارقة التي تتغير بتغير الاحوال فاذا قاومهُ المرء بتقوية جسمهِ والاقامة في اماكن مطلقة الهواء ضعف استعدادهُ الطبيعي لهُ

واذا حدث الزكام إما من اهمال الوقاية وقلة الاحتراس واما من كثرة ميكروباتهِ وتغلبها على حراس الجسم فخير دواء لهُ الفراش والدفء التام وتقليل الطعام

كفاف الانسان من الارض

من اوضاع الكونت تُلستوي الفيلسوف الروسي الشهير

اختان اقترنت كبراها بتاجر في احدى المدن والصغرى بفلاح مقيم في اطيانهِ. وذات يوم زارت الكبرى اختها الصغرى وجعلت تقابل بين عيشة المدن وعيشة الارياف وتفضل الاولى على الثانية ومما قالتهُ ان بيتها فاخر الرياش وثيابها وثياب اولادها نظيفة دائماً وعلى آخر زي وهم يجدون في المدينة كل ما يشتهون من انواع الطعام. واسبابُ التسلية وافرة لهم بين الملاعب والحدائق. فاغتاظت الصغرى من هذا التعريض وقالت لاختها اخطأتِ وانا لا ابدل بيتي ببيتكِ ولا عيشتي بعيشتكِ. نعم ليس عندنا اماكن للهو كالملاعب والمشاهد ولكننا آمنون صروف الدهر لا مثل التجار الذين يغتنون اليوم ويفتقرون غداً. ولا ننتظر ان نغتني ولكننا واثقون اننا نجد في اطياننا دائماً ما نأكل وما نشرب

فقالت الكبرى نعم تجدون طعامكم وشرابكم كالمواشي ومهما جدَّ زوجك واجتهد فانتِ لا تجدين الى الراحة سبيلاً بل تعيشين في الفاقة والتعب طول عمركِ ولا يكون اولادك احسن منكِ

وكان زوج الصغرى واسمهُ باخوم جالساً يسمع ما دار بين الاختين من الحديث فقال في نفسهِ لقد اصابت زوجتي ولو كانت اطياني واسعة كما اشتهي لقورت عيني ابليس ولم احسد احداً على عيشتهِ

وكان ابليس مختفياً وراء الموقد فسرَّ بكلام باخوم. قال في نفسهِ اني ساعطيهِ كل ما يريد من الاطيان ونرى مَن يقور عيني الآخر

ومرَّت الايام وباخوم يقتصد في نفقاتهِ فاشترى بعض الفدن المجاورة لاطيانهِ فزاد تعبهُ ولكنهُ لم يتذمَّر. وزارهُ ذات يوم احد الفلاحين واخبرهُ عن اراضٍ واسعة قرب نهر الفلغا وهي من اخصب اراضي الدنيا وثمنها بخس جداً. فقال باخوم هذه بغيتي وللحال باع اطيانهُ وذهب وشاهد الاطيان المشار اليها فاشترى منها بما معهُ من النقود ولكنهُ وجد ان الارض الصالحة منها لزرع القمح قليلة ومع ذلك واظب على زرعها خمس سنوات وهو يقتصد في نفقاتهِ الى ان اجتمع لهُ الف ريال فعزم ان يشتري اطيان جارهِ وكان جارهُ قد افلس. وبينما هو يفكر في ذلك مرَّ بهِ تاجر واخبرهُ عن بلاد البشكير[1] حيث كان قد اشترى

(١) جيل من الناس يسكنون البلاد الواقعة في سفح جبال اورال بروسيا

خمسة آلاف فدان بالف ريال فقط · فسأل التاجر عن كيفيَّة الوصول الى ذلك · فقال التاجر ليس عليك الاَّ ان تصادق شيوخ القبيلة وتهاديهم بقليل من الجبب والبسط والخمر والشاي وانا لم ادفع ثمن الفدان اكثر من غرشين · ثم اخرج عقد البيع واراهُ لباخوم وقال لهُ ان الارض بور كلها ولكنها مرج واسع يغطيهِ النبات ويخترقهُ نهر كبير · والبشكير اصحاب الارض من اجهل الناس ويمكنك ان تأخذها منهم بلا ثمن

فابرقت اسرَّة باخوم وقال لقد وجدت ضالَّتي وعزم من ساعتهِ ان يقوم ويذهب الى بلاد البشكير ويبتاع منهم كل ما يستطيع ابتياعهُ من الاراضي · ثم سأل التاجر عن الطريق الموصلة الى تلك البلاد واخذ يتأهب للسفر اليها وودَّع زوجتهُ واخذ معهُ واحداً من خدمهِ وسار الى اقرب مدينة واشترى منها جبباً وبسطاً وشاياً وخمراً وسار الاثنان في مركبة اسبوعاً كاملاً قطعا فيهِ نحو ثلثمائة ميل الى ان وصلا الى بلاد البشكير فرأى كل شيء كما وصفهُ لهُ التاجر فان البشكير يسكنون في خيام من الشعر على ضفتي نهر وهم قبائل رُحَّل لا يحرثون ولا يزرعون بل عملهم انتجاع المراعي وتربية الخيل والغنم والبقر يأكلون لحومها ويشربون البانها ويرتدون بجلودها وهم اهل ضيافة وكرم · فلما اقبل عليهم اجتمعوا حولهُ وكانوا يجهلون اللسان الرومي ولكن اتفق وجود ترجمان هناك فجعل يترجم بينهُ وبينهم فاخبرهم بلسان الترجمان انهُ جاء ليشتري منهم بعض اراضيهم · فرحَّبوا بهِ واخذوهُ الى اكبر خيامهم وقدموا لهُ لبناً فشرب ثم ذبحوا لهُ خروفاً ليولموا لهُ

فسُرَّ بذلك وامر خادمهُ ان يأتي بما معهُ من الجبب والبسط والشاي والخمر واهداها الى رؤَسائهم · فجلسوا يتشاورون فيما بينهم ثم قالوا للترجمان قل لهُ اننا نحل الضيف على الرحب والسعة ونعرف قيمة الكرم فلا ندعهُ اكرم منا فاسألهُ عمَّا يريد فلا نبخل عليهِ بهِ

فقال للترجمان قل لهم انني سررت ببلادكم واريد جواركم واحب ان تعطوني جانباً من اراضيكم لان الارض عندنا ضيقة وخصبها قليل وانتم اراضيكم واسعة خصبة

فترجم لهم الترجمان ما قال فجعلوا يتكلمون ويقهقهون وباخوم لا يفهم شيئاً من كلامهم ولكنهُ استنتج من ضحكهم انهم سروا بكلامهِ · واخيراً قال لهُ الترجمان انهم يسمحون لك ان تمتلك من اراضيهم قدر ما تريد جزاء لكرمك

فقال لهُ اشكرهم عن لساني وقل لهم انني اريد ان اشتري منهم مساحة محدودة بثمن محدود واكتب ذلك في حجة حتى لا ينازعني احد في ملكي

ثم التفت الى شيخ القبيلة وقال لهُ اني شاكر لكم ما اظهرتم من حسن الضيافة والكرم

ولكنني لا اريد ان آخذ من ارضكم شبراً الاَّ بالشراء فهلمَّ نتفق على المقدار الذي تبيعوني اياهُ وعلى ثمنهِ حتى يكون البيع صحيحاً نافذاً عليكم وعلى اولادكم من بعدكم

فبشَّ لهُ الشيخ وقال ليكن لك ما تريد

فقال باخوم بلغني ان تاجراً مرَّ بكم من عهد قريب واشترى منكم جانباً من اراضيكم وكتبتم لهُ حجة في ذلك واود ان تعاملوني كما عاملتموهُ

فقال لهُ الشيخ علمت مرادك وعندنا هنا كاتب ماهر فنبيعك الارض التي تختارها ونكتب لك حجة بها ونوقعها كلنا بختومنا

فقال باخوم واريد ان اعرف الثمن الذي تطلبونهُ

فقالوا اننا نطلب ثمناً واحداً وهو الف ريال كل يوم

فلم يفهم مرادهم وقال لهم ماذا تعنون باليوم وكم فدان يساوي

فقالوا لا نعلم ولكننا نبيعك كل الارض التي تستطيع ان تسير حولها في يوم واحد بالف ريال

فقال اني اقدر ان اطوف حول ارض واسعة جدًّا في اليوم

فقالوا لا مانع عندنا والارض التي تطوف حولها كل يوم نعطيك اياها بالف ريال مهما كان اتساعها ولا بدَّ من ان تقوم من نقطة معينة في الصباح وتعود اليها قبل غروب الشمس والاَّ خسرت الثمن

فقال ومن يعين الحدود التي امرُّ فيها

فقالوا يجب ان تعينها انت ويركب معك بعض رجالنا ويدقون اوتاداً فيها حيث تقول لهم . ثم نصل بين هذه الاوتاد بتلم فيكون الحد الفاصل للارض التي تختارها . ولك ان تختار الارض التي تريدها والمقدار الذي تريدهُ على شرط ان تطوف حولهُ في يوم واحد وتنتهي حيث ابتدأت قبل غياب الشمس

فسرَّ بذلك وتمَّ الاتفاق على ان ينهض في صباح اليوم التالي ويعمل حسبما قالوا . وتعشَّى تلك الليلة من الخروف الذي ذبحوهُ لهُ ونام على فراش من ريش فرشوهُ لهُ ولكن لم يغمض لهُ جفن من شدة فرحهِ لانهُ حسب انهُ سيقتطع من اراضيهم قطعة تساوي مملكة فان الوقت كان صيفاً والنهار طويلاً وحسب انهُ يقدر ان يمشي ثلاثين ميلاً على اقل تقدير فيقتطع قطعة ارض مساحتها نحو اربعة آلاف فدان فيحرث بعضها ويترك الباقي مراعي .

وقبل الفجر ران الكرى على جفنيهِ فنام وحلم انهُ سمع اناساً يمزحون ويضحكون امام باب الخيمة فنهض وخرج ليرى من هم واذا هو بشيخ القبيلة جالس امام الخيمة يضحك ويداهُ على خاصرتيهِ فقال لهُ ما يضحكك ايها الرجل فانقلب بغتةً وصار مثل التاجر الذي مرَّ بهِ واخبرهُ عن هذه الارض ولم يكد يتعرفهُ جيداً حتى انقلب وصار مثل الفلاح الذي ضافهُ ذات يوم واخبرهُ عن اراضي الفولغا وقبل ان يكلمهُ غاب عن بصرهِ وقام مقامهُ ابليس اللعين وقرنان في رأسهِ . فنظر اليهِ باخوم فرآهُ اخذ يتبسَّم ثم جعل يضحك فدنا منهُ واذا امامهُ رجل مطروح على الارض ميتاً ووجههُ مثل وجههِ تماماً فاستيقظ حينئذٍ وهو يقول اضغاث احلام . واراد ان يغمض عينيهِ ثانيةً وينام ولكنهُ رأى ان الفجر قد بزغ فنهض وايقظ خادمهُ وامرهُ ان يشد على مركبتهِ ويوقظ رجال القبيلة

وللحال اجتمع رجال القبيلة حول شيخهم والحوا على باخوم ليفطر معهم فابى قائلاً انهُ حان الوقت للطوفان حول الارض

وسارت الجماعة معاً بعضها على ظهور الخيل وبعضها في مركبات وسار هو في مركبتهِ مع خادمهِ الى ان وصلوا الى السهل قبلما أشرقت الشمس فنزلوا على رأس تلة وتقدم الشيخ من باخوم واشار الى سهل فسيح وقال لهُ كل هذا السهل لنا فاختر منهُ ما تريد

وكان السهل مرجاً واسعاً لا ترى العين آخرهُ وقد غطاهُ الكلأُ وعلا حتى اذا مرَّ رجل فيهِ لا يبين . ثم خلع الشيخ قبعتهُ ووضعها على رأس التلة وقال لباخوم قل لخادمك ان يقيم ههنا عند هذه القبعة وسر انت حول الارض التي تريدها مبتدئاً من ههنا ويجب ان تعود وتلمس هذه القبعة قبل مغيب الشمس وكل الارض التي تدور حولها في بحر النهار هي لك بالف ريال

فاخرج باخوم الدراهم من جيبهِ ووضعها على القبعة وخلع جبتهُ ووضعها الى جانبها وشدَّ منطقتهُ واخذ معهُ بعض الارغفة ودورقاً من الماء والتفت يمنةً ويسرةً ليرى في اي الجهات يسير فحار في امرهِ لان السهل كلهُ على نسق واحد واخيراً اختار ان يسير مشرقاً . ولم تكد الشمس تبزغ فوق الافق حتى اخذ يعدو امام الجماعة ولما قطع نحو ميل وقف فدقوا وتداً في الارض ثم استأنف السير لا سريعاً ولا بطيئاً الى ان حسب انهُ قطع ميلاً آخر فوقف حتى دقوا وتداً آخر . ولم يكد يتم الميل الثالث حتى شعر بالحر فخلع قفطانهُ واستأنف السير والتفت الى الاكمة فرأى شيخ القبيلة واتباعهُ لا يزالون جلوساً عليها بمرأى منهُ . وسار ثلاثة اميال اخرى فاشتد الحر جداً والتفت الى الشمس وقال حان الوقت لآكل لقمة واطئ

انني قطعت ربع المسافة ولا يزال امامي ثلاثة ارباعها فيحسن بي ان اخلع نعليَّ و بعد ثلاثة اميال ادور الى الشمال والارض اجود من ان اتركها واراها تزيد جودة كما تقدمتُ . فاستمرَّ في سيره واخيراً التفت الى ورائهِ فرأى التلة عند الافق والرجال عليها صغار كالنمل فابرقت اسرتهُ وقال لقد قطعت الآن قطعة كبيرة من هذه المروج فصار عليَّ ان ارجع

وجعل العرق يتصبَّب من بدنهِ وشعر بعطش شديد فوضع الدورق على فيهِ وشرب وهو سائر ثم وقف بغتة وقال للرجال الذين معهُ ان يدقوا وتداً ودار الى اليسار . وكان العشب طويلاً والحر شديداً فالتفت الى الشمس واذا هي قد تكبَّدت السماء فشعر بالجوع مع التعب ففتح زودهُ واكل قليلاً وهو واقف ولم يجلس لانهُ خاف ان يجلس فيغلبهُ التعب والنعاس فينام وبعد ان وقف بضع دقائق استأنف السير وكان قد استردَّ بعض قوتهِ بالطعام فسار اولاً بخطى واسعة ولكن كان الحر قد اشتدَّ جداً حتى صار فوق الاحتمال وكاد التعب والنعاس يتغلبان عليهِ لكنهُ قال في نفسهِ تعب ساعة وراحة العمر فتنشَّط وواظب على السير الى ان قطع اربعة اميال . وعزم حينئذٍ ان يدور نحو التلة لكنهُ رأى مرجة مبسوطة امامهُ كراحة اليد والنبات فيها على اخصبهِ فقال ما اصلح هذه البقعة لزرع الكتان وهل يليق بي ان اتركها فسار الى ان وصل الى آخرها ودق وتداً هناك ودار قاصداً الوصول الى التلة قبل ان تغيب الشمس لئلاَّ يخسر كل شيء . ونظر الى التلة فرآها على حد الافق وقدَّر انهُ صار على عشرة اميال منها وكان قد قطع ضلعين من اضلاع مربع وعليهِ ان يقطع ضلعين آخرين قبل ان يصل اليها فقال لا بدَّ من تقصيرها لانني طوَّلت الضلعين الاولين اكثر مما يلزم فينبغي ان اقصر هذين فسار حتى قطع ميلاً وتنفس الصعداء والتفت الى التلَّة فرأى ان لا بد لهُ من ان يسير اليها على خط مستقيم . وكانت رجلاهُ قد تورمتا وقوتهُ خارت من التعب وصار يستحيل عليهِ ان يقف ليستريح لان كل دقيقة تضيع قد تخسرهُ الارض والثمن فجعل يتأوه من الم رجليهِ . ثم تذرَّع بالصبر واسرع العدو والدم ينزف من قدميهِ فطرح قبعتهُ ونعليهِ والتفت فاذا الاكمة لا تزال بعيدة عنهُ فجعل يائس الطمع وكاد يقطع الامل من الوصول اليها فنشف ريقهُ ولصق لسانهُ بحلقهِ وتبلَّلت ثيابهُ بالعرق ولصقت بجلدهِ وجعل قلبهُ يخفق وخدرت قدماهُ فبطل شعورهُ بهما ونسي الارض وما فيها وصار يخشى ان يقع ميتاً من التعب والاعياء وتصوَّر الموت امامهُ بصورة رهيبة لكنهُ قال في نفسهِ ماذا يقول الناس عني اذا وقفت الآن وابطلت السعي . وكأنهُ سمع رجال البشكير يضحكون عليهِ ويهزأون بهِ فاستجمع ما بقي فيهِ من القوة والرمق وكدَّ نحو الاكمة وكان قد قرب منها وصار

يميز الرجال عليها واذا هم يشيرون اليهِ لكي يسرع ثم رأى القبعة التي لا بدَّ من وصوله اليها قبل غروب الشمس فتشدَّدت عزائمهُ وقوي املهُ بالحصول على الارض التي اختطها لنفسهِ ثم خطر على بالهِ الحلم الذي حلمهُ وتمثل لهُ شخصهُ الذي رآهُ ميتاً فارتعدت فرائصهُ وقال في نفسهِ ترى هل يمدُّ الله في اجلي حتى اتمتع بهذه الارض واذا لم يفعل فاكون انا الجاني على نفسي بطمعي . ثم التفت الى الشمس واذا قرصها يكاد يمس الافق فاندفع بكل جهدهِ نحو التلة الى ان بلغها والتفت الى الشمس واذا نصفها تحت الافق وخطر لهُ حينئذٍ انها وان غابت عن اسفل التلة تبقى مشرقة على رأسها فجرَّ نفسهُ وهو يدبُّ على يديهِ ورجليهِ الى ان وصل الى اعلى التلة وحينئذٍ زلَّت قدمهُ فسقط على وجههِ لكنهُ مدَّ يديهِ بكل ما بقي فيهِ من الرمق الى ان لمس القبعة وهو مرتمٍ على الارض . فهتف لهُ رجال البشكير وهم يقولون احسنت احسنت عفارم عفارم . واسرع اليهِ خادمهُ لينهضهُ واذا بالدم يتدفق من فيهِ وهو جثة هامدة . وجلس رئيس القبيلة امامهُ وهو يقهقه ويفحص الارض برجليهِ ثم نهض وتناول رفشاً وسلمهُ للخادم لكي يحفر لهُ قبراً . وركب هو ورجالهُ خيولهم ومركباتهم وعادوا الى خيامهم . وحفر الخادم قبراً لسيدهِ طولهُ ست اقدام وعرضهُ ثلاث وواراهُ فيهِ وهذا كفاف الانسان من الارض

الطب الشرعي

١ — الطب الشرعي — ٢ — الطبيب الكشاف والخبير — ٣ — التقرير الطبي الشرعي — ٤ — الاهمال في تعاطي صناعة الطب والتدجيل — ٥ — السر الطبي — ٦ — فحص الاحياء والاموات — ٧ — عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة — ٨ — صندوق الاسعاف

الطب الشرعي علم يبحث في تطبيق العلوم الطبية على الاجراءات القانونية فهو بذلك خاص بالمعلومات التي لها مساس بالقانون من جهة ومن جهة اخرى شامل لكل العلوم الطبية . وقد توسع بعض الاطباء الشرعيين وادمجوا فيهِ كل فن لهُ علاقة بالقانون حتى القوانين الصحية

الطبيب الكشاف والخبير

الطبيب الكشاف هو الذي يطلب منهُ المحقق الكشف عن مصاب او جثة كشفاً

سطحياً او تشريحها لمعرفة كيفية حدوث الاصابة وتاريخ حدوثها والمدة اللازمة لعلاجها او لمعرفة سبب الوفاة وتاريخ حدوثها ايضاً وقد يكون ذلك في محل الحادثة او بعيداً عنها

الاطباء الكشافون في القطر المصري هم اطباء المراكز والمستشفيات ومفتشو صحة المديريات والمحافظات

الخبير الطبي عادة هو الطبيب الشرعي بمصر او مساعدوهُ وفي بعض الاحيان يقوم بالكشف الابتدائي او يعيد الكشف عن مصاب او جثة سبق الكشف عنها سواء دفنت او لم تدفن او يبدي رأيهُ في تقارير طبية عملها سواهُ او يكشف عن مصاب بعد شفائهِ ليعرف هل تم شفاؤهُ او لم يتم وغير ذلك من الاعمال الهامة التي تحتاج الى خبرة واسعة ليست لسواهُ . وفي كثير من الاحوال يستعين المحقق بأقوال خبراء غيره اخصاصيين في فروع مخصوصة كالرمد او الاسنان او امراض النساء او العظام كفحصها بالاشعة والتصوير وغير ذلك . ويجدر بي في هذا المقام ان اقول انهُ ليس في مقدرة كل طبيب ان يقوم بمهمة الطبيب الكشاف او الطبيب الشرعي . فقد يكون من اعلم الاطباء واشهرهم ولكنهُ امام مسألة طبية شرعية صغيرة قد يبدي آراء تكون السبب في تقويض اركان العدالة وقد يكتب تقريراً غير واضح او يملأهُ بالاصطلاحات التي لا يفهمها المحققون او بلغة معقدة . فالطبيب الكشاف يجب ان يكون لديهِ علاوة على معلوماتهِ الطبية خبرة بالمسائل الطبية الشرعية وان تكون لغتهُ سهلة الفهم يهتم باصغر الامور قوي الملاحظة ذا ذوق سليم

التقرير الطبي الشرعي

يجب ان يكون التقرير الطبي الشرعي عبارة عن حقائق طبية شوهدت وان يكون ما يستنتج من هذه الحقائق مفرغاً في قالب سهل بعيد عن الاصطلاحات الطبية ما امكن واحسن طريقة منظمة لكتابة التقرير هي تقسيمهُ الى ثلاثة اجزاء المقدمة والشرح والنتيجة . ففي المقدمة يذكر الانتداب وساعة حصولهِ ثم ساعة توقيع الكشف ثم يذكر القسم القانوني الذي يجب تأديتهُ قبل الشروع في الكشف ويجب ذكر اسم من حصل امامه القسم ولقبه ووظيفتهُ . وفي الشرح يجب ترتيب ورود الحقائق الطبية فيذكر اولاً تاريخ الاصابة وثانياً الوصف الظاهري للجثة او الشخص فيذكر الاسم والجنس ووصف الملابس تفصيلياً وما يشاهد بها من الامور غير العادية وما لم يشاهدهُ من الامور التي ينتظر ان تكون ذات فائدة في الموضوع . ففي حادثة مشاجرة مثلاً يجب ان يذكر هل وجد تمزق بالملابس او دم ثم تذكر السن والعلامات المميزة كالوشم او ندب الالتحام ولون الشعر والقامة والبنية ثم الاصابات

الظاهرة . توصف بالتطو يل كما سيأتي وحالة الجثة هل كانت متيبسة او متعفنة او فاقدة جزءا منها وغير ذلك . وان لم يجد الطبيب شيئاً من ذلك يدونهُ صريحاً ثم يحترس في مقابلة الثقوب او الحروق التي في الملابس بالاصابات التي في الشخص او الجثة ويجب عليهِ ملاحظة حالة الجو لأهمية ذلك في التعفن الرمّي وملاحظة وضع الجثة وما حولها . ويجب ان يبدأ بشرح الحقائق التي يشاهدها في محلس الاصابة اولاً ثم ينتقل لباقي اجزاء الجسم او الجثة مبتدئاً بالرأس حتى يصل للطرفين السفليين فان لم يشاهد شيئاً في اي جزء من الجسم ذكر ذلك

واما النتيجة فلا يكتب فيها الاّ ما يستنتجهُ من الحقائق التي ذكرها في الشرح ولا يرتكن الأ على الاصول الطبية الثابتة ولا يذكر ما رآهُ في الكتب ولا ما استنتجهُ سواهُ بل ما يراهُ هو وما يستنتجهُ . ولتكن النتيجة منظمة مرتبة خالية من الاصطلاحات الطبية بالمرة مستوفية بحيث لا يحتاج لمناقشة فيها و يذكر فيها في حالة الجثث التصريح بالدفن وذلك بعد اخذ رأي المحقق ومحل الدفن ويجب ان يوقع معهُ من حضر الكشف من المحققين او مندوبيهم

في بعض الاحيان يطلب من الطبيب اعطاء رأي احتياطي في نفس محضر التحقيق فاذا كان الطبيب قد كوَّن لنفسهِ رأياً فيمكنهُ اعطاؤهُ وان لم يكن فليذكر ذلك صريحاً حتى يمكن للنادب ان يندُب سواه معهُ ليستعين برأيهِ . وأرى انهُ يجب على الطبيب اذا اشكل عليهِ امر ان لا يحجم عن طلب زميل لهُ معهُ فان هذه مسائل هامة ولا يعتبر ذلك جهلاً منهُ ابداً بل هو حرص على الحق واذا نوقش الطبيب في رأي شفهي ابداهُ فلا يتسرع في تأييدهِ او العدول عنهُ بل يجب ان يفكر كثيراً قبل الاجابة واذا اجتمع مع زملاء لهُ في مشورة طبية شرعية فلا يعجل في تخطئة زملائهِ بل يجب عليهِ التأني والمناقشة بعقل مع مراعاة آداب الصناعة واذا اختلف مع زملائهِ في الرأي فليدون ذلك في تقريرهم ولا ينفرد بتقرير خاص بشكل غير مرضٍ لان ذلك يحط من قدر الاطباء في اعين الغير . ويجب عليهِ ان لا يصر على رأيهِ اذا اقنعهُ زملاؤهُ بعدم صحتهِ

الاهمال والتدجيل

لم اسمع بان دعوى رفعت في مصر لمناسبة اهمال في تعاطي صناعة الطب وذلك لانهُ اذا حصلت وفاة فلا بد من تشريح الجثة وهذا امر يستهجنهُ الاهالي وفضلاً عن ذلك فالاهمال يصعب اثباتهُ وهو اما اهمال في التشخيص او العلاج . فاهمال التشخيص كعدم معرفة الكسر في المفصل من الرض او الالتواء او الخلع وقد ينشأ عن ذلك عاهة مستديمة . والاهمال في

العلاج كتركك المريض بلا علاج بالمرة او عدم العناية بهِ كتركك قطعة قطن او جفت او غيره في البطن او عدم رد الخلع في وقتهِ او ثقب الرحم في عمليات الولادة او استعمال الكهرباء وهي غير لازمة او التسرع في عمل عملية غير ضرورية · ومع ذلك فهذه جميعها اغلاط شوهد حدوثها على ايدي كثير من الاطباء والجراحين المشهورين والمدار في ذلك على حسن النية كما في حالة اعطاء المخدر لاجراء العمليات الجراحية فقد يموت المريض بلا سبب واضح وجميع احشائهِ خالية من الامراض التي تمنع اعطاء المخدر وانما الواجب ان يعطي المخدر العمومي طبيب مرخص لهُ بتعاطي صناعتهِ · اما الدجال فهو الذي يدّعي لنفسهِ فنًّا لم يدرسهُ و ينشأ عن تداخلهِ فيهِ اضرار عديدة · والتدجيل الطبي يكثر بين طبقة الحلاقين والتمورجية والقابلات و يظهر باجلى مظاهرهِ في طرق الاجهاض · وسنتكلم على ذلك في موضعهِ و يجب الضرب على ايديهم كما سنحت الفرصة وعدم التجاوز لهم عن عملهم مطلقاً

السرّ الطبي

المادة ٢٦٧ من قانون العقوبات تقول :

« كل من كان من الاطباء او الجراحين او الصيادلة او القوابل او غيرهم مودع اليهِ بمقتضى صناعتهِ سر خصوصي ائتمن عليهِ فافشاهُ في غير الاحوال التي يلزمهُ القانون فيها بتبليغ ذلك يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ستة شهور او بغرامة لا تجاوز خمسين جنيهًا مصريًّا »

فمن ذلك ترى انهُ اذا كان بافشاء هذا السرّ يمنع الطبيب حصول جريمة فلا عقاب عليهِ ولكن اذا دخل منزلاً فمحرم عليهِ ان يصف الامور التي يعتبرها اصحاب المنزل سرًّا خاصًّا بهم كأوصاف السيدات او اي جزء من اجسامهنّ او اذاعتهُ بان سبب جنون شخص دينهُ او اذاعة انواع الامراض

المادة ٢٠٥ من قانون المرافعات :

« كل من علم من الافوكاتية او الوكلاء او غيرهم بواسطة صناعتهِ او خدمتهِ بامر ما او بتوضيحات عن ذلك الامر لا يجوز لهُ في اي حال من الاحوال الاخبار بذلك الامر ولا بالتوضيحات ولو بعد انتهاء خدمتهِ او اعمال صنعتهِ ما لم يكن الغرض من تبليغ ذلك اليهِ ارتكاب جناية او جنحة »

المادة ٢٠٦ من القانون نفسهُ :

« ومع ذلك يجب على الاشخاص المذكورين في المادة السابقة ان يؤدوا الشهادة عن الامر والتوضيحات المتقدم ذكرها اذا طلب منهم ذلك من بلغها اليهم »

وهنا اذكر مسألة الشهادات الطبية من حيث علاقتها بالسر الطبي فاذا كان الطبيب موظفاً ومن ضمن وظيفتهِ كتابة مثل هذه الشهادات فلا جناح عليهِ اذا صرح بنوع المرض بصفة رسمية اما بغير ذلك فلا حق لهُ في اعطاء شهادة طبية عن حالة شخص لآخر بل يعاقب جنائيًا على ذلك اما اذا اعطاها لنفس الشخص فلا عقاب عليهِ

فحص الاحياء والاموات

يدعى الطبيب بصفتهِ طبيباً كشافاً رسميًا او طبيباً يشتغل لحسابهِ للقيام بالمأموريات الآتية :—

فحص رجل او امرأة بالغة او دون سن البلوغ · فحص رجل او امرأة بالغة ولكن لا يمكن ايهما ان يقبل توقيع هذا الكشف · وفي كل هذه الاحوال يكون الرجل او المرأة متهماً او مجنياً عليهِ او مشتبهاً فيهِ فقط · ففي جميع هذه الاحوال — في مصر يكشف الطبيب المندوب رسميًا بلا استئذان المكشوف عليهم ما دام هذا الكشف يحصل بناء على طلب المحققين ولكن في حالة المرأة يحسن استئذانها والبنت يطلب اذن ذويها وفي الحالتين يجب وجود امرأة اخرى مع الطبيب الكشاف وان تعذر ذلك يترك الباب مفتوحاً نصف فتحة · ومندوب التحقيق يقف بالباب او داخلهُ ان لم يكن الكشف على اعضاء التناسل واما الاطباء غير المندوبين رسميًا للكشف الطبي الشرعي فلا حق لهم في اجراء الكشف الا بارادة المرضى المحضة والا عرضوا انفسهم للعقاب · وقد يدعى الطبيب للكشف عن فتاة او خادمة لمعرفة ما اذا كانت بكراً او ثيباً او حبلى فعليهِ ان يفهمها ذلك قبل الكشف و يأخذ منها قبولاً اذا كانت نتيجة الكشف في غير مصلحتها بامكان اذاعتها لطالبي الكشف وكذلك في احوال المرضعات اذا طلب الكشف على احداهن ليعرف هل كانت مصابة او غير مصابة بمرض سري · اما من جهة فحص الاموات فاقول ان الاطباء الحكوميين هم الذين لهم حق الكشف عن الموتى واعطاء شهادة بالوفاة والتصريح بالدفن · والاطباء الخصوصيون لهم الحق فقط في اعطاء شهادة بالوفاة في حالة المرضى الذين كانوا يعالجونهم قبل الوفاة مباشرة · واما فحص الجثث لمعرفة سبب الوفاة الجنائي فهذا لا يفعل الا بامر المحقق سواء كان من البوليس او النيابة · وكذلك اجراء عملية التشريح · ففي الاحوال التي لا بد من التشريح فيها يجوز ان يعمل بامر البوليس وفي الاحوال المشتبهة والعارضية يجب ان يكون بامر النيابة ويجوز للطبيب

ان يفحص الجثة ظاهرياً ليعلم هل هناك سببٌ جنائي للوفاة بناء على طلب اقرباء المتوفى فاذا وجد شبهة اخطر النيابة لتتصرف في الجثة

عمل الصفة التشريحية والآلات اللازمة لها

قبل البدء بعمل الصفة التشريحية يجب فحص الجثة من الظاهر كما شرحنا ذلك في موضوع التقرير الطبي الشرعي وخصوصاً لتحقيق شخصية المتوفى بعرض الجثة على اهله وان كان مجهولاً تؤخذ صورتهُ الشمسية ويجب تشريح جميع اجزاء الجثة ولا يكتفى بموضع الاصابة لمعرفة سبب الوفاة لانهُ اذا ترك جزء بلا تشريح يعرض الطبيب كشفهُ للتجريح بواسطة المحامين كما انهُ لا يمكن الطبيب ان يقسم ويجزم بان سبب الوفاة هو كذا فيجوز انهُ ترك الرأس بلا تشريح وفي داخل الجمجمة ورم او غيرهُ لهُ دخل في الوفاة · ويجب اخذ مذكرات بكل ما يشاهدهُ بجوار الجثة وبقدر المستطاع ان يسرع في عمل الصفة التشريحية قبل ابتداء التعفن الرمي فيها لانهُ يغير معالم الجثة· ويجب ان يوجه عنايتهُ الى محتويات المعدة فقد يجد في جدرانها تقرحاً او تأكلاً او ثقباً فلا يتسرع ويحكم بان هذه الحالة مرضية بل ليعلم ان المعدة تأكل نفسها احياناً فالقرحة المرضية تكون حافتها مبتورة وغير رقيقة والغشاء المخاطي يمكن سلخهُ اذا شرعنا في ذلك مبتدئين من حافة القرحة او بالعكس والعضلات اسفل الغشاء او الجزء الملتهب عند حافة القرحة غير متأثرة ويجوز وجود التصاقات ما بين المعدة والاحشاء المجاورة او وجود صديد او علامات الالتهاب الحيوي واما في حالة التأكل المضمي فحافتهُ غير مبتورة وغير رقيقة ولا يمكن سلخ الغشاء المخاطي منها لانهُ رخو وعجيني القوام ويكون التأكل في الغشاء والعضلات بدرجة واحدة والجميع رخو ولزج ولا توجد التصاقات ولا علامات للالتهاب الحيوي في جميع الانسجة

واما طريقة عمل الصفة التشريحية فهي ان يفتح الصدر اولاً برفع عظم القص وفحص احشائهِ ثم البطن بشق رأسي وآخر افقي عليهِ اسفل السرة مباشرة ثم العنق مع نشر الفك السفلي والمحافظة على العظم اللامي ثم الرأس برفع الفروة اولاً بشق يبتدئ امام اعلى نقطة لصيوان الاذن وينتهي عند النقطة المقابلة لها امام الاذن الاخرى ثم تنشر الجمجمة ويفحص المخ وتشرح الاطراف والعامود الفقري ان كان هناك ضرورة

والآلات اللازمة جداً هي سكينان متينان ومشرط ومقص عادي ومقص امعاء ومنشار وشاكوش وازميل ومسبر وميبر وخيط والادوات هي بشكير وصابون ومحاول فنيك وماء · وفي احوال التسمم تلزم ادوات اخرى سيأتي ذكرها

صندوق الاسعاف

ان لم يكن عند الطبيب صندوق مجهز كالمجهز للطبيب الكشاف خصيصاً من محل مائيوز واخوته بلوندرة فيمكنهُ اعداد صندوق معدن ٣٠ × ١٢ سنتي متر ومجهز بغلاية ولمبة وعلبة يودوفورم ومكنة شعر او موسى واربطة وشاش سيانور ومشمع وقطن وزجاجة اقراص سلياني ومقص وخيط حرير ومسبر قنوي ومسبر مدرج وجفتي شرايين وجفت تشريح وابر وقسطرة وانبوبة اسمارك وحقنة تحت الجلد وانابيب كافور واستركنين ومورفين واما السموم فلها صندوق خاص بها

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

كتب الاستاذ جوردان رئيس جامعة لالند ستانفورد الاميركية مقالتين في مجلة العلم العام الاولى بعنوان « الانتخاب الحربي في اوربا » . والثانية بعنوان « الانتخاب الحربي في العالم القديم » . وقد اراد بالانتخاب الحربي اثر الحرب في الامم . واستعار هذا التعبير من الانتخاب الطبيعي في مذهب النشوء حيث اثبت دارون ان مدار هذا المذهب على انتخاب الطبيعة للاحياء وبقاء الاصلح منها للبقاء . ولكن كاتب المقالتين ابان ان فعل الحرب بالامم المختلفة هو ابقاء الضعيف وافناء القوي الاصلح للبقاء فهو عكس فعل الانتخاب الطبيعي

والاستاذ جوردان هذا هو الذي قيل منذ شهر ان الكونجريس الاميركي اي مجلسي النواب والشيوخ اختارهُ لمذاكرة الرئيس ولسن في توسط الحكومة الاميركية بين الدول المتحاربة سعياً الى الصلح . وقد رأينا ان نلخص مقالتيهِ مقدمين الثانية لتقدم موضوعها على موضوع الاولى قال :

رومية

وصف المؤرخ حالة السلطنة الرومانية في عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس بقوله « كان الحصاد الانساني رديئاً » . اراد بذلك ان السكان كانوا على نماء والثروة على ازدياد ولكن كان هناك قحط في الاشداء من الرجال . فقد كادت الاسواق والمعسكرات تغص بالرجال وكان اهل العمل واهل البطالة كثاراً ولكن لم يكن في البلاد كفايتها من الجنود الاشداء مع ان الحرب شغلها الشاغل في ذلك العصر

لقد اعترف بعض انصار النشوء الاجتماعي بما للانتخاب الحربي من النتائج الويلة ولكن تطبيق المذهب الداروني على التاريخ لم يكد يظهر حتى الآن فيما نكتبهُ عن الحرب والسلم

كانت القبائل الرومانية في اوائل عهدها مؤلفة من اقوام ذوي شجاعة ونشاط يحبون العمل ولا يثقل عليهم شظف العيش . وقد قال فيهم احد المؤرخين « انهم لم يكونوا يحسبون احداً اعلى منهم او ادنى » لذلك طال عهد رومية بالجمهورية لان الرجال الاحرار يملكون زمام انفسهم . قال كاسيوس « ليس الذنب على طوالعنا في صيرورتنا عبيداً محكومين بل الذنب ذنبنا » . وقد وضعت رومية اساس عظمتها يوم كانت حرة صغيرة لا تجد لها ولا ثروة ولا مستعمرات ولا عبيد

ولكن الحرية والاستقلال تلاشيا منها شيئاً فشيئاً وحل محلهما حب السلطة والاستبداد . فلم يكد القوم يشعرون بقوتهم حتى اخذوا يستخدمونها ضدّ اخوانهم . وهذا التحول افضى الى العدوان والاغتصاب والنهب والنزاع والخفخخة وسائر ما يلابس الحروب فراح بذلك استقلال الجمهور ضحية مطامع البعض وصار للوطنية معنى جديد بعد انتقالها من العائلة والبيت الى الجيش والمعسكر

قال احد مؤرخي الرومان يصف الانقلاب الذي طرأ على رومية بعد فتوحاتها ان « الهومو » حل محل « الڤير » . ومعنى « الهومو » عامَّة الناس ومعنى الڤير خيار الناس دون شرارهم اي ان خيار الرجال قتلوا في الحروب فبقي في البلاد العامَّة فقط لحرث الارض وولادة الاولاد وقام ابناء العبيد والاماء والاتباع مقام اهل الحسب والنسب

هذا ولم يكن سبب سقوط رومية بذخ اهلها ولا تخنثهم ولا انتشار الرشوة فيهم ولا قسوة نيرون وكاليغولا ولا اشتغال نسل قسطنطين بالسفاسف والسخائف بل ان ذلك السقوط بدأ يوم تغلَّب حب السلطة والسيادة على حب الاستقلال والحرية وزاد استبداد الامبراطرة بزيادة ضعف الشعب حتى كان يصح اتخاذهُ مقياساً تاريخيًا يقاس بهِ مقدار هبوط الامة وانحطاطها . فلم يستطع يوليوس قيصران يستبد بالسلطة و يفوق في القوة الا لان عهد سنسناتوس ويونيوس و بروتوس مضى وانقضى وكانت قوة اوغسطس قيصر قائمة بشخصهِ . وزادت قوة الامبراطرة المتأخرين بضعف الشعب حتى بات خنصر قسطنطين اغلظ من متني اوغسطس . ولم يكن سبب ذلك قوة قسطنطين بل انقراض الاقوياء من الشعب و بقاء الضعفاء على ضد ناموس الانتخاب الطبيعي حتى بات الامبراطور معبود القوم بعد ما كان عملهُ الاول الوقوف بينهم وبين اهل المطامع . ولا ريب ان اوغسطس روموليس هو آخر امبراطور

روماني عدَّهُ شعبهُ اشبه الامبراطرة بالآلهة قبلما قضى القوط الغزاة عليهِ وعلى مملكتهِ

ولو ان ابناء الجمهورية الرومانية تنحوا عن الفتوحات لبقيت جمهوريتهم حتى يومنا هذا على الراجح . فقد زرعت بزور سقوط رومية يوم قُطع خيرة ابنائها عن ولادة الاولاد وتُرك الضعاف العجزة يتزاوجون ويتوالدون . ولم يكن لسقوطها علاقة بنوع الحكومة او بمقدار الثروة او بشيخوخة الامة . قال الاستاذ سيلي « ان سبب سقوط السلطنة الرومانية افتقارها للرجال » . وقد انتبه يوليوس قيصر الى قلة الرجال مع كثرة سكان المملكة وازدحامها بهم فقال ما فحواهُ ان السكان ينمون نموًّا مطرداً ورومية تغصّ باهلها كمستنقع يفيض ماؤُهُ على جوانبهِ وبعض اصناف الرجال موفورون ولكن الفلاحين الخشان بقايا عصور رومية الاولى كانوا يضمحلون سريعاً . ومنذ تغير نوع الرجال ظهرت على الدولة الرومانية بوادر الانحلال . وقال الاستاذ بري « كانت نتيجة الحروب الرومانية تناقص صغار الفلاحين وازدياد الارقاء الذين لا ينتظمون في الجيش وبذلك حلّ العامّة محل الخاصّة وقام الضعاف مقام الاقوياء فامتلأت رومية بالطغام وتسنّم الاريكة الرومانية كل مَن وقع اختيارهم عليهِ فلا بدع والحالة على ما رأيت اذا ظهر قسطنطين اعظم من اوغسطس ولا بدع اذا بات الامبراطور فالنتيفيانوس يؤدب رعيتهُ بالعقارب بعد ما كان طيباريوس يؤدبهم بالسياط اي ان طيباريوس على قسوتهِ وشراسة اخلاقهِ كان اوسع خلقاً واخف وطأة على رعيتهِ من فالنتيفيانوس الذي عدَّهُ قومهُ من المحسنين

وكانت الحروب تقام والمواليد على تناقص وتنبه ساسة الرومان الى انحطاط الامة كمًّا وكيفاً فسعوا في سدّ نقص العدد بجلب السكان من خارج المملكة اليها طوعاً او كرهاً . اما النقص في الصفات فاستعصى على العلاج . قال الاستاذ زمت « لما ظهر رجال الحكومة بمظهر اشباه الآلهة حوَّطوا انفسهم بما يناسب هذا المظهر ولبسوا لهُ لبوسهُ وازدانوا بغواشيهِ فكان على هذا الاثر ان الموظفين تضاعفوا والرعية فقدت حقوقها فملأت رهبة الحكام وخشيتهم قلوبها وذلّ اهل السلطة بحضرة الزهو والظلم . وصار للامبراطور قوة هائلة في الجيش لا يد للرعية فيها . وكان هذا الجيش اصمّ لصوت العقل لا وطنية لهُ اذ كان بلا وطن ولا مروءة تجول في صدوره اذ كان فاقد الروابط العائلية . وكيفما قلّبت التاريخ الروماني تجد الناس صنفين لصًّا وبربريًّا [1] وكلاهما يكره العمل ويستنكرهُ . ولم تكن الحضارة الرومانية للبنيان بل للتقويض والهدم لانها كانت عسكرية »

---

(١) كان الرومان يلقبون الدخلاء بينهم بالبرابرة

وكانت عاقبة ذلك كلهِ ان الامة فقدت ابناءها فاضطرت ان تلجأ الى الشاكرية[١] في حرث حقولها فكانت تستأجر قبائل برمتها لهذا الغرض · فلما قام الاجراء والعبيد والافاقون والطغام مقام الاحرار اهل النظر السديد والساعد الشديد وباتت المملكة بلا حول ولا قوة اجتاحها جموع الغزاة وعاثوا فيها مفسدين وقطنت عصابات البرابرة بلادها واتخذوها وطناً لهم ولكنهم لم يفتحوها وكان ضعف رومية المثقلة باصفاد الحروب فرصة القبائل الجرمانية التي اغارت عليها وملكتها · ولقد صدق برنارد شو حيث قال « ان الامة كالنحلة حينما تلسع تموت »

بسط الدكتور اوتوسيك الالماني في كتابهِ « سقوط العالم القديم » اسباب سقوط الدولة الرومانية فاشار في بدء بحثهِ الى الجمود العقلي الذي شمل السلطنة الرومانية في اوائل التاريخ المسيحي فقال انهُ لم تظهر حينئذٍ فكرة جديدة يعتدُّ بها سواء كان ذلك في العلوم او المباحث الفنية والسياسية · وتلاشت قوة الابتكار في الآداب والفنون واكتفى اهلها بتقليد القديم · وكان سبب ذلك كلهِ استئصال شأفة الخاصة والسراة بسبب الحروب

ومثل هذا جرى في اليونان حيث طال عهد الخصام وسفك الدماء بين الاحزاب السياسية الداخلية · وكان الخصام ينتهي بانتصار هذا الحزب وانخذال ذاك وكانت عادة المنصورين ان يقتلوا زعماء الحزب المخذول او ينفوهم من البلاد · وكثيراً ما كانوا يقتلون اولادهم ايضاً فانضى قتل النوابغ عن الجانبين الى انخفاض المستوى العقلي في الامة · قال سيك :

« ان حروباً داخلية مثل هذه تنكب الامم بفقر ادبي لا يستقصى · ففي رومية ذبح ماريوس وسنّا اعيان الامة بالمئات والالوف · وامعن سلاّ في الديموقراطيين طعناً وقتلاً · ومن سلم من هذه المذابح سقط ضحية في يد الترايمفرايت[٢] · ولما كان اليونان اوسع حيلة من الرومان جاء الرومان الخراب باسرع مما جاء اليونان · ومن كان منهم عصامياً فارتقى بجدهِ في المناصب السياسية تألبوا عليهِ واسقطوهُ سريعاً فلم يبقَ في البلاد الاَّ الجبناء وذريتهم · وكان عنوان ذلك الجبن ضعف قوة الابتكار واحتذاء النير احتذاءً تاماً والسير على التقاليد بلا تصرّف ولا تفنن »

ومن شذَّ عن هؤلاء المؤرخين مثل ڤارو وانصارهِ قال ان رومية ماتت حتف انفها

---

(١) العمال المستأجرون (٢) حكومة من ثلاثة رجال في عهد الرومان · واشهر هذه الحكومات الحكومة التي تألفت من بمبي وكراسوس ويوليوس قيصر في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي والحكومة التي تألفت من اوكتافيانوس (اوغسطس قيصر فيما بعد) ومارك انطونيوس ولبيدس في اواسط القرن الاول من التاريخ المسيحي

لانها شاخت . ولكن من الوهم ان يتصور ان الامم تولد وتشب وتشيب طبقاً لناموس ثابت كالناموس الذي يخضع لهُ الافراد. فان الامة مجموع احياء وهي عرضة للشتات اذا ساءت قيادتها او هاجمها عدو اقوى منها ومتى قلت نسبة اهل العقول والقلوب فيها كان مستقبلها نتيجة القوى التي بقيت فيها . وقد هزأ سيك بقول القائلين ان رومية ماتت حتف انفها وانكر قول من قال ان سقوطها نشأ عن البذخ او اهمال الخطط الحربية او عن المغالاة في الحضارة قال :

« ولا يُعقل ان الرومان ضرُّوا من زيادة الحضارة ولا ان بذخ اغنيائهم كان سبب سقوطهم . فان اغنياء القرنين الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا اقل بذخاً منهم ومع ذلك لم يُحل بذخهم دون تقدم الامم التي ينتمون اليها . وزد على ذلك ان اهل البذخ في رومية كانوا اكثر تفرقاً من اهل البذخ في كل بلد اوربي حديث وان جمهور الرومان كان في كل زمان كثير التقشف والزهد في معيشته بطبيعة الحال. وهل يتصور ان امة حربية مؤلفة من ملايين عديدة تمسي مخنثة ببذخ بضع مئات منها . فقد مضى زمان طويل والمؤرخون يتحدثون بما للاغنياء والامراء في العالم من اليد الطولى في تغيير وجهه وتعيين مستقبله . على ان نصف المملكة الرومانية كان مؤلفاً من البرابرة الخشان الذين لم تصقلهم الحضارة اليونانية ولا ثقفتهم المدنية الرومانية

« ومهما يكن السبب البعيد في سقوط الدولة الرومانية فان السبب المباشر لسقوطها هو انحلال قواها الجسمية لا الادبية . فقد بقيت الجيوش الرومانية حيث كانت على الدوام من قبيل البسالة وحسن النظام وادارة الحرب على مقتضى العلم . وكان امبراطرة اليريكوم الفلاحون خير خلف لاسلافهم من امثال سنسناتوس ومار يوس . ولكن بقيت مسئلة سد النقص في الجيوش . فان الرجال قلُّوا فتقوضت اركان الامبراطورية الرومانية من قلة الرجال »

وبينا انا اكتب هذه السطور نُشر كتاب من قلم الدكتور الفرد شولتس في نيويورك ذهب فيه الى ان سبب سقوط رومية النفولة اي فساد دم الرومان بامتزاجه بدماء القبائل الخاضعة لهم . وعندي ان النغولة كانت نتيجة انحطاط رومية لا سبباً لهُ فان رجال القبائل التي اخضعتها رومية أخذوا لسدّ الفراغ الحادث من هلاك رجال الرومان في الحروب. والاستمرار على قتل الاصلح فتح مجالاً واسعاً للامم غير الرومانية التي باعت سرير الملك مرة بالمزاد العلني. ولما قتل الرومان في الحروب الداخلية والخارجية اندفع الدم الغريب والدخيل من كل فجٍّ وصوب ليملأ مكان الاصيل

قال جبن « وكان الرومان يزدادون قصر قامة كل يوم ففضت السلطنة الرومانية بالاقزام حتى اجتاحها جبابرة الشمال فاصلحوا ما افسده الزمان فيها واعادوا اليها الرجولة والاستقلال . و بعد ثورات دامت عشرة قرون اصبحت الحرية ام العلم والذوق السليم » . وكانت الامة الايطالية الحاضرة

اليونان

كان اليونان فيما سلف من الدهر قادة العلم في الفنون والشعر والفلسفة . وكان ابهى بناء بناه الناس قصر السلام او البارثنون الذي اقامه بركليس تذكاراً لانتهاء الحروب اليونانية . و بقي قائماً ما ينيف على الفي سنة الى ان هدم في اواخر القرن السابع عشر للمسيح

لكن مجد اليونان كان قد انقضى قبل تهدم البارثنون وكان سبب انقضائه فناء الرجال الاقوياء بالحرب . فقد كانت المدنية اليونانية في اوجها مبنية على الرق اذ كان في اليونان رجل حر واحد لكل عشرة ارقاء . فلما ذهب الاحرار حل العبيد محلهم قادمين من الشمال ما بين بلغاري والباني وفلاخي وامثالهم . ولا تزال اللغة اليونانية القديمة حية اما اليونان القدماء يونان الآداب والفنون والفلسفة فلن يعرف مكانهم . قال المستر ارلند « ان معظم الامة اليونانية القديمة زال و يقطن البلاد الآن قوم من السلالة الصقلبية . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان في جيش ادهم باشا العثماني من دم ابطال اليونان القدماء اكثر مما في جنود الملك جورج »

وقد عزا شولتس سقوط اليونان الى مثل السبب الذي افضى الى سقوط رومية وهو تزاوج اليونان والقبائل البربرية التي تدفقت عليها من كل جهة . وكان هؤلاء الدخلاء يزدادون كلما نقص اليونان الاحرار بالحروب . ثم حرر العبيد ليحلوا محل اليونان الاحرار الذين قتلوا في ميادين الحرب وحينما هلك هؤلاء حل الدخلاء محلهم . ومن المحقق ان سكان بلاد اليونان الحاليين ليسوا امة واحدة والفرق بين الذين يسمون يونانا و بين سائر البلقانيين ان سكان بلاد اليونان يتكلمون لغة مشتقة من اليونانية القديمة

ولكن عند مقابلة اليونان معاصرينا باليونان القدماء نقول إنصافاً لهم انهم متصفون بكثير من الخلال الطيبة . ومن تلك الخلال الصراحة والرجاء والغيرة الوطنية . واليوناني الجبلي يعرف قيمة الحرية وقد طالما قاتل في سبيلها . و يقال ان اهل تساليا اقل استقلالاً وحباً للحرية من سكان الجبال . ولا غرو فان ذلك شأن سكان البطاح والسهول اينما كانوا

الحال بعد الحرب

لا شبهة ان نفقات هذه الحرب فاقت كل نفقات الحروب قبلها . ويرى كثيرون من الباحثين ان ممالك اوربا التي اشتركت فيها لا تسترد ما خسرتهُ الأ بعد السنين الطوال . اما نحن فلا نرى ذلك لان الاموال التي انفقتها الدول المتحاربة استدانت اكثرها من شعبها ثم ردّت اليهِ اكثر ما استدانتهُ منهُ . ولان الناس اضطروا الآن الى الاقتصاد في نفقاتهم فاقتصدوا منها ما يساوي جانباً كبيراً من النفقات الحربية

وقد طرق المستر اليس باركر الكاتب الانكليزي المشهور هذا الموضوع في الجزء الاخير من مجلة القرن التاسع عشر فتوسَّع فيهِ وبيَّن بالادلة الكثيرة ان البلاد الانكليزية ستنهض من عثرتها وتسترد ثروتها وتروج صناعتها وتجارتها بعد الحرب رواجاً ينسي الناس ما خسروهُ فيها . ومما قالهُ في هذا الصدد ان المانيا انفقت في تسعة اشهر على حربها الماضية مع فرنسا ٦٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان ترعة بناما وهي اكبر الاعمال الهندسية التي عُملت في الدنيا انفقت عليها الحكومة الاميركية ٨٠٠٠٠٠٠٠ جنيه وان حرب البوير التي دامت ثلاث سنوات انفقت فيها انكلترا[١] ٢٥٠٠٠٠٠٠٠ جنيه اما الحرب الحاضرة فتنفق فيها انكلترا كل شهرين مقدار ما انفقتهُ في حرب البوير مدة ثلاث سنوات

وقد بلغت نفقات انكلترا في هذه الحرب حتى الآن نحو ١٣٠٠ مليون جنيه واذا دامت الحرب سنتين اخريين فلا يبعد ان تستنزف ثلث ثروة البلاد الانكليزية لانها تقدر بنحو ١٢٠٠٠ مليون جنيه . وقد كانت النفقات السنوية للحكومة الانكليزية قبل الحرب ٢٠٠ مليون جنيه فلا يبعد ان تصير بعدها ٤٠٠ مليون جنيه لما يقتضيهِ ربا الدين الجديد ومعاشات الذين اصابتهم العاهات في الحرب والذين قتل ذووهم فيها فهل تستطيع الامَّة الانكليزية تحمُّل هذه النفقات كلها واحتمال اعباء هذه الديون

منذ مئة سنة وضعت الحرب اوزارها بين انكلترا وفرنسا (حرب نبوليون) بعد ما انفقت فيها انكلترا ١١٠٠ مليون جنيه . نعم ان الديون التي استدانتها في تلك الحرب لم تبلغ سوى ٦٠٠ مليون جنيه ولكن الحكومة زادت الضرائب في غضونها نحو ٥٠٠ مليون

(١) يراد بانكلترا في كل ما يلي البلاد الانكليزية اي انكلترا واسكتلندا وارلندا ويراد باميركا والحكومة الاميركية الولايات المتحدة الاميركية وحكومتها

جنيه فقد كانت الضرائب السنوية في اول الحرب سنة ١٧٩٢ نحو ١٩ مليون جنيه فصارت في آخرها سنة ١٨١٩ نحو ٦٢ مليون جنيه ولو جرت زيادة الضرائب مجراها الطبيعي حسب زيادة عدد السكان لبلغت ٣١ مليون جنيه فقط ولبلغ مجموعها كلها في تلك السنين ٦٠٠ مليون جنيه لكنهُ بلغ نحو ١١٠٠ مليون جنيه فالزيادة وهي ٥٠٠ مليون ضمّت الى الديون لاجل نفقات الحرب ولذلك فنفقات تلك الحرب التي انفقتها انكلترا بلغت ١١٠٠ مليون

وكانت ثروة انكلترا سنة ١٨١٤ تقدَّر بنحو ٢٧٣٧ مليون جنيه فالنفقات الحربية كانت بين ثلث ثروة البلاد ونصفها ومع ذلك حملتها البلاد ولم ترزح تحتها فلا عجب اذا حملت الآن نفقات تعادل ثلث ثروتها او اكثر

ثم انهُ لما كانت الحرب مع نبوليون زيدت الضرائب في البلاد الانكليزية اربعة اضعاف في عشرين سنة اما الآن فلم تزد الأ خمسين في المئة اي ثمن ما زادتهُ حينئذٍ وتظهر زيادة الضرائب حينئذٍ من النظر الى الجدول التالي

	سنة ١٧٩٢	سنة ١٨١٥
الاموال المقرَّرة	٣ ٨٣٧ ٠٠٠ جنيه	٢٥ ٤٣٨ ٢٥٠ طناً
ضرائب الاطعمة والاشربة والتبغ	٩ ٠٣٥ ٧٨٣ ٠	٢٩ ٤٠٦ ٤٩٤ ٠
عوائد الجمارك والمواد الاصلية	١ ٤٦٧ ٠٠٠ ٠	٠٦ ٠٦٢ ٢١٤ ٠
عوائد المصنوعات	١ ٦٥٦ ٠٠٠ ٠	٠٤ ٠٨٠ ٧٢١ ٠
التمغة	٠ ٢٥٢ ٠٠٠ ٠	٠٢ ٧٤٣ ٠٠٠ ٠

وواضح من ذلك ان الضرائب بلغت بعد الحرب مع نبوليون ثلاثة اضعاف ما كانت عليهِ قبلها فاحتملها الانكليز مع انهم لم يكونوا في سعة تقابل بسعتهم الحاضرة ولا بدَّ من ان كثيرين شكوا منها حينئذٍ بحق او بغير حق كما سيشكو كثيرون الآن ولكن البلاد نجحت بعد تلك الحروب نجاحاً لا مثيل لهُ رغماً عمَّا قدَّرهُ كثيرون من عظماء الرجال مثل فردرك الكبير ونبوليون الاول وغيرهما وما ذلك الأ لان الضرائب الثقيلة التي القيت على عواتق الناس دفعتهم الى السعي والجد والتدبير والاقتصاد . ومتى عكف الناس على اعمالهم واقتصدوا في نفقاتهم زاد دخلهم وقلَّ انغماسهم في الملاهي والملاذ فزادت .واليدهم . وهذا يفسر ما قالهُ الاقتصادي الشهير ادم سمث وهو ان الرجال يكثرون حينما تدعو الحاجة الى كثرتهم . فان عدد الانكليز كان ١٠ ٩٤٢ ٦٤٦ سنة ١٨٠١ فبلغ ١٨ ٧٢٠ ٣٩٤ سنة ١٨٤١ اي كاد يتضاعف في اربعين سنة . وكادت غلة ارضهم تتضاعف

في هذه المدة فقد كان مجموع ايجارها ٢٢ مليون جنيه ونصف مليون سنة ١٨٠٠ فبلغ ٤٠ مليون جنيه سنة ١٨٤٣ وزاد سكان المدن الصناعية زيادة كبيرة جداً كما ترى في هذا الجدول

	سنة ١٨٠١	سنة ١٨٤١
سكان منشستر	٩٤ ٨٧٦	٣١١ ٠٠٩
« لفربول	٨٢ ٢٩٥	٢٨٦ ٤٨٧
« برمنجهام	٧٠ ٦٧٠	١٨٢ ٩٢٢
« ليدس	٥٣ ١٦٢	١٥٢ ٠٧٤
« شفيلد	٤٥ ٧٥٥	١١١ ٠٩١

وقس على ذلك سائر المدن الصناعية فان سكانها كلها زادت نحو ثلاثة اضعاف في اربعين سنة . اما المصنوعات فزادت اكثر من ذلك كثيراً كما ترى في الجدول التالي وفيهِ ما ورد الى البلاد الانكليزية من القطن والصوف لكي يغزلا وينسجا فيها وقد اكتفينا بالملايين

السنة	الوارد من القطن	الوارد من الحرير	الوارد من الصوف
١٨٠١	٥٤ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة	١ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة	٧ ٠٠٠ ٠٠٠ ليبرة
١٨٤٥	٧٢١ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٦ ٠٠٠ ٠٠٠ «	٧٧ ٠٠٠ ٠٠٠ «

فالقطن الخام زاد اكثر من ثلاثة عشر ضعفاً والحرير زاد ستة اضعاف والصوف احد عشر ضعفاً . وكذلك زاد ما استخرج من الحديد سبعة اضعاف فانهُ كان ٢٥٤ الف طن سنة ١٨٠٦ فبلغ ١٧٠٠ ٠٠٠ طن سنة ١٨٤٥

ومعلوم ان الفحم الحجري قوام الصناعة وقد بلغ المستخرج منهُ في البلاد الانكليزية سنة ١٨٤٥ اكثر من ٣١ مليون طن والمستخرج من بلجكا وفرنسا وروسيا والنمسا والولايات المتحدة الاميركية اقل من ١٨ مليون طن اي ان البلاد الانكليز كانت تستخرج نحو ثلثي الفحم الحجري المستخرج من الدنيا . وكانت تستخرج ايضاً ثلثي الحديد المستخرج من الدنيا . ومن ثم صارت انكلترا المعمل الكبير لصناعات المسكونة فنقضت ما تكهن بهِ فردرك الكبير ونبوليون الاول اللذين قدرا انها سترزح تحت اثقال ديونها الوطنية وضرائبها الفادحة وما ذلك الا لأن الحاجة تفتق الحيلة ولان الانسان كسول بالطبع ولا يجدُّ

ويجتهد الآ مضطراً فالضرائب الثقيلة تنفي الكسل من محبي الكسل والبطالة وحملتهم على الجد والاجتهاد

اذا رأى الانسان انهُ تطلب منهُ اموال كثيرة فاول شيء يعملهُ انهُ يقتصد في نفقاتهِ ويحرم نفسهُ من كثير من ملذاتها ثم يجتهد ليزيد دخلهُ بالعمل والاختراع والاستنباط. وقد نبغ المخترعون في انكلترا في ذلك العصر عصر الشدة والسعي مثل وط وبولتن وترفثك وموِدسلي ونسمث وستفنصن وهرغريفس واركريت وكارتريت وسميتون وبريستلي ودلتن وفراداي وداڤي وودجود وكثيرين امثالهم

وكان الانكليز في النصف الاخير من القرن الثامن عشر والاول من القرن التاسع عشر اعلى امم الارض همةً واقداماً فاخترعوا اهم المخترعات الصناعية الحديثة وسبقوا غيرهم الى استعمال المخترعات التي اخترعتها الامم الاخرى. ثم تغيرت الحال بعد ذلك فصار الالمان والاميركيون يتناولون المخترعات الانكليزية ويعملون بها والانكليز يهملون امرها. فاستخراج الاصباغ من قطران الفحم اكتشفهُ عالم انكليزي ولكن الالمان استعملوهُ حتى كاد استخراج هذه الاصباغ ينحصر فيهم. والانوال الآلية استنبطها رجل انكليزي ولكن هذه الانوال قليلة الآن في انكلترا وكثيرة جداً في اميركا. وزاد التراخي في امر الصناعة الانكليزية في الخمسين سنة الاخيرة والسبب الاكبر لذلك غنى البلاد واستغناء اهلها عن الكد والكدح وميلهم الى الراحة بعد التعب. والمرجح انهُ اذا زادت الضرائب على الشعب الانكليزي حتى اضطر ان يعود الى سابق اجتهادهِ فلا يحتاج ان يخترع مخترعات جديدة بل حسبهُ ان يجري في اعمالهِ على الاساليب الاميركية

والبلاد الانكليزية اصلح بلدان المعمور لتوسيع نطاق الصناعة لغزارة مناجم الفحم فيها وقربها من البحر فتستطيع ان تنقل مصنوعاتها الى سفنها باقل ما يكون من النفقة وزد على ذلك ان مستعمراتها اوسع من مستعمرات سائر الدول فتجلب منها كل ما تحتاج اليهِ الصناعة من المواد الاصلية

وقابل الكاتب بعد ذلك بين اكثر الصناعات الانكليزية والاميركية اظهاراً للفرق بينهما في مقدار الاعتماد على الآلات البخارية. ونشر جدولاً كبيراً ذكر فيهِ عدد العمال في كل صناعة وقوة ما يستعملونهُ من الآلات البخارية وقيمة ما يعملهُ الواحد منهم في السنة. وقد اخترنا منهُ المصنوعات التالية

		قيمة ما يصنعهُ العامل في السنة	قوة الآلات البخارية لكل الف عامل
الاحذية	في انكلترا	٠١٧١ جنيهاً	٠٠١٧٢ حصاناً
	في اميركا	٠٥١٦ •	٠٠٤٨٦ •
السمنت	في انكلترا	٠١٩٢ •	٠٣١٩٥ •
	في اميركا	٠٤٧٢ •	١٣٨٧٣ •
الثياب	في انكلترا	٠١٥٨ •	٠٠٠٤٥ •
	في اميركا	٠٤٨٤ •	٠٠١٦٥ •
المنسوجات القطنية	في انكلترا	٠٢٣٦ •	٠٢٢١٤ •
	في اميركا	٠٣٣٢ •	٠٣ ٢٣ •
الساعات	في انكلترا	٠١٣٧ •	٠٠١٢٥ •
	في اميركا	٠٢٩٦ •	٠٠٦٢٨ •
السكاكين ونحوها	في انكلترا	٠١٦٤ •	٠٠٤٢٠ •
	في اميركا	٠٣٢٣ •	٠٢٠٦٩ •
الاسلحة	في انكلترا	٠١٢٥ •	٠٠٥٩٥ •
	في اميركا	٠٤٦٤ •	٠١٢١٤ •
دبغ الجلود	في انكلترا	٠٦٨٦ •	٠٠٨٤٧ •
	في اميركا	١٠٥٤ •	٠٢٣٨٩ •
الاصباغ	في انكلترا	٠٨٦٣ •	٠١٣٧٥ •
	في اميركا	١٧٥٤ •	٠٤٠١٢ •
الورق	في انكلترا	٠٣٣٠ •	٠٤٢٠١ •
	في اميركا	٠٧٠٥ •	١٥٨٤٦ •

ولم يكن الامر كذلك في سالف الزمن لما كانت السيادة للانكليز في الصناعة فقد كان الصانع منهم يعمل في يومهِ اكثر مما يعملهُ الصانع في كل بلاد اخرى · ولم يقتصر ذلك على

الصناعة بل تناول الزراعة والتعدين ثم تغيرت الحال فصار الانكليز في بلادهم اكسل منهم في غيرها فقد كان المتوسط السنوي لما يستخرجهُ العامل من الفحم الحجري بين سنة ١٨٨٦ وسنة ١٨٩٠ في انكلترا ٣١٢ طنًا وفي الولايات المتحدة ٤٠٠ طن وفي استراليا ٣٣٣ طنًا وفي زيلندا الجديدة ٣٥٩ وفي كندا ٣٤١ فنقص المستخرج في انكلترا رويداً رويداً وزاد في غيرها رويداً رويداً حتى صار في انكلترا ٢٤٤ طنًا وفي اميركا ٦٦٠ طنًا وفي استراليا ٥٤٢ طنًا وفي زيلندا الجديدة ٥٠٣ اطنان وفي كندا ٤٧٢ طنًا

ولذلك زادت نفقات استخراج الفحم في انكلترا فبعد ان كانت نفقة استخراج الطن ٢٤ غرشًا سنة ١٨٨٦ صارت ٤٥ غرشًا سنة ١٩١٢ اما في اميركا واستراليا فمع زيادة اجور العمال ومع ذلك هبطت نفقات استخراج الفحم ولو قليلاً فكانت في استراليا مثلاً ٤٥ غرشًا للطن سنة ١٨٨٦ فصارت ٣٧ غرشًا سنة ١٩١٢

وكانت انكلترا سابقة المانيا في استخراج الحديد وعمل الفولاذ منذ خمسين سنة فسبقتها المانيا الآن في الاثنين كما ترى من هذا الجدول

		سنة ١٨٦٥	سنة ١٩١٠
المستخرج من الحديد	في انكلترا	٤ ٨٩٦ ٠٠٠ طنًا	١٠ ٣٨٠ ٠٠٠ طنًا
	في المانيا	٠ ٩٧٥ ٠٠٠ »	١٤ ٧١٣ ٠٠٠ »
المصنوع من الفولاذ	في انكلترا	٠ ٢٢٥ ٠٠٠ »	٠٠ ١٠٠ ٠٠٠ »
	في المانيا	٦ ١٠٧ ٠٠٠ »	١٣ ٦٩٩ ٠٠٠ »

مع ان استخراج الحديد وعمل الفولاذ اسهل في انكلترا منهُ في المانيا

وكما تأخرت الصناعة في انكلترا بسبب الغنى ورخاء المعيشة تأخرت الزراعة كما يظهر من المقابلة بين زراعتها وزراعة المانيا فان مساحة الاراضي الزراعية في انكلترا نحو ٤٧ مليون فدان وفي المانيا نحو ٧٨ مليون فدان ومع ذلك فقد بلغت غلة القمح والراي سنة ١٩١٢ في انكلترا ١ ٥٦٨ ٧٠٠ طن وفي المانيا ١٥ ٩٥٨ ٩٠٠ وغلة الشعير في انكلترا ١ ٣٢٠ ٤٠٠ طن وفي المانيا ٣ ٤٨٢ ٠٠٠ طن وغلة البطاطس في انكلترا ٥ ٧٢٦ ٣٤٢ طن وفي المانيا ٥٠ ٢٠٩ ٥٠٠ طن اي ان الارض الزراعية في انكلترا نحو ثلاثة اخماس الارض الزراعية في المانيا ومع ذلك فغلة انكلترا من القمح والراي عشر غلة المانيا ومن الشعير نحو ثلث غلة

المانيا ومن البطاطس نحو تسع غلتها . ويربي الالمان من المواشي اكثر جداً مما تقتضيهِ النسبة بين اراضي البلادين فعندهم من البقر مضاعف ما عند الانكليز ومن الخنازير اكثر من خمسة اضعاف ما عند الانكليز . والغنم اكثر في بلاد الانكليز منها في المانيا ولكن لا يعتنى بتسمينها كما يعتنى بتسمين الخنازير في المانيا

ومما يدل على اجتهاد الالمان واقتصادهم الاموال التي اودعوها بنوك الاقتصاد قبل نشوب الحرب فقد كانت هذه الاموال في انكلترا والمانيا واميركا كما ترى في هذا الجدول

السنة	في انكلترا	في المانيا	في اميركا
١٨٨٠	٠٧٧ ٧٢١ ٠٠٠ جنيه	١٣٠ ٦٩٠ ٠٠٠ جنيه	١٦٣ ٨٢١ ٠٠٠ جنيه
١٩٠٠	١٨٦ ٠٠٦ ٠٠٠ «	٤٤١ ٩٢٩ ٠٠٠ «	٤٧٧ ٩٤٤ ٠٠٠ «
١٩١٢	٢٣٥ ٩١٦ ٠٠٠ «	٩٣٣ ٩٩٠ ٠٠٠ «	٩٤٥ ٤٨١ ٠٠٠ «

فزادت هذه الاموال في انكلترا ١٦٠ مليون جنيه بين سنة ١٨٨٠ و ١٩١٢ ولكنها زادت في كل من المانيا واميركا ٨٠٠ مليون جنيه اي ستة اضعاف ما زادتهُ في انكلترا

والظاهر ان هذه الحقائق ستنهض همة الانكليز وتضطرهم نفقات الحرب الحاضرة ليعودوا الى سالف عهدهم من الاجتهاد والاقتصاد فيسترجعوا في سنوات قليلة ما انفقوهُ عليها ولو لم يأخذوا شيئاً من الغرامة الحربية

وسيكون تأثير الحرب في فرنسا وروسيا والمانيا والنمسا من حيث دفع الشعب الى الاقتصاد والاجتهاد مثل تأثيرها في الشعب الانكليزي اي ان اكثر سكان اوربا سيصيرون خيل رهان في ميدان العمل فماذا يكون حالنا حينئذٍ نحن الشرقيين في هذا المعترك هل نجاري اهل الاقتصاد والاجتهاد او نمسي طعمة لكل آكل

لما ضربت الضائقة المالية اطنابها عندنا منذ سنة من الزمان جعل الناس يقتصدون في نفقاتهم حتى كادت مخازن البضائع الاوربيَّة تقفل لقلَّة ما يباع منها . ولكن لم تنقضِ بضعة اشهر بعد ذلك حتى اخذت اموال الجيش البريطاني تنتشر في البلاد وتلتها الاموال من ثمن القطن فعاد كثيرون الى الاسراف الذي اعتادوهُ . والآن تكاد المخازن المشار اليها آنفاً تغص بالمترددين عليها وزاد دخل الجمارك سنة ١٩١٥ مع انها سنة حرب على دخلها سنة ١٩١٤ مع ان سبعة اشهر منها كانت سلماً . والمرء لا يعتبر الأ اذا مسهُ الضر

الحرب وويلاتها

رأس الاستاذ داود ستاد جوردان مؤتمر شركات الضمان الذي عُقد في المعرض الاميركي في ١١ اكتوبر الماضي وخطب فيهِ خطبة نفيسة في هذه الحرب وتأثيرها في التجارة وشركات الضمان فاقتطفنا منها بعض ما يأتي

ان مضار هذه الحرب كثيرة متعددة فانها شفَّت عن كبائر تقشعرُّ منها الابدان . ومطالب تنافي الحجى والحنان . واماني بالتوسع من اضغاث الاحلام . ومطامع بالكسب من طريق السلب والإغرام . ولو اقتصر الامر على المطامع والاماني لقلنا الظلم من شيَم النفوس والنفس امَّارة بالسوء ولكن رجال هذه الحرب لم يقفوا عند هذا الحد بل غاصوا في الزرد والحديد واستخدموا كل آلات الهلاك والدمار . واذا دارت رحى الحرب وثار غبار المعارك صُمَّت الآذان عن سماع صوت الشرائع . وعميت العيون عن رؤْية منكرات الفظائع . و بطل كل عمل يراد بهِ اصلاح شؤُون الناس

شرعت الحكومات الاوربية تستدين الاموال لاجل حروبها بعد ما صارت نيابيَّة . وقبل ذلك كان الملوك يستدينون الاموال من الاغنياء فيوفون ما يستدينونهُ او لا يوفونهُ حسب اهوائهم . وكان الذين يدينونهم الاموال يتقاضون منهم ربا فاحشاً حتى اذا ضاع لهم دَيْن ربحوا من غيرهِ ما يقوم مقامهُ . ولكن كانت اكثر الديون الوطنية مغارم يبتزها الملوك غصباً بالسجن والدهق فلما انشئت مجالس النوَّاب صارت الاموال التي تستدان لاجل الحروب والاعمال العمومية بمأمن من الضياع فنشأَت البيوت المالية التي تدين الدول كبيت روشيلد وكان من نتائج ذلك ان المانع الاكبر الذي كان يمنع الملوك من اثارة الحروب أُزيل لانهُ صار يسهل على الدول ان تستدين ما تحتاج اليهِ من الاموال لنفقات حروبها

ثم لما استعمل البخار لتسيير السفن وانشئت سكك الحديد وسُهِّلت طرق المعاملات بما وصل اليهِ العلماء من المكتشفات زادت السهولة في اقتراض الاموال ودفع فوائدها فزادت الدول دَيناً لانها رأَت الدين اسهل سبيل تلجأُ اليهِ كلما احتاجت الى الاموال لعمل عمومي . ولم يضنَّ عليها الماليون بمال لانهم رأَوا مواردها مأمونة فلا يخشى على اموالهم وفوائدها من الضياع

والحروب اكبر مهلكات الاموال ولقد كانت كذلك من سالف الزمن ولا تزال . وقلما تبطل حرب ما دام اصحابها يستطيعون الانفاق عليها سواء كانت هجوماً او دفاعاً واذا قصرت

اموالهم عن الانفاق لجأُوا الى الاستدانة من الغير ٠ ولكن للدين حدًّا لا يتجاوزهُ لان اصحاب الاموال لا يجودون بها الاَّ اذا كانوا واثقين انهم يستوفونها مع رباها

واكبر الدواعي لاقتراض الدول للاموال الحرب او الاستعداد لها ٠ ولولا الحروب ما اضطرت دولة من دول الارض الى اقتراض غرش ٠ ولو استعملت الدول الآن كل الاموال التي تجبيها من رعاياها للاعمال السلمية لا لسواها لاجتمع لديها ما يكفي لايفاء كل ما عليها من الدين وعاشت بعد ذلك مطلقة اليدين ٠ لكن دول اوربا تنفق على الحرب حتى في زمن السلم اكثر مما تنفق على غيرها

ابتدأ دين الحكومة الانكليزية وقتما ثارت الثورة في بلادها في اواخر القرن السابع عشر (سنة ١٦٩٣) وكان ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ثم تلتهُ ديون اخرى رُهنت لايفائها مكوس الجمارك والضرائب التي ضربت على العزاب والارامل والزيجات والمآتم ٠ ولما انقضت تلك الثورة كان دين الحكومة الانكليزية قد بلغ ٢٥٠٠٠٠٠ جنيه ٠ وجاءت حروب نبوليون بعد ذلك فبلغت بها ديون الحكومة الانكليزية ٨٨٦٠٠٠٠٠٠ جنيه ثم توطَّد السلم وجعلت الحكومة توفي ديونها شيئاً فشيئاً حتى هبطت الى ٦٢٨ مليوناً سنة ١٨٩٩ ثم زادت بسبب حرب البوير حتى بلغت ٧٧٠ مليوناً سنة ١٩٠٣ ونقصت رويداً رويداً بعد ذلك حتى بلغت ٦٥١ مليوناً في اوائل سنة ١٩١٤ لكن سنة واحدة من سني هذه الحرب رفعتها الى الفي مليون جنيه

ودين الحكومة الفرنسوية ابتدأ في زمن الثورة وابلغهُ الاسراف حينئذٍ الى ١٤٠ مليون جنيه لكن الجانب الاكبر منهُ أُوفي باوراق مالية وباستصفاء اموال بعض الناس فلم يبقَ منهُ سوى ٣٢ مليون جنيه ٠ ثم توسعت الحكومة الفرنسوية في نفقاتها بعدما اوفت الغرامة لالمانيا فبلغ دينها قبيل هذه الحرب ١٣٠٠ مليون جنيه ولم تمر سنة على الحرب حتى بلغ ٢٢٠٠ مليون جنيه

والامبراطورية الالمانية من الدول الحديثة في اوربا فهي اكثر اقتصاداً من سائر الدول الكبرى ٠ وقد كان دينها نحو ٢٠٠ مليون جنيه فقط سنة ١٩٠٨ وكان دين الممالك المؤلفة منها ٨٠٠ مليون جنيه حينما نشبت هذه الحرب فبلغ دين المانيا الآن ١٨٠٠ مليون جنيه

وكان على حكومة الولايات المتحدة دين طفيف قبل الحرب الاهلية فزاد بها حتى بلغ ٢٧٧٣ مليون ريال او نحو ٥٥٥ مليون جنيه ثم هبط رويداً رويداً حتى بلغ ٩١٥ مليون ريال او نحو ١٨٣ مليون جنيه فقط

الاَّ ان على المجالس البلدية في كل الممالك ديوناً غير ديون الحكومة كأن ابناء هذا العصر

لم يشاءوا ان يحملوا كل نفقات ما عملوهُ من الاعمال العمومية فابقوا بعضها ديناً على ذريتهم من بعدهم وهذا عدل لا مشاحة فيهِ

وقد كانت ديون حكومات اوربا واميركا قبل الحرب تزيد على ستة آلاف مليون جنيه اي ثلاثة اضعاف النقود الذهبية والفضية في الدنيا ويبلغ رباها السنوي نحو ٢٥٠ مليون جنيه . ولكن النفقات الحربية العادية تزيد على ربا هذه الديون . فالحروب الماضية حمّلت الناس ديوناً رباها السنوي ٢٥٠ مليون جنيه والاستعداد للحروب المقبلة يحملهم من النفقة السنوية ما يبلغ ٥٠٠ مليون جنيه ناهيك بالمعاشات التي تعطى للجنود والضباط المتقاعدين ولعيال الذين قتلوا منهم . اما ما خسرتهُ هذه الممالك من اموالها ورجالها بسبب الحروب الماضية فما يفوق كل احصاء

قلنا ان ديون الحكومات الاوربية كانت قبل الحرب اكثر من ٦٠٠٠ مليون جنيه وقد زادت في السنة الاولى من هذه الحرب اربعة آلاف مليون جنيه فصارت ديون هذه الحكومات عشرة آلاف مليون جنيه . ولكن قيمة هذه الديون الآن اي قيمة سنداتها نقصت نقصاً فاحشاً وقد بلغ النقص في سندات بعض الممالك عشرين او ثلاثين في المئة وبلغت الخسارة المادية في الرجال والاموال ما يزيد على ٨٠٠٠ مليون جنيه

وضع بعضهم رواية سماها الامبراطورية الخفيّة قال فيها ان سفير الولايات المتحدة الاميركية حاول اقناع وزير الامبراطورية الالمانية بان محاربة انكلترا لا تجدي المانيا نفعاً بقولهِ « ان الحرب الاهلية (في اميركا) كلفتنا عشرين الف مليون ريال (٤٠٠٠ مليون جنيه) عدا المعاشات التي دفعتها الحكومة بعد ذلك وعدا ما خسرتهُ البلاد من الرجال والاموال وما حلَّ بالبيوت من الخراب والاضمحلال . وهذه العشرون الفاً من ملايين الريالات اموال انفقناها على الحرب فلو لم نلجأ الى الحرب لتحرير العبيد بل اشتريناهم بالثمن وحررناهم — ولنفرض ان عددهم اربعة ملايين واننا دفعنا ثمن كل عبد منهم الف ريال — لامكننا ان نحررهم كلهم من غير حرب ونوفر من الاموال التي دفعناها في الحرب ١٦ الف مليون ريال »

وقد وقعت الحرب التي قدّرت تلك الرواية وقوعها واقل ما يقال فيها انها حرب خاسرة ولو ماليًّا . فقد قدَّر الاستاذ ريشه سنة ١٩١٢ انهُ اذا نشبت حرب اوربية عمومية كانت نفقاتها اليومية خمسين مليون ريال او عشرة ملايين من الجنيهات كما ترى في هذا الجدول

طعام الجنود	١٦٢٠٠٠٠٠	ريال
علف الخيل	٠١٠٠٠٠٠٠	«
اجور الضباط والجنود	٠٤٢٥٠٠٠٠	«
اجور العمال في دور الصنعة	٠١٠٠٠٠٠٠	«
اجرة نقل الجنود	٠٢١٠٠٠٠٠	«
« « المؤونة	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
ذخائر للمشاة	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
« للمدفعية	٠١٢٠٠٠٠٠	«
« للمدافع البحرية	٠٠٤٠٠٠٠٠	«
تجهيز الجنود	٠٤٢٠٠٠٠٠	«
نقل الجرحى	٠٠٥٠٠٠٠٠	«
نفقات السفن الحربية	٠٠٥٠٠٠٠٠	«
قلة الوارادات	٠٥٠٠٠٠٠٠	«
اسعاف الفقراء	٠٦٨٠٠٠٠٠	«
قيمة ما يخرب من المدن يوميًّا	٠٢٠٠٠٠٠٠	«
والجملة	٤٩٩٥٠٠٠٠	«

وقد نقص الاستاذ ريشه النفقات كلها ولاسيما النفقات البحرية واغضى عن النفقات الجوية . ولعلَّ النفقات كلها الآن لا تنقص عن ٧ مليون ريال في اليوم او ١٤ مليون جنيه هذا عدا ما يقتل من الرجال والخيل والبغال

يقال ان الحرب العوبة للملوك ولكنها ليست العوبة للشعوب التي تنفق فيها اموالها ودماء رجالها فقد قدَّر المستر ادغار كرامُنْد سكرتير بورصة لفربول ان نفقات هذه الحرب بلغت في اول اغسطس الماضي ٣٥٠٠ مليون جنيه واذا اضفنا اليها قيمة سائر ما اتلفتهُ الحرب الى ذلك التاريخ بلغت خسائرها ٩٢٠٠ مليون جنيه وان نفقات انكلترا وحدها بلغت تلك السنة على الحرب ٧٠٠ مليون جنيه اي مقدار ما تراكم على حكومتها من الديون في مئة سنة

وهذه التسعة آلاف مليون من الجنيهات التي اضاعتها اوربا بسبب الحرب في السنة الاولى هي اربعة اضعاف كل ما في ايدي الناس من الذهب والفضة . ولو كانت كلها ذهبًا لبلغ وزنها مئة الف طن . وهي تساوي كل ثروة المانيا وتزيد على ثروة روسيا وتعادل ثروة

ايطاليا واليابان وهولندا وبلجكا واسبانيا والبرتغال لو جمعت معاً . وتفوق كل الديون التي تراكمت على حكومات الارض قبل نشوب هذه الحرب

ولو أنفقت هذه التسعة آلاف المليون من الجنيهات في الاعمال الخيرية والصحية لكفت لكل المشروعات التي من هذا القبيل في كل البلدان المتمدنة وزالت بها عوادي الادواء واكثر اسباب البؤس والشقاء

قال احد كتّاب الروس « ان اعداءنا من الاحداث الجوية والمكروبات والحشرات تسطو علينا كل دقيقة بلا انقطاع ومع ذلك نغض الطرف عنها ويقتل بعضنا بعضاً كأننا فقدنا حواسنا ويعمل جنودنا كل سنة خمسة آلاف مليون يوم لكي نوسع تخومنا بعض التوسيع فلو بذلنا هذا الجهد في محاربة المكروبات والحشرات والحيوانات المفترسة لصحّت اجسامنا وسلمت مزروعاتنا . ولو عرف الناس اعداءهم الالداء انفوا ما بينهم من العداوات وتحالفوا عليها حتى يفنوها وحينئذٍ تصير السيادة لهم حقيقة على هذه الارض »

يزعم الالمان ان السبب الاكبر لهذه الحرب هو حسد الانكليز لهم على نجاحهم الصناعي والتجاري . وهذا الزعم باطل ووقائع الحال تناقضهُ فان شركة همبرج اميركا وهي اكبر الشركات الالمانية التجارية كان صافي ربحها في السنة لا يزيد على ثلث نفقات السفن الحربية التي انشئت لحمايتها . ولو جُمعت ارباح هذه الشركة في سبعين سنة مثل السنة الاخيرة قبل الحرب ما وفت بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . وكل ارباح التجارة الاوربية البحرية في مئة سنة لا تفي بنفقات هذه الحرب في سنة واحدة . فالحرب تقتل التجارة كما تقتل كل وسائل العمران

كانت قيمة كل السندات والاسهم الصناعية والتجارية التي في ايدي الاوربيين قبل الحرب اربعين الف مليون جنيه فانظر كم قيمتها الآن يتضح لك مقدار الخسارة المالية التي خسرتها اوربا في صناعتها وتجارتها

ولكن اصحيح ان الحسد التجاري سبّب هذه الحرب . ان اكبر الشركات البحرية التجارية في الدنيا شركتان المانيتان وهما شركة همبرج اميركا وشركة نوردتشرليد وقد بلغت هاتان الشركتان ما بلغتاهُ من النجاح بما كانتا تنقلانهِ من المتاجر الانكليزية . فهل يعقل انهما كانتا تودان الحرب التي تبطل ربحهما . ان الهر بلين مدير شركة همبرج اميركا انفق على بناء الباخرة الكبرى المسماة امبراطور ١٨٠٠٠٠٠ جنيه استدان ١٢٠٠٠٠٠ جنيه منها فهل يعقل ان لهُ يداً في هذه الحرب لكي تقف هذه الباخرة بلا عمل بعد ان سافرت

سفرات قليلة · وهل يعقل ان شركة النوردتشر لويد كانت تفكر في حرب تلقي باخرتين من اكبر بواخرها في احد المرافئ بلا عمل حتى تباعا لدفع رسوم بقائهما في المرفإ

التجارة عمل مشترك يستفيد منهُ البائع والشاري على حدٍ سوى فلا يعقل ان يكون سبب هذه الحرب حسد الالمان للانكليز لنجاحهم التجاري كما لا يعقل ان يكون سببها حسد الانكليز للالمان لنجاحهم التجاري فان ما اصاب شركات الملاحة الالمانية كاد يصيب شركات الملاحة الانكليزية

ولكن الحرب لا تشبُّ من نفسها ولا بدَّ لها من سبب او اسباب · ومن رأي الاستاذ ستار جوردان ان سبب هذه الحرب رجال يحبون الحروب دفعهم اليها اناس لا يحجمون عن عمل مهما كان شائناً بعد ما طال التحريض على الحرب والترغيب فيها

الغذاء في اللحم

اكثر الاختلاف في لحوم الحيوانات التي تذبح وتؤْكل وفي القطع المختلفة من ابدانها قائم بما فيها من الدهن فان العضل او اللحم الاحمر اكثرهُ بروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء والدهن الذي فيهِ راسب بين دقائقهِ او مجتمع في طبقات كبيرة حولهُ. ففي كل قطعة من اللحم مهما كانت دهن و بروتين ممزوج بثلاثة امثالهِ او اربعة امثالهِ من الماء · وهذا يصدق على كل انواع اللحوم كما ترى في هذا الجدول

انواع اللحم	الماء	البروتين	الدهن	المواد المعدنية
لحم البقر السمين	٥٩,٧ ·	١٧,٧٥ في المئة	٢٢,٠ في المئة	٠,٩ في المئة
· · المزيل	٦٧,٢ ·	١٩,٠ ·	١٣,٠ ·	٠,٩ ·
· العجل	٧١,٣ ·	١٩,٩ ·	٨,١ ·	١,٠ ·
· الخرفان	٥٣,٦ ·	١٦,٠ ·	٢٩,٨ ·	٠,٨ ·
· الحملان	٥٨,٢ ·	١٧,٦ ·	٢٣,١ ·	١,١ ·
· الخنزير	٣٤,٤ ·	٩,٥ ·	٥٥,٣ ·	٠,٥ ·
· الدجاج	٦٣,٧ ·	١٩,٢ ·	١٦,٣ ·	١,٠ ·
· سمك السمون	٦٤,٦ ·	٢١,٦ ·	١٢,٨ ·	١,٤ ·
· الشوط	٧٠,٦ ·	١٨,٧ ·	٩,٥ ·	١,٣ ·

ولو حلل لحم الغنم والبقر التي تذبح في هذا القطر لوجد مختلفاً عن لحم الغنم والبقر التي تذبح في اوربا عادة في نسبة الدهن الى البروتين فان الخروف الاوربي اليته صغيرة جداً او لا الية فيه فيتوزع دهنه في بدنه وهو في الغالب اسمن من الغنم التي تذبح في هذا القطر والقطر السوري والثيران التي تذبح في اوربا اسمن جداً من الثيران التي تذبح في هذا القطر واكثر السمن في الغنم والثيران يكون ناتجا من كثرة الشحم والدهن في ابدانها ومتى كثر الشحم والدهن قل الماء . ولا يشبه الغنم الاوربية في كثرة الدهن والشحم وقلة الماء الا الغنم التي تعلف في سورية فان مجموع لحمها وشحمها ودهن اليتها يوازي اسمن الخرفان الاوربية

وفائدة الشحم والدهن توليد القوة والحرارة في الذين يأكلونهما ففي الغرام من الدهن او الشحم قوة لتوليد ٩ فيوح (وحدات) من الحرارة وفي الغرام من اللحم الهبر ربع غرام من البروتين وهو يولد فيحاً واحداً من الحرارة وفي اللحم عدا الدهن والشحم والهبر مستخلصات طفيفة لا يزال امرها مطروحاً على بساط البحث

المواد المعدنية

واذا حرق اللحم طارت كل المواد الالية التي فيه غازات وبقي منه شيء من الرماد وهذا الرماد هو المواد المعدنية التي في اللحم . وهو قليل قلما يزيد وزنه على واحد في المئة من وزن اللحم كما رأيت في الجدول السابق واكثره في اللحم الاحمر وقلما يكون منه شيء في الدهن فاذا كان في قطعة من اللحم الف درهم من البروتين ففيها سبعة اعشار الدرهم من الكلس ودرهمان من اكسيد المغنيسيوم وعشرون درهماً من اكسيد البوتاسيوم واربعة دراهم من اكسيد الصوديوم و ٢٣ درهماً من اكسيد الفصفور الخامس ودرهمان من الكلور وتسعة دراهم من الكبريت ونحو سبعة دراهم من الحديد وهذه المواد المعدنية لازمة جداً في اللحم كما سيجيء

هضم اللحم

يهضم بروتين اللحم بسهولة في الغالب ويهضم منه ما يهضم من بروتين اللبن والبيض اي نحو ٩٧ الى ٩٨ في المئة . والمرجح ان المستخلصات التي في اللحم تساعد على هضمه لانها اذا نزعت قل ما يهضم منه وصار ٨٩ الى ٩١ في المئة فقط ولذلك يهضم من بروتين اللحم الجديد اكثر مما يهضم من بروتين اللحم القديم والمقدد

وهضم الدهن يتوقف على مقداره فاذا كان كثيراً قل ما يهضم منه . واذا كان قليلاً هضم اكثره وقد يهضم منه حينئذ ٩٥ في المئة

ويختلف الزمن الذي يقيمه اللحم في المعدة حسب مقداره ومضغه وطرق طبخه وما فيه

من الدهن · ولا اختلاف في ذلك بين انواع اللحم المختلفة او الاختلاف بينها قليل جداً لا يعتدُّ بهِ

وخلاصات اللحم المشار اليها آنفاً تساعد على الهضم ولكن لا قيمة لها كمواد مغذية لقلتها ولذلك يحسن ان تضاف الى اللحم الذي تكون قليلة فيهِ

ومهما اعتني بسلق اللحم لشرب مرقهِ لا يكون في المرق اكثر من ١٣ في المئة من بروتين اللحم · والغالب ان لا يكون في المرق اكثر من ٧ في المئة من البروتين · ولذلك فقولهم «من فاتهُ اللحم فليشبع من المرق» خطأ لان المرق لا يُشبع ولا يقوم مقام اللحم · واسخف من ذلك ما جرت بهِ عادة بعض المتأنقين من سلق اللحم والاكتفاء بمرقهِ وطرح اللحم للكلاب اعتقاداً ان كل قوتهِ نضحت في المرق فالذين يشربون ذلك المرق ينالون عشر اللحم والكلاب تنال التسعة الاعشار

اما خلاصات اللحم التي تباع في السوق فلا تقتصر على مرق اللحم المكثَّف بل يكون فيها ايضاً من مسحوق اللحم اي من اللحم الذي جُفّف وسحق ومن المستخلصات المشار اليها آنفاً

قلنا في الجزء الماضي ان باعة اللحم عندنا يبيعونهُ بثمن واحد سواءٌ كان من الفخذ او الكتف او الظهر او الصدر او الخاصرة · ولكن الفائدة الغذائية تختلف كثيراً باختلاف هذه القطع فاذا نظرنا الى ما في كل قطعة من البروتين وجب ان تكون القطع في اسفل الظهر فوق الكفل اغلاها وهي التي عددها ١٠ في صورة الثور المرسومة في مقتطف دسمبر الماضي ويليها لحم الاضلاع المدلول عليهِ بالرقم ٣ ثم لحم ارومة الفخذ المدلول عليها بالرقم ١٣ ثم لحم الكتف المدلول عليهِ بالرقم ٢ · ثم لحم الصدر المدلول عليهِ بالرقم ٨ ثم لحم المراق المدلول عليهِ بالرقم ١١ واخيراً لحم الساعد المدلول عليهِ بالرقم ٥ فاذا بيع الرطل من الكفل بواحد واربعين مليماً وجب ان يباع الرطل من القطع الباقية بالاسعار المذكورة في الجدول التالي

ثمن الرطل من لحم		رقم	يساوي	
الكفل		١٠	٤١	مليماً
الضلع	«	٣	٣٥	«
ارومة الفخذ	«	١٣	٢٨	«
الكتف	«	٢	٢١,٥	«
الصدر	«	٨	١٧,٥	«
الساعد	«	٥	١٧	«
المراق	«	١١	١٦	«

والقطع المجاورة لهذه تجري مجراها في القيمة . واكثر الاختلاف في القيمة ناشئ عن مقدار الدهن في كل قطعة من هذه القطع

مقام اللحم من الطعام

قلنا في الجزء الماضي ان متوسط ما يأكلهُ كل واحد من سكان الولايات المتحدة في السنة من اللحم ثمنهُ اكثر من اربعة جنيهات على رخص اللحم عندهم . وقد ظهر من احصاء ديوان الزراعة في الولايات المتحدة ان متوسط ما يأكلهُ النفس في السنة فيها وفي بعض الممالك الاوربية هو كما ترى في هذا الجدول

متوسط ما يأكلهُ النفس من اللحم في الولايات المتحدة سنويًّا	١٧٩	رطلاً
« « « « « « « بريطانيا العظمى «	١٢٢	«
« « « « « « « المانيا «	٠٩٩	«
« « « « « « « فرنسا «	٠٨٠	«
« « « « « « « الدنمارك «	٠٧٦	«
« « « « « « « البلجيك «	٠٧٠	«
« « « « « « « اسوج ونروج «	٠٦٣	«

واذا حسبنا ان متوسط ثمن الرطل في القطر المصري غرشان ونصف غرش فمتوسط ما يأكلهُ النفس هنا في السنة عشرة ارطال لا غير او نحو عشر ما يأكلهُ النفس في اوربا ومع ذلك لا نرى السكان في اوربا فلاحهم ومدنيهم اجود صحة من سكان القطر المصري . نعم ان عدد الوفيات هنا اكثر منهُ في اوربا ولكن ذلك ناتج من كثرة وفيات الاطفال بسبب كثرة المواليد وقلة الاعتناء بالاطفال

ولا يخفى ان اهل البلاد الواحدة بل والمدينة الواحدة والبيت الواحد يختلفون كثيراً في مقدار ما يأكلهُ الواحد منهم من اللحم حسب غناهم او اذواقهم . والغالب ان اهل اليسار منهم يكثرون من اكل اللحم لانهُ طيب الطعم ومستخلصاتهُ تنبه عصارات الهضم . والفقراء يقل اكلهم اللحم لغلاء ثمنهِ لا لانهم يكرهون طعمهُ . والمرجح ان اكل اللحم يقوي الجسم ويزيد النشاط ويشحذ الاذهان ولكن اذا اكثر منهُ الذين لا يعملون اعمالاً بدنية شاقة ولا يروّضون اجسامهم كثيراً زاد تولد الحامض اليوريك في ابدانهم وما ينشأ عنهُ من الامراض وتعرضوا كذلك لاكل الاطعمة الفاسدة لان الاطعمة الحيوانية اشد تعرضاً للفساد من الاطعمة

النباتية وزد على ذلك ان الاطعمة اللحمية عرضة لتوليد الحوامض في الجسم فالذين يكثرون منها يكثر تولد الحوامض الى اجسامهم

فاللحم من الاطعمة المغذية جدًّا السهلة الهضم الطيبة الطعم ولكن ذلك لا يوجب الإكثار منهُ ولا يمنع ضرر هذا الاكثار لانهُ قد يضر ضرراً كبيراً وخير الامور الوسط. ومن المرجح عندنا ان اهل اليسار في هذا القطر يأكلون من اللحم اكثر مما تقضي بهِ الحكمة والفقراء لا يأكلون القدرَ الذي يلزم لتقوية اجسامهم وعقولهم. ومتى زاد الاغنياء علماً قللوا من اكل اللحم ومتى زاد الفقراء ثراء زادوا من اكلهِ فيعتدل الفريقان وخير الامور الوسط

علم الانسان

ANTHROPOLOGY.

الانثروبولوجيا علم الانسان من حيث كونهُ حيوانًا اجتماعيًا. او هي التاريخ الطبيعي للانسان باوسع معانيهِ اذ تبحث في علاقتهِ بالعجماوات ونشوئهِ وارتقائهِ وقبائلهِ المختلفة وما اشبه ذلك. فهي بعبارة اخرى تاريخ الانسان في كل زمان ومكان وجد فيهما من حيث نشوئهِ وارتقائهِ حتى لقد سماها بعض العلماء بنت داروِن يريدون بذلك انها اساس مذهبهِ او هي مذهبهُ بعينهِ. وخلاصة هذا المذهب كما هو مشهور ان انواع الاحياء وتنوعاتها المتعددة في هذه الدنيا مرتبط بعضها ببعض وان روابطها متجانسة الى حدٍّ يسمح بوضعها تحت ناموس واحد هو ناموس النشوء

وهذا البحث يشتمل على موضوعات شتى اخصها ما يأتي:

قِدَم الانسان. وشعوبهُ. وبيئتهُ. ولغاتهُ. وفرقهُ. وشرائعهُ. واديانهُ. واخلاقهُ. والانسان من حيث كونهُ فرداً. فلنبحث في كلٍّ من هذه الموضوعات على حدتهِ

(١) قدم الانسان

التاريخ على ثلاثة اقسام. الاول ما اعتمد على الاخبار المكتوبة وهو التاريخ الحقيقي. والثاني ما اعتمد على الاساطير والتقاليد والسماع كاخبار الجاهلية عند العرب. والثالث ما اعتمد على الآثار الصماء وهو يتناول العصور التي عرفت باسم ما قبل التاريخ وعليها مدار كلامنا فنقول:

كان بعض العمّال يحفرون في حديقة حتى بلغوا عمق ٣٠ قدماً . فوجدوا ان سمك تربة الحديقة العادية ٥ اقدام فقط · وتحتها طبقة من الطحلب وجذور الاشجار البالية المتلبدة سمكها ٣ اقدام · فاستُدل من هذا على وجود اجمة في ذلك المكان قبل ابتداء العصر البرنزي · وهو العصر الذي كان فيهِ الانسان يستعمل البرنز (اي مزيج النحاس والقصدير الذي اطلق عليهِ العرب اسم القلز) سلاحاً لهُ في الدفاع عن نفسهِ وعمل مساكنهِ واقتناص الحيوانات لطعامهِ · وهذا العصر واقع بعد العصر الحجري وقبل الحديدي وتحت تلك الطبقة طبقة اخرى تكونت بالرسوب وفيها اصداف بحرية وسمكها قدمان او ثلاث · فاستُدل من ذلك على ان تلك الطبقة كانت مغمورة بماء البحر في العصور الخالية · وتحتها طبقة من بقايا الاشجار المتلبدة وفيها جذوع اشجار كبيرة و بقايا غابة لا بدَّ لها من ارض كثيرة التراب لتنمو وتزكو فيها · وسمك هذه الطبقة ٥ اقدام الى ٧ · ووجد في اللبد قطعة سلاح من الحجر المصقول وفي قعر اللبد شقفتان من الفخار احداهما منقوشة بثقوب · فاستُدل من ذلك على ان سكان تلك الغابة من اهل العصر الحجري الحديث حينما كانت الادوات الحجرية او الصوانية اتقن مما كانت من قبلُ · وتحتها طبقة من الرواسب سمكها ٤ اقدام وفيها اصداف بحرية دلالة على ان البحر كان يغمرها وتحتها طبقة سمكها بين ٦ و ٨ اقدام وهي مكونة من الطفَل او الصلصال الاصفر وقد دُفنت فيها قطع من الصخر المجروف مما يبرز الطوفانات الهائلة التي كانت تفيض في العصر الجليدي · وتحتها طبقة من الطفَل الازرق سمكها ٣ او ٤ اقدام وهي الاخيرة اذ ليس تحتها الا الصخر · والدلائل تدل انها مكونة بفعل البحر وبالتالي على ان البحر كان يغمرها في عصر اقدم

ترى مما تقدم ان معظم الطبقات المذكورة جيولوجية لا اثر للانسان فيها الا في مكان واحد حيث وجدت قطعة السلاح وشقفتا الفخار · وفي اماكن اخرى كما في ضواحي اميان الفرنسوية وجد احد العلماء المنقبين ادوات واسلحة مختلفة الاشكال في ثماني طبقات من اثنتي عشرة طبقة

والباحثون في قِدَم الانسان قبل التاريخ يعتمدون في تقدير قِدَمهِ على ثلاثة اشياء : عظام الحيوانات التي توجد مع آثارهِ . والعظام البشرية · والادوات البشرية على اختلافها كما يتضح من الحادثة الآتية :

كان احد العلماء ينقب عن آثار الاقدمين في كهف مشهور فحفر فيهِ الى عمق ٢٠ قدماً فعثر على موقد قديم اثافيهُ من الحجارة وآثار الرماد فيهِ · والى جانبهِ بقايا عرمة من

العظام المطروحة من الطعام . وكانت العظام بالية الى حدٍ لا تستطيع عندهُ عين غير الخبير ان تهتدي بها الى شيء من الاشياء او تستوضحها نبأً من الانباء . ولكنها عُرضت على خبير فاخبر بانها بقايا حيوان قديم اعظم من المموث واشدّ مراساً وهو المسمى فرس النهر ذا الصوف . وبقايا الرنّة وصنفين من الفرس احدهما الفرس البري الصغير الجسم الذي لا يزال موجوداً في صحارى منغوليا الصينية . و بقايا الثور البري والغزال

كذلك وجد في تلك العرمة ١٣ سنّاً بشرية لا تزال قوية مما دلَّ على ان صاحبها لم يزد عمرهُ على الثلاثين عند موتهِ او قتلهِ . نقول قتلهُ اذ لا يعقل ان تكون اسنانهُ واضراسهُ قد سقطت من نفسها فلا بدَّ ان يكون قد قتل وطبخ وطبخهُ لا يكون الاَّ لأكلهِ مما يحمل على الظن ان سكان ذلك الكهف كانوا من آكلة لحوم البشر . وقد عُرضت هذه الاسنان والاضراس على خبير آخر فقال ان طول جذورها يدلُّ على فكين هائلي القوَّة وبالتالي على جمجمة اكبر من جمجمة الانسان الحالي بكثير وأقرب منها الى جماجم القرود . وهي الجمجمة التي سميت جمجمة « نياندرتل » وهو اسم البلاد التي وُجدت فيها . فذهب بعض العلماء وفي مقدمتهم هكسلي الى انها اقدم جمجمة معروفة لصنف من الناس سكن اوربا في العصور الخالية . واخصّ خصائصهِ كون رأسهِ مصفحًا اي ان قطر الجمجمة من مقدم الجبين الى قفا الرأس اطول من قطرها بين الصدغين . وذهب فرخو وغيرهُ ان شكل هذه الجمجمة مرضيّ اي ناشىء عن مرض أصاب صاحبها في حياتهِ . ولكن اكتشاف جمجمتين في البلجيك مثلها فيما بعد أيَّد رأي هكسلي وهو رأي جمهور العلماء الآن

ووجد في هذه العرمة ايضاً كثير من السكاكين الصوانية وهي ذات طراز خاصّ بها . ومن رأي أحد الخبيرين انها من صنع الانسان الذي عاش في العصر الملقب « مُستيريان » نسبة الى « لمستيه » بلد في فرنسا حيث وجدت

قلنا فيما سلف ان العصور التي ما قبل التاريخ مقسومة ثلاثة اقسام : اولها واقدمها الحجري وهو ثلاثة ازمنة (١) الايوليثك اي الفجري . و (٢) البـاليولثك اي القديم . و (٣) النيولثك اي الحديث . وهي ذات فروع لا محل لذكرها هنا وثانيها النحاسي او البرنزي . وثالثها الحديدي واوائلهُ عند حدّ عصور الجاهلية العامة التي نعرف عنها ما نعرف بالتقليد والسماع كما تقدَّم القول . ومن اصعب الصعاب معرفة قِدَم العصر الاول ولو على سبيل التخمين والتقدير اي تقدير الزمان الذي وُجد فيهِ انسان الايوليثك الذي عاش في فجر العصر الحجري . ولكن العلماء يكتفون بتقديرهِ بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك

المئات . ومن رأي السر راي لنكستر في مقالة من سلسلة مقالات علمية نشرتها الدايلي تلغراف ان اول عهد الانسان بالارض كان منذ مليون سنة على الاقل . ولو شئنا الاتيان على الطريقة التي توصل بها علماء البيولوجيا والجيولوجيا والفلك الى حسابهم وتقديرهم لما وسعنا المجال وخرجنا عن غرض هذه المقالة

وقبل ترك هذا الباب لا نرى بأساً من وصف بعض الكهوف والاغوار التي كان الانسان الحجري يسكنها والتي اهتدينا بها الى الحكم على هويَّتهِ وماهية معيشتهِ . وفي مقدمتها كهف «غرغاس» قرب افنتنيان في جبال البيرنه العليا بفرنسا . وهو واقع في اكمة عالية وسط صخور وحجارة متفتتة تدلُّ على انها من بقايا العصر الجليدي الذي استولى على تلك الاصقاع في الماضي . فاذا وصل قاصد الكهف الى بابهِ ودخلهُ نزل منهُ الى شبه قاعة واسعة واطئة السقف طولها نحو ٥٠٠ قدم وظلامها يكاد يلمس باليد . وعند باب الكهف بقايا موقد وفضلات عظام واسلحة صوانية ورماد . وهي تدل على ان سكان ذلك الكهف هم من الصنف الاورنياك نسبة الى بلدة اورنياك في فرنسا وقد عاشوا في فجر الدور الثالث من ادوار العصر الباليوليثك (الحجري القديم او الثاني) . والظاهر انهُ بعد اختفائهم وانقراضهم او مغادرتهم لذلك الكهف سدَّتهُ الطبيعة وبقي مسدوداً حتى فُتح في عصرنا هذا

فاذا دخلنا الكهف لنشاهد ما فيهِ ومصابيحنا في ايدينا فاول ما نشاهده على جانبيهِ حفر صغيرة مستديرة لونها ابيض وعلى وجهها غشاء من الرواسب الكلسية حفظها هذه المدة الطويلة . وعلى ذلك الغشاء رسم كفوف كثيرة معظمها يُسريات مما يدلُّ على ان اهل تلك الكهوف كانوا يستعملون ايديهم اليمنى مثلنا فرسموا بها اكف ايديهم اليسرى على جدران الكهوف . وصبغوا ما بين الاصابع بالتراب الاسود او بالمغرة الحمراء (وهذه العادة شائعة بين اهل استراليا الاصليين حتى الآن ولا يعلم هل لهم غرض من ذلك سوى التسلية لانهم يتكتمون في الامر كل التكتم) . وكثير من الكفوف فاقد احدى الاصابع مما يدلُّ على ان سكان تلك الكهوف كانوا يبترون احدى اصابعهم لغرض ديني او غيره . وكذلك يفعل اهل استراليا الاصليون وغيرهم من القبائل الهمجية الآن

وعلى الجدران ايضاً رسوم الحيوانات التي كان ساكنو الكهوف يقنصونها لطعامهم وهي اشبه في سذاجة صنعها برسوم الصغار . فبينا ترى الواحد منهم يصور رأس الجاموس الذي صادهُ صورة جانبية تراهُ يرسم قرنيهِ كما لو كان ينظر اليهِ من الامام . ويصور قوائمهُ فاذا هي

تشبه شيئاً في مخيلته لا القوائم التي يراها بعينيه · وفي ارض الكهف حفرة عميقة فيها كثير من عظام الدببة التي اوت الى تلك الكهوف فسقطت في حفرتها

ومن تلك الكهوف كهف نيو في جبال البيرنه الصغيرة شرقي الكهف الاول · طوله نحو ميل والنصف الاول منهُ مملوء بالصخور والحجارة فاذا انتهيت منهُ انفرج الكهف امامك فرأيت بقعة فسيحة اتخذها سكان هذا الكهف قاعة لرسومهم وصورهم بعد ما اصبحوا احذق في فن الرسم من اسلافهم · فانهم صوروا الفرس بعرفهِ وذنبهِ المسدولين ووجههِ الجميل وصبغوهُ بالابيض والاسود وجعلوا طولهُ ٥ اقدام وليس فيهِ اثر للخشونة البتة بل ان هذه الصورة وغيرها من صور حيوانات الصيد الاخرى التي صورت على جدران هذا الكهف وهي تزيد على الخمسين تدل على ان سكانهُ كانوا صنع الايدي في فن الرسم والتصوير يتقنون تصوير ما يرونهُ و يلونونهُ

ثم انهم كانوا يستطيعون تصوير ما لا يرون ايضاً · فعلى الجدران نقط ورسوم واشكال هي رموز لاشياء مجهولة وربما كانت ضرباً من الكتابة بالصور المعروفة بالهيروغليف

ومن الفروق بين اهل العصر الحجري القديم واهل العصر الحديث ان الثانين صقلوا ادواتهم الحجرية على الغالب واستعملوا الفخار وربوا المواشي وزرعوا الارض دون الاولين على ما يظهر من آثارهم · اما ان كان اهل العصر القديم قد استعملوا الفخار وربوا الماشية وحرثوا الارض فهذا امر لم تؤيدهُ الاكتشافات حتى الآن · فلا عجب والحالة هذه اذا رأينا الرجل الحجري القديم يندثر ويضمحل امام الجديد ويزول ليحل الاصلح للبقاء محلهُ · على ان كيفية زوالهِ لا تزال مجهولة عندنا · فهل سار في اثر الحيوانات القطبية التي كان يعتمد عليها في طعامهِ عند ارتحالها شمالاً بشرق ؟ ام اجتاحهُ سيل غزاة العصر الحديث من الجنوب ؟ ام اندمج الفريقان الواحد بالآخر تزوجاً ؟

ومما نعلمهُ عن الرجل الحجري الحديث الذي كان يقطن غربي اوربا انهُ كان صغير الجسم مسود البشرة طويل الرأس ترك اثراً من لسانهِ في لغة الباسك الذين انتشروا في غرب اوربا وبلغوا انكلترا — وكانت قد صارت جزيرة حينئذٍ في الراجح — وتركوا من آثارهم التلال الصغيرة المستطيلة التي كانوا يقيمونها على قبورهم وهي غير التلال المستديرة التي كان اهل العصر النحاسي يقيمونها على القبور

وكما وجد الانسان في اوربا في ذلك العصر وجد في اسيا وافريقية فقد نشرنا في المجلد الثامن من المقتطف منذ احدى وثلاثين سنة خطبة للسر وليم دوصن الجيولوجي المشهور

القاها على مسمع منا في المدرسة الكلية السورية في بيروت وجاء فيها الكلام التالي

« واما في سورية فقد كشفوا آثار القدماء على عدوة نهر الكلب (قرب بيروت) فلا يخفى ان الذاهب الى نهر الكلب يرى بجانب الطريق التي فتحها الرومانيون نقوشاً وكتابات مختلفة نقشها رعمسيس ملك مصر وغيره من الذين قهروا هذه البلاد وابقوا تاريخهم منقوشاً على صفحات صخورها . والجيولوجيون يرون بالقرب منها آثار اناس عاشوا قبل اولئك الظارين وبادوا وانطفأ خبرهم . وهؤلاء كانوا يسكنون مغراً قديمة هناك قد هدمها كرور الايام فذهب بالجانب الاكبر من سقوفها . ومنها مغارة كبيرة كشفها القانون ترستَرَم فوجد فيها عظاماً وغيرها . والظاهر انها كانت قديماً بارزة اكثر مما يُرى اليوم كما يستدلُّ من وضع الرواسب الكلسية في ارضها . ويحتمل ان قسماً منها تهدَّم بعد ان فتح الرومانيون طريق نهر الكلب حيث قطعوا جانباً من رواسبها

الكلسية وجعلوهُ على حافة الطريق وقد ذ[illegible] منها الى شاطىء البحر

وقد اكتُشفتْ مغارة ثانية قرب انطلياس تهدَّم سقفها ورسبت الرواسب الكلسية في ارضها حتى تعالت فوقها اربع اقدام فاقتضى لهذه الرواسب زمان طويل حتى تراكمت وبلغت هذا السمك ولعلها لم تستغرق زماناً اطول مما بيننا وبين زمان رعمسيس لان هذه الرواسب قد تسمك كثيراً في زمانٍ غير طويل فلا تطَّرد دلالتها على قدم الزمان (فقد اثبت العلاَّمة دُوكِنس وغيرهُ ان الرواسب قد تبلغ ربع قيراط من السمك في السنة في بعض الكهوف ولا تبلغ ذلك السمك في سنين كثيرة في كهوفٍ اخرى) وخلاصة ما يقال في هذا الشان ان الناس كانوا قديماً يسكنون كهوف هذه النواحي كالحور بين سكان الكهوف الذين طردهم الكنعانيون كما ذكر موسى الكليم . وقد فحص العلماء العظام التي وجدها ترستَرَم في مغارة نهر الكلب فحكموا انها عظام حيوانات لا تعيش اليوم في هذه النواحي بل في النواحي الشمالية الباردة وذلك يدلُّ على ان هواء هذه البلاد كان حينئذٍ ابرد من هوائها اليوم وان الناس الذين عاشوا في تلك الايام هم من اهل المدة التالية للعصر الجليدي . ولما كان البر في تلك المدة اكثر ارتفاعاً مما هو اليوم فلا يبعد انهُ كان امام الشَرَف المحاذي للبحر عند نهر الكلب سهلٌ متسع يفصل بينهما ثم غمرهُ الماء عند انخفاض البر في اواخر المدة التالية للعصر الجليدي فاضحى مكانهُ بحراً

واما مغارة انطلياس فأحدث عهداً من مغارة نهر الكلب على ما يظهر وعظام الحيوانات التي قد تحجرت رواسبها عليها تدلُّ على ان حيواناتها حديثة العهد وليست كحيوانات مغارة

نهر الكلب . وقد وجدتُ فيها اسنةً وسكاكين من الصوّان وعظاماً رسبت عليها الرواسب وتحجّرت كما ترون (ثم ارانا اياها واطنب بمهارة الذين صنعوها) وفي هذه البلاد كهوف كثيرة تحتوي عظاماً وظراناً بين رواسبها ولكنها لم تُعرَف حتى الآن لقلة من يبحث عنها . وهذه الرواسب حديثة بالنسبة الى ما يوجد تحتها من آثار القدماء ولكنها لا تزال اقدم من زمان الفينيقيين . والظاهر ان الناس كانوا يسكنون الكهوف في هذه البلاد قبل ان خسفت الارض خسوفها الثاني بعد العصر الجليدي فبادوا حين خُسِفَت بهم وطغى الماء عليهم ومنهم البقايا التي في مغارة نهر الكلب . ثم سكنها اناس مختلفون عنهم شعباً بعد ارتفاع البر من تحت الماء . وهذه الكهوف نوعان كهوف حفرتها السواقي ومجاري الماء في بطون الجبال ثم انفتحت لها منافذ دونها فتركتها وتحولت الى تلك المنافذ . وكهوف نقرتها امواج البحر في الصخور ثم ارتفعت لما شخصت الارض بها بعد العصر الجليدي . والمرجح ان مغارة نهر الكلب هي من هذا النوع الثاني . وتكثر الكهوف في جبل لبنان لسهولة نقرها فان هذا الجبل مؤلَّف من صخور كلسية تكوّنت في اواخر الزمان الذي تكوّن فيهِ القسم الثالث من طبقات الارض (اواخر الدور الثاني)

واما سبب سكن الناس فيها فيتضح من النظر الى كهفٍ صغير قرب نهر الكلب امامهُ ارضٌ يسهل على الانسان ان يصل منها الى البحر وفوقهُ ارضٌ تناسب لغرس الاشجار وهو في بقعة منفردة بحيث يأمن ساكنهُ اغتيال العدو ومفاجأة الضواري ويبيت مطمئن البال طيب الخاطر فلهذه الاسباب كان الناس يأوون قديماً الى الكهوف »

الى ان قال :

« الاَّ ان الادوات الحجرية التي وجدت في اوربا مثلاً لا يقطع منها بكون صانعيها اقل تمدُّناً من الذين استعملوا الحديد بعدهم . ولا يصح ان يساووا بمتوحشي هذه الايام ولو تساوت مصنوعات الفريقين لان متوحشي هذهِ الايام منحطون في الحضارة مع سهولة ارتقائهم فيها لو اقتدوا بالمتمدّنين واما القدماء فلم يكن في زمانهم من يقتدون بهِ في الحضارة فلا غرابة ان لم يتقدّموا الاَّ رويداً . ويستدلُّ البعض من النقوش التي بقيت بعدهم انهم كانوا سليلة قوم متمدنين ثم انحطوا في التمدن حتى بلغوا حالة الخشونة التي وجدت آثارهم عليها . والله اعلم »

اكتشاف ارض جديدة

في دائرة القطب الشمالي

في اوائل سنة ١٩١٣ قام رحّالة نروجي الاصل كندي الجنسية اسمهُ ستيفنسن يجهز بعثة الى الاصقاع القطبية الشمالية بمساعدة حكومة كندا وبرعاية متحف التاريخ الطبيعي الاميركي والجمعية الجغرافية الوطنية في كندا . وكانت هذه البعثة هي الثالثة في بابها (الاولى سنة ١٩٠٦ — ١٩٠٧ والثانية سنة ١٩٠٨ — ١٩١٣) . فاعدَّ لذلك سفينة كبيرة اسمها «كرلوك» وسفينتين اصغر منها واثاثاً ومؤُونة تكفي الحملة ٣ سنوات

وفي يونيو من السنة المذكورة اقلعت السفينة بهِ وبجماعتهِ من جنوب جزيرة فكتوريا شمالي كندا في مكان على نحو الدرجة ٦٨ من العرض الشمالي (وعليهِ الرقم ٢ كما يرى في الشكل) . وكانت جماعتهُ مؤلفة من بضعة عشر رجلاً من الخبيرين بالعلوم والفنون اللازمة في الاسفار القطبية والمعتادين لمشاقّ تلك الاصقاع الباردة

واتفق ان صيف تلك السنة كان قصيراً فلم تستطع البعثة بلوغ بحر بوفور تلك السنة (انظر الخريطة) . والظاهر ان السفينة الكبرى كرلوك ابعدت عن الشاطئ كثيراً فاحاط بها الجليد وهي على بعد ١٨ ميلاً من الشاطئ . وكان ستيفنسن وخمسة من رجالهِ قد نزلوا الى البرّ يصطادون فثار نوءٌ فصل الجليد العالق بالسفينة عما حولهُ فساقتها الرياح والامواج غرباً وبقيت على تلك الحال اربعة اشهر ثم غرقت في شهر يناير من سنة ١٩١٤ بعد نقل ما فيها الى الجليد

واختار ستيفنسن سبعة من رجالهِ ليتقدموا البعثة ويعدوا الطريق امامها ويكونوا بمثابة روّاد لها . فشخصوا الى جزيرة اسمها جزيرة هرالد تبعد عن مقر البعثة ٤٠ ميلاً ولكنهم لم يلبثوا ان رأوا ماء غير جامد فعاد ثلاثة منهم يخبرون بما رأوا وبقي اربعة يحرسون ما معهم من الزاد . وفي خلال ذلك خرجت جماعة اخرى مؤلفة من طبيب البعثة وعاملين من عمالها في اثر الجماعة الاولى رغم نهي اخوانهم لهم عن ذلك . فهبت زوبعة ثلج شديدة ففقدوا هم والاربعة الذين بقوا يحرسون الزاد . اما بقية رجال البعثة فبلغوا جزيرة هرالد ثم جزيرة رنجل غربيها (انظر الخريطة) في ١٢ مارس . وفقد في اثناء ذلك اربعة رجال آخرون فبلغ عدد المفقودين كلهم ١١ رجلاً

اما ستيفنسن فعقد العزم على انفاذ خطتهِ الاولى رغم غرق سفينتهِ الكبرى . واغاثتهُ الحكومة بالزاد والمعدات وارسلتها على سفينة لم تبلغ جزيرة هرشل الأ في صيف السنة الماضية. وكان غرضهُ الاكبر اكتشاف ارض يقال انها واقعة شمالي الاسكا وسيبيريا في وسط الاوقيانوس المتجمد الشمالي . فقصدها من نقطة مارتن برفقة بعض زملائهِ . فلم يبعدوا عن الشاطئ الأ قليلاً حتى هبت عاصفة ثلج استاقتهم شرقاً . وفي ٧ ابريل عاد رجال الحملة ادراجهم ولم يبق سوى ستيفنسن واثنين من رجالهِ فهؤلاء ساروا في سبيلهم غير هيابين وكان معهم مزلجة تجرها الكلاب و ١٣٠٠ رطل من الاثاث والزاد وبندقيتان و٣٦٠ خرطوشة

وفي ٢٧ ابريل بلغوا نقطة على الدرجة ٧٣ من العرض الشمالي و ١٤٠ من الطول الغربي تبعد ٢٤٠ ميلاً عن قاعدتهم . ولما بلغوا الدرجة ٧٤ قلّ ما معهم من الزاد والوقود كثيراً فقصدوا الزاوية الشمالية الغربية من (ارض او جزيرة) بنكس ولكنهم لم يستطيعوا التقدم بسبب الزوبعة فمكثوا حيث كانوا ينتظرون ركود الزوبعة وجمعوا صيداً كثيراً في خلال ذلك . وفي ٢٦ يونيو نزلوا على بعد ٣٠ ميلاً من راس البرنس البرت غربي ارض بنكس . وهناك انتظروا سفينة تقل البعض من رجال البعثة ولما لم تصل سار هو ورفيقاهُ الى راس كليت حيث وجد سفينة اخرى تقلّ بقية البعثة

فقضى الشتاء هناك وفي فبراير سنة ١٩١٥ سافر شمالاً فبلغ راس مكانتوك في ١٥ يونيو . وبعد ذلك باربعة ايام وجد الارض الجديدة التي اكتشفها عند الدرجة ٧٨ من العرض الشمالي و ١١٧ من الطول الغربي (انظر الخريطة) . فسار حذاء ساحلها مسافة ١٠٠ ميل شرقاً واخذ ارصاداً كثيرة على بعد ٢٠ ميلاً الى الداخلية وعلى علو الفي قدم فاستدل ان طول الارض التي اكتشفها ١٥٠ ميلاً على القليل

ثم عاد هو ومن معهُ في طريق شرقي جزيرة البرنس بتريك وقطع ارض بنكس من خليج مكلور الى قاعدتهِ في راس كليت حيث ينوي استئناف اعمالهِ بعد اجتياز مسافة طولها ٧٠٠ ميل. وكانت اخبارهُ قد انقطعت بعد مغادرتهِ نقطة مارتن حتى قطع العالم الرجاء منهُ واذا بهِ قد ارسل في الخريف الماضي رسالتهُ من راس كليت فاحيا بها ميت الرجاء

ولاكتشاف الاراضي الجديدة في الاصقاع الشمالية والجنوبية فوائد علمية كثيرة في البحث عن مغنطيسيَّة الارض وجيولوجيتها ونباتها وحيوانها . وقد يكون منهُ فوائد تجارية ولاسيما في الدائرة الشمالية ولكننا نرتاب في الحصول على فوائد مادية توازي ما ينفق لاجلها من الاموال ويموت في سبيلها من الرجال

دمعة

على فقيدة عزيزة

بنتاهُ قد نوّر زهرُ الرُّبى واورق الغصنُ النديُّ الرطيبْ
وفاح نفحُ الوردِ من كمّهِ وصاح في افنانهِ العندليبْ
وألبستْ شمسُ الضحى الارضَ من حوكِ خيوطِ التبرِ بُرداً قشيبْ
والناسُ للنيروز قد بكّروا يشوقهم روضُ الجِنان الخصيبْ
وانتِ قد امسيتِ في حفرةٍ جاراكِ حولَيها غرابٌ وذيبْ
يا بئس ما جاورتِ من بعدما أُنزلتِ منّا في سوادِ القلوبْ

∴

بنتاهُ ان تستيقظي في الدُّجى وتصرخي «بابا» وما من مُجيبْ
فلا تُراعي واهجعي ريثما تأتيك بشرى مقدمي عن قريبْ
ماذا عسى يجدي لدى الموتِ ان شقّت قلوبٌ قبل شقّ الجيوبْ
فهل يردُّ الميتَ تعديدُهُ ام يجلب السلوانَ فرط النحيبْ
طبيبُكِ الباشا ولكنهُ لم يدفع المقدارَ قدرُ الطبيبْ
خانتهُ في الطبّ عقاقيرهُ وليس في العقار سرٌّ غريبْ
يا عيدُ قد عدتَ بلا بهجةٍ وهل يسرُّ العيدُ قلبَ الكئيبْ
اليك عني لستَ لي صاحباً لا يصحبُ الأعبدَ حرٌّ نجيبْ

∴

بنتاهُ كم خلفتِ من حسرةٍ ترنُّ في قلبي وكم من وجيبْ
فان صفا بعدك لي موردٌ او غاض لي دمعٌ فامرٌ عجيبْ
في حولكِ الرابع اوحشتِنا يا كوكباً قد غاب قبل المغيبْ
لقد أضمنا فيك مكنونةً كنّا ذخرناها ليوم عصيبْ
يتيمةٌ ما هذّبتها يدٌ ولا عرا جوهرَها ما يشوبْ
لستُ اناني فابكي على اللذاتِ راحت بعدها لا تؤُوبْ
وانما ابكي لحرمانها عيشاً شجاها كالمشُوقِ الطروبْ
ليت الذي اعطاك لي منةً فسرَّ قلبَ الجار قبل القريبْ

لم يعطِ كيلا يستردَّ الذي اعطى كما قد يستردُّ السليبْ
اذاً لما اورثني لوعةً ابردُها النيرانُ ذاتُ اللَّهيبْ
فالبُخلُ اجدى من جداً نادمٍ والشكُّ أجلى من يقينٍ مريبْ
والموتُ مختارٌ على عيشةٍ من بعضِ ما فيها فراقُ الحبيبْ

⁂

ليس الردى في نفسهِ نكبةً يصحُّ ان يجزعَ منها اللبيبْ
وانما نُعميهِ أعقابها فمن بِلًى في صُفرةٍ في شحوبْ
لو ان جسمَ الميتِ يبدو لنا قارُورةً تَنضحُ منها الطيوبْ
ووجهُهُ بدرٌ ومن حولهِ الـ ـهالاتُ تخفي ما بهِ من عيوبْ
لما علت في اثرهِ زفرةٌ ولا بكيناهُ بدمعٍ سكوبْ

⁂

قد كنت اخشى الموتَ من قبل أن رأيتها قد آذنت بالغروبْ
واحسب الخلدَ تمامَ المنى ومشتهى الغاوي وهمَّ الأريبْ
فاليومَ لا اشتقي من الخلد في عيني ولا اشهى لها من شعوبْ(1)
هذهِ تدنيني على هولها من راحلٍ اشعلَ رأسي مشيبْ
وذاك يقصيني على حبِّهِ عمن مقامي بعدهُ لا يطيبْ
لا كانَ خلدٌ لا أرى وجهها فيهِ واهلاً بالحِمام الرهيبْ

⁂

يا مصرُ اودعتك لي فلذةً في سبسبٍ ناءٍ وصقع جديبْ
كوني لها ما كنتهُ وليقُمْ من ودِّك الغالي عليها رقيبْ
انا الغريبُ الدارِ وارحمتا وكلُّ من دبَّ عليها غريبْ
فبيننا في حالنا نسبةٌ فسائلي عنها دفينَيْ عسيبْ(2)

---

(1) اسم للمنية (2) عسيب جبل دفن في سفحه امرؤُ القيس وامرأة قبلهُ . وفي هذا البيت والذي قبلهُ اشارة الى ابيات قالها امرؤُ القيس عند احتضاره وهي :

اجارتنا ان الخطوب تنوب وإني مقيم ما أقام عسيبُ
اجارتنا انا غريبان ههنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ
فان تصلينا فالمودة بيننا وان تهجرينا فالغريب غريبُ

يا بدر ان القبر في بقعةٍ يحجبها وَفد الصَّبا والجنوبْ
فلا تكن دونهما ممسكاً ومن شعاع الانس ان لا تغيبْ
وانت يا قبر أتسع للتي ضاقت ولم يعدُ ذاك الكثيبْ
ما أعيت الاجسادُ لحداً ولا الارواحُ هذاك الفضاء الرحيبْ

***

ويوم سوَّينا (١) عليها استوى قلبي الى عرش القضاء المهيبْ
ناجيتُ ربي قائلاً ما جنى عبدُك حتى ساورتهُ الكروبْ
فقال ثِقْ عبدي فانَّ الذي أحبهُ أختصهُ بالخطوبْ
انظر الى ايوبَ في كربهِ واصبر كايوبٍ واني المثيبْ
آمنتُ بالله وآياتهِ ما خاب ملهوف اليهِ ينيبْ
قدكان ما قد كنت اخشى فقل انَّ الى الله الكريم الأَيوبْ (٢)

نجيب شاهين

اليزيدية

وبحث في منشإِ معتقدهم

اليزيديَّة طائفة من الاكراد يسكن اكثرهم في جهات الموصل وولاية أرَوان الروسية ومنهم طوائف في نواحي دمشق وبغداد وحلب · وهم من أغرب طوائف المبتدعة بدعةً يدينون بعبادة الشيطان ويقولون بالتناسخ ولهم في كتم نحلتهم والاحتفاظ باسرارها مبالغة شديدة طوت امرهم عن الناس زمناً حتى أُتيح لبعض من خالطهم من روّاد الافرنج وغيرهم كشف القناع عن كثير من دخائلهم وان كان وقع في عباراتهم ما لا بدَّ من وقوعهِ في كل امر يحاط بالخفاء والكتمان

واوَّل مجلة عربية تصدَّت لهذا البحث فيما نعلم مجلة المقتطف في فصل نشرتهُ في مجلد ١٣ ص ٣٩٣ ملخصاً مما حققهُ عنهم الاستاذ بروسكي بعد ما ثوى فيهم وعاشرهم دهراً · ثم كتب العلاَّمة اليازجي في مجلد ١ ص ٧٠٥ من ضيائهِ فصلاً آخر لا يخرج في جوهره عمَّا في المقتطف وان باينهُ في بعض المواضع بشيءٍ من الاختلاف والزيادة والنقصان ·

---

(١) اي دفناها ومهدنا التراب على قبرها (٢) الرجوع

ونشر الاب انستاس الكرملي مقالة مسهبة عنهم في مجلد ٢ من المشرق لم يترك فيها غاية لمستقصٍ او مجالاً لقائل . ثم عثر عيسى افندي يوسف في الموصل على نسخة مخطوطة باللغة العربية من كتابيهم الجلوة ومصحف رش فنشرهما بنصهما في مجلة اللغات والآداب السامية باميركا سنة ١٩٠٩ م مع الترجمة الانكليزية . وعثر احد علماء المشرقيات في النمسا على نسخة منهما بالعربية والكردية فطبعهما بالنصين والترجمة النمسوية في فينا سنة ١٩١٣ فازداد امرهم بطبعهما جلاء ووضوحاً وأميط اللثام عمّا تضارب فيهم من الاقوال في المقالات الثلاث المتقدم ذكرها

غير ان القول في منشإ هذه النحلة واوّل مبتدع لها وما تطوّرت فيهِ بعد ذلك من الاطوار لم يزل غامضاً ملتبساً وكل ما اوردوهُ عنها في ذلك جاء مضطرباً مبتوراً لا يصدر عنهُ الباحث بغناء وهو ما قصدنا البحث فيهِ في هذه العجالة بعد ان نلخص من عقائدهم ما يتوقف عليهِ اطراد البحث ويمثّل لذهن القارىء صورة مجملة منهم

ملخص عقيدتهم

للقوم كتابان كما ذكرنا احدهما كتاب الجلوة وهو يتضمن ما خاطب بهِ الباري تعالى خلقهُ والمقصود بهم اليزيديّة وكلاماً في قدمهِ تعالى وبقائهِ وقدرتهِ ووعدهِ ووعيدهِ وذكر القول بتناسخ الارواح وفيهِ ان الكتب التي بايدي الخارجين أي اهل الاديان المعروفة ليست كما أُنزلت بل بدّلوا فيها وحرّفوا فما وافق منها سنن اليزيدية فهو المقبول وما غايرها فمن تبديلهم

والثاني مصحف رش أي الكتاب الاسود وفيهِ حديث خلق السموات والارض وما فيها من بحار وجبال واشجار وخلق الملائكة والعرش وآدم وحوَّاء وارسال الشيخ عادي بن مسافر من الشام الى لالش وما كان من نزول طاووس ملك (اي الشيطان) الى الارض واقامتهِ ملوكاً لليزيدية ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم لهم . وفيهِ ان كافة الطوائف البشرية من نسل آدم وحوَّاء واما شيث ونوح وأنوش وهم آباء اليزيدية الاوَّلون فمن نسل آدم فقط واصلهم من توأمين ذكر وأنثى ولدهما باحدى الخوارق . وان طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح مضى عليهِ الآن سبعة آلاف سنة في كل الف سنة منها ينزل له من السماء يشرّع لهم الشرائع ويسنّ السنن ومن هؤلاء الآلهة السبعة يزيد الذي ينتسبون اليهِ اما رئيسهم واوّلهم فالشيطان المعبّر عنهُ عندهم بطاووس ملك ومرتبة هؤلاء الآلهة دون مرتبة الاله الاعظم الواحد القهّار الفعّال لما يريد

وفيهِ ايضاً شرائعهم وما أحلَّ لهم وما حرَّم عليهم في الزواج وغيرهِ وشرع امر الطواف بسناجقهم في البلدان والقرى لجمع الصدقات وزيارتهم لقبر الشيخ عادي وما يفعلونهُ في عيد رأس السنة من قطف النَّوْر الاحمر وذبح الذبائح واطعام الفقراء وزيارة القبور · وفي كلا الكتابين من التلفيق والخبط والخلط ما فيهِ وتمتاز النسخة المسوية بوجود النص الكردي فيها . وتختلف عنها الاميركية ببعض زيادات وتقديم وتأخير في العبارات وفيها فوق ذلك ملحق فيهِ ما ليس في الكتابين من شرائعهم واحوالهم وكرامات اوليائهم وتفصيل مراتب امرائهم وشيوخهم وأغنية مختلّة الوزن والتركيب في مدح الشيخ عادي وأخرى مثلها تتلى في صلاتهم وصورة المحضر الذي كتبوهُ لما أرادت الدولة العثمانية تجنيدهم وقد ذكروا فيهِ السبب الديني المانع لهم من مخالطة غيرهم

يزيد الذي ينتسبون اليهِ

جاء في كتب الملل والنحل ذكرٌ لفرقة من الاباضيّة يدعون باليزيدية وهم اتباع رجل من الخوارج اسمهُ يزيد بن ابي أُنيسة وهو غير المحدّث المشهور كان بالبصرة ثم انتقل الى ارض فارس وكان من زعمهِ ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليهِ كتاباً جملة واحدة ينسخ بهِ الشريعة الاسلامية ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط · فذهب الاب انستاس والعلامة اليازجي الى أنَّ يزيدية اليوم هم من بقيّة هذه الفرقة وجنحا لهذا الرأي لاتحاد الفرقتين في النسبة ووجود كتاب مزعوم تنزيلهُ · اما نحن فلا نرى هذا الرأي ولا نجد علاقة ما بين هذه وتلك بل رأينا انَّ اتباع ابن ابي أُنيسة انقرضوا فيما انقرض من الفرق المديدة التي لا وجود لها الآن وعندنا انَّ نسبة يزيدية اليوم انما هي ليزيد بن معاوية على التحقيق كما يدّعون هم ولكن لا على ما لفّقوهُ من المزاعم بل لما سنوردهُ عليك بعد

وزعمهم هم في يزيد على ما جاء في مصحف رش انَّ معاوية اباهُ كانَ خادماً لنبيّ الاسماعيليين اي نبينا عليهِ الصلاة والسلام وحلق رأسهُ يوماً فجرحهُ واكبَّ على الدم فلحسهُ بلسانهِ لئلاً يسيل على الارض فقال لهُ النبيّ اخطأت وستكون ذرّيتك اعداء لأمتي فعاهدهُ على ان لا يتزوج ابداً ولم يكن لهُ بنون من قبل ولكنَّ الله سلّط عليهِ عقارب لدغتهُ في وجههِ وجزم الاطباء بموتهِ ان لم يتزوّج فتزوّج امرأة في الثمانين ليأمن حملها فلما اصبحت اذا اذا هي ابنة خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد احد آلهتهم السبعة

وفي (المجلد ٣) من مجلة لغة العرب التي كانت تصدر في بغداد مقالة عن الاكراد للكاتب الفاضل شكري افندي الفضلي تعرّض فيها في (ص ٣٠٩) لليزيدية بكلام مختصر ذهب فيه الى انهم من المجوس الداسنيين هجروا حاضرتهم القديمة يزد وسكنوا داسن فقيل لهم اليزديّون ثم صحّفته العامة وقالت يزيديّون · وقد علّق عليه صاحب المجلّة بانهم غير الداسنيين وان لا علاقة لهم بيزد في كلام لا يبقي للشك مجالاً

الشيخ عادي

للشيخ عادي مقام غير منكور عند اليزيدية وقبره اليوم كعبتهم التي يحجون اليها وشيخهم الاعظم سادن مقامه ولهم فيه مزاعم في مصحف رش منها ان الله تعالى ارسلهُ من ارض الشام الى لالش ومفهوم العبارة ان ذلك كان قبل خلق آدم وهو من الخلط الذي لا تخلو منهُ عباراتهم

وفيه انهم عند ارسال السناجق الى القرى لجمع الصدقات يخرجونها من عند قبره باحتفال عظيم ورقص وغناء وزمر ونقر على الدفوف والطبول ويجنون من ترابه بنادق (كرات صغيرة) تحمل مع السناجق فتفرّق في القرى للتبرّك بها· وعند عقد الزواج يأتون برغيف من دار شيخهم يتقاسمهُ العروسان فان لم يوجد اكتفيا بسفّ شيء من تراب الشيخ عادي · وفي الزوائد الملحقة بالنسخة الاميركية انّ من يموت منهم يجب ان يحضره شيخ من شيوخهم الذين في طبقة (الكوّجك) ليضع في فيه شيئاً من هذا التراب قبل دفنه وفيها ايضاً تفصيل مناسكهم عند زيارته وانها مفضّلة عندهم على حجّ البيت الحرام مع التصريح بانهُ مبتدع ملّتهم ومرشدهم الاوّل الى طريقها

وفي النسخة الاميركية ايضاً نبذة عن الشيخ عادي وردت قبل كتاب الجلوة كمقدمة لهُ نثبتها هنا دليلاً على مبلغ جهلهم بالتاريخ وخلطهم بين الازمان المتفاوتة ونموذجاً لما في كتابيهم من فساد التركيب وسوء التعبير وهي بنصها « في زمان المقتدر بالله سنة مائتين وتسعين هجرية كان منصور الحلاّج وشيخ عبد القادر الكيلاني في ذلك الوقت ظهر انسان اسمهُ الشيخ عادي من جبال الحكّارية[1] اصلهُ من اطراف حلب او من بعلبك جاءَ وسكن جبل لالش قريب مدينة الموصل نحو تسع ساعات والبعض قالوا انهُ من اهل حرّان ونسبتهُ الى مروان بن الحكم فانهُ شرف الدين ابو الفضائل عادي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان وكان وفاتهُ سنة خمسمائة وثمانية وخمسين هاجرية وقبره يزار

(١) الصواب الهكارية

الآن قرب قرية باعدرى[1] من قرى الموصل تبعد عنها احدى عشرة ساعة واليزيدية هم نسل الذين كانوا مريدين عند الشيخ عادي المذكور والبعض منهم ينسبون الى يزيد ومنهم الى حسن البصري » انتهى ٠

ولا بدَّ لنا قبل الشروع في التعريف بهذا الشيخ من تصحيح اسمهِ فانهُ ورد في كتابيهم مرسوماً بزيادة الف بعد العين كما رسمناهُ فيما تقدَّم متابعة لهم وبهِ ورد ايضاً في مقالتي المقتطف والمشرق واوردهُ العلاَّمة اليازجي في الضياء بلفظ الشيخ الهادي وعلق عليهِ في الحاشية بما نصهُ « الذي في الاصل السرياني الشيخ ادي وكذلك هو في النقل الفرنسوي ولعل لفظهُ الصحيح عدي الاَّ انَّا رأينا بولياي رواه بزيادة هاء في اوله كما اثبتناهُ فيما نقلنـاهُ عنهُ قريباً وهو الذي اعتمدناهُ في سائر المقالة توحيداً للتسمية » انتهى ٠ قلنا والذي ذهب اليهِ ظنهُ في تصحيح لفظهُ هو الصواب

وفي مقالة المشرق ذكرٌ لاسطورة رواها رجلان من اليزيدية مصرّح في آخرها بانَّ لفظة عادي محوَّل عن آدي وخلاصتها ان مزار الشيخ كان في الاصل ديراً للنساطرة بني على اسم القديس أدَّى او آدي ثم تفرَّق رهبانهُ باغواء طاوس ملك لهم ودانوا باليزيدية وظهر في ابَّان ذلك الشيخ عادي بدعوتهِ وانبأ تلاميذهُ بامر الرهبان قبل وقوعهِ واوصاهم بدفنهِ في مكان المذبح الاعظم بالبيعة بعد هدمهِ فعملوا بوصيتهِ وصاروا يحجون الى قبره كل سنة وحوَّلوا اسم آدي الى عادي ٠ قلنا القول بهذا التحويل ظاهر البطلان لما سيأتي ولعل كاتب المقالة الفاضل كان متوقفاً فيهِ او فيما ورد عن اصل المزار ايضاً فانهُ ختم العبارة بقولهِ (فتأمل)

والصواب انهُ الشيخ عَدِي بن مسافر[2] احد صوفية زمنه ومعتقديهم ترجمهُ ابن خلكان في الوفيات فقال فيهِ « الشيخ عدي بن مسافر بن اسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان كذا املى نسبهُ بعض ذوي قرابتهِ الهكاري مسكناً العبد الصالح المشهور الذي تنسب اليهِ الطائفة العدوية » انتهى ٠ وذكر ابن الوردي نسبتهُ في تاريخهِ على ما هو وارد هنا وزاد فيهِ بعد مروان الاخير « ابن الحكم بن مروان الاموي » ٠ قال ابن خلكان « سار ذكرهُ في الآفاق وتبعهُ خلق كثير وجاوز حسن اعتقادهم فيهِ الحدَّ حتى جعلوهُ قبلتهم

(١) اوردها ياقوت في معجمهِ بلفظ باعذرا بالذال المعجمة وقال عنها انها من قرى الموصل

(٢) نسبته هنا الى جدّهِ مسافر اما ابوهُ فاسمهُ صخر كما سيأتي في ترجمة الشيخ حسن

التي يصلّون اليها وذخيرتهم في الآخرة التي يعوّلون عليها . وكان قد صحب جماعة كثيرة من اعيان المشايخ والصلحاء المشاهير مثل عقيل المنبجي (١) وحمّاد الدباس وابي النجيب عبد القادر السهروردي (٢) وعبد القادر الجيلي وابي الوفاء الحلواني ثم انقطع الى جبل الهكّارية من اعمال الموصل وبنى لهُ هناك زاوية ومال اليهِ اهل تلك النواحي كلها ميلاً لم يسمع لارباب الزوايا مثلهُ . وكان مولدهُ في قرية يقال لها بيت فار من اعمال بعلبك والبيت الذي ولد فيهِ يزار الى الآن وتوفي سنة سبع وقيل خمس وخمسين وخمسمائة في بلدة بالهكّارية ودفن بزاويتهِ رحمهُ الله تعالى . وقبرهُ عندهم من المزارات المعدودة والمشاهد المقصودة وحفدتهُ الى الآن بموضعهِ يقيمون شعارهُ ويقتفون آثارهُ والناس معهم على ما كانوا عليهِ زمن الشيخ من جميل الاعتقاد وتعظيم الحرمة . وذكرهُ ابو البركات ابن المستوفي في تاريخ اربل وعدّهُ من جملة الواردين على اربل . وكان مظفر الدين صاحب اربل رحمهُ الله تعالى يقول رأيت الشيخ عدي بن مسافر وانا صغير بالموصل وهو شيخ ربعة اسمر اللون وكان يحكي عنهُ صلاحاً كثيراً وعاش الشيخ عدي تسعين سنة رحمهُ الله تعالى » انتهى بنصهِ

وترجمهُ الشيخ الشعراني في طبقاتهِ الكبرى المسماة بلواقح الانوار وفي طبقاتهِ الوسطى ايضاً فاثنى عليهِ في كلتيهما ثناء جمًّا وذكر انهُ اقام في اول امرهِ زماناً في المغارات والجبال والصحارى مجرداً سائحاً يأخذ نفسهُ بانواع المجاهدات قال وهو اوّل من قصد بالزيارات وتربية المريدين الصادقين ببلاد المشرق وقصدهُ الناس من سائر الاقطار . ثم نقل شيئاً من مأثور كلماتهِ في التصوّف وذكر لهُ كرامات وخوارق الى ان قال سكن رضي الله تعالى عنهُ جبل الهكّار واستوطن بالس الى ان مات بها سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ودفن بزاويتهِ المنسوبة اليهِ وقبرهُ بها ظاهر يزار

وذكر ابن الاثير وابو الفداء ان وفاتهُ كانت في المحرّم سنة سبع وخمسين وخمسمائة وتابعهما في ذلك ابن الوردي الأ انهُ نقل ايضاً عن كتاب بهجة الاسرار لنور الدين البلخي انها كانت سنة ثمان وخمسين وان اصلهُ من حوران . واطنب ابن الوردي فيهِ وفي وصف زهده وتقشّفهِ وكراماتهِ في كلام نقل اغلبهُ الشعراني في طبقاتهِ . وفي مختصر تاريخ الاسلام للذهبي في حوادث سنة ٥٥٧ ما نصهُ « وفيها مات شيخ العارفين عدي بن مسافر الهكّاري الزاهد وقد قارب التسعين »

---

(١) و (٢) في الاصل المغي والشهر زوري وكلاهما تحويل

وبالس التي ذكرها الشعراني" بلدة بالشام بين حلب والرقة على ما في معجم ياقوت فليست هي بلدة الشيخ عدي" التي سكنها ودفن بها بالهكّارية . والذي في طبقاتهِ الوسطى لاكش بلام فالف فكاف وكلاهما فيما ظهر لنا محرّف عن لالش وهي الواردة في النصين العربي" والكردي" من مصحف رش الأ انها وردت في بعض المواضع من النص" الكردي" بلفظ لايش بالمثناة التحتية بدل اللام وبهِ وردت في مقالة المقتطف ايضاً والمرجّح انها بلامين وهي التي ذكرها ياقوت في معجمهِ بلفظ ليلش وقال عنها قرية في الجف من اعمال شرقي" الموصل منها الشيخ عدي" بن مسافر الشافعي" شيخ الاكراد وامامهم وولده

وممن ترجم الشيخ عدي" ابن العماد الحنبلي" في شذرات الذهب في وفيات سنة ٥٥٧ فاثنى عليهِ ثناء من ترجمهُ قبلهُ وذكر تجاوز اصحابهِ الحدّ في اعتقادهم بهِ حتى زعموا انهُ اذا ذكر على الاسد وقف او على البحر سكن والى ذلك اشار الشيخ الصديق بن محمد المقري المعروف والدهُ بالمدوخ في وسيلتهِ الجامعة بقولهِ :

بجاه عدي" ذلك ابن مسافر بهِ تسكن الامواج في لجج البحر
وان قلته لليث لم يخط خطوة ولا الشبر من قاع ولا القاع من شبر

هذا ما ظفرنا بهِ من ترجمتهِ وهو عندنا اصل الطريقة اليزيدية واوّل مكوّن لهذه الطائفة على ما أدّانا اليهِ البحث

الشيخ حسن

ذكر اسمهُ في مصحف رش على انهُ ثاني الالهة السبعة ويسمّى ايضاً دردائيل وورد في الزيادات الملحقة منعوتاً بالبصري" وأن" لهُ قبّة في القباب التي حول قبر الشيخ عدي" ومن نسلهِ شيخهم الاعظم . ولا ندري اهما رجل واحد ام اثنان عندهم وقد بحثنا في كتب التراجم عن مسمّى بهذا الاسم لهُ علاقة بهم فاهتدينا الى اثنين احدهما من آل عدي" بن مسافر وكان احد خلفائهِ عليهم وفي زمنهِ دبّ الفساد والزيغ فيهم وهو غير منسوب للبصرة والثاني منسوب اليها ولكن ليس في ترجمتهِ دلالة على صلة لهُ بهم سوى الاتحاد في الاسم والنسبة والولادة بالموصل

وللاول ترجمة في فوات الوفيات لابن شاكر قال فيها عن نسبهِ « الحسن بن عدي" بن ابي البركات بن صخر بن مسافر الملقّب بتاج العارفين شمس الدين ابو محمد شيخ الاكراد وجدّه ابو البركات هو اخو الشيخ عدي" » . وقد تقدّم في نسب الشيخ عدي" انهُ عدي" بن مسافر بن اسماعيل الخ وعليهِ لا يصح ان يكون ابو البركات اخاً لهُ بل يكون ابناً لاخيهِ .

والصواب ان جميع من ترجموا الشيخ عديًّا اسقطوا اسم ابيهِ ونسبوهُ لجدّهِ مسافر لشهرتهِ فقد جاء في مادة (هكر) من شرح القاموس في الكلام على الهكارية ما نصهُ «واليها ينسب الوليّ المشهور ابو المفاخر عديّ بن صخر بن مسافر الاموي الهكاري» وبهِ يصحح ما في فوات الوفيات

ثم قال ابن شاكر «وكان شمس الدين من رجال العالم رأيًا ودهاء ولهُ فضل وادب وشعر وتصانيف في التصوّف ولهُ اتباع ومريدون يبالغون فيهِ قال الشيخ شمس الدين الذهبي وبينهُ وبين الشيخ عدي من الفرق كما بين القدم والفرق. وقد بلغ من تعظيم العدوية لهُ انهُ قدم عليهِ واعظ فوعظهُ حتى رقّ قلبهُ وبكى وغشي عليهِ فوثب الاكراد على الواعظ فذبحوهُ ثم افاق الشيخ حسن فرآهُ يتشحط في دمهِ فقال ما هذا فقالوا لهُ ايش هذا الكلب حتى يبكي سيدنا الشيخ فسكت حفظًا لدستهِ وحرمتهِ. وخاف منهُ بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فقبض عليهِ وحبسهُ ثم خنقهُ بوترٍ في قلعة الموصل خوفًا من الاكراد لانهم كانوا يشنّون الغارات على بلادهِ تخشى ان يأمرهم بادنى اشارة فيخربوا بلاد الموصل. وفي الاكراد طوائف الى الآن يعتقدون ان الشيخ لا بدّ ان يرجع وقد تجمّعت عندهم زكوات ونذور ينتظرون خروجهُ وما يعتقدون انهُ قتل. وكانت قتلتهُ سنة اربع واربعين وستمائة ولهُ من العمر ثلاث وخمسون سنة»

وترجمهُ ايضًا ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب وساق نسبهُ كما هنا اي بزيادة صخر بعد عدي الاكبر ونعتهُ بشيخ العدوية الاكراد وذكر عنهُ ما ذكرهُ ابن شاكر ثم اورد عبارة للذهبي عدّد لهُ ولجماعتهِ فيها منكرات وختمها بما معناهُ (إن كان هذا طريق الجنة فأين اذن طريق النار)

اما الثاني على فرض انهُ غيرهُ فقد جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي عن رجل يلقب بحسن البصري ما نصهُ «جعفر بن علي بن جعفر بن الرشيد الشيخ المسند المعمّر شرف الدين الموصلي المقري المعروف بالحسن البصري. مولدهُ بالموصل في سنة اربع وستمائة وكانَ شيخًا فاضلًا عارفًا حافظة للاخبار والشعر والادب ذكرهُ الحافظ علم الدين البرزالي وقال سمع من السهروردي كتاب العوارف بالموصل وسمع بدمشق من ابن الزبيدي وبمصر من ابن الجميزي وبالثغر من ابن رواج وتوفي بدمشق سنة ثمان وتسعين وستمائة رحمهُ الله. قلت وصاحب الترجمة يلتبس على من لا يعرف التاريخ بالحسن البصري التابعي المشهور المتوفى سنة عشر ومائة» انتهى. وليس فيهِ ما يدلّ على علاقة لهُ بهم

منشأ نحلتهم وتكوين طائفتهم

لا يخفى ان الغالب في كثير من الاديان والمذاهب ان يطرأ عليها التغيير والتبديل بعد ذهاب الداعين اليها إما بالابتداع فيها او بتغيير النصوص او بتأويلها على حسب ما توحيهِ الآراء وتزينهُ الاهواء. والشواهد على ذلك كثيرة تكاد لظهورها تُحس وتتقرّاها الايدي باللمس غير ان التغيير يختلف قلة وكثرة تبعاً لاميال المهيمنين على المذهب واغراضهم واستعداد نفوس متبعيهم . وهو عين ما طرأ على مذهب اليزيدية فانهم لم يكونوا في مبدإِ امرهم سوى طائفة من الصوفية لهم طريق خاص كالحال في سائر طوائف القوم غير انهم غلوا شيخهم غلوًّا تجاوز الحد اذّى الى قولهم فيهِ بما لا يوافق شرعاً ولا عقلاً ثم قام فيهم روءساء في السوء الطالبون لحطام من طريق الرئاسة فتوسعوا في مذهبهم وادخلوا فيهِ ما اقتضتهُ مصلحتهم ووافق اهواءهم وما زالوا ينقصون منهُ ويزيدون قرناً بعد قرن حتى خرجوا من الاسلام جملة

ولم يكن لهذه الطائفة وجود ولا ذكر في التاريخ قبل القرن السادس الهجري حتى اشتهر الشيخ عديّ بن مسافر بالزهد والورع وكثرة المجاهدة وتسامع بهِ الناس فقصدوهُ من الاطراف للاسترشاد ثم انتقل الى جبال هكار موطن الاكراد فتبعهُ منهم خلق كثير اتخذ منهم التلاميذ واحدث الطريقة العدوية كما مرّ بك في اخبارهِ . ولم يكن على شيء مريب في طريقتهِ والاّ لما اثنى عليهِ كل من كتب عنهُ وحسبك ان الامام ابن تيمية المشهور بشدّتهِ في الدين لم يذكرهُ الاّ بالخير في رسالة لهُ سيأتي شيء منها . وانما بدأ فيهم الزيغ بعد موتهِ في رئاسة الشيخ حسن ابن اخيهِ عليهم او قبلهُ بقليل وقد تقدم انهُ كان لا يهتمّ الاّ بحفظ ناموسهِ مع انطوائهِ على منكرات اخذها عليهِ الذهبيّ . ولما فشا فيهم الانحراف وشاع عنهم كتب لهم ابن تيمية رسالتهُ العدوية التي اشرنا اليها وهي طويلة بناها على النصح والارشاد الى طريق السنّة والحضّ على التمسك بها وتعرّض فيها لما كانوا عليهِ في زمنهِ فحذرهم من البدع والغلوّ في المشايخ كما غلوا في الشيخ عديّ ومن قولهِ في هذا الصدد « وفي زمن الشيخ حسن زادوا اشياء باطلة نظماً ونثراً وغلوا في الشيخ عديّ وفي يزيد باشياء مخالفة لما كان عليهِ الشيخ عديّ الكبير قدّس الله روحهُ فانّ طريقتهُ كانت سليمة لم يكن فيها من هذه البدع وابتلوا بروافض عادوهم وقتلوا الشيخ حسناً وجرت فتن لا يحبها الله ولا رسولهُ »

فيتضح من هذا ومما تقدمهُ أصل منشإِ هذه الطائفة وانها كانت تسمى في مبدإِ الامر

بالعدوية نسبة لشيخها اما تسميتها بعد ذلك باليزيدية فلم نقف على زمنها والظاهر انها حدثت في القرون الاخيرة وامل موالاة البحث تكشفها فينا بعد .

منشأ اعتقادهم في يزيد

تولّى يزيد بن معاوية الخلافة على كراهة من كثير من المسلمين ثم وقعت في ملكهِ كوائن كقتل الامام الحسين والعدوان على اهل المدينة ونقلت عنهُ امور من الاستهانة بالدين والاشتهار بالشراب اكثرت فيهِ القال والقيل وتسبّب عن ذلك تشعّب الآراء فيهِ فذهبت الشيعة فيهِ مذهباً معروفاً وافترق اهل السنّة فمنهم من غالى في بغضهِ واجاز لعنهُ ومنهم من اقتصد ومنهم من خالف وحسّن الظنّ وكان من هؤلاء الشيخ عديّ بن مسافر فقد ظفرنا بنسخة عتيقة من عقيدته ناقصة من آخرها رأيناهُ يقول فيها « وان يزيد بن معاوية رضي الله عنهُ امام وابن امام ولي الخلافة وجاهد في سبيل الله ونقل عنهُ العلم الشريف والحديث وانهُ بريء مما طعن فيهِ الروافض من اجل قتل الحسين رضي الله عنهُ وغير ذلك منبوذ ومهجور الطاعن فيهِ » . فمن هذا القول نشأ اعتقاد اليزيدية في يزيد فانهم تولّوهُ اولاً تبعاً لرأي شيخهم ثم جروا فيهِ على ما جروا عليهِ من الغلوّ في غيرهِ فجعلوهُ وليًّا ثم نبيًّا وما زالوا بهِ حتى اتخذوهُ الهاً من الآلهة السبعة حين تمادوا في الضلال واستغرقوا في السخافات والاوهام

وقد تعرّض لذلك ابن تيمية في الرسالة العدوية ولم يكونوا بلغوا بهِ في زمنهِ غير مرتبة النبوّة فقال « اعتقد بعضهم انهُ كان من الانبياء و يقولون من وقف في يزيد وقفهُ الله على نار جهنم و يروون عن الشيخ حسن بن عديّ انهُ كان كذا وكذا وليًّا وقفوا على النار لقولهم في يزيد » وقد اطال في هذا الموضوع و بيّن افتراق الناس فيهِ بين محبّ ومبغض وما نشأ عن تمسك كلّ فريق برأيهِ من المغالاة حتى جعلهُ بعضهم كافراً زنديقاً والبعض من ائمة الهدى وكبار الصلحاء بل الاولياء وذكر انّ منشأ الاعتقاد بصلاحهِ كراهة بعض اهل السنّة للعنهِ فظنّ قوم ممّن يستحسن أنّ ذلك بني على صلاحهِ فاعتقدوهُ . ثم بيّن لهم خطأ الفريقين ونصحهم باتباع الاولى وهو الاقتصار فيهِ على ان لا يسبّ ولا يحبّ

منشأ اعتقادهم في الشيطان

ليس في عقيدة الشيخ عديّ ما يخالف الاصول المعروفة في عقائد اهل السنّة والجماعة وقد تصفّحناها فلم نشتمّ منها رائحة رأي في الشيطان يخرّج اعتقاد اليزيدية عليهِ بل رأيناهُ فيها بالعكس يكثر من لعنهِ وينحى على من يزعم انّ الخير من الله والشرّ من ابليس وعلى من تغالوا فقالوا ارادة ابليس فوق ارادتهِ تعالى . فترى من هذا انّ مذهبهم في الشيطان غير

مبنيّ على قول اشياخهم كما بُني مذهبهم في يزيد بل هم فوق ذلك مخالفون له ومضادّون لرأيهِ فيهِ ولم يشر ابن تيمية في الرسالة العدوية الى شيء من ذلك فالظاهر انهم جنحوا لهذا الرأي بعد زمنهِ ولعلهُ نشأ من احد من تولّى زعامتهم من المشايخ واليك ما ظهر لنا في ذلك

قد تقدّم ان اليزيدية لم يكونوا الاَّ طائفة من الصوفية ثم صاروا من غلاتهم وما زالوا يتمادون في الغيّ حتى باينوا جميع الفرق الاسلامية وخرجوا من الاسلام جملة . ولا يخفى أنّ لغلاة الصوفية من الآراء الشاذَّة والكلمات الموهمة ما لا يحتمل ظاهرهُ ينطقون بها في احوال تعرض لهم يسمّونها بالغلوّ او الشطح او غير ذلك ويحملها بعضهم على خلاف ظاهرها بضروب من التأويل ليس من موضوعنا التكلّم فيها . وقد اشار ابو حفص عمر بن محمد السهروردي في عوارف المعارف عند كلامهِ على الخلوة الى ما يقع لبعض الصوفية من الزيغ وذكر انّ ما يفتح بهِ على من ليس تحت سياسة الشرع يصير سبباً لمزيد بعدهِ وغرورهِ وحماقتهِ وانهُ لا يزال حتى يخلع ربقة الاسلام عن عنقهِ وينكر الحدود والاحكام الى آخر ما قال

ومن تلك الآراء ما ذهب اليهِ بعضهم من التعصُّب لابليس وتبرير عملهِ في عدم السجودِ لآدم بل نسب هذا القول لبعض كبارهم ومنهُ ما رواهُ ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة حيث قال

« وكان ابو الفتح احمد بن محمد الغزاليّ الواعظ اخو ابي حامد محمد بن محمد الغزاليّ الفقيه الشافعي قاصّاً لطيفاً وواعظاً مفوّهاً وهو من خراسان من مدينة طوس قدم بغداد ووعظ بها وسلك في وعظهِ مسلكاً منكراً لانهُ كان يتعصب لابليس ويقول انهُ سيد الموحدين . وقال يوماً على المنبر من لم يتعلّم التوحيد من ابليس فهو زنديق أُمر ان يسجد لغير سيدهِ فابى

ولست بضارع الاَّ اليكم واما غيركم حاشا وكلاَّ

وقال مرة اخرى لما قال لهُ موسى ارني فقال لن فقال هذا شغلك تصطفي آدم ثم تسوّد وجههُ وتخرجهُ من الجنة وتدعوني الى الطور ثم تشمت بي الاعداء هذا عملك بالاحباب فكيف تصنع بالاعداء . وقال مرة اخرى وقد ذكر ابليس على المنبر لم يدرِ ذلك المسكين ان اظافر القضاء اذا حكّت أدمت وان قسيّ القدر اذا رمت اصمت ثم قال لسان حال آدم ينشد في قصتهِ وقصة ابليس

وكنت وليلى في صعود من الهوى فلما توافينا ثبتّ وزلّتِ

وقال مرة اخرى التقى موسى وابليس عند عقبة الطور فقال موسى يا ابليس لمَ لم تسجد

لآدم عليهِ السلام فقال كلاَّ ما كنت اسجد لبشر كيف أُوحّدهُ ثم التفت الى غيره ولكنك انت يا موسى سألت رؤيتهُ ثم نظرت الى الجبل فانا اصدق منك في التوحيد . وكان هذا النمط في كلامهِ ينفق على اهل بغداد وصار لهُ بينهم صيت مشهور واسم كبير » . الى ان قال « وهذا نوع تعرفهُ الصوفية بالغلو والشطح ويروى عن ابي يزيد البسطامي منهُ كثير » انتهى .

بل قد شطَّ بعض المتكلمين كالنظام فزعموا انهُ تعالى لا يقدر على شيء من الشرّ وان ابليس يقدر على الخير والشر ذكر ذلك ابن الجوزيّ في كتابهِ تلبيس ابليس . فمن مثل هذه المقالات نشأ الاعتقاد في الشيطان عند اليزيدية والراجح ان احد شيوخهم اولع بهِ فشاع بينهم ثم زادوا فيهِ ما زادوهُ

اما تسميتهم لهُ بطاووس ملك وقولهم في مصحف رش « اول يوم خلق الله فيهِ هو يوم الاحد وخلق فيهِ ملكاً اسمهُ عزازئيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع » فلهُ اصل ايضاً وهو ما جاء في بعض الآثار عن كعب الاحبار وغيره ويكثر ورودهُ في قصص الانبياء وبعض التفاسير من ان ابليس كان يسمى في السماء السابعة بعزازئيل وانهُ كان مجتهداً في العبادة حتى لم يترك من السماوات والارضين موضع شبر الأ سجد فيهِ فسمي لذلك طاووس الملائكة وانهُ كان سيّد الكروبين والروحانيين ورئيس خزَنة الجنة

النتيجة

فيتبين مماَّ تقدم أنَّ تكوين هذه الطائفة كان على يد الشيخ عديّ بن مسافر في القرن السادس الهجريّ وانها سُمّيت بالعدوية نسبة اليهِ ثم تسمّت بعد ذلك باليزيدية وأنَّ منشأ الاعتقاد في يزيد بن معاوية منهُ فلا صلة لهم بيزيد ابن ابي أُنيسة ولا بنحلتهِ كما توهمهُ بعض الباحثين . وانَّ طريقتهم تطوَّرت بعد ذلك في اطوار فبدأ فيها الانحراف في زمن الشيخ حسن بن عديّ ثم توالى عليها النقص والزيادة والتغيير والتبديل قرناً بعد قرن حتى وصلت الى ما هي عليهِ الآن . ولعلَّ فيما قدَّمناهُ من الشواهد العديدة والادلَّة البيّنة ما يزيل الشكَّ ويوضح الغموض الذي تكنّف هذه النحلة الغريبة وترك الناس في عمياء من امرهم حقباً طويلة والله اعلم

احمد تيمور

الدكتور باستيان

كثرت وفيات العلماء رجال القلم في اواخر العام الماضي كأنهم ارادوا ان يجاروا اخوانهم رجال السيف . ومن اكابر العلماء الذين نعتهم المجلات العلمية الدكتور باستيان رصيف باستور وداروين وهكسلي وتندل كما يعلم قرَّاء المقتطف من البحث في التولُّد الذاتي . توفي في السابع عشر من شهر نوفمبر الماضي فخُتمت بوفاتهِ سلسلة العلماء الطبيعيين الذين كان لهم الشأن الاكبر في الربع الاخير من القرن التاسع عشر وهو العصر الذي نشأ فيهِ المقتطف وترعرع

ولد سنة ١٨٣٧ ودرس الطب في جامعة لندن ونال الدبلوما الطبيَّة سنة ١٨٦٦ واختير لتدريس الباثولوجيا فيها ثم جُعل استاذاً في التشريح الباثولوجي سنة ١٨٦٧ فاستاذاً لعلم الطب وعملهِ سنة ١٨٨٧ . وكان ثقة في الامراض العصبيَّة لكثرة ما تعمَّق في درس وظائف الدماغ والاعصاب ولهُ كتاب «الدماغ آلة العقل» وهو كتاب نفيس ممتع يقع في اكثر من ٧٠٠ صفحة طبع ١٨٨٠ وكتاب الفالج وكتاب الافازيا اي فقد النطق . ولكن اكثر شهرتهِ متعلق بمباحثهِ وتجاربهِ في التولُّد الذاتي فانهُ كان من القائلين بهِ ولهُ رسائل ومقالات كثيرة في هذا الموضوع . وآخر ما نشرناهُ عن تجاربهِ في التولُّد الذاتي مقالة في مقتطف مارس سنة ١٩١٤ وخلاصة ما قالهُ في ذلك انهُ ولَّد بالامتحان بعض الاحياء البسيطة بعوامل طبيعيَّة وكيماوية كما تولَّدت المواد الحيَّة في غابر الزمن من مواد غير حيَّة . وان نشوء الحي من غير الحي لا يزال يتكرَّر على وجه الارض حتى الآن . ولا يُعلَم كيف يتم هذا التولُّد ولكنهُ يبدأ بتجمُّع دقائق المادة لتكوين ذرات اكبر منها ثم تكبر هذه الذرات حتى تصير ترى بالمكرسكوب القوي وتتخذ اشكالاً تشبه بعض انواع الاحياء البسيطة على طريقة تقرُب من تكوُّن البلورات . ويجب ان نثق باطراد النواميس الطبيعيَّة اي يجب ان نثق ان ما حدث في الماضي يحدث ايضاً في الحاضر والمستقبل فاذا كانت المادة الحيَّة نشأت من المادة غير الحيَّة في العصر الماضي بفعل الفواعل الطبيعية فهذا دليل على انها تنشأ اليوم ايضاً بفعل الفواعل الطبيعيَّة

الآ ان همَّة العلماء غير منصرفة الآن الى اعادة تجارب باستيان فهم لا ينكرون ان الاحياء تولَّدت في عصر من العصور على وجه هذه البسيطة من مواد غير حيَّة ولا ينكرون ان تولدها ممكن الآن اذا توفَّرت اسبابهُ ولكنهم يستبعدون الوصول الى هذه الاسباب واستخدامها . وقد كتب اثنان من باريس الى مجلة الصناعة الانكليزية حديثاً يقولان انهما جربا بعض التجارب حسب ارشاد باستيان فتولَّد بها بعض الاحياء

والدكتور باستيان من القائلين ايضاً بتولُّد الانواع بعضها من بعض فجأَةً ولهُ كتاب في ذلك وبقي الى قبيل وفاتهِ يبحث ويجرب قاصداً تأْييد مذهبهِ في التولُّد الذاتي واقناع العلماء بهِ وكان رضي الاخلاق يكرمهُ اخوانهُ العلماء الذين يخالفونهُ في رأْيهِ كالذين يؤيدونهُ فيهِ لكبر همتهِ ولين عريكتهِ وسعة معارفهِ

الاستاذ رفائيل ملدولا

وقد خسر العلماء ايضاً خسارة فادحة بوفاة الاستاذ ملدولا العالم الطبيعي الكيماوي المشهور . توفي في السادس عشر من نوفمبر الماضي وهو من بيت يهودي من يهود اسبانيا والبرتغال الذين هاجروا الى انكلترا و يتصل نسبهُ باشعيا ملدولا الطليطلي المتوفَّى ١٣٤٠ اي منذ نحو ستمائة سنة وقد نشأَ من هذه الاسرة كثيرون من العلماء والوجهاء وسميت باسم ملدولا نسبة الى مكان بهذا الاسم نزلهُ فرع منها في ايطاليا قرب رافنَّا

درس في مدرسة الكيمياء الملكية واشتغل مع الدكتور ستنهوس في البحث الكيماوي ثم درَّس في مدرسة العلوم الملكية لما كان الاستاذ فرنكلند رئيساً لها لكنهُ لم يقتصر على المباحث الكيماوية بل اولع ايضاً بالمباحث الطبيعية وساعد السر نورمن لُكيَر في البحث الفلكي بالسبكتروسكوب ورأس البعثة التي ارسلت لرصد كسوف الشمس في جزائر نيكوبار بخليج بنغال سنة ١٨٧٥ . ولكن اكثر اشتغالهِ كان في الكيمياء ولاسيما عمل الاصباغ وقد اكتشف اصباغاً كثيرة اشهرها الصبغ الازرق المعروف باسمهِ عند الالمان

وسنة ١٨٨٥ جعل استاذاً للكيمياء في كلية فنسبري الصناعيَّة فتخرج عليهِ كثيرون من الذين اشتهروا بالكيمياء علماً وعملاً وكان تلامذتهُ يكاتبونهُ دائماً و يستشيرونهُ في علومهم ومباحثهم فلا يبخل عليهم بفائدة حتى كان الجانب الاكبر من وقتهِ يقضى في مكاتبتهم

ورأس الجمعية الكيماوية وجمعية الصباغين وصانعي الاصباغ وجمعية الصناعة الكيماوية والمعهد الكيماوي وكان يخطب في هذه الجمعيات مبيناً اهميَّة المكتشفات العلمية في تقدُّم البلاد وحل المشاكل التي تعترض سكانها . وكثيراً لام الانكليز لانهم اغفلوا صناعة اصباغ الانيلين بعد ان اكتشفوها حتى استأْثر الالمان بها وانذرهم بسوء العاقبة من جراء ذلك فايَّدت هذه الحرب انذارهُ

واقترح عليهِ دارون ان يترجم كتاب وسمن في مذهب النشوء فترجمهُ من الالمانية الى الانكليزية وارسل اليهِ ايضاً رسائل فرنز ملر من برازيل عن الحشرات وتقليدها فترجمها ايضاً وبذلك شاع مذهب وسمن في النشوء ومذهب ملر في التقليد وكان صديقاً لدارون وولس

قوات الدول المتحاربة

انشأ المستر سيموندس الكاتب الاميركي والناقد الحربي المعروف مقالة عن الجيوش التي عبأتها الدول المتحاربة في اول الحرب وما منيت به من الخسارة والموارد التي تستمد منها هذه الدول ما يقع في صفوف جيوشها من النقص وما يستنتج من ذلك كله في تعيين الزمن الذي تنتهي فيه الحرب . قال :

كان للحلفاء في الاشهر الاولى من الحرب ٤ ½ مليون جندي في ساحات القتال وهم مليونان من الفرنسويين ومثلهم من الروس وربع مليون من السربيين و ١٥٠ الفاً من الانكليز و ١٠٠ الف من البلجيكيين

وكان الدولتين الجرمانيتين مقابلهم ٤ ½ مليون جندي ايضاً وهم ٣ ملايين من الالمان و ١ ½ مليون من النمسويين

وقد زادت جيوش الحلفاء في السنة الاولى من الحرب بدخول ايطاليا فيها ولكن الدولتين الجرمانيتين لم تزد جيوشها المحاربة زيادة تذكر وكذلك دول الحلفاء عدا ايطاليا

والاعداد المذكورة آنفاً تمثل بوجه التقريب القوات التي تستطيع الدول المحاربة ان تبقيها في ميادين القتال على الدوام

وقد بلغ مجموع ما ارسلتهُ دول الحلفاء من المدد الى ميادين القتال لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشها والزيادة التي زادتها بريطانيا العظمى على جيشها نحو ٥ ½ مليون جندي وانزلت ايطاليا الى ساحة الحرب ٨٥٠ الف جندي ومجموع ذلك ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي

وبلغت خسارة الحلفاء في السنة الاولى من الحرب ٦ ملايين و ٧٠٠ الف جندي منهم ٥ ملايين و ٦٠٠ الف خسارة دائمة او جنود لم يعودوا يصلحون للقتال لو وقعوا في الاسر ومليون و ١٠٠ الف خسارة وقتية او جنود اصيبوا بجروح وامراض خفيفة شفوا منها وعادوا الى استئناف القتال

اما خسارة الالمان والنمسويين فبلغت في السنة عينها ٦ ملايين و ٣٥٠ الف جندي منهم ٥ ملايين خسروهم خسارة دائمة ومليون و ٣٥٠ الفاً خسارة وقتية . وقد اقتصرت المانيا والنمسا على ارسال ما يكفي من الجنود لسد النقص الذي وقع في صفوف جيوشها او ٥ ملايين جندي فقط

ويبلغ ما عند الحلفاء الآن من القوات في ميادين الحرب $\frac{1}{4}$ ٥ مليون جندي يقابلهم $\frac{1}{2}$ ٤ مليون جندي عند الدولتين الجرمانيتين

وفي التالي بيان الخسارة كل دولة من الدول المتحاربة على حدة وهو

روسيا	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
فرنسا	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠٤٠٠ ٠٠٠
ايطاليا	٠١٠٠ ٠٠٠
البلجيك	٠١٠٠ ٠٠٠
سربيا	٠١٠٠ ٠٠٠
المانيا	٣ ٣٥٠ ٠٠٠
النمسا	٣ ٠٥٠ ٠٠٠

فاذا اردنا ان نعرف الخسارة الدائمة لكل دولة من هذه الدول نقصنا من خسارتها الخمس على الاقل او الربع على الاكثر وهما يمثلان الخسارة الوقتية فيكون الباقي الخسارة الدائمة . اما روسيا فقد عظمت خسارتها بكثرة ما وقع من جنودها في الاسر و يقدر عدد الاسرى الروسيين في المانيا والنمسا بنحو مليونين اما الاسرى النمسويون الذين في روسيا فيبلغون مليونًا

قال الكاتب : واني اقدر ما للحلفاء من الجيوش الآن (في اكتوبر) في ساحات الحرب في اوربا بما يأتي

روسيا	١ ٥٠٠ ٠٠٠
فرنسا	٢ ٠٠٠ ٠٠٠
بريطانيا العظمى	٠ ٧٥٠ ٠٠٠
ايطاليا	٠ ٧٥٠ ٠٠٠
سربيا	٠ ١٥٠ ٠٠٠
البلجيك	٠ ١٠٠ ٠٠٠

اما جيوش الدولتين الجرمانيتين فلم تزد على $\frac{1}{2}$ ٤ مليون جندي كما تقدم

واقدر ان للالمان في الميدان الغربي $\frac{1}{2}$ ١ مليون من الجنود مقابل مليونين من الجنود الفرنسويين و ٧٥٠ الفًا من الجنود الانكليز . و ١٠٠ الف من الجنود البلجيكيين . وان

في الميدان الشرقي ½ ١ مليون من الجنود الروسيين واقفين في وجه ½ ١ مليون من الجنود الالمان ومليون من الجنود النمسويين . وان للنمسويين نصف مليون جندي في الجنوب يناوئون ٧٥٠ الف جندي من الايطاليين و ١٥٠ الفاً من الصربيين

ولم اذكر في هذا الحساب القوات العثمانية وذلك لان الحسابات البريطانية والفرنسوية نفسها تغفل ذكر جنود المستعمرات والجنود الوطنية . نعم ان بعض هذه الجنود يحارب الآن في فرنسا وولاية فلندر ولكن هناك ما يقابلها من الجنود النظامية الانكليزية والفرنسوية تحارب في الدردنيل ويغلب على ظني ان للانكليز والفرنسويين في شبه جزيرة غليبولي جيشاً مؤلفاً من ٣٥٠ الف جندي يقابلهُ جيش عثماني مؤلف من ١٥٠ الفاً . اما خسارة الحلفاء في هذا الميدان فتزيد على مئة الف جندي وكذلك خسارة العثمانيين فانها مثل ذلك او اكثر واذا قومنا ما عند فرنسا وبريطانيا العظمى من جنود المستعمرات والجنود الوطنية بما عند تركيا من القوات تخلصنا من ادخال الفريقين في حسابنا هذا

***

اتضح لنا من البحث المتقدم معدل الخسارة التقريبية التي خسرها كل من الفريقين المتحاربين في السنة الاولى وقد بقي علينا ان نقدر ما عند كل دولة من الدول المتحاربة من موارد الرجال حتى نتوصل من ذلك الى معرفة الزمن الذي تنضب فيهِ هذه الموارد اذا بقي معدل الخسارة جارياً على الوتيرة التي جرى عليها في السنة الاولى

اجمع الخبيرون على ان نسبة الرجال الذين يصلحون للخدمة العسكرية والقتال لا يزيدون على جزء من عشرة اجزاء من مجموع اية امة كانت وهذه النسبة اكبر مما استطاعت الولايات الشمالية في اميركا ان تجندهُ في الحرب الاهلية واقرب الى ما استطاعتهُ الولايات الجنوبية من هذا القبيل لانها ساقت آخر ما يصلح عندها من الرجال الى ساحات القتال

واذا جرينا على هذا القياس او النسبة في تقدير ما تستطيع كل دولة من الدول المحاربة تجنيدهُ من رجالها رأينا انهُ كان في وسع المانيا ان تسوق الى الحرب ستة ملايين و ٧٠٠ من المقاتلة والنمسا خمسة ملايين وفرنسا اربعة ملايين

اما الحالة في روسيا فمختلفة عنها في سائر البلدان لاننا اذا قدرنا ما في روسيا من الرجال الصالحين للخدمة العسكرية بنسبة واحد الى عشرة بلغ مجموعهم سبعة عشر مليوناً ومثل هذا العدد الكثير يستحيل تسليحهُ واعدادهُ للحرب دفعة واحدة ولكنهُ مورد غزير تستمد منهُ روسيا من الاحتياطي بمقدار ما تستطيع تسليحهُ كل عام وقد استمدت منهُ في السنة الماضية ثلاثة

ملايين جندي وستظل تستمد منهُ مثل هذا العدد كل عام ما دامت الحرب شديدة والقتال دائراً

اما بريطانيا العظمى فالخدمة العسكرية فيها ليست اجبارية كما هي الحال في سائر البلدان الاوربية ولم يكن عندها قبل الحرب جيش كبير دائم ولا احتياطي وطني مدرب ومع ذلك فقد تمكنت من تأليف جيش من ثلاثة ملايين جندي في سنة واحدة ولكن ليس في وسعها ان تؤلف جيشاً عظيماً جديداً مثل هذا في كل سنة واذا طبقنا عليها القياس الذي قسنا بهِ ما تستطيع كل دولة تجنيده رأينا انهُ لم يبقَ في بريطانيا العظمى سوى مليون ونصف مليون من الصالحين للخدمة العسكرية ولا يظن ان في الامكان تجنيد هؤلاء كلهم الاَّ بجعل الخدمة اجبارية

وقد سبقنا فبينا ما لكل دولة من الدول المتحاربة من القوات في ساحات القتال ولكن وراء هذه القوات احتياطياً كبيراً جداً عند الحلفاء وهو مؤلف من ½ ٢ مليون عند بريطانيا العظمى و ٩٠٠ الف عند فرنسا (٤٠٠ الف باقية من المقترعين السابقين و ٥٠٠ الف من مقترعي ١٩١٧) اما ايطاليا فلم تدع من جنودها سوى ٨٥٠ الفاً ولما كانت ايطاليا تستطيع تجنيد ½ ٣ مليون جندي بحسب النسبة العشرية فيكون الباقي عندها مليونين و ٦٥٠ الف جندي لم يدعوا حتى الآن الى حمل السلاح ولكن لا يظن ان ايطاليا تستطيع تسليح هذا الجيش الكبير اذا جمعتهُ والانفاق عليهِ والمرجح ان لا يزيد الاحتياطي الذي تنزلهُ في سنة ١٩١٦ الى ساحات القتال على نصف مليون جندي . فيتضح من ذلك ان الحلفاء يمكنهم الاعتماد في العام القادم على احتياطي مؤلف من ٧ ملايين جندي ولما كان معدل خسارتهم ½ ٥ مليون في السنة قياساً على معدلها في السنة الماضية وكان عندهم الآن في ميادين القتال مثل هذا العدد تماماً ظل صافي ما يبقى لهم من الجنود في آخر السنة القادمة ٧ ملايين

واذا جرينا على هذه القاعدة تماماً في حساب ما يبقى للالمان والنمسويين من الجنود في آخر السنة القادمة رأينا ان المانيا والنمسا كانتا تستطيعان تجنيد ١٢ مليوناً بحسب النسبة العشرية في شهر اغسطس في السنة الماضية . وان لهما الآن في ساحات القتال ½ ٤ مليون جندي وان خسارتهما بلغت في العام الماضي ٥ ملايين جندي كما بينا ذلك آنفاً وجملة ذلك ½ ٩ مليون جندي اذا طرحناها من ١٢ مليوناً وهو كل ما تستطيع هاتان الدولتان تجنيدهُ بقي ½ ٢ مليون جندي وهو الاحتياطي الذي تستطيع المانيا والنمسا الاعتماد عليهِ في العام القادم . يضاف اليهِ المقترعون في سنة ١٩١٧ وعددهم مليون و ٢٠٠ الف مجند فيكون مجموع

الاحتياطي الالماني والنمسوي في السنة القادمة ٣ ملايين و٧٠٠ الف جندي . فاذا اضفنا ذلك الى ما في ساحات القتال من الجنود الالمانية والنمسوية الآن وقدره ٤ ½ مليون جندي بلغ المجموع كله ٨ ملايين و ٢٠٠ الف جندي يطرح منهُ الخسارة في العام القادم بمعدل ٥ ملايين جندي فيبقى ٣ ملايين و ٢٠٠ الف جندي في آخر سنة ١٩١٧ عند المانيا والنمسا مقابل ٧ ملايين جندي عند الحلفاء عدا روسيا

فاذا فرضنا ان الالمان والنمسويين يستطيعون الاحتفاظ بخطوطهم الحالية الى اول اغسطس القادم فماذا تكون حالة كل دولة من الدول المحاربة حينئذٍ من جهة الجنود الجدد اللازمين للحرب . ان عدد المقترعين السنوي في فرنسا يبلغ ٤٠٠ الف وفي بريطانيا العظمى مثل هذا العدد ايضاً وفي ايطاليا ٣٥٠ الفاً مع ما تنزله من جيشها الكبير الذي لم ينزل الى ساحات القتال وقدره مليونان و ٦٥٠ الف جندي يقابل ذلك مليون و ٢٠٠ الف مقترع عند المانيا والنمسا

ولكننا لم ندخل في حسابنا المتقدم روسيا وفي وسعها ان تنزل ٣ ملايين جندي الى ساحات القتال في كل عام على اعوام عديدة وهنا سر تفوق الحلفاء بل سر حرب التفاني التي وضعها الحلفاء نصب عيونهم من اول الحرب

فواضح مما تقدم من الارقام ان المانيا والنمسا لا تستطيعان ان تبقيا جيوشهما في ساحات القتال على قوتها الحالية او ٤ ½ مليون جندي بعد الربيع القادم بل ان هذه الجيوش ستنقص في اول شهر اغسطس القادم الى ٣ ملايين و ٢٠٠ الف وتكون مضطرة حينئذٍ الى مناوأة ٧ ملايين جندي من الفرنسويين والانكليز والايطاليين عدا الملايين الثلاثة التي ستنزلها روسيا الى ساحات القتال حينئذٍ وما تنزله ايطاليا من جيشها العظيم الذي لم تدع رجاله الى حمل السلاح

اما موارد الجنود في المانيا والنمسا فتقتصر حينئذٍ على المقترعين الالمان النمسويين فقط كما تكون الحال في فرنسا و بريطانيا العظمى ايضاً

و بعبارة اخرى انهُ لا يدخل شتاء سنة ١٩١٦ حتى يضطر الالمان والنمسويون الى تقصير خطوط قتالهم في الشرق والغرب بسبب ضعف جيوشهم وقلة عددها بالنسبة الى جيوش الحلفاء الجرارة

اما الحلفاء فلا ينتظرون حدوث تغيير عظيم في خطوط القتال الحالية قبل شهر اغسطس وليس في عزمهم ان يحدثوا فيها تغييراً الى ذلك الحين . ومن يعش يره

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الشيخوخة

اوصابها وحاجاتها

لو استطاع الناس التحرر من ربقة الامراض الوراثية لخلق كلُّ مولود سويًّا لا عيب فيهِ ولا داء يخامرهُ لأربت سنهُ على المئة الاَّ في النادر . وليس للوفيات المبتسرة من سبب سوى الجهل الاَّ حيث تعترض الفواجئ فلا ينفع فيها علم ولا حول . على ان الانسان تمكن بسعيهِ من تبديد بعض غياهب الجهل ومعرفة قواعد الصحة ومبادىء ما يسمونهُ بالهيجين ولكن لا تزال هناك سحب كثيرة متلبدة لا غنى لهُ عن تبديدها قبل الرتوع في بحابح الصحة الكاملة والانتقال من الاولى الى الاخرى انتقالاً طبيعيًّا سهلاً لا تحسب الحياة عندهُ نعمة صرفة ولا الموت نقمة مقيتة

وقد علقت بالاذهان عامةً فكرة مؤدَّاها ان تناقص الوفيات واطالة متوسط العمر هما بمثابة اطالة الاقامة في هذه الدنيا مدة ليست بالقصيرة . وهذه الفكرة ليست صحيحة تماماً . ففي انكلترا مثلاً خفض متوسط الوفيات كثيراً وتخفيض ١ في الالف يعني الابقاء على ٤٠ الفاً ومعظم هؤلاء من الاحداث والشبان . فقد ظهر من بعض الاحصاءات ان نقص الوفيات منذ خمسين سنة بلغ ١٧ في الالف من الذين سنهم دون الخامسة والخمسين ولكنهُ لم يتجاوز ٢ في الذي جاوزوا تلك السنَّ . ومعنى ذلك ان صغار السنّ حتى الكهول زادوا زيادة عظيمة والشيوخ لم يزيدوا الاَّ قليلاً

وقد تغيرت الامراض التي تصيب كبار السنّ عما كانت قبلاً او قل فتكها بهم . فالحمى على انواعها والجدري والسلّ اقل فتكاً بهم مما كانت من قبل ولكن وفيات السرطان زادت في اواخر القرن الماضي من ٣٥٠ الى ٥٨٠ في المليون ومعظم الذين يموتون بهِ من الذين سنهم فوق الخامسة والاربعين . وزادت امراض القلب من ٩٠٠ الى ١٦٠٠ في

المليون · والامراض العصبية من ٥٠٠ الى ١٧٠٠ · وامراض الكليتين من ٢٣٠ الى ٤٤٥

وربما كان الانكليز اكثر تعميراً كأمة من كثير من الامم الاوربية · فمن كل الف بينهم يبلغ الخامسة والسبعين مئة نفس · والخامسة والثمانين ٣٨ نفساً · والخامسة والتسعين نفسان · وخمس الانكليز يبلغون السبعين في حين انهُ لا يبلغها من اهل فرنسا سوى الثمن · ومن اهل ارلندا سوى جزء من ١١ من السكان · وهي نسبة عالية اذا قيست ببعض البلاد المعروفة بارتفاع متوسط الاعمار فيها كنروج مثلاً حيث يبلغ السن المذكورة ثلث السكان

على ان اطول الناس اعماراً اهل غرب ايطاليا على ما يعرف . واشهر معمري الانكليز رجلان واحد اسمهُ بار وآخر جنكنس · اما الاول فيقال انهُ تزوج ثانية بارملة وهو ابن ١٢٠ سنة وكان يعمل في حقلهِ وهو ابن ١٣٠ · فلما نمي خبرهُ الى الملك بعث يطلبهُ وكان قد بلغ سن ١٥٢ فاعجب بهِ واولم لهُ وليمة فابدى فيها من الجشع والنهم ما اورثهُ تخمة قضت عليهِ · واما الثاني فيقال انهُ مات عن ١٦٠ سنة

ولا ريب ان سكان القرى اطول عمراً من سكان المدن فان عدد الذين يبلغون ٦٥ في الاولى ضعفا الذين يبلغونها في الثانية او اكثر · وكثيرون من اهل المدن يموتون بين ٤٥ و ٥٥ ضعفاً واعياءً من غير ان يكون هناك مرض معين

وتختلف عادات المعمرين واطوارهم باختلاف امزجتهم واميالهم فقد روي ان القديس انطونيوس مات ولهُ من العمر ١٠٥ سنوات ولم يكن يأكل سوى شيء يسير من الخبز المبلول بالماء ولم يغتسل في زمانهِ ولا بدل ثيابهُ · وعاش ذلك العمر كلهُ معتزل الناس في الصحراء · اما شفرل الكيماوي الفرنسوي فبلغ تلك السن تقريباً وكان كثير التأنق في اكلهِ ونظافة بدنهِ وكان يسكن قلب باريس · وكثيرون يعمرون مع ادمانهم للخمر والدخان والانقطاع عن ترويض اجسامهم · فقد عرف عن انكليزي انهُ عاش ١٠٥ سنين ولم يروّض جسمهُ بعد بلوغ السبعين وكان عشاؤهُ على الدوام لحماً وخمراً كثيراً

والنساء اكثر تعميراً من الرجال · ففي سنة ١٨٧٣ مات في انكلترا ٨٩ نفساً بلغوا المئة او جاوزوها منهم ١٠ رجال فقط · وسبب ذلك ان النساء اقدر على مقاومة الامراض واقل تعرضاً للفواجيء وعواقبها · ففي هذه الحالة ترجح كفة الاناث على الذكور في العدد ولكن يعيد التوازن الى كفتي الميزان كون المواليد السنوية من الذكور اكثر من الاناث

وقد دل البحث على ان للتعمير شرطين : الاول كون الجسم صحيحاً في الاصل وخالياً

من المرض واسباب الضعف · والثاني عدم تعرضهِ للامراض والآفات المختلفة · وظهر من البحث في احوال ٥٠٠ شخص بلغوا الثانين في انكلترا ان معظمهم اولاد آباء واجداد عرفوا بطول اعمارهم ونظافة مساكنهم وحسن قابليتهم وهضمهم لطعامهم واعتدالهم في مأكلهم وعدم شربهم الكحول والدواء الأ في احوال نادرة ونومهم نوماً هادئاً وخلوّهم من الروماتزم وفروعهِ · والغريب فيهم ان ٨٢ منهم كان آباؤُهم مسلولين

وللحِرَف تأثير عظيم في طول العمر وقصرهِ · فقد وجد ان بعض اهل الحرف اليدوية في مدن انكلترا الصناعية يبلغون اشدَّ قوتهم في اعمالهم وهم في سنّ الثلاثين فصانع الازرار مثلاً يصنع نحو ٦ آلاف زرّ يومياً وهو في سنّ الثلاثين او نحوهِ · وبعدها يتناقص ما يعملهُ منها شيئاً فشيئاً · ومثل هذا يقال في الحائك والفخاري وغيرهما من اهل الحرف الدنيئة

وما يقال عن هؤُلاء يقال عن العمّال صُنُع الايدي اي الحاذقين في حرفهم · فانَّ العامل الصناع من عمال الازرار الذي يحصل تسعة جنيهات في الشهر اجرة عملهِ وهو في الاربعين لا يحصل سوى ٧ ½ جنيه متى بلغ الخامسة والاربعين · و ٤ ¾ جنيه متى بلغ الخامسة والخمسين · و ٤ في الخامسة والستين · وصانع السكاكين (المطاوي) في معامل شفيلد يجب ان يضرب ٢٨ الف ضربة صائبة بالمطرقة كل يوم فلا عجب اذا رأينا اعصابهُ تضعف وعضلاتهِ تضمر وهو في عنفوان شبابهِ

اما الفنون العالية التي لا تقتضي اجهاداً كثيراً فان صاحبها يتمتع بكامل قوتهِ بعد ان يبلغ من الكبر عتيّاً · فيخائيل انجلو المصور الايطالي الشهير رسم رسوماً بديعة وهو في الرابعة والثمانين · وكان المصور تيتيان يصور صورة كبيرة لما دهمهُ الطاعون فاماتهُ ولهُ من العمر ٩٩ سنة

والغالب ان الجسم يتغير بين الخمسين والمئة تغيراً ثابتاً يشبه تغيرهُ بين السنة الاولى والخامسة والعشرين ولكنهُ ابطأ منهُ وفي جهة الزوال · اي انهُ يقلّ مادةً وهمة وقوة على التوالي · فالعظام تخفّ والعضلات تضعف والهمة تصغر · وتفقد القابلية والاسنان على نسبة فقد القوة الهضمية · وفي هذه الحالة تتوقف الصحة على تناقص ثقل الجسم وقوتهِ وهمتهِ تناقصاً متساوياً في الثلاثة · وعليهِ كان الشيخ المهزيل احسن صحة من السمين

اما القوى العقلية فتبقى على الغالب سليمة في الشيوخ · لان الدماغ يبقى على نموّ بعد بلوغ الجسم منتهى قوتهِ ولذلك يبلغ اشدّهُ غالباً والجسم آخذ في الهبوط · هذه هي حالة الذين يشغلون عقولهم · اما الذين يقتصرون على الاعمال اليدوية فان انحطاط اجسامهم يصحبهُ

انحطاط عقولهم · فحص ٨٠٠ من الشيوخ فوجد ان معظمهم ميالون الى السكون والمسالمة ونصفهم من اهل اليسار · وثلاثة ارباعهم نهماء وعشرهم من اهل المدارك الواطئة · واربعة منهم مصابون بعسر هضم · ولا مشاحة ان سير القوى العقلية سيراً طبيعياً مقروناً ببعض ذكاء فطري يفضي الى اطالة العمر

على ان الذكاء المفرط محسوب على صاحبه من عمره فان النوابغ الذين عمّروا قليل عديدهم واهل العبقرية يموتون صغاراً الاَّ في القليل النادر · ذلك بان الرجال كالمواقد كلما اضطرمت نارها اسرع انطفاؤها

واعمالنا في هذه الحياة الدنيا تستقرّ على حال واحد وتزداد كل يوم ثبوتاً بصيرورتها عادات حتى نبيت في آخر الامر كالآلات نعمل اعمالنا ولا نكاد نفكّر فيها · وهذا يفضي الى اضعاف قوة الارادة فينا والنتيجة ان حركتنا ونشاطنا يبطئان شيئاً فشيئاً ثم يتوقفان قبل توقف الجزء الحيواني منّا عن عمله · وبعبارة اخرى اننا نبقى نتنفس ونهضم طعامنا ونمثّله في حين ان حركتنا ورياضتنا تتعذران علينا · وكثيراً ما يحدث ان يبيت المرء على شفا قبره ولا يبقى منهُ الاَّ العمل الآليُّ الصرف · فالذين يموتون حتف انوفهم انما يطأون عتبة الابدية خفافاً فلا يشعرون بانتقالهم اليها من دار هذا العمر

***

والشيخوخة ذات مزايا وعيوب ككلّ شيء غيرها · فالشيخ قلما يصاب بصنف من اصناف الحمى او بداء حادّ معدٍ · وبعد الثمانين لا يصاب بمرض ما في الغالب · هذه بعض مزاياه اما عيوبهُ فمنها ان عظامهُ تمسي خفيفة سريعة الانقصام فيسهل بذلك تعرّضها للانكسار ولكنها تجبر حتى في سن المئة وان يكن جبرها اصعب من جبر عظام الصغار

ومما يستحق الذكر ان جروح الشيخ وقروحهُ اسهل التئاماً واندمالاً من جروح الصغار وقروحهم · واذا اصيب الشيخ بالشلل او الصرع او ذات الرئة او الحمرة او احتقان الدماغ شفي منها سريعاً على الغالب · وكثيراً ما لا يصاب باحدها فيبلغ المئة من سنهِ بين عائلة مات فيها كثير من اولادهِ وحفدتهِ بالحمى او الدفتيريا او غيرها · وتعليل ذلك ان اعضاءنا اذا عمات معاً عدداً كثيراً من السنين ظهر فيهِ انها متلائمة لا خلل في احدها فمن الصعب طروء الخلل عليها وتقويض نظامها · واذا مات الشيخ حتف انفهِ بعد عمر طويل فقد موتهُ كثيراً من المظاهر المؤلمة التي ترى على صغار السنّ من طول المرض واشتداد النزع · فقد يبيت في سريرهِ نشيطاً جذلان ثم يصبح في اليوم التالي جثة هامدة

قلنا فيما تقدم ان للاعمال والحرف المختلفة تأثيراً في طول العمر او قصرهِ . و بياناً لذلك نقول انهُ ظهر من بعض الاحصاءات في انكلترا ان رجال الدين اطول الانكليز عمراً وظهر ان وفيات الذين يدمنون المسكر هي بين ٢١ و ٣٠ من سنهم خمسة اضعاف ما بين ٣٠ و ٤٠ من سن الذين لا يشربون مسكراً . وهاك جدولاً يبين الحد الذي يبلغهُ السكيرون وغيرهم على الغالب في اعمارهم المختلفة

الاعمار	السكيرون يعيشون فوقها	غيرهم
٢٠	١٥ سنة	٤٤ سنة
٣٠	١٣ «	٣٦ «
٤٠	١١ «	٢١ «
٥٠	١٠ «	٢١ «
٦٠	٠٩ «	١٤ «

وهاك جدولاً آخر يبين متوسط الوفيات في اهل الحرف المختلفة بين الانكليز على حساب ان متوسط الوفيات في انكلترا كلها ١٨ في الالف كل سنة

رجال الدين	٠٩ ½ في الالف
الفلاحون	٠١ «
الاساكفة	١٢ «
الحدادون	١٦ «
البدالون (قبل رخصة بيع المسكر)	١٦ «
النجارون	١٧ «
كتبة المحلات التجارية	١٨ «
المعدنون	٢٠ «
الخبازون	٢١ «
البدالون (بعد رخصة بيع المسكر)	٢١ «
الجزارون	٢٣ «
صانعو البيرة	٢٤ «
سائقو المركبات واصحاب الفنادق	٢٨ «
النُدُل وسائر خدمة الفنادق	٣٢ «

ولننظر الآن في وسائل التعمير فنقول :

كلما ابعد المرء عن سن الخمسين قلّت حاجتهُ الى الطعام الكثير فان كورنارو الايطالي الذي عاش مئة سنة لم يكن يأكل في اخريات عمرهِ سوى اوقية من الطعام الجامد و ١٤ من السائل كلّ يوم . واعظم مرض اصيب بهِ كان بسبب زيادة طعامهِ طوعاً لالحاح اهلهِ . اما اقلال الشيخ من الطعام فسببهُ قلة احتياجهِ اليهِ لقلة حركتهِ ورياضتهِ . وليست العبرة في توليد الحرارة بالوقود الذي يوضع في الموقد بل بالمقدار الذي يحترق منهُ . وكلما شابه طعام الشيخ طعام الطفل كان ذلك خيراً لهُ وابقى على حياتهِ . وافضل طعام للشيوخ قليل من الخبز واللبن السخن والعسل والاثمار الناضجة او المطبوخة والزبدة الجديدة والشوربة . والطعام السخن خير من البارد . والثماني مئة الذين تقدمت الاشارة اليهم وقيل انهم بلغوا الثمانين من عمرهم وجد ان نحو ثلثيهم كانوا معتدلين في اكلهم ونحو الثلث كانوا مقلين ونفراً قليلاً كانوا مفرطين . واذا رأى الشيخ انهُ يزداد سمناً وثقلاً فالواجب عليهِ ان يقلل طعامهُ . ومما يحتاج اليهِ فوق قيلولة الظهر نومة قصيرة بعيد طعام الصباح واخرى قبيل الغداء

ويجب ان يكون لباسهُ خفيفاً دافئاً وثيابهُ التحتانية من الصوف . وان يدفأ سريرهُ في الشتاء بزجاجة او كيس من الماء الحار . فان معظم وفيات الشيوخ تحدث في ساعات الليل الاخيرة حينما تكون حرارة الجسم وقواهُ على اضعفها

ويجب ان يستحم الشيخ بالماء الفاتر كل يوم وبماء اسخن منهُ مرتين في الاسبوع . ولا يجلس في المجاري الهوائية . ولا يبكر في النهوض من سريرهِ صباحاً . ولا يستحم بالماء البارد

ومن مقتضيات طول العمر طبع بارد وخلق طيب وقناعة غير محدودة . وكلما اشبهت الشيخوخة الطفولة كانت اقرب الى المحجة واوفى بالوظيفة وليس هذا الشبه في النزق والجهل بل في الثقة العمياء والمحبة والبعد عن الهموم والقرب من دواعي السرور

التهاب الحلق

يصحب التهاب الحلق المشار اليهِ في الكلام على الزكام في اوائل هذا الجزء حمّى خفيفة وشيء من الصداع والسعال . وقد يشتدّ السعال ويكون موءلماً والغالب ان تزول هذه الاعراض بعد يومين او ثلاثة ولكن الالتهاب قد يمتدّ الى اللوزتين ولا خطر منهُ ولكنهُ موءلم متعب ويحسن حينئذٍ تناول مسهل سريع الفعل عند اول الشعور بهِ فيزول او تقصر مدتهُ هذا اذا كان سطحيًا واما اذا كان غائراً وهو المعروف بالتهاب اللوزتين التقيحي اي

المصحوب بتكون الصديد فيها فشديد الألم جدًّا لانهُ يشمل اللوزتين وما يتصل بهما حتى يتعذَّر البلع والنوم من شدَّة الألم (النقز) لكن الصديد الذي يتكون حينئذٍ في اللوزتين من قتل خلايا الدم لميكروبات الداء يخترقها ويخرج منها وحينئذٍ يسكن الألم ويزول الالتهاب رويداً رويداً · ولا فائدة من العلاج في هذه الحالة الأ لتخفيف الألم كوضع اللبخ السخنة على العنق واستنشاق البخار السخن من ماء أضيف اليهِ مادة مضادة للفساد · واذا تكرر التهاب اللوزتين التقيحي فلا ضرر من قطعها والتخلص منها

الاعتناء بالشعر ومنع الصلع

لا يُعلَم الغرض من نمو الشعر في الراس وفي بعض اجزاء البدن ولا ما هي الفائدة من نموهِ طويلاً الى الحد الذي يطول اليهِ لو ترك كما يطول شعر النساء · ولا ما هي اسباب الشيب والصلع ولكن يعلم ان حياة كل شعرة من شعر الراس محدودة وهي على الاطول سنتان ولذلك لا خوف من وقوع الشعر يوماً بعد يوم الأ اذا لم ينمُ شعر آخر بدل الشعر الذي وقع

ولمنع الصلع وضعف الشعر واسطتان فعَّالتان الاولى الاعتناء بالصحَّة العامَّة فان الصحيح البدن يكون صحيح الشعر في الغالب والضعيف البدن يكون ضعيف الشعر في الغالب · وقلنا في الغالب لان شعر بعض نحاف الاجسام المعرضين للسل قد يكون غزيراً طويلاً كاحسن ما يكون ولكن هذا قليل لا يقاس عليهِ · اما كون ضعف البدن يضعف الشعر فلان الشعر جسم حي يغتذي من الدم كسائر اعضاء الجسم فاذا لم يغتذِ جيداً ضعف اصلهُ وسقط باكرًا وقد لا ينمو شعر آخر بدلاً منهُ حينئذٍ

والثانية تنظيف جلد الراس وفركهُ يوميًّا بفرشاة تحركهُ وتهيجهُ حتى تسرع الدورة الدموية فيهِ فان ذلك بمثابة ترويض اليدين بالعمل والرجلين بالمشي · وما الادهان والغسولات المختلفة الأ وسائل للتنظيف والتهييج فهي كالفرشاة من هذا القبيل ولا بدَّ من استعمال الفرشاة معها فتتضاعف فائدتها · هذا اذا كان ضعف الشعر وسقوطهُ طبيعيين ناتجين عن ضعف البدن والدورة الدموية واما اذا كانا ناتجين عن مرض في جلد الراس فلا بدَّ من عرض الامر على طبيب ماهر في امراض الجلد لكي يبحث عن العلَّة و يعالجها

باب الصناعة

آذان السفن

تباري صانعو السفن التجارية في كبر حجمها وزيادة سرعتها فزاد تعرضها للخاطر وهلاك نفوس كثيرة من ركابها اما باصطدامها بقطع الجليد الجارية في البحر كما اصاب الباخرة تيتانك او باصطدامها بعضها ببعض او بالصخور التي يحجب الضباب روءيتها . وفي كل حال لو كان للسفينة اذنان تسمع بهما لادركت الخطر قبل الوقوع فيهِ من انعكاس الاصوات عن مصدر الخطر . ولو كان للسفن كلها آذان تسمع لاستجار بعضها ببعض كلما ادركهُ الخطر

ويزيد الخطر على السفن وقت تكاثف الضباب فان كل سفينة تنفخ في بوقها حينئذٍ حتى تسمعهُ سائر السفن وتحيد عن طريقها فلا يصدم بعضها بعضاً ولكن سمع صوت البوق يتوقف على حدة سمع الرقيب ومقدرتهِ على تعيين جهة الصوت وبعد مركزهِ . وتعيين الجهة والبعد من اصعب الامور ولاسيما وقت الضباب واشتداد العواصف

وقد استنبط احد المخترعين الاميركيين ابواقاً تجمع امواج الصوت حتى يسمع جيداً ولو كان على عشرين ميلاً ويُوصَل بوقان من هذه الابواق بطرفي انبوب طويل متصل بسارية السفينة معارضاً لها كما ترى في الشكل المقابل فيكونان كاذنين للسفينة وهما متصلان بمخل يحركها فتتقارب فوهتاهما او تتباعدان . والمخل متصل بدليل يمرُّ على دائرة مقسومة الى اجزاء تدلُّ على الاميال واجزاء الميل . والمخل بديرهُ الرقيب وهو جالس في وكنة السارية كما ترى في الرسم . فاذا تلبد السحاب او الضباب جعل هذا الرقيب يدير العارضة التي فيها البوقان الى كل جهات الافق حتى اذا سمع صوتاً ولو خفيفاً من جهة ما ابقى البوقين متجهين اليها وادار المخل حتى تتقارب فوهتاهما او تتباعدا ولا يزال يفعل ذلك الى ان يسمع الصوت على اشدهِ من البوقين وحينئذٍ يكون مركز الصوت واقعاً في المحور بينهما اي تكون العارضة التي بين البوقين قاعدة مثلث متساوي الساقين احدى ساقيهِ خط مرسوم من احد البوقين الى مصدر الصوت والساق الاخرى خط مرسوم من مصدر الصوت الى البوق الآخر . ويدلُّ الدليل حينئذٍ على بعد مصدر الصوت عن السفينة بالميل واجزاء الميل ويكون في وسط العارضة بين البوقين بوق ثالث وهو لتقوية الصوت الضعيف وهذا البوق يدور مع

العارضة فتسمع بهِ الاصوات البعيدة كاصوات تنفس الامواج على قطع الجليد

وتوصَّل المخترع بوسيلة اخرى للاستدلال على مصادر الخطر بالتدقيق التام وهو انهُ ركَّب الابواق في طرفي السفينة مقدمها ومؤخرها كما ترى في السفينة المرسومة في اسفل الشكل فصار طول السفينة قاعدة لمثلث ومتى عرفت الزاويتان اللتان تتجه بهما الابواق في الجانبين عُرف البعد بين السفينة ورأس المثلث الذي هو مصدر الصوت

ومن المرجح ان هذه الطريقة لمعرفة مصدر الصوت تستعمل لمعرفة اماكن الطيارات ونحوها من الآلات التي يصدر منها صوت ولو كانت ابعد من ان ترى بالعين او لو حجبت عن العيون بالضباب او بالسحاب . ولو كان البعد بين اذني الانسان كبيراً لسهل عليهِ ان يعرف بعد مصدر الصوت كما يسهل عليهِ ان يعرف جهتهُ في غالب الاحيان

التلفون اللاسلكي

والتخاطب بهِ عن ابعاد شاسعة

دأب كثيرون من اهل الاختراع منذ بضع سنين في اختراع تلفون يستطيع الناس التخاطب بهِ على ابعاد شاسعة تقاس بالوف الاميال . وكانت العقبات التي تعترض في هذا السبيل كثيرة اهمها ضعف الميكروفون العادي عن احتمال المجاري الكهربائية اللازمة لنقل الصوت بوضوح وجلاء الى اماكن سحيقة . وقد سهل على الباحثين مهمتهم هذه علمهم بان التخاطب عن بعد كثير ليس مستحيلاً بالذات بدليل ان النغمات الموسيقية تنقل بين الاماكن المتباعدة من غير ان تفقد شيئاً من قوتها وموسيقيتها

ومع عظم داب المخترعين في اختراع هذا التلفون لم يوفق احد منهم الى ايصال الصوت الى اكثر من مئات من الاميال حتى اعلنت شركة التلفون والتلغراف الاميركية انها فازت باكتشاف طريقة يمكن التخاطب بها على الوف الاميال . واقامت التجارب في ٢٩ سبتمبر الماضي بمراقبة الحكومة الاميركية تأييداً لزعمها فارسلت الرسائل التلفونية اللاسلكية من محطة للحكومة قرب وشنطن الى مكان قرب سان فرنسسكو غرباً والبعد بين المكانين ٢٥٠٠ ميل . واغرب من ذلك ما اذيع في اليوم التالي لهذه التجارب من ان مهندساً للشركة مقيماً في جزيرة هاواي احدى جزر هونولولو في الباسيفيكي سمع كل ما دار من الكلام بين المحطتين المشار اليهما آنفاً والمسافة بينهُ و بين وشنطن ٤٩٠٠ ميل اي نحو ضعفي المسافة بين وشنطن وسان فرنسسكو

فعلى ذلك اصبح التخاطب بالتلفون اللاسلكي ممكناً بين العاصمة الاميركية والعواصم الاوربية حتى بترغراد اقصاهن شرقاً اذ المسافة بينها و بين وشنطن تبلغ نحو خمسة آلاف ميل

ومما يذكر في هذا الصدد امكان استخدام التلفون العادي بالاتحاد مع التلفون اللاسلكي في التخاطب على مسافات بعيدة . فان رئيس الشركة المذكورة تكلم من مكتبهِ في نيويورك بالتلفون العادي مع المحطة اللاسلكية قرب وشنطن وهذه نقلت كلامهُ الى المحطة اللاسلكية عند سان فرنسسكو . فلا يمد والحالة هذه ان يتمكن الناس بعد زمان وجيز من مخاطبة السفن الماخرة في عرض البحار والاصقاع النائية في جميع جوانب الكرة وهم جالسون في منازلهم ومكاتبهم وعدد التلفون العادية امامهم

اما المهندسون الذين تم هذا العمل الكبير على ايديهم فلا يدعون انهم اخترعوا شيئاً جديداً بل يعترفون ان الاختراع قديم ولكنهم اتقنوهُ واتموهُ واضطروا في هذا السبيل الى اختراع ادوات وحيل كثيرة لم تكن معروفة

ومما يزيد فائدة هذا الاختراع انهُ يمكن استعمالهُ في الاعمال والاشغال التجارية العادية من غير ادخال تغيير كثير على نظام التلفون العادي . فان التجارب التي جربت في نيويورك كما تقدم القول دلَّت على ان التلفون اللاسلكي لا يلغي التلفون العادي و يقوم مقامهُ بل ان كلاً منهما يكون متمماً للآخر ولا يخفى ما في ذلك من الاقتصاد في المال والوقت

الكيمياء وقت الحاجة

يدَّعي الالمان ان علماء الكيمياء منهم اكتشفوا غازاً اخف من الهيدروجين ولا يحترق مثلهُ فيملأون بهِ بلوناتهم التي من نوع تسبلن فتكون بمأمن من الانفجار اذا اصابتها قنابل الاعداء وانهم استعملوا مزيجاً من الكحول والبنزول بدل البترول واستعملوا الورق بدل القنَّب وصنعوا الجلد والاستك صنعاً واكتشفوا ميكروباً يفعل بالسكر ويجعلهُ دهناً وابدلوا القطن بالخشب في عمل المفرقعات وهلم جراً . ومن المحتمل انهم فعلوا ذلك كلهُ ولكن اهتمام الالمان بجلب الاطعمة والبترول والاستك والقطن من الخارج يدلُّ دلالة قاطعة على ان نفقة الاعمال الكيماوية التي تعمل بها هذه المواد كبيرة جداً تزيد على ثمنها لو جلبت من الخارج

خمر ولا سكر

وصفت مجلة الزراعة الايطالية (ايطاليا اغريكولا) خمراً جديدة فيها كل صفات الخمر وفوائدها ولكنها لا تسكر مطلقاً لانها خالية من الالكحول (السبيرتو) وهي خمر عادية يخرج الالكحول منها بالاستقطار بعد ان يخفف ضغط الهواء عنها اي انها توضع في آنية و يفرغ الهواء من فوقها حتى يتبخر ما فيها من الالكحول

الاعضاء الصناعية

مهر الاوربيون في عمل الارجل الصناعية قبل هذه الحرب فقد رأينا رجالاً يمشون واحدى رجليهم صناعية وقلما يظهر فرق بين مشيهم ومشي غيرهم ولكن هذه الحرب علمتهم عمل الايدي الصناعية ايضاً . و يقال ان اليد الصناعية تحرك وتحرك اصابعها وتعمل بعض الاعمال كاليد الطبيعيةً وان بعض الجنود قطعت رجلاهم فوضعوا رجلين صناعيتين واستطاعوا ان يمشوا عليها . واخبرنا بعض القادمين من باريس حديثاً انهُ لا يندر الآن ان ترى في الشوارع رجالاً بارجل صناعية او بايدٍ صناعية ولا يظهر على الواحد منهم انهُ مستاء مما حلَّ بهِ بل يحسب انهُ نال ما يفتخر بهِ على اقرانهِ

وفي الصفحة المقابلة صور بعض الايدي والارجل الصناعية وهي منقولة اصلاً عمَّا نشر في جريدة لندن المصورة . فالصورة المدلول عليها بالرقم ١ صورة ساق وقدم وقد شطرت الساق ليظهر ما في باطنها من المفصلات والاربطة والعدد التي تحرك الركبة عند المفصل فتنطوي عند المشي كما تنطوي الركبة الطبيعية . والشكل ٢ صورة تركيب مفصل الركبة . والشكل ٣ صورة القدم الصناعية وما في داخلها من المفصلات والمحركات . والشكل ٤ صورة الساق الصناعية من ظاهرها . والشكل ٥ صورة منظر خلفي لكيفية ربط الذراع الصناعية مكان الذراع الطبيعية المبتورة . والشكل ٦ صورة منظر امامي لها . والشكل ٧ صورة ما في داخل الذراع الصناعية من المحركات والعدد . والشكل ٨ ما في داخل الاصبع الصناعية من الآلات . والسيور والاربطة التي ترى في شكلي ٥ و٦ تربط فوق العضلات الكتفية فاذا تقلصت هذه العضلات احدثت حركةً في المحركات الداخلة في جوف العضو الصناعي فتنتقل الى الاطراف فتحدث حركات تحاكي الحركات الطبيعية



الصادرات الزراعية

بلغت قيمة صادرات القطر المصري الى آخر نوفبر الماضي ٢٢ ٥٦٢ ٨٢٣ جنيهاً يقابل ذلك في العام السابق ٢١ ٣٤٥ ٣٦٠ فزادت ١ ٢١٧ ٤٦٣ مع ان اشهر الحرب في عام ١٩١٤ كانت اربعاً فقط

وقد شملت الزيادة أكثر صادرات القطر الزراعية المهمة ما عدا القطن والرز كما ترى في هذا الجدول وكلهُ بالجنيهات المصرية

الصادرات المهمة التي زادت قيمتها

	١٩١٥	١٩١٤	الزيادة
القمح	٠٤٤١ ٢٥١	٠٠٠٠ ٨١٢	٤٤٠ ٤٣٩
السكر	٠٥٤٢ ٦٢٩	٠١٥١ ١٥٦	٣٩١ ٤٧٣
الذرة	٠٢٦٤ ٣٩٦	٠٠٠١ ٤٦٩	٢٦٢ ٩٢٧
الفول	٠٢٥٠ ٦٥١	٠٠٠٥ ٩١٩	٢٤٤ ٧٣٢
البيض	٠٣٦٦ ٣٣٦	٠٢٠٢ ٦٩٣	١٦٣ ٦٤٣
الكسب	٠٤٣٤ ٣٢٦	٠٢٧٩ ٨٩٥	١٥٤ ٤٣١
العدس	٠١٣٤ ٩٨٧	٠٠٠٣ ٤٧٩	١٣١ ٥٠٨
البزرة	٢٠٣٦ ٢٧٥	١٩١٨ ٠٣٨	١١٨ ٢٣٧
زيت القطن	٠٠٧٧ ٣٩٧	٠٠١٦ ٧٢٤	٠٦٠ ٦٧٣
الجلد	٠٢٦٨ ٦٨	٠٢٢٠ ١١١	٠٤٧ ٩٥٧
الصمغ	٠٠١٨ ٧٦١	٠٠١٣ ٨٢٥	٠٠٤ ٩٣٦
البصل	٠٣٤٨ ٤٩١	٠٣٤٨ ٣٧٨	٠٠٠ ١١٣

الصادرات المهمة التي نقصت قيمتها

القطن	١٥ ٥٣٩ ٧٩٨	١٦ ٧٤٨ ٢٧٤	١ ٢٠٨ ٤٧٦
الرز	٠٠٠٠٧ ٨٠٩	٠٠١٤٢ ٧٢٥	٠ ٠٦٤ ٧٠٦

وواضح من ذلك ان في طاقة القطر المصري ان يصدر جانباً كبيراً من حاصلاتهِ الزراعية غير القطن اذا زادت عن مقطوعيتهِ ولكن اذا كانت هذه الزيادة ناتجة عن تقليل المساحة التي يزرع فيها القطن فحصول القطن اثمن من محصول الحبوب الأ اذا ضرب القطن بدودة اللوز كما حدث في الموسم لاخير

ري القطن في مديرية الفيوم

جرت مصلحة الري على قاعدة غريبة في توزيع الماء الصيفي في مديرية الفيوم لم تبنها على حقيقة زراعية كأَن لا علاقة لماء الري بالزراعة مطلقاً فامرت بان تجري مياه الري الصيفي في البحر من ابحر الفيوم عشرة ايام وتقطع عنهُ عشرة ايام وصنعت لكل صاحب طين فتحة يجري منها الماء الى اطيانهِ وقالت انهُ يجب ان يروي في العشرة الايام كل ما يحق لهُ زرعهُ من القطن. والغالب ان هذا الماء لا يكفي الأَ خمس اطيانهِ فاذا كان يملك الف فدان فالماء الذي يصل اليهِ في العشرة الايام لا يكفي الأ لري ٢٠٠ فدان منها فاذا زرع ٣٠٠ فدان قطناً اضطرَّ ان يترك ١٠٠ فدان منها من غير ري. ونحن قد خبرنا ذلك في بحر واحد من ابحر الفيوم وهو بحر سنهور ولا ندري أهو خاصٌ بهِ او عامٌ لكل البحور

ومما هو من الغرابة بمكانٍ عظيم ايضاً ان المدة بين كل رية والتي تليها عشرون يوماً على الاقل كأَن اطيان الفيوم المنحدرة التي يتسرَّب الماء منها بسرعة اصلح لاحتمال العطش من اطيان الوجه البحري المنبسطة ولا ندري على اي قاعدة زراعية بنت مصلحة الري ذلك.

اما نحن فانتبهنا منذ سنتين الى ان بعض المزارعين عندنا يجني الواحد منهم من فدان القطن اكثر من عشرين قنطاراً صغيراً (نحو سبعة قناطير كبيرة) وجارهُ الذي اطيانهُ مثل اطيانهِ تماماً وابحار الاثنين واحد لا يجني من الفدان اكثر من ١٢ قنطاراً صغيراً. وكنا نحسب ان الفرق بين الاثنين عائد الى الخدمة فقط اي الى الحرث والعزق والسماد فان الاول كان يحرث اطيانهُ مراراً قبل زرعها ويسمدها ثم يعزقها اربع مرات والثاني قلما يحرثها ولا يسمدها ولا يعزقها الأ مرتين ولكن بلغنا ان الاول لا يكتفي بارواء قطنهِ مرة كل عشرين يوماً بل يرويهِ في اول ايام الري العشرة وفي آخرها ايضاً لقلة ما يزرعهُ قطناً من الاطيان التي يستأجرها فكأَنهُ يرويهِ كل نحو عشرة ايام وهو ما يسمَّى عندهم تطبيقاً

فرأَينا ان ذلك محتمل ولاسيما بعد ما سمعنا ما يؤيدهُ عند غيرنا وقصدنا تجربتهُ فاخترنا

في العام الماضي قطعتين من حوض واحدمتشابهتين تماماً تفصل بينهما سكة زراعة وامرنا ناظر زراعتنا ان يخدمها خدمة واحدة ويزرعها على اسلوب واحد تماماً ويروي احداها مرة كل عشرين يوماً ويروي الاخرى كل نحو عشرة ايام اي في اول ميعاد الري وآخره ثم عرضنا على مستشار وزارة الزراعة ان يجرب ذلك ايضاً في اطياناتنا ولكنهُ لما رأى اننا اخذنا في تجربته اكتفى بها . وكان محصول القطن عندنا هذه السنة اقل من محصوله في العام الماضي بنحو عشرين في المئة لحرٍ شديد اصابهُ وقت ازهاره ومع ذلك بلغ محصول الفدان الذي روي كل عشرة ايام ١٦ قنطاراً صغيراً والذي روي كل عشرين يوماً ١٢ قنطاراً فقط

ومن المحتمل ان فترة تسعة ايام وعشرة ايام قليلة وانهُ لو كانت الفترة ١٤ يوماً او ١٥ يوماً لكان المحصول اوفر جداً ولكن ليس في امكاننا ان نجرب الآن كما جربنا لان المياه لا تأتينا الا عشرة ايام من كل عشرين يوماً . فعسى ان تتولى وزارة الزراعة امتحان ري القطن هذه السنة في مواعيد مختلفة وفي اماكن مختلفة من مديرية الفيوم حتى يثبت لها بالامتحان اي المواعيد افضل من غيره . والمرجح عندنا انها ستجد ان الميعاد الافضل يتراوح بين ١٢ يوماً و١٦ يوماً فاذا فرضنا انهُ ١٤ يوماً وجعلت مواعيد الري سبعة ايام عمالة وسبعة بطالة وجب ان يزاد الماء حتى يكفي لري كل ما يزرع زراعة صيفية

زراعة القلقاس

نشرت وزارة الزراعة رسالة صغيرة في زراعة القلقاس وطبخه جاء فيها ما خلاصتهُ :

زراعة القلقاس في مصر ليست عامة اللهم الا في جنوب الدلتا . وقد نجحت زراعتهُ في المنطقة المحصورة بين مدينتي دسوق ودبروط . والقلقاس خير بديل للبطاطس اذ يقوم مقامها حق القيام . ومن المستحسن تعميم زراعته وازدياد نطاق المساحة المخصصة له

و يتراوح المحصول الجيد من الفدان بين عشرة اطنان وثلاثة عشر طناً او تسعين قنطاراً ومائة وعشرة قناطير و يزن القنطار مائتين وستين رطلاً وقد يصل وزنهُ في الغيط الى ثلاثمائة رطل حسب درجة نظافته . و ينقص وزنهُ بنسبة اربعين الى خمسة واربعين في المائة نظراً لما يزيلهُ التجار من قاعدة اوراقه الملتفة بعضها فوق بعض قبل بيعه ولما يزال من قشرته الخارجية قبل طبخه . فاذا اعتبرنا ان اقصى ما يغلهُ الفدان عشرة اطنان يكون الصالح منها للاكل خمسة اطنان ونصف طن فقط . وهذا القدر الاخير يفوق محصول فدان البطاطس اذا قارناهُ به لان المحصول الجيد من فدان البطاطس يبلغ خمسة اطنان على اكثر تقدير ونسبة ما يفقدهُ

من وزنهِ بعد اعدادهِ للطبخ يبلغ من عشرين الى خمسة وعشرين في المائة · وعلى هذا تكون غلتهُ الصالحة للاكل اربعة اطنان · والفرق ظاهر بين الغلتين

وخواص القلقاس الغذائية موضع البحث والنظر الآن في القطر المصري · ولا نرى اوفق من ان نأتي هنا على نبذة مقتطفة من نشرة نشرتها مصلحة الزراعة في الولايات المتحدة للدلالة على خواص القلقاس حتى يقع لنا رأي خبير في هذا الموضوع قالت: «القلقاس والبطاطس متشابهان في التركيب غير ان كمية الماء في الاول اقل وبذلك تزيد فيهِ كمية البروتين والنشاء عما في الثاني بمقدار النصف تقريباً · والمشهور عن القلقاس انهُ سهل الهضم وكثيراً ما يوصف للمرضى في جزيرة هواي والبلاد الاخرى التي تزرعهُ»

وقد بلغ ثمن اقة القلقاس قرشاً في شهر نوفمبر سنة ١٩١٥ · والبطاطس الثليانية تباع في الازمنة الاعتيادية بمثل هذا السعر اما البطاطس الفرنسوية وبطاطس جزيرة قبرص فتباع بثمن اعلى · وثمنها عالٍ على الدوام حتى في ايام وفرة المحصول اما في وقت قلتهِ فيرتفع ثمنها كثيراً بطبيعة الحال · وما يفقدهُ القلقاس من الوزن اثناء اعدادهِ للاكل مساوٍ لما تفقدهُ البطاطس بعد قشرها

تكاثرهُ — يتكاثر القلقاس من «الفكوك» (اجزاء الرؤُوس) على ان يحتوي كل فك او جزء على «زرّ» (عين) او اكثر · وكلما كبرت الاجزاء المنزرعة كان نموّ النبات اقوى ويجب ان لا تجزأ الفكوك الصغيرة · ومن المستحسن ان يحتوي الجزء المقطوع من جوانب الرأس على زرّين واما الجزء المقطوع من نصف الرأس الاعلى فيكفي فيهِ الرز القمي فقط

معدن الارض — يجود القلقاس في كل ارض خصبة صفراء حسنة الصرف

التقاوي — وقد اصطلح في العرف على اعتبار مساحة فدان القلقاس اربعمائة قصبة مربعة · ولكننا في هذه النشرة نعتمد على ان مساحة الفدان هي المساحة العادية وقدرها ثلثمائة وثلاث وثلاثون قصبة مربعة وثلث قصبة · ومبلغ ما تحتاج اليهِ زراعة الفدان من الفكوك الف وخمسمائة رطل (قنطار الفكوك يزن ٣٠٠ رطل) ومن الرؤُوس ما يزن الفي رطل (قنطار الرؤُوس يزن ٢٦٠ الى ٣٠٠ رطل)

إعداد الارض للزراعة — تحرث الارض ثلاث حرثات او اربعاً حرثاً عميقاً وتزحف بعد كل حرثة ثم تشق خطوطاً اربعة منها في القصبة الواحدة وتغرس الاجزاء او الفكوك (التقاوي) في حفر قرب قاع الخط عمقها من ستة سنتيمترات الى سبعة وبعدها بعضها عن بعض اربعون سنتيمتراً · وتروى حالاً ريّاً غزيراً

وقد يزرع مع القلقاس في وقت واحد مزروعات اضافية كالعجل والخيار والبطيخ والملوخية والفاصوليا . وفي بعض الاحيان تعد الارض وتروى في اواخر يناير واوائل فبراير وحينما تجف جفافاً مناسباً تزرع فاصوليا . واذا كانت الارض سوداء لا تحتاج الى الري حتى يزرع القلقاس في مارس

وقت الزراعة — من اول فبراير الى منتصف شهر مايو

التسميد — القلقاس من اشد النباتات شرهاً للسماد فيتطلبهُ بكمية كبيرة وكثيراً ما حالت قلتهُ دون جودة المحصول . وقد سمدتهُ مدرسة الزراعة بالجيزة هذا العام بالسماد الآتي فبلغ المحصول من الجودة مبلغاً عظيماً

عدد		
٢٠	متراً مكعباً سماداً بلدياً	للفدان الواحد
٣٠٠	كيلو فوق فوسفات الجير	
١٠٠	« كبريتات النوشادر	
١٠٠	« « البوتاسا	

واما في العام الماضي سنة ١٩١٤ فقد اكتفت بتسميدهِ بالسماد البلدي فكان المحصول اقل من هذا العام . وبلغ ثمن محصول الفدان في العام الماضي اربعين جنيهاً اما في هذه السنة فقد قال ناظر المدرسة انهُ عرض عليهِ خمسة وخمسون جنيهاً ثمن محصول الفدان مع قيام المشتري بمصاريف القلع

وفي حالة اقتصار الزارع على تسميد ارضهِ بالسماد البلدي يضع في الفدان من مائتين الى مائتين وخمسين حمل جمل . ثلثيها قبيل الحرثة الاخيرة والباقي بعد نمو النبات

خدمة الارض بعد الزرع — تعزق الارض وتنقى الاعشاب منها من وقت الى آخر وعند ما يقلع المحصول الاضافي تسمد ثانياً كما تقدم ويلف القلقاس بالتراب من الجانبين حتى تصير النباتات في وسط المسطبة بعد ان كانت في قاع الخط

الري — يحتاج القلقاس الى ماء كثير في جميع ادوار حياتهِ . ففي الارض الخفيفة خفة مناسبة يروى بعد الرية الاولى (عقب الزراعة) كل خمسة عشر يوماً . وعند ما تبتدئ النباتات الصغيرة في النمو تصير المدة بين الريات عشرة ايام . وكلما نما قصرت المدة بين الرية والاخرى . وفي المدة الاخيرة التي يبلغ فيها تمام نموهِ يروى كل ستة او سبعة ايام

والقلقاس يشغل الارض مدة تختلف بين ثمانية شهور وعشرة ويجنى المحصول الذي القنت خدمتهُ في شهر اكتوبر ولكن في هذا الوقت لا تبلغ الرؤُوس نهاية حجمها . ولا يمكن الحصول على اقصى الغلة الاَّ في شهر دسمبر

ويقلع الزارع رؤُوس القلقاس ويبيعها بالوزن او يبيعها للتاجر وهي في ارضها . ويقوم التاجر بمصاريف القلع . والعامل النشيط يستطيع قلع قنطار ونصف في اليوم مع تجهيزها للسوق ويأخذ اجرة على كل قنطار اربعة قروش — اذا كان المحصول كبيراً — وثمن القنطار (وزنهُ ٢٦٠ رطلاً) في السوق من خمسين قرشاً الى خمسة وسبعين

حفظ الرؤُوس للتقاوي — لحفظ الرؤُوس لزرعها في العام التالي طريقتان : (الاولى) ان تحفر لها حفرة قليلة العمق وتوضع فيها وتغطى بطبقة سميكة من الرمل الرطب . ويجب حفظهُ رطباً لانهُ اذا جفت الرؤُوس لم تصلح للزرع والانبات . (والثانية) ان يترك بعض المحصول مغروساً في الارض حتى يأتي ميعاد زرعهِ فيقلع ويزرع

القطن المصري واسعارهُ

قرر قومسيون كنترااتات القطن في بورصة الاسكندرية في آخر دسمبر الماضي اجراء تصفية غير اعتيادية في الكنترااتات لبلوغ الفرق في اسعارها بعد آخر تصفية فيها خمسة اثمان الريال وذلك بالاسعار التالية

يناير	$19\frac{4}{32}$	من الريال
مارس	$19\frac{18}{32}$	«
مايو	$19\frac{28}{32}$	«
نوفمبر	$19\frac{2}{32}$	«

وعليهِ فاسعار القطن قد بلغت مبلغاً يرجى الربح لهذا القطر من ورائهِ . ولكن طيف دودة لوز القطن ودودة بزرتهِ لا يزال يتردد امام العيون ويرعب من امَّل من قطنهِ سبعة قناطير وثمانية قناطير من الفدان فلم يجنِ منهُ سوى قنطارين او اقل . فاذا ظهر هذا الدود في عامنا الحاضر وفعل ما فعلهُ في العام الماضي فلا مندوحة للحكومة عن ان تفتش عن مرض يقع بهذا الدود ويميتهُ حتى يستأصل مع استعمال الوسيلة التي اشارت بها وهي تبخير البزر حتى يموت ما فيهِ من الدود



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

التنويم المغنطيسي والانباء بالغيب

جاءتنا رسائل كثيرة من قرَّاء المقتطف في هذا الموضوع يضيق المقام عن نشر شيء منها في هذا الجزء

وكلها مبني على ما اوردناهُ في الجزء الماضي من المقتطف جواباً عن السؤَال الثامن عشر. والظاهر ان اصحاب هذه الرسائل حسبوا اننا ننكر التنويم المغنطيسي بانكارنا الاعمال التي انكرنا صحتها. والصواب اننا لا ننكر التنويم المغنطيسي بل نحن نمارسهُ احياناً وقد نومنا بعض الناس غير مرة ولكننا ننكر كل الانكار ان الذين يقفون في بعض المشاهد ويكشفون المخبآت وينبئون بالغيب يكونون نائمين التنويم المغنطيسي بل يدلنا اختبارنا واختبار غيرنا على انهم مشعوذون او شركاءُ لمشعوذين يتناومون لكي يخدع المشاهدون بحيلهم. وقد فاتنا ان نذكر ذلك صريحاً في جوابنا عن السؤَال المشار اليهِ آنفاً

وسننشر رسالة او اكثر من هذه الرسائل في الجزء التالي ونجيب عمَّا فيها

حقيقة المندل

حضرات العالمين الفاضلين منشئي المقتطف

حضر احدهم اليَّ وقال انهُ مربوط بعمل من السحر وانهُ عرض امرهُ على بعض الاطباء فلم يستطيعوا مداواتهُ لقلة اعتقادهِ فيهم. فتوجه الى احد الدجالين ليعمل لهُ المندل ويداويهُ وطلب مني ان ارافقهُ الى هذا الدجال

فتوجهت معهُ الى الدجال فوجدتهُ يناهز الخمسين ومعهُ تلميذهُ وعمرهُ نحو اربعة عشر عاماً فبعد ما استرحنا قليلاً طلب المصاب من الدجال عمل المندل حسب الاتفاق السابق معهُ لشفائهِ من مرضهِ ونقدهُ خمسين قرشاً

فاحضر الدجال فنجالاً من الخزف فيهِ شيء من الزيت ثم احضر دفاية من الفخار واوقد فيها فحم الحطب ووضع فوق الفحم المشتعل جانباً من البخور وجعل يتلو عزايم واقساماً مدة نصف ساعة والفنجال امامهُ . ثم قال لتلميذهِ انظر ما في هذا الفنجال واخبرني عما تراهُ فيهِ فنظر التلميذ في الفنجال ثم قال رأيت بعض الجن واقفين قال لهُ الدجال اصدر اليهم امري بالكنس والرش على الارض التي هم فيها ثم قل لهم ان يحضروا خيمة الجلوس و ينصبوها بفرشها ومقاعدها فقال التلميذ جميع ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم نظر في الفنجال وقال كل شيء جهز ونصبت الخيمة بمفروشاتها ومقاعدها وان ملك الجن حضر هو واتباعهُ وجلس كل حسب مرتبتهِ داخل الخيمة

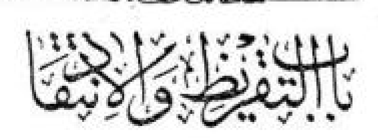
فتقدمت انا ونظرت في الفنجال ثم قلت للدجال انى ما رايت في الفنجال سوى الزيت لا غير فقال ان الذي يتجاوز عمرهُ الخمسة عشر عاماً لا يمكنهُ ان يرى شيئاً في الفنجال ولهذا السبب احضرت هذا التلميذ القاصر معي لان عمرهُ دون سن الرشد وكل قاصر مكشوف لهُ الحجاب ويمكنهُ رؤية ما رآهُ هذا التلميذ فاحضرت صبيًا قاصراً عمرهُ مثل عمر تلميذ الدجال فنظر في الفنجال وقال انهُ لم يرَ فيهِ غير الزيت . فتعنت الدجال وكابرنا وقال ان دم هذا الصبي زفر والذي دمهُ زفر لا يمكنهُ رؤية الجن.

ثم قال الدجال لتلميذهِ قل لملك الجن ان فلاناً الحاضر في هذا المجلس مصاب بالربط بعمل من السحر والرجاء حل عقدتهِ وشفاؤُهُ من دائهِ فقال التلميذ ما لقّنهُ اياهُ الدجال ثم وضع أذنهُ على حافة الفنجال ليسمع جواب ملك الجن فوضعت انا والصبي اذنينا على حافة الفنجال فلم نسمع شيئاً ولكن التلميذ قال يقول ملك الجن ان المصاب مربوط بعمل من السحر وربّاطهُ موضوع في تُربَةٍ مهجورةٍ وهو خيوط من الشَّعر عقدت على مقصٍ في الجهة الغربية من المدفن الفلاني داخل التُربَةِ المهجورة ثم توجهت انا والمصاب والدجال وتلميذهُ الى المدفن المشار اليهِ فلقينا في الجهة الغربية تُربَة مهجورة و بعد البحث فيها حسب ارشاد الدجال وجدنا عمل السحر كما قال من خيوط الشَّعرِ الأسودِ عقدت على مقصٍ ولما فككناها عن المقصِ قال الدجال الآن شفي المصاب من دائهِ . فاعتقد المصاب اعتقاداً تاما بانهُ شفي و بعد يومين قابلني وقال انهُ زال عنهُ هذا المرض وان عقدة الربط حلت بحل الشعر عن المقص الذي وجدناهُ داخل التربة المهجورة

ولكني بعد البحث الكثير علمت ان هذا الدجال يتوجه مع تلميذهِ الى بعض التُرب او القبور المهجورة و يضع فيها خيوط الشعر معقودة على المقص الى حين الحاجة ثم يغري احدا

الاشقياء واغلبهم من الفقهاء الفاسدين ليتوجه الى بعض البسطاء او المغفلين و يوهمهُ بانهُ مسحور بعمل من السحر وانهُ يمكنهُ التوجه الى من يعرف صناعة المندل فيشفيهِ فيعتقد ذلك المغفل انهُ معقود ثم يعتقد انهُ شفي

احمد السيد
تبع قسم كرموز باسكندرية



تاريخ الآداب العربية

هو سفر جليل في نحو ٧٠٠ صفحة تأليف احد اخوة المدارس المسيحية المسماة بالفرير لخص فيهِ تاريخ الآداب العربية منذ نشأتها الى الآن بذكر الذين اشتهروا من ارباب الانشاء كالشعراء والعلماء وكبار المنشئين فترجم فيها اكثر من ٣٠٠ عالم وشاعر ومنشئ وذكر طرفاً من سيرة كلٍ منهم واشعارهم وبليغ كلامهِ وتاريخ وفاتهِ بالحساب المسيحي والهجري والحق كل صفحة بحاشية فسَّر فيها ما في الصفحة من الكلام اللغوي · وقطع الكتاب معتدل وطبعهُ حسن

ونحن قلما ننتقد كتاباً الأ اذا وثقنا ان مؤلفهُ يرحّب بالانتقاد او كان في الكتاب اغلاط فاضحة الاغضاء عنها يجلب الضرر على قرائهِ

ويظهر لنا ان مؤلف هذا الكتاب من واسعي الصدر الذين يرحبون بالانتقاد· وكتابهُ على حسن تبويبهِ وترصيفهِ نراهُ يستدعي الانتقاد في ثلاثة امور غير جوهرية في نظرنا لانها لا تمس جوهر الكتاب وفي امرين جوهريين · الاول من الامور غير الجوهرية التعرض لعقائد بعض الرجال الدينية فان الكلام على العقائد ليس من موضوع الكتاب · واذا رأى المؤلف ان يتعرَّض لها لان مذهبهُ يوجب عليهِ ذلك فتسعة وتسعون في المئة من الذين ذكر ترجماتهم يخالفونهُ في المذهب وينكرون اهم اركان ديانتهِ ولكنهُ خص اثنين منهم بالذم لفساد العقيدة ابا العلاء المعري وعُمَر الخيام فقال عن المعري انهُ « لم يرَ في اختلاف مذاهب العبادة سوى اسباب لاحتقار الآخذين بها » وقال عن عمر الخيام « انهُ كان واهي العقيدة دهري المذهب مرمياً بالالحاد والتعطيل يستر زندقتهُ تحت براقع التمويه من القول بتطهير الحركات البدنية لتنزيه النفس الانسانية وتُحدِّث بكفرهِ وفساد آرائهِ وكادت

لتهتك استار دهائهِ ورئائهِ تخشي على دمهِ وامسك من عنان لسانهِ وقلمهِ وحج تضليلاً للعقول»

ولا ندري ما الفرق لدى خادم الدين المسيحي المؤمن بتعاليم الكنيسة بين الدهريّ وناكر التثليث وناكر الوهية المسيح

ومن الغريب انهُ لما ذكر المتنبي انحى عليهِ باللوم لادعائهِ النبوة وهو ليس من موضوع الكتاب ولكنهُ لم يلمّ على ابياتهِ السمجة في قصيدتهِ التي ذمّ بها ابن كيغلغ وهي من موضوع الكتاب بل قال انهُ « كان وقوراً رصين المقال لا ينطق بالكذب والهزل »

هذا ولا ندري ايضاً ما حشر عُمر الخيام بين شعراء العرب فانهُ فارسي وشعرهُ المشهور فارسي ولم يروَ لهُ في العربية الأ اربعة ابيات ولعلها مترجمة من الفارسية . وقد قرأنا ترجمة فتزجرلد لبعض رباعياتهِ وجانباً من ترجمة جنصن باشا لها فلم نجد فيها شيئاً يدل على انهُ كان زنديقاً او ملحداً او دهرياً بل هو على الضد من ذلك موحّد يعترف بوجود الله وقد ترجمنا بعض اشعارهِ عن ترجمة فتزجرلد ونشرنا ترجمتنا وترجمة وديع افندي البستاني في مقتطف مارس سنة ١٩١٢ قال وديع افندي

نحن تلك الكرات والخيَّال هو رب القضا وهذا المجال

وقلنا نحن وربُّ الصوالج يدري مسيرَ كرات رماها بقصد ارتياضِ

وقلنا في ترجمة رباعية اخرى

يراها الالهُ الذي قد برانا فشكراهُ غنم وفرض عليكا

وذلك دليل قاطع على ان الخيام لم يكن دهرياً كما رماهُ حضرة المؤلف

والذين تمعنوا في رباعيات عمر الخيام من الانكليز والاميركيين رجالاً ونساء انشأوا حلقات لمطالعتها وهم يجاوزن مقامهُ ويفضلونهُ على كل الذين حاربوا اهل الاوهام والخرافات وسالبي اموال الناس بحجة الدين

والثاني قلة الانصاف احياناً فاذا ذكر المرسلين الاميركيين الذين منهم الدكتور فان ديك ذكرهم « حاف » واذا ذكر الجزويت قال اليسوعيون الافاضل. واذا ذكر الروم الارثوذكس قال الروم غير الكاثوليك كأن كلمة ارثوذكس (اي مستقيمي الرأي) تثقل على طبعهِ . وافرد سطرين للكلام على المطبعة الاميركية في بيروت ونصف صفحة للمطبعة الكاثوليكية . وذكر مطابع الفرنسيسيين في القدس ولم يذكر مطبعة الارثوذكس . الى ان قال « ومن هذه اللمحة الخفيفة التي القيناها على تاريخ الطباعة يتضح جلياً لكل ذي عينين ما لرجال الدين الكاثوليكي من المآثر الغراء والمساعي المشكورة في تمهيد السبل لهذهِ النهضة الشريفة وتوفير

اسبابها الخ » اما الروم الارذكس والبروتستانت فشأنهم صغير في عينيهِ على ما يظهر وقلما ذكر احداً من نوابغهم واذا ذكر غيرهم وضعهم في السماء السابعة ولو لم يكن بعضهم على شيء يؤهلهُ للذكر في هذا الكتاب

الامر الثالث قلة التدقيق احياناً في ما يسهل التدقيق فيهِ . فلما ذكر المقتطف مدحهُ مدحاً نشكرهُ عليهِ جزيل الشكر ولكنهُ اضاف الى اسمي منشئيهِ اسم اخينا المتوفَّى شاهين مكاريوس وسماهُ ابكاريوس وابكاريوس رجل آخر وهو مؤلف القاموس الكبير الانكليزي والعربي والتاريخ المسمَّى قطف الزهور ولكنهُ لم يذكرهُ مع غيرهِ من المؤلفين . ومما يدل على قلة تدقيقهِ ايضاً ما نسبهُ الى المقتطف من انهُ « يصوب سهام الطعن والوقيعة الى العقائد المقدسة بدعوى العلم وحرية البحث » . فاننا نؤكد لحضرتهِ انهُ لو طالع مجلدات المقتطف كلها من اولها الى آخرها ما وجد فيها طعناً ولا وقيعة بعقيدة مقدسة لاننا من احرص الناس على احترام العقائد . وهذه الهنات يسهل اصلاحها في الطبعة الثانية من الكتاب

هذا من قبيل الامور غير الجوهرية التي لا تمسُّ جوهر الكتاب في نظرنا اما الامران الجوهريان فاولهما ادخال كثيرين من الذين لا شأن لهم في تاريخ الادب فاننا نفهم بتاريخ الآداب العربية تاريخ الشعر والانشاء والمشهورين من الشعراء والمنشئين الذين يقوم بهم تاريخ الآداب العربية كامرىء القيس والمتنبي والجاحظ والحريري واليازجي والشدياق والبستاني للدلالة على سهم كلٍ منهم في الآداب العربيَّة . اما سائر المؤلفين من المؤرخين والاطباء والفلاسفة والمترجمين فلا نرى موجباً لذكرهم في هذا الكتاب

والثاني ان تاريخ علم من العلوم يجب ان يدور على تدرُّج ذلك العلم سواءٌ كان في التقدُّم او التأخُّر او البقاء على وتيرة واحدة . فاذا الَّفنا كتاباً في تاريخ الطب وجب ان نأتي فيهِ بما يدلُّ على نشوء الطب وتدرجهِ الى ان بلغ الدرجة التي وصل اليها الآن ونذكر الاطباء الذين انشأُوا صناعة الطب ورقَّوها للدلالة على نصيب كلٍ منهم فيها . وقس على ذلك تواريخ كل العلوم والفنون فاذا كانت الآداب العربية قد وجدت وتدرَّجت وترقت فلها تاريخ يستحق ان يكتب حتى يعلم مَن يطلع عليهِ كيف نشأَت وكيف تدرجت في سبيل الارتقاء . وفي هذا الكتاب شيءٌ من ذلك في فواتح فصولهِ المختلفة ولكن الاختصار في هذه الفواتح والاسهاب في ذكر الرجال وعدم الاشارة فيما يستشهد بهِ من اقوالهم الى انهُ مثال جيّد بهِ لتأييد القضايا التي ذكرت في الفاتحة كل ذلك يصرف الذهن عن الغرض الجوهري المقصود بالذات وهو تاريخ الآداب الى غرض آخر عرَضي وهو تاريخ الادباء انفسهم

ولكن ينازع قوم في ان للآداب العربية تاريخاً اي تدرُّجاً من حال الى حال ويقولون ان الانشاء العربي وضعت اصولهُ منذ الف وثلثمائة سنة بل قبل ذلك وان البليغ من شعر عصرنا هذا يجب ان لا يفرق عن شعر امرء القيس والبليغ من انشاء كتَّابنا الآن يجب ان لا يفرق عن انشاء عبد الحميد . ولا يظهر ان المؤلف من هذا الرأي فحبذا لو بنى كتابهُ كلهُ على هذه القضية واثبتها بايضاح تاريخ الآداب العربية من اول نشأتها الى الآن والدرجات التي مرَّت عليها واسباب هذا التدرج ولهُ الفضل على كل حال

الرمد في القطر المصري

صدر التقرير السنوي الثالث عن معالجة داء الرمد في القطر المصري سنة ١٩١٤ وفيهِ انهُ انشئ في القطر بين سنة ١٩٠٤ و ١٩١٤ ستة عشر مستشفًى في اماكن مختلفة من هذا القطر واثنان من هذه المستشفيات ينفق عليهما من ريع الهبة التي وهبها السر ارنست كاسل وهي اربعون الف جنيه . واثنان آخران تنفق عليهما مجالس المديريات وثمانية تنفق عليها الحكومة واثنان اقفلا لقلة النفقات . وقد كلَّف انشاء هذه المستشفيات ٦٨ الف جنيه دفعت منها الحكومة ١٧ الفاً والباقي وهو ٤٩ الفاً جاء من الهبات والاشتراكات ومما دفعتهُ مجالس المديريات

وقد وجد بالاختبار انهُ يمكن ان يبنى مستشفى دائم للرمد باربعة آلاف جنيه ويكون كامل العدة كافياً لستة عشر مريضاً يناموت فيهِ ولكل المرضى الذي يأتون للعلاج ولو بلغ عددهم ٢٠٠ او ٣٠٠ يومياً

وتوجد المستشفيات الدائمة الآن في البحيرة والغربية والمنوفية والدقهلية والشرقية والفيوم وبني سويف والمنيا واسيوط وسوهاج ولكنها لا توجد في القليوبية ولا في الجيزة ولا في قنا ولا في اصوان . وحبذا لو اهتمَّ المزارع الكبير صاحب السعادة ابرهيم باشا مراد ببناء مستشفًى للرمد في القليوبية ووقف عليهِ ما ريعهُ كافٍ للقيام بنفقاتهِ او بنصفها . واهتمَّ غيرهُ من اغنياء المديريات الاخرى بانشاء المستشفيات فيها فان عدد المصابين في عيونهم كثير جدًّا . ويقال في هذا التقرير انهُ عُمل في غضون السنة اكثر من اربعين الف عملية في العيون . وقد بلغ عدد الذين فحصت عيونهم ٧٥٣٩٨ وعدد الذين عولجوا منهم ٠٥٠ ١٢٦ ومن الذين فحصت عيونهم وجد ٣٥٩١ من العمي و ٦٤٢٥ من العور . وبلغ عدد المرات التي تردد فيها المستشفون على المستشفيات ٦٨٦٠١٢

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤَالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) اي الاعمال اصلح

اجا دقهلية · لبيب افندي رمزي · بماذا تشيرون على والد مصري يريد تربية ابنهِ هل يعدهُ للزراعة ولا اطيان لهُ او للصناعة وانتم تعلمون حالتها عندنا او للتجارة ولا رأس مال لهُ او للاستخدام ولا يخفى صعوبة طريقهِ فضلاً عما فيهِ من الذلة والقضاء على المواهب

ج · الغالب ان يظهر في الولد ميل طبيعي الى عمل من هذه الاعمال فعلى والدهِ اذا استحسن هذا الميل ان يقويهُ فيهِ ويعدهُ لهُ ثم يدخلهُ فيهِ · اتانا بالامس شابٌ وقال يظهر لي انكم لم تعرفوني فقلنا كلاّ فقال « انا كنت من العمال الصغار في مطبعتكم منذ سبع عشرة سنة وكان راتبي خمسة غروش في اليوم وقد تعلمتُ اللغة الفرنسوية بعد ذلك في مدرسة ليلية واتقنتها وتعلمت التجارة ومسك الدفاتر في مدرسة ليلية اخرى واستخدمت في محل تجاري كبير وراتبي فيهِ الآن عشرون جنيهاً اعيش منها بالراحة مع زوجتي وصرت من المدرسين في مدرسة التجارة وتعلمت الحقوق في المدرسة الفرنسوية لكي استعين بالمعارف القانونية في اعمالي التجارية » · والفقر لم يمنع مجتهداً من تسنم اعلى المراتب · ولا نرى مسوّغاً لما تبذمّ بهِ الاستخدام فان المستخدم المجتهد الامين يفيد ويستفيد ويرقى من المناصب ما لا يرقاهُ غيرهُ

(٢) مدرسة تعلم الطب للبنات

ومنهُ · هل في القطر المصري مدرسة سواء كانت اميرية او اهلية تعدُّ الفتيات لنيل شهادة الطب العالية

ج · كلاّ

(٣) قاموس طبي عربي

ومنهُ · وهل تعرفون قاموساً طبيًّا في العربيَّة على نسق القواميس الافرنجيَّة الموضوعة لذلك

ج · كلاّ

(٤) راتب ملك اليونان

ملوي · زكي افندي ناشد مركس · قرأنا في المقطم الصادر في ١٦ دسمبر ان بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا كانت تدفع

كلٌّ منها لملك اليونان اربعة آلاف جنيه في السنة وقد قال وزير خارجية انكلترا ان هذه الدول الثلاث كفَّت عن دفع المبلغ المذكور منذ وفاة الملك جورج (اليوناني) فنرجو التكرُّم بافادتنا عن تاريخ هذه الهبة واسبابها وما سبب حبسها عن ملك اليونان الحالي

ج . لما اختارت الجمعية العمومية اليونانية ابن ملك الدنمارك ملكاً على اليونان سنة ١٨٦٣ قطعت لهُ راتباً سنوياً مقدارهُ ١١٢٥٠٠٠ دراخمة اي نحو ٤٣ الف جنيه فتبرعت كلٌّ من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا باربعة آلاف جنيه زيادة على هذا الراتب حتى يصير ٥٢ الف جنيه وذلك قصد المساعدة لا غير. والظاهر انهنَّ قصدن حينئذٍ ان تكون هذه المساعدة خاصَّة بالملك جورج ما دامت بلاد اليونان صغيرة فقيرة فلما توفي واتسعت بلاد اليونان بما ضمَّ اليها من املاك تركيا رأين ان يقطعن هذه الاعانة عن ملكها الحالي

(٥) الغسل بالماء البارد

ومنهُ . هل الافيد صحيًّا لابن وادي النيل ان يغسل وجههُ ورأسهُ صباحاً في فصل الشتاء بالماء البارد او بالماء الفاتر وكم مقدار الفترة بين القيام من النوم وغسل الوجه والرأس

ج . الغرض الاول من غسل الوجه والرأس النظافة فالماء الفاتر اصلح لها من البارد ولا بدَّ من استعمال الصابون في الحالين . ثم اذا كان الماء بارداً وحدث بعدهُ رد فعل كما يحدث غالباً وامكن الاكثار من الصابون فهو مفيد كالماء الفاتر او افيد منهُ ولكن اذا لم يحدث بعدهُ ردُّ فعل ولا بالفرك بالمناشف فالماء الفاتر افيد . ولا ضرر من غسل الانسان وجههُ حالاً بعد القيام من النوم ولا فائدة من التأخير

(٦) دواء لتحسين الصوت

طنطا . محمد افندي حمدي . ارجو التكرُّم بافادتي عن دواء او علاج لتحسين الصوت او الاوتار الصوتية لان صوتي حتى في الكلام العادي اراهُ خشناً جافاً كصوت الشيوخ مع صغر سني

ج . يظهر لنا من سؤالكم ان في اوتاركم الصوتية شيئاً من الغلظ او الارتخاء ونرجح انكم تستفيدون من اراحة صوتكم وتوسيع صدركم بالرياضة اليومية اي بالوقوف امام شباك يومياً واستنشاق الهواء النقي ومحاولة توسيع الصدر بهِ بالاقعنساس بعد تخفيهِ . ومعالجة الحلق باستنشاق كلوريد النشادر والغرغرة بمذوب كلوريد البوتاسيوم او مذوب الملح والدهن بصبغة اليود . والافضل ان تقصدوا طبيباً اختصاصياً بامراض الحنجرة ليعالجكم . ومتى وضعت الحرب اوزارها فاقصدوا بلاداً هواؤُها حار معتدل الرطوبة خالٍ من الغبار كبعض سواحل سورية واقيموا فيها بضعة اشهر فقد يصطلح صوتكم بذلك

(٧) دواء للشيب

مصر . اسعد افندي مرجان . لقد تفضلتم بنشر عدة وصفات لتقوية الشعر في مقتطف يوليو الماضي فهل تتكرمون بافادتنا عن وصفات اخرى تزيل الشيب خصوصاً اذا كان في اوائلهِ

ج . لا دواء للشيب ولا علاج لهُ ولا يخفيهِ غير الصبغات المعروفة فانها تلون الشعر الشائب بلون اصفر او اشقر او اسود حسب نوعها ولكن هذا اللون يزول رويداً رويداً والشعر الشائب يطول من اصولهِ كما يطول غيره' فما يطول منهُ يكون ابيض

(٨) دخل الام وثروتها

دمياط . مصطفى افندي اللوزي . كيف يحصى دخل الام وثروتها

ج . ان الحكومات الاوربية والاميركية تضرب على رعاياها ضريبة تسمَّى ضريبة الايراد تؤْخذ منهم سنويًّا ويضطر كل واحد ان يخبر الحكومة بمقدار ايرادهِ السنوي او هي تقدّرهُ تقديراً واذا ادَّعى احد انها قدَّرت دخلهُ باكثر مما هو حقيقةً اضطر ان يطلعها على دفاترهِ وكل المستندات التي يُعلَم منها مقدار دخلهِ بالتدقيق وبذلك يعرف دخل الناس بما يمكن من التدقيق . وفيها ايضاً ضريبة اخرى هي ضريبة التركات وبموجبها تحصر تركات كل الذين يموتون سنويًّا . وعدد الذين يموتون سنويًّا جزء محدود من عدد السكان فاذا كان متوسط العمر في بلاد اربعين سنة فجزءٌ من اربعين من السكان يموت كل سنة فاذا بلغ مجموع تركات الذين يموتون في السنة في فرنسا ثلثمائة مليون جنيه مثلاً وكان متوسط العمر فيها اربعين سنة فهذا المبلغ هو جزءٌ من اربعين من ثروة اهالي فرنسا وعليهِ فالثروة ٤٠ × ثلثماية مليون اي ١٢ الف مليون جنيه

(٩) اصل العوالم

الاسكندرية . الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية . لماذا وجدت هذه العوالم ولمَ خُلق الانسان واين كانت مادة العوالم قبل خلقها

ج . ان علوم الانسان لا تصل الى حل هذه المسائل ولكن اهل الفلسفة لا يعسر عليهم ان يفرضوا لها اجوبةً مختلفة مبنية على ما يرى في العالم المادي فيقولون ان الله اوجد العوالم لتمجدهُ او لتدلَّ على قدرتهِ بناءٌ على ما يظهر فيها من احكام الصُنع البديع ولأن الصانع الحكيم لا بدَّ لهُ من غرض يتوخاهُ من اعمالهِ لئلاَّ تكون من قبيل العبث . وان مادة الكون غير قديمة والاَّ شاركت الله في الازلية فاوجدها الله من العدم

(١٠) اقوى المكروسكوبات

ومنهُ . كم تكبر اقوى المكروسكوبات الاشياء عن حجمها الطبيعي

ج . تكبر قطرها الفي مرة الى ثلاثة

آلاف فاذا كبرتهُ الف مرة فقط فيكون السطح قد كُبّر مليوني مرة اي ان ما سعتهُ سنتمتر مربع تصير سعتهُ مئتي متر مربع

(١١) المقتطف الصغير

ومنهُ . ما هو المجلد الصغير من المقتطف ولماذا اصدرتموهُ

ج . كان في الجزء من المقتطف عند اول صدورهِ ٢٤ صفحة وفي السنة السادسة زدنا حجمهُ فجعلناهُ ٦٤ صفحة وزدنا ثمنهُ ايضاً ولكننا جعلنا نطبع من كلّ جزءٍ جزءًا نحذف منهُ بعض الفصول العلمية والادبية وابقينا ثمن هذا الجزء الصغير رخيصاً كما كان وواظبنا على ذلك الى آخر السنة الثامنة فلكل سنة من السنوات السادسة والسابعة والثامنة من المقتطف مجلد كبير ومجلد صغير مختصر من الكبير

(١٢) المكاتب العمومية

ومنهُ . مَن اول من انشأ المكاتب العمومية ومتى كان ذلك

ج . المرجح ان مصر سبقت غيرها الى انشاء المكاتب العمومية وذلك منذ نحو ستة آلاف سنة وكانت مكاتبها سجلات لاعمال ملوكها وتعاليم كهنتها ووصف البلدان التابعة لها



وفيات الاعلام

بين مشاهير المتوفين في اواخر السنة الماضية الاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس وبين تلاميذهِ كثيرون من اطباء هذا القطر . وقد عرفهُ المصريون شخصياً عند اشتراكهِ في المؤتمر الطبي الذي عقد في القاهرة سنة ١٩٠٢ . ولد سنة ١٨٣٧ فيكون عمرهُ عند وفاتهِ نحو ٧٨ سنة . وعين استاذاً للباثولوجيا في الجامعة المذكورة سنة ١٨٧٣ . وفي ١٨٨٧ عين عضواً في المجمع العلمي المعروف (الانستيتو) . وبعد ذلك انعم عليهِ بنشان اللجيون درنور وانتخب رئيساً لاكادمية العلوم الفرنسوية . ومن اشهر مؤلفاتهِ كتاب في الباثولوجيا يعلَّم في مدارس الطب الفرنسوية اينما كانت

ومنهم المستر بوكر وشنطن العالم الزنجي ورئيس المجمع العلمي للزنوج في تسكجي بولاية الاباما . وقد دأب في تعليم الزنوج

قومهِ وجعل همَّهُ رافع شأنهم الادبي والعلمي فعاد سعيهُ بفائدة لا تقدر من هذا الوجه · وكان عمرهُ عند وفاتهِ ٥٦ سنة وقد نشرنا ترجمتهُ وترجمة زوجتهِ وصورتيهما في المجلد الرابع والعشرين من المقتطف تحت عنوان « الفاضل فاضل ولو عبداً اسود »

ادراك النبات

صدر كتاب بالانكليزية في علم النبات لمؤلفهِ المستر دكسون قال فيهِ : ان النباتات تبصر وتسمع وتذوق وتشعر وتمشي وتسبح وتركض وتطير وتثب وتنصب الشراك وتصيد الاسماك · وتزين انفسها قصد اجتذاب الانظار اليها · و « تبودر » وجوهها « اي تمسحها « بالبودره » · وتقلد الطيور والافاعي والحجارة · وتلعب بعض الالعاب التي يلعبها اولادنا · وتحمي صغارها ثم تزج بهم في معترك العالم حيث يعتنون بانفسهم ويعملون جميع الاعمال التي نعملها نحن »

قالت مجلة نانشر في نقد هذا الكتاب : ولا نلوم المؤلف على حسبان النباتات احياء عاقلة — فان حجج انصار هذا المذهب قوية — ولا على قولهِ ان حواسها سبع ولا على اشارتهِ الى عقولها ونفوسها · بل نلومهُ لان اقوالهُ هذه تحمل الساذج على الظن ان النباتات تتصرف في شؤون هذه الحياة الدنيا تصرف الآدميين · وهذا ليس بصحيح فان هذا التصرف ابعد عن القوة المدركة التي تميز الانسان عن سائر الاحياء من السليقة التي خصَّ بها الحيوان »

صوت المدافع

يظهر من اقوال بعض كتاب الانكليز ان صوت المدافع في البلجيك يسمع في بعض قرى انكلترا القريبة من الساحل الجنوبي والشرقي · فقد كتب احدهم يقول انهُ سمع صوت المدافع التي تطلق في ابرمن منزلهِ في تشلسفورد والبعد بين المكانين ١٤٠ ميلاً

وكتب آخر رسالة قال فيها : يصعب عليَّ ان اقول هل اسمع اصواتاً تدخل الاذن او اشعر بهزات تعرو جسمي كلهُ · والحق يقال ان ما اشعر بهِ هو اقرب الى الاهتزاز والارتجاج منهُ الى سماع الاصوات »

اميركا صيدلية نفسها

انشأت السينتفك اميركان مقالة بهذا العنوان وصفت فيها المعرض الوطني الذي اقيم في نيو يورك في سبتمبر الماضي للصناعات الكيماوية · ومما قالتهُ فيها ان هذا المعرض يدلُّ اجلى دلالة على تقدم صناعة المواد الكيماوية والعقاقير والاصباغ في اميركا بعد حصر المانيا البحري ومنعها من اصدار هذه المواد الى الخارج · ولهذا المعرض ثلاثة فروع : الاول ما اختصَّ بالمواد الكيماوية

والمعادن والعقاقير والاصباغ وما اشبه · والثاني ما اختص بالادوات والعدد اللازمة للمعامل الكيماوية · والثالث ما اختص بالآلات اللازمة للمعامل والمصانع الكبرى التي تصنع الادوية وتستخرج المعادن وما شاكل ذلك · ومن اهم معروضات المعرض مواد مستخرجة من بزر الكرز والزبيب والمشمش

نيزك هائل

ظهر في الجنوب الغربي من انكلترا نيزك هائل وصفهُ بعضهم بقولهِ: رأى النيزك كثيرون · ومعظمهم شاهدوا في بادئ الامر نوراً اضاء بهِ الجوّ والارض فالتفتوا ليعلموا سبب ذلك النور فرأوا النيزك او الخط المنير الذي تركهُ وراءهُ وبقي هذا الخط ظاهراً برهة تختلف بين دقيقتين وعشرين دقيقة

ويقال ان نورهُ فاق نور البدر الكامل · وكان اول ظهورهِ على شكل عارضة بين الدليلين (هما انور نجمين في صورة الدب الاكبر او بنات نعش الكبرى) ونجم القطب او الجدي (في صورة الدب الاصغر او بنات نعش الصغرى)

حجر الفيروز

بحث الدكتور بوج مدير المتحف الاميركي سابقاً في الفيروز وتاريخهِ وتكونهِ وسائر ما يختص بهِ · فزار لهذا الغرض اكثر متاحف اميركا واوربا ومكاتبهما الكبرى ثم كتب تاريخاً ضافياً لهذا الحجر الكريم · وقد جاء في بحثهِ الجيولوجي عنهُ فصل طويل عن تكونهِ في جميع البقاع التي اشتهر وجودهُ فيها وخصوصاً بلاد ايران وشبه جزيرة سيناء والانحاء الجنوبية الغربية من اميركا كولايات نيومكسيكو واريزونا وكليفورنيا ونفادا وكولورادو حيث تخرج حجارة تضاهي الفيروز الفارسي في بهائها ورونقها · ويؤخذ مما كتبهُ عن تكون الفيروز انهُ يتكون بتحلّب الماء الذي على سطح الارض وسط صخور الومينية فيها فوصفات الكلس ونحاس

وقال في تاريخهِ ان الاسبان الاولين اطلقوا اسم الفيروز على بضعة حجارة خضراء وان هنود غربي اميركا خلطوا بين الفيروز واليشب او اليشم

الشفق القطبي

الشفق القطبي ظاهرة جوية كهربائية تظهر في جهات قطبي الارض الشمالي والجنوبي وقد يمتد الشفق الشمالي جنوباً الى سورية ومصر وبلاد العرب ولو كانت بعيدة عن القطب بعداً شاسعاً · ففي ٥ نوفمبر الماضي بين الساعة $٦\frac{١}{٢}$ و $٧\frac{١}{٢}$ بعد غروب الشمس شوهد هذا الشفق في الافق الشمالي من البلاد الانكليزية على شكل قوس منيرة غير

منتظمة الشكل لونها بين اصفر وورديّ وليموني · وكانت دائمة الارتجاف والارتعاش «كالمرآة في كف الاشل» فبعض شعاعها يتحرك شمالاً وجنوباً وبعضهُ شرقاً وغرباً · وبين الساعة ٦ ودق ٥٠ والساعة ٧ ظهرت اشعة باهرة خلال القوس وكان كل منها يتلألأ نحو نصف دقيقة ثم يتضاءل ويزول فيحل غيرهُ محلهُ · وكانت هذه الاشعة تتحرك حركة بطيئة ذات اليسار على شكل دائرة كما لو كانت اسنان دولاب يتحرك

ترياق سم الافاعي

قتلت الافاعي السامة في الهند نصف مليون انسان في ٢٥ سنة آخرها سنة ١٩١١ اي عشرين الف نسمة في السنة · وقد هال هذا المقدار رجال المروءة فقاموا يبحثون منذ زمن طويل في وسيلة لدفع هذا الشر او تخفيفهِ · وسعى البعض اخيراً في عمل ترياق لسم صنف من اصناف الافاعي التي اشتهرت بخبثها فوفق الى ذلك · وقد استحضر هذا الترياق في مستوصف كيماوي بمدينة بمباي وطريقة استحضارهِ هي انهم يستخرجون السم من الصل الناشر ويلقحون بهِ الخيل مدة سنتين وهم يزيدون الحقنة على التوالي فتحصل الخيل على المناعة من ذلك السم ويصبح مصلها ترياقاً لهُ · ويقال انهُ يشفي كل ملسوع يلقح بهِ بشرط ان يلقح بهِ حالاً بعد اللسعة

تشارلس ولستون

توفي اول من مدَّ سلك التلغراف في البحر تشارلس ولستون فانهُ نال امتيازاً من نبوليون الثالث بمد سلك التلغراف في البحر بين انكلترا وفرنسا وشرع في ذلك في ٢٨ اغسطس سنة ١٨٥٠ وكان ذلك السلك شريطاً واحداً دقيقاً قطرهُ عشر عقدة مغطى بالكوتابرخا فمدَّ في يوم واحد ونقل الكلام عليهِ بين انكلترا وفرنسا اول مرة ولكن لم يمضِ عليهِ ثلاثة ايام حتى تلف وكان ثقلهُ خمسة اطنان غير انهُ ثبت منهُ امكان التخاطب بالتلغراف الممدود في قاع البحر · وفي العام التالي صُنع سلك ثخين مغطى بالكوتابرخا والقنب والسلك المموه بالزنك وكان ثقلهُ ٢٠٠ طن فمدَّ في البحر واستعمل لنقل الاشارات التلغرافية بين انكلترا وفرنسا في ١٣ نوفمبر سنة ١٨٥٢ · وكان عمر المستر ولستون حين وفاتهِ ٩٥ سنة

ترميم مدينة مسينا

يذكر القراء الزلزلة الهائلة التي انتابت مدينة مسينا عاصمة جزيرة صقلية سنة ١٩٠٨ فتركتها اطلالاً دارسة وقتلت الالوف من اهلها · وقد جاء في تقرير قنصل اميركا فيها ان ترميمها قائم على قدم وساق وان المدينة الجديدة تبنى كلها من الخرسانة المسلحة اذ قد دل الاختبار انها تقوى على احتمال الهزات الشديدة

نفقات فرنسا

في الحرب الحاضرة

قال المسيو ريبو وزير مالية فرنسا من خطبة القاها في مجلس النواب ان نفقات فرنسا منذ بدء الحرب الحاضرة الى اواخر سنة ١٩١٥ تقدر بنحو ٢٨ ¾ مليار فرنك تقسم كما يلي :

اولاً ٢٠١٨٥٧٧٦٣٤٠ نفقات حربية بحتة

ثانياً ١٨٨٨٣٥٥٤٣٦ للديون العمومية

ثالثاً ٣١٩٠٥٢٦٣٨٠ نفقات مشتركة

رابعاً ١٨٦٨٠٠٠٠٠ لتموين غير المحاربين

خامساً ٢٣٦٣٥٠٩٢٨٥ مصاريف اخرى

وقدر المسيو ريبو نفقات فرنسا في الاشهر الثلاثة الاولى من سنة ١٩١٦ بمبلغ ٧ مليارات و٥٢٣ مليوناً تقسم كما يلي

اولاً ٥٣٥٦٧٧٠٦٦٢ نفقات حربية بحتة

ثانياً ٥٦٠٧٣١٦٦٤ للديون العمومية

ثالثاً ٨٤٧٧٤١٤٥٠ مصاريف مشتركة

رابعاً ٧٥٧٨٥٣٠٣٤ مصاريف مختلفة اخرى

فيكون مجموع ما انفقته وتنفقهُ فرنسا على هذه الحرب من اول اغسطس سنة ١٩١٤ الى اواخر مارس من هذه السنة ٣٦ ملياراً و٢٣٨ مليون فرنك او نحو ١٥٠٠ مليون جنيه

الجراد في فلسطين

جاء في تقرير قنصل اميركا في القدس ان فلسطين نكبت في السنة الماضية بجراد لم يرَ الجيل الحاضر مثلهُ في كثافة جيوشهِ. فقد غطت ارجالهُ الحقول وامتدت منها الى اسواق القدس فكان منظر الشارع الذي امام القنصلية الاميركية وجيوش الجراد السوداء والخضراء زاحفة فيهِ كمنظر نهر جارٍ. ويظهر انهُ التهم كل خضراء ويابسة من غابات الزيتون وبساتين الاثمار والكروم ومعظم المواسم الصيفية. وفي اوائل السنة عينت الحكومة العثمانية لجنة لمكافحتهِ برئاسة الدكتور هرون هرونسن مدير حقول الاختبار الخاصة باليهود. واصدرت امراً يقضي على كلّ ذكر من السكان بين سن ١٥ و ٦٠ ان يجمع ٢٠ كيلواً من الجراد او يدفع بدلاً قدرهُ ليرة عثمانية. ولكن هذا التدبير وغيرهُ من التدابير الشديدة لم تجد نفعاً

حكم اميركية

الحكيم لا يقطع المنشار من يدهِ اكثر من اصبع واحدة (وهو مثل لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)

توخَّ الاغراض العالية فان السهم الذي يصيب خشبة على الارض يصيب نسراً في السماء

اذا اراد الشيطان ان يقبض بيدهِ على انسان اقنعهُ ان شرب قليل من المسكر لا يضرُّهُ

مَن عاش عيشة ترضي ابليس فهو على حافة الهلاك سواءٌ كان مقامراً او عالماً من علماء الدين

لا شيءَ يقي الانسان من الخراب مثل حبهِ لزوجتهِ وولدهِ

استعن بمن فوقك وأَعِن مَن دونك

المخط بالطبع اذا حاولت رفعهُ زاد انحطاطاً

مَن لا اله لهُ لا يُعنى بشيءٍ

من لا غرض لهُ لا يصيب شيئاً

مَن لا يتعلم من اغلاطهِ تعجز المدارس عن تعليمهِ

المرأة التي تتزوج رجلاً فاسداً لتصلحهُ تجهل قوة الطباع

التحول من الخصب الى الجدب

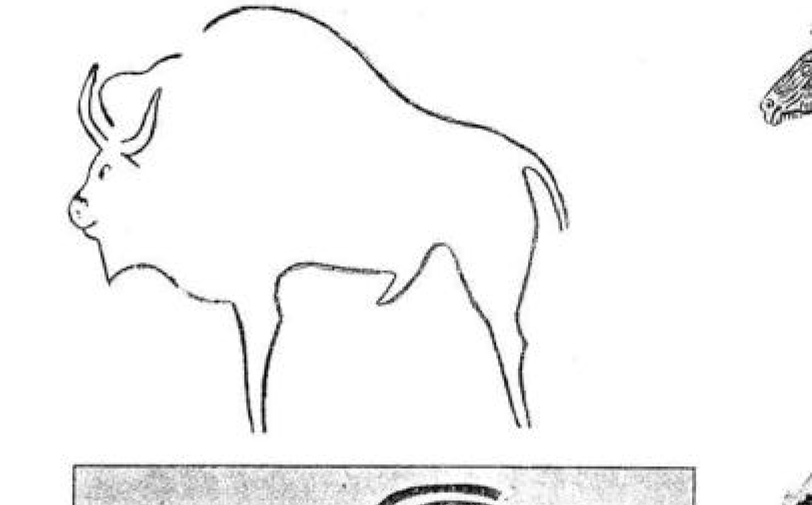
في الترنسفال جهة تسمى ورتسبرج كان المثل يضرب بها في شدَّة الخصب في تلك الانحاء وهي الآن قفر بلقع فقد جفَّت انهارها وينابيعها ويبست جنائنها وكرومها وغادرتها انواع الحيوان التي كانت تمرح في غياضها ورياضها ولم يبقَ فيها الاَّ الحمائم اي الينابيع الحارة الماء ومنها يستقي السكان

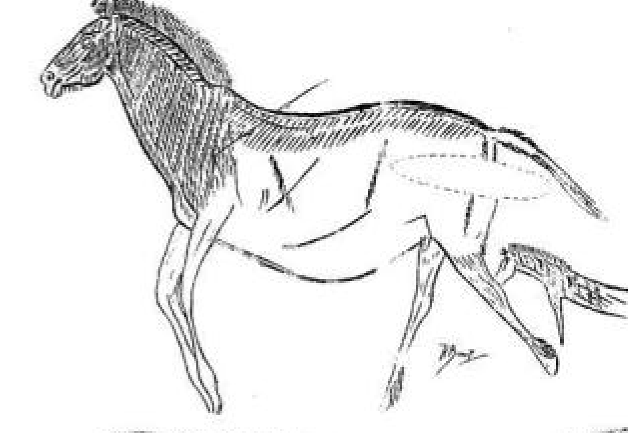
هبات اميركية

اوصى المستر يستس هتشكس بمليون ريال لمدرسة يايل الجامعة . ووهب يعقوب شف كلية برنرد خمس مئة الف ريال . ووهب رجل اخفى اسمهُ جامعة كليفورنيا مئة الف ريال . واكبر الهبات الحديثة ما اوصى بهِ المستر اموس انو لجامعة كولمبيا وهو ثلاثة ملايين ريال ولكن يقال ان ورثتهُ عارضوا في هذه الهبة

ورق المقتطف

كان من جنايات هذه الحرب على المقتطف ان احدى غواصاتها اغرقت السفينة التي كانت تحمل الورق المعد لطبع هذا الجزء فاضطررنا ان نؤخر طبعهُ اياماً لعلَّ الورق الذي طلبناهُ بدلاً منهُ يرد في ميعاد قريب ولما رأينا ورودهُ في الميعاد غير محتمل طبعنا اكثر هذا الجزء على ما وجدناهُ من الورق وهذا عذرنا عن تغيير ورقهِ وتأخر صدورهِ





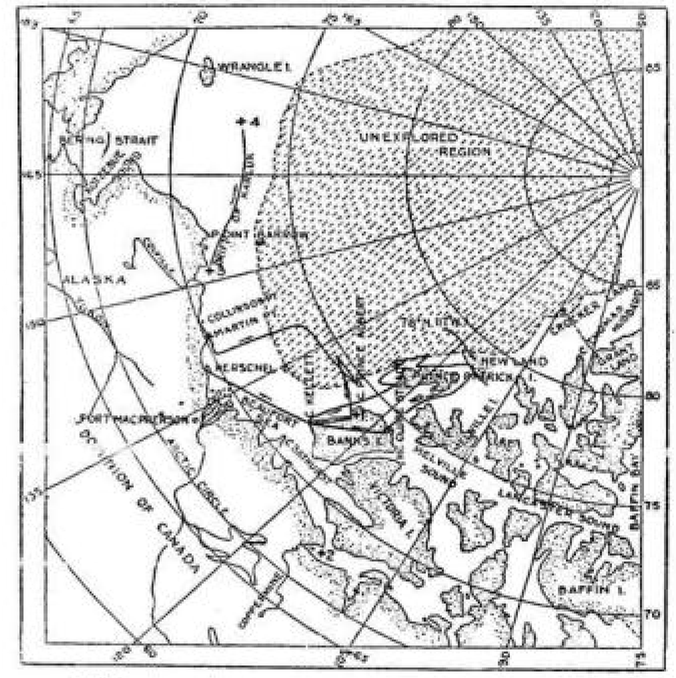


رسم فرس ومهرها وجاموس ورجلي وعل وامرأة ملقاة امامهُ ورسم وعلين آخرين وكلها من رسوم الاقدمين قبل التاريخ

مقتطف يناير ١٩١٦ امام الصفحة ٤٥

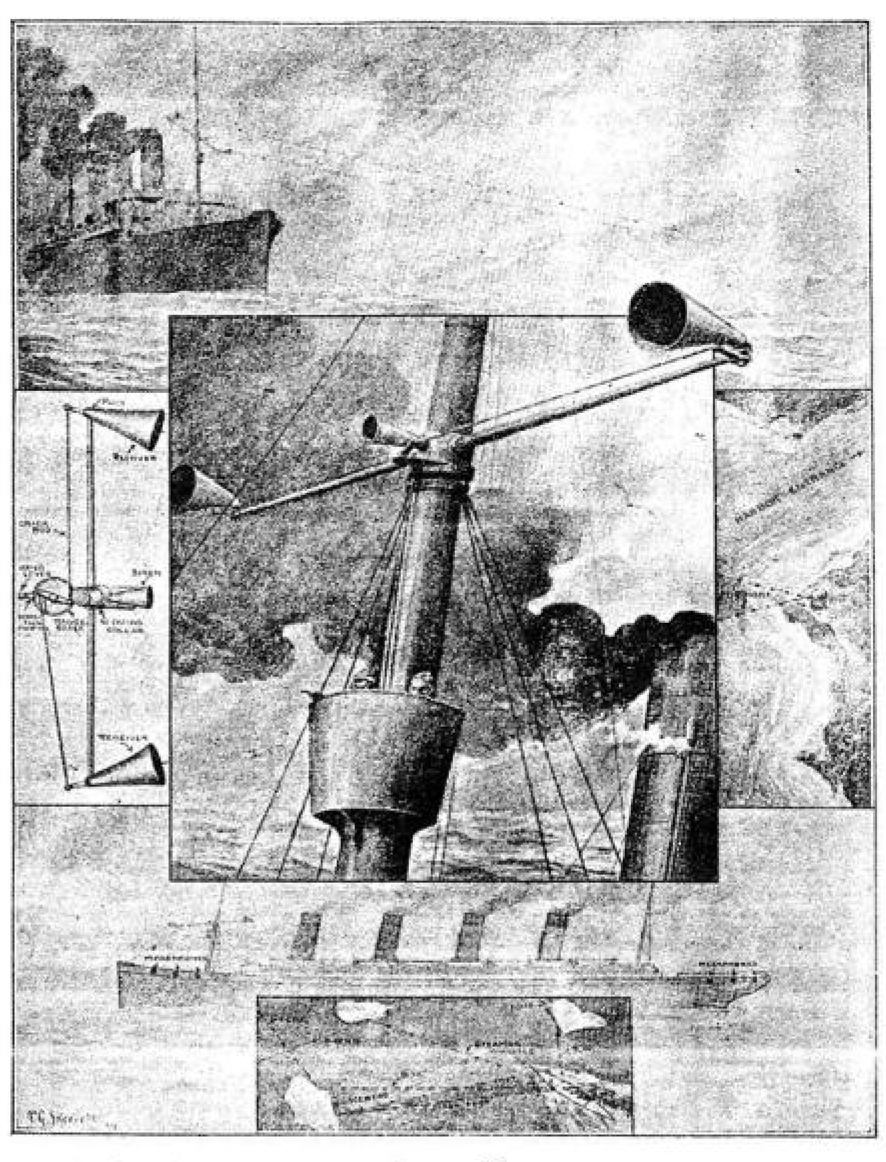


الرحالة ستيفنسن



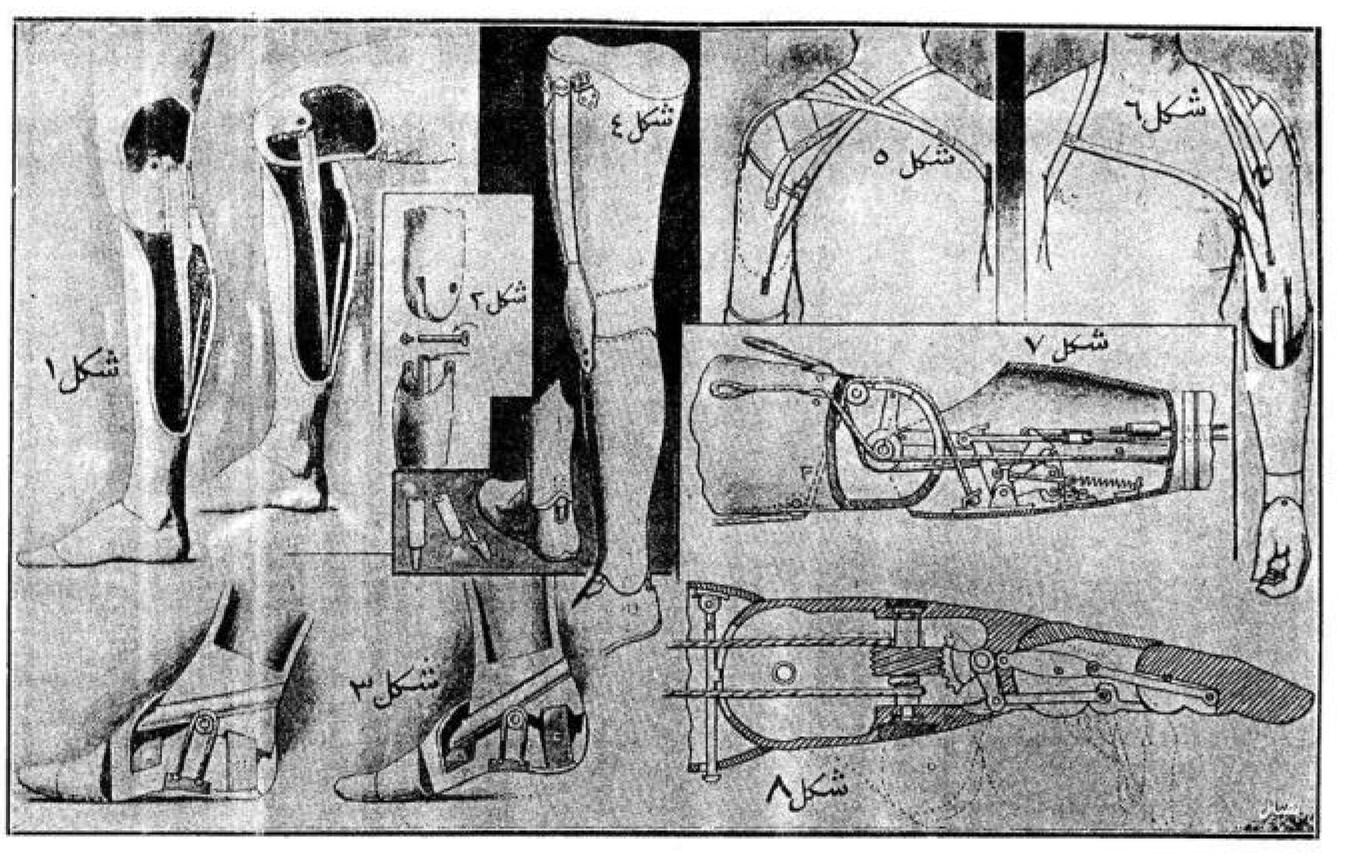
مقتطف يناير ١٩١٦

امام الصفحة ٤٩



آذان السفن

مقتطف يناير ١٩١٦
امام الصفحة ٧٩

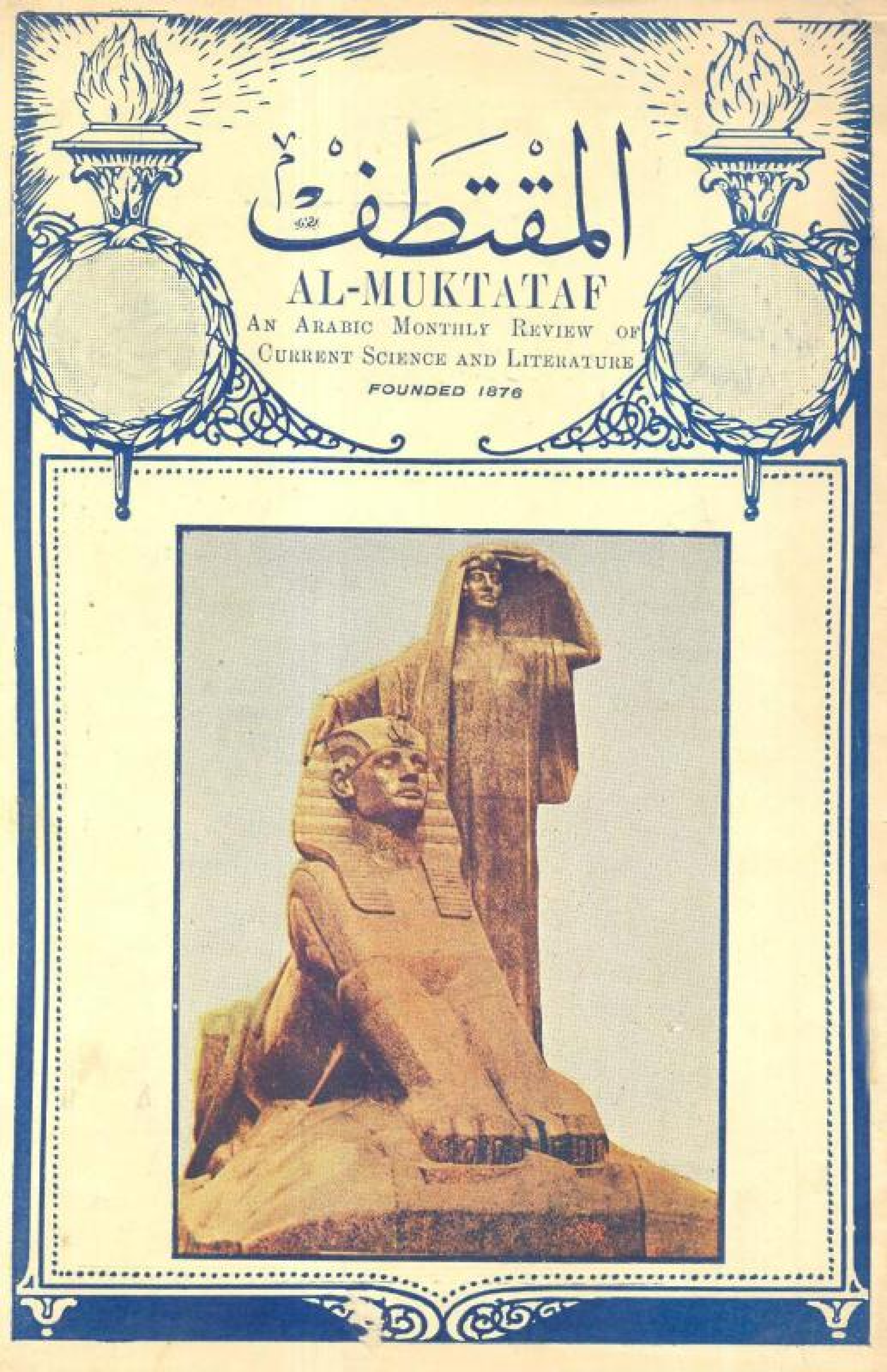


الاعضاء الصناعية

مقتطف يناير ١٩١٦
امام الصفحة ٨٢

فهرس الجزء الاول من المجلد الثامن والاربعين

صفحة



المقتطف
AL-MUKTATAF
An Arabic Monthly Review of
Current Science and Literature
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثاني من المجلد الثامن والاربعين

١ فبراير (شباط) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٧ ربيع الاول سنة ١٣٣٤

مكروب اطالة العمر (١)

[ذكرنا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩١٢ تحت هذا العنوان ما نصهُ « شاع ان الاستاذ متشنيكوف اكتشف في اجسام الكلاب مكروباً يميت المكروبات التي تسبب الشيخوخة وتقصر العمر وعليهِ فهذا المكروب يطيل العمر . و يقال انهُ هو ومساعدهُ الدكتور ولمن اثبتا لما التجارب ان المكروبات التي تسرع الشيخوخة وتقصر العمر تولد وتتكاثر في ابدان الحيوانات آكلة العشب كالغنم والبقر وهي كذلك في الناس الذين يمتنعون عن اكل اللحم و يقتصرون على اكل الاطعمة النباتية ولكنها قليلة في الناس الذين طعامهم نباتي وحيواني معاً . غير ان هذا الاكتشاف لا يزال في حيز النظر »

وقد اطلعنا الآن على مقالة في هذا الموضوع للاستاذ متشنيكوف نفسهِ فصّل فيهِ كيفية اكتشافهِ وما بلغهُ من التحقيق حتى الآن وعلى مقالة اخرى في هذا الموضوع للدكتور هنري سمث وليمس فرأينا ان نترجم الاثنتين لما فيهما من وصف البحث العلمي الدقيق]

مقالة الاستاذ متشنيكوف

حياة الانسان سلسلة من التغيرات المستمرة نهايتها موت خالٍ من الالم بعد عمر طويل هذا اذا لم يطرأ على الانسان طارئ يصرم حبل حياتهِ قبل الوصول الى نهاية هذا العمر والامراض التي تعتري جسم الانسان اكثرها مسبَّب عن المكروبات . واخبث هذه المكروبات ما كان منها مقرهُ المعى الغليظ (من المصارين) فانها تولّد فيهِ سموماً بتخميرها للطعام الذي لم يهضم تماماً او بافسادها اياهُ . واقتك هذه السموم اثنان احدهما الايدول والثاني الفنول وهما مادتان مركبتان تتولدان من خلال المواد الزلالية التي في اللحم والبيض

(١) من مقالتين في مجلة البال مال للاستاذ متشنيكوف، والدكتور هنري سمث وليمس

وبعض البزور والحبوب كالفول واللوبياء والقمح وتفعلان فعل السموم البطيئة . وقد يتعذر على الجسم ان يتخلص من فعلها كما يتخلص من فعل غيرها من السموم البطيئة بتوليد مواد تقاوم فعلها . فاذا كان الانسان صغير السن قوي البنية فقد لا يتمكن هذان السمان من الوصول الى دمهِ والفعل بهِ ولكن اذا ضعف جسمهُ واستمرَّ فعل هذين السمين بهِ ظهرت نتيجة فعلها اخيراً فيهِ . وعليهِ فالشيخوخة نتيجة هذين السمين لا نتيجة طول العمر . وقد اثبتُّ ذلك بالامتحان فاني اطعمت بعض الحيوانات مواد فيها قليل من الفنول فلم يظهر لهُ تأثير في اجسامها في اول الامر ولكن لم تمضِ بضعة اشهر حتى جعلت شرايينها تضعف واكبادها تتصلب وكلاها تلتهب التهاباً مزمناً

ومنذ عهد قريب جرَّب اثنان من المشتغلين معي في معهد باستور وهما اوكوبو الياباني والمسيو درانشنسكي تجارب مثل هذه بالايدول وذلك في الارانب وخنازير الهند والقرود . فاصيبت هذه الحيوانات بعاهات في شرايينها وكلاها واكبادها وادمغتها تشبه ما يصيب الناس في الشيخوخة تماماً في هذه الاعضاء حتى يحق لنا ان نقول ان ما يصيب الشيوخ في سن الشيخوخة ليس ناتجاً عن مجرَّد تقدمهم في السن بل هو بالاكثر نتيجة امتصاص اجسامهم لهذين السمين المتولدين في امعائهم سنة بعد سنة

ولا يخفى ان السموم التي تتولَّد في الامعاء تولّدها فيها المكروبات التي تكون في الامعاء عادة فكيف نُضعف فعل هذه المكروبات او نمنعهُ . وللوصول الى حل هذه المسألة يجب ان نبحث عن الطعام الذي يأكلهُ الانسان فينمي هذه المكروبات حتى تتكاثر في معاهُ . وقد ثبت لنا بالامتحان ان الاطعمة اللحمية تزيد مقدار هذين السمين والاطعمة النباتية واللبنية تقللهُ . ولكن الحيوانات آكلة العشب ولاسيما الخيل يتولد هذان السمان في امعائها بكثرة . اما التجارب التي أجريت في الناس فلم تكن دلالتها واحدة فان الذين اقتصروا على الاطعمة النباتية ولم يأكلوا شيئاً سواها كان تولُّد هذين السمين فيهم اكثر من تولدها في الذين اكلوا طعاماً ممتزجاً نباتيًّا وحيوانيًّا وكان اللحم والبيض كثيرَين في طعامهم

ولما رأينا ذلك اشكل علينا الامر فجعلنا نجرّب في الجرذان البيضاء لان الجرذ يستطيع ان يقتات بالطعام الواحد اسابيع كثيرة سواءٌ كان نباتيًّا او حيوانيًّا فارتنا التجارب ان الايدول والفنول يتولدان بكثرة اذا كان طعام الجرذان من اللحم والبيض وان الجبن وبياض البيض اقل توليداً لهذين السمين من بعض الاطعمة النباتية ولاسيما الموز والبطاطس وسائر الاطعمة النباتية الكثيرة المواد الاليبومينية كالبازلا والخبز الابيض . وكان توليد السمين على اقلهِ حينما جُعل طعام الجرذان من سكر البنجر والجزر والتمر

فاستنتجت من ذلك ان هذين السمين يتولدان من اختمار المواد الالبيومينية او من فسادها وان هذا الاختمار او الفساد يوقف او يمنع بواسطة بعض الحوامض التي تتكوّن من السكر . فاذا كان الطعام لحماً امكن منع تولّد هذين السمين منهُ في الامعاء بمزجهِ باطعمة نشوية تولّد سكراً كالبطاطس وباثمار حلوة كالتمر

ولكن الاطعمة السكرية تمتص من القناة الهضمية الى الدم باسرع مما تمتص بهِ المواد الالبيومينية كاللحم والبيض لان اكثرها يمتص من المعدة قبلما يصل الى الامعاء حيث تكون المكروبات التي تفعل بالمواد الالبيومينية وتولّد منها الايدول والفنول . نعم ان المواد النشوية تصل الى الامعاء مع المواد الالبيومينية وقد تتحول الى مواد سكرية ولكن المكروبات التي تحوّل النشا الى سكر تفعل ايضاً بالمواد الالبيومينية وتحلها فتزيد السم الذي تكون المواد السكرية ترياقاً لهُ . اي ان المواد التي تولّد الترياق تولّد السم ايضاً

فدعت الحاجة الى اكتشاف مكروب يحوّل النشا الى سكر ولا يفعل بالمواد الالبيومينية . وقد اكتشفنا هذا المكروب بعد بحث كثير وجدناهُ مع المكروبات التي تكون عادة في امعاء الكلاب . ولما استخرجناهُ واستنبتناهُ وجدنا اننا اذا مزجناهُ بالبطاطس المطبوخة واطعمناها الناس والجرذان قلّ السمّان المشار اليهما في امعائهم جداً

وبعد تجارب كثيرة ركّبنا طعاماً اذا اكلتهُ الجرذان زال الايدول والفنول من امعائها تماماً او لم يبقَ منها الأ شيء قليل جداً . وهذا الطعام مؤلف من لحم الخنزير والبيض (وكلاهما من مولدات الايدول والفنول) ومن البنجر والتمر (وهما من مولدات السكر) ومن البطاطس والمكروب المستخرج اصلاً من امعاء الكلاب (وقد اطلقنا عليهِ اسم الغليكو بكتير بوم اي مكروب السكر) . ولما كنا نعلم ان ترياق الايدول والفنول ليس السكر نفسهُ بل الحوامض التي تتولّد منهُ رأينا ان نضيف الى هذا الطعام مستنبتات من مكروبات الحامض اللبنيك او اللبن الرائب التي كنا نظن انها مفيدة فجاءت النتيجة على ما يرام حتى اننا جربنا هذا الطعام في الانسان . وكان الطعام الذي امتحناهُ فيهِ مؤلفاً من ٤٨ درهماً من اللحم في اليوم و٢٤٠ درهماً من اللبن الرائب وما يكفي من الخضر والاثمار والخبز ومكروب السكر . فقلّ الايدول والفنول قلّة لم نعهد لها مثيلاً من قبل مهما كان نوع الطعام . وظهر كأن ميكروب السكر يساعد الجسم على مقاومة ميكروبات الامعاء التي تولد الايدول والفنول فقاومنا المكروب بالمكروب ولا يفلّ الحديد الأ الحديد

وما فعلناهُ حتى الآن انما هو الخطوة الاول نحو الغرض الذي نرمي اليهِ واننا لنرجو

ان تحوّل كل مكروبات الامعاء من الضرر الى النفع . فاذا كان استنتاجنا الاول صحيحاً وهو ان السمّين المذكورين آنفاً اي الايدول والفنول هما المسببان للشيخوخة فهذا التحويل مما لا يقدَّر نفعهُ . إِيلي متشنيكوف

بحث متشنيكوف الجديد

قد يعيش الانسان ثلاثين سنة وهو على تمام الصحة والعافية فلماذا لا يعيش كذلك ثلثمائة سنة او ثلاثة آلاف سنة (كما يعيش بعض الاشجار)

اعتقد البعض ان ذلك ممكن اذا عُرِف السبيل اليهِ . وقد رسخ هذا الاعتقاد في اذهان الناس في القرون الوسطى وحسبوهُ من الاوليات التي لا يُشَك في صحتها ولذلك قضى بعضهم العمر وهم يبحثون عن طريقة لعمل الاكسير الذي زعموا انهُ يمنع الموت . وظنَّ غيرهم ان هذا الاكسير موجود في الطبيعة وقد ذهب بونثا دا لاون السائح الاسباني الى فلوريدا باميركا في اوائل القرن السادس عشر لاكتشافهِ هناك فاكتشف ولاية كبيرة ولم يكتشفهُ

وقد قام بونثا آخر في عصرنا هذا وهو الاستاذ إِيلي متشنيكوف في معهد باستور وذاع صيتهُ في الآفاق منذ ٢٥ سنة ببحثهِ عن خلايا الدم البيضاء فانهُ اثبت ان هذه الخلايا الصغيرة تقتل المكروبات المرضية فتعين الانسان على حفظ صحتهِ فمهد السبيل لكل ما تمَّ في الطب الواقي واستطرد الى البحث في امور اخرى تتعلق بحياة اعضاء الجسم وموتها واخيراً اتجه بحثهُ كلهُ الى منع الشيخوخة

وقد انتبه لذلك منذ سنوات حينما رأى ان الفلاحين في بلاد البلغار يعمّرون طويلاً ووجد انهم يكثرون من اكل اللبن الرائب (لبن الزبادي) فظن ان بين تعميرهم واكلهم لهذا اللبن علاقة سببيَّة وجعل يبحث عن هذه العلاقة . فوجد ان اللبن الرائب يحمض طعمهُ بسبب مكروب يسمَّى مكروب الحامض اللبنيك ولذلك يكون فيهِ مقدار كبير من هذا المكروب . ثم وجد بالبحث ان هذا المكروب يدخل المعدة مع اللبن ويصل الى المعى الغليظ ويتكاثر فيهِ ويعدّل بعض السموم التي تكون فيهِ وتضرُّ بالانسان اذا انتشرت في بدنهِ

لما رأى ذلك اشار باستعمال اللبن الرائب علاجاً . فشاع هذا العلاج واستعملهُ كثيرون من الاطباء ولكن بقي فريق كبير منهم لا يعتقد بفائدتهِ

وظن متشنيكوف ان فائدة هذا المكروب تقلُّ اذا لم يجد في الامعاء ما يكفيهِ من

الغذاء الصالح له فاهتمّ بالبحث عمّا يزيد هذا الغذاء في الامعاء واخيراً اكتشف المسيو ولمن مساعده في معهد باستور مكروباً يولد السكر فسمي غليكو بكتيريوم اي بكتير يوم السكر او مكروب السكر. وقد وُجد هذا المكروب اولاً في امعاء الكلاب ولكن يمكن استنباتهُ وتربيتهُ في المعامل واذا دخل جسم الانسان نما فيه فيفيد في توليد السكر طعاماً لمكروب الحامض اللبنيك فيقوى هذا المكروب على القيام بعمله المفيد وهو ابطال فعل السموم التي تكون في الامعاء

ولا يخفى انهُ لا يمكن القطع بفائدة هذا المكروب المولد للسكر في اقاتة مكروب الحامض اللبنيك وبالتالي في ازالة السموم التي تقصر العمر الأبعد ما يثبت فعلهُ هذا بالامتحان سنوات عديدة . ولكنَّ رجلاً واسع الشهرة مثل الاستاذ متشنيكوف لا يدَّعي دعوى ما لم تقم لديهِ ادلة كافية على ثبوتها فلننظر الى الادلة التي اقنعتهُ بصحة ما ادعاه

تقدم ان همهُ كان موجهاً الى مقاومة بعض السموم التي تتولَّد في الامعاء . ولا شبهة في ان هذه السموم تتولد في الامعاء وانها عرضة لان يمتصها الجسم من الامعاء فتضرُّ بهِ

في كل الاطعمة مواد قابلة لان تصير سامَّة مضرَّة فان اهم عناصر الطعام الكربون والاكسجين والهيدروجين والنتروجين فاذا اتحدت هذه العناصر اتحاداً صالحاً كان منها الطعام المغذي الضروري لحفظ الحياة ولكن اذا انحلت مواد الطعام الى عناصرها فقد يتركب منها مركبات سامَّة جداً فالكربون مثلاً يتحد بالاكسجين فيتولَّد من اتحادهما غاز سام يخنق خلايا الجسم ويميتها اذا لم ينفث من الرئتين حالاً . وكذلك قد يتحد نتروجين الطعام وكربونهُ وهيدروجينهُ بالاكسجين ويتكون منها يوريا ومركبات الحامض اليوريك (البوليك) التي ان لم تفرزها الكليتان حالاً مع البول ادَّت الى السبات فالموت . وهذه امور معروفة مشهورة لدى دارسي الفسيولوجيا (علم وظائف الاعضاء)

ولكن ألا يحتمل ان تعجز الرئتان والكليتان عن طرد بعض هذه السموم فيبقى منها شيء في الجسم لا يظهر ضررهُ ما دام قليلاً ولكنهُ يزيد رويداً رويداً بما يضاف اليهِ من وقت الى آخر حتى يقوى على الإضرار بالجسم . نعم يحتمل ذلك وكل طبيب يعلم انهُ واقع فعلاً وان طائفة كبيرة من الامراض سببها تراكم هذه السموم في الجسم . أَوَلا يحتمل ان يكون سبب الشيخوخة بعض السموم الآلية التي تتكون في الجسم فتوقع فيهِ الانحلال تدريجاً حتى يشيخ ويموت . يقول متشنيكوف ان هذا هو الواقع بلا شك . وعندهُ ان لتراكم الفضول في الجسم اليد الطولى في جعل انسجتهِ تضعف رويداً رويداً عن التجدُّد الى ان تعجز عن القيام بوظائفها فيشيخ ويموت

والمرجح ان الامر الذي وجَّه افكار الاستاذ متشنيكوف الى هذا الموضوع هو ما بيَّنهُ الاستاذ وسمن من ان الحي المؤلف من خليَّة واحدة (كالانفيوزوريا والبروتوزوى) لا يموت ابداً موتاً طبيعياً . وهذا الامر على غرابتهِ يمكن اثباتهُ بالعمل فاذا نظرت الى حي صغير من هذه الاحياء المكروسكوبية المعروفة بالبروتوزوى رأيتهُ يتحرك ويتأثر بما حولهُ من المؤثرات ويأكل ما يجدهُ في الماء من الطعام فيبقى بعضهُ في جوفهِ غذاء لهُ وينبذ البعض الآخر كأنهُ يراهُ غير صالح فيكبر جسمهُ رويداً رويداً الى ان يبلغ اكبرهُ ثم يضيق من وسطهِ وينقسم الى اثنين كلٌّ منهما مثل الحي الاول تماماً في صفاتهِ وحركاتهِ . ويسير كلٌّ منهما على الخطة التي سار عليها ابوهُ اي الحي الذي هو نصفهُ . فيأكل وينمو ويخصر من وسطهِ وينقسم اثنين ويتم ذلك كلهُ في بضع ساعات . وكل واحد من الاثنين يصير اثنين وهلم جرًّا فيتولد من الحي الواحد الوف وملايين من الاحياء في زمن قصير وهي ليست اولاد الحي الاول بل هي الحي الاول نفسهُ وقد كبر حجمهُ وتعدَّد بالانقسام بعد ان كان واحداً . وعليهِ فالحي الاول لم يمت بل زاد حجماً وعدداً

وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا قُدّم الى هذه الاحياء الغذاء الكافي دائماً ونُزعت الفضول التي تفرزها ومُنعت المكروبات الضارة من الوصول اليها بقيت على صحتها وتكاثرها ولم يظهر فيها اقل ضعف او عجز ولو تكرَّر انقسامها الوفاً من المرات

واجسام الناس وكل الحيوانات مؤلفة من الخلايا وكل خلية مثل الخلية التي يتألف منها جسم الحي المذكور آنفاً . ومن الامور المقررة ان كل حي يتولد من بيضة . والبيضة التي يتولد منها جسم الانسان خليَّة قلَّما تفرق عن هذا الحي المكرسكوبي وهي تمتص الغذاء وتكبر وتنقسم مثلهُ الى قسمين وكل قسم من قسميها ينقسم الى اثنين وهلم جرًّا ولكن اقسامها هذه لا تنفرد وتستقل بنفسها كما تفعل اقسام الحي المذكور آنفاً بل تبقى بعضها مع بعض لتكوين الجنين الذي يصير طفلاً فان بعضها يتشكل بشكل العضلات وبعضها بشكل العظام وبعضها بشكل الاعصاب الى آخر اعضاء الجسم . وكل هذه الاعضاء تتولد من الخلية الاولى وهي مثلها تتناول الطعام فتغتذي بهِ وتنبذ الفضول فهل فيها قوة على عدم الموت مثل الخليَّة الاولى . هذه هي المسألة المهمَّة . يظن بعض العلماء انها كذلك ويخالفهم البعض الآخر وحجَّة هؤلاء انهُ لا يمكن ان يُكتسَب شيء الاَّ وتقع خسارة تقابلهُ وان تجمُّع الخلايا في مجاميع مختلفة هو سبب الفرق بين حياة الانسان وحياة البروتوزوى فهو كسب يجب ان تقابلهُ خسارة ما وهذه الخسارة هي فقدان الخلايا للخلود . كأن الاحياء الكبيرة اشترت تنوُّع

اعضائها ووظائفها ودفعت ثمنهُ تعريض خلاياها للموت · فالشيخوخة والموت ليسا من لوازم الحياة ولكنهما من لوازم التنوُّع الذي يجعل الحياة صالحة لان يحياها الانسان

اذا صحَّ هذا الحكم فالبحث عن الوسائل التي تمنع الموت من قبيل العبث · الاّ ان متشنيكوف وانصارهُ يشكُّون في صحة هذا الحكم والبحثُ الحديث يقوي شكهم فانهُ قد اثبت ان اجزاء الجسم يمكن ان تعيش وتنمو بعد فصلها عن الجسم كما ابان الدكتور لكسس كارل ورفاقهُ في معهد ركفلر بنيو يورك

فان الدكتور كارل يقطع اجزاء من جسم فرخ ميت او كلب ميت او حيوان آخر ميت ويضعها في آنية من الزجاج ويقدِّم لها الغذاء المناسب فتعيش وتنمو اي تكبر خلاياها وتنقسم كما لو كانت باقية في جسم الحيوان الذي قُطعت منهُ وكأن ذلك الحيوان لا يزال حيًّا· ولكن هذه القطع لا تبقى حيَّة الاّ اذا نُزعت من حولها الفضول التي تفرزها لئلاَّ تسمها فثبت من ذلك ان انسجة الحيوان لا يلزم ان تموت اذا مات ذلك الحيوان · والظاهر ان الانسجة التي وضعها الدكتور كارل في الآنية الزجاجية وقدَّم لها الغذاء الكافي يمكن ان تعيش الى الابد

وثبت مثل ذلك من تجارب الدكتور ملتزر وهو من معهد ركفلر ايضاً فانهُ قتل الكلاب وغيرها من الحيوانات ثم احياها بالتنفس الصناعي · واستعملت طريقتهُ في احياء الذين اختنقوا في المناجم او قتلوا بالكهربائية · ويقال ان رجلاً اصابتهُ الكهربائية فاماتتهُ حسب الظاهر ثم أُعيد الى الحياة بهذه الطريقة بعد ان مرَّ عليهِ اربع ساعات وهو فاقد الشعور

يستدل من ذلك كلهِ على انهُ اذا مات حيوان فموتهُ لا يستلزم ان تكون انسجة جسمهِ كلها قد فقدت حياتها الذاتية · وعند متشنيكوف واتباعهِ ان ذلك يدلُّ على ان الانسان يسلم من الموت اذا وجد السبيل المؤدي الى ذلك ولا يموت الاَّ اذا اصابهُ عارض قتلهُ او مرض اماتهُ اي انهُ لا يوجد ما يسمَّى بالموت الطبيعي او الموت حتف الانف

ولكن المشاهد ان الاحياء العليا تموت كلها أفلا يدل ذلك على ان الموت الطبيعي امرٌ ثابت · يقول اتباع متشنيكوف كلاَّ اي ان موت الانسان والحيوانات العليا كلها لا يدلُّ على انها تموت موتاً طبيعياً لان الجسم لا يخلو من الوف وملايين من المكروبات الضارة حتى في حال الصحة التامة وهي تعيش وتنمو في الغشاء المخاطي المبطن للفم والقناة الهضمية والمسالك الهوائية · وهذه المكروبات كثيرة التوالد جدًّا حتى اذا ناسبت مكروبًا واحداً منها الاحوال تولَّد منهُ في بضعة اسابيع ما يزيد وزنهُ على وزن الانسان كلهِ ولكن خلايا الجسم المجاورة لهذه المكروبات تحاربها وتمنع تكاثرها

وهذه المكروبات مؤلفة من خلايا مفردة كالخلايا التي يتألف منها جسم الانسان وهي تغتذي من الطعام الذي يغتذي جسم الانسان منهُ فتضيّق باب الرزق عليهِ لانها تمتص جانباً من الغذاء المعد لهُ ثم هي لا تكتفي بذلك بل تفرز مفرزات سامة تضرُّ بهِ قليلاً او كثيراً. وعند متشنيكوف ان هذه المفرزات هي سبب انحلال الجسم وموتهِ فهذا الموت ليس طبيعيًّا بل هو قسري

والتخلص من هذه المكروبات ضرب من المحال. نعم ان العلماء منعوا وصولها الى بعض الاحياء الدنيا في تجاربهم فاثبتوا ان تلك الاحياء تبقى حية الأ ان ذلك لا يمكن اجراؤهُ في الحيوانات العليا لاننا لم نجد طريقة تمنع وصول المكروبات اليها. ولكن ألا يمكن ان توجد طريقة لذلك في المستقبل. ألا يمكن ان يتمكن الانسان اخيراً من استئصال المكروبات التي تعيش في جسمهِ

الظاهر ان الوصول الى هذا الغرض ضرب من المحال ولكن لا شبهة في ان الانسان قد تغلّب على اكثر المكروبات ضرراً ومتى عرف عدوهُ فقد يجد وسيلة للتغلّب عليهِ. والآن قد عرفنا اعداءنا التي تصرم حبل حياتنا

اخذ الطب المتمي يحارب هذه الاعداء وقد تغلب على كثير منها. فمنذ مئة سنة كان عشر الناس يموتون بالجدري والآن كاد مرض الجدري يستأصل من الدنيا ومنذ عشرين سنة كانت الدفثيريا شديدة الفتك بالاولاد والآن كبح مصل بيرنغ جماحها. ومنذ عشر سنوات كانت التيفويد تهدّد كل احد والآن صار طعم الدكتور ريط يقي منها كل من يتطعَّم بهِ. ومنذ ثلاث سنوات كان الداء الزهري عدوًّا لدوداً والآن تغلّب عليهِ السلفرسان. ومنذ سنة كان السرطان داء لا يؤمل شفاؤُهُ مطلقاً اما الآن فقوي الامل بوجود علاج لهُ

وقد وجه متشنيكوف وغيرهُ من العلماء الانظار الى مكروبات ضررها قليل تقيم في جسم الحيوان من غير ان تعجّل موتهُ ومنها النوع الذي اشار متشنيكوف بادخالهِ الى الامعاء لكي يحارب المكروبات التي تولّد السموم فيها واذا نجح ذلك لم يظهر نجاحهُ جليًّا واضحاً كما ظهر قتل مكروبات الامراض السريعة الفتك ولكن النتيجة البعيدة التي يؤدي اليها هذا الاكتشاف لا تكون اقل اهمية من منع الامراض لان هذه النتيجة تتعلق باطالة عمر الانسان مباشرة

وكل ذلك قد لا يمنع الموت ولكنهُ يدل على ان البحث عن منع الشيخوخة وابقاء الانسان في سن الشباب ليس من المباحث العقيمة التي لا ترجى منها فائدة

هنري سمث وليمس

طعام الجنود

يختلف طعام الناس نوعاً ومقداراً اختلافاً كبيراً فبينما ترى المثري المتفرنج في المدن يأكل خبز البيرة ولحم الطير والضان والسمك وانواع الخضر والفواكه والحلوى و يتفنن طاهيهِ في طبخ ما يطبخهُ منها حتى لا يقدّم لهُ من لون واحد مرتين في اليوم ولا في اليومين والثلاثة ترى الفلاَّح في الارياف يكتفي بخبز الذرة والشعير لا يأدمهُ بشيء او يأكل معهُ قليلاً من البصل والمش ولا يحول عن هذا الطعام يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر . وهو في الغالب اجود صحةً من المثري واشد منهُ عضلاً وانعم بالاً

والناس احرار فيما يأكلون على حد المثل القائل كُلْ ما تشتهي والبس ما يعجب الناس ولو قيَّد موسروهم انفسهم بالعادات . ولكن الجنود ليسوا احراراً بل يضطرون ان يأكلوا ما يفرض لهم من العلوفة (الجراية) وقد كان ذلك شأنهم من قديم الزمان من عهد اليونان والرومان وهذا الاضطرار غير جائر بل هو في مصلحتهم لان ما يفرض لهم من الطعام هو في الغالب اكثر وافضل مما يأكلونهُ في بيوتهم . وتراعى فيهِ صحتهم وقوتهم كما تراعى احوال بلادهم وما فيها من مواد الطعام الكثيرة التي يمكن الاعتماد عليها

وقد بحثنا عن طعام الجندي المصري فوجدنا انهُ يتألف من المواد التالية

خبز	٢٥٠ درهماً في اليوم	مدة ٣٥٣ يوماً
بقسماط	٢٠٠ درهم « «	« ١٢٠ «
فول	٢٠ درهماً في اليوم	مدة ١٨٤ «
وعدس	٢٠ « « « «	
عدس فقط	٤٠ « « « «	« ١٨١ «
لحم	٣٥ « « « «	« ٣٦٥ «
رز	٢٠ « « « «	« ٣٦٥ «
سمن	٧ دراهم « «	« ٣٦٥ «
ملح	٥ « « « «	« « «
بصل	٥ « « « «	« « «
خضر	٤٥ « « « «	« « «

وذلك اكثر وافضل مما يأكلهُ الجندي في بيتهِ · والسوداني كالمصري من هذا القبيل ولكن السوداني يعطى عدساً فقط بدل الفول و يعطى ذرة في بعض الاماكن بدل الخبز · ويعطى كل عسكري يومياً من اللوازم الاخرى ٤٥ درهماً من الفحم الحجري او ١٥٠ درهماً من الحطب لطبخ طعامهِ ودرهمين ونصف درهم من البترول وخمسة درام من الصابون

وتبلغ نفقات العسكري المصري في مصر نحو سبعة جنيهات في السنة وفي السودان بين سبعة جنيهات و ١١ جنيهاً حسب الجهة التي يكون فيها وحسب اسعار المأكولات

وقد وقفنا على مقالة لمستر اوستاس ميلس ذكر فيها اطعمة الجيوش الاوربية وهاك خلاصتها

طعام الجندي الالماني	خبز	٤٢٠	درهماً	في اليوم
	لحم	٢١٢	«	«
	بازلاً	١٤٤	«	«
	زبدة	٠٢٠	«	«
طعام الجندي النمسوي	خبز	٣٦٠	درهماً	في اليوم
	رز او خضر مقددة	٠٥٩	«	«
	شوربا في علب	٠١٦	«	«
	لحم	١٢٧	«	«
	شحم	٠٠٨	درام	«
	سكر	٠٠٥	«	«
طعام الجندي الانكليزي	خبز	١٨٠	درهماً	في اليوم
	لحم طري	١٨٠	«	«
	« مقدد	٠٤٨	«	«
	جبن	٠٣٦	«	«
	مربى	٠٤٨	«	«
	سكر	٠٣٦	«	«
	خضر يابسة	٠٢٤	«	«

طعام الجندي الفرنسوي	خبز	٤٢٠	درهماً	في اليوم
	لحم	١٣٢	«	«
	خضر	٠٢٦	«	«
	سكر	٠١٢	«	«
طعام الجندي الروسي	خبز	٤٣٣	درهماً	في اليوم
	لحم	٢٦٠	«	«
	حبوب مقشورة	٠٥٧	«	«
	شحم وزبدة	٠٣٢	«	«
طعام الجندي الايطالي	خبز	٣٨٨	درهماً	في اليوم
	لحم	١٣٣	«	«
	رز	٠٦٣	«	«
	سكر	٠٠٨	«	«

فالجندي الروسي اكثر هؤلاء الجنود اكلاً للحم ويتلوهُ الانكليزي فالالماني فالايطالي فالفرنسوي فالنمسوي فالمصري ولكن اذا اعتبرنا ما في الطعام من الغذاء فطعام الجندي الانكليزي اكثر غذاء من غيرهِ لكثرة ما فيهِ من الجبن والسكر واللحم المقدَّد القليل الماء ويتلوهُ طعام الجندي الروسي او يماثلهُ لكثرة ما فيهِ من الخبز واللحم ثم طعام الجندي الالماني فالفرنسوي فالايطالي فالنمسوي . واللحم قليل في طعام الجندي المصري اذا قوبل بطعام الجنود الاوربية ولكنهُ اكثر كثيراً مما يأكلهُ الرجل من جمهور المصريين . ثم ان الجندي المصري يأكل الفول والعدس والرز والسمن وكلها اطعمة مغذية جدًّا ولو كان وزنها قليلاً لان الحبوب جافَّة قليلة الماء

كان ابطال اليونان في عهد هوميروس قبل المسيح باكثر من ٨٠٠ سنة يأكلون اللحم والجبن والعسل واما عامَّة الجند فكانوا يأكلون الذرة والزيت والزيتون والاثمار والبقول وكذلك جنود الفرس الذين اقليمهم مثل اقليم اليونان وكانوا حاسرين لم كانوا يكتفون بأكل الخبز والاثمار والخضر مع انهم بلغوا في غزواتهم بلاد اليونان وبلاد مصر . وهذا كان شأن الرومان الذين تغلبوا على اليونان فان طعامهم كان الحبوب وادامهم الدهن

والعرب امتدوا في غزواتهم الى بلاد الهند شرقاً وبلاد الروس شمالاً واسبانيا غرباً وطعامهم خبز الشعير واللبن والرز والاثمار

وكان طعام الجنود اليابانيين الى عهد قريب الرز غير المبيض والبيض والسمك المقدّد والاثمار اليابسة · ولا يزال عرب البادية يغزون المغازي وطعامهم قليل من التمر واللبن وكان جنود التعايشي من السودان والعرب يكتفون بقليل من الذرة والتمر اي ان طعامهم كان نباتيًّا محضاً وعلى الضد من ذلك قبائل هنود اميركا فانهم كانوا يحاربون وطعامهم حيواني محض من دقيق اللحم المقدد · ولما كان ولنجتون القائد الانكليزي الشهير في بلاد البرتغال مع جنوده سنة ١٨٠٨ كانت علوفة الواحد منهم رطلاً من الخبز ورطلاً من اللحم ثم اعوزهم الخبز فامر ان تصير علوفة الواحد منهم رطلين من اللحم

وكل الذين قادوا الجيوش من قديم الزمان الى الآن اهتموا بزادهم فرأوا اولاً ان يكون خفيف الوزن كثير الغذاء لكي يسهل حملهُ من بلاد الى اخرى · وثانياً ان يكون مما يسهل بقاؤهُ زمناً طويلاً من غير ان يفسد او يتلف وثالثاً ان يكون من الاطعمة التي تكثر في بلادهم كالقمح والرز والذرة ولا يخشى من نفادها ولذلك فطعام الجنود في كل بلاد هو من نوع الطعام الكثير في تلك البلاد يجمع و ينشف او يقدّد او يملح حتى يقل حجمهُ ويمتنع فسادهُ

هذا من حيث نوع الطعام اما مقدارهُ فيجب ان يكون مثل اكبر مقدار يأ كلهُ الرجل عادة في وطن الجندي واقليمهِ · ولا ينحصر ذلك في مقدار الغذاء في مجموع الطعام بل يتناول ايضاً كل نوع من انواعهِ على حدة · فالامة التي يكثر سكانها من اكل اللحم يكثر جنودها من اكل اللحم ايضاً فاذا حسبت نسبة اللحم في طعام الجنود الاوربية كانت كما في هذا الجدول

اللحم في طعام الجندي البريطاني يعدل ٣٠ في المئة
وفي · · الروسي · ٢٩$\frac{1}{2}$ · ·
· · · الالماني · ٢٤ · ·
· · · الفرنسوي · ١٩ · ·
· · · النمسوي · ١٧$\frac{1}{2}$ · ·
· · · الايطالي · ١٧$\frac{1}{2}$ · ·

ثم ان بلاد الانكليز والروس والالمان ابرد من بلاد الفرنسويين والنمسويين والايطاليين واجسام الانكليز والروس والالمان اكبر من اجسام الفرنسويين والنمسويين والايطاليين ولكن الفروق من هاتين الجهتين لا تكفي لتعليل الفرق الكبير في مقدار اللحم ونسبتهِ الى بقية الطعام ولا يعلل هذا الفرق الكبير الاَّ بتعوُّد ام الشمال على الاكثار من اكل اللحم · فان العادة تملك الانسان ولو لم يكن لها سبب معقول · فقد ابنا في مقالات سابقة ان اللحم اغلى جدًّا

من الحبوب على انواعها اذا اعتبرنا ما نيهِ وفيها من الغذاء والقوة لجسم الانسان ولذلك لا يستغرب اذا قللت المالك الاوربية الآن من تقديم اللحم الى جنودها ولكن لتقليله حدًّا لا يحسن تجاوزهُ لان الجسم الذي اعتاد ان يستمد اكثر قوتهِ من اللحم يعسر عليهِ استمدادها من الذرة ولذلك لا ينتظر من الجنود التي مُنعَت عن بلادها موارد الغذاء الكافي ان تبقى على قوتها ونشاطها كالجنود التي لم يمنع عنها شيء من ذلك

الحار والحرّيف سببهما

لماذا الفلفل والبصل حاران والرشاد والجرجير حرّيفان · وما سبب لسع القلقاس ولماذا لا تدمع العين منهُ كما تدمع من البصل · وكيف تزول الحرارة من البصل والثوم اذا شويا او سلقا ومن القلقاس اذا قلي وطبخ · هذه مسائل تخطر على البال ولكن لم يُلمّ لها حلّ الاّ الآن فان الاستاذ وليم لازني من اساتذة جامعة اوهيو باميركا بحث في هذا الموضوع بحثًا مدققًا فاكتشف سبب ما في بعض النباتات من الحرارة والحرافة وهاك خلاصة بحثهِ

ان مادَّة النبات مركبة من الاكسجين والهيدروجين والنيتروجين والكربون وفيهِ ايضًا املاح الكلسيوم والمغنيسيوم والبوتاسيوم والحديد والكبريت والفصفور · وهذه المواد موجودة في كل خلية من خلايا النباتات الحية · وفي هذه الخلايا ايضًا املاح الصوديوم والسليكون ولكن هذه الاملاح غير لازمة لحياة النبات وانما توجد فيهِ لانهُ لا يستطيع التخلّص منها · والمواد المذكورة آنفًا توجد في جدران الخلايا متبلورة او غير متبلورة · وقد يوجد في قلب الخلية بلورات اخرى اخصها اكسلات الكلسيوم وكربونات الكلسيوم وهذه البلورات صلبة ابريَّة في الغالب اي ان شكلها مثل شكل الابر الدقيقة

وسنة ١٨٩٠ تلا الاستاذ لازني مقالة في مجمع تقدُّم العلوم الاميركي قال فيها ان سبب ما في بعض النباتات من الحرارة والحرافة هو بلورات ابرية دقيقة جدًّا تكون في خلاياها فتدخل غشاء الفم وتخزهُ كوخز الابر · فخالفهُ علماء النبات في ذلك قائلين ان هذه البلورات توجد ايضًا في نباتات اخرى غير حريفة كالعنب او قليلة الحرافة كالراوند وان الجوهر الحريف او الحار مادة طيَّارة لا تذوب في الماء ولا في الكحول بل تذوب في الايثر وتطير بالحرارة والجفاف ولكنهم لم يبينوا ماهية هذه المادة · ولا يخفى انك اذا قصصت بصلة وشممت رائحتها دمعت عيناك وشعرت بشيء من حرارتها قبل ان تذوقها ولكنك اذا شممت رائحة القلقاس

لا تدمع عيناك مع ان طعمهُ اشد لذعاناً من طعم البصل ولكنك اذا لمست قطعة منهُ بيدك شعرت بلذعان فيها اذا لم يكن جلدها سميكاً وذلك يدلُّ على ان المادة الحريفة طيارة في البصل المقصوص وغير طيارة في القلقاس المقصوص مع انها شديدة الفعل فيهِ حتى تدخل اليد ولا تدخلهُ من البصل

وقد استقطر الاستاذ لازني اللفت الهندي الحار جدًّا فلم يجد في ما استقطر منهُ مادة حريفة فدلَّ ذلك على ان مادتهُ الحريفة ليست طيَّارة كمادة البصل

وكان المظنون ان المادة الحريفة تذوب في الايثر فدقَّ مقداراً كبيراً من اللفت الهندي وعصرهُ فوجد عصيرهُ صافياً كالماء وهو حريف جدًّا كاللفت نفسهِ فوضع جانباً من هذا العصير في اناء زجاجي مع ما يساويهِ من الايثر ورجَّهُ جيداً وانتظر حتى انفصل الايثر عن العصير وذاق نقطاً قليلة من الايثر فلم يشعر بحرافة في اول الامر ولكن لما طار الايثر كلهُ عن لسانهِ شعر بحرافة شديدة كأنهُ ذاق عصير اللفت قبلما اضاف الايثر اليهِ وكأنَّ شيئاً من المادة الحريفة ذاب في الايثر وبقي على اللسان بعد ما طار الايثر فاثَّر فيهِ

لكن الايثر كان عكراً فاراد ان يعرف سبب تعكرهِ فوضع نقطتين منهُ على لوح من الزجاج وتركهُ حتى طار ثم نظر الى محلهِ بالمكرسكوب فوجد هناك ما لا يحصى من الابر الدقيقة وتسمَّى في علم النبات روافد[1] . ثم رشَّح بعض الايثر العكر بمرشحة فنزل منها صافياً فذاق بعضهُ فلم يبقَ منهُ شيءٌ حريف ووضع نقطة منهُ على زجاجة فلما طارت لم يبقَ على الزجاجة شيءٌ من الابر فدلَّ ذلك على ان البلورات الابرية التي في عصارة اللفت الهندي تمتزج بالايثر امتزاجاً وتعكرهُ واذا رشح اصقت كلها بالمرشحة واذا طار قبلما رشح بقيت على لوح الزجاج الذي كان عليهِ

وامتحن عصارات نباتات اخرى حريفة فثبت لهُ ان المادة الحريفة التي فيها ليست جوهراً طياراً كما كان يُظَن بل هي ابر دقيقة من البلورات

ولكن هذه البلورات الدقيقة توجد ايضاً في غير النباتات الحريفة فكيف تكون هي سبب الحرافة في بعض النباتات ولا تكون سبباً لها في البعض الآخر . ولماذا تفقد النباتات الحريفة حرافتها اذا شويت او سُخنت و يفقد بعضها حرافتهُ ايضاً اذا جفَّ . وقد ظنَّ اولاً

---

(١) جمع رافد والكلمة يونانية ومعناها ابرة ومنها رفأ العربية بمعنى خاط والرافدة بمعنى الخشبة المستطيلة والرفء والمرفأ بمعنى الميناء وكل ذلك يوناني الاصل على ما يظهر لنا

ان مادة البلورات الواحدة غير مادة البلورات الاخرى ولكنهُ وجد بالحل الكيماوي ان مادة النوعين واحدة وهي اكسلات الكلسيوم · فالبلورات التي في العنب والراوند والفحسيا مثل البلورات التي في اللفت واللوف والقلقاس فلماذا نجد الثانية حريفة لذاعة والاولى غير لذاعة ولا حريفة

اخذ قليلاً من عصارة الفحسيا وقليلاً من عصارة اللفت وقابل بينهما فوجد عصارة اللفت صافية سريعة التحرك وعصارة الفحسيا عكرة لزجة والبلورات كثيرة في الاثنين على حدٍ سوى · ومزج عصارة الفحسيا بالايثر ثم ترك الايثر حتى انفصل عن المزيج فوجد انهُ انفصل صافياً لا شيء من العكر فيهِ ولما طار لم ترسب منهُ بلورات او رسب شيء قليل جداً منها لا يعتد بهِ دلالة على ان الايثر عجز عن فصل البلورات عن السائل اللزج الذي يحيط بها بخلاف ما حدث في عصير اللفت · فاتضح لهُ حينئذٍ سبب حرافة بعض النباتات وعدم حرافة البعض الآخر مع ان هذه الابر موجودة فيها كلها على السواء فان الابر التي في العصارة غير الحريفة تكون العصارة المحيطة بها لزجة تمسكها وتمنعها من الدخول في مسام الجلد او الغشاء المخاطي فلا تؤَثر فيها واما الابر التي في العصارة الحريفة فتكون العصارة المحيطة بها غير لزجة فلا تمسكها ولا تمنعها من دخول مسام الجلد والغشاء المخاطي

ثم ان في العصارة الحريفة شيئاً من النشا فاذا سخنت جمد النشا بالحرارة وصار مادة غروية تمسك الابر المشار اليها وتمنعها من دخول مسام الجسم ولا بد من اشتداد الحرارة حتى تجمد النشا وتصيرهُ مادة غروية والا لم تزل الحرافة كما اذا طبخ القلقاس طبخاً غير ناضج فان حرافتهُ لا تزول منهُ حينئذٍ ولا تزول تماماً الا اذا قلي وطبخ جيداً

ويظن علماء الاحياء (البيولوجيا) ان ما في بعض النباتات من العصير اللبني والمواد العطرية زوائد لا فائدة لها في حياة النبات بل هي مفرزات وفضول لا يستطيع التخلص منها · ولكن لا شبهة في ان هذه المواد تفيد احياناً في حفظ النبات فالعصير اللبني والصمغي يقاوم فعل الحشرات التي تنخر سوق الاشجار لانهُ يجمد عليها ويميتها · ولعلَّ البلورات الابرية تفعل هذا الفعل فاننا لم نسمع ان الحفار مثلاً يأكل جذور القلقاس ولا الديدان تأكل قرون الفلفل الحار · وسواء كانت هذه البلورات مفيدة في الوقاية من الحشرات او غير مفيدة فقد عُرف الآن انها هي سبب ما يكون في بعض النباتات من الحرارة والحرافة

السحر في الشعوذة

اهتم القراء بما ذكرناهُ في مقتطف دسمبر من تعليل بعض الاعمال الغريبة وردّها كلها الى الخداع او الشعوذة من جهة النائمين والى الاستهواء او الانخداع من جهة مشاهديها ٠ فانكر بعضهم علينا ان تكون تلك الاعمال كلها من قبيل الشعوذة وحسبوا اننا ننكر التنويم بالاستهواء ونحن انما ننكر اعمال الذين يتناومون لتجوز حيلهم على المشاهدين واما التنويم فلا ننكرهُ

ومن غريب الاتفاق ان المستر كارلتن المشعوذ المشهور الذي رأيناهُ في هذه العاصمة يجول بين المشاهدين معصوب العينين ويهتدي الى ما خبأوهُ مدعياً انهُ يفعل ذلك بقراءة الافكار او ما شابهها وكانت صورتهُ في ذهننا ونحن نكتب ما كتبناهُ في مقتطف دسمبر — هذا الرجل نفسهُ كتب مقالةً في هذا الموضوع في مجلة الستراند الانكليزية ظهر بعضها في شهر دسمبر والبعض الآخر في شهر ينابر وبيَّن فيها كيف خدع الناس في اوربا واميركا وفي مصر ايضاً ٠ وها نحن ملخصون مقالتهُ فيما يلي

بدأ القسم الاول من مقالتهِ بوصف ما فعلهُ في مدينة برستُل ببلاد الانكليز قال جاءني مخبر من قبَل جريدة برستل المسماة الاحوال والمرآة وجعل يحدثني عن انتقال الافكار (تلبثي) وكان من رأيهِ ان هذا الانتقال امر لا ريب فيهِ فباحثتهُ في هذا الموضوع ولما رأيتهُ متشبثاً برأيهِ تظاهرت بموافقتهِ فقال لي هل تستطيع ان تقرأ افكار غيرك فقلت لهُ نعم اذا توفرت بعض الشروط فاذا خبأتَ شيئاً في مكان ما من هذه المدينة فاني استطيع ان اقرأ افكارك فاعلم محلهُ واهتدي اليهِ بل لو عصبتَ عينيَّ حتى لا ارى فاني اصل الى الشيء المخبإ اذا مشيتَ معي وصمَّمتَ على ان تهديني الطريق بفكرك ولو لم تنطق بكلمة فان فكرك يهديني الى المكان الذي خبأت بهِ ما خبأت ويسدّد خطواتي اليهِ

وبعد اسبوع حدث ما قدَّرت حدوثهُ وقد وصفتهُ الجريدة الصادرة في ٥ فبراير سنة ١٩٠٧ فقالت ما خلاصتهُ ان كارلتن المشعوذ المشهور الذي يبلع السيوف ويعمل الاعمال المدهشة ارانا عصر هذا اليوم ما زاد دهشتنا فقد كان احد مخبرينا يذاكرهُ منذ ايام في امر قراءة الافكار فقال انهُ يعلم شيئاً من ذلك ووعد ان يمشي في شوارع برستل معصوب العينين ويهتدي الى شيء خبأناه لهُ واذا لم يهتدِ اليهِ دفع عشرة جنيهات لاي معهد خيري اردنا ٠

ولم يشترط علينا الا ان يرى الشيء الذي كنا عازمين ان نخبئهُ . فاراهُ مندو بنا قلماً ملفوفاً بشيء من القطن المصبوغ باللون القرنفلي وموضوعاً في علبة بيضاء ثم ذهب بهِ وحدهُ الى اكمة براندن ووضع العلبة التي فيها القلم في عجلة مدفع من المدافع التي هناك ولم يخبر احداً بما فعل . وعند الساعة ١ ½ بعد ظهر اليوم عصبت عينا كارلتن وطلب من الرجل الذي خبأ القلم ان يتبعهُ قريباً منهُ ويوجه افكارهُ الى المكان الذي خبأ فيهِ القلم ثم مشى متلمساً كالاعمى ومشى وراءهُ خلق كثير لا يقل عددهم عن الفي نفس . فاتجه اولاً نحو المدينة ثم انقلب راجعاً الى ان وصل الى طرف الساحة التي ابتدأ منها فوقف هنيهة ثم سدَّد خطواته نحو اكمة براندن ودار في بعض الشوارع وعاد الى جهة الاكمة فاسرع العدو اليها حتى اذا بلغها جعل يتعثر ومَن لا يتعثر هناك ولو لم يكن معصوب العينين . واتجه اولاً نحو الآبار ثم عاد نحو المدينة وارتدَّ وطاف حول البرج الذي على الاكمة ثم قصد مدفعاً من المدافع الروسية الموضوعة هناك وجعل يتلمس الى ان بلغ محور العجلة وهناك حفرة في المحور وكانت العلبة التي فيها القلم مخبأة فيها فاستخرجها منها وللحال علا هتاف الجمهور الذي تبعهُ الى اعلى التلة حتى شقَّ عنان السماء . وحينئذٍ صفر احد رجال البوليس وقال انهُ أُغمي على كارلتن وجعل البوليس يبعد عنهُ الجمع المزدحم عليهِ وأُسعف بالمنبهات والمنعشات حتى افاق فقال اين انا الآن وهل وجدت الخبيئة . ثم حملهُ الجمع على الايدي وهو راجع لشدة اعجابهم بهِ . انتهى

واصرّح الآن على رؤوس الاشهاد انهُ لم يكن فيما فعلتهُ لا قراءة افكار ولا انتقال افكار وانما كان حيلة خدعتُ بها ذلك الجمع كما سيجيء مفصلاً

نعم انني كنت معصوب العينين في مدينة لا اعرف شوارعها ولم يكن لي اقل اتصال بالذي خبأ القلم ولا بغيرهِ ولم يخبرني احد عن مخبإهِ ولا عن الجهة التي كان مخبأ فيها ولم اكن اعرف شيئاً عن المكان الذي خبئ فيهِ ولا في اي حي من المدينة هو ولذلك لا أعجب من استغراب الناس ما فعلت وحسبانهم انني فعلتهُ بقوة تفوق القوى الطبيعية وبوسيلة تفوق الوسائل المادية . واتفق جمهورهم على ان هذه الوسيلة هي انتقال الافكار (التلبثي) اي ان الرجل الذي خبأ القلم انتقل فكره الى ذهني وارشدني الى المكان الذي خبأهُ فيهِ . وقد كتبت اليَّ جمعية المباحث النفسيَّة بعد ذلك تحذرني من عاقبة اجهاد قوى نفسي . والحقيقة انني اجهدت نفسي كثيراً ولكن ليس بالمعنى الذي فهمتهُ تلك الجمعية ولا على الاسلوب الذي ظنتهُ

ولم اشأ ان اظهر خبيئة امري حينئذٍ بل كررت الضحك على الناس بعد ذلك مراراً

عديدة في اماكن مختلفة فذهبت الى ايطاليا وادهشت علماءها واساتذة مدارسها وخدعت السحرة والمشعوذين في مصر والهند وسائر الاقطار الشرقية . الآن محرري الجرائد الانكليزية كانوا اقل الناس تصديقاً لدعواي . عرضت مرةً ان اكشف المخبأ في مدينة باث لدى محرري جريدتها فابوا فعرضت ان اكشفهُ في ادارتهم فرضوا بذلك وعصبوا عينيَّ بمنديل ثخين بعد ان غطوهما بالقطن الكثير . وقلت لواحد من المحررين خذ قطعة طباشير وارسم بها خطاً على الارض من الغرفة التي كنت فيها الى حيث تشاء من الغرف الكثيرة العليا والسفلى الى ان تصل الى مكان تخبئ فيهِ شيئاً فاني اقدر ان امشي على هذا الخط واتبعهُ في كل تعاريجهِ وانا مغمض العينين الى ان اصل الى الشيء الذي خبأتهُ على شرط ان تمشي الى جانبي قريباً مني وتوجه افكارك كلها الى المكان الذي فيهِ المخبأ . ففعل وسار معي فمشيت على خط الطباشير حتى وصلت الى المخبإ ولم اخطئهُ مع ان خط الطباشير مرَّ بين آلات الطباعة وتحت الموائد والكراسي وصعد الى غرف عليا ونزل الى غرف سفلى . فدهش محررو الجريدة مما فعلت ورضي المحرر الاول ان اجرب ذلك في المدينة علانية وان يخبأ لي شيء على بعد ميلين من ادارة جريدتهِ . وذهب مخبر الجريدة ليلاً وخبأ شيئاً في الارض داخل باب روض المدينة . وعصبت عيناي في الصباح وسرت والمخبر معي الى ان وصلت الى باب الروض ففتحتهُ وجعلت التمس الى ان وصلت الى المكان الذي وضعت فيهِ الخبيئة فاخرجتها واذا هي ظرف ازرق فيهِ رزمة من المفاتيح . وقد جاء وصف ذلك في تلك الجريدة بالتفصيل من قلم المخبر نفسهِ ومما جاء فيهِ اني لما وصلت الى مكان الخبيئة كان جبيني يتصبب عرقاً كاني عملت اشق الاعمال وان المخبر نفسهُ كان قد تعب تعباً شديداً لانهُ كان موجهاً كل افكارهِ دائماً الى مكان الخبيئة لكي يرشدني اليها بافكارهِ واني سرت في نفس الطريق الذي سار فيهِ لما مضى لتخبئتها

والغالب ان ما كان يخبأ لي لم يكن ثميناً ولا كان ينتظر ان آخذهُ اذا وجدتهُ ولكن حدث ما يخالف ذلك في مدينة اوكلند بكاليفورنيا من اميركا فان صاحب جريدة التريبون في تلك المدينة اقترح ان يخبئ لي ٢٥٠ ريالاً وهي لي اذا اكتشفتها واعلن ذلك في جريدتهِ واختار سكرتير غرفة التجارة في اوكلند ليخبئ الدراهم ويسير معي لارشادي بافكارهِ وهو رجل مشهور بصدقهِ واستقامتهِ فضلاً عن انهُ من اغنى اهل تلك المدينة . فقبلت الشرط وذهب السكرتير وخبأ كيس الدراهم في موقف احد رجال البوليس في المدينة فاهتديت اليهِ وانا معصوب العينين كما اهتديت الى غيرهِ

اما تعليل اهتدائي الى الخبايا فهو اني أُولعت منذ سنين كثيرة بتمرين اعضائي وعضلاتي حتى صرت افعل افعالاً لا تُصدَّق فاستطيع مثلاً ان اطيل قامتي او اقصرها بمط عضلات ساقيَّ وفخذيَّ وبطني وصدري واوتارها · واستطيع ان احرك اذنيَّ الى الامام والوراء كما تفعل بعض العجماوات وما ذلك الاَّ بالتمرُّن المستمر · ومرَّنت ايضاً عضلات جبيني التي تحرك حاجبيَّ حتى صرت ارفعها واخفضها بشدَّة وهي اصلاً عضلات قوية الفعل كما يتضح لمن يضع كفهُ على حاجبيهِ ويضغط عليهما ثم يرفعهما فيرتفعان رغماً عن ضغط كفيهِ · فزادت بالتمرين قوةً · وقضيت ساعة كل يوم مدة اشهر كثيرة وانا اغمض عيني وافتحها وامرّن عضلات جبيني حتى اذا عصبت عيناي بعصابة استطيع رفعها عنهما ولو قليلاً بمجرد فتح عينيَّ ورفع حاجبيَّ · واذا اراد احد ان ينظر ليرى هل العصابة لا تزال كما كانت فليس عليَّ الاَّ ان اغمض عيني واخفض حاجبيَّ فيرى ان العصابة لا تزال على حالها

وربَّ قارىءٍ يقول ان فتحك لعينيك ورفعك لحاجبيك لا يفسّر كيف اهتديت الى الخبايا وانت لا تعلم محلها · فاقول لهُ على رسلك تمهل فتجد كيف كنت اهتدي اليها فاولاً لما طلبت من احد محرري الجرائد ان يرسم خطًّا بالطباشير على الارض في دار تلك الجريدة يمر في غرفها المختلفة وينتهي الى حيث وضع الخبيئة وان يمشي ورائي ويوجه فكرهُ اليَّ قاصداً ان يرشدني بفكرهِ الى الخبيئة بحيث اسير على خط الطباشير الذي رسمهُ لم يكن قولي هذا لهُ الاَّ من باب ايهامهِ بانهُ هو المرشد لي مع ان المرشد لي حقيقة هو خط الطباشير الذي كنت اراهُ · وكنت ارسخ هذا الوهم في اذهان كل الذين يرشدونني بقولي لهم انهم اذا استطاعوا ان يوجهوا كل قوة ارادتهم اليَّ فاني اقف عند مفترق كل طريق من الطرق التي امامي وفعلاً كنت اقف دائماً عند مفترق الطرق فيزيد كلامي رسوخاً في اذهانهم وكنت اطلب من الذين يعصبون عيني ان يضعوا عليهما القطن قبل عصبهما وان يوسعوا العصابة زيادة في التعمية بل في التضليل لان الله اعطاني عينين جاحظتين وانفاً كبيراً بارزاً فاذا اتسعت العصابة زاد وفاؤُها بغرضي لاني كنت افتح عيني وارفع حاجبيَّ فاصير ارى امام قدميَّ · ولما مشيت على خط الطباشير كنت اراهُ واضحاً ولم اطلب من راسمهِ ان يمشي معي الاَّ لاجعلهُ يعتقد انهُ كان يرشدني بارادتهِ · وكثيراً ما كنت اتلمَّس في طريقي كالاعمى واخبط خبط عشواء وذلك كلهُ تضليلاً للافكار لكي يعتقد الذين كانوا معي اني لم اكن ارى شيئاً

الاَّ ان السير على خط الطباشير كان امراً سهلاً جدًّا في جنب السير في الشوارع حيث

لا شيء يرشدني الأ ما استفيدهُ من حركات مرشدي الذي لم يُسمح له ان يكلمني او يلمسني
ولما كنت ادرب نفسي على هذا العمل رأيت انهُ لا يمكنني ان ارى غير حذاء المرشد فعليَّ ان ارتشد به لا غير فجعلت ادرس اشكال الاحذية ووقفات لابسيها حتى صرت اذا رأيت حذاء احفظ صورتهُ في ذهني واميزهُ عن سائر الاحذية واعرف لابس الحذاء من حذائهِ

فلما خبئت لي المئتان والخمسون ريالاً في مدينة اوكلند بكليفورنيا قدم اليَّ الرجل الذي خبأها ليرشدني اليها بفكره فنظرت الى حذائهِ حتى رسخت صورتهُ في ذهني ثم خاطبتهُ بقولي له ان نجاحي وفشلي يتوقفان عليك وحدك فانت هو الفاعل وانا آلة في يدك فيجب عليك ان توجه كل فكرك الى ارشادي فاذا عجزتَ عن ذلك عجزتُ انا ايضاً عن الوصول الى الخبيئة فسر ورائي تماماً حتى اذا وجدتني سائراً في الطريق المؤدي الى الغرض رضيت عن عملي وامرتني في ذهنك ان اتقدم في سيري واذا رأيتني ضالاً فتوقفْ وقل لي في ذهنك لاقف واغير طريقي . وغاية ما اطلبهُ منك ان لا تأمرني في ذهنك لاضل الطريق

وهذا الكلام كلهُ هذر وتضليل ولكنهُ أثر في سامعيَّ ولاسيما في الرجل الذي كنت اخاطبهُ وانا اتأمل في حذائيهِ لكي لا انسى صورتهما

ثم عُصبتْ عيناي جيداً وفحص العصابة بعض الحضور وقال واحد منهم وهو وجيه بينهم انهُ ان كنتُ ارى بعينيَّ بعد هذا التعصيب فبصري يخترق حجب الغيب . ولما رأيت ان الجميع امنوا على كلامهِ واعتقدوا اني صرت اعمى لا ارى شيئاً جعلت امشي واتعثر واتلمس كما يفعل الاعمى ولكنني رفعت حاجبي ودرت ونظرت الى حذاء دليلي وكانت اصابع قدميهِ متجهة الى الجهة التي يريد ان اسير فيها فسرت في تلك الجهة . وكنت قبل ذلك قد جلت في المدينة حتى عرفت طرقها وشوارعها جيداً وكنت اعلم ايضاً ان كيس النقود مخبأ في مكان يبعد عن ادارة الجريدة من ميل الى ميلين فجعلت اتلمس الجدران في الشوارع الضيقة وارى خطوط الترام في الشوارع الواسعة ولكنني لا اسير عليها بل اسير في خط متعرج لكي يرسخ في الاذهان اني غير عارف اين انا حتى اذا انتهيت الى آخر الشارع بقيت على تعامي ودرت في دائرة لكي ارى حذاء دليلي واتبين اتجاه قدميهِ . وكثيراً ما كنت ادعي اني سائر على غير هدًى واخاطب الدليل بقولي له انك غير موجه كل ذهنك الى ارشادي فارجو ان تبذل جهدك في هدايتي لانني لا استطيع ان اهتدي بغيرك وهلمَّ جرًّا من الكلام الذي يُبعد الناس عن اكتشاف حيلتي . وكنت اكرر ذلك عند كل لفتة وحولة على اساليب

مختلفة لكي لا اثير الشبهات اذا جريت على اسلوب واحد . وكان لا بدَّ لي من ان اسير كما يسير الاعمى تماماً فكنت اذا وصلت الى مشبَّك في الارض فوق مجرى من مجاري المياه احاول قياسهُ باحدى رجلي لارى هل استطيع العبور من فوقهِ او يجب ان ادور حولهُ واذا وصلت الى حفرة غير عميقة لا احاول تجنبها بل اقع فيها ولو آذيت نفسي فان قليلاً من الالم خير من اتهامي بالخديعة

وهكذا انتهت هذه السياحة بين تلمُّس وخبط وتردُّد وتعثُّر الى ان وصلت الى المكان الذي خبئت فيهِ النقود ومرشدي اليها حذاء دليلي وانا اراهُ بعينيَّ من بين العصابة ووجهي ولم افشل في هذه النوبة ولا في غيرها

واتفق مرةً ان ارتخت العصابة وانحدرت قليلاً فتعذرت عليَّ الرؤْية فلجأْت الى الحيلة وتظاهرت باني عثرت بشيءٍ وسقطت على وجهي فوقعت العصابة عن عيني فاشرت الى الدليل حتى بادر اليَّ وربطها ثانية

واقول في الختام ان كثيرين فسروا اعمالي على طرق شتى ولكن ما من احد منهم اصاب المحزَّ . وبعض هذه التفاسير يستحق النظر ففي اوكلند كان المبوّق يبوق على سبيل الاعلان فقال البعض انني كنت متفقاً معهُ على اصوات مخصوصة يخرجها من بوقهِ فارتشد بها وقال غيرهم ان جسمي كان متصلاً بجسم الدليل بخيوط دقيقة لا ترى فكان يرشدني بها . وقال احد الشيوخ في القاهرة ان الذي يمشي امامي كان متعطراً بعطر مخصوص فاشم رائحتهُ وارتشد بها كما يرتشد الكلب برائحة صاحبهِ . انتهى

فهذا مثال من امثلة كثيرة قام اصحابها وكشفوا سر صناعتهم بعد ان اكتسبوا بها اموالاً طائلة وخدعوا الناس سنين كثيرة

ولا شبهة ان كل ما يعملهُ المشعوذون من الاعمال الغريبة المدهشة يتوسلون اليهِ بوسائل طبيعية اذا كشفوها لم يوجد فيها غير الحيلة والخفة واستعمال بعض الامور الطبيعية المعروفة . ولكن بعض الذين يشاهدون اعمال المشعوذين قد يرون فيها خوارق لم يعملها المشعوذون وبذلك تفسَّر امور كثيرة يقال انها حدثت فعلاً وهي مما يأبى العقل التسليم بحدوثها كما سيجيء في مقالة اخرى

الاحلام

أأسرار ام اضغاث

لي كلمة في الاحلام لا اقصد منها سدّ فراغ او فائدة تتضمنها المقالات عادة وانما اريد تسجيلها لعلَّ فيها فائدة لفريق العلماء الباحثين في الاحلام الذين يظنون ان فيها سرًّا لم نوفَّق الى حلهِ حتى الآن وانها ليست مجرد اضغاث تجيء وتروح اعتباطاً . وما اقولهُ فيما سيجيء صحيح لا ريب فيهِ واذا طُلب مني اقسمت اغلظ الايمان بانهُ الحق كلهُ غير مدخول فيهِ ولا مشوب بشائبة

وقبل طرق هذا الموضوع اقول اني مجبول من خلقتي على الافراط في الشك لا اصدق الأ ما وقع تحت حسي او ما ادخلهُ التواتر في حكم المحسوس الملموس . واكاد لولا ضحك الناس ارتاب في صدق التاريخ الماضي حتى في وجود كبار اعلامهِ الذين لا يرتاب عاقل في وجودهم كيوليوس قيصر وشارلمان ونابليون مثلاً . واكاد ارتاب ايضاً في وجود الاعلام المشهورة في زماننا اشخاصاً كانت ام امكنة . وان كان قد خطر ببالي زيارة اوربا مثلاً فلا تأكد وجودها ووجود ما يسمونهُ لندن وباريس وبرلين الخ

ليفهمني القارئ . اني لا اكذب وجود هذه الاشياء بل اصدق انها موجودة ولكن مع هذا التصديق يتردد في صدري دائماً شبه شك في وجودها حتى لو قال قائل يوماً ان باريس غير موجودة الآن ولا وجدت في زمن من الازمان كنت اول من يصدق قولهُ

كذلك ارتاب في هذا الوجود كلهِ واحسبهُ حلماً ربما كان اطول مدة من الاحلام التي نراها . اقول ربما لانهُ كثيراً ما يحلم الواحد منا انهُ ولد وتزوج وشاب ومرت بهِ الحوادث صغارها وكبارها ثم مات بعد عمر يخيل اليهِ انهُ طويل وقد لا تتجاوز مدة الحلم بضع دقائق . فلمَ لا يكون هذا العمر حلماً كتلك الاحلام ؟ وما الذي يميزهُ عن الحلم ؟ هل يميزه الشعور؟ كلاَّ فاننا نشعر في احلامنا بري بعد عطش وشبع بعد جوع وراحة بعد تعب وان يكن هذا الشعور اضعف في الحلم منهُ في اليقظة

والريب في هذا الوجود ليس ناشئاً عن مرض في صاحبهِ ولا هو مقصور عليهِ بل هو ضرب من الفلسفة كما علمت فيما بعد لهُ اتباع وانصار . ولكن وجودهُ فيَّ قبل علمي بهِ يخرجني من مصاف الفلاسفة والمتفلسفين

رجل هذا حالهُ لا تجد الاحلام واضغاثها منتجعاً طيباً في صدرهِ ما دامت الحقائق

الملموسة لا تجد ذلك المنجع منهُ . فاذا صدّق بوجود علاقة بين الحلم واليقظة فما ذلك الاَّ لان تلك العلاقة ثبتت لهُ ثبوتاً لا يأتيهِ الريب من خلفهِ ولا من امامهِ

اما رجائي في ان يكون ما سأثبتهُ في هذا الباب ذا فائدة في ابحاث الباحثين فمبنيٌّ على طول استقرائي للاحلام مدة عشرين سنة وحفظي للاحلام المهمة التي انبأت بالحوادث قبل وقوعها وتتبعها واحداً واحداً تتبع رجل يهمهُ اكتشاف ما في هذا الوجود من الاسرار للوقوف على كنههِ وماهية امرهِ . فلا يفيد الطبيب في ادراك ماهية مرض ما واعراضهِ وسيرهِ مثل وقوعهِ هو نفسهِ تحت مخالب ذلك المرض

ومعلوم ان كثيرين من الناس لا يحلمون او يحلمون قليلاً . والمرجح انهم يحلمون كغيرهم ولكنهم لا يتذكرون احلامهم او لا يتذكرون منها الاَّ ما هاج فيهم شهوة من الشهوات كالغضب اوالغم او الخوف . وليس ببعيد مع ذلك ان يكون بعض الناس قد خصوا برؤية الرؤَى والاحلام دون البعض فلما انذروا بالحوادث بناء عليها نظمهم الاقدمون في سلك النبيين

ومن رأي بعض الباحثين ان ليس في الاحلام انذار ولا إنباء وانما نحلم احلاماً مبهمة في نومنا فاذا حدثت في يقظتنا حوادث تشبه تلك الاحلام المبهمة الحدود تذكرنا حينئذٍ اننا حلمنا شيئاً بهذا المعنى فقلنا ان الحلم جاء منذراً بهذه الحادثة او تلك مع ضعف وجه الشبه بين الطرفين . واذا لم تحدث تلك الحادثة لم نتذكر الحلم . وعندهم ان افضل محكٍّ للاحلام ان يكتب الحالم عند يقظتهِ ما حلمهُ او يقصهُ على نفر من الشهود العدْل فاذا حدثت بعد ذلك حوادث مثل التي رآها في حلمهِ كان ذلك من قبيل وقوع الحوادث بعد الاحلام اومن قبل انباء الاحلام بحوادث مستقبلة

وبعد هذا البيان اكتفي في هذه المقالة بسرد الاحلام التي انبأت بحوادث جرت لي ولاهل بيتي . ولا بدَّ من القول اعترافاً بالحقيقة اني لم آخذ مذكرة بحلم واحد بعد يقظتي ولكن يرى القارئُ من تفصيل ما جرى لي ان فيما فعلت غنًى عن الكتابة

الحلم الاول

في الثالث من شهر يونيو سنة ١٨٩٩ تناولت جريدة لسان الحال من جرائد بيروت وكنت في هذه العاصمة فقرأت فيها نعي شاب هو شقيق صديق لي توفي في مدرسة بيروت الكلية بالحمى التيفويدية . فاسفت لذلك وتحول اسفي جزءاً من وجود شقيقي تلميذاً فيها . وفي الليل حلمت ان شقيقي توفي ولكنني قلت في نفسي ان ذلك من اضغاث الاحلام فلم احفل بالحلم ولا اعرتهُ اهتماماً ثم اخذ اثرهُ يزول من نفسي حتى جاءني نعي شقيقي في الحادي

والعشرين من ذلك الشهر فتذكرت الحلم بعض التذكر ثم محا ذلك البعض عظم جزعي من فقد شقيقي . فلما اخذ ذلك الجزع يركد على مرّ الايام اخذ ذلك الحلم يعود الى مخيلتي وكان اول حلم احللتهُ محلّ عنايتي لما رأيت من علاقتهِ بحادثة واضحة اتت بعده

الحلم الثاني

حلمتْ والدتي قبل سماعها عن مرض شقيقي بيوم انها فقدت احدى عينيها . وفي الصباح قصت الحلم على شقيقتي متشائمة ولم يكد ذلك اليوم ينتصف حتى جاءها تلغراف من المدرسة بمرضهِ وبين المكانين مسافة ٢٠ ميلاً

الحلم الثالث

ابطأت اخبار حميّ على قرينتي ففي اوائل دسمبر سنة ١٩١٢ حلمتْ انها رأت جملاً وذهباً وهي امور توجب التطيّر في عرف اهل الاحلام . وحلمتُ انا في الليلة نفسها ان شقيقتها طرقت الباب علينا وهي لابسة ملابس الحداد فلما تلاقتا بكتا وانتحبتا . قالت قرينتي هل مات ؟ فاجابتها شقيقتها بالعويل والبكاء

وفي الصباح قصَّ كلٌّ منا حلمهُ على الآخر . وكان ذلك الصباح صباح يوم الخميس في ٥ دسمبر فوزع بريد الشام وليس فيهِ شيء لنا فانتظرنا البريد التالي على احرّ من الجمر . وفي صباح الخميس ١٢ دسمبر قصدت مكان عملي وجلست انتظر البريد . ونحو الساعة ½ ٨ صباحاً اقبل الغلام فرأيتهُ من بعيد يحمل كتاباً اسود فايقنت انهُ نعيّ حميّ واذا الامر كذلك

الحلم الرابع

حلمت صباح يوم الخميس في ٤ مارس سنة ١٩١٥ ان ثلاثة اطباء دعوا لعيادة مريض في منزل يناوح منزلنا وبعد المشاورة نزلوا تتبعهم ممرضة . ولم اعلم نتيجة عيادتهم . وفي الصباح قصصت الحلم على اهل بيتي فلم يبدوا فيهِ رأياً . وفي المساء قيل لي ان جارنا فلاناً (ولا حاجة ان اسميهُ باسمهِ الا اذا اقتضى الامر) اصيب بخفقان وهو يجري وراء الترام فخارت قواهُ وركب مركبة الى منزلهِ فاصعدوهُ على الدرج محمولاً من فرط اعيائهِ . فذهبت لاراهُ وبينا انا هناك عادهُ ثلاثة اطباء من معارفي . وفي الصباح التالي توفي

الحلم الخامس

حلمت شقيقتي في اوائل نوفمبر سنة ١٩١٥ ان شيخاً طاعناً في السنّ زارنا في منزلنا (وهو ميت منذ ٢٠ سنة) فهيأت لهُ القهوة وجاءت بفنجانين فوجدتهُ نائماً فقلت لها عودي بالقهوة من حيث اتيت ولا تقدميها اليهِ ففعلت

الحلم السادس

حلمت في الاسبوع الواقع بين ١ و ٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ ان ابنتي الكبرى وعمرها ٣ سنوات وشهران في مكان عميق وحدها فلما رأيتها على تلك الحال قلت لاختها ربيبتي وعمرها ١١ سنة انزلي وانقذي اختك لانك اخفّ مني خطوة فنزلت ثم انتهى الحلم بذلك · وفي ١٤ نوفمبر مرضت ابنتي فسار مرضها سيراً طبيعيًّا على ما ظهر لنا ولطبيبها ولكن قلقي كان يشتد عليها يوماً فيوماً وكنت ارى حالها تسوء والطبيب يرى غير ذلك مع اني كنت اشرح لهُ كلّ ما كان يعتريها في غيابهِ واذكر لهُ مفصلاً سرعة نبضها ودرجة حرارتها وما كان يعتريها في الليل من الغيبوبة · وفقدها النطق قبل وفاتها باربعة ايام · وفي ظهر الثلاثاء ٢٣ نوفمبر عادها وبالغ في تطييب قلوبنا وقال لا حاجة بكم الى دعوتي بعد الآن بل احضروا لها هذا المقوي ولتشرب منهُ · فلما جلسنا للغداء انا وامها اكلنا بقابلية بعد صيامنا اسبوعاً لم نأكل في خلالهِ الا ما نتبلغ بهِ · فقلت لها سأقصّ عليك هذا الحلم الذي رأيتهُ من نحو اسبوعين وكنت امتنع عن ذلك قبل الآن خشية تشاؤمك فقصصتهُ عليها · وفي الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم دخلت ابنتي في دور النزع وتوفيت بعد ظهر اليوم التالي

الحلم السابع

حلمت قرينتي ليلة مرض ابنتنا انها فقدت ساعتها وسلسلتها ثم وجدتها ولكن الساعة كانت مكسورة وقطعة من زجاجها مفقودة · ولم تعلم هل وجدت هذه القطعة ام لم تجدها · ولكنها كانت تحاول اقناع نفسها مدة مرض ابنتنا بانها وجدت القطعة خشية ان يكون فقد القطعة شؤماً علينا

⁂

وعندي ان الاحلام اسرار لا تزال محجوبة عن عقل العارفين وليست اضغاثاً · ولا بد ان نهتدي الى حلّ رموزها واماطة الحجاب عنها على مرّ الزمان · اما ان كان بعض الناس مختصاً بها دون البعض الآخر فما لا قبل لي بمعرفتهِ فلا ابدي فيهِ رأياً · وقد يكفي ان يصح حلم واحد للبرهان على وجود علاقة بين الاحلام وماجريات هذا الكون · اي يكفي ان يثبت ان حادثة معينة انبأ بها الحلم بكل تفاصيلها إنباء لا مشاحة فيهِ ليثبت ان بين الاحلام والحوادث الجارية علاقة ما وان تكن مجهولة السبب · وكل يوم تكشف لنا اسرار ما كان اسلافنا يحلمون بكشفها فلماذا لا تكون الاحلام احدها ؟ · وعسى ان تكون اولها

ن · ش

الزونثرابيا

اي منطقة العلاج او العلاج بالضغط

من العلاجات الطبيعية المألوفة الكزّ على الاسنان لتخفيف الالم مهما كان محلهُ · والضغط على القيد بين الابهام والسبَّابة لتخفيف الصداع · فهل يخفُّ الالم حقيقةً بذلك او يتوهَّم صاحبهُ توهُّماً انهُ خفَّ

يقال ان الضغط علاج حقيقي لتخفيف الالم وازالة سببهِ وقد استعملهُ الدكتور وليم فتزجرلد الاميركي لذلك وسماهُ بالزونثرابيا من كلمة زون ومعناها منطقة او جهة وثرابيا اي علاج او شفاء للدلالة على ان الضغط في جهة من البدن يزيل الالم من جهة اخرى منهُ · وعندهُ ان الضغط علاج طبيعي لتخفيف الالم يلجأُ اليهِ الانسان بالسليقة فاذا دقَّ مرفقك بشيءٍ فشعرت بالم شديد فاول شيءٍ تفعلهُ بالفطرة من غير تروٍّ هو انك تمسك مرفقك بيدك الاخرى وتضغط عليهِ ضغطاً شديداً لازالة الالم · واذا جلستَ امام طبيب الاسنان ليقلع ضرسك ولم يخدّرك بالكوكايين او غيرهِ وشعرت بالم فانك تقبض على الكرسي بيديك وتشد بكل جهدك

وقد قال الدكتور ادون بورس في مقالة نشرتها مجلة السترائد الانكليزية ان الدكتور فتزجرلد هذا طبيب واسع الخبرة درس في جامعة فرمونت باميركا واشتغل بالتطبيب سنتين في مستشفى الاذن والانف والحلق في مدينة لندن وساعد الاستاذ بولتزر والاستاذ اوتو شياري سنتين في فينا ورأس قسم طب الانف سنين كثيرة في مستشفى سنت فرنسيس بهاتفرد · لكنهُ لما اكتشف طريقة ازالة الألم بضغط بعض الاعصاب لم يرَ من زملائهِ الاطباء شيئاً من التأييد

والامر على ما بينهُ الدكتور فتزجرلد غريب جداً لذاتهِ يصعب تعليلهُ فانهُ وجد ان الضغط على نقطة مخصوصة داخل الانف او الفم او الحلق او اللسان يزيل الالم من بقع مخصوصة في الجسم · وقد استعمل الضغط بدل المخدرات في كل العمليات التي كان يستعمل الكوكايين فيها · واكتشف اكثر من ٣٠٠ نقطة داخل المنخرين والفم والحلق الضغطُ على كل نقطة منها يزيل الالم من جهة مخصوصة من الجسم لكن هذا الضغط لا يزيل الالم في كل الناس على حد سوى بل يزيلهُ في نحو ٦٥ في المئة من الذين امتُحن فيهم

ولم يحصر هذا الاكتشاف في ازالة الالم بل تناول ايضاً ازالة سبب الالم فالضغط على

ابهام القدم يبطل الم الضرس وقد يزيل سببهُ ايضاً وقس على ذلك سائر الآلام التي ازالها بالضغط فان الضغط اضعف سببها ثم ازالهُ فهو علاج مسكّن وشافٍ معاً

ومن الامراض التي شفيت بهِ التهاب الشعب والزكام الصيفي الشديد المعروف بحمى القش وهو من الادواء التي قلما ينجع فيها علاج فيسير سيرهُ الطبيعي الى ان يزول . ومعالجة الدكتور فتزجرلد لهذا الداء تقوم بالضغط بالاصبع على سقف الحلق مما يلي الفلصمة وعلى طارف الخيشوم مما يلي الحلق ايضاً وبِسبر على نقط مخصوصة في اللسان والبلعوم . وقد لا يعلم مقر هذه النقط الا الطبيب ولكن الضغط الشديد على اللسان كلهِ ثلاث دقائق كافٍ لنيل المراد

ولم يجد بين المئات الذين عالجهم من هذه الحمى واحداً خالياً من عيب في انفهِ والغالب ان يكون في الانف عظم ناتئ او تكون ارنبتهُ مائلة او معوجةً او يكون غشاؤُهُ المخاطي ملتهباً

ومن الادواء التي افاد فيها الضغط داء الغواتر اي تضخم العنق لآفة في الغدة الدرقية قللت افرازها او زادتهُ . فاذا نتج هذا التضخم عن قلة افراز الغدة الدرقية عولج باعطاء المصاب خلاصة من غدد الغنم الدرقية الجافة المسحوقة حتى اذا زال التضخم حينئذٍ فالعلاج مصيب واذا زاد دلَّت زيادتهُ على زيادة افراز الغدة الدرقية فيهِ فكان يعالَج بقطع جانب منها . اما الدكتور فتزجرلد فحاول ازالة ما يشعر بهِ المصاب بهذا الداء من الاختناق وزيادة خفقان القلب والاضطراب العصبي بان ضغط على مؤخر بلعومهِ بِسبر واجازهُ الى انفهِ واجراهُ فيهِ وللحال قلَّ الالم وزالت الاعراض العصبية واخذ الورم يقلّ

وقد عالج ٢١ حادثة من حوادث الغواتر في الخمسة عشر شهراً الماضية وبعضها من النوع الذي تجحظ فيهِ العينان ويصاب القلب ويفرط ورم العنق فشفي ١٢ حادثة من الاحدى والعشرين وتقدم ثمانٍ نحو الشفاء ونقص الورم في البعض ثلاث بوصات في ثلاثة اسابيع . ولم يعالج المصابون الا بالضغط وبقيت حادثة واحدة لم ينجع فيها العلاج ففحصها طبيب من اطباء الحنجرة ووجد خراجاً في المنطقة التي يفعل الضغط فيها بالغواتر وهذا يؤيد ما ذهب اليهِ الدكتور فتزجرلد وهو وجود مناطق تتأثر اعصابها بالضغط فتؤثر في جهات مخصوصة من البدن وتزيل العاهات منها

وقد قسم الجسم الى عشر مناطق حسب عدد اصابع اليد والرجل اذ وجد لكل اصبع من الكف او القدم علاقة بمنطقة من مناطق الجسم . فاذا ضغط على العقدة الاولى من عقد الابهام ضغطاً شديداً ثلاث دقائق خفَّ الم المعدة والصدر والاسنان المقدمة (القواطع) والانف وابهام القدم وكل ما في هذه المنطقة . ولكن هذا الضغط لا يؤثر في اللهاة والكبد والطحال

لان هذه في المنطقة الرابعة ولا يؤثر فيها الأ الضغط على الخنصر . والضغط على اصابع اليد اليمنى يؤثر في الشق الايمن من الجسم لا في الشق الايسر والضغط على اصابع اليد اليسرى يؤثر في الشق الايسر . ويختلف فعل الضغط حسب كونه على ظاهر العقدة او على باطنها او على جوانبها

ومما رآهُ الدكتور فتزجرلد ايضاً ان حالة الاسنان تؤثر في التعرُّض لمرض الغواتر لانهُ لم يجد احداً مصاباً بهِ الأ وفي اسنانهِ آفة ما . واستطرد من ذلك الى اكتشاف العلاقة بين الم الاسنان والضغط على اعصابها فجعل يزيل الم الاسنان بالضغط واقتدى كثيرون من اطباء الاسنان بهِ فابطلوا استعمال الكوكايين وابدلوهُ بالضغط على العصب المتصل بالسن المألومة واستمرار الضغط ثلاث دقائق فيزول الالم تماماً اذا لم يكن في اصل السن خرَّاج . واستعمل بعضهم الضغط على الاصابع لمنع الم الاسنان والاضراس التي يراد حشوها او كشط القلاح عنها . فالضغط على الابهامين يزيل الالم من القواطع والانياب والضغط على السبابة يزيل الالم من الاضراس ذوات الحدبتين والضغط على الاصبع الوسطى يزيل الالم من الاضراس الطواحن والضغط على البنصر يساعد الضغط على الوسطى . والضغط على الخنصر لا يفيد الأ في ازالة الألم من ضرس العقل

ومهما اشتدَّ الضغط يجب ان لا يبلغ حد الالم ولكن ينتج عنهُ خدَر يمتد في الذراع كلها و ينتشر في المنطقة المتصلة بتلك الاصبع لكن ازالة الالم من الاسنان وقتية لا تزيل سببهُ الأ اذا كان عصبياً

لما عقدت جمعية اطباء الأسنان في ويرس باميركا في شهر يونيو الماضي أُتي اليها بامرأة عمرها نحو ٣٥ سنة تشكو من ورم كبير في مقدَّم عنقها وقد تضخمت غدتها الدرقية والغدد المجاورة لها لسبب من الاسباب . وكانت متألمة جدًّا لا تحتمل ان يلمس احد عنقها لشدَّة تألمها ولم تكن تستطيع ان تبلع شيئاً ولا نقطة ماء وكان قد مضى عليها خمسة ايام لم تبلع شيئاً لا طعاماً ولا شراباً . وقال طبيبها ان لا بدَّ لها من عملية جراحية والأحياتها في خطرٍ ودعي ستة من الاطباء للنظر في امرها فقرروا ان يمد انبوب في حلقها وتسق منهُ الى ان ترى وسيلة أُخرى لعلاجها وكان قلبها يضرب ١٥٠ ضربة في الدقيقة وكل الدلائل تدل على آفة في الغدة الدرقية فاشار بعض الاطباء ان تجرَّب فيها طريقة الدكتور فتزجرلد فدعي طبيب من نيو يورك لكي يعالجها بضغط ابهام يدها ففعل ولم يمضِ ثلاث دقائق حتى خف الألم وزال التغضن من جبينها وصارت تحتمل لمس عنقها . وطلب الطبيب لها كاساً من الماء فلما اتيت بها اشارت بيدها انهُ يستحيل عليها ان تبلع شيئاً فشجعها الطبيب فمصَّت مصة و بلعتها واتبعتها

بمصة اخرى ثم شربت ثلث الكاس واعيد الكبس على ابهام يدها مراراً مدة ساعة من الزمان شربت في غضونها اربع كؤوس من الماء وكاساً من اللبن · وربط ابهام يدها برباط من الكاوتشوك يضغط عليهِ فنامت تلك الليلة وهي اول ليلة نامتها منذ اصابها الألم · وزال كل الورم تقريباً وصارت تبلع بسهولة ثم شفيت تماماً · انتهى

فهل حدث ذلك بالوهم والاستهواء او ان تفرُّعات الاعصاب قادرة ان تجيش جيوش الخلايا البيضاء من الدم لإزالة اسباب الالتهاب او ان لازالة هذا الألم وعلته سبباً آخر غير معروف · ذلك ما لابدَّ من كشفهِ عاجلاً او آجلاً

اوهمٌ ام سرٌّ خفي

السر كونان دويل من اشهر كتَّاب الروايات باللغة الانكليزية ولاسيما الروايات التي موضوعها كشف الجناة · وقد كتب الآن عن حوادث وقعت لهُ وهي في حد الغرابة ولولا اعتقادنا صدقهُ ونزاهتهُ لضربنا عنها صفحاً ولم نعنَ بالاشارة اليها · اما وهو من نوابغ الكتَّاب الذين يشار اليهم بالبنان فرأينا ان نذكر خلاصة هذه الحوادث ونلحقها بما يبدو لنا من تعليلها

الحادثة الاولى — كان مسافراً في سويسرا سنة ١٨٩٢ وقادهُ الترحال الى عبور ممر جمي فرأى على رأس الاكمة المشرفة عليهِ فندقاً منفرداً يطلُّ على الوادي الذي تحتهُ فقال في نفسهِ ان هذا الفندق يفتح صيفاً ويقفل شتاء لتراكم الثلج عليهِ وشدَّة البرد فيهِ ثم بلغهُ ان اصحابهُ لا يهجرونهُ ابداً بل يجمعون مؤونة الشتاء ويبقون فيهِ · فجعل يفكر في امرهِ وحاك في صدرهِ ان يؤلّف قصةً يجعل فيها سكان الفندق مختلفي الطباع جدًّا ويصف ما يحلُّ بهم من اختلافهم هذا وهم مضطرون ان يقيموا في ذلك الفندق كل فصل الشتاء والناس تحتهم في الوادي عائشون على تمام الرفاه والهناء · وبينما هو يجلُّ في هذا الموضوع ويؤلف القصة في ذهنهِ اشترى كتاباً في الطريق من اوضاع المسيو موبسان والقصة الاولى فيهِ عنوانها الفندق (d'Auberge) فتلاها واذا هي تصف ذلك الفندق عينهُ وموضوعها مثل الموضوع الذي رتَّبهُ في ذهنهِ · وقال انهُ لم يكن قد رأى هذا الكتاب ولا سمع بهِ ولو ألَّف الرواية التي خطر على بالهِ تأليفها لثبت عليهِ انهُ سرقها من كتاب موبسان · فكأنَّ قوة غير طبيعية جعلتهُ يفكر كما فكَّر موبسان تماماً ثم منعتهُ من ان يكتب شيئاً يعدُّ انتحالاً ولو لم يقصد الانتحال

الحادثة الثانية — ان المهارة التي ابداها في رواياتهِ المشار اليها آنفاً جعلت كثيرين يلجأُون اليهِ ليساعدهم في اكتشاف الجناة فكان يفوز بالمراد غالباً · وكان في حادثة من الحوادث التي طُلبتْ مساعدتهُ فيها رجل بدَّالٌ اسمهُ جون ولدر هاجر الى اميركا وهو من الذين لم علاقة كبيرة بالجناية فلم يكد يتناول البحث في هذه الحادثة حتى اخذ واحد يرسل اليهِ الجرائد من مدينة في كليفورنيا بعد ان يكتب على حواشيها عبارات التهكم والازدراء مشيراً فيها الى بحثهِ في هذه الحادثة · ثم ان هذا الرجل كتب اسمهُ وعنوانهُ في حاشية جريدة منها وهو جون ولدر · فكتب السر كونان دويل الى رئيس البوليس في تلك المدينة يسألهُ هل هذا الرجل مقيم هناك فاجابهُ بالايجاب · فلم يرَ بدًّا من حسبانهِ نفس الرجل المطلوب · فاخبر بذلك رجال البوليس في انكلترا وهؤُلاء بحثوا وحققوا فوجدوا ان جون ولدر الساكن في تلك المدينة هو غير جون ولدر المطلوب وان الذي كان يرسل الجرائد الى السر كونان دويل هو رجل آخر معروف في تلك المدينة وهو اميركي مختل الشعور · وقال السر كونان دويل ولا شبهة انهُ لم يكن لهذا الرجل اقل علاقة بالجريمة ولكنني لا ادري ما دعاهُ الى الاهتمام بها ولا ما هو سبب هذا الاتفاق الغريب

الحادثة الثالثة — قال السر كونان دويل كنت ماشياً مع زوجتي في البنشيو برومية ولم تكن زوجتي قد رأَت ذلك المكان ولا قرأَت عنهُ شيئاً اذ كنا في اليوم الاول من زيارتنا لرومية فقالت لي اننا سنرى هنا تمثال دنتي وبعد دقائق قليلة وصلنا الى حيث كان تمثالهُ فقلت لها كيف عرفت ذلك فقالت لا اعلم

الحادثة الرابعة — قال ايضاً تعلقت على البحث في المواضيع الغامضة (كمناجاة الارواح) مدة ثلاثين سنة وكنت مرةً مقيماً في قرية فتعرفت بطبيب فيها صغير الجسم قليل العمل وبلغني ان في بيتهِ غرفةً سرية لا يدخلها احد غيرهُ وانها مخصصة بالبحث في المواضيع الفلسفية الغامضة لانهُ من الباحثين في هذه المواضيع · فزاد اهتمامي بامرهِ ولما رأَى مني ذلك عرض عليَّ ان انضم الى جمعيتهِ السرية وجرى بيننا حينئذٍ الحديث التالي

قلت — ماذا استفيد من هذه الجمعية

فقال — تكتسب قوًى مع الزمن لا تجدها فيك الآن

فقلت — ما نوع هذه القوى

فقال — هي من النوع الذي يسميهِ الناس فوق الطبيعة مع انها طبيعية محضة ولكن لا ينالها احد الاَّ بعد ما يعرف اعماق قوى الطبيعة

فقلت — ان كانت هذه القوى مفيدة فلماذا لا تعلمون بها كل الناس
فقال — لاننا نخاف ان يسيء بعضهم استعمالها
فقلت — كيف تضمنون منعها عن الذين يسيئون استعمالها
فقال — بامتحان الذين يطلبون الانضمام الينا
فقلت — وهل مرادكم ان تمتحنوني
فقال — نعم
فقلت — من يمتحنني
فقال — الذين منا في لندن
فقلت — وهل يُطلب مني ان احضر لديهم
فقال — كلا بل هم يفعلون ذلك من غير ان تعرف
فقلت — ثم ماذا
فقال — يجب ان تدرس
فقلت — ماذا ادرس
فقال — يجب ان تستظهر اشياء كثيرة اولاً
فقلت — اذا كانت هذه الاشياء مطبوعة فكيف لا يطلع الجمهور عليها
فقال — انها ليست مطبوعة بل هي مكتوبة كتابةً في كراريس وعلى كل كراس منها عدد ما وقد ائتمن عليها اعضاء جمعيتنا ولم يحدث حتى الآن ان احداً منهم خاننا
فقلت — لا مانع اذاً من ان تسيروا في عملكم من جهتي

وبعد نحو اسبوع نهضت في الصباح ذات يوم واذا انا اشعر بدويّ في اذنيَّ وبدني كله كأنَّ هزَّةً كهربائية مرَّت في جسمي فخطر ببالي حالاً ذلك الطبيب . وبعد ايام قليلة زارني وقال لي باسماً انك امتُحنت فجزتَ الامتحان والآن قُلْ لي هل انت مستعد ان تسير معنا لانك اذا ابتدأت لا تستطيع ان ترتد فإما ان تسير معنا الى النهاية او تعدل عن ذلك من الآن

فرأيت حينئذ ان الامر مهم جداً واني لست في سعة من الوقت لهُ فاخبرتهُ بذلك فلم يستأ بل قال اذاً تركنا هذا الموضوع ولا نعود اليهِ الاَّ اذا غيَّرتَ فكرك

وبعد شهر او شهرين زارني هذا الطبيب ومعهُ طبيب آخر اسمهُ معروف لديَّ وهو رحَّالة في الاقاليم الحارَّة مشهور فجلسا معي حول النار في مكتبي ولحظت ان الرحالة كان شديد

الاحترام للطبيب مع ان الطبيب اصغر منهُ سناً ثم قال لي الطبيب ان فلاناً أي الرحالة من تلامذتي ثم التفت الى الرحالة وقال لهُ ان دو بل كاد يصير من جماعتنا . والحال جعل الرحالة يتكلم مع الطبيب عن الغرائب التي شاهدها فاصغيت الى كلامهما كأني اسمع اثنين من المجانين . واتذكر الآن ان الرحالة قال للطبيب ما نصهُ انك لما اخذتني معك وكنا دائرين فوق المدينة التي كنتُ مقيماً فيها في اواسط افريقية رأيت لاول مرة الجزائر في البحيرة . وقد كنت اعلم ان هذه الجزائر فيها ولكنني لم ارها قبلاً لبعدها عن الشاطىء . ألا يُستغرب انني رأيتها اول مرة وانا مقيم في لندن

الحادثة الخامسة — ذهبتُ مرةً لانام في بيت يقال ان الارواح تسكنهُ وذهب اثنان ليناما معي فيهِ وكنا كلنا موفدين من قبل جمعية المباحث النفسية التي انا من اعضائها الاوائل . وكان الساكنون في هذا البيت يسمعون اصواتاً مزعجة في الليل فاضطروا ان يهجروهُ . ولم نسمع نحن شيئاً في الليلة الاولى ومضى واحد من رفيقيَّ وبقيت انا والرفيق الآخر وهو المستر بُدمور المشهور في بحث الامور النفسية فتحوطنا الاحتياط الكافي لمنع كل غش ونمنا ولم يكد الليل ينتصف حتى سمعنا صوتاً كأن احداً يضرب على طاولة بمطرقة كبيرة وكانت ابواب الغرف مفتوحة كلها فقمنا واسرعنا الى المطبخ لان الصوت كان صادراً منهُ فلم نجد فيهِ شيئاً فاخذ بُدمور المصباح وعاد الى غرفة الجلوس وبقيت انا في الظلام لعلي اسمع الصوت ثانية ولكن الصوت انقطع ولم يعد تلك الليلة

وبعد سنوات احترق ذلك البيت ووجد في حديقتهِ عظام فتى عمره نحو عشر سنوات مدفونة في الارض . ويقال ان موت هذا الفتى وهو في عنفوان صباهُ جعل ما لم يُستنزَف من قوتهِ يبقى هناك وهو سبب ما يُسمع من الاصوات . انتهى كلام المؤلف

من يقرأ هذه الحوادث وامثالها قلما يخطر ببالهِ ان يرتاب في صحتها لا سيما وان راويها من كبار الكتاب المشهورين . اما نحن فنرتاب في صحتها كل الريب ودليلنا الاكبر على هذا الريب كون السر كونان دويل من الذين اشتغلوا ثلاثين سنة في المباحث النفسيَّة فعقلهُ معرَّض لتصديق الغرائب . اي انهُ من الذين تستهويهم الغرائب فيسهل انخداعهم بها . واذ قد تمهَّد ذلك ننظر في ما تحتملهُ كل حادثة من الحوادث المذكورة آنفاً من التعليل

الاولى حادثة الرواية التي كان يفكر في تأليفها ثم اطَّلع على رواية مؤلفة في موضوعها تماماً . فاننا نعللها بانهُ سمع خلاصة هذه الرواية ممَّن قرأها ثم نسي انهُ سمع ذلك وجعل يفتكر

بهِ كأنهُ من بنات افكارهِ لا كأنهُ سمعهُ قبلاً . ومامن احد الاَّ وقد وقع لهُ شيء من ذلك ولا سيما اذا سمع كلاماً وهو منتبه الى حديث آخر فان الكلام يدخل اذنيهِ و يرتسم في ذاكرتهِ في الوقت الذي يكون انتباههُ موجهاً الى شيء آخر فلا يشعر انهُ سمعهُ ولكن اثرهُ يبقى في ذهنهِ فاذا حدث ما نبههُ اليهِ حسب انهُ شيء جديد في دماغهِ

الثانية حادثة الرجل الذي هاجر الى اميركا فان مماثلة اسمهِ وصناعتهِ لاسم رجل مقيم في كليفورينا ليس من الامور المستغربة فان اسم هنري سمث مثلاً عند الانكليز مثل اسم محمد توفيق في مصر يتسمى بهِ كثيرون . والظاهر ان الرجل المختل الشعور قرأ ان السر كونان دو يل كان يبحث عن رجل بهذا الاسم وكان يعرف ان الرجل المسمَّى بهذا الاسم في بلدهِ لا يحتمل ان تكون لهُ علاقة بالجريمة فجعل يتهكم عليهِ بما يكتبهُ من الحواشي التي يرسلها اليهِ

والثالثة إخبار زوجتهِ اياهُ بوجود تمثال دنتي قبل ان رأتهُ وفي مكان لم ترهُ قبلاً يفسر بانها رأت صورة ذلك المكان قبلاً وصورة ما يجاورهُ ورأت فيهِ صورة تمثال دانتي فلما دنت منهُ تذكرت الصورة الباقية في ذهنها ولكنها لم تتذكر انها رأتها قبلاً وهذا كثير الوقوع

والرابعة حادثة الطبيب والرحالة وقولهما انهما طارا في مدينة لندن فرأيا بحيرة في قلب افريقية والجزائر في وسطها . وعندنا ان الطبيب والرحالة من اهل الاوهام وهؤُلاء لم يخلُ عصر منهم . فقد جاء في ترجمة ابن الفارض ان رجلاً اراهُ مكة والمدينة وهو في مصر في سفح جبل المقطم وانهُ كان ينتقل الى مكة من مكان يبعد عنها عشرة ايام في ليلة واحدة ثم يعود ثانية واشياء اخرى من هذا القبيل . اما كيف يتوهم بعض الناس انهم انتقلوا من بلاد الى اخرى في لحظة من الزمان فمثل توهم كل احد انهُ يفعل ذلك في الحلم اي ان بعض الناس يحلمون وهم ايقاظ كما يحلمون وهم نيام فانهم يهجسون فيصدقون ما هجسوا بهِ كأنهُ واقع فعلاً لضعف قوة التحقيق فيهم

والخامسة حادثة البيت المسكون . ذكر السر كونان ادويل ان رفيقهُ كان المستر بدمور ولا ندري هل هو المستر فرنك بدمور مؤَلف كتاب مناجاة الارواح الحديثة وكتاب مناجاة الارواح الاحدث او اخوهُ المستر A. Podmore فان كان الثاني فلا شأن لحكمهِ لانهُ سهل الانخداع وان كان الاول فلا ندري هل ذكر هذه الحادثة في كتابهِ ولا ماهو رأيهُ فيها ولكن يظهر لنا انهُ كثير التساهل لا يرتاب في حادثة الاَّ اذا كانت الادلة على نقضها قاطعة . وقد وقع لنا ان شاهدنا بيوتاً مسكونة ترشقها الارواح بالحجارة في ظلام الليل ثم ثبت ان الذين كانوا يرشقون الحجارة غلمان يختبئون في الاشجار وغرضهم الانتقام من السكان

ماذا ينبغي ان اكون (١)

ايها السيدات والسادة

أُحييكم جميعاً تحيَّة المساء وأحتفي بكم احسن احتفاء . وأُثني على تشريفكم هذه الحفلة اجمل ثناء

أحبب بهـا من حفلة غرَّاء ... حبت القلوب مسرةً وهناء
كرَّت على جيش الدجى انوارها ... وتخطفتهُ فرَّقتهُ هباء
جئنا اليها في المساء وكلنا ... في حيرةٍ اذ لم نلاقِ مساء
واذا استحال الى الصباح مساؤُنا ... فيها فمربعنا يكون سماء
فاض الضياء بها وعمَّ كأنها ... شمس تُشعُّ على الحضور ضياء
هي في ضياء ساطع ينبثُّ من ... غاز يحاكي النيرين بهاء
ولها ضياء آخر من مطلع ال ... وجنات يطفح بهجة ورواء
هذان . والثاني الاهمُّ لانهُ ... بقلوبنـا مستأثر ما شاء
طوراً يملّينا الرجاء فنجتلي ... أقمارهُ ويزيدها استجلاء
ويصدُّ عنا تارةً فيردُّنا ... من يأسنا في ليلة ظلماء
ولها ضياء ثالث ما جاء من ... غازٍ ولا من كهرباء جاء
قبستهُ من دار العلوم تشعهُ ... فينا فيصدع للظلام رداء
بارَتْ بهِ ما في محيط الارض من ... نور وفاقتهُ سنًى وسناء

...

دارَ العلوم عمي مساء واسلمي ... واسمي وزيدي ما اردتِ نماء
وليعلُ في فلك الكنانة بدرك الـ ... ـموموقُ وضَّاحَ السنى وَضَّاء
واهوي على الليل البهيم بنورهِ ... واقضي على الجهل الوخيم قضاء
ولتبقَ فيك الطالبات كواكبا ... ولهنَّ دومي قبَّةً زرقاء

(١) خطابة القيت في حفلة توزيع الشهادات على منتهيات مدرسة البنات الاميركية بالازبكية في ٢٣ دسمبر الماضي

وبعد فلقد انتدبني منذ بضعة ايام حضرة شيخنا الوقور الجليل وراعينا العزيز النبيل الدكتور وطسن لاقول كلمة في هذه الحفلة الزاهرة وعلى رغم ضيق وقتي وقلة استعدادي لم ارَ بدّاً من اجابة الاقتراح بمزيد الارتياح

واذ انكم تقاسمونني فرح النظر الى هؤلاء الاوانس المنتهيات والعذارى العشر — وكلهنَّ حكيمات — واقفات امامكم موقفاً يتهيبهُ الكهول ويحترمهُ الشيوخ وتشاركونني في مسرة عدّهنَّ خير وسيلة فعّالة في ترقية الوطن ورفع شأنهِ استأذنكم في توجيه كلامي اليهنَّ في ما اقولهُ بما استطيع من الاختصار

فلا يخفى عليكنَّ ايتها الاوانس ان حياة الانسان من المهد الى اللحد اشبه شيء بمراحل يقطعها المسافر . فتبتدئ المرحلة الاولى بالخروج من السرير او الحجر وتنتهي الاخيرة بالدخول في باب القبر . لانهُ :—

«كل ابن انثى وان طالت سلامتهُ يوماً على آلةٍ حدباء محمولُ»

ولكي يأمن المسافر اخطار السفر ويخفف عن نفسهِ ثقل مشقاتهِ واتعابهِ يستعد لهُ قبل شروعهِ فيهِ ويسأل من جرّبوهُ قبلهُ عن احتياجاتهِ . فان قيل لهُ مثلاً ان في الطريق لصوصاً سارقين شاكي السلاح . وان قيل لهُ ان الطريق مضلّة لا يؤمن لهُ فيها هدى استعان عليها بدليل . وان قيل لهُ انها معطشة وليس من طعام يباع فيها اعدَّ الزاد والماء . وهكذا يهيئ كل ما يحتاج اليهِ ثم يسير آمناً مطمئناً

ولكي يقطع الانسان مراحل هذه الحياة بسلام ويصيب فيها عيشة راضية يجب عليهِ ان يدرس طبيعة كل مرحلة منها على حدة ليعرف ماذا ينبغي لهُ ان يكون فيها فيكون

ثم ان المراحل التي يقطعها المسافر تختلف بعضها عن بعض اختلافاً عظيماً . فقد تكون الواحدة منها سهلة الطريق امينتها ومعهُ فيها بعض الرفقاء الامناء الذين عرفوها من قبل فيسير متكلاً على هدايتهم وارشادهم . بينما تكون المرحلة الاخرى صعبة المسير خطرتهُ وليس معهُ فيها من يرشدهُ او يهديهِ فيسير مستوحشاً ينهكهُ الاعياء ويهيم على وجههِ خابطاً كالعشواء في الظلماء

وهكذا الحياة فان مددها تختلف بعضها عن بعض في المشقات والاتعاب ولزوم الاهتمام . وها انتنَّ قد حزتنَّ الآن منها مدّتين وقطعتنَّ مرحلتين ولم تعانين فيهما شيئاً مما ستعانينهُ في المراحل المقبلة ان لم تأخذن الاهبة لنفوسكنَّ مذ الآن

ففي خروجكنَّ من هذه المدرسة تشرعن في اجتياز طور الصبوة او مرحلة الشباب وهي

اصعب مرحلة في طريق الحياة · وعلى كلٍّ منكنَّ ان تقف في اول هذه المرحلة وتسأل نفسها قائلة « بمَ استعدُّ لها ؟ وماذا ينبغي ان اكون » وهذا هو موضوع كلامي

فماذا ينبغي ان تكنَّ ؟ نعم — من الآن — قبل خروجكنَّ من المدرسة يجب ان تعرفن ماذا ينبغي ان تكنَّ · قبل شروعكنَّ في قطع هذه المرحلة المحفوفة بالمخاطر والمحاطة بالمزالق والمعاثر عليكن ان تبحثن وتفتشن وتتساءلن قائلاتٍ ماذا ينبغي ان نكون

ولهذا السؤال اجوبة كثيرة لا يسعنا ان نعدَّها كلها · ولكن اذا سألتني كلٌّ منكنَّ عمَّا يحضرني من الجواب قلت لها ينبغي ان تكوني فتاة للوطن اي ان تقفي حياتكِ على عمل كل ما يرقي مصر العزيزة ويرفع شأنها العالي ويُسعد اهلها المحبوبين

ولكي تكوني بالحقيقة فتاة للوطن ينبغي لكِ ان تنعمي النظر في امرين عظيمي الاهمية ومنهما يتضح لكِ المراد وتعرفين الوسائط التي يجب عليك اتخاذها للوصول الى المطلوب · واوَّل هذين الامرين داخليٌّ يتعلق بكِ والآخر خارجيٌّ يتعلق بالعالم حولكِ

فالاول — النظر الى نفسك — الى معرفة ذاتكِ — معرفة ما انتِ وما لكِ وما عليكِ · وهذا الامر صعب الى الغاية · فليس بسهلٍ ان يعرف المرء نفسهُ · لانها غاية العلم ونهاية الحكمة · والبحث عنها غامض تغشاهُ ظلمات لا تنقشع الاَّ بنور التواضع وضياء الاذعان للحق

اذاً التواضع اول خطوة في سبيل معرفة النفس · أي يجب عليكِ لكي تعرفي نفسكِ — لكي تدركي ما انتِ — ان تكوني متواضعة

واعلمي ان ملاك العلم لا يحاول في هذه الايام اصلاحاً واحداً الاَّ وشيطان الجهل يعترضهُ بالف افساد واعظم ما يوسوس بهِ في الصدور هو الكبرياء وادّعاء العلم — واذا كان التواضع يجعل الشياطين ملائكة فالكبرياء تجعل الملائكة شياطين

فبالتواضع تنجين من غوائل الكبرياء وتخلصين من حبائل الادّعاء التي يُخفيها لكِ شيطان الجهل وانتِ سائرةٌ في قفار مرحلة الشبيبة « وفي الطريق اهوال » · وبنور التواضع ترين انك بعدُ جاهلة قاصرة وفي حاجة شديدة الى زيادة العلم والمعرفة والسعي في طلب الكمال · وبالتواضع فقط تعرفين نفسكِ — تعرفين ما لكِ وما عليكِ · أي تدركين ما حصَّلتهِ من القواعد العلمية والادبية وما غُرس فيكِ من طهارة الاخلاق والفضائل وأُشربهُ قلبكِ من مبادىء الانسانية الصادقة وهذا كلُّ ما لكِ · أما ما عليكِ فهو اكثر جدًّا مما لكِ · فاذا نظرتِ الى نفسكِ بمرآة التواضع — بمرآة التواضع لا بمرآة العجب والكبرياء — رأيتِ انكِ لستِ سوى طفلة صغيرة أي ليس فيكِ بعدُ اقل استحقاق لان تكوني فتاة للوطن ما لم تستعدي

مذ الآن الاستعداد الكافي وتستخدمي جميع الوسائط التي توءهلكِ لان تصيري فتاة تنفع الامة والبلاد وتُعين على تكثير موارد الخير والإسعاد

والثاني — النظر الى العالم حولك ويراد بهِ الوقوف على خفايا امورهِ وغوامض شؤونهِ. وهذا لا تستطيعينهُ الأ بعد ما تكونين قد خرجتِ اليهِ واختبرتِ احوالهُ. ولكن حاجتك الى هذا النظر انما هي الآن. ولذلك رأيت من الضرورة ان اجعلكِ تنظرين اليهِ وانتِ واقفة هنا لا بعينكِ بل بعين من سبقكِ اليهِ واطَّلع عليهِ. فترين ولكن ماذا ترين؟ ترين امامكِ مرحلة تختلف كل الاختلاف عن مرحلتي البيت والمدرسة اللتين قطعتهما في الماضي. فقد سرتِ قبلاً لا تشعرين بوحشة ولا تشكين تعباً ولا تخافين لصوصاً في الطريق ولا ضلالاً عن محجة الهدى والصواب لان امر العناية بكِ والسهر عليكِ كان موكولاً في البيت والمدرسة الى والديكِ ورئيستكِ ومعلماتكِ. واما الآن فقد اصبح هذا الامر كلهُ موكولاً اليكِ. كنتِ في الماضي تسيرين بين احنَّ من امٍ واشفقَ من ابٍ والصقَ من شقيقٍ وارفقَ من صديق اما الآن وا اسفاه فانكِ تسيرين في عالم فيهِ الوفاء اعزُّ من جبهة الاسد. والولاء اندر من الكبريت الاحمر. والمودَّة اسمٌ بلا مسمًّى. والصداقة لغز او مُعمَّى

وماذا اقول فانهُ يعوزني الوقت ان اردت استيفاء الكلام على سائر وجوه الاختلاف بين احوال حياتكِ الماضية واحوال حياتكِ المستقبلة المحفوفة بالريب والشكوك. فعليكِ ان تكوني دائماً على حذر من اهل العالم. وان استطعتِ في الليل ان تشاكلي الذئب الذي يحكى عنهُ انهُ: —

«ينام باحدى مقلتيهِ ويتقي باخرى المنايا فهو يقظان نائمُ»

لحسناً تفعلين لان الايام شريرة وكثيرون من اهلها شرٌّ منها

هذا وقد يقال — ولا اعلم مبلغ هذا القول من الصحة — ان الوطن استوفى بعض حاجتهِ من الشبان المتعلمين. ولكن مما لا ريب فيهِ انهُ في اشد احتياج الى فتيات متعلمات متهذبات يطلعن في سمائهِ كواكب هدًى وإرشاد ويجُلنَ في ارضهِ ملائكةَ خيرٍ واسعاد ويستأصلنَ ما في ربوعهِ من جذور الشر والفساد

ولعلَّ أوقع كلام يليق بنا ان نتذكرهُ هنا هو قول يوآب ابن اخت الملك داود وقائد جيشهِ لاخيهِ ابيشاي قبيل هجومهما بجيش الاسرائيليين على جيش العمونيين والاراميين. فان هذا القائد المحنك قسم جيشهُ الى قسمين واختار لنفسهِ الرجال المنتخبين والابطال المجربين ليحمل بهم على الاراميين الذين يرجح انهُ رآهم اشدَّ من العمونيين وولَّى اخاهُ قيادة باقي الجيش

يحمل بهِ على العمونيين ولكنهُ قبل كل شيء — قبل سل البيض الصقال وهز السمر الطوال — رفع نظره الى اخيهِ وكلمهُ على مرأى جميع الرجال ومسمعهم قائلاً :— « ان قوي ارام عليَّ تكن لي منجداً وان قوي عليك بنو عمون اذهب لنجدتك · فتجلَّد ولنتشدَّد من اجل شعبنا ومن اجل مدن الهنا والرب يفعل ما يحسن في عينيهِ »

وقد اعدَّتكنَّ أمكنَّ المدرسة للجهاد الموضوع امامكنَّ فتذكَّرنَ كلمات يواب التي هي على قصرها ابلغ خطبة قالها قائدٌ في العالم واُخرجنَ متضافرات متناصرات · متجلّدات متشدّدات من اجل شعبكنَّ ومن اجل مدن الهكنَّ · واقدمنَ على هذا العمل الكبير الخطير · إقدام الابطال المغاوير · مستعينات باصل وذُرّية داود ومستضيئات بشمس البرّ وكوكب الصبح المنير

وفي الختام اشكر لحضرة رئيسة المدرسة الفاضلة مس مارتن وجميع مساعداتها العالمات العاملات سهرهنَّ الدائم وسعيهنَّ الكامل في تهذيب فتياتنا وتنشئتهنَّ على اقوم المبادئ واطهر الفضائل · ولما كانت الرئيسة مزمعةً ان تفارقنا الى اميركا للاستراحة قليلاً من اتعابها فاننا منذ الآن ندعو لها بسفر ميمون سعيد · وعود باذن الله حميد

اسعد داغر

الفيل القديم

الفيل من حيوانات البلاد الحارة ولا يوجد الآن في اوربا الاَّ اذا نُقل اليها من افريقية او من الهند لكنهُ كان يقطنها في غابر الزمن حينما كان اقليمها حارًّا · وقد وجدت عظامهُ فيها ووجدت ايضاً قطع من عاج انيابهِ وصورتهُ مرسومة عليها دلالة على ان الانسان سكن اوربا في الزمن الذي كان اقليمها فيهِ صالحاً لسكن الفيل فيها وكان قد مهر في رسم صور الحيوانات

منذ نحو اربع سنوات كان بعض المهندسين يحفرون في مكان من بلاد الانكليز فعثروا على عظام فيل وجانب من ناب كبير جدًّا · ثم اضطروا ان يوقفوا الحفر لسبب من الاسباب وجاء بعدهم عالم اسمهُ ترنر كان يفتش عن الظران اي قطع الصوان التي كان الاقدمون يتخذونها سكاكين ورؤوساً للسهام فوجد بعض هذه العظام فاتى بها الى متحف التاريخ الطبيعي البريطاني ففحصها علماء العظام وقالوا انها من قوائم فيل كبير الجسم جدًّا وللحال جاء اناس من قبل المتحف وبحثوا في ذلك المكان فوجدوا عظاماً اخرى استدلوا منها على ان

هناك هيكل فيل كبير مدفون في الطفال . وفي الصيف الماضي انتدب الدكتور تشارلس اندرو من القسم الجيولوجي لاستخراج هذه العظام على اسلوب يقيها من التفتت لانها كانت بالية في الغالب فبعضها ثقبتهُ جذور النبات وبعضها نخرهُ الدود وبعضها بلي من فعل الحوامض الارضية . ولكن بُذلت العناية في استخراجها فاولاً نزع التراب من فوقها ومن حولها بالاعتناء التام ثم غطيت بقددٍ من الجنفيص مبلولة بمحلول الجبس حتى اذا جفَّ الجبس عليها حُفر التراب من تحتها وقلبت وعولج اسفلها بالجبس كما عولج اعلاها فتغطى كل عظم منها بغطاء من الجبس والجنفيص ولا بدَّ من نزع هذا الغطاء عنها قبل عرضها

وقد اتضح من فحصها انها من عظام الفيل المعروف بالمستقيم النابين Elephas Antiquus كما يستدل من الاسنان التي وجدت بينها . وهذه اول مرة وجدت هذه الاسنان مع عظام الفيل في بلاد الانكليز

وقد قدَّر علو هذا الفيل من طول عظام قوائمهِ ١٥ قدماً فهو اكبر من كل الافيال العائشة الآن والمنقرضة و يبلغ طول الناب من نابيهِ ١٦ قدماً . وعليهِ فهذا الفيل اكبر من المموث الاميركي Eliphas imprator الذي ارتفاعهُ ١٣ قدماً ونصف قدم وكان يظن انهُ اكبر الافيال كلها اما المموث الحقيقي المسمَّى عند علماء الحيوان Eliphas primigenius فلا يزيد ارتفاعهُ على ٩ اقدام ونصف قدم وهو اصغر من الفيل الافريقي الذي يبلغ ارتفاعهُ احياناً ١١ قدماً ونصف قدم ومن الفيل الهندي الذي يبلغ ارتفاعهُ ١٠ اقدام ونصف قدم . وقلنا عن الفيل الافريقي انهُ يبلغ هذا الارتفاع احياناً لان منهُ صنفاً في بلاد الكنغو لا يزيد ارتفاعهُ عن ٧ اقدام . والفيل الذي كان في كريت ومالطة وانقرض منها كان ارتفاعهُ ٥ اقدام فقط مع انهُ من صنف الفيل الكبير المستقيم النابين الذي كشفت آثارهُ الآن في انكلترا

وقد نشرنا في الصفحة المقابلة صورة هذا الفيل المستقيم النابين كما كان وهو حي على ما يظن . وتحت رأسهِ صورة المموث الاعقف النابين وامامهُ صورة الفيل الافريقي العائش الآن . وامام الفيل الافريقي رجل من الزنوج بحربتهِ والى جانب المموث صورة وهمية لرجل من اهالي العصر الذي كان المموث عائشاً فيهِ . وتحتها صورة القطعة من ناب الفيل الاول التي وجدت الآن وصورة المستر ترنر الذي كشفها

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

(٢)

فرنسا

لم يكن في اوربا شعب افضل بنية من الشعب الفرنسوي ولا نكبت امة حديثة باكثر مما نكبت بهِ الامة الفرنسوية في سبيل الحرب وطلاب المجد · فان الغاليين سكان فرنسا القدماء فرع من السلالة السلتية او الكلتية فصاروا بالفتح غاليين رومانًا · وبعد ذلك تقوَّى دمهم في الشمال والشرق بما امتزج بهِ من الدم الجرماني (التوتوني) دم اهل اسكندناويا (الدنمرك واسوج ونروج) ودم الفرنك سكان جرمانيا الوسطى · ثم هاجر في الازمنة الاخيرة جمٌّ غفير من ولاية الالزاس الجرمانية الى فرنسا فاصبحت الاسماء الجرمانية كثيرة التداول في الطبقات الفرنسوية العالية

ولما كانت الحرب تفعل بالامم عكس فعل الانتخاب الطبيعي فتبقي الضعيف وتفني القوي (كما جاء في المقالة السابقة) فقد فعلت برجال فرنسا فعلها فقصرت قاماتهم واضعفت مزية الابتكار والابتداع فيهم · ولكن الارومة الطيبة تجدد وتنتعش وقد لاحت تباشير هذا التجدد في فرنسا في العشرين سنة الاخيرة · فان السلام والامن وحب العمل والسعي والاقتصاد تمكن قوات الانتخاب الطبيعية من العمل وهذا يفضي الى التجدد المشار اليهِ · فقد جرحت الامة جروحًا بالغة بايدي ابنائها وهي الآن تماثل الى الشفاء · قال الاستاذ البرليون جيرار في كتابهِ «الحضارة الفرنسوية في القرن التاسع عشر» ما يأتي:

«ليس العقار ولا المال ولا المجد الماضي ولا الجاه الحاضر شيئًا اذا كانت الامة قد فقدت الروح التي تدبُّ في صدور رجالها · فان ثروتها تنتقل الى ايدٍ اقوى من يديها ويبيت جاهها هزُوءًا وسخرية · ولقد اتفق مرة منذ عشرين سنة ان حسب الفرنسويون انهم انحطوا الى هذا الدرك اذ ارتفعت اصوات الناعبين بالسوء من منافسيهم وكثيرين من قومهم بين رجل محبٍ للصخب واثارة الخواطر · وآخر محبٍ للجمال يطلب ان تظهر امتهُ بمظهر جديد اكثر انطباقًا على الذوق العصري · ووطني صادق الوطنية عثر جدهُ وافل نجم سعدهِ · لكن نعيبًا مثل هذا اذا بلغ صداه اسماعنا الآن لاح لنا ضعيفًا وغريبًا وموسومًا بالحمق والجهل · ذلك بان اعظم ما يملك الفرنسويون الآن حيوية قوية ونشاط

لا يغلب · فهم في القرن العشرين بين روَّاد الحضارة وممهدي سبل تقدمها وارتقائها كما كانوا في سائر الازمنة ··· ربما كانت فرنسا امة قديمة وامة مجروحة ولكن قلبها القويّ ينبض وحياتهُ لا تقهر »

في قاعة فيارتس بمدينة بروكسل صورة من ايام نابليون عنوانها « منظر في جهنم » وهي تمثل نابليون واقفاً ويداهُ مكتوفتان ووجههُ ساكن وقد اخذ يهبط الى الجحيم · وامامهُ اربعة ملايين رجل ارسلتهم اطاعتهُ الى القبر قبل الاوان وهم ينظرون اليهِ بوجوه باسرة كأنهم يؤنبونهُ على ما فعل بهم · ونصفهم فرنسويون والنصف الباقي غرباء · وخلفهم اشباح الملايين وملايين الملايين ممن خيِّل الى المصور انهم يكونون نسل الذين اودت بهم مطامع نابليون من زهرة اهل اوربا لو بقوا احياء .

هؤلاء اتوا من الغيط والمعمل والمدرسة — رجال بين الثامنة عشرة والخامسة والثلاثين ثم لما لم يبقَ منهم ناج جيء بالاصغر والاكبر على حدّ قول نابليون ان الغلام يوقف الرصاصة كالرجل · وقد قال الاستاذ هيكل الالماني : كلما كان الشاب شديد البنية عالي التربية صحيح التركيب كان ادنى الى القتل بالبندقية او المدفع او غيرهما من ادوات الحضارة · وقال سيك الالماني : اخذ نابليون في حروبهِ كل طوال القامات وفرقهم على ميادين القتال فخرج معظم الفرنسويين بعد ذلك قصاراً صغار القدود حتى اضطرّ اهل الشأن غير مرة الى تخفيض مستوى القامات بين المطلوبين للخدمة العسكرية وكان نابليون يقول : اتركوا الجنود يموتون وسلاحهم في ايديهم · ان موتهم مجيد وسننتقم لهم · وانتم تستطيعون ان تملأوا الفراغ الذي يتركهُ الجندي · وجندي عظيم مثلي لا يبالي مثقال ذرة بحياة مليون نفس »

وبعد معركة وغرام بدأت فرنسا تشعر بضعفها · وعظم الفرق بين جيشها الذي حارب في معركتي « ألم » و « يينا » والجيش الذي حارب في المعارك المتأخرة · اذ كان الجيش الاول مؤلفاً من نخبة الرجال والثاني من شبان اخذوا بالقرعة قبل السن وادمجوا في الجيش فاضعفوا قوة ثباتهِ · وبعد غزوة موسكو لم يعد من الست مئة الف الذين عبروا نهر نيمن لفتح روسيا سوى عشرين الفاً عضهم الجوع وهرأهم البرد وغادرهم التعب والاعياء يترددون في مثل الخلال · ومع ذلك كلهِ لم تضعف عزيمة نابليون قيد شعرة على قهر جرمانيا وتأديب روسيا فدعا جميع شبان البلاد لحمل السلاح فوعدهُ المجلس بثلاث مئة وخمسين الفاً · وكانت بالوعة روسيا قد ابتلعت ٥٠ الفاً من الغلمان الذين سنهم دون العشرين · وكان الفلاحون يجودون بابنائهم طعاماً للمدافع

ولكن كثيرين هالهم استنزاف قوة الامة الى هذا الحدّ . فلم يمضِ نصف سنة على فقد نصف مليون من الرجال حتى نظم نصف مليون غيرهم ولكن معظمهم كانوا صغاراً وغير متدربين على فنون القتال واساليبهِ . وقد لوحظ ان « الانفار » المولودين في سنة « الارهاب » (من سني الثورة الفرنسوية) كانوا دون سابقيهم في صلابة عودهم وان لم يكونوا دونهم في شجاعتهم بل تهوُّرهم . وقد حاول نابليون بجميع الوسائل ان يبث في صدورهم روحهُ الذي لا يقهر فلم تعيهِ اصارة الولدان ابطالاً وانما اعياهُ سدّ الخسارة التي طرأت على الجيش سنة ١٨١٢ (سنة غزو روسيا) . ولما لم يجد امامهُ جنوداً جرَّ الغلمان الى المعمعان ليملأ القبور ابطالاً . ولقد عزي الى نابليون قولهُ « ان دخلي يبلغ مئة الف رجل » ولكنهُ بالغ في الاسراف فانفق اكثر من دخلهِ بكثير

افاض الكتاب الفرنسويون في بيان عيوب امتهم ونقائصها واعترفوا بكثير من تلك العيوب والنقائص رغبة في الاصلاح فتناول اعداء امتهم ذلك الاعتراف و بالغوا فيهِ وبنوا العلاليّ عليهِ فقالوا ان فرنسا الحديثة (وسائر الامم اللاتينية معها) صائرة الى الاضمحلال وانها جاوزت عنفوان الشباب و بلغت ضعف الشيخوخة وعقمها بعد ما سلّمت مقامها الاول في القارة الاوربية الى دولة فتية اصغر منها سنًّا وابعد همة واكثر اقداماً . ولو لم تكن قد فقدت حولها وقوتها تماماً لكان السلام والامن يجددان لها شبابها

هكذا قال الناعبون بالسوء الناعون على فرنسا شبابها الماضي ومجدها التالد . اما انا فاقول ان هرم الامة ليس نتيجة طول عمرها بل نتيجة الحرب وما تستنزفهُ من دمها واخذ دم المهاجرين الضعفاء عوضاً عن دمها القوي . وقد ذاقت فرنسا النكال من الحروب ولكنها لم تفقد شيئاً كثيراً بالمهاجرة منها واليها

وقد استدلّ الباحثون من بعض مظاهر العيشة الفرنسوية على ما نال فرنسا من الضرّ بعكس عمل الانتخاب فيها . من ذلك تناقص المواليد شيئاً فشيئاً . وعندي ان سبب هذا التناقص بقاء الحذر اذ لا يتصور ان جنود حرس نابليون المشهورين بتهورهم يقللون عائلاتهم مراعاة للاقتصاد كما يصنع فرنسويو هذا الزمان . ويكفي شاهداً على ذلك ان فرنسويي كندا الذين لم تمسسهم الحرب مشهورون بكثرة نسلهم . وهناك دليل آخر على بقاء الحذر في فرنسا وهو قلة الاقدام فيها على المشروعات التجارية بالنسبة الى غيرها من الامم الحية . فان الذهب المذخور في خزائنها يستثمر في الاكثر لعقد القروض مع

الدول وقلما يستثمر في الاعمال التجارية . وما ذلك الاَّ لأن القروض الاجنبية تعود عليهم بفوائد اكثر وتكون المسئولية الشخصية فيها اقل . ثم ان قلة المدن الفرنسوية ذات المعامل يزيد تناقص المواليد اذ معظم زيادة المواليد بين الامم المتمدنة انما يكون في المراكز الصناعية التجارية

وقد سأل ادمون ديمولن في كتابهِ « سر تقدم الامم الانجلوسكسونية » عن سبب هذا التقدم او التفوق وقال في الجواب انهُ صحة مقياس المعيشة الانكليزية وجودة التربية وخلو المطالب المدنية والشخصية من العيوب التي تصم المعيشة الفرنسوية . فان تهافت الشبان في فرنسا وايطاليا على مناصب الحكومة وغيرها من المناصب الامينة الخالية من قوة الابداع والابتكار هو اعظم عيوبهم حتى لقد سمي في ايطاليا « امبياجومانيا » اي « جنون الجلوس » اشارة الى ان صاحب تلك المناصب جالس في مقعدهِ لا يتحرك . ولكن لا يبعد ان يكون السبب المبالغة في تركيز الحكومة اي جعلها مركزية والاكثار من الموظفين والاقلال من الفرص في الاقاليم . فان تمليك الامة كل شيء حتى جهد افرادها سواءٌ كان ذلك بالاشتراكية او بالمبالغة في التنظيم لا بد ان يفضي الى « جنون الجلوس » . وهذا هو سر تأخر الامة الفرنسوية عن الامم الانجلوسكسونية لا عيب في طبيعة افرادها

ومما انتقد بهِ المنتقدون الامة الفرنسوية ما في آدابها وفنونها وسياستها وقضائها من الغرائب والشذوذ . واعظم هؤلاء الناقدين ماكس نوردو [1] . فانهُ الف كتاباً منذ عشرين سنة بعنوان « الانحلال » أي انحلال فرنسا اثار بهِ خواطر الناس طرًّا وعزا فيهِ حالة فرنسا هذه الى ضعف موروث . وواقع الامر اننا لا نعرف شيئاً عن وجود امثال هذا الضعف الموروث في تاريخ الامم . وسواءٌ وجد ام لم يوجد فانهُ لا يصدق على فلاحي فرنسا . نعم ان معيشتهم صعبة ولكنها ليست مضعفة للاعصاب وربما تالم من تجانس المعيشة والجري على اسلوب واحد اكثر مما يتالم من غيرها من اشكال اجهاد الاعصاب فالانحلال الذي يصورهُ نوردو لنا ليس مسئلة وراثة فان لم يكن شذوذاً شخصياً فهو خلل شخصي لا محالة واسبابهُ سوء العادات والتربية والاخلاق او الرغبة في اجتذاب مسمع الجمهور لغرض شخصي . فهو ليس في دم الامة . وليس في وجود المصورين الشاذين ولا الموسيقيين الغريبي الاطوار ولا الشعراء شاربي الافسنت ولا مروجي الاشاعات والاقاويل — ليس في وجود هؤلاء يسرحون ويمرحون في شوارع باريس دليل على انحلال امتهم . فاذا تغيرت « المودة » الشائعة تغيروا هم

(١) فيلسوف المالي ولد سنة ١٨٤٩ واشتهر برواياتهِ ومؤلفاتهِ التي تبحث في الفنون والآداب والاجتماع

ايضاً . وكل انسان في كل امة يذوي حيث تزكو الرذيلة وينتشر الافسنت والافيون .
وحالة مثل هذه قد تكون نذيراً بالسوء ولكنها ليست دليلاً على انحطاط الامة وان شر ما نسمع
عن الفضائح الباريسية انما هو مختلق لارضاء مخيلات الشبان الذين يأتون باريس من عبر
البحار وفي جعبهم الذهب الوهاج لينفقوهُ فيها

رأيت صورة هزلية صورت منذ اكثر من قرن وهي تمثل فلاحاً يحرث حقلهُ وقد علت
وجههُ الكآبة والقنوط وعلا ظهرهُ مركيز ينفج علبة سعوط من الذهب . ورأيت صورة هزلية
اخرى صورت حديثاً وهي تمثل ذلك الفلاح نفسهُ لا يزال خلف محراثهِ بكآبتهِ وقنوطهِ
ولكن بلا مركيزهِ وقد حل محل المركيز جندي مدجج بالسلاح وقد ركبهُ المرابي فكان
اشدَّ وطأة عليهِ من المركيز على الفلاح لانهُ الاثر الظاهر لمن اتخذ الحرب تجارة

مرَّ اربعون سنة ونيف وفرنسا عائشة وامام عينيها شبح الحرب . فان فقدها لولايتي الالزاس
واللورين كان جرحاً بالغاً لعواطفها ولكبريائها . وسلوك الولايتين المفقودتين زاد عزم الامة
الطبيعي على حرب الشرف او حرب الانتقام . ولكن اتضح على مرّ الزمان ان حرباً مثل
هذه لن تنتهي بالنصر . وبعد سقوط بولانجه وحادثة دريفوس اخذ اهل فرنسا عامة
يرتابون في وجوب تلك الحرب وفي حكمة الاقدام عليها . وما جاءت سنة ١٩١٣ حتى رأينا
اهل الرأي في فرنسا يميلون الى ملاقاة اهل الرأي في المانيا عند منتصف الطريق . وقد
شهدت في تلك السنة اجتماعاً كبيراً عقد في مدينة نورنبرج . وكان بين الخطباء البارون
دستورنل دي كونستان فافاض في وجوب توثيق روابط الصداقة بين الامم . وكانت
فرنسا مستعدة للصفح ان لم يكن للنسيان ولكن النظام البروسي العسكري في ولايتي الالزاس
واللورين لم يسمح بذلك لان الالمان كانوا قد حرموا اهل تينك الولايتين حقوقهما المدنية
وسموهما « اروبرنج » اي بلداً مفتوحاً وحظروا استعمال اللغة الفرنسوية فيهما . فلم ينسَ
الجرمان والفرنسويون من اهلها على السواء ما سامهم الفاتحون من الخسف ولهذا السبب لم
يسع فرنسا النسيان . فلو انهما منحتا استقلالاً تاماً ضمن الامبراطورية الالمانية ومنح اهلها
الحقوق المدنية التامة لزالت من السياسة الاوربية هذه المسئلة التي لقبها الفرنسويون بحق
« كابوس احلام اوربا »

علم الانسان

Anthropology.

(٢) فروع السلالة البشرية ومميزاتها

اذا سرت في شارع من شوارع احدى المدن الكبيرة التي يكثر تردد الغرباء اليها من جميع جوانب الارض في بعض فصول السنة كالقاهرة وباريس والاستانة وشنغاي ترى وجوهاً كثيرة مختلفة في اللون والملامح منها ما يسهل ردُّهُ الى اصلهِ ومنها ما لا يستطيع معرفتهُ الاَّ الخبير . فانك تستطيع مثلاً ان تميز الهندي عن الاوربي بسهولة لانهما من جنسين مختلفين ولكنك لا تستطيع بمثل تلك السهولة ان تميز بين بعض الالمان والفرنسويين والانكليز والايطاليين والاميركيين لانهم كلهم من جنس واحد

ومقومات الجنسين عند علماء الانثروبولوجيا مزايا او صفات موروثة طبيعية كانت او عقلية وهي تتناول كل بنية الانسان وقوى نفسهِ غير مقتصرة على لون البشرة وشكل الاعضاء . لذلك وصف الهندي الاميركي بالصبر والتسليم وعدم المبالاة باللذة والالم . والزنجي بالخفة والطرب . والهولندي ببطء الانفعال . والايطالي بسرعتهِ . ولا ينكر ايضاً ان للاقليم والمبادىء تأثيراً في تكييف الاخلاق الى حدٍ يصعب عندهُ التفريق بين اثر هذا العامل او ذاك المؤثر . ولكن للاجناس المختلفة اثراً بيناً في تكوين الاخلاق . سل أيّا كان من رائضي الجياد يخبرك ان لا الاقليم ولا العناية بالترويض ولا نوع العلف ولا مقدارهُ ولا شيءَ آخر يجعل الفرس الهجين اصيلاً كريماً يصلح للجري في حلبة السباق

كلما تغير الحي بانتقالهِ من صورة الى صورة اخرى اكتسب شيئاً من الصلابة من جهة والمرونة من جهة اخرى . وهذه الصلابة تمكنهُ من الاحتفاظ بما لهُ من الصفات . وفيما عدا ذلك يبقى مرناً حرًّا في اختيار ما شاء من السبل للسير فيهِ . فالجنس اذاً هو ما كانت فيهِ صفات اكتسبها في ارتقائهِ الطبيعي فتوارثتها آحادهُ وثبتت فيهم

لو سئل احدنا كيف يستطيع التفريق بين الصفات الموروثة والمكتسبة فيهِ لما سهل عليهِ الجواب . فلنفرض انهُ ولد توأمان متشابهان كل التشابه حتى لا يمكن تمييز الواحد عن الآخر . وان توأماً منهما فقد احدى رجليهِ في صغرهِ فلما شبَّ عيّن كاتباً في محلٍ تجاري

يلزم فيهِ مقعدهُ طول نهارهِ ولا يفارقهُ · اما الآخر فعين ساعياً في البوستة دائم الحركة والجري · فبعد هذا الاختلاف الكثير في نوع المعيشة بأخذ التوأمان يختلفان في المنظر والهيأة فيتقع وجه الكاتب ويسمرُّ وجه الساعي · ذلك يقضي ساعات الفراغ في المطالعة وهذا في اللعب والرياضة ولكن الذي يعرفهما تمام المعرفة يرى فيهما كليهما اشياء كثيرة متشابهة وهي تنمّ عن طبيعة واحدة وميل واحد · مثال ذلك انهما كليهما نزق الطبع سريع الغضب · وهذا النزق موروث فيهما وهو احدى الروابط التي تربطهما الواحد بالآخر

ثم لنفرض ان هذين التوأمين الشقيقين تزوجا توأمتين متشابهتين كل التشابه مثلهما وان كل زوجين منهما رزقا اولاداً · فايّ الفريقين من الاولاد يكون اشدّ ارجلاً من الآخر بعد ما قويت رجلا احد الابوين بالاستعمال وضعفت رجلا الآخر بالاهمال ؟ ولكن هل يؤثّر الاستعمال والاهمال في النسل ؟ هذه هي المسألة التي يعسر الجواب عنها والتي تقف عقبة في سبيل تفهمنا للوراثة وجميع ما يتعلق بها · وهي ما تسمى عرفاً وراثة الصفات المكتسبة

تسمع الناس عامة يتحدثون بانتقال اثر الاستعمال او الاهمال من الوالدين الى الاولاد كأن ذلك قضية مقررة لا جدال فيها · وليس غريباً ان يذهبوا هذا المذهب ما دام بعض خاصة العلماء قد سبقوهم اليهِ مثل لامارك الذي وضع مذهباً في اصل الانواع قبل دارون بخمسين سنة وكان مذهبهُ على مبدإِ النشوء والارتقاء من بعض الوجوه · فقد خيل اليهِ ان عنق الزرافة طال من استمرارها على مدهِ ثم توارث ذلك نسلها · فقد قال ان الزرافة كانت تضطر ان تمد عنقها لتصل برأسها الى اعالي اغصان الشجر كلما اشتدّ القيظ ويبس العشب · فما قدر منها على بلوغ تلك الاغصان عاش واورث هذه القدرة خلفهُ · وما لم يقدر هلك · أما دارون فمع تسليمهِ بان للاستعمال والاهمال بعض الاثر في النسل رأى ان هذا الاثر قليل ضئيل بالنسبة الى ما سماهُ علماء البيولوجيا بالتغير الذاتي · وذهب بعض انصار مذهبهِ الى ابعد من ذلك بزعامة وسمان الالماني · فانهم قذفوا بلامارك ومذهبهِ من حالق وقالوا ان التغير الذاتي يكفي وحدهُ لاطالة عنق الزرافة أي ان زرافة منها ولدت طويلة العنق فكان طول عنقها مفيداً لها فوقاها من الهلاك جوعاً في زمن القيظ كما هلك الزراف القصير العنق ومع الزمن لم يبق من الزراف الأ ما كان عنقهُ طويلاً · أما كيف ولدت اول زرافة طويلة العنق فهو انهُ اتفق وجود خاصة في والديها حين ولداها كذلك ·

هذا المذهب لا يعلمنا شيئاً مقرراً ولا يدلنا على شيء بعينهِ فهو ليس في الواقع سوى محذّر لنا من التمسك بمذهب الاستعمال والاهمال ومنبه الى انهما لا يكفيان لتعليل التغيّر بل لا بدّ من التنقيب عن تعليل آخر لا يزال طيّ الخفاء

هذا من جهة . ومن جهة اخرى بينما يخيل الى عامة الناس انهم يرون اثر الاستعمال والاهمال في كل مكان لا ينكرون ان هناك ادلة كثيرة على الضدِ من ذلك . فان وسمان قطع اذناب الوف من الفيران وزاوج بينها بعد قطع اذنابها فولدت فيراناً باذناب مثل غيرها . وقد قال احد الظرفاء في تعليل بقاء الاذناب ان الفيران لم ترد قطع اذنابها فبقيت لا ولا دها ولو ارادتهُ لما بقيت لها . ولكن بعض الناس يحلقون ذقونهم وهم يريدون ان لا ينمو فيها شعر وقد كان آباؤُهم واجدادهم واجداد اجدادهم من قبلهم يحلقون ذقونهم ومع ذلك لا نجد الابناء اقرب الى الجرد من الاباء

أما مبدأُ التغيّر الذاتي فخلاصتهُ على ما ذهب اليهِ وسمان ان الاحياء الناشئة عن اتحاد خليتين اقرب الى التغيّر من الاحياء الناشئة عن خلية واحدة . وبناء على هذا المذهب يتوقف التغيّر في الاكثر على نواميس تفاعل الصفات المتباينة التي جمع اتحاد الخلايا بينها . وهذه النواميس لا تزال مجهولة . ولكننا نعرف عنها شيئاً جديداً كل يوم . والتجارب التي تجرب على طريقة مندل في الوراثة تبشر بايضاح ما استبهم علينا الآن

هذا وان نشوء الحيّ من اتحاد الخلايا ليس مجرد مزج او اضافة بل هو عمل من اعمال التنظيم الانتخابي . مثال ذلك ان الوالدين اللذين لكل منهما رجلان لا يلدان ولداً رجلاهُ بقدر ارجلهما طولاً ولا ولداً ذا اربع ارجل اثنتان منها على شكل واحد واثنتان على شكل آخر وبعبارة اخرى ان الولد يأخذ بعض الصفات الناشئة عن اتحاد الاب والام وينبذ البعض الآخر . والاولاد المختلفون نتج اختلافهم من انتخابات صفات مختلفة من بين العناصر الجرثومية في والديهم . وطريقة مندل تبحث في الناموس الذي بموجبهِ تتوزع تلك الصفات على النسل . فان كل ولد هو فرد قائم بنفسهِ ولهُ نظام خاص بهِ . ومعنى ذلك ان العناصر التي يتألف منها ذات نظام معين يشدُّ بعضها بعضاً . والخلاصة ان التوازن هو الذي يجعل الحياة ممكنة

ثم ان ذلك النظام الاكبر يشتمل على نظامات مختلفة اصغر منهُ كما تشتمل الحكومات الاتحادية الكبرى على حكومات اصغر منها وتامة في تركيبها حتى تكاد تكون منفصلة عنها

كنظام الحكومة الالمانية او الحكومة الاميركية . لذلك كانت صور التحول والاتحاد كثيرة الاختلاف والتعدد ولكن منها ما هو اقوى واثبت من الآخر اواصلح للبقاء بواسطة الانتخاب الطبيعي كما يعبر عنهُ البيولوجيون

ولننتقل الآن الى بسط مبدإ الانتخاب الطبيعي غير باحثين في هل كان للاستعمال والاهمال يد في جعل الاحياء تتخذ صورها واشكالها المختلفة او هل كان اتخاذها اياها اعتباطاً بالتغيّر الذاتي . وهذا المبدأ اي مبدأ الانتخاب الطبيعي كشفهُ دارون والفرد رسل وولس في وقت واحد كما هو مشهور . وكلاهما قبس الشرارة الاولى من قسيس انكليزي اسمهُ ملثس . فانهُ ابان قبلهما بخمسين سنة ان ازدياد سكان الارض سيفوق ازدياد الطعام اللازم لهم بمراحل كثيرة . وحينئذٍ فلا بدَّ من نزول بعض الآفات الطبيعية بالناس كالمجاعات والحروب لاعادة التوازن . وطبَّق دارون وولس هذا المبدأ على النبات والحيوان فاباناً ان قدراً عظيماً من انواع الاحياء التي تظهر على الارض لتسعى جهدها الى رزقها لا بدَّ من استئصاله . ولما كانت كثيرة الاختلاف في نظامها وتركيبها فمن المعقول ان نفرض ان الاحياء التي هي اصلح بطبيعتها من غيرها للتوفيق بين معيشتها والاحوال المتغيرة المحيطة بها هي التي تكون ابقى من غيرها . ثم بحثا فوجدا ان الواقع يؤيد هذا المذهب . ولكن لا يبرح عن البال ان استئصال الضعيف في الطبيعة لا يثبت بقاء الاصلح دائماً بل لا بدَّ من حدوث الفواجئ على الدوام التي تذهب بالاصلح ايضاً . على انهُ يقال اجمالاً ان النوع الذي هو اقدر من غيره على التوفيق بين معيشته والمحيط الذي يكتنفهُ هو الذي يبقى دون غيره سواء كان السبب في ذلك كونهُ اكثر اختلاطاً في تركيبهِ او اكثر بساطة

والمراد بالبقاء هنا البقاء مع ولادة النسل فانك اذا بلغت الثمانين ولم يكن لك اولاد لا يعدُّ ذلك بقاء لك في عرف البيولوجيين . اما جارك الذي مات وهو ابن اربعين ولهُ اولاد كثار فيعدُّ باقياً على حد قولهم من خلَّف ما مات . والانتخاب الطبيعي انما يكون بين الافراد لانهم هم الذين يتوالدون . على ان سبب بقاء الفرد كثيراً ما يكون خارجاً عنهُ لا يد لهُ فيهِ . فبين النحل مثلاً تبقى الملكة وبعض الذكور لإخلاف النسل وهي كلها لا عمل لها لأن النحل العامل عقيم وعملهُ بناء الخليَّة وجني العسل والاعتناء بالبيض والصغار . ومن الناس مَن يخلف نسلاً وهو لا يهتم بحفظ نسلهِ بل يهتم بهِ غيرهُ من الذين يموتون في سبيلهِ بلا عقب

ولما كانت مسئلة اخلاف النسل فردية وشخصية صرفة فانهُ يخشى على الدوام ان تسرف هذه الجماعة او تلك من الجماعات الانسانية في خيرة افرادها حتى ينتهي بها الحال ان تأخذ بدلاً منهم بعض الذين لا قدرة لهم بالطبع على تأدية الخدمة للمجتمع · لذلك يجب ان يكون الهمّ الاول لكل شعب تربية العيال الطيبة · و بغير ذلك لا يمكن ابقاء روح الغيرية حيًّا في هذه الدنيا

قلنا في صدر هذه المقالة ان الوراثة هي الصلابة في الطبيعة البشرية يقابلها شيءٌ كثير او قليل من المرونة لحفظ الموازنة · ولا ينكر من بعض الوجوه ان طبيعة الطفل كلها بما فيها من المرونة القليلة موروثة من والديهِ ولكن غرضنا هنا ان نبين ان هذه المرونة الموروثة لا شأن لها في الحياة وان الصفات الصلبة الواضحة الحدود المتمشية على نظام معين انما هي العامل الوراثي فيما سميناهُ بالفرع او الجنس · على انهُ ليس بين تلك الصفات ما هو تامّ الحدود اذ في طبيعتها كلها شيءٌ من المرونة قلّ او كثر فان في النحلة بغرائزها التامة الواضحة الحدود شيئًا من المرونة · الا تراها اذا كانت خليتها غير منتظمة في شكلها تغير غريزتها التي تأمرها ببناء قرص منتظم وتطابق بين القرص والخلية فتبني قرصاً غير منتظم الشكل ؟

ولكن الصفات الجنسية يجب ان تكون ثابتة ليمكن تمييز اجناس الناس المختلفة بعضها عن بعض · والعادات ثابتة ايضاً لسوء الحظ ولكنها من متعلقات الجزء المرن من طبيعتنا لاننا عند تكوين العادات فينا نكون مرنين بادئ بدء ثم اذا اندفعنا اليها فارقتنا تلك المرونة · لذلك لا بدّ من اطراح العادات عند بحثنا في الوراثة ونواميسها

وربّ سائل يسأل ما هي المميزات الجنسية بين الناس · وبعبارة اخرى ما هي الخصائص البدنية والعقلية التي تفترق اجناس الناس وتُميز بها بعضها عن بعض ؟ فقد طالما فتش الانثروبولوجي عن علاقة خارجية تميز هذا الجنس من ذاك وتوهّم انهُ يجدها في الجمجمة او تداريزها او عظام الانف او العين او الذقن او الفكين او ضرس العقل او الشعر او خطوط الكف او الساق او المرقوب الى آخر ما هناك فباء بالخيبة والفشل · ولعلّ اعظم مميزات الاجناس لون البشرة وشكل الجمجمة فلنبحث فيهما

ابن بطوطه وبلاد السودان

لقينا بالامس رجلاً من ضباط الجيش البريطاني اخبرنا انهُ جال في السودان الغربي التابع لفرنسا ورأى فيهِ كثيراً من الآثار الدالة على عمران سابق يفوق عمرانهُ الحالي وقال ان احد كتَّاب العرب وصفهُ منذ نحو ستماية سنة فقلنا لعلهُ ابن بطوطه فقال هو هو فرجعنا الى ابن بطوطه فرأينا في ما كتبهُ عن السودان فوائد حرية بالنشر فاثبتنا منهُ ما يلي وابقينا الكلام بصورة المتكلم بعد ما حذفنا منهُ ما لا حاجة اليهِ ۰ وزدنا فيهِ بعض الزيادات وضعناها بين قوسين

وابن بطوطه هو شرف الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الرحالة المشهور ولد بطنجة سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤) وخرج منها سائحاً سنة ٧٢٥ (١٣٢٥) فجاء الاسكندرية والقاهرة وكانت اكبر المدن حينئذٍ على ما يرجح ما عدا بعض مدن الصين وحاول المسير الى مكة بطريق عيذاب فتعذر عليهِ ذلك فانقلب راجعاً الى مصر وسار الى فلسطين فحلب فدمشق ومنها الى المدينة ومكة حاجًّا ۰ ثم زار مشهد الامام علي في شهد وسار منها الى واسط فالبصرة وقطع جبال خوزستان الى اصفهان وشيراز وعاد الى الكوفة فبغداد فالموصل وديار بكر ۰ وحج ثانية وجاور ثلاث سنوات وجاء عدن وعبر الى افريقية وزار ممباسا وكاوى ثم عاد الى عمان وهرمز ومكة وحج ثالثة ثم جاء القاهرة بطريق اسوان وذهب الى بلاد الشام وبر الاناضول وعبر البحر الاسود واتصل بالسلطان محمد اوزبك صاحب تلك البلاد ووصل الى مدينة بلغار حيث العرض ٥٤ درجة و٥٤ دقيقة لكي يشهد قصر ليالي الصيف وحاول الوصول الى الارض المظلمة ۰ وسار الى القسطنطينية في عهد الامبراطور اندرونيكس الثالث وعاد الى بلاد السلطان محمد اوزبك وقطع الى خوارزم وبخارى وسار الى كابول بطريق خرسان ودخل بلاد السند وانتقل الى ملتان ومنها الى دهلي عاصمة السلطان محمد تغلق واقام هناك ثماني سنوات ثم أوفد الى بلاد الصين فمرَّ على جزائر مالديف فجزيرة سيلان وعبر الى بنجالة وعاد فزار جاوة وصومطرا ووصل الى الصين ثم عاد الى صومطرا وملبار وعمان وبلاد فارس وبغداد وتدمر ودمشق وحمص وحلب والقدس والقاهرة ۰ وحج حجة رابعة وعاد الى فاس بطريق سردينيه فوصلها بعد ما قضى في رحلاتهِ هذه اربعاً وعشرين سنة وقطع الى الاندلس وعاد الى مراكش ومنها الى مكناسة ففاس ورحل من هناك الى بلاد السودان وهي الرحلة الاخيرة التي اردنا تفصيلها هنا قال

ودَّعت مولانا ايدهُ الله (الامام الخليفة امير المؤمنين ابو عنان فارس المريني من آل

عبد الحق) وتوجهت الى بلاد السودان فوصلت الى مدينة سجلماسة وهي من احسن المدن وبها التمر الكثير الطيب وتشبهها مدينة البصرة في كثرة التمر لكن تمر سجلماسة اطيب ونزلت عند الفقيه ابي محمد البشري وهو الذي لقيت اخاهُ بمدينة قنجنفو من بلاد الصين فيا شدَّ ما تباعدا فاكرمني غاية الاكرام واشتريت بها الجمال وعلفتها اربعة اشهر ثم سافرت في غرة شهر الله المحرم سنة ٧٥٣ (١٨ فبراير ١٣٥٢ م) في رفقة فيها جماعة من تجار سجلماسة فوصلنا بعد ٢٥ يوماً الى تغازَى وهي قرية لا خير فيها من عجائبها ان بناء بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ولا شجر بها وانما هي رمل فيهِ معدن الملح يحفر عليهِ في الارض فيوجد منهُ الواح ضخام متراكبة كأنها قد نُحتت ووضعت تحت الارض يحمل الجمل منها لوحين . ولا يسكنها الاَّ عبيد مسوفة الذين يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة وسجلماسة ومن لحوم الجمال ومن الانلي (الذرة) المجلوب من بلاد السودان . ويصل السودان من بلادهم فيحملون منها الملح ويباع الحمل منهُ بمدينة ايوالاتن بعشرة مثاقيل الى ثمانية وبمدينة مالي بثلاثين مثقالاً الى عشرين وربما انتهى الى اربعين مثقالاً (المثقال من الذهب يساوي نحو ٤٥ غرشاً) وبالملح يتصارف السودان كما يتصارف بالذهب والفضة يقطعونهُ قطعاً ويتبايعون بهِ . وقرية تغازى على حقارتها يتعامل فيها بالقناطير المقنطرة من التبر . واقمنا بها عشرة ايام في جهد لان ماءها زعاق وهي اكثر المواضع ذباباً ومنها يرفع الماء لدخول الصحراء التي بعدها وهي مسيرة عشر لا ماء فيها الاَّ في النادر . ووجدنا نحن بها ماء كثيراً في غدران ابقاها المطر . والكمأة بتلك الصحراء كثيرة . ووصلنا الى تاسرهلا وهي احساء ماء تنزل القوافل عليها ويقيمون ثلاثة ايام فيستريحون ويصلحون اسقيتهم ويملأُونها بالماء ويخيطون عليها التلاليس خوف الريح (ثم وصف مسيرهم في الصحراء الى ان دخلوا مدينة ايولاتن فقال)

ووصلنا الى مدينة ايولاتن في غرة شهر ربيع الاول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي اول عمالة السودان ونائب السلطان فيها فربا حسين ومعنى فربا نائب ولما وصلناها ذهبنا الى الفربا وهو جالس على بساط في سقيف واعوانهُ بين يديهِ بايديهم الرماح والقسي وكبراء مسوفة من ورائهِ ووقف التجار بين يديهِ وهو يكلمهم بترجمان على قربهم منهُ احتقاراً لهم فعند ذلك ندمت على قدومي بلادهم لسوء ادبهم واحتقارهم الابيض وقصدت دار ابن بداء وهو رجل فاضل من اهل سلا كنت كتبت لهُ ان يكتري لي داراً ففعل ذلك وكانت اقامتي بايوالاتن نحو خمسين يوماً واكرمني اهلها واضافوني منهم قاضيها محمد بن عبد الله ابن ينومر واخوهُ الفقيه المدرس يحيى . وبلدة ايوالاتن شديدة الحر وفيها يسير نخيلات

يزدرعون في ظلالها البطيخ وماؤُهم من احساءِ بها ولحم الضان كثير فيها وثياب اهلها حسان مصرية واكثر السكان بها من مسوفة ولنسائهم الجمال الفائق وهنَّ اعظم شأناً من الرجال والمسوفة عجيب امرهم فاما رجالهم فلا غيرة لديهم ولا ينتسب احدهم الى ابيهِ بل ينتسب الى خالهِ . ولا يرث الرجل الاَّ ابناء اختهِ دون بنيهِ وذلك شيءٌ ما رأيتهُ في الدنيا الاَّ عند كفَّار بلاد والمليبار من الهنود . واما هؤُلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلُّم الفقه وحفظ القرآن . واما نساؤُهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهنَّ على الصلوات . ومن اراد التزوج منهنَّ تزوج لكنهنَّ لا يسافرن مع الزوج ولو ارادت احداهنَّ ذلك لمنعها اهلها . والنساء هنالك يكون لهنَّ الاصدقاء والاصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء الاجنبيات ويدخل احدهم دارهُ فيجد امرأتهُ ومعها صاحبها فلا يُنكر ذلك

دخلت يوماً على القاضي بايوالاتن بعد اذنهِ في الدخول فوجدت عندهُ امرأة صغيرة السن بديعة الحسن فلما رأيتها ارتبت واردتُ الرجوع فضحكتْ مني ولم يدركها خجل وقال لي القاضي لمَ ترجع انها صاحبتي . فعجبتُ من شأنهما فانهُ من الفقهاء الحجاج

ودخلتُ يوماً على ابي محمد يندكان المسوفي الذي قدمنا في صحبتهِ فوجدتهُ قاعداً على بساط وفي وسط دارهِ سرير مظلَّل عليهِ امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان فقلت لهُ ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها فقلت لهُ اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحُسْن طريقة لا تهمةَ فيها ولسن كنساء بلادكم . فعجبت من رعونتهِ وانصرفتُ عنهُ فلم اعُد اليهِ بعدها . واستدعاني مرات فلم اجبهُ

نقول ولو دخل ابن بطوطه بيوت الاوربيين في هذا العصر لرأى فيها ما رآهُ في بيت هذا الرجل ونساؤُهم على تمام العفة فهو مخطئٌ اذا بنى ارتيابهُ بعفة نساء ايوالاتن على مجالستهنَّ الرجال وسبب خطإهِ انهُ لم يعتد رؤْية النساء مع الرجال على هذه الصورة كما ان هذا الرجل محمد المسوفي مخطئٌ في حسبانهِ نساء المغرب اقل عفةً من غيرهن فيحتجبنَ . ثم قال ابن بطوطه

ولما عزمت على السفر الى مالي وبينها وبين ايوالاتن مسيرة اربعةٍ وعشرين يوماً للمجد اكتريت دليلاً من مسوفة اذ لا حاجة الى السفر في رفقةٍ لأمن تلك الطريق وخرجت في ثلاثة من اصحابي والطريق كثيرة الاشجار واشجارها عادية ضخمة تستظل القافلة بظل الشجرة منها وبعضها لا اغصان لها ولكن ظل جسدها يستظل بهِ الانسان . وبعض تلك الاشجار قد

استأسن داخلها واستنقع فيهِ ماء المطر فكأنها بئر و يشرب الناس من الماء الذي فيها ويكون في بعضها النحل والعسل فيشتاره الناس . ولقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب فيها مرمتهُ وهو ينسج فعجبت منهُ . وفي اشجار هذه الغابة ما يشبه شجرة الاجاص والتفاح والخوخ والمشمش وفيها اشجار تثمر شبه الفقوص فاذا طاب انفلق عن شيء شبه الدقيق فيطبخونهُ و يأكلونهُ و يباع بالاسواق . و يستخرجون من هذه الارض حبات كالفول فيقلونها و يأكلونها وطعمها كطعم الحمص المقلو وربما طحنوها وصنعوا منها شبه الاسفنج وقلوه بالغرتي . والغرتي ثمر كالاجاص شديد الحلاوة يدق عظمهُ فيستخرج منهُ زيت لهم فيهِ منافع فمنها انهم يطبخون بهِ و يسرجون السرج و يقلون بهِ هذا الاسفنج ويدهنون بهِ و يخلطونهُ بتراب عندهم و يسطحون بهِ الدور كما تسطح بالجير . وهو عندهم كثير متيسر و يحمل من بلد الى بلد في قرع كبار تسع القرعة منها قدر ما تسعهُ القلة ببلادنا . والقرع ببلاد السودان يعظم ومنهُ يصنعون الجفان يقطعون القرعة نصفين فيصنعون منها جفنتين و ينقشونها نقشاً حسناً . واذا سافر احدهم يتبعهُ عبيدهُ وجواريهِ يحملون فرشهُ واوانيهُ التي يأكل ويشرب بها وهي من القرع . والمسافر بهذهِ البلاد لا يحمل زاداً ولا اداماً ولا ديناراً ولا درهماً انما يحمل قطع الملح وحلي الزجاج الذي يسميهِ الناس النظم و بعض السلع العطرية واكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى وتاسرغنت وهو بخورهم فاذا وصل قرية جاء نساء السودان بالانلي واللبن والدجاج ودقيق النبق والارز والفوني وهو كحب الخردل يصنع منهُ الكسكس والعصيدة ودقيق اللوبياء فيشتري منهنَّ ما احب من ذلك

و بعد مسيرة عشرة ايام من ايوالاتن وصلنا الى قرية زاغري وهي كبيرة يسكنها تجار السودان و يسكن معهم جماعة من البيضان يذهبون مذهب الإباضية . ومن هذه القرية يجلب الانلي الى ايوالاتن . ثم سرنا من زاغري فوصلنا الى النهر الاعظم وهو النيل و ينحدر النيل منها الى كابرة ثم الى زاغة . ولكابرة وزاغة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي واهل زاغة قدماء في الاسلام لهم ديانة وطلب للعلم . ثم ينحدر النيل من زاغة الى تنبكتو ثم الى كوكو ثم الى بلدة مولي وهي آخر عمالة مالي ثم الى يوفي وهي اكبر بلاد السودان وسلطانها من اعظم سلاطينهم ولا يدخلها الابيض من الناس لانهم يقتلونهُ قبل الوصول اليها . ثم ينحدر منها الى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية ثم الى دنقلة وهي اكبر بلادهم وسلطانها يدعى بابن كنز الدين اسلم في ايام الملك الناصر ثم ينحدر الى جنادل وهي آخر عمالة السودان واول عمالة اسوان

نقول والنهر الذي وصل اليهِ ابن بطوطه حينئذٍ هو نهر النيجر لا نهر النيل وهو يبتدئ في

غرب افريقيه فيجري اولاً الى الشمال الشرقي ثم ينحدر الى الجنوب يميل الى الشرق ويصب في خليج غينيا في الغرب الجنوبي من افريقية ولكن القدماء كانوا يظنون انهُ يسير شرقاً الى ان يلتقي بنيل مصر وانهُ هو اصل النيل وذلك خطأ كما لا يخفى

وعاد ابن بطوطه بعد ذلك الى وصف هذه المدن وما وجدهُ فيها قال

مدينة مالي حضرة (عاصمة) ملك السودان وكان محمد بن الفقيه قد اكترى لي داراً فيها ازاء دارهِ فتوجهت اليها وجاء صهرهُ الفقيه المقرئ عبد الواحد بشمعة وطعام ثم جاء ابن الفقيه الي في الغد وشمس الدين بن النقويس وعلي الزودي المراكشي وهو من الطلبة . ولقيت القاضي عبد الرحمن وهو من السودان حاج فاضل لهُ مكارم اخلاق ولقيت الترجمان دوغا وهو من افاضل السودان وكبارهم وكان ابن الفقيه متزوجاً بنت عم السلطان فكانت تتفقدنا بالطعام

وسلطان مالي هو منسى سليمان ومعنى منسى سلطان لهُ قبة مرتفعة بابها بداخل دارهِ يقعد فيها اكثر الاوقات ولها من جهة المشور طيقان ثلاثة من الخشب مغشاة بصفائح الفضة وتحتها ثلاثة مغشاة بصفائح الذهب او هي فضة مذهبة وعليها ستور ملف فاذا كان يوم جلوسهِ بالقبة رفعت الستور فعلم انهُ يجلس فاذا جلس أُخرج من شباك احدى الطاقات شرابة حرير قد رُبط فيها منديل مصري مرقوم فاذا رأى الناس المنديل ضُربت الاطبال والابواق . ثم يخرج من باب القصر نحو ثلثماية من العبيد في ايدي بعضهم القسي وفي ايدي بعضهم الرماح الصغار والدرق فيقف اصحاب الرماح منهم ميمنة وميسرة ويجلس اصحاب القسي كذلك ثم يؤتى بفرسين مسرجين ملجمين ومعهما كبشان يذكرون انهما ينفعان من العين وعند جلوسهِ يخرج ثلاثة من عبيدهِ مسرعين فيدعون نائبهُ قنجاموسى وتأتي الفرارية وهم الامراء ويأتي الخطيب والفقهاء فيقعدون امام السلحدارية يمنة ويسرة في المشور ويقف دوغا الترجمان على باب المشور وعليهِ الثياب الفاخرة من الزردخانة وغيرها وعلى رأسهِ عمامة ذات حواشي لم يحسن تعميها صنعة بديعة وهو متقلد سيفاً غمدهُ من الذهب وفي رجليهِ الخف والمهاميز ولا يلبس احد ذلك اليوم خفاً غيرهُ . ويكون في يدهِ رمحان صغيران احدهما من ذهب والآخر من فضة واسنتهما من الحديد ويجلس الاجناد والولاة والفتيان والمسوفة وغيرهم خارج المشور في شارع متسع فيهِ اشجار وكل فراري بين يديهِ اصحابهُ بالرماح والقسي والاطبال والابواق . وبوقاتهم من انياب الفيلة وآلات الطرب المصنوعة من القصب والقرع وتضرب بالسطاعة ولها صوت عجيب . ولكل فراري كنانة قد علقها بين كتفيهِ وقوسهُ بيدهِ وهو راكب فرساً واصحابهُ بين مشاة وركبان . ويكون بداخل المشور تحت الطيقان رجل واقف فمن

اراد ان يكلم السلطان كلم دوغا ويكلم دوغا ذلك الواقف ويكلم الواقف السلطان

ويجلس السلطان ايضاً في بعض الايام بالمشور وهناك مصطبة تحت شجرة لها ثلاث درجات يسمونها البنبي تفرش بالحرير وتجعل المخاد عليها ويرفع الشطر وهو شبه قبة من الحرير وعليه طائر من ذهب على قدر البازي . ويخرج السلطان من باب في ركن القصر وقوسهُ بيده وكنانتهُ بين كتفيه وعلى رأسه شاشية ذهب مشدودة بعصابة ذهب لها اطراف مثل السكاكين رقاق طولها ازيد من شبر واكثر لباسه جبةٌ حمراء موبرة من الثياب الرومية التي تسمى المُطَنْفَس ويخرج بين يديه المغنون بايديهم قنابر الذهب والفضة وخلفهُ نحو ثلثمائة من العبيد اصحاب السلاح ويمشي مشياً رويداً ويكثر التأني وربما وقف فاذا وصل الى البنبي وقف ينظر في الناس ثم يصعد برفق كما يصعد الخطيب المنبر وعند جلوسه تضرب الطبول والابواق والانفار ويخرج ثلاثة من العبيد مسرعين فيدعون النائب والفرارية فيدخلون ويجلسون ويؤتى بالفرسين والكبشين معهاو يقف دوغا على الباب وسائر الناس في الشارع تحت الاشجار

وحضرت بمالي عيدي الاضحى والفطر تخرج الناس الى المصلّي وهو بمقربة من قصر السلطان وعليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان . والسودان لا يلبسون الطيلسان الأ في العيد ما عدا القاضي والخطيب والفقهاء فانهم يلبسونهُ في سائر الايام. وكانوا يوم العيد بين يدي السلطان وهم يهللون ويكبرون وبين يديه العلامات الحُمر من الحرير ونصب عند المصلّى خباء فدخل السلطان اليه واصلح من شأنه ثم خرج الى المصلّى فقضيت الصلاة والخطبة

ويجلس السلطان في ايام العيدين بعد العصر على البنبي وتأتي السلحدارية بالسلاح العجيب من تراكش الذهب والفضة والسيوف المحلاة بالذهب واغمادها منهُ ورماح الذهب والفضة ودبابيس البلور ويقف على رأسه اربعة من الامراء يشردون الذباب وفي ايديهم حلية من الفضة تشبه ركاب السرج ويجلس الفرارية والقاضي والخطيب على العادة ويأتي دوغا الترجمان بنسائه الاربع وجواريه وهنَّ نحو مئة عليهنَّ الملابس الحسان وعلى رؤوسهنَّ عصائب الذهب والفضة فيها تفافيح ذهب وفضة وينصب لدوغا كرسي يجلس عليه ويضرب الآلة التي هي من قصب وتحتها قريعات ويغني بشعر يمدح السلطان فيه ويذكر غزواته وافعاله ويغني النساء والجواري معهُ ويلعبنَ بالقسي . ويلعب دوغا بالسيف لعباً بديعاً وعند ذلك يأمر السلطان بالاحسان لهُ فيؤتى بصرّة فيها مئتا مثقال من التبر . وفي كل يوم جمعة بعد العصر يفعل دوغا مثل هذا الترتيب الذي ذكرناهُ

ستأتي البقية

مصر من تسعين سنة

(٢)

الاعراس المصرية

تقدمنا الموكب مسافة طويلة في طرق متعرجة وحارات ضيقة وكنا نتأثر مسيره على اصوات الطبول والرباب الى ان لحقنا به في منعطف غير نافذ فوجدناه مزيناً ومضاء بالمصابيح حتى مدخل بيت العريس والكلاب الكثيرة تحتك بارجلنا كأنها تزاحمنا الى الوليمة . فدخل الموكب في رحبة واسعة عند مدخل الدار والطبول تقرع والرباب تصدح فلعب المصارعون بالسيوف ووقف حملة المشاعل وحملة الشموع حولهم ثم حملة القماقم والمزاهر وسعوف النخل كأنهم قادمون لاستقبال اغسطس قيصر داخلاً الى رومية ظافراً تحت اقواس النصر . ورأيت بعضهم حاملاً اعواداً طويلة في اعلاها الواح كبيرة من النحاس عليها صفوف من السلاسل والخرز والزجاج

ولما مرَّت العروس تقدمتها المغنيات المعروفات بالعالمات والراقصات الغوازي . فالاوليات متحجبات وفي ايديهنَّ الدفوف أما الغوازي فكنَّ يرقصنَ مكشوفات الوجوه والسواعد والنهود وعلى اوساطهنَّ مآزر زاهية مزركشة ومتمنطقات بالقصب المتدلي وعلى رؤوسهنَّ طراقي محلاة بالقطع الذهبية يقال لها غوازي وربما اتخذن هذا الاسم من تلك النقود الذهبية المضروبة على عهد مماليك الغز . وكنَّ صقيلات الوجوه مزججات الحواجب والعيون مثقوبات الآذان والانوف وعلى صدورهنَّ وسواعدهنَّ نقوش غريبة من الوشم الازرق وفي اصابعهنَّ الصنوج كثيرات الخلاعة في رقصهنَّ والرجال والغلمان حولهنَّ يقهقهون ضحكاً وسروراً . ثم دخل صف الخدم والخصيان وكلهم زنوج يحملون الصواني والسلال وعليها ثياب العروس وحلاها المهداة اليها من عريسها واقاربها . وتلاهم المدعوون وهم قسمان قسم الوجهاء والاعيان وكلهم بثياب فاخرة زاهية وقسم اهل البلد والفلاحين وكلهم بثياب سوداء واحذية صفراء . ولما دخلت العروس امتلأ المكان من زغاريد النساء وقد تبينتها عن كثب فاذا هي متشحة بشال من الكشمير غالي الثمن وإزار تجرّ ذيوله وراءها وعلى وجهها برقع ابيض تقودها امرأتان او تجرانها من تحت ابطيها جرًّا ووراءها عدد من الجواري يرفعن ذيول ثوبها . ثم دخلت الى خدرها في الغرف العلوية من الدار بين زغردة النساء واغاني العالمات

اما المدعوون فلبثوا في حوش الدار وهناك مصطبة عالية حولها الغرف والمقاعد والموائد

يقال لها « سلاملك » ثم دار قوم بايديهم اباريق الخزف يوزعون شراباً حلواً على الجالسين في كؤوس من المعدن او الخزف . ورأيت موزع الشراب على قيد خطوات مني فخشيت ان ينفضح امري اذا كلمني ولا اعلم بماذا أُجيب وكان ترجماني عبدالله قد ابتعد عني فاشرت اليهِ ان يدنو مني ففعل وقلت لهُ : اذا جاء دوري في الشراب ماذا افعل وبماذا اجيب ؟ قال « قل لهُ كثر خيرك » . ولما رآني لا احسن لفظ هذه الكلمة الثقيلة على لساني قال لي « قل لهُ طيّب »

وقد علمت فيما بعد ان كلمة « طيب » ذات معانٍ كثيرة تكفي لان تكون جواباً لمسائل مختلفة خليقة بامة هادئة خاضعة لحكم استبدادي مطلق تحذر عثرات اللسان . فكلمة « طيب » عندهم تعني « ان الشيء حسن » واحياناً تعني « اني طوع امرك » او « اشكرك » وغالباً تفسر بكلمة « نعم » واظهار الرضى والقبول . فالقنت نطقها وكنت افخم لفظ الطاء لئلاً الفظها « تيب » . وتذكرت وقتئذٍ ان قد سبقني السائح بلزوني الى استعمال هذه الكلمة عند مجيئهِ الى مصر حتى ظهر امرهُ يوماً ما وهو داخل احد الجوامع وكانت حياتهُ معرضة للخطر حتى اضطر ترجمانهُ ان يدافع عنهُ بقولهِ : انهُ انكليزي مسلم لا يتقن التكلم بالعربية

وكان ابو العريس واخوتهُ يستقبلون المدعوين ويرحبون بهم وقد نصبت الموائد في قاعة كبيرة لجلس القوم القرفصاء حولها وكل منهم يمد يده الى الطعام ويأكل بيدهِ رزاً ولحماً فلم اجسر ان اشترك معهم في هذه الوليمة لئلاً اخطئ مرة في مخالفة عاداتهم وينفضح امري لديهم . وكان جمع من البرابرة يرقصون اثناء الوليمة في حوش الدار وقد عقدوا حلقة في وسطها عالمة تغني وتضرب على الدف . وغازية اخرى تقرع طبلاً صغيراً يقال لهُ « دربكة » ووراء الحلقة جوقة اصحاب الزمور والرباب والعبيد والخدم بايديهم القماقم والمزاهر دائرين حول المدعوين يرشونهم بماء الزهر والورد وشممت رائحتهُ العطرية لما انتثر رشاشهُ على وجهي ولحيتي . وبعد برهة وقف امامي رجل ببزة نظيفة حسنة وقال لي بلهجة لطيفة وتأدب كلاماً لم افهم معناهُ فاجبتهُ بكلمة « طيب » مفخمة الطاء . ثم تجاوزني وكلم غيري فالتفتُّ نحو عبد الله وسألتهُ ماذا يريد مني هذا الرجل قال « هو صاحب البيت يدعوك للدخول الى المائدة » . فرأيت ان اخرج خوفاً من افتضاح امري . وفي الطريق قال لي ترجماني :

« لو لبثت عندهم الى ما بعد الطعام لرأيت التمثيل . فقلت لهُ ايمثلون هنا روايات « كوميدي » ؟ قال نعم روايات القره قوز

وقد علمت ان هذه الحفلات تلبث سبع ليالٍ لها اسماء خاصة بها منها ليلة الحمام وليلة الحناء وليلة الهدايا وليلة الزينة وليلة الدخلة وتقام فيها كلها المراقص والاغاني وتولم الولائم ·
وقال لي عبدالله ان قد فاتني في هذه الليلة رؤية الذبيحة وهي خروف او جاموس يذبحهُ العريس على عتبة الدار عند ما تجتازها العروس حتى يلطخ ثوبها بدم الضحية تفاؤلاً بالسعادة والهناء · واحياناً يصنع قالب او تمثال من السكر و يوضع في وسطهِ زوجا حمام او يمام فعند دخول العروس الى خدرها يحطم التمثال السكري و يطير الحمام في الفضاء · وربما كانت هذه العادة من تقاليد المصريين القدماء

***

ثم دخلت الى غرفتي في الفندق وانا افكر فيما رايت هذه الليلة بين قوم يرون الزواج اهم حادث في الحياة فينفقون على حفلاتهِ الالوف من الذهب · ولا يظن ان ذلك قاصر على الاغنياء بل يشمل الفقراء ايضاً وهم لا يقصرون عن مضاهاة الاغنياء في اقامة معالم الزينات · والفرق بين الفئتين ان الاغنياء ينفقون من فضلتهم واما الفقراء فمن اعوازهم اذ يستدينون المال لاقامة الولائم واحضار المغنيات والغوازي وجوقات الموسيقيين والطبالين والزمارين وارباب الاشاير و بعضهم يضطر الى استئجار ثياب اقاربهِ وجيرانهِ
والعروس المصرية سر من الاسرار لا يرى احد هيأتها ولا يعلم احد من المتفرجين ولا الاصدقاء والاقارب ما هي عليهِ من القبح او الجمال سوى عريسها الذي لا يراها الا ليلة دخولهِ عليها

الترجمان

ترجماني عبد الله رجل ذكي الفؤاد نشيط مخلص الخدمة ولا عيب فيهِ سوى انهُ يحسب نفسهُ كبيراً شريفاً مساوياً لي · وهو نوبي الاصل يتكلم الانكليزية والفرنسوية والعربية بسهولة و يقتصر على خدمة السياح الانكليز وهذا سبب ترفعهِ عن خدمة غيرهم من الافرنج · التقيت بهِ في الاسكندرية على ظهر السفينة ليونيداس وهو نحاسي اللون يلبس ثوباً ابيض ومشلحاً من لونهِ فهو في الواقع وسط بين المصري والنوبي · واذنهُ مثقوبة فيها قرط من الفضة · فاتفقت معهُ على ان اجعل لهُ راتباً مقدارهُ عشرون غرشاً في اليوم مدة الستة الاشهر التي اقيمها في القاهرة
ولما وصلنا القاهرة نزلت في فندق فرنسوي رغماً عن ارادة عبد الله اذ كان يريد ان ياخذني الى الفندق الانكليزي واخيراً قال لي اشير عليك ان تستأجر منزلاً خاصاً وتأتي بخادم

يقوم باحتياجاتك وانا اقيم معك دائماً وبذلك نقتصد مبلغاً كبيراً من نفقات الفندق . فرأيت ما قالهُ صواباً فوافقتهُ وعهدت اليهِ في استئجار منزل خاص في حي الافرنج او حي الاقباط

والتقيت في فندق دومرج الذي نزلت فيهِ (وهو في درب الجنينة) بمصوّر فرنسوي حميد الخصال دمث الاخلاق لطيف المعشر الاَّ ان سمعهُ ثقيل وهو ماهر في الرسم اتخذ في الفندق غرفتين لنومهِ وللاشتغال بصناعتهِ فيجمع بعض الفتيات المصريات والنوبيات بائعات الليمون والبرتقال والقصب و يأخذ رسومهنَّ على اشكال مختلفة . و بعضهن لا يرضين ان يرفعن الحجاب عن وجوههن حياء او مراعاةً للآداب الاسلامية . فيضطر ان يصورهن وهن محجبات . وكان بين نزلاء الفندق كولونيل فرنسوي واسقف ومثّلة لغات وهنديان من بومباي احدهما خادم للآخر . ويظهر من اكلهما اللحوم انهما من الهنود المسلمين وكنت اود البقاء في هذا الفندق لوفرة وسائل الراحة فيهِ الاَّ اني فضلت السكنى في احد المنازل بين الوطنيين للاختلاط بهم وتعوّد المعيشة الشرقية

استئجار المنزل

قال لي عبد الله ان في حي الاقباط والاروام كثيراً من البيوت فمنها ما هو ذو طبقتين ومنها ما هو ذو ثلاث وداخلها حوش او حديقة ولا تتجاوز اجرتها السنوية ثلاثمائة غرش . واراني في اليوم التالي بيوتاً عديدة لاختار واحداً منها فرأيت بيتاً بديع الشكل داخلهُ حوش مرصوف بالبلاط وفي وسطهِ بركة ماء حولها قصاري الورد والرياحين وقاعات واسعة وقد زخرفت جدرانها وسقوفها بالنقوش وفي صدرها اعمدة من رخام ومصاطب فوقها المقاصير والمياه تفيض من بركة كبيرة تسقي الحديقة المغروسة بالاشجار المظللة . وهذا البيت يشبه قصور البندقية وجنوى ومع كل ذلك الرواء والزخارف لم ارهُ صالحاً للسكن من الوجهة الصحية لان نوافذ مقاصيرهِ وغرفهِ لا تطل الاَّ على الحوش الداخلي فالهواء فيهِ محصور ولا يصل اليها نور الشمس ولا ينفذها النسيم الشمالي المنعش للابدان ولذلك ترى اكثر سكان القاهرة نحفاء الاجسام مصابين بفقر الدم صفر الوجوه من رطوبة التربة ومن نشع مياه الخليج الجاري في وسط المدينة وكثرة المستنقعات في الشوارع . وهذه الرطوبة الدائمة جعلت اكثر الاهالي معرضين للرمد وامراض العين وقلما ترى مصرياً سليم العينين هذا فضلاً عن الاوحال والاقذار المتراكمة في الطرق والشوارع . وفي القاهرة كثير من خرابات القصور العظيمة القديمة العهد كانت لامراء المماليك وسلاطين العصور السالفة واكثرها كالاطلال البالية وتستأجر باجرة زهيدة

وبعد التفتيش وجد عبد الله منزلاً صغيراً صالحاً لي كان قد استأجرهُ قبلي سائح انكليزي واقام فيهِ مدة وجعل لهُ منافذ بحرية بدرفات من زجاج . والنوافذ التي على هذا الشكل نادرة . وهذا البيت في حارة النصارى وصاحبتهُ امرأة قبطية ارملة غنية لها عشرون بيتاً غيرهُ بعضها ملك لها و بعضها مكتوب باسمها وهو في الحقيقة ملك بعض الافرنج لان الاجنبي لا يمكنهُ ان يتملك في مصر حسب القوانين التركية ولا يمكنهُ ان يقتني باسمهِ ارضاً وعقاراً . وهذا البيت ملك قونشلير انكلترا مكتوب باسم هذه الارملة القبطية تؤجرهُ على حساب صاحبهِ . وبعد المساومة على الاجرة بواسطة عبد الله وشيخ الحارة كتبنا عقد الايجار بمبلغ ثلاثمائة غرش في السنة تدفع على ثلاثة اقساط ولم استلم مفتاح البيت الاَّ بعد ان دفعت مبالغ كثيرة بصفة « بقشيش » الى شيخ الحارة وكاتب العقد وشيخ الخفر وحافظ القسم وكاتبهِ وخادمهِ واخيراً استلمت المفتاح من قهرمان الارملة بعد ان نقدتهُ « بقشيشهُ »

ما هو مفتاح البيت ? هو خشبة طويلة في طرفها ستة مسامير وفي الباب شبه صندوق مستطيل يدخل المفتاح فيهِ فتلتقي المسامير التي فيهِ بمسامير أُخرى متحركة في جوف الصندوق فترفعها و يفتح الباب . ويقال لها في مصر « الضبَّة » . ولكن الصعوبة في حمل هذا المفتاح اذا خرجت من المنزل ولما لم اقدر ان اضعهُ في جيبي اضطررت ان اشكهُ في وسطي كما يفعل الاهالي كانكشاري او الباني يحمل في نطاقهِ غدارتهِ . ولكن الحصول على المفتاح واستئجار البيت ليسا كل ما يلزم لسكنهِ بل يجب ان توضع فيهِ الامتعة والحاجيات الضرورية والفرش والاثاث اللازم . فأخذني ترجماني الى السوق فاشتريت القماش والقطن واحضر لي المنجدين فصنعوا لي مراتب الاسرة واللحف والوسائد والمقاعد وفي اليوم التالي احضر لي صانعي الجريد فصنعوا لي اسرة للنوم ومقاعد من جريد النخل وهي على خفتها متينة الصنع . ثم ذهبنا الى السوق فاشتريت الحصر والسجاجيد والستائر للنوافذ وعرفني ترجماني بتاجر يهودي يدعى يوسف يحسن الفرنسوية فاشتريت من عندهِ كل هذه الامتعة والاقمشة وقال لي عبد الله ان صديقهُ هذا متهاود في البيع صادق في المعاملات ولكني لا أشك في ان الاثنين اتفقا على سرقتي

وفي اليوم التالي زارني يوسف هذا فقدمت لهُ القهوة والنارجيلة (الشيشة) وقال لي ان لهُ بستاناً غرست فيهِ اشجار التوت لتربية دود الحرير وكل سنة يخرج مقداراً كبيراً من الشرانق

وكان البيت الذي استأجرتهُ في آخر حي الاقباط على مقربة من باب الحديد (ربما كان

في الدرب الابرهيمي) يمر الخارج منهُ في ارض تخترقها ترعة وحولها الغيطان يجتاز السالك فيها فوق جسر من خشب على طريق شبرا . وخارج باب الحديد عند صف الغيطان محطة لمئات من الحمَّارة يؤجرون الحمار بغرش واحد مسافة ساعة من البلدة . ووراء السور جامع (ربما كان جامع اولاد عنان) فوقهُ مأذنة عالية وكل ليلة اسمع من نافذة غرفتي صوت المؤذن . ففي الليلة الاولى افقت على صوتهِ وهو ينشد بصوت شجي « اشهد ان لا اله الا الله » وسألت ترجماني عن جملة أخرى كان يرددها المؤذن فسرها لي بقولهِ « الصلاة خيرٌ من النوم » فاستعذبت الانشاد في سحر الليل وحسبت نفسي كأني في حلم . وكل ما رأيتهُ في مصر من الغرائب والمدهشات حقق لي حكايات الف ليلة وليلة

كنا نقرأ في فرنسا تلك الحكايات فنحسبها من قبيل الاقاصيص الخرافية فاذا هي حقيقة فنفس الانسان تجول في النوم في عالم الخيال والتصورات و يعتقد الشرقيون ان الارواح تحوم حول النائم فتذهب روحهُ معها الى عالم الخيالات معرضة للهواجس والانزعاجات . اليس بالاحرى ان نضع انفسنا عند ذهابنا الى النوم تحت حراسة الله خالقنا الذي لا يغفل ولا ينام كما قال المؤذن

عقدة الزواج

في صباح الليلة الثانية حضر عبدالله وايقظني باكراً وقال لي ان شيخ الحارة اتى يطلب مقابلتي فاذنت لهُ فدخل الى غرفتي وهو شيخ جليل ابيض اللحية فقدمت لهُ القهوة والشبق حسب العادة وجلس ساعة ولم ينطق ببنت شفة الى ان شرب القهوة واخيراً قال لي عبدالله مترجماً كلامهُ :

يقول لك انهُ حضر ليرجع لك الدراهم التي دفعتها اجرة البيت فدهشت من قولهِ وسألتهُ عن السبب فقال ان صاحبة البيت تجهل امرك وآدابك وعادات قومك فقلت لهُ وهل تظن ان آدابي او آداب قومي غير حميدة . قال انها لا تقصد ذلك ولكنها كانت تحسبك متزوجاً او عندك امرأة تخدمك فاجرتك البيت فقلت لهُ ولكني غير متزوج . اجاب لا يعنيها هذا الامر وانما يهمها ان تسكن مع امرأة لان سكن العزاب في البيوت ممنوع وخصوصاً بين العائلات وفي بيت تطل نوافذهُ على نساء الجيران . وهذه العادة قاعدة عامة متبعة بين المصريين بكل صرامة وتدقيق . فقلت لشيخ الحارة وماذا تريد ان افعل الآن . قال يجب ان تخلي البيت او تأتي بامرأة تسكن معك . قلت وهل من الآداب ان اسكن مع امرأة غير متزوج بها ؟ فاجابني جواباً غريباً يحسبهُ مقنعاً . قال « انت افندي (وعندهم ان كل من

كان ليس بتاجر ولا فلاح ولا صاحب مهنة هو افندي اي صاحب ملك او مأمور حكومة) ولا يليق بك ان تسكن وحدك في منزل مثل هذا وانت في سعة من العيش فيجب ان تقوم بعيش امرأة او اكثر حسبما تجيزهُ ديانتك او ان تشتري جارية تقوم بخدمتك فاذا لم يتزوج الرجال بالبنات فانهن يبقين عالة على والديهن »

فرأيت شيئاً من الحكمة والصواب في هذا الكلام · ثم امهلني شيخ الحارة يومين لمشاورة اصدقائي لان مسئلة الزواج عندنا هامة يجب التروي فيها وهي من اهم مسائل الحياة والهيأة الاجتماعية وادقها · اما في الشرق فالمرأة تؤخذ وترد كالمتاع

في المقالة الثالثة وصف الزواج عند الاقباط وسوق الجواري وما جرى لهذا السائح من النوادر

ديمتري نقولا

اكوات العراق

كتب حضرة محمد افندي الهاشمي البغدادي نزيل القاهرة الآن رسالة الى المقطم بالعنوان المتقدم · قال :

اسمع كثيراً في الجرائد المحلية لفظ كوت ولا اظن كثيرين من القراء يفهمونها فانها من اصطلاحات العراق ولذلك اريد اكتب شيئاً عن اكوات العراق لعل فيها ابينهُ فائدة فاقول

كلمة كوت مشهورة متعارفة في العراق ونجد وما جاورهما من البلاد العربية وبعض بلاد العجم والهند الساحلية وقد شاع استعمالها على الالسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الاصلية فصغروها وجمعوها فقالوا كويت واكوات وبالمصغر سميت البلدة التي على ضفاف البحر الفارسي او خليج البصرة

وهذه الكلمة توارثها العراقيون عن ابائهم البابليين والكلدانيين وكان الاشوريون يستعملونها كما توارثوا اشياء اخرى باقية فيهم الى الآن · وجاءت لفظة كوت في سفر الملوك ١٧ : ٢٤ « واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوث وعوا وحماة وسفرائيم » ويقال فيها كوثا وكوثى ربًا وهي المدينة الشهيرة مدينة ابرهيم — تعرف اليوم بتل ابرهيم او جبل ابرهيم

وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن والقلعة وغيرهما مما يبنى لحاجة ويبنى حولهُ بيوت صغار حقيرة بالنسبة اليهِ ويكون ذلك البيت فرضة للسفن والبواخر ترسو عندهُ لتكمل منهُ ما ينقصها من الفحم والزاد وما اشبه ذلك من حاجات السفر

ولا تطلق الأعلى ما يبنى قريباً من الماء سواء كان من ماء البحر او النهر او البحيرة او المستنقعة وقد تطلق الكوت على النهر الصغير ايضاً ويسمى بهِ الآن بعض القرى في العراق توسعاً ولعلها كانت في اول امرها اكواتاً صغيرة ثم تقاطر اليها الناس وعمروها فاتسعت وبقيت على اسمها الاول او كانت انشئت بقربها فغلب اسم الكوت عليها. وهذه الاكوات لا توجد في الموصل وغيرها من البلاد العليا الواقعة على ضفة دجلة فان اول كوت يمر بهِ الذاهب من بغداد الى البصرة كوت الامارة او الكوت وهو اشهر الاكوات وهو النقطة المتوسطة بين البصرة وبغداد وموقعه الجانب الشرقي من دجلة وفيهِ قائمقام وقاض وفيهِ ثكنة عسكرية «قشلاق» فيها طائفة من الجنود يحمون البلد من هجوم الاعراب وقطاع الطريق

وهو قرية جميلة عذبة الهواء طيبة التربة تغلب الصحة في اهلها وفيها جسر (كوبري) خشبي قديم وفيها مدرسة رشدية (ثانوية) وأخرى ابتدائية وحماماتها جميلة ظاهرة وفيها سوق كبيرة مسقوفة واهلها نحو اثني عشر الفاً تقريباً اكثرهم شيعيون. وقد قيل انها بنيت باسم اميركان عليها يدعى كوت وهو من قبيلة ربيعة العراق وهذه القرية حسنة البناء بالجملة تحفها الحدائق والحقول وهي التي تكرر ذكرها في الجرائد المحلية وغيرها من الجرائد الافرنجية

وقد اسست بعد خراب مدينة واسط الشهيرة المعروفة في التاريخ العباسي وكانت واسط قريبة من هذه البليدة في الجانب الغربي من دجلة وقد زرتها منذ سنتين تقريباً

وهناك اكوات اخرى تبلغ ٢٧ كوتاً. واذا اطلق الكوت اريد بهِ كوت الامارة. ومن البلاد التي يطلق عليها كوت كوت الامارة وكوت ابن نعمة وكوت الباشا وكوت العصيمي مصغر منسوب وكوت السادة وكوت الجوع وكوت زهير وكوت الكوام كشداد وكوت غضبان وكوت الافرنجي وهو محل بالبصرة معد لتصليح السفن والبواخر وبنائها وكوت الشيخ وكوت الخليفة. واما الانهر الصغيرة التي يسمونها كوتاً فمنها كوت الضاحي وكوت الصلحي وكوت الحرامية وكوت بندرة وكوت عباس وكوت حلاوة وثلاثة انهر صغار يسمونها الكوت ومنها كوت خضراوي وهذه انهر صغار في الجانب الغربي من شط العرب وهنالك انهر اخرى صغيرة تبلغ اربعمائة وسبعين نهراً

وفي الجانب الشرقي من شط العرب اكوات اخرى وهي انهر منها كوت الخان والخان لقب الملك او ابنهِ عند الفرس ولعل الخان هذا خزعل خان امير المحمرة. وكوت السادة وكوت زعير مصغر وكوت الخراب وكوت عبد الله وهنالك انهر صغيرة نحو ثمانين نهراً

نبذة تاريخية

عن سير التعليم الرسمي في القطر المصري

انشأَت وزارة المعارف العمومية النبذة التاريخية التالية قالت :

أُدخل المرحوم محمد علي باشا مؤسس الاسرة الحاكمة التعليم الحديث بالقطر المصري نظراً لاحتياجاتهِ الحربية

وقد وضع التعليم على الطريقة الشرقية في القطر المصري منذ سنة ٦٤١ ميلادية على الاقل وكان عبارة عن التعليم المشتمل خصوصاً على العلوم الدينية والآداب . واول جامع شيده ُ عمرو بن العاص في مصر القديمة لم يلبث طويلاً حتى صار معهداً دينيًّا مهمًّا . وكان من دأب الامراء المسلمين الذين يولَّون أمر مصر توطيداً لسلطتهم وتخليداً لذكراهم ان يشيد كل منهم جامعاً من اهم مميزاتهِ وجود مدرسة فيهِ

ونحو سنة ٩٧٠ ميلادية اسس القائد الفاطمي جوهر الجامع الازهر الشريف فحاز اهمية كادت تفوق على اهمية بغداد التي كانت وقتئذٍ اهم مركز في العالم للتعليم الاسلامي ولهذه الاهمية صار محطاً لرجال عظماء فقهاء الدين وجهابذة علماء اللغة العربية من جميع العالم الاسلامي وقد بلغ عدد طلبتهِ في القرنين الثالث عشر والرابع عشر عشرين الفاً

في نحو القرن الخامس عشر انحط شأن هذا المعهد العظيم لما توالى على البلاد الاسلامية من الوهن اما الآن فقد أُدخل فيهِ بعض الاصلاحات الحديثة من جهتي النظام وطريقة التعليم

وبخلاف هذه المعاهد العلمية الكبرى التي لم يزل باقياً منها خمسة للآن توجد مدارس اخرى معروفة « بالمكاتب » منها ما هو تابع للجوامع ومنها ما هو تابع للاسبلة او الاضرحة وفي هذه المكاتب كانت تُعلَّم التلاميذ الكتابة وحفظ القرآن اما اليوم فقد نظمت على حسب الطرق الحديثة بواسطة الاعانات الجاري منحها لها بان اتسع فيها نطاق التعليم وعين لها مدرسون أكفاء بنسبة حالتها

اما طريقة التعليم الاوربية الحديثة المتبعة الآن كثيراً في القطر المصري فلم تكن مستنبطة من طرق التعليم الشرقية بل هي طريقة مستجلبة اذ انهُ لما اسندت ولاية مصر الى المرحوم محمد علي باشا سنة ١٨٠٥ وبعد تخلصهِ من المماليك العصاة سنة ١٨١١ عزم على تمكين دعائم سلطانهِ بايجاد جيش بري وبحري منظمين على الطرق الاوربية . ولايجاد المستخدمين

اللازمين لهذه المصالح الجديدة وادارة دفتها كان محتاجاً والحالة هذه الى رجال غير الذين نشأوا في المعاهد الدينية فشرع في سنة ١٨١٦ يرسل الى ليفورن وميلان وفلورنسا وروما وفينا بعد الى انكلترا وفرنسا ابناء المماليك والاتراك ثم اتبعهم بابناء المصريين لدرس الفنون الحربية والعلوم الهندسية (ملكية وعسكرية) والعمارات البحرية والملاحة والنظام الاداري والطب وخلافه . وبعد ذلك ببضع سنين انشأ في بحر عشر من السنين تقريباً (١٨٢٤ — ١٨٣٤) عشر مدارس ابتدائية ومدرسة للطب ومدرسة للبيادة ومدرسة للسواري ومدرسة للطوبجية ومدرسة بحرية ومدرسة للطب البيطري ومدرسة للمهندسين وخلافه . وفي سنة ١٨٣٦ انشأ الوالي مجلساً للمعارف وحول ادارة التعليم من نظارة الحربية الى « نظارة معارف عمومية » وفي خلال السنة التالية اوصل مجلس المعارف عدد المدارس الابتدائية الى خمسين ثم انشأ مدرسة ثانوية ومدرسة للزراعة ومدرسة للادارة والمحاسبة ومدرسة للترجمة ومدرسة للفنون والصنائع وجميعها منظم على قدر الامكان على الطرق الفرنسوية ولكن درجة نشر التعليم لم تكن مناسبة لدرجة تقدم البلاد نفسها ولذا قضي على عدة مدارس ان ابوابها بعد سنة واحدة الأ عدداً قليلاً جداً من بينها بقي حتى سنة ١٨٤١ ومع ان التلاميذ كانوا يسكنون و يأكلون و يلبسون على نفقة الحكومة وتعطى لهم ايضاً اعانة فما كانوا يدخلون المدارس الأ مرغمين كما قال يعقوب ارتين باشا في كتابه المسمى (التعليم العام في القطر المصري)

وقد تعدت كراهة الفلاح المصري للخدمة العسكرية الى الدخول في المدارس رغماً عن الفوائد التي كانت تعود عليه من قيام الحكومة بالانفاق على ولده لتربيته وتعليمه . وقد كان الاهالي يأبون بالاجماع الانتفاع بهذه الفوائد حتى اضطرت الحكومة الى ايجاد نظام اجباري للدخول في المدارس وبذلك غصت جميع المدارس تقريباً بالتلاميذ على حسب اعمارهم و بنيتهم وهيئتهم وكانت الحكومة حرة في رفت التلاميذ او نقلهم من مدرسة لاخرى او ابقائهم فيها تبعاً لذكائهم

وقد اوجب تنقيص الجيش عند انتهاء وقائع المرحوم محمد علي باشا الحربية والغاء احتكارات الحكومة واقفال معاملها زيادة عدد الشبان الحائزين على شهادات عالية اكثر بكثير من الوظائف الخالية لهم حتى كان عدد كبير من الموظفين الذين ربتهم الحكومة عالة عليها لعدم استطاعتها الانتفاع بهم ولهذه الاسباب الغى عباس باشا الاول حال جلوسه على العرش سنة ١٨٤٩ جميع المدارس ما عدا المدرسة الحربية

ولما جلس اسماعيل باشا على الاريكة الخديوية سنة ١٨٦٣ اعاد انشاء المدارس على قاعدة اوسع من ذي قبل الاَّ انهُ التزم فيما بعد الى تخفيض عددها نظراً لكون المصاريف التي كانت تنفق عليها لم تأت بنتيجة في وقت قريب وعلى اثر الارتبكات المالية اضطرت الحكومة الى الاقتصاد في هذا الصدد حتى انهُ في وقت عزل اسماعيل باشا كانت مصاريف التعليم خفضت الى مبلغ ٢٠٠٠٠ جنيه مصري سنوياً

وفي مدة المراقبة الانكليزية الفرنسية زيد المبلغ المخصص للتعليم الى ٧٠٠٠٠ جنيه مصري . وفي سنوات الاحتلال الانكليزي الاولى اضطرت الحكومة الى عمل توفيرات عظيمة لاصلاح حالة البلاد المالية ولما تحسنت الحالة المالية بعد ذلك رأت الحكومة ان توجه اولاً نظرها نحو حاجياتها الضرورية ولم يتيسر للمصلحة المالية ايصال مصاريف التعليم الى مبلغ ٩١٠٠٠ جنيه مصري الاَّ في سنة ١٨٩٠ ومن بعد ذلك العهد وخصوصاً من ابتداء سنة ١٩٠٤ كانت هذه المصاريف تزاد على الدوام وقد تقدم التعليم بدرجة عظيمة

وفضلاً عن المدارس الاميرية يوجد عدد عظيم من المدارس الاهلية ابتدائية وثانوية منظمة تقريباً على نظام المدارس الاميرية وسائرة على انموذج التعليم المتبع فيها وكثير من هذه المدارس تنفق عليه جمعيات خيرية وهناك ايضاً بعض من المدارس خاصة بالنزلاء الاجانب واغلبها تابع للارساليات الدينية انشئ بعضها في اواسط القرن التاسع عشر

وفي سنة ١٩٠٧ انشأت الحكومة ادارة التعليم الزراعي والصناعي والتجاري وجعلتها تحت مراقبة وزارة المعارف العمومية سداً للاحتياج العظيم الى صناع ماهرين وبقصد توسيع دائرة التعليم العملي في المستقبل . وان ادارة التعليم الزراعي التي اتساع نطاقها آخذ في الزيادة يوماً عن يوم قد نقل مركزها في سنة ١٩١٤ الى وزارة الزراعة التي انشئت في بحر سنة ١٩١٣ وقد وسع نطاق التعليم بالمدارس الثانوية وبمدارس البنات والمعلمين

وبمقتضى قانون نمرة ٢٢ الصادر في سنة ١٩١١ منحت مجالس المديريات سلطة واسعة لنشر التعليم ولهذا الغرض صرح لها بفرض ضريبة عقارية اضافية قدرها ٥ في المئة

وعلاوة على ذلك فان وزارة المعارف العمومية تعطي اعانات للمدارس الاهلية الابتدائية والصناعية والثانوية » انتهى بحرفهِ

———

البارجة الهوائية

لما نقل الانكليز جنودهم الى فرنسا عجب الناس من عدم تعرُّض الغوّاصات الالمانيـة لهم . والآن لا تزال السفن الحربية وغير الحربية تسير بين انكلترا وفرنسا آمنة ولم يُصَب منها الأ القليل مع كثرة الغوّاصات الالمانية في كل مكان ومحاولتها الايقاع بها حربية كانت او تجارية . ولكن يظهر مما قرأناه في الجزء الاخير من السينتفك اميركان ان الفضل في وقاية هذه السفن هناك هو لطيارات بحرية اشترتها انكلترا من اميركا . ولو كان عندها كثير من هذه الطيارات لما ابقت للالمان غواصة في بحر

لما نشبت الحرب في صيف سنة ١٩١٤ كانت شركة عمل الطيـارات في مدينة بفلو باميركا قد صنعت طيارة بحرية اي من الطيارات التي تطير في الهواء وفي اسفلها قارب تجري به على وجه الماء لكنها كانت اكبر من كل الطيارات التي صُنعت قبلهـا . ومن مزاياها ان فيها آلتين دافعتين قوة كل منهما تسعون حصانًا وكلٌّ منهما تدير مروحة كبيرة . وكان ثقل هذه الطيارة ٢٦٠٠ رطل وتستطيع حمل ١١٠٠ رطل مع ان اثقل طيارة مائية حينئذٍ لم يكن اكثر من ١٥٠٠ رطل ولا يزيد حملها على ٦٥٠ رطلاً

ولم يكن غرض الذين بنوا هذه الطيارة ان يستعملوها في الحرب ولكن الحكومة الانكليزية اشترتها منهم في شهر نوفمبر ١٩١٤ واضافتها الى طياراتها المعدَّة لحماية السواحل الانكليزية وللحال ظهرت فائدتها في حماية السفن الانكليزية في بحر المانش فانهـا أغرقت ثلاث غواصات المانية بعد ما منعتها من الوصول الى السفن الانكليزية

ولما رأت نظارة البحرية الانكليزية ذلك اوصت على اثنتي عشرة طيارة بحرية مثلها ثم على عشرين طيارة . ولا شبهة انهُ كان لهذه الطيارات اليد الطولى في مقاومة الغواصات الالمانيـة ومنع ضررها في ذلك البحر لان سرعتها ثلاثة اضعاف سرعة اسرع الغواصات فتستطيع ان تفتش عن الغواصات وتوقع بها اما بقنابلها او بارشاد النسافات السريعة اليها . والنسافة من هذه النسافات تقطع ٤٠ ميلاً بحريًّا في الساعة واذا عجزت عن الايقاع بالغواصة استعانت بغيرها او طردتها الى حيث تقع في شرك الشباك المعدنية المنصوبة لها

وان الشركة التي صنعت هذه الطيارة صنعت اكبر منهـا واكبر الى ان وصلت اخيراً الى صنع طيارة بحرية تستحق ان تسمَّى البارجة الهوائية او الدردنوط الهوائية وهي المرسومة في الشكل المقابل وثقلها ٢١٢٥٠ رطلاً وهي موَّلفة من قارب كبير طولهُ ٦٨ قدماً وفوقهُ

ثلاثة سطوح طول كل منها ١٣٣ قدماً وعرضهُ ١٠ اقدام وفي طرفي الاسفل منها قاربان لكي لا يغوصا في الماء · وفي القارب اماكن لثمانية رجال وحوض للبنزين يسع ٧٠٠ جالون وحوض للزيت يسع ٨٠ جالوناً وهذا البنزين يكفي لجعل الطيارة تطير بسرعة ٧٥ ميلاً في الساعة في دائرة قطرها ٦٧٥ ميلاً · وتوضع في القارب ايضاً المدافع والقنابل وتوضع فوقهُ الآلات والمراوح · والآلات ست قوة كلٍ منها ١٦٠ حصاناً كل اثنتين منها تعمل معاً وتدير مروحة قطرها ١٥ قدماً فتعمل اربع منها وتبقى آلتان بلا عمل حتى اذا اصابت آلةً عاهةٌ أُبدلت بغيرها حالاً · وفي القارب ايضاً آلة اخرى قوتها ٤٠ حصاناً يستعملها الربان لادارة بقية الآلات بالكهربائية ولذلك فلا يحتمل ان تتوقف الطيارة عن العمل لانهُ اذا وقفت آلة او آلتان من آلاتها بقيت بقية الآلات عاملة الى ان تصلح الآلة التي وقفت

ويسهل ان يوضع في هذه الطيارة مدفعان كبيران وبنادق آلية · وينتظر ان يكون لها شأن كبير في كل الاعمال الحربية

باب الزراعة

عكس النترجة[1]

اذا كانت الغاية من النترجة تكوين املاح النترات ليتوفر غذاء النبات فغاية عكس النترجة استنقاص[2] النترات ولذلك كانت هذه العملية ضارة للزراعة على العكس من النترجة وربما كانت لها فوائد في الطبيعة كرد النشادر والنتروجين واكاسيده الى حالتها الغازية لاسباب طبيعية لا تدخل تحت بحثنا

تبتدئ عملية عكس النترجة لاستنقاص النترات بفصل عنصر الاكسجين بعضهِ او كلهِ بواسطة طوائف من المكروبات المختلفة فيكون من وراء ذلك سد حاجة المكروبات المذكورة بعنصر الاكسجين المنفصل واستنقاص النترات الى نتريت ثم يستنقص النتريت كذلك فيتصاعد اول وثاني اكسيد النتروجين والأ فاذا استنقص النترات والنتريت بفصل جميع ما فيها من الاكسجين تصاعد غاز النشادر والنتروجين المطلق

(١) Denitrification (٢) Reduction

يطلق البعض عكس النترجة احيانًا على عمليات الاستنقاص المذكورة جميعها اما البكتريولوجيون فيقتصرون بها على عملية انحلال النترات التي يتسبب عنها تصاعد النتروجين المطلق فيكون من وراء ذلك فقد لأهم عناصر التغذية النباتية

ان قدرة المكروبات على استنقاص النترات معروفة منذ سنة ١٨٦٨ و يسهل اثباتها عمليًا الآن لانهُ اذا اختير محلول غذائي صالح لتربية المكروبات ووضعت فيهِ كمية من السكر واخرى من نترات البوتاسيوم ثم لقح هذا المحلول بكمية من التربة مشتملة على هذه المكروبات فان النترات تنحل تدريجًا وتتصاعد منها اكاسيد النتروجين ثم لكي يتحقق ان هذا التغيير بكتريولوجي تعاد التجربة مع استخدام كمية من التربة المعقمة فلا يحدث استنقاص النترات وما ذلك الا لعدم وجود المكروبات

لم يستطع الباحثون حصر طوائف المكروبات التي تقوم بهذه العملية ولكن امكن بعضهم كالعالم فرنكلند[1] ان يفصل من الهواء والماء ٣٢ مكروبًا وجد فيها ١٧ نوعًا تستنقص النترات الى نتريت وامكن ورنجتن ان يفصل ٢٥ نوعًا منها ١٨ تسبب ذلك وامكن ماسين[2] ان يفصل ١٠٩ انواع منها ٨٥ تفعل ذلك ايضًا ولذلك اخذ العلماء يقولون بكثرة هذه الانواع وشيوعها • وكما ان مكروبات عكس النترجة مختلفة في النوع فانها تختلف في الصفات اذ منها ما هو عفن ومنها ما هو طفيل ومنها ما لهُ قدرة على استنقاص النترات الى نتريت ومنها ما لهُ قدرة على الاستمرار في عملية الاستنقاص حتى ينشأ النشادر والنتروجين المطلق • ان استنقاص النترات الى نتريت او نشادر في التربة قد لا يتسبب عنهُ ضرر جسيم اذ مكروبات النترجة تستطيع ان تصلح ذلك فقد سبق انها ترد النشادر الى نتريت والنتريت الى نترات وانما الضرر يكون جسيمًا في الاحوال التي تستنقص فيها النترات حتى ينشأ عنها اكاسيد النتروجين او النتروجين المطلق فان هذه الغازات تتطاير الى الجو من التربة او من اكوام السماد وفي ذلك ما فيهِ من الخسارة بفقد النترات

من الاعمال التي استنارت بها ابحاث عكس النترجة ما قام بهِ كل من العالمين جيون[3] ودو پتي[4] في سنة ١٨٨٦ فانهما تمكنا من فصل مكروبين[5] من التربة واشتغلا بدراستهما فوجدا انهما في حالة عدم وجود الهواء يسببان اكسدة المواد الكربونية باستنقاصهما للنترات

---

(١) Frankland (٢) Maassen (٣) Gayon (٤) Dupetit

(٥) اطلقنا على الاول بكتيريوم دينتريفكانس ا (Bact. denitrificans a.) وعلى الثاني بكتيريوم دينتريفكانس ب (Bact. denitrificans b.)

التي تكون في التربة فيتصاعد عن ذلك النتروجين المطلق واكاسيد النتروجين حسبما تقتضيه الظروف · ووجدا انهُ في حالة وجود الهواء لا يطرأ استنقاص للنترات مطلقاً وانما تتم اكسدة المواد الكربونية وغيرها من المواد الآلية الاخرى بواسطة اكسجين الهواء مباشرة ويظهر ان السبب الفسيولوجي لاستنقاص النترات في الحالة الاولى هو ان المكروبات عند عدم وجود الهواء تلجأ الى اكسجين النترات فتستمدهُ لتنفسها واستمرار حياتها غير مراعية ما ينجم عن عملها من الضرر

ولا يظن ان عملية عكس النترجة عملية بسيطة في حد ذاتها او انها مجرَّد تفاعل يتم بين المكروبات والنترات بمجرَّد اجتماعها بل لا بد لحدوثها واستمرارها من توفر شروط عديدة اهمها اولاً وجود الانواع المخصوصة من المكروبات التي تسببها وثانياً توفر املاح النترات في البيئة وثالثاً كثرة وجود المواد الآليةَ التي تتأكسد بسهولة ورابعاً عدم وجود الهواء او وجودهُ بدرجة قليلة جداً · هذه هي الشروط الضرورية لعمليـة عكس النترجة فاذا فقد شرط منها تعطلت العملية ويلاحظ انها على الضد من الشروط الضرورية لعملية النترجة كما يلاحظ ان هناك فرقاً عظيماً بين العمليتين · ففي النترجة يتم تكون النترات بجنسين من المكروبات فقط يعملان معاً وعلى التعاقب والحاصل الاخير لعملهما تكوّن مركب واحد هو النترات تعادل كميتهُ كمية النشادر الاصلي تماماً · ولا يخفى انهُ لا توجد عملية كيماوية واحدة يؤكسد فيها النشادر تماماً كما في هذه العملية · وفي عكس النترجة تتم العملية بانواع كثيرة من المكروبات ولا ينشأ عنها حاصل واحد بل جملة حاصلات مختلفة النوع والكميـة · قد عرفت مكروبات عكس النترجة بشيوعها في الارض وفي روث الدواب والهواء ومياه الآبار والدبال وفي بيئات اخرى ويندر وجودها في براز الانسان والحيوانات آكلة اللحوم · ومن السهل فصلها من هذه الاشياء كلها ويعتبرها العلماء من المكروبات الهوائية اذ في قدرتها النمو في المرق مع وجود اكسجين الهواء ولكنها في هذا الحال لا تستنقص النترات الاَّ قليلاً اما اذا زرعت في بيئة خالية من اكسجين الهواء او مشتملة على قليل منهُ فانها في هذه الحالة تستمد الاكسجين الضروري لها من النترات او النتريت وبذلك تسبب استنقاصهما · هذا ومن المشاهد في التجارب ان كمية النترات التي تستنقص بعمل مكروبات عكس النترجة تزداد على نسبة مطردة كلما ازدادت كمية المواد الآلية الكربونية التي تمتص وتؤكسد بسهولة فمن هذه المواد الصالحة لهذه العملية وجود الاملاح المتعادلة للحوامض الآليـة وعلى الاخص الاملاح الناشئـة من الحامض اللبنيك والحامض الليمونيك والحامض السمنيك والحامض

البربيونيك والحامض الخليك وغيرها . اما المواد الكربوهيدراتية كالنشا والجلوكوز والانيولين وغيرها فلا تستطيع هذه المكروبات استخدامها الا اذا كانت مختلطة مع الاملاح الآلية المذكورة . وكثير من انواع الكحول كالبروبيل والاثيل وغيرهما من المواد الآلية كالجليسرين ونحوه تؤكسدها المكروبات المذكورة . وكذلك في استطاعة بعض انواعها اكسدة الحامض اليوريك والهبوريك وغيرهما . وكثير من المواد الآلية التي يصعب اكسدتها بواسطة مكروبات عكس النترجة خاصة تؤكسدها المكروبات المذكورة اذا كان هناك تبادل نفع في البيئة بينها وبين مكروبات التعفن مثل باسيلوس كولي [1] وغيره فان هذه المكروبات بحلها للمواد الآلية تحدث حاصلات تعمل فيها مكروبات عكس النترجة بسهولة

ان عملية عكس النترجة تقل او تعدم بنقص الشروط الضرورية لها او عدمها فمثلاً في اكوام السماد المفككة التي يتخللها الهواء بسهولة تحدث عملية النترجة اولاً فتتكوّن النترات ثم تحدث عملية عكس النترجة بعد ذلك لتوفر وجود النترات ولكنها تكون قليلة بسبب وجود الهواء فاذا تركت الاكوام المذكورة معرضة لمياه الامطار قل الهواء وزادت العملية وترتب على زيادتها زيادة كمية النتروجين المتصاعد . اما في اكوام السماد غير المفككة فلعدم توفر الشروط لعملية النترجة لكثرة وجود المواد الآلية الذائبة ولعدم وجود الهواء لا تتكوّن املاح النترات اللازمة لاستمرار عملية عكس النترجة الا في الطبقة السطحية وكذلك في الاراضي الزراعية الحسنة الصرف لا تتم عملية عكس النترجة فيها لان اهم الشروط اللازمة لاستمرارها تكون معدومة اذ وجود الهواء وعدم كثرة المواد الآلية السهلة الانحلال وعدم توفر النترات كل هذه اسباب تحول دون حدوثها واستمرارها . اما في الاراضي النزازة التي يكون فيها الهواء قليلاً فان هذه العملية تتم ويفقد بسببها النتروجين وقد اثبت ذلك ورنجتن في تجاربه

هذا ولا يزال المشتغلون بالبكتريولوجيا الزراعية من العلماء يوالون ابحاثهم في مكروبات عكس النترجة فيتبينون من وقت الى آخر نتائج مهمة في وظائفها ومقدار ما تحدثهُ من الضرر في التربة وغيرها . فمثلا في سنة ١٨٩٢ وجد بريال [2] ان بقايا الحصاد تحتوي دائماً على مكروبات كثيرة وانها عند عدم وجود الهواء او قلته في التربة تستنقص هذه المكروبات النترات فينشأ عن ذلك نتروجين مطلق يتصاعد الى الجو

---

(١) Bacillus Coli (٢) Bréal

وفي سنة ١٨٩٥ اثبت ڤاجنر[١] وميركر[٢] بالتجارب التي اجرياها ان اضافة كميات من الروث غير المتحلل الى التربة تتلف النترات المضافة اليها كسماد وانهُ يتسبب عن ذلك نقص في المحصول وافتقار في عنصر النتروجين ولكن ورنجتن عارض هذا الرأي في سنة ١٨٩٧ وصرح بان كميات الروث التي استخدماها كانت كثيرة جدًّا وان استخدامها بهذه الكثرة لا يتفق مع ما يقع في الفلاحة العادية للاراضي اما في الاراضي النزازة فقد اثبت نجوكا[٣] ان نترات الصودا اذا استخدمت كسماد للارز مضافة للاسمدة الآلية في اراضي المستنقعات اليابانية فانها تنقص المحصول بدلاً من ان تزيدهُ وعلل ذلك بان النترات تستنقص الى نتريت وان النتريت في رأيهِ تسمّ المحصول فالنقص نتيجة تأثير النتريت لا نتيجة تلف النترات وفقد عنصر النتروجين

وفي سنة ١٨٩٨ وجد دهيريان[٤] ان اضافة المواد النشوية الى التربة ينشأ عنها استنقاص في النترات الموجودة ووجد انهُ اذا اضيفت بقايا الحصاد الى التربة ولو بنسبة واحد في المائة من وزنها لا يستنقص من النترات الاَّ مقدار الثلث تقريبًا ومن رأيهِ ان الضرر الناتج عن اضافة كميات كبيرة من الروث راجع الى اسباب تعطلت بسببها عملية التنترجة لا عن استنقاص في النترات بسبب عكس التنترجة

وفي سنة ١٩٠٩ اثبت منكمان[٥] وبيرنك وجود المكروبين اللذين فصلهما جيون ودوبتى من قبل وقد اكتشفت مكروبات اخرى كثيرة فصلت ودرست فثبت ان في استطاعتها استنقاص النترات لينشأ النتروجين المطلق نذكر منها بكتيريوم ستتزيرى[٦] وبكتيريوم اجايل[٧] وبكتيريوم هارتليباي[٨] وبكتيريوم سنترو بنكتاتم[٩] وبكتيريوم نتروفورم[١٠] وڤبريو دينتريفكانس[١١] وباسيلوس دينتريفكانس[١٢] وبكتيريوم فايليفاسينز[١٣] وغيرها

محمود مصطفى الدمياطي

مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) Wagner (٢) Maercker (٣) Nagaoka (٤) Dehérian
(٥) Minkman (٦) Bac. Stutzeri (٧) Bac. Agile (٨) Bact. Hartlebii
(٩) Bact. Centropunctatum (١٠) Bact. Nitrovorum (١١) Vibrio denitrificans
(١٢) Bacillus denitrificans (١٣) Bact. filefaciens

نبات الكاكي

هو نبات من الفصيلة الابنوسية اسمهُ النباتي Deosporus Kaki واسمهُ بالانكليزية Japanese Date plum

وصفهُ

هو من الاشجار المتساقطة الاوراق وشجرهُ يختلف كثيراً في الارتفاع فمنهُ الصغير ومنهُ الطويل الذي يبلغ ٦ امتار طولاً . واوراقهُ بيضية الشكل مغطاة بزغب قصير وازهارهُ احادية المسكن وثمارهُ كروية او بيضية الشكل بحجم البرتقالة الصغيرة ذات لون احمر فاتح وجلد ثمرهِ ناعم حريري الملمس ولبهُ قابض قبل نضجهِ وسكري حلو المذاق بعد تمام نضجهِ ولونهُ برتقالي فاتح او غامق

واصل موطنهِ جزائر الهند الشرقية و برما ووجد ايضاً في بلاد الصين واليابان من زمن بعيد وقد اعتني بزراعتهِ وانتخاب انواعهِ في بلاد اليابان ومنها انتشرت زراعتهُ في جميع الممالك الاخرى . وشجر هذا النبات لا ينمو الاَّ في المناطق الحارة او المعتدلة

انواعهُ

(١) كاكي عديم البذور وثمرهُ ذو لب برتقالي غامق عديم البذور غير قابض و يمكن ان يؤ كل قبل تمام نضجهِ . وفي مصر منهُ نوعان مازلي Mazelli وزنجي Zengi

(٢) كاكي ببذور وثمرهُ ذو لب برتقالي فاتح تختلف كثيراً في الصلابة قابض قبل النضج وحلو لذيذ الطعم بعد تمام نضجهِ و يشتمل على بذور صلبة كبيرة الحجم . وفي مصر منهُ نوع اسمهُ كوستاتا Costata

(٣) كاكي بثمار كروية مثل الزنجي يبدأ ظهورهُ في الاسواق في شهر اكتوبر اما الانواع الاخرى ذات الثمار البيضية الشكل فتظهر ثمارها متأخرة في شهر نوفمبر

اللوطس

اسمهُ النباتي D. Kaki واسمهُ الانكليزي Chinese Kaki . وعلو شجرهِ من ٧ امتار الى ٨ واوراقهُ بيضية مستطيلة سطحها الاعلى اخضر فاتح وسطحها الاسفل ضارب الى البياض وازهارهُ بيضاء احادية المسكن وثمارهُ برتقالية مفرطحة او كروية مضغوطة قليلاً ذات لب قابض قبل نضجهِ حلو المذاق بعد تمام نضجهِ

الطرابلس

اسمهُ النباتي D. Lotus والانكليزية Common Date plum يشبه شجره شجر اللوطس تقريباً الا ان اوراقهُ مستطيلة وضيقة قليلاً وادق من اوراق اللوطس و يبلغ طول شجره ٨ امتار الى ٩ تقريباً واوراقهُ زغبية من اعلى واسفل وازهاره احادية المسكن فالذكور منها صغيرة عنقودية والاناث اكبر منها وهي ابطية متوحدة وثمارها عنبية صفراء اللون حامضة قليلة المنفعة وهي بحجم الكرز تقريباً واصل مواطنهِ بلاد الصين

وتستعمل اصول هذه الشجرة لتطعيم الكاكي واللوطس وانواعهما

كاكي فرجنيان

اسمهُ النباتي ديوسبرس فرجنيانا D. Virjiniana D. والانكليزي Verjinian Date plum وشجره يشبه شجر الطرابلس تقريباً و يبلغ طوله ١٢ الى ١٥ متراً واوراقهُ مستطيلة ضيقة ومدبية حريرية الملس وليست مغطاة بزغب وثماره كروية ذات لون اصفر برتقالي بحجم اكبر برقوق ياباني · وثمره لذيذ الطعم ولكنهُ اقل جودة من الكاكي السابق الذكر واصله من ولايات اميركا الجنوبية

يستنبت الطرابلس بذوراً تزرع في قصاري او في صناديق او في الارض مباشرة في شهر مارس وتترك النباتات في المنبت لغاية شهر يناير ثم تنقل الى المشتل في مسافة نصف متر بعضها من بعض وتترك فيهِ سنة او اثنتين ثم تنقل الى محلها الدائم او يُطعم عليها اصناف اللوطس والكاكي الجيّد

يستنبت الكاكي بذوراً في بعض الاحيان بمثل الطريقة السابقة ويحسن غرس البذرة مباشرة بعد فصلها من الثمر ولكن ظهر اخيراً انهُ ليس من المستحسن استنبات هذا الصنف بالبذور لانهُ وجد ان اشجار الكاكي التي تستنبت بهذه الطريقة تحمل ازهاراً كبيرة مذكرة ولا تحمل الأ قليلاً من الازهار المؤنثة ولذلك فان الشجرة لا تحمل الأ عدداً قليلاً جداً من الفواكه · وقد ظهر ايضاً ان بعض اشجار الكاكي المطعم على طرابلس لا يحمل كثيراً من الازهار المؤنثة وذلك بعكس بعض اشجار اللوطس فانها تحمل كثيراً من الازهار المؤنثة ولا تحمل الأ قليلاً من المذكَّرة فيحسن والحالة هذه تطعيم كلتا الشجرتين الواحدة مع الاخرى على اصول الطرابلس للحصول على اثمار كثيرة

ويستنبت الكاكي بالتطعيم بالزر او بالعين في اغسطس وبالقلم في فبراير على اصول الطرابلس

اما القرجنيان فيستنبت بنفس الطريقة السابقة شرحها في الطرابلس وهو يستعمل كثيراً في البلاد الامريكية كاصول لتطعيم الانواع الطيبة من الكاكي ويمكن ايضاً تطعيم انواع القرجنيان الجيدة النوع بعضها على بعض او على اصول الطرابلس

التربة

تنمو الانواع السابقة في جميع انواع التربة الا الرملية او المالحة او الغرقة

المسافة بين الاشجار

تزرع انواع الكاكي القصيرة وبين النبتة والاخرى $3\frac{1}{2}$ متر اما الانواع الكبيرة الحجم واللوطس والطرابلس فتزرع وبينها ٥ امتار

الغرس

بما ان الاصناف السالفة الذكر من النباتات المتساقطة الاوراق فيمكن نقلها ملش (عارية الجذور) ولكن يجب شدة الاحتراس في نقلها وعدم تقطيع جذورها لانها من النباتات ذات الجذور العمودية الطويلة فان لم تنقل بجذور سليمة ماتت ويحسن نقلها بالطينة في ابتداء موسم النقل

الامراض

اما امراض هذه النباتات فاثنان (١) العنكبوت الاحمر واسمهُ العلمي Tetranychus والانكليزي Red Spider (٢) المايطس واسمها العلمي Maculatus والانكليزي Mites

العلاج

يعالج الاول بان ترش الاشجار بمحلول الكاز بنسبة $\frac{1}{12}$ في المئة · والثاني بان تغطس الاشجار بمحلول الجير والكبريت في شهر يناير

عبد المجيد رضوان

مدرس علم فلاحة البساتين في مدرسة الزراعة بالجيزة

النخل في اميركا

ذكرنا غير مرة ان حكومة الولايات المتحدة مهتمة بزرع النخل في بلادها وانها ارسلت الوفود الى هذا القطر وغيره من الاقطار الشرقية فبحثوا في زراعة النخل واخذوا الفسائل منها . وقد نشر ديوان الزراعة في الولايات المتحدة الآن ان زراعة النخل صارت الآن من الزراعات المهمة في الجهات الجنوبية الغربية منها وجعل علماء الزراعة يتبينون صنف النخل من شكل سعفهِ ويبحثون عن الطرق لانضاج البلح في السنين التي يشتد فيها البرد فيؤخر نضجهُ . والاصناف التي زرعت في الولايات المتحدة أُتي بها من مصر والجزائر وتونس والمغرب الاقصى وبلاد النوبة والواحات . ويهتم ديوان الزراعة الآن في اختيار انفع الطرق لتسميد النخل وقد وجد انهُ اذا كانت الارض قلوية يقل فيها حمل النخل فاضافة قليل من كبريتات الجير اليها تصلحها وتزيد حمل النخل وتُصلح نوعهُ

هذا ولا يخفى ان النخل يجود في القطر المصري وما يليهِ جنوباً من وادي النيل الى بلاد السودان ولكن لا يعتنى بجمع ثمرهِ والاتجار بهِ الاعتناء الواجب بل يرد الى القطر المصري تمر من تونس والجزائر والبصرة كما يرد الى اوربا مع ان حمل النخلة لا يقل ثمنهُ عن نصف جنيه اذا كان جيداً وقد يزرع في الفدان مئة نخلة او اكثر . فعسى ان يكون الامن الذي ضرب اطنابهُ في البلاد مشجعاً على الاكثار من زرع النخل الجيد

سمٌّ للدودة القارضة

نقلت مجلة فلاحة البساتين المصرية عن مجلة الاميركان فلورست الوصفة التالية سماً للدودة القارضة وهي :

اضف رطلاً من الزرنيخ الابيض او من اخضر باريس الى ٢,٢ كيلة من النخالة وضع عليها ٣٦ لتراً من الماء المذاب فيهِ ٢½ لتر من الدبس واخلط الجميع خلطاً جيداً . وهذا المقدار كافٍ لاربعة افدنة الى خمسة . وبعد ان يترك بضع ساعات يصنع قطعاً كل قطعة كالبندقة وتلقى في الاطيان حيث ظهرت الدودة وعند اصول النبات وذلك في اواخر النهار حتى تأكل منها الدودة مدة الليل ويحسن ان يكرر ذلك مرة اخرى اذا لزم الامر

ويمكن منع هذه الدودة بتنظيف الاطيان من الفضلات وبتعاقب المزروعات ويمكن اتلاف الكثير منها بغمر الاطيان مرة بالماء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الزائدة الدودية

في الجسم اعضاء احسن ما يقال في وصفها ان لا فائدة منها الان : وقد اصطلح على تسمية تلك الاعضاء بالاثرية اي انها اثر باقٍ من عضو كان عاملاً مفيداً في زمن من الازمنة ثم طرأ عليهِ ما صيَّرهُ بلا عمل فانقطعت فائدتهُ كما في ثدي الرجل او تحولت ضرراً كما في المحنة المعروفة باسم الزائدة الدودية . وهي شبه انبوبة لحمية صغيرة صماء من طرف ومتصلة من طرفها الآخر بجزء المعى الغليظ المعروف باسم الاعور وهي تنفتح اليهِ . وطول هذه الانبوبة يختلف بين بوصتين وست بوصات . ولا يعلم هل تشارك الامعاء في عمل الهضم ام لا . ولا ما هو مقدار تلك المشاركة ان وجدت . وكلُّ ما يعلم انها قد تكون سبب داء عرف باسم التهاب الزائدة الدودية (الابنديسيتس) وهو من الادواء ذات الخطر ولكن خطرهُ قلَّ بمعرفة طبيعتهِ وبتقدم الجراحة حتى باتوا لا يحسبون لهُ حساباً في البلاد التي يكثر فيها مهرة الجراحين

أُصيب رئيس من رؤساء الولايات المتحدة الاميركية بالتهاب الزائدة الدودية ومات فقيل حينئذٍ ان سبب الالتهاب تطرق بزرة عنب او برتقال من الاعور الى الزائدة . لكن البحث والاختبار اثبتا فساد هذا القول الذي لا يزال سائداً بين الجماهير حتى في البلاد المتمدنة . فان الجراحين قد يجدون بزوراً في الزائدة عند عمل عملياتهم الجراحية فيها ولكن ذلك نادر والغالب ان يجدوا فيها شيئاً من الروث الجاف او دقائق الجير المتحجر وهي نتيجة الداء لا سببهُ

وخطر هذا الداء ليس ناشئاً عن التهاب الزائدة نفسها بل عن امتدادهِ الى البريتون . وما دام محصوراً في الزائدة فلا خطر منهُ ولا ألم ولكنهُ متى اتصل بالبريتون فهناك الالم والخطر . وكثيراً ما يتفق ان يجد الجراحون الزائدة ملتهبة في مريض يعملون لهُ عملية اخرى لا علاقة

لها بالزائدة . وهذا دليل على ان الزائدة تصاب بالالتهاب ولكن المصاب لا يشعر بهِ او لا يكترث لهُ ما دام البريتون سليماً

ومن رأي بعض الخبيرين ان هذا المرض ازداد في العشرين سنة الاخيرة . ولكن لا ريب في ان هذا الازدياد ظاهريٌّ في الاكثر وسببهُ كثرة العناية بالتشخيص كما انهُ لا ينكر ان هناك اسباباً كثيرة تساعد على وقوع الداء كالقبض مثلاً . فان القبض يساعد على بقاء طعام غير مهضوم في الاعور . ويقال ان كثرة اكل الاطعمة العسرة الهضم كاللحوم المقددة هي من اسباب الالتهاب . وكذلك كثرة شرب الشاي فانها تفضي الى القبض وهذا الى الالتهاب

وهذا الداء من ادواء الشبيبة كالسل والحمَّى التيفودية . وقد ظهر من الاحصاء ان ٨٠ في المئة من الذين يصابون بهِ هم دون الثلاثين سنّاً . وظهر كذلك ان ٨ في المئة من المصابين بهِ هم من الذكور . ومما يساعد على التعرُّض لهُ السكنى في البلاد الحارَّة وعدم تنظيم اوقات الاكل . وكثيراً ما تحدث الاصابة على اثر اجهاد الجسم برفع شيء ثقيل من الارض أو بقطع مسافة كبيرة على البيسكل او على اثر ضربة على البطن . وفي هذه الحالات تكون الزائدة ملتهبة التهاباً مزمناً من قبل فيمتد منها الى البريتون

والمعروف ان هذا الداء على نوعين مزمن وحادّ . اما المزمن فلا يمنع صاحبهُ من العمل بشرط ان لا يكون شاقاً . نعرف شخصاً مصاباً بالتهاب الزائدة المزمن لم ينقطع عن عمله الاَّ نادراً . وهو لا يزال حيّاً يعالج نفسهُ بالامتناع عن اكل الطعام الفخم والاعتدال في المعيشة . وكل ما هناك انهُ يمتنع عن العمل متى احسَّ بوخز في جانب بطنهِ الايمن حيث الزائدة الدودية . ولكن هذا الوخز ليس شديداً مؤلماً

واما الحاد فيلزم صاحبهُ بالامتناع عن كل عمل . والاصابة اما ان تكون بسيطة عادية واما ان تكون شديدة ففي الحالة الاولى يحسن اعطاء المصاب مسهلاً في بدء الشعور بالألم والاَّ فاذا كان المرض متقدماً فان اعطاء المسهلات كثير الضرر . واحسن المسهلات ما كان ملحياً كالملح الانكليزي او سلفات الصودا . واذا تقيأ المريض وجب منع التقيؤ بالادوية المعروفة . ويجب ان يكون طعامهُ خفيفاً وخير لهُ ان يقتصر فيهِ على اللبن وان توضع اللزق على القسم الحرقفي من البطن او كيس من الثلج لتخفيف الألم

وفي الحالة الثانية أي اذا كانت الاصابة شديدة لا بدَّ من عمل عملية جراحية . على ان

الجراحين مختلفون في وقت العملية · فبعضهم يشرع فيها حالما يشخص المرض · ولكن جمهورهم متابع للدكتور تريفس الجراح الانكليزي الشهير في عدم عمل العملية الأ بعد استعمال الوسائط المخففة للألم والالتهاب اذ دلّ الاحصاء على ان متوسط الوفيات بهذا الداء لا يزيد على ٥ في المئة اما متوسط الوفيات بالعمليات الجراحية التي تعمل عند اشتداد النوبة فيبلغ ٢٠ في المئة او اكثر · واما متوسط الوفيات بالعمليات الجراحية التي تعمل بين نوبة واخرى على مذهب تريفس فيبلغ ½ في المئة او ١ في ٥٠٠

اما اذا كانت الاصابة غنغرينية فيجب عمل العملية الجراحية حالاً خشية حدوث التهاب عام في البريتون على اثر افلات قدر كبير من البكتيريا والمواد المتعفنة من داخل الزائدة الدودية اليهِ

البَخر

البَخَر عيب خلقي في الغالب من اسبابهِ ضعف الغشاء المخاطي الذي يبطن الفم والمريء والمعدة · فان ضعفهُ يمنعهُ من قذف خلاياهُ القديمة والفاسدة لاحلال خلايا جديدة محلها فينشأُ عن ذلك فساد طبقتهِ الخارجية شيئاً فشيئاً · ومن اسبابهِ ايضاً بقاء طعام غير مهضوم في المعدة

يعالج بغسل الفم بسائل كوندي و بشرب جرعتين في اليوم من المركب الآتي :

كلورات البوتاس	١٥ قمحة
ماء	اوقية

اما خلوف فم المدخن فاذا كان كريهاً كان سببهُ في الغالب رداءة الدخان الذي يدخنهُ · وتزال هذه الرائحة باستعمال الوصفة الآتية :

يؤْخذ درهمان من كلوريد الكلسيوم واوقية ماء ويرج المزيج نصف ساعة ثم يصفى و يضاف اليهِ اوقية سبيرتو مكرر ونصف اوقية ماء الورد · ثم يستعمل غرغرة بعد شرب الدخان

وكثيراً ما يصاب اللسان بالحمو – فلإزالتهِ يؤْخذ جزء من الغليسرين وجزء من مسحوق الطباشير وثمانية اجزاء من الماء و يغسل الفم بهذا المزيج · ويجب رج الزجاجة عند الاستعمال

عرق القدمين

من الناس من تعرق قدماهُ ولما كان العرق فيهما محصوراً فانهُ لا يتبخر فلذلك يتحلل ويفسد وتتصاعد عن القدمين رائحة كريهة

وافضل علاج لذلك ان تغسل القدمان يومياً بالماء البارد وفيهِ نحو نصف اوقية من مسحوق الشب ثم تنشفا جيداً . او ان تغسلا كل يوم مرة على القليل وخصوصاً بعد المشي والرياضة بمحلول الجير المكلوراي الممزوج بالكلور او بمحلول برمنغنات البوتاس ٨ قمحة منهُ في الماء . وقبل لبس الجوارب تبودر القدمان بين الاصابع خاصة بمسحوق مؤلف من الجير المكلور وجزء من مسحوق الطباشير وجزء من مسحوق النشا . ولتكن الجوارب من الفلانلا الرقيقة

منع فساد الخمر

تؤخذ زجاجات الخمر وهي مسدودة وتوضع في اناء فيهِ ماء ثم تغلى ويسخن الماء الى درجة ١٨٠ فارنهيت . وبعد ذلك ترفع الزجاجات من الماء وتسد سداً محكماً وتختم بالشمع وتصف في امكنتها مقلوبة

علاج لدغ الحشرات

احسن ما يستعمل لعلاج لدغ الحشرات كالبعوض والبراغيث والبق ان يدهن مكان اللدغة بجزء من المنتول ممزوج بعشرة اجزاء من الكحول فانهُ يبرد حر اللدغة ويسكن الاكلان الذي ينشأ عنها . وهو يستعمل ايضاً لدهن الجبين والصدغين في الصداع

المايونيز

اسهل طريقة لعمل المايونيز ان يؤخذ صفار بيضة ويخفق بملعقتين كبيرتين من زيت الزيتون ثم يضاف اليهِ ملعقة كبيرة ونصف ملعقة من الخردل وثلاث ملاعق من الملح وشيء من الفلفل وفي الآخر ملعقتان من الخل . ثم يخفق زلال البيضة حتى يتحول رغوة ويضاف الى المزيج وهو يحرك ببطء



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

التنويم المغنطيسي وقراءة الافكار

حضرة محرر المقتطف المحترم

طالعت بمزيد العناية ما اوردتموهُ في مقتطف دسمبر في باب المسائل من الرد على فهمي افندي حنا سليمان عما كان قد استفسركم عنهُ من كنهِ حقيقة التنويم المغنطيسي فدهشت كثيراً من تعبيركم عن هذا العلم انهُ غير مؤكد بل وغير صحيح ومن ان ما يعمل فيهِ هو من قبيل الغش والخداع او الاستهواء والانخداع

ولكن ما قولكم وقد استعمل التنويم المغنطيسي الآن في عالم الطب في مداواة عدة امراض مختلفة كالصرع والصداع والروماتيزم ووجع الاسنان الخ وفي التخدير بدل البنج في بعض عمليات الجراحة الصغرى وفي مداواة بعض العادات المستهجنة التي يراد نبذها كالتدخين او الادمان في تعاطي المسكرات وغير ذلك. هذا فضلاً عن ان التنويم المغنطيسي يستعمل الآن احياناً في عالم القضاء على سبيل الاستدلال لتعزيز الادلة قبل احد المتهمين (وما حادثة اعتداء احد اطباء القاهرة على عرض الفتاة خادمتهِ ببعيدة)

هذا وقد لاحظت من خلال سطوركم اثناء تقريركم الحادثة التي حصلت بحضوركم انكم خلطتم بين مسألة قراءة الافكار اي التنجيم التي يدعيها احياناً بعض المشعوذين (ونحن على اتفاق معكم فيما يتعلق بهذه المسألة من ان كل ما يفعل او يحصل فيها هو من قبيل الخداع والاستهواء) وبين مسألة التنويم المغنطيسي التي ثبت بالقرائن العلمية والفعلية انها خلوٌ من كل الشوائب التي تكتنف مسألة التنجيم والشعوذة (التي يتخذها بعض من لا مرتزق لهم سبيلاً للاستجداء والاستعطاء) وبين مسألة تحضير الارواح التي ثبت ايضاً انها حقيقة ثابتة

وشيء واقع لا محالة مع انها سر غامض (وقد ايد ذلك بعض اكابر العلماء من اعضاء الجمعية الملوكية البريطانية وغيرهم)

هذا وقد اشغلت هذه المسألة (اي تحضير الارواح) بعض اهتمامكم في الاعوام الماضية بدليل كثرة النبذ التي اوردتموها بخصوصها في اعداد المقتطف الاغر مما كان احياناً مخللاً بالصور ومؤيداً بمباحث وآراء العلماء واني اعتقد ان كثرة ما حررتموهُ بخصوص هذه المسألة دليل قاطع على تصديقكم لها

ثم اني لا اخالكم وقد غاب عن فكركم ان التنويم المغنطيسي علم قديم حيث قد اكتشفهُ العالم الالماني (فريدريك انطوان مسمر) في سنة ١٧٧٥ ثم تبعهُ بعد ذلك في تأييدهِ واعلاء شأنهِ العالم الانجليزي (جيمس بريد) حوالى عام ١٧٩٥ ثم تبعهما بعد ذلك في التوسع وايفاء هذا العلم حقهُ من البحث والتمحيص الدكتور (شارل ريشيه) الفرنسي واساتذة مدرسة نانسي الحقوقية الفرنسية وعلى رأس هذه المدرسة من اكابر العلماء مثل (برنهيم وليبو وليجوا) وكان ذلك حوالى عام ١٨٤٠

لا يقتصر علمي بالتنويم المغنطيسي على ما قرأت عنهُ في الكتب او المجلات العلمية حتى يكون شأني فيهِ شأن الناقل فقط بل ان اعتقادي فيهِ الذي صار في درجة اليقين هو نتيجة اشتغالي بهِ مدة زمنية ونتيجة عدة مشاهدات حصلت امامي كان المنوَّم فيها Subject احد اقاربي (حتى لا يقال انهُ استعمل الغش والتدليس في الاخبار عن الحقيقة او انهُ كان على اتفاق مع المنوِّم) وكان المنوِّم فيها احد الاطباء الغواة المشتغلين بهذا الفن بقصد التوسع في العلم ليس الأ Amateur لا احد الذين يمارسون التنويم المغنطيسي بقصد التعيش والارتزاق Professionelle (حتى لا يقال ايضاً انهُ موَّه او اخفى الحقيقة عن الحاضرين لئلاً يفسدوا عليهِ سبل معاشهِ) وكانت هذه المشاهدات دائماً بحضور عدد من الاخوان الافاضل وكانت مما يحير العقول ومما يثبت بالدليل القاطع ان هناك قوة كامنة في الانسان لا تظهر الاَّ بمحرك خارجي يثير ساكنها ويدعوها الى العمل وهذه القوة هي المغنطيسية الحيوانية (كالكهرباء في الاجسام المتصلة بمولد السيال لا يظهر فعلها او تأثيرها الاَّ بالضغط على او بتحويل لولب في هذا الجسم)

اما مسألة كون النائم يمكنهُ ان يقرأ الافكار فذلك واقع وثابت لا محالة لانهُ ثبت علمياً ان التنويم المغنطيسي ثلاث درجات الاولى وهي (الكتالبس) والثانية وهي (الليتارجي)

والثالثة وهي (السومنامبوليزم) وهذه الدرجة الاخيرة يمكن التوسع فيها حتى يتيسر للشخص النائم ان يخبر عن اشياء لم يرها لا هو ولا المنوّم ولم تحصل امامها بكل دقة واتقان كأنهُ كان حاضراً وقت وقوعها ثم انهُ يمكنهُ ايضاً ان يقرأ افكار اي شخص من الحاضرين يُسأل عنهُ فيجيب عن كل ما يجول بفكر ذلك الشخص ويمكن ايضاً ان يجيب عن اشياء علمية او فنية ليس لهُ بها سابق معرفة مطلقاً لا هو ولا المنوّم بكل ضبط كأنهُ مشتغل بها — مثال ذلك ان يجيب الفلاّح الأُمّي وهو نائم تحت تأثير النوم المغنطيسي عن بعض مسائل رياضية عويصة لها مساس باللوغاريتم او حساب المثلثات مثلاً او ان يُشخّص ماسح الاحذية احد الامراض المعضلة ويوصف العلاج اللازم لهُ كأنهُ طبيب او ان يقرأ زنجي جاهل احدى الجرائد الافرنكية المحررة بلغة لم تطرق سمعهُ ولا يعرفها مطلقاً كأنهُ من ابناء تلك اللغة

أَفبعد كل ذلك يمكن الظن بان كل المنومين (فنترولوكو يستس) وهل يمكن ان يتعلم الانسان كل لغات العالم وكل العلوم والفنون والصنائع حتى يمكنهُ ان يجيب عن النائم؟ ليست هذه الحقيقة : وانما الشيء المعقول هو ان المنوّم يومي للنائم في سرّه بأنهُ لا بد وأن يجيب على الشيء الذي سئل عنهُ بغاية الصحة فيسري ذلك التأثير الى روح المنوّم فيجيب بما يقتضيهِ الحال ونص السؤال

لا اقصد من تحرير رسالتي هذه سوى تقرير الحقيقة كما اني ارجو من حضرتكم الافصاح باكثر مما ورد في ردكم في عدد هذا الشهر فيما يختص بهذا الموضوع لأن الرد مبهم ولا يفهم منهُ ما هو المقصود بان كل ما يعمل فيهِ هو من قبيل الغش والخداع اهو ادعاء الانباء بالغيب او التنويم المغنطيسي او تحضير الارواح ! حتى يكون الرد على سؤال السائل مقنعاً وموصلاً للحقيقة خصوصاً وان اصل السؤال موجه لمجلة علمية فهو شبه عمومي او مفتوح وان لا يكون للاعتقاد الشخصي دخل في الاجابة على مثل هذه الاسئلة العلمية لانها مسائل ثبتت بالاجماع ولا يؤثر فيها رأي الافراد

حسن فائق
معاون ادارة مركز دكرنس
دقهلية

[المقتطف] اوضحنا في الجزء الماضي مرادنا من الجواب المشار اليهِ آنفاً وهو اننا ننكر كل الانكار ان الذين يقفون في بعض المشاهد ويظهر انهم يكشفون المخبآت ويتنبأُون بالغيب يكونون نائمين النوم المغنطيسي

ولكن في هذه الرسالة اموراً اخرى تنقضها المعارف المحققة حسب ما وصل اليهِ علمنا

فاولاً لا صحة لما جاء فيها من ان تحضير الارواح امر ثابت موكد بل هو دعوى لم يقم دليل على صحتها وما ذكرناهُ من حوادثها في المقتطف انما ذكرناهُ اما لانهُ مثال على تصديق بعض الناس لامور وهمية لا صحة لها او لأن فيهِ شبه حقيقة يحسن البحث فيها كما يظهر لكم بالمراجعة

وثانياً ان التنويم لا يحصل بمنطيسية حيوانية ولا غير حيوانية . وتعليلهُ بالمغنطيسية الحيوانية هو اقدم التعاليل واسخفها . وقد ارتأى العلماء لهُ تعاليل اخرى كثيرة لا محل لذكرها هنا بالتفصيل احدثها ما نسميهِ الاستقلال العقلي Mental dissociation فان قوى العقل التي يرتبط بعضها ببعض عادة فيضعف بعضها بعضاً لتقيدها بعضها بالبعض الآخر يتعب بعضها و ينام وقت الاستهواء فيتحرَّر البعض الآخر منهُ ويظهر بكل قوتهِ . وسنشرح ذلك بالتفصيل في جزء آخر

وثالثاً ان اقتدار النائم هذا النوم على قراءة افكار غيرهِ لم يثبت علمياً . نعم ادَّعى بعض العلماء انهم وجدوا بالتجارب ان قراءة الافكار صحت مرَّات اكثر مما تقتضيهِ قواعد المرجَّحات ولكن اعيدت تجاربهم فثبت ان ما صحَّ منها لا يزيد عما يقع اتفاقاً حسب قواعد المرجحات

ومما يحسن ذكرهُ ان بعض الذين كانوا يدَّعون قراءة الافكار افشوا سر صناعتهم كما ترون في مقالة في هذا الجزء موضوعها السحر في الشعوذة

هذا وفي سوءال السائل دليل على فساد كل ما يقال عن الانباء بالغيب وقراءة الافكار بغير الطرق العاديَّة . فان معرفة الغيب كنتيجة مترتبة على مقدماتها امر عادي و بهِ نعرف ان النيل سيفيض في الصيف المقبل وان اردب القمح الذي زرعناهُ هذا الشتاء سنجني منهُ وقت الحصاد عشرة ارادب او اكثر او اقلّ حسب معدن الارض وخدمتها . وكذلك اذا كلَّمنا رجل في موضوع ما ونظرنا الى وجههِ فاننا قد نقرأُ افكارهُ من الآثار التي تبدو على وجههِ . ولكن لو وُجد سبيل لمعرفة الغيب وقراءة الافكار بغير هذه الطرق العادية لاستخدمهُ الناس في ما ينفعهم او يضر اعداءهم كما استخدموا البلونات والطيارات والغوَّاصات والنسافات وكل ما ثبت لهُ نفع

اما ما قيل عن معرفة الفلاح لحل المسائل الرياضية وماسح الاحذية لتشخيص الامراض وعلاجها وقراءة الزنجي لجرائد يجهل لغتها فدعاوٍ لم يقم دليل على صحة شيء منها

التنويم المغنطيسي

حضرات الافاضل المحترمين اصحاب المقتطف الزاهر

فتحتم باب المسائل في مقتطفكم ليستقي من منهله العذب كل صادٍ بما يروي الغليل وهذا هو السبب الذي حدا بي الى عدم الوقوف عند اجابتكم على سؤالي المختص بالتنويم المغنطيسي المدرج بعدد شهر دسمبر سنة ١٩١٥ (صحيفة ٦٣٠) على ما لا يقنع او بالأحرى ما لا يصح السكوت عليهِ . واظنكم لا تعيبون عليَّ مناقشتي لكم كل فقرة من فقرات تلك الإجابة وخير شفيع شهرتكم بسعة الصدر وواسع العلم والفضل سعياً وراء جلاء الحقيقة ناصعة الجبين لا يشوبها اقل شك او تخمين

لا حاجة بي لان اقول أن هناك فرقاً كبيراً جداً – استغفر الله – بل لا مناسبة بالمرَّة بين التنويم المغنطيسي الذي نحن بصدده وبين اعمال المشعوذين الذين استشهدتم باعمالهم الوهمية والخيالية مما اصبح مشهوراً عنهم ومعروفاً فيهم عند العوام قبل الخواص الا القليلين – والحيلة والوهم كالعملة الزائفة اذا جازت على واحد لم تجز على الآخرين – فلا وجه إذاً للمقارنة بين الفئتين ولو من قبيل التمثيل واعمالها تبعد عن التشبيه بُعد السموات عن الارض

فاين وجه الشبه بين هؤلاء الدجالين الذين يدَّعون المقدرة على تحويل النحاس الى ذهب ابريز او الابيض الى اسود أو ما شاكل ذلك من عمل الاحجبة والتعاويذ ولا غرض لهم طبعاً الا سلب ونهب كل ما يصل الى ايديهم من السذَّج والبلهاء . اقول اين الشبه بين هؤلاء واولئك الذين يقتصر عملهم أو علمهم أو فنهم أو تكهنهم كما تودُّون ان تسموا ذلك على كشف مخبآت الضمائر واظهار ما تكنهُ السرائر على شرط ان يحصر الانسان جميع فكرهِ في نقطة واحدة لا يتعدَّاها حتى يمكنهم استجلاء غامضها

قلتم في الفقرة الثانية من ردّكم انهُ بلغتكم امور كثيرة من هذا القبيل وبحثتموها بانفسكم غاضين النظر طبعاً عن أي تأكيد قدّم لكم أو دليل حتى جلوتم وجه الغش والخداع واسترسلتم في هذا الباب الى آخر ما قلتم ولكنكم لم تذكروا لنا حادثة واحدة من نقطة السؤال وهي التنويم لا الشعوذة والتنجيم ولم نفهم اذا كنتم تجملون بما رأيتم رأي العين مسألة التنويم ايضاً فاذا كان الجواب سلباً خرج حكمكم عليهِ من جملة ما شاهدتموهُ وان كان ايجاباً نرجو زيادة الشرح والبيان مع ايراد التعليل مشفوعاً بالبرهان

ولا خلاف بيننا وبينكم في كل ما اوردتموهُ بشأن هؤلاء الدجالين (لا المشتغلين بالتنويم

حيث لم تذكروا عنهم شيئاً) من حيث ايهامهم الناس ومضغ الكلام مع تلعثم اللسان الى آخر ما يوهمون بهِ على الاذهان او يؤثرون بهِ على الوجدان مما تكذبهُ شواهد العيان ولا ينطبق على احكام الطبيعة ولا احوال الزمان والمكان ولكن ما رأيكم دام فضلكم في ما رأيتهُ في حفلة اخرى كبيرة بتياترو عباس خاصة بكبار الاعيان من اطباء ومحامين وعلماء اعلام وغيرهم والكل طبعاً لا يعوّل في حكمهِ الأ على الحس والعيان لا الغش والخداع أو الاستهواء والانخداع كما تقولون واليكم بعض ما جرى :

افتكر أحد الحاضرين في أمر (مجرَّد فكر لم يتعدَّ ذات المفكر) وطلب من المنوّم أن يأمر المنوَّمة وهي زوجتهُ على ما علمت وتدعى « ميلوسكا » بأن تظهر مكنون فكره فما كان منها الأ ان تركت المرسح وقصدت صاحب الفكر توّاً واخرجت من جيبهِ علبة تبغ ففتحتها واشعلت لفافة منها بعود من ثقاب كان في جيب آخر ودخنت منها قليلاً وردَّتها لهُ — كل ذلك بدون تردُّد

فكَّر آخر — وهو صديق لي — في مرض البحر وما يصيب الانسان من دوار الرأس وقيء وانزعاج واراد (في فكرهِ) ان تقوم المنوَّمة بتمثيل ذلك على مرأى من الحاضرين فلم تتأخر عن تشخيص المرض بأتم الإتقان وأصحّ التمثيل

وغير ذلك من كل مدهش وعجيب — وانا أكتفي بما تقدَّم لكي لا أضيع عليكم وقتاً ثميناً وآمل ان احصل هذه المرَّة على جواب شافٍ وتعليل مقبول ولكم الشكر من قبل ومن بعد

فهمي حنا سليمان طالب بالجامعة المصرية

[المقتطف] قلتم في سؤالكم الوارد في مقتطف دسمبر الماضي صفحة ٦٠٣ ان الحفلة السيماتوغرافية تخلل فصولها فصل في التنويم المغنطيسي قام بهِ شابان ايطاليان الى ان قلتم لماذا لا يُنتفع بهذا العلم او هذه المعرفة او هذا السر المؤكد الخ . وكان مفاد جوابنا ان هذين الشابين اللذين بنيتم كلامكم عليهما مشعوذان يتظاهران بانهما نائمان وكذا كل الذين عملوا اعمالاً من قبيل الاعمال التي عملاها ككشف الاسرار ونحوها فانهم كلهم مشعوذون

ولم نسم اعمال هذين الشابين علماً او معرفةً او سراً الأ مجاراة لكم وهو نوع بديعي يشبه القول بالموجب من انواع البديع المعنوي ولا خطر ببالنا ان احداً يفهم من كلامنا ان التنويم المغنطيسي الحقيقي اي الاستهواء غير صحيح مع اننا كتبنا فيهِ في السنوات الماضية ما لو جمع لملأ مجلداً كبيراً . لو خطر ببالنا ذلك لقلنا صريحاً ان هذين الشابين لم يكونا نائمين بل كانا متظاهرين بالنوم لكي تجوز حيلهما على الحضور ولا ينتبهوا الى كيفية اكتشافهما الاسرار ومثلهما كل الذين يكتشفون الاسرار و ينبئون بالغيب وهم نائمون نوماً مغنطيسياً

حسب الظاهر فانهم لا يكونون نائمين بل متظاهرون بالنوم واعمالهم الغريبة قد تدهش الناظرين وتستهويهم فيرون انها اغرب جداً مما هي · وما اصح ما وجهتم النظر اليهِ وهو عدم الانتفاع بقوى هؤلاء فانها لو كانت صحيحة صادقة لبادر الناس الى الانتفاع بها

اما الحادثتان اللتان ذكرتموهما فلا يسهل تعليلها مالم نرهما باعيننا · ونؤكد لكم ان عالماً من اكبر علماء هذا القطر واكثرهم بحثاً في المواضيع الطبيعيّة والفلسفية رأى اعمالاً مثل هذه فوجدها في حد الغرابة لا تفسر مطلقاً واستدعانا لحضرنا معهُ وابنا لهُ ان الشخص الذي كان يدعي انهُ نائم النوم المغنطيسي لم يكن نائماً حقيقةً وان كل ما عملهُ كان من قبيل التحيُّل · فانتبه واقتنع وحتى الآن لا يزال مستغرباً كيف انخدع في المرة الاولى · ولما اشتهرت اسابيا بلادينو الايطالية باعمالها التي تعملها وهي نائمة النوم المغنطيسي على ما كانت تدعي وامتحنها الاستاذ لمبروزو والدكتور ريشه والاستاذ شبرالي والاستاذ بيوفوى وثلاثة غيرهم من الاطباء كما ترى في المقتطف لسنة ١٩٠٥ واعتقدوا كلهم ان اعمالها لا تفسر بالخداع ولا بالنواميس الطبيعيّة المعروفة قلنا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠٧ صفحة ٧٨١ « ان افعالها تدلُّ على التحيُّل والخداع ···· ولا عبرة بعجز بعض العلماء عن اكتشاف اخاديع الخادعين فاننا رأينا بعضهم يخدع ببعض الاخاديع الطفيفة التي يعرف سببها باقل بحث فقد رأينا رئيس مدرسة كلية لم يستطع ان يكتشف من نفسهِ حيلة الراس الذي يتكلم فوق المائدة الخ »

ثم لما جاءت لجنة من كبار العلماء الى ايطاليا لامتحان اسابيا بلادينو خرجت معتقدة انها غير خادعة وان اعمالها لا تفسر بالمعلومات الحاضرة وقد نشرنا خلاصة تقرير هذه اللجنة وخطأناها وبيّنا ان اسابيا لا يحتمل ان تكون الا خادعة ولم يمضِ وقت طويل حتى ذهبت الى اميركا فكُشف خداعها فيها

والخلاصة ان التنويم او الاستهواء hypnotism صحيح ولكن المنوَّم او المستهوى لا يمكنهُ ان يعرف من الغيب وقراءة افكار الغير اكثر مما يعرفهُ المستيقظ لكنهُ قد يشعر بشيءٍ لا يشعر بهِ وهو مستيقظ او يتذكر شيئاً نسيهُ وهومستيقظ كما يتذكر الانسان وهو نائم اموراً نسيها وهو في اليقظة او يحل مسألة رياضية يتعذرعليهِ حلها وهو مستيقظاو ينظم شعراً تعذر عليهِ نظمهُ في اليقظة لان بعض قوى عقلهِ يتحرر من الارتباط بالبعض الآخر مدة الاستهواء كما اجبنا صاحب الرسالة السابقة · وما يقال عن الاستهواء يقال عن المصابين بالهستيريا · اما الذين يلعبون في المشاهد العمومية ويعملون اعمالاً خارقة العادة فلا يكونون نائمين النوم المغنطيسي بل متظاهرون بهِ لتجوز حيلهم على المشاهدين ولا ينتبهوا لها

باب التقريظ والانتقاد

ذكرى ابي العلاء

هو كتاب نفيس يصحُّ ان يكون مثالاً يقتدى بهِ في البحث والتحقيق. وضعهُ الدكتور طه حسين وقدمهُ الى الجامعة المصرية سنة ١٩١٤ فاعطتهُ شهادة العالمية ولقب دكتور في الآداب ونعم ما فعلت ولعلهُ الكتاب العربي الوحيد الذي اولعنا بمطالعتهِ في هذه الايام حتى كدنا نتصفحهُ كلهُ. واننا نشير على كل طالب من طلاب علم الادب ان يقتني نسخة منهُ ويطالعها بالامعان

العبرات

مصطفى افندي لطفي المنفلوطي من ابلغ كتَّابنا واننا نشكرلهُ تدبيج الروايات الادبية التي تسلّي القارىء وتفيدهُ عظةً في الاخلاق ومُسكةً في اللغة. وكتابه العبرات قصص وجيزة بعضها موضوع وبعضها مترجم خواتمها تفيض العبرات فسَّر بعض الغريب من الفاظها اما تراكيبها فمعانيها واضحة ولو كان بعضها غير مألوف. وحبذا لو ابدل الغريب من الالفاظ بما يرادفهُ من المألوف اذا لم تدل القرينة على معانيهِ لانهُ يشق على العقل الوصول الى المعاني اذا وجد في طريقهِ اليها الفاظاً تضطره الى مراجعة الحواشي او كتب اللغة

والعبرات ثماني قصص في ٢٣٠ صفحة وسيرحب بها القراء كما رحبوا بما سبقها من نفثات المنفلوطي

الكيمياء غير العضوية

وضع هذا الكتاب الاستاذ عبد الحميد احمد مدرس الكيمياء والطبيعة في المدرسة الخديوية وبدأهُ بنبذة وجيزة في تاريخ الكيمياء واستطرد الى ذكر بعض الحقائق الطبيعية المتعلقة بالمادة والعمليات الطبيعية البسيطة المستعملة في الكيمياء وانتقل الى العناصر ومركباتها فاسهب في الكلام على الاكسجين والهيدروجين والنتروجين والكلور والفلور والبروم واليود والفسفور والكبريت والكربون ومركباتها وما يتصل بها من الحقائق والملابسات الكيماوية ثم تكلم بالايجاز التام على العناصر المعدنية. وحبذا لو جارى الانكليز الذين جاريناهم

منذ اربعين سنة الى الآن في التسمية والرموز الكيماوية فقلنا هيدروجين بدل ايدروجين وجعلنا سمته الكيماوية ﻫ ونتروجين بدل ازوت وجعلنا سمته ن وجعلنا الحوامض المركبة من كلمتين صفة وموصوفاً فقلنا الحامض الكبريتيك ولم نقل حامض الكبريتيك وقلنا الآلية بدل العضوية مجارين ابن سينا وغيره من فطاحل علماء العرب . وغاية ما نرجوه اتفاق الكتاب في هذا العصر في مصر والشام والعراق وتونس والجزائر والمغرب الاقصى وكل البلدان العربية على مصطلحات واحدة في العلوم والفنون تسهيلاً لعالا بها

وفي الكتاب كثير من الرسوم اللازمة في الاعمال الكيماوية وفيه ايضاً صور بعض العلماء وقد يُغتفر نشرها في كتاب عربي ولو كان علمياً للتدريس

تقويم الحكومة سنة ١٩١٦

في هذا التقويم ٣٠٠ صفحة ولكن فيهِ من الفوائد ما يُعدُّ بالالوف ففيهِ التقاويم الشهرية التي هو موضوع لها بنوع خاص واوقات الشروق والغروب للشمس والسيارات ومذكرات تاريخية واحصائية عن مصر والسودان ودواوين الحكومة وكل ما يتعلق بها واديان السكان والمعاهد الدينية والمدارس والمحاكم والجمعيات وما اشبه . ومما يحسن اصلاحه في الطبعة التالية ذكر الثواني في عروض بعض مدن القطر واطوالها وابدال كلمة المقادير بكلمة الانحراف في جدول انحراف الابرة المغنطيسية . وقد جاء في الصفحة ٤٤ ان مساحة الاراضي المنزرعة في القطر المصري نحو ٧٥٠٠٠٠٠ فدان ولعل المراد الاراضي القابلة للزراعة او الفدن التي تزرع على مدار السنة . ويقال هنا ان عدد سكان القطر المصري يقدر بنحو اثني عشر مليوناً وان عدد سكان القاهرة ٧٠٠٠٠٠ وكان الواجب ان يذكر عدد السكان في الحالين اما حسب الاحصاء الاخير وتذكر سنتهُ اوحسبما قدر سنة ١٩١٥ . وكذلك الاحصاء المذكور في الصفحة ٥٢ لم يذكر تاريخهُ وفيهِ ان عدد سكان القاهرة ٦٥٤٤٧٦ فهذا التدقيق حتى في منزلة الآحاد يدل على انهُ احصاء مخصوص في يوم مخصوص بل في ساعة مخصوصة وأغرب من ذلك ذكر سكان الاسكندرية وحسبانهم ٣٧٠٠٠٩ فذكر التسعة بعد الاصفار الثلاثة يدل على ان المحصي يحاسب ذمتهُ اكثر مما يلزم ولم يجر على هذه المحاسبة في ذكر المساحة بالفدان فاكتفى بالالوف الا في مساحة السويس . فعسى ان تزداد العناية في اصلاح التقويم التالي

المأساة الكبرى

رواية تشخيصية في الحرب الحاضرة وضعها الغني عن التعريف الدكتور شبلي شميل ونشرها اولاً في جريدة البصير في الصيف الماضي ثم جمعت في كراسة فملأت ١١٥ صفحة وهي اجتماعية فلسفية قال في مقدمتها انهُ رمى فيها الى اربعة اغراض الاول وصف الاشخاص الذين ذكروا فيها وصفاً بسيكولوجيًّا ينطبق على اخلاقهم ومطامعهم ومراميهم للتنفير منها . والثاني وصف الوقائع وصفاً تقريبيًّا في الحاصل منها ويكاد يكون نتيجة لازمة في الباقي غير الحاصل . والثالث الاشارة الى امور اجتماعية تستوجب الانتقاد . والرابع البحث الاجتماعي فيما يجب ان تكون نسبة الامم بعضها الى بعض

والرواية حسنة الاسلوب تستهوي قارئها بما تضمنتهُ من الخبر الصحيح والنقد المحكم والتهكم الفاضح والتنبوء المدهش فوق ما يراهُ فيها من استيفاء الاغراض المذكورة آنفاً . وغني عن البيان انها تمثل مثيري الحرب الحاضرة الذين اشتغلوا السنين الطوال في تمهيد اسبابها وهم امبراطور المانيا وخاصةً اعوانهِ . وحبذا لو اهتمَّ بعض الممثلين بتمثيلها فان قليلاً من التنقيح يجعلها من خيرة الروايات التمثيلية

دروس سنن الكائنات

للدكتور محمد توفيق صدقي

محاضرات علمية طبية اسلامية في علم الكيمياء والطبيعة والتشريح ووظائف الاعضاء وقانون الصحة وعلم الانسجة نُشرت اولاً في مجلة المنار ثم طبعت على حدة . والمحاضرات علمية اي مبنيَّة على مباحث العلماء الطبيعيين ولكن صاحبها اعتنى بتطبيقها على الشرع لانها القيت على الطلبة في دار الدعوة الدينية والارشاد . ونرجح انهُ سيرى مع الزمن ان سير العلوم الطبيعية وحدها والعلوم الشرعية وحدها اصلح لكل منهما

وهذه المحاضرات شبه كتب علمية عملية كثيرة الفوائد فانهُ لم يكتفِ بذكر الحقائق العلمية بل اتبعها بما يبنى عليها من الامور العملية وما يناسبها من الوصايا الدينية واستطرد احياناً الى ذكر آراء غريبة او غير محققة كقولهِ في الصفحة ٤٣ « لا يبعد ان تكون الروح شيئاً مستقراً فيهِ (اي في القلب) ولا يبعد ان تكون من عالم الاثير وبموت القلب تنفصل عنهُ » وقولهِ ان الدم عسر الهضم جدًّا لوجود المادة الحمراء الحديدية فيهِ . وقولهِ ان الحرارة في

شمسنا وباقي الشموس ناتجة من احتراق اجزائها · لكن ما كان من هذا القبيل قليل جداً وسائر المحاضرات مبنيٌّ على القواعد العلمية المحققة على قدر الامكان

كلمات كبيرة

لكبير حكماء اليونان ماركس اوريليُس انطونينس

نقلها الى العربية عز الدين افندي العزب ضابط مدرسة بنها الاميرية واحسن نقلها والحقها بنصيحة ولبم هزلت الى ولده وهو على ابواب المدرسة · ومن الغريب اننا ترجمنا ٦٢ حكمة من حكم هذا الفيلسوف ونشرناها في مقتطف اكتوبر سنة ١٩١١ وقلما نرى مشابهة بينها وبين هذه الكلمات

الاستكشافات الجغرافية

وضع هذا الكتاب حضرة محمود مراد افندي مدرّس الجغرافيا في المدرسة الخديوية بالقاهرة وهو على وفق آخر منهج دراسي قررتهُ وزارة المعارف في الجغرافيا يشتمل على ما اكتشف من الاكتشافات الجغرافية في اربعة آلاف سنة من القرن العشرين قبل الميلاد المسيحي الى القرن الحالي وفيهِ نحو مئة صورة وخريطة

والذي يقلّب صفحات هذا الكتاب يتضح لهُ ان صاحبهُ بذل جهداً كبيراً في جمعهِ وتأليفهِ واعداد الصوَر والخرائط لهُ

الفتاة والبيت

كتاب البنت للسيدة دو بوك ترجمهُ الى العربية حضرة الكاتب الاديب انطون افندي الجميّل · وفيهِ اثنا عشر فصلاً في علم تدبير البيت وواجبات الوالدين والاولاد · وحسن الترتيب والاقتصاد · وحسابات البيت · والنظافة · وغرف النوم والمطبخ وسائر ما يختص بالمنزل وتدبيرهِ · وقد قال حضرة معرّبهِ في مقدّمتهِ واجاد :

« كُتُبُ التربية النسائية كثيرة لدى جميع الامم التي نالت نصيبها من الرُّقي الادبي والمادي وقد عالج هذا الموضوع الجليل أئمةُ الكتابِ والمفكرين لما رأوا فيهِ من الارتباط بالحياة القومية والتأثير في تكوين اخلاق الشعوب · على أنَّ اقلام كتَّابنا لم تطرق مثل هذا الموضوع · او هي طرقتهُ من وجهةٍ واحدةٍ من وجهاتهِ المتعدّدة · فلم يكن ما لدينا من هذا القبيل ليفي بالحاجة

هذا الفراغ قد حاولنا ان نسدَّ بعضهُ . على اننا لم نرَ ان نترجمَ كتاباً من كتب الغربيين العديدة في هذا الباب . لأنها لا تنطبق في مجملها على حياتنا الشرقية وعاداتنا القومية . كما أننا لم نشأ ان نُقدم على التأليف مباشرةً في هذا الموضوع لانهُ من خصائص النساء . ويتعذَّرُ استيعابُ موضوعاتهِ والإحاطةُ بدقائقهِ وتفصيلاتهِ . الأ اذا لجأ الكاتبُ الى فطنة سيدةٍ زانها العلم ووسَّع مداركها الاختبار . وهذا ما توافر لنا في حضرة الحكيمة السيدة ج . س . دوبوك . فانها من فُضليات السيدات اللواتي درسنَ كثيراً واحرزنَ خبرةً واسعةً في تطبيق المعارف والعلوم

وعلى ذلك يمتاز كتاب الفتاة والبيت الذي نقدمهُ اليوم الى قرّاء العربية بانطباقة على حاجاتنا وعاداتنا وبجمعهِ بين قواعد التربية الادبية وشروط تدبير المنزل . فقد حوى وصف الخلال والمناقب التي يجب ان تتحلَّى بها ربة الدار من الوجهة الادبية لتُدرك مهمتها الشريفة كما حوى المعارف والفوائد التي ينبغي ان تحيط بها من الوجهة العملية لتحسن ادارة بيتها . فتكون والحالة هذه — كما يجب ان تكون — العامل الاكبر على إسعاد الافراد وانهاض المجموع . فان سعادتنا البيتية ونهضتنا القومية كلتاهما متوقفة على تربية المرأة »

الشعر

رسالة في الشعر وغاياتهِ ووسائطه بقلم حضرة الشاعر الناثر ابرهيم افندي عبد القادر المازني . وقد اتى فيها على تعاريف الشعر عند المتقدمين والمتأخرين وبحث في الشعر الوصفي والعاطفة الشعرية . وخص فصلاً بتكلف ابي تمام واستشهد باقوال كثير من فلاسفة الافرنج وكتابهم المحدثين في الشعر والشعراء

تقويم الشرق

هو الجزء الثاني من التقويم الذي يصدرهُ حضرة الدكتور هنري مدوَّر مرَّة في السنة حاوياً لفوائد جمة مما يختص بهذا القطر واحوالهِ العامة . ومحلًّى بصور كثيرين من مشاهير الرجال في عصرنا وملوك الممالك المختلفة ورؤساء حكوماتها

مملكة الشياطين

قصة تتضمن اسباب تأخر الاسلام بعد مجدهِ وتبحث في اسباب انحطاطهِ في الايام الاخيرة لكاتب مسلم اهداها الى كل مسلم ومسلمة

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهرٍ آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغاية تبرر الواسطة

محجر الطور. محمد افندي فريد. هل قولهم الغاية تبرر الواسطة صحيح من جميع الوجوه او هو يصح في بعض الامور ولا يصح في غيرها

ج. المراد من قولهم الغاية تبرر الوسطة ان الواسطة القبيحة او المحرمة تصير صالحة محللة اذا قصد بها غاية حميدة. وينكر علماء الاخلاق ذلك ويقولون ان الواسطة المحرَّمة لا تحل مهما كانت الغاية حميدةً ولكن قد يقع الانسان بين شرين فيضطر ان يختار اصغرهما مثال ذلك أن سكر زيد او ثارت سورة الغضب في رأسهِ لامرٍ ما فاستلَّ سيفهُ وهجم على عمرو يريد قتلهُ فهرب عمرو من وجههِ ودار بين البيوت حتى توارى عن عينيهِ ودخل بيتاً لصديق لهُ واختفى فيهِ ووصل زيد الى باب ذلك البيت والسيف مشهور في يدهِ وسأل عن عمرو. فاذا صدقهُ صاحب البيت الخبر وقال لهُ انهُ هناك ترجح انهُ يدخل البيت ويقتل عمراً واذا قال لهُ كلاَّ. فقد كذب فهو بين ان يكذب وينجي عمراً أو يصدق ويعرضهُ للقتل ويعرض قاتلهُ للقتل ايضاً. فاذا كانت الامور بنتائجها وكانت النتيجة محققة او مرجحة كما في هذه الحادثة وكان من المحقق انهُ لا يحدث من الواسطة ضرر لاحد ما فقلما تجدون من يهمل هذه الواسطة أو لا يعتقد ان الغاية تبررها

(٢) المصطلحات الفلسفية

كلية دكن بالهند. الاستاذ عبدالباري. أُريد وضع كتاب باللغة الاردوية في تاريخ الفلسفة لكن لغة الاردو من افقر اللغات الهندية من حيث المصطلحات العلمية وهذا من اكبر العوائق في سبيلي فرأيت ان الجأ الى العربية واقتبس منها الكلمات اللازمة للتعبير عن المعاني والمصطلحات الفلسفية لان في الاردوية كثيراً من الكلمات العربية لكني لم اظفر حتى الآن بكتاب عربي في تاريخ الفلسفة تأليفاً كان أو تعريباً فهل لكم ان ترشدوني الى كتاب عربي في هذا الموضوع او الى قاموس انكليزي عربي يحوي هذه

المصطلحات أو الى كتب فلسفية معرّبة من موءلفات افلاطون أو أرسطو أو دكارت او اوهيوم او كنت او غيرهم

ج . لا نعرف كتاباً عربياً في تاريخ الفلسفة ولكننا نشرنا في المقتطف فصولاً كثيرة في هذا الموضوع ظهرت في المجلدات ٢١ و٢٢ و٢٣ و٢٦ و٢٩ وقد وضع الدكتور دانيال بلس رئيس المدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت كتاباً عربياً في مبادئ الفلسفة العقلية جاء فيهِ على كثير من المصطلحات وتظهر دلالتها من شرحها في الكتاب فيعلم ما يرادفها باللغة الانكليزية . ولا نعلم انهُ تُرجم شيء حديثاً الى اللغة العربية من كتب الفلاسفة الذين ذكرتموهم وما ترجم قديماً من كتب افلاطون وارسطوطاليس ليس بين ايدينا شيء منهُ وما كتب في العربية مبنيًّا على كتبهم قلما يُفهم فقد حاولنا مراراً فهم ما كتبهُ ابن سينا عمَّا وراء الطبيعة فلم نكد نفهم منهُ شيئاً لأنهُ ترجم ما لا يفهمهُ او نقل عمَّن لا يحسن الترجمة . واذا بعثتم الينا بكتاب انكليزي في تاريخ الفلسفة واشرتم الى كل الكلمات في فهرسهِ التي تريدون لها مرادفات عربية نساعدكم قدر جهدنا

(٣) دودة الجعل

اسنا . حبشي افندي سكر المقاول . كنا نحفر اساس منزل فبعد ان نزلنا في الارض نحو متر وجدنا الدودة المرسلة الآن الى جنابكم في الحق الصفيح وهي داخل الطينة التي وجدت فيها ولما كسرنا الطينة وجدنا الدودة داخلها ولما وجدت نفسها خارج الطينة قعدت كما يقعد احد الوحوش وصرخت صرخة عالية بصوت يشبه صوت الطائر الذي يسمى الصفار فالمرجو فحصها والتكرم بما ترونهُ من امرها

ج . هي دودة جُعَل من الجعلان الكبيرة فان انثى هذا الجعل اذا حان وقت بيضها جبلت الزبل وصنعت منهُ كرات كبيرة وطمرتها في الارض بعد أن تبيض بيضة في كل كرة منها فيخرج من البيضة دودة صغيرة تشرع تأكل ماحولها من الكرة وتكبر رويداً رويداً الى ان تصير بالقدر الذي رأيتموها بهِ . والبيت الذي حولها هو الفراغ الذي صنعتهُ بأكل ما فيهِ ولو تركتموها حيث كانت لاكتملت جعلاً كبيراً بعد مدة غير طويلة وخرجت من بيتها . وهي ليست من الحشرات الضارة بالزراعة . اما الصوت الذي سمعتموهُ فنرجح انهُ ليس منها وقد اطلنا النظر فيها فلم نسمع لها صوتاً . او يحتمل انها كانت منضمَّة على نفسها وعليها غشاء صمغي فلما تمددت انشق هذا الغشاء وسمع لانشقاقهِ صوت

(٤) ذهاب النور

الاسكندرية . احمد افندي عبد العال سلامه . اين يذهب النور بعد انطفائهِ .

ج . اذا احميت بعض الاجسام الى

درجة عالية جداً من الحرارة جامدةً كانت كالحديد او غازية كالغاز المتولد من احتراق الشمعة اهتزت دقائقها اهتزازاً سريعاً جداً يؤثر في الاثير الذي بينها وبين عين الرائي فيوصل الاثير هذا الاهتزاز الى العصب البصري فيشعر بهِ شعوراً نسميهِ نوراً. فاذا أُطفئ المصباح بطل هذا الاهتزاز فبطل الشعور بنورهِ وذلك مثل وتر القانون الذي يتحرك فنسمع لهُ صوتاً فاذا بطلت حركتهُ بطل صوتهُ ايضاً

(٥) تدبير المنزل

ومنهُ . هل لكم ان تجمعوا كل ما كتبتموهُ في المقتطف تحت عنوان تدبير المنزل في كتاب واحد فتؤدوا خدمة جليلة لربات البيوت ولو بعتم النسخة منهُ بمئة غرش

ج . هذه امنية في النفس ولكننا لا نظن ان الاجل يمهلنا لتحقيقها وعسى الذين يأتون بعدنا ان يحققوها

(٦) الكتب العربية المطبوعة في اوربا

ومنهُ . اين تباع الكتب العربية المطبوعة في اوربا كتاريخ ابن الاثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون وخطط المقريزي وكتاب الاغاني وتاريخ ابي الفدا

ج . كل كتبي اوربي في مصر يستطيع ان يجلبها لكم الا كتاب الاغاني فانهُ طبع مصر ولم يطبع منهُ في اوربا الا الجزء الاخير والفهرس الذي وُضع لهُ حديثاً

(٧) سبب ملوحة البحر

ومنهُ . ما هو السبب في ملوحة ماء البحر

ج . وجود الملح فيهِ . ولكن الظاهر ان سؤالكم هو كيف وصل الملح الى ماء البحر والجواب ان في ذلك رأيين مشهورين الاول وهو الرأي القديم ان ماء البحر كان كلهُ عذباً ولكن الانهر اذابت الملح من الارض وجرت بهِ الى البحر والماء يتبخر من البحر سنة بعد سنة و يبقى الملح فيهِ فزاد ملحهُ وملوحتهُ رويداً رويداً سنة بعد سنة . والرأي الثاني ان الملح اصلي في البحر لانهُ مخالف لملح البر ومشابه للاملاح التي تكون في مقذوفات البراكين عادة

(٨) طول النيل

مصر . احد القراء . كم طول نهر النيل من مصدرهِ الى مصبهِ

ج . للنيل اصلان كبيران احدهما البحر الابيض والآخر البحر الازرق يجتمعان عند الخرطوم طول الاول من بحيرة فكتوريا نينزا الى مصب النيل في بحر الروم ٣٤٧٣ ميلاً وطول الثاني من بحيرة صانه ببلاد الحبشة الى بحر الروم ٢٩٢٤ ميلاً

(٩) حموضة الحمص

ومنهُ . ان الحمص الاخضر الذي يؤكل في سورية يكون طعم قشرهِ حامضاً الى الملوحة اما الحمص الاخضر الذي يؤكل في هذا القطر فلا يكون طعم قشرهِ حامضاً مالحاً

فما سبب ذلك وما هو سبب الحموضة في قشر الحمص السوري

ج · سبب الحموضة في قشر الحمص السوري تجمُّع مادة ملحيَّة من اكسلات البوتاسا الحامض في غدد القشر الخارجي وهذه المادة كثيرة حتى يشعر بها باليد كشيء لزج · والظاهر ان الحامض الاكساليك قليل في التربة المصرية لان كل النباتات الحامضة عادة كالحماض نفسهِ حموضتها قليلة جدًّا في هذا القطر وكثيرة في القطر السوري · ولا يعلم تماماً سبب تجمع الحوامض في النبات ولكن المرجح انها مفيدة لهُ في دفع الحشرات عنهُ فاتفق ظهورها فيهِ فكانت مفيدة لهُ فتكاثر

(١٠) النقطة الثابتة

حامد افندي مصطفى تيمور · من المعلوم ان الاجسام المستديرة كالعجلة مثلاً اذا تحركت حول مركزها فان الاجزاء البعيدة عن المركز تكون حركتها اكثر من حركة الاجزاء القريبة منهُ ومن ذلك يفهم انهُ كلما قربت نقط العجلة الدائرة من نقطة المركز قلت سرعتها وذلك ينتج طبعاً ان هذه الحركة تزول تماماً في نقطة معينة وهي نقطة المركز لان هذا التناقص ينتهي بالزوال مع استمرار العجلة على الدوران والزيادة في سرعة الاجزاء كلما بعدت الى الخارج · فهل يمكننا الآن ان نتصور ان جسماً صلباً متماسك الاجزاء كنصف قطر العجلة مثلاً يتحرك في احد طرفيهِ بينما هو ثابت بغير حركة في الطرف الاخير تطبيقاً لتلك القاعدة والاَّ فكيف يمكننا ان نفهم هذه المسئلة

ج · النقطة الثابتة في المركز هي النقطة الهندسية وهي في الجسم المادي اصغر من كل جزء يمكن البلوغ اليهِ عملاً ومع ذلك لا يتعذر على العقل ان يتصور كونها كرة صغيرة جدًّا في طرف نصف القطر كالجوهر الفرد من الكهربائية السلبية وان سائر جواهرهِ تدور حولها كما تدور البكرة حول محورها · وتماسك اجزائهِ لا يمنع ذلك لانهُ مهما كانت جواهرهُ قريبة بعضها من بعض ومحشوكة فهي في الواقع بعيدة بعضها عن بعض بعداً شاسعاً جدًّا بالنسبة الى حجمها · ويمكننا ايضاً ان نقول ان نقطة المركز التي يدور نصف القطر حولها هي نقطة هندسيَّة لا طول لها ولا عرض ولا عمق فلا يتغير موقع طرفهِ مهما دار حولها

(١١) رباعيات ابي العلاء

حصة الغيمي · الخواجه ايليا استيريان · قرأت في الجزء الحادي عشر من سنة ١٩٠٣ من المقتطف عن كتاب رباعيات ابي العلاء ترجمة امين افندي ريحاني الى الانكليزية فاين يوجد هذا الكتاب وباي طريقة يمكن الحصول عليهِ

ج · يمكن ان يطلب من العنوان التالي

Doubleday, Page & Co.
New York.



اوجه القمر في فبراير

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٣	٦	٦	مساء
الربع الاول	١١	٠٠	٢٠	صباحاً
البدر	١٩	٤	٢٩	٠
الربع الاخير	٢٦	١١	٢٤	٠
القمر في الحضيض	٢	٢	٦	صباحاً
٠ ٠ الاوج	١٣	١١	٢٤	مساء
٠ ٠ الحضيض	٢٩	١٠	٤٢	٠

السيارات في فبراير

لا يشاهد عطارد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره

والزهرة والمشتري يكونان كوكبي مساء

والمريخ يشاهد اثناء الليل

وزحل يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً

اللآلئ الصناعية

صنعت لآلئ كبيرة من قبل بأن ملئت كرات رقيقة من الزجاج محلولاً من فلوس السمك فخرجت تشبه اللآلئ الحقيقية كل الشبه بحيث لا يميز الصنفين الا الخبير ولكنها رقيقة شديدة العطب. واسهل واسطة لتمييزها وجود نقطة في اللؤلؤة الصناعية وهي المكان الذي ختمت فيهِ

والآن يصنعون اللآلئ بطريقة اخرى وهي ان تطلى كرة الزجاج من الخارج بمحلول الجلاتين على نسبة ١٠ في المئة ثم يترك الطلاء ليجف قليلاً ويوضع عليهِ قليل من فصفات الصودا ويترك ليجف شيئاً فشيئاً فتخرج اللؤلؤة ولها رونق اللؤلؤة الطبيعية. وهذا الرونق ظاهرة بصرية سببها تغضنات متوازية على سطح الجلاتين

رب الورق من حطب القطن

قالت السينتفك اميركان: كان حطب القطن الاميركي يحسب حتى الآن بلا قيمة بل سبباً للمضايقة. فبعد جني القطن كانت الشجيرات تقطع وتحرق وكانت نفقة قطعها وحرقها تقدَّر بنحو ريال في كل طن. ولا يغرب عن البال ان كل طن قطن يخرج من خمسة طنات من الحطب فلذلك كانت نفقة قطع الحطب وحرقهِ كبيرة. ولكنهم اكتشفوا الآن طريقة لاستخراج رب الورق من ذلك الحطب وشرعوا في انشاء معمل

لذلك في جرينوود من اعمال ولاية مسوري ·

ولما كانت الياف حطب القطن اقوى من الياف الخشب الذي يصنع رب الورق منهُ فالمقول ان الورق الذي يصنع من حطب القطن امتن مما يصنع من الثاني بكثير فضلاً عن كونهِ ارخص منهُ

ولا ينحصر استعمال رب القطن في عمل الورق بل يمكن استعمالهُ في صنع قطن البارود اذ قد ظهر ان أليافهُ تحتمل الحامض النتريك واما الياف رب الخشب فانها لا تحتمل فعل الحوامض الشديدة

وكذلك يمكن عمل الحرير الصناعي منهُ بان يذاب في خلات الاميل المستقطر من الفحم الحجري فيكون منهُ سائل لزج يمد خيوطاً من كل حجم وطول وهذه تنسج ويصنع منها ملابس · على ان هذه الملابس ليست في متانة الملابس التي تصنع من الحرير الحقيقي ولكن رخصها بالنسبة الى الحرير يقابل قصر عمرها ويزيد

ثم انهُ يمكن تكوين ذلك السائل اللزج ومدّهُ صفائح · وبعد تجفيفها تظهر كالجلد ويمكن استعمالها مكانهُ في امور كثيرة وان تكن دونهُ متانة · وتمتاز عليهِ بكونها اكثر تجانساً منهُ فلذلك يمكن استعمالها «فلمات» للصوَر المتحرّكة

وعدا ما تقدَّم يستخرَج من رب خشب القطن الالكحول والاسيتون والبروكلسين وكثير غيرها من العقاقير والمواد الكيماوية

ومعلوم ان شجيرات القطن تقطع بعد جني القطن على مساواة الارض فيبقى جزء من الجذوع والجذور مسكناً للحشرات تأوي اليهِ في الشتاء مترقبة مجيء الصيف لتعيث في الزروع مفسدة · ولكن ازالة الجذور لصنع الرب منها تحرم هذه الحشرات مسكنها ومأكلها فتضطر الى مغادرة حقول القطن

وقد بلغ متوسط ما حُرق سنويًّا من حطب القطن في السنين الاخيرة ٧٥ مليون طن · وهذا القدر يكفي الصناعة الجديدة ولا سيما ان حطب القطن يوجد كل سنة في حين ان الشجر الذي يصنع الرب من خشبهِ يقتضي نموهُ سنين كثيرة وعناية كبيرة

سكة حديد بغداد

يؤْخذ من الانباء الاخيرة انهُ تمَّ حفر النفق المسمَّى نفق بغجه على سكة حديد بغداد وهو يخترق جبال امانوس الفاصلة بين الاناضول وسورية من الشمال · وقد كان حفر هذا النفق يحسب اعظم عقبة في سبيل سكة حديد بغداد · وطولهُ ثلاثة اميال فهو لذلك اقصر من كثير من انفاق جبال الالب ولكن المصاعب التي لقيها المهندسون في حفرهِ لم تقل عن مصاعب الانفاق التي هي اطول منهُ · فقد عثروا في خلال حفرهم لهُ على صخر من الصوَّان شديد الصلابة الى

حدّ ان اضطروا ان يستعينوا على نقره بآلات خاصة صنعوها . ويبلغ طول ما وقع في طريقهم منهُ بضع مئات من الامتار

هذا وان القطار يمرّ قبل دخول هذا النفق على ثمانية جسور من الفولاذ وفي تسعة انفاق صغيرة

الصواعق في اميركا

يبلغ متوسط قيمة الخسارة العقارية التي تحدثها الصواعق في اميركا كل سنة ثمانية ملايين ريال . ومتوسط الذين تصيبهم الصواعق ١٥٠٠ يقتل ثلثهم . وتسعة اعشار هذه الحوادث تحدث في الارياف

مواليد الذكور والاناث في انكلترا

جاء في بعض الاحصاءات الانكليزية ان متوسط مواليد الذكور في الربع الاول من السنة الماضية بلغ ١٠٣٢ لكل ١٠٠٠ انثى . وفي الربع الثاني ١٠٤٣ ذكراً لكل ١٠٠٠ انثى . وفي الثالث ١٠٥٥ لكل ١٠٠٠ انثى . وهذه الزيادة اعظم زيادة عرفت . ولما كان متوسط مواليد الاناث في انكلترا يزيد على متوسط مواليد الذكور عادةً فقد بحث احد مشاهير الاطباء في سبب تغير هذه النسبة الى عكسها ونشر خلاصة بحثهِ فقال:

« لا يمكن تعليل هذا الانقلاب برأي او بمذهب من المذاهب الشائعة . ففي الخمسين سنة الاخيرة كانت نسبة مواليد الاناث اعظم بكثير من نسبة مواليد الذكور . والآن نرى ما هو ضد ذلك على خط مستقيم . وهو امر غريب لا يفسَّر بشيء الاَّ بان يد العناية الصمدانية امتدت لحفظ التوازن في الطبيعة على اثر كثرة الذين يقتلون في ساحة الحرب . وقد أُخبرت بان نسبة مواليد الذكور الى مواليد الاناث منذ مايو الماضي بلغت ٣ الى ١ . وسمعت ان ثلاث نساء ولدنَ ثلاثة ابناء بعد ان فقدنَ ازواجهنَّ في الخنادق واعجب من هذا ان خمسة اخوة قتلوا وكان ثلاثة منهم اطباء فولدت زوجاتهم خمسة ابناء »

قوَّة التلغراف اللاسلكي

تمكن عامل من عمال احدى شركات التلغراف اللاسلكي في جزيرة هونولولو من سرقة تلغرافات عسكرية لاسلكية صادرة من محطة قوية قرب برلين . والمسافة بين المكانين تسعة آلاف ميل وهي اطول مسافة للتلغراف اللاسلكي على ما عرف حتى الآن

كلف الشمس وحرارة الارض

أبان كوبن الفلكي الالماني منذ اربعين سنة وجود علاقة بين كلف الشمس وحرارة الارض . ذلك انهُ كلما كثرت الكلف نقصت الحرارة على الارض بوجه عام وكلما نقصت الكلف زادت الحرارة . وهذا اكثر ما يكون

ظهوراً في الاقاليم الحارَّة . وقد نشر الدكتور ووكر مدير مصلحة المتيورولوجيا الهندية رسالة حديثاً جاءت مؤيدة لما رآهُ كوبن . فانهُ قابل بين ارصاد عدد كبير من المحطات المتيورولوجية في انحاء متفرقة من الارض فظهر لهُ ان الحرارة تنقص في معظم المحطات التي في البلاد الحارَّة عندما تكون كلف الشمس على اكثرها . ولكن عكس ذلك يحدث في مساحة واسعة ممتدة من الدائرة المتجمدة الشمالية الى بلاد غرب اوربا

الحياة في الزهرة

نشر مهندس انكليزي منذ بضع سنوات كتاباً عن المريخ فصّل فيهِ نظام الانابيب والطلبات الذي يجري عليهِ سكان المريخ في زعمهِ لارواء زروعهم . وعاد فنشر اخيراً رسالة عنوانها «هل الزهرة آهلة» ذهب فيها الى انها آهلة وبسط الطرق التي يعمد اليها اهلها لارواء اراضيهم . فقال ما خلاصتهُ ان الزهرة توجه نصفاً واحداً منها الى الشمس على الدوام في حين ان النصف الآخر يبقى منصرفاً عن الشمس دائماً . فاذا سلمنا جدلاً بوجود الماء فيها ترتب على ذلك ان النصف الموجه الى الشمس يكون شديد الحرارة والقيظ والآخر دائم الجمد والظلام . فالمنطقة المأهولة هي ما اصابها نور الشمس من جهة وتاخمت الاقاليم المتجمدة من الجهة الاخرى . وهذه المنطقة يتحول بعض جمدها ماء بفعل حرارة الشمس فيحصرهُ اهل الزهرة في انابيب يمدونها الى الاماكن التي يريدون ارواءها ولا يحفرون الاقنية والترع كما يصنع اهل المريخ لان شدة الحرّ تحوّل الماء بخاراً

مجموعة جواهر ثمينة

توفي حديثاً احد الاعيان الانكليز وكان قد عني في حياتهِ بجمع الجواهر النادرة فجمع ٢٠٠ حجر كريم وركب اكثرها في خواتم ذهب وهي من ٢١ نوعاً والوان شتى . ومن تلك الانواع ما هو ذو الوان كثيرة فجمع منهُ ٦٩ حجراً من شفَّاف واحمر واغبر واصفر واخضر وازرق على درجات متفاوتة في لونها بين فاتح وغامق . وقد اوصى بهذه المجموعة للمتحف البريطاني فسلّمت اليهِ وعرضت فيهِ

تصوير قلب البحر

اخترع بعضهم آلة لتصوير الحيوانات السابحة في قلب البحر وعرض بالسينما صوراً اخذها في بحر بهاما . منها صور بعض الاسماك التي تقطن الصخور المرجانية . وصور صيادي الاسفنج . وكلاب البحر حائمة على فرس ميت دلاهُ المصور خصيصاً امام الآلة وهي مغطسة في الماء . وصورة نزال جرى بين المصور واحد تلك الكلاب

اما الآلة فمؤلفة من غرفة كبيرة ذات

شبابيك زجاجية ومجهزة بما يلزم من هواء ونور ومتصلة بقارب خاص فيجلس فيها المصور وينزل بها الى قاع البحر ويصور ما يشاء من المناظر التي تعرض لهُ . ويدعي المخترع انهُ يستطيع باختراعهِ هذا استخراج الاشياء الثمينة من السفن التي تغرق في مياه قليلة العمق باسهل من الطرق المعتادة لاستخراجها

مقاومة مرض النوم

يستدلُّ من تقارير قناصل البرتوغال في جزيرتي سان توما وبرنسيب ان الحكومة نجحت في استئصال ذبابة تسي تسي منهما وهي الذبابة التي تسبب مرض النوم . ومن الوسائط التي عمدت اليها لاستئصالها انها كانت قد عينت جائزة قدرها ريال عن كل ذبابة تمسك ثم رفعت الجائزة الى خمسة ريالات سنة ١٩١٤ ومع ذلك لم يمسك احد ذبابة منذ ١١ ابريل من تلك السنة مما يدلُّ على انقطاع دابرها . وبلغ عدد الذباب الذي امسك في تلك السنة قبل التاريخ المذكور ٣٤ ذبابة

الاقتصاد في طعام الانكليز

اصدر استاذان من كمبردج رسالة فيها يستطيع سكان انكلترا ان يقتصدوا فيهِ من طعامهم مراعاة للاحوال الحاضرة التي بلغت نفقات الامة فيها قدراً هائلاً بسبب الحرب . ومما قالا في تلك الرسالة ان الامة الانكليزية تنفق على طعامها ٦٠٠ مليون جنيه في السنة ولا تستطيع ان تقتصد اكثر من عشر هذا المبلغ مع مراعاة الصحة العامة ووجوب المحافظة على حسن تغذية الاطفال مهما تبلغ نفقة ذلك . وهذا العشر اي ٦٠ مليوناً قدر عظيم ولكنهُ ليس الاَّ كسراً صغيراً من المبلغ الهائل الذي يجب اقتصادهُ في هذا الزمان الذي تنفق فيهِ الملايين كما كانت تنفق الالوف قبلاً . ومعلوم ان الامة الانكليزية كانت توفر قبل الحرب ٤٠٠ مليون جنيه كلَّ سنة على التعديل ولكن الحرب تضطرها ان تقتصد ١٦٠٠ مليون جنيه كلَّ سنة اذا شاءت المحافظة على مركزها المالي والاقتصادي . فلا غنى والحالة هذه من الاقتصاد من ابواب غير باب الطعام

جوائز نوبل

منحت جائزة نوبل في الكيمياء عن سنة ١٩١٤ للاستاذ رتشردس الاميركي من اساتذة جامعة هارفرد وجائزة الطبيعيات للاستاذ لو الالماني من فرنكفورت ومنحت جائزة الطبيعيات عن سنة ١٩١٥ الماضية للاستاذ براج الانكليزي وللمستر براج ابنهِ معاً . وجائزة الكيمياء للاستاذ فلستاتر الالماني

مقابلة بين علماء انكلترا وفرنسا والمانيا

لما قام بعض رجال العلم في انكلترا وفرنسا يصغرون قدر علماء الالمان وقام هؤلاء يقابلونهم بالمثل كما اشرنا الى ذلك في موضع آخر كتب الاستاذ طمسن الانكليزي من اساتذة جامعة ابردين مقالة قال فيها ان كلاً من انكلترا وفرنسا والمانيا خدمت العلم خدمة متشابهة في مقدارها كانهن خيل رهان تجري في صف واحد لا يجلّي فيهِ فرس ولا يقصر فرس . ثم عدّ مشاهير رجال العلم في انكلترا ووضع قبالتهم العلماء الفرنسويين والالمان الذين اشتهروا اشتهارهم في فروعهم المختلفة . وهذه اسماؤهم مع من يقابلهم

الانكليز	الفرنسويون	الالمان
بلفور	لاكاز دوتيه	رو
دلتون	لافوازيه	بنصن
داروِن	لامارك	كبلر
دافي	لجندر	وبر
فارادي	فوريه	كلوزيوس
فتزجرالد	بكريل	هرتس
فوستر	كلود برنار	لدويج
غلتون	دلاج	وبسمن
جرام	برتلو	ليبج
جرين	جالوى	جيجنبور
هنتر	كوفيو	همبولت
هارفي	بيشا	سكس
هوكر	دي جسيه	هيكل
هكسلي	بوفون	ماير
جول	كارنو	بيرنغ
جنر	بورديه	هلمهولتز
كلفن	لابلاس	يوهانس
لنكستر	جيار	مولر
لستر	باستور	فرخو
لودج	امبير	اوم
مكسول	بوانكاره	بولتسمان
روس	لافران	كوخ
بردن سندرصن	برون سكار	بواريمون
سبنسر	برجس	لوتس
وليم سمث	جودري	سواس
ستوكس	لاغرانج	كنتور
جوزف طمسن	كوشي	كرشوف
ولدن	كتليه	زتل
ريط	ريشه	ارليخ

وقد انتقد بعضهم استثناءهُ الفيلسوف نيوتن الرياضي الانكليزي الشهير من صف العلماء الانكليز وتجاهلهُ الفرد رسل ولس وكذلك استثناءهُ كنت من صف العلماء الالمان . وذكرهُ في هذه القوائم علماء اجدر منهم بمكانهم علماء آخرون لم يذكرهم مثل برجس الفرنسوي وكان احق بمكانهِ كونت

استعمال الكسب علفاً

قالت مجلة نانشر : كثر استعمال كسب القطن علفاً للخيل والمواشي والغنم وهو يفيدها اذا قدم اليها كميات معتدلة منهُ ومع ذلك فقد تسمَّ بهِ وتموت اذا لم تعوَّد الاكل منهُ شيئاً فشيئاً . وقد علفت بهِ الخنازير فمات كثير منها فلذلك تجد مربي الماشية عامة لا يقدمونهُ علفاً للخنازير . اما المادة السامة فيهِ فاسمها جوسيبول اكتشفها مارشلوسكي سنة ١٨٩٩ واخذ بعضهم امتيازاً باستعمالها صباغاً وهي توجد في الغدد الصمغية من بزور القطن وفي الطبقة التي بين القشرة والمادة الخشبية من الجذور . ويسعى الكيماويون الآن في تدبير واسطة لابطال فعل هذا السم . والمعروف انهُ يمكن تأكسدهُ بسهولة لابطال ضررهِ وكذلك يمكن ابطال ضررهِ بمزجهِ باملاح الحديد ولكن غلاف الخلايا في البذرة يمنع فعل هذه الاملاح فلا بدَّ من اكتشاف طريقة عملية لايصال فعل الاملاح الى الخلايا

حالة جوف الارض

خطب ثلاثة من العلماء الاميركيين في الجمعية الفلسفة الاميركية وكان موضوع خطبة الاول وهو الاستاذ تشمبرلن « جوف الارض في نظر الجيولوجي » وخطبة الثاني وهو الاستاذ ريد « نتيجة المباحث الخاصة بالزلازل وعلاقتها بهذا البحث » . والثالث وهو الدكتور هايفورد « الارض في نظر الجيولوجي والطبيعي » . وقد اتفقوا على القول ان الادلة المتعددة المأخوذة من الجيولوجيا وعلم الزلازل والمدّ والجزر تدل على ان جوف الارض مؤلف من مادة جامدة او صلبة مرنة . وانهُ ان كان هناك بقع تحتوي مادة سائلة او لزجة فهي بقع صغيرة لا يعبأ بها

المطر في السودان

بلغ المتوسط السنوي لما وقع من المطر في مدن السودان في السنين الاخيرة حتى سنة ١٩١٤ ما تراهُ في هذا الجدول

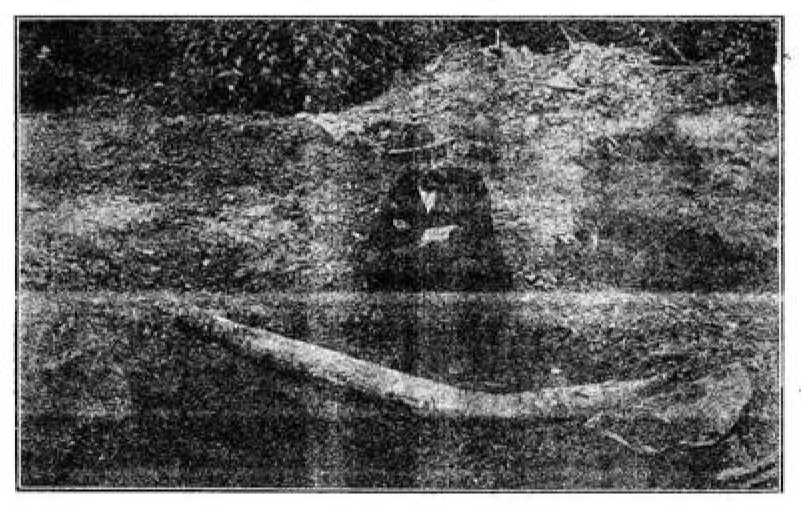
الخرطوم	٤,٧٦	البوصة
سواكن	٧,٩٥	«
الدويم	١١,٣٤	«
كسلا	١٢,٦٠	«
الأبيض	١٥,٠٠	«
ود مدني	١٥,٤٣	«
سنجا	٢٠,٥٥	«
كدك	٢٩,٧٦	«
منجلا	٣٦,٩٣	«
واو	٤١,١٤	«
غمبيلا	٤٦,٥٧	«

اصلاح خطاءٍ

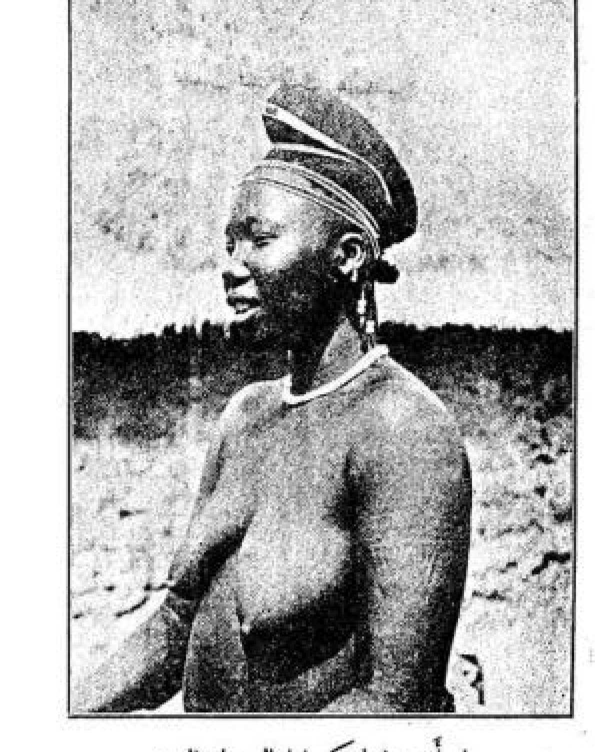
كتب الينا حضرة الشيخ احمد ابو علي امين مكتبة الاسكندرية انهُ لم يسأل المسائل التي نسبت اليهِ في الجزء الماضي

الفيل القديم المستقيم الناب الموت

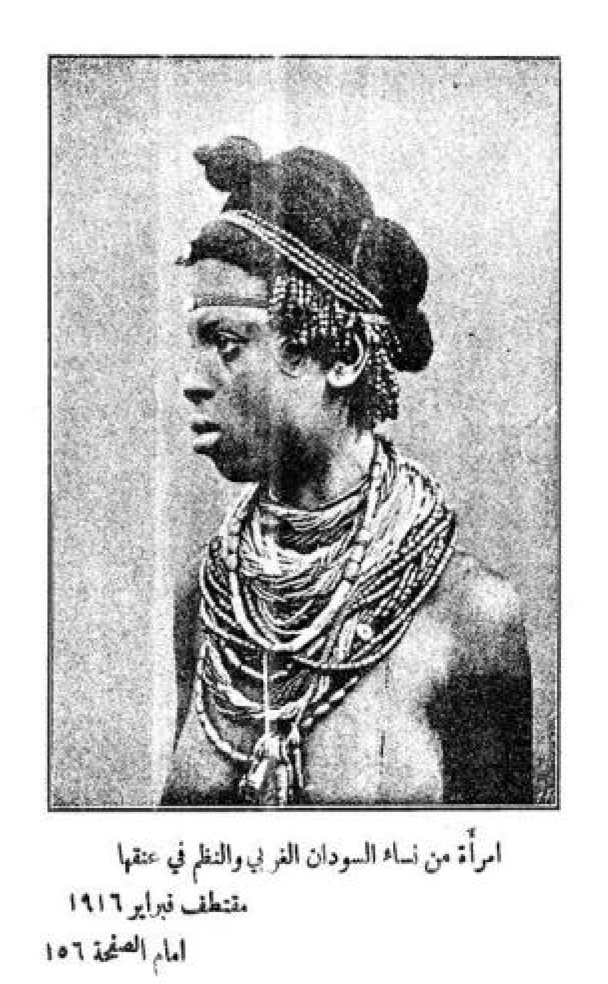
الفيل الافريقي



المستر ترنر والناب الذي اكتشفهُ



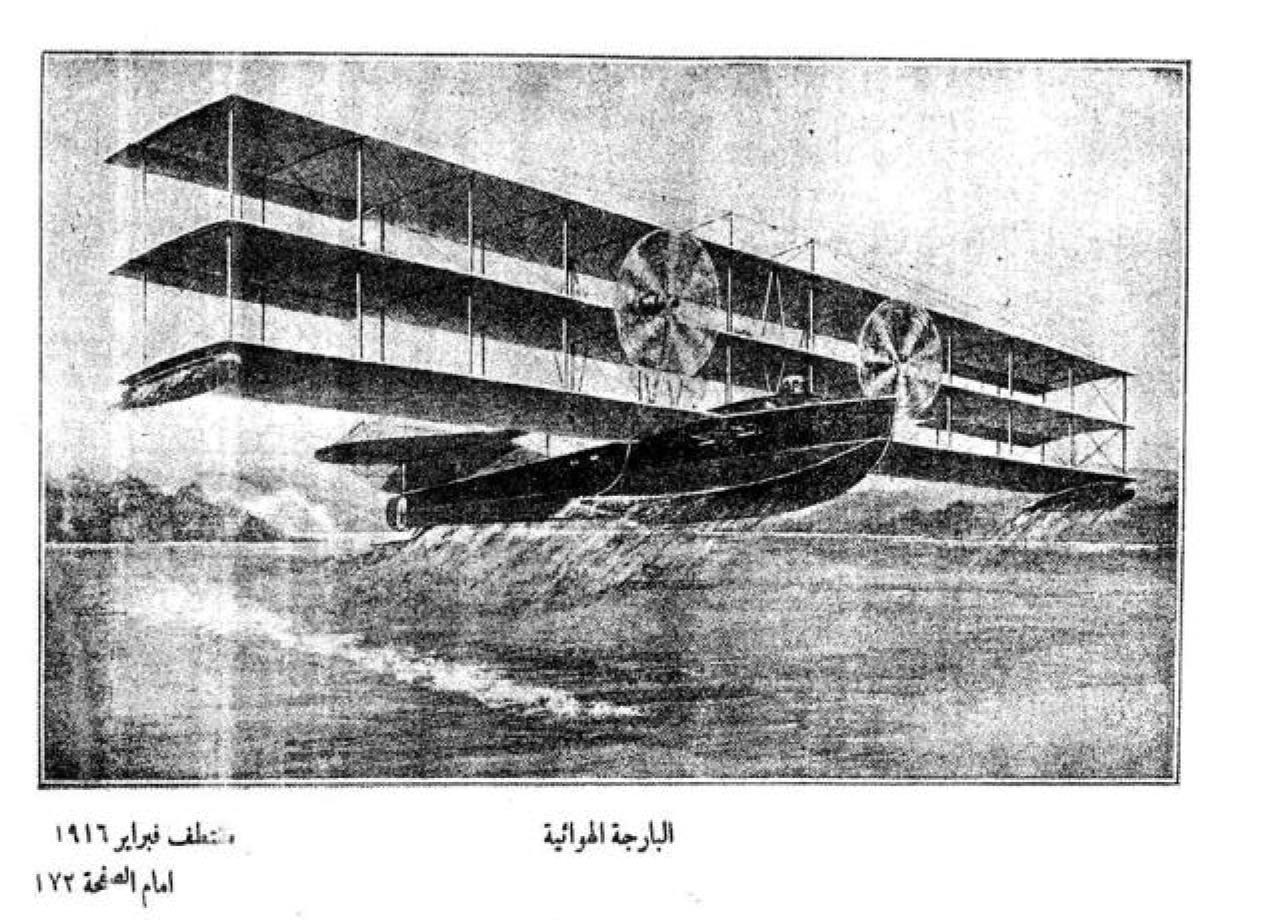
امرأة من نساء كوراما بالسودان الغربي



امرأة من نساء السودان الغربي والنظم في عنقها

مقتطف فبراير ١٩١٦

امام الصفحة ١٥٦



البارجة الهوائية

مقتطف فبراير ١٩١٦
امام الصفحة ١٧٢

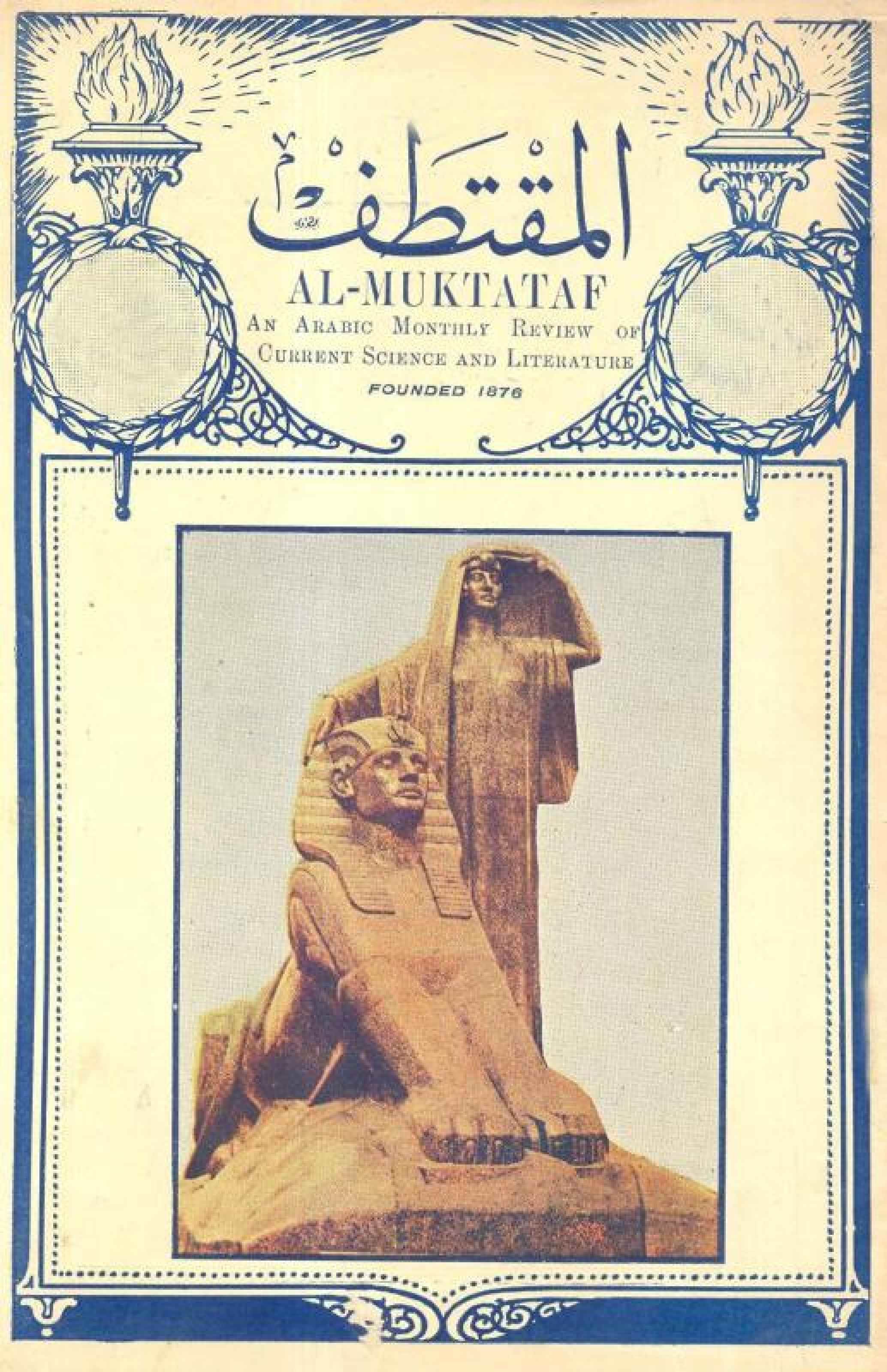


ثمر الكاكي

مقتطف فبراير ١٩١٦

امام الصفحة ١٧٧

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثامن والاربعين


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

١ مارس (اذار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤

اليابان ومجد الشرق

الحق للقوة وكل قول يناقض هذا القول لغوٌ ومخافة ما دامت عقول الناس واعمالم على ما هي عليهِ الآن

قتل صربي ولي عهد النمسا وزوجتهُ فارغت النمسا وازبدت وافتأتت على السرب وطلبت منها ما يطلبهُ القوي المستبد من الضعيف المستكين وايدتها المانيا. فتنصلت السرب مما اتهمت بهِ ورضيت ان يرفع الخلاف الذي بينها وبين النمسا الى محكمين يحكمون بينهما فابت النمسا ذلك وشهرت الحرب عليها

وطلبت المانيا من البلجيك ان تسمح لها باجتياز بلادها لمحاربة فرنسا فابت فدوَّختها ودكت حصونها وخرَّبت مدنها

منذ احدى وعشرين سنة وقعت الحرب بين الصين واليابان وانتهت بفوز اليابان واستيلائها على شبه جزيرة ليوتنغ فنهضت المانيا واعترضت عليها وحملت روسيا وفرنسا على مشاركتها في الاعتراض فاضطرت اليابان ان تنكص على عقبها وترضى من الغنيمة بالاياب لكنها حفظت من ذلك درساً لا تنساهُ وهو ان الحق للقوة وبذلت جهدها في الاستعداد براً وبحراً فكالت لروسيا الصاع صاعين فعظم شأنها في عيون الاوربيين حتى صار غوانيهم يتباهين بتقليد اليابانيات في ملابسهنَّ. ولم تكد الحرب الاوربيَّة تنشب حتى جاء دورها للاخذ بالثار من المانيا. فان المانيا كانت قد وضعت يدها على ميناء كياوشاو وما يطيف بهِ من البلاد الصينية بحجة ان الصينيين قتلوا اثنين من المرسلين الالمانيين ويجب تأديبهم وتأديب حكومتهم. ثم جعلت تحصن هذا الميناء والآكام التي حولهُ حتى جعلتهُ امنع من عقاب الجو

قاصدة ان تجعلهُ مفتاحاً لسلطنة شرقية واسعة فتلقي بذار الشقاق في مملكة الصين حتى تتداعى اركانها فتختطف منها ما تستطيع اختطافهُ قبلما يسبقها غيرها اليهِ ومن حضر السوق باع واشترى . ولكن اسمع ما ذا جرى وكيف يستعزُّ القوي بقوتهِ فان اليابان قامت في بداءة هذه الحرب وطلبت من المانيا ان تخرج من كياوشاو بقضها وقضيضها وصاغت صورة هذا الطلب كما لو كان امبراطور المانيا نصَّهُ بنفسهِ لدولة من اصغر الدول فانها قالت فيهِ ما ترجمتهُ :

« اننا نرى انهُ من اهم ما يُطلَب منا واوجبهِ في الاحوال الحاضرة ان نزيل كل سبب يدعو الى تكدير كاس السلام في الشرق الاقصى وان نحمي المصالح العمومية التي يرمي اليها الاتفاق المعقود بين اليابان وبريطانيا العظمى

« وترى الحكومة اليابانية ان حفظ السلام الدائم في شرق اسيا الذي هو الغرض المقصود من ذلك الاتفاق يضطرها ان تشير على الحكومة الالمانية بعمل ما يأتي

« اولاً ان تخرج حالاً سفنها الحربيَّة والمسلحة مهما كان نوعها من كل البحار اليابانية والصينيَّة وان تنزع الاسلحة من كل سفنها التي لا تستطيع اخراجها

« ثانياً ان تسلّم لمأموري اليابان كل بلاد كياوشاو قبل ١٦ سبتمبر من غير شرط او طلب تعويض على ان تعاد تلك البلاد اخيراً الى الصين

« واذا لم يصل الى الحكومة اليابانية جواب من الحكومة الالمانية حتى ظهر الثالث والعشرين من شهر اغسطس تقول فيهِ انها قبلت مشورة اليابان من غير قيد ولا شرط فاليابان تعمل ما تراهُ لازماً في الاحوال الحاضرة »

فاستخفَّت المانيا بطلب اليابان ولم تجبها اليهِ صلفاً وخيلاء لان بوارج اليابان من اقوى البوارج ومدافعها من اكبر المدافع وقوادها من امهر القوَّاد بفنون الحرب وجنودها من اشجع الجنود في مواقع الكر والضرب فلا اسهل عليها من ان تنال مطالبها بالرغم عن انف المانيا بالقوة ان لم تنلها برضاها . وارسل امبراطور المانيا رسالة برقية الى نائبهِ في كياوشاو يأمرهُ ان يتشدَّد ويتصلَّب حتى تذكر القرون المقبلة ثباتهُ بالاعجاب والاطناب . ولكنهُ آب بالخيبة لان حصونهُ المنيعة لم تقوَ على قنابل اليابان وبسالة رجالهِ لم تفق بسالة اليابانيين

هذا عمل واحد من اعمال ثلاثة قامت بها اليابان في هذه الحرب ولعلهُ اقلها شأناً والعملان الآخران اولها حماية سفن الحلفاء التجارية في الاوقيانوس الباسيفيكي والشرق

الاقصى من السفن الالمانية الحربية وحماية مستعمرات الحلفاء كلها في تلك البحار الواسعة . فان السفن الحربية الانكليزية والفرنسوية شغلت في البحر الشمالي والاوقيانوس الاتلنتيكي والبحر المتوسط . والسفن الروسية لم تستطع الخروج من البلطيق والبحر الاسود فلم تستطع هذه الدول الثلاث ان ترسل بوارجها لحماية متاجرها ومستعمراتها في الشرق الاقصى والاوقيانوس الباسيفيكي فاناطت ذلك باليابان فقامت به خير قيام ولولاها لاستطاع الالمان ان يقضوا على تجارة الحلفاء في تلك البحار كما قضى الحلفاء على تجارتهم فلليابان فضل كبير على حليفاتها من هذا القبيل

ويضاف الى ذلك ان السفن التجارية الانكليزية كانت تنقل الجنود من الهند واستراليا ولا تزال كما تنقل المتاجر والغالب انها كانت تفعل ذلك بحماية البوارج اليابانية الى ان قطع دابر البوارج الالمانية من بحار المشرق وهذا مما يزيد فضل البوارج اليابانية ويثبت ان اليابان خدمت حلفاءها في هذه الحرب افضل خدمة

والعمل الثاني تقديم الذخيرة لروسيا فان الحلفاء دخلوا هذه الحرب غير مستعدين لها . ولو امهلتهم المانيا ليستعدوا لما خطر ببالهم ما هو الاستعداد المطلوب من حيث المدافع والقنابل والغازات الخانقة والاسلاك الشائكة لا في نوعها ولا في مقدارها فانهُ لم يخطر ببالهم ان المدافع التي يزن المدفع منها خمسين طناً او ستين يمكن ان تنقل الى ميادين القتال لتدك بها حصون السمنت والحديد . ولا خطر لهم ان يحشوا مدافعهم بقنابل تنفجر فتدك الجبال وتحفر في الارض شبه البراكين . ولا قام في نفوسهم ان يسمموا الهواء بالغازات ويميتوا خصومهم اختناقاً بعد ان يجرعوهم غصص المنون ولم يخطر لهم ان يسلحوا كل جيش من جيوشهم بالوف من المدافع ومئات الالوف من القنابل ولا ان يتحصنوا وراء غابات من الاسلاك الشائكة كما فعل الالمان في كل ذلك فادهشوا ام الارض

فهذه الاسلحة في نوعها ومقدارها لم تخطر ببال الحلفاء ولذلك كانت المانيا واثقة بالنصر وخصومها عنها غافلون فلم يمضِ على الحرب ايام كثيرة حتى نفد ما عندهم من الذخيرة او كاد فهب الانكليز والفرنسويون الى تدارك ما فات وحوَّلوا مصانعهم كلها الى دور صنعة لعمل الذخيرة وهي كثيرة وصناعها ماهرون ولكن روسيا ليست كذلك في المصانع والصنَّاع وجيشها عرمرم وكان يحارب الالمان والنمسويين في اماكن كثيرة وميادين طويلة فاضطرت ان ترتد على اعقابها بعد ان كان الفوز لها وما ذلك الا لنفاد ذخيرتها . وقد كان الحلفاء ينوون انفسهم بايصال الذخيرة اليها من اوربا بطريق الدردنيل فسبقتهم المانيا الى محالفة تركيا

واوقفت الحرب بينها وبين روسيا . وللحال نهضت اليابان بمعاملها الكثيرة وجعلت تسبك المدافع وتصنع القنابل وتبعث بها من اقصى المشرق الى غربي روسيا وهذا سر ثبات الروس وعودهم الى اتخاذ خطة الهجوم بعد الانخذال

ونحن الشرقيين لا يسعنا الآ المباهاة بما فعلتهُ الامة اليابانية لانها اثبتت للاوربيين ان الشرقي لا ينقص عن الغربي في شيء اذا اتيح لهُ كسر قيود التقليد فان اليابانيين — وهم امة قديمة ذات تاريخ مجيد بين الامم الشرقية وقد اشتهرت باتقان الزراعة والصناعة والعلوم والفنون — لم يروا حطةً من شأنهم ان يطرحوا تقاليدهم ويجاروا الاوربيين ويتعلموا منهم حتى يباروهم . ولا بدَّ للمرء ان يتجرَّد من كل ما يعيقهُ اذا اراد ان يباري المحاضير

وقد يظن لاول وهلة ان اليابان اشترت كل بوارجها ومدافعها وسائر اسلحتها من اوربا وهذا غير الواقع نعم قد اشترت كل اسلحتها اولاً وسفنها الحربية من اوربا ثم بعثت بابنائها الى معامل اوربا واميركا فتعلموا فيها كل ما يلزم لبناء البوارج وعمل الاسلحة وعادوا الى بلادهم وانشأوا المعامل واستخرجوا الحديد والفحم من مناجمهم وجعلوا يبارون الاوربيين وكادوا يستقلون عنهم

دخلنا معمل ارمسترنغ ببلاد الانكليز منذ بضع سنوات وجعل مديرهُ يرينا كيفية سبك المدافع التي زنة المدفع منها خمسون طنًّا فاكثر وصفائح الفولاذ التي تستعمل لتدريع البوارج وكانت تلك المدافع وهذه الصفائح ترفع بروافع بخارية وتنقل من جهة الى اخرى في ذلك المعمل الوسيع . ثم وقف امام رافعة فيها وقال لم يسبقنا الآ اليابانيون فان روافعهم ترفع الاثقال بالكهربائية لا بالبخار تعلَّم صنَّاعهم في هذا المعمل ثم عادوا الى بلادهم وبنوا مثلهُ وجروا فيهِ على احدث المخترعات واكثرها اتقانًا فقلنا في انفسنا . حقًّا لقد اعادت اليابان مجد المشرق بالعلم والقوة وكسر قيود التقليد

وما اليابانيون بافضل طينة من غيرهم من امم المشرق ولكن قضت احوال الزمان ان يرضخ غيرهم لقوانين وسنن وتقاليد تضعف الهمم وتمنع نصف الامة ممَّا يلزم لتقوية الاجسام والعقول . فعسى ما جرى هذا العام والذي قبلهُ ان يكون عظة لنا حتى تزيل كل ما يحول دون تشبهنا بتلك الامة النشيطة

المجمع الاوربي ومغزاهُ (١)

في ٢٦ سبتمبر سنة ١٨١٥ اجتمعت الجيوش المحالفة على نبوليون بونابرت اي جيوش انكلترا وروسيا والنمسا وبروسيا قرب شالون فاغتنم القيصر اسكندر قيصر روسيا تلك الفرصة لحث حلفائهِ على العمل بمشروع طالما كان يمني النفس بتحقيقهِ ولاسيما بعد ما عقدت محالفة ١٤ سبتمبر التي سماها المحالفة المقدسة

فان جيوش الحلفاء احتلوا باريس مرة ثانية وكانت حرب المئة اليوم قد انتهت بمعركة وترلو . وبات نابليون اسيراً في ايدي الانكليز وملوك اوربا ورجال حكوماتها يتداولون في وضع شروط سلم كانوا يرجون ان يكون سلماً دائماً لاوربا عامة ولفرنسا خاصة . وكان قد اتى على اوربا ربع قرن لم تخمد فيهِ حساماً الاَّ في فترات وجيزة . واستمرت نار القتال في فرنسا وهولندا وايطاليا وجرمانيا والبرتوغال واسبانيا وروسيا ومصر وعلى متون البحار حتى تهدم نظام الحكومات الاوربية وتركت الحواضر والبوادي اطلالاً دارسة بمنازلها وحقولها . وناء الخلق بالاعباء العسكرية والمالية

وكان القيصر اسكندر رقيق القلب شديد الانفعال . رأى تلك الحالة فآلمتهُ فقال في نفسهِ ان الفرصة قد سنحت لوضع العلاقات الدولية على اساس مكين وربما لن تعود هذه الفرصة ابد الدهر فاتفق هو وملك بروسيا وامبراطور النمسا على المحالفة المقدسة المشار اليها آنفاً . ومما جاء في بنودها قولهم :

« لاغرض لموقعي هذه المعاهدة الاَّ اعلان عزمهم على الاسترشاد بقواعد الديانة المقدسة وهي العدل والمحبة والسلام . ولا يكتفى بالعمل بها في الشؤون الخاصة بل لا بد للملوك والامراء من الاسترشاد بها لتسديد خطاهم . وسيبقى هؤلاء الملوك الثلاثة مرتبطين بربط الاخاء الصادق الذي لا تنفصم عراهُ »

على ان النقاد المعاصرين والمتأخرين هزأوا بهذه المحالفة فقال مترنيخ (٢) عنها انها طبل فارغ ولكنهُ كبير الصوت . وقال كسلري (٣) انها آية في الابهام والسخافة وشك في صحة

(١) The Concert of Europe خلاصة مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر للمستر ماربوت

(٢) Prince Metternich سياسي نمسوي شهير (١٧٧٣ - ١٨٥٩)

(٣) Castlereagh وزير انكليزي (١٧٦٩ ١٨٢٢)

عقل واضعها. وارتاب كاننغ[1] في حسن نيتهِ واخلاصهِ. ولا بدع ان ينكر النقاد على القيصر اسكندر ما فعل ويشتبهوا في سلامة نيتهِ وصدق طويتهِ بعد ما اشتهر عنهُ من الاقدام على المتناقضات والميل مع كل هوى والانقياد لكل عامل ومؤثر. ولم تكن لغة المعاهدة مما يرضي اهل السياسة لانهم لم يعتادوها فلذلك لم يفهموها. فلا بدع اذا ظنوا انهُ جيءَ بها خصيصاً لستر مطامع ومآرب شائنة

ومع ذلك كلهِ لم يشكَّ اهل الرأي في ان القيصر اسكندر كان عند اعلان تلك المحالفة حسن النية على قدر ما يكون رجل مثلهُ عرف بتقلّبهِ وتعدد مقاصدهِ. ولم يكن اول ساعٍ الى تعزيز السلام ونشر لوائهِ على العالمين بل ان هذا الغرض كان نصب عيون كثيرين ثم جاء الاقتراح المسمى «المقصد الاعظم» وهو اقتراح لا يعرف صاحبهُ بالتحقيق ولكنهُ ينسب الى احد ثلاثة — هنري الرابع ملك فرنسا او وزيرهُ سلي او الملكة اليصابات الانكليزية. وفحواهُ انشاء اتحاد اوربي يكون لهُ مجلس مشترك يفصل في الخصومات الدولية

وفي سنة ١٧١٣ نشر القس «سان بيير» الفرنسوي كتاباً في السلام العام اقترح فيهِ ان يتحالف ملوك اوربا محالفة دائمة وينشئوا مؤتمراً يرسلون اليهِ مندوبين من قبلهم. ويعهد الى هذا المؤتمر في تعيين المسائل التي تجيز للدول ان تقاطع الدولة المعتدية وتتحد عليها حتى تخضع للمشيئة العامة المشتركة

وسنة ١٧٩٥ اصدر الفيلسوف كَنت الالماني نشرتهُ المشهورة بعنوان السلام الدائم اقترح فيها امرين لبلوغ هذه الغاية: الاول ان تكون هيأة كلّ حكومة جمهورية ولا يلزم ان تكون الجمهورية ديموقراطية بل يجوز ان تكون ملكية في شكلها ولكن يجب ان تكون نيابية. والثاني ان يبنى قانون الامم على اتحاد يعقد بين البلدان الحرة. قال «وغاية ما يتمنى كل ملك ان ينال السلام الدائم باخضاع العالم لهُ. ولكن الطبيعة تريد غير ذلك»

وكان القيصر اسكندر قبل هذا المسعى قد انتدب صديقهُ نوفوسلتسوف للسفر الى انكلترا والسعي في تأييد السلام العام وزودهُ بتعليمات اقترح فيها عقد معاهدة تكون اساساً للعلاقات المتبادلة بين دول اوربا وتُعيّن بها حقوق الامم فلا يقدم فريقان على حرب ما لم يفرغ فريق ثالث جعبة حيلهِ في التوفيق بينهما ويرجع بالفشل. فكان جواب الوزير

---

(1) Canning وزير انكليزي وخطيب مشهور (١٧٧٠ – ١٨٢٧)

بت⁽¹⁾ الصغير على ذلك ان عواطف روسيا مطابقة لعواطف انكلترا في هذا الامر واعرب عن رغبته في توثيق عرى الاتحاد مع روسيا وضمان سلامة اوربا. ثم حدد الاغراض التي يجب ان تكون نصب اعين الفريقين فاذا هي ما يأتي : (١) تضييق حدود فرنسا وارجاعها الى ما كانت عليهِ سنة ١٧٩٢ . (٢) ضمان السكينة والرخاء للبلاد التي تسترد من فرنسا واقامة حاجز يحول دون تبسطها في المستقبل . وختم جوابهُ بقولهِ :

« ولا غنى عن عقد معاهدة عامة تضمن بها كلٌّ من دول اوربا املاك الاخرى وتكون اساساً للحق العام ورادعاً يردع كلَّ حركةٍ توجه في المستقبل لاقلاق الراحة العامة وتقضي على كل عمل من اعمال التبسط والفتح مما جر على اوربا جميع الكوارث التي انتابتها بعد الثورة الفرنسوية »

...

ولنبحث الآن في سير اعمال المجمع الاوربي فنقول :

انقضت سبع سنوات ولا همَّ لذلك المجمع الا التحكم في مجرى العلاقات الدولية بمؤتمرات يعقدها . فعقد اولها في اكس لا شابل سنة ١٨١٨ وشهدهُ امبراطورا روسيا والنمسا وملك بروسيا وكان بين الحضور مترنيخ وهاردنبرج⁽²⁾ ونسلرود⁽³⁾ ودوق ريشليه⁽⁴⁾ — وقد جاء هذا الاخير ليطلب الجلاء عن فرنسا — وكسلري وولنجتون⁽⁵⁾ فاقترح ولنجتون الجلاء عن فرنسا فوافق المؤتمر على اقتراحهِ واصبحت فرنسا بعد ذلك عضواً في المجمع الاوربي فصارت المحالفة الرباعية التي عقدت سنة ١٨١٥ محالفة خماسية ادبية كما سميت حينئذٍ

وكانت نتيجة هذا المؤتمر تجديد محالفة سنة ١٨١٥ ولكن بشروط اعمَّ من الاولى . فاستقرَّ الرأي ان لا يلجأ الى عقد المؤتمرات الا عند الضرورة القصوى . وبمساعي كسلري مندوب انكلترا نسخت الفكرة القائلة بان يكون للدول العظمى حق مراقبة الشؤُون الداخلية في بلاد جاراتهنَّ الصغرى او ان يحق لكل منهنَّ ان تراقب شؤُون غيرها الداخلية

---

(١) William Pitt وزير انكليزي مشهور (١٧٥٩ - ١٨٠٦)

(٢) Hardenberg سياسيٌّ بروسيٌّ (١٧٥٠ - ١٨٢٢)

(٣) Nesselrode سياسي روسي (١٧٨٠ - ١٨٦٢)

(٤) Duc de Richelieu سياسي فرنسوي (١٧٦٦ - ١٨٢٢) وهو غير الكردينال ريشليه المشهور وزير لويس الرابع عشر

(٥) Duke of Wellington قائد ووزير انكليزي مشهور وهو قاهر نبوليون في معركة ووترلو (١٧٦٩ - ١٨٥٢)

وسنة ١٨٢٠ شبت نيران الثورة في اسبانيا والبرتوغال وجنوبي ايطاليا · فعزم مترنيخ على قمع ثورة نابلي بالقوة طبقاً للمعاهدات التي تخوله هذا الحق · وعزم القيصر اسكندر ايضاً على تأييد القوة المطلقة في اسبانيا والبرتوغال عملاً بمبادئ مترنيخ ولكن من غير ان يكون له الحق الذي لمترنيخ على انهما كليهما لجأا الى المجمع الاوربي طالبين موافقتهُ على ما ينويان · فعقد مؤتمر في تروبو سنة ١٨٢٠ للنظر في هذه الحالة حضرهُ كسلري من قبل انكلترا وكان قد عقد العزم على معارضة مترنيخ والقيصر فيما يطلبان · وانقضى هذا المؤتمر بخروج انكلترا منهُ وعود المحالفة المقدسة بين امبراطوري روسيا والنمسا وملك بروسيا الى عهدها السابق فاصدرهؤلاء الثلاثة البروتوكول المعروف باسم بروتوكول تروبو وقالوا فيهِ :

« ان البلاد التي تحدث فيها ثورات تقلب شكل حكومتها وتهدد البلاد الاخرى تبطل ان تكون عضواً في المحالفة الاوربية وتبقى خارجها حتى يضمن النظام ويستتب الامر فيها لكن اذا كان ما حدث فيها من الانقلاب يهدد البلاد الاخرى بخطر عاجل فالواجب على الدول العظمى المرتبطة بهذا العهد ان تلجأ الى الوسائل السلمية او الى السلاح اذا اقتضى الامر لاعادتها الى حضن المحالفة العظمى »

اما مندوب انكلترا فاعترف بانهُ يحق للنمسا ان تتداخل في امر نابلي ولكنهُ ذمّ المبدأ المتضمن في بروتوكول تروبو بحجة ان ذلك يفضي الى التوسع في التعرض لشؤون البلاد الاخرى مما لا يتفق مع المصلحة العامة ولا مع سلطة الملوك المستقلين · ولكن مترنيخ لم يثنِ عن عزمهِ فانفضّ المؤتمر من تروبو على ان ينعقد في ليباخ من اعمال النمسا · ودعي اليهِ فردينند صاحب نابلي ليعطي حساباً امامهُ عن اعمالهِ مع رعاياهُ الثائرين · فصدر الحكم بان تتولى النمسا اعادة الامن الى نصابهِ في جنوب ايطاليا · فسيرت الى نابلي ٥٠ الف جندي فقمعوا الثورة الدستورية بيد من حديد واقيمت في نابلي حكومة وصفها غلادستون فيما بعد بقولهِ انها « فضيحة على الدين والحضارة والمروءة والادب »

وفي سنة ١٨٢٢ عقد مؤتمر فيرونا وهو آخر المؤتمرات من نوعهِ فحضرهُ ولنجتون مندوباً من انكلترا بعد وفاة كسلري · وكان كسلري قد اقتصر على معارضة المحالفة المقدسة واعمالها بالكلام اما كاننغ وزير الخارجية حينئذٍ فما زال يعمل حتى فصم عروتها · ذلك ان ولنجتون صرح بلسانهِ امام اعضاء المؤتمر قائلاً « ان انكلترا لا تعطف على اهل الثورة ولا تمدّ اليهم يداً للمساعدة ولكنها مع ذلك تصرّ على ان يكون للامم المختلفة حقٌّ في تنصيب الحكومة التي يختارونها وفي ان يتركوا احراراً في ادارة شؤونهم ما داموا لا يتعرضون

لشؤون غيرهم . فاذا قرَّ رأي المؤتمر على معاملة اسبانيا بالقوة فان انكلترا تتنحى عن ذلك العمل ولو آل الامر الى فضّ المحالفة »

وكان ذلك ختامها وختام المجمع الاوربي فان دوق ولنجتون اوقف الدول عن التعرض لاسبانيا بالقوة . وبقي اعضاء المحالفة المقدسة يعملون معاً حتى سنة ١٨٢٥ حينما مات القيصر اسكندر وخلفهُ اخوهُ القيصر نقولا فماتت المحالفة معهُ

•••

وانتقل الكاتب الى بيان مغزى كلامهِ عن المجمع الاوربي القديم وعلاقة ذلك بالحالة الحاضرة فقال :

« يرجو الكثيرون ان لا يمضي زمان طويل حتى يعقد مؤتمر للامم بعد حرب اعظم هولاً من الحرب التي انتهت سنة ١٨١٥ . وسيكون همّ ذلك المؤتمر افراغ العالم في قالب جديد بعد النار التي يمحّص فيها الآن . ولا بدَّ لهُ من اقامة تخوم جديدة والغاء تخوم قديمة . وسدّ مطامع وطنية على قدر الامكان . والجمع بين مطالب متناقضة . وزد على ذلك كلهِ ان شعور العالم المشترك يرغمهُ على تجديد السعي بشكل من الاشكال في الوصول الى الضمان اللازم لعدم حدوث كارثة اخرى مثل الكارثة الهائلة التي تجتاح العالمين الآن وبناء السلام العام على اسس دائمة لا تتزعزع اركانها

« وقد شرع كثيرون من كبار القلوب والعقول يبحثون منذ الآن عن السبيل المؤدي الى ذلك . وتراهم مجمعين على بعض الامور مختلفين رأياً في غيرها . فمما اجمعوا عليهِ انهُ يجب ان تحترم مشيئة كلّ مملكة يبحث في شؤونها وتابعيتها وان تكون مصلحتها فوق كل اعتبار ولكن كيف تعرف مشيئة هذه المملكة او تلك وباي مسبار تسبر ؟ . فمن المشهور والمعترف بهِ ان استفتاء اهل ولايتي الالزاس واللورين مثلاً في مصيرهم طريقة لا ترضي احداً . ومن رأي احد العارفين ان خير سبيل الى الحلّ المرضي هو تعيين لجنة مختلطة خالية من الغرض ولكنهُ لم يبين لنا كيفية تعيينها ولا كيفية انفاذ احكامها ويرى كثيرون وجوب عمل كلّ شيء في الجهر اي ان تقام المفاوضات الدولية على مرأًى من المجالس النيابية ومسمعها . ولكن الخبيرين يقولون لك ان الطريقة المسماة « بالسياسة السرية » خير من السياسة الجهرية لان الاولى منعها اجّلت الحرب الحاضرة بضع سنين ولم تسببها ولا عجلتها كما يقول بعض المتغرضين . وزد على ذلك اننا علمنا بالاختبار ان المفاوضات العلنية لم تجدِ نفعاً في حلّ مشاكل العمال وارباب الاعمال عندنا . ومتى عرفت اسرار الوزارات الاوربية في حينها

فسترى الاجيال المقبلة ما للمداولات السياسية السرية من الفضل في حلّ مشاكل الامم

وقد ادرك العقلاء في القرنين الماضيين ان الحكومة المستقلة المنفردة لا يمكن ان تكون غاية الغايات في النشوء السياسي وانهُ لا غنى للحكومات المختلفة من انشاء اتحاد سلمي وعرض اسباب النزاع والشحناء بينهنَّ على محكمة ذات قوة كافية لانفاذ احكامها. ومن تأليف بوليس مختلط لارغام الدولة المتشبثة بعنادها . كذلك ادركوا ان في الامكان انشاء اتحاد من الحكومات المستقلة على مرّ الزمان

و يقال في ختام هذا البحث انهُ ما من وسيلة مادية مهما بلغ من اتقانها تستطيع ان تنيلنا هذه الغاية التي هي امنية كل رجل بارّ عاقل بل لابدّ من ثورة ادبية اصعب مراماً واشدّ مساساً بالجوهر . فقد قيل انهُ لما عرض القس « سان بيير » اقتراحهُ المشار اليهِ آنفاً على الكردينال فليري قال « هذه فكرة بديعة لولا اغفال امر واحد . فانهُ لم يذكر فيها شيء عن ارسال الرسل لتغيير قلوب الملوك والامراء » . والحق يقال انهُ مهما بلغت وسائلنا من الكمال والاتقان فلا تفي بالغرض الأ اذا حسبت حساباً لانتداب اناس يغيرون قلوب الامم فحينئذٍ تنجح محالفتهم حيث اخفقت المحالفة المقدسة التي عقدت بين الملوك المستبدين في اوائل القرن الماضي

طبيبات النساء

في انكلترا

من غريب ما يذكر عن الانكليز انهم على كونهم اعرق امم الارض في الحرية الشخصية والسياسية واسبقهم الى الدفاع عن الدستور حتى سمّي برلمانهم « ام البرلمانات » واولهم في احترام المرأة حتى لقد عدّ احترامهم لها وللعائلة التي هي واسطة عقدها في مقدمة الاسباب التي آلت الى تفوق الامم الانجلوسكسونية على غيرها — على ذلك كلهِ نراهم مسبوقين في مسئلة من كبريات المسائل التي لها اعظم مساس بالحرية الشخصية واحترام المرأة ومساواتها بالرجل وهي مسئلة النساء والطب

فقد انشأنا مقالة في تعلُّم النساء صناعة الطب نشرت في الجزء الاول من السنة السابعة للمقتطف (١٨٨٢) جاء فيها ما يأتي :

« اشتهرت مدارس ايطاليا الجامعة بتعليم النساء العلم والطب اكثر من غيرها من المدارس فانهُ كان في مدرسة بولونيا الجامعة في القرن الثالث عشر امرأتان الواحدة استاذة

للفلسفة والاخرى استاذة للفقه . وخرج من مدرسة بادوى الجامعة كثيرات من العالمات الشهيرات مثل الينا كرنارو التي كانت تعرف الفرنساوية والاسبانية واللاتينية واليونانية والعبرانية والعربية وكانت بارعة في الموسيقى والتصوير والفلسفة والرياضيات والفلك واللاهوت . ولما بلغت الثانية والثلاثين من عمرها قلدتها مدرسة بادوى لقب دكتور في الفلسفة . ومن النساء اللواتي تعلمنَ الطب واشتهرنَ بالعلم في ايطاليا لورا كاترينا بسي التي درست الفلسفة والطب والرياضيات والطبيعيات على اشهر علماء زمانها . ولما بلغت الحادية والعشرين من عمرها طُلب منها ان تخطب خطبة فلسفية في محفل حافل بالعلماء وكان المترئس على ذلك المحفل الكردينال لمبرتيني (الذي صار بعدئذٍ بابا باسم البابا بندكتس الرابع عشر) والكردينال غريمالدي ولما خطبت الخطبة اعترض عليها سبعة من العلماء على جاري عادة تلك الايام فاجابتهم باللاتينية والحمتهم فنالت لقب دكتور واعطيت محلاً في مجمع الفلسفة . ثم عينتها الدولة استاذةً للطبيعيات وضربت نيشاناً عليهِ صورتها تذكاراً لذلك فلبثت في هذا المنصب ٢٨ سنة وكانت المجامع العلمية تتسابق الى انتخابها عضواً فيها . وسنة ١٧٣٨ تزوج بها فراتي الطبيب فولدت لهُ اثني عشر ولداً وماتت في السابعة والستين من عمرها وكانت حسنة الطلعة قوية الذاكرة سديدة الرأي

ومنهنَّ حنة موروندي التي ولدت في بولونيا بعد لورا بسي المار ذكرها بخمس سنوات وماتت قبلها بخمس سنوات . وكانت متزوجة برجل فقير حرفتهُ عمل الاشكال التشريحية من الشمع فاخذت تساعدهُ في ذلك ولم تلبث طويلاً حتى فاقتهُ في العلم والعمل واتقنت علم التشريح فدعاها غالي الجراح لتدريس التشريح في مدرسة لعلم الولادة فلبثت طلبةُ وكانت من الدقة والحذاقة على جانب عظيم فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى ذاع صيتها في اقطار اوربا وتقاطر عليها الطلبة من كل فجٍ ودعتها انكلترا وروسيا لتعلم فيهما فابت ولبثت في بولونيا ثم عينت استاذة للتشريح في مدرسة بولونيا الجامعة . وهي اول من مثل الاوعية الشعرية والاعصاب الدقيقة بالشمع ولم تزل مصنوعاتها في بولونيا حتى الآن

ومن اللواتي يناسب عدهنَّ هنا ولم يتعاطينَ الطب ماريا اغنسي التي كانت تتكلم بالايطالية والفرنساوية والاسبانية والجرمانية واليونانية والعبرانية وهي في السنة العشرين من عمرها وكانت عارفة بالفلسفة والرياضيات وانشأت في صغرها احدى وتسعين مقالة فلسفية والَّفت في الثلاثين من عمرها كتاباً مطوَّلاً في الجبر والمقابلة وضمت اليهِ علم التفاضل والتكامل واظهرت فيهِ من البراعة ما يعزُّ نظيرهُ . وقد ترجم هذا الكتاب الى الانكليزية

كاسون استاذ الرياضيات في مدرسة كمبردج الجامعة وجعلهُ كتاب التعليم · وكان ابوها معلماً للرياضيات في مدرسة بولونيا فمرض مرضاً شديداً سنة ١٧٥٠ فاذن لها البابا بندكتس الرابع عشر ان تعلم بدلاً منهُ فلبثت تعلم مدةً الى ان اضناها الدرس فتركت المدرسة وترهبت في احد الاديرة وقضت نحبها سنة ١٧٩٩ · ولما كانت لورا بسي تعلّم الطبيعيات في مدرسة بولونيا وحنة مورندي التشريح ومار يا اغنسي الرياضيات كثر عدد الطالبات في تلك المدرسة ونال كثيرات منهنَّ لقب دكتور في الفلسفة او في الطب · ولو شئنا ان نعدد اسماء اللواتي نلن لقب دكتور في الطب من مدرسة بولونيا و پادوى و پاڤيا وفرارا وغيرها لطال بنا المجال فوق الاحتمال فحسبنا ما مضى دليلاً على نجاح نساء ايطاليا في العلم عموماً وفي الطب خصوصاً

اما في فرنسا فقد ورد في كتابة كتبت في القرن الرابع عشر انهُ لم يكن يباح للجراحين ولا للجراحات ممارسة الجراحة الاَّ بعد ان يجتازوا و يجتزنَ الامتحان المدقق · وهذا دليل على ان النساء كنَّ يشتغلنَ بصناعة الطب هناك من ذلك العصر وكان يرخص لهنَّ بالاشتغال فيهِ شرعاً

واما في اسبانيا فيظهر من سجلاَّت مدارس قرطبة وسلامنكا والكالا ان هذه المدارس قد منحت لقب دكتور في الطب لكثيرات من النساء اللاتي درسنَ فيها

وقام في جرمانيا طبيبات كثيرات اشتهرنَ في الطب · اما بلاد الانكليز فلا يظهر انهُ قام فيها طبيبة درست الطب درساً قانونيًّا قبل هذا العصر · وقد كثر الآن عدد متعلمات الطب والمشتغلات فيهِ في اوربا واميركا وعددهنَّ يزداد يوماً فيوماً ولا عجب ان المرأة التي خصتها العناية باللطف والصبر وحسن العناية جديرة بالتطبيب والتمريض كالرجل ان لم تكن اجدر منهُ بهما » انتهى

وقد عانت النساء في انكلترا مشقة عظيمة للانتظام في سلك طلبة الطب فمنذ نحو خمسين سنة تقدمت سبع سيدات انكليزيات برآسة المس جكس بلايك الى عمدة جامعة ادنبرج في اسكتلندا طالبات دخول القسم الطبي فيها لدرس فنّ الطب · فأُجبن الى طلبهن عن كراهية و بعد مصاعب جمة · وما كدن ينتظمن في سلك الدروس حتى أُلقيت العراقيل في سبيلهنَّ فلم يسمح لهنَّ بحضور فرق الطلبة من الشبان ولا بالاشتراك في الكلينيك فاضطررنَ ان يستجرن ببعض كرام الاطباء فكانوا يلقون عليهنَّ دروساً خاصة · وطلب منهنَّ ضمان ماليّ قدرهُ مئة جنيه اجرة التعليم السنوية · ولقين شديد الاضطهاد من الطلبة زملائهنَّ

فكان غلاظ القلوب منهم يتجمهرون عليهنَّ في الاسواق و يصفرون لهنَّ استهزاء و يرشقونهنَّ بالعصيّ والحجارة

و بالرغم من ذلك كلهِ دأبن في دروسهنَّ وكنَّ يتنقلن بين منازلهنَّ وغرف الدرس والخطب بحراسة بعض كرام الطلبة · فابدين في دروسهنَّ حذقًا وكفاءة ولسوء حظهنَّ قررت عمدة المدرسة اعطاء احداهنَّ جائزة في الكيمياء · فهاج الطلبة وماجوا وحاولت عمدة الجامعة اقناع احد من كبار اساتذتها برآسة الاحتفال الذي كان في النية عقده لمنح تلك الجائزة فلم يقبل احد فأُلغي الاحتفال

وما زالت مصاعبهنَّ تتوالى حتى وجدن ان لا فائدة لهنَّ من ملازمة الدروس في تلك الجامعة فهجرنها وقصدن لندن طالبات دخول احدى مدارسها الطبية الشهيرة فلم تكن العقبات التي صادفتها اهون مما كان في جامعة ادنبرج · ذلك بان الاطباء اساتذتها كانوا يعتقدون عن حسن نية ان المرأة لا تصلح لفنّ الطب من حيث مزاجها وتربيتها وعقلها ولا للقيام بمطالبهِ العملية والجراحية · يضاف الى ذلك حسد الطلبة ومقاومة جمعياتهم التي تدافع عن مصالحهم واشمئزاز الجمهور من اقدام النساء على درس الطب ولاسيما انهم كانوا يعتقدون ان المرأة ليست كفوءًا للرجل في القوى العقلية ولما اظهرن على مرّ الزمان انهنَّ لسن دون الرجال في ذلك بقي الجمهور زمانًا طويلاً يستنكف من دعوة طبيبة لعملية جراحية اولتوليد حامل ذهابًا الى انهنَّ ضعيفات الاعصاب رقيقات القلوب

واخيرًا سمح لهنَّ بدخول تلك الكلية مع سبع رفيقات اخريات فصار عدد الطالبات اربع عشرة طالبة · ثم لم يكن الاَّ القليل حتى زاد الى اربع وثلاثين طالبة · فعين لهنَّ اساتذة يلقون عليهنَّ الخطب ولكن صعوباتهنَّ لم تنتهِ واعظمها رفض مدارس لندن الطبية وكان عددها حينئذٍ ١٩ مدرسة — ان تقبلهنَّ في امتحاناتها · ومثل هذه الصعوبة في عظمها انهُ لم يقبل مستشفى من مستشفيات لندن الكبرى وعددها ١٢ ان يسمح لهنَّ بالتمرن فيهِ · وبلا هذين الامرين لا يمكنهنَّ ممارسة صناعتهنَّ · على ان هاتين العقبتين مهدتا لما فتحت احدى كليات ارلندا الطبية ابوابها في وجوه الطالبات واعلنت انها تمنح الشهادات لمن يكمل دروسهُ منهنَّ فيها · وقرر احد مستشفيات لندن ان لا يردّ طبيبة تطلب التمرن فيهِ واسمهُ المستشفى الملكي الحرّ وهو من مستشفيات لندن الكبرى

ولهذا المستشفى حكاية تستحق الذكر · فحواها ان طبيبًا شابًا اسمهُ مارسدن كان يتمرن في احد مستشفيات لندن وبينما هو عائد ذات يوم الى منزلهِ لقي امام احدى الكنائس فتاة تنقل

عليها المرض فوضعها في مركبة ودار بها على ابواب المستشفيات ملتمساً ادخالها في احدهنَّ لمعالجتها فلم يجب الى طلبهِ بدعوى ان ليس معها كتاب توصية من احد المكتتبين بالمال لتلك المستشفيات . واخيراً ماتت الفتاة فعقد مارسدن العزيمة من ذلك الحين على السعي في انشاء مستشفى في لندن يقبل الفقراء المرضى . فوفق الى بناء المستشفى المذكور بمساعدة بعض اصحابهِ الاغنياء . واتفق ان المستشفى كان الوحيد الذي لم يكن فيهِ مدرسة طبية ملحقة بهِ . وكان يعلم ما في انشاء مدرسة طبية للذكور والاناث من المصاعب للاسباب المتقدمة فقررت لجنتهُ انشاء مدرسة للاناث فقط . ولكنها لم تتمكن من ذلك الاَّ بعد تمهيد صعاب جمة من ميل الرأي العام حينئذٍ وقوة الخصوم وضعف الانصار . ومما يدلُّ على تلك الصعاب ان مجلس ادارة المدرسة أُجبر ان يدفع الى المستشفى اعانة سنوية وان يعطيهُ كلَّ ما تكسب المدرسة من اجور الكلينيك

وبعد ذلك بقليل قررت جامعة لندن الشهيرة ان تمنح شهاداتها الطبية للطالبين والطالبات على السواء . ولكنها لم تبلغ هذا القرار الاَّ بعد معارضة شديدة من بعض اعضاء مجلس ادارتها حتى ان احدهم وهو السر وليام جنر قال في حديث خير لي ان امشي وراء ابنتي الوحيدة الى القبر من ان اراها طبيبة . فأجابهُ طبيب آخر مشهور لا يزال حيًّا الى الآن ان المسئلة لا تتعلق الآن ببنتك بل ببنات غيرك

ومضت سنون كثيرة كانت محكًا للطالبات والطبيبات وضرب حولهنَّ نطاق من عيون الارصاد هذا يرنو اليهنَّ بعين الرضى والاشفاق وذاك يشزرهنَّ بعين السخط والانتقاد . وخشي بعض انصارهنَّ ان يتمادين في اظهار رقة القلب عند ممارسة مهنتهنَّ ولكن غيرهم خشوا ضدَّ ذلك — اي انهنَّ يفقدن هذه الموهبة العالية . كذلك خشي كثير من انصارهنَّ انهنَّ يقصرن في اظهار اصالة الرأي وحسن السياسة والكياسة في صناعتهنَّ وهي صفات لازمة للاطباء . فدلَّت التجارب على انهنَّ لا يختلفن عن الاطباء وانهنَّ يشاركنهم في معظم محاسنهم ومساوئهم

بقيت عقبة عظيمة امامهنَّ وهي ان المدرسة الطبية المشهورة والمعروفة باسم « الكلية الملكية للاطباء والجراحين » رفضت اعطاء شهادتها للنساء . وفي كثير من المستشفيات الكبرى والمعاهد الطبية العمومية قانون يمنع توظف طبيب لا تكون معهُ تلك الشهادة . ففي سنة ١٨٩٥ كتب مجلس ادارة مدرسة الطب النسائية في لندن عريضة امضاها اطباء المستشفى الملكي الحرّ واساتذة المدرسة الطبية الملحقة بهِ وعدد غفير من اطباء لندن المستقلين

وارسلت هذه العريضة الى الكليات المذكورة وقد رجا اصحابها منها ان تجيب النساء الطبيبات الى مطاليبهن · ولكنها رفضت ذلك باغلبية قليلة

فصبرت مدرسة الطب النسائية ١٤ سنة وعادت فكتبت عريضة اخرى بالمعنى المتقدم فاجيبت هذه المرة الى طلبها حالاً · فاقبلت الطالبات على الكليات ايما اقبال وعددهن كل سنة في ازدياد وهن يخرجن منها افواجاً حاملات شهاداتهن

اما الجمعيات الطبية فظلت تتنكب الطبيبات حتى اضطر المجمع الطبي البريطاني المشهور الى قبول المسز جاريت اندرسون سنة ١٨٧٨ عضواً فيهِ لا رغبة منهُ فيها بل عن خطإ لفظي في نص قانونهِ · و بعد قبولها اصلح ذلك الخطأ ثم اقفل الباب اقفالاً محكماً وراءها ودون سائر الطبيبات اخواتها ولكنهُ ندم سنة ١٨٩٢ على ما فعل ومن هذا التاريخ فتح بابهُ في وجه الطبيبات يقبلهن في عضويتهِ كالرجال · وحذا بعض الجمعيات الطبية حذوهُ واشتد النضال على دخولهن في جمعية امراض النساء وجمعية التوليد وجمعية استعمال المخدرات ولكنهن قبلن اخيراً فيها لشدة الحاحهن وعظم مقاومتهن وحسن وساطة بعض اخوانهن من كبار الاطباء · ومن عهد قريب اتحدت اكثر جمعيات لندن الطبية على تأليف « الجمعية الملكية الطبية » فاخذت اعضاءها من النساء معها الى هذه الجمعية ولكن بعد مقاومة طالت ولم يكن للنساء في اثنائها شرف الانتماء اليها واخذ لقب « فلو » الذي يعطى لاعضائها · ثم أعطين هذا اللقب اخيراً

وهناك ما يدل على ان سائر مدارس لندن الطبية تنوي قبول الطالبات فيها بلامعارضة · وقد افادت الحرب الطبيبات فائدة كبيرة اذ كثر طلبهن فبات الموجود منهن دون المطلوب · ومن رأي العارفين ان ذلك الطلب يبقى بعد الحرب كما هو الآن ولاسيما ان الميل الى استخدامهن في المعاهد المختلفة ومنها دوائر الحكومة بدا واشتد قبل الحرب · فمنهن موظفات في وزارة التجارة والداخلية والمعارف وقومسيون التأمين على العمال · ومضت ثلاثون سنة وهن يستخدمن في وزارة البوستة · وفي انكلترا وولس ٣٣ طبيبة من طبيبات الصحة · واستخدمت كثيرات منهن طبيبات في سجون النساء ومستشفيات المجذوبات · ومنهن طبيبات يستخدمن في جمعيات التبشير بالانجيل في جميع انحاء الكرة

توزّع الثروة في انكلترا

وسدّ نفقات الحرب

يقدر ما تنفقهُ انكلترا على الحرب الآن بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه في السنة ويقدر دخل الامة الانكليزية في السنة بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه اي ان نفقة الحرب السنوية نصف دخل الامة السنوي

والانكليز فريقان من حيث ايفاء هذه النفقات فريق يرى ان تسدّ بعقد القروض ويوزع ذلك على عدد من السنين . وفريق يرى ان تسدّ من دخل الامة السنوي بضرائب تضرب على الدخل او الخرج وتحصر في فئة الاغنياء او تشمل جمهور الامة على السواء

ولادراك دخل الامة الانكليزية في السنة بعض الادراك نقول ان متوسط دخل الفرد منها قبل معركة ووترلو بلغ ٢٢ جنيهاً ما عدا الضرائب فاذا اسقطت منهُ لم يتجاوز ١٧ ½ جنيه . اما متوسط ايرادهِ اليوم فيبلغ ٥٠ جنيهاً قبلما تطرح منهُ نفقات الحرب . فيظهر من ذلك انهُ يمكن ايفاء نفقات الحرب من الدخل ويبقى في يد كل فرد ٢٥ جنيهاً على التعديل وهذا الباقي هو اكثر من متوسط دخل الفرد السنوي منذ مئة سنة

قلنا إن بعض اهل الرأي يرون ان يحمّل اغنياء الامة الانكليزية اعباء نفقات الحرب الحاضرة بحصر الضرائب فيهم . فمن هم الاغنياء . والجواب عن هذا السؤال لا بدّ من معرفة الكيفية التي توزع بها الثروة على السكان فنقول :

تقدم القول ان دخل الامة الانكليزية السنوي يقدر بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون جنيه . وهذا التقدير مبنيّ على احصاء لثروة الامة الانكليزية تمّ سنة ١٩٠٧ واتضح منهُ ان دخلها حينئذٍ بلغ ٢١٠٠ مليون جنيه . ومن رأي الاحصائيين الخبيرين ان ذلك الدخل زاد الآن ١٠ في المئة عما كان في السنة المذكورة فليس في تقديرهِ بما يزيد على ٢٢٠٠ مليون مبالغة . ويؤْخذ من تفاصيل احصاء سنة ١٩٠٧ ان ٩٨٠ مليوناً من المبلغ المذكور دخل اهل الثروة . و١٠٥٠ مليوناً دخل العمّال ومتوسط ما يخصّ الفرد منهم رجالاً ونساء واولاداً ٦٢ جنيهاً . و٢٠٠ مليون دخل اصحاب الاشغال العقلية من كتبة ومعلمي مدارس ونظار الدوائر الصغيرة وغيرهم ممن لا تزيد اجرة الواحد منهم على نحو ١٢ جنيهاً في الشهر او نحو ٣ جنيهات وكسور في الاسبوع كما هو الحساب في انكلترا

وبين الانكليز الوف من اهل الدخل الوافر الذي يقدر بعضهُ بالملايين . وفيهم ملايين يتراوح دخل الواحد منهم بين نحو جنيهين ونصف و ١٢ جنيهاً في الشهر . فلو أُريد سد نفقات الحرب من دخل الامة السنوي باخذ نصف الدخل من الجميع على السواء لما امكن ذلك لان كثيرين لا يكاد دخلهم يكفيهم فاذا اخذ نصفهُ ماتوا جوعاً . فلا بدَّ والحالة هذه من توزيع نفقات الحرب على غير نسبة الدخل

وهناك فريق يقول بتحميل الاغنياء نفقة الحرب دون غيرهم وهذا يوجب علينا تعريف الاغنياء كثيراً والاغنياء قليلاً . والبحث لمعرفة عددهم ومجموع ما تملك ايديهم

سئلتْ سيدة انكليزية قرينة سياسي معروف ومن اهل الهيأة الاجتماعية العليا كم من الانكليز يزيد دخل كلٍّ منهم سنويًّا على راتب قرينها السنوي (قدرهُ ٥ آلاف جنيه) فقالت خمسة ملايين !! . فان كانت سيدة هذه حالها تجيب بمثل هذا الجواب فما بالك بابن السبيل الذي لا وصول لهُ الى الهيأة الاجتماعية العليا ولا اطلاع على اسرارها ودخائلها . فلو صحَّ قول السيدة ان في انكلترا خمسة ملايين رجل دخل الواحد منهم في السنة اكثر من ٥ آلاف جنيه لبلغ مجموع دخلهم في السنة خمسة آلاف مليون جنيه على الاقل او اثني عشر ضعف الدخل السنوي المقدر لاهل انكلترا وارلندا معاً

يقدرون ان في انكلترا نحو ٢٠٠ الف نفس دخل الواحد منهم اكثر من ٧٠٠ جنيه في السنة وهم مقسومون كما في الجدول الآتي

حد الدخل	عدد الافراد	متوسط الدخل	مجموع الدخل
فوق ٧٥ الف جنيه	١٠٠	١٥٠ الف جنيه	١٥ مليون جنيه
بين ٤٥ و٧٥ الف جنيه	٢٠٠	٥٠ » »	١٠ » »
» ٢٥ و ٤٥ »	٥٠٠	٣٤ » »	١٧ » »
» ١٠ و ٢٥ »	٢٥٠٠	١٧ » »	٤٢ » »
» ٥ و ١٠ »	٦٧٠٠	٧ » »	[illegible] » »
» ٣ و ٥ »	١٥٠٠٠	٤ » »	٦٠ » »
» ١ و ٣ »	٤٥٠٠٠	٢٢٠٠ » »	١٠٠ » »
» ٧٠٠ و ١٠٠٠ جنيه	١٢٠٠٠٠	٨٣٠ » »	١٠٠ » »

فالمجموع نحو ٤٠٠ مليون جنيه

فلو فرضت الضرائب على اصحاب الملايين دون غيرهم لسدّ نفقات الحرب وجعل مقدار الضريبة الدخل كلهُ لاجتمع منهم ما يسدّ نفقات الحرب ٨ ايام فقط . ولو كانت الضريبة نصف الدخل لاجتمع ما يكفي لسدّ النفقات ٤ ايام لا غير . ولو كانت ٧ شلنات في الجنيه لاجتمع ما يكفي سد النفقات ٣ ايام

هذا فيما يخص اصحاب الملايين . ولنفرض الآن ان الضرائب فرضت على كل من يزيد دخلهُ على ١٠ آلاف جنيه في السنة . فاذا كانت الضريبة تساوي الدخل كلهُ اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهراً . واذا كانت نصف الدخل اجتمع ما يسدّ النفقات نصف شهر واذا كانت ٧ شلنات في الجنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات ٩½ يوم

واذا فرضت الضرائب على كل من يزيد دخلهُ على خمسة آلاف جنيه اجتمع منها ما يكفي لسدّ نفقات الحرب ٦ اسابيع اذا كان مقدار الضريبة مساوياً للدخل كلهِ . و٣ اسابيع اذا كان مساوياً لنصف الدخل . واسبوعين اذا كان ٧ شلنات من كل جنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على ٣ آلاف جنيه اجتمع منها ما يسدّ نفقات الحرب شهرين اذا بلغت الضريبة الدخل كلهُ . وشهراً اذا بلغت نصف الدخل . وثلاثة اسابيع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

واذا فرضت على كل دخل يزيد على الف جنيه سدت نفقات الحرب ٣ اشهر اذا بلغت الدخل كلهُ . و ٦ اسابيع اذا بلغت نصف الدخل . وشهراً اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

اما اذا فرضت على كل دخل اكثر من ٧٠٠ جنيه فانها تسدّ نفقات الحرب ٤ اشهر اذا كانت الدخل كلهُ . وشهرين اذا كانت نصف الدخل . و٦½ اسبوع اذا كانت ٧ شلنات في الجنيه

وغنيٌ عن البيان ان فرض ضريبة قدرها الدخل كلهُ مستحيل ومع ذلك لا يكفي فرضها على جميع الاغنياء ممن يزيد دخلهُ على ٧٠٠ جنيه في السنة الأ لايفاء ثلث نفقات الحرب السنوية على الكثير (نحو ٤٠٠ مليون) فيبقى نحو ١٠٠٠ مليون جنيه لا بدّ من اخذها من جمهور الامة بطريقة من الطرق . ولو اسقطنا من دخل الامة سنة ١٩١٧ كل دخل يزيد على ٧٠٠ جنيه في السنة (اي نحو ٤٠٠ مليون جنيه) لبقي لدينا ١٧٠٠ مليون . ومعنى ذلك ان جمهور الامة الذين يقلّ دخل الواحد منهم عن ٧٠٠ جنيه في السنة يجب ان يدفعوا ٤٢ في المئة من دخلهم لسدّ نفقات الحرب السنوية

ولو سأل سائل كم يمكن ان يؤخذ منهم بالضرائب لسدّ هذا المبلغ لوجب قبل الجواب ان تفصل موارد دخلهم كما فصلت موارد دخل الاغنياء قبلهم · فنقول

في انكلترا نحو ٢٠ مليون شخص دخل الواحد منهم اقل من ٧٠٠ جنيه في السنة · ومن هؤلاء مليون نفس او اكثر دخلهم بين ٧٠٠ جنيه و ١٦٠ جنيهاً · ونحو مليونين متوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه وليس فيهم من يزيد دخلهُ على ١٦٠ جنيهاً · و ١٧ مليوناً من اصحاب الاعمال اليدوية متوسط دخل الواحد منهم ٦٢ جنيهاً · فمن اصعب الصعاب فرض ضريبة قدرها ٤٢ في المئة على موارد دخل هذا مقدارها · ذلك لان قسماً كبيراً من العمال مؤلف من الاولاد صبياناً و بنات ومتوسط اجرة الواحد منهم اقل من نصف المتوسط العام · فاذا استثني هؤلاء من الضريبة ارتفع متوسط دخل العامل من ٦٣ الى ٧٠ جنيهاً في السنة ولكن يفقد نحو ٩٠ مليوناً من دخل العمال كلهم فيبقى نحو ٩٨٠ مليون جنيه · ثم ان ٩٠ في المئة من العاملات و ١٦ في المئة من العمال اجورهم قليلة جداً لا تحتمل الضرائب فيجب استثناؤهم منها · وعددهم ٣ ملايين ومقدار اجورهم السنوية ١٢٠ مليوناً · فيبقى ١١ مليوناً من العمّال الذين يمكن فرض الضرائب عليهم والذين يتراوح دخل الواحد منهم بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً · ومجموع دخلهم ٨٩٠ مليوناً

اما المليون او اكثر الذين يزيد دخل الواحد منهم على ١٦٠ جنيهاً حتى ٧٠٠ جنيه فمقسومون هكذا : ٩٢٠ الفاً دخلهم بين ١٦٠ جنيهاً و ٤٠٠ جنيه فالمجموع ٢٤٠ مليوناً · و ٢٥٠ الفاً دخل كلٍّ منهم بين ٤٠٠ و ٧٠٠ جنيه فالمجموع ١٥٠ مليوناً · والمجموع الكلي ٣٩٠ مليوناً

وهناك صغار اصحاب الاشغال العقلية ومتوسط دخل الواحد منهم ١٠٠ جنيه ومجموع دخلهم ٢٢٠ مليوناً

فمجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ١٦٠ جنيهاً في السنة هو ١٣٠٠ مليون جنيه منها ١١٠٠ مليون مجموع الايرادات التي لا يزيد الواحد منها على ٦٠ جنيهاً في السنة ومجموع الايرادات بين ٦٠ جنيهاً و ٧٠٠ جنيه هو ١٥٠٠ مليون واذا اضفنا هذا الرقم الاخير الى الايرادات التي تزيد على ٧٠٠ جنيه بلغ المجموع ١٨٩٠ مليوناً يمكن فرض الضرائب عليها ما عدا ١٠ ملايين « تخصص » لحساب الاحسان · وهاك جدولاً يفصلها لزيادة فهمها في حساب ما تحتملهُ كل فئة منها من الضرائب :

حد الدخل السنوي	عدد الافراد	متوسط الدخل	المجموع
بين ٦٠ و٦٥ جنيهاً	٤ ملايين	٦٢ جنيهاً	٢٥٠ مليوناً
« ٦٥ و ١٦٠ «	٩ «	١٩٣ «	٨٥٠ «
« ١٦٠ و٤٠٠ «	٩٢٠ الفاً	٢٦٠ «	٢٤٠ «
« ٤٠٠ و٧٠٠ «	٢٥٠ «	٦٠٠ «	١٥٠ «
« ٧٠٠ و١٠٠٠ «	١٢٠ «	٨٣٠ «	١٠ «
« ١٠٠٠ و ٣٠٠٠ «	٤٥ «	٢٢٠٠ «	١٠٠ «
« ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ «	١٥ «	٤٠٠٠ «	٦ «
« ٥٠٠٠ و٤٥ الفاً	٩٧٠٠	١١٠٠٠ «	١٠٥ «
فوق ٤٥ الفاً	٣٠٠	٨٠ «	٢٥ «
	١٤ ٨٦٠ ٠٠٠		١ ٨٨٠ ٠٠٠ ٠٠٠

فلنأخذ الآن كل فئة بمفردها لنعلم كم تستطيع احتمالهُ من حمل الضرائب

(١) من ٦٠ الى ٦٥ جنيهاً : من رأي الخبيرين انهُ اذا أُريد فرض ضريبة على هذه الفئة من الدخل وجب ان لا تكون اقل من نصف شلن في الجنيه او $\frac{1}{2}$ ٢ في المئة

(٢) من ٦٥ الى ١٦٠ : يقترح الخبيرون ان تجعل ضريبة هذه الفئة ١٠ بنسات في الجنيه

(٣) ما كان متوسطهُ ١٠٠ جنيه : شلن في الجنيه

(٤) من ١٦٠ الى ٤٠٠ جنيه : شلن وثلث في الجنيه

(٥) بين ٤٠٠ و ٧٠٠ : شلنان «

(٦) « ٧٠٠ و ١٠٠٠ : $\frac{1}{2}$ ٢ شلن «

(٧) « ١٠٠٠ و٣٠٠٠ : $\frac{1}{4}$ ٣ « «

(٨) « ٣٠٠٠ و٥٠٠٠ : ٦ « «

(٩) بين ٥٠٠٠ و ٤٥٠٠٠ : ١٠ « «

(١٠) فوق ٤٥٠٠٠ : ١٥ « «

ومما تجب الاشارة اليهِ ان هذه الضرائب هي غير التي تدفع لسدّ نفقات الحكومة العادية . فاذا عمل بهذا الاقتراح كانت النتيجة كما في الجدول التالي :

عدد الايرادات		الحاصل
بين ٦٠ و ١٦٠ جنيهاً :	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤٣ مليون جنيه
« ١٦٠ و ٧٠٠ « :	٠١١٧٠ ٠٠٠	٠٣١ «
فوق ٧٠٠ « :	٠٠١٩٠ ٠٠٠	١١٨ «
		١٩٢ مليوناً

فمجموع الحاصل من هذه الضرائب نحو ١٩٢ مليون جنيه · ولو خففت ضرائب الفئات الثلاث العليا عما قدر لها وزيدت ضرائب الفئات الثلاث الدنيا التي لا يزيد دخلها على ١٦٠ جنيهاً لما اختلفت النتيجة كثيراً

هذه هي خلاصة آراء الذين يقولون بفرض ضريبة على الدخل · ولكن هناك قوماً يقولون بفرض ضريبة على الخرج دون الدخل فيختص اهل البذخ والترف الجانب الاكبر منها وتكون اوفر من ضريبة الدخل . ولكن ضريبة مثل هذه لا تجدي نفعاً كبيراً الاَّ اذا وقعت على الكماليات دون الحاجيات وكان يشترك في تلك الكماليات جزء كبير من الامة · واهم هذه الكماليات الاشربة الروحية · فان الامة الانكليزية تنفق عليها سنوياً مئة مليون جنيه منها ٥ ملايين نفقة الخمور وهذه يشترك فيها الغني والفقير على السواء · اما الكماليات التي يختص بها الغني دون الفقير فقليلة القيمة فضلاً عن ان الغني يقلل من استهلاكها اذا رأى فداحة الضرائب عليها · خذ لذلك الشمبانيا مثلاً · فان ثمن ما استوردتهُ انكلترا منها سنة ١٩٠٧ يكفي لسدّ نفقات الحرب ٣٦ ساعة فقط وما استوردتهُ سنة ١٩٠٩ يكفي لسدها ١٩ ساعة

وقد اقترح بعضهم ان تفرض الضرائب على الاتوموبيلات وغيرها من الكماليات ولكن ردَّ العارفون على هذا القول بان كل ما يجمع من امثال هذه الضرائب لا يسدّ الاَّ ثُغرة صغيرة في نفقات الحرب الهائلة فلا يفي بالمراد

وليس لسدّ نفقات الحرب سوى ثلاثة طرق : الاول زيادة ضريبة الايراد · والثاني زيادة ضريبة النفقة · والثالث عقد القروض · اما الاول فلا يسد سوى خمس نفقة الحرب على اكبر تقدير كما تقدم · واما الثاني وان يكن قليل الفائدة المادية لسد نفقات الحرب فانهُ يفيد الامة فائدة عظيمة لانهُ يحملها على الاقتصاد اجتناباً للضرائب · وفي ذلك ما فيهِ من عظم الفائدة المادية والادبية · واما القروض فسيأتي الكلام عليها في مقالة اخرى

حديث في سنة ١٩٠٥

المانيا وانكلترا — المانيا والنمسا

نشر المستر جراندي احد مشاهير ادباء الانكليز مقالة في مجلة القرن التاسع عشر لخص فيها حديثاً سياسياً جرى بينهُ وبين نبيل نمسويّ كان سكرتيراً لسفارة دولتهِ في احدى عواصم اوربا سنة ١٩٠٥ وقدَّم لها مقدمة قال فيها: كنت انوي نشر هذا الحديث في حينهِ ولكنني رأيت قبل ذلك ان استأذن صاحبهُ في نشرهِ فقال لي باسماً لا اسمح لك بنشرهِ ما دمت حيًّا. ذلك لانهُ انكليزي الميل ولانهُ اطلق لنفسهِ العنان في حديثهِ وبالغ في الصراحة. وفي سنة ١٩١٢ علمت انهُ مات فاصبحت طليقاً فعمدت الى مذكرة كنت قد دونت فيها الحديث ووضعتها حيث لم امسها منذ سنة ١٩٠٥. وكان موضوع الحديث سلوك المانيا مع انكلترا وعلاقتها بالنمسا فوجدت في المذكرة ما يأتي. قال محدثي:

«تسألني هل اعرف برلين. نعم اني اعرفها لاني كنت من موظفي سفارتنا فيها في اوائل عهدي بالخدمة السياسية. وصادقت كثيرين من اهلها وكنت ازورهم آناً بعد آن. ولا انكر ان النمسويين من اهل الطبقة العليا قلما يصادقون البروسيين من اهل المانيا حتى انني انا نفسي لا ارى رأي الهيأة الحاكمة من اهل برلين ولا اميل ميلها وان كنت اعرفها تمام المعرفة. فان النبيل البروسي يختلف كل الاختلاف عن النبيل النمسوي وفيهِ اشياء كثيرة نفهمها واشياء اخرى لا نفهمها وكثير من هذا وذاك نمقتهُ. وانتم الانكليز تظنون ان المانيا امبراطورية مطلقة الحكم للامبراطور اليد العليا فيها. ولا ينكر ان في المانيا من الحكم المطلق ما ليس في روسيا لان نظام البيروقراطية [1] ليس مستحكماً فيها استحكامهُ في روسيا [2]. ولكن نبلاء بروسيا والبيروقراطية الالمانية قوة كافية لابطال كل عمل يريد الامبراطور عملهُ ولا يوافقون عليهِ. ومع ذلك فان تبعية النبلاء للدولة هوهنزلرن تبعية حقيقية لا ريب فيها. فالنتيجة توازن القوتين

وتسألني عن عداوة المانيا لانكلترا فاجيب اني عاشرت كثيرين من الانكليز وخصوصاً موظفي السفارات ولكنني لم ارَ واحداً منهم فهم هذه المسئلة حق فهمها. فانكم انتم الانكليز سكان جزيرة ومبالغون في العزلة بالطبع رغم انتشاركم في جميع جوانب

(١) اي الحكومة التي دوائرها مستقلة بعضها عن بعض

(٢) هذا ما ورد في المذكرة ولكنني لا ارى وجه صحتهِ بمعنى من المعاني

الارض . وعندكم انكم اذا كنتم غرضاً لشيء فانتم كلّ الغرض فلذلك تزعمون ان عداوة المانيا لكم هي الغرض الاسمى لسياسة الالمانية الحديثة . اما نحن الغسوبين فنعلم ان الامر ليس كذلك ولكن يظهر لي ان لا امل في اقناعكم بغير ما تعتقدون من هذا القبيل . وربما كان سبب عجزي عن ذلك صعوبة بسط هذه المسئلة المعقدة ولكن لا بأس ببسطها على قدر المستطاع

في سياسة المانيا الداخلية ثلاثة عناصر : عنصر النبلاء اصحاب الاملاك . وعنصر التجار واصحاب المعامل ورؤوس الاموال ومعظمهم يهود . وعنصر العمال وخصوصاً اهل المقاطعات الوسطى والغربية . وربّ سائل يسأل وما شأن ملوك البلاد الالمانية الاخرى غير بروسيا ونبلاء المانيا الجنوبية . اما عن الاول فاقول ان حرب سنة ١٨٦٦ أرت ملوك المانيا وامراءها منزلتهم . واما عن الثاني فاقول ان مطامح اعيان الجنوب في المانيا اجتماعية اكثر منها سياسية . وقد كان هواهم معنا منذ خمسين سنة او اقلّ اما الآن فتلوح لهم النمسا امبراطورية مضعضعة الحال مشرفة على الخراب فيميلون الى القوي عن الضعيف ويمكن حسبانهم بين مؤيدي اريكة هوهنزلرن وسياستها كالنبلاء ما دامت هذه السياسة تؤيد سيادة الطبقات العليا

اما من حيث علاقة النبلاء الالمان بكم فاقول انهم لا يرومون حكمكم كما تتصورون بل يرومون حكم المانيا ولا شأن لكم لديهم الاّ حيث تتهددون ذلك الحكم . تقول لي وما هي علاقة الحكم في المانيا بعداوة انكلترا . فاجيب انهُ يعسر عليك ان توضح مسئلة لرجل يجهلها ولاسيما اذا كان يعتقد انهُ يعلمها . خذ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ او سنة ١٨٧٠ تجد ان حركتها التجارية لم تكن قد بدأت وان تجارتها الاجنبية كانت حقيرة وهي فقيرة . لكن قابلية التقدم والارتقاء كانت هناك لان نظام التعليم متين مبنيٌّ على العقل ولا غنى لتقدم البلاد الفعلي عن اتحادها السياسي ليكون التاجر من اهلها اميناً على حقوقهِ التجارية في البلاد الاجنبية . وقد يعجب الانكليز الذين قرأُوا تاريخ المانيا قبل سنة ١٨٦٦ كيف ان ممالك المانيا واماراتها الجنوبية التي كانت حينئذٍ تمقت بروسيا والبروسيين اعطتها قيادها بعد سنة ١٨٧٠ ومشت في اثرها صاغرة . وبيان ذلك ان خوف بروسيا كان يملأ قلبها ثم تبدّل ذلك الخوف مصلحة . سلْ المانيًا من الجنوب كيف يرضى ان ينقاد الى بروسيا . فان كان من ورتمبرج مثلاً اجابك بما ملخصهُ : « انا من ورتمبرج . وكنت قبل سنة ١٨٧٠ اذا تاجرت مع بلد اجنبي وقام بيني

وبين احد من اهلهِ خلاف التجأت الى حكومة بلادي الصغيرة اما الآن فارى وراني امبراطورية المانيا برمتها وشتان بين الاثنتين »

اشرت في كلامي الى نظام التعليم في المانيا · واقول في شرحهِ ان الالماني يبني جميع اعمالهِ على مقتضى العقل والحاجة ويبالغ في ذلك كل المبالغة فيعطي العالِم تعليماً نظرياً والعامل تعليماً فنيًّا عمليًّا · اما انتم الانكليز فقد اخبرني اخي وكان من موظفي سفارتنا في لندن ان على رأس نظامكم التعليمي قوماً من الذين يذهبون مذاهب لا علاقة لها بحقائق هذه الحياة · فعندكم في طبقة العمال مادة بديعة للعمل ولكنكم تربون العامل تربية نظرية اكثر منها عملية وتكتفون بان تعطوا الذين يشتغلون بادمغتهم تعليماً فنيًّا صرفاً · والنتيجة ان تعليمكم النظري واطئ كثيراً في صفتهِ لان ٩٩ في المئة من الذين يعلّمونهُ لا طاقة لهم على التقدم فيهِ · فانهم يعلَّمون اموراً نظرية حيث يجب ان يعلَّموا اموراً فنية عملية · اما المانيا فان غاية النظام التعليمي فيها اعداد كل انسان لما خُلق لهُ وفطر عليهِ لتجني الامة اعظم نفع مستطاع منهُ · لكن علماءكم يحاولون ان يغرسوا في اذهان الكثيرين افكاراً وآراء لا يطيقها الأ اهل العقول الكبيرة · ولست اعلم نتيجة ذلك في بلادكم ولكني لا اظنها نتيجة صالحة ·

وقد كانت نتيجة التربية الفنية العملية في المانيا جعل العامل الالماني كفوءًا فعالاً الى حدّ يفوق المعتاد · وزاد كفاءتهُ ان اصحاب المعامل الالمانية استخدموا لاصلاح طرق العمل القديمة واختراع طرق جديدة رجالاً رُبّوا تربية عملية تامَّة فكانت النتيجة كما كان ينتظر · ولكن غاب عن الهيأة الحاكمة في المانيا قبل تدريب العامل على الاعمال ليخرج تامّ الكفاءة ان هذه الكفاءة هي في الغالب ام الطموح الى العلاء لا بنتهُ · فان العامل الالمانيّ اصبح ولا همّ لهُ الأ اصلاح حالتهِ الاقتصادية والمدنية والسياسية بين قومهِ فاستعان بالاشتراكية متخذاً اياها واسطة لبلوغ تلك الغاية · وقد يخيَّل اليَّ واليك ان الاشتراكية عبث ولهو باطل ولكن العامَّة من الامم تقبل كلّ مذهب سياسي سواءٌ كان اشتراكيًّا او غير اشتراكي بلا بحث ولا جدل بشرط ان ترى فيهِ سبيلاً الى اصلاح حالها · والحركة الاشتراكية في المانيا آخذة في الانتشار بسرعة وقد افضى انتشارها كما علمت الى خوف شديد في دوائر الحكومة · وليس هذا الخوف خوف حكومة ابوية تريد خير اولادها ومنعهم من السير في سبل تؤدي بهم الى البوار بل خوف طبقة حاكمة ترى سيادتها مهددة · وهذه الطبقة سادت سيادة حقيقية لا شبه لهُ في اوربا ما خلا روسيا

فهذا الامر في سياسة المانيا هو الذي جعل كثيرين من الانكليز ينظرون اليها بعين الشبهة والقلق اذا صحت اقوال صحفكم · وقد مضت سنين كثيرة ولا شغل للهيأة الحاكمة في المانيا الأ التغلُّب على هذه الحركة الجمهورية لاضعافها سياسياً ان لم نقل لسحقها · فرأى الامبراطور ان لا واسطة لذلك الأ ايجاد مصلحة مشتركة بين طبقات المانيا الثلاث لانهُ لا جامعة حبّ بينها · ولا ينتظر من الطبقة التجارية ومعظمها من اليهود ومصالحهم سائدة فيها ان يعطفوا على هيأة حاكمة تعاملهم بالامتهان من الوجهة الاجتماعية · ثم ان اهل الطبقة الدنيا يكرهون المتمولين من الطبقة الوسطى نظراً وعملاً والهيأة الحاكمة بعيدة عنهم فلا يرونها ولا يعرفونها الأ بواسطة اعوانها وآلاتها البوليس الملكي والجاويش العسكري · ولما كانوا لا يحبونهما فهم بالتالي لا يحبونها ايضاً

اما المسئلة التي سعت الهيأة الحاكمة في حلّها فهي كيف تسود الامة بواسطة الامة · ورأت ان انشاء مصلحة مشتركة تربط جميع الطبقات بعضها ببعض واسطة لازمة لبلوغ تلك الغاية · فمنذ قرن كان حلّ مسئلة مثل هذه سهلاً على اية هيأة حاكمة وذلك انها كانت تستطيع بجيش صغير اخماد كل حركة بين رعيتها ولكنها لا تستطيع مثل ذلك الآن فتوسلت الى ادراك مأربها بسياسة مبنية على امرين الخوف والجشع · فقامت قائمة صحف الحكومة غير مرة في السنين الاخيرة تنادي بان البلاد على شفا جرف هار · وانت تعلم وانا اعلم والحكومة نفسها تعلم ان هذا النداء كاذب اذ ليس في اوربا مملكة هدّدت المانيا منذ سنين كثيرة وليس فيها مملكة تهدّدها الآن · فاننا نحن النمسويين مرتبطون بل مقيدون معها بمحالفة وايطاليا معنا ويلوح لنا ان انكلترا مكتفية بمشاغلها وانهُ لا يجول في صدرها فكرة عدائية · اما فرنسا فآخذة في الانحطاط عسكريًّا وكثيرون من اهلها يريدون تناسي الاخذ بالثار · واما روسيا فلم تبدِ منذ زمان طويل ميلاً الى التوسع في الغرب وهي ليست الآن في مركز يمكنها من التحرش بدولة من الدرجة الاولى ولا يخشى ان تكون في ذلك المركز ولو بعد سنين كثيرة

والحكومة الالمانية تعلم كما نعلم نحن ان سلاح الدول الاخرى الذي تخوّف به شعبها ليس سلاح عداء بل سلاح دفاع من المانيا نفسها · ولو اقترحت المانيا تخفيض السلاح ما رأت دولة في اوربا الأ وتقبل اقتراحها جزلة مسرورة · ولكن جمهور الامة الالمانية ينكر هذه الحقائق لان الهيأة الحاكمة تكذبها · وتكذيبها اياها في مصلحتها · فلذلك ترى روح الحرب في المانيا باقياً حيث هو وترى الامة تلبي مطالب الجيش بلا تردد ولا امهال

على ان عامل الخوف هذا لا يؤثر في الطبقة التجارية الوسطى تأثيره في الطبقة الدنيا لان اهل الطبقة التجارية اسمى ادراكاً واكثر ضرباً في مناكب الارض واعرف بالبلاد الاجنبية وابعد عن تصديق كل ما يقال لهم . وهناك اسباب كثيرة تحملهم على القناعة بحالتهم الحاضرة فانهم يسيرون حثيثاً في سبيل التجارة العامة حتى سبقوا التجار الانكليز في كثير من الاسواق وقد جمعوا ثروة طائلة . وقناعتهم هذه جاءت عقبة في سبيل الحكومة فان فئة النبلاء من كبار المالكين يخافون من قيام ارستوقراطية تجارية خوفهم من قيام ديموقراطية اشتراكية ولاسيما ان الاولى اعسر انخداعاً من الثانية . لذلك بُذلت المساعي في السنين الاخيرة لاستجلاب فئة التجار الى جانب الحكومة فصادق الامبراطور بعض زعمائهم ورقاهم في الحياة الاجتماعية . وجعلت الصحف الرسمية تنشر المقالات مبينة لهم وجوب وجود جيش قوي واسطول قوي لتأييد التجارة ومساعدتها على ارتقائها . فوافقوا مبدئيًّا على هذه الفكرة ولكنهم خالفوا الحكومة في مدى تطبيقها بدعوى ان كل توسع فيها يفضي الى زيادة في الضرائب . ولم يقنعهم قول القائل انهُ كلما تقوت المانيا واشتدَّ ساعدها زحمت انكلترا امامها وحلّت محلّها لانهم كانوا يسابقون التجار الانكليز في اسواق انكلترا نفسها وفي مستعمراتها و يسبقونهم من غير وسيلة حربية

فلم ينتشل الحكومة الالمانية من هذه الورطة ولم يحلَّ لها هذه العقدة الاَّ انتم الانكليز. فقد قام نفر في انكلترا اخيراً يتحدثون بحماية التجارة (ضرب رسوم على الواردات الاجنبية) وبالتعريفة التفضيلية (تمييز واردات المستعمرات على غيرها) . ولست افهم تفصيلها تماماً ولا اظن الالمان يفهمونهُ . وانما اعلم انهم يفهمونهُ كما افهمهُ انا وخلاصتهُ ان تفرض تعريفة جمركية تنيل التاجر الانكليزي مزية عظيمة على غيره في جميع البقاع الخاضعة لانكلترا واسواقها وكثير ما هي . وفي ذلك خسارة مالية لالمانيا لا تقدر . وقد تقول لي ان الحماية وامثالها من الكلمات نداءٌ فارغ لن يعمل به ولن يتحقق . نعم ولكن من يضمن للتاجر الالماني عدم حدوث ذلك . فهذا ما حدا بالفئة التجارية في المانيا على الانضمام الى الحكومة وتأييدها في سياستها الحربية والبحرية . ولطالما حسدكم الالمان على ما يرون من اسباب الرفاه والرخاء في انكلترا لان الحسد خلق فيهم حتى ترى العامل منهم يحسد العامل الانكليز اعتقاداً بانهم احسن منهُ حالاً . وقد استخدمت الحكومة هذا الطبع لترويج فكرتها و بلوغ قصدها

وكلُّ مطلع على حقائق الحال لا يرتاب في عداء الامة الالمانية اجمالاً لانكلترا . ولكن

هذا العداء هو من عَمَل الحكومة في الاكثر · والحكومة تراقب المدارس والجامعات ولكن لا اعلم هل تعلم فيها بوجوب ذلك العداء · وانما اعلم ان بعض قومكم يعلمون هذه الحقائق تمام العلم ولكن بينكم رجالاً لا يصدقون الاَّ ما يقع تحت حسهم وما يطابق حدسهم· وهؤلاء ايسر انخداعاً من اجهل طبقات الامة · فانهم يظنون ان التعليم يأتي بثمار متشابهة في جميع العالم وان الالماني المتعلم كالانكليزي المتعلم في بساطة قلبهِ وصفاء طويتهِ وفاتهم ان الطبقة التي تحكم المانيا ليست الطبقة المتعلمة بمعنى هذه الكلمة الواسع بل طبقة ربيت ضمن حدود ضيقة معينة لا مجال للعواطف فيها

وليست معاداة انكلترا غاية للهيأة الحاكمة في المانيا بل واسطة لبلوغ غاية · فان هذه الهيأة تستعد لحرب عظيمة قد تكون انكلترا غرضها الاول وقد لا تكونهُ · ولكنها تمثل انكلترا للشعب الالماني معتدية على مصالح المانيا فيعذر الشعب حكومتهُ على ما تبدي من الاهبة في البرّ والبحر · وغاية الهيأة الحاكمة حرب عظيمة تدخلها المانيا بعد ان تستعد تمام الاستعداد لمحاربة فرنسا وروسيا مجتمعتين او لمحاربة انكلترا وحدها لانكم انتم الانكليز لم تدخلوا المحالفات الاوربية · وهذه الحرب تشهرها المانيا في الظاهر على دولة اجنبية واحدة او اكثر من واحدة ولكنها تكون في الواقع حرباً تشهرها الهيأة الحاكمة في المانيا على القوات والعوامل الداخلية التي تريد قلبها وثل عرشها

وبيان ذلك ان الهيأة الحاكمة تعتقد — واعتقادها صواب في ظني — بان المانيا تخرج من حرب مثل هذه منصورة وانتصارها يجعل العنصر الحربي صاحب الكلمة العليا في اوربا ويجعل الحكم العسكري امراً لا بد منهُ على الدوام في المانيا · ولا بد لالمانيا من مهاجمة دولة من الدول بعد سنوات قليلة · وعندي ان تلك الدولة لا تكون انكلترا لانها اذا حاربت انكلترا وصل الفريقان المتحاربان الى الحالة التي يبلغها الشاه في الشطرنج حيث لا يجد متقدَّماً ولا متأخراً فيقال انهُ مات · وبعبارة اخرى لا تستطيع دولة منهما ان تنال منالاً من الاخرى وتنتصر عليها انتصاراً فاصلاً في حين ان الهيأة الحاكمة في المانيا ترمي الى عمل فاصل · لذلك ارى ان المانيا تهاجم فرنسا وروسيا لانها تستطيع ان تنتصر عليهما انتصاراً يكون بهِ فصل الخطاب فان فرنسا منحطة عسكريًّا وروسيا مختلة · واذا هاجمتهما المانيا لزمت انكلترا الحياد

تسألني وما تأثير انتصار المانيا على فرنسا وروسيا في انكلترا فاجيب بان ذلك الانتصار يضمن سيادة الهيأة الحاكمة في المانيا سنين كثيرة وهذا ما ترمي اليهِ حقيقةً · ولكنني اعتقد

بان المانيا تعود فتهاجم انكلترا عاجلاً او آجلاً لان انتصارها يزيد قوة المطامع التي عاثت الحكومة ما عاثت لبثها وتمزيزها في صدور الطبقة التجارية · واذا قلت لي واية علاقة للنمسا وايطاليا بهذه السياسة · قلت لك اما ايطاليا فلا اعلم الشيء الكثير عن سياستها سوى انها حالفت المانيا وايانا لتحمي نفسها منّا ظنّاً منها ان النمسا ما نسيت اخذ مقاطعتي لمبارديا وفنيسيا منها ولا اغتفرتهُ · وما دامت تجد هذه الحماية في المحالفة فانها تبقى فيها

واما نحن فقد دخلنا المحالفة لاسباب شتّى اعظمها خوفنا من روسيا وهو خوف اثبتت الايام انهُ مبالغ فيهِ على ما يؤكد وفي غير محلهِ على ما يظن · ولكن مع هذا كلهِ لا يزال هناك خوف من وقوع المشاكل بيننا وبين روسيا في البلقان وخصوصاً بعد استيلائنا على البوسنه والهرسك · ومشهور انهُ منذ عقدت المحالفة الثلاثية اشتدّ حرج الحالة الداخلية في النمسا · اما مشاكل المانيا الداخلية فاجتماعية وعندنا نحن مشاكل من نوعها ولكن مشكلتنا الكبرى وطنية · فان مسئلة المجر ومسئلة السلاف من قومنا تعقدتا في السنين الاخيرة · وبوصف كوني نمسويًّا تراني اضطرب عند الاشارة الى المجر فان دأبهم التظلم من النمسا والحال اننا نخدمهم الشيء الكثير حتى عظم شأنهم في الامبراطورية عظمة لا تلائم عددهم · وبينا تسمعهم يتظلمون من معاملة النمسا لهم تراهم هم انفسهم يعاملون السلاف والرومان من رعيتهم معاملة موسومة بافظع الظلم · وهم يدَّعون انهم يمقتوننا ويشنأون الجرمان ويتبذون اللغة الجرمانية ولكنهم اهل جهل مطبق فانهم ينشدون استقلالاً لم يستطيعوا المحافظة عليهِ الاَّ بمساعدة روسيا ومعاونة السلاف من رعاياهم ومع ذلك لم يغتفروا لروسيا تصدّيها لهم سنة ١٨٤٩ وهم يعاملون السلاف في بلادهم بالامتهان والظلم · ولو اتحدوا معاً لأحرجوا موقف العنصر الجرماني في النمسا · والجرمان عندنا يجلون ذلك ويعتمدون علينا حتى في عمل ما لا يعود علينا بنفع كثير

بقي لي شيءٌ واحد قولهُ وهو انهُ اذا خرجت المانيا من حرب اوربية عظيمة والنصر حليفها فلا تسمح بان تقوم في بلدان اوربا قوة للشعب تحيي الآمال السياسية في صدور الطبقات الدنيا · وهذا الامر في طاقتها لان انتصارها يجعلها الآمرة الناهية في اوربا تمحو ما تشاء وتثبت ما تشاء » انتهى

ترجمنا هذا الحديث لاننا رأينا فيهِ تعليلاً لاستعداد المانيا الكبير لهذه الحرب · ومما يزيد قيمة هذا التعليل ان صاحبهُ جاهر بهِ قبل الحرب بنحو عشر سنوات وهو دليل على المعيتهِ وعلى ان الحكومة الالمانية تجري في اعمالها على اساليب محكمة ولو كانت غايتها مخالفة ·تقتضي احمران

السحر في الشعوذة

اذا رأينا رجلاً بلحيتهِ وشاربيهِ وقف على دكة وأُلقي عليهِ ستار غطاهُ وبعد لحظة رُفع الستار عنهُ فاذا هو امرأة ثم طُرح الستار على المرأة وبعد لحظة رفع عنها فعادت رجلاً . ودخل هذا الرجل صندوقاً واقفل واستلم احد الحضور مفتاحهُ ثم فتح ثانية فاذا فيهِ امرأة لا رجل واغلق عليها واقفل ثانية ثم فُتح فاذا هي قد عادت رجلاً — قلنا ان في الامر حيلة ولم يستحل الرجل امرأة ولا الامرأة رجلاً . وهذا يكون حكم اكثر العقلاء فانهم يكذبون عيونهم ويقولون ان الرجل أُبدل بامرأة ثم أُبدلت المرأة برجل بحيلة ما ولم يستحل الرجل امرأة ولا استحالت الامرأة رجلاً لان ذلك مخالف لاختبار الناس في كل العصور . وكل ما يحدث مناقضاً لاختبار الناس انما يحدث بحيلة من الحيل ومحدثهُ محتال او مشعوذ

واعمال المشعوذين كثيرة وهي في حد الغرابة عند الذين لا يعرفون اساليبها. والغالب ان تخفى هذه الاساليب على المشاهدين فيندهشوا من اعمال المشعوذين ويقول بعضهم انها حدثت بحيلة ما ويقول غيرهم انها حدثت بالسحر او بقوة تفوق القوى الطبيعيَّة المعروفة ويكون حكمهم عليها حسب درجتهم من العلم. فالذين استنارت عقولهم لا يرتابون في انها من طرق الشعوذة والبسطاء يحسبونها عملت بواسطة الجن والعفاريت والابالسة او بقوى تفوق الطبيعة . والمشعوذ الذي يكره الخداع يخبر مشاهدي اعمالهِ انهُ يعمل ما يعملهُ بخفة اليد وانهُ ليس ساحراً ولا مالكاً قوة غير طبيعيَّة . ومتى كسب ما يكفيهِ من صناعتهِ فالغالب انهُ يفشي الاساليب التي جرى عليها كما فعل المشعوذ الذي ذكرنا قصتهُ في مقتطف فبراير تحت عنوان هذه المقالة

ولكن قد يحدث ان يجلس اثنان في مشهد واحد على مقعد واحد ويرى احدهما المشعوذ واقفاً على الدكة امامهُ ويراهُ الآخر واقفاً في الهواء فوق الدكة . ورؤْية هذا الثاني لا تدلُّ على ان المشعوذ ارتفع في الهواء بحيلة بل على ان مَن رآهُ كذلك توهم توهُّماً انهُ ارتفع في الهواء وذلك من قبيل الاستهواء او النوم المغنطيسي. اي ان المشعوذ استهواهُ بكلامهِ او بحركاتهِ فغفل ونامت بعض حواسهِ المميزة فاعتقد ان المشعوذ ارتفع في الهواء كما يعتقد النائم مثلاً انهُ انتقل الى باريس او لندن او دمشق او بغداد او مكة وقابل هناك رجالاً ماتوا منذ مئات من السنين. فشعورهُ وهو نائم في القاهرة انهُ انتقل الى تلك المدن ورأى فيها اولئك الرجال لا يؤْخذ دليلاً على انهُ انتقل حقيقة ولا على ان الاموات قاموا من قبورهم

وقد وقفنا الآن على كلام لاحد المشعوذين وصف بهِ بعض ما رآهُ من اعمال رصفائهِ في الهند ومصر وبلدان اخرى ثم شرح طرقها فاقتطفنا منهُ ما يلي قال :

رأيت في بنارس مشعوذاً هنديا مدَّ لسانهُ وطلب من الحضور ان يفحصوهُ وبعد ذلك ادخل فيهِ مسماراً طويلاً حتى اشمأزَّ الحضور مما رأوا واقشعرَّت ابدانهم . وطريقة ذلك انهُ كان معهُ لسان من الكاوتشوك الاحمر مثل لسانهِ وكان هذا اللسان مخروقاً من وسطهِ فبعد ان ارى الحضور لسانهُ الحقيقي التفت قليلاً وفي تلك اللحظة ادخل لسان الكاوتشوك في فيهِ ثم ادخل المسمار فيهِ . وهذا التفسير على بساطتهِ لم يفطن لهُ الحضور ولذلك عرتهم الدهشة واقشعرَّت ابدانهم

واخذ هذا المشعوذ نواة من نوى ثمر المنجو واراها للحضور ثم طمرها في التراب وصبَّ عليها ماء فافرخت وجعل يزيد صب الماء وهي تزيد نموًّا . وحيلتهُ ان النواة التي طمرها في الارض هي غير النواة التي اراها للحضور وكان قد شقها ووضع فيها غصناً صغيراً من المنجو بعد ان انثنَ اوراقهُ بعضها على بعض واطبق فلقتيها والصقها بقليل من الطين فلما طمرها وصبَّ عليها الماء ارتخى الطين فانفتحت الفلقتان وخرج غصن المنجو من بينها وجعل المشعوذ يزيد عليهِ شيئاً من جيبهِ كلما انحنى فوقهُ ليسقيهُ

ورأيتُ مشعوذاً سنغاليًّا فتح جرابهُ وجعل يخرج الحصى منهُ ويلتهمها الواحدة بعد الاخرى حتى امتلأ جوفهُ منها وجعل يتمايل والحصى تنضُّ في جوفهِ . وهو انما وضع حصاة واحدة في فيهِ ولما وضع الحصاة الثانية فيهِ اخرج الاولى ومدَّ يدهُ الى جرابهِ واخرجها بالحصاة نفسها او بواحدة مثلها واستمرَّ على مثل ذلك الى ان رسخ في اذهان المشاهدين انهُ بلع ثلاثين حصاة ملأ جوفهُ بها فاقعنسس وجعل يمشي متبختراً واصوات الحصى تتلاطم في جوفهِ وهي انما تتلاطم في جرابهِ

ورأيت مشعوذاً استراليًّا من السكان الاصليين وهو يدعي انهُ طبيب ساحر فاخذني الى غدير على ضفتهِ نحو ١٥٠ جذعاً من جذوع شجر اليوكالبتوس واشار الى جذع منها وطلب مني ان امعن نظري فيهِ ثم ناداهُ وامرهُ بالانتقال فجعل ينتقل رويداً رويداً الى ان وصل الى الغدير وارتمى فيهِ ثم عاد ادراجهُ الى حيث كان

ولا شبهة ان ذلك الجذع كان مجوفاً ومربوطاً بخيطين طويلين من الياف بعض الزراجين التي تنمو هناك ويمسك بطرفي الخيطين رجلان مختبئان في المشيم فجراهُ بهما الى الغدير ثم اعاداهُ الى مكانهِ وهذا اهم اعمال ذلك الطبيب الساحر التي يدجل بها على عقول اتباعهِ

ووصف الكاتب اعمالاً اخرى من هذا القبيل رآها في الهند واليابان ومصر فلا داعي لذكرها وانما ذكر عملاً واحداً يظهر انهُ اغرب منها كلها وهو ما يسمَّى بركوب الحبل قال وقف المشعوذ في ساحة كبيرة ببلاد الهند وكان موقفهُ يبعد عن اقرب بيت اليهِ مئة يرد على الاقل ورمى حبلاً في الهواء فارتفع كانهُ قضيب وصعد ولد على هذا الحبل الى ان وصل الى طرفهِ الاعلى واختفى عن العيان ثم ظهر الى جانب المشعوذ · هذا ما قال الحضور انهم شاهدوهُ بعيونهم ولم يكن رمي الحبل اول الاعمال التي عملها المشعوذ بل عمل اعمالاً اخرى كثيرة قبلهُ ادهشتهم ثم اخرج الحبل من سلة وطلب منهم ان يفحصوهُ وقال لهم اني عازم ان افعل بهِ كذا وكذا ثم رماهُ وقال « انظروا اني رميت الحبل في الهواء وها هو قائم فيهِ وسيصعد الولد عليهِ انظروهُ صاعداً وها هو قد وصل الى اعلاهُ · وجعل يزعق وهو يأبى النزول لا ادري ما حلَّ بهِ لعنة الله عليهِ اختفى عن النظر » · ثم وقع الحبل على الارض وبعد قليل رفع ملاءة عن الارض واذا الولد تحتها

اما انا فرأيت المشعوذ يرمي الحبل فارتمى ثم وقع على الارض ولم ارَهُ انتصب في الهواء ولا رأيت ولداً صعد عليهِ فكيف رآهُ الحضور منتصباً ورأوا الولد صاعداً عليهِ · اني افسّر ذلك بالاستهواء اي ان المشعوذ استهواهم بافعالهِ السابقة وكلامهِ فذهلوا او ناموا لحظة من الزمان وصدقوا كلامهُ كما يفعل من ينام النوم المغنطيسي · انتهى

نقول وقد شاهدنا الذين ينامون النوم المغنطيسي تعطي الواحد منهم حجراً وتقول لهُ خذ هذه التفاحة وكُلها فيأخذها بيدهِ ويحاول اكلها · وتعطيهِ تفاحة حقيقية وتطلب منهُ ان يأكلها وحينما يضعها في فيهِ تقول لهُ هذه جمرة فيطرحها من يدهِ حالاً ويتململ كمن احترقت يدهُ وتمشي معهُ في غرفة وتقول لهُ وصلنا الى ترعة فيحاول عبورها حافياً او الوثوب من فوقها الى غير ذلك من الاعمال التي يعملها بانياً اياها على ما يسمعهُ منك لان قوة التمييز فيهِ تكون نائمة او غافلة

وارانا الدكتور شميل والمرحوم الدكتور نحاس امرأة كسيحة نوَّمها الدكتور نحاس النوم المغنطيسي وطلب منها ان تمشي فحاولت النهوض بكل جهدها ولما لم تستطع جعلت تثب على قدميها · وكرر تنويمها وامرها بالمشي حتى كادت تشفى من الكساح

وواضح من ذلك ان الاستهواء يجعل المرء يشعر حسبما يأمرهُ من يستهويهِ فاذا اضفنا الى ذلك ان كثيرين من الناس يُستهوَون او يذهلون لاقل سبب سهل علينا تفسير ما يقولهُ البعض من انهم شاهدوا اعمالاً خارقة لا تفسَّر بحيلة عملية ولا بوسيلة طبيعية

ملك الانكليز وامبراطور الالمان

كتبت كونتس ورك[1] مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية ضمنتها حقائق جمة عن الملك ادورد السابع المتوفى وعن الامبراطور ولهلم الحالي وعلاقة كلٍ منهما بسياسة اوربا فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي :

منذ ابتدأت هذه الحرب قرأت خلاصات كثيرة من الجرائد الالمانية ومن مقالات في الجرائد الاميركية باقلام الالمان مفادها ان الملك ادورد بذل كل جهده في ما يؤول الى القضاء على الامبراطورية الالمانية . وكنت احسب في اول الامر ان ما قرأته من هذا القبيل نفثة مصدور او مجازفات اناس يجهلون الحقيقة . ولكن لما رأيت ان ذلك تكرر مرة بعد اخرى خفت ان يرسخ في الاذهان كأنهُ حقيقة راهنة فجئت افنّدهُ بهذه السطور لاسيما واني تمتعتُ بثقة الملك ادورد قبل ارتقائهِ الى سدة الملك وبعدهُ وسمعت من فيهِ مراراً كثيرة ما يدل على حقيقة رأيهِ في المانيا والالمان فصار من اوجب الواجبات عليَّ ان اشهد بالحق الذي اعرفهُ دفعاً لهذهِ الاوهام الشديدة الضرر . ولو خطر ببالي انهُ يمكن ان تشاع الاشاعات التي احاول نقضها الآن لكتبت الاقوال التي سمعتها من الملك ادورد في اوقات مختلفة وانا احدثهُ في بعض الشؤون السياسية الهامَّة ولكن ذاكرتي والحمد لله قوية جداً واني لأجد فيها ما يمزق تلك الاوهام والاضاليل . وانا على ثقة تامَّة ان ما اقولهُ هو الحق الصراح الذي لا ريب فيهِ

ان من اقدم ما اتذكرهُ اني أُخذت مراراً وانا صغيرة الى السفارة الالمانية لزيارة الامبراطورة اوغسطا (جدة الامبراطور الحالي) وأُخذي اليها مراراً يدل على ان الامبراطورة اوغسطا زارت انكلترا غير مرة لشدَّة صداقتها للملكة فكتوريا . وكان كل احد يحترم الامبراطور ولهلم الاول ويحب بولي عهدهِ البرنس فردريك . ولمَّا اقترن هذا البرنس بابنة الملكة فكتوريا الكبرى وكان اخوها الملك ادورد[2] يعزها اكثر من سائر اخواتهِ اشتدت ربط الصداقة والحب بين البلاط الانكليزي والبلاط الالماني

وكانت الملكة فكتوريا تحب المانيا والالمان وتعبد حفيدها (الامبراطور ولهلم الحالي) وتعتقد انهُ معصوم عن الخطإ ولكن الملكة الكسندرا زوجة الملك ادورد دنماركية

---

(1) Countess of Warwick

(2) سألقبهُ بالملك ادورد دائماً ولو قبلما صار ملكاً

فكانت تكره المانيا لانها لم تنسَ ما فعلتهُ بالدنمارك اذ سلبت منها ولاية شلسويك هولشتين وكذلك كانت اختها امبراطورة روسيا ولكنني لم اسمع قط انهما اشتركتا في دسيسة ما ضد المانيا

وكبر البرنس ولهلم وبلغ سن الرشد ولا احد يحسب لهُ حساباً من حيث السياسة لان اباهُ كان يملأ العين مهابةً والنفوس اعجاباً واما هو فغاية ما في الامر انهُ كان حفيد الملكة فكتوريا المحبوب منها ولم يخطر على بال احد انهُ يجلس على عرش الملك قبلما يصير كهلاً لان مرض ابيهِ لم يكن في الحسبان

ولكن ان لم يكن في البلاط الانكليزي شيءٌ من العداوة لالمانيا فلم يكن البلاط الالماني خالياً من العداوة لانكلترا لان وجود امرأة انكليزية في البلاط الالماني ينتظر ان تصير امبراطورة المانيا لم يكن مما يرضى بهِ الالمان لاسيما وانهم كانوا يعتقدون ان تزويجها لولي عهد المانيا كان الغرض منهُ ان تصير المانيا تابعة لانكلترا . وزاد قلق الالمان لما توفي الامبراطور ولهلم الاول . ثم لما توفي ابنهُ الامبراطور فردريك بعد بضعة اشهر كان كره الالمان للانكليز قد بلغ اشدهُ وسرى سمهُ الى ذهن الامبراطور الشاب حتى اقصاهُ عن امهِ فلم يبرَّ بها بل اساء اليها . فشكت امرها الى اخيها وكان لا يزال ولي العهد وكانت اعز اخواتهِ عليهِ كما تقدم فاغتاظ من ذلك وجاهر بما في نفسهِ من الغيظ . ولم تكن الملاقات على ما يرام بينهُ وبين ابن اختهِ للسبب التالي

لما شبَّ الملك ادورد وتزوج ودَّ ان يلتفت الى امور الملك ويشارك امهُ فيها فجعل يتعلَّم ويعاشر رجال السياسة قاصداً ان يشتغل معهم لكن امهُ ابت عليهِ ذلك ولم ترضَ ان يدخل مجالس مشيريها وامرت وزراءها ان لا يطلعوهُ على شيءٍ من اوراق المملكة عازمةً ان تبقى السلطة في يدها وحدها . ولا بدَّ من انها خسرت بذلك خسارة كبيرة لان الملك ادورد كان شديد الفراسة كانهُ من الشعب السامي[1] . كان المعياً قوي البداهة حاضر الذهن انيس المحضر على غاية الظرف والادب وكان الواجب ان تستفيد البلاد من هذه المناقب . ولكن الملكة فكتوريا لم ترَ ذلك فاضطر ان يشغل نفسهُ بما يرفع مقام الانكليز بين اهل الاذواق فزاد ابتهاج الناس بهِ والتفافهم عليهِ حتى خُيّل للناظر انهُ سيكون لهُ شأن عظيم في السياسة حينما تلقى اليهِ مقاليدها

اما الامبراطور ولهلم فكان عريّاً من كل هذه الصفات التي امتاز بها خالهُ . كان كثير الاشتغال شديد الحرص كثير التبرُّم قليل التسامح شديد التقلُّب كأنهُ وخالهُ على طرفي

(١) اي العرب والسوريين والاسرائيليين

نقيض . وكثر حديث الناس بهذه الامور فاغتاظ منها وحقد على خالهِ لانهُ رآهُ حائزاً على اعجاب الناس واحترامهم عفواً من غير تعمُّل

وهناك سبب آخر وهو ان الامبراطور ولهلم كان في معيشتهِ وسيرتهِ ضيقاً متعصباً واما خالهُ فكان واسعاً سموحاً يسابق و يصطاد و يلعب و يزور و يزار و يختار الاصدقاء من كل الطبقات . وقد هفا هفوات كثيرة رغماً عمَّا امتاز بهِ من الفراسة والذكاء فتسلح ابن اختهِ بها للانتقاد عليهِ باقوال قالها علانيةً وكان السعاة يأتون خالهُ بهذه الاقوال مصقولةً مكبَّرةً

قلت ان الملك ادورد كان على جانب عظيم من كرم الاخلاق ولكنهُ هفا هفوات كثيرة من ذلك مصادقتهُ للبارون هرش فان هذا البارون كان رجلاً ظريفاً وزوجتهُ من فضليات النساء وهي من اعز اصدقائي ولكنهُ كان يستسهل كل صعب في سبيل الكسب فجمع ثروة طائلة بطرق محلَّلة وغير محلَّلة مما يطول شرحهُ ومع ذلك كانت لهُ مبرات تستحق المدح . وكان الملك ادورد ينظر اليهِ من هذا الوجه ولعلهُ خدم الملك ادورد في بعض الشؤُون وهو لا ينسى احداً خدمهُ في امرٍ مهما كان ولا كان ينسى صديقاً . اما المانيا فازدرت البارون هرش والنمسا اغتاظت منهُ لانها تقيس الانسان بنسبهِ لا بحسبهِ واذا جمع مال قارون باشرف الطرق واحلّها بقي في عينيها احط من ذي النسب العالي ولو كان من الحمقى المفاليس . لكن الملك ادورد هزأ بغيظ فينا وازدراء برلين وقال لاحد معارفهِ اني لا انيط اختيار اصدقائي بهاتين العاصمتين . واثبت ذلك بانهُ قبل دعوة البارون هرش ليذهب و يصطاد في املاكهِ الواسعة في ايشرن (بالنمسا) فذهب ولكنهُ لم يجد هناك من المدعوين غير الانكليز كأَن الالمان والنمسويين لم يلبُّوا الدعوة ان كانوا قد دُعوا . ثم زار البارون هرش في باريس . ولعلهُ لم يكن من الصواب مقاومة العادات المألوفة ولكن الانكليز لم يكونوا في وقت من الاوقات مقيدين بالعادات كاهالي فينا و برلين . والغالب اننا نقبل دعوة كل من يدعونا اذا كان ذا ثروة كافية للانفاق علينا

اما الامبراطور ولهلم فاغتاظ من خالهِ لانهُ خالط غنيًّا عصاميًّا واغتاظ منهُ ايضاً لانهُ مضى الى همبرج واقام طويلاً مع اختهِ الامبراطورة في قصرها هناك وكانت هي قد جعلتهُ مشكي ضيمها منذ صغرها لان امها كانت تتعصَّب عليها وتتحزب لحفيدها وتقرّع ولي عهدها بهِ كأَنها تقول لهُ انظر الى فضائل ابن اختك فهي المناقب التي يجب ان يتحلَّى بها الرجال . و يقضي عليَّ الانصاف ان اقول ان الامبراطور ولهلم كان يحب جدتهُ جدًّا وقد حزن عليها حزنًا شديداً و يا حبذا لو احبَّ والدتهُ كذلك

وكان ذهاب الملك ادورد الى همبرج قذًى في عيني ابن اخته كما تقدم ثم لما ذهب الى مرينباد في النمسا بدلاً من الذهاب الى همبرج في المانيا زاد القلق في برلين لان ساسة الالمان كانوا يعرفون مقدرتهُ على اجتذاب القلوب نخافوا ان يفصم عرى المحالفة الثلاثية . وكان يحبُّ النمسويين ويعجب بذكائهم واخلاقهم واذواقهم ومهارتهم في الصيد والتنس ونحو ذلك من الصفات التي كانت تروق لهُ وكان يحسب كثيرين من النمسويين بين اخص اصدقائهِ ومنهم الامبراطورة والكونت منسدرف ويت بثياني وبيت لاريش وغيرهم . ولا ازال اتذكر قولهُ لي ان ليس في الدنيا الطف من النمسويين . ولكن قلق الامبراطور ولحلم لم يكن في محلهِ لان خالهُ لم يكلم احداً حينئذٍ في المسائل السياسية

يظهر مما تقدم ان الخلاف بين الامبراطور وخالهِ لم يكن الاَّ من قبيل الاختلافات العائلية . وقد سمعت الملك يتكلم بغيظ عن ابن اختهِ لانهُ لم يحسن معاملة امهِ لا لسبب آخر . وقال غير مرة ان ابن اختهِ كان مصاباً بداء حب المبالغة ولم يتعلم ان يلجم لسانهُ . ولكنني لا اتذكر مطلقاً اني سمعت منهُ شيئاً يدلُّ على انهُ كان يقصد الشر لالمانيا او يريد بها ضرًّا وغاية ما في الامر انهُ كان يقول ان الالمان ثقلاء

وكان سفراء روسيا وفرنسا من الذين يترددون على قصرهِ واما سفراء المانيا فلا ولا يستثنى من ذلك الاَّ البرنس هتزفيلد . ومن المحتمل ان كراهة الملكة الكسندرا لتصرُّف الالمان مع شعبها جعلت سفراءهم يقللون التردُّد الى قصرها وزيارات الامبراطور الاولى لانكلترا لم تبقِ في ذهني اثراً مخصوصاً نعم اني اتذكر اني رقصت تجاههُ في قصر بكنهام في رقصة الكوادبل وتعشيت معهُ في وليمة اولمت لهُ وكان يظهر الصداقة بنوع خاص لنساء جماعة اليخوت الملكية

وقد كان الملك ادورد منصفاً في كل ما ينتقد بهِ غيرهُ حتى انهُ لما كان يتكلم على ما بين اختهِ وابنها من الخلاف كان يلقي اللوم على ما بينهما من اختلاف الطباع والمشارب . وكان يُعجب بالامبراطورة زوجة ابن اختهِ كما يعجب بها كل من عرفها وعرف اعمالها الفاضلة وحب شعبها لها واحترامهم اياها

ولما توفيت الملكة فكتوريا تحسنت العلاقات كثيراً بين الامبراطور وخالهِ فانهُ جاء الى انكلترا لحضور الجنازة وتصرَّف احسن تصرُّف ولحظ ذلك كل اهل البلاط . وتكلم معي الملك ادورد في هذا الشأن مظهراً سرورهُ . والظاهر ان ما ابدتهُ فرنسا من الغيظ منا وقت حرب البوير قرَّب الالمان الينا . واتذكر اني كنت خارجة من تياترو في باريس ذات

ليلة مع لورد روزبري فحيّانا الناس بقولهم ليحيَ البوير ويسقط تشمبرلين . وصوَّرت الملكة فكتوريا بصورة هزلية قبيحة فهنأ دوق دورليان الرجل الذي صورها كذلك . وكان الملك ادورد يخالف امهُ في امور كثيرة وكثيراً ما حدثني في مواضيع الخلاف بينهُ وبينها ولكن احترامهُ لها لم ينقص ذرةً فلم يصفح عن دوق دورليان بعد ذلك وقد حاول الدوق ان يعتذر اليهِ ويصطلح معهُ فاغضى عنهُ

ثم ان التلغراف الذي ارسلهُ الامبراطور ولهلم الى كروجر قبلما شبت حرب البوير كان لهُ اثر سيّء جدًّا ولكن الامبراطور عاد بعد ذلك فلزم الصمت فازال الغيظ من نفس خالهِ . ثم تحسنت العلاقات بينهُ وبين خالهِ بعد موت الملكة فقلّ الانتقاد او صار يلزم جانب الحكمة في انتقادهِ وعاد الى الصفاء التام بعد ما حاول احد الفوضويين اغتيال الملك فانهُ اسرع الى حدود بلادهِ ولاقاهُ وهنأهُ بالسلامة . وكتب اليَّ الملك بعد رجوعهِ يشكرني لاني ارسلت اليهِ تلغرافاً اهنئهُ بهِ واخبرني في كتابهِ ان الامبراطور جاء من برلين الى التونا لكي يسأل عن صحتهِ ثم قال انهُ يحسب ذلك لطفاً منهُ

واتذكر ان زيارات الامبراطور لانكلترا صارت بعد ذلك تقابل بالرضاء التام وقد قال لي الملك لما كان الامبراطور نازلاً في هايكلير التماساً للصحة انهُ صار غاية في الظرف وحسن المسايرة وزال منهُ ما كان يرى فيهِ قبلاً من القلق وسرعة الانفعال . وكانت العلاقات على اتم المودة بين الملك جورج وزوجتهِ الملكة وبين الامبراطور ولهلم ولما ذهب الملك جورج وامهُ الملكة الكسندرا الى برلين زائرين سرا جدًّا بزيارتهما كما اخبراني

ورب قائل يقول اذا كان الامر كذلك فكيف نعلّل الاتفاق بين انكلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ واجتماع الملك ادورد وقيصر روسيا في ريفال حيث وُضع اساس الاتفاق الحبي بين انكلترا وروسيا . فان الالمان يعتقدون ان الغرض من ذلك كان الاتفاق على المانيا وهذا يثبت عداء الملك ادورد لها . اما الملك ادورد فانهُ جرى في الامرين على رغبة وزرائهِ كما يجب على كل ملك دستوري . وقد سألتهُ بعد اجتماع ريفال عن رأيهِ في الحالة السياسيَّة واتذكر انهُ قال لي ما نصهُ « ان المانيا تناظرنا في التجارة والالمان من اقدر الناس في ادارة الاعمال واذا زاد غناهم وقام فيهم ساسة مغرمون بالاقدام على كبائر الامور فقد تتحوَّل هذه المناظرة الى مزاحمة ومخاصمة ولكنني ارجو ان الاتفاق الفرنسوي والاجتماع في ريفال يمنعان حصول ذلك . ولم يحدث حتى الآن شيء يمنع الاتفاق بين لندن وبرلين وعندي ان كل العقلاء يودون السلم ونحن لا نرى سبباً يدعونا لمخاصمة المانيا او غيرها من الدول »

وقد استاء الملك ادورد مما حدث لمسيو دلكاسه بعد موتمر الجزيرة لانهُ كان يحسب ان الاتفاق مع فرنسا من اقوى دعائم السلم وكان يعجب بالمانيا كما كان يحب فرنسا ثم كان يعجب بتدقيق الالمان في اعمالهم وبعدهم عن السخائف في افكارهم وافعالهم

وزارني مرة قبل وفاتهِ بثلاثة اشهر أتى لتناول الشاي عندي وتكلم عن الادارة الالمانية فقال « لو كانت بلادنا تدار كما تدار المانيا لاستفدنا فائدة كبيرة . و ياحبذا لو حكمنا الالمان المدة الكافية لاصلاح ادارتنا » قال ذلك وصمت قليلاً ثم قال وهو يضحك « ولكن المصيبة انهم اذا اتوا ليحكمونا تعذَّر علينا الخلاص منهم » وهذا آخر حديث جرى لي معهُ لاني لم ارهُ بعد ذلك . وكلامهُ هذا يدل على انهُ لم يكن يضمر العداء لالمانيا بوجه من الوجوه

ان العمر الطويل الذي عاشهُ الملك ادورد والاختبار الواسع الذي لم يفقهُ فيهِ احد من معاصريهِ جعلاهُ فيلسوفاً في المراقبة والملاحظة ولم يكن يدَع اميالهُ الشخصيَّة تحول بينهُ وبين ما يُطلَب منهُ كملك . ولكن ان كانت آراءهُ الشخصيَّة قد اثَّرت في سياستهِ فلا يكون ذلك ضد المانيا كما يظهر من كل ما سمعتهُ منهُ عنها . وانتقادهُ عليها الذي اتذكر اني سمعتهُ منهُ قد ذكرتهُ كلهُ هنا فانهُ كان يحبُّ اصدقاءهُ الفرنسويين والنمسويين ويحترم معارفهُ الالمان . وكان ابنهُ المتوفَّى دوق كلرنس مثلهُ من هذا القبيل . ثم انهُ كان يكره الحرب وكل اسبابها ويحسب ان الرجال الذين يرغبون فيها مختلو الشعور يجب ان يوضعوا في بيمارستان المجانين . وكان يعجب باساليب العمران ويرى في الحرب قوة عمياء تقوّض دعائمهُ وتترك العالم خراباً . وكانت همتهُ موجهة الى اصلاح شأن العامة واستثقل زخارف الملك لما حرمتهُ من المجاهرة بآرائهِ مع ان اصغر واحد من رعاياهُ لا يحرَم منها . وجعل شغلهُ الشاغل ان يعرف كيف حلَّت المانيا مشكلة العمال الذين لا عمل لهم من حيث انشاء المنازل لسكناهم وادارة المعامل التي يعملون فيها . وكثيراً ما تكلَّم عن نجاح المانيا من هذا الوجه وكان يتكلَّم عنها معجباً بها لا ناقماً عليها ولا راغباً في اذلالها . واني واثقة تمام الثقة انهُ لو بقي الى سنة ١٩١٤ ما نشبت هذه الحرب لان نفوذهُ الشخصي كان كافياً لترجيح السلم على الحرب وللتوفيق بين المصالح المتضادة ولو في الساعة الاخيرة لانهُ كان مكرَّماً محترماً لدى كل ملوك اوربا وحكامها وما منهم مَن لا ينقاد لرأيهِ . وما الذين يزعمون زوراً وبهتاناً انهُ هيأ السبل لقتل افضل الرجال وانجبهم الأ نمَّامون ينم زعمهم على جهلهم المطبق

العلم في العام الماضي

كان العام الماضي عام حرب لا عام علم لان ممالك اوربا الكبرى التي يشتغل علماؤها بالعلم وهي انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا والنمسا كانت كلها مشتبكة بالحرب وعلماؤها مع الجيوش في ميادين القتال او في معامل الذخيرة يرشدون العمال في عمل آلات الهلاك فلم يتفرغ للمباحث العلمية الاَّ بعض علماء الولايات المتحدة الاميركية

وقد وقع في العام الماضي كسوفان حاقيان الاول في ١٣ و ١٤ فبراير شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي والاوقيانوس الهندي واستراليا والثاني في ١٠ اغسطس شوهد في الاوقيانوس الباسيفيكي ايضاً ولم يعنَ احد بالذهاب لرصدهما على ما يظهر. واكتُشفت خمسة من ذوات الاذناب واحد منها اكتشف في راس الرجاء الصالح في اوائل دسمبر الماضي وهو آخرها واثنان اكتشفا في مرصد وسكنسن بالولايات المتحدة وواحد في بلاد الارجنتين وواحد في همبرج وهو مذنب ونكي المعروف من قبلُ. وقويت الادلة على وجود سيَّار ابعد من نبتون ويحتمل ان يرى هذا الشتاء في برج الرامي او برج العقرب

واكتشفت اكتشافات في مرصد مونت ولسن باميركا يستدلُّ منها على ان بُعد النجوم يمكن ان يُعلَم من مقدار اشراقها ومن ظهور بعض الخطوط في طيفها فاذا ثبت ذلك كان من اهم مكتشفات العصر

وكان مرصد كندا قد اوصى في بلجكا بعمل مرآة مقعرة قطرها ٧٢ بوصة للنظارة الكبيرة العاكسة التي يراد عملها ونصبها في كندا فسبك زجاجها وأُرسل من مدينة انفرس قبل شبوب الحرب باسبوع ولم تُبطل الحرب عمل هذه النظارة فتكاد تتم الآن وستكون الثانية في الدنيا. والاولى نظارة مرصد مونت ولسن في الولايات المتحدة التي قطر مرآتها ١٠٠ بوصة لكن نظارة مونت ولسن هذه لم يتم نصبها حتى الآن لان المعمل الذي يصنع بعض ادوات الفولاذ الكبيرة اللازمة لنصبها شغل عنها بما طلبتهُ منهُ وزارة البحرية. فوصل تأثير الحرب الى علم الفلك في اميركا. وينتظر ان تصوَّر بهذه النظارة صور فوتوغرافية للسماء يظهر فيها مئة مليون نجم من النجوم التي لا ترى الآن بالنظارات المعروفة لبعدها الشاسع

واهم ما حدث مما يتعلق بالعلوم الطبيعية نقل الاشارات بالتلغراف اللاسلكي ٩٠٠٠

ميل ونقل الكلام بالتلفون اللاسلكي ٤٩٠٠ ميل . واستخدام الميكروفون لاكتشاف مواقع الطيارات اذا كانت لا ترى بالعين وكذلك لمعرفة اماكن الغواصات في قلب البحر. واستخدام المغنطيس لاستخراج شظايا القنابل من الجروح . والمصابيح الكهربائية لتعجيل شفاء الجرحى وكهربة الاسلاك التي تستعمل سياجاً حول المعسكرات حتى صار يتعذر مسكها . واتقنت العين الصناعية اي الآلة التي توضع فيها بطرية من معدن السلينيوم فيضعها الاعمى على الحروف المطبوعة ويوصلها باذنيهِ فيستطيع القراءة بواسطتها . وترى تفصيل هذه العين في مقتطف اكتوبر الماضي . واكتشف بعضهم طريقة لتقوية قضيب الصاعقة على جذب الكهربائية ووقاية المباني وذلك بان يضاف الى رأس حربتهِ قليل من بروميد الراديوم فتصير من اشد الموصلات للكهربائية . وكثر التلقيح الواقي من التيفويد . واكتشف بعض علماء الالمان طريقة لعمل العلف من السكر ومركبات الامونيا فتصير منها مادة آلية مغذية تستعمل علفاً للمواشي

واستخرج الاستاذ جون ابل مادة من العلق (الدود) تضاف الى الدم فيبقى سائلاً ولا يتخثر فاذا فُصد المريض وجمع دمهُ واضيفت هذه المادة اليهِ حتى لا يجمد ثم نزع مصلهُ وابدل بمذوب ملحي واعيد الى الوريد الذي خرج منهُ قلت المواد السامة في الدم او زالت فتنتج كل فوائد الفصد من غير ان يقل الدم

وكثر الاهتمام بتحليل الغازات السامة وتوليدها وتركيب المواد الشديدة الانفجار لحشو القنابل بها اي استخدم العلم للفتك بالناس ولكنهُ استعمل ايضاً في علاج المرضى وشفاء الجرحى فقلَّت الامراض بين الجنود وقلَّت وفياتهم بها وزاد التئام الجروح وشفاء الجرحى

وحدثت زلزلة عنيفة في ايطاليا في ١٣ يناير كانت ضيقة النطاق ولكنها شديدة الفعل جداً فقتلت ٢٥٠٠٠ نفس

وتوفي في العام الماضي الاستاذ لفلر الالماني مكتشف مكروب الدفثيريا والاستاذ جمس غيكي الجيولوجي الانكليزي والاستاذ ارلخ الالماني مكتشف علاج الداء الزهري والاستاذ جمس مري الانكليزي مؤلف اوسع القواميس في اللغة الانكليزية والاستاذ بوشار الفرنسوي استاذ الباثولوجيا في جامعة باريس والاستاذ باستيان البيولوجي الانكليزي والاستاذ ملدولا الاسرائيلي الطبيعي الكيماوي والمستر بوكر وشنطون من زنوج اميركا واكبر مصلحي حال الزنوج فيها

ابن بطوطه وبلاد السودان

(تابع ما قبلهُ)

وحضرت مجلس السلطان في بعض الايام فاتى احد فقهائهم وكان قدم من بلاد بعيدة وقام بين يدي السلطان وتكلم كلاماً كثيراً فقام القاضي فصدقهُ ثم صدقهما السلطان وكان الى جانبي رجل من البيضان فقال لي اتعرف ما قالوهُ فقلت لا فقال ان الفقيه اخبر ان الجراد وقع ببلادهم فخرج احد صلحائهم الى موضع الجراد فهالهُ امرها فقال هذا جراد كثير فاجابت جرادة منها وقالت ان البلاد التي يكثر فيها الظلم يبعثنا الله لفساد زرعها · فصدقهُ القاضي والسلطان وقال السلطان عند ذلك للامراء اني بريء من الظلم ومن ظلمَ منكم عاقبتهُ ومَن علم بظلم ولم يعلمني بهِ فذنوب ذلك الظالم في عنقهِ والله حسيبهُ وسائلهُ · ولما قال هذا الكلام وضع الفراريّة عمائمهم على رؤوسهم وتبرأُوا من الظلم

وحضرت الجمعة يوماً فقام احد التجار من طلبة مسّوفة ويسمَّى بابي حفص فقال يا اهل المسجد اشهدكم ان منسى سليمان في دعوتي الى رسول الله صلَّى الله عليهِ وسلم · فلما قال ذلك خرج اليهِ رجال من مقصورة السلطان فقالوا لهُ من ظلمك مَن اخذ لك شيئاً · فقال ما معناهُ ان مشرف ايوالاتن اخذ مني ما قيمتهُ ستمائة مثقال واراد ان يعطيني في مقابلتهِ مائة مثقال خاصةً · فبعث السلطان عنهُ للحين فحضر بعد ايام وصرفهما الى القاضي فثبت للتاجر حقهُ فاخذهُ وبعد ذلك عزل المشرف عن عملهِ

واتفق في ايام اقامتي بمالي ان السلطان غضب على زوجتهِ الكبرى بنت عمهِ المدعوة قاسا ومعنى قاسا عندهم الملكة وهي شريكتهُ في الملك على عادة السودان ويذكر اسمها مع اسمهِ على المنبر وسجنها عند بعض الفراريّة وولّى في مكانها زوجتهُ الاخرى بنجو ولم تكن من بنات الملوك · فاكثر الناس الكلام في ذلك وانكروا فعلهُ · ودخل بنات عمهِ على بنجو يهنئنها بالمملكة ولم يتربنَ[1] ثم ان السلطان سرَّح قاسا من ثقافها فدخل عليها بنات عمهِ يهنئنها بالسراح وتربنَ على العادة فشكت بنجو الى السلطان بذلك فغضب على بنات عمهِ فخفن منهُ واستجرن بالجامع فعفا عنهنَّ واستدعاهنَّ · وعادتهنَّ اذا دخلنَ على السلطان ان يتجردنَ من

(١) التتريب رمي التراب على الراس قال ابن بطوطه في مكان آخر ان اهالي السودان كانوا يفعلونهُ احتراماً لملوكهم وعظمائهم

ثيابهنَّ و يدخلنَ عرايا ففعلنَ ذلك ورضي عنهنَّ وصرن يأتين باب السلطان غدوّاً وعشياً مدة سبعة ايام وكذلك يفعل كل مَن عفا عنهُ السلطان . وصارت قاسا تركب كل يوم في جواريها وعبيدها وعلى رؤوسهم التراب وتقف عند المشور متنقبةً لا يرى وجهها . واكثر الامراء الكلام في شأنها فجمعهم السلطان في المشور وقال لهم دوغا على لسانهِ انكم قد اكثرتم الكلام في امر قاسا وانها اذنبت ذنباً كبيراً . ثم أُتي بجارية من جواريها مقيدة مغلولة فقيل لها تكلمي بما عندكِ فاخبرت ان قاسا بعثتها الى جاطل ابن عم السلطان الهارب عنهُ الى كنبرني واستدعتهُ ليخلع السلطان عن ملكهِ وقالت لهُ انا وجميع العساكر طوع امرك . فلما سمع الامراء ذلك قالوا ان هذا ذنب كبير وهي تستحق القتل عليهِ . فخافت قاسا من ذلك واستجارت بدار الخطيب . وعادتهم ان يستجيروا بالمسجد وان لم يتمكنوا فبدار الخطيب

ولم يذكر ابن بطوطة ما جرى لهذه الملكة بعد ذلك لكنهُ قال ان السودان كانوا يكرهون منسى سليمان لبخلهِ وذكر قصة عن كرم سلَف سلفهِ ثم استطرد الى ذكر ما استحسنهُ من افعال السودان وما استقبحهُ منها فقال

من افعالهم الحسنة قلة الظلم فهم ابعد الناس عنهُ وسلطانهم لا يسامح احداً في شيء منهُ ومنها شمول الامن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا غاصب . ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كان القناطير المقنطرة انما يتركونهُ بيد ثقة من البيضان حتى يأخذهُ مستحقهُ . ومنها مواظبتهم للصلوات والتزامهم لها في الجماعات وضربهم اولادهم عليها واذا كان يوم الجمعة ولم يبكر الانسان الى المسجد لم يجد اين يصلي لكثرة الزحام . ومن عادتهم ان يبعث كل انسان غلامهُ بسجادة فيبسطها لهُ بموضع يستحقهُ بها حتى يذهب الى المسجد . وسجاداتهم من سعف شجر يشبه النخل ولا ثمر لهُ . ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لاحدهم الاَّ قميص خلق غسلهُ ونظفهُ وشهد بهِ الجمعة . ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لاولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظهِ فلا تفك عنهم حتى يحفظوهُ

ومن مساوىء افعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرنَ للناس عرايا باديات العورات . ولقد كنت ارى في رمضان كثيراً منهنَّ على تلك الصورة فان عادة الفراربة ان يفطروا بدار السلطان و يأتي كل واحد منهم بطعامهِ تحملهُ العشرون فما فوقهنَّ من جوارهِ وهنَّ عرايا . ومنها دخول النساء على السلطان عرايا غير مستترات وتعري بناتهِ ولقد رأيت في ليلة سبع وعشرين من رمضان نحو مائة جارية خرجن بالطعام من قصره

عرايا ومعهنَّ بنتان لهُ ناهدان ليس عليهما ستر . ومنها جعلهم التراب والرماد على رؤُوسهم تأدّباً . ومنها ان كثيراً منهم يأكلون الجيف والكلاب والحمير

وكان دخولي الى مالي في الرابع عشر لجمادي الاولى سنة ثلاث وخمسين (وسبعمائة) وخروجي عنها في الثاني والعشرين لمحرَّم سنة اربع وخمسين (وسبعمائة) ورافقني تاجر يعرف بابي بكر بن يعقوب وقصدنا طريق ميمة وكان لي جمل اركبهُ لان الخيل غالية الاثمان يساوي احدها مائة مثقال فوصلنا الى خليج كبير يخرج من النيل (النيجر) لا يجاز الاَّ في المراكب وذلك الموضع كثير البعوض فلا يمرُّ احد بهِ الاَّ بالليل ووصلنا الخليج ثلث الليل والليل مقمر

ولما وصلنا الخليج رأيت على ضفتهِ ست عشرة دابَّة ضخمة الخلقة فعجبت منها وظننتها فِيَلَةً لكثرتها هناك ثم اني رأيتها دخلت في النهر فقلت لابي بكر بن يعقوب ما هذه الدواب فقال هي خيل البحر خَرجت ترعى في البر . وهي اغلظ من الخيل ولها اعراف واذناب ورؤُوسها كرؤُوس الخيل وارجلها كارجل الفيلة . ورأيت هذه الخيل مرةً اخرى لما ركبنا النيل (النيجر) من تنبكتو الى كَوْكَو (غوى) وهي تعوم في الماء وترفع رؤُوسها وتنفخ وخاف منها اهل المركب فقربوا من البر لئلاَّ تغرقهم . ولهم حيلة في صيدها حسنة وذلك ان لهم رماحاً مثقوبة قد جُعل في ثقبها شرائط وثيقة فيضربون الفرس منها فان صادفت الضربة رجلهُ او عنقهُ نفذتهُ وجذبوهُ بالحبل حتى يصل الى الساحل فيقتلونهُ ويأكلون لحمهُ ومن عظامها بالساحل كثير . وكان نزولنا عند هذا الخليج بقرية كبيرة عليها حاكم من السودان حاج فاضل يسمى فَرْبا مَغا وهو ممن حجَّ مع السلطان منسى موسى لما حجَّ

اخبرني فربا مغا ان منسى موسى لما وصل الى هذا الخليج كان معهُ قاضٍ من البيضان يكنى بابي العباس و يعرف بالدكَّالي فاحسن اليهِ باربعة آلاف مثقال لنفقتهِ فلما وصلوا الى ميمة شكا الى السلطان بان الاربعة آلاف مثقال سرقت من دارهِ فاستحضر السلطان امير ميمة وتوعدهُ بالقتل ان لم يحضر من سرقها وطلب الامير السارق فلم يجد احداً ولا سارق يكون بتلك البلاد فدخل دار القاضي واشتدَّ على خدامهِ وهددهم فقالت لهُ احدى جواريهِ ما ضاع لهُ شيءٌ وانما دفنها بيدهِ في ذلك الموضع واشارت لهُ الى الموضع فاخرجها الامير واتى بها السلطان وعرَّفهُ الخبر فغضب على القاضي ونفاهُ الى بلاد الكفار الذين يأكلون بني آدم فاقام عندهم اربع سنين ثمَّ ردَّهُ الى بلدهِ وانما لم يأكلهُ الكفار لبياضهِ لانهم يقولون ان اكل الابيض مضرٌّ لانهُ لم ينضج والاسود هو النضيج بزعمهم

حكاية — قدمتْ على السلطان منسى سليمان جماعة من هؤُلاء السودان الذين يأكلون

بني آدم معهم امير لهم وعادتهم ان يجعلوا في آذانهم اقراطاً كباراً وتكون فتحة القرط منها نصف شبر ويلتحفون في ملاحف الحرير وفي بلادهم يكون معدن الذهب فاكرمهم السلطان واعطاهم في الضيافة خادماً فذبحوها واكلوها ولطخوا وجوههم وايديهم بدمها واتوا السلطان شاكرين

ثم رحلنا من هذه القرية التي عند الخليج فوصلنا الى بلدة قُري منسا ومات لي بها الجمل الذي كنت اركبهُ فاخبرني راعيهِ بذلك فخرجت لانظر اليهِ فوجدت السودان قد اكلوهُ كعادتهم في اكل الجيف · فبعثت غلامين كنت استأجرتهما على خدمتي ليشتريا لي جملاً بزاغري وهي على مسيرة يومين واقام معي بعض اصحاب ابي بكر بن يعقوب وتوجه هو لينتظرنا بميمة فاقمت ستة ايام اضافني فيها بعض الحجاج بهذه البلدة حتى وصل الغلامان بالجمل · ثم رحلت الى بلدة ميمة فنزلنا على آبار بخارجها ثم سافرنا منها الى مدينة تُنبكتُو وبين تنبكتو وبين النيل اربعة اميال واكثر سكانها مسوفة اهل اللثام وحاكمها يسمى فَرْبا موسى · حضرت عندهُ يوماً وقد قدَّم احد مسوفة اميراً على جماعة فجعل عليهِ ثوباً وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة واجلسهُ على درقة ورفعهُ كبراء قبيلتهِ على رؤوسهم · وبهذه البلدة قبر الشاعر المفلق ابي اسحق الساحلي الغرناطي المعروف ببلدهِ بالطُوَيجي وبها قبر سراج الدين بن الكوَيك احد كبار التجار من اهل الاسكندرية

حكاية — كان السلطان منسي موسى لما حج نزل بروض لسراج الدين هذا ببركة الحبش خارج مصر وبها ينزل السلطان · واحتاج الى مال فتسلفهُ من سراج الدين وتسلَّف منهُ امراؤهُ ايضاً وبعث معهم سراج الدين وكيلهُ يقتضي المال فاقام بمالي فتوجه سراج الدين بنفسهِ لاقتضاء مالهِ ومعهُ ابن لهُ فلما وصل تنبكتو اضافهُ ابو اسحق الساحلي فكان من القدَر موتهُ تلك الليلة · فتكلم الناس في ذلك واتهموا انهُ سُمَّ فقال لهم ولدهُ اني اكلتُ معهُ ذلك الطعام بعينهِ فلو كان فيهِ سم لقتلنا جميعاً لكنهُ انقضى اجلهُ ووصل الولد الى مالي واقتضى مالهُ وانصرف الى ديار مصر

ومن تنبكتو ركبت النيل (النيجر) في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة وكنا ننزل كل ليلة بالقرى فنشتري ما نحتاج اليهِ من الطعام والسمن بالملح وبالعطريات وبحلي الزجاج · ثم وصلت الى بلد أُنسيت اسمهُ لهُ امير فاضل حاج يسمى فربا سليمان مشهور بالشجاعة والشدة لا يتعاطى احد النزع في قوسهِ ولم ارَ في السودان اطول منهُ ولا اضخم جسماً · واحتجت بهذه البلدة الى شيء من الذرة فجئت اليهِ وذلك يوم مولد رسول الله

صلى الله عليهِ وسلم فسلمت عليهِ وسألني عن مقدمي وكان معهُ فقيه يكتب لهُ فاخذت لوحاً كان بين يديهِ وكتبت فيهِ يا فقيه قل لهذا الامير انا نحتاج الى شيء من الذرة للزاد والسلام . وناولت الفقيه اللوح يقرأ ما فيهِ سرًّا و يكلم الامير في ذلك بلسانهِ فقرأهُ جهراً وفهمهُ الامير فاخذ بيدي وادخلني الى مشورهِ وبهِ سلاح كثير من الدرق والقسي والرماح ووجدت عندهُ كتاب المدهش لابن الجوزي فجعلت اقرأ فيهِ ثم أتي بمشروب يسمى الدَّقنو وهو ماء فيهِ جريش الذرة مخلوط بيسير عسل او لبن وهم يشربونهُ عوض الماء لانهم اذا شربوا الماء خالصاً اضرَّ بهم وان لم يجدوا الذرة خلطوهُ بالعسل واللبن . ثم اتي ببطيخ اخضر فاكلنا منهُ ودخل غلام خماسي فدعاهُ وقال لي هذا ضيافتك فاحفظهُ لئلاَّ يفر فاخذتهُ واردت الانصراف فقال اقم حتى يأتي الطعام وجاءت الينا جارية لهُ دمشقية عربية فكلمتني بالعربي فبينما نحن في ذلك سمعنا صراخاً بدارهِ فوجه الجارية لتعرف خبر ذلك فعادت اليهِ فاعلمتهُ ان بنتاً لهُ قد توفيت فقال اني لا احب البكاء فتعالَ نمشي الى البحر يعني النيل ولهُ على ساحلهِ ديار فاتي بالفرس فقال لي اركب فقلت لا اركبهُ وانت ماشٍ فمشينا جميعاً ووصلنا الى دارهِ على النيل واتي بالطعام فاكلنا وودعتهُ وانصرفت ولم ارَ في السودان اكرم منهُ ولا افضل . والغلام الذي اعطانيهِ باقٍ عندي الى الآن

ثم سرت الى مدينة كَوْكَوْ وهي مدينة كبيرة على النيل (النيجر) من احسن مدن السودان واكبرها واخصبها فيها الارز الكثير واللبن والدجاج والسمك وبها الفقوس الصناني الذي لا نظير لهُ وتعامُل اهلها في البيع والشراء بالودَع وكذلك اهل مالي . واقمت بها نحو شهر واضافني بها محمد بن عُمر من اهل مكناسة وكان ظريفاً مزَّاحاً فاضلاً وتوفي بعد خروجي عنها . واضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي وهو ممَّن دخل اليمن والفقيه محمد الفيلاني امام مسجد البيضان . ثم سافرت منها برسم تكدَّا في البر مع قافلة كبيرة للغدامسيين دليلهم ومقدمهم الحاج وُجين . ثم وصلنا الى بلاد بَرْدامة وهي قبيلة من البربر ولا تسير القوافل الاَّ في خفارتهم والمرأة عندهم في ذلك اعظم شأناً من الرجل وهم رحَّالة لا يقيمون و بيوتهم غريبة الشكل يقيمون اعواداً من الخشب و يضعون عليها الحصر وفوق ذلك اعواد مشتبكة وفوقها الجلود او ثياب القطن ونساؤهم اتمُّ النساء جمالاً وابدعهنَّ صوراً مع البياض الناصع والسِمَن . ولم ارَ في البلاد من يبلغ مبلغهنَّ في السمن وطعامهنَّ حليب البقر وجريش الذرة يشربنهُ مخلوطاً بالماء غير مطبوخ عند المساء والصباح ومن اراد التزوج منهنَّ سكن بهنَّ في اقرب البلاد اليهنَّ ولا يجاوز بهنَّ كَوْكَوْ ولا ايوالاتن

ستأتي البقية

محمد قدري باشا

ولد حوالى سنة ١٨٢١ وتوفي يوم الاربعاء في ٢١ نوفمبر سنة ١٨٨٦ الموافق ١٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٦ عن ٦٥ عاماً

تمهيد

اعانت وزارة الحقانية عن حاجتها الى صورة المرحوم محمد قدري باشا لتضمها الى مجموعة صور الوزراء الذين اسندت اليهم مناصبها فتكمل بها رسوم من تولَّوها الى اليوم

وكان المفهوم ان ليست لهُ صورة بمصر زعماً انهُ لم يرسم الاَّ حينما كان في ڤينا يطبب عينيه وزعم بعض الصحف انهُ لم تؤخذ لهُ صورة وان الدكتور دري باشا وهو صديقهُ العزيز اراد يوماً ان يرسمهُ ولما فاتحهُ في الامر انكرهُ بدعوى مخالفتهِ للشرع . ويدفع هذا الزعم ان لهُ صورة عند نجل شقيق دري باشا وصورة اخرى عند نجل صاحب العزة حسين بك عمر القاضي وهي التي ارسلت الى وزارة الحقانية لاتمام غرضها

وقد حدثتني نفسي ان اجمع ترجمةً لذلك الرجل الكبير الذي خدم مصر خصوصاً في مسائلها القانونية والشرعية وبما لهُ من المؤلفات التي تشهد لهُ بطول الباع وسعة الاطلاع والتي ثقفت عقول السواد الاعظم من المصريين المشهورين بالترجمة والتضلُّع من اللغات والآداب والانشاء

اما انا فاستقيت معلوماتي من نجلهِ محمود بك وبعض الاصدقاء واستخلصت منها ترجمة لحياتهِ النافعة الحافلة بالاعمال الطيبة اعتقاداً مني بانهُ حرام ان تندثر مثل هذه التراجم في حين انهُ لا يزال بين ظهرانينا اناس يمكن استرشادهم فيها . وقد كان لي امل ان اجد شيئاً عنهُ في الخطط التوفيقية الجديدة لعلي باشا مبارك فلم اجد

***

ولد المترجم بمدينة ملوي من والدين عريقين وكانت اسرتهُ قد هاجرت من بلدة وزير كوبرولي بالاناضول كما يظهر ذلك من وقفيتهِ وقد كان جدهُ والياً لتلك الولاية ووالدهُ قدري اغا وزير كوبرولي من اعيانها ولما جاء مصر واستوطنها التزم بعض القرى بملوي كالعادة الشائعة وقتئذٍ بالقطر ثم عين حاكماً بجهة ملوي . اما والدتهُ فمصرية الاصل حسنية النسب

وكان لهُ اخوان رزق بهما والدهُ من اخرى تزوج منها واصلها من الاناضول . وهما ناصر الدين قدري توفي بالاناضول عن اولاد لهُ قبل وفاة المرحوم محمد قدري باشا . والثاني قدري بك كان مابينجي السلطان عبد العزيز اي من موظفي المابين السلطاني وبقي في الاستانة الى ان توفي فيها بعد قدري باشا

ولما ترعرع المترجم بمصر أُدخل مدرسة اهلية صغيرة بملوي وبعد اتمامهِ الدروس المقررة في برنامج تعليمها جاء الى القاهرة وأُدخل مدرسة الالسن المشهورة وكان مقرّها وقتئذٍ في ابي زعبل وكانت قائمة مقام الجامع الازهر في تدريس اللغة العربية اذ كان المقرر بهِ يدرَّس فيها ايام رئاسة الطيب الاثر رفاعة بك رافع الطهطاوي . وكان يدرَّس فيها ايضاً من اللغات الشرقية التركية والفارسية ومن اللغات الاجنبيةَ الفرنسية والايطالية والانجليزية . ومن فرط ولعهِ باللغة العربية كان يتردد على الجامع الازهر ليحضر دروس الاساتذة المتفقهين ومعهُ صديقهُ الشيخ محمد الخماش الشهير بالنابلسي وكان ذلك بعد تعيينهِ مترجماً مساعداً بمدرسة الالسن[1] عقب نهاية دروسهِ فيها

ومن رفقائهِ فيها بحر افندي وشيمي بك والسيد صالح بك مجدي ومحمد بك عثمان جلال وعبد الله باشا فكري وغيرهم من ارباب العقول الراجحة الذين خدموا الوطن وكانوا خير من خدموا . على ان آثارهُ القلمية اظهرت تفوقهُ بما أُوتي عنهُ من العلوم التي دونها في كل فن

(1) مدرسة الالسن اسسها محمد علي والغاها عباس الاول مع المدارس الاخرى التي رأى اقفالها . قالوا وكان يصدر اوامرهُ بواسطة اشارات «الغراب» القائم اتئذٍ مقام التلغراف ولما اقفلت مدرسة الالسن ارسل رفاعة بك رافع الى السودان لكي ينشئ مدرسة في الخرطوم على مثال المدارس المصرية التي انشئت بمصر . والظاهر ان الوشايات لقيت من عباس باشا صدرًا واسعاً ضد رفاعة بك فنفاهُ بهذه الوسيلة ولم تكن طرق المواصلات سهلة فيعتبر المرسل الى تلك الاقطار البعيدة منفياً ولذلك توسل بقصيدة استعطاف الى عباس باشا حتى اعيد الى القطر . وكان قد خمس القصيدة المشهورة لابن زريق المطبوعة في كتاب مناهج الالباب المصرية وهي التي مطلعها

لا تعذليهِ فان العذل يوجعهُ قد قلت حقاً ولكن ليس يسمعهُ

وشاء الله اظهار معجزة في التخميس اذ جاء في آخرها بما ينبئ بقرب رجوعهِ الى مصر وموت الوالي . وهذا الجزء من التخميس لم يطبع مع ان قصائد رفاعه بك مطبوعة كلها . قال على ما املاهُ محمود بك قدري

اناه مقصدهم بالخبث قد نفحا ومذ اهانوك باؤا بالهوان ضحى

وشاع امرهم في الكون وافتضحا ومزمع الشر في امر به انفضحا

وعن قريب تراهُ دمعهُ دمهُ

ومطلب كالشريعة والحقوق والرياضيات والعلوم الدينية واللغات تشهد لهُ المطابع والآداب وتلاميذهُ الكثيرون المنتشرون في أكثر الادارات

وعقب تخرجهِ من مدرسة الالسن الحق مترجماً بوزارة المالية وكان مقرها وقتئذٍ في سراي شريف باشا والد علي باشا شريف وظلت هناك نحو سبع سنوات ونقلت منها الى سراي محمد علي بالقلعة مرات ثم الى ديوان خديوي هناك ثم الى سراي العتبة الخضراء حيث المحكمة المختلطة اليوم ثم الى مدرسة عبد العزيز واخيراً الى محلها الحالي . وبسبب هذه التنقلات ضاعت بعض الدفاتر قيل وضاع عليهِ بسبب ذلك خمسُ تلك المدة عند احتساب معاشهِ

وفي عهد ابرهيم باشا واحتلال المصريين لولاية الشام عين شريف باشا المذكور والياً لها فاستخدم المترجم واخذهُ معهُ وما زال معهُ حتى سافر واياهُ الى الاستانة ولما عاد الى مصر عاد المترجم معهُ وكان قد كف بصرهُ فظل عندهُ يترجم لهُ ما في الجرائد الفرنساوية الى التركية . وكان آية في الترجمة الى أية لغة شرقية خصوصاً العربية ثم عين لتعليم الامير ابرهيم بن احمد وذلك على عهد الخديوي اسمعيل فاستاذاً للغتين الفارسية والتركية في مدرسة الامير مصطفى باشا فاضل واخيراً انتخبهُ الخديوي مربياً لولي العهد وكان مكلفاً ايضاً تدريس التاريخ والجغرافيا في مدرسة ولي العهد المنشأة خصيصاً لتعليمهِ ومعهُ الامراء اخوتهُ وهم عظمة مولانا السلطان الحالي وشقيقهُ حسن باشا وابرهيم باشا وطوسن باشا . وكان عبدالله باشا فكري مفتشاً للغة العربية والتركية والجغرافية فيها . ولما اتم هؤلاء الامراء علومهم وتأهلوا نظم المترجم في تهانئهم قصائد رقيقة مدونة في ديوانهِ الذي جمعهُ لهُ نجلهُ ووعد بطبعهِ قريباً

ثم كتب من دائرة ولي العهد بالاستغناء عنهُ فلما علم الخديوي بذلك استاء فوظفهُ في قلم الترجمة بالمعية السنية فالمعارف ونقل بعدئذٍ الى مجلس التجار بالاسكندرية ثم الى نظارة الخارجية رئيساً لقلم ترجمتهِ وضبط القواعد اللغوية اذ كان هو المنوط وحدهُ بتراجم الحكومة الرسمية . ومن هذه الوظيفة طُلب تعيينهُ مفتشاً بوزارة المعارف فاعتذر وقدم لها صديقهُ المرحوم السيد صالح مجدي بك كما يظهر من قصيدة لهُ نظمها مدحاً في عظمة مولانا السلطان حسين حينما اسندت اليهِ وزارة المعارف العمومية وقال فيها

ولو كان فكري في القريض مساعدي لكنت اوفي نظمها وانمقُ
ولكن مجدي صالحٌ ومدرب وادرى بهذا الفن مني واليقُ

وبعدئذٍ نُقل الى المحاكم المختلطة مستشاراً ومنها انتخب ناظراً للحقانية في عهد الخديوي توفيق باشا وحفظ مركزهُ حتى اذا استعفت الوزارة عاد اليهِ ثم تعين وزيراً للمعارف

ومما يؤثر عنهُ في ذلك الزمن ان الامتحانات العمومية كانت تعقد علانية بمحل «الامفتياتر» الموجود للآن بجانب مخزن نظارة المعارف ويحضرها الخديوي والامراء والنظار والفناصل ويتبارى الطلبة فكتبت جريدة البوسفور اجبسيان منددةً بهذه الطريقة وقالت ان الامتحانات ليست الأصورة امام الحاضرين لان المسائل التي توجه للتلاميذ يحضرها الاساتذة قبلاً وتعطى لهم سرًّا ومعها الاجوبة فيلقونها كما تلقنوها . وظهر هذا الانتقاد المر في الجريدة ليلة احد الامتحانات

فلما عقدت الجلسة وحضر الخديوي وبلغهُ الخبر طلب نسخة من الجريدة فتقدم حينئذٍ المرحوم قدري باشا وقرأ امام الحاضرين هذه الجملة بلغة عربية صحيحة كأنهُ يتلو المكتوب امامهُ بها وليس بلغة اجنبية ولما فرغ منها تناولها احد الحاضرين متوهمًا ان يرى جريدة عربية فدهش الحاضرون لما تجلت لهم الحقيقة . على انهُ لم تطل مدة وزارتهِ للمعارف فانتخب للحقانية وصدرت لائحة ترتيب المحاكم الاهلية وهو وزيرها وكان مكلفًا الاشتراك في وضع القانون المدني وقانون تحقيق الجنايات قبل صدور اللائحة والقانون التجاري ولو انها صدرت ايام كان فخري باشا وزيرًا للحقانية وكذلك صدر الامر العالي باول امتداد للمحاكم المختلطة سنة واحدة في ٢٨ يناير سنة ١٨٨١ في عهد وزارة المترجم . وبعد الحقانية احيل على المعاش كما هو واضح في ملف خدماتهِ الرسمي

ومما يذكر لهُ ان السلطان عبد العزيز طلب من الخديوي اسماعيل تكليف قدري باشا ومصطفى افندي رسمي (استاذ اللغة التركية بنظارة المعارف العمومية ووالد ابراهيم باشا ممتاز) تنقيح الدستور العثماني وقد اتمهُ بهمة فائقة مستخلصًا من المؤلفات والموضوعات الاوربية ووضع باللغات التركية والعربية والفرنسية . وفي آخر عهد الخديوي اسماعيل عند تشكيل الوزارة الاجنبية المعروف باسم Coup d'état وضع المترجم نظامًا خاصًّا لوزارة المالية وهي التي كانت مؤلفة من المسيو ده بلنيير الفرنساوي والمستر ولسن الانكليزي الذي توفي اخيرًا

ومن صفاته المميزة لهُ انهُ كان خفيف الروح دمث الاخلاق كريم الطباع حسن المعاشرة حلو الحديث بفكه سامعهُ فلا يملهُ ذا دعةٍ ووقار وشرف نفس وصدق طوية واسان ومحض اخلاص . وقد حدثني من أثق بصدق روايتهِ (وصدّق على ذلك نجلهُ محمود بك قدري) ان كل منتسب لمدرسة الالسن كان عارفًا بفن من الفنون الجميلة لا لغرض الانتفاع بل لترويح النفس من عناء الدرس من جهة ولاسداء مكرمات من جهة اخرى . ذلك انهُ كان اذا بلغهم ان بعض الفقراء ممن يعرفونهم يحتفل بتأهيلٍ وليس لهُ ما ينفقهُ على اقامة حفلة مهرجان كان

هؤلاء الكرام يجمعون ما يقدمون له لاقامة الليلة من مأكول ونور ويذهبون ويحيون ليلتهُ في انس وانشراح حتى مطلع الفجر ولا يستنكفون . وانها لمروءة تدل على منتهى مكارم الاخلاق . وكان المرحوم قدري باشا يحسن الضرب على العود ولذلك ألف في علم الموسيقى رسالة جعل فيها النغمات ابراجاً قيل وهو تفنن لم يسبقهُ اليهِ احد . وكان مصطفى بك رضوان يعزف على الناي وهكذا كل واحد من رفقائهما فكانوا من اهل الادب وعشاق الطرب في وقت معاً

واني اقتبس من كتاب « معلومات جغرافية » للمترجم من صفحة ٢٢٠ — ٢٢٨ باللغة الفرنساوية المطبوع سنة ١٨٦٩ ما تعريبهُ

« تعلم بمدرسة الالسن المؤسسة لتعليم المصريين ، اللغات الاوربية وما يلزم لاحياء الآداب العربية والشعر . وقد ترجم تلاميذ هذه المدرسة اكثر من الفي مجلد في كل فن ومطلب . فاسدوا الى مصر جميلاً لا ينسى وقلما يؤتى بمثله . ومنهم من درس القانون الاداري وتخصص بعضهم لمهنة التعليم واشترك الجميع بواسطة ترجمة الكتب في نشر الرقي ومعالمهِ بين المصريين . فقد ترجم السيد صالح افندي اكثر من خمسين مجلداً في العلوم الرياضية والفنون الحربية وفي قانون تحقيق الجنايات . وترجم ابو السعود افندي رئيس تحرير جريدة وادي النيل كثيراً من الكتب وخصوصاً قانون المرافعات المدني وعبدالله السيد بك وسراج بك تناوبا رآسة مجلس التجار بالثغر الاسكندري وشرفا المصريين بقيامهما بخدمتهما حق القيام . ومحمد البيّاع افندي وعبد الجليل افندي (وكان السكرتير الفرنساوي لاسمعيل) اشتركا في تحرير المخاطبات الرسمية باللغة الفرنساوية في نظارة الخارجية المصرية مدة سنتين . وطبع خليفه افندي محمود جملة مؤلفات مفيدة للغاية . وترجم رشدي افندي جملة كتب الى التركية والعربية وشغل وظيفة وكيل محافظة قناة السويس . واحمد بك عبيد ورمضان افندي وعبد السلام افندي ترجموا الكتب الحربية المستعملة اليوم في المدارس والجيش . وسعد افندي واحمد حمدي افندي وعبد الرازق بك الشاعر المشهور تخرج على يدهم اكثر التلاميذ . اما امام افندي وحسن افندي المصري فهما من ابرع المترجمين بمدرسة الالسن اذ هما القائمان الآن بالتراجم في نظارة الخارجية والى الاخير (وهو والد حضرة احمد عرفان بك المصري القاضي واخوتهِ) انتسب في شرف تعليمي وتربيتي والقليل من اللغة الفرنساوية الذي اعرفهُ » ثم ختم عبارتهُ بامنيتهِ الآتية :

« وبما ان اغلب هؤلاء المترجمين قد بلغوا من العمر عتيًّا او ادركتهم رحمة الله فالمطلوب

فتح مدرسة خاصة بتعليم اللغات الاوربية والشرقية وذلك اولى من الالتجاء الى مترجمين من الاجانب حقق الله هذا المطلب وكلا بعين عنايته اسماعيل باشا وسدد خطواته وحفظ نجله وولي عهده محمد توفيق باشا وباقي انجاله الكرام »

هذا وفي المجموعة الشافية في علم الجغرافية لمحمد مختار باشا المطبوعة سنة ١٢٨٩ اشار عند الكلام على مصر الى مؤلف قدري باشا المذكور وقال « قد اخذت ايضاً ما احتجت اليه فيما يختص بمصر من كتاب اللوذعي الاديب محمد افندي قدري الذي اجتهد كثيراً في خدمة الوطن ومن كتب الجغرافيين الذين كانوا في وطننا وقت غزوة الفرنساويين بمصر »

والى القراء مؤلفاته وقد قسمت الى ثلاثة اقسام حسب مواضيعها ووضعها وعنوانها بلغاتها

الادبية التاريخية

Aperçu historique de l'Egypte par M. C., Caire Imprimerie Onsy et Mourès au Mouski 1869, 15 p.

(١) لمحة تاريخية لمصر طبعت بالقاهرة بمطبعة انسي وموريس بالموسكي ١٨٦٩ في ١٥ صحيفة

Notions géographiques accompagnées de quelques notices historiques sur les principals villes de l'Egypte publiées et traduites en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne. Imprimerie P. Cumbo. 1869

(٢) معلومات جغرافية مصحوبة ببعض نبذ تاريخية لاهم مدن مصر جمعت وترجمت بالعربية لفائدة الشبيبة المصرية طبعت بالقاهرة سنة ١٨٦٩ بمطبعة كومبو في ٢٣١ صحيفة · وقد اهدى الكتاب الى ولي العهد

ثم اعيد طبعهُ في ڤينا بالمطبعة الملوكية سنة ١٨٧٠ حينما كان هناك مع ولي العهد يداوي عينيه ووصف نفسهُ بانهُ بدائرة ولي العهد في ٢٥٨ صحيفة وخريطة

Abrégé de la grammaire française traduite en arabe à l'usage de la jeunesse Egyptienne.

(٣) مختصر الاجرومية الفرنساوية ترجمت الى العربية لفائدة الشبيبة المصرية · وقد تكررت طبعاتها واهديت احداها الى شريف باشا بوصف كونهِ ناظراً للمعارف المعروفة انئذٍ بديوان المدارس المصرية

Nouveau guide de conversation française turque et arabe ou la langue française mise à la portée des Orientaux.

(٤) الدر المنتخب من لغات الفرنسيس والعثمانيين والعرب الفهُ ايضاً حينما كان

بدائرة ولي العهد طبع بالاسكندرية سنة ١٨٧٠ واعيد طبعهُ بالمطبعة الاهلية حينما كان بالمعية السنية

(٥) اجرومية في اللغة العربية بقواعدها ولم تطبع بعد

Guide de conversation française arabe contenant une méthode d'enseignement simple et pratique pour l'étude de ces deux langues à l'usage des indigènes et des Européens.

(٦) الدر النفيس في لغتي العرب والفرنسيس تكررت طبعاتهُ ايضاً وهو كتاب ضخم يقع في ٧٠٠ صحيفة ونيف

(٧) اللآلى السنية في ثلاثة اجزاء احدها للمفردات والاخران للجمل والامثال طبعت سنة ١٢٨٠

(٨) مفردات في علم النباتات لما كان استاذاً للغة الفرنساوية في القصر العيني مطبوع في كتاب لغوي

(٩) المترادفات باللغة الفرنساوية والعربية طبع وتكرر Vocabulaire français-arabe

Biographie de S. A. le Khedive Mohammed Tewfik Pacha.

(١٠) ترجمة سيرة محمد توفيق باشا خديو مصر يظهر انهُ وضعها بناء على طلب سموه واودعت في كتبخانة المعية السنية وارسلت صورة منها لباريس لتطبع في كتاب التاريخ العام

(١١) رسالة في علم الصرف مخطوطة في عشر ورقات كتبت سنة ١٣٠٠ اشتريت وحفظت بدار الكتب

(١٢) قطر انداء الديم في النصائح والمواعظ والحكم جمعهُ من كتب الادب وطبع بمطبعة المدارس على مثال مجموعة المرحوم عبد الله باشا فكري المسماة الدرر الغوال في المواعظ والامثال

(١٣) ديوان اشعار جمعهُ نجلهُ محمود بك لم يطبع بعد على حدة لكن كانت اشعارهُ وقصائدهُ تنشر في الوقائع المصرية بعضها طويلة في ١٥٠ بيتاً وكانت مجلة الشباب اشارت الى بعض اثاره في اعدادها الاخيرة

هذا عدا ما كان ينشر في مجلة روضة المدارس المصرية من المقالات والخطابات والتراجم خصوصاً في موضوع التمصر والتمدن والمواضيع الاجتماعية المحضة وغايتها حب الوطن

وضع او تعريب المؤلفات القانونية

(١٤) تعريب القوانين الفرنساوية المشهورة بالكود بمعرفة جماعة من افاضل المترجمين

المصريين . فالقانون المدني عربهُ رفاعه بك رافع وعبد الله بك رئيس قلم الترجمة واحمد افندي حلمي وعبد السلام افندي احمد . وقانون المحاكمات والمخاصمات في المعاملات الاهلية المعتادة (المرافعات) عربهُ ابو السعود افندي وحسن افندي فهمي احد مترجمي وزارة الخارجية

وقانون الحدود والجنايات عربهُ محمد قدري باشا وقانون تحقيق الجنايات عربهُ السيد صالح مجدي بك

جمعت كلها وطبعت بالمطبعة الاميرية سنة ١٢٨٣

(١٥) واشتغل بوضع مؤلف عنوانهُ احاسن الاحتياطات لما يتعلق بتقليل الجنايات وسماهُ بالفرنساوية Le bon régime pour diminuer le crime. وهو تحت نظر وزارة الحقانية اليوم قدمهُ ولدهُ بواسطة سعادة تخيل باشا كما اشتغل بتعريب قوانين المحاكم المختلطة حوالي سنة ١٨٧٤ مع اللجنة الرسمية المكلفة بذلك في نظارة الحقانية المنشأة حديثاً استعداداً لاختيار ما يلائم وضعهُ للمحاكم الاهلية لتطبيقها على العرف والعادة

(١٦) وبتنقيح القوانين المصرية الاهلية

Modification des codes des tribunaux indigènes.

المؤلفات الشرعية

(١٧) مرشد الحيران الى معرفة احوال الانسان في المعاملات الشرعية على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان ملائماً لعرف الديار المصرية وسائر الامم الاسلامية . ولا يمكن لغير متضلع من الاحكام الشريعة الغراء وواقف على دقائق المذهب الحنفي ان يلم بدقائقهِ اذ لخصهُ من عدة كتب في الفقه مستشهداً باراء الائمة والمجتهدين

اما النسخة الاصلية المخطوطة فمحفوظة بدار الكتب السلطانية واشتريت من الورثة بمبلغ خمسين جنيهاً وخابر علي باشا مبارك فضيلة مفتي الديار المصرية الشيخ محمد العباسي المهدي الحنفي في نوفمبر سنة ١٨٨٩ (٩ ربيع اول سنة ١٣٠٧) في ذلك فاصلح وغير تطبيقاً لما عليهِ العمل وانضم اليهِ فضيلة الشيخ حسونه النواوي وكان وقتئذٍ مدرس الشريعة الاسلامية بمدرستي دار العلوم والحقوق . وصدر قرار نظارة المعارف في اواخر سنة ١٨٩٠ وطبع على نفقتها بالمطبعة الاميرية وتكررت طبعاتهُ لانهُ تقرر تدريسهُ بمدرسة الحقوق وحفظت حقوق الطبع لها . وقد ترجمهُ الى اللغة الفرنساوية سعادة عبد العزيز تخيل باشا المستشار

حالاً بمحكمة الاستئناف الاهلية ايام كان وكيلاً لمحكمة الاسكندرية الاهلية على نفقة النظارة بقرار وزاري وزيد على الترجمة من مخطوط في المقاصة وبعض مواد اخرى سلمهُ نجل المؤلف للوزارة

(١٨) قانون العدل والانصاف للقضا على مشكلات الاوقاف طبع ببولاق سنة ١٨٩٤ ترجمهُ ايضاً كحيل باشا سنة ١٨٩٦ بناء على طلب نظارة المعارف العمومية وتصديق ناظر الحقانية

(١٩) وكتاب الاحكام الشرعية في الاحوال الشخصية طبع ببولاق سنة ١٢٩٨ . ثم طبعهُ امين افندي هندية بترخيص نظارة المعارف وتعددت طبعاتهُ بها . وقد شرحهُ حديثاً الاستاذ محمد بك زيد الابياني مدرس الشريعة الاسلامية بمدرسة الحقوق السلطانية وقال في المقدمة : وهو ذلك الكتاب الذي وان جمع من فقه ابي حنيفه ما يختص بذات الانسان من الاحكام في مواد سهلة الفهم قريبة التناول على من ليس لهُ سابقة عهد بمزاولة فهم عبارات الفقهاء وحل رموز المتون ومعرفة اصطلاحات الشراح والمعلقين بيد ان مؤلفهُ رحمهُ الله لم يبعد بهِ الايجاز عما لم يسلم منهُ كل مختصر بل جاءت بعض مواد كتابهِ غامضة العبارة مبهمة الاشارة والاخرى مطلقة الاحكام الواجبة التقييد . لذلك رأيت من الواجب عليَّ ان لا ابق ايجاز هذا الكتاب على ما حوى من غزارة الفائدة عقبةً تحول دون استفادة الطالبين وطلما تشخص عندهُ ابصار المحصلين فلم ازل انقب اثناء تدريسي لهُ في كتب القوم فافتح مغلقهُ واقيد مطلقهُ واكمل ناقصهُ واتمم وسائلهُ واشرح مسائلهُ الخ الخ »

وفي فهرس مكتبة محكمة الاستئناف تنسب اليهِ ترجمة الاحوال الشخصية والمواريث الى الفرنساوية طبع الاسكندرية سنة ١٨٧٨ على انهُ هو واضعهُ اصلاً وترجمة

Droit musulman. Statut personnel et de successions d'après le rite Hanafite. Traduction Alexandrie 1878

وفي دار الكتب السلطانية نسخة مخطوطة اخالها وحيدة ولم تطبع بعد . اشتريت من الورثة والتركة عقب وفاة المترجم وهي :

(٢٠) تطبيق ما وجد في القانون المدني موافقاً لمذهب ابي حنيفة وهي بقلم عادى في ١١٤ ورقة في قالب الربع مسطرتها واسعة وخطها واضح جلي . جاء في الفاتحة بعد البسملة

« هذا بيان المسائل الشرعية التي وجدت في القانون المدني مناسبة او موافقة لمذهب

الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان » من بند ١ من القانون الى بند ٢٢٣٨ وفي كل بند يذكر موافقتهُ او عدم موافقتهِ للمذهب وموافقتهُ بالمطابقة او حيث لا مانع شرعاً ثم يشير معيناً المواد في القانون الاهلي سواء كان مدنيًّا او في الجنايات . وفي اعتقاد كل منصف انهُ عمل شاق لا يعرف قدرهُ الا عالم متبحر قدير ولم يذكر في اي سنة وضعت ولا كاتب النسخة

*

ولما توفي يوم الاربعاء السابع عشر من ربيع الاول سنة ١٣٠٦ نعتهُ الوقائع المصرية فقالت :

« في الليلة الماضية انتقل من هذه الدار الفانية الى دار النعيم والبقاء المرحوم قدري باشا ناظر الحقانية المصرية والمعارف العمومية سابقاً ولما ابلغ هذا الخبر الى المسامع العلية الخديوية امر الجناب العالي حفظهُ الله باجراء ما يجب من التوقير والاحترام في تشييع جنازتهِ لما كان لهُ رحمهُ الله لدى الجناب العالي من المكانة والاعظام

« وفي صبيحة هذا اليوم توافد الناس الى منزلهِ رحمهُ الله للاحتفال بتشييع الجنازة فكانوا عدداً عديداً من الامراء ورجال الحكومة السنية وذوي المناصب الرفيعة الملكية والعسكرية وجمًّا غفيراً من كبراء الموظفين واماثل الوجوه والاعيان وطنيين واجنبيين . وكان في مقدمة الكل كثير من حضرات العلماء الاعلام ورجال المعية السنية الكرام فشيعت جنازتهُ رحمهُ الله على اكمل ما يكون من التكريم والتبجيل وكانت علامة الحزن والاسف ظاهرة على المشيعين حتى اوصل جسدهُ الى جدثهِ مأسوفاً عليهِ من العموم

« قد كان رحمهُ الله رجل الجد في العمل وواحد الاقبال على العلم ومحبة ذويهِ تشهد لهُ مؤلفاتهُ بالفضل العظيم . سباقاً الى الخير كريم الطبع واسع الصدر لطيف المجاملة اهلاً لكل كرامة نالها من لدن حكومة الجناب العالي الخديوي والتفات جنابهِ الكريم وموضعاً عليًّا لمحبة عموم الناس على اختلافهم في المنازل والدرجات . رحمهُ الله رحمة واسعة وعوض اهل مصر واهليهِ خيراً على مصابهم فيهِ واتاح لهم الصبر الجميل والاجر الجزيل »

وقالت في عدد تالٍ :

« في صباح هذا اليوم توجه حضرة محمود افندي قدري نجل المغفور لهُ قدري باشا الى سراي عابدين العامرة وقدم للاعتاب الخديوية مزيد الشكران وفائق الامتنان بالاصالة عن نفسهِ وبالنيابة عن عائلة والدهِ المرحوم على التعطفات الخديوية الكريمة التي شملت والدهُ مدة

مرضهِ الذي لم ينجع فيهِ دواء ولم يؤثر فيهِ العلاج وعلى الاحتفال الجليل بجنازتهِ بناء على نطقهِ السامي . فابدى لهُ الجناب الخديوي الافخم مزيد اسفهِ على هذا المصاب وانهُ مشارك لهُ ولعائلتهِ في الحزن الذي شملهم . ولما بشرهُ الجناب الرفيع حفظهُ الله بانهُ لا يزال يلحظهُ بعين عنايتهِ اخذتهُ دهشة السرور عن ان يبدي ما بقي بشكر هذه النعمة الجليلة ادام الله الخديوي الاكرم منبعاً للخيرات ومصدراً للنعم امين »

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

الديلي تلغراف وابو صحافة لندن

الصحافة قديمة في البلاد الانكليزية يرجع تاريخها الى اكثر من ثلثمائة سنة ولكن الصحف اليومية الكبيرة الحجم الرخيصة الثمن المعروفة الآن حديثة جداً يرجع الفضل فيها الى رجل توفي حديثاً وهو لورد برنهام صاحب جريدة الديلي تلغراف ويلقبهُ الانكليز بابي صحافة لندن

انشأ الديلي تلغراف الكولونل سلاي واصدر اول عدد منها في ٢٩ يونيو سنة ١٨٥٥ لكنهُ لم يفلح وتراكم عليهِ الدين فاشترى الجريدة منهُ رجل اسرائيلي اسمهُ يوسف موسى لاڤي كان قد اتجر وصار على شيء من الثروة . وكان ثمن النسخة منها بنسين اي ثمانية مليمات فجعلهُ بنساً واحداً واصدر اول عدد منها بهذا السعر في ١٧ سبتمبر ١٨٥٦ وكانت اربع صفحات فقط . وهي اول جريدة يومية بيعت بهذا الثمن في مدينة لندن . وكانت جريدة التيمس قد احتكرت مشاهير الكتّاب وجماهير القراء على غلاء ثمنها فرأى المستر لاڤي ان رخص الثمن وحدهُ لا يكفي لمناظرتها فاستخدم مشاهير الكتّاب للتحرير في المواضيع السياسية والاجتماعية ونقدهم الرواتب الطائلة . ولا تزال الديلي تلغراف الى يومنا هذا ومحرروها ومراسلوها من مشاهير كتّاب الانكليز . ومن الذين تولوا تحريرها ومراسلتها السر ادون ارنولد والمستر سلاً والشريف فرنك لولي والمستر ادورد ديسي والدكتور تريل والدكتور ديلون واللورد دنراڤن واللورد رسل والمستر ونستن تشرشل والسر كبل كلارك وكثيرون من امثالهم

واشتغل ادورد ابن المستر لاڤي بجمع حروف هذه الجريدة في صباهُ ثم تدرَّج الى الى التحرير فيها ثم ارتقى رويداً رويداً حتى تولَّى رئاسة التحرير ولُقّب بالسر ادورد لوصن

وهو الذي صار لورداً بعد ذلك باسم لورد برنهام و بسعيهِ ابطلت الحكومة الضريبة التي كانت تتقاضاها من الجرائد فتيسَّر لهُ ان يكبر الدېلي تلغراف و يوسع صفحاتها و يزيد عددها و ينفق على الاعمال العلمية النافعة وهو الذي ارسل العالم جورج سمث الى العراق للبحث عن آثار نينوى فاكتشف القطع المفقودة من الصفائح التي نقش عليها خبر الطوفان مع ما اكتشف من الآثار الاشورية · واشترك مع صاحب جريدة نيو يورك هرلد في ارسال ستانلي الى افريقية في رحلتهِ الثانية للبحث في مجاهلها فسح بحيرة فكتوريا و بحيرة طنجانيكا واثبت ان نهراللوالايا هو نهر الكنجو · و بمساعي الدېلي تلغراف راد السر هري جنستن بلاد كليمنجارو وقطع المستر ليونل دكل المسافة من رأس الرجاء الصالح الى القاهرة · و بسعيها ايضاً جُمعت اموال طائلة لكثير من الاعمال العمومية النافعة

وكانت الدېلي تلغراف من جرائد الاحرار وبقيت كذلك الى سنة ١٨٧٨ وحينئذٍ قاومت غلادستون وصارت لسان حال المتحدين اي الذين انفصلوا عن الاحرار واتحدوا مع المحافظين وهي تفاخر بانها اول جريدة انكليزية نشرت خبر عقد الصلح بين فرنسا والمانيا بعد حرب ١٨٧٠

قلنا ان الدېلي تلغراف كانت اربع صفحات صغيرة في اول امرها وقد زيدت رويداً رويداً وهي تصدر الآن ١٦ صفحة كبيرة ولم يزل ثمن النسخة منها بنساً واحداً او اربعة مليمات وهذا الثمن لا يكاد يفي بثمن ورقها فدخلها كلهُ من اعلاناتها · ففي آخر عدد نراهُ امامنا الآن منها اعلانات تملأُ ستين عموداً وقد يكون في العمود منها اكثر من ٣٠٠ سطر ويقال ان دخلها السنوي من الاعلانات يبلغ نحو ستمائة الف جنيه فلا عجب اذا استطاع اصحابها ان يدفعوا الرواتب الطائلة لمحرريها ومراسليها وينفقوا بسخاء على الاعمال العمومية ويقدموا للقراء يوميًّا جريدة فيها من المواد والاخبار المجموعة من اقطار المسكونة ما يملأُ كتاباً كبيراً بثمن لا يزيد على اربعة مليمات

وتوفي لورد برنهام في التاسع من يناير الماضي وخلفهُ ابنهُ السر هري لوصن فصار يلقب لورد برنهام وهو مثل ابيهِ في علو الهمة ولين العريكة وكان قد شارك اباهُ في ادارة الدېلي تلغراف منذ سنة ١٨٩٠

علم الانسان

شكل الجمجمة واللون

لو سئل احد العامة بمَ تميز اجناس الناس بعضهم عن بعض لأجاب على الفور بلون بشرتهم . وتراهُ يفرّق عادة بين اللون الاسمر الخلقي وبين الاسمر المجلوب بتلويح الشمس وتأثير الاقليم . ولكننا اذا ذهبنا الى متحف من المتاحف الكبرى لم نستطع تطبيق قاعدتهِ على ما فيها من بقايا الناس قبل التاريخ لان تلك البقايا عظام بلا جلد فلا يمكننا والحالة هذه تمييز صنف عن صنف باللون فنعمد الى شكل العظام وخصوصاً شكل الجمجمة . فنرى من ذلك ان شكل الجمجمة واللون يساعداننا على معرفة بعض الشيء في هذا البحث الواسع

— شكل الجمجمة —

على ان معرفة شكل الجماجم لمقابلة بعضها ببعض اعسر كثيراً مما يظن . لان نسبة اجزاء الجمجمة بعضها الى بعض لا تبقى على وتيرة واحدة فلا يمكن الاهتداء الى مقياس معين للقياس بهِ . وجهد ما في الامر اننا نحكم بوجود اوجه للشبه او للخلاف بين الجماجم بانين حكمنا على متوسط مجموع النسب التي بينها . وذلك بان يقاس طول الجمجمة ويحسب ١٠٠ ثم يقاس عرضها و يعبّر عن شكلها بنسبة العرض الى الطول . وهذه النسبة تعرف باسم الدليل الجمجمي وتختلف بين ٥٨ و ١٠٠ . فكلما اقترب العرض من الطول كانت الجمجمة اقرب الى الاستدارة وسميت مستديرة او مفلطحة وكلما تباعدا سميت طويلة او مصفّحة

وطول الجمجمة هو خط مستقيم مرسوم من البَلَج اي الفرجة بين الحاجبين الى ما برز من القفا . وعرضها خطّ مرسوم بين ما برز من عظم الجمجمة من الجانبين فوق الاذنين . و يقال غالباً ان الزنوج والاسكيمو والبربر وسكان شمال اوربا من اهل الجماجم الطويلة . وان الاسيو بين الساميين سكان السلطنة العثمانية و بعض السلاف من اهل الجماجم المستديرة . ومعظم الانكليز من الاولين ومعظم الفرنسو يين من الثانين

وقد ظهر من ابحاث بعض الباحثين ان الاقليم يغير شكل الجماجم كثيراً بطريقة مجهولة . فان جمجمة اليهودي من سكان شرق اوربا اقصر واوسع من جمجمة اليهودي الذي ولد

في اميركا وكان ابواهُ قد هاجرا اليها من شرق اوربا . وهذا الفرق اكثر ظهوراً في النسل الثاني منهُ في الاول . وكلُّ ما يقول علماء الانثروبولوجيا في تعليل هذا التغيير ان الجمجمة في سني الصغر مرونة تجعلها عرضة لتأثير الاقليم . واذا كان شكل الجمجمة يتغير بتأثير الاقليم افلا يتغير الدماغ كذلك . وبعبارة اخرى اذا كان شكل الراس الطويل الموروث يتغير بتغير المحيط فما القول في ضعفاء المدارك الذين ورثوا ذلك الضعف ابًا عن جدّ

اما وقد عرفنا الدليل الجمجمي فلنبحث في اصناف الناس الذين وجدوا قبل زمن التاريخ ولنأخذهم بهذا الدليل فنقول :

اكتشف الدكتور دوبوى في جزيرة جاوى بقايا انسان سمّي « بيثكانثروباس » اي الانسان القردي . وهذه البقايا هي قحف جمجمة وبضع اسنان وعظم فخذ . وقد ذهب مكتشفها الى ان الطبقة الجيولوجية التي وجدت فيها هي المسماة بليوسين (Pliocene) وهي من طبقات العصر الثلاثي (Tertiary) الذي ليس لدينا دليل يرجح وجود الانسان فيهِ . ومع ان دوبوى دافع عن مذهبهِ بحجج قوية فان جمهور العلماء ميالون الى الاعتقاد بان تلك البقايا هي بقايا صنف من القرد المعروف باسم جبون لا بقايا انسان . وقد قال بعض العلماء في صاحب تلك البقايا انهُ حلقة مفقودة لا ريب فيها لانهُ ان كان قرداً فقد كان ذا دماغ عظيم الحجم وان كان انسانًا فقد كان ابله

ويلي هذا الانسان القردي انسان هيدلبرج اكتشفت آثارهُ في المانيا وهي الفك الاسفل باسنانهِ كاملة . وقد وجد على عمق ٨٠ قدماً واكثر مع آثار حيوانات اخرى تمكننا من تعيين قدمها ببعض الدقة . وقد حسبوا انها تنتمي الى العصر الشلي نسبة الى شلّ (Chelles) في فرنسا . اما الفك فيشبه فك الغورلاَ في قوتهِ وخلوّهِ من الذقن . واما الاسنان فاسنان انسان بلا جدال

ويلي هذا جماجم انسان نياندرتل نسبة الى نياندرتل في المانيا حيث وجدت اول جمجمة من نوعها سنة ١٨٥٦ . وهي ضيقة ذات جبهة منخفضة متقهقرة وحجاج بارز . ومع ذلك فهي ضعفا جمجمة الغورلاَ في سعتها . فهذه الاوصاف القت الشقاق بين العلماء فانقسموا فئات واحدة تقول ان صاحب الجمجمة قرد . وثانية انهُ انسان سويّ . وثالثة انهُ انسان ابله . ولسوء الحظ لم يتمكنوا من معرفة قدم الجمجمة ولكنهم وجدوا سنة ١٨٦٦ فك

امرأة قوياً وبلا ذقن في بعض كهوف البلجيك ومعهُ بقايا بعض الحيوانات المعروف عصرها بالتقريب كالموث وفرس النهر الصوفي والوعل او الرنَّة · وكانوا قد وجدوا قبل ذلك ببضع سنوات جمجمة في مقلع للحجارة عند جبل طارق فسميت جمجمة جبل طارق وهي ضيقة ذات قحف منخفض وحجاج بارز · ووقبتا العينين دائرتان واسعتان وبعيدتان الواحدة عن الاخرى والاسنان منظومة على شكل نعل الفرس كما في القرد · والوجه اقرب الى وجه القرد منهُ الى وجه الانسان · وقد وجد من هذه الجماجم حتى الآن عشرون او اكثر ووجد بعض هياكلها معها

وخلاصة القول في اصحاب هذه الجماجم ان شكل جماجمهم اشبه بجمجمة القرد منهُ بجمجمة الانسان الى حدّ محدود ولكن سائر اوصاف الجمجمة واوصاف سائر العظام تطابق اوصاف معاصرينا من سكان استراليا الاصليين ومع ذلك فقد كانوا ناساً ذوي ادمغة يعتقدون بالحياة بعد الموت كما دلت رسومهم

وقد وجدت في اوربا اشكال اخرى من الجماجم القديمة اشهرها اثنان · ففي كهف من كهوف منتون في فرنسا وجد هيكلان عظميّان في احدى الطبقات السفلى ظن انهما يشبهان هياكل الزنوج الحديثة ولما لم يوجد مثلها في اوربا ولا في غيرها لم يستطع العلماء البتّ في امرهما · ووجدت في طبقة اخرى فوقها وفي كهوف اخرى من كهوف منتون عظام من صنف آخر يدلّ احدها على ان صاحبهُ كان جباراً · وهو ينتمي الى صنف او شعب سمّوا كرومانيون نسبة الى المكان الذي وجدت عظامهم فيهِ وعاشوا بعد عصر الانسان « المستيريان » الذي وردت الاشارة اليهِ في هذه المقالات · اما شكل جماجمهم فارق من اشكال الجماجم التي سبق وصفها بكثير فان الجبين مرتفع والذقن ظاهر منتظم الحدود ولا يبرز الحجاج ولا الفك الاسفل فيها بروزهما في انسان نياندرتل · ولا يعلم بالتحقيق هل لهذا الشعب اثر في اوربا ومن رأي البعض انهُ لا يزال منهُ اثر في مقاطعة دوردون بفرنسا

وقبل التخلّص من باب شكل الجمجمة الى باب لون البشرة لا بدّ من القول انهُ ليس بين خواص الاجناس المختلفة خاصة الأ وهي خادعة فلا يصحّ الاسترشاد بها على الدوام · ولا يشذ شكل الجمجمة عن ذلك · فان الاقزام سكان الكنغو والبشمان سكان جنوب افريقية من جنس واحد في حين ان رؤوس الاولين متوسطة بين الاستدارة والطول

ورؤُوس الآخرين طويلة · وترى رؤُوس الهنود الاميركيين مختلفة الاشكال في حين انهم من جنس واحد

— اللون —

قسم لينيوس الناس قبل داروين الى اربعة تنوعات الابيض الاوربي · والاحمر الاميركي · والاصفر الاسيوي · والاسود الافريقي · ولم يكن يخطر بباله اذ ذاك ان يضع بهذه القسمة اساساً لحدود طبيعية تفصل بين تنوع وتنوع · وانما اراد بها وضع اساس لحدود الاصطناعية لانهُ كان يرى رأي بوفون من ان الناس كلهم من نوع واحد ولكن الاقليم يصبغهم باصباغ مختلفة ويلوّن كل تنوع بلون · ولكن الداروني ينقّب في ابحاثهِ عن مميزات طبيعية تميز الناس بعضهم من بعضٍ من حيث التسلسل · فالجنس والتسلسل عندهُ شيءٌ واحد · فان وجدت علامة للجنس وجب ان تنوب مناب جميع الخواص التي تتألف الوراثة منها وذلك بان توجد معها · افيصحّ والحالة هذه حسبان اللون علامة جنسية بهذا المعنى العميق ؟

وقبل الجواب عن هذا السؤال لنسأل ما هي فائدة اللون ؟ هل ترافقهُ احياناً صفات مفيدة كما ترافق الخط الذي يعرف عند قارئي اسرار اليد بخط القلب ويكون ذلك اتفاقاً لا معنى لهُ ولا دلالة قريبة او بعيدة ؟ وواقع الامر ان اللون في العرف اما ان يكون نعمة لصاحبهِ او نقمة عليهِ في تنازع البقاء · ولا مشاحة فيما لهُ من الاثر الآن في الانتخاب الجنسي اي الانتخاب للتزاوج سواء اكان ذلك في الانسان ام في سائر الحيوان هذا اذا لم نقل شيئاً عن تفضيل الناس للون على لون من الوان الوجوه وما يتلو ذلك من التحزّب والغرض الاعمى كما هو مشهور · فان الحيوانات الدنيا تنقاد بالظواهر التي تؤثر فيها عند انتخاب الازواج واللون احدى تلك الظواهر بل اظهرها · وكذلك الناس رجالاً ونساء يعولون في ذلك على احكام عيونهم دون احكام عقولهم

على انهُ وان كان للون في الرجل شأناً في المسائل الزوجية بين الناس لم يُرَد في الاصل على ما يظهر لما اريد اللون لهُ في ذكر الطير مثلاً · ولا نقول انهُ خالٍ من الفائدة فيهِ بالمرة بل انهُ مفيد في التزوج وفائدتهُ محصورة وقائمة بكونهِ علامة على القوة والنشاط · ولا ينكر ما للون من العلاقة بالاقليم فان المميزات الجنسية البدنية ومنها اللون نشأت في عصور بعيدة لقيها بعضهم بعمل الاجناس · ولا بدّ ان يكون عمل الانتخاب الطبيعي فيها قد اقتصر

في الاكثر على الجسم دون العقل اذ لم يكن العقل قد صار في ذلك العهد الشرط الاول للبقاء . وفيما عدا ذلك فالمسئلة مسئلة جغرافية لا غير . ففي الاقاليم الحارة التي هي مسكن القرود المشابهة للانسان والتي كانت مسكن الانسان الاول يحمي الجلد الاسود صاحبهُ من نور الشمس . ويقال ان الجلد الابيض يقتصد في اشعاع حرارة الشمس في البلاد الباردة ولكن هذا القول لا يزال في معرض الشك . اما الالوان الباقية وهي الاسمر والاصفر والاحمر فالوان متوسطة بين الابيض والاسود وملائمة لما توسط من الاقاليم بين البارد والحارّ

ولا يغرب عن البال ان لسهولة الانفعال يداً في تعيين لون البشرة . فان الانكليزي الذي يقضي جزءا كبيراً من عمره في حرارة الارض في الهند مثلاً تكتسب بشرتهُ سمرةً لا يزيلها صابون ولا مادة اخرى ولو قضى بقية عمره في انكلترا وطنهِ الاول . على ان المسائل التي لم تحلّ حتى الآن هي هل يتوارث الاولاد عن والديهم هذا اللون فيصبح خاصة من خواصهم؟ وان كانوا يتوارثونهُ فالى اي حدّ ؟ وهل تقصر الوان السود المقيمين في البلاد الباردة والى اي حدّ ايضاً ؟ هذه مسائل لا بدّ للجواب عنها من تجارب طويلة اختصّ بها بعض العلماء على ما هو معروف

اما الغرض الاول من اللون فالوقاية من نور الشمس كما تقدم القول . ولكن المتمدنين والذين ينتمون اليهم يحتالون على الشمس بلبس الثياب فلذلك اخذ لون البشرة يفقد الغرض الاصلي منهُ وبات اقرب الى الكماليات منهُ الى الحاجيات . فهل يُفقدهو على مرّ الزمان ؟ . والذي يراهُ العلماء انهُ يفقد على مرّ الزمان الطويل مزيتهُ الاصلية وهي وقاية صاحبهِ من عوادي الاقليم وتغيراتهِ وتصييرهُ صالحاً للبقاء فيها . ومهما يكن من ذلك فان الاهواء والتحزبات الجنسية المؤسسة على لون البشرة لا بدّ ان تضمحل متى ظهر من السود والسمر والصفر صفات عقلية تمكنهم من مزاحمة البيض في احوال متشابهة وفي بلاد مختلفة الاقليم

وهذا يفضي بنا الى البحث في الاجناس من حيث مظهرها العقلي . فما هو العقل وما هو محكّهُ ؟

مصر منذ تسعين سنة

(٣)

« حادثة سليمان آغا »

كتبت عقد الايجار في البيت لمدة ستة شهور وانفقت مالاً كثيراً لفرشهِ ومشترى اثاثهِ. وهاهم يقولون لي اما ان تتزوج او ان تتسرى او ان تخرج منهُ

في اليوم نفسهِ ذهبت الى فندق دومرج Domerg لاستشير صديقي المصور وقبل ان اصل الى هناك رأيت في ساحة العتبة الخضراء جمعاً من السيَّاس يروضون الخيل. وفيما انا واقف اذا بشاب منهم ضخم الجثة يلبس جلاَّبية زرقاء وعلى كتفهِ مشلح اصفر هجم عليَّ وعانقني فتبينتهُ فاذا هو سائس سليمان آغا الذي التقيت بهِ على السفينة النمسوية في البحر الادرياتيك وقد ذكرتهُ فيما سبق[1] فدفعتهُ عني برفق وقلت لهُ كلمة الاستحسان « طيّب طيّب » ولما التفتُ ورائي لادعو ترجماني عبد الله وجدتهُ ابتعد عني انفةً وترفعاً بعد ان رأى سائساً حقيراً من العامة يعانقني علناً. فقد افسد السياح الانكليز اخلاق هذا الرجل وجعلوهُ مثلهم انوفاً مترفعاً

فاخذ السائس بتلابيبي وقادني الى دار واسعة بالقرب من هناك رأيت فيها سيدهُ سليمان آغا متربعاً على مصطبةٍ فلما رآني عرفني ونهض لاستقبالي مرحباً بي واجلسني قريباً من مقعدهِ وكانت تلك الدار من دور الباشا حاكم مصر وسليمان آغا من اتباعهِ وقد جعلهُ مديراً لاسطبلاتهِ فاقبل الخدم وقدموا لي شبقاً قصيراً ودارت علينا القهوة اليمنية ذات الرائحة الذكية في فناجين ضمن ظروف من النحاس اللامع والتف حولنا جماعة يشاركوننا في شربها

اما ترجماني فلم راى احد اتباع الحاكم يحتفي بي دخل وجلس بجانبي وجعل يترجم بيني وبين سليمان آغا الذي لم يعرف سوى بعض عبارات ايطالية التقطها مدة اقامتهِ في البندقية فاغتنمت هذه الفرصة لاستشارة سليمان آغا في امر تزوجي وقصصت عليهِ ما حدث لي مع القبطية صاحبة البيت وذكرت لهُ حديث شيخ الحارة فاصغى الى كلامي بانتباه واخيراً قهقه ضاحكاً وقال لي

---

(١) ذكر السائح هذا الرجل في الجزء الاول من سياحتهِ قبل وصولهِ الى مصر وقال انهُ من اتباع محمد علي باشا ارسلهُ الى اوربا ليوصل بعض الطلبة المصريين وفي الوقت نفسهِ تكلفهُ مشترى بعض الخيل وغيرها من اسواق اوربا

— لقد صدقك شيخ الحارة واخلص لك النصيحة فمن كان مثلك شاباً وفي سعة من العيش يجب ان يتزوج لا مرة واحدة بل مراراً (يعني ان اجمع بين الزوجات)

— ولكن ديننا وعاداتنا تحرم علينا التزوج باكثر من امرأة واحدة فمن اتخذ زوجة له فهي رفيقة حياته فيحسن به والحالة هذه ان يتروى في انتخابه تلك الزوجة الدائمة

— ها ها يظهر انك تندد في كلامك ضمناً بشريعتنا المطهرة · هل تخلص لكم زوجاتكم الروميات (يعني الاوربيات) الحب بعد ان يسفرن الوجوه و يظهرن محاسنهن لكل عابر سبيل

ثم قهقه والتفت نحو الجالسين حوله وقال لهم بالعربية : « لقد رأيت في اوربا كل النساء سافرات الوجوه عاريات الصدور عليهن ملامح الشهوة والغرام يحدقن بنظراتهن الفاتنة في كل شاب و يصافحن القريب والبعيد » · فقهقه الجميع من هذا الكلام · فاجبت الاغا بواسطة ترجماني « انك تعني النساء المتهتكات وهن كثيرات في شوارع اوربا اما النساء المحصنات فلا يخرجن من بيوتهن الا مع ازواجهن او مع ذوي قرابتهن »

فلم يجب سليمان آغا على ملاحظتي هذه واستأنف الكلام فقال « وفضلاً عن ذلك ليس في بلادكم جمال رائع والمرأة عندكم مهما كانت جميلة اشبه شيء بزهرة ذابلة فانها ممتقعة السحنة وعليها ملامح الامراض والشقاء واكثر النساء فقيرات يتضورن جوعاً و يشتغلن كالرجال او يخادن العذار لتحصيل قوتهن او ارامل قتل ازواجهن في الحروب[1] · اما المرأة عندنا فتعيش مع ضراتها وخادماتها براحة وهناء

ووصف لي في حديث طويل كيفية المعيشة الداخلية عند الاسر الغنية وان كل شيء يحفظ بنظام واخيراً ختم حديثه بدعوتي الى الاسلام قائلاً انه دين الحق في الدنيا ودين الجنة في الآخرة · فشكرته على ذلك ووعدته بالتروي بعد ان ادرس اصول هذا الدين وخرجت من عنده مودعاً · ولم يعلم هذا الغيور على دينه انه عبثاً يحاول اقناع تلميذ من تلاميذ فولتير بانتحال دين مخصوص · وعندي ان كل الاديان التي يعبد الله فيها وتأمر بالشرائع الطبيعية سواء · ثم ذهبت من هناك قاصداً مقابلة صديقي المصور

— وصف الموسكي —

خرجت من الميدان فالتقيت عند مدخل الموسكي بتجارة لمسيحي رومي (اوربي) داخلها

---

(١) لقد صدق سليمان في قوله هذا فان اوربا في ذلك العهد كانت شعلة نار بعد ان اوقد بونابرت نار الحروب في جميع انحائها من غربيها الى شرقيها حتى قلب روسيا فبات اكثر نساء اوربا ارامل او ثواكل قتل ازواجهن وابناؤهن في الحروب والمجازر التي يصفونها « بالمعارك المجيدة »

براميل الخمر وصاحبها جالس امام بابها ولباسهُ يدل على انهُ نصف شرقي ونصف اوربي ولا اعلم هل كان يونانيًا او مالطيًا او مرسيليًا · وكان يحمل في يدهِ سوطاً مصنوعاً من ذنب ثور لاظهار سلطتهِ على مثال الافرنج والاتراك · اما المصري فلا يجوز لهُ ان يحمل بيدهِ سوطاً بل لهُ ان يتلقى قرعاتهِ على ظهرهِ

ورأيت عند باب الخمارة جمعاً من المتسولين متوسدي التراب عراة الابدان اكثرهم عميان او من ذوي العاهات يستعطون من الافرنج المترددين الى الحانة او من السياح · وبالقرب من ذلك المكان مكتبة مدام بونوم يجتمع فيها كثيرون من الافرنج والسوريين والاتراك المتعلمين لقراءة الكتب ومطالعة الجرائد التي ترد من فرنسا · وهذه المكتبة جعبة اخبار الشرق والغرب

ثم دخلنا سوق الموسكي وهناك المخازن الكبيرة على الجانبين تعرض فيها السلع على انواعها من انسجة وحلى وغيرها من المصنوعات الاوربية واكثر التجار من الافرنج والسوريين · ولا يؤم هذه السوق احد من المصريين لانهم لا يجدون ما يحتاجون اليهِ وكل ملبوساتهم من المصنوعات البلدية والشامية التي تباع في الغورية

وعن شمال مدخل الموسكي حي الافرنج والسوريين (درب الجنينة) وفيهِ كنائسهم وبيوت القناصل · وبالقرب من الخليج حانة لاحد الانكليز سميت حانة بيرا والحقيقة انهُ ليس فيها سوى المويسكي والماديرا والآيل (العرقي الانكليزي) يمزجهُ صاحبهُ بماءِ النيل · وبالقرب من هناك اجزاخانة كاستانيولا الشهيرة مجتمع العظماء من الاتراك والمشيرين والقواد والوزراء والامراء والبكوات واكثرهم من الافرنج متقلي الاسلام او من بقايا الحملة الفرنسوية الذين فضلوا الاقامة في مصر على العود الى بلادهم ودخلوا في خدمة الباشا فمنهم اطباء ومهندسون واساتذة علم وقوَّاد · وفي داخل الاجزاخانة مجلس مزين بالمقاعد الحريرية وعلى جدرانها الصور والنقوش البديعة · وهؤلاء القوم يجتمعون للمسامرة والحديث ويتعاطون المشروبات الفاخرة والخمور المعتقة ويتناقلون الاخبار الشرقية والغربية · والاجزاخانة اشبه بمجتمع سياسي للعظماء بل هي مركز البريد لان اكثر الرسائل التي ترد من اوربا باسم الافرنج توزع على اربابها في هذا المكان ولكن على غير انتظام لان البواخر لا تنقل البريد الى الاسكندرية الاَّ مرة واحدة في الشهر

وقد التقيت في هذه الاجزاخانة بصديقي مارلمات المصور فرحب بي وعرض على ان ارافقهُ الى نزهة داخل البلدة يأخذ فيها بعض رسوم ومشاهد قديمة · فقبلت دعوتهِ وصرفت

الترجمان لعدم احتياجي اليهِ · وقد سررت من مرافقة المصور في داخل احياء المدينة مؤملاً مشاهدة ما فيها وقصدت ان اتوغل في الازقة والاسواق الاهلية وهو ما لا يتمّ لي بمرافقة الترجمان اذ كان يقول لي ان تجوال الافرنجي وحدهُ في تلك الاحياء بين المسلمين ذو خطر عظيم على حياتهِ · وقد وجدت بعد اختباري انهُ مخطئ في زعمهِ هذا لان المصريين مسالمون · ثم ان اكثر التراجمة جهلاء لا يعلمون من المدينة سوى بعض آثارها القديمة وهم اذا ساروا وحدهم في احيائها الاهلية يضلون السبيل وامنيتي الوحيدة هي الاختلاط بطبقات الامة لادرس اخلاقهم

•••

استأجرنا ثلاثة حمير فركبنا اثنين ووضع المصور عدتهُ وكرسيهُ والواحهُ على الثالث وكان الحمَّار صاحبها يتبعنا وهو يزعجنا بصراخهِ المتواصل « يمينك شمالك » اما اذا رأى امرأة فانهُ ينتهرها بغضبٍ واحياناً يدفعها بيدهِ بخشونة قائلاً لها « اوعي يا بتّ » وذلك دليل على سلطة الرجل على المرأة عند الشرقيين مهما كان مقامهُ

فاجتزنا قنطرة الخليج وسرنا في سوق طويلة فيها دكاكين باعة الخزف والصيني تتخللها حارات ضيقة وجوامع خربة ينتهي آخرها الى سوق العطارين (لعلهُ سوق الحمزاوي الآن) · ثم جئنا في شوارع بعضها كثير الزحام وبعضها مقفر ورأينا جوامع عظيمة متداعية الى الخراب وقصوراً قديمة لمماليك اكثرها مهجور · واجتزنا بوابة عظيمة فخمة متينة البنيان عالية الاسوار وهي احدى البوابات العظمى (لعلها باب الفتوح) · والمدينة منقسمة الى ثلاث وخمسين حارة كبيرة ولكل حارة شيخ وخفر وجنود وحرس وجميع سكانها من المسلمين عدا حارة النصارى (الاقباط) في الازبكية وحارة الاروام هناك · اما حارة الافرنج والسوريين والمالطيين فمن شمالي الموسكي كما تقدم القول · وسكان كل حارة من حارات المسلمين لا يختلطون بسكان الحارات الاخرى حتى ان الكلاب السائبة في كل حارة لا تتجاوز الى غيرها والاَّ لعرضت نفسها لعدوان الكلاب في الحارة الاخرى · وكانت تتبعنا في مسيرنا مكشرة عن انيابها علينا حتى ندخل الى حارة اخرى فتلاقينا كلابها · ولا تزال تضايقنا بنباحها حتى نخرج من ارضها وبعد مسيرة بضع ساعات وصلنا الى ضفة من ضفاف الخليج عند آخر المدينة وهناك بيوت حقيرة وغيطان وحدائق تتخللها اشجار النخل وتتعرش عليها دوالي العنب · وقهوات وطنية (لعلهُ وصل الى نواحي البكرية) وكانت كراسي تلك القهاوي ومقاعدها من الجريد وهي مصفوفة على ضفة الخليج والمياه العكرة تجري من تحتها والمدخنون في الشبقات والنرجيلات

البلدية المدعوة « الجوزة » جلوس تدار عليهم القهوة او نقيع الاثمار بطاسات من النحاس

فجلسنا في غيط بالقرب من الخليج واخذ المصور عدتهُ ونصبها و بدأ يصور على لوح منظراً بديعاً كان امامنا يمثل اشجار النخيل وفوقها قرص الشمس مائلاً الى المغيب . وفي وسطها جامع قديم فيهِ مأذنة مزخرفة فجلست بالقرب من صديقي واغتنمت الفرصة وكلمتهُ بما دار من الحديث بيني و بين شيخ الحارة وما عرضهُ عليَّ من امر الزواج ولما اتممت حديثي التفت اليَّ وقال

« لا تتزوج يادي نرفال ولا تتقيد بامرأة في هذه البلاد . ماذا يريدون منك يطلبون ان تسكن مع امرأة حسناً ما اسهل هذا الامر . هنا كثيرات منهنَّ فافعل كما فعلت انا . ففي الاسواق كثيرات من بائعات البرتقال والفاكهة وهنَّ جميلات يتهادين دلالاً بثوب طويل ازرق يجرُّ الذيول ولهن معاصم مستديرة مطوقة باسورة فضية وارجل عارية حولها الخلاخل وصدور بارزة . وعلى رؤُوسهنَّ عصائب مطرزة مدلاة الاطراف وفي اعناقهنَّ قلائد الذهب . وهنَّ على هذه الهيئة كازيس ملكة الجمال او كفينوس في الاولمبوس ولا ينقصهن سوى ان يحملن في ايديهن عصا ذهبية . قلت انك تتكلم كمصور يصف الفنون الجميلة و يتغزل بجمال الطبيعة ولكن الا تعلم انهن محصنات ولهن بعول واهل فلا يمكن ان اسكن مع واحدة منهنَّ . وزد على ذلك انهُ ليس من شيمتي ولا من ادابي ان اساكن امرأة بصفة غير شرعية واهم من هذا اني اجهل اللغة العربية . فقال لي ساخراً الحق معك فاذهب وتزوج ان شئت »

و بعد حديث طويل تركت المصور وحولهُ جمع من العامة والغلمان يتفرجون عليهِ يحسبونهُ من السحرة او الافرنج كاشفي خبايا الكنوز . ثم توغلت وحدي في الاسواق ورجعت الى الاحياء الوطنية حتى وصلت الى سوق البازستان

— حادثة البازستان —

البازستان سوق او قيصرية على الطراز القديم بسقوف عالية ومسالك ضيقة تعرض فيها المصوغات والحلى وجميع المصنوعات الشرقية والاقمشة والطرف والتحف البديعة الواردة من جميع انحاء الشرق كالقسطنطينية و بروصة و بغداد ودمشق . وقد تخيلت وانا في هذا السوق كاني في اسواق بغداد الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة وخصوصاً في حكاية التاجر القبطي مع سلطان كشغر (يصف غالباً سوق الخليلي) . ورأيت هناك امرأتين محجبتين تساومان تاجراً على مشترى ثوب من الحرير من نوع الموصلين المطرز بالذهب من صنع بروصة فدفعني الفضول الى الوقوف بالقرب منها وهما تقلبان طاقة القماش . وكانتا تنظران اليَّ

خلسةً وتضحكان من هيئتي الغريبة ولباسي الافرنجي · والبائع يقول لها « اسطنبولدن » اي من واردات اسطنبول · فاقتربت واخذت الثوب بيدي اقلبهُ واظهرت الاستحسان بقولي « طيّب » فكأني هذه اقنعت المرأتين على ما رأيت واتفقتا مع البائع على الثمن · فقطع لها القماش وحملهُ خادمها الغلام فسار يتبعها · ثم التفتت احداها نحوي وضحكت فحسبت ذلك اشارة بالوداع او بالاتباع وكانت ترفع نقابها من حين الى حين · فتبعتهما مسروراً وسارتا في في طرق مزدحمة ومنعطفات منفردة ومنعرجات غير نافذة حتى وصلتا الى بوابة كبيرة تحت اقبية شاهقة مشيدة الاركان على جانبيها آثار شامخة جوامع البنيان (ربما يصف بوابة المتولي) · ثم دخلنا في طريق ضيقة وخرجنا الى شارع على جانبهِ جامع مزخرف الى ان وصلنا الى باب دار كبيرة داخلها عرصة واسعة فدخلت فيهِ المرأتان وخادمها · فدخلت على اثرها ورأيت حوشاً كبيراً حولهُ المقاعد وفي صدرهِ ايوانٌ باعمدة · واذا انا وحدي في تلك العَرَصة ولا اعلم اين اختفت المرأتان فرفعت نظري ورأيت جدراناً عالية تخترقها بعض النوافذ الموصدة بمشربيات بارزة

فاعترتني المواجس وهممت بالخروج من هذه الدار الخفية وحينئذٍ فتح باب صغير وظهر امامي رجل سوداني طويل القامة كالمارد فاوجست خيفةً منهُ وصرت اومئُ اليهِ باني ضللت الطريق ودخلت الى الدار خطاء ورأيت ان كلمة « طيب » التي لا اعرف سواها لا تكفي لاقناع هذا الاسود بتبرئتي · وحينئذٍ سمعت صوت ضوضاء وفتحت بعض الابواب وخرج منها خدم واعوان وسيَّاس وآغوات والتفوا حولي فايقنت بالهلاك · ثم اقبل من باب الحريم رجل ابيض اللون عليهِ سيماء الوجاهة والخيلاء يلبس ثوباً فاخراً على الطرز التركي فادركت انهُ صاحب الدار وعلمت ان المرأتين اوقعتاني في شرك الردى وان اباها هذا او بعلها يريد الايقاع بي لانتهاكي حرمة بيتهِ فلم يعد في وسعي الأَ تبرئة نفسي بكلام ممزوج بكل اللغات التي اعرفها كالفرنسوية والايطالية والالمانية والانكليزية واليونانية تمازجها احياناً كلمة « طيّب » لعل صاحبنا يفهم لغةً منها فيعلم ما بضميري · وكنت اشفع دفاعي باشارات وحركات بيدي ورأسي كما يفعل المتهم امام القاضي مبرئاً نفسهُ

وكان الرجل يصغي الى كلامي متبسماً فهدأ روعي وقال لي بالفرنسوية الفصحى على دهشةٍ مني « تفضل يا مسيو وادخل معي فعندنا سعة من الوقت للتكلم بصراحة »

ثم اخذ بيدي بلطفٍ وقادني الى بهو واسع منقوش الجدران برسوم زاهية وفيهِ رياش فاخرة تطل نوافذهُ على حديقةٍ غناء · فجلسنا معاً على مقعد حريري وقدمت لنا القهوة

والشبقات . فذكرت لهُ حينئذٍ بصراحة اسمي ولقبي وقصدي من التوغل وحدي في الازقة والشوارع الوطنية للاختلاط بالقوم ودرس اخلاقهم ومعيشتهم في داخل بيوتهم. وان الفضول دفعني للدخول الى بيتهِ لما رأَيت من سعة عرصتهِ وزخرفة مدخلهِ . وادركت من ابتساماتهِ المكرية انهُ لم يعر كلامي تصديقاً وتأكدت ان المرأتين اعلمتاهُ باني كنت اتبعهما . ومع كل ذلك بدأ يتودد اليَّ وسأَلني عن الاخبار الاوربية واخيراً علمت انهُ فرنسوي مثلي فتصور عظم دهشي . وبعد حديث طويل دعاني للغداء عندهُ بين اسرتهِ ولم يرَ نكراً في ذلك فاصعدني الى منزل حرمهِ وهناك عرفني بالمرأتين اللتين اتبعتهما من سوق « البازستان » فالواحدة كانت زوجتهُ وهي اوربية مثلهُ والاخرى اختها فصافحتاني باليد على الطريقة الافرنجية . واطرقت برأسي حياءً وخجلاً منهما ثم رأيتهما تبتسمان من موقفي هذا الحرج . وبعد هنيهة ارتفعت الكلفة بيننا وكانتا تكلمانني بالفرنسوية الفصحى ولامتني الكبرى لجولاني وحدي بلا ترجمان في الاحياء الوطنية وقالت لي بصراحةٍ لو اتبعت امرأَة وجيهة غيرية ودخلت الى بيت غير بيتنا لاوقعت نفسك في خطر عظيم

ثم جلسنا على المائدة ودار الحديث بيننا عن شؤون مختلفة وكانت قاعة الحريم واسعة عالية السقوف مزخرفة مفروشة بالريش الفاخر وعلى جوانبها مقاعد من الحرير وفي وسطها فسقية صغيرة من المرمر على حافتها اسد من نحاس يجري الماء من فيهِ . وعلى جدران القاعة رفوف عليها آنية الصيني والخزف وغيرها من المصنوعات الشرقية الثمينة . وعلى الاربعة الجدران اربع مرايا كبيرة وفي وسطها طاولة حولها سبع فتيات جالسات يشتغلن في التخريم والتطريز وسن هؤلاء البنات بين العشر والعشرين . فنهضن حين دخولي وتقدمت الصغرى وقبلت يدي وكن لابسات الاثواب المختلفة الالوان على الزي الشرقي . والامر الذي ادهشني كثيراً اختلاف الوانهن وهيآتهنَّ بين بيضاء وسمراء وحبشية ونوبية ومع ذلك فآثار الجمال بادية على وجوههن رغماً من اختلاف اجناسهن . وكانت صاحبة الدار واختها تضحكان من دهشي والحقيقة ان هذا المنظر لمن الغرابة والدهشة بمكان ! هل هؤلاء النساء الحسان سراري الرجل ام جواريهِ ام بناتهُ ؟ . ثم تقدمت احداهن وقدمت لنا الشبقات والقهوة بعد الاكل

وقد علمت اثناء الحديث ان هؤلاء الفتيات هن بناتهُ من زوجات مختلفات الجنس . فماذا يريد الرجل من عرضهن امامي ؟ علمت من كلامهِ ومغامز زوجتهِ انهما يعرضان عليَّ ان انتخب من بينهن زوجة لي . عجباً هل اتيت الى مصر لأتقيد بالزواج بفتاة فرنسوية شرقية ؟

فمضيفي هذا فرنسوي الجنس وكان ضابطاً في الحملة الفرنسوية فلما رجعت الحملة الى فرنسا لبث في مصر وتزوج على الطريقة الشرقية بعد ان انتحل الاسلام وعرض خدمته على محمد علي باشا حاكم مصر فقبلهُ كما قبل غيرهُ من الضباط والاطباء والمهندسين الفرنسويين وجماعة قائداً لفرقة من الجنود كان كثيرون منهم قد اختاروا مصر وطناً لهم واسلموا باختيارهم وتقيدوا بشرائع البلاد وعاداتها وتخلقوا باداب القوم وتزيوا بلبسهم وتزوجوا منهم . واكثرهم ولدوا ونشأوا ابان الثورة الفرنسوية الكبرى فلم يكن للدين عندهم اهمية كبيرة فاشربوا مبادئ الاباحة والحرية والمساواة حتى في الدين وجلهم دخلوا في الاوواج الماسونية ولما حضروا الى مصر لم يستصعبوا اتخاذ دين يجعلهم من ارباب السلطة والنفوذ وينيلهم وجاهة وهناء . وقد اخلصوا الخدمة للبلاد التي اتخذوها وطناً جديداً لهم ولذريتهم وكانوا عضدا لحاكم مصر في ترقية البلاد وحضارتها مادياً وادبياً

فصاحبنا هذا « سليمان بك » نال خطوة كبيرة لدى محمد علي باشا لنشاطهِ وصدق خدمتهِ وامانتهِ فانعم عليهِ برتبة بك وهي رتبة عالية تعادل رتبة كونت عندنا لا تعطى الاَّ للوزراء وانجال الحاكم . فاثرى وسكن القصور واقتنى العبيد والجواري وتزوج بكثيرات من النساء حسب السنة وفي قصرهِ كثيرات من النساء والجواري الحسان التركيات والمصريات والسناريات والحبشيات . وكان من قواد الحملة التي ارسلها محمد علي باشا لتخليص المدن المقدسة في الحجاز من ايدي الوهابيين الخوارج تحت قيادة نجلهِ طوسون بك

ولما صار الرجل كهلاً ذكر وطنهُ القديم واختلج في فؤادهِ الحنين الى فرنسا فتزوج بابنة قنصل فرنسا في مصر وكان ابوها قد توفي على اثر مرض واقامت اختها عندها فاشترطت عليهِ ان يهجر نساءهُ المصريات والحبشيات فطلقهن وكتب كتابهُ على هذه الفرنسوية بحسب الشريعة الاسلامية ولكنهُ اشترط عليها مقابل ذلك ان تتخلق بآداب القوم وعاداتهم ولا تظهر لاجنبي ولا تخرج من بيتها الاَّ محجبة . وكان لهُ من نسائهِ الاول اربعة اولاد ذكور وسبع بنات فادخل البنين في المدرسة الحربية التي كان استاذاً فيها اما البنات فهنَّ اللواتي وصفتهنَّ . واما ابنة القنصل الاخرى فلم تشأ ان ترجع الى فرنسا وفضلت السكنى مع شقيقتها املاً ان تجد عريساً شرقياً من القواد والوزراء

وعند المساء ودعت مضيفي سليمان بك وزوجتهُ وشكرتهما على احتفائهما بي ووعدتهما بزيارة اخرى ولكنني لم اقم بوعدي خوفاً من ان تؤوَّل تلك الزيارة بقبول ما عرضا عليَّ

وفي الصباح حضر ترجماني عبد الله وطلب مني ان اقيلهُ من الخدمة لانهُ سيصحب

سائحاً انكليزياً الى الصعيد فلم اشأ ان احرمهُ تلك الفائدة وظهر لي انهُ واجد عليَّ لاني تركتهُ وذهبت وحدي في شوارع القاهرة . وعندهُ ان سائحاً مثلي يسير وحدهُ في ازقة البلد وحواريها لهو سائح صعلوك « مفلس » وعرض خدمتي بربريًّا من اصدقائهِ عوضاً عنهُ مدة اقامتي في مصر فقبلت ورأَيت هذا البربري واسمهُ ابرهيم صالحاً للخدمة يفهم بعض كلمات ايطالية ومالطية

وفي المقالة التالية خبر ما جرى لهذا السائح بين الامر القبطية ديمتري نقولا



تثبيت النتروجين الجوي (١)

يحدث النقص في النتروجين الذي هو اهم عناصر التغذية النباتية بانفصالهِ من التربة بعضهِ او كلهِ وتصاعدهِ الى الجو كغاز إثر عمليات التعفن والانحلال وعكس النترجة التي تحدث في التربة على الدوام . كان من اللازم ان يسد هذا النقص بعمليات اخرى تعيد بالتركيب ما تحدثهُ الاولى بالتحليل فيجمع بسببها عنصر النتروجين الجوي ثانية ويثبت في التربة على صور مركبات نتروجينية فكأَن الطبيعة تحول دون توالى النقص في اهم العناصر للتغذية النباتية دفعا لما يترتب على ذلك من الخسائر الفادحة

من عمليات التركيب المذكورة ما يحدث في الجو ومنها ما يحدث في التربة نفسها وليس من غرضنا ان نتكلم على العمليات الجوية لانها ليست بكتريولوجية وانما يكفي ان نعرف عنها اجمالاً انها تتم بتأثير عوامل طبيعية تحدثها كهربائية الجو ففي وقت لمعان البرق يتحد النتروجين بالاكسجين في الجو بنسبة قليلة جدًّا فينشأُ عن اتحادها اكاسيد النتروجين التي يتكون منها الحامض النتروس والحامض النتريك عند اتحادها بمياه الامطار

ليست مقادير النتروجين التي تصل الى التربة من الجو ذائبة في مياه الامطار كافية لتغذي النباتات بنتروجين الهواء وليست كذلك كافية لسد ما وقع في التربة من نقص النتروجين لذلك امكن العلماء تحقيق مسأَلة مهمة وهي هل يمكن تثبيت النتروجين في التربة

(١) Fixation of atmospheric Nitrogen

من غير طريق العوامل الطبيعية . وكان اول المرشدين لهذا الطريق العلامة برتلو فانهُ في سنة ١٨٨٥ اثبت بما اجراهُ من التجارب ان التربة المعرضة للهواء المتروكة بلا زرع تزداد فيها كية المركبات النتروجينية . فمثلاً وجد ان ٥٠ كيلو جراماً من التربة المعرضة للهواء والمتروكة بلا زرع بعد مضي سبعة شهور عليها تزداد كية النتروجين فيها بمقدار ١٢٫٣٨ جراماً وقدر ان كية النتروجين التي اضيفت لهذا القدر من التربة مع مياه المطر خلال المدة المذكورة كانت اقل من نصف جرام فقط . وقد اثبت بعد ذلك في تجارب اخرى ان بعض المركبات الآلية كالتي توجد في التربة عادة لها قدرة على امتصاص النتروجين المطلق بتفريغ الكهربائية فاراد ان ينسب زيادة كية النتروجين المشاهدة في تجاربهِ الاولى الى ذلك ولكن نظراً الى نهضة العلماء يومئذٍ في فرنسا لدراسة المكروبات بزعامة العلامة باستور رأى برتلو ان ينبذ هذا الرأي اذ ربما كان للمكروبات دخل في الامر فشرع في البحث واخذ كميات من اراضٍ رملية وطينية مختلفة كانت لا تشتمل على اكثر من ٠٫١ نتروجين في المائة جرام من التربة وعقم كميات منها بتعريضها للبخار المحمي لدرجة ١٢٠ سنتغراد وترك كميات اخرى كالاولى غير معقمة ثم وضع الكميات الاولى والثانية على حدة معرضة للهواء في زجاجة كبيرة مقفلة وتركها هكذا لمدة خمسة شهور ولما اختبرها بعد ذلك وجد زيادة محسوسة من النتروجين في الكميات غير المعقمة ولم يجدها كذلك في الكميات المعقمة فلم يبقَ هناك شك في ان زيادة النتروجين في الكميات غير المعقمة كانت نتيجة فعل المكروبات وانها ليست ناشئة عن اي عامل طبيعي خارجي اذ لو كانت كذلك لوجب ان تكون هناك زيادة في الحالتين . ثم حاول ان يفصل المكروبات التي تسبب ذلك فلم ينجح على ان هذا لم ينتقص من فضلهِ لان ما وصل اليهِ كان بمثابة حجر اساسي لسلسلة ابحاث واكتشافات عظيمة في هذا الموضوع قام بها العلماء الكثيرون امثال ڤينوجرادسكي وهلريجل وولفورث وليس بين هؤلاء العلماء من تفوق على ڤينوجرادسكي في ذكائهِ وقوة ابتكارهِ وحلهِ للمسائل العويصة باسهل الطرق . وهاك مثالاً لتجارب اجراها وتوصل بها الى نتائج عظيمة . فقد انقع محلولاً [1] مشتملاً على جميع مواد التغذية للمكروبات عدا مركبات النتروجين بقليل من التربة المشتملة على المكروبات وكان غرضه من عدم اضافة مركبات النتروجين الى المحلول مساعدة المكروبات

---

(١) كان المحلول المذكور مركباً من ٢-٤ في المائة دكستروز و ٠٫٠٢ في المائة كبريتات مغنسيوم و ٠٫١ في المائة فصفات البوتاسيوم الثاني وقليل من كلوريد الصوديوم وكبريتات الحديدوس وكبريتات المنغنيس والطباشير المرسب مذابة في الماء

التي في استطاعتها تثبيت النتروجين الجوي في النمو والتكاثر ولكي يحول في الوقت نفسهُ دون نمو المكروبات الاخرى التي لا تعمل ذلك وهذه طريقة سهلة وحسنة جدًّا تعرف بالطريقة الانتخابية (١) لانها مؤسسة على جعل الظروف ملائمة بقدر الامكان لطائفة من المكروبات دون اخرى وهي مأثورة عن هذا العلامة ولا تزال مستخدمة في حل كثير من مسائل بكتريولوجيا التربة

وبعد ان ترك المحلول معرضاً للهواء وجد ان النتروجين قد ثبت فيهِ وانهُ قد حدث انحلال في الدكستروز نشأ عنهُ تصاعد ثاني اكسيد الكربون والهيدروجين وكذلك تكون الحامض السمنيك والحامض الخليك بنسبة ثلاث دقائق من الاول الى دقيقة واحدة من الثاني وان الحامضين المذكورين قد تكونا من نصف كمية السكر المنحل تقريباً . ولم تنشأ حوامض متطايرة ووجد قليلاً من الكحول وان هناك علاقة واضحة بين كمية النتروجين المثبت وكمية السكر المنحل وهي ان كل مليجرام من النتروجين قد احتاج في تثبيتهِ الى اكسدة ٥٠٠ مليجرام من السكر . وقد ظن ڤينوجرادسكي ان تثبيت النتروجين في المحلول بسبب لوجود ثلاثة مكروبات فحاول فصلها منهُ بطريقة التربية في بيئات متتالية (٢) فلم يتمكن نظراً لعدم توفر الشروط الملائمة لحياة هذه المكروبات جميعها من استخدام هذه الطريقة . ثم عاد ڤينوجرادسكي في سنة ١٨٩٥ فظن ان وجود الهواء ربما كان عائقاً فيما حاولهُ من فصل المكروبات المذكورة فاستخدم طريقة منع فيها الهواء واعطى المكروبات كفايتها من غاز النتروجين وبهذه الكيفية تمكن من فصل احد اجناسها ورباهُ نقياً عن الاجناس الاخرى . وقد ساعدهُ في ذلك ان المكروب كان من المكروبات اللاهوائية فعاش بينما كانت الاجناس الاخرى هوائية فوقفت حياتها بفقد الهواء

وبعد ان تمكن ڤينوجرادسكي من فصل هذا المكروب وسماهُ كلوستريديوم باستوريانم (٣) قام بالتجارب عليهِ لدراسة عملهِ وقرر ان الكلوستريديوم باستوريانم من المكروبات اللاهوائية حتماً وفي استطاعتهِ تمثيل النتروجين وتثبيتهُ في البيئات الخالية من مركباتهِ مع عدم وجود الاكسجين المطلق وقرر بعد ذلك ان في قدرة هذا المكروب تثبيت النتروجين كذلك في بيئة يتخللها الهواء بشرط ان يوجد معهُ بعض انواع المكروبات الهوائية لان هذه الانواع تزيل الاكسجين المطلق من البيئة فتجعل الظروف صالحة لنموهِ

(١) Elective method (٢) Successive media (٣) Clostridium Pasteurianum

ان مكروب كلوستريديوم باستوريانم يعتبر الآن تابعاً لطائفة مكروبات الحامض السمنيك لما بين الفريقين من اوجه الشبه الكثيرة من حيث الشكل والعمل وهو شائع جداً في التربة وفي اراضي البرك والانهار وغيرها من الامكنة التي توجد فيها مواد آلية منحلة و يكون الهواء فيها قليلاً وقد اثبتت التجارب انهُ يستمد قوته اللازمة لتثبيت النتروجين من الدكستروز وان في قدرتهِ كذلك استمدادها من اللفيلوز والسكروز والجلكتوز وغيرها من انواع السكر المختلفة ولكن لا يعرف تماماً من اي المواد يستمدها في التربة فقد قيل انهُ يستمدها من بقايا النباتات المنحلة فيها وقيل انهُ يستمدها من المواد الكربوهيدراتية التي تصنعها طوائف من الالجي الصغيرة الخضراء التي توجد عادة في التربة وربما كان هذا ارجح القولين على ما سيأتي بعد . وليس بينهُ وبين طائفة مكروبات الحامض السمنيك فروق على ما اثبتهُ ڤينوجرادسكي الاَّ في انهُ لا يحدث اختماراً في اللكتوز ولكتات الكلسيوم والنشا والمنيت[1] ولا يكون كحول البيوتيل وفروق اخرى قليلة . وهو معدود كذلك من المكروبات عديمة الحركة او قليلتها عصوي الشكل في اول حياتهِ يتراوح طولهُ بين ١,٥ — ٢ميكرون وسمكهُ بين ١,٢ — ١,٣ ميكرون يتلون بالصفرة اذا صبغ بمحلول اليود ولكنهُ عند كبرهِ يأخذ شكلاً بيضياً وتتكون فيه مادة الجرانيولوز النشوية فيتلون بالزرقة اذا صبغ بمحلول اليود . وتتكون لهُ جراثيم عند كمال نموهِ فتنشأ جرثومة واحدة في احد طرفيهِ ولا تلبث طويلاً حتى تظهر في وسط الخلية فتسبب انتفاخها وبذلك يتحول شكلهُ الى شكل بيضي . وجراثيمهُ الناضجة يبلغ طولها ١,٦ ميكرون وعرضها ١,٣ ميكرون وتنبت بسهولة اذا وضعت في محلول من السكر وكان الهواء معدوماً . واذا زرعت على البطاطس في بيئة مفرغ منها الهواء نشأ عنها مجموعات مستديرة يبلغ طول قطرها مليمتر لونها اصفر قاتم ولها رائحة الجبن

وتمكن ڤينوجرادسكي من فصل انواع اخرى من الكلوستريديوم منها ما عثر عليهِ في اراضي باريس وجنوب روسيا ووجد ان احدها اسمك من السابق اذ يتراوح سمكهُ بين ١,٦ — ١,٨ ميكرون وجراثيمهُ تختلف عن جراثيم الاول اذ طولها يبلغ ١,٩ ميكرون وعرضها ١,٥ ميكرون ولها قدرة على تثبيت النتروجين ولكن للصعوبة التي لاقاها في فصلها لم يتتبع درسها

---

(١) Mannite

وقد فصل فرو يدنريخ(١) من اراضي سويسرا كلوستريديوماً آخر يشبه ما فصلهُ ڤينوجرادسكي اولاً ولا يفترق عنهُ الاَّ في انهُ يحدث اختماراً في المانيت · وفصل برنجشيم(٢) مكروباً آخر من اراضي امريكا اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم امريكانم(٣) وهو من الانواع المتحركة التي تثبت النتروجين ايضاً ولهُ صفات خاصة بهِ · وفصل بنيك(٤) وكويتنر(٥) مكروباً آخر من جنس الكلوستريديوم كبير اطلق عليهِ اسم كلوستريديوم جايجانتيم(٦) ولكن قدرتهُ على تثبيت النتروجين لم تحقق وغاية ما عرف عنهُ انهُ مدبب من طرفيهِ ويكون جرثومتين احياناً · وجراثيمهُ كبيرة جداً يبلغ طولها ٢٫٥ ميكرون وعرضها ١٫٥ ميكرون · وهناك اجناس اخرى من المكروبات تثبت النتروجين في التربة بتأثير اقوى اكتشفها العلماء حديثاً وكان للعالم بيرنك فضل في اكتشافها · وسيأتي الكلام عليها فيما بعد

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

مبادىء خصب المزروعات

(من خطبة للدكتور رسل تلاها في الجمعية الكيماوية ببلاد الانكليز في شهر نوفمبر الماضي)

اذا اردنا الكلام على مبادىء خصب المزروعات وجب ان نرجع الى سنة ١٨٤٠ فانهُ في تلك السنة عُرف ان النبات مؤَلَّف من مواد آليَّة يخالطها قليل من المواد المعدنية مثل الفصفور والكلسيوم والبوتاسيوم والصوديوم الاَّ ان هذه المواد المعدنية لم يحسب لها شأن كبير حينئذٍ · فان الفلاحين كانوا يعلمون فائدة الزبل (السباخ البلدي) في خصب المزروعات وهو مادة آليَّة والنبات ايضاً مادة آليَّة فلا عجب اذا قال الكيماويون والفسيولوجيون النباتيون بعلاقة سببية بين هذا السماد وخصب النبات وان الغرض من التسميد هو تقديم الغذاء للمزروعات

الاَّ ان ليبغ قال سنة ١٨٤٠ ان فائدة السماد ليست تقديم المواد الآلية الى النبات بل

---

(١) Freudenreich (٢) Pringsheim (٣) Clostridium Americanum
(٤) Benecke (٥) Keutner (٦) Clostridium giganteum

تقديم المواد المعدنية التي اغضى عنها الكيماويون وانهُ يجب ان نعرف ما هي المواد المعدنية التي في النبات ثم نسمدهُ بها على صورة تسهل عليهِ امتصاصها. وانهُ اذا فقدت الارض مادة من هذه المواد اجدبت ولا تجود ثانية الاَّ اذا اضيفت هذه المادة اليها . ولذلك فالتسميد علم ويجب ان يجري على طرق عملية

ولكن ما اشار بهِ ليبغ نظريًا لم يفد عمليًا لان المواد المعدنية التي في النبات تبقى في رمادهِ اذا حُرق واذا اضيف هذا الرماد الى الارض فقلما تجود المزروعات فيها اكثر مما تجود في ارض مثلها ولم يُضف اليها شيء من ذلك الرماد كما ثبت بالامتحان . وذلك لان ليبغ ترك عنصراً مهماً وهو النتروجين فان المزروعات لا تجود اذا لم يضف اليها هذا العنصر مع غيره من العناصر

وقد ظن البعض ان السماد الصناعي يفيد المزروعات في السنين الاولى ثم تبطل فائدتهُ ولكن التجارب التي جرت في رثامستد مدة ستين سنة افسدت هذا الظن لانهُ ثبت منها ان التسميد تكرَّر اكثر من ستين سنة فبقيت فائدتهُ على حالها كما ترى في الشكل الاول وعليهِ فقد اصاب ليبغ في قولهِ ان المواد المعدنية لازمة للنبات واخطأ في قولهِ انها كافية لهُ ويمكننا الحكم بان المزروعات تنمو وتجود دواماً اذا وُجِدَت في الارض المقدار المناسب من كل ما يحتاج اليهِ من مركبات النتروجين والفصفور والبوتاسيوم . وهذا هو المبدأ الاول من مبادىء خصب المزروعات ولكن اذا اريد العمل بهِ ظهرت الصعوبة في معرفة المقدار المناسب بحرق النبات وتحليل ما فيهِ من الرماد لكن لوز وغلبرت ابانا ان ذلك غير صحيح فرماد اللفت كثير البوتاسا قليل الفصفات فبحسب حكم ليبغ يحتاج الى سماد البوتاسا لكن لوز وغلبرت ابانا انهُ يحتاج الى الفصفات لا الى البوتاسا واستنتجا ان ما يحتاج اليهِ النبات من السماد انما يُعرَف بالتجارب . وقد اوضح ﭬِل ذلك بخطب متوالية بين سنة ١٨٦٠ و١٨٧٠ وقال ان التجارب الكثيرة اثبتت ان السماد النتروجيني هو السماد اللازم للحبوب والبنجر . والسماد البوتاسي هو السماد اللازم للبطاطس والكرم . وفصفات الصودا هو السماد اللازم لقصب السكر . وان الكتان لا يحتاج الى سماد خاص

وزرع ﭬِل نوعاً واحداً من النبات في قصاري عديدة سمَّد بعضها بالسماد الكامل (اي الذي فيهِ نتروجين و بوتاسا وفصفور وجير) و بعضها بسماد ينقصهُ هذا النوع او ذاك من المواد فلما كان النبات قمحاً كانت النتيجة هكذا

حينما كان السماد كاملاً بلغت غلة الفدان ٤٣ بشلاً

" " ينقصهُ الجير " " ٤١ "

" " " البوتاسا " " ٣١ "

" " " الفصفات " " ٢٦ ½ "

" " " النيتروجين " " ١٤ "

حينما لم تسمد الارض مطلقاً " " ١٢ "

والبشل نحو كيلتين

وطريقتهُ صحيحة لا غبار عليها وقد شاع استعمالها ولكنها غير مبنيَّة على قاعدة علميَّة . والاعمال التي لا تبنى على القواعد بل على التجارب لا يمكن التوسُّع فيها والبناء عليها فوقف البحث في طبائع التربة وخصب النبات مدة طويلة بعد ذلك

غير انهُ حدث مراراً في علم الكيمياء الزراعية ان عرضت مسألة خارجة عن البحث الذي غمض وقلَّت الرغبة فيهِ بجملتهُ وانهضت الهمم لاعادة البحث والتنقيب وهذا ما حدث في هذا الموضع فان اتساع المدن وازدحامها بالسكان دعا الى البحث عن طرق لنزح مرتفقاتها وتطهيرها فاكتشف شلوزنج ومنتز ان تطهير المبرزات يتم بتحويل ما فيها من الامونيا الى نترات وان هذا التحويل لا يتم بواسطة كيماوية ولا بواسطة طبيعية بل بواسطة المكروبات والحال امكن تطبيق هذا الاكتشاف على ما يحدث في التربة فاتضح حينئذٍ ان التراب ليس جماداً صرفاً خالياً من الاحياء بل هو مملوء بها وهي غير ساكنة ولا خامدة بل تعمل دواماً وعددها كثير يفوق الاحصاء ففي كل غرام من التراب ملايين منها وهي تغتذي وتعمل . فكيف تغتذي وما هو عملها

ان الناظر الى التربة الزراعية يرى انها طبقة رقيقة وتحتها تراب قلما تصل اليهِ جذور المزروعات وهو يختلف عن التربة في لونهِ وقوامهِ ولاسيما في نمو المزروعات فيهِ كما ترى في الشكل الثاني لكن هذا الاختلاف بين التربة والتراب الذي تحتها عارض فان التربة كانت اصلاً من نوع التراب الذي تحتها واذا زُرعت بزور النبات في التراب لم تجد فيهِ كثيراً من الغذاء فتأخذ منهُ بعض العناصر وتأخذ اكسيد الكربون من الهواء وتركب من عناصرهِ وعناصر الهواء انواع السكر والنشا والسلولوس والبروتين وما شاكل مستمدة القوة لذلك من نور الشمس . وحينما تيبس تردُّ الى التراب كل المواد التي اخذتها منهُ وترد فوقها ما اخذتهُ

من الهواء فيتغير ويصير تربة وهذه المواد الجديد التي تضاف الى التراب تكون خزانة من القوة والغذاء اللازم لكروبات الارضية فتنمو وتتكاثر وتحلل مواد التراب وتركب منها مركبات جديدة وتجعلها اصلح لنمو النبات

هذا ما عرف من امر هذه المكروبات بنوع عام وهو مهم جدًّا ولو لم تعرف تفاصيله٠ فان المركبات الجديدة لازمة لنمو النبات اشد اللزوم ٠ وخصب المزروعات يتوقف على فعل هذه المكروبات ولذلك يلزم ان يجري فعلها بسرعة وبغير عائق والاَّ زال خصب الارض ٠ فلا بدَّ للخصب من ثلاثة امور وهي اولاً ان يكون الهواء والماء والحرارة في حالة مناسبة٠ وثانيًا ان تكون المكروبات من النوع الصالح لخصب المزروعات ٠ وثالثًا ان تكون المواد الاصلية اي بقايا النبات كافية دائمًا

اما الهواء والماء والحرارة فسيأتي الكلام عليها واما المكروبات فغاية ما تمَّ في امرها حتى الآن الشروع في تطعيم الارض بالنافع منها وتعقيمها من الضار٠ والمواد الاصلية التي تغتذي بها المزروعات تبقى في التربة من نمو النبات وانحلاله فيها ٠ فاقدم الطرق لبقاء هذه المواد كافيةً هو تحريل الارض اي تركها من غير زراعة حتى تنمو فيها الاعشاب البرية من نفسها ثم تحرث والاعشاب فيها ٠ وهذه الطريقة غير مضمونة وخير منها زرع الارض صنفًا من النبات ثم قلبها والزرع فيها كلهُ او بعضهُ او جعل المواشي ترعاهُ وتلقي زبلها في الارض ثم تحرث الارض والزبل فيها

فالمبدأ الثاني من مبادئ خصب المزروعات هو ان تنحل مواد التربة حلاً كيماويا بفعل الاحياء بسرعة وبغير عائق

ولكن العمل بهذا المبدإ كثير الصعوبة ايضًا لان الحل قد يتولد منهُ نترات وقد يتولد منهُ نتروجين فاذا تولَّد منهُ نترات فهو صالح لنمو النبات واذا تولَّد منهُ نتروجين فهو غير صالح ٠ ويحدث هذا الثاني اذا كان الحل سريعًا ٠ وتختلف نتائج افعال المكروبات باختلاف طبيعة الارض وتركيبها فالارض الجيرية تعدّل الحوامض والارض الطينية فيها مادة غروية تؤثر فيما يتولد فيها من المركبات الكيماوية ٠ والنبات نفسهُ كثير الفعل لجذورهِ تمتص النترات والفصفات ونحوها ولكن لا يزيد بها عمل المكروبات بل يبطئهُ فيكون تولد النترات في الارض غير المزروعة اكثر من تولدها في الارض المزروعة

ولا يعلم حتى الآن هل يؤثر النبات في نوع هذا التغير او في مقدارهِ ٠ والامر

الجوهري ان لكل من النبات والتربة يداً في توزيع المواد اللازمة للخصب فان النبات جسم حيّ يفعل بالتربة وينفعل بها . وقد كان المظنون منذ اربعين سنة ان خصب المزروعات يتوقف على السماد لا غير ولكن ظهر من مباحث هوتني في التبغ الاميركي ان لنوع التربة فعلاً كبيراً في المحصول وظهر ان الغذاء لا يكفي وحدهُ للنبات بل لا بدَّ لهُ من الماء الكافي والهواء الكافي والحرارة الكافية . والقاعدة التي تتناول هذه الاشياء كلها هي ان خصب النبات يزيد بزيادة كل واحد من هذه الفواعل ما دامت الفواعل الاخرى موجودة بالمقدار الكافي واذا نقص واحد منها بطل الخصب واذا زاد لم يزد الخصب . وهناك حدٌّ للزيادة فاذا فاقت الزيادة هذا الحد اضرَّت بدلاً من ان تنفع اما بحصول الضرر منها مباشرةً وإما بتوقيفها فعل مادة اخرى ضرورية . وقد ظهر ذلك بتجربة جُرِّبت في زراعة الطماطم كما ترى في الشكل الثالث حيث سمد الطماطم بنترات الصودا وزيد مقدار السماد رويداً رويداً في اصص مختلفة . فالمثال الاول لم يسمد . والثاني سُمد بمقدار قليل . والثالث سمد بمقدار اكثر منهُ . والرابع سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الثالث . والخامس سمد بمقدار اكثر من المقدار الذي سمد بهِ الرابع . فترى ان نمو النبات زاد اولاً بالسماد في الاصيص الثاني ثم زاد بزيادة السماد في الثالث والرابع ثم نقص بزيادتهِ في الخامس وهذا هو المبدأ الثالث من مبادىء خصب النبات

فاذا توقف خصب المزروعات وأُريد معرفة سبب ذلك وجب البحث عمَّا يوقف الخصب وعن السبيل الذي يزول بهِ والغالب ان يكون موقِف الخصب واحداً من اربعة وقد ذكرت في الجدول التالي معا يداوى بهِ كلٌّ منها

موقِف الخصب	بماذا يداوى
الرطوبة	الصرف . اضافة الجير
الجفاف	الري . العزق . السماد الآلي المناسب
قلة الحرارة	الصرف والعزق
الحموضة	اضافة الجير او الحوَّارى

ستأتي البقية

دود بزر القطن

لا مشاحة في ان دود بزر القطن كان الضربة الكبرى على الموسم الماضي ولاسيما في الاطيان الجيدة التي يبلغ محصول الفدان منها عادةً خمسة قناطير فاكثر الى عشرة فان الدود وقع في اكثر اللوز فاتلفهُ . نعرف اطياناً كنا نقدر محصول الفدان منهما ثمانية قناطير الى عشرة فلم يجنَ منهُ ثلاثة قناطير

ومن رأي وزارة الزراعة ان لا يجنى من القطن في الموسم التالي الا الجنية الاولى والثانية واما اللوز المتأخر الذي تجنى منهُ الجنية الثالثة فيجب قطفهُ وهو اخضر واعدامهُ لان اكثر الدود يكون فيهِ . وفي نيتها ان تصدر قانوناً بهذا الصدد فعسى ان يساعدها كل زارعي القطن على ابادة هذا الدود بقطف اللوز الاخضر الذي يظهر فيهِ اقل اثر منهُ وحرقهِ او اطعامهِ للغنم

معاونو الزراعة والمدرسة الزراعية

اقترحنا على الحكومة ان تهتم بامر الزراعة كما تهتم بامر الادارة وحفظ الامن فتقيم في كل مركز من مراكز المديريات موظفاً من قبلها ومعاونين معهُ يهتمون بامر الزراعة وارشاد المزارعين الى خير الطرق التي تزيد بها حاصلات الارض وتتقى الآفات الزراعية . وغنيٌّ عن البيان ان الموظفين في هذه الادارة الزراعية يجب ان يكونوا كلهم من الذين اتقنوا الزراعة علماً وعملاً حتى يستطيعوا ان يرشدوا غيرهم . وكانت وزارة الزراعة قد اهتمت بتعيين معاونين للزراعة في مراكز القطر ليكونوا واسطة اتصال بينها وبين المزارعين فيرشدوهم ويساعدوهم جهد الطاقة ويقدموا للوزارة ملاحظاتهم ويعملوا على مقاومة الآفات التي تتهدد الزراعة . وقد بلغ عدد المعاونين الذين عينتهم في المراكز ٤٦ معاوناً وادرجت في الميزانية الجديدة للسنة المالية القادمة ١٥ وظيفة جديدة من هذه الوظائف حتى تستطيع ان تعين معاوناً زراعياً لكل مركز من مراكز هذا القطر

وقد انتخبت المعاونين الذين عينتهم الى الآن من خريجي مدرسة الزراعة العليا في الجيزة ووزعتهم على المديريات فالقت على عاتقهم اهم الاعمال كلها لانهم اذا قاموا بما يطلب منهم بالهمة والنشاط فقد تزيد حاصلات القطر بسعيهم وارشادهم ثلاثين في المئة او اكثر كما يعلم كل الذين عانوا الزراعة علماً وعملاً

ويقدّر ثمن حاصلات القطر من قطن وقمح وذرة وفول وبرسيم وحلبة وبصل وفواكه وبقول وعجول وحملان باكثر من سبعين مليوناً من الجنيهات في السنة فاذا زادت ثلاثين في المئة بلغ ثمن الزيادة واحداً وعشرين مليوناً من الجنيهات كل سنة

الا ان الموظف الذي يقيم في مركز فيهِ الوف من العزب وعشرات الالوف من الفلاحين لا يستطيع ان يمر على كل عزبةٍ ويرشد كل مزارعيها فلا بدَّ لهُ من معاونين يعاونونهُ . وادارة مثل هذه ينتظر منها ان تفيد البلاد بما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات لا يجوز ان تبخل عليها نظارة المالية بالوف قليلة ولكننا لا نظن ان المسألة مسألة تدبير المال الكافي بل تدبير الرجال الاكفاء لان المتخرجين من مدرسة الزراعة قليل عددهم ونخشى ان لا يكونوا متمرنين التمرُّن الكافي علماً وعملاً على زراعة الوجه البحري وزراعة الوجه القبلي معاً فليس في الامكان ان توسَّع مدرسة الزراعة وتضاف اليها اطيان واسعة مختلفة في درجات خصبها حتى يتمرَّن فيها التلامذة على اصلاح الاطيان وخدمة المزروعات المختلفة وتربية المواشي وعمل سائر الاعمال الزراعية ويخرج منها كل سنة مئة تلميذ او اكثر اتقنوا الزراعة علماً وعملاً

واذا طُلب رأينا فاننا نشير بانشاء مدرسة زراعية اخرى في الوجه القبلي في اسيوط مثلاً يكون تلامذتها من اهالي الوجه القبلي ويتمرنون على زراعتهِ فيها ويخرج منهم نظار الزراعات وموظفو وزارة الزراعة في مراكز الوجه القبلي

وهذا العمل اي توسيع مدرسة الزراعة الحالية وانشاء مدرسة مثلها في الوجه القبلي لا يتم في سنة وسنتين ولكن يجب الاهتمام بهِ من الآن واعداد المدرّسين الذين يناط بهم التدريس فيها

القطن المصري

قيمة المحصول الماضي والذي قبلهُ

يؤخذ من النشرة الشهرية التي اصدرتها ادارة الاحصاء العام عن شهر يناير الماضي ان جملة واردات القطن على الاسكندرية من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي بلغت ثلاثة ملايين و ١٢٦٠٠٥ قناطير وكان متوسط سعر القنطار فيها ١٨ ريالاً ونصف ريال فتكون قيمتها كلها ثلاثة عشر مليوناً و ٧١٩١٤٣ جنيهاً مصرياً

وكانت واردات القطن في مثل هذه المدة في المحصول السابق اربعة ملايين و ٣١٨٩٣٤ قنطاراً ومتوسط سعر القنطار ١١ ريالاً وثلاثة اعشار الريال فكانت قيمتها لذلك تسعة ملايين و ٧٩٦٨٣٣ جنيهاً مصرياً

اي ان الواردات من محصول العام الماضي حتى ٢٨ يناير نقصت عن مثلها في هذه المدة في العام السابق ٦٠٦٣٢٩ قنطاراً ولكن متوسط سعرها زاد سبعة ريالات وعشري الريال فعوضت هذه الزيادة عن النقص كلهِ وزادت ثلاثة ملايين و ٩٢٢٣٢٠ ج٠م ٠عليهِ

وبلغت واردات البزرة من اول سبتمبر الى ٢٨ يناير الماضي مليوناً و ٨٦٤٧١٥ اردباً ومتوسط سعرها ١٠٤ غروش فتكون قيمتها مليوناً و ٩٣٩٥٧١ جنيهاً مصرياً يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق مليونان و ٤١٦٥٦٩ اردباً كان متوسط سعرها ٦٥٤٣ الغرش فكانت قيمتها كلها لذلك مليوناً و ٥٧٨٠٧١ جنيهاً مصرياً اي ان واردات البزرة نقصت في المحصول الماضي حتى يناير عن مثلها في هذه المدة في المحصول السابق ٥٥١٨٥٤ اردباً ولكن متوسط السعر زاد ٣٩٤٧ الغرش في الاردب في المحصول الماضي فعوضت هذه الزيادة النقص واربت عليهِ بنحو ٣٦١٥٠٠ جنيه مصري

وقد بلغت قيمة واردات القطن والبزرة معاً من المحصول الحاضر حتى ٢٨ يناير خمسة عشر مليوناً و ٦٥٨٧١٤ جنيهاً مصرياً يقابلها في مثل هذه المدة في المحصول السابق احد عشر مليوناً و ٣٧٤٨٩٤ جنيهاً مصرياً فتكون الزيادة في قيمة الوارد من المحصول الحاضر على الوارد من المحصول السابق في القطن والبزرة معاً حتى اليوم المذكور اربعة ملايين و ٢٨٣٨٢٠ جنيهاً مصرياً

نبات النيلة في القطر المصري

يظهر انهُ لما انقطع ورود النيل الصناعي من المانيا فكَّر البعض في العود الى زرع نبات النيلة لاستخراج النيل منها ٠ وقد بلغنا ان النيلة لا تزال تزرع في الواحات وقد جيء بالتقاوي منها وزرعت في مديرية قنا زرع منها نحو اربعين فداناً وزرع شيء منها ايضاً في مديرية الفيوم ٠ ونحن نكتب هذه السطور وامامنا نبات كامل من النيلة بجذورهِ وقرونهِ واوراقهِ والقرون كثيرة جداً في كل فرع من فروع النبات نحو اربعين قرناً منها وفي القرن من حبتين الى اربع والحب صغير كحب البرسيم وهو صلب شديد اللمعان ٠ ولا نظن ان زراعة النيلة تعود الى انتشارها السابق في هذا القطر الا اذا ضعف شأن الصناعة ببلاد الالمان ولم يفلح غيرهم في عمل النيل الصناعي رخيصاً

طباع النحل

من طبائع النحل انهُ لا يعتدي على احد اذا كانت حوصلاتهُ ممتلئة عسلاً او سائلاً حلواً غيرهُ . وتكون ممتلئة متى كان مجتمعاً اسراباً او كان عائداً الى قفرانهِ بعد جمع العسل . كذلك لا يهاجم احداً وهو مروَّع . ويروَّع النحل عادة لاشتيار العسل من خلاياهُ باطلاق الدخان عليها او بالقرع على جدرانها . واول ما يفعلهُ اذا رُوِّع ان يملأ حوصلاتهِ عسلاً من الاقراص

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

التطهير ومضادات الفساد

يراد بالتطهير طبًّا تنظيف الاشخاص او الاشياء فلا تكون واسطة لنقل جراثيم الامراض المعدية . وذلك يتمّ باستعمال بعض المواد المطهرة المزيلة للفساد . وكثيراً ما يخلط الناس بين المطهرات ومضادات الفساد التي تستعمل لمنع الفساد او ايقافهِ عند حدّهِ . فان معظم مضادات الفساد مطهرات ولكنها ليست كلها كذلك . فالتجفيف تحت حرارة معتدلة مثلاً يعدّ من مضادات الفساد ولكنهُ ليس من المطهرات . والملح والحامض البوريك من المضادات ولكن فعلها التطهيري ضعيف

ومما يدخل في هذا الباب مواد تستعمل لازالة الرائحة الكريهة واكثرها من المطهرات لا كلها . فانك اذا وضعت شيئاً من فحم الحطب في غرفة مريض ازال ما بها من الروائح الكريهة ولكنهُ ليس مطهراً . وكذلك اذا القيت بعض اوراق اليوكالبتوس في ارض غرفة تصاعدت عنها رائحة عطرية تقتل بعض المكروبات دون البعض الآخر

واهم وسائل التطهير نور الشمس والهواء النقي ولكنك قلما ترى الناس يعنون بها كما يعنون بالعقاقير المطهرة في حين ان نور الشمس اقوى المطهرات تقريباً وقلما يعيش مكروب اذا تعرض لنور الشمس والهواء المطلق ساعة وخصوصاً مكروبات بعض الامراض الوافدة كالطاعون والتيفوس

وللحرارة شأن عظيم في هذا الباب فان جميع انواع المكروبات تموت اذا وضعت في ماء وأغلي من خمس دقائق الى عشر. على انهُ اذا أُريد تطهير امتعة يخشى ان يتلفها الغليان فالسبيل الى ذلك ان تعرض البخار مدة عشرين دقيقة. فالادوات والآنية المعدنية لا تصدأ في البخار كما تصدأ في الماء والاقمشة الصوفية والقطنية لا تبتلُّ بهِ ابتلالها بالماء. اما الاشياء التي لا تحتمل البخار فتطهر بتعريضها لحرارة جافة مقدارها ٢٥٠ بميزان فارنهيت مدة ساعة

واشهر الغازات المطهرة الحامض الكبريتوس الحاصل من احراق الكبريت. فانهُ يتصاعد من احراق رطل واحد من الكبريت ما يكفي لتطهير غرفة سعتها الف قدم مكعبة. ويجب احراق الكبريت في غرفة مقفلة فلا تفتح الا بعد ست ساعات

ومنها غاز الكلور وهو اصعب مراساً من الكبريت ولكنهُ اشدّ فعلاً منهُ حيث الهواء رطب

واشهر المطهرات السائلة بركلوريد الزئبق المخفف — جزء منهُ في الف الى عشرة آلاف من الماء. وافضل الطرق لاستعمالهِ ان يؤْخذ نصف اوقية منهُ واوقية من الحامض الهدروكلوريك و ٥ قمحات من الانيلين الازرق فتمزج في ثلاثة جالونات ماء

ومن المطهرات السائلة الحامض الكربوليك (الفنيك) — جزء منهُ في ٢٠ ماء والكريزول ١ في ٤٠ والجير المكلور رطل منهُ في جالون ماء. فاذا اضيف الى هذا الاخير شيء من الحامض الكبريتيك انفصل عنهُ الكلور وهو من المطهرات الشديدة. ومن افضل ما يستعمل للرش على الجدران والستائر وغيرها من الاثاث الفورمالين ٢ في ١٠ ماء. فانهُ مطهّر قوي ولا يضرّ الاثاث ولا الجدران الملبسة بالورق والمدهونة بالزيت

وهناك محلولات كثيرة خاصة بالتطهير كمحلول برنيت وكندي وسانيتاس. والايزال والليزول والسيلين وغيرها من مستقطرات الفحم الحجري

والغالب ان يطهّر الناقهون من بعض الامراض الحادة المعدية كالحمى القرمزية بالاغتسال في حمام من برمنغنات البوتاس المخففة بالماء حتى تصير ذات لون احمر مصفرّ او بدهن الجسم بالفاسلين الممزوج بالحامض الكربوليك او الدهن الممزوج بالاوزون على نسبة ٨ اجزاء من الدهن في جزء من الاثير الاوزوني. اما اذا اريد تطهير الايدي فافضل طريقة لذلك غسلها كثيراً بالماء السخن والصابون العادي الجيد ثم مسحها بالايثر وتغطيسها خمس دقائق في الحامض الكربوليك المخفف ١ في ٤٠ او بركلوريد الزئبق ١ في ٢٠٠٠ او محلول برمنغنات البوتاس. اما الفم فاحسن ما يطهر بهِ برمنغنات البوتاس وان كانت تكويهِ قليلاً. وكثير من اطباء الاسنان يعوّلون على مذوب البوتاسا الخفيف في تطهير الفم والاسنان

العض واللسع

افضل ما تعالج بهِ عضة الحيوانات المضوضة ولسعة الحشرات مرهم يصنع من جزء من البزموت وجزء مثلهِ من الغليسرين. ولكن اذا ظهر على العضة او اللسعة التهاب وجب ان تدهن بالحامض الكربوليك المخفف بنسبة ١ من الحامض الى ٢٠ من الماء وذلك بان تغمس في المحلول قطعة من نسالة الكتان وتوضع على الجرح وتربط فوقها قطعة من المشمع. ويجب ان تكون الامعاء مطلقة وان يعطى المصاب احد المقويات. اما الحامض الكربوليك فالغرض منهُ قتل الكرويات المضرة ومضادة الفساد الناشيء عنها ولكنهُ لا يمنع الالتهاب بالضرورة فاذا لم يتوقف بل ازداد فلتصنع لزقة من الخبز يضاف اليهِ ماء حارّ وشيء من الحامض الكربوليك على النسبة المتقدمة ودرهم من صبغة الافيون. اما النحل والزنابير فيحسن قبل علاج لسعتها ان تستخرج الحمة ثم يفرك مكانها بروح النشادر المخفف (جزء منهُ في ٣ ماء) او بغيرهِ من القلويات كالطباشير او كربونات الصودا ثم يبرد بالثلج او الماء البارد. واذا لم يكن هناك ثلج فبقطعة من رخام او رصاص او حديد

تبييض عاج البيانو

يصفر العاج الذي يكسو مفاتيح البيانو من امتصاص الدهن الذي يكسو الانامل. ويمكن تخفيف هذا الاصفرار (ان لم تمكن ازالتهُ تماماً) من غير تفكيك المفاتيح وذلك بان يصنع معجون من مسحوق الطباشير ومحلول البوتاس ثم تكسى بهِ المفاتيح مدة يوم كامل

النزف

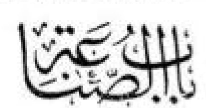
يعالج النزف الموضعي الحادث من الجروح بالضغط وبالماء البارد. فان كان الدم شريانيًّا وجب ان يضغط بين الجرح والقلب وان كان وريديًّا بين الجرح والاطراف. والمميز بين الدم الشرياني والوريدي ان الاول احمر قانئ والثاني احمر قرمزي او ضارب الى السواد. وكذلك يعالج بان يرشّ عليهِ قليل من الوصفة الآتية وهي: اجزاء متساوية من مساحيق الشب والعفص والصمغ العربي والبخور الجاوري

ازالة الوشم

يزال الوشم بوضع شيء قليل من الحامض النتريك عليهِ براس فلينة او بقلم من الزجاج ويترك الحامض دقيقة ونصفاً ثم يغسل بماء بارد. فلا تمضي بضعة ايام حتى تنفصل عن الجلد قشرة رقيقة عليها الوشم فازلها. واذا التهب مكانها فضع عليهِ لبخاً من الماء الفاتر

اما اذا كان الوشم متسعاً فتفضل معالجتهُ بالطريقة الآتية : ينقش الوشم بمحلول التنين حسب الطريقة المعتادة ثم يمس بقلم من نترات الفضة (ماء النار) حتى يسود فيشعر المعالج بالم خفيف مدة يومين الى اربعة ايام ثم يزول الالم . وبعد شهرين يرى ان اثر الوشم زال

وهناك طريقة اخرى وهي ان يغسل الوشم بشيء من الحامض الخليك المخفف وبعد نصف ساعة يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء و ٤ قمحات من البوتاس الكاوي وبعد نصف ساعة آخر يغسل بمحلول مؤلف من اوقية ماء ودرهم من الحامض الهدروكلوريك المخفف . ويعاد ذلك كل يوم . ويقال انهُ اذا نقش الوشم بشيء من اللبن العادي استحال لونهُ الاخضر احمر ثم زال



السبيرتو والمشروبات الروحية

يكون الكحول او السبيرتو على نسب مختلفة . والمفهوم عند الكيماويين انهُ اذا قيل ان قوة هذا السبيرتو ٦٠ في المئة كان المعنى ان فيهِ ٦٠ في المئة من السبيرتو الصرف او المطلق . والكحول في عرف الكيماويين الاميركيين هو ٩١ جزءا من الكحول المطلق في ٩ اجزاء من الماء ثقلاً

اما الكحول المطلق فهو ما لم يكن فيهِ ماء البتة على انهُ لما كان الكحول يمتص بخار الماء من الجو بشراهة عظيمة فقلما يكون نقيًّا في السوق وما يباع فيها نقيًّا يحتوي على ٢ في المئة ماء في الغالب

واقوى انواع السبيرتو سبيرتو الخمر ففيهِ ٩٠ في المئة سبيرتو و ١٠ ماء . ويستقطر السبيرتو من مواد جمة كالحبوب والخشب وهذا الاخير يسمى الكحول ميثيل

والكحول على نسب مختلفة في الاشربة الروحية . ففي الموسكي السكتلندية نحو ٥٤،٣٢ في المئة منهُ . وفي « الروم » ٥٣،٦٨ وفي الكونياك ٥٣،٣٩ . وفي الجن ٥١،٤٦ . والبورت ٢٢،٤٩ . والمديرا ٢٢،٢٧ . والتنريف ١٩،٧٩ . والشري ١٩،١٧ . والكلارت ١٥،١ والشمبانيا ١٣،٨ . والآيل ٦،٨٧ . والبورتر ٤،٢ . والسيدر من ٥،٢ الى ٩،٨

ويستقطر السبيرتو في روسيا واسوج من الطحالب اي الاعشاب الدنيا التي تنبت على الصخور في البلاد الباردة ويقتات بها وعل تلك البلاد . ويقال ان هذا السبيرتو لا يقل في مقدارهِ عن السبيرتو المستقطر من الحبوب

صنع الحامض النتريك والامونيا

كان الناس سابقاً يستوردون معظم ما يحتاجون اليهِ من النترات من مكان غربي جبال الاندس في اميركا الجنوبية وخصوصاً بلاد شيلي ولكنهم اخذوا في السنين الاخيرة يصنعون النترات والحامض النتريك في بلاد نروج بطريقة بركلند وطريقة ايد الكهربائيتين . ومنذ سنين اكتشف فرنك وكارو طريقة تستخرج الامونيا بها من كربيد الكلسيوم بعد تحويلهِ الى سيانامید الكلسيوم . ثم اكتشفت طريقة اخرى وهي المسماة اوستولد كيزر ونحواها اكسدة بعض الامونيا بامرارها مع الهواء على البلاتين وما اشبههُ فكانت طريقة بسيطة لاستخراج حامض نتريك رخيص الثمن . ثم اكتشف كيماويان آخران انهُ يمكن ضم النتروجين الى الهدروجين تحت ضغط شديد وحرارة معتدلة وبهذه الطريقة امكن استخراج الامونيا بارخص مما تستخرج بهِ من السوائل المستعملة في معامل الغاز

وقد اشتهر ان الحكومة الالمانية منحت احدى شركات النترات المشهورة في بدء الحرب مئة مليون مارك لتمدها بالحامض النتريك بلا انقطاع بعد ما انقطع ورود النترات على المانيا من الخارج . ويقال ان معامل هذه الشركة تصنع ٣٠٠ الف طن من كبريتات الامونيا في في السنة او ٢٠٠ الف طن من الحامض النتريك

الصناعة الفرنسوية

من بدائع الصناعة الفرنسوية علبة سعوط صنعت للسلطان عبد الحميد مع ما صنع لهُ من الجواهر الكثيرة في فرنسا ثم بيعت مع جواهره في مدينة باريس فاشتراها رجل من اغنياء هذا القطر باربعة عشر الفاً وسبع مئة فرنك والظاهر انهُ ندم على ما فعل فعزم على بيعها وهي معروضة الآن للبيع في شباك مخزن الخواجه كرامر الجوهري بشارع المناخ

والعلبة من ابدع ما صنعهُ الصناع على ما رأينا كما ترى في الصورة المقابلة طولها ٩ سنتمترات وعرضها ٦ مستديرة الزوايا في وسط غطائها دائرة من الميناء متموجة خضراء زمردية عليها الطغراء العثمانية بحروف من الذهب مرصعة بحجارة الماس الصغيرة ويحيط بها دائرة اهليلجية من حجارة الماس الكبيرة وعلى جانبيها عقدان من الماس ايضاً

وغنيٌّ عن البيان ان علبةً مثل هذه لا يستفاد منها فائدة تساوي جزءًا صغيراً من ثمنها ولكن الاغنياء الذين يتنافسون باقتناء التحف وعرضها للمباهاة بها او لاظهار مهارة الصناع يليق بهم ان يقتنوا امثالها

باب التقريظ والانتقاد

صبح الاعشى

الجزء السابع

صدر الجزء السابع من هذا الكتاب واكثر ما فيهِ صور مكاتبات الخلفاء والملوك والامراء والوزراء والاتباع اي مكاتبات الدواوين ونشترك كلها في فصاحة الكتّاب من حيث انتقاء اللفظ وتنميق العبارة وفي اتخاذهم الكتابة فناً من حيث اعتمادهم على التنميق والتزويق كأنهم يصورون زهر الربى واذناب الطواويس ولا قيمة للزمن عندهم كما لا قيمة للمداد والقرطاس

ولقد احسن القلقشندي جامع هذا الكتاب في ايرادهِ الامثلة العديدة من تلك المكاتبات فان الباحث في الاخلاق المفتش عن اسباب الضعف التي نزلت بام الشرق لوضعهم العرض بدل الجوهر يجد في هذه الامثلة شواهد كثيرة على ما يتطلبهُ . وانا دلالة على ذلك نورد الصور التالية

(١) نسخة كتاب من احمد بن طولون صاحب مصر الى ابنهِ العباس حين عصى عليهِ بالاسكندرية (سنة ٢٦٥ هـ)

« من احمد بن طولونَ مولى امير المؤمنين ، الى الظالم لنفسهِ ، العاصي لربهِ ، الملم بذنبهِ ، المفسد لكسبهِ ، العادى لطورهِ ، الجاهل لقدرهِ ، الناكص على عقبهِ ، المركوس في فتنتهِ ، المبخوس [من] حظِّ دنياهُ وآخرتهِ » !

سلامٌ على كل منيبٍ مستجيب ، تائبٍ من قريب ، قبل الأخذ بالكظَم ، وحلولِ الفوت والندَم

واحمد الله الذي لا اله الا هو حمد معترفٍ لهُ بالبلاء الجميل ، والطَّول الجليل ، واسألهُ مسألة مخلصٍ في رجائهِ ، مجتهدٍ في دعائهِ ، ان يصلي على محمد المصطفى ، وامينهِ المرتضى ، ورسولهِ المجتبى ، صلى الله عليهِ وسلم

اما بعد ، فان مثلك مثلُ البقرة تثير المُدْية بقرنيها ، والنملة يكون حتفها في جناحيها ، وستعلم — هبلتك الهوابل ! ايها الاحمقُ الجاهل ، الذي ثنى على الغيِّ عطفهُ ، واغترّ بضجاج

المواكب خلفه — اي موردة مهلكة باذن الله توردت ، اذ على الله جل وعز تمردت وشردت ، فانهُ تبارك وتعالى قد ضرب لك في كتابهِ مثلاً : (قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)

وإنما كنا نقرّبك الينا ، وننسبك الى بيوتنا ، طمعاً في انابتك ، وتأميلاً لفيئتك ، فلما طال في الغيّ انهماكك ، وفي غمرة الجهل ارتباكك ، ولم ترَ الموعظة تلين كبدك ، ولا التذكير يقيم اودك ، لم تكن لهذه النسبة اهلاً ، ولا لاضافتك الينا موضعاً ومحلاً ، بل لا تكنى بابي العباس الاّ تكرهاً وطمعاً بان يهب الله منك خلفا نقلدهُ اسمك ونكني بهِ دونك ، ونعدك كنت نسياً منسياً ، ولم تك شيئاً مقضياً ، فانظرْ ولا نظر بك الى عار نسبتهُ نقلدت ، وسخط من قبلنا تعرّضت ، واعلم ان البلاء باذن الله قد اظلك ، والمكروه ان شاء الله قد احاط بك ، والعساكر بحمد الله قد اتتك كالسيل في الليل تؤذنك بحرب و بويل »

والكتاب ملأ خمس صفحات كبيرة وكلهُ على هذا النسق

(٢) نسخة ما كان كتب بهِ الى القواد

« اعزّ الله تعالى انصار المقرّ الكريم ، العالي ، المولويّ ، الاميريّ ، الكبيريّ العاليّ ، العادليّ ، المؤيدي ، الزعيميّ ، العونيّ ، الغياثيّ ، المثاغريّ ، المرابطيّ ، المهديّ ، المشيديّ ، الظهيريّ ، العابديّ ، الناسكيّ ، الاتابكيّ ، الفلانيّ ، معز الاسلام والمسلمين ، سيد امراء العالمين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، ملجأ الفقراء والمساكين ، زعيم جيوش الموحدين ، اتابك العساكر ، ممهد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الامة ، ظهير الملوك والسلاطين ، عضد امير المؤمنين الخ »

(٣) نسخة كتاب من الملك الظاهر برقوق

« بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله ووليهِ . السلطان الاعظم المالك ، الملك الظاهر ، الاجلّ العالم العادل ، المجاهد المرابط ، المثاغر المؤيد ، المظفّر ، سيف الدنيا والدين ، سلطان الإسلام والمسلمين ، محيي العدل في العالمين ، منصف المظلومين من الظالمين ، قامع الخوارج والمتمردين ، وارث الملك ، ملك ملوك العرب والعجم والترك ، مبيد الطغاة والبغاة والكفار ، ممّلك الممالك والاقاليم والامصار ، إسكندر الزمان ، ناشر لواء العدل والإحسان ، مليك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ، مالك البحرين ، صاحب سبل القبلتين ، خادم

الحرمين الشريفين ، ظلِّ الله في ارضهِ ، القائم بسنَّتهِ وفرضهِ ، سلطان البسيطة ، مؤمّن الارض المحيطة ، سيد الملوك والسلاطين ، قسيم امير المؤمنين ، « ابي سعيد برقوق » خلد الله سلطانهِ ، ونصر جنودهُ واعوانهُ ، وافاض على العباد والبلاد جودهُ واحسانهُ ، تحية تتأرّج نفحاً وتتبلج صبحاً ، وتطوي بعرفها نشر الخزامى ، وتعيد ميت الاشواق حيًّا اذاما ، تخصّ الحضرة العلية ، السنية السرية ، المظفرة الميمونة ، المنصورة المصونة ، حضرة الامير العالم ، العادل ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحد ذخر الاسلام والمسلمين ، عدة الدنيا والدين ، قدوة الموحدين ، ناصر الغزاة والمجاهدين ، سيف جماعة الشاكرين ، صلاح الدول ، المتوكّل على الله احمد ، ابن مولانا الامير ابي عبد الله محمد ، ابن مولانا امير المؤمنين ابي يحيى ابي بكر ، ابن الامراء الراشدين . اعزّ الله دولتهُ وأذلّ عداتهُ . وانجز من صعود اوليائهِ وسعود آلائهِ صادق عداتهِ » الخ

والكتاب طويل ملأ خمس صفحات

(٤) نسخة كتاب من الملك الناصر محمد بن قلاوون الى السلطان ابي الحسن المريني في جواب كتاب ورد عليهِ منهُ وهي

« عبدالله ووليهُ . السلطان الملكُ الناصر . ناصرُ الدنيا والدين . سلطانُ الإسلام والمسلمين . محيي العدل في العالمين . مؤمّن اولياء الله المؤمنين . ظلُّ الله الممدود . وميسّر السُّبُل للوفود . حامي القبلتين بحسامهِ من اهل الجحود . وخادمُ الحرمين الشريفين متبعاً للسنة الابراهيمية في تطهير بيت الله للطائفين والعاكفين والرُّكَّع السجود . والقائم بمصالح اشرف روضة وطيبةُ يعطّر طيبها في الوجود . وليّ امير المؤمنين جمع الله بهِ كلمة الإسلام بعد الأفتراق . وقمع برعبهِ اهل العناد والشقاق . واوزعهُ شكر نعم الله التي ألفت على ولائهِ قلوب ملوك الآفاق . وامتعهُ بها منحةً صيرت لهُ الملك بالارث والاستحقاق . وسيّرت كواكب مناقبهِ فلها بالمغارب إضاءةٌ وبالمشارق اشراق . ابن السلطان السعيد الشهيد الملك المنصور . سيف الدنيا والدين . سقى الله عهدهُ عهاد الرحمة ذوات اغراق . وابقى مجدهُ بمحمدهِ الذي للامة المحمدية على تعظيمهِ اجماعٌ وعلى تقديمهِ اتفاق . يخصّ المقام العالي . الملكَ الاجلّ الكبير . المجير . العاضد . المثاغر . المظاهر . الفائز . الحائز . المنصور . المأثور . الفاتح . الصالح . الامكن . الاصون . الاشرف . الاعرف . الكريم المعظم . ابا الحسن عليًّا امير المسلمين . ابن السلطان السعيد . الحميد . الطاهر . الفاخر . الماهد . الزاهد . الاورع . الاروع . امير المسلمين .

ابي سعيد عثمان · ابن السلطان · السعيد · الرشيد · السابق · الوامق · الجامع · الصادع · اميرالمسلمين ابي يوسف يعقوب بن عبد الحق · ناظم مفرَّق الفخار · وهازم فرَق الفُجّار · والملازم لاحياء سنَّة الجهاد المتروكة في الاقطار · حتى يجمع في ملكهِ اطراف الغرب الاقصى للاستيلاء والاستظهار · ويخضع لفتكهِ كلَّ متكبر جبَّار · ويرصع في سلكهِ ما تأبى وصعبَ من تلك الديار · ويرفع لنسكهِ اعمالاً من الجهاد والاجتهاد تسر الحفظة الابرار · يظهر فيها لبركة الاسم العلوي من نشر الهدى · وقهر العدا · اوضح الادلة وابين الآثار · و يؤثر سلطاننا المحمدي من عليّ عزمهِ وحمي حزمهِ · باعز الاعوان والانصار · فتظفرُ دارُ الاسلام من قومهِ بمهاجرين من ابناء البلاد يقرُّ لهم بام القرى قرار · ويسير سوامهم للبيت ذي الحجر والحجرِ والباب والميزاب والملتزم والجدار والاستار · بسلام مشرق الغرر · مونق الحبر · وثناء مع ريّاهُ لا يعبأ بالعبيرِ مع نشرهِ ولا يعتبر · ووداد مخفيّ الخبر · واعتداد يطول منهُ في ألسنة الشكر عن احصائهِ واستقصائهِ قصر · وايراد لمفاخرهِ التي سارت بها الاخبار والسير · واعتقاد لمآثرهِ التي سبق عثمانها الى احراز مزايا الفضل وجاء عليها على الأثر الخ

والرسالة طويلة ملأت ست صفحات · ولا اعتراض لدينا على هذا التمحيق والتزويق الأ لان الناس متى اهتموا بالعرض فالغالب انهم يهملون الاهتمام بالجوهر · وقولنا هذا لا يتناول طبع صبح الاعشى لاننا نراهُ من اجمع الكتب لما يتعلق بتاريخ الممالك العربيَّة واحوال اهلها

تقرير المعهد السمثسوني

عن سنة ١٩١٣

جاءنا هذا التقرير السنوي وهو كالتقارير السابقة حاوٍ لكثير من المقالات المفيدة لكبار العلماء في المباحث الطبيعية كالفلك والجغرافيا والجيولوجيا والكهربائية والنبات والحيوان وما اشبه وقد ملأت هذه المقالات اكثر من ٦٠٠ صفحة منهُ

ويظهر من النظر الى حساب اموال المعهد انها بلغت ٩٩٧ الف ريال او نحو مئتي الف جنيه ولكن أُنفق منها تلك السنة ٦٢٧ الف ريال اكثرها انفق على حفظ المجموعات التي في المعهد وعلى بستان الحيوانات الوطني

الرُّجحان

قصيدة فلسفية طبيعية للدكتور شبلي شميل نظمها وشرحها واثبت فيها آراءهُ وآراء جمهور كبير من فلاسفة هذا العصر الروحيين والماديين بمجمل آراء الاولين في معرض الزعم وبسطها وعللها فقال :

زعموا انهُ غريب بارض ليس فيها سواهُ شيء غريبُ

الى ان قال :

خبروني ما دام منها وفيها اين يرجى معادهُ المحبوبُ
حلَّ فيها وكان منها سليماً ثم يمضي وقد عرتهُ الكروبُ
خبروني عن حكمة من مجيءٍ لمآب تعدُّ فيهِ الذنوبُ
ولماذا هـذا الثواب المرجّى ولماذا هذا العقاب الرهيبُ

الى ان قال :

فدعونا من الخلود المعنّى ان نرحّب فبالفنا الترحيبُ
واصرفونا في ارضنا عن سماء صوت املاكها الينا نعيبُ
ارضنا للنهى خزانة علم وهي حقل للعالمين خصيبُ
علمونا ان الحياة جهادٌ ومجال الجهاد فيها رحيبُ
علمونا ان المنا من هناء الغير منا صحيحةٌ مكتوبُ
لا تقولوا الاديان فينا لأمن ان تقولوا فقولكم مكذوبُ
قابلوا عصرنا بظلم عصور سادها الدين ثم بعدُ اجيبوا

والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل شبوب الحرب الحاضرة وما انتجتهُ الفلسفة المادية

اما ما ذهب اليهِ من ان كل شيء في الارض من الارض فمردود بان القوة تأتي الارض من الشمس وتأتي الشمس من مصادر اخرى . واذا كان العقل حالة من حالات القوة فهو مستمد بحسب ذلك من غير الارض . وهذا العقل يرى بداهةً او استقراء ان الموجودات المادية لا تستطيع ان توجد نفسها فلا بدَّ لها من موجد فاذا كان للموجودات موجد وهي على ما هي عليهِ من العظَم والانتظام والاتقان والحكمة والقوة حتى يتولد بعضها من بعض وتولّد

القوة حركة والحركة حرارة ونوراً وكهربائية وادراكاً وتفكيراً فهذا الموجد يلزم ان يكون عظيماً منظّماً متقناً حكيماً قويّاً . والموجودات مالئة الكون فوق ما هي عليهِ من الانتظام حتى اذا سار النور من بعض النجوم الينا بسرعتهِ المعروفة وهي نحو مئتي الف ميل في الثانية من الزمان لم يصل الينا في اقل من الوف كثيرة من السنين لبعدها الشاسع عنا . فقدرة هذا الموجد اشمل من كل ما يمكن تصوُّرهُ وهي لا تختص بالكبير من الموجودات كالشموس والاقمار والضخم من الاحياء كالحوت والفيل والانسان بل تتناول ما نعدُّهُ صغيراً حقيراً بالنسبة الينا . رأينا قبيل كتابة هذه السطور قطعة من الجبن في احد جوانبها بقعة صغيرة تغيَّر لونها عمَّا يجاورها فنظرنا اليها بمكرسكوب صغير واذا عليها حيوانات صغيرة جدًّا لا ترى بالعين لصغرها شكلها كالخنافس بيضاء الى الصفرة لكل حيوان منها فم ومعدة وايدٍ وارجل وغير ذلك من الاعضاء مثل اكبر الحيوانات . وكم في الارض من ملايين وملايين الملايين من مثل هذا الحيوان او اصغر او اكبر وقد وجدت بقدرة هذا الموجد او بالنواميس التي وضعها وسلَّطها على المادة

في هذا العالم المادي امور كثيرة لا نفهم مؤَدَّاها او لا نراها تجري على قوانيننا واحكامنا . فالاسراف كثير في ما يتولَّد من بيض السمك وثمر الشجر . والحيوانات يفترس بعضها بعضاً . والامراض تنتاب اناساً لا يستحقونها . والشرير يسود والصالح يداس . ولكن ان كنا لا ندرك ما في ذلك كلهِ من الحكمة فاللوم على قصر عقولنا . وقد ادرك الباحثون المتعمقون منا الحكمة في بعض ما كان يعدُّ قبلاً مظنَّة الجهل . وقد ندرك الحكمة في كل شيء وهب اننا لم ندركها فجهلنا الشيء لا ينفيهِ

والدكتور شميل لا يوجب نفي ما لا نعلمهُ بل يحث الناس على التمسُّك بما نعلمهُ ولذلك قال « ارضنا للنهى خزانة علم » البيتُ . ولعلهُ يريد بالارض النظام الشمسي كلهُ وكل ما في الكون من مادة وقوة مما يؤَثر فينا . واذا ثبت ما استنتجهُ بعض العلماء الآن من ان المواد كلها حالات من حالات القوة وتأيد مبدأ الاتصال ثبت ان الانسان بجسمهِ وعقلهِ جزء من القوة الشاملة وانهُ خالد بخلودها . وما ادرانا ان وجدانهُ لا يبقى معهُ بعد تغير صورتهِ الجسمانية وان وجودهُ الوقتي في هذه الارض انما هو حلقة من حلقات وجود اوسع واعظم وحينئذٍ يصير للوجود الارضي معنًى سامٍ والأعسر فهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين

وآراؤُنا في الكون لا يلزم ان تكون دائماً قريبة الصواب لاسيما وانها كثيراً ما تتوقف على حالنا من الصحة والمرض والراحة والتعب وحال المعدة من القوة والضعف

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) طبع الصور الملونة

مصر . احد المشتركين . بلغنا ان الصور الملونة بالوان كثيرة تطبع الآن من ثلاثة الوان فقط فما هي هذه الالوان وكيف تطبع الصور بها

ج . الالوان الثلاثة او الاحبار الثلاثة هي الاصفر والاحمر والازرق . وطرق طبعها مختلفة واساسها واحد . لنفرض اننا نريد رسم طائر فيهِ من الالوان الاصفر والاحمر والازرق والاخضر والبنفسجي والقرمزي والبرتقالي والسنجابي والرمادي . فتحفر لهذا الطائر صورة تظهر فيها الاجزاء التي لونها اصفر والتي الوانها مركبة من الاصفر والاحمر والازرق مفردَين او متحدين . وتحفر لهُ صورة ثانية تظهر فيها الاجزاء التي لونها احمر فقط والمركبة من الاحمر والاصفر والازرق مفردين او مركبين . وتحفر لهُ صورة ثالثة تظهر فيها الاجزاء التي لونها ازرق والتي الوانها مركبة من الازرق مع الاصفر والاحمر . وتطبع الصورة الاولى على ورقة بالحبر الاصفر والثانية عليها بالحبر الاحمر والثالثة بالحبر الازرق حتى تقع كل صورة فوق الاخرى تماماً فتظهر الصورة الاخيرة ملونة بالالوان المطلوبة . ولحفر الصور الثلاث طرق مختلفة ربما استوفينا الكلام عليها في فرصة أُخرى

(٢) الاوزان العبرانية

ومنهُ . كم وزن الشاقل والمنا والوزنة المذكورة في الانجيل

ج . وُجد بعد البحث والتحقيق ان وزن الشاقل القديم كان في عهد المسيح ٢١٠ قمحات و ٥٢ في المئة من القمحة ووزن الشاقل الجديد نصف وزن القديم . ووزن المنا الخفيف ٥٢٦٣ قمحة ووزن المنا الثقيل ١٠٥٢٦ اي مضاعف وزن الخفيف . ووزن الوزنة الخفيفة ٣١٥٧٨٠ قمحة والثقيلة ٦٣١٥٦٠ اي مضاعف وزن الخفيفة

(٣) اصحاب الطريقة الرفاعية

مصر . الخواجه سليم حاصباني . ما قولكم في الطريقة الرفاعية التي يأكل رجالها الحيات

ويبقرون بطونهم ويخمدون لظى النار بلعابهم الى غير ذلك من الفعال التي ترتعد لها فرائص المرء وقد رأيت ما رويت مرأى العين فهل هي ضرب من ضروب الشعوذة وما تعليلها عندكم

ج. ان كنتم قد رأيتم رفاعيًا يأكل الحيات فلا يحتاج الامر الى تعليل لان لحم الحية يؤكل كما يؤكل لحم السمك والغنم والبقر والمعزى . واكثر الحيات غير سام فلا ضرر من اكل لحمها والحيات السامة يكون سمها في فيها فاذا قطع رأسها وطرح فلا ضرر من اكل لحم بدنها. واما بقر البطن فلم نفهم مرادكم منهُ فاذا اردتم ان الانسان يبقر بطنهُ ثم يبقى حيًّا فذلك محتمل لان البطن قد يُبقر ثم يخاط ويشفى من غير ان يحدث التهاب مميت في البريتون. والجرَّاح الماهر يستطيع ان يبقر بطن مريض اذا حدث اندغام في امعائهِ ثم يخيطهُ ولكنهُ لا يفعل ذلك في نفسهِ بل في غيرهِ وبعد تبنيجهِ . والظاهر ان الرفاعي الذي رأيتموهُ امهر منهُ واصبر على الالم ولكننا نستبعد ان يفعل ذلك لكي يقنعكم بمهارتهِ افلا ترجحون انهُ خدعكم. واخماد اللظى باللعاب سهل جدًّا ولاسيما اذا اكل الانسان طعامًا يكثر لعابهُ او اذا فكر في شيءٍ يكثر فيضان اللعاب كالتفكير بالليمون الحامض فان اللعاب ماء والماء يطفئ النار كما لا يخفى

والقاعدة التي نجري عليها نحن ويجري عليها جمهور الناس اذا سمعوا خبرًا غريبًا هي ان يقيسوا ذلك الخبر الغريب بما يناسبهُ من المعلومات فاذا وجدوهُ مرجحًا صدقوهُ واذا وجدوهُ محتملاً وراويهُ صادقًا وغير مخدوع صدقوهُ ايضًا في الغالب ولكن اذا وجدوهُ مخالفًا للمعلوم انكروهُ او ارتابوا فيهِ الى ان تقوم الادلة القاطعة على اثباتهِ . واذا وجدوهُ مناقضًا للمعلوم انكروهُ بتاتًا وفضلوا تكذيب حسهم على تكذيب معلومات البشر في كل العصور

روى لنا المرحوم الدكتور غرانت بك منذ نحو ثلاثين سنة انهُ شاهد احد الرفاعية يدخل بيتًا أيًّا كان ويصفر فتخرج لهُ من البيت افعى وثانية وثالثة . فقلنا لهُ ان كان هذا الامر صحيحًا استلزم ان توجد الافاعي في كل البيوت وهذا امر يبعد تصديقهُ والاقرب الى العقل ان الرفاعي يخبئ الافاعي في ثيابهِ بعد ان ينزع انيابها ثم يخرجها بحيلة وانت لا تراهُ . فبعث الينا برفاعي لكي يقنعنا بصدق مقالهِ فدخل الرفاعي غرفةً في بيتنا ومعهُ جراب فيهِ افاعٍ كثيرة فوضع الجراب جانبًا ثم صفر واخرج افعى من تحت طاولة كبيرة في وسط الغرفة ولم نرَ الأانهُ مدَّ يدهُ تحت الطاولة واخرج الافعى ثم اخرج افعى ثانية من تحتها فقلنا لهُ اخرجها من كمهِ فطلبنا منهُ ان يخلع ثيابهُ كلها فخلعها ورماها

على كتفهِ ثم صفر واخرج افعى ثالثة من احد جوانب الغرفة . فقلنا لهُ اننا واثقون ان هذه الافاعي هي من الافاعي التي كانت معك فان انت اخبرتنا كيف اخرجتها من هنا فاننا نعطيك كذا وكذا من الغروش فرضي وشرح لنا كيف اخرج الافاعي الثلاث من جرابهِ وخبأها في كمهِ ثم لما خلع ثيابهُ ابقى واحدة في كتفهِ مخفية بثيابهِ ثم وضعها على كتفهِ تحت ثيابهِ وهي التي اوهمنا انهُ اخرجها من احد جوانب الغرفة . ولو كنا من مصدقي الاوهام لبقينا حتى الساعة نعتقد ان الافاعي كانت في بيتنا واخرجها ذلك الرفاعي منهُ

(٤) الاعتقاد بالعفاريت

مصر . محمد افندي محمد سعفان بمدرسة القضاء الشرعي . ما هو المعتقد الصحيح الذي يتمسك بهِ الانسان في النساء اللاتي يدّعين ان العفاريت عليهنّ

ج . انهنّ واهمات او مصابات بمرض عصبي (نوع من الهستيريا) . ومتى تعلّم النساء تزول هذه الاوهام من نفوسهنّ او تزل سلطتها عنهنّ

(٥) الحجاب والاميال الجنسية

ومنهُ . يدّعي انصار الحجاب في مصر على انصار السفور ان الاميال الجنسية اشد في البلاد الحارّة منها في الباردة فتوجب التحجب صوناً للعفة فهل ذلك صحيح

ج . ان البلوغ ابكر في البلاد الحارة منهُ في الباردة ولكننا نرجح ان الميل الجنسي يزيد بالتحجب لا بالسفور على حدّ قولهم «احب شيء الى الانسان ما منعا» . وتجدون في ما نشرناهُ من رحلة ابن بطوطة في مقتطف فبراير كلاماً يستحق التأمل لانهُ لم يُورَد قصد الجدل بل ورد عفواً من رجل يخالف مذهبهُ وهو وصف امر واقعي لا شبهة فيهِ . قال دخلت يوماً على ابي محمد يندكان المسوفي (في السودان الغربي حيث الحر اشد جدًّا منهُ في مصر) فوجدتهُ قاعداً على بساط وفي وسط دارهِ سرير مظلل عليهِ امرأة معها رجل قاعد وهما يتحدثان . فقلت لهُ ما هذه المرأة فقال هي زوجتي فقلت وما الرجل الذي معها منها فقال هو صاحبها (اي صديقها) فقلت لهُ اترضى بهذا وانت قد سكنت بلادنا وعرفت امور الشرع . فقال لي ان مصاحبة النساء للرجال عندنا على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها

قال ابن بطوطة فعجبت من رعونتهِ وانصرفت . فغلَّب سوء ظنهِ الذي اساسهُ الوهم على ما رآهُ بعينيهِ مراراً في تلك البلاد وما أكّدهُ لهُ اهلها مما ينفي كل مظنة . وهذا كلهُ لا يمسّ جوهر مسألة الحجاب لان البحث في هل تحجب النساء افضل لمصلحة الامة خارجٌ عن موضوعنا

(٦) علاج البربة

قنا . احد المشتركين . ينزل من رأمي

كل صباح حالما امشط قشور كثيرة بيضاء ولقد استشرت كثيرين من الاطباء فكانت نصائحهم مجمعة على وجوب الغسل والفرك والتمشيط اليومي · على ان هذا العلاج لم ينجع فهل لذلك سبب طبيعي وهل لهُ علاج مفيد

ج · هذه القشور المسماة بالعربية هبرية هي نتيجة مرض في جلد الراس وخير علاج لها النظافة والغسل بالماء والبورق او الماء والغليسرين ودهن ما بين الشعر بمحلول كبير يتيد البوتاسيوم او بمرهم زئبقي

(٧) الاكليروس والحرب

مصر · الخواجه حبيب الياس الزحلاوي · يقال ان للاكليروس اليد الطولى في هذه الحرب فهل ترجعون ذلك استناداً على التاريخ او اطلاعاً على معلومات خاصة وهل يكون لهم شأن قوي في الصلح

ج لم نطلع على ادلة او امور تؤيد ذلك ومن المحتمل انهم سعوا لكي يتأيد نفوذ النمسا الكاثوليكية في البلقان ولا يتأيد نفوذ روسيا الارثوذكسية وان هذا السعي كان من جملة الاسباب التي اثارت الحرب الآن ولكن لو لم يحدث ذلك لثارت الحرب بعد سنة اوسنتين او اكثر لان النار كانت مخبوءة تحت الرماد والسبب الاكبر لها المنافسة في الاستعمار والطمع بالاكتساب وحتى الآن لا يظهر انهُ يكون للاكليروس يد في الصلح

(٨) فرنسا والجمهورية

ومنهُ · يتحدث البعض ان الدولة الافرنسية ستعيد حكم الفرد المطلق وتنبذ الجمهورية فهل يعقل ذلك

ج · لا شيء يمنع ان يكون معقولاً ولكنهُ غير مرجح لان الناس صاروا الآن اميل الى الحكم الجمهوري منهم الى الملكية المطلقة

(٩) الحرب والحكم المطلق

ومنهُ · لو أبطلت الاحكام المطلقة في العالم بازالة العائلات المالكة أو تنحيتها الا ينهد ركن من اركان الحروب ويقام مقامهُ دعامة من دعائم السلام

ج · بلى فان الحكومات الجمهورية قلما تكون البادئة في اثارة الحروب وقلما تهتم بالتأهب لها

(١٠) ان الثمانين وبلغتها

شبراخيت · احمد افندي الصراف ·

قال الشاعر

ان الثمانين وبلغتها
قد احوجت سمعي الى ترجمان

فهل كلمة بلغتها ينطق بها بَلَغتَها او بُلِّغتَها

ج · لا كذا ولا كذا بل ينطق بها بُلِّغتَها بتاء المخاطَب وهي دعاء اي ان الثمانين سنة وعسى ان تبلغها انت قد احوجت سمعي الى ترجمان

(١١) سد الصين وسيف اقيانس

ومنهُ . قال حضرة صاحب السعادة احمد باشا زكي في تصدير الادب الصغير ما نصهُ « مثلث في التوحيد قد اجتمعت على كلمتهِ شعوب متباينة من سد الصين في اقصى الشرق الى سيف اقيانُس في نهاية اندلس » فما مرادهُ بقولهِ سيف اقيانس وهل سد الصين هو سد مأرب او غيرهُ

ج . السيف بكسر السين الشاطئ . والاقيانس البحر المحيط الذي تكتبهُ عادة اوقيانوس ويريد بهِ الاتلنتيكي . ونظن انهُ يريد بسد الصين السور الصيني المشهور وهو ليس سد مأرب الذي كان في اليمن ولا تزال آثارهُ فيها

(١٢) رسم الخرائط

مصر . محمد افندي صادق راغب بمدرسة الطب . كيف نشأ رسم الخرائط الجغرافية ومن اول من وضع ذلك

ج . ترون مقالة في هذا الموضوع في المجلد الثامن والعشرين من المقتطف وفيها رسم اقدم خريطة وجدت حتى الآن وهي خريطة مصرية رسمت سنة ١٣٧٠ قبل المسيح ورسم خريطة بطليموس الذي نشأ في القرن الثاني للميلاد ورسم الخريطة المنقولة عن كرة الشريف الادريسي الذي نشأ في القرن الثاني عشر للميلاد

(١٣) مصدر نور الشمس

ومنهُ . ما مصدر النور في الشمس . ولا يخفى ان النور مصدرهُ حرارة شديدة درجتها فوق درجة الاحتراق فهل من دليل علي على ان الشمس تحترق واذا كان الامر كذلك فلمَ لم تنفد المادة المحترقة حتى الآن

ج . ان الشمس في حالة حمو شديد جداً وقد حسبوا ان درجة الحرارة فيها نحو عشرة آلاف . وفي سبب حرارتها قولان مشهوران الاول سقوط الرجم المتوالي عليها والثاني تقلُّص جرمها المستمر . ثم ان المادة المحترقة لا تنفد اي لا تزول من الوجود اما في ارضنا فالفحم المحترق يتحد بالاكسجين ويصير غازاً مركباً من الاكسجين والكربون وينتشر في الهواء ثم يعود الى الارض مع ماء المطر او تمتصهُ النباتات . والخيط الذي في المصباح الكهربائي يضيء من شدة الحرارة ولكنهُ لا ينفد بل يبقى في مكانهِ والمادة والقوة خالدتان لا تتلاشيان فيما نعلم

(١٤) منشورات نبوليون في مصر

الزيتون . ش شدياق . جاء في تاريخ نبوليون في مصر وسوريا بقلم المرحوم سليم البستاني صفحة ١٨ ما يأتي « ثم امر (نبوليون) بان يصير اقامة المطابع الكثيرة التي اتى بها معهُ وذلك في الاسكندرية وان تشرع في طبع اوامرهِ واعلاناتهِ في اللغة الفرنسوية والعربية والسريانية » فارجو الافادة عما اذا

طُبع شيءٌ من منشوراتهِ باللغة السريانية واين يمكن ان توجد نسخة من ذلك

ج . رأينا عند المرحوم صادق بك كامل كثيراً من منشورات بونابرت بالعربية والفرنسوية ولا نتذكر اننا رأينا بينها شيئاً باللغة السريانية وهذا رأي غيرنا من الذين جمعوا ما طبع في مصر في عهد الحملة الفرنسوية فانهم لم يروا بينها شيئاً مطبوعاً بالسريانية

(١٥) امبراطور الجمهورية

ومنهُ . وقع تحت يدي ليرا فرنسوي (بنتو) مضروب سنة ١٨٠٦ وعلى احد وجهيهِ رأس نبوليون الاول ومكتوب حولهُ نبوليون امبراطور Nap. Emp وعلى الوجه الآخر اكليل وحولهُ الجمهورية الفرنسوية R. Française فما معنى ذلك وهل يتفق وجود الامبراطورية والجمهورية معاً

ج . عندنا نحن قطعتان ذهبيتان فرنسويتان كلٌّ منهما بار بعين فرنكاً وعليهما كتابة مثل كتابة البنتو الذي عندكم ولما وقعتا في يدنا منذ نحو ٢٥ سنة ظننا انهما سكتا كذلك خطأ ولكن لما ورد سؤالكم بحثنا في هذا الموضوع فاتضح لنا ان نبوليون لما تاقت نفسهُ الى الملك والى جعلهِ موروثاً في نسلهِ لم يشأ ان يلقب نفسهُ ملكاً خوفاً من الحزب الجمهوري في الجيش فاختار لقب امبراطور ومعناهُ قائد الجيش العام وهو اللقب الذي كان يلقب بهِ القنصل الروماني حينما يقود جيش رومية واول من تلقب بهِ يوليوس قيصر وتبعهُ خلفاؤهُ . اي ان الحكومة الرومانية كانت جمهورية وكان رئيسها يسمَّى قنصلاً ومتى قاد الجيش لقب امبراطوراً فاقتفى نبوليون خطة يوليوس قيصر وكان ذلك بمرسوم من مجلس الشيوخ في ١٨ مايو ١٨٠٤ وبقيت الحكومة جمهورية ولو بالاسم

(١٦) الانسان والاصابع الست

المحلة الكبرى عزيز افندي سوريال . ظن البعض ان الانسان الاول كان لهُ ست اصابع في كل يد فالرجاء ابداء رأيكم في ذلك على صفحات المقتطف

ج . لا دليل على صحة ذلك بل تدلُّ الدلائل على ان عدد الاصابع كان خمسة دائماً اذ هو كذلك في جنين الانسان وفي الحيوانات الشبيهة بهِ ولانهُ لاداعي لزوال الاصبع السادسة لو كانت موجودة كما زالت الاصابع من قوائم الخيل . ولو كانت موجودة وزالت لبقي لها اثر في يديهِ او في ايدي اجنتهِ

(١٧) سبب تغير الفصول وطول النهار

دمياط . مصطفى افندي اللوزي . ما سبب تغيُّر الفصول وسبب طول النهار وقصره

ج ان سبب تغيُّر فصول السنة وسبب قصر النهار وطولهِ هو كون دائرة البروج (اي الدائرة التي تدور فيها الارض حول الشمس مرة واحدة في السنة) مائلة على خط

الاستواء لا مطابقة له فلو كانت مطابقة له لظلت الشمس على خط الاستواء السنة كلها ولم تتغير فصول السنة ولا اختلف النهار في الطول والقصر . اما الآن فالشمس تقع على خط الاستواء مرتين في السنة احداهما حوالي ٢١ مارس وتعرف تلك النقطة بالاعتدال الربيعي والاخرى حوالي ٢١ سبتمبر وتعرف بالاعتدال الخريفي وفيهما يتساوى طول النهار والليل . ومتى جاوزت الشمس الاعتدال الربيعي تقع شمالي خط الاستواء نصف السنة فيحدث من ذلك فصل الربيع وفصل الصيف هناك و يكون النهار اطول من الليل . ومتى جاوزت الاعتدال الخريفي تقع جنوبي خط الاستواء فيحدث من ذلك فصل الخريف وفصل الشتاء شماليّهُ ويقصر النهار عن الليل . هذا في القسم الشمالي من الارض و يحدث مثلهُ في القسم الجنوبي متى كانت الشمس جنوبي خط الاستواء



باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر مارس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٤	٥	٥٨	صباحاً
الربع الاول	١١	٨	٣٣	مساء
البدر	١٩	٧	٢٧	«
الربع الاخير	٢٦	٦	٢٢	«
القمر في الاوج	١٢	٧	٢٤	«
« الحضيض	٢٦	٣	١٢	«

السيارات

يكون عطارد كوكب الصباح والزهرة كوكب المساء والمريخ يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً والمشتري كوكب المساء في اول الشهر ثم يشاهد في آخره .

وزحل يغرب نحو الساعة ٢ صباحاً

سير العلم في اوربا واميركا

قالت السينتفك اميركان في مقالة عن تأثير الحرب في سير العلم باوربا واميركا « ان انضمام كثيرين من علماء اوربا وجامعي حروف المطابع الى المحاربين في الميادين كان عقبة كبيرة في سبيل تقدم العلم في البلاد الاوربية فلم يخترع شيء يستحق الذكر ولا اكتشف شيء الا صنع العلف من الخمير في المانيا بعد

تضييق الحصر البحري عليها. اما اميركا فليس الامر فيها كذلك. ويكفي للدلالة على حسن سير العلم فيها تمكننا في خلال السنة الماضية من مخاطبة باريس وجزر هونولولو بالتلغراف اللاسلكي من وشنطن عاصمة هذه الولايات »

وقابلت بين سير علم الفلك في اوربا وسيره في اميركا فذكرت ان المكتب الفلكي الالماني الذي كان يوزع الاخبار الفلكية من كيال على جميع انحاء المسكونة قبل الحرب انقطع عن عمله هذا في زمن الحرب فتولى مرصد جامعة كوبنهاغن نشرها مكانهُ . اما في اميركا فان العمل قائم بهمة لاكمال نصب التلسكوب الكبير في مرصد مونت ولسن . وهو اكبر تلسكوب صنع وقطر عدسيته مئة بوصة . ومتى تمَّ تركيبهُ امكن ان يصوَّر بهِ مئة مليون نجم جديد

صفّ المصابيح في الشوارع

بحث بعضهم في افضل الطريقتين لصف المصابيح على جانبي الشوارع العمومية هل هو صفها على جانبي الشارع متقابلة او مترادفة كما في القاهرة مثلاً فكان حكمهم ان الطريقة الاولى هي الافضل من جهة الزينة او الجمال الهندسي . وان الثانية افضل من جهة المنفعة الا حيث عرض الشارع ليس اعظم كثيراً من المسافة بين مصباح ومصباح فحينئذٍ يفضل صفّ المصابيح متقابلة . اما حيث عرض الشارع اعظم بكثير من المسافة بين مصباح ومصباح فالطريقة الثانية افضل . وبناء على ذلك يكون صف المصابيح بحسب الطريقة الاولى افضل في مدينة مثل القاهرة فان عرض شارع من الشوارع الكبرى كشارع المدابغ مثلاً الذي يقطع شارع قصر النيل عند البنك الاهلي لا يزيد على ثلث المسافة بين مصباح وآخر

من سيبيريا الى انكلترا بحراً

بلغ انكلترا في اكتوبر الماضي باخرتان انكليزيتان قادمتان من سواحل سيبيريا الشمالية وهما تحملان شحناً من حاصلات بلاد اوبي وينيسي بطريق بحر كارا والاوقيانوس المتجمد الشمالي

حصى المرارة

لحظ جرَّاح انكليزي ان الحصى تتكوَّن في مرارات الارانب التي تلقح بمكروبات لولبية تشبه مكروبات الكولرا في شكلها . وربما اتصلوا من ذلك الى معرفة السبب في تكوُّن الحصى في مرارات الناس مما هو كثير الحدوث في البلاد الحارَّة

كتب قديمة في الفلك

في مكتبة لندن الآن مجموعة صغيرة من كتب قديمة مطبوعة في علم الفلك . منها نسخة تقويم بالايطالية لمونتريجو واخرى

باللاتينية . وكلتاها مطبوعتان في مطبعة ارهارد رتدولت المشهورة بالبندقية سنة ١٤٧٦ ونادرتا الوجود الآن . ومنها كتاب باللاتينية لمؤلف نفسهِ طبع في نورنبرج في السنة المذكورة ايضاً . وبينها كتب اخرى طبعت في القرن الخامس عشر ايضاً فيها رسوم للكسوف والخسوف وغيرها من الرسوم الفلكية منها ما لُوّن باليد ومنها ما لُوّن بالطبع . وبين تلك الكتب كتابان لغليليو الواحد طبع سنة ١٦١٣ ووصف فيهِ كلف الشمس وبقعها وكان قد اكتشفها حديثاً واعلن فيهِ اكتشافهُ للاضطرابات الحادثة في افلاك اقمار المشتري . والآخر كتابهُ المسمى « ديالوغو » وهو الذي وصف فيهِ رأي بطليموس في نظام الافلاك ثم رأي كوبرنيكوس بعدهُ فافضى الى حكم ديوان التفتيش المشهور عليهِ

وبين تلك الكتب كتاب واحد بالانكليزية من الطبعة الاولى لكتاب نيوتن « المبادئ » طبع سنة ١٦٨٧ . والنسخة محفوظة احسن حفظ

اغاني الهنود بالفونوغراف

عهد مكتب الحكومة الاميركية الخاص بدرس اجناس الناس الى سيدة اميركية في جمع اغاني الهنود الاميركيين بالفونوغراف فجمعت نحو الف منها حتى الآن . وموضوع كثير من هذه الاغاني الاعتقاد بوجود اله يسمونهُ « الطبيب العظيم » فينظمون الاناشيد ويغنونها لهُ طالبين عافية وعمراً مديداً وعوناً على نشر الفضائل وهجر الرذائل وفي طليعتها شرب المسكر . وبعض هذه الاغاني قديم منقول بالسماع ابا عن جدّ ولكن المغنين يستعينون على تذكرهِ بمذكرات منقوشة على قطع من لحاء الشجر . وبينها مجموعة من اغاني سميت « اغاني الاحلام » يدعي الهنود انها جاءتهم وحياً في حلم او في غيبوبة وهذه تستعمل لعلاج المرضى . وقد ابدى احد كهانهم او اطبائهم قوّتهُ الخارقة العادة بمجزة اتاها وهي اشبه شيء باعمال المشعوذين ذلك انهم ربطوهُ بحبال وسلاسل فتملص منها على مثال المشعوذين الذين نراهم كل يوم

زراعة الجوت في الهند

تبلغ مساحة الاطيان التي تزرع جوتاً في بلاد بنغال وكوش بهار وآسام من اعمال الهند ٣٢٥٠٠٠٠ فدان . وبلغت قيمة ما اصدر منها من الجوت الخام ٢٠ مليون جنيه سنة ١٩١٣ . وفي كلكوتا معامل لنسجهِ تنسج ما زنتهُ ثلاثة الاف طن في اليوم . وفي سنة ١٨٥٥ لم يكن فيها سوى معمل واحد

المطر في انكلترا

قاسوا ما وقع من المطر في انحاء انكلترا المختلفة في شهر دسمبر الماضي فوجدوا ان

معظمهُ وقع في مكان اسمهُ بوروودايل من مقاطعة كمبرلند وكان ٣٠٣ و ٢١ من البوصة واقلهُ في جلدستون من مقاطعة نوفوك وكان ٣٫٤٣ من البوصة · وليبان عظم المقدار الاول تقول ان سورية من البلاد التي تعتمد في ارواء مزروعاتها على الامطار الأَ بقعاً محدودة منها ومع ذلك يتراوح متوسط ما يقع من المطر فيها كل سنة بين ٣٠ بوصة و٣٥ · واذا تجاوزت هذا القدر خيف من الغرق كما جرى في بعض السنين اذ بلغ متوسط المطر في فصل الشتاء ٤٦ بوصة فغرق كثير من الزرع · فما نزل من المطر في بوروودايل وفي شهر واحد بلغ ثلثي ما ينزل عادة في سورية مدة اشهر الامطار وهي خمسة اشهر على الغالب

سكة حديد الرأس والقاهرة

لم يبقَ لوصل القاهرة باقصى افريقية جنوباً بسكة الحديد الأَ اتمام الخط في ثلاثة اماكن الواحد بين كبوف وبوكاما في الكنغو البلجيكية · والثاني بين ستانليفيل في الكنغو البلجيكية ايضاً وبحيرة البرت · والثالث بين دوفيل في حلفة لادو ورجاف في السودان المصري وهذا الاخير هو الاقصر وطولهُ ١٠٠ ميل · والمرجح انهم يمدون فرعاً من ستانليفيل الى بحيرة تشاد ومنها الى حيث يتصل بخط سكة الحديد الفرنسوية التي تجتاز الصحراء الكبرى

وهناك خطٌ للسفر من مدينة الراس الى القاهرة غير الخط المتقدم وهو ان يركب المسافر سكة الحديد من مدينة بروكن هل في رودسيا الى الطرف الجنوبي من بحيرة تنجنيكا ثم يمرُّ باملاك المانيا في شرق افريقية حتى ينتهي الى سكة حديد اوغندا ومنها الى سنار في السودان

فضل الكيمياء الصناعية

قال عالم انكليزي من مقالة نشرت في المجلة الانكليزية « ان اعانة الحكومة الالمانية لفرع الكيمياء الصناعية هو اشبه شيءٍ بعرق ذهب في جسم السياسة الالمانية · واذا تسنَّى لنا يوماً فهم المراد بكلمة « كلتور » (رقي) التي يرددها الالمان كثيراً رأينا ان الكيمياء الصناعية او الصناعة الكيماوية هي روح ذلك الرقي وقوامهُ »

الورق وربُّ الخشب

لما اعلنت اسوج عزمها على منع اصدار رب الخشب الى انكلترا قلقت انكلترا لذلك اشدَّ قلق لاعتمادها في صنع الورق على ما تستوردهُ من هذا الرب · فقد زادت قيمة ما استوردتهُ منهُ عشرة اضعاف بين سنة ١٨٨٧ وسنة ١٩١٥ فكانت في الاولى ٥٠٠ الف جنيه فصارت في الثانية ٥ ملايين واستوردت في السنة الماضية ايضاً ما قيمتهُ

مليون جنيه من المواد الاخرى التي يصنع الورق منها كخشب الوزال والخرق (الكهنة) وغيرها . اما رب الورق فكانت تستورد منهُ نحو ٧٠ في المئة من اسوج ونروج . فاسوج تمدها بمعظم الرب الكيماوي الذي يستعمل لصنع الورق الفاخر . ونروج بمعظم الرب المسمى بالميكانيكي وهو الذي يصنع منهُ ورق الصحف اليومية عادة . والباقي من الرب يرد من اميركا وكندا ولكن معظم ما يرد منها هو من الرب الميكانيكي اي رب الخشب المطحون

مدالية البرت

اهدت جمعية الفنون الملكية في انكلترا مداليتها المعروفة بمدالية البرت هذه السنة الى السر جوزف طمسن « لمباحثهِ في الكيمياء والطبيعة وتطبيقها على حاجات الفنون والمصنوعات والتجارة » . وهذه المدالية انشئت سنة ١٨٦٣ تذكاراً لزوج الملكة فكتوريا وهي تمنح كل سنة « لمن يتفوق في ترويج الفنون والمصنوعات والتجارة »

اللاتينية لغة عامة

توفي اخيراً الاستاذ باتسلي الايطالي فابنتهُ المجلات العلمية الانكليزية ومما قالتهُ مجلة ناتشر في تأبينهِ انهُ لما عقد مؤتمر الطب الدولي اجتماعهُ الحادي عشر في رومية سنة ١٨٩٤ اقترح باتسلي جعل اللاتينية اللغة العامة لجميع الناس وكان هو رئيس المؤتمر

فكتب اليها الآن السر لودر برانتون الطبيب المشهور يحبذ هذا الاقتراح ويشير باخراجهِ الى الفعل وختم رسالتهُ بقولهِ : « كلما مرَّ بنا يوم وازداد الاختلاط بين امم الارض المختلفة اشتدت حاجتهم الى لغة عامة للتفاهم والتخاطب . وقد حاول البعض سد هذه الحاجة بتأليف لغة عامة كالفولابوك والاسبرانتو فنجحوا بعض النجاح ولكن لم تصر احداهما لغة عامة . ومن المعلوم ان الانكليزي قلما يتعلم اللغات الاجنبية كالهندي او الالماني او الرومي . وعندي ان تفوق الالماني على الانكليزي من هذا القبيل هو الذي احلَّ تجارتهُ محل تجارة الانكليزي في بعض انحاء المعمور قبل الحرب . ومتى انقضت هذه الحرب المشؤومة فستحاول المانيا مرة اخرى الحلول محل انكلترا في تجارة العالمين والقاء بذور الشقاق بين الحلفاء بكل صنوف الشر والدهاء . فاذا لم يتعلم الانكليز لغة الفرنسويين والطليان والروس فلا يستطيعون المحافظة على ما بينهم من الوداد الآن . فالفرنسوية والايطالية سهلتان ولكن الروسية عسرة وقد تصير الزم اللغات لنا . فاذا عُلمت اللاتينية في بلاد الحلفاء لم يمضِ الا القليل حتى تستعيد مكانها القديم اي تصبح اللغة العامة لجميع العالم المتمدن »



محمد قدري باشا

مقتطف مارس ١٩١٦

امام الصفحة ٢٥٣

السر هري لوصن الذي صار لورد برنهام

لورد برنهام المتوفَّى

مقتطف مارس ١٩١٦
امام الصفحة ٢٦٣

ش ١

١ ٢ ٣ ٤ ٥

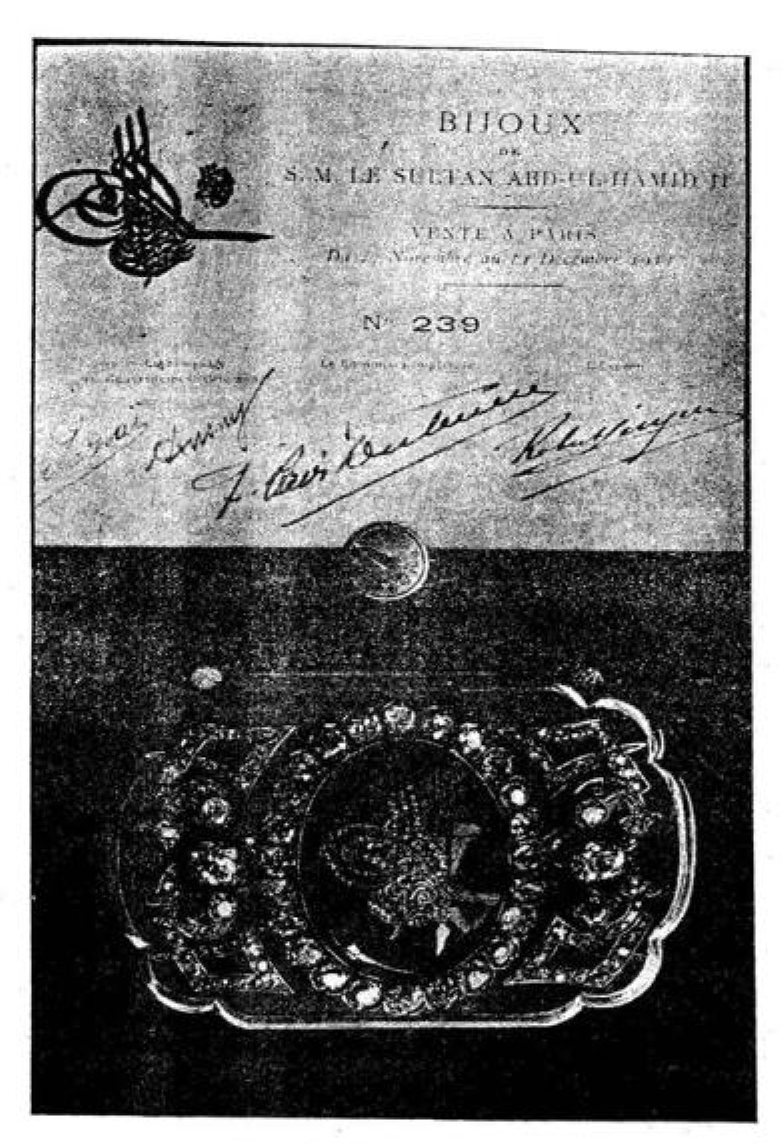
(١) محصول فدان من غير سماد (٢) محصول مسمد بسماد بلا نترات (٣) محصول مسمد بالنترات (٤) مسمد بالنترات والفصفات (٥) مسمد بسماد المواشي . والجزء الاسود من كلٍ واحد يدلُّ على محصول الفدان من التبن بالارطال والجزء المخطط يدلُّ على محصوله من القمح بالابشال . فمحصول القمح من الاول ١٢ بشلاً وستة اعشار ومن الثاني ١٤ بشلاً ونصف بشل ومن الثالث ٣٠ بشلاً ومن الرابع ٣٦ بشلاً وستة اعشار ومن الخامس ٣٥ بشلاً وعشران والبشل نحو كيلتين . والتبن من الفدان الاول عشرة ارطال وثلاثة اعشار ومن الثاني ١٢ رطلاً وعشر رطل ومن الثالث ١٨ رطلاً واربعة اعشار الخ

ش ٢

في التربة في الرمل في التراب

ش ٣

مقتطف مارس ١٩١٦
امام الصفحة ٢٨٢



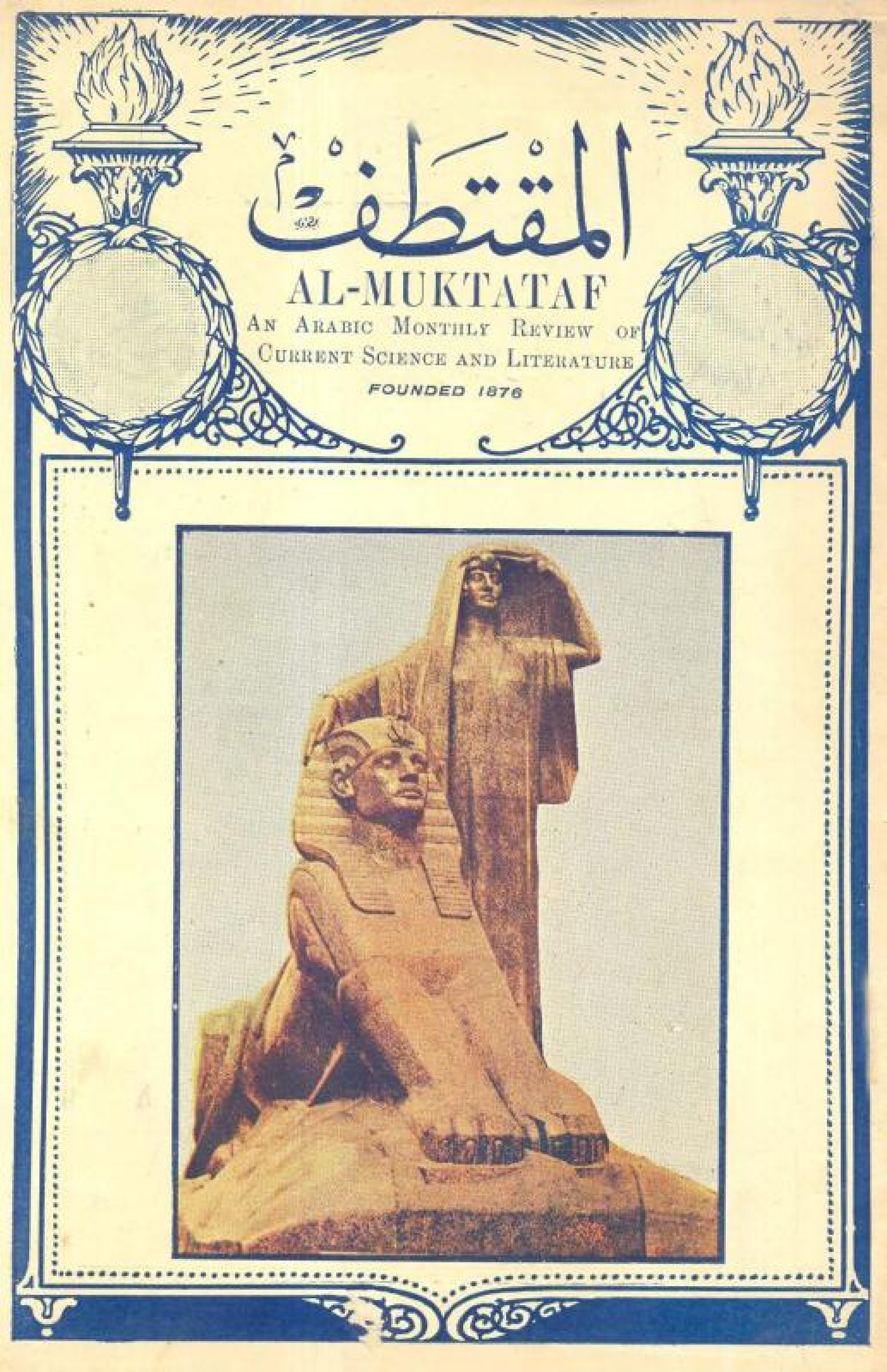
العلبة المجوهرة والشهادة فوقها

مقتطف مارس ١٩١٦

امام الصفحة ٢٩٤

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثامن والاربعين

صفحة


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والاربعين

١ ابريل (نيسان) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٨ جمادى الاولى سنة ١٣٣٤

الحياة والمادة في حرب [1]

وهي خطبة الفيلسوف الفرنسوي هنري برغصن HENRI BERGSON رئيس اكادمية العلوم الادبية والسياسية بباريس تلاها في اجتماعها السنوي في ١٢ دسمبر ١٩١٤

قيل ان الفلسفة تقول للمرء "Comprendre et ne pas s'indigner" اي « تبصَّر ولا تغتظ » اما انا فاخالفها في ذلك واذا رأيت الجرائم تُرتكب وخُيِّرت فيما افعل فاني افضل ان اطلق لغيظي العنان ولا ابصر . ومع ذلك فلسنا مخيَّرين بل نحن مدفوعون للغيظ لان بعض ضروبهِ اذا تبصَّر المرء في مرماها زادت قوةً وتجدَّدت سورتها . وغيظنا من هذا النوع فاننا اذا امعنا النظر في مرامي هذه الحرب زدنا حنقاً من مثيريها . ولا امهل من اثبات ذلك كما سيجيء

عكفت المانيا على الشعر والفلسفة منذ زمن طويل مدَّعية انها خُلقت للفكر والخيال ولا تهمها حقائق الاشياء . نعم ان ادارتها كانت مختلَّة وانها كانت مقسومة ممالك متناظرة متخاذلة حتى خيف من انتشار الفوضى فيها بعض الاحيان انتشاراً لا قامع لهُ . ولكن الناقد البصير كان يرى تحت هذا الاختلال الظاهر شجرة الحياة التي تكون دائماً في اولها غضة كثيرة الفروع ثم تُشذَّب وتُهذَّب حتى تصير في الشكل الذي يراد بقاؤها فيهِ . فكان من المنتظَر ان تتولَّد من مجالسها البلدية ادارة حسنة تضمن النظام ولا تنفي الحرية وان ينشأ من اتحاد ممالكها المتخالفة ما يسمَّى باتفاق المتخالفات الذي هو اكبر مميز للاجسام الحيَّة . ولكن هذا

(1) هو هنري لويس برغصن استاذ الفلسفة في كلية فرنسا واحد اعضاء الانستتو ولد سنة ١٨٥٩ ولعلهُ اشهر فلاسفة فرنسا الآن ولهُ من المؤلفات المشهورة كتاب الزمن والارادة الحرة وكتاب المادة والذاكرة وكتاب النشوء المبدع

الامر لا يتم في يوم او يومين بل لا بدَّ لهُ من زمن كافٍ كما هي الحال في سائر الاحياء اذا اريد ان تعمل كل ما هو مقدور لها من الاعمال

لما كانت المانيا جارية في تكوين وحدتها كمجموع حي كان فيها او فيما يليها اناس شأنهم تحويل كل شيء الى صورة صناعية · وهذا كان شأن مملكة بروسيا في تكوُّنها فانها تكوَّنت بضم بعض الولايات المأخوذة بالغلب او بالكسب ضمًّا صناعيًّا كأنها قطع ثوب خيط بعضها ببعض فكانت ادارتها صناعية آليَّة وجرت في اعمالها مجرى الآلات في دقتها وانتظامها · ومثلها صار جيشها الذي كان مطمح انظار ملوكها من آل هوهنزلرن · ومما لا ريب فيهِ ان الناظر الى بروسيا يرى في اعمال اهلها وتصرفاتهم من التدقيق والسير على خطط معلومة محدودة ما يدلُّ على انهم آلات صماء متحركة وذلك من اشارات ملوكهم الى خطوات جنودهم إما لانهم تمرَّنوا على الطاعة العمياء قرونًا عديدة او لان محبة الغلب والنهب المغروسة فيهم استولت على حياة الامَّة وحوَّلت انظارها ومطالبها الى ما هو مادي محض

وجاء يوم وقفت فيهِ المانيا بين امرين لتختار واحداً منها إما الوحدة الصناعية الميكانيكية التي فُرضت عليها فرضاً من الخارج واما الوحدة الحيوية الطبيعيَّة التي تولدها الحياة من الداخل · وكان عليها ان تختار لكل حالة من هاتين الحالتين الادارة التي تناسبها إما الادارة الصناعية المقيَّدة بما فيها من الانتظام التام ولو كانت خالية من التجدُّد الحيوي مثل كل نظام صناعي وإما الادارة الطبيعيَّة الحرة التي ينشئها الناس الاحرار اذا ائتلفوا بمقتضى ارادتهم من غير اكراه · فايهما اختارت ؟

كان في المانيا حينئذٍ رجل تجسَّمت فيهِ روح بروسيا · رجل نابغة ولا شك ولكنهُ نابغة في الشر لانهُ كان بلا ضمير ولا ايمان ولا محبة · ازال النمسا من سبيلهِ لئلاَّ تفسد عليهِ الغرض الذي كان يسعى اليهِ · ثم قال لنفسهِ اننا عازمون ان نجعل المانيا تتمتع مع بروسيا بكل ما نتمناهُ ونطمع فيهِ فاذا تردَّدت عن اجابة طلبنا لان شعبها لم يشأ ان يعمل بما نقول باختيارهِ فاني اعلم كيف اضطرهُ لذلك ازجُّ بهِ في حرب عوان في منازلة عدو لنا كلنا عدو خدعناهُ وتربصنا بهِ نوائب الدهر وسنأخذهُ على غرَّة وحينما ننفخ في بوق الظفر اقوم واجعل المانيا تؤالي على نفسها وهي سكرى بخمرتهِ ان لا تغمد الحسام حتى تنال كل اطايب الارض

قال وفعل وآلت المانيا على نفسها ان تفعل بقولهِ · ثم اوجب عليها ان لا تخلع سلاحها عنها لكي لا تنكث بعهدها · ومن اقوالهِ التي رواها عنهُ اخصاؤُهُ قولهُ « اننا لم نأخذ من النمسا شيئًا بعد معركة سادوى لكي نستطيع ان نصالحها يومًا ما » وعليهِ فقد اخذ من فرنسا

الالزاس وجانباً من اللورين لكي لا يبقى مجال للصلح بينها و بين المانيا قاصداً ان لا يبرح من بال الالمان انهم في خطر دائم من الحرب فيجب عليهم ان يغوصوا في سلاحهم ولا يخلعوهُ ابداً اي يجب على المانيا ان تعضد بروسيا في مقاصدها الحربية وفي التأهب الدائم للحرب بدلاً من ان يكون انضمامها اليها واسطة لتقويتها واستغنائها عن الحرب

نعم انضمت المانيا الى بروسيا فتألفت من ذلك قوة حربيّة زادت منعةً سنة بعد سنة لكنها تخطت الحدود التي قدرها لها بسمارك وحدث في امرها ما حدث في امر الساحر الذي يقال انهُ استحضر جنيّةً وعزَّم عليها حتى تأتيهُ بدلو ماء تفرغهُ في بيتهِ وهو لا يعرف كيف يصرفها فظلت تجلب الماء وتفرغهُ حتى اغرقتهُ

نظَّم ملوك بروسيا جنودهم ومرَّنوها واعتنوا بها حتى صارت عنوان الكمال في حسن نظامها وتدريبها وغرضهم من ذلك ان يجعلوها آلة لنيل مآربهم وهو اجتياح ما يمتلكهُ جيرانهم من الاراضي لان الناس قلما كانوا يملكون شيئاً آخر فكانت ثروة الانسان تقدر بما يمتلكهُ من الارض . ولكن لما جاء القرن التاسع عشر واستخدم الناس العلوم الطبيعيةَ لمنافعهم المادية فارتقت الصناعة واتسعت التجارة صار للثروة وجوه اخرى . ثم لما وضعت الحرب اوزارها سنة ١٨٧٠ رأت المانيا وهي طامحة بنظرها الى امتلاك خيرات العالم ان لا بدَّ لها من ان تصير صناعية تجارية وهذا لا يستلزم ان تغير اساليبها من حيث التدقيق والتنظيم والاستطلاع بل يدعوها لان تزيد استمساكاً بها وتضيف اليها الغطرسة والجاسوسية اللتين هما دعامة قوتها الحربية . فتتأهب بالصناعة والتجارة وقوتهما لا تقلُّ عن قوة جيشها وتغزو بهِ وبهما ممالك الارض

ومن ثمَّ جعل جيشها وصناعتها يسيران جنباً لجنب متعاضدين الجيش الذي تجسَّم فيهِ حب الفتح والظفر ومعهُ البوارج الحربية المكمّلة لهُ . والصناعة التي جاءت منقادة الى حب الفتح . نمت الصناعة الالمانية واينعت من كل الوجوه ولكنها لم تنحرف عن غايتها الحربية . فأنشئت معامل كبيرة لم يرَ العالم لها مثيلاً ضمّت الوفاً من العمّال وعملهم سبك المدافع والى جانبهم عمّال آخرون انتحلوا كل اختراع اخترعهُ ذكاء الامم المجاورة وحولوهُ عن غايتهِ النافعة وجعلوهُ آلة للحرب والدمار . فزاد الجيش والاسطول قوةً ومنعةً بزيادة الثروة الناتجة من نمو الصناعة والتجارة فاوفيا الثروة ما انفقتهُ عليهما بان وقفا طوع امرها وجعلا يفتحان السبل والاسواق للصناعة والتجارة . ولكن هذا المجموع الكبير المركّب من الصناعة والتجارة والجيش والاسطول الذي سار سيراً حثيثاً بضغط ملوك بروسيا عليهِ وضغط بروسيا على المانيا فزادت

سرعتهُ بالاستمرار كان لا بدَّ لهُ من ان ينحرف عن جادتهِ لشدَّة سرعتهِ فيخرج عن كل قيد و يتدهور الى الهلاك

ان الرغبة في الفتح والظفر لا تشبَع ولكنها تضطر ان تقف عند حد ما اذا اقتصر صاحبها على تملُّك بلاد جيرانهِ . فلما رغب ملوك بروسيا في توسيع ملكهم اضطروا ان يحاربوا جيرانهم حروباً متوالية ولكن الواحد منهم لم يستطع ان يغتصب في الحرب الواحدة اكثر من ولاية او ولايتين لقلة ذات يدهِ ولكن لما اتسعت الثروة لم يعد للرغبة في الفتح حد تقف عندهُ فاجتمعت المطامع التي كانت تظهر آونة بعد اخرى لان الاحوال لم تسع ظهورها في وقت واحد — اجتمعت معاً على غرض غير محدود كما انها هي غير محدودة . فحيثما وُجدت مواد للصناعة ومرافئ لاصلاح السفن وامتيازات لذوي الاموال واسواق للبضائع التجارية فهناك ادَّعت المانيا ان لها حقوقاً مقررة . والواقع ان السياسة التي افادت بروسيا وآلت الى ارتقائها انتقلت دفعةً واحدة من التقدير والتدقيق الى التقحُّم والتهور . فان بسمارك الذي قادهُ عقلهُ الى وضع القيود لمطامعهِ كان خصماً للاستعمار وقد قال ان كل مصالح الشرق لا تساوي عظام جندي من الحرس البومراني . ولكن المانيا سارت على الخطة الاولى التي اختطها لها ثم اندفعت فيها لا تلوي على شيء ضاربة شرقاً وغرباً حيث لا تجد مقاومة كبيرة قاصدة ممالك الشرق ومملكة البحار فاثارت بفعلها هذا الحرب على الامم التي تمكَّن بسمارك من محالفتها او مصادقتها ووضعت نصب عينيها سيادة المسكونة كلها

ولم يكن عند المانيا وازع ادبي يضع حدًّا لمطامعها فلما سكرت بخمرة الظفر وبما وصلت اليهِ من المجد والسؤدد بظفرها وبما جنتهُ علومها وفنونها من هذا الظفر رأت من النجاح المادي ما لم تعرفهُ من قبل ولا حلمت بهِ ولا خطر على بالها فقالت " ان كانت القوة قد انتجت هذه النتائج واناتني الثروة والعزة ففيها سرٌّ خفي وجوهر روحاني . وان القوة الوحشية وما يتبعها من الحيل والاخاديع اذا امتزجت بمهارة كافية للتغلُّب على العالم فهي منحة من الله ووحي الهي منهُ . والشعب الذي اعطي هذه القوة هو شعب الله المختار وغيرهُ من الشعوب عبيد لهُ فلا يحرَّم عليهِ شيء يأول الى تعزيز سلطتهِ . لا يقولنَّ احدٌ ان الحق لا يُهضَم فما الحق الأَّ ما يتفق الناس عليهِ والاتفاق لا يكون الأَّ حسب مشيئة الغالب اي حسب ما تنصُّ قوتهُ . فالقوة والحق سيَّان فاذا شاءت القوة ان تسير في خطة جديدة صار الحق القديم في خبركان وصار الاتفاق السابق قصاصة ورق " . ولما رأت المانيا ما ادهشها من فوز قوتها الوحشيَّة وما ترتب على فوزها من النجاح المادي حركت دهشتها هذه الوفاً من العوامل

النفسيَّة بجاءتها متسارعة من كل صوب عوامل وآمال كانت في نفوس شعرائها وفلاسفتها — في نفس كل من يستطيع ان يقنعها بصحة ما صممت عليهِ ولو خداعاً فصارت اغراض المانيا مذهباً فلسفيًا نادى بهِ الاساتذة في المدارس والجامعات فانطبعت بهِ الامة وما اسهل ما انطبعت بعد ان أَلِفت الانقياد الاعمى · ولم يكن لها غرض اسمى منهُ تقاوم بهِ اغراض اهل الحل والربط

ولقد قال كثيرون ان سياسة المانيا مبنيَّة على هذا المذهب وعندي انها فلسفة تحوّل الطمع الاشعبي والارادة التي اعمتها الخيلاء الى ما ترجمهُ اغراضاً سامية · وهذا المذهب نتيجة لا سبب · وسيأتي وقت حينما ترى المانيا ما اصابها بسببهِ من الحطة الادبيَّة فتقول معتذرةً انها افرطت في ثقتها ببعض التعاليم النظرية وان الخطأ في الحكم ليس جريمة · فيقال لها حينئذٍ ان فلسفتها لم تكن سوى طريقة للتعبير بالفاظ فلسفيَّة عن توحشها وجشعها وقبائحها · وهذا شأن اكثر الناس فان ما يعدُّونهُ مذهباً لهم إنْ هو الاَّ اساليب يعبّرون بها عن احوالهم واعمالهم · فانهُ لما صارت المانيا دولة الغزو والنهب استشهدت على صحة عملها بالفيلسوف هيجل كما تستشهد على محبتها للجمال الادبي بالفيلسوف كانت وعلى رقة قلبها بجاكوبي وشوبنهور · واذا كان لها ميل آخر ولم تجد بين فلاسفتها مَن تستشهد بهِ وتستند اليهِ استشهدت بفيلسوف اجنبي · فانها لما ارادت ان تقنع نفسها بان مستقبل الامم مقدور لهم استشهدت بكاتب فرنسوي وعدَّتهُ بين المشاهير ولو كنا نحن لا نسلم لهُ بهذه الشهرة وهو غوبينو

ولكن متى صار الطمع القبيح مذهباً سهل عليهِ كل صعب واستُحِلَّ فيهِ كل امر · فان الشعب الالماني ادَّعى انهُ شعب الله المختار الذي يحقُّ لهُ وحدهُ ان يعيش كما يشاء واذا سمح لغيرهِ ان يعيش معهُ فذلك كرم اخلاق منهُ · وهذا السماح هو السلْم · واذا ثارت الحرب حقَّ لالمانيا ان تستأصل اعداءها ولا تكتفي بقتل الجنود الذين يحاربونها بل تلحق بهم النساء والعجائز والاطفال وتنهب وتحرق ويكون غرضها الذي تسعى اليهِ ان تخرب البلاد وتفني العباد · هذه هي النتيجة اللازمة عن مذهبها · ولنأتِ الآن الى غرضها والاساس الذي تبني عليهِ

لما كانت الحرب وسيلة للفصل في الخصومات بين الدول كانت محصورة في جنود الدولتين المتحاربتين ثم جعل الناس يبطلون ما لا داعي لهُ ولا فائدة منهُ من الإضرار والتخريب وقضوا ان لا ينالوا غير المحاربين باذًى ونظموا قوانين للحرب جروا عليها · الاَّ ان الجيش الالماني لم ترضهِ هذه القوانين لان غايتهُ الغلبة باية واسطة كانت · ثم لما صارت جنود بروسيا

جنود المانيا الصناعية لم تعد المانيا تكتفي بخفض شوكة عدوها الحربية بل طلبت ايضاً ان تستولي على صناعته وتجارته وثروته ومصادرها وقالت ان لا بدَّ لها من ان تخرب معاملهُ حتى تزول مناظرتهُ لها وان تنهب مدنهُ وتحرقها حتى يفتقر وتغتني هي بفقره · ويجب ان تكون الحرب قصيرة المدة لكي لا تخسر كثيراً ولان قوتها الحربية ينقصها الشعور بانها على حق وان الحق فوق القوة وهو يقوي اصحابهُ ويجدد قواهم · ولما كانت قوتها الادبية محصورة في الافتخار الناتج من قوتها المادية فهي عرضة لتقلبات الدهر كالقوة المادية فاذا نفدت قوتها المادية نفدت معها قوتها الادبية فلا يحسن ان يبقى سبيل لنفاد هذه القوة بل يجب على الآلة المادية ان تضرب ضربةً قاضية دفعةً واحدة وذلك بارعاب السكان وشل اعصاب الامة المعادية · وللوصول الى هذه الغاية ينبغي ان لا يترك شيء يقف في سبيل هذه الآلة ومن ثمَّ قرَّ القرار على ارتكاب كل انواع الفظائع ونظّم ذلك تنظيماً متقناً كما نظّم الجيش

هذا تعليل ما نراهُ امام عيوننا حتى صرنا نسمع قولهم بربرية علميَّة وبربرية منظمة وبربرية بُنيت على قواعد العمران · ويطرق مسامعنا في كل ما تقدم من تاريخ هذا النظام نغمة الاعتماد على القوة الحربية والمعامل الصناعية والآداب المادية

متى مرَّت السنون ولم يبقَ مما نراهُ الآن الاَّ صورة مجملة فالفيلسوف الناظر الى تاريخنا قد يقول ان القرن التاسع عشر استخدم العلم لتوسيع نطاق الفنون الآلية فجهَّز الانسان في اقل من خمسين سنة بآلات وادوات تزيد على كل ما استعملهُ مدة الوف من السنين السابقة فاستخدم هذه الآلات والادوات كأنها اعضاء جديدة طالت بها اعضاؤهُ وقويت فكبر جسمهُ بها من غير ان تكبر نفسهُ فوقع بينهما اختلاف كبير نتج عنهُ مشاكل كثيرة ادبيَّة واجتماعية وقومية حاولت اكثر الامم حلها وملء الفراغ الذي في جسم السياسة بتوسيع نطاق الحرية والاخاء والعدل · وبينما كان الناس يسعون هذا المسعى الروحي الحميد قامت قوى الجحيم وكادت لهم مكيدة جهنمية لانها جعلت الوسائل الميكانيكية التي اعدَّها العلم لخدمة الانسان تمتلك الناس حتى تصير طبيعتهم مادية مثلها · فكيف يصير العالم اذا تسلَّط هذا النظام المادي على نوع الانسان وجعل الناس آلات جامدة متجانسة بدلاً من تدرُّجهم في الارتقاء الحيوي الذي تتفق فيهِ المتخالفات وتعمل معاً لغرض واحد · وكيف يصير الناس متى انقادوا انقياداً اعمى لكل امر يؤْمرون بهِ من آلة صمَّاء تتحكَّم بعقولهم وضمائرهم وفقدوا المقدرة على التمييز بين الخير والشر بفقدهم روح العدل · كيف يصيرون متى قامت القوة الوحشية مقام القوة الادبية · واي توحش يصل اليهِ الناس متى حدث كل ما تقدَّم وكلَّت النفوس حتى بطل شعورها ·

وماذا يحدث اذا انكفأت قوى الناس الادبيَّة وعادت القهقرى في الساعة التي كادت تصل فيها الى غايتها العظمى وقامت قوة شيطانية جعلت الروح مادية بدلاً من جعل المادة روحيَّة ٠ هنا امة تحاول ذلك فان ملوك بروسيا سلَّحوا بروسيا و بروسيا سلَّحت المانيا وسار الجميع معاً في نظام آلي حربي توخَّى المحالفة مع الصناعة والتجارة حتى اذا تمَّت لهُ كان منها قوة هائلة وحينئذٍ تصير اشارة من هذه القوة كافية لجرّ ام الارض كلها وجعلها تسير في خطة الالمان وتخضع لاوامرهم وهذا هو المراد بالحرب حينما اقرَّت المانيا على اعلانها

ولقد اقرَّت المانيا على الحرب واعلنتها ولكن نتيجتها لم تأتِ كما قدّرت لان القوى الادبية التي اعتقدت انها تخضع للقوى المادية نهضت واثبتت انها هي الموجدة للقوى المادية حتى ان شعباً صغيراً حملهُ شرفهُ على مقاومة امبراطورية كبيرة ٠ولما اهين العدل نهضت امة اخرى لم تكن تُعنى بغير اسطولها وفي اقل زمن حمل السلاح مليون بل مليونان من رجالها ٠ واعجب من ذلك ان امَّة ثالثة كان يُظَن انها منقسمة على نفسها انقساماً يوجب خرابها صار كل ابنائها اخوةً في يوم واحد ٠ ومن ثم لم يبقَ ريب في نتيجة هذه الحرب ٠ فترى من الجهة الواحدة قوة ظاهرة سطحية ومن الجهة الاخرى قوة باطنة عميقة ٠ الاولى آلة صماء اصطناعية لا تستطيع ان تصلح نفسها اذا تخرَّبت والثانية حياة تتجدَّد في كل لحظة ٠ الاولى تزول بالاستعمال والثانية تبقى على الدوام

وسيقول الفيلسوف الناظر في تاريخنا ان تلك الآلة جرت على العمل زمناً طويلاً لا تكلُّ ولا تمل ثم كلت ثم التوت ثم انكسرت ٠ نعم انكسرت ولكنها سحقت الجم الغفير من ابنائنا سحقتهم وهم في ريعان الشباب وعنفوان القوة وسيطول بكاؤُنا عليهم ٠ ومن السنن المحتومة على الروح ان ترى المادة مقاومة لها وان الرزايا تصيب الاحياء

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

لكن الدم الذي اريق في هذه النوبة كان دماً زكيًا والوجوه التي عُفرت بالتراب كانت عنوان الجمال ٠ فانظر كيف ان القدر المحتوم جمع كل قوى الملاك وهاجم بها الحياة لكي تكون المعركة نهائية فاصلة ٠ فغُلب الموت ونجا نوع الانسان برزيئة مادية من السقوط الادبي الذي لو حلَّ بهِ لقضى عليهِ قضاء ابديًا٠ فتهلل الناس في محنتهم وتغنوا بنشيد الشكر لانهم نجوا من الخراب والاضمحلال

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

اسبانيا

ليست اسبانيا هذا الزمان هي نفسها اسبانيا سنة ١٤٩٣ التي خصَّ بها البابا المعاصر لها نصف بحور الدنيا · فان اسبانيا القديمة ناءت من زمان طويل باعباء التعصب الديني بعد ان امتدَّ رواقها بحراً وبرًّا · اما الآن وقد زال عن اسبانيا الحديثة آخر اثر من آثار الاستعمار فانها آخذة في التجدد شيئاً فشيئاً بما تبدي من الهمة في السعي والاقتصاد في الرزق

قال فارس اسباني في زمانهِ « هذه قشطيلة تصنع الرجال ثم تنفقهم » · وقد علَّق احد مشاهير الكتاب على هذه العبارة قولهُ « ان في هذه العبارة البديعة الهائلة خلاصة تاريخ اسبانيا » · وقال آخر « ان كلَّ ما يقتل روح الرجولة وحب الحرب والاستقلال في الشبيبة الاسبانية قد حدث · فان الحرب وحدها اذا طالت واشتدت تكفي لترك جعبة الامة خاوية من نسلها القوي وان امة الحرب اليوم هي امة الانحلال غداً وقد دامت روح الحرب في اسبانيا ولازمها السعد في فتوحاتها الف سنة ونيفاً فلم يخضع الرومان بلاد ايبيريا الاَّ بعد بذل مهج الرجال وانفاق بدرات الاموال وبقي الاسبان جنوداً اشداء حتى القرن السادس عشر · لكن حرب هولندا في القرن السابع عشر اضنتهم وفي اواسطهِ انهزم مشاة الاسبان في روكروى — وكانوا خيرة مشاة اوربا — امام الفرنسويين ومن ذلك الوقت آذن مجد اسبانيا الحربي بالزوال

ولا يعلم هل نال اسبانيا معظم الخسارة من تشتيت شمل رجالها الاقوياء في مستعمراتها الكثيرة او من حروبها الدائمة في اوربا او من اعمال مجلسها الديني المسمَّى بديوان التفتيش · فان هذا الديوان افضى الى افناء العقول المستقلة والمستنيرة فيها وكان اشدَّ وطأة على قومها من سائر دواوين التفتيش في البلاد الاخرى

على ان دوام السلام في اسبانيا وانقطاع اسباب الخسارة بزوال مستعمراتها اخذ يجدد حياة البلاد المالية وينعش روح الصناعة والتجارة كما هي الحال في فرنسا ولا بدَّ ان يعقب ذلك ارتقاءٌ طبيعي وادبي

المانيا

ربما نال المانيا ما نال فرنسا من حروب لويس الرابع عشر ونابليون الاول والثالث ·

ولكن لما كان الكتّاب الالمان اقلّ صراحة وبياناً من الفرنسويين عند البحث في معايبهم القومية لا نجد فيما كتبوا سوى القليل عمّا اصاب بلادهم من الخسارة في الحروب · وزد على هذا كلّهِ ان نظام المانيا الحديثة المؤلف من حكومة اشتراكية تحت اشراف عسكري افضى الى تصغير الفروق الظاهرة بين الشعوب التي تتألف منها فصار لكل فرد مكان يصعب عليهِ ان يهبط الى ما دونهُ او ان يصعد الى ما فوقهُ · ثم ان التعليم الالزامي العام فنياً كان ام عادياً يمكن كلّ فرد من افراد الامة من تحصيل معيشتهِ · ويطلب من الالماني ان يكون جندياً ويدفع الضرائب ويحفظ لسانهُ · وهي واجبات بسيطة لا تضطر صاحبها الى السعي والابتكار · والخدمة الالزامية في الجيش توجب على كلّ فرد الخضوع لرئيسهِ · فهو بين امرين فاما التسليم بحالة محتملة بعض الاحتمال واما العصيان وما يجرّ من الشقاء او الموت · وعندهم اشكال متعددة من التأمين ضدّ الفقر والبطالة والشيخوخة تقي الفرد شرّ الفاقة والاعواز · وان المصاعب التي يجدها العاميّ امامهُ اذا شاء دخول المدارس الجامعة ليصير من العلماء او المدارس الحربية للانتظام في سلك الضباط انما هي حاجز حصين يمنع امل الارتقاء الأعن ذوي المواهب · ولا يجتاز الحواجز التي بين طبقة وطبقة الأ اهل النبوغ في العلم وتحصيل المال · فنظام مثل هذا يقلّل بلايا الفقر ومصائبهُ ولكنهُ يسدّ باب الابتكار في وجه الجمهور ويقيد الحرية الشخصية بنظام موضوع · فالذين يحسبون تسلّط المبادئ العسكرية اعادة للهمجية يرون ان تجدّد تلك المبادئ في المانيا من اسوإ العواقب الناتجة عن التقدم العلمي الحديث

وقد افضى انتصار المانيا على فرنسا سنة ١٨٧١ الى تعزيز الروح الحربية في المانيا وجعل انتشار ذلك الروح يظهر بمظهر جزء جوهري من نموّ الامة في التجارة والصناعة · وهذا ما لا بدّ ان يؤدي الى كارثة طامة في النهاية سواء انتصرت المانيا في حربها مع الحلفاء ام لم تنتصر · واذا تدبرنا كل ما اصاب فرنسا والمانيا من نتائج الحرب السبعينية وجدنا ان سياسة الدم والحديد التي جرى عليها بسمرك وخلفاؤهُ اضرت المانيا اكثر مما اضرت فرنسا

انكلترا

طالما ترددت الشكوى في انكلترا قبل الحرب من انحطاط الامة الانكليزية · ولكنها شنشنة الصحف الانكليزية في اشهر الصيف اذ الاخبار قليلة · فقال الشاكون في شكواهم ان صغار المالكين آخذون في التناقص يوماً فيوماً · وان زوايا لندن ومنشستر ولفربول ممتلئة باصناف الكروب والرزايا من صغار اولاد يشتغلون ونساء يعملن باجور طفيفة واطفال

يموتون بالامراض وسوء التغذية وسكارى يترنحون وشيوخ يتضورون جوعاً . وان الطبقات العليا مؤلفة من اناس لا همَّ لهم الاَّ اللهو والقصف وعندهم ان لعب الكريكت اعظم شأناً من الاحتفاظ بالامبراطورية

ولا ريب ان كثيراً من هذه الشكاوي من قبيل انتقاد الانسان لنفسهِ وهو من ضروب التسلية عند اغنياء انكلترا الذين لا عمل لهم . وبعضها يرمي الى غرض سياسي هو تسوئة اعمال الوزارة القائمة . ولكن لا مشاحة في ان وراء ذلك كلهِ شيئاً من الحقيقة . فان انكلترا اتت في القرن الماضي فعالاً عظيمة عاد كثير منها بالخير الدائم على العالمين . وقد نشرت افكارها وعدلت اعمالها وقوَّت خلقها الى حد لم يستطعهُ احد غيرها . وضرب رجالها في انحاء الارض حيثما يستطيع الاحرار السكنى وشيدوا معاهد حرة تشدُّها لحمة التعاون والتساهل ومدت رواق السلام. وما يتبعهُ من النظام والادب في كل بلاد همجية ومزجتهُ بما يكفي من الحرية يُجمل ملكها دائماً . ومكنت ابناءها من المتاجرة مع الهمج والكسب منهم

ورب سائل يسأل وما الذي انفقتهُ انكلترا في هذا السبيل . فان جهداً عظيماً مثل هذا يفضي الى خسارة عظيمة في قوتها . فاقول ان هذه الخسارة لا تبدو لنا في انحطاط كفاءة ساستها وعلمائها بل في قلة عددهم وازدياد عدد الرجال الذين لا ينفعون الامبراطورية . وكثير من قوة انكلترا انتقل الى اميركا والى ملحقاتها التي تحكم نفسها والتي لا يصح ان تسمى فيما بعد مستعمرات . وهذه القوة نشرت التقاليد الانكليزية في بلدان صغيرة نشيطة سلمت من اعظم العيوب التي تصم انكلترا وهو عيب جعل الامتيازات بين الطبقات قانوناً معمولاً بهِ . ولكن الانكليزيَّ انكليزي حيثما حل فلا يصح لذلك ان يحسب ذهابهُ الى كندا واستراليا ونيوزيلندا وجنوب افريقية خسارة لانكلترا .

اما الهند فليس امرها واضحاً بمثل هذا الوضوح ولطالما تساءل الناس عمَّا صنعت انكلترا للهند . وعندي انها صنعت الشيء الكثير وعملها يزداد تحسناً بالاختبار ويرفع شأن البلاد على مرّ الايام . ولكن ما الذي صنعت الهند لانكلترا . هذا سؤال قلما خطر ببالٍ . واقول جواباً عنهُ ان الهند زادت ثروة الانكليز او الجزء الصغير منهم الذي يشتغل بالتجارة الاجنبية ولكن الرجال الذين اغنتهم الهند كيت ساسون الذي يتاجر بالافيون ليسوا عادة ممن يشاطرون الامة ارباحهم تلك الامة التي تضرب عليها الضرائب ليغتني غيرها . وقد اعطت الهند عملاً لالوف من الشبان الانكليز ولكنها ضحت رفات الوف من رجالهم اهل المروءة والهمة العالية الذين كان فقدهم خسارة على بلادهم . قال لي ضابط انكليزي ذات يوم

« رأيت رجالاً يموتون في الهند موت الذباب ولو عاشوا لكانوا من بناة السلطنة ورافعي عمدها »

على ان الوسائل التي توسلت بها انكلترا لتوسيع سلطنتها ليست كلها مما يستطيع الانكليزي الحر دفاعاً عنهُ . فان بعضها جر عليها سوء السمعة واتخذهُ اعداؤُها حجة عليها. وقد سميت الحرب الحاضرة « بالانتقام من بيكونسفيلد » . والحق يقال انهُ لولا تلاعب بيكونسفيلد بالشؤُون الامبراطورية في زمان كان فيهِ المجد غاية بلا التفات الى الوسائط المؤَدية اليهِ لما خرجت من البلقان تلك الشرارة التي اضرمت النار في جوانب اوربا كلها

ان انكلترا غنية اذا نظرتَ اليها من فوق . ولكن ثروتها انحصرت في ايدٍ قليلة بالتقليد وتمييز فئة عن فئة قانوناً حتى باتت موارد انكلترا في قبضة الدوقات اصحاب الاطيان واللوردات اهل التجارة والمال . فان ربع سكان البلاد لا يملكون شيئاً وعشرهم في فقر مدقع على الدوام وستُلحق ويلات الحرب الحاضرة ومصائبها عشراً آخر بهم . قال فرنكلن « ليس بين الاعمال عمل تساوي ارباحهُ نفقة الاكراه عليهِ بقوة الجيوش » . ولكن ارباح عمل مثل هذا تعود على القلائل الذين لا يستحقونها . اما نفقتهُ دماً وذهباً فتقع على جمهور الامة

ان حكومات الارض تجازف في سبيل الاستعمار والتبسط ولكن الشركات التجارية والصناعية وغيرها هي التي تجني الربح . وهذا خطأٌ لا يغتفر . فان ما تنفقهُ الامة يجب ان يُعادَل بما تربحهُ . ولا يكفي ان نقدر خرجنا من جهة ودخلنا من الجهة الاخرى في حين ان الخرج يخرج من مال الامة والدخل يدخل جيوب افرادها . واعلم ان مال الامة الذي يحوَّل الى جيوب الافراد انما هو الامتياز بعينهِ والامتياز نقيض العدل وعدو الديموقراطية وهو يخرق مبدأ المساواة امام القانون . قال الاستاذ آرثر طمسن « بعض الحروب لازم وبعضها قد يكون صواباً وربما كانت كذلك الآن ولكن هذا الرأي لا يغير هذه الحقيقة وهي ان كل حرب طويلة تشترك فيها الامة تضعف النسل لان صفة النسل تتوقف في كل حال على الرجال الذين يبقون بعد الحرب . ولا تموت الام الاَّ من قلة الرجال . أليس عندنا دلائل تدل على زيادة الضعفاء . يقولون هنا (في انكلترا) اننا لا نستطيع تخفيف ما يوازي مثقال ذرة من قوتنا الحربية الوطنية اذ لا مناص لنا من الاحتفاظ بسيادتنا مهما كانت النفقة ما دمنا مضطرين الى اطعام تلك الملايين الكثيرة . ولكن أليس هذا القول سفسطة ؟ او ليس اشتغالنا بالامور الحربية هو سبب شقائنا الوطني ؟ انَّا اذا اقتصدنا بعض المال من نفقتنا الحربية فلا يتعذر علينا عمل في سبيل اصلاح حالنا الاجتماعية »

علم الانسان

العقل ومقياسهُ في تمييز الاجناس

ما هو العقل وما هو محكهُ ومقياسهُ ؟ يرى الباحث لاول وهلة ان العقل والجسد يختلفان في امر جوهري فانَّ العقل مرن يسهل انفعالهُ وتغيرهُ واما الجسد فيتخذ صورة معلومة وشكلاً خاصًّا يرثهُ الولد من والديهِ ويورثهُ لاولادهِ . فهل نعود الى المذهب القديم القائل ان العقل او النفس شيء غريب عن الجسد وانها حشرت فيهِ حشراً واحلّت فيهِ قسراً على حدّ قول ابن سيناء في قصيدتهِ المشهورة

هبطت اليك من المحلّ الارفعِ ورقاء ذات تعزّز وتمنعِ
وصلت على كره اليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجعِ

الى ان قال

وتظلّ ساجعة على الدمن التي درست بتكرار الرياح الاربعِ
اذ عاقها الشرك الكثيف وصدّها قفص عن الاوج الفسيح الاربعِ
فلأيّ شيء اهبطت من شاهق سامٍ الى قعر الحضيض الاوضعِ

على ان هذا المذهب ليس من العلم في شيء فان العلم يقضي بتصوّر النفس (او العقل) والجسم على اتفاق تامّ وبانهما يدٌ واحدة في عمل الحياة وعرضة لتأثير واحد مشترك بينهما . وبناء على ذلك ينبغي افتراض كون الوراثة تتناولهما كليهما وكون نواميسها تتمشى عليهما معاً . وبقدر ما يكون العقل ذا قابلية للانطباع والانفعال يكون الجسد ايضاً

الأ ان الدماغ وهو مركز العقل واكثر اجزاء الجسد قابلية للانفعال هو ايضاً ابعدها منالا عن عين الباحث . فانهُ موضوع في صندوق من العظم الصلب فلا يُرى الأ بعد الممات حينما يكون بلا عمل . وعليهِ لا يمكن اتخاذهُ مقياساً صادقاً للصفات الموروثة . فقد زعم البعض ان حجم الدماغ احد مميزات الاجناس بعضها عن بعض ولكن جمهور العلماء ليسوا على هذا الرأي . نعم ان متوسط حجم الدماغ في الابيض اكثر بقليل من متوسطهِ في البوشمان سكان استراليا الاصليين مثلاً ولكنك لا تستطيع في حساب مثل هذا ان تغضي عمّا بين الفريقين من اختلاف الاجسام وعن ان الجسم الكبير يصحبهُ على الغالب راس كبير . وزد على ذلك ان الاوربي ربما كان اسبق الى المعارضة في هذه المقابلة لانهُ يكره ان يعلم في

نهايتها ان حجم الدماغ في بعض جماجم الانسان الوحشي المعروف باسم نياندرتل هو اعظم منهُ في نوابغ الشعراء والسياسيين المحدثين بين الاوربيين

فواضح من ذلك ان مقياس حجم الدماغ ليس بالمقياس الذي يعوَّل عليهِ في تمييز الاجناس. ولا يعوَّل كذلك على شكل تلافيفهِ وعددها . فقد نتصل بها الى معرفة الفرق بين الابله وغيرهِ ولكنها لا ترينا الفرق بين الجاهل والعالم او الغبيّ والنابغة

وقد خيل الى قوم ان حدة المشاعر الخمس قد تكون من مميزات الاجناس معتمدين على ما نقل السياح عن حدة البصر بين بعض القبائل المتوحشة التي تعتمد في رزقها على الصيد والقنص . وتكررت هذه الانباء عن حدة بصر بعض القبائل الهمجية وسمعهم حتى تألفت في جامعة كمبردج بانكلترا بعثة علمية لتحقيقها برآسة بعض علماء الفلسفة العقلية فسافروا الى استراليا فظهر لهم بعد البحث الدقيق ان متوسط قوة المشاعر الخمس بين الهمج من سكان تلك البلاد مثل متوسطها بين الاوربيين تقريباً . وانما يمكنهم من رؤْية الطريدة عن بُعْد شاسع تمرنهم على الصيد

وهناك مقاييس لقياس قوة الذاكرة والانتباه والادراك وغيرها من القوى التي يعدها معظم الناس عقلية . ومقاييس لقياس رد الفعل الذي يطرأُ على الجسم من انفعالهِ بالفواعل الخارجية وقياس التعب والارتعاش وغيرها من الانفعالات التي يحسبونها عقلية وجسدية معاً . ولكن الفلسفة العقلية لا تستطيع التمييز في هذه الحالات بين الصفات الموروثة وبين نتائج الاختبار الشخصي . وانما يعلم ان حالة الجسم والعقل الوقتية تؤَثر في تلك الصفات

وربّ قائل يقول اننا نستطيع تمييز الغريزة عن غيرها حيث نراها والمميز لها سيرها على وتيرة واحدة واستقلالها عن سائر قوى الجسم . وهذا القول وهم مستولٍ على الاذهان . فان تصور الغريزة آلة ميكانيكية لا تتحول عن مجراها ولا تتغير انما هو تصور قديم لا يعوَّل عليهِ الآن بعدما عُرف ان الغريزة كثيرة الانفعال والاختلاف وانها تنطوي على اعمال عاقلة كالفكر والشعور والارادة

كذلك يعترض معترض ويقول وكيف تستطيع فصل الغريزة عن غيرها لتحكم على مظاهرها ؟ نعم انك تستطيع تمييز بعض الاعمال الغريزية التي يعملها الطفل بعيد الولادة كطلب الرضاع مثلاً اذ لا جدال ان ليس لتربية الام والاختبار دخل هنا . ولكن ما قولك في الغريزة او مجموع الغرائز التي تميز الذكر عن الانثى فانها لا تظهر الاَّ بعد ما يكون الفرد قد بلغ دور التجربة والاختبار

والحقيقة ان العلماء لا يزالون يبحثون هل غرائز الانسان قليلة كما يظهر لنا او ان غرائزهُ تظهر قليلة لأن فيهِ الشيء الكثير منها الى حدّ انها دائمة التعارض والتصادم مدى العمر فينفي بعضها بعضاً. وقد ايّد بعضهم المذهب الثاني بقولهِ ان خير مقياس للغرائز هو الانفعالات الفرعية. وان كل عمل من اعمال الغريزة يحتوي على ثلاثة افعال وارد ومتوسط وصادر. فالوارد فكر والصادر ارادة وهما طرفا العمل الغريزي وتراهما يتغيران بزيادة الاختبار. اما الجزء المتوسط الممثل للانفعال فلا يتغير بل يبقى على ما هو تقريباً. اي ان الخوف والتعجب والغضب والمقت والنفور والزهو والخيبة وغيرها من الشهوات او الانفعالات شائعة بين جميع الناس على السواء تتبع فيهم طرقاً معينة وتجري في مجارٍ محدودة قلما تنحرف عنها

ولو سلمنا جدلاً بصحة هذا الرأي ما وصلنا بهِ الى مقياس للتمييز بين اجناس الناس المختلفة بل ان الناس متساوون تقريباً في العواطف والشهوات حيثما كانوا وجراثيم هذه العواطف مكنونة فيهم ولكن اختلاف العادات وصنوف التربية يقدّم هذه العاطفة و يؤخر تلك فتبين الاولى متجسمة وتتضاءل الثانية

ومن المتناقضات في الظاهر ان الاسود الذي يُظَنّ عادة انهُ اكثر انفعالاً من الابيض هو في الحقيقة وواقع الامر اقل انفعالاً منهُ كما ظهر من التجارب التي جربتها مس كلَر الاميركية في بعض النساء البيض والسود متبعة في ذلك تأثير الانفعالات في التنفس. ومهما يُقَل في قيمة هذه التجارب فمن المؤكد ان العلماء الذين بحثوا في طبائع القبائل الهمجية يميلون الى وصفها بجمود العواطف اذا لم يروها تبلغ منتهى الهوس والطرب في حفلة رقص او غيرها من الحفلات. ولعل السبب فيما يظهر من سرعة انفعال الزنجي هو اعتيادهُ هو وسائر الهمج الذين في درجتهِ ان يعيشوا و يعملوا جماعات فيقتدي بعضهم ببعض

فاذا لم يصحّ اتخاذ هذا المقياس او ذاك لتمييز الاجناس بعضها عن بعض فما هو معنى ذلك كلّهِ ؟ هل المعنى ان الناس متساوون او ان في ذلك اشارة ضمنية الى حاجتنا الى نظام دقيق لاصلاح النسل. وجواباً لذلك يقول العارفون ان الجنس او النسل شيء لا يمكننا الآن فصلهُ على حدة لاجتلاء ماهيتهِ وان كنا نعتقد بوجودهِ حقيقة. وانهُ لا بدّ لنا من انتظار اختمار الآراء والمذاهب ونضجها في هذا الباب قبل الاقدام على العمل والتطبيق فان الاغراض والعصبية الجنسية على رداءتها لهي افضل من البناء على حقائق علمية لم تثبت

اما دعوى الذين يدعون ان الجنس شيء ثابت معين الحدود فقد كاد يثبت بطلانها ويحلّ محلها المذهب القائل بقابلية العقل والجسد للانفعال وتطبيق احوالها على الوسط الذي

يكتنفهما . ولكننا لا نعلم علاقة تلك القابلية بالجنس ولا نسبتها اليهِ . فلعلَّ وراثة العادة والاستعمال ينطبع تأثيرها في النسل او ان قابلية الانفعال والانطباع تزداد بازدياد التزاوج بين فئات الخلق المختلفة

واما مسئلة اصلاح النسل (Eugenics) فلا ريب ان هناك « عملية فرز » بين الناس واسعة النطاق متصلة الحلقات حتى في البلاد المتمدنة . فقد ظهر من احصاءٍ ان خمسين طفلاً من كل مئة طفل يولدون في انكلترا لا يعيشون ليتناسلوا وان نصف الذين يعيشون ليتناسلوا — او ربع المجموع — يلدون ثلاثة ارباع الجيل الذي يليهم . وهذا « الفرز » انتخابيٌّ من بعض الوجوه ولكنَّ نتائجهُ لا تزال مجهولة . ولا يعلم هل تفضي الى المناعة من بعض الامراض او القدرة على عيشة قليلة الحركة في المدن . فكيف يمكننا والحالة هذه ان ننتخب الصنف الذي يفضل غيرهُ للتناسل ولو حصرنا انتخابنا في بلد واحد . ولا يبعد ان يكون نسل طرفين أصلح احدهما دون الآخر خسيساً كما يقولون ولكن لا مناص لنا من ذلك ومن بقاء مسئلة الجنس والنسل حيث هي الآن ما لم يصلح الطرفان تماماً . وكذلك لا يبعد ان يكون التزاوج بين الاجناس المختلفة مفضياً الى ازدياد التوالد كما يقول البعض . ولكن اذا كانت نتيجة ذلك التوالد ازدحام هذه الكرة بصنوف واطئة دنيئة فلسنا اقرب مما كنا الى حلّ هذه المشكلة

الانتخاب الطبيعي

وفلسفة الالمان في الحرب

للالمان ولع شديد بالفلسفة وهي عندهم فن عقلي تهتزُّ بهِ اوتار قلوبهم كما تهتز بالانغام الموسيقية وقد يبلغ بعضهم فيها حد الاعجاز فيغلق على القارئ فهم معانيهِ وادراك مبادئهِ فيتوهم ان الكاتب في منزلة سامية من المعرفة لا يدركهُ الاَّ الراسخون في العلم . وقد قيل عن احدهم انهُ اذا راجع ما كتب تعذر عليهِ فهمهُ لان الصور الخيالية اذا مازجت الحقائق العلمية شوهتها وافسدت مبادئها ولهذا فاغلاق معانيهم على افهام العامة ناجم من خلط الاوهام بالحقائق ومن توغلهم في عالم الخيال وخوضهم في بحر السفسطات . وفي هذه العجالة لا نتولى البحث في كل مبادئهم الفلسفية لكشف النقاب عن اغلاطهم وشرودهم عن الحقيقة بل نقتصر على نقد فلسفتهم في الحرب بحيث يبين للقارئ شذوذهم العقلي الذي ادَّى الى غرورهم واغراق العالم في بحر من الدم طغى عجاجهُ فهدم معالم الانسانية وشوَّه محاسن المدنية وحط كثيراً من معالم العلم والادب

يقول بنهاردي « ان الحرب عمل عادل لانهُ ينطبق على مبادئ البيولوجيا (علم الحياة) وبما ان الحرب ناموس بيولوجي فالغاؤُها غير مستطاع عدا عن انها واجب ادبي وعامل ضروري للتمدن »

نقول ان تفنيد هذا الرأي لا يحتاج الى عناء كبير ودرس طويل ويظهر فسادهُ اولاً من ان بروسيا امة حربية من اول نشأتها وقد استعدت لهذه الحرب استعداداً لم يسبق لهُ مثيل في التاريخ بما هيأت لها من وسائل الهلاك فجاءت النواميس البيولوجية مبرئة لعملها ولا غرابة اذا تمكن هذا الاعتقاد في اذهان الناشئة التي تعدها السلطة الحاكمة للحرب ليكون لها منها درع منيع بقواها العقلية فوق ما هيأت من القوات المادية

ويقول كثيرون غيرهُ من فلاسفة الالمان « ان الحرب تنازع بقاء وانها نتيجة الانتخاب الطبيعي وبما ان الامة الالمانية امة قوية وجب ان تنازع الام الضعيفة حياتها حتى يفنى الضعيف ويبقى القوي جرياً على هذا الناموس الطبيعي »

يظهر فساد هذا الزعم من تفهم الانتخاب الطبيعي وادراك عملهِ الحقيقي فمبدأ الانتخاب الطبيعي يقوم على قاعدة تكاثر النسل فاذا كثرت المواليد كما في الاحياء الدنيا هلك الجانب الاكبر منها الذي لا يصلح للحياة ويبقى القليل الصالح للحياة فناموس الانتخاب هو بقاء الاصلح كما يقول سبنسر . وهنا يظهر خطأ الالمان في تفسير هذا الناموس لانهم لم يقولوا ببقاء الاصلح بل ببقاء الاقوى وفاتهم ان القوة البدنية ليست هي الاصلح للحياة لاننا اذا حبسنا اسداً في زريبة مسيَّجة مات فيها جوعاً واما اذا حبسنا انساناً فقد يعيش لانهُ يفتكر دائماً بوسائل النجاة وحفظ الحياة . واذا جمعنا في الزريبة الاسد والانسان فالاسد يفترس الانسان مع انهُ ليس اصلح منهُ للبقاء فاذا جعلنا الانتخاب الطبيعي مبرراً للحرب وجب ان نعتبر تنازع البقاء تنازعاً افرادياً اي صراعاً بين شخص وآخر وهذا من السخافة بمكان كما لا يخفى

عرفنا من علم طبقات الارض ان انواعاً كثيرة من الكائنات الحية انقرضت بموت بعضها وتنوع البعض الآخر بتطبيق كيانهِ على ظروف وجودهِ فبقي حياً متنوعاً ومختلفاً عن اصلهِ وذرية تلك الانواع الباقية هي الكائنات التي تعيش الآن على سطح الارض . هذه هي الحقيقة ولا حاجة للبيان ان الاحياء التي غلبت عاديات الايام وعاشت الى الآن هي الاصلح للبقاء ولا يمكن ان يكون بقاؤُها نتيجة تغلب الافراد على العوامل الكثيرة التي عملت في ادوار التقلبات الكثيرة التي مرت بها الكرة الارضية كتقلبات الحرارة وتنوع العوامل الكيماوية وجزر البحار وغيرها من العوامل الكبرى العمومية . ولم يكن ولا يمكن ان يكون في وقت من

الاوقات ان ما تعمر بهِ الارض من الكائنات الحية كان نتيجة تنازع افرادي اي قتال بين شخص وآخر وقتل الواحد وبقاء الاخر. واذا كان لهذا النوع من تنازع البقاء بعض العمل فهو قليل لا يعتد بهِ ولا اهمية لهُ. ومن المعلوم الذي لا ريب فيهِ ان الحيوانات الكبرى المفترسة وذات القوة الفائقة قد انقرضت وما بقي منها سائر الى الانقراض

ففلسفة الالمان اذاً في الحرب لا تستند الى ركن علمي صحيح لان البيولوجيا لا تدل اقل دلالة على جوازها وتحبيذها وليس في نواميسها ما ينطبق في الحالة الحاضرة من العلم على الروابط التي تربط الامم بعضها ببعض. وناموس الانتخاب الطبيعي اقل كل النواميس الطبيعية دلالة على ذلك لان عوامل التمدن تعمل على الدوام في تنويعهِ وابطال عملهِ كما يتضح مما يأتي بيانهُ

عند ما يكتسب نوع من الانواع نمواً كافياً من العقل يؤَهلهُ لنوع من الاجتماع تظهر فيهِ حينئذٍ معرفة ما نسميهِ بالواجب. اما الشعائر والعواطف النبيلة التي في الانسان كالحب والحنو والكرم وغيرها فانها لم تظهر فيهِ فجاءة بل سارت مرحلة فمرحلة حتى بلغت الدرجة السامية في الانسان المتمدن الراقي. فقد كانت في البداءة متجهة الى الاولاد وهم اطفال يحتاجون الى مساعدة والديهم ثم امتدت الى افراد العائلة الى الاقرب اولاً ثم الى الابعد واما احترام الشيوخ فهو من مراحل التمدن الاخيرة لان الامم المنحطة في سلم المدنية لا تزال تقتل شيوخها. ثم امتدت الى العشيرة فالقبيلة فالأمة. وقد قضت الضرورة بذلك بسبب تكاثر النسل الذي دعا الى اجتماع فئات كبيرة في مساحة ارض واحدة يستثمرونها ويعيشون من نتاجها وحاصلاتها فكان من الضرورة ان يتولد في افراد تلك الفئة المجتمعة الشعور بالتضامن فنشأ من هذا شعور اكبر واعم وهو الميل الجنسي وحب الوطن ونما هذا الشعور فصار اكبر واعم ودعا الى حب الانسانية واحترامها وهذه آخر مرحلة من مراحل الامم الكبرى وهي مرحلة الرقي والنمو ويعرف مكانها من الامة بكيفية استعمارها

كلما ارتقى التمدن والعلم زادت قوة الانسان بالتحكم في الطبيعة وهذه القوة تظهر باستخدام القوة الطبيعية بالمعنى المفهوم منها في علم الطبيعة اي باصطناع الآلات القوية وحفر الترع وخرق الجبال بالانفاق وتظهر ايضاً في الكائنات الحية الحيوانية والنباتية وبها يقوم الانتخاب الصناعي مقام الانتخاب الطبيعي فيستخدمهُ الانسان لفائدتهِ ومنفعتهِ لان كل التنوعات الحيوانية والنباتية التي يستخدمها هي نتيجة الانتخابات الصناعية ولكنها ليست ثابتة وتفقد اذا فقد الانسان او لم يوالِ الاعتناء بها. ومن يلتفت الى الحدائق التي يعتني بها يندهش مما يرى فيها من النباتات الجميلة والازهار البديعة والبقول المفيدة والفاكهة الطيبة وهي كلها

عمل الانتخاب الصناعي الذي يتولاهُ الانسان ويزول ويختفي بعد اهمال الحديقة وعدم الاعتناء بها . فالانسان الذي لا يركن الى الانتخاب الطبيعي في الحدائق ويستعيض عنهُ بالانتخاب الصناعي لا يعقل ان يترك نسلهُ تحت رحمة هذا الانتخاب الاعمى والاَّ لما كان للطب وعلم الصحة لزوم لتقليل معدل وفيات الاطفال ولجاز ان يترك العجزة والمعوهين عرضة للهوان والعذاب . فاذا لم يجز ذلك والالمان لا يجيزونهُ لانفسهم أفيجوز تطبيق الانتخاب الطبيعي على الامم المتمدنة ؟ ذلك لعمر الحق لا يصدر الأ من ادمغة مختلة التركيب وفاسدة العلم

ليس من سداد الرأي ولا هو في شيء من العلم ان تكون القوة ركناً للانتخاب الطبيعي لان قوة الفرد لا تدل على كونهِ الاصلح للبقاء فاذا تصارع باستور وجونسون فلا ريب في ان باستور يكون مغلوباً كما انهُ لا ريب في انهُ اصلح كثيراً للبقاء من جونسون لانهُ خدم العلم والانسانية خدمات جليلة ومفيدة عدا عن ان القوة البدنية في الحرب ليست العامل الوحيد للنصر ولان النصر يستوجب صفات ممتازة من العقل والاخلاق

يزعم الالمان انهم يمتازون بصفات سامية لا يتحلى بها شعب ذو رخاء وترف كالشعب الفرنساوي وانهم اذا اتخذوا في محاربتهِ طريقة الارهاب ذلَّ حالاً وسحقوهُ بسهولة وقد اخطأوا في هذا كما اخطأوا في ما سبق لانهم خلطوا بين التمدن والانحطاط فحسبوا ان الفرنساويين سائرون الى الانحطاط والانقراض رغم كونهم يرقون في السلم الاعلى والاشرف من المدنية واذا كانت فئة من الامة الفرنساوية تمثل بمقامها الاجتماعي الامة بمجموعها وظهرت فيها بعض ظواهر الانحطاط كعدم الكفاءة والاختلاس والانغماس في الملذات وتبرئة المجرمين فليس ذلك دليلاً على انحطاط الامة بكاملها لان رخاء الامة الفرنساوية كان نافعاً لها في ازمتها الشديدة اذ ادركت جيداً وسريعاً الخطر الذي يهدد كيانها فهبت للدفاع عن نفسها بروح واحدة وانتبهت فيها روح الحماسة والشجاعة الكامنة في دم ابنائها ويعترف لهم بها العالم بالاجماع وقد ظهرت تلك الروح جلية بقوة دفاعهم وحسن بلائهم

رسخ في ذهن الالمان ان قياد فرنسا قياد شخصي متطرف وان روح الوطنية فيها معدومة وقد اخطأوا في هذا ايضاً لان تلك الروح الشريفة روح الوطنية كانت كامنة بما كانت عليه الامة من الترف والنعيم فانتبهت بمنبه الخطر الداهم فعادت الى تقاليدها المعروفة وقامت قومة واحدة تنتصر للحق والانسانية واظهرت بخدمة هذا المبدإ كل ما لها من الصفات النبيلة التي يعترف لها بها العالم بالاجماع واخطأ ظن الالمان بضعفها او زوالها . وكان من حدة ذكاء الفرنساويين انهم طبقوا احوالهم على حالة الحرب الحديثة وهم لم يكونوا مستعدين لها فاعدوا

عدتهم من ذخائر واسلحة الى حدٍ من الاتقان ربما فاق حد عدوهم بدون ان يلجأوا الى الوسائل المحرمة التي استعملها العدو

ومن اغلاط الالمان المنطقية ان الفرنساويين بما هم عليهِ من الرخاء والرفاه لا يستطيعون الثبات طويلاً بل يتولاهم الضجر والقنوط لان الثبات على الحالة الحاضرة من الحرب العنيفة القائمة الآن لا ينطبق على حال بها الرفاهة وفاتهم انهُ لا يمكن لامة ان تبقى على سكينتها ورخائها بعد ما يحل بها ما حل بفرنسا من الدمار ولا سيما اذا كانت ذات انفة وشمم كالامة الفرنساوية

وسنرى بعد هذه الحرب ان المستقبل لا يكون للامة التي تثير الحروب وتجعلها غايتها العظمى ووجهة قوتها المعنوية والبدنية لان كل النظامات الاجتماعية تقضي بالسير الى الامام في سبيل سعادة الانسان ولان الانسانية تأبى الرجوع الى الوراء الى ادوار الهمجية والبربرية فالامم التي يجب ان تنقرض ليست الامم التي تكره ان تخصص كل قواها ومجهوداتها للامور الحربية . فلا تنقرض الامم الضعيفة والصغيرة بل الامم التي تحاول العبث بمبادىء الانسانية كالاستقامة والصدق والمحافظة على حسن العلاقات بين الامم والتي تغدر وتذبح وتنهب وتدمر وترغب في الاستيلاء على العالم بهذه المبادىء وهذه الوسائل

يحاول فلاسفة الالمان ان يستخرجوا المبادىء الادبية من الناموس البيولوجي فهم يجهلون البيولوجيا والادب معاً او انهم يغالطون في تفسير كلمة الناموس فيخلطون بين معناهُ العلمي ومعناهُ الاجتماعي فالنواميس العلمية ثابتة لا تحتاج لتطبيقها الى وساطة الانسان واما النواميس الادبية والاجتماعية فاتفاقات وضعت لتنظيم الحياة على نظام مشترك . واذا بلغت الجسارة من كبار امة الى القول بوجوب ارتكاب الجرائم وعدم استنكار الاعمال الخارجة عن حد الادب كان من الواضح ان تلك الامة قد آلت على نفسها ان تخرج من دائرة الانسانية وحق عليها القول انها سقطت الى اسفل دركات الانحطاط لان الانسان في دور الهمجية كان يفرح باعمالهِ الهمجية ليرضي بها غريزتهُ ولكنهُ لا يدعي الادب ولا يحاول ان يقنع سواهُ بحسن عملهِ . واما همجية شعب متمدن يدعي بلوغ المنزلة السامية من الرقي بل يتبجح بالكمال وينسب لسواهُ النقص فوصمةٌ عليهِ لا تمحى لان همجيتهُ تكون سبباً لخسارة المدنية خسارة فادحة قد لا يرجى تعويضها كما حصل في هذه الحرب المشؤومة من خسائر النفوس والنفائس التي لا تقدر بثمن ولا يرجى تعويضها

الدكتور
امين ابو خاطر

مرتبة الشمس بين الشموس

قلما يخطر لنا ببال ان الشمس على عظم بهائها وسنائها ليست الأ كوكباً من الكواكب العظمى . وانها انما تظهر لنا اعظم شأناً مما هي حقيقة بسبب قربها منا بالنسبة الى تلك الكواكب او الشموس

ومن اصعب الصعاب تعيين رتبة الشمس بين تلك الشموس من حيث البهاء والسناء ليس لأن في حساب تلك الرتبة شيئاً من الصعوبة وانما الصعوبة في اخذ الاقيسة التي يبنى ذلك الحساب عليها . وقبل مقابلة نور الشمس بنور غيرها من الشموس لا بد لنا من معرفة امرين : الاول بُعْد تلك الشموس . والثاني نسبة نور شمسنا الى نورهن كما نراهن باعيننا من هذه الكرة . اما معرفة بعدهن فقد اصبحت من القضايا السهلة بعد ما كانت من اعقد المسائل العلمية حتى صرنا نعرف بُعد كثير من الشموس القريبة وقليل من الشموس البعيدة بدقة تمكننا من معرفة الامر الثاني او الحكم بما تكون اقدارها ودرجة لمعانها اذا صف بعضها الى جانب البعض وعلى مسافة واحدة منا

وقد اختار الاستاذ كابتين الفلكي الهولندي ان يحسب تلك المسافة مساوية لما يقطعهُ النور في $\frac{1}{2}$ ٣٢ سنة فوجد انهُ لو أُدني بعض الشموس البعيدة الى تلك المسافة لفاق لمعانهُ كثيراً كل نجم من النجوم الثوابت التي نراها بل لفاق المشتري ولنافس الزهرة . اما بعض الشموس او النجوم القريبة منا بالنسبة الى تلك فلو أُقصي الى تلك المسافة لبات غير منظور بالعين المجردة ولا بالنظارات الصغيرة . وبناء على ذلك لو أُقصيت شمسنا الى تلك المسافة لتضاءل نورها الى اضعف مما هو الآن بمبلغ ٤٢٥٠ الف مليون مرة

ورب سائل يسأل اذا أُقصيت الشمس الى ذلك البعد اي الى بعد $\frac{1}{2}$ ٣٢ سنة نورية عنا فكيف تظهر لنا بالنسبة الى كواكب السماء التي نراها وكم يكون قدرها ؟ وجواب هذا السؤال من الصعوبة بمكان . ومعظم السبب في صعوبتهِ ان نور الشمس يساوي عشرة آلاف مليون من نور الشعرى اليمانية التي هي ألمع الثوابت في افقنا . فلا سبيل الى المقابلة بين انوار تختلف الى هذا الحد في نسبتها بعضها الى بعض الأ باكتشاف طريقة تمكننا من اضعاف نور الشمس مليون مرة مثلاً وتقوية نور الكواكب التي تراد مقابلتها بها الى اقصى حد . ومع ذلك نجد ان نور الشمس لايزال على ضعفهِ ابهى بكثير من نور الكواكب مهما قويناهُ . على ان تقليل الفرق بين النورين يمكننا من المقابلة المرومة

وقد اكتشفت بضع طرق لذلك اولاها طريقة زولنر الالماني التي استنبطها سنة ١٨٦٤ . فانهُ استطاع تصغير صورة الشمس بامرار اشعتها في تلسكوب مقلوب واضعف نورها بامرار الاشعة في زجاجة مدخنة كما يفعل الذين ينظرون الى الشمس عند كسوفها . وفعل عكس ذلك بالنجم المسمَّى العيوق وهو من الثوابت اللامعة واخذ صورتهُ وقابل الصورتين اي صورة الشمس مصغرة وهذا النجم مكبراً بنور نجم صناعي مكوَّن من ضوء مصباح مارّ وسط ثقب صغير . فظهر لهُ بالحساب ان الشمس تظهر لنا ابهى من العيوق بستة وخمسين الف مليون مرة اي لو ظهر في ليلة من الليالي ٥٦ الف مليون نجم مثل العيوق لباتت تلك الليلة مشرقة كالنهار والشمس في رائعته

والطريقة الثانية منسوبة الى ثلاثة علماء الواحد فرنسويّ والثاني روسيّ والثالث اميركيّ . وقد تناولوا هذا البحث في وقت واحد وكلٌّ منهم مستقلٌّ عن الآخر لا يدري ما يفعل . فظهر من حساب الفرنسوي ان الشمس ابهى من العيوق باربعة وستين الف مليون مرة . ومن حساب الروسي انها ابهى منهُ بثلاثة وخمسين الف مليون مرة . ومن حساب الاميركي وهو الاستاذ بكرنج المشهور انها ابهى منهُ بستة وستين الف مليون مرة . فتوسط هذه الحسابات الاربعة ٦٠ الف مليون ولا بدّ ان يكون صحيحاً لان متوسط الفرق بينهُ وبين كلٍّ منها نحو ٩ في المئة فقط من قيمتهِ . ولا يكاد يحتمل انهم كلهم اخطأُوا في جهة واحدة

وعليهِ لو اقصيت الشمس عنَّا الى بعد $32\frac{1}{2}$ سنة نورية لتضاءل بهاؤُها الى جزء من سبعين من بهاء العيوق ولباتت نجماً المع بقليل من نجوم القدر الخامس فلا ترى بالعين المجردة الاَّ بصعوبة

اما العيوق فلما كان ابعد عنَّا بكثير من ذلك المقياس اي $32\frac{1}{2}$ سنة نورية فهو لذلك ابهى من الشمس بمئة وخمسين ضعفاً . فالشمس متوسطة المرتبة بين الشموس فمنهنَّ ما هو اكبر منها ببضعة آلاف مرة ومنهنَّ ما هو اصغر منها بالف مرة

وقد قيس نور النجوم الضعيفة فوجد ان اضعف نجم يمكن تصويره بالتلسكوب الكبير في مرصد مونت ولسن (باميركا) يرسل الينا من النور ما لو جمع نور ٥٠٠ الف مليون مليون من امثالهِ لساوى نور شمسنا لا غير

العربي بدل الاعجمي

نشرت في المقتطف (اغسطس سنة ١٩١٥ ص ١٣٢) بعضَ ما عنَّ لي من الآراء بشأن الالقاب واسماء الرتب العسكرية · واوردت ما يقابلها او ما جاء بمعناها عند العرب · وذلك على اثر تأليف لجنةٍ من أولي الشأن للنظر في حقيقة مدلول هذه المسميات وإصلاح اسمائها بتجريدها من العجمة وصبغها بصبغةٍ عربيةٍ ورأيت اليومَ إتماماً للفائدة وتحقيقاً للغاية المطلوبة ان أتابع البحث فيما يتعلق ببعض المصالح الاميرية والوظائف الملكية والحِرَف والصنائع التابعة للحكومة · وقد جرت العادة على ان تُطلَق عليها اسماء أعجمية او غير وافية المقصود منها تماماً حتى لقد تلتبس على رجال الدواوين انفسهم

من ذلك انهم يقولون «مصلحة اللمانات والفنارات» والصحيح فيها «مصلحة الموانئ والمنائر» كما جرت الصحف على تسميتها · امَّا كلمة «لمان» التي جمعوها «لمانات» فتركية الاصل ومعناها المرسى او الميناء · وقد يستعملونها بمعنى «المنفى» مثال ذلك «لمان طره» وقد اشتقَّت العامَّة في سوريا من هذه الكلمة فعل «لَومَنَ» بمعنى ارسل الى المنفى او الى الاشغال الشاقَّة · ولعلَّ العلاقة التي بين المعنيين — اي مرسى ومنفى — هي نفس العلاقة التي بين معنيي كلمة Galère عند الفرنسويين · فانَّ معناها الاصليَّ نوعٌ من السفن يُسيَّر بالمجاذيف · ولمَّا كان الاسرى والمحكوم عليهم بالاشغال الشاقَّة يُرسلون في الزمن الغابر للتجذيف في مثل هذه السفن فقد اصبحت العبارة envoyer aux galères مرادِفةً للإرسال الى المنفى او الى الاشغال الشاقة

ويستعملون في هذه المصلحة «رسوم شمندوره droits de bouée» والمقصود منها تلك العلامات العائمة على وجه الماء لترشد السفن الى وجود صخرٍ اوممرٍ خطرٍ ولعلَّ كلمة «عوَّامات» اصحُّ وادلُّ على المعنى

ويقولون ايضاً في تلك المصلحة «رسوم تماكين permis de départ» ولعلَّ اللفظة مُشتقَّةٌ من مكَّن يمكِّن تمكيناً فالاصلح والحالة هذه استعمال المفرد «رسوم تمكين» اي الاذن في السفر

ويقولون «قبودان المينا» و«رئيس قبودانية المينا» والافضل استعمال «رُبَّان»

ويقولون «مراكبية» والاصحُّ استعمال ملاَّح او نوتي (ج نواتي) وهي لفظة يونانية معرَّبة قديماً وقد اخذها الفرنجة ايضاً عن اليونان فقالوا (nautonier)

ويقولون « بريزلام » معوّلين على اللفظ الافرنجي بحرفهِ . وهو الرادّ او الوازع للامواج

ويقولون قلم « البسابورتات » والبسابورت او الباسبور جوازُ السفر فيمكن استعمال « الجواز » بدلاً من اللفظة المستعملة الآن

ويقولون « الجمعية التشريعية » والتشريع لا يفيد لغةً معنى الاشتراع اي سنّ القوانين والشرائع . فالاصحّ ان يُقال « الجمعية الاشتراعية » من اشترع الشريعة اي سنّها

ويقولون « وزارة الحقانية » والنسبة الى الحقّ على هذه الصورة غير قياسية وفي تركيا يقولون « نظارة العدلية » . وافضلُ من هذه وتلك ان يُقال « وزارة العدل »

ويقولون قلم « تمغة المصاغات » وصحتها « دمغة المصوغات » كما لا يخفى

ويقولون مصلحة « البوستة » وقد يحسنُ الاتفاق على لفظة « البريد » . ومصلحة البوستة نفسها تستعمل احياناً هذه الكلمة فهي تصدرُ في كل سنةٍ كتاباً عنوانهُ « الدليل المفيد لمصلحة البريد » والكلمة عربية ذات مشتقّاتٍ لا تخلو من الفائدة . ويمكن اشتقاق « بريدي » بمعنى postman الانكليزية و postier الفرنسوية

ويقولون في هذه المصلحة « صرّ » لترجمة group ويحارون عادةً في جمعها والافضل استعمال « صُرّة » (ج صُرر) والصرّة في كتبِ اللغة ما تصرّ فيهِ الدراهم . وهذا هو المعنى المقصود

وكثيراً ما يُضيفون الى آخر الاسماء لفظة « خانه » للدلالة على المكان او الدار فيقولون: « الانتكخانة » وهي المتحف ويحسنُ استعمال « دار الآثار » بهذا المعنى كما استعملت « دار الكتب » للكتبخانه . وقد لاقت هذه التسمية ارتياحاً من اهل الادب

وكذلك « المهندسخانة » وهي مدرسة الهندسة . ومن هذا القبيل ايضاً « الدفترخانة والقيودات » وهي دار السجلّ او القيد . وقد استحسن البعضُ كلمة « دفترية »

ويقولون « الترسانة » وهي دار الصناعة كما لا يخفى

وفي بعض المصالح فئةٌ من المستخدمين هم العمالُ واصحاب الحرَف يُطلقون عليهم عادةً اسماء متبوعةً باداة « جي » وهي اداةُ النسبة الى الحرفة في اللغة التركية . ولا يصعبُ إعادة هذه الاسماء الى صيغةٍ عربية او ايجاد ما يؤدّي الى المعنى المقصود منها . من ذلك انهم يقولون : مكوجي وصحتها كوّاء ، ومطبجي وصحتها طبّاخ ويستعملون « اتشجي » ويجمعونها اتشجية من « اتش » التركية ومعناها نار والافضل استعمال الكلمة العربية التي تفيد معناها وهي

وقَّاد وقَّادون . و يقولون « جنزرجية » والمقصود منها القيَّاسون و يقولون « فوتوغرافجي » أو « مصوراتي » والصحيح مصوّر و بمعنى آخر رسَّام

و يستعملون « نوبتجي » ومعناها صاحب النوبة أو الدور فيجدرُ استعمال « مُنوِّب » من نُوِّب الرجل جُعلت لهُ النوبة . وجاء في المصباح : تناوبوا على الامر تداولوهُ بينهم يفعلهُ هذا مرَّةً وهذا مرةً . ومنها المناوبة

و يقولون « كلارجي أو كرارجي » واحسنُ منها قهرمان (ج قهارمة) وكذلك بدلاً من « السفرجية » يحسنُ استعمال « النُدُل » وهم خَدَمَةُ الدعوة او الضيافة . من نَدَل الخبزَ من السفرة اي غَرَفَهُ

و يقولون « عربجي » وقد جرى استعمال « حوذي » بمعناها من حاذ الدابَّة ساقها سريعاً . والحُوذي بالضمّ الطارد المستحثّ على السير

و يقولون « قهوجي » وقد جاء في كتب اللغة : أقهى الرجلُ إقهاء دام على شرب القهوة فيمكننا ان نقول « القاهي » بمعنى ساقي القهوة جمعها قُهاة مثل طاهٍ طهاة

و يقولون « تمرجي » وتُقابلها الكلمة العربية « ممرّض » كما هو معروف

و يقولون « طلبة وطلمبجي » والأصح في الاولى مضخَّة أو منضحة وفي الثانية ضخَّاخ أو نَضَّاح . فالمضخَّة قصبةٌ في جوفها خشبةٌ يرمى بها الماء . ونَضَحَ البيتَ بالماء رشَّهُ وبلَّهُ

و يقولون « جاشنجي » لترجمة essayeur اي الذي يأخذ جشنة الشيء . والمعروف في كلام العرب بهذا المعنى المقاطرة من قطَرَ الرجلُ قطرًا وزن جلَّةً (قفَّةً) من تمرٍ او عدلاً من متاع او حَبّ او غيره فاخذ ما بقيَ على حساب ذلك ولم يزنهُ . و يحسنُ استعمال « القطري » للقائم بهذا العمل

و يقولون « نشانجي » marqueur والافضل ان نقول « وسَّام » من وسم الشيءَ كواه وأثر فيه بسمةٍ أو كيّ . والسمة والوسمة العلامة . والميسم الآلة التي يوسم بها

و يقولون « توفكجي » لصانع السلاح أو للذي يُصلحهُ . وقد ورد على ألسنة العرب كلمات ثلاثٌ يمكن التعويل على إحداها لتأدية المعنى المقصود اذا توسَّعنا في مدلولها . وهي « مثقف » من ثقَّف الرمح قوَّمهُ وسواهُ والثِقاف آلة تُسوَّى بها الرماح . جاء في معلقة عمرو بن كلثوم (والضمير عائد الى الرماح)

إذا عضَّ الثقافُ بها اشمأزَّت وولتهم عشوزنةً زبونا
عشوزنةً اذا غُمِزَت أرنَّت تشجُّ قفا المثقف والجبينا

و « صيقل » من صقل السيف جلاه وكشف صدأه والصيقل شحاذ السيوف وجلاؤها ج صياقل وصياقلة . و « قين » من قان القين الحديد سواه والقين ج قيان الحداد و يطلق على كل صانع

و يقولون من هذا القبيل وان كانت الجيم غير زائدة « سروجي » والنسبة الى الجمع غير قياسية فالافضل ان يقال « سراج » على وزن فعّال فقد جاء في كتب اللغة : والسراجة حرفة السراج وهو الذي يصنع السروج . وهناك لفظة قد تفيد المعنى المقصود وهي « خراز » اي الذي يشتغل بالخرز

وكما يزيدون « چي » او « خانة » في آخر بعض الكلمات للنسبة الى الحرفة او للدلالة على المكان فهم كذلك يزيدون في اول الكلمة غالباً وفي آخرها احياناً لفظة « باش » ومعناها بالتركية « رأس » للدلالة على الرياسة والاولوية بين ارباب العمل الواحد . فيقولون من هذا القبيل باشكاتب و باشمفتش و باشچاويش و باشفراش و باشساعي الخ فلا اسهل من ان نستبدل بهذه الكلمات كلمات عربية فنقول رئيس كتّاب ورئيس مفتشين ورئيس سعاة الخ او مفتش اول وكاتب اول الخ

و يقولون من هذا القبيل « حكيمباشي الاسبتالية » والاصح « رئيس اطباء المستشفى » و يقولون « اجزاجي » والاصح صيدلاني ج صيادلة وهو بيّاع العطر والعقاقير والادوية . و يقولون « اطباء بياطرة » في جمع طبيب بيطري (médécin vétérinaire) وجمع بيطري بيطريون . اما بياطرة فهي جمع بيطار maréchal-ferrant ويجمعون على هذا القياس صرّاف على صيارف وصحيحها صرّافون . اما صيارفة فهي جمع صيرف وصيرفي والمعنى واحد

و يقولون في وزارة الاشغال العمومية « القسم الميكانيكي » والافضل ان يقال « القسم الآلي » نسبة الى آلة . وعلم الميكانيك معروف عند العرب بعلم الآلات والحيل ونقول كذلك « آليون » بدلاً من ميكانيكية

و يقولون « القسم الجيولوجي » اي علم طبقات الارض و يمكن استعمال الملكي (وزن فلكي) والملكة (ملك) ما بين كل ارض الى تحتها الى الارض السابعة . فتستعمل هذه الكلمة لطبقات الارض كما تستعمل كلمة فلك لطبقات السماء

و يقولون « قشلاق » والكلمة العربية « ثكنة » فالثكنة (ج ثكنات) بضم اولها مركز الاجناد ومجتمعهم على ما جاء في كتب اللغة . وهذا المقصود من كلمة قشلاق

ومن هذا القبيل يحسن التعويل على لفظة « مخفر » بدلاً من « قره قول »

و يقولون « مرتبات العائلة السلطانية » والافصح ان يُقال « مرتبات البيت السلطاني »

و يقولون « تشريفاتي » و يجمعونها و يؤنثونها على « تشريفاتية » والافصح ردُّها الى صيغةٍ قياسية تشريفي ج تشريفيون · ويحسنُ استعمال كلمة « وصيفة » لسيدات الشرف في القصر السلطاني · و يقولون « الاوبرا السلطانية » و يقابل ذلك المسرح او الملهى

و يقولون « ايجارات ومتحصلات املاك الميري » والاصحُّ « تأجير الاملاك الاميرية ومحصولها »

ويحسنُ استعمال « مدير عامّ » بدلاً من « مدير عموم » « والادارة العامّة » بدلاً من « إدارة العموم » وكذلك مفتش عام

و يقولون ايضاً « الاستشارة المالية او القضائية» في ترجمة Service du Conseiller Financier ou Judiciaire وكلمة استشارة هنا لا تؤدي المعنى المقصود فهي اقرب الى معنى consultation ولذلك يُفضَّل استعمال « دائرة » او « قلم » المستشار المالي او القضائي

و يقولون « مصائد الاسماك » « وعوايد الاملاك » والصحيح ان يُقال « مصايد » « وعوائد» كما لا يخفى

و يقولون السكك الحديد او السكة الحديد · والصحيح ان يقال على سبيل الوصفية : السكة (او السكك) الحديدية · او على سبيل الاضافة : سكة (او سكك) الحديد

وفي جميع المصالح يجمعون « كسوة » على « كساوي » كأنها على وزن « دعوى دعاوي » والصحيح ان تُجمع على « كُسىً » مثل ربوة ربى · ويجوز جمعها جمعاً مؤنثاً سالماً اي كسوات

و يقولون « رئاسة مجلس الوزراء » والصحيح رياسة بدون همزة او رآسة

و يقولون دوسيه وملف· والثانية وان كانت عربية لا تفيد المعنى المقصود فهي اقرب الى معنى rouleau اي الشيء الملفوف· والكلمة المستعملة عند العرب بهذا المعنى « إضبارة » من ضَبَر الكتبَ والصُحُفَ جمعها وجعلها إضبارةً

و يقولون « جنائني » نسبةً الى جنائن جمع جُنينة التي هي تصغير جنّة وهذه النسبة غير قياسيةٌ كما لا يخفى فكلمة « بستاني » افصحُ واصحُّ · و يقولون « صنائعية » والصحيح صنّاع ·

و يقولون الى الآن « قاووش اغاسي » والافضل ان يُعوَّل على « رئيس قوّاسين » والقوّاس هو حامل القوس كما ذكرنا في مقالتنا عن الرتب العسكرية في مقتطف اغسطس من السنة الماضية · و يقولون اسطى اسطوات لرئيس النجارين او الحدادين

والكلمة منحوتة من « أستاذ » الفارسية فيمكن ان نستعمل معلّم او عريف فنقول : معلّم (او عريف) نجارين او حدادين الخ · contremaître

وفي كتب اللغة : العريف العالم بالشيء وقيل النقيب وهو دون الرئيس · وقيل العريف يكون على نفير والمنكب يكون على خمسة عرفاء · ومنهُ عريف المكاتب للولد الذي يفوَّض اليهِ القيام على مراقبة الاولاد

و يقولون « وابور الزلط » ويحسن استعمال « مرداس » بهذا المعنى من ردس الارض دكّها بالمرداس · والمرداس شيءٌ صلبٌ يُردسُ بهِ أي يُدَكّ

و يُقابل « الزلط » من كلام العرب « الحصباء » او « الحصى » وهي الحجارة الصغيرة · و يمكن استعمال « التحصيب » — من حصَّب المكان فرشه بالحصى — بدلاً من « مكدام » وهي كلمة افرنجية يُقصدُ بها نفس المعنى على أنها مشتقة من اسم Mac Adam وهو اول من عوَّل على هذه الطريقة لتسوية الشوارع

و يقولون « قومسيون » وقد جرى الكثيرون على استعمال « لجنة » وهي تفيد المعنى تماماً

و يقولون « خرائط وخرط » وهي لفظة يونانية معرَّبة واصل تعريبها « قرطاس » وقد جرى نفرٌ من الادباء على إطلاق « مصوَّرات جغرافية » على المقصود من الخارطة

و يقولون « هويس واهوسة » écluses ولعلّها من « حاووز » او « حوض » (بلفظ الضاد ظاء على الطريقة التركية) وعليهِ فيمكن الرجوع الى الاصل العربي

و يقولون « المستخدمون المرفوتون » من رفت ومعنى « رفت » فتّهُ بيدهِ ومنها « الرفات » كلّ ما تكسَّر وبلي · ولعلهم اخذوها من « رفض » والاوفق استعمال « عزل » و « اقال » ومشتقاتهما : الأولى بمعنى renvoyer او destituer والثانية بمعنى licencier

***

هذا ما عنَّ لي ان اوردهُ في مقالتي السابقة وفي مقالة اليوم من الاسماء التي تستعمل الآن في دواوين الحكومة على غير صحّتها والتي تدعو الحالة الى إصلاحها · وليس هذا الاصلاحُ بالامر العسير او المتطلب العناء الكثير

ويجدرُ لهذا الغرض أن تؤلف لجنة تُمثَّلُ فيها جميع الوزارات والمصالح الاميرية للنظر في هذا الامر ويكون من شأن هذه اللجنة في الوقت نفسهِ إصلاح نصّ مطبوعات الحكومة المعروفة باسم « استمارات ونماذج » وهي اوراق مطبوعة تتداولها الايدي في معاملات متنوّعة وكثيراً ما تتضمن اغلاطاً بيّنة هي من بقايا الماضي

أمَّا ما يسمّونهُ « بلغة الدواوين » فلم اتعرّض لهُ بشيءٍ كما يرى القارئ لان إصلاح هذه اللغة ليس بالامر الممكن دفعةً واحدة بل هي غاية تُدرَك شيئاً فشيئاً كلّما ازداد عددُ المتعلمين في خدمة الحكومة . وقد سار الاصلاحُ شوطاً يُذكر من هذا القبيل بفضل طائفةٍ من الأدباء والكتاب المعروفين الذين ضمَّتهم الحكومة الى اقلامها في السنوات الاخيرة وهم دائبون على ترقية لغة المصالح بالتدريج ولعلّهم مفلحون وان القطر المصريّ لجدير بتحقيق الآمال المعقودة عليهِ من حيث إنهاض لغة العرب فهو من الاقطار العربية بمثابة القلب من الجسم

القاهرة انطون الجميّل

البلهارتسيا في القطر المصري

انتدبت الحكومة الانكليزية لجنة في السنة الماضية لدرس مرض البلهارتسيا في القطر المصري برآسة اللفتننت كولونل ليبر . فاتمت مهمتها ونشرت تقريراً يتضمن خلاصة درسها جاء فيهِ ما فحواهُ :

اكتشف سبب داء البلهارتسيا في الانسان الدكتور بلهارتس سنة ١٨٥١ فسمي باسمهِ . اما طريقة انتقالهِ والعدوى بهِ فلم تكتشف الأحديثاً

سبب الداء وجود نوع من الحَلَم في اوردة المساريقا (غشاء الامعاء) والمثانة . اويقال بكلام اخصّ ان بيض هذا الحَلَم هو سبب الالتهاب على الغالب . ولما عُرف السبب شرع الاخصائيون في علم الحيوينات الطفيلية يبحثون في كيفية انتقال الحَلَم الى جسم الانسان واتصال الداء بهِ . وكان قد عرف ان البيض يفقس في الماء اجنة ذات اهداب واستنتج الباحثون فيما مضى قياساً على طبائع انواع اخرى من الحَلَم ان هذه الاجنة تدخل بعد فقسها اجسام بعض الحيوانات الصدفية التي تعيش في الماء العذب فامتحنوا وجودها فيها بطريقتين الواحدة تلقيح بعض ذوات الاصداف بالاجنة المشار اليها . والثانية تشريح بعض ذوات الاصداف ولكن جميع التجارب التي جُرّبت ذهبت سدًى . ولعلّ سبب ذلك ان التجارب جُرِبت في ٩ اصناف فقط من ٥٠ صنفاً من ذوات الاصداف الموجودة في القطر المصري

وكان ليبر واتكنسون قد عرفا من ابحاثهما في اليابان ان الناس والكلاب تصاب هناك ببلهارتسيا ناشئة عن نوع آخر من الحَلَم ولكنهُ من الجنس عينهِ . وثبت ان الكلاب تعدى بابقائها في الماء بعد اطلاقهِ على الحقول المصابة ولا تعدى بابقائها في ماء يحتوي على اجنـة

الحلم . ولوحظ ان الحلم الذي يدخل أجسام الكلاب يختلف كثيراً عن الاجنة فاستُنتج انهُ لا يبعد ان تكون هناك واسطة لنقل العدوى . ومما لوحظ ايضاً ان الفيران تعدى من الماء الذي يعيش فيهِ الحلزون . وعليهِ بحث ليبر فوجد البلهارتسيا في ثلاثة انواع من ثمانية من اشهر ذوات الاصداف . ولم يقل اين وجدها بالتخصيص بل قال انهُ وجدها على مسافة نصف ساعة من القاهرة بالقطار ولعل ذلك في المرج لانهُ يقول فيها بعد انهُ وجد البلهارتسيا هناك في ٤٩ غلاماً من ٥٤ فحصهم ولا يزيد عمر الواحد منهم على ١٢ سنة . وقال انهُ وجد ١٥ نوعاً من الحلزون في ترعة المرج بعد نزح الماء منها

ومن اشهر الحلازين التي وجد البلهارتسيا فيها ما يسمى Planorbis boissyi والحلم كثير فيها الى حدّ انهُ يسهل جمع كثير من دودهِ منها وقد لقحت الجرذان بها فوجد الدود او الحلم في اوردتها البابية . وفحص بيضها فثبت انهُ من النوع الذي يصيب الانسان

ومما جاء في التقرير ان الداء اكثر شيوعاً في الوجه البحري والفيوم منهُ في الاماكن التي تروى ري الحياض . فقد قال الدكتور مادن انهُ يدخل مستشفيات القاهرة من الجيزة ١٠ مصابين بالبلهارتسيا من ١٠٠ الف من السكان . ومن الشرقية ٢٠ من كل ١٠٠ الف ومن القليوبية ١٨ ومن المنوفية نحو ١٣ . ومعلوم ان الري الصيفي لم يتمّ في بعض انحاء الجيزة في حين ان المديريات الثلاث الاخرى تروى كلها ريًّا صيفيًّا . وربما كان الري الصيفي مساعداً على توالد الحلزون ونمائهِ

وجاء في التقرير ايضاً قولهُ : يولد في القاهرة ٣٠ الف مولود في السنة يصاب بالبلهارتسيا ثلثهم . وكيفية ذلك ان ماء القاهرة على نوعين الواحد مرشّح والآخر غير مرشّح والماء الذي يؤخذ من النيل للري لا يعاد اليهِ عادة بل يصرف في مصارف الى البحر الملح ولكن بعض هذه المصارف يتصل بالنيل جنوبي القاهرة فلا يبعد والحالة هذه ان يكون الماء غير المرشّح سبب العدوى في القاهرة . على ان الدود يبقى حيًّا في الماء عند عمل التجارب ٣٦ ساعة . وقد قدروا انهُ اذا كان مكان اتصال المصارف بالنيل على بعد ٣٠ ميلاً من القاهرة او اكثر فان الدود يموت قبل وصول الماء اليها . اما من جهة العدوى في القاهرة نفسها فلم يثبت بالبرهان وجود الدود في الماء غير المرشّح المأخوذ من المواسير . ومن رأي كتبة التقرير ان خزن الماء غير المرشّح من يوم ونصف الى يومين يميت دود البلهارتسيا . اما في الارياف فحلّ المسئلة سهل نظريًّا وهو ان يصرف الماء من الترع فيموت الحلزون الذي فيها ولكنهُ صعب عمليًّا لعلاقة الامر بالري والزراعة

الحرب والامراض

(ملخصة من مقالة نشرت في المجلة الطبية الانكليزية المعروفة باسم (The Practitioner) وهي بقلم الجراح الجنرال رولستن الطبيب الاستشاري للبحرية الانجليزية والطبيب الاول لمستشفى سنت جورج الشهير)

اثبتت الشواهد العديدة ان هذه الحرب الكبيرة اثرت تأثيراً عظيماً في الامراض الباطنية والجراحية فالحرب تساعد على انتشار الاوبئة وذلك باجتماع عدد عظيم من الجند في مكان واحد . فالحميات التي لا تحدث الأ افرادية او وبائية في زمن السلم تحدث بشكل محلي في زمن الحرب كما حصل في انتشار الحمى التيفودية في حرب جنوب افريقية والحمى التيفوسية في السرب والحمى البارا تيفودية وبعض الحمى النخاعية المخية في الجيوش البريطانية في هذه الحرب . ويساعد ايضاً على انتشار الامراض المعدية في الجيوش وجود المكروب في بعض الاصحاء والذين يعرفون بحاملي المرض (carriers) وتظهر ايضاً بين الجنود امراض غير معدية بشكل وبائي مما لا يحدث مثلهُ في زمن السلم ويشاهد ذلك في امراض الخنادق كالتهاب الكلى الحاد واقدام الخنادق والغنغرينة الغازية والتتنوس وحمى الخنادق والالتهاب الشعبي والالتهاب الشعبي الرئوي الناشئة عن استعمال الالمان للغازات الخانقة كالكلورور والبرمور والاضطرابات العصبية لدرجة الجنون في بعض الاحيان والنيوراستينيا

وتؤثر الحرب في غير المحاربين ايضاً حتى في البلاد غير المهاجمة من حيث التغيير في الغذاء والتأثير العقلي وتغيير العمل او المهنة . فكثير من الناس يعملون في معامل الذخائر وبذلك يعرضون انفسهم لاعمال جديدة قد تكون احياناً ضارة او خطرة . فالذين يعملون في معامل الطيران يتعرضون لبعض الغازات السامة وقد اصاب البعض منهم يرقان تسممي بشكل وبائي . وحدث في حصار باريس سنة ١٨٧٠ وفي حرب البوير زيادة مطردة في مرض الغواتر . ومما تهم معرفتهُ هل تكثر ايضاً الاصابات بالبول السكري في مثل هذه الاحوال ام لا

وتختلف الجراحة في زمن الحرب عنها في زمن السلم ففي السلم يعالج الجراح الجروح بعد تعقيمها بمضادات الفساد . اما في الحرب فالجروح تأتيهِ ملوثة . وقبل الحرب كانت عمليات البتر نادرة اما في الحرب فهي كثيرة جداً ويصرف الجراح معظم وقتهِ في تطهير الجروح في زمن الحرب ولذلك ظهرت مسألة البحث عن مطهرات جديدة للجروح كالبورسال وتحت

تلا الاصابة اسهال او دوسنطاريا او حمى تيفوبدية او باراتيفو يدية ولكن بعض الاطباء يقولون ان هذا المرض بسيط على الغالب وتأثيره في الجسم قليل

— الحمى المخية النخاعية —

كان الاعتقاد الشائع ان هذا المرض ليس من امراض الحروب ولكنه ظهر بحالة وبائية في هذه الحرب كما بين ذلك ازلر الشهير . ففي السنة الاولى من الحرب حدث اكثر من ٤٠٠ وفاة في جيش الدفاع الوطني البريطاني و ٩٠ وفاة في البحرية . وسبب انتشار هذا المرض تجمع المقترعين وبينهم اشخاص يحملون مكروب هـذا المرض ولو انهم اصحاء . ولتلافيه يجب العناية بالمقترعين وابعاد حاملي المكروب او على الاقل ابعاد الناقهين من المرض لانهُ يصعب جداً ابعاد حاملي المكروب . وهذا المرض يصعب تشخيصهُ في اولهِ لمشابهتهِ لامراض اخرى كالانفلونزا وبعض انواع الالتهاب السحائي . ومتوسط الوفيات كثير جداً (اكثر من خمسين في المائة) والعلاج بالمصل لم ينجح و يعزى ذلك لرداءة نوع المصل فلذلك اخذوا يحضرون الآن مصلاً جديداً

— النزيف في تجويف الصدر —

هذا المرض نادر في زمن السلم وهو نتيجة صدمة او جرح او انفجار شريان ولكنهُ في هذه الحرب كثير ومن ٤٥٠ إصابة في الجيش ٢٥ في المائة تلوثت وتحولت الى صديد ومن ٩٨ اصابة بزلت استخرج من كل مصاب تقريباً لتر ونصف من الدم ووجد ان الدم يتجمد في داخل الصدر عقب الاصابة بسرعة

— التهاب الكلى الحاد —

اصيب بهذا المرض في الجيش البريطاني في فرنسا ١٠٦٢ لغاية يونيه سنة ١٩١٥ وكلما ارتفعت الحرارة ازداد عدد الاصابات ولم يوقف لهذا المرض على مكروب ولا وجد لهُ مكروب في البول او الدم والوفيات بهِ قليلة جداً

— حمى الخنادق —

هذه حمى متقطعة غير خطرة يجوز ان تختلط بحمى الدنج او الانفلونزا او الباراتيفودية ولكنها تختلف في العلامات . وبالفحص البكتريولوجي يمكن تمييزها وربما كان سببها لدغ الحشرات التي تسطو على جسم الانسان كالقمل والبراغيث

الدكتور
محمد زكي شافعي بالفيوم

ثمار العلم البيولوجي الحديث

وما ينتظر منهُ وما يبنى عليهِ

(من خطبة الرآسة للدكتور الوت رئيس جامعة هارفرد الشهيرة ورئيس مجمع تقدُّم العلوم الاميركي · ويراد بالعلم البيولوجي علم الموجودات الحية اي علم النبات والحيوان والانسان والتشريح والفسيولوجيا وما يتصل بهذه العلوم من حيث نمو النبات والحيوانات وما يعرض لها من الآفات كما ترى في هذه الخطبة)

لقد استفاد نوع الانسان فوائد جمة منذ مئة وخمسين سنة الى الآن من التقدُّم السريع الذي تقدمتهُ العلوم الكيماوية والطبيعية والبيولوجية · في الخمسين سنة الاولى من هذه المدة كان للكيمياء والطبيعيات اليد الطولى في كل ما يأول الى نفع الانسان ولكن المئة السنة التالية كان الفضل الاكبر فيها للعلوم البيولوجية

فاستنباط اساليب النقل والانتقال الجديدة (كالبواخر وسكك الحديد) وعمل المصنوعات بواسطة الآلات التجارية وانشاء الاعمال الهندسية الكبيرة الفضلُ فيها كلها لعلم الطبيعة · والتقدُّم الزراعي الذي تمَّ في النصف الاخير من القرن الماضي الفضلُ فيهِ للطبيعة والكيمياء · ثم جاءت العلوم البيولوجية فافادت الفلاَّح فائدة كبيرة لانها ساعدتهُ على تكثير جنى الارض واصلاح نوع المواشي ووقاية المزروعات والحيوانات مما يضرها

وما نتج عن علم الطبيعة وعلم الكيمياء من الاصلاح الصناعي والاجتماعي افاد الانسان بنوع عام فوفَّر راحتهُ واطال عمرهُ ووقاهُ من العوارض الطبيعية وزاد شعورهُ بالتعاون المتبادل بين افرادهِ وجماعاتهِ بما تمَّ من التسهيل في نقل الاخبار فصلحت حالهُ وزادت رفاهتهُ لكن هذا النفع الذي نال نوع الانسان من تقدُّم علم الطبيعة وعلم الكيمياء لم يكن محضاً بل مازجهُ شيء من الضرر فان ما في المعامل والمدن من الازدحام والجلبة والضوضاء ضرر مازج النفع ولكن العلوم البيولوجية اي علم النبات وعلم الحيوان وعلم الفسيولوجيا وعلم الكيمياء الحيوية استُخدِمَتْ في الجراحة والطب والتدابير الصحية فافادت نوع الانسان مباشرة لانها وقتهُ من المرض والموت الباكر وما يترتب عليهما من الالم والحزن لان العلوم البيولوجية تتناول عواطف الناس فيقل بها قلقهم وتزيد رفاهتهم ويتخلصون من بعض الآفات التي اصابت نوع الانسان من قديم الزمان ومن توقع حدوثها وتضمن لهم مستقبلاً سعيداً

ولقد كان باستور اول مَن حوَّل مجرى النفع من البحث الكيماوي والطبيعي الى البحث البيولوجي · فكان بحثهُ اولاً مختصاً بالتبلور وتدرَّج منهُ الى البحث في انحراف النور بواسطة

كلورات الصودا وطريقة التصريف لجراح رَبط "Wright" · وافضت الحرب ايضاً الى البحث في اصابات نادرة الحدوث كالانوريزما الشريانية الوريدية والنزيف في تجويف الصدر

ومما يهم البحث فيهِ المقارنة بين هذه الحرب وحرب جنوب افريقية · فالفرق كبير جداً وواضح من الوجهة الصحية وقد افاد جداً المصل الواقي من الحمى التيفودية في هذه الحرب حتى ان الاصابات بها قليلة جداً بعكس ما كانت الحالة عليهِ من جنوب افريقية فانها كانت متوطنة في الجيش ولكن يظهر ان الحمى الباراتيفودية التي كانت الوقاية منها قليلة حلّت محل الحمى التيفودية في هذه الحرب · ثم ان الجروح في هذه الحرب اشد تلوثاً مما كانت في حرب جنوب افريقية وسبب قلة تلوثها في جنوب افريقية حرارة الشمس فان فعلها كان اقوى من المطهرات ولذلك ترى الغنغرينة والتتنوس والجروح الملوثة كثيرة في هذه الحرب · وفي حملة الدردنيل كثرت العدوى بواسطة الجهاز الهضمي حتى عظمت الاصابات بالدوسنطاريا والحمى التيفودية والباراتيفودية والاسهال واليرقان فبلغ عدد الذين اصيبوا بهذه الامراض ٧٨٢٠٠ الى آخر اكتوبر سنة ١٩١٥ · وكانت الجنود تصاب بالاسهال بمجرد نزولها الى البرّ كما حدث في حرب جنوب افريقية · وكثرت في حرب جنوب افريقية اصابات الروماتزم · وندرت اصابات التهاب الكلى بعكس ما هي الحال في فرنسا

ولنبحث في كلّ من هذه الامراض على حدة فنقول :

— الحمى التيفودية —

تشمل هذه التسمية ايضاً الحمى الباراتيفودية بقسميها A و B ففي الجيش الانجليزي في فرنسا كانت الباراتيفودية اكثر انتشاراً من التيفودية وقد احصى السر دوجلاس دوصن ٩١٠ اصابات بالباراتيفويد من ١٣٦٣ إصابة بالحمى التيفودية بفرنسا اي بنسبة ٦٦٫٧ في المائة ولكن يحدث احياناً ان يصاب المصاب بكروب التيفويد والباراتيفويد في وقت واحد وبمقارنة هذين النوعين من الحمى وجد ان الباراتيفويد اقل وضوحاً من التيفويد واخف وطأة · ويحتمل كثيراً ان يحسب بعض اصابات الباراتيفويد انفلونزا او لا يُشخص فتنتشر العدوى وهي اقل خطراً · ففي الاصابات السابق ذكرها (٩١٠) لم يمت الا اثنان في المائة · وقد اختلف الباحثون في اي النوعين من الباراتيفويد تكون الوفيات اكثر من الآخر · فتورتز وهوتنجتن يقولان ان النسبة في النوع B اكثر بقليل من ٤ في المائة وفي النوع A اقل من واحد في المائة · ولكن في العدد ٠٦١ من المجلة الطبية البريطانية ١٩١٥ ذكر ان النسبة في النوع A ٢٫٤ في المائة وفي النوع B لم تحدث وفيات في الاصابات التي استخرجت

منها هذه النسبة وعددها ٤٤٧ . وعلى كل حال فالنوعان يتشابهان في الاعراض والعلامات ولا يميزهما الاَّ الفحص البكتريولوجي . وظهر في هذه الحرب ان اصابة الامعاء بهما اعظم شأناً مما كان يظن قبلاً

وقد اثبتت هذه الحرب قيمة المصل الواقي من الحمى التيفودية الذي حضرهُ رَيط . وقيل ان بعض الذين حقنوا بهِ اصيبوا بما يسمونهُ الحمى التيفودية ولكن الحقيقة انهم اصيبوا بالحمى الباراتيفودية ولم يحقنوا للوقاية منها . ولكن الهمة مبذولة الآن لحقن الجنود بمصل للوقاية من التيفويدية والباراتيفودية بنوعيها . وقد جرب مع مصل الكولرا في ١٧٠٠٠٠ صربي ولم يأت بنتيجة رديئة

ويجتهد الاطباء في انجلترا الآن لمنع انتشار الوباء بواسطة المرضى الناقهين من هذه الحميات وذلك بفحص براز كل ناقه وبولهِ ميكرسكوبيًّا وقد وجد بالاحصاء ان المكروب لا وجود لهُ الاَّ في عُشر الناقهين عند حلول الاسبوع العاشر لدور النقاهة

— الدوسنطاريا —

تكهّن البعض بان الدوسنطاريا ستظهر في الميدان الغربي بحالة وبائية ولم يصدق هذا التكهن والحمد لله ولكنها تفشت تفشيًا هائلاً بين الجنود في الدردنيل وشوهد انهُ بمجرد نزول الجنود الى غاليبولي كان يصيبهم اسهال يعقبهُ في كثير من الاحوال دوسنطاريا . ولما وصل الناقهون الى انجلترا وفحص برازهم لم تشاهد فيهِ الاميبا "Amoeba" ولكن قيل انها شوهدت في مستشفيات الاسكندرية والقاهرة بكثرة وان الامتين "Emetine" اي المادة القلوية المستخرجة من عرق الذهب نجحت نجاحًا باهرًا في علاجها . وبما ان هذه المادة تتلف الاميبا فهذا هو السرّ في عدم وجود الاميبا في براز الناقهين في انجلترا . وقال باست سمث انهُ يجب من باب الاحتياط حسبان ان كل اصابة دوسنطاريا تأتي من الشرق حمى باراتيفودية فمن ٧٠ اصابة وصلت بليموث باسم دوسنطاريا وجد ان اربعين في المائة حمى باراتيفويدية A و٢٠ في المائة حمى باراتيفويدية B و١١ في المائة تيفويدية وذلك لانهُ اذا لم تفحص الاصابات بكتيريولوجيًا امكن بسهولة حسبان كل اصابة دوسنطاريا مصحوبة بحمى حمى تيفودية . وكثيرًا ما يتفق ان يصاب الانسان بالمرضين معًا او بواحد بعد الآخر

— اليرقان —

ظهرت اصابات عديدة بهذا المرض بين الجند البريطاني في منطقة البحر الابيض وربما

البلورات . وكان اولاً استاذاً لعلم الطبيعة ثم صار استاذاً لعلم الكيمياء . ولما كان يبحث في بعض الاملاح الآلية تدرَّج الى البحث في الاختمار اتفاقاً وكان رئيساً لمدرسة ليل وهي بلدة صناعية فجعل يدرس اختمار عصير البنجر الذي يولّد الالكحول . اي ان بحثهُ هذا كان بيولوجياً مع انهُ لم يكن خبيراً بعلم الحيوان ولا بالعلوم الطبيَّة . فاثبت اولاً ان الحي لا يتولَّد تولداً ذاتيًّا من مادة غير حيَّة وقال في ذلك انهُ « لا الغازات ولا السائلات ولا الكهربائية ولا المغنطيسية ولا الاوزون ولا شيء من الاشياء غير الحية تتولَّد منهُ الاحياء . واذا ظهر انها تولدت من الهواء فيكون تولدها من جراثيم حية عائمة فيهِ » . وقال في مكان آخر « ان غبار الهواء يكونِ حاملاً لجراثيم الاحياء التي تتولد في آنية يدخلها الهواء وفيها محاليل قابلة للفساد » . الى ان قال قولاً يعدُّ من قبيل النبوَّة وهو « انهُ يجب التوسع في هذه المباحث اعداداً لبحث اهم عن اسباب الامراض المختلفة »

ولقد عاش حتى توسَّع في مباحثهِ فوصل الى اسباب مرض دود الحرير وسبب الكوليرا التي وصلت الى فرنسا من مصر واسباب الآفات التي يشكو منها صانعو الخمر والبيرا واسباب الحمَّى الطحالية وكوليرا الدجاج والكلَب . واستنبط هو وخلفاؤُهُ وسائل فعالة لمعالجة هذه الامراض والآفات ولمعالجة التيفويد والدفتيريا . واكتشافهُ ان الامراض المختلفة ناشئة عن مكروبات خاصة ادَّى الى اكتشاف انواع المصل الواقية التي تقي من تلك الامراض او تشفي منها فبني على ذلك علم الطب الحديث وعملهُ

وكان باستور متضلعاً من علم الطبيعة وعلم الكيمياء ومتدرباً على التدقيق في البحث والاستدلال منذ صغرهِ فانتقل الى البحث في العلوم البيولوجية وعمرهُ ٣٢ سنة فصار اكبر مستنبط فيها ومطبّق لمبادئها واعمالهُ تثبت ان العلوم البيولوجية افادت نوع الانسان في السنين الست الماضية اكثر مما افادتهُ سائر العلوم . وقد كتب الى ابيهِ سنة ١٨٦٠ يقول « عسى الله ان يقدرني على المواظبة في اشغالي حتى اضع حجراً صغيراً في البناء السخيف المتقلقل بناء معارفنا باسرار الحياة والموت التي عجزت عن ادراكها العقول »

فاجاب الله دعاءهُ

وهاكم خلاصة ثمار العلوم البيولوجية منذ بداءة القرن التاسع عشر الى الآن

اول شيء اكتُشف في هذا الباب التطعيم الواقي من الجدري وذلك قبل اكتشاف جراثيم الامراض وانتقالها بواسطة الحشرات والحيوانات واساليب الوقاية منها . ومدار هذا التطعيم على ادخال شيء قليل من صديد جدري البقر في جسم الانسان فيصاب بجدري

خفيف لا يميتهُ ولا يشوههُ بل يقيهِ من الاصابة بالجدري الذي يشوه و يميت . وانقاذ الناس من وباء الجدري نعمة من اكبر النعم التي نالها نوع الانسان من صناعة الطب

وقد عُلم الآن كيف تنتقل امراض الدوسنطاريا والكوليرا والتيفويد والتيفوس والفرفرية والطاعون والدفثيريا والسل والزهري والتعقيبة وداء النوم والحمّى الصفراء وفقر الدم من شخص الى آخر بواسطة المكروبات او الحشرات والفضل في ذلك للبحث البيولوجي في المكروبات والحشرات . وقد استُنبطت الوسائل لمنع هذه الامراض أو لتوقيف إنتشارها وأُصلحت الطرق لمعالجة اكثرها . وعُرف الشيء الكثير من امر شلل الاطفال والسرطان

هذا وان اللسان ليعجز عن وصف ما استفادهُ الناس من ثمار العلوم البيولوجيَّة في منع هذه الامراض او تخفيف وطأتها بعد ان كانت منذ عهد قريب من اشد ما يرتعب منهُ الناس وترتجف لهُ فرائصهم . وكان بعضها يفد في شكل وباء جارف فلا يبقي ولا يذر . ولا يستطيع اهل هذا العصر ان يتصوروا مقدار الخوف والذعر اللذين كانا يستوليان على اسلافهم وقد خلصوا منهما الآن بواسطة البحث الطبي والطب المنعي . والفضل في نجاح الطب المنعي هذا لعلم المكروبات وعلم الباثولوجيا

وقد انشئت المجالس الصحية ونيط بها اعمال كثيرة لم يكن لها وجود قبلما دلَّت علوم البيولوجيا والكيمياء والطبيعيات على ما يجب عملهُ لحفظ الصحة والوقاية من الامراض وتوفير الرفاهة للناس في الحاضر والمستقبل . وعمال هذه المجالس يعلّمون الناس الآن قواعد حفظ الصحة و يوجبونها عليهم في مساكنهم وشوارعهم ومعاملهم ومدارسهم و يراقبون اطعمتهم و يقونهم من الامراض المعدية ومن تأثير الاعمال المضرة بهم و يدرسون ما يفشو بينهم من الاوبئة وما يصابون بهِ من موت اطفالهم و يفصلون المرضى عن الاصحاء و يطهّرون المنازل من جراثيم الامراض ومن الحشرات التي تنقلها او تحملها . وهذه الاعمال كلها مبنيَّة على علم البيولوجيا وهي تتنوع من وقت الى آخر حسب تقدم هذا العلم

واكثر الفضل فيما تحقق حديثًا من علم الطب للتجارب التي جُرّبت في الحيوانات بعد تخديرها او تبنيجها . فقد استفاد نوع الانسان فوائد جمة من البحث في الحيوانات الكبيرة كالدجاج والارانب وخنازير الهند والقطط والكلاب والبقر والخيل والبغال والحمير وفي كثير من الحشرات كالبراغيث والقراد والبعوض والقمل كما من البحث في الحيوانات والنباتات المكروسكوبية . وعلم الباحثون منذ ستين سنة الى الآن اموراً كثيرة جدًّا وهي تزيد سنة فسنة وكانت نتيجتها ان زادت الراحة والرفاهة وقل التعب والالم كما تقدم

هذا ما تمّ في الماضي من العلوم البيولوجيَّة ولننظر الآن الى ما ينتظر منها من النتائج في المستقبل

ان البحث الطبي والجراحي سار سيراً حثيثاً مدة العشرين السنة الماضية وسيضطرد سيرهُ في المستقبل على ما يظهر فان المدارس الطبيَّة والمستشفيات عاكفة عليهِ كلها وقد انشئت لهُ معاهد مخصوصة ايضاً واعتمد كثير من المدارس الطبية على تعليم التشريح والفسيولوجيا والباثولوجيا على اسلوب تظهر فيهِ المقارنة بين الانسان والحيوان فيما تدور عليهِ هذه العلوم . وقد شرع العلماء يرون اهمية المقارنة الباثولوجية فان كل الذين يفكرون في نفع الانسان والحيوانات الداجنة يرون ان التجارب في الحيوانات مع استعمال المخدرات ومضادات الفساد هي السبيل القويم لتوسيع معارفنا باسباب الامراض ووسائل شفائها ومنعها ومن ثم تظهر فائدة المقارنة بين انواع الحيوان والانسان من هذا القبيل

اما الامراض المعدية فيظهر مما عُرف حتى الآن من معالجتها اننا ستتمكن قريباً من قمع اخبثها . ففي عشر سنوات من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩١٣ نقل الداء الزهري الى بعض الحيوانات الدنيا وكُشف المكروب الخاص بهِ واستُنبطت طريقة لاكتشاف هذا الداء في المصابين بهِ ولو لم تكن لهُ علامات ظاهرة فيهم وثبتت فائدة السلفرسان في قتل مكروبهِ . وربي المكروب خارج جسم الانسان حتى تكوَّن منهُ مزدرع نقي وتولَّد من ذلك اللوتين (luetin) وهو كاشف مهمٌّ في تشخيص الحالات الخفيَّة . واخيرا كشف مكروب الزهري في دماغ المصابين بالشلل العام وفي الحبل الشوكي من المصابين باضطراب الحركات (اتكسيا) وهذه المكتشفات سهلت التحكُّم بهذا الداء الخبيث ولكن لم يعمل بها حتى الآن على اسلوب كافٍ لاستئصالهِ فعلى المجالس البلدية ان تجد الوسائل الفعالة لمقاومتهِ ومنع انتشارهِ لانهُ من شر آفات العمران . والآمال متجهة الآن الى الذين في يدهم امر التدابير الصحية ان يتمكنوا من استئصالهِ من كل البلدان المتمدنة

وقد تسنَّى لحكومات البلدان المتمدنة ان تقي شعوبها من مضار الاطعمة الضارة والادوية المغشوشة بما استفادتهُ من علم الكيمياء الحيوية . وهذا العمل من اهم اعمال مجالس الصحة العمومية وهو يحتمل التوسع الكثير

ومن ثمار علم البيولوجيا التي جناها الناس في الخمسين السنة الماضية الوسائل الجديدة التي يُكشف بها السبب الحقيقي للمرض وطرق التشخيص الجديدة وبعض هذه الطرق كيماوي وطبيعي واكثرها بيولوجي . ثم ان كل ما علم من حقيقة مقاومة العدوى وطرقها بني

على المباحث البيولوجية . وجانب كبير من التدابير الصحية التي تعوّل عليها مجالس الصحة العمومية لكشف ما يضرُّ بالصحة وازالتهِ مبنيٌّ على ما عُرف من المقارنة التشريحية والفسيولوجية والباثولوجية بين الانسان والحيوان . ومن الامثلة التي تنطبق على ذلك ما يتخذ الآن من الوسائل لمنع الامراض المعدية من المدارس وفحص اسنان التلامذة وعيونهم وانوفهم وآذانهم وجلودهم واكتشاف ما فيهم من العيوب البدنية والعقلية والنوامي الغددية في انوفهم وافواههم . ثم ان معالجة التلامذة بعد اكتشاف ما فيهم من الادواء والآفات يحقق الآمال باصلاح الجيل المقبل . واذا خالط جماعة واحداً مصاباً بالدفثيريا وخيف ان يكونوا قد أُعدوا منهُ فقد كُشفت مادة يعلم بها ذلك فلا يعالج منهم بالمصل المضاد للدفثيريا الأ الذين أُعدوا بها حقيقة ومن ثم يعلم مَن أُعدي ومَن لم يعدَ وربما افضى ذلك الى معرفة السبب الذي يمنع العدوى عن بعض الناس اي الى معرفة اسباب المناعة الطبيعية

ومن المسائل الكبيرة التي تفيد فيها العلوم البيولوجية مقاومة السكر والعهر وهي فرع مهم من باب صحة الام ويتناول هذا الفرع معالجة ضعاف العقول والمجانين والمصروعين والعميان . والمضار الناتجة عن هذه الآفات كثيرة جدًّا وهي مرتبطة بعضها ببعض وقد جاءت وسائل علاجها من علم البيولوجيا ويرجى ان يتسع نطاق هذه الوسائل وتزيد فوائدها

وقد وُسع نطاق التعليم حتى يتناول الاعمال الصحية والجراحية والطبية فنتجت منهُ فوائد جمة وينتظر ان تزيد كثيراً في المستقبل فتزيد بها الصحة والرفاهة . فقد عُلِّمت الممرضات وأُرسلن الى المراكز فيطفن على البيوت يمرّضن المرضى ويعزينهم ويعلّمن امهاتهم واخواتهم كيف يعتنين بهم ويطعمنهم ويمنعن نقل العدوى منهم الى غيرهم . وتعليم الممرضة هذا لاقارب المريض مهم جدًّا مثل تمريضها للمريض . وعندنا نساء يتبعن المريض الى بيتهِ بعد ما يشاهدهُ الطبيب في المستشفى ويعلمنهُ كيف يعتني بنفسهِ ويستعمل العلاج ويشرفن على ما حولهُ ويشرن بما يجب عملهُ لكي تتوفر لهُ الراحة فيستفيد هو ويستفيد اهل بيتهِ وجيرانهُ ايضاً من تعليمهنَّ . وهن والممرضات يبحثن في تاريخ كل مريض وعائلتهِ فيجمعن فوائد علمية كثيرة يستفيد منها دارسو علم الوراثة وعلم اصلاح النسل . وهذا شأن الممرضات اللواتي يستخدمن في المدارس وشأن الاطباء الذين يراقبون التلامذة فيها فانهم كلهم يراقبون ما يصيب التلامذة من الامراض والعاهات ويخبرون آباءهم او اوصياءهم بالطرق العلاجية التي يجب اتباعها ويعلمونهم كيف يقون اولادهم منها . ويقال مثل ذلك عن اطباء الاسنان الذين يُطلب منهم في بعض المدن الاميركية ان يزوروا المدارس من وقت الى آخر ويفحصوا

اسنان التلامذة . ويتوقف النجاح في علم طب الاسنان على كثير من المعارف البيولوجية . وسينتج عن ذلك كلهِ ان تقل آلام الناس وتزيد راحتهم وتقوى ابدانهم وتطول اعمارهم

ستأتي البقية

العود الى الفصد

كان مدار التداوي عند القدماء على امرين الاستحمام بالماء الحارّ واستخراج الدم من الجسم سواء كان ذلك بالفصد او الحجامة او الشرط . اما الحمامات الحارة فلا تزال من ضروريات الطب الحديث في علاج بعض الامراض ولكنهم اضافوا اليها الحمامات الباردة في علاج امراض اخرى لا تنفعها الحمامات الحارة بل تضرّها . واما استخراج الدم فقد اهمل من زمان طويل في البلاد المتمدنة وكان السبب الاعظم في اهمالهِ كثرة استعمالهِ بلا قاعدة ولا ضابط . فكلّ من شكا علة جيء لهُ بالفاصد والحجام فاعملا فيهِ المبضع والمشراط . وقد حرم ابن سيناء استفراغ الدم في الطفل والشيخ حيث قال :

والطفل ذو العامين ليس يحجمُ والشيخ ذو الستّين عنهُ يُحجمُ

وفي الامثال « افرغ من حجّام ساباط » وساباط بلد في مدائن كسرى والمثل يضرب في البطالة والتعطل . قيل انهُ حجم كسرى مرة في سفرهِ فاعطاهُ عطاء اغناهُ عن الحجامة فلم يعُد اليها فكان يقضي اوقاتهُ في اللهو والبطالة . وقيل انهُ كان يحجم من مرّ عليهِ من الجيش بدانق اي سدس درهم ديناً الى حين قفولهم . ومع ذلك يمرّ عليهِ الاسبوع والاسبوعان ولا يأتيهِ احد فكان يخرج امهُ ويحجمها لئلاً يعير بالبطالة . فما زال ذلك دأبهُ حتى نزف دمها وماتت فصار مثلاً

ولم يكن القدماء يكتفون بفصد المرضى بل كانوا يفصدون الاصحاء مرة او مرتين في السنة . وبقي الفصد شائعاً في اوربا حتى اوائل القرن السابق ويقال انهُ عجل بموت وشنطون الرئيس الاول للولايات المتحدة الاميركية في اواخر القرن الثامن عشر . ولا يزال معوّل الدجّالين عليهِ في بلاد المشرق الى يومنا هذا

وجمهور الاطباء الآن على ان الفصد مفيد في بعض الامراض ولازم للحياة في امراض اخرى ولكن يجب ان لا يقدم عليهِ الأ بطريقة علمية ويجب ان تكون قاعدة الطبيب الذي يستعملهُ هذه « لا تعالج الداء فيموت المريض بل عالج المريض فيموت الداء » وهي قاعدة يجب

اتباعها في معالجة جميع الامراض ولكن كثيرين من الاطباء يهملونها جهلاً وتقصيراً . وليكن اعتماد الطبيب او الجراح في ملاءمة الفصد وضرورة تكراره ومقدار الدم المستخرج على اعراض المرض التي تظهر كل مرة لا على اسم المرض . وليلاحظ بنية المريض وتركيبهُ الفطري فلا يفصدهُ وهو في دور النزع ولا اذا كان الدم ضعيفاً والمرض مزمناً بل اذا كان الدم مسموماً وكان الضغط في الاوعية الدموية شديداً وكان بطين القلب واذينهُ الايمنان مفعمين دماً اسود من الدم المحتقن في الاوردة . وهذه المبادئ علّمها جالينوس او علّم اكثرها في زمانهِ

وقد دلت الابحاث التي بحثها بعض مشاهير الاطباء حديثاً مثل ابل[1] وروتتري وترنر من اطباء مدرسة جونس هبكنس الطبية في اميركا انهُ يمكن نزف ٢٢ اوقية طبية من الجسم بلا ضرر ولكن اذا بلغ الدم المستخرج اكثر من ثلث دم الجسم كان ذلك عظيم الخطر على المفصود لا لحرمان الجسم مقداراً كثيراً من الدم او مصلهِ — فان هذا سهل التجدد — بل الخطر في تقليل الكريات او الخلايا الحمراء التي تعوم في السائل الدموي والتي وظيفتها حمل الاكسجين وتوزيعهُ في الجسم حتى اقصى اطرافهِ . وتجديد هذه الكريات ليس بالامر السهل . لذلك جرى الاطباء المذكورون في تجاربهم على استخراج مقادير كبيرة من الحيوانات مراراً وتكراراً وفصل الكريات الحمراء عن السائل واستبدالهِ بشيءٍ من محلول « لوك » ثم حقن الجسم بالكريات والمحلول . فاثبتت تجاربهم في الحيوانات انهُ يمكن استخراج السائل الدموي مراراً وبمقادير اعظم مما يمكن استخراجهُ منهُ بطرق الفصد العادية بشرط ان تعاد الكريات الى الدم بعد حفظها في سائل ملائم لها كمحلول لوك المذكور

والمعروف في الطب على قول السينتفك اميركان ان الكريات التي تفصل عن السائل الدموي يمكن حفظها الى خمسة ايام بالبرد الذي لا يتجاوز درجة الجمد من غير ان يتطرق الفساد اليها فاذا حقن الجسم بها بعد ذلك عادت تعمل كالعادة . وهذا ما حمل مجلة الجمعية الطبية الاميركية على القول انهُ يمكن حفظ الكريات بالثلج في غرف الاعمال الجراحية لحقن الجسم بها عند الاقتضاء . ويمكن الاتجاه الى هذه الطريقة في استحضار المصل من الخيل لاستعمالهِ في التطعيم الشافي من بعض الامراض . فبدلاً من استخراج بعض دم الفرس في كل اسبوعين او نحو ذلك كما يفعلون الآن يمكن استخراج مقادير اعظم في فترات اقل اذا حقن الفرس بعد كل فصدة بالكريات على ما تقدم

---

(١) انظر خلاصة ما كتبناهُ في هذا الموضوع في مقتطف اكتوبر الماضي

ابن بطوطه وبلاد السودان الغربي

(تابع ما قبله)

واصابني المرض في هذه البلاد لاشتداد الحر وغلبة الصفراء واجتهدنا في السير الى ان دخلنا الى مدينة تكدّا ونزلت بها في جوار شيخ المغاربة سعيد بن علي الجوزلي واضافني قاضيها ابو ابرهيم اسحق الجاناتي وهو من الافاضل واضافني جعفر بن محمد المسّوفي . ودبار تكدّا مبنيّة بالحجارة الحمر وماؤها يجري على معادن النحاس فيتغير لونهُ وطعمهُ بذلك . ولا زرع بها الاّ يسير من القمح يأكلهُ التجار والغرباء ويباع بحساب عشرين مدّاً من امدادهم بمثقال ذهب ومدهم ثلث المد ببلادنا وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدّاً بمثقال ذهب . وهي كثيرة العقارب وعقاربها تقتل من كان صبياً لم يبلغ واما الرجال فقلما تقتلهم . وقد لدغت يوماً وانا بها ولداً للشيخ سعيد بن علي عند الصبح فمات لحينهِ وحضرت جنازتهُ . ولا شغل لاهل تكدّا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون من كل ما بها من حسان الثياب وسواها . ولاهلها رفاهية وسعة حال و يتفاخرون بكثرة العبيد والخدم وكذلك اهل مالي وايوالاتن ولا يبيعون المعلّمات منهن الاّ نادراً و باثمن الكثير

ومعدن النحاس بخارج تكدا يحفرون عليهِ في الارض و يأتون بهِ الى البلد فيسبكونهُ في دورهم يفعل ذلك عبيدهم وخدمهم فاذا سبكوهُ نحاساً احمر صنعوا منهُ قضباناً في طول شبر ونصف بعضها رقاق و بعضها غلاظ فتباع الغلاظ منها بحساب اربع مائة قضيب بمثقال ذهب وتباع الرقاق بحساب ستمائة وسبع مائة بمثقال وهي صرفهم يشترون برقاقها اللحم والحطب ويشترون بغلاظها العبيد والخدم والذرة والسمن والقمح ويحمل النحاس منها الى مدينة كُوبَر من بلاد الكفار والى زغاي والى بلاد بَرْنُو وهي على مسيرة اربعين يوماً من تكدّا واهلها مسلمون لهم ملك اسمهُ ادريس لا يظهر للناس ولا يكلمهم الاّ من وراء حجاب . ومن هذه البلاد يؤتى بالجواري الحسان والفتيان والثياب المجسدة و يحمل النحاس ايضاً منها الى جوجوة و بلاد المورتبين وسواها

ذكر سلطان تكدّا — وفي ايام اقامتي بها توجه القاضي ابو ابرهيم والخطيب محمد والمدرس ابو حفص والشيخ سعيد بن علي الى سلطان تكدّا وهو بربري يسمّى إزار وكان على مسيرة يوم منها ووقعت بينهُ و بين التكركري وهو من سلاطين البربر ايضاً منازعة فذهبوا الى

الاصلاح بينهما فاردت ان القاهُ فاكتريت دليلاً وتوجهت اليهِ واعلمهُ المذكورون بقدومي فجاء اليَّ راكباً فرساً دون سرج وتلك عادتهم وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة وعليهِ ملحفة وسراويل وعمامة كلها زرق ومعهُ اولاد اختهِ وهم الذين يرثون ملكهُ . فقمنا اليهِ وصافحناهُ وسأل عن حالي ومقدمي فأُعلم بذلك وانزلني في بيت من بيوت اليناطبين وهم كالوصفان عندنا وبعث اليَّ برأس غنم مشوي في السفود وقعب من حليب البقر . وكان في جوارنا بيت امهِ واختهِ فجاءتا الينا وسلّمتا علينا وكانت امهُ تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ويشربونهُ ذلك الوقت وبالغدو واما الطعام فلا يأكلونهُ ولا يعرفونهُ . واقمت عندهم ستة ايام وفي كل يوم يبعث الينا بكبشين مشويين عند الصباح والمساء واحسن اليَّ بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب وانصرفت عنهُ رعدت الى تكدا

ذكر وصول الامر الكريم اليَّ — ولما عدت الى تكدا وصل غلام الحاج محمد بن سعيد السجلماسي بامر مولانا امير المؤمنين وناصر الدين المتوكل على رب العالمين آمراً لي بالوصول الى حضرتهِ العلية فقبلتهُ وامتثلتهُ على الفور واشتريت جملين لركوبي بسبعة وثلاثين مثقالاً وثلث وقصدت السفر الى توات ورفعت زاد سبعين ليلة اذ لا يوجد الطعام فيما بين تكدا وتوات انما يوجد اللحم واللبن والسمن يُشترى بالاثواب وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة اربع وخمسين (وسبعماية) في رفقة كبيرة فيهم جعفر التواتي وهو من الفضلاء ومعنا الفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدا وفي الرفقة نحو ستماية خادم فوصلنا الى كاهر من بلاد السلطان الكركري وهي ارض كثيرة الاعشاب يشتري بها الناس من برابرها الغنم ويقددون لحمها ويحملهُ اهل توات الى بلادهم . ودخلنا منها الى بريَّة لا عمارة بها ولا ماء وهي مسيرة ثلاثة ايام ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً في بريَّة لا عمارة بها الا ان بها الماء ووصلنا الى الموضع الذي يفترق بهِ طريق غات الآخذ الى ديار مصر وطريق توات وهنالك احساء ماء يجري على الحديد فاذا غسل بهِ الثوب الابيض اسودَّ لونهُ وسرنا من هنالك عشرة ايام ووصلنا الى بلاد هكّار وهم طائفة من البربر ملثّمون لا خير عندهم ولقينا احد كبرائهم فحبس القافلة حتى غرموا له اثواباً وسواها وكان وصولنا الى بلادهم في شهر رمضان وهم لا يغيرون فيهِ ولا يعترضون القوافل واذا وجد سُرّاقها المتاع بالطريق في رمضان لم يعرضوا لهُ وكذلك جميع من بهذه الطريق من البرابر . وسرنا في بلاد هكّار شهراً وهي قليلة النبات كثيرة الحجارة طريقها وعر ووصلنا يوم عيد الفطر الى بلاد برابر اهل لثام كهولاء فاخبرونا باخبار بلادنا واعلمونا ان اولاد خراج وابن يغمور خالفوا وسكنوا تسابيت من توات فخاف اهل القافلة من ذلك . ثم

وصلنا الى بودا بضم الباء الموحدة وهي من اكبر قرى توات وارضها رمال وسباخ وتمرها كثير ليس بطيب لكن اهلها يفضلونهُ على تمر سجلماسة ولا زرع بها ولا سمن ولا زيت وانما يجلب لها ذلك من بلاد المغرب واكل اهلها التمر والجراد وهو كثير عندهم يختزنونهُ كما يختزن التمر ويقتاتون بهِ ويخرجون الى صيدهِ قبل طلوع الشمس فانهُ لا يطير اذ ذاك لاجل البرد. واقمنا ببودا اياماً ثم سافرنا في قافلة ووصلنا في اوسط ذي القعدة الى مدينة سجلماسة وخرجت منها في ثاني ذي الحجة وذلك اوان البرد الشديد ونزل بالطريق ثلج كثير ولقد رأيت الطرق الصعبة والثلج الكثير ببخارى وسمرقند وخراسان وبلاد الاتراك فلم أرَ اصعب من طريق أم جنيبة ووصلنا ليلة عيد الاضحى الى دار الطمع فاقمت هنالك يوم الاضحى ثم خرجت فوصلت الى حضرة فأس حضرة مولانا امير المؤمنين ايدهُ الله فقبّلت يدهُ الكريمة وتيمنت بمشاهدة وجههِ المبارك واقمت في كنف احسانهِ بعد طول الرحلة والله تعالى يشكر ما اولانيهِ من جزيل احسانهِ وسابغ امتنانهِ ويديم ايامهُ ويمتع المسلمين بطول بقائهِ. وهاهنا انتهت الرحلة المسماة تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار وكان الفراغ من تقييدها في ثالث ذي الحجة عام ستة وخمسين وسبع مائة والحمد لله وسلام على عبادهِ الذين اصطفى»

انتهى ما نقلناهُ من رحلة ابن بطوطه الى بلاد السودان الغربي وهي آخر رحلاتهِ. ويرى الناظر فيها انها مفعمة بالفوائد عن حال سكان تلك البلاد في عصرهِ. واول شيء يتنبه لهُ ان سكان تلك البلاد كانوا في ذلك العصر ارقى مما صاروا اليهِ في اواخر القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر حينما دخلها الاوربيون. وانهم كانوا مسلمين في الغالب يكرمون رجال العلم ويأتيهم القضاة والمعلمون من المغرب الاقصى والقطر المصري والشامي فيجازَن عندهم على الرحب والسعة. وان شأن المرأة كان رفيعاً عندهم مساوياً لشأن الرجل. وقد قال ابن بطوطه ان البنات كنَّ يخرجن عرايا ولعلَّ الشبان كانوا كذلك وهذه هي الحال الآن في اواسط افريقية والعفة هناك ليست دون ما هي عليهِ في البلدان التي يلبس رجالها ونساؤها اخفى الملابس واسترها للجسم. ويعجبنا ما قالهُ لهُ احد التجار في ايوالاتن وهو ان مصاحبة النساء للرجال عندهم على خير وحسن طريقة لا تهمة فيها. وقال هو قبيل ذلك ان السكان هناك مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القرآن واما نساؤهم فلا يحتشمنَ من الرجال ولا يحتجبن مع مواظبتهنَّ على الصلوات

ومما يستحق الذكر ايضاً امتداد التجارة في ذلك العصر بين السودان الغربي وسائر الاقطار الافريقية والشرقية. وحبذا لو عني احد الباحثين بتفصيل هذه المواضيع

مصر منذ تسعين سنة

للسائح الفرنسوي دي نرفال

(٤)

الوكيل

كان اليهودي يوسف التاجر الذي ذكرتهُ فيما سبق يأتي لزيارتي احياناً كثيرة ويظهر لي التودد فيجلس على « ديواني » ويشرب القهوة ويدخن . فيوماً ما اتاني قائلاً :

علمت انك تفتش عن امرأَة فاحضرت لك « الوكيل » . فاجبتهُ ومن هو الوكيل ؟ قال هو الواسطة بين الرجل الراغب في الزواج وبين اهل البنات وهو شيخ جليل ينفعك في هذه المسأَلة . وقد رجوت منهُ نيابة عنك ان يرى بنتاً موافقة لك وصالحة للزواج . فقلت لهُ ولكنني لا اريد ان اعقد زواجاً في مصر . قال لست مضطراً لعقد الزواج الاَّ الى اجل محدود . قلت لا اريد ان اتسرى او ان اسكن مع امرأَة على غير سنة الزواج ولربما كانت من النساء الفاجرات . قال كلا ليس الآن في القاهرة سوى النساء الاحرار لان سعادة افندينا نفى كل عواهر مصر الى اسنا والشلال وطهر مصر منهنَّ . قلت ائتيني اذاً بالوكيل فدخل الوكيل وهو كما قال يوسف شيخ اعمى يقودهُ ابنهُ وهيأَتهُ تدل على الاستقامة والرصانة . وقيل لي ان الوكيل لا يكون في الغالب الاَّ من العميان ليسهل عليهِ الدخول الى بيوت الامر ومقابلة اهل البنات الراغبات في الزواج . فاستأْجرنا الحمير وركبنا قاصدين الذهاب الى بيت رجل قبطي وعندهُ بنات صالحات للزواج . وكان الوكيل قبل حضورهِ اليَّ قد كلمهُ بشأْني فضرب لهُ موعداً لارى البنت . والعادة ان الخاطب لا يمكنهُ ان يرى وجه خطيبتهِ ولا يعرف هيئتها وشكلها الاَّ انهُ يرسل نساء من اهلهِ فيرينها ويصفنها لهُ . ولكنني اشترطت على الوكيل ان ارى الفتاة اذ ليس لي من اثق بهِ في هذه المهمة فلم يتردد ابو الفتاة في قبول هذا الشرط العادل تسامحاً . وبينما نحن سائرون قال لي يوسف مترجماً كلام الوكيل انهُ يمكنني ان اتزوج في مصر على اربع طرق مختلفة . فقلت وما هي ؟ فاجاب ان الطريقة الاولى هي ان تتزوج بفتاة قبطية بعقد اسلامي . وذلك ان يأْتي بشيخ يقال لهُ المأْذون فيكتب لك عقد الزواج بشهادة بعض الشهود واثبات القاضي

ولست مرغماً بهذا العقد على انتحال الدين الاسلامي . ولكن ليس كل القبطيات يرتضين بهذا العقد بل يرضى بهِ الأ المتهتكات والفقيرات

واما الثانية فهي ان يعقد زواجك قسيس قبطي بشرط ان تدفع المهر وتحدد مبلغاً مؤجلاً تدفعهُ لزوجتك اذا شئت فيما بعد ان ترجع الى بلادك وتتركها هنا عند اهلها . قلت من العدل ان يدفع المهر في هذه الحالة ولكن كم مقدارهُ . قال بحسب منزلتك ومقدرتك المالية من مئة غرش الى مئتين فقط ! فقلت في نفسي خمسون فرنكاً انها لصفقة رابحة ! قال وتدفع ايضاً مبلغاً مضاعفاً اذا تركتها . ولكن بهذه الطريقة لا يمكنك ان تتزوج الأ بابنة فقيرة من اسرة وضيعة . واما ان شئت ان تتزوج بفتاة جميلة من اسرة وجيهة فيجب ان يعقد زواجك قسيسو الاقباط في الكنيسة وان تتبع مذهبها . وفي هذه الحالة يكون زواجك مرتبطاً بحياتك لا يمكنك ان تطلق امرأتك ولا ان تتخذ بها بديلاً . ولا تقدر ان تتركها وترجع الى بلادك او تدفع غرامة باهظة . قلت لا يمكنني ان اتزوج على هذه الطريقة

واما الطريقة الثالثة فهي ان تتزوج على مذهبك اللاتيني عن يد قسيسي الافرنج وهذا الزواج كما تعلم يجعلك مرتبطاً بزوجتك طول ايام حياتك ويجعلها مضطرة ان تتبعك اينما سرت . قلت لا لا . دعني من هذه الطريقة . وماذا ايضاً ؟

قال واما الرابعة فالزواج المدني عن يد قنصل حكومتك واذا كان لك صلة معرفة اوصداقة باحد موظفي القنصلية فيمكنك ان يضيف الى عقد زواجك شرطاً يجعلك حرًّا مطلقاً اذا شئت الرجوع الى بلادك

واستمر الحديث بيني وبين الوكيل بواسطة يوسف اليهودي الى ان وصلنا الى منتهى حارة الاقباط تجاه الازبكية عند طريق مدينة بولاق . فدخلنا في بيت ظاهرهُ حقير مبني بالطوب في سوق تباع فيها اللحوم والفاكهة (ربما كانت سوق النصارى الآن) . وقال لي الوكيل ان هذا البيت ليس لابي الفتاة بل لاحد اقاربها وسترى فيهِ ابنتين فاختر واحدة منهما . فقلت لهُ ولكني انذرك من الآن اني لا ادخل اذا كانتا تقابلانني وهما محجبتان . فقال كن مطمئناً فقد كلمت اهل البنات بذلك وقرروا فيما بينهم ان ليس من حرج اذا رآهما افرنجي سافرتين مرة واحدة . فدخلنا الى دهليز مظلم ثم الى « مندرة » مفروشة بحصيرة فوقها « طراحة » . وعلى الطراحة اربعة رجال « متربعون » وكلهم بملابس زرقاء . فخشيت ان

يكون لوكيل قد اوقعني في كمين ولكن وجود البيت بالقرب من السوق جعلني اطمئن . ثم صعدنا الى علية نوافذها مطلة الى الخارج ومغطاة بشعريات ومشربيات بارزة فجلسنا على مقاعد واطئة ونظرت حولي فاذا كوة صغيرة مفتوحة في الجدار وعليها حاجز من خشب مثقوب فعلمت ان في الغرفة الاخرى مسكن النساء يريننا ولا نراهن . فجلسنا وجلس بجانبي يوسف اما الوكيل الاعمى وابنهُ فجلسا القرفصاء امامي وبعد هنيهة دخل شيخ جليل بلحية بيضاء طويلة وعلى رأسهِ عمامة سوداء قيل لي انهُ قسيس قبطي ثم دخل عم الفتاة او خالها وامرأة اخرى قيل لي انها « الوكيلة » او الخاطبة . وقالت ان الصبيتين تستعدان للدخول وقدمت لنا خلال ذلك القهوة والشبقات . وبعد برهة طويلة دخلت امرأتان محجبتان قيل لي انهما امَّا الفتاتين . ولبثتا واقفتين عند الباب فدعوتهما للجلوس فأبتا وقال لي يوسف عن لسانهما انهما خادمتاي ونقفان احتراماً لي . ثم دخلت صبيتان مكشوفتا الوجه فتقدمتا وحنتا رأسهما امامي وقبلتا يديَّ فاشرت اليهما بالجلوس عن جانبي فأبتا كل الاباء وقال لي يوسف عن لسان الحاضرين دعهما فانهما جاريتاك

فلم اود كرجل فرنسوي ان ادع الفتاتين واقفتين امامي كجاريتين ولبثت مدة طويلة اشدد في الطلب وقال لي يوسف ان العادات الشرقية تمنع النساء والبنات من الجلوس امام الرجال تأدباً واحتراماً وخصوصاً في محل مثل هذا فلم اذعن لهذه العادة المغايرة لذوقي وآدابي الغربية واخيراً بعد مشاحنة طويلة جلستا . وكانتا متزيتين بثوب زاهٍ من القماش المعروف بالشيت فوقهُ رداءٌ من « الموصلين المخرَّم » وعلى رأس كل منهما طربوش احمر حولهُ قطع نقود « الغوازي » وعليهِ شرائط الحرير وتتدلى من اطرافهِ صفوف من « البندقيات » « والمحموديات » الذهبية وربما كانت من النحاس المموَّه بالذهب . وكانت احداهما سمراء اللون سوداء الشعر والاخرى شقراء بيضاء . فالاولى تمثل العنصر المصري القديم وهي نحيفة الجسم طويلة القامة كالنخلة بعينين سوداوين يصفهما شعراء الشرق « بقامة كغصن البان وعيون المها والغزلان » واما الشقراء فغضة الجسم بدينة ذات بشرة ناصعة البياض ادهشني وجود مثلها في مثل هذا المكان . فمالت عواطفي الى هذه الاخيرة وصرت الاطفها واطري محاسنها ولم اهمل السمراء من التلطف والمجاملة تأدباً . ولبثت مدة ساعة انتقل في الحديث بين الفتاتين واهلها الأ اني لم اشر الى الزواج ولم اصرح برغبتي في من اخترتها عروساً لي واخيراً قال لي يوسف علامَ عولت . قلت سأتروى في هذه المسألة وسارجع مرة اخرى لارى الفتاة الشقراء ايضاً وحينئذٍ اصرح بقصدي . فلم يمتنع القسيس القبطي ولا اهل

الفتاتين بجوابي هذا الغامض واصروا ان اعلن عزمي فاجبتهم اني سأزورهم مرة اخرى وانهي المسألة · ورأيت انهم لم يثقوا بكلامي كل الثقة · ولما ودعتهم وخرجت رأيت في فسحة الدار الفتاة الشقراء تصلح نقابها وقد ظهر محياها وشعرها الذهبي بعد ان سقط طربوشها فتظاهرت بالخجل ونظرت اليَّ بابتسامة فاتنة تغلبت على ارادتي وعواطفي فالتفتُّ الى يوسف وقلت لهُ قل لهم اني سارسل في الغد بعض الهدايا لهذه العروس الشقراء واني ساتزوجها على الطريقة الاسلامية امام المأذون الشرعي

فلما نقل كلامي الى ام الفتاة اظهرت الغضب والانفة واجابت لا ازوج ابنتي الأ في الكنيسة عن يد القسيس القبطي فنحن من اسرة معروفة ورجالنا كتبة في دوائر الحكام · فقلت ليوسف سلها عن بعلها · فاجابت ان بعلي كان كاتباً في دائرة الباشا ومات منذ بضع سنين وهي لم تبلغ السادسة عشرة من عمرها ولم تتزوج سوى مرة واحدة · فصرخت بدهشة فهذه الفتاة ارملة اذاً ؟ فاجابت كلا بل مطلقة · قلت فقل لهم اذاً اني عدلت عن الزواج · فخرجت وانا افكر في هذا الامر الغريب المدهش ومع ذلك لم انكث بوعدي فارسلت في اليوم التالي الى الفتاتين قطعتين من القماش هدية

وكان الوكيل الاعمى يتردد اليَّ في كل يوم ويعرض عليَّ فتيات للزواج وكلهنَّ من الاسر القبطية وكنت اذهب معهُ وأزورهنَّ والحالة واحدة كما شرحتها في الزيارة الاولى من التجمل والاستقبال والحديث ولم اغفل قط عن ارسال الهدايا الى كل فتاة تقدم لي · وشاع امري في حارة الاقباط كلها فلم تأنف اسرة من قبول زيارتي حتى ان ارملة فقيرة احضرت ابنتها الى منزلي لاراها وعرضتها لتكون زوجة لي حسب الطريقة التي اختارها فرأيتها لا تصلح لي وصرفتها بعد ان زودتها بهدية

جنينة رشيد

ساء البربري ابراهيم الذي وضعهُ عندي الترجمان عبد الله عوضاً عنهُ تردد يوسف اليهودي والوكيل القبطي الى منزلي فاحضر لي يوماً ما شاباً مصريًّا اسمهُ محمود وقال لي انهُ وكيل الزواج وان لهُ معرفة باسر وجيهة قبطية وروميه وعرض عليَّ فتيات اكثر وجاهة واعلى منزلة من الفتيات اللواتي عرضت عليَّ اولاً · وذكر لي فتاة من اسرة وجيهة غنية لا يتجاوز عمرها الخمسة عشر ربيعاً ولكن اهلها يشترطون عليَّ ان اتزوج بها عن يد قنصل دولتي وقلت لهُ انها صغيرة السن لا تليق بمن يتجاوز الثلاثين سنة من عمره · فاجاب هذه هي السن

اللائقة للزواج هنا وقلما تجد فتاة تجاوزت هذه السن الآ وتكون ارملة او مطلقة واهل هذه الفتاة علموا بمنزلتك ورتبتك ورغبوا في مصاهرتك لانك ساكن وحدك في بيت كان يسكن فيهِ قبلك سائح انكليزي واجرتهُ السنوية ثلاثمائة غرش وكل الاقباط في هذا الحي يحسبونك جنرالاً او شريفاً بين قومك او حاكماً

قلت ولكنني لست جنرالاً ولا حاكماً · قال يرون انك لا تعمل عملاً ولست بذي مهنة ولا تاجراً فلا بد ان تكون من ذوي الالقاب او الاملاك ويقولون انك « امير لواء » · وقد علمت ان رتبة امير لواء تعادل عندنا رتبة جنرال في الجيش وعزمت ان ازور هذه الاسرة الوجيهة التي تحسبني كفوءًا لها في الزواج · فركبنا الحمير واخذني الوكيل محمود الى الموسكي ثم انعطفنا شمالاً الى نواحي جنينة رشيد (درب الجنينة) فقرع محمود باب منزل وحضرت جارية سوداء وفتحت لنا ولما رأتنا اظهرت السرور · ثم رقيت السلم وكانت تصفق بيديها معلنة تشريف « الميرلوا » وسمعت فتح ابواب واغلاق ابواب ولغطاً كثيراً · واخيراً وصلنا الى الطبقة العليا فاستقبلنا هناك رجل ببزة نظيفة وهيأة تدل على الوجاهة وعلى كتفهِ « مشلح » من الكشمير فرحب بنا وادخلنا الى مقصورة مفروشة بافخر الرياش والسجاجيد العجمية وكان هناك غلام يافع طلق المحيا عرفني بهِ وقال انهُ ابنهُ · ثم دخلت علينا امرأة جميلة الهيأة في الثلاثين من عمرها فحيتني بتأدب وقدمت لي ولزوجها وللوكيل الشبقات والقهوة وعلمت من حديث صاحب الدار عن لسان ترجماني ابراهيم ان منشأ هذه الاسرة من الصعيد الاعلى من نواحي سوهاج وطهطا وهم من الاقباط الذين دخلوا حديثاً في المذهب الكاثوليكي · وبعد هنيهة دخلت فتاة صغيرة بين جاريتين فحيتني كالعادة ثم اخذت من جاريتها صينية كبيرة عليها المربى في اطباق من البلور يؤخذ بملاعق صغيرة من الفضة · ثم جلست بالقرب من امها وقد ابت اولاً ان تجلس امامي · فحدقت نظري فيها فاذا هي لم تزل صغيرة ولم تكد تبلغ سن الحلم ولا تكامل نموّ جسمها وبينها وبين امها شبه تام كأنها صورة مصغرة لها · وقالت لي انها تعلمت القراءة في مدرسة الراهبات الفرنسيسكانيات واخذت عنهن بعض كلمات ايطالية · وحقيقة رأيت في هذه الاسرة ما سرني من الادب والحشمة واعلمني ابو الفتاة بانهُ لا يقبل ان يزوج ابنتهُ الاَّ في دير الافرنج او عن يد قنصل فرنسا فوعدتهُ بالجواب النهائي بعد التروي · ثم خرجت من هناك مودعاً شاكراً لطفهم

وفي اليوم التالي كان احد « الشعانين » عند الافرنج ووافق في هذه السنة عيد الفصح عند اليهود · وفي هذا العيد يحمل النصارى سعف النخل والزيتون في الكنائس ففي مساء

هذا اليوم قصدت النزهة في حديقة وراء الموسكي يقال لها جنائن رشيد بالقرب من دزب الجنينة يقصدها اهالي القاهرة عموماً للنزهة بين بساتين نضرة وحدائق غناء تجري المياه في وسطها في سواقٍ و بحيرات وتروى من النيل في شهور الفيضان . وهناك سواقٍ تدار بواسطة الثيران فتخرج المياه من آبارها في ادلاء مربوطة فيها ويسمع منها في دورانها نغم شجي كسجع الحمام. وهذه الغيطان الخصبة واقعة بين حي الافرنج وحارة الاقباط (وهي البقعة الكائنة الآن بين محل ستين ومحكمة الموسكي وبنك الرهونات قرب البوابة القديمة لحي الافرنج والمعروفة الآن بدرب الجنينة ودرب البرابرة) وبين هذه الحدائق بيوت بعض القناصل وبيت الدكتور كلوت بك طبيب الباشا الحاكم وغيرهم من الافرنج وهناك بساتين الليمون والبرتقال واشجار النخل والموز والجميز .

فقصدت في ذلك اليوم تلك الجنائن والدخول اليها من حديقة البيت الذي يقطنهُ قنصل دولة سردينيا و يجب نقد البواب والبستاني بعض دريهات حسب العادة . ثم دخلت الى حديقة نضرة مسوّرة وهي للدكتور كلوت بك جعل قسماً منها لتربية النعام والزراف والغزلان واقام بعض النوبيين على حراستها والقسم الاخر يزرع فيهِ شجر التوت لتربية الحرير . فادى بنا السير الى منعطفات بين الغيطان ودخلنا الى حديقة اخرى لبعض القناصل مزروعة موزاً وهناك بحيرة واسعة وكشك تحت دوالي العنب مدعوم باعمدة من خشب لجلوس المتنزهين . وهذه المتنزهات قاصرة غالباً على النساء في يوم الجمعة للمسلمات و يوم السبت للاسرائيليات و يوم الاحد للمسيحيات عموماً . فالاوليات يأتين محجبات اما الاخريات فسافرات الوجوه الاَّ اذا مرَّ امامهنَّ رجل فيسدلن النقاب على وجوههن وكثيراً ما يأتين الى هناك ومعهن خادماتهن يحملن حصيراً او سجادة يجلسن عليها وسلالاً مملوءة من الاطعمة والحلوى

فلما وصلت الى هناك رأيت النساء زمراً زمراً بين الحدائق تحت ظلال الاشجار او على ضفاف السواقي فقصدت مكاناً منفرداً وجلست على جذع نخلة ساقطة . وفيما انا كذلك اذا بفلاح اقبل نحوي وهو يضحك متودداً فلما تفرست فيهِ عرفتهُ وهو اخو العروس الصعيدية التي رأيتها بالامس فكلمني كلاماً لم افهمهُ واخيراً فهمت من اشارتهِ انهُ يدعوني للدخول الى الكشك فاخذني الى هناك واشار اليَّ ان لا انتقل من موضعي . ثم تركني وذهب وبعد هنيهة رجع تتبعهُ امرأتان محجبتان فدخلتا ورفعتا النقاب عن وجهيهما فاذا هما العروس

وامها فنهضت وحييتها بلطف ودعوتهما للجلوس بجلستنا وكانت اشارات الايدي والعيون تقوم مقام الحديث بيننا . واخيراً تذكرت ان الفتاة قالت لي انها تعلمت شيئاً من الايطالية في مدرسة الراهبات فكلمتها بها فاذا هي لا تحسن النطق الا ببعض جمل يسيرة مشوبة بلهجة عربية . واشرت الى احدى اشجار النخل وقلت لها بالايطالية — في هذا اليوم عيد النخل فخرجت الى الحديقة واتت بغصنٍ صغير من نخلة وقالت لي « ايوسونو رومانو ميافستا » . فعلمت ان مرادها انها كاثوليكية تابعة للكنيسة الرومانية وان هذا اليوم عيد عندها لان عيد الشعانين عند الاقباط الارثوذكس لم يجئ بعدُ . وفي نظر نصارى الشرق ان كل الافرنج رومانيون . كأنها تقول لي تلميحاً ان لا مانع دبني من زواجي بها في كنيسة الافرنج

وعند الغروب ودعت الام وابنتها بعد ان وعدتهما بزيارة اخرى وخرجت من جنائن رشيد قاصداً مشاورة قنصلي واصدقائي في امر زواجي . وفي اليوم التالي ذهبت الى صديقي سليمان آغا وكلمتهُ بهذا الشأن فقال لي « تزوج حسب شريعتك » ولما شاورت صديقي المصور مارلهات قال لي « تزوج كيفما شئت بشرط ان لا يكون العقد مدنيًّا في القنصلاتو » فرأيت الصواب في كلامهِ . ترى هل جننت حتى اتزوج عن يد القنصل او في دير الافرنج زواجاً ابديًّا بفتاة صغيرة جاهلة في الخامسة عشرة من عمرها ؟ وهل استطيع ان اتحمل عبء هذه المسأولية ماديًّا وادبيًّا كل ايام حياتي ؟

فعزمت ان أقطع كل صلة مع هذه الاسرة وارسلت هدية لائقة الى الفتاة وصرحت لاهلها بواسطة الوكيل اني لا اتزوج بفتاة تحسب كابنتي . وبعد يومين حضر ترجماني عبدالله من السويس ورأيتهُ ناقماً عليَّ اذ قال لي هذا ما كنت اخشاهُ فقد اغتنموا فرصة تغيبي عنك وخدعوك وارادوا ان يزوّجوك بفتاة صغيرة عن يد القنصل . فقلت لهُ ولكني صرفتهم بالحسنى وعدلت عن الزواج . قال نعم ما فعلت . وقد قال لي محمود انهم طلبوا منك مهراً . قلت كم كانوا يؤملون مني قال عشرين الف غرش لانهم يحسبونك غنيًّا شريفاً . فعدلت عن الزواج لما فيهِ من المصاعب واتبعت مشورة عبدالله وهي ان اشتري جارية من سوق الجواري لتقوم بخدمة منزلي مدة اقامتي في مصر

ديمتري نقولا

السيد السنوسي وتخوم مصر الغربية

مهما تكن الاسباب التي حملت دول اوربا على هذه الحرب الضروس فلم يكن ثمت موجب لاشتراك تركيا معهن فيها لان ليس لها مغنم منها ولا هي مضطرة اليها ولا تعود عنها الأ بالخسران سواء كان الفوز للحلفاء او لدول الاتحاد الالماني. وما يقال عن تركيا بنوع خاص يقال بنوع اخص عن قبائل العرب المؤتمرة بامر السيد السنوسي سواء كان هجومها على التخوم المصرية برضاهُ او بغير رضاهُ

ولقد اهتمت الحكومة العثمانية بامر السيد السنوسي في عهد الحرب الطرابلسيَّة لكي يساعدها على الايطاليين . وفي شهر مايو من سنة ١٩١٢ علم انور بك (وكان يومئذٍ في درنه يحارب الايطاليين) ان السيد السنوسي قادم من كفرة الى جغبوب لزيارة مقام جدهِ راس الطريقة السنوسية . فانتدب وفداً للسلام عليهِ وكان الوفد مؤلفاً من البكباشي نوري بك رئيساً (شقيق انور) . والدكتور عبد الغني بك المفتش الصحي لفرقة درنه والقائم مقام احمد بك صوان و ٢٠ جندياً من البيادة و ٤ من السواري . وكان مع الوفد ٢٧ جملاً ٢٠ منها لحمل الماء

اما جغبوب فعلى ٤٠٠ كيلو متر من درنه جنوباً بشرق . وتقطع القوافل هذه المسافة في ١١ يوماً . وقد قصَّ الدكتور عبد الغني بك خبر تلك الرحلة فقال ما خلاصتهُ منقولاً عما جاء في جريدة الاستراسيون الفرنسوية بقلم المسيو ديمون

نزلنا في مساء اليوم الاول من رحلتنا في مكان يقال لهُ العزية وهو الزاوية الثانية التي بناها السيد السنوسي الاكبر . وقد بناها على اطلال قلعة يونانية رومانية . وفي هذه الزاوية نحو ١٥ بيتاً و ٤٠ نفساً

وفي اليوم التالي غادرناها فبلغنا بعد اربعة ايام آبار «أقيم» وهي خمس وعليها حارس اسود من قبَل السيد السنوسي للعناية بالآبار وتوزيع الماء منها بالقسط . وقد قال لنا ان ماء الآبار لا يجف ولو بلغ القيظ غايتهُ . اما الماء فعذب امر السيد السنوسي بان لا يشرب منهُ الا السيَّاح والذين يقصدون جغبوب لزيارة ضريح السنوسي الاكبر . ولكن رجال القوافل والتجار الذين ينقلون التمر من سيوى الى بنغازي يشربون منهُ ويسقون جمالهم ويملأُون قربهم مقابل نقود يدفعونها الى الحارس

ثم غادرنا اقيم فبلغنا محطة «الضيف» بعد ثلاثة ايام وكنا نسري ليلاً تفادياً من هجير النهار ونهتدي في سرانا بالنجوم لا غير . وكان دليلنا رجل من العرب اجرتهُ ٤ جنيهات في الشهر .

وارض الضيف منثورة بعظام القطعان التي يأتي بها زائرو مقام السيد السنوسي لينحروها . وذلك انهم يبلغون الضيف وخرافهم على آخر رمق من فرط العطش وكثيراً ما لا يجدون الماء الكافي لها فتموت بالالوف قبل نحرها في جغبوب . ومثل هذا قد يصيب تجار الغنم في مسيرهم من الغرب الى القطر المصري

وبعد مسيرة يومين بلغنا بئراً يقال لها ثانية الضيف حفرها السيد السنوسي الحالي ولكن ماءها كبريتيٌ لا يسوغ شربهُ الاَّ الجمال . ثم بلغنا جغبوب بعد نصف يوم

وقبل وصولنا اليها التقطت من وجه الصحراء كثيراً من الاصداف البحرية المتحجرة على اختلاف انواعها ومن عظام الانسان والحيوان حتى صار لديَّ مجموعة بديعة النظام . ولكني اضطررت ان اترك جانباً كبيراً منها لما توكنا برقة على عجل بعد نشوب الحرب بين الدولة العثمانية وممالك البلقان . اما الاشياء المهمة منها فعهدت فيها الى نوري بك فجاء بها الى الاستانة

استقبلنا في جغبوب شيخ الزاوية سيدي محمد التني فاعطانا منزلاً لنقيم فيهِ نحن وسائر الذين معنا . وهو وكيل السنوسي في جغبوب ينتمي الى عائلة قديمة جدًّا ومعهُ فرمان من السلطان منحهُ فيهِ وحده امتيازاً بالاتجار بسنّ الفيل في طرابلس . وهو تاجر غنيٌّ اصلهُ من قدامس ولكنهُ اختلف مع الوالي ففرَّ الى جغبوب . اما ما علمتهُ عن السيد السنوسي وطريقتهِ وجغبوب فيلخَّص بما يلي

في سنة ١٢٧٣ هجرية الموافقة سنة ١٨٥٨ ميلادية بنى السنوسي الاكبر سيدي محمد زاوية صغيرة هناك . وهو جزائري عالم وزاهد حجَّ البيت مراراً . وقد اكرمت القبائل لقياهُ فجعل يشرح لهم الكتاب حتى طار صيتهُ في العلم والتقوى كل مطار . ولما رأى ماهم عليهِ من الجهل والغباوة بنى لهم في الجبل الاخضر زاوية سماها الزاوية البيضاء وطفق يلقنهم العلم ثم انشأ طريقة امتدَّت شيئاً فشيئاً حتى انتشرت في معظم العالم الاسلامي وتوفي في جغبوب ودفن فيها فبنى لهُ ابنهُ مقاماً فخماً بمال يقال ان اسماعيل باشا اعطاهُ اياهُ

وقد خلف سيدي محمد السنوسي ابنين — سيدي المهدي وسيدي محمد الشريف . اما سيدي المهدي الذي خلفهُ فلهُ ابنان ايضاً وهما سيدي رضا وسيدي ادريس . واما سيدي محمد الشريف فلهُ خمسة اولهم سيدي احمد الشريف وهو السنوسي الحالي

وسكان جغبوب الآن ٣٥٠ نسمة وليس فيها تجارة ولا بيع . بل ليس هناك دكان ولا قهوة والمكان كلهُ اشبه الامكنة باديرة الرهبان . ومعظم اهل المكان رجال متعبدون استأذنوا

السيد السنوسي في السكنى هناك هم واهلهم فلا يخرجون منهُ الاَّ باذنهِ ولا عمل لهم الاَّ العبادة والذكر

والقبائل ترسل بعض ابنائها الى مدرسة هناك متصلة بالجامع لدرس القرآن وهم يأتون بزادهم وفراشهم معهم . اما الزاد فأكياس من الشعير يسندونها الى جدران غرفهم و يصنعون خبزهم وادامهم منها . واما فراشهم فملاءة يلتحفونها وحصيرة يفترشونها وهذا كافٍ للذين انصرفوا الى الدرس والعبادة . وفي الزاوية ايضاً ٨٠ عبداً اسود للخدمة في الجامع والضريح وما اليهما من الحدائق . والزاوية تعطي كلاًّ منهم ٥ كيلو غرامات من الشعير في الاسبوع

والجامع كبير طول صحنهِ ٣٥ متراً وعرضهُ ٣٠ وعلى جوانبهِ اروقة فيها ابواب مصاريعها من الخشب الهندي المجزع المنقوش أُتي بها من بلاد الهند و يدخل منها الى بلاط الجامع وهو قائم على اساطين طويلة طول كل اسطوانة منها سبعة امتار عليها سطح مقبب مستدير و يوصل من البلاط الى هيكل الجامع . وهناك تربة السيد محمد السنوسي وتابوتهُ من الخشب تحتهُ قطعة كبيرة من الرخام يحيط بها درابزون من النحاس لهُ باب مصفح بصفائح الفضة وقد كتب عليهِ نسبهُ

وكان سكان جغبوب في عهد السنوسي الثاني سيدي المهدي ٣ آلاف نسمة . فحفر الآبار الارتوازية وزرع بساتين النخل والرمان وكروم الزيتون والمباطخ حتى كان منها حدائق غناء . وسنة ١٨٩٦ غادر جغبوب قلقاً من جوار الانكليز والترك واوغل في الصحراء مسيرة ١٥ يوماً حتى وقف عند كفرة . وما كاد يخرج من جغبوب حتى تبعهُ معظم اهلها و بقيت جغبوب مزاراً للسنوسية فلا يسمَّى حاجًّا من يحجّ الكعبة ما لم يزر قبر السنوسي ايضاً

وارسل السلطان عبد الحميد وفداً للسلام على السنوسي الاكبر برآسة صادق باشا بطريق مصر وواحة سيوى . وعاد فارسلهُ ثانية للسلام على السنوسي الثاني في كفره . وانما حدا بعبد الحميد على ارسال الوفود الى السنوسي اولاً وثانياً خوفهُ من السنوسية لاشدة حب السنوسي فسلط عليها منافساً ينافسها وهو الشيخ ظافر مؤسس الطريقة الظافرية فبنى هذا بعض الزوايا في برقة ولكن نفوذ طريقتهِ لم يتجاوز جدران زواياها

وبقي وفد انور في جغبوب ثلاثة اشهر يترقب وصول السيد السنوسي . وكان الحر قد اشتد الى درجة لا تطاق ولكن اعتدال الليالي كان يخفف عنا بعض ما كنا نعاني من الحر . وكان طعامنا خبز الشعير وشرابنا ماء الآبار الآسن فلازمتنا الدوسنطاريا ولم تفارقنا . واذا اقبل احد الكبراء لزيارة الضريح نحروا لهُ جملاً او جملين وفرقوا لحمهما على اهل جغبوب . وكنا ندخن سرًّا لان السنوسي حرّم التدخين ولكن اهل المكان دروا بنا وشكونا

اليهِ ليمنعنا من التدخين · وفي جغبوب بعض النساء على ما علمنا ولكننا لم نرَ واحدة منهنَّ ولو محجبة · واتفق ذات يوم اني صورت بعض المشايخ بآلة فوتوغرافية صغيرة كانت معي · ولما كانوا لم يروا من قبل آلة مثلها ولا عرفوا ما هي لم يبالوا بما فعلت · فعدت الى منزلنا مسروراً وطفقت اظهر الصور واذا بجلبة خارج المنزل ورجال دخلوا علينا مغيظين غير مستأذنين وصائحين لقد سرقتم وجوهنا ووجوه اشياخنا لتأخذوها الى الكفار والله اعلم بما سينالنا من اذى هذا السحر · ثم توعدونا بكسر الآلة · فطيبت قلوبهم وسكنت روعهم واقنعتهم باني لا اريد بهم سوءا وقلت اني ساكسر هذه الآلة الشيطانية ثم كسرت اشياء لا قيمة لها ومزقت بعض اوراق لا نفع منها · فسكن ما جاش من جاشهم وسرّي عنهم وانصرفوا راضين

وكنت اصور الصور فيما بعد سرّاً واتحف البعض بالهدايا فلا يفشون امري ولكن كثيراً من الصور اتلفهُ الرمل والماء الكبريتي الذي اضطررت الى استخدامهِ في اظهارها

ومرَّ شهر مايو ويونيو ويوليو ولم يحضر السيد السنوسي · ولكن قدم من كفرة في شهر يوليو قافلة فيها عشرة جمال تحمل كتباً هي الكتب التي يستصحبها في اسفارهِ ورحلاتهِ ويرسلها امامهُ واخيراً قيل لنا انهُ قادم بحاشية كبيرة وكان اغسطس قد انتصف · ثم شاع بعد ذلك بقليل ان قائم مقام كفره كان قادماً في طليعة حاشية السنوسي فمات في الطريق هو وسائر من كان معهُ من الرجال والنساء والعبيد والاماء . قبلما بلغوا ابار جالو بيوم واحد

وفي ٦ سبتمبر خرجنا لاستقبال السيد السنوسي الى مكان يبعد مسيرة يوم ونصف عن جغبوب اسمهُ ابو سلام · وابلغناه انا قدمنا لتقديم واجب الاحترام والخضوع وكان الوقت ظهراً فقيل لنا انهُ وقت القيلولة وان السيد يستقبلنا عند الزوال · وكان الى يمين خيمتهِ رايتان من نسيج اسود وابيض وعليهما الآيات القرآنية . وهما مغروزتان في الرمل بين خيمة السنوسي من جهة وخيم شيوخ الزوايا الآخرين · ووراء هذه الخيم خيم العبيد والحشم

وفي المساء دعينا لزيارة السيد فركبنا خيولنا الى ان صرنا على ٢٠٠ متر من خيمتهِ فنزلنا ومشينا كرامة · حتى اذا صرنا على ٥٠ متراً قيل لنا ان اخلعوا نعالكم من ارجلكم ففعلنا · وحينئذ انتظمت حاشيتهُ امامنا في شكل قوس وهي مؤلفة من ثماني مئة نفس وجعلوا يطلقون البنادق وهم يصرخون « اهلاً بابناء السلطان ومرحباً بابناء الخليفة » · فلما دخلنا الخيمة وتقدمنا للثم يديهِ نهض لتحيتنا وهكذا يفعل مع جميع الذين يزورونهُ حتى العبيد السود · وكان حافي القدمين يجلس على حصير ويلبس قميص حريرطو بلا يصل الى قدميهِ وبرنساً من الحرير فوقهُ ويغير قميصهُ كل يوم · وهو في الثالثة والاربعين من عمره معتدل القامة (١)

الى السمن اسمر البشرة اسود العينين قصير شعر اللحية والشاربين عيناهُ تتوقدان ذكاء وتخترق نفس جليسهِ . وعلى رأسهِ طاقية مكية وحولها عمامتهُ . فقدمنا اليهِ راية عثمانية موشحة بالآيات القرآنية فقبلها ثم جلس واشار الينا بالجلوس وقال « مرحباً » وسكت وبعد دقيقة قال « مرحباً » وسكت هنيهة ثم رفع يديهِ وعينيهِ وقرأ الفاتحة . ومعنى ذلك عند السنوسيين « ان الجلسة انتهت لان كل كلام بعد كلام الله عبث بل حرام » فنهضنا وخرجنا فعين لنا احد اتباعهِ المكان الذي ننصب فيهِ خيمتنا ثم جاءنا بشيء من الطعام . وفي الغد ركب السيد جوادهُ وارتحل في جهة جغبوب يحفهُ مئة من خدمهِ السود وكان معهُ سيفان وبندقية من طرز لبل غنمها من الفرنسويين في حرب وداي . فتبعناهُ على الاثر وكان معهُ الدكتور حافظ عفيفي ارسلهُ قومندان بنغازي عزيز بك امامهُ الى جالو ثم رافقهُ الى جغبوب . وقبل دخولنا جغبوب بقليل ترجل السيد وسائر الذين معهُ ومشوا اليها حفاة وفي رأسهم الرايتان المشار اليهما آنفاً فاخذت صورة الموكب خلسة ولو رأوني لاهانوني مزيد الاهانة وربما قتلوني

ولما دخلنا جغبوب توجه السيد الى الجامع وحدهُ وصلى عند ضريح جدهِ . وبلغ عدد الذين كانوا هناك تلك الليلة ١٥٠٠ نفس فامر فذبح ١٢ جملاً ووُزع لحمها عليهم وكثير من اكياس الرز فطبخت في مراجل كبيرة وجلس الجميع طول ليلتهم يأكلون ويتسامرون والسيد في غرفتهِ قائم يصلي . وكانت تلك الليلة ليلة السابع والعشرين من رمضان وقد اراد السنوسي ان يكون وصولهُ الى ضريح جدهِ في ذلك اليوم ليحيي تلك الليلة ليلة القدر في الصلاة امامهُ

وفي ٩ سبتمبر وصل رسولان آخران من قبل انور بك يحملان الهدايا وهما حلمي بك سكرتيرهُ الخاص والشيخ صالح التونسي وانضما الينا . وفي ذلك اليوم عينهِ ابلغنا السيد انهُ يستقبلنا الساعة العاشرة مساءً . فقصدنا اليهِ في الساعة المضروبة فاستقبلنا وافقاً كعادتهِ . ثم جلس والحّ علينا ان نجلس وجعل يستخبرنا عن اشخاصنا وعائلاتنا ومواشينا وحالة الزراعة في بلادنا . وكان طول وقتهِ جالساً ويداهُ متقاطعتان وهو مائل برأسهِ وسائر بدنهِ الى جهة ومطرق الى الارض وقلما يحدق ببصرهِ الى مخاطبهِ . ومن عادتهِ الاصغاء الى ما يقول مجالسهُ فاذا فرغ اجابهُ بلفظ موجز فلا يكرر ما قال من الكلام ولا ينقض ما ابرم من الاحكام

فبسطنا لهُ المهمة التي جئنا بها فقال لنا « هذا حرَم وارض مقدسة . وهنا يبقى استقبلكم فيهِ كضيوف وليس لاحد غيري سلطة عليهِ »

ثم قرأ الفاتحة فخرجنا من لدنهُ وعاد اليهِ نوري بك وحدهُ ليكلمهُ سرّاً وليقدم اليهِ

هدايا السلطان وهي علبة فيها ساعة مرصعة بالماس وسيف مرصع ونياشين وسجاجيد وثوب تشريفة كالذي يلبسهُ شيخ الاسلام وانسجة ثمينة وحلى لنسائهِ . فقبل الهدايا وعرضها على الجمهور شهادة بكرم السلطان وقال ان قوانينهُ لا تسمح لهُ بلبس الذهب والانسجة الثمينة والجلوس على الطنافس وبقيت تلك الجلسة معقودة حتى نصف الليل

وفي غد ذلك اليوم جاءتنا الهدايا منهُ وهي جبة مصرية وقميص وبرنس وطربوش لكل منّا . وفي اليوم عينهِ صنع لنا مأدبة كان عدد المدعوين اليها اربعين نفساً . اما هو فلم يحضرها بل اكل وحدهُ على عادتهِ . ولكنهُ بعد الطعام شرب الشاي معنا وهو شاي اخضر معطر بالعنبر . ودافع عن نفسهِ مما اتهم بهِ من الاشتغال بالسياسة وقال انما هو رجل عابد مشغول بالدفاع عن الايمان

هذا والهدايا تأتيهِ من جميع العالم الاسلامي بطريق سيوى . ومراسلوهُ كثار وهو يأمر كتبتهُ بالرد على كل كتاب يردهُ والكتب التي يكتبونها ذات صيغة واحدة مفعمة بالعبارات الدينية ويضيف الى كل منها بعض كلمات بخط يدهِ

وفي ١٢ سبتمبر كان عيد الفطر فصلينا معهُ صلاة الجماعة . وفي شهر الصيام يصلي صلاة سادسة غير الصلوات الخمس وذلك ايام الجمع وهي صلاة التراويح تبدأ نحو الساعة العاشرة مساء وتنتهي عند الفجر فيتلى فيها القرآن كلهُ والسامعون وقوف — يتلوهُ شيخ الزاوية وامام الجامع وهو سوداني . ويشهد السنوسي الصلاة وسط القوم لا يميزهُ عنهم شيء

ودعانا للغداء في ايام العيد الثلاثة . ولما انسنا بهِ استأذنتهُ في تصوير صورتهِ الفوتوغرافية واريتهُ الآلة وشرحت لهُ عملها . ولو كان فيها الواح لتمكنت من اخذ صورتهِ من غير ان يشعر بذلك . ولما لم يجب قلت ان ذلك غير محظور شرعاً فانا اعرف ديني وهو انما ينهى عن اقامة الاصنام والانصاب التي لها ظل . وان كان في ذلك معصية فانت تستطيع ان تخبرني بوجه المعصية لانك ولي كبير . اما انا فاريد ان يرى جميع المسلمين وجه السنوسي العظيم . قال ليس في ذلك محذور حقيقة ولكن قومي واهل جغبوب على جانب كبير من الجهل فربما حملوا تصويري على محمل سوء وفسروهُ بغير المراد منهُ . فلم يسعني الالحاف فاستأذنت في تصوير جوادهِ وسيفهِ فاذن لي في ذلك

وظهر لنا انهُ لا يفرق بين فرنسا وايطاليا وامور اخرى من هذا القبيل . فاوضحنا لهُ ذلك فاصغى الينا تمام الاصغاء من غير ان يقطع الكلام علينا او يسأل سؤالاً . واخيراً قال « اما انا فلا اعلم غير امر واحد وهو انما المسلمون جميعاً اخوة »

وبعد عشرين يوماً مرت على اقامتنا بجغبوب صرف قومهُ كلاً الى وطنهِ . واستقبلنا لآخر مرة ورد لنا الزيارة في منزلنا وقرأ لنا الفاتحة ثم قال « عودوا الى معسكركم واقرأوا على اخي انور السلام فان الله ارسلهُ الينا » فطلبنا منهُ ان يصحبنا بكتاب اليهِ . فقال ان ذلك لا يليق بعدما ارسل انور وفدهُ اليهِ وانهُ هو سيرسل الرسل اليهِ ومعهم كتب منهُ

خرجنا من جغبوب في ٢٨ سبتمبر فماتت خيلنا وبعض جمالنا في الطريق لشدة الحرّ وقلة الماء وكدنا نحن نهلك عطشاً قبل بلوغنا آبار اقيم

ولما بلغنا درنه رأينا ان الحالة زادت تحسناً عما كنا نعهدها قبل سفرنا الى جغبوب وكنا مرقنين بالنصر الاخير لو لم تنشب الحرب بين الدولة وممالك البلقان فاضطر انور الى السفر ولكنهُ كان قد حلف للعرب بان يقاتل معهم حتى الموت . فعزم على السفر الى السنوسي ليحلهُ من يمينهِ هذه فركب الاتوموبيل الى جغبوب فبلغها في يوم ونصف يوم ثم عاد الى درنه واختفى بدعوى انهُ مسافر الى بنغازي

ولما بلغتُ السلوم في رجوعي اروني هدايا ارسلتها الحكومة الايطالية الى السيد السنوسي فرفضها . منها طقم للشاي من الذهب الخالص وقالوا ان هناك هدايا اخرى مثل حليّ وحلل وغير ذلك

وبقي السيد السنوسي بعد ارتحالنا يقاوم الطليان في برقة . وقدم درنه حيث التقى بعزيز بك قومندان بنغازي وكان قد جاء درنه ليتولى القيادة مكان انور . فاقام السيد السنوسي احتفالاً كبيراً نادى فيهِ بتعيين عزيز بك وزيراً لحربيتهِ وابلغ العرب ان انور انما سافر الى الاستانة باذنهِ وبامرهِ وانهُ سيعود يوماً ليقودهم ثانية وفي خلال ذلك يجب عليهم اطاعة عزيز بك كما اطاعوا انور وان الله ونبيهُ يدعوانهم لجهاد الطليان . وارسل اخاهُ سيدي محمد العبد الى بنغازي ليتولى القيادة مكان عزيز بك

انتهى ما لخصناهُ من مقالة المسيو ديمون . وقد ارسل الالمان والاتراك الضباط والاسلحة الى السيد السنوسي ونظموا لهُ جيشاً من العرب لكي يغزو القطر المصري فيضطر الانكليز الى ابقاء قوة كبيرة فيهِ للدفاع عنهُ . وحمل هؤلاء الجنود على تخوم مصر الغربية مراراً فآبوا بالفشل وقتل واسر منهم خلق كثير وجرح قائدهم جعفر باشا وأُخذ اسيراً . ويقال ان السيد السنوسي يتنصل مما فعلهُ الاتراك والالمان ويقول انهُ كان على غير ارادتهِ . وعسى ان تحقق الحكومة العثمانية ان محاربتها للحلفاء باغراء المانيا مضرّة بها فتترك الالمان وتبطل اغراء العرب وتتفق مع الحلفاء على ما فيهِ مصلحتها الحقيقية

خصائص بعض الحيوانات

النور والكهرباء واللون

بحث لذيذ مفيد يظهر علة كل معلول ويبين ان لكل سبب مسبباً وأن بعض خصائص الحيوان والنبات تتغير بتغير الزمان وتتشكل طبقاً لما يحيط بها من العوامل كالاقليم ولتنازع البقاء

رأى الباحثون ان من خصائص الحيوان ما هو غريزي ومنها ما هو مكتسب . فالغريزي هو ما بقي ملازماً لها في جميع أدوار حياتها والمكتسب هو ما ظهر في كل دور من أدوار الحياة وما كان مطابقاً لهذا الدور كل المطابقة . مثال ذلك ان فصيلة الضفدع تتحد في جميع المميزات التي تفصلها عن غيرها ولكننا اذا تتبعنا تاريخ نموها وادوار هذا النمو نرى أن لكل دور خصائص مخصوصة . فالقناة المضمية في دعاميص الضفدع تختلف عن قناة البالغة منها لان الاولى تغتذي بالحيوانات الدنيئة التي تعيش في مياه المستنقعات والثانية تتغذى بالحشائش والنباتات . فمعى الاولى مشابه لمعى آكلة اللحم في القصر ومعى الثانية مشابه لمعى آكلة النبات في الطول . وقد قال الذين يحترفون تربية الحيوان ان المفترس منهُ متى أمسك صغيراً وربي على الالفة اضاع كثيراً من مميزات الوحشية واكتسب غيرها من الائتلاف والاختلاط بالحيوانات الاليفة

على ان بعض الصفات الغريزية والمكتسبة ما هو نتيجة عوامل كيماوية داخلية تظهر باشكال مختلفة طبقاً للاسباب الجوهرية التي تعمل في تربية هذه الصفات . وذلك التباين في الخصائص سبب من اسباب تنازع البقاء ونتيجة رغبة كل فصيلة من الحيوانات في احياء نسلها وابقائهِ او ابقاء الاصلح منهُ مع تقلب ادوار حياتهِ واحاطتهِ باعداء اقوى منهُ

المخلوقات طبقات ارقاها الانسان والوسائط التي استنبطها واتخذها للدفاع عن كيانهِ كثيرة لا يجهلها احد . والحيوانات التي دون الانسان قسمان الاول الحيوانات العليا والثاني الحيوانات الدنيا . والعليا إما مفترسة او اليفة واولاهما اشد وقوتها في عضلاتها تستخدمها للافتراس او لدفع معتد عليها . وأما الدنيا فهي ضعيفة الجانب اتخذت بعض الوسائط لدفع الاذى عن نفسها كالتلون بالوان مختلفة للتعمية على مفترسها وتضليله او افراز بعض الغازات او الحوامض السامة فتحيط بها كسياج وتحفظها من شر قاتلها . هذا ومبحثنا الآن ينحصر في ثلاث خصائص مهمة من خصائص الحيوانات وهي إما عمومية كتلون فصائل الحيوان كلها بالوان مختلفة او خصوصية ويأتي تحتها الضوء والكهربائية التي امتاز بكل منها بعض الحيوان دون الآخر

ضوء الحيوان

ولنبحث الآن في خاصة الضوء فنقول: هذه الخاصة احدى نتائج العوامل الكيماوية الداخلية ظهرت بهذا المظهر ليمتاز بها بعض فصائل الحيوان دون الآخر · ولقد رأى العلماء ان بعض الحيوانات غير الفقرية تحلى بهذه الصفة ولا يمتاز بها من ذوات الفقار الا بعض انواع السمك · وقد اكتسب هذا النوع هذه الخاصة لانه يعيش في اعماق البحار حيث الظلام دامس فيفتقر الى النور كي يرى عدوه فيجتنبه · و بعد البحث كيماويا عن سبب النور وجد ان الجهاز العصبي محتكم في افراز بعض الغدد المنيرة في جلد السمك فلا تفرز الا وقت الضرورة

وفي الحيوانات الدنيا عدد عظيم من الحيوانات المضيئة كالبكتيريا التي تعيش في الخشب والاحجار · وفي جنوب امريكا بعوضة ذات جلد شفاف تحته غدد تفرز بعض السوائل وهذه تجتمع في بقعة مخصوصة من الرأس فتظهر مضيئة وقد سميت لذلك بالمصباح · ومن غريب ما يحكى عن الحيوانات المضيئة ان ذباب النار في الهند منتشر كثيراً وذو لمعان شديد حتى ان سيدات الهند يمسكنه ويحلين به رؤوسهن في الحفلات الليلية فتظهر كالماس بهاء · ومن فصيلة العقرب حيوان يعرف بذي المائة ارجل اذا سحق اضاءت جميع السوائل الجارية في انسجته

و بحار اميركا الجنوبية و بحار الهند مملوءة بالبروتوزوى والحشرات والاصداف التي اذا فاجأها عدو أفرزت بعض السوائل المضيئة و بذلك تراه وتجتنبه · لما كنا في رأس البر في العام الماضي ركبنا ليلة قاربا في النيل وكان اذ ذاك ماء البحر الابيض طاغيا عليه فكنا كلما جذفنا ظهر الماء حول المجاذيف مضيئا بنور شديد فلما عدنا الى القاهرة سألنا الدكتور واسن استاذ الفسيولوجيا في مدرسة الطب المصرية عن ذلك فقال ان مياه البحار مملوءة بالبروتوزوى المضيئة ولا يظهر ضوءها الا ليلا عند تحرك المياه · فسألناه هل للفصفور علاقة بهذا الضوء فقال ان غدد الحيوانات المضيئة تفرز مادة دهنية فصفورية وهذه تنتج الفصفين Phosphene بعد تعرضها لفعل الانزيم (خمير) والفصفين مضيء باتصاله بالهواء ولكن اضاءة السمك الذي يعيش في اعماق البحار امر غريب لعدم وجود الهواء الذي يعمل في اشعال الفصفين في هذا العمق · ولعل لهذا السمك اكياسا يحفظ فيها الهواء فتستخدمه وقت الحاجة او تكون للافرازات قوة على امتصاص الهواء الموجود في الماء

كهربائية الحيوان

هذه ايضا من العوامل الكيماوية التي خص بها بعض الاسماك لاستخدامها وقت الحاجة · ومعلوم ان جسم كل حيوان خاضع لقوى الكهربائية وكل عصب فيه موصل للكهربائية

كالاسلاك المعدنية ولكن المقصود من كهربائية الاسماك ما يحس بهِ الانسان من الرعشة عند لمسهِ صنفاً مخصوصاً منهُ ولست اذكر ان كانت الكهربائية خاصة ببعض الاسماك او توجد في غيرها · واول سمكة عرفت بالكهربائية هي المعروفة بالانكليزية باسم Electric eel اي الحنكليس الكهربائي وتوجد في جنوب اميركا وطولها عشر اقدام اما في مصر فلا يعرف بهذه الصفة الأصنفان من السمك يأتيان من اعالي السودان مع المياه النيلية وهما المرمروس Mormerus والمولبترروس Moleptorerus Electricus وكلاهما يعرفان عند الصيادين باسم (ابي رعاش او السمك الرعاد) وهذا يجتنبهُ الصيادون لان لمسهُ قد يوءدي الى الموت خصوصاً عند خروجهِ من الماء لانهُ كلما كان شديداً كان تيارهُ اقوى اما اذا لمس بعد خروجهِ من الماء بوقت طويل فلا خوف منهُ البتة لان جهازهُ العصبي يكون اذ ذاك قد ضعف وقواهُ اجهدت · وليس لكل جزء من السمكة هذه الخاصة فمن السمك ما توجد الكهربائية في البقعة التي تحيط بذيل السمكة ومنها ما يظهر في جنبيها · وتختلف هذه الاعضاء الكهربائية ايضاً في تكونها ونشأتها فمنها ما هو من النسيج الغددي ومنها ما هو من النسيج العضلي · ويمتاز الجلد الذي يغطي البقع المكهربة بكونهِ اسمك من غيرهِ · وقد وجدت الاسماك الكهربائية في كثير من البحار فسمك الطوربيد Torpedo fish موجود في بحار فرنسا و English ray في مياه انجلترا ولبعض اسماك انجلترا انسجة تشبه الانسجة المكهربة ولكنها لا تعمل عملها فاطلق عليها اسم Pseudo Electric fish اي السمكة الكهربائية الكاذبة

ولسنا بحاجة الى شرح الاعضاء المكهربة هستولوجياً لان ذلك خارج عن غرضنا من هذا المبحث اما اذا اردنا معرفة فائدة هذه الاعضاء فنرى انها لا تخرج عن دفاع السمك عن نفسهِ وافتراس ما هو دونهُ

الوان الحيوانات

لكل صنف من اصناف الحيوان لون خاص بهِ فمنهُ ما كانت فصيلتهُ كلها من لون واحد ومنهُ ما اختلفت فيهِ الوان الوحدات في كل فصيلة ومنهُ ما يكون لون جلدهِ واحداً ولون ريشهِ او شعرهِ مختلفاً كما في الدجاج والحيوانات المفترسة وغير المفترسة · وقد يكون الاختلاف كما ترى في الانسان وبعض الحيوانات المفترسة في لون الجلد والشعر معاً فان شعر الانسان لا يغطي جميع اجزاء جسمهِ الا انهُ يختلف لوناً في طوائف البشر وقيل ان لون الشعر مرتبط بطقس البلاد فهو اميل الى الاصفرار او الاحمرار في البلاد الباردة والى السواد في البلاد الحارة ولا يغرب عن البال ان نقصان الشعر في جسم الانسان من عوامل المدنية واندثار آثار الوحشية · على

ان اختلاف لون بني الانسان واقع في الجلد فاحدى طبقاته تحوي الصبغة التي يعرف بها لونهُ

ومن الاجسام الحية ما فقد اللون كلية كالبروتوزوى الشفافة فانها لا ترى ما دامت عائمة في الماء ولا بد لرؤيتها من الانتظار ريثما تستقر فيهِ فترى بانعكاس الضوء منها

وان معظم الحيوانات المفترسة تتحد في لون شعرها فان لون الحيوانات اللبونة وجوارح الطير هو الرمادي او الاشهب او الكميت . فالفيران والارانب والثعالب وكلاب البحر والخيل والكلاب والقطط الوحشية والقردة والذئاب والاسود والغزلان الوحشية وغيرها متشابهة لوناً وشذَّ عنها النمر والزرافة والرئم ولكن شذوذها من مؤيدات اتحاد الاغلبية في اللون . على اننا اذا فحصنا شعور هذه الحيوانات المتحدة في اللون نرى ان لونها الاسمر عبارة عن اختلاط الوان متعددة كالابيض والاصفر والاسود ونرى ايضاً ان ظهور هذه الحيوانات اقتم لوناً من بطونها ويزداد هذا الفرق في الحيوانات ذوات الارجل القصيرة لانها متى سارت تحت نور الشمس انعكس ظلها الاسود على بطنها فيسودها ويجعلها مماثلة لظهرها واذ ذاك يصعب على عدوها رؤيتها وتمييزها

قلنا ان معظم الحيوانات الوحشية اتحدت في اللون ونقول الآن ان تأليفها وتربيتها من صغرها يغير لونها ويغير طرق تلونها فبعد ان يكون لونها الاسمر مركباً من الوان مختلفة ممتزجة يصبح لون الشعر واحداً ويظهر في جسمها بعض النقط السوداء او البيضاء . فاذا قارنَّا بين القطة الوحشية في انجلترا ومصر نرى ان الاولى رمادية والثانية صفراء ولكن الاليفة فيها متعددة اللون . ويعرف الكلب الوحشي باللون الرمادي الاسمر كالذئب او الاحمر ككلاب الهند اما الاليف فتعدد اللون كالقطط وما يقال عن الكلاب والقطط يقال عن الخيل والخنازير والمواشي . اما الاوز فالمعروف عنهُ انهُ لم يغير لونهُ بعد ائتلافهِ . وقد اضاعت الحيوانات بائتلافها مزية بياض بطنها فاصبح ريش الدجاج وشعر الكلب واحداً في جميع اجزاء جسمها وبذا سهلت رؤيتها من مسافة بعيدة وذلك مضر لها اذ يسهل قتلها والفتك بها

واذ التفتنا الى الطيور الداجنة وغيرها نرى ان لون ريشها ناتج عن مادة في خلايا الريش وهذا اللون مرتبط بناموس حياة الطير وطريقة معيشتهِ والبلاد التي يعيش فيها وبكونهِ ذكراً او انثى . ومن الطيور ما يغرد بصوتهِ الرخيم فيقتنى في المنازل ويعتنى بتربيتهِ وقد اختص بتلون ريشهِ بالالوان البهجة السارة كالكناري والببغاء والبلبل وغيرها . ومنها ما يزعق بصوت مرعب تنبو عنهُ الاذن كالبوم والغراب فيعيش شريداً في الخرائب والاطلال ولون ريشهِ ترابي اسود ليس عليهِ مسحة من الجمال والبهجة

أما علاقة البلاد او المحيط بريش الطير فتظهر بمقارنتنا الدجاج والديوك في بلاد مختلفة فالديك الرومي يختلف عن الديك الهندي وعن الديك البلدي بالشكل والحجم ولون الريش وكذلك الدجاج . وقد يكون الاختلاف في لون الطيور المختلفة مرتبطاً بطرق معيشتها فالسماني يهبط الى الاراضي المصرية لكي يرعى من غلالها وترى ريشهُ مصفرًا كسنابل القمح فلا يرى من بينها . أما علاقة الريش بالتذكر والتأنث فمن الخصائص الجنسية الثانوية اذ تلون ريش الديك بالالوان المختلفة البهجة وحرمان انثاهُ منها من العوامل الثانوية التي تقرب ميلها اليهِ للتناسل . ولون الحيوان يختلف في حالة سكونهِ وعدم حركتهِ او انزوائهِ في مرقدهِ عن لونهِ في حالة الحركة والمرح تحت نور الشمس وحرارتها المحرقة كما نشاهدهُ فينا نحن . فان الوجوه تصفرّ وكريات الدم الحمراء تقل بالسكون والقعود . ويحدث ما هو ضدّ ذلك بالحركة وفعل حرارة الشمس . وقد وجد بالبحث ان من الافاعي ما هو اصفر اللون ومنها ما هو مخطط بالخطوط الصفراء او السوداء فالاولى تعيش في الخرائب فيقرب لونها من لون التراب والثانية تعيش في الماء فمتى سبحت فيهِ ظهرت تموجات الماء عالية ومنخفضة او بيضاء وسوداء فتضل عين من يراها . كل ذلك نتيجة سعيها في بقاء نوعها

قلنا أن لون الحيوان ناتج عن صبغة في احدى طبقات جلدهِ تعرف بالميلانين وبينّا بالاختصار العلاقة بينها وبين فائدة الحيوان الشخصية بالنسبة للمحيط الذي يعيش فيهِ ولكننا الآن نبحث في فائدة اخرى لهذه الصبغة وفي طريقة تحولها من لون الى آخر فنقول : ان اهم فائدة للميلانين هي قوة امتصاصهِ لاشعة الطيف فوق البنفسجي ففي البلاد الاستوائية يحتوي نور الشمس على كمية كبيرة من اشعة الحرارة ومن هذه الاشعة القوية الفعالة . ومتى وُجد ذو اللون الابيض في هذه البلاد احمرّ لونهُ ثم اسمرّ . وفائدة تحول اللون الابيض الى الاسمر مساعدة الميلانين على جذب الاشعة التي فوق البنفسجية وحفظها فلا تخلل الجلد وتحرق ما تحتهُ من الانسجة وهذا هو السر في ان العبيد والسمر يسكنون مناطق الارض الحارة وان من كثر منهم تعرضاً لحرارة الشمس كفلاحي الهند واستراليا يمتازون من سكان المدن بشدة سواد وجوههم . ومن الغريب ان السود والصينيين متى ذهبوا الى البلاد الاوربية الباردة ومكثوا فيها سنين عديدة لا يعدمون لونهم الاصلي أما نسلهم فيختلف حسب قانون مندل كما سيجيء . ومن الغريب ايضاً ان الاوربي في المنطقة الحارة لا يسودُّ وجههُ بل يقف عند درجة السمرة وان سكان منغوليا لا يزال الاصفرار ملازماً لوجوههم ولو أن حرارة بعض مدنها كحرارة الهند واستراليا

ويتغير لون الشعر في الطفولية عنهُ في الكبر فكم من طفل ولد ذهبي الشعر فلما كبر اخذ شعرهُ في التقتم والسواد وكم من امرأة تمنت لو بقي شعرها ذهبياً براقاً والسبب في ذلك ان الصبغة التي في الشعر مادة آلية تتأثر بعاملين الاول خمير موجود في الجلد يسمى (تيروسيناس Tyrosinase) فهذا يؤثر في الصبغة مع توالي السنين ويسبب سواد الشعر. أما الصبغة السوداء فيمكن تحويلها حمراء او صفراء بماء الاكسجين كما يعرف بعض السيدات

قلنا ان الحيوان المفترس بتأليفهِ يتغير لونهُ وذلك لانهُ بعد ان تكون الصبغ والخمير متوزعين توزعاً متساوياً بين جميع اجزاء جسمهِ يحصل اختلال فيهِ بان ينعدم الخمير في جزء فتظهر البقع البيضاء . اما في الزرافة فقد انتظم توزيع الخمير فنتج عن ذلك تخطيط جسمها بالابيض والاسود . ومن الحيوانات ما يكون شعرهُ ابيض طول عمرهِ كالدب الابيض ومنها من يدب البياض في شعرهِ في دور معين من ادوار الحياة كالانسان . اما السبب في بياض الشعر فيرجع الى فقدان الصبغة الملونة وحلول فقاقيع هوائية محلها والعامل في ذلك ما اشار اليهِ الاستاذ متشنيكوف الروسي وهو رئيس معهد باستور بباريس اذ قال ان كريات الدم البيضاء المعروفة بالفاغوسيت Phagocyte تتسرب من جذر الشعرة الى ساقها وتلتهم المادة الملونة فيحصل فراغ في جذع الشعرة ينتج عنهُ دخول فقاقيع الهواء فيها فتصبح بيضاء ناصعة او تبقى سمراء صفراء وليس الامر كذلك في الدب الابيض فقد عدم الصبغة الملونة من بدء خلقتهِ اذ ولد على الثلوج البيضاء فتلون بلونها لكي لا يرى من فوقها

وهناك عاملان قويان يؤثران في تلون الحيوانات وهما تعرضها للضوء سواء كان طبيعياً او صناعياً وتناسلها فقد وجد الباحثون ان معظم الحيوانات التي تعيش في بطون الارض كالورل وفي امعاء الحيوانات الاخرى كالديدان وفي كل بقعة لا يتخللها ضوء كالدب الابيض في القطب الشمالي حرمت من المادة الملونة يؤيد ذلك تلون الحيوانات التي تعيش في اعماق البحار فان تمتعها بالمادة الملونة راجع الى سببين اولها اما ان اشعة الضوء فوق البنفسجية تتخلل المياه الى هذا العمق العظيم اوان المادة المضيئة التي تفرزها من غددها تنير ما حولها فاصبحت عاملاً قوياً ذا علاقة متينة بتلونها

أما تأثير تلون الحيوانات بتناسلها فهو بحث طويل يدخل تحت قانون مندل الوراثي وليس لنا ان نبحث فيهِ الآن بل نورد مثلاً واحداً من نظرياتهِ وهو اذا اقترن عبد اسود بامرأة بيضاء أتى نسلهما اما اسمر اللون او اقرب الى البياض او السواد حسب تغلب احد اللونين على الآخر

سمعان نجار طالب طب

ثبيت النتروجين الجوي

بعد ان تمكن ڤينوجرادسكي من فصل الكلوستريديوم حاول ان يفصل غيرها من مكروبات ثبيت النتروجين فلجأ الى تسخين التربة للدرجة ٧٥ سنتجراد لينقص مكروباتها التي لا تكوّن جراثيم ظانًّا ان مكروبات ثبيت النتروجين ليست منها و بذلك تبقى فيسهل عليهِ فصلها ولكنهُ لم يوفق الى غرضهِ اذ ظهر ان المكروبات المذكورة من الطائفة التي لا تكوّن جراثيم . وفي سنة ١٩٠١ اكتشف بيرنك نوعين متشابهين من المكروبات يثبتان النتروجين اطلق على احدهما اسم ازوتوباكتر كروكوكوم[1] وعلى الثاني ازوتوباكتر اجيلس[2] والاول كان كثير الانتشار في الاراضي الزراعية اما الثاني فقد وجدهُ في مياه الانهار والترع وفصلها بالطريقة الانتخابية التي استخدمها ڤينوجرادسكي بنجاح من قبل في فصل مكروبات النترجة فاخذ محلولاً مركبًا من ٢ في المائة من المنيت و ٠٫٢ في المائة من فصفات البوتاسيوم الثاني مذابة في ماء حنفية ولقحهُ بجرامات قليلة من التربة ثم تركهُ في درجة حرارة تتراوح بين ٢٠ — ٣٠ سنتجراد و بعد بضعة ايام تكون على سطح المحلول طبقة غشائية مكروبية. ثم اخذ يزبى المكروب بعد ذلك بنقلهِ من المحلول الى سطح مادة الاجار اجار التي جعل تركيبها كتركيب المحلول . وبذلك توصل لحصول عليهِ نقيًّا . كذلك امكن بيرنك ان يستعيض عن المنيت بالدكستروز والليفيلوز والسكروز والدكسترين واملاح الخلات والسمنات والبروبيونات وغيرها من المواد الآلية الكربونية التي يؤكسدها الازوتوباكتر وبذلك اثبت امكان الاستغناء عن المنيت بمواد آلية كربونية اخرى . الا انهُ لاحظ ان المكروب ينمو ويتكاثر بنشاط وحدهُ اذا زرع في محلول المنيت اما في محلول الدكستروز فتنمو معهُ مكروبات اخرى تسبب الحموضة . وفي المحاليل المشتملة على املاح السمنات والبروبيونات وما شابهها ينمو نقيًّا (وحدهُ) ولكن ببطء . ووجد ان ثبيت النتروجين يكون بنسبة ٧ مليجرامات لكل جرام منيت او دكستروز يؤكسدهُ المكروب في حالة تلقيح المحلول بهِ من التربة مباشرة . وفي المحاليل التي زرع فيها المكروب نقيًّا (وحدهُ) رقف نموهُ في حالتين وفي حالتين اخريين كانت نسبة النتروجين المثبت ضئيلة جدًّا اذ كانت في حالة ٠٫١٣ مليجرام وفي حالة اخرى ٠٫٢٧ مليجرام لكل جرام من السكر تأكسد ولكن بيرنك بزجه المكروب النقي مع بعض

(١) Azotobacter chroococcum (٢) Azotobacter agilis

مكروبات الحامض السمنيك مثل الجرنيلو باكتر [١] والراديو باكتر [٢] والايرو باكتر [٣] توصل لنتيجة احسن اذ كانت النسبة ٩,٥ مليجرام نتروجين مثبت لكل جرام سكر تاكسد

فحاول بيرنك بعد ذلك ان ينسب تثبيت النتروجين في حالة مزج الازوتو باكتر بالجرانيلو باكتر وامثاله الى الاخير دون الاول ظنًّا منهُ انهُ هو المسبب لتثبيت النتروجين في المحلول لتعيش عليهِ الازوتو باكتر . ولكن جرلاخ [٤] وفوجل [٥] قد اثبتا ان الازوتو باكتر كروكوكوم النقي في قدرتهِ تثبيت كميات كبيرة من النتروجين الاَّ ان قوتهُ في ذلك تضعف عند الكبر ووجدا في تجاربهما ان المكروب المربى منذ ١٨ يوماً اذا لقح في محلول ثبت من النتروجين بعد خمسة اسابيع ١٢٧,٩ المليجرام في اللتر والمربى منذ ١١٠ يوماً اذا لقح في المحلول ثبت ٥٤,٩ المليجرام في اللتر في المدة نفسها بينما المكروب المربى منذ ٣٢٨ يوماً لا يثبت سوى ٢٣,٤ في اللتر الواحد في المدة عينها . وكذلك وجدا ان كمية النتروجين المثبت لكل جرام من السكر يستهلك تتوقف على كثرة وجود الهواء او قلتهِ ووجدا انها تتوقف كذلك على كمية السكر الموجود في المحلول فمثلاً ان نسبة ١٢ جراماً من السكر في لتر من المحلول ارقى من غيرها اذ المكروب يثبت في هذه الحالة مقدار ١٠,٦ المليجرام من النتروجين كلما تاكسد جرام سكر . وهذه ارقى نسبة بمقارنتها بغيرها فيما اذا كان اللتر من المحلول يشمل كمية من السكر اكثر من ١٢ او اقل منها اذ ثبت ان السكر اذا زاد عن ١٢ في اللتر بان كان ١٥ فانهُ لا يثبت من النتروجين سوى ٤,١٩ من المليجرام لكل جرام من السكر اما اذا كانت كمية السكر اقل من ١٢ بان كانت ١٠ فانهُ لا يثبت سوى ٩,١٤ من المليجرام من النتروجين لكل جرام سكر . وذلك ناتج من ان زيادة تثبيت النتروجين تكون مطردة كلما ارتفعت كمية السكر من ١ — ١٢ اما فيما وراء هذا العدد فيحصل انعكاس في العملية بسبب تشبع المحلول لدرجة موقفة لنمو المكروب بنوع ما

ومما ارتآهُ جرلاخ وفوجل ضرورة وجود الحامض الفصفوريك والكلسيوم لنمو المكروب وان كان يستغني عن المغنيسيوم والبوتاسيوم اذ لا يتوقف عليها هذا النمو

ان مكروب الازوتو باكتر كروكوكوم اهم انواع الازوتوباكتر نشاطاً وهو كثير الشيوع في الاراضي الزراعية في العالم فقد فصل من اراضي مصر وافريقية الشرقية والهند ونيوزيلندا وروسيا وغيرها ولكنهُ لا يوجد في الاراضي الحمضة والاراضي الرملية الجافة . ووجوده

---

(١) Granulobacter (٢) Radiobacter (٣) Aerobacter

(٤) Gerlach (٥) Vogel

يكون على الدوام في الطبقة السطحية من الارض على عمق يتراوح بين ٥٠ و ٦٠ سنتمتراً بخلاف الكلوستريديوم فانهُ يوجد في طبقات اكثر عمقاً من هذه تتراوح بين ١٠٠ — ١٩٠ سنتمتراً. ذلك لان الكلوستريديوم من المكروبات اللاهوائية فلا ضرر من وجوده في طبقة محتجبة عن الهواء. أما الازوتوباكتر فانهُ مكروب هوائي يوجد في الطبقة التي يتخللها الهواء وعليهِ فعملية تثبيت النتروجين تتم في الطبقة السطحية بعمل الازوتوباكتر وفيما تحتها بعمل الكلوستريديوم

والازوتوباكتر كروكوكوم يكون بيضي الشكل او كرويًا بادئ بدء ومتحركاً بذنيبات عديدة في احد طرفيهِ وهو يوجد فرداً او زوجاً فاذا كان بيضياً تراوح طولهُ بين ٤ — ٥ ميكرونات وكان عرضهُ ٣ ميكرونات ومن مميزاتهِ انهُ اذا صبغ بمحلول اليود في صغرهِ تلون بالصفرة فاذا كبر وصبغ بالمحلول المذكور تلون بالحمرة القاتمة وذلك لتكون مادة الجليكوجين فيهِ. واذا زرع على سطح منبت الاجاراجار في الدرجة ٣٠ سنتجراد يكون بادئ بدء مجموعات بيضاء لامعة صغيرة الحجم مستديرة الشكل محدبة تكبر تدريجاً وبعد زمن يظهر في وسط كل مجموعة منها نقطة سوداء محاطة بحلقات سوداء متبادلة مع اخرى بيضاء. فاذا كمل نمو هذه المجموعات اسودت تماماً وصار قطر كل منها ٥—٦ مليمترات تقريباً. والازوتوباكتر كروكوكوم يتميز عن الكلوستريديوم بعدم تكوين الجراثيم وبكونه هوائياً وبانهُ لا يكون الحامض السمنيك

اما الازوتوباكتر اجيلس الذي فصلهُ بيرنك من مياه الانهار فاكبر حجماً من سابقهِ بيضي الشكل شفاف اللون يتحرك بذنيبات في احد طرفيهِ ويسهل تمييزهُ اذا زرع على سطح الآجاراجار المشتمل على ٠٫٥ في المائة من بروبيونات الكلسيوم بدلاً من السكر لانهُ في هذه الحالة ينمو جيداً ويكون مجموعات مستديرة بيضاء كل منها محاط بمنطقة خضراء ناضرة

وهنـاك نوعان آخران من الازوتوباكتر فصلهما ليمان من اراضي امريكا هما ازوتوباكتر ڤاينلانداياي[1] وازوتوباكتر بيرنكاي[2] والاول بيضي الشكل اذا زرع في محلول المنبت يكون غشاء ابيض اللون على سطحهِ يصفر بعد زمن ثم يحمر قليلاً واذا زرع على سطح منبت الاجاراجار يكون مجموعات مستديرة شفافة في اول الامر ثم تصفر تدريجاً ويتراوح طول قطر كل منها بين ٢ الى ٤ مليمترات والثاني كروي الشكل اكبر من جميع الانواع السابقة غير متحرك واذا زرع في محلول المنبت ينشأ عنهُ راسب ابيض وتتكون كذلك مجموعات بيضاء صغيرة على سطح السائل وعلى جدران الاناء. وهذه الانواع لم يتحقق

(1) Azotobacter vinelandii (2) Azotobacter Beijerinckii

وجودها في الاراضي المصرية الى الآن . ولم يعرف شيء كثير عن التغيرات الكيماوية التي تحدثها الازوتو باكتر اثناء تثبيتها عنصر النتروجين وغاية ما عرف منها الى الآن هو تكون غاز ثاني اكسيد الكربون مع كميات قليلة من الحوامض الآلية وقد استدل على ذلك من تجربة اجراها ستوكلاسا [1] في سنة ١٩٠٨ فاخذ محلولاً غذائياً في تركيبهِ ٩٫١٥ الجرام من الدكستروز ولقحهُ بالازوتو باكتر لكي يقف على عملهِ فقدر بعد ذلك ان ٧٫٩ الجرام من الدكستروز تحولت الى ثاني اكسيد الكربون و ٠٫٣ الجرام الى كحول اثيلي و ٠٫٢ الجرام الى الحامض الفورميك و ٠٫٧ الجرام الى الحامض الخليك و ٠٫٢ الجرام الى الحامض اللبنيك ولم يستطع معرفة ما آلت اليهِ الكمية الباقية وهي ٠٫٦ الجرام من الدكستروز . وقد وجد ان النتروجين تثبت في نفس الخلايا المكروبية الاّ قليلاً منهُ وجد على صورة مركبات ذائبة في المحلول

يشبه الازوتوباكتر الكلوستريديوم في انهُ يحصل على القوة اللازمة لحياتهِ من المركبات الآلية التي يؤكسدها ومن الضروري لهُ وجود الجير اوكربونات الكلسيوم واملاح الفصفات وغيرها من الاملاح المعدنية و ينعدم اذا لم يحصل على كفاية من هذه المركبات . فما اثبتهُ فشر [2] انهُ ينعدم او يتوقف عملهُ اذا كانت التربة مشتملة على اقل من ٠٫١ في المائة من الجير ان وجود مركبات النتروجين ليس ضرورياً لهُ ولكن يناسبهُ وجود كميات قليلة جداً في اول الامر لكي يبدأ عملهُ . اما كثرة وجود تلك المركبات فانها تضعفهُ وربما ينشأ عنها استنقاص املاح النترات الى نتريت فنشادر بعملية عكس النترجة

ولا بد للازوتوباكتر من الرطوبة الكافية في التربة بحيث تتراوح نسبتها بين ٥ — ١٥ في كل مائة جرام منها . وكذلك الحرارة يجب ان تكون درجتها من ٢٥ — ٣٠ سنتجراد اما اذا ارتفعت عن ٣٥ او نقصت عن ١٠ فان ذلك يسبب ضعف المكروب ويحدث تغييراً في شكلهِ بحيث يصبح عاجزاً عن القيام بعملهِ

كان فرانك وهلريجل قد اثبتا في تجاربهما سنة ١٨٨٨ ان الاراضي التي يكثر على سطحها نمو نباتات الالجي الخضراء تزداد فيها كمية النتروجين ما دامت معرضة لضوء الشمس اما اذا منع عنها الضوء أو حجبت بطبقة من الرمل تعطل نمو تلك النباتات فلا تزداد فيها كمية النتروجين فذهبا الى القول بان نباتات الالجي في قدرتها تثبيت النتروجين من الجو ولكن كسوفتش [3] وغيره من العلماء قالوا ببطلان هذا الرأي لانهم زرعوا انواعاً نقية من الالجي

(1) Stoklasa (2) Fischer (3) Kossowitsch

مثل سستوكوكوس[١] وستيخوكوكوس[٢] في بيئات خالية من مركبات النتروجين معرضة للضوء فوجدوها لا تنمو مطلقاً مع وجود كفايتها من نتروجين الهواء ثم وجدوها تنمو جيداً اذا أمدت بالنترات وما ذاك الا لانها لا تثبت النتروجين وقد ايد هذا الرأي بو ياك[٣] بتجارب اجراها على الالجى التي تدعى نستوك[٤]

وبعد القطع بعدم مقدرة الالجى على تثبيت النتروجين رأى كسوفتش في سنة ١٨٩٤ انهُ لا بد من سبب لزيادة كمية النتروجين في الارض التي يكثر على سطحها نمو الالجى فاضاف مكروبات التربة الى انواع من الالجى النقية وعلى الاخص الى النستوك ورباهما معاً في بيئة واحدة فحدث تثبيت النتروجين الجوي فقال بنسبة تثبيت النتروجين الى مكروبات التربة وبان هناك تبادل نفع بين الالجى والمكروبات اذ الالجى تجهز المركبات الآلية من ثاني اكسيد الكربون الجوي بتأثير ضوء الشمس لتغذية المكروبات وفي نظير هذه المنفعة تحصل الالجى على نتروجين الجو المثبت بعمل المكروبات كغذاء . وقد زاد رأي كسوفتش وضوحاً باكتشاف الازوتوباكتر وثبوت انهُ يتبادل النفع مع الالجى

ان العلماء وان اثبتوا بتجاربهم اقتدار الازوتوباكتر على تثبيت النتروجين الجوي وانهُ يعيش في التربة مع الالجى متبادلاً النفع معها فلم يتوفقوا لمعرفة مقدار نشاط الازوتوباكتر في التربة تحت الظروف الطبيعية المختلفة وذلك بالنظر للصعوبات التي يلاقيها الكيماويون في تقدير كميات النتروجين الضئيلة التي تضاف الى التربة بعمل الازوتوباكتر ولما يطرأ من النقص في نتروجين التربة نفسهِ بسبب وجود المواد الآلية . على ان مجرد وجود الازوتوباكتر في التربة لا يمكن اعتبارهُ دليلاً على انهُ يثبت النتروجين قطعاً وانما يدلل على ذلك بتجارب دقيقة يجب اجراؤُها على نفس التربة تحت الظروف الطبيعية المختلفة وهذا اشبه شيء بالمستحيل . اما الطريقة المتبعة لتقدير نشاط الازوتوباكتر باضافة كميات من السكر او المواد الكربوهيدراتية الاخرى الى التربة لمعرفة التغيير الواقع في محتوياتها النتروجينية فقد انتقدها رَصِلّ لان اضافة مقادير السكر الى التربة وان كانت تساعد على تثبيت النتروجين الا انها قد تحدث نقصاً في النترات بدليل ما اثبتهُ الفريد كوخ في تجربتهِ سنة ١٩٠٧ اذ اخذ ٥٠٠ جرام من الطمي المخلوط بالرمل وفردها على اطباق لكي يتخللها الهواء بسهولة ثم اضاف اليها مقادير قليلة من الدكستروز تدريجاً بنسب مخصوصة وتركها رطبة على الدوام في الدرجة ٢٠ سنتجراد فشاهد حدوث تثبيت النتروجين بسرعة وبنسبة

(١) Cystococcus (٢) Stichococcus (٣) Bouilhac (٤) Nostoc

مطردة الى ان بلغ غايتهُ بعد ١٨ اسبوعاً ثم اخذ في النقصان بعد ذلك · وكذلك الطريقة التي اتبعت في جزيرة موريشس لتقدير نشاط الازوتوباكتر بتسميد زراعة قصب السكر بمقادير من رب العسل [١] فانها وان احدثت زيادة في المحصول الأ انها لم تكن برهاناً صحيحاً على اطرادها بدليل ان الطريقة نفسها اجريت في جزر هاواي فكانت النتيجة بالعكس مع حدوث استنقاص في نترات التربة · ولمَ لا يقال في الحالة الاولى ان رب العسل او المواد السكرية والكربوهيدراتية لم يستعملها الازوتوباكتر غذاء فينشط بها وانما كانت سماداً للنبات خاصة على ان اضافة السكر او المواد الكربوهيدراتية الى التربة فضلاً عن كونها ليست بدليل قاطع على ازدياد تثبيت النتروجين لما سبق فان طرق الفلاحة تأباها ولا تسمح باستخدامها

وليست مكروبات تثبيت النتروجين قاصرة على جنس الكلوستريديوم والازوتوباكتر فقط بل هناك مكروبات اخرى كثيرة تقوم بهذا العمل غير ان الصعوبات في البحث تحول دون معرفة الشيء الكثير عنها فمثلاً في سنة ١٨٩٥ فصل كارون [٢] بالمانيا مكروباً منها وحصل عليهِ نقياً بكميات كبيرة اذ رباهُ صناعياً وعرضهُ للبيع للزارعين تحت اسم الينيت [٣] معلناً انهُ يثبت النتروجين الجوي اذا لقح في الاراضي الضعيفة فيزداد بهِ غذاء النباتات وتكثر حاصلاتها فابتدأ العلماء بفحص تركيب الالينيت وعمل التجارب عليهِ ليقفوا على تأثيرهِ في التربة فثبت لهم انهُ مشتمل على مكروب نقي اطلق عليهِ اسم باسيلوس الليناخنسس [٤] يشبه كثيراً مكروبات التربة العادية مثل باسيلوس مجاثيريوم وباسيلوس ميكوديس وباسيلوس سبتليس المشهورة بكبر حجمها وبتكوينها الجراثيم وبحاجتها للهواء وقد ثبت ان في قدرتهِ تثبيت النتروجين في ظروف مخصوصة وان في استطاعتهِ كذلك استنقاص النترات في ظروف اخرى بمعنى ان لهُ عملين مختلفين في التربة يؤدي احدهما الى زيادة المركبات النتروجنية والآخر الى نقصانها وقد اثبتت بعض التجارب العملية التي اجريت في الحقول عليهِ زيادة محسوسة في حاصلات الارض باستخدامهِ وفي بعض التجارب الاخرى لم تحقق زيادة ما ولذلك تضاربت فيهِ الآراء ولم يجتمع الراي على استخدامهِ وتعميم نشرهِ

محمود مصطفى الدمياطي
مدرس بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

---

(١) Molasses (٢) Caron (٣) Alinit (٤) Bacillus ellenbachensis



استغلال الارض

٣

الادارة الزراعية

ادارة المزارع فن غير فن الفلاحة فليس كل عارف بهذا عارفاً بذاك ولا هو جدير بان يسمو اليهِ الأ اذا كان ذا استعداد لهُ . ولا شبهة في ان الالمام بالفلاحة شرط اوَّلي لا بد منهُ لادارتها وان النبوغ في الادارة لا يكون على اتمهِ الأ لمن يكون ضليعاً بالفلاحة وليس خليقاً بهِ الأ الادار يون العاملون بما تقتضيهِ الاصول الفنية والنظامية والاقتصادية عملاً يؤدّي الى احسن النتائج الممكنة

ولئن كان في المؤلفات والمعاهد الزراعية من اصول الفلاحة وقواعدها — وان كان قليلاً من كثير مما يعرف في العرف الزراعي — ما تعين دراستهُ على مباشرة العمل في الغيطان فليس كذلك الشأن في الادارة الزراعية ولذا كانت الحاجة الآن في تعرُّفها الى عرف ذويها أمسّ من الحاجة في تعرُّف الفلاحة الى عرف اهلها

تقوم الادارة الزراعية بتدبير شؤُون المزارع الزراعية والاقتصادية وعلاقاتها العملية والادبية وذلك يقتضي اولاً — من الملاك مع آداء مطاليب الفلاحة في اوقاتها — انتقاء العمال الاكفاء ومراقبتهم مراقبة حسنة فعّالة واخذهم بنتائج اعمالهم و بقدر ما فيها من حسن الاجتهاد والنجاح

ثانياً — من الموظفين مع التزام النظام الذي يرتضيهِ المالك — الاجتهاد والاستقامة في اداء واجباتهم العملية والادبية

ثالثاً — من الفريقين معاً — التزام المبادئ الحسنة مع معامليهما عامة وفلاّحي الزرعة خاصة والاعتدال في تقدير الواجبات والحقوق المتبادلة بينهما مع التسامح فيما يمكن التسامح فيهِ

بعض الملاك يقبض يده دون المصروف اللازم لفلاحة الارض فتقل غلتها اولاً ثم يمحل خصبها ويسوء حالها اخيراً

وليست الاطيان التي عطّل قصور ملاكها او تقصيرهم استغلالها — مع ان المصروف اللازم لها يمكن تعويضهُ من غلتها في سنة واحدة او بعض سنة — بقليلة بين المزارع

اما الاطيان الموات او المستجدة (التي لا تزال في اول عهد اصلاحها الذي لم يتم) والتي يحول العسر لا الاهمال دون اصلاحها واستغلالها فعذر صاحبها في قصوره مقبول ما دام في عسره . والاطيان المستجدة التي من هذا القبيل قد زادت بعض الازمات الاخيرة

قد يكون الشحّ على فلاحة الاطيان سببهُ قصور مالية المالك دون وفاء كل ما يطلب منهُ لنفسهِ ولارضهِ فيهمل هذه ولكن ارى انهُ في هذه الحالة احوج لان يقتصد على نفسهِ دون ارضهِ ما يمكّنهُ من استغلالها وزيادة غلتها ليوسّع على نفسهِ بعد ذلك في المستقبل القريب . اما القرش الذي يضن بهِ اليوم على استغلالها فسيحرمهُ من غلتها عشرات من القروش كان محققاً ان يفوز بها لو لم يكن ذلك الضن (راجع ما كتبناه عن إداء مطاليب الفلاحة في المقالة الثانية من هذا البحث) فكأنهُ بذلك يزيد عسرهُ سوءًا على سوء

وقد يكون سبب الشح سوء تقدير المالك لاهمية شؤون الفلاحة . والملاك الذين كذلك ليسوا بقليلين وسيأتي الكلام عليهم بعدُ

وقد يكون السبب ظن المالك ان الشح يحول دون اسراف موظفيهِ ويقلل الفرص على قليلي الذمة منهم وهذا علاج غير حكيم ولا يلجأ اليهِ الاَّ الملاك العاجزون او القليلو الخبرة فان السبيل الوحيد للاقتصاد والضبط ليس تأخير طلبات الفلاحة او اختصارها بل هو وضع قواعد محكمة للعمل وانتقاء الموظفين الاكفاء المستقيمين لتنفيذها ومراقبتهم بعد ذلك للتحقق من تطبيقهم عملهم على مقتضيات النظام والفلاحة والامانة والاجتهاد

والمشاهدات ترينا ان تأخير طلبات الفلاحة مهما كان سببهُ كان دائماً وابداً ضد مصلحة الملاك ومقللاً للتبعة على العمال لاستفادة الخونة منهم متسترين بستار سوء الحالة الذي اساسهُ سوء تقدير المالك للامور . وكثيراً ما آل الامر في مثل هذه المزارع الى خروج اصحابها عنها ببيعها او بتأجيرها خروجاً غير مأسوف عليهِ وان يرثها عنهم من غير عقبهم من يصلح لعمارتها وفلاحتها

احمد الالفي

الاطيان وما يزرع منها قطناً

اوردنا في الجدول التالي مساحة الاطيان الزراعية في كل من مديريات القطر المصري وما زرع منها قطناً سنة ١٩١٣ قبلما نقصت زراعة القطن ونسبة الاطيان التي زرعت قطناً الى الاطيان كلها

المديرية	مساحة الاطيان	مساحة القطن	النسبة في المئة
(١) الدقهلية	٤٧٥ ٥٢١ فداناً	٢٦٤ ٥٩٩ فداناً	نحو ٥٥,٦ في المئة
(٢) الغربية	٨٩٥ ٨٤٢ «	٤٣٢ ٦٧٤ «	٤٨,٣ « «
(٣) البحيرة	٥٧٨ ٨٤١ «	٢٥٣ ٢٠٦ «	٤٤,٠ « «
(٤) الشرقية	٥٣٠ ٣٨٨ «	٢٢٣ ١٥٧ «	٤٢,٠ « «
(٥) المنيا	٣٧٥ ٨٧٥ «	١١٥ ٨٣٦ «	٣٨,٠ « «
(٦) القليوبية	١٩٢ ٥١٤ «	٠٧٢ ٣٨٧ «	٣٧,٥ « «
(٧) المنوفية	٣٤٥ ٠٠٦ «	١٢٧ ٢٢٠ «	٣٦,٦ « «
(٨) بني سويف	٢٢٢ ١٨٦ «	٠٧٤ ٧٥٤ «	٣٣,٦ « «
(٩) الفيوم	٢٩٨ ١٠٠ «	٠٧٩ ١٤٩ «	٢٦,٥ « «
(١٠) الجيزة	١٧١ ٨٦٩ «	٠٤١ ٨٨٣ «	٢٤,٤ « «
(١١) اسيوط	٣٩٠ ٧٥٦ «	٠٥٨ ٥٩٩ «	١٥,٠ « «
(١٢) جرجا	٢٢٠ ٤١٢ «	٠٠٦ ٩١٥ «	٠٣,٠ « «
(١٣) اصوان	٠٦٥ ١٣٣ «	٠٠٠ ٩٣٦ «	٠١,٤ « «
(١٤) قنا	٢٥٩ ٣٨٩ «	٠٠٣ ٩٥٥ «	٠١,١ « «
المجموع	٥ ٠٢٣ ٢٣٠ «	١ ٧٥٥ ٢٧٠ «	٣٥,٠ « «

وواضح من ذلك ان زمام زراعة القطن في الدقهلية اوسع منهُ في غيرها بالنسبة الى مساحة اطيانها فان اكثر من نصف اطيانها يزرع قطناً كل سنة وهذا يستلزم ان يزرع بعض اطيانها قطناً سنتين متواليتين احياناً. وتتلوها الغربية والشرقية والبحيرة وفيها كلها براري واطيان مستجدة لا تزرع قطناً فاذا اغضينا عنها ظهر ان الاطيان الرواتب فيها يزرع نصفها قطناً كل سنة. ومن الغريب ان القليوبية والمنوفية لا يزرع القطن سنوياً الا في نحو ثلث اطيانهما

ولعلّ ذلك من اسباب وفرة محصول الفدان فيها . ومثلها المنيا وبني سويف من الوجه القبلي اما الفيوم فلا مانع يمنع زرع القطن في ثلث اطيانها الأ قلة المياه الواردة اليها صيفاً فانها لا تكفي الأ لزرع ربع اطيانها وقد لا تكفي هذا الربع في كثير من جهاتها . ومع ذلك قال احد مديري الاعمال فيها ان الماء الوارد اليها صيفاً يزيد على الحاجة . فعسى ان لا تتمسك مصلحة الري بقوله كأنهُ منزل بل تنظر في الارقام المتقدمة وتزيد الماء حتى يكفي لزرع القطن في الاطيان الزراعية على الاقل

فوائد في زراعة الكتان

صادرات الكتان

كان الصادر من روسيا في السنة ٢٠٠٠٠٠ طن من الكتان ومن هولندا ٣٠٠٠٠ طن ومن بلجكا ٣٦٠٠٠ طن ومن فرنسا ١٣٠٠٠ طن

غلة فدان الكتان المصفّى

في فرنسا	٦٨٦	رطلاً
وفي النمسا	٥٤٦	«
وفي المجر	٥٤٦	«
وفي هولندا	٥١٨	«
وفي المانيا	٤٩٠	«
وفي بلجكا	٤٤٨	«
وفي ارلندا	٤٠٦	«
وفي ايطاليا	٣٣٦	«
وفي روسيا	٢٣٨	«

وقد كان الكتان البلجيكي اغلى انواع الكتان فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً قبل الحرب ٢٤٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ كان ٦٥ جنيهاً و يتلوهُ الكتان الهولندي فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً ١٤٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ كان ٥١ جنيهاً ثم الكتان الارلندي فقد بلغ ثمن الطن منهُ احياناً ٨٠ جنيهاً ولكن متوسطهُ ٥٢ جنيهاً ثم الكتان الفرنسوي من برتني فقد كان متوسط الطن منهُ ٤٤ جنيهاً ثم الروسي فالالماني

مبادىء خصب المزروعات

(تابع ما قبلهُ)

تقدم في الجزء الماضي ان خصب المزروعات ثلاثة مبادىء

الاول . ان يجد النبات في التربة مقداراً كافياً من كل المواد المغذية الضرورية لهُ ولاسيما النتروجين والبوتاسيوم والفصفور

والثاني . ان تحل مواد التربة بفعل الاحياء التي فيها بسرعة و بغير عائق

والثالث . ان تجاب مطالب النبات كلها واذا لم يجب واحد منها صار عائقاً ووقف النمو واذا زيد فاعل من فواعل الخصب زاد النمو بهِ الى ان يقل فاعل آخر فتصير قلتهُ عائقاً يقف النمو عندهُ

وكل مبدإٍ من هذه المبادىء الثلاثة يُرى واضحاً بنوع عام في كل المزروعات ولكن اذا اريد العمل بهِ تماماً لم يظهر الامر سهلاً لكثرة الفواعل وتنوُّعها . مثال ذلك تسميد المزروعات بالفصفات فان الفصفات لازم لنمو النبات وقد ظهر من التجارب بزرع المزروعات في الرمل وتسميدها بالفصفات ان بين مقدار الفصفات وخصب النبات نسبة حسابية محدودة ولكن لا يحدث ذلك اذا زرعت المزروعات في غير التربة العادية وسمدت بالفصفات فان التربة يكون فيها حينئذٍ شيء من الفصفات وما من سبيل لمعرفة مقدار ما فيها من الفصفات الذي يستفيد منهُ النبات لانهُ يختلف باختلاف الطرق التي تستعمل لمعرفتهِ واذا كانت الطريقة مبنية على استعمال الحامض النتريك فكلما طال استعمال الحامض قلَّ الاكسيد الفصفوريك المستخرج من التربة

و يظهر انهُ اذا سمدت الارض بسماد الفصفات لكي يزيد خصبها لم يقف الفصفات فيها منتظراً النبات لكي يقويهُ ويخصبهُ بل يفعل بالارض فتمتصهُ ومنها يأخذ النبات ما يحتاج اليهِ منهُ اي ان التراب والزرع يحاول كلٌّ منهما الاستئثار بالفصفات . وتختلف مقدرة التراب باختلاف بنائهِ فاذا كان طفالاً فهو اقدر على حفظ الفصفات من الرمل ولذلك فالمقدار الكافي من الفصفات في الارض الرملية لا يكفي في الارض الطفالية . ومن ثم عرف لماذا يكون احتياج الارض الطفالية الى السماد الفصفوري اشد من احتياج الارض الرملية

ثم ان النبات جسم حي فلا يمكن تحديد ما يحتاج اليهِ من الغذاء تحديداً يصلح في كل وقت وكل حال لان ذلك يختلف باختلاف الاحوال ولهذا يجب الذهاب الى الاطيان وامتحان

الاسمدة المختلفة فيها مدة سنتين او ثلاث سنوات حتى اذا ظهرت النتيجة وتكررت بنفسها يعتمد عليها وتتخذ قاعدة

ثم ان البحث في تعقيم التربة اثبت ان الاحياء المكرسكوبية التي فيها طائفتان مختلفتان الاولى مفيدة لتكوين الغذاء اللازم للنبات والثانية غير مفيدة له والاولى اقدر من الثانية على مقاومة العوارض التي تنتابها فاذا عولجت التربة بشيء يضر بهذه الاحياء ويميت بعضها فان الثانية تموت قبل الاولى فتنتفع المزروعات بذلك ولكن اذا عولجت التربة بشيء يقوي هذه الاحياء فان الطائفة الثانية الضارة تقوى فينتج من ذلك ضرر للمزروعات . وهذا مبدأ آخر حري بالنظر ويظهر فعله حيث يقل خصب التربة بزيادة السماد فيها كما في الاماكن التي يشتد البرد فيها فتزرع الخضر والبقول في بيوت من الزجاج اتقاء البرد فان تربتها يقل خصبها بزيادة السماد فتعالج بالبخار السخن حتى يموت جانب كبير من المكروبات التي فيها فيقع اكثر الموت بالمكروبات الضارة لا بالنافعة

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة رومانيا

نعى البرق هذه الملكة الجليلة في اوائل الشهر الماضي فرأينا ان نعيد ما كتبناهُ عنها منذ سنتين حيث قلنا :

هي اكتب كاتبات العصر واشعر شاعراتهِ وتعرف لدى ارباب الاقلام وقارئي كتب الادب باسم كارمن سلفا اي غناة الغاب ابوها من بيت الماني قديم عريق في المجد ومنهُ الامير الذي اختير حديثاً ملكاً لالبانيا وامها اميرة نسو اخت دوق لكسمبرج وكلاهما من محبي الآداب والفنون · عُلّمت القراءة وعمرها ثلاث سنوات وبرعت في حداثتها في تعلّم اللغات ونظمت الشعر الحسن وعمرها ثلاث عشرة سنة ومن ثم الى الآن وهي تنشئ وتنظم واكثرها تميل الى الكتابة فيهِ المواضيع الاجتماعية والقصص الفكاهية ومن ذلك كتاب قصص للصغار بيع منهُ نحو مليون نسخة لا لانها تكتب كملكة بل لانها تكتب كامرأة ووالدة ثاكلة

اقترنت بملك رومانيا سنة ١٨٦٩ وولد لها ابنة سنة ١٨٧٠ . فسرَّ الشعب الروماني بها واهدى اليها سريراً من الذهب . ولم تكد تبلغ الرابعة من عمرها حتى كاد يعبدها لما امتازت بهِ من جمال المنظر ولكنها مرضت حينئذٍ بمرض وافد انتشر في بخارست وامات كثيراً من الاطفال . و بقيت اربعة ايام وهي بين الحياة والموت فافرغ الاطباء جهدهم وغاية ما وصل اليهِ علمهم ولكنهم لم يقووا على مقاومة الداء . اربعة ايام بلياليها وامها ساهرة عليها لا تفارقها لكنها لم تستطع ان تدفع مقدوراً واخيراً فتحت الابنة عينيها وقالت بصوت لا يكاد يسمع انا عطشانة اسقوني من ماء بيلش فصار نهر بيلش من ذلك الحين مقدَّساً في رومانيا . ولم ترزق الملكة ولداً غيرها فقضت عمرها في وصف محاسن هذا النهر والجبال المحيطة بهِ نثراً ونظماً . واحيت كل القصص القديمة واسكنت تلك الآكام والوهاد بصور خيالها كل ذلك تذكاراً لابنتها ولبست الحداد من ذلك الحين تعاقب بين الابيض والاسود

وقد صار قبر هذه الابنة حرماً تزورهُ الملكة كل يوم الأ اذا منعها مرض . وبنت الى جانبهِ ملجأً للايتام تذكاراً لهُ واقامت عليهِ تمثالاً من المرمر يمثل ابنتها وقصائب شعرها حول وجهها وعيناها مغمضتان وكتبت تحتهُ آية من الانجيل وهي « لم تمت لكنها نائمة »

وبنت الى جانب النهر الذي نطقت ابنتها باسمهِ قبلما اسلمت الروح قصراً بديعاً افرغت في رسمهِ وتزيينهِ ما اعطاها الله من قوة التصور وسعة الخيال . شرعت في بنائهِ سنة ١٨٧٥ ومضى ثلاثون سنة وكبار المهندسين والنقاشين يعملون في تنسيقهِ وتزيينهِ وانفقت عليهِ بدرات الاموال ولا تزال ايدي الصناع تعمل فيهِ والداخل اليهِ الآن كالداخل الى متحف من المتاحف الكبيرة لكثرة ما فيهِ من التحف والاعلاق المجموعة من اقطار المسكونة ولان غرفهُ الكثيرة مختلفة النسق والاساس والهندام باختلاف البلدان المنسوبة اليها فهناك غرفة انكليزية للاستقبال واخرى المانية للاشراف واخرى شرقية للجلوس واخرى هولندية للصور واخرى تركية للتدخين وهلم جرًّا . وفيهِ اربعون منزلاً لانزال الضيوف كل منزل منها تام بغرفهِ ومرافقهِ

التقت بزوجها اول مرة في قصر امبراطور المانيا ببرلين وكانت قد اتتهُ زائرة وهي فتاة في السادسة عشرة . ويقال انها كانت نازلة على سلم القصر مسرعة على جاري عادتها فزلَّت قدمها ووقعت واتفق ان البرنس شارل الذي اقترن بها بعدئذ كان صاعداً فتلقاها . وكانت تقول انها لا تتزوج الأ بمن يجعلها ملكة لرومانيا لان تلك البلاد مشهورة بجمال مناظرها حتى كأنها شعر نظمتهُ الطبيعة ولم يكن لها ملك حينئذٍ ولا كانت مملكة . لكن

الامير الذي تلقاها وهي واقعة ونجاها من الهلكة وقع من نفسها موقعاً عظيماً فاقترنت بهِ بعد تسع سنوات اي بعد ان جُعل اميراً لرومانيا · ولما خطبها اخذت تتعلَّم اللغة الرومانية فلم يمضِ عليها وقت طويل حتى احسنتها لكثرة ما تعرف من اللغات

ولما انضمَّت رومانيا الى روسيا في محاربة الدولة العلية جعلت صاحبة الترجمة تمرّض الجرحى وتعزي المحتضرين واقامت مستشفى لمئة منهم على نفقتها وكانت تحضر العمليات الجراحية الكبرى · ولما رأى اغنياء بخارست منها ذلك جعلوا يحذون حذوها في الانفاق على الجرحى واجتمع نساء العساكر وجمعوا مبلغاً طائلاً من المال صنعوا بهِ تمثالاً لها يمثلها راكعة امام جندي جريح وقد عمدت رأسهُ بيسارها وفي يمينها كأس تقدمها لهُ

ولما وضعت الحرب اوزارها وعاد زوجها الى بيتهِ كتبت الى امها تقول « الحمد لله فقد عاد شارل (اي زوجها) ويسهل عليَّ الآن ان اعود الى كتبي الى ازهاري وطيوري وكتبي ودفاتري · ويل للمرأة التي تضطرُّ ان تخوض غمار السياسة · قدَّر الله لنا سلماً طويل الامد يزول بهِ ما خامر نفوسنا من البؤس والكد ويجعل كل ما حدث في خبر كان »

والحادثة التالية تدل على ما كان لها من المكانة في نفوس الضباط والجنود :—

اصيب ضابط بكسر مزدوج في فخذهِ وقال الجراح ان لا بدَّ من بترهِ · اما الضابط فابى ذلك مفضلاً الموت على ان يعيش بلا ساق · فلجأ الجراح اليها لعلها تقنع الضابط · ولما رأت الكلام والحجج لا تجديه معهُ نفعاً ركعت امامهُ وقالت لهُ حتى الآن لم اتوسَّل الى مخلوق قط لكنني اتوسَّل اليك ان تطيع امر الجراح · فقال لها ان فعلتُ ما تريدين فماذا يكون جزائي · قالت اني اهدي اليك رجلاً صناعية لم يصنع الصناع احسن منها ومتى تعلمت المشي عليها ادعوك الى القصر انت واولادك » فاطاع امرها وقُطعت رجلهُ

زارتها احدى الكاتبات منذ عهد غير طويل وكتبت عنها تقول « اول ما وقع نظري عليها عجبت من ان جمالها الفائق لم تذبل نضارتهُ حتى الآن وطلاقة وجهها لا تزال على عهدها ثم استغربت سعة معارفها وتمكنها من البحث في كل موضوع ولكن لم يخفَ عليَّ انها كانت تفرط في استعمال قواها العقلية فتكاد تستنزفها كلها · فكثيراً ما كانت تأتي في الصباح الى المائدة وفي يدها رزمة من الاوراق تكون قد احيت الليل في كتابة ما فيها ثم ينقضي النهار وهي تنتقل من عمل الى آخر لا تكلُّ ولا تملُّ الى ان يأتي اولاد اخيها امبرويد بعد ان يتموا دروسهم فتقضي ساعة معهم في اللعب والغناء »

لما زارت انكلترا آخر مرة نزلت في قصر وندزر ضيفة على الملكة فكتوريا وتلت على مسمع الملكة رواية شعرية تاريخية من نظمها باللغة الالمانية تلتها كلها من غير ان تفتح كتاباً. وتلت في وقت آخر امام السر هنري ارفنج الممثل الشهير رواية اخرى من نظمها ناقلةً اياها ارتجالاً من اللغة الالمانية الى اللغة الانكليزية فابدعت في حفظ المعنى مع فصاحة التركيب الانكليزي حتى ادهشت السامعين وقالوا ان ذلك فوق طول البشر

وزارت سنة ١٩٠١ قبر امبراطورة النمسا ووضعت عليهِ اكليلاً من الزهر كتبت عليهِ ما ترجمتهُ «اتيتكِ بازهار قطفتها من اعالي الجبال لاطرحها عند قدميكِ اللتين كانتا دائبتين على السعي الى اسمى المطالب الى السلام الدائم الى المعرفة الكاملة الى ينابيع النور والطهر الابديين. اتيتكِ بالازهار من تلك المسالك التي كنا نسير فيها عند فجر النهار حينما كان زهر الربى ينعش نفسينا باريجهِ والماني تتلألأ كالكواكب من عينيك فتصغرُ منها لآلئ الندى خجلاً. ولقد كانت نفسكِ صافية كالبلور جسورة كقدميك تطوف العوالم وتخترق اعماق الخفايا ومجاهل الغوامض ضفَّرت الرزايا لرأسك اكليلاً فلم يعد يعبأ بتاج الملك. رأيت امجاد العالم وعظمتهُ خيالاً زائلاً لانك الى العالم الروحي انضيتِ العزيمة ومنهُ جاءتكِ النجاة حينما عن مساويء الدنيا التفتِ فسمعتِ في ظلمات الليل صوت قملك يستجلي بنات فكركِ ويزفُّ عرائس عقلكِ ولقد كنتِ الحاينة لتلك الافكار الحرَّة والماني النفيسة. فيا اختاهُ عند قدميكِ اطرح ازهاراً علتها حمرة الخجل وصفرة الوقار قطفتها لك من جبال كرباثيا. عند القدمين اللتين اضناهما التعب قبلما تمتعتا بالراحة اطرح هذه الازهار فلتبثُّ لك اشواق الذين شاقتهم المعالي وهم يحثون مطاياهم الى الخلود»

وقد قرأنا لها شعراً انكليزيًّا في وصف دير وستمنستر قلما قرأنا ما هو ابلغ منهُ

القابلية او الجوع

القابلية او الجوع شعور الحيوان شعوراً غريزيًّا بالحاجة الى الطعام اللازم لحفظ جسمهِ ولتقديم ما يكفيهِ من القوة لاتمام وظائفهِ. وسببهُ الاخير عائد الى اختلاف النسبة بين الموجود في الجسم والمطلوب لهُ. فاذا قلَّ الموجود عن المطلوب شعر الجسم بالحاجة الى ما يسدُّ النقص ويعيد التوازن. واذا تساويا فتساويهما هو الشبع. واذا زاد الموجود على المطلوب كان الشعور بزيادة الامتلاء وما يعقبهُ من التقزز او التخمة

اما سبب الجوع المباشر فمختلف فيهِ · فقد عزا بعضهم العطش الى جفاف اطراف الاعصاب في الجلد والفم بتبخير الماء من سطحهما وعزوا الجوع الى تهيج قليل يطرأ على المعدة من تسرُّب العصارة المعدية اليها من جدرانها · ومهما يكن من ذلك فما لا مشاحة فيهِ ان حسن القابلية لازم لعمل الهضم · والذوق الصحيح والقابلية الجيدة هما خير مرشد الى نوع الطعام الذي يؤكل وكميتهِ اللازمة

وقد يستولي على القابلية كغيرها من وظائف الجسم ما يحيد بها عن الجادة فيطلب صاحبها اكل الرماد او التراب او الشعر او الحصى او الفحم او غير ذلك كما يحدث في الحالة المعروفة باسم «بيكا» عند الاطباء وهي حالة شاذة تطرأ احياناً على الحبالى والمصابين بالهستيريا وغالباً على المصابين باختلال عقلي · على ان اهمَّ ما تصاب بهِ القابلية آفتان اشتدادها الى حدّ عدم الشبع او النهم وهو ما يسمى بالجوع الكلبي · وضعفها الى حدّ فقدها

اما النهم فقد يكون مجرَّد عادة ناشئة عن اعتياد المآكل الطيبة ومن عواقبهِ زيادة حموضة المعدة والنقرس والسمن وغيرها من الآفات التي تختلف باختلاف العادة والمزاج · وهو على الغالب من اعراض بعض انواع سوء الهضم او البول السكري ويسمَّى حينئذٍ «بوليميا»

واما ضعف القابلية او فقدها فعرض من اعراض جميع الامراض التي تسبب ضعفاً عامًّا لان نشاط المعدة وافراز العصارة المعدية يضعفان بضعف حيوية الجسم وانحطاط قوتهِ · لذلك كان فقد القابلية من اول اعراض السلّ · وغنيٌّ عن البيان ان وجودهُ يزيد شدة ذلك الداء العياء · وهو كذلك من اهمّ اعراض الدسبسيا وسرطان المعدة · وكثيراً ما لا يكون لهُ سبب ظاهر فتعود القابلية حالاً بعد تناول شيء من المقويات والعقاقير المرة مثل الخشب المرّ او الجنطيانا او الكينا او الجوز المقيء

وهناك داء يعرف عند الاطباء باسم الانوركسيا العصبية يفقد فيهِ المصاب قابليتهُ فلا يكاد يأكل شيئاً ويقل نومهُ ويخف جسمهُ ويصفرّ لونهُ ومع ذلك يواظب على عملهِ الشاق بلا كلل ولا ملل · والغالب ان يصيب الشابات وان ينتهي بهنّ الى انحلال عصبيّ تامّ

علامات الموت

يخشى كثيرون من الناس ان يُدفنوا احياناً على اثر نوبة اغماء او صرع تأخذهم وتطول مدتها فيظن انهم ماتوا وهم لم يموتوا · وكثيراً ما اتفق ان دفن الاحياء خطأً ولكن ذلك

نادر الحدوث في البلاد المتمدنة حيث الاطباء كثيرون ووسائل التحقق من الموت سهلة

للموت اعراض كثيرة منها ارتخاء عضلات الوجه فتنفتح العينان والفم . وفقد انحناء الظهر فيتسطح بوضع الجثة على السرير او على مائدة . واصفرار الوجه اصفراراً خاصاً . وفقد اللون الاحمر الذي يرى بين عقد الاصابع اذا وضعت الكف بين العين والمصباح . وعدم تفط الجلد واحمراره اذا مسته النار . وهذا الاخير يسمى علامة كريستسون وهو من اهم العلامات . ومنها انهُ اذا ربط خيط حول الاصبع ثم نزع لم يتغير لون الجلد . اما في الاحياء فان الخيط يترك دائرة بيضاء مكانهُ ثم تحمر وتصير اشد احمراراً مما حولها

على ان اهم العلامات لتمييز الموت حالاً وقوف القلب وانقطاع النفس . اما القلب فتستقصى حركتهُ بوضع الاذن على الصدر داخل حلمة الثدي الايسر . واما النفس فيسبر بوضع مرآة او ريشة امام الفم والانف . فاذا تكون على المرآة بخار او اضطربت الريشة فالتنفس باقٍ لم ينقطع والاَّ فلا . ومنهم من يملأ كأس ماء ويضعها على صدر المشتبه في موته وينظر الى نورها المنعكس على السقف فاذا ترجرج فالحياة باقية والاَّ فالموت واقع

وهناك اربعة امور مهمة لتعيين الوقت الذي انقضى على الموت . الاول انهُ بعد انقضاء اربع ساعات او اكثر تظهر بقع مزرقة على الظهر تظن عادة انها اثر رضوض وهي ليست كذلك . والثاني ان الجسم يأخذ في فقد حرارته بعد الموت حالاً حتى تهبط الى مثل حرارة الوسط الذي هو فيه بعد انقضاء ١٥ ساعة الى ٢٠ ساعة على الموت . ولكن اذا كان الطقس حارًّا او كان الميت قد مات بالاختناق فان فقد الحرارة يكون اكثر ابطاء مما تقدم . والثالث ان اليبوسة تبدأ بعضلات العنق بعد الموت باربع ساعات الى عشر ثم تمتد الى العضلات الاخرى وتتم بعد ذلك ببضع ساعات وتدوم يومين الى اربعة ثم تأخذ في الزوال شيئاً فشيئاً . وهي تدهم الجسم باسرع من ذلك اذا كان الموت بمرض من الامراض التي طال امدها . وكثيراً ما تفاجئ العليل على اثر آفة تصيب دماغهُ . واذا حني عضو متيبس في ميت زال عنهُ تيبسهُ . اما التخشب الذي يصيب الجسم الحي فلا يزال يلي العضو المتخشب بل يبقى كما كان . والرابع ان الانحلال علامة للموت اكيدة وهو يبدأ بظهور بقعة مخضرة على اسفل البطن بعد الموت بيومين او ثلاثة



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

الفلسفة المادية . حقيقتها . ونتائجها

عزيزي الدكتور صرُّوف

اشكرك اولاً . ثم استميحك الإذن في الملاحظة الآتية

في كلامك على « الرَّجحان » في المقتطف قلت :

« والظاهر ان الدكتور نظم هذه القصيدة وشرحها قبل نشوب الحرب الحاضرة وما انتجتهُ الفلسفة المادية »

فهل انت من المعتقدين ان الحرب الحاضرة وفظائعها نتيجة هذه الفلسفة ؟

اذا كان العلم اليوم زاد العدَّة فتكاً والسطوة اتساعاً ، ولم يهذّب الطبائع كما ينبغي ، ولم ينظّف العقول كما يجب ، ولم يمنع الحروب الجائرة ، فهل كانت الحال في الماضي اصلح ، وهل كانت الحروب اقلَّ ، أم كانت اكثر جنوّاً وفظائعها اشنع كذلك « بطبيعتها » منها اليوم ، مع شدَّة شناعة الحرب الحاضرة ؟ وهل يجوز في احكامنا ان ننسى تاريخ المقابلة ؟

وما هي الفلسفة الماديَّة ، وما هو تعليمها في الاجتماع ؟

يقولون ان الفلسفة الماديَّة انما هي فلسفة المصلحة ، وان المصلحة سبب الحرب اليوم . وكلا القولين صحيح . ولكنهم يقولون ايضاً — والجرائد صرعتنا (١) بترديد هذا القول — ان فلسفة المصلحة من شرّ التعاليم . فهل هذا صحيح ؟

ألم تكن الحروب في الماضي لاجل المصلحة ؟ أوَ ليست المصلحة الدافع لنا في اعمالنا جميعها حسنة كانت ام غير حسنة ، ماديَّة او ادبيَّة ، دنيويَّة ام غير دنيويَّة ، وهل أحد منا يسعى لغير مصلحة ؟

(١) بالمعنى العامي الدارج

فماذا تُشانُ المصلحة ان تكون محازنا في اعمالنا ؟

ولكن المصلحة ما هي ؟ واين هي؟

هذا الذي يختلف الناس فيهِ ، وقلَّ منهم من يفهمهُ على جليَّتهِ ، او يعمل بهِ وإن فهمهُ ان لم يرسخ في طبيعتهِ

اكثر الناس في الاجتماع حتى اليوم يعملون كأنَّ مصلحتهم لا تتفق على مصلحة سواهم وهذا سبب اكثر مصائب الاجتماع وتثاقلهِ في ارتقائهِ . وكان ذلك في الماضي اكثر منهُ اليوم فمن كان المسؤول في الماضي ؟

الفلسفة المادية اساسها علم الطبيعة[1] . فماذا يعلّمنا نظام الطبيعة في امر هذه المصلحة ؟

الطبيعة تنظر الى المصلحة العامَّة في كل أعمالها ، ولكنَّ المصلحة العامَّة تتوقَّف على المصلحة الخاصَّة ، وإلاَّ لم تنتظم مجاميع من وحدات ، ولم تنتظم اجسام من مجاميع ، فهي لذلك تنظر الى المصلحة المشتركة ايضاً

نعم ان في الطبيعة شيئاً كثيراً من القسوة ، لأنَّ فيها كثيراً من الإسراف كما في مثال بيض السمك وازهار النبات الذي ضربتهُ . والقسوة هنا شرطٌ لازم لتوفير المصلحة العامَّة ، وإلاَّ عمَّ الموت وبادت المجاميع وبادت الانواع لعدم كفاءة القوت . فعمل الطبيعة هنا معقول

والإسراف هنا ليس تبذيراً ، بل هو عملٌ اقتصاديٌّ من جنس الاعمال الاحتياطيَّة لسلامة الكل . ولذلك هو يكثر في ما كان كثير التعرُّض للطوارئ ، كما في الاحياء التي لا تحضن بيضها ، ويقلُّ في ما كان قليل هذا التعرُّض كما في الحيوانات التي تحضن بيضها واولادها ومنها الانسان . فالعمل هنا في غاية الاحكام والغرض الكلي منهُ متوفر

والتنازع بين وحدات الجسم الواحد ومجاميعهِ مهما اشتدَّ فهو تنازع انتخابي لمصلحة الجسم وليس هو غالباً العداء المفكك لاوصالهِ . ولا يكون كذلك الاَّ بين المتغايرات لمصلحة المتماثلات

هذا ما يعلمنا اياهُ نظام الطبيعة الغشيمة وتطبعهُ فينا فلسفتها المادية . وللعقل شأن كبير في ذلك في الاجتماع . ولكنهُ لا يخرج فيهِ عن هذه القاعدة حتى يقع في الحيف . وخروجهُ عنها حتى اليوم كثير

---

(١) كان حقها ان تسمى الفلسفة الطبيعية او فلسفة الطبيعة لما كانوا في الماضي يلحقون بلفظة « المادية » من الشبهات من انها فلسفة شهوانية لدفع ما قد يكون من ذلك عالقاً في ذهن البعض حتى اليوم

فهل الحرب الحاضرة تنطبق على هذه الفلسفة او هل تعاليم مثيريها في الاجتماع معقولة ولو انهم اساطين في العلم ؟

الاجتماع كالجسم الحي · جسم متماثل لهُ وحداتهُ ومجاميعهُ نظيرهُ هي الامم والافراد· ونظامهُ كنظامهِ

فهل في نظام الجسم الحيّ ما يوجب هذا التنازع التقاطعي المفكّك الّا في احوال معينة اوضحناها هناك كالقضاء على وحدات فاسدة لصيانة المجموع او على مجموعٍ غير صالح ان لم يكن اصلاحهُ لصيانة الجسم · وما خلا ذلك أفليس نظام هذا الجسم يعلمنا ان التنازع في الاجسام المتماثلة مهما راح فيهِ من الضحايا فهو تنازع تعاوني اذا جاز لي ان اسمّي هذا العمل للمصلحة العامة هكذا ؟

والمراد من قولنا المتماثلات والمتغايرات يتضح جيداً من قول اليازجي الكبير

اني رأيت الأُسد أحسن خلّةً من جنس هذا الناطق المتمرّدِ
الناس تقتل كل يوم بعضها والأُسد تقتل غيرها اذ تعتدي

فهل يجوز ان تكون الفلسفة الماديّة او فلسفة المصلحة سبب هذه الحرب وفظائعها وهي في جسمٍ متماثل و بين اعضاء صحيحة وعلى مصلحة غير متوفّرة لاحد ؟ أم الأَولى ان يكون سببها سوء فهم هذه المصلحة لا انها نتيجة هذه الفلسفة ؟

وما هو شان هذه الفلسفة في الاجتماع والعلم لم يتخلّل طبقات العامّة · ولم يختمر ولم ينضج في رؤُوس الخاصة انفسهم

والشواهد على ذلك كثيرة من نقاص المجتمع عامّةً وخاصةً عن المشروعات العمومية النافعة لهُ كأنّ العامّة لا تدري وكأنّ علم الخاصّة « عذريّ »

بل شاهدُنا هذه الحرب نفسها التي تراق فيها الدماء بحاراً وتذهب المصالح فيها جزافًا لمطامع جنونية في رأسٍ مفتونٍ تحف بهِ زمرة من تجار وسياسيين وعلماء خربي الذم او مشرّدي الروية · وهل ينقاد للسفّاحين المخرّبين غير المغفّلين ؟

فالفلسفة المادية غير مسؤُولة عن هذه الحرب · وكان يجب ان تنهى عنها لو كانت النفوس متشبّعة منها ومدركة لها عملاً بالمصلحة المشتركة التي لا تتوفّر المصالح عامة بدونها — وما المسؤُول عنها حقيقةً غير الطمع الجائر والجهل المطبق · والجهل بين الامم الراقية حتى اليوم اكثر جداً مما يُظنّ

ألا ترى الأصوب ان تقول معي انَّ السبب الحقيقي اليوم لهذه الحرب الكبرى هو الانتقال في الاجتماع من قديمٍ راسخ الى جديد لم يستقرّ وانت تعلم كم هي اطوار الانتقال في الطبيعة عنيفة وشديدة الخطر . لان الانسان اذا كان حتى اليوم لا يعرف مصلحتهُ في الاجتماع كما ينبغي ففي الطبيعة نواميس تعاقب الذي يقف في وجه المصلحة العامة وتقضي على افتئاته وتردُّهُ الى هذه المصلحة التي فيها مصلحته ايضاً . وسيخرج الاجتماع بعد هذه الحرب الى حال أصلح تنقشع فيها شيئاً السحابات الكثيفة التي تغمُّ على العقول . ولكن بعد عنف شديد من اثر ذلك التباطؤ وتراكم المتباينات . وكان ينبغي على العقل ان يقيهُ شرَّ ذلك لو كان أنقى وأرقى

٭٭

واما ما ذكرتهُ من امر الاتصال والانفصال والوجود والخلود واحتمال بقاء الوجدانات الخ . فلا أطيل فيه لئلاَّ يردَّنا الى نظريات يطول الاخذ والرد فيها على غير جدوى وشأن العلم فيها ضعيف

وكلامك في ذلك قسمان عليٌّ وغير عليّ او طبيعي واحتمالي . فالطبيعي لا محلّ للخلاف فيهِ . واما الاحتمالي فمذهبك فيهِ ما عدا انهُ يخالف الشائع المعروف هو مزيجٌ اقرب تارةً الى اللاأدرية ، وتارة الى المذاهب العلية الطبيعية . ولكنهُ يختلف عنها باحتمال بقاء الوجدان بعد فناء الجثمان في القوَّة الشاملة الخالدة المتصلة على صورة يصعب تصوُّرها . فإما ان يكون بقاؤهُ ضمن الطبيعة . وحينئذٍ يجب ان يكون فيها على غير ما يُعلَم عن بقاء قوى سائر الموجودات الطبيعية التي تنشأ منها وتفنى فيها . وما دليلنا عليهِ؟ و إما هو خارج الطبيعة وحينئذٍ يبقى علينا ان نفهم فوق ذلك كيف يكون هذا الانفصال عنها مع ذلك الاتصال بها . والاجتهاد هنا بيّن . والحكمة التي سردت عليها الادلة في نظام الطبيعة على صورة خلاَّبة ليست كذلك الاَّ اذا كان النظام المذكور طبيعيًّا اضطراريًّا . والاَّ لم تكن لكثرة النقص الذي لا يذهب عليك فيهِ من مثل الإسراف الذي ذكرتهُ . ومن مثل الاعضاء الاثرية وكثرة تبدد القوى في الطبيعة كما لا يخفى . وكان ينبغي اتقاؤهُ لو كان العمل غير طبيعي . اللهمَّ الاَّ ان تكون فيهِ على مذهب استاذنا الاكبر الدكتور فان ديك « من ان الذي يصنع ساعة تصنع ساعات هو اعظم من الذي يصنع كل ساعةٍ وحدها » فيكون الشأن بعد ذلك للطبيعة . على ان ذلك معا فيهِ من الحكمة للتسائح الذي فيهِ لاجل العلم لا يجلو مسألة الخلق من طبيعي تارةً وغير طبيعي اخرى بالنظر الى مقامهِ من هذا الاتصال

والانفصال في آنٍ واحد ، ولا يبين مكان الاستقلال للصانع ، وكيفية بقاء الوجدان للمصنوع . واذا كنا لا نفهم المراد من هذا البناء والهدم المترادفين لغرضٍ غير طبيعي فماذا يهمُّ الطبيعة من ذلك والغرض الطبيعي منهُ متوفر لها في تطوُّرها . ولا بأس من ذلك كلهِ اذا كانت النفوس ترتاح اليهِ واذا كان لا يقف في سبيل العلم . واليوم لا يقف كما كان يقف منذ خمسين سنة فقط . والشوط الذي قطعهُ العقل في هذه المدة من هذا القبيل يفوق كل حساب . اذكر ذلك هنا ليس لانهُ من موضوعنا ولكن لأُبدي سروري من التحوُّل البديع الذي حصل في العقول في هذه البرهة الوجيزة بالمذاهب العلمية الحديثة التي كان لمقتطفكم الأغرّ الفضل الاول والاكبر في نشرها بيننا . — واقبل فائق احترامي

الدكتور
شبلي شميل

[المقتطف] لم نكد نقرأ قولكم

قابلوا عصرنا بظلم عصور سادها الدين ثم بعد اجيبوا

حتى تمثلت امام اعيننا فظائع الحرب الحاضرة واستعداد الالمان لها ماديًّا وادبيًّا . ماديًّا باعداد العدة الكثيرة لها من القواد والجنود والمدافع والقنابل والغازات والجواسيس والقواعد التي تنصب عليها المدافع في بلاد العدو . وادبيًّا بسعي فلاسفة الالمان وعلمائهم الى استخدام العلوم الفلسفية والبيولوجية لاقناع الشعب الالماني انهُ ارقى الشعوب كلها ويجب ان يسودها ويستحل في سبيل هذه السيادة كل محرَّم . ولذلك ظننا انكم نظمتم قصيدتكم وشرحتموها قبل شبوب هذه الحرب وما انتجتهُ هذه الفلسفة المادية . وعسى ان تطالعوا خطبة الفيلسوف برغسن التي افتتحنا بها هذا الجزء ومقالة صديقكم الدكتور ابي خاطر فيهِ

ونريد بالفلسفة المادية الفلسفة التي تعلم الناس ان يحصروا نظرهم في المادة ونواميسها وينفوا كل ما سواها . فهي لا تكتفي بقول الفيلسوف سبنسر ان الخالق غير معروف ولا يعرف بل تنفي وجودهُ مستقلاً عن المادة كما قال الفيلسوف لوتز . واذا صحَّت هذه الفلسفة وجدت فيها فظائع الالمان اقوى مبرّرٍ لها والاَّ فكيف لا يجوز للانسان ان يقتل الذين يرى انهم واقفون في سبيل تقدمهِ كما يجوز لهُ ان يقتل الاسود والذئاب والبعوض والذباب . ولماذا لا يجوز لابن باريس وبرلين ان يقتل الزنوج الذين يمنعونهُ من دخول غابة في قلب افريقية ليصطاد فيها كما يجوز لهُ ان يقتل قرداً او افعى يمنعانهِ من دخولها . الا ترون ان المانع الذي يمنع الناس من ان يغبن اقوياؤُهم ضعفاءهم هو في الغالب شيءٌ غير المادة وغير نواميسها

ولا يفيد الاحتجاج بالعجماوات ان طوائفها عائشة على تمام الصفاء كما في النمل والنحل والجراد لا يفني بعضها بعضاً ولا وازع لها غير الناموس الطبيعي فان العجماوات مرَّ عليها ملايين كثيرة من السنين وهي على حال واحدة تقريباً فرسخت فيها غرائز يتعذر نزعها منها . وأما البشر فشذوا عن سائر انواع الحيوان من هذا القبيل مهما كانت اسباب هذا الشذوذ وتمكنوا من التغلُّب على طباعهم والتطبع بغيرها . فاذا قام في نفوس جماعة انهم ارقى من غيرهم وانهُ يجوز لهم ان يتسلطوا على الغير ويمتهنوهُ فعلوا ذلك . وهذا كان شأنهم من قديم الزمان ويظهر لنا انهُ زاد في هذه الايام حيث بني على قواعد علمية كما بناهُ فلاسفة الالمان حتى ان الشاعر كبلنغ الانكليزي وهو من اهل الخيال الذين ينتظر منهم ان يكونوا ابعد الناس عن الغطرسة واقربهم الى السجية السمحاء طلب من قومهِ في بعض قصائدهِ ان يعاملوا اهالي جنوب افريقية كما يعاملون انفع المواشي لهم . واناس يقولون هذا القول لا يكثر عليهم ان يذبحوا تلك المواشي اذا نشزت عليهم او استطيبوا لحمها . والظاهر ان الالمان يفعلون مثل ذلك في مستعمراتهم ولكننا نعتقد ان الشعب الانكليزي لا يزال متمسكاً بقواعد دينهِ الذي يعلِّم ان الناس كلهم اخوة ومن دم واحد فهو ارأَف من الالمان بسكان افريقية وبكل مستضعف

ورب قائل يقول ان الفلسفة المادية تمنع ارتكاب الفظائع وتنهى عن اثارة الحروب وتوجب على الناس ان يعيشوا عيشة راضية . ولكن القول شيءٌ وتأييدهُ شيءٌ آخر لاسيما وان المشاهد ينفي هذا القول ويثبت ان الفلسفة المادية مسؤُولة عن هذه الحرب وان عدم نهيها عنها كان حيث النفوس مشبعة منها . اما سائر البلدان حيث النفوس غير مشبعة منها فارتكاب الناس للفظائع قليل جداً . وقُبيل كتابة هذه السطور وقع نظرنا على المقطم الصادر اليوم (٢٤ مارس) وفي تلغرافاتهِ واخبارهِ الفقرات التالية

(١) «كان في محطة سكة الحديد (في مدينة زيبروج) قطار الماني فيهِ ٣٥٠ جريحاً من الالمان فلم تقذف الطيارات والبوارج (الانكليزية والفرنسوية) القنابل عليهم»

(٢) «وقد انقذ الروس جميع بحارة الباخرة» (والباخرة المانية)

(٣) «ومما يجدر ذكرهُ في هذا الصدد ان جميع الدوائر العسكرية البريطانية تطري الضباط والجنود العثمانيين على ما ابدوهُ من الشهامة والرجولية في حربهم وتقابل بين هذه الصفات العسكرية الرائعة وبين ما فعلهُ الالمان»

والتقينا نحن ببعض الذين عادوا من غليبولي من ضباط الجيش البريطاني وسمعناهم يثنون

الثناء المستطاب على الجنود العثمانية وقد ذكروا لنا بعض افعالهم الدالة على شهامتهم ومروءتهم وقالوا انهم لم يروا منهم شيئاً يعاب عليهم

(٤) ان الضباط الترك والضباط العرب عاملوهم (اي عاملوا الاسرى البريطانيين الذين كانوا في اسر العرب في حدود مصر الغربية) بالرفق والانسانية والشفقة وان المشقة التي عانوها لم تنشأ عن سوء المعاملة بل عن قلة الطعام واللباس والادوية وان آسريهم كانوا مثلهم وقاسوا معهم ما قاسوه من هذا القبيل»

فقابلوا ايها الدكتور الفاضل بين افعال هؤلاء الانكليز والفرنسويين والروس والترك والعرب وبين افعال الالمان تلامذة الفلاسفة الماديين وما فعلوه بركاب السفن التي اغرقوها وبالاسرى الذين اسروهم وبالنساء والبنات اللواتي احتلوا بلادهن

وكل ما تقدم لا يحط من قيمة العلوم الطبيعية ونفعها الكبير ولا ينفي وجوب الحث على تعلمها والعمل بها ولكنهُ يدل على حاجة الانسان الى التعاليم الادبية مهما كان اسمها — التعاليم التي توجب على الناس الحب والرحمة والحنان وتصرفهم عن القسوة والغطرسة والايثار

أما سائر ما استطردتم الى ذكره مما تقوم عليهِ ادلة علمية او فلسفية او لا يزال في معرض الفرض فالاسهاب فيهِ يبعدنا عن الموضوع المقصود بالذات . واننا نشكركم على ما وصفتم بهِ المقتطف وهو يفتخر بان قراءه استفادوا مما تتحفونهُ بهِ آونة الى اخرى من الفوائد العلمية والادبية والفلسفية

المصطلحات الفلسفية

سادتي الافاضل

على السؤال نمرة ٢ من مقتطف فبراير الحاضر اجبتم الاستاذ عبد الباري ان كتب الفلسفة تأليف ابن سينا لا تفهم (وهي الحقيقة التي لا جدال فيها ولا مراء) . غير اني بينما كنت بالامس اتصفح فهرس مكتبة «هندية» لسنة ١٩١٦ قرأت في الصفحة ٣٧ منها سطر ٤ اسم كتاب «مبادئ الفلسفة القديمة لابي النصر الفارابي» فجئت بهذا اقول انهُ ربما كان في هذا الكتاب ما يفي ببعض حاجة الاستاذ عبد الباري والسلام ختام

احمد الصراف



الميكانيكا التطبيقية

لقد احسنت وزارة المعارف بما ابدت من الاهتمام بترجمة كتب التدريس من الانكليزية واختيارها الكتب التي تدرَّس في اكبر الجامعات الانكليزية .مثل هذا الكتاب في مبادئ الميكانيكا التطبيقية

اما الترجمة فنود ان تكون غاية في الدقة وان لا يعدل فيها عن المصطلحات الرياضية العربية القديمة ففي الصفحة الثانية من هذا الكتاب كلمة القطع الناقص ولم نفهم المراد بها الأ بعد ما قرأنا ما يليها فعلمنا انهُ اريد بها ما نسميهِ بالاهليلجي وقد اصطلحنا على تسمية القطر الاطول بالقطر والاقصر بالمنضم فتصير قاعدة مساحة الاهليلجي هكذا اضرب القطر في منضمهِ والحاصل في ٧٨٥٤ر٠ اي في $\frac{ط}{٤}$

ولا يخفى ان طالب العلم لا يكتفي بكتاب يدرسهُ في المدرسة بل لا بدَّ له من مطالعة المطولات والمجلات المختصة بذلك العلم وهذه لا وجود لها في العربية الآن فلا بدَّ من مطالعتها بالانكليزية او الفرنسوية فحبذا لو الحق بهذا الكتاب وامثالهِ من الكتب العلمية المترجمة حديثاً معجم تذكر فيهِ كل الكلمات العلمية الاصطلاحية وما يقابلها في الانكليزية او الفرنسوية او فيهما كلتيهما فتسهل على الطلبة مراجعة المطولات فيهما . والكتاب كبير يقع في ٥٤٤ صفحة وهو مطبوع طبعاً حسناً جدًّا وموضح بما يلزم من الرسوم والاشكال وفيهِ تمارين كثيرة

الآلات الحرارية

يقال في هذا الكتاب ما قيل في الذي تقدمهُ من انهُ مترجم في وزارة المعارف من كتاب انكليزي من خيرة الكتب الموضوعة في بابهِ وحبذا لو الحق بهِ معجم تذكر فيهِ الكلمات الاصطلاحية مع ما يقابلها باللغة الانكليزية . ثم ان اكثر المسائل التي الحقت بهذا الكتاب نظري وقد وجدنا بالاختبار ان القواعد النظرية لا تفهم جيداً ولا ترسخ في الذهن الأ اذا عُمل بها . فحبذا لو زيدت المسائل العملية الملحقة بهذا الكتاب وجملت مما يقع للمهندس والميكانيكي في تعاطي اعمالها في هذا القطر

الكتاب الابتدائي في الهندسة

هو ايضاً من الكتب العلمية التي ترجمت حديثاً في وزارة المعارف عن كتاب انكليزي وقد يعذر مترجمو الكتابين الاولين اذا استعملوا مصطلحات غير عربية او بعيدة عن المألوف أما مترجمو هذا الكتاب فلا يعذرون لان العرب ترجموا كتب اقليدس وارخميدس منذ مئات من السنين وترجمة الطوسي لاقليدس مطبوعة مشهورة · واصول اقليدس تغني عن كل كتاب هندسي أُلف بعدها على نسقها

وحبذا لو دُقق في قراءة مسودات هذا الكتاب حتى يخلو من الغلط المطبعي ففي الصفحة ٧ قيل ان الخط الفاصل بين المركز والمحيط يسمى نصف « قطر » والصواب الواصل بين المركز والمحيط · وفي الصفحة ١٤ والسطر الذي قبل الاخير قيل وهنا يكون خط افقي مستقيم اي خط مستقيم « يضع » زاوية قائمة والصواب يصنع او يكوّن · وفي الصفحة ١٤٢ والسطر ٣ « اقواسها » والصواب « قوسهما » متى كان لهما قوس واحدة

وفي الكتاب كثير من المسائل والتمارين التي ترسخ قواعدهُ في ذهن الطالب

شرح « المضنون بهِ على غير اهلهِ »

وهو شرح العلاَّمة عبد الله بن عبد الكافي على الابيات التي انتخبها الشيخ الامام العلامة عز الدين عبد الوهاب الزنجاني · وقد تولى طبعهُ الاستاذ اسحق بنيامين يهودا وقدم لهُ مقدمة مسهبة قال فيها انهُ استنسخهُ من النسخة الوحيدة التي في المكتبة الخالدية بالقدس الشريف واسقط منهُ بيتاً لمجونهِ وجملة حشوية لفحش الفاظها وحبذا لو اسقط منهُ اكثر باب المجاه · الى ان قال ان الكتاب مجموع من عيون المختارات والدواوين ويشتمل على لب لباب الادب وزبدة اشعار العرب من جاهليين ومخضرمين ومولدين · وجاء في هذا الكتاب نسبة الابيات الثلاثة الاولى من قصيدة السموأل المشهورة لعبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي فنبه لذلك في المقدمة واستطرد الى نسب السموأل وما فعلهُ الاب شيخو بديوانهِ

والاشعار المجموعة في هذا الكتاب مقسومة الى ثمانية ابواب وهي الكتب ومجالستها · والمدح والوصف · والشوق والحنين · والنسيب والتشبيب · والتهاني · والمراثي · والشكاية · والهجو · وقد الحق بهِ فهرساً لاسماء الشعراء المذكورين في الكتاب مرتبة على حروف المعجم وضبط الاشعار بالشكل الكامل

احصاء المكاتب والمدارس

في القطر المصري

اصدرت مصلحة عموم الاحصاء العمومية احصاءها السنوي للكتاتيب والمدارس في القطر المصري لسنة ١٩١٤ — ١٩١٥ المكتبية فاذا عدد الكتاتيب التابعة لها ٧٦٠٠ والمعلمين ١٤٠٠٠ والتلاميذ ٣٨٢٠٠٠ يقابلها ٤١٠٠ كتّاب و ٨٨٠٠ معلم و٢٣٥٨٠٠ تلميذ سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ . اما المدارس فقد نقص ٥ منها ونحو ٦ آلاف تلميذ عن احصاء سنة ١٩١٢

وقد عللت المصلحة زيادة الكتاتيب وتلاميذها بقولها :

« ولا يمكن ان تكون هذه الفروقات ناتجة عن زيادة حقيقية في ظرف سنة واحدة . ولكن وزارة المعارف العمومية كانت قائمة بعمل احصاء سنوي عن الكتاتيب الأ ان هذا الاحصاء لم يكن شاملاً الأ جزءا من تلك الكتاتيب وخصوصاً التابعة لها والمرتب لها اعانة والتي تحت مراقبتها »

وعللت نقص المدارس بقولها : ان سببهُ الحرب التي دعت الى اقفال بعض المدارس واضطرت بعض الآباء الى اخراج ابنائهم منها بحكم الاقتصاد

واعظم نقص ظهر كان في عدد تلاميذ المدارس المصرية فهبط من ١١٤٠٠٠ سنة ١٩١٢ الى ١١١٠٠٠ سنة ١٩١٤ . اما تلاميذ المدارس الانكليزية والفرنسوية واليونانية فقد زاد عددهم قليلاً

وبلغ مجموع تلاميذ الكتاتيب والمدارس ٥٣٧٢٠٠ اي نحو ٢٣ في المئة من مجموع سكان القطر . وقد جاء في احصاء سنة ١٩٠٧ ان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ٦٠٩٣٢٢ فقط وهذا غير معقول . وقد عللت المصلحة ذلك بقولها : ولا بد ان يكون وقع غلط في قيدهم وربما يكون ذلك الغلط ناشئاً من سهو حصل لبعض العادّين فلم يسئلوا من آباء الاولاد عمّا اذا كان ابناؤهم الصغار يقرأون ويكتبون »

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) انتقال الافكار

مصر . مدرسة القضاء الشرعي محمد افندي كامل الغمراوي . يدَّعي بعضهم انهُ في مكنتهِ ان يغير من افكار غيرهِ عن بُعد فاذا اراد مثلاً اصلح بين الزوجين او بعث في قلب اليئِس من الحياة ما يسمَّى بالانكليزية vitality وذلك بان يوجه اليهِ فكرهُ بكليتهِ فيرسل منهُ شعاعاً يوحي بواسطتهِ اليهِ ما يريد . واظن هذا من قبيل التنويم المغنطيسي وانتم لا تنكرونهُ فهل ترون صحة ما يدعيهِ

ج . ان الذين يدَّعون ذلك يقولون انهُ من قبيل التلبثي اي تأثير العقول بعضها ببعض عن بعد بغير واسطة محسوسة كأن يصدر من عقل زيد حينما يفتكر امواج تفعل بالاثير ويصل فعلها بهِ الى عقل عمرو . لكن لم يقم دليل قاطع على صحة ذلك حتى الآن . ولو كان انتقال الافكار على هذه الصورة صحيحاً لكثر استعمالهُ والانتفاع بهِ كما استُعمل نقل الامواج الكهربائية من غير سلك في التلغراف اللاسلكي . الآن قولنا ان هذا الشيء او ذاك غير صحيح او لم يقم دليل على صحتهِ لا يستلزم انهُ محال لذاتهِ بل مرادنا انهُ غير صحيح حسب ما وصل اليهِ العلماء الباحثون حتى الآن . وهذا لا ينفي ان تثبت صحتهُ في المستقبل القريب او البعيد

(٢) تعريب الكتب العلمية

مصر . م . م هل في الامكان ان تترجم الكتب العلمية الى العربية ولو كانت في العلوم الحديثة كالجيولوجيا والبيولوجيا والبكتريولوجيا

ج . نعم ولكن لا بدَّ من تعريب كثير من الكلمات العلمية فيها اي لا بدَّ من ابقاء كثير من الكلمات العلمية الحديثة بلفظها كما في اسماء هذه العلوم الثلاثة وذلك يشمل كل الكلمات التي تبقى بلفظ واحد تقريباً سواء كان الكتاب العلمي بالانكليزية او الفرنسوية او الايطالية . اما الكلمات القديمة الوضع التي يراد بها الحرارة والقوة والمرونة والسرعة

والكثافة واللطافة والتجزؤ والالتصاق والجذب والدفع وما اشبه فلا بدَّ من ترجمتها بمثل هذه الكلمات العربية التي تؤدي معناها . ونشير بان يؤلف مجلس علمي من كبار العلماء الذين لهم المام واسع بالعربية وبلغة او اكثر من اللغات الاوربية وباكثر العلوم الرياضية والطبيعية حتى يختاروا اصلح الالفاظ التي تؤدي المعنى المراد او ما اصطلح عليهِ مترجمو الكتب الرياضية والطبية والفلسفية من اليونانية الى العربية في عهد العباسيين . ولقد كتبنا في المقتطف في كل موضوع علمي وفلسفي ورياضي ولم نجد كبير مشقة في اختيار الالفاظ المؤدية للمعاني المطلوبة

(٣) تعليم العلوم بالعربية

ومنهُ . وهل تعليم هذه العلوم بالعربية مع ما فيهِ من الاضطرار الى ترجمة الكتب اصلح وانفع للبلاد من تعليمها بلغة اوربية كالانكليزية او الفرنسوية على كثرة ما فيها من الكتب العلمية

ج . نعم على شرط ان تكون عبارة الكتب العلمية العربية بسيطة صحيحة مدققة سواء كانت مؤلفة او مترجمة . فان تعلُّم التلميذ العلم بلغتهِ التي رضعها مع اللبن واتقن فهمها اسهل عليهِ من تعلمهِ بلغة اجنبية لم يتقنها كما اتقن لغتهُ . ثم ان العلم يقتضي المطالعة والمذاكرة ايضاً وقد تكون المذاكرة اهم من المطالعة وهي اسهل باللغة الوطنية منها باللغة الاجنبية . وهناك امر آخر لا يقلُّ اهمية عن المطالعة والمذاكرة وهو انهُ اذا بقي التعليم بلغة اجنبية فلا بدَّ من الاعتماد على الاساتذة الاجانب دائماً فيُسدُّ في وجه ابناء البلاد اهم سبيل من سبل النجاح العلمي و يتعذر قيام العلماء المتبحرين منهم . ثم انهُ لا ينتظر ان يطلب العلم في المدارس العالية الاَّ نفر قليل جدًّا من ابناء البلاد والباقون يستفيدون مما يؤلفهُ هؤلاء من الكتب وما ينشرونهُ في الجرائد والمجلات فاذا تعلموا العلوم بلغة اجنبية تعذر عليهم ان يفيدوا ابناء بلادهم باقلامهم وتبقى البلاد مفتقرة الى غيرها في كل العلوم والفنون وما يترتب عليها

(٤) قلة الاساتذة الوطنيين

ومنهُ . ان الاساتذة المتعلمين المتبحرين من ابناء الوطن الذين قرنوا العلم بالعمل لا يزالون قليلين جدًّا ولا بدَّ لنا من الاعتماد على اساتذة من الاجانب فاذا اشترطتم بان يكون التعليم باللغة العربية تعذر علينا الانتفاع بالاساتذة الاجانب لانهم لا يستطعون تعليم العلوم باللغة العربية فكيف تعالج هذه الحال حينئذٍ

ج . ان الاستاذ الاجنبي لم يخلق استاذاً بل خلق طفلاً ابكم مثل سائر اطفال البشر وهو يتعلم مثل غيره ثم يمارس صناعة التعليم . فما يستطيعهُ هو حينئذٍ يستطيعهُ كل تلميذ

يتعلم مثلهُ ويجتهد اجهادهُ ويكون ميلهُ الى التعليم مثل ميلهِ . بل يُنتظر من الوطني ان يكون اشد من الاجنبي رغبةً في تعليم ابناء وطنهِ . والتلامذة الذين اتمُّوا دروسهم في هذا القطر ثم ذهبوا في الرسالات العلمية الى اوربا وتخرَّجوا في بعض جامعاتها يجب ان يكونوا اقدر من غيرهم على تعليم ابناء بلادهم . وهـذا لا ينفي استدعاء نوابغ الاساتذة الاوربيين من وقت الى آخر والانتفاع بعلمهم واساليبهم في التعليم

لما كنا ندرُس وندرِّس في المدرسة الكلية الاميركية ببيروت لم يخطر على بالنا قط ان الاستاذ الاوربي او الاميركي يفوق الاستاذ الوطني الذي درس درسهُ . فتعليم العلوم اللغوية والرياضية والطبيعية والكيماوية والطبية على انواعها تناوبهُ الاساتذة السوريون والاميركيون ولم يثبت هؤلاء انهم اقدر من اولئك في التعليم ولا بعد ما صار التعليم بالانكليزية . ونعتقد ان ما جرى هناك يجري ايضاً في هذا القطر او يجب ان يجري فيهِ . ومتى كان الغرض الوحيد من المدارس تعليم التلامذة وتعليم البلاد بهم لم يتعذر ايجاد افضل السبل المؤدية الى ذلك . واذا بدا خطأ من ابناء البلاد كما يقع غالباً في بداءة كل امر فانهم يصلحونهُ رويداً رويداً . والانسان يتعلم من خطاءهِ اكثر مما يتعلم من اصابتهِ . والطفل الذي لا يُترك ليمشي ويعثر مراراً كثيرة بل يُحمل على الذراعين دواماً لكي لا يعثر لا يتعلم المشي ابداً

(٥) الهنود واكل اللحم

ميت ابو خالد . محمود افندي بيومي . هل الهنود غير المسلمين لا يأكلون اللحوم وان كان فما حكمتهم في ذلك

ج . ان البراهمة لا يأكلون لحم البقر . وهذا كان شأن المصريين والفينيقيين وسبب امتناعهم عن اكل لحم البقر اعتقادهم ان فيها روحاً قدسياً . ثم ان الزهاد منهم يحرم عليهم قتل الحيوانات مطلقاً حتى الديدان والخنافس وهم يستعطون طعامهم استعطاء والظاهر انهم لا يمتنعون عن اكل طعام اعطي لهم وفيهِ لحم غير لحم البقر

(٦) الاحلام والتنويم

ومنهُ . هل للاحلام علاقة بالتنويم المغنطيسي

ج . يكاد النوم المغنطيسي يكون مثل النوم الطبيعي وما يتنبه في ذهن من ينام النوم المغنطيسي يكاد يكون مثل ما يتنبه في ذهن النائم النوم المغنطيسي . وسنبسط الكلام على الاحلام والنوم المغنطيسي في الجزء التالي

(٧) ازالة النمش

الاسكندرية . ملك افندي سعيد لويس . ما هي افضل طريقة لازالة النمش من الوجه

ج · ما من طريقة تزيل النمش من الوجه وتمنع ظهوره ثانية ولكن اذا اذيب هيبو سلفيت الصودا sodium byposulphite او كلوريد الامونيا ammonium chloride مع قليل من السليماني corrosive sublimate (½ قمحة منهُ في ثمانية دراهم من الماء) وبلت خرقة بالمذوب ووضعت على النمش فالغالب انهُ يختفي كلهُ او اكثره ولو مدة · ومما يفيد ايضاً دهن النمش بدهان هيبو كلوريت الكبريت درهم منهُ في ثمانية دراهم من المادة التي يصنع منها الدهان

(٨) حفظ الغلال من السوس

ومنهُ · ما هي افضل طريقة لحفظ الغلال وبالاخص الفول من التسويس

ج اذا اريد حفظهُ علفاً للمواشي فالطريقة المتبعة وهي دشهُ قبلما يقع فيهِ السوس تحفظهُ منهُ واذا اريد حفظهُ للتقاوي فالطريقة المتبعة ايضاً وهي وضعهُ في المواعي وسدها سداً محكماً بالطين يحفظهُ من السوس · واذا اريد خزن الكثير منهُ في المخازن وكانت ارض المخازن من البلاط او الاسفلت وجدرانها خالية من الشقوق التي يقيم فيها السوس وخزن الفول فيها قبلما وقع فيهِ السوس ومُنع دخول السوس اليها حُفظ منهُ · ويمكن قتل كل السوس من المخازن ومنع دخولهِ اليها بصب قليل من بي كبريتيد الكربون في صحن ووضعهِ في اعلى كومة الفول في المخزن واقفال بابهِ وكواهُ كلها في كبريتيد الكربون يستحيل بخاراً ثقيلاً يملأ المخزن ويتخلل حبوب الفول و يقتل كل ما هناك من السوس ولا ضرر منهُ على الفول لانهُ يطير بعد مدة وتزول آثارهُ

(٩) لون الفول الابيض

ومنهُ · كيف يحفظ لون الفول الابيض الذي يكون بهِ وهو جديد

ج · يحفظ بوضعهِ في مكان خالٍ من الرطوبة

(١٠) الحرب وسير العمران

الاسكندرية · احمد افندي عبد العال سلامه · هل تؤخر الحرب الحالية سير العمران

ج · يتعذر الحكم في ذلك سلباً او ايجاباً الأ بعدما تضع الحرب اوزارها فنعلم متى انتهت وعلى اي شروط انتهت · فاذا انتهت هذا الصيف بفوز تام للحلفاء يمكنهم من ارجاع المانيا دولاً صغيرة فالغالب ان اوربا تسترجع قوتها سريعاً و يعود العمران الى سيرهِ المألوف واذا طالت سنة اخرى او سنتين او اكثر وبقيت سجالاً وانتهت باعياء الخصمين فالعمران يتأخر كثيراً وتخبو النار تحت الرماد الى ان تضطرم بعد سنين قليلة

(١١) تعلم اللاتينية

ومنهُ . لماذا تعلّم جامعات اوربا اللغة اللاتينيةَ مع انها ميتة

ج . لانها اصل أكثر اللغات الاوربية ولان فيها من كتب الادب ما ليس في غيرها ويقول البعض انهُ يجب العدول عن تعليمها مطلقاً ويقول غيرهم انهُ يجب الاكثار من تعليمها حتى تتم معرفتها كل البلدان المتمدنة او حتى تصير لغة عامَّة

(١٢) اشهر المجلات الانكليزية

ومنهُ . ما هي اشهر المجلات الانكليزية العلمية والتاريخية والعمومية

ج . يظهر لنا ان اشهر المجلات الانكليزية العلمية ناتشر Nature والعمومية القرن التاسع عشر والفورتنيتلي وبلاكوود ولا نعرف مجلة خاصة بعلم التاريخ ولكن أُنشئت حديثاً مجلة للبحث في الآثار المصرية وكل ما يتعلق بتاريخ مصر القديم . ثم ان منشورات الجمعية الاسيوية الملكية تبحث في كل ما يتعلق بتاريخ اسيا ولغاتها وآثارها

(١٣) سائل كندي

الجيزة . عزيز افندي انيس . ما هو سائل كندي المذكور في مقتطف فبراير في الكلام على علاج البخرفاني لم اجد صيدليًّا يعرف هذا الاسم

ج ان مذوب كندي Condy fluid هو مذوب برمغنات الصوديوم sodium permanganate

(١٤) كلوريد الكلسيوم وكلوريد البوتاس

ومنهُ . ان نسبة درهمين من كلوريد الكلسيوم او كلورات البوتاس في اوقية ماء الغرغرة لا يصرح بها صيدلي لانهُ يراها كثيرة فكيف ذلك

ج . ان الوصفتين اللتين تشيرون اليهما منقولتان عن السينتفك اميركان ولا نرى وجهاً لتخطئتهما فالسائل الذي يشرب مركب من ١٥ قمحة من كلورات البوتاس واوقية ماء فاذا فرضنا ان شربت الاوقية كلها في الجرعة فتكون الكلورات فيهما ١٥ قمحة وجرعة الكلورات الطبية من ١٠ قمحات الى ثلاثين قمحة مذابة في الماء ثلاث مرات في اليوم اما الغرغرة ففيها درهمان من كلوريد الكلسيوم مذابان في اوقية ماء واوقية سبيرتو ونصف اوقية ماء الورد . ولا ضرر من الغرغرة بشيء من هذا المذوب لانهُ لا يحتمل ان يبلع الانسان الاَّ نقطاً قليلة اذا بلع شيئاً والجرعة التي تشرب شراباً من كلوريد الكلسيوم ٣ قمحات الى ١٠ قمحات

(١٥) فائدة الياذة هوميروس

الابيض . اليوزباشي ثابت افندي حسن . ما هي فائدة الياذة هوميروس الادبية او التاريخية وكيف اميز بين حقائقها التاريخية واقوالها الخرافية

ج. ان فائدتها الادبية والتاريخية قليلة مثل اكثر القصائد الشعرية ويروى عن الفيلسوف هربرت سبنسر انهُ كان يستثقل قراءتها ويحسب انها اضاعة للوقت الا ان الذين عنوا بدرسها مثل الوزير غلادستون يعجبون بها غاية الاعجاب والذين شرحوها اشاروا غالباً الى ما هو حقيقي من حوادثها التاريخية . والظاهر انها مبنية على حوادث حقيقية وبها استدلَّ شليمن على آثار تروادة ونقبها فوجد فيها ابدع الآثار التاريخية

(١٦) هل الحرب علم

ومنهُ . ارجو الافادة عن الفارق بين كلمة علم وكلمة فن فاني لا اكاد افهم مدلول قولهم ان الالمان جعلوا فن الحرب علماً باصول

ج . يراد بالفن الصناعة اي العلم العملي كفن التصوير وفن النقش وفن الحفر. ويراد بالعلم القواعد النظرية التي بنى عليها غيرها كعلم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة . فعلم الحساب اي قواعد الجمع والطرح والضرب والقسمة والترقية والتجذير حقائق تستعمل في المعاملات التي تقتضي حساباً . وقيسوا على ذلك علم الجبر وعلم الهندسة وعلم الكيمياء وعلم الطبيعة

فاذا ثبت بالاستقراء ان الهجوم دفعةً واحدة بكل قوة الجيش في فاتحة الحرب كفيل بالظفر او نسبة الظفر فيهِ الى الفشل كبيرة جدًّا فذلك قاعدة علمية ولو كانت استقرائية. واذا ثبت ايضاً ان استعمال الاسلحة غير المألوفة عند الخصم يفعل بهِ فعلاً عصبيًّا شديداً فتضعف مقاومتهُ ويلوذ بالفرار وعلم سبب ذلك الفسيولوجي اوالنفسي فاتخذ قاعدة في الحرب فهذه القاعدة علمية يبنى عليها ولا شبهة ان الالمان استعملوا قواعد كلية استقرائية مثل هذه في حربهم ولكننا لا نرى ان الحرب صارت بها علماً باصول مقررة كالرياضيات والطبيعيات لما يعتور التطبيق من الاحوال المختلفة التي يعسر فرضها قبل حدوثها ولذلك فشل الالمان في كثير من تقديراتهم . وليس كذلك العلوم المحضة كالحساب والكيمياء فان الحاصل من ضرب عدد شفع في عدد آخر صحيح هو شفع دائماً سواء كان العدد كبيراً او صغيراً . والحاصل من ضرب عدد ايجابي في عدد سلبي هو سلبي دائماً . والحاصل من ضرب قاعدة المثلث في نصف علوهِ العمودي يعدل مساحة سطحهِ . والحاصل من اتحاد الكلور بالصوديوم هو كلوريد الصوديوم دائماً اي ملح الطعام . والماء يستحيل بخاراً بالحرارة دائماً في حالة ضغط الجو العادي وقيسوا على ذلك سائر القواعد العلمية



كثافة النجوم

كتب المستر شابلي في المجلة الفلكية مقالة بين فيها ان كثافة النجوم قليلة جدًّا فكثافة بعضها عشر كثافة الشمس وكثافة البعض الآخر اقل من ذلك كثيراً حتى تبلغ ثلاثة اجزاء من مئة الف جزء من كثافة الشمس. ووجد الاستاذ ارنجتون ان النجوم لا تتم دورتها حول المحور الذي تدور حوله في اقل من ثلثماية مليون سنة

جمجمة بلتدون

وصفنا هذه الجمجمة وصورناها في احد اعداد المقتطف وكان اغرب شيء فيها ان القحف فيها مستدير كأنه قحف رأس انسان من اهالي هذا العصر ولكن الفك الاسفل كبير الاسنان وخالٍ من بروز الذقن كانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي لا فك انسان. وقد قال بعض العلماء الآن ان هذا الفك ليس لتلك الجمجمة ولو وجد على مقربة منها وانهُ فك قرد من نوع الشمبانزي. ولا ينقض ذلك ان عظام الشمبانزي لم توجد في اوربا حتى الآن لان ذلك دليل سلبي لا يؤْخذ بهِ وقد توجد هذه العظام غداً ويقال انهُ وجدت سن في المانيا شبيهة باسنان الشمبانزي

تغير نور اروس

اروس اقرب السيارات الينا واصغرها فان قطرهُ نحو عشرين ميلاً وقد رصدتهُ السيدة مرغريت هارود وصورتهُ وقت استقبالهِ سنة ١٩١٤ فوجدت ان نورهُ يتغير بمقدار اربعة اعشار القدر في سبع ساعات و ٢١ دقيقة وهذا التغير يبلغ ثلاثة اضعاف تغيرهِ في استقبالهِ سنة ١٩٠٣ والمظنون ان سبب ذلك هو كونهُ غير كروي الشكل فيختلف نورهُ باختلاف وجههِ المتجه الينا

الحرارة والجاذبية

المعروف ان قوة الجاذبية لا تتغير بالحر والبرد بل تبقى على حالٍ واحدة ولكن ذهب البعض منذ عهد بعيد ان الحرارة تؤَثر في الجاذبية اي ان الاجسام تثقل بالحرارة وفي دسمبر الماضي قدم بعضهم رسالة الى الجمعية الملكية ببلاد الانكليز قال فيها انهُ اذا تجاذب جسم كبير وجسم صغير واحميا الى الدرجة ٢٠٠ بميزان سنتغراد فالجاذبية بينهما تزيد جزءًا من خمس مئة

طيران الفراش

ثبت بالمشاهدة ان الفراش المعروف باسم السيدة الملونة يقطع الالب في اوربا والفراش المعروف بالاميرال الاحمر وقع على سفينة تبعد عن البر ٥٠٠ ميل والفراش المعروف في اميركا باسم عشب اللبن يقطع من كليفورنيا الى جزائر سندويج مسافة الفي ميل . ويقال ان رجلاً من الجراد مرَّ فوق البحر الاحمر سنة ١٨٨٩ وكانت مساحتهُ ٢٠٠٠ ميل مربع وقدر ثقل ما فيهِ من الجراد بنحو ثلاثة واربعين الف طن . ولكن اذا كانت مساحتهُ الفي ميل مربع كما تقدم وفرضنا في القدم المربعة منهُ عشر جرادات فقط فثقل الجراد كلهِ نحو ثلثمائة الف طن

حياة الضفدع في الماء

ثبت بالامتحان ان الضفدع تعيش مغمورة بالماء ١٦ يوماً متوالية وقد تعيش ٥٢ يوماً وهي مغمورة بالماء ثم تنتفخ وتموت والمرجح ان سبب موتها حينئذٍ امتصاص جسمها للماء وللنتروجين . وتعيش الضفدع في الماء ولو بلغ درجة تحت درجة الجليد ولكن اذا بلغت حرارتهُ ٣٥ درجة اماتها

الاستاذ متشنيكوف

مرض الاستاذ متشنيكوف واشتدت وطأة المرض عليهِ فقلق رجال العلم قلقاً شديداً وكتب صديقهُ السر راي لنكستر الى مجلة نائشر يقول ابتدأ المرض قبل عيد الميلاد فافرغت لهُ ولزوجتهِ بعض الغرف في معهد باستور لكي لا يجيء يومياً الى المعهد من سفر حيث محل اقامتهِ ولا يصعد سلم المعهد وبذلك تمكن من الاشراف على المباحث العلمية في ذلك المعهد ولكن ظهر بعد ذلك ان الداء وصل الى رئتيهِ واصيب بالتهاب البليورا وذات الرئة فنقل الى مستشفى المعهد واشتدت وطأة المرض عليهِ . واليوم (٢٦ فبراير) جاءني من مدام متشنيكوف ان حالتهُ تحسنت وقد بزل تجويف الرئة ثلاث مرات وخرج منهُ في المرة الثالثة لتر من السائل فاستراح بعد اخراجهِ ويرى الاطباء ان التهاب البليورا سيزول سريعاً . واما التهاب ذات الرئة فقد زال

السر وليم ترنر

نعت المجلات العلمية الاستاذ الكبير السر وليم ترنر توفي في ١٥ فبراير الماضي عن اربع وثمانين سنة ولم يكن موتهُ متوقعاً لانهُ بقي الى قبيل وفاتهِ متمتعاً بالصحة التامة . اختير استاذاً للتشريح في جامعة ادنبرج سنة ١٨٦٧ فاقام في هذا المنصب ٣٦ سنة يدرّس ويدرّب وكان تلامذتهُ الكثيرون قد اخذوا يهتمون ليقيموا لهُ عيداً في السنة

المقبلة اذ يكون قد مرَّ عليهِ خمسون سنة منذ جعل استاذاً · ولم يكتف بالتدريس بل اهتم بتوسيع المعارف الطبيَّة وزيادة اساتذتها ورأس المجمع الطبي وجمعية ادنبرج الملكية وكلية الجراحين الملكية وجمعية ادنبرج الطبيعيَّة ومجمع تقدم العلوم البريطاني الذي التأم سنة ١٩٠٠ · وقد ترجمنا خطبتهُ فيهِ ونشرناها في مقتطف نوفمبر ودسمبر تلك السنة وموضوعها بناء الاجسام الحيَّة وهي من اوضح ما كتب في بابها · وكان من منشئي مجلة التشريح الانكليزية

الاعلان بالسينماتوغراف

اخذ الناس يتفننون في استخدام السينماتوغراف للاعمال المفيدة بعد اتخاذهِ وسيلة للتسلية · وآخر ما اتصلوا اليهِ ان ارباب المصانع التي تصنع الآلات المختلفة جعلوا يستخدمونهُ واسطة للاعلان عن آلاتهم وذلك بان يصوروها وهي تتحرك على شرائطهِ ويعرضوها على زبائنهم فيشاهدوا عملها وحركة اجزائها المختلفة ويدركوا دقائقها قبل شرائها · وكان العلماء قد استخدموهُ قبل ذلك لاظهار حركات النبات والحيوان في نموهما واعمالها

وجوه الاقتصاد في انكلترا

على اثر الحركة الكبيرة القائمة الآن في انكلترا لحث الامة الانكليزية على الاقتصاد بازاء النفقات الهائلة التي تنفق كل يوم على الحرب كتب السر وليم طمسن الطبيب الانكليزي الشهير مقالة في مجلة نائنتر ابان فيها بعض وجوه ذلك الاقتصاد منها استعمال القطاني التي تحتوي على كثير من البروتيين طعاماً بدلاً من اصناف اللحم الغالية الثمن · وهذه القطاني هي العدس والفول والفاصوليا والبازلا وامثالها · وتحويل كثير من المراعي ارضاً زراعية · ثم قابل بين المراعي والاراضي الزراعية فقال ما فحواهُ ان قيمة المواد الغذائية التي تخرج من فدان يزرع بطاطساً هي ١٧ ضعف ما يخرج من فدان ترعى فيهِ البقر والغنم · وقيمتها من فدان يزرع حنطة ١٩ ضعفاً · ومن فدان يزرع فولاً او ما اشبههُ ٢٠ ضعفاً · وعليهِ فمن الاسراف تربية المواشي في الارض الزراعية او جعل الاراضي الزراعية مراعي للمواشي

السباحة والثياب

ظهر من تجارب بعض العلماء انهُ اذا غطس رجل عارٍ من الثياب في ماء بارد حرارتهُ ٨ درجات بميزان سنتغراد فقد جسمهُ حرارتهُ في ثلث الوقت الذي يفقدها فيهِ لو غطس في الماء وهو لابس ملابسهُ · وان قوة جذب الملابس المبلَّلة للابسها الى القعر تساوي ثقل اربع اواق فقط · وهذا يؤيد

رأي من قال بانهُ اذا أشرفت سفينة على الغرق واتضح ان مدة اقامة ركابها في الماء ستطول فخير لهم ان يبقوا ملابسهم عليهم الاَّ اذا اقتضى الامر السرعة في السباحة لان الملابس تقي من البرد وفعلها قليل في الغرق

طعام العجول

علفت بعض العجول لبناً خالصاً . ثم لبناً أخذت زبدتهُ وخلط بالذرة . ثم مصل اللبن بعد خلطهِ بطعام آخر . فوجد ان العلف الاول اصلح انواع العلف لها ولكنهُ اغلاها وان الثاني والثالث خير الاطعمة من الوجهة الاقتصادية ولاسيما ان الاول لا يفوقها الاَّ قليلاً من حيث قوتهُ الغذائية

تهوية التربة

اصدرت جمعية المباحث الزراعية الهندية تقريرها السنوي الاخير وهو يتضمن بحثاً مستفيضاً في تهوية التربة التي تتألف منها سهول نهر الكنك ووادي كويتا في شمال الهند الغربي . ومن رأي الكاتب ان وصول الهواء الجوي الى جذور النباتات لازم لنموها وزكائها . وان اغراق الارض بالماء يفضي الى رصّ التربة ومنع الاكسجين عنها . وان ارواء الارض على مبدإ زيادة الهواء وتقليل الماء يفضي الى زيادة المواسم وتوفير مياه الري

التزوج بين الاقارب

خطب الاستاذ بولتون على جمعية اصلاح النسل التي انشئت تذكاراً لغلتون الشهير فقال ما خلاصتهُ : من التقاليد التي جرى الناس في ايامنا عليها ان التزوج بين الاقارب الاقربين كاولاد العم والخال يضرُّ بالنسل وبناء على ذلك بات التزوج بينهم الآن اقلَّ مما كان في سالف الزمان . على انهُ ليس ثمة دليل يدل على ان هذا التقليد مبنيٌّ على اساس صحيح . وفي سنة ١٨٧٠ كتب داروِن الى السرجون لبوك (الذي صار لورد افبري فيما بعد) يقول « إما ان يبيَّن كذب هذا المعتقد وإمَّا ان يثبت بالبرهان » واقترح ان يبحث في هذا الموضوع في الاحصاء التالي ولكن الحكومة لم تفعل

الكلَب في انكلترا

لم تظهر في انكلترا اصابة كلَب منذ سنة ١٩٠٢ حينما صدر القانون القاضي بكمّ الكلاب البلدية وحجز الكلاب الواردة من الخارج ستة اشهر قبل تسليمها الى اصحابها . ولكن في السنة الماضية كلب كلبٌ كان محجوزاً في الكورنتينا قبل انقضاء مدة الحجر المقررة فقتل . وليس للكلَب وجود في استراليا ونيوزيلندا لان نظام الكورنتينا فيهما شديد فلا يجد هذا الداء سبيلاً الى دخولها . اما

في اوربا فانهُ اندر ما يكون في البلاد السكندناوية اي اسوج ونروج والدغرك

تجارب في داء البلاغرا

تطوع ١٢ رجلاً من المسجونين في سجن ولاية مسسبي باميركا لعمل بعض تجارب البلاغرا فيهم على ان يعفى عنهم بعد انتهاء التجارب ويطلق سراحهم . وبقيت التجارب تسعة اشهر من اول فبراير الى آخر اكتوبر من السنة الماضية فاطعموا حتى ١٩ ابريل طعام المسجونين المعتاد فلم يظهر اثر للبلاغرا فيهم . ولكن بعد هذا التاريخ جعل طعامهم حبوباً دون غيرها فظهرت على ستة منهم اعراض تشبه اعراض البلاغرا منها طفح جلدي خاص بهذا الداء . ومعلوم ان القول بعلاقة البلاغرا باكل الحبوب ليس حديثاً بل قديم ثم عدل عنهُ لعدم ثبوتهِ . ولكن اذا ثبت ان الداء الذي اصيب بهِ الستة المشار اليهم هو البلاغرا بعينها لزم العود الى القول الاول

اسطوانات جديدة للفونغراف

اخترع المستر اديصن الشهير مخترع الفونغراف اسطوانات جديدة تصنع من نوع من الصمغ بعد مزجهِ ببعض المواد الكيماوية فتخرج اكثر صلابة واحتمالاً من الاسطوانات المعروفة الآن فضلاً عن انهُ يمكن صنعها من الورق فتكون بذلك ارخص ثمناً

استخراج الدهن من الخمير

قال مراسل السينتفك اميركان في برلين: اعلن الاستاذ دلبروك في احدى الجمعيات العلمية اكتشافاً مدهشاً . فقال ان علماء الالمان سعوا من اول نشوب هذه الحرب في استعمال الخمير لاستخراج الالبيومن (الزلال) والدهن . ومنذ ايام جاءتنا رزمة من ميدان القتال فيها مادة فطرية مجففة ومرسلها تلميذ من تلاميذ معهد الصناعات الخميرية . وبعد فحصها بالمكرسكوب وجد ان في كل خلية من خلاياها نقطة جلاتين وهو الدهن الخميري الذي طالما كنا ننشدهُ . ووجد ايضاً ان ٨ في المئة من مادة هذه الخميرة دهن و ٣٠ في المئة زلالاً . ويقول العارفون انهُ يمكن عمل خمير يحتوي على ١٠ في المئة من مادتهِ دهناً . وفي ذلك ربح كافٍ للمتجرين بهِ

فضلات الجرائد

الّف الايطاليون في جميع مدنهم الكبرى اجواقاً من الصبيان والبنات لجمع نسخ الجرائد القديمة اينما وجدت والمجيء بها الى حيث تكبس على شكل قدد للوقود وترسل الى الجنود الايطالية التي تقاتل على حدود النمسا حيث حطب الوقود قليل فيحرقونها للتدفئة ولصنع القهوة وتسخين الطعام ونحو ذلك من الحاجات

بعض عادات القرود

قضى المستر جارنر احد العلماء الاميركيين ردحاً من عمره يدرس طبائع القرود الافريقية وعاداتها في مواطنها. واخيراً خطب في الجمعية البيولوجية بوشنطون فقال في خطبتهِ ان هذه القرود تشبه طوائف الناس الدنيا في كثير من حركاتها وسكناتها . فطعامها نباتيٌّ على الغالب ولكن اللحم ضروري لها ايضاً . وهي تنام على ظهورها او جنوبها كالناس وتصنع لانفسها اسرَّة تعلو عن الارض الى ٢٥ قدماً وهي حادة البصر شديدة السمع . أما شمها فليس اقوى من شم الانسان . وأما لمسها فاقل دقة من لمسهِ . ويرجح العالم المذكور ان مدة حمل الانثى لا تزيد على سبعة اشهر وقلما تلد توأمين . وهي تدرك سن البلوغ بين السنة السابعة والتاسعة والذكر بعد ذلك بسنة او سنتين وحد عمرها بين ٢٠ سنة و٢١ . وهي ترعى حقوق الملكية بعضها لبعض

عمل الزجاج في اميركا

كان اهل الولايات المتحدة الاميركية قبل الحرب يجلبون الآنية الزجاجية التي تستعمل في الكيمياء من المانيا رغم الرسوم الجمركية الباهظة التي تقتضيها الجمارك الاميركية على الواردات . ومن غريب ما يذكر في هذا الصدد ان هذا الزجاج يصنع من رمل خاص - لا وجود لهُ الأَّ في ولاية نبراسكا الاميركية فكانت الوف الاطنان منهُ تحفر من ارض تلك الولاية وتشحن بسكة الحديد الى الموانئ الشرقية ثم بالبواخر الى المانيا حيث تصنع منهُ البواتق وانابيب الاختبارات الكيماوية وغيرها من الادوات الدقيقة ثم يرسل كثير منها الى اميركا ولكن الاميركيين اخذوا يعملون هذه الادوات الآن في بلادهم بعد ان تعذر جلبها من المانيا . والحاجة تفتق الحيلة

الدم في الخبز

معلوم ان الخبز يصير اكثر تغذية والذَّ طعماً باضافة بعض المواد الالبيومينية كاللبن او البيض الى العجين ولكن غلاءهما يحول دون استعمال الفقير لهما في خبزهِ . على ان من المواد النتروجينية الكثيرة الغذاء ما يمكنهُ الانتفاع بهِ بثمن قليل كالدم الذي يهدر في السلخانات ولا ينتفع بهِ البتة . فانهُ كثير المواد النتروجنية والاملاح المعدنية اللازمة لقوام الجسم . وقد جاء في السينتفك اميركان ان عالماً المانياً اسمهُ دروست اخترع طريقة لاستخدام الدم طعاماً وازالة رائحتهِ وطعمهِ ولونهِ التي تجعل الناس يعافونهُ ويتفرون من اتخاذهِ طعاماً . وذلك انهُ يمزج الدم بشيء من بروكسيد الهدروجين فيبيض وتزول رائحتهُ ويعقم . ثم ان اضافة بروكسيد

المدروجين الى المادة الآلية كالعجين تفضي الى تصاعد الاكسجين من العجين غازاً فيفعل ذلك بالعجين فعل المواد التي تضاف اليه لانتفاخه مثل كربونات الصودا وغيرها . وقد قال العالم المذكور انهُ ما زال يمزج خبزهُ بالدم منذ ست سنوات فعاد ذلك باحسن العواقب عليهِ وعلى عائلتهِ

اما طريقة مزجهِ بالعجين فهي انهُ ياخذ الدم ويضعهُ في صندوق الثلج من يوم كامل الى يوم ونصف ثم يزيل الجلطات منهُ ويضيف المصل الى الدقيق فيعجن بهِ ثم يضيف الى العجين بروكسيد الهدروجين او مادة اخرى ركبها لذلك خصيصاً

اطول الخطب

سمعنا مرة محامياً تكلم ثلاث ساعات متوالية فاستغربنا طلاقة لسانهِ وقوة عارضتهِ ولكن يقال ان السر ادورد كارسن المحامي الارلندي المشهور تكلم مرة في قضية ٢١ يوماً متوالية . والسر جمس كاردج تكلم ٢٦ يوماً في احدى المرافعات لما كان نائباً عمومياً . والدكتور كنيلي المحامي تكلم مرة ٤٣ يوماً في قضية فاجابهُ المستر هوكنس (الذي صار لورد برمتن) بكلام استغرق ١٣ يوماً ولما لخص القضية رئيس المحكمة استمرّ في تلاوة تلخيصهِ ٣١ يوماً

ومنذ اربع سنوات كان السر ادورد كارسن محامياً في قضية مالية فتكلم ثمانية ايام وكان المحامي عن الخصم السر روفس ايزاكس (الذي صار لورد ردنج) فتكلم تسعة ايام. ولما جرت المرافعة في قضية شركة التلفون ومصلحة البوسطة الانكليزية تكلم محامي شركة التلفون ٩ ايام ومحامي البوسطة ١٢ يوماً

الالسنة القتالة

يقال في العربية لحس العثُّ الثوب اي اكل صوفهُ . لكن اللحس الحقيقي الذي يجرد اللحم عن العظم هو لحس الاسود فان السنتها مغطاة باهداب كبيرة حادَّة تفعل كالمبرد بما تصيبهُ . وفي لسان الهرّ والثور اهداب مثل هذه ولكنها صغيرة لا تقابل بما في السنة الاسود

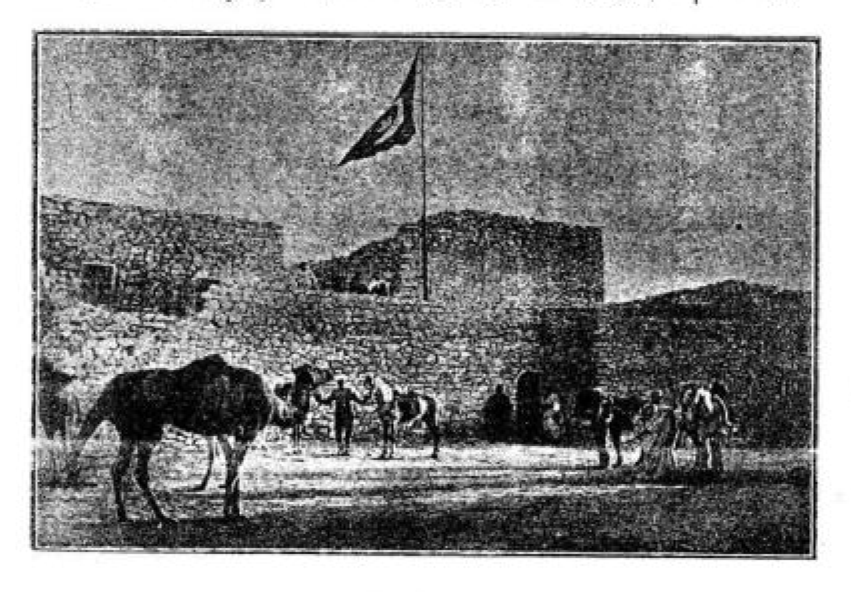
اغلى الممثلين في السيماتوغراف

كثر ربح صانعي صور السيماتوغراف حتى استخدموا اشهر الممثلين والممثلات في الروايات التي صوَّروها ودفعوا لهم الاجور الفاحشة . من ذلك ان سيدة اسمها ادناماي أُعطيت عشرين الف جنيه لاجل دخولها في رواية واحدة . ومدام بفلوفا أُعطيت عشرة آلاف جنيه لاجل دخولها في رواية اخرى ونصف الربح الصافي من صور تلك الرواية فبلغت اجرتها ٧٥٠ جنيهاً كل ساعة



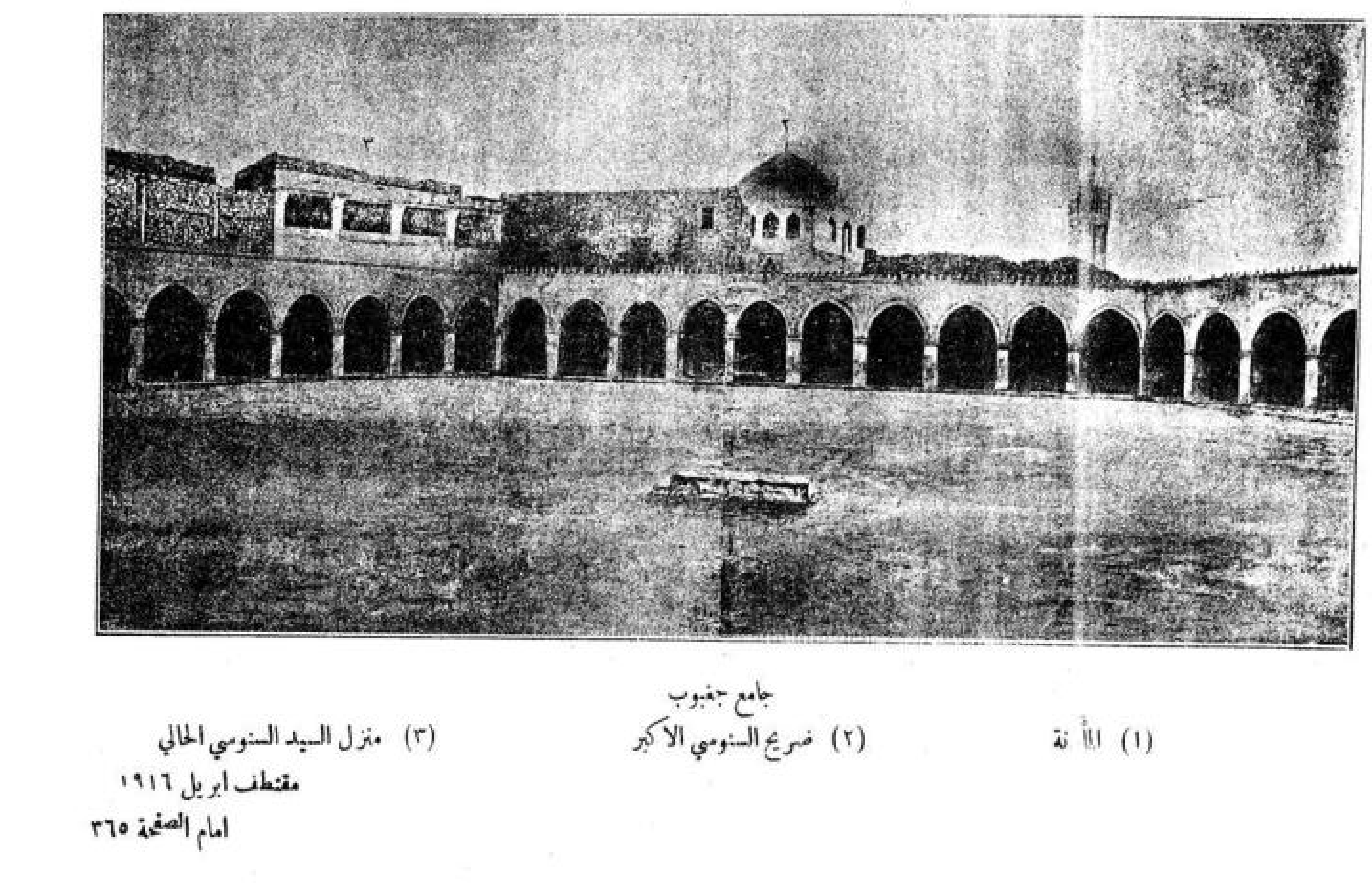
وفد انور الى السيد السنوسي

(١) الدكتور عبد الغني بك (٢) احمد صوان (٣) الدكتور حافظ عفيفي
(٤) القائم مقام نوري بك (شقيق انور باشا) (٥) فهمي علي (٦) نيازي بك



محل نزول وفد انور في جغبوب

مقتطف ابريل ١٩١٦
امام الصفحة ٣٦٣

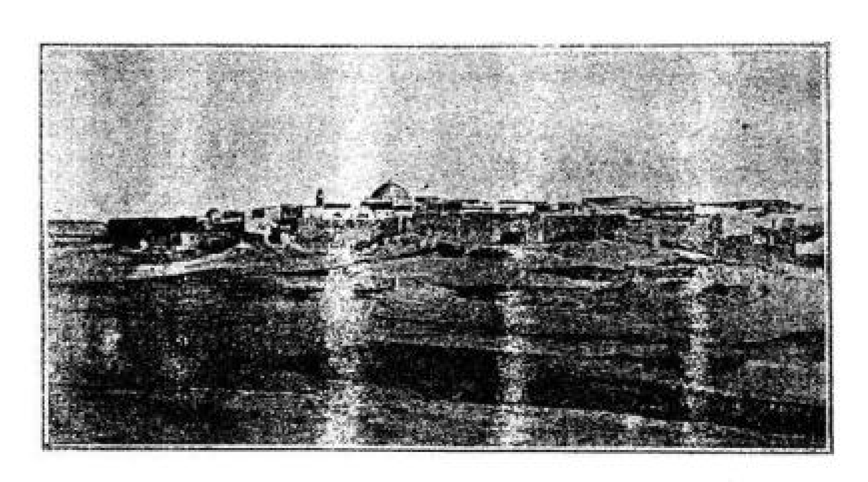


جامع جغبوب

(١) المأذنة (٢) ضريح السنوسي الاكبر (٣) منزل السيد السنوسي الحالي

مقتطف ابريل ١٩١٦

امام الصفحة ٣٦٥



مدينة جغبوب



حارس السيد السنوسي وجواده

مقتطف ابريل ١٩١٦
امام الصفحة ٣٦٧



ملكة رومانيا



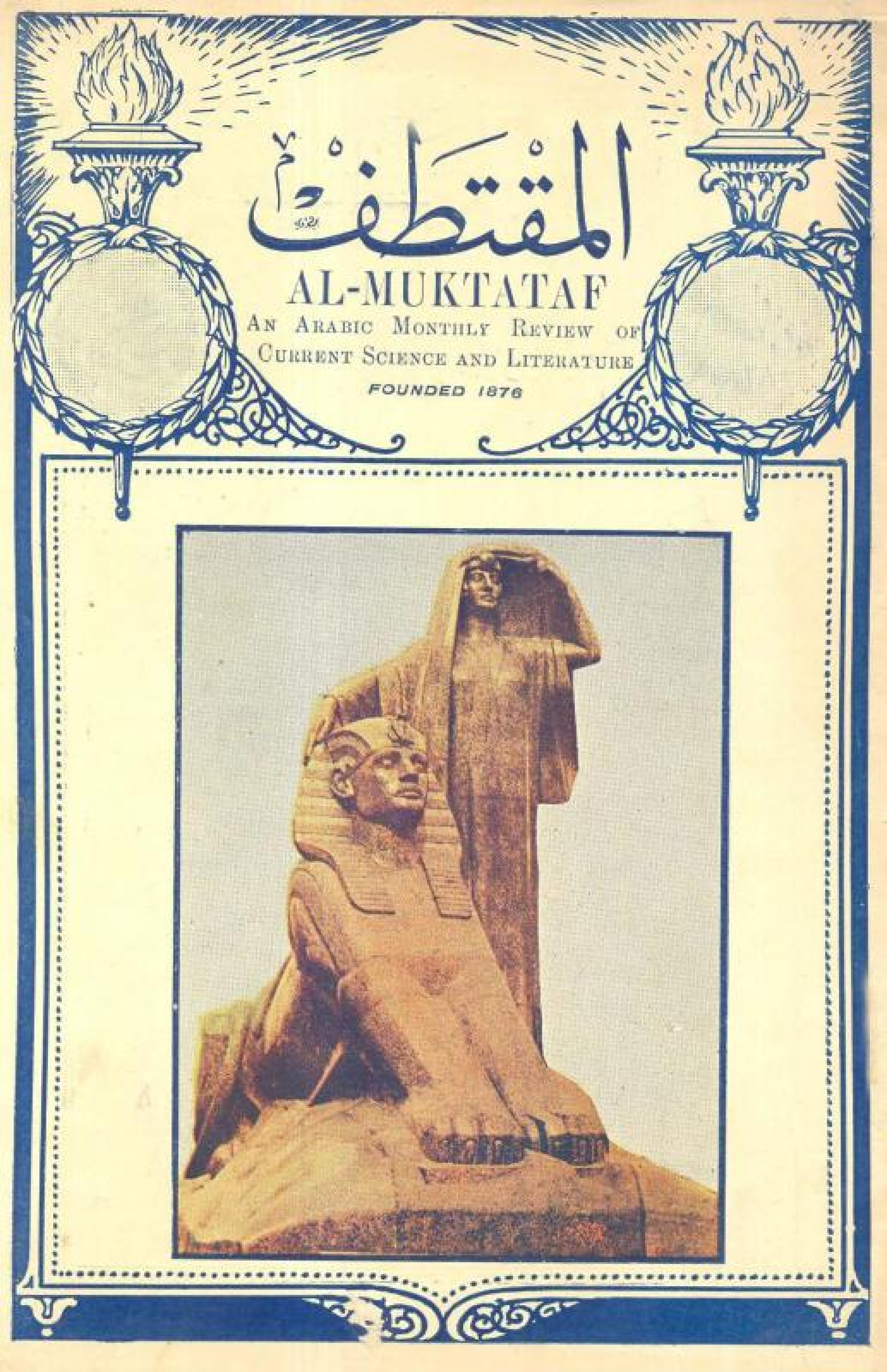
تمثال ملكة رومانيا وهي تعتني بجريح

مقتطف ابريل ١٩١٦

امام الصفحة ٣٨٧

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثامن والاربعين

صفحة


المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد الثامن والاربعين

١ مايو (ايار) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢٨ جماد الثاني سنة ١٣٣٤

دعائم الصناعة

كثر الاهتمام في غضون الشهرين الماضيين بالصناعة المصرية والمعامل الصناعية · وهو اهتمام حميد يُشكَر القائمون بهِ جزيل الشكر وعسى ان لا يفشلوا اذا رأوا ان استعداد البلاد الصناعي قليل جدًّا من كل وجه كما سيجيء

والاهتمام بالصناعة منية كل الامم الراقية في هذه الايام حتى يصح ان يقال ان عصرنا هذا عصر الصناعة واهمُّ اسباب الحرب الناشبة الآن التزاحم الصناعي بين ممالك اوربا · وسيكون التفوُّق في الصناعة الحكم الفصل فيها · بل ان البلدان التي لم تشترك في هذه الحرب فعلاً جعلت تستعدُّ للكسب منها بصناعتها بعد ما تضع اوزارها فوق ما كسبتهُ منها حتى الآن

اطَّلعنا قُبَيلَ كتابة هذه السطور على مقالة في مجلة السينتفك اميركان من قلم المستر لين وزير الداخلية في الحكومة الاميركية موضوعها استعداد اميركا في مواردها الصناعية الطبيعية صدَّرتها السينتفك اميركان بكتاب جاءها من الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة وهذا تعريبهُ

« الى محرر السينتفك اميركان بنيويورك

« سيدي

« ان في تنبيه بلادنا الى الفوائد الجلَّى المفتوحة ابوابها لديها في اسواق العالم خدمةً كبيرة لها · فان هذه الابواب واسعة جدًّا وفي طاقتنا ان ندخل منها الى حقول كثيرة الموارد وافرة الخيرات ولكن لا يتهيأ لنا ذلك ما لم نكن على كفاءة تامة في الاعمال الصناعية البالغة ارقى ما نتوخاهُ · فينبغي علينا ان نستعين بكل ما يخدم بهِ العلمُ الصناعةَ وان نستخدم

كل ما يُنتظر من التعليم في تربية الصنَّاع على ممارسة اعمالهم ومزاولتها · ويجب ان يتصف صنَّاعنا بالإقدام والاعتماد على النفس عالمين ان صناعتهم مبنيَّة على القواعد العلمية المقرَّرة ومؤيَّدة بقوَّة الامَّة · فاذا استعان صنَّاعنا المتعلمون بعلمائنا الباحثين ووازرهم اصحاب الاموال بالسخاء من غير تضييق ولم يغتروا بانفسهم بل كان منهم لهم ناقد ففتشوا عن مواقع الخلل في مصنوعاتهم واصلحوها — فقلَّ ان يوجد مكان على وجه البسيطة لا تروج فيهِ المصنوعات الاميركية وتحل منهُ المحل الارفع

من القصر الابيض في ١١ فبراير سنة ١٩١٦ ودرو ولسن »

وواضح من ذلك ان لنجاح الصناعة دعامتين كبيرتين العلم والمال وقد اضاف اليهما الوزير لين دعامةً ثالثة وهي وجود لوازم الصناعة من المواد الاصلية والقوة المحركة · و يضاف الى ذلك دعامة رابعة اشار اليها الرئيس ولسن من طرف خفي وهي قوَّة الامَّة القوة التي تحمي متاجرها حتى تدخل اسواق المسكونة من غير خوف ولا وجل · وهاك خلاصة ما قالهُ الوزير

اهتممتُ منذ بضعة اشهر بالبحث عمَّا عندنا ممَّا نستطيع ان نقابل بهِ العالم الذي علَّمنا الآن ان الحرب لا تنحصر في الجيوش بل تتناول التنازع بين كل ما للامم المتحاربة من قوى الحياة اي بين مراكزها المالية ونظاماتها الصناعية وغلات اراضيها ومعادن مناجمها وذكاء عقولها · ولا تقتصر الجيوش الآن على ما فيها من الجنود والخيول والاسلحة بل تتناول الكيماويين والمخترعين والالغام والطيارات والاوتوموبيلات والاسلاك الشائكة وسكك الحديد وكل الآلات والادوات التي لدى الامم الصناعية

اما الولايات المتحدة ففيها كل ما نحتاج اليهِ ما عدا مادة او اثنتين فانهُ يستخرج منها سنوياً ٦٦ في المئة من كل البترول الذي يستخرج من المسكونة و ٦٠ في المئة من كل النحاس و ٤٠ في المئة من كل الفحم الحجري و ٣٢ في المئة من كل الرصاص والتوتيا · ويستخرج منها ايضاً القصدير والبلاتين والمنغنيس والنكل · ولكن المستخرج من هذه المعادن الاخيرة قليل لا يفي بحاجة البلاد · ونستطيع ان نبني البوارج ونصنع الاوتوموبيلات وننشئ المعامل وسكك الحديد وتكون معادن ذلك كلهِ من مناجمنا وخشبها من حراجنا ولا نحتاج الأ الى الكاوتشوك · وعندنا لتسميد الارض كثير من املاح الفصفور واملاح البوتاسا ويسهل علينا استخلاص النتروجين من الهواء بنفقة قليلة جدًّا لكثرة القوة المائية عندنا · فلا تفتقر اراضينا الى السماد · وعندنا كل انواع الاراضي والاقاليم من الحار الى البارد فتصلح بلادنا

لزرع كل الحبوب والاثمار على انواعها · وعندنا فوق ذلك كلهِ من القوة المائية المتَّصلة ما يقدر بنحو ستين مليون حصان

ولدينا غير هذه الموارد الطبيعية موارد عقلية من اذكى ما يكون كما تشهد مكتشفاتنا ومخترعاتنا الكثيرة · فقد اخترع رجالنا في الخمسين سنة الماضية ثلثي كل المخترعات المهمَّة التي اخترعها البشر في هذه المدة · ويسجَّل كل يوم في اميركا مئتا امتياز باختراعات جديدة · وعدد المخترعات يزيد سنة فسنة

وقد منعتنا هذه الحرب من جلب مواد كثيرة كنا نجلبها من اوربا فجعلنا نصنعها بانفسنا او نستخرجها من مناجمنا كالبترول والتولول اللذين تصنع منهما اصباغ الانيلين والمواد المتفجرة وكاملاح الباريوم والتنجستن والكوبالت والانتيمون والكدميوم والبلاتين · ولم نكتفِ باستخراج ما يسدُّ حاجتنا من هذه المواد بل صرنا نستخرج منها ما نتاجر بهِ ونصدرهُ الى البلدان الاخرى

ولا بدَّ لنا من التحكُّم في استخراج ما في جوف ارضنا من البترول لكي لا ينفد سريعاً لانهُ اذا نفد تعذر علينا ان نجد ما يقوم مقامهُ · فاشجار الحراج نزرع بدلاً منها واما البترول الذي تولَّد في قلب الارض في العصور الغابرة فلا نعلم كيف تولَّد ولا سبيل لنا الى توليدهِ

ومن اهم مواردنا الطبيعية التي يجب ان نعنى باستخدامها والاستفادة منها القوة المائية التي في انهارنا اذا اقمنا لها سدوداً حتى ترتفع مياهها وتروي ما حولها من الاراضي العالية ثم تنحدر فيتولد من انحدارها قوة عظيمة لادارة الآلات ولاستخراج النتروجين من الهواء وعمل الاسمدة النتروجينية اللازمة لتخصيب الارض · والارض البور التي لا تروى لا فائدة منها والنهر الجاري الذي لا يروي ارضاً لا فائدة منهُ بل منهُ ضرر كبير في طغيان مائهِ ولكن اذا قيِّدت الانهار بالسدود حتى علا ماؤُها واستُعمل للري نتج منهُ ومن الارض فوائد لا تقدَّر · وقد زارنا منذ سنة السر وليم ولكس الذي انشأ خزان اصوان في مصر فلما رأى انهارنا قال انهُ يأسف جدًّا اذا لم يسعدهُ الحظ فيرى ما لا بدَّ من حدوثهِ يوماً ما وهو تقييد نهر المسسبي بسد يتحكم بمائهِ حتى يروى بهِ كل واديهِ الذي هو اكبر جدًّا من وادي النيل واصلح منهُ لسكنى البيض · ولا بدَّ للحكومة الاميركية من ان تعمل هذا السد عاجلاً او آجلاً

انتهى ما قالهُ رئيس اعظم بلاد صناعية زراعية ووزير داخليتها وخلاصتهُ ان الصناعة تقوم الآن بالعلم والمال والقوة و بوجود موادها الاصلية كلها او اكثرها · وقد قلنا «الآن» لان ما يشترط في هذا العصر عصر المباراة والمزاحمة التجارية لم يكن يشترط في العصور الغابرة

حينما كانت كل بلاد مستقلة بصناعتها لا تأتيها المصنوعات الرخيصة من بلاد اخرى فتزاحم مصنوعاتها وتقضي عليها كما حدث فعلاً في هذا القطر والقطر الشامي واكثر الاقطار الشرقية

الأَّ ان الاميركيين استعانوا بوسيلة اخرى لترقية صناعتهم لم يشر اليها رئيسهم ولا وزيرهُ وهي حماية الصناعة الاميركية بضرب المكوس (عوائد الجمرك) الباهظة على المصنوعات الاجنبيَّة . نعم ان هذه المكوس تؤْخذ اخيراً من جيوب الذين يستعملون المصنوعات الاجنبيَّة واكثرهم من الفقراء وان الاغنياء اصحاب المعامل هم الذين يستفيدون من غلاء المصنوعات الاجنبيَّة ولكن ذلك لا ينفي ان صناعة البلاد ترتقي بهذه الحماية فتفي بحاجة البلاد ويكتسب اصحابها مما يصدر منها الى الخارج

ونحن في هذا القطر تنقصنا القوة المائية والقوة البخارية كما ينقصنا كثير من المواد الاصلية . ويرد على ذلك ان المياه تنحدر في بعض الاماكن في مديرية الفيوم ولا يتعذَّر استعمال القوة الناتجة من انحدارها وان في انحدار المياه من عيون خزان اصوان قوة تقدَّر بالوف الاحصنة . ولكن القوة الناتجة من انحدار المياه في الفيوم قليلة وقد ينتفع بها في محلها وهي لا تشبع من جوع . وقوة المياه المنحدرة من سد اصوان عظيمة ولكن لا يتيسَّر نقلها الى المدن البعيدة كالقاهرة والاسكندرية الأ على اسلاك ثخينة جدًّا من النحاس تجعل نفقات النقل اعظم من الفائدة الحاصلة من هذه القوة . وخير ما تستعمل لهُ استخراج النتروجين من الهواء وتركيبهُ مع الجبر لتوليد السماد الكيماوي . وقد اهتمت الحكومة بذلك ويحتمل ان تخرجهُ من حيز النظر الى حيز العمل يوماً ما

اما القوة البخارية فيحتمل ان يوجد من البترول في جهات قريبة ما يقوم بها اذا لم يوجد لها فحم حجري . ومع ذلك فالصناعات التي موادها الاصلية في البلاد كالحياكة والدباغة وما يترتب عليها وما يتفرع منها كافية لان تشغل الالوف من الصناع

وكذلك الصنائع التي يسهل جلب موادها من الخارج فتصل رخيصة يحسن تنشيطها بكل ما في الامكان . ويجب ان تبذل كل الوسائل لاقناع الاهلين باستعمال المصنوعات الوطنية حتى يعتادوا استعمالها وتفضيلها على غيرها . وبغير هذه الوسائل لا يرجى شيوع المصنوعات الوطنيَّة وتفضيلها على المصنوعات الاجنبية

ولكن في البلاد مورد ثروة اغزر مما يمكن ان تنالهُ من الصناعة وهو الزراعة فان دخلها يحتمل ان يزاد خمسين في المئة او اكثر كما سيجيء

العالم الجاني

لما نشبت الحرب الاهلية في اميركا منذ خمسين سنة كان في الجيش الاميركي طبيب اسمهُ مينور أُصيب بدخَل في عقلهِ من جرَّاء ما شاهد من ويلات الحرب فجاء بلاد الانكليز واقام في مدينة لندن وقد قام في ذهنهِ ان الارلنديين يقصدون قتلهُ . ونهض ذات ليلة وجعل يمشي على رصيف نهر التايمز واتفق ان رجلاً كان يمشي وراءهُ فخيل لهُ انهُ يقتفي خطواتهِ قاصداً قتلهُ فاخرج مسدَّساً من جيبهِ ودار اليهِ ورماهُ بالرصاص فقتلهُ . وقُبض عليهِ وحوكم فاعترف بجريمتهِ ولكن ثبت للقضاة انهُ مختل الشعور فحكموا بسجنهِ في سجن المجانين المجرمين

ولما توفي السر جمس مري منذ بضعة اشهر وهو موَّلف اوسع قاموس في اللغة الانكليزية كتب بعضهم في مجلة ستراند ان الدكتور مينور هذا كان اكبر مساعد لهُ في تأليف ذلك القاموس وقد ساعدهُ فيهِ وهو في سجن المجانين المجرمين . فاهتمَّ الناس بامرهِ اهتماماً كبيراً وكان قد أُخرج من السجن سنة ١٩١٠ بعد ان اقام فيهِ ٣٨ سنة فقصدهُ واحد من قبَل مجلة الستراند وحادثهُ في سبب سجنهِ وكيف ساعد السر جمس مري في تأليف قاموسهِ . فقال « ان الذي قتلتهُ كان يقصد قتلي ولو اردت ان انتصل من عملي لسهل عليَّ ذلك بان اطرح المسدَّس في النهر واسير في طريقي وانكر اني انا القاتل ولم يكن هناك احد ليشهد عليَّ . اما الدكتور مري (قبل ان اعطي لقب سر) فكان ينشر منشورات صغيرة يطلب فيها من قارئيها ان يرشدوهُ الى معاني بعض الكلمات ويذكروا لهُ الشواهد على استعمالها بتلك المعاني . واول ورقة وقعت في يدي من هذا القبيل كانت عن الكلمات التي صار لها معانٍ جديدة في الولايات المتحدة الاميركية والظاهر انهُ سُرَّ بالاجوبة التي بعثت بها اليهِ ومن ثمَّ توالت مسائلهُ عليَّ وكنت اجد لذة في الاجابة عنها »

ويقال انهُ بعث الى الدكتور مري بنحو ثمانية آلاف شاهد من الشواهد التي اعتمد عليها وذكرها في قاموسهِ . ولما قيل للدكتور مينور انك لم تنل الجزاء الذي يستحقهُ عملك هذا اجاب اني لا انتظر جزائي من العبد بل من المعبود . ثم قال ان الاجزاء التي كانت تطبع من القاموس كانت ترسل اليَّ تباعاً فكنت اسر برؤيتي نتيجة عملي وهذا حسبي

وكتب المستر جون فشر صاحب البيت الذي كان الدكتور مينور فيهِ لما ارتكب الجريمة يقول « انهُ كان من الادباء الظرفاء . ولما جاءنا قال انهُ اتى انكلترا لاجل النزهة وانهُ يكره

النزول في الفنادق الكبيرة والعمل بقوانينها وقد يضطر احياناً ان يغيب اياماً متوالية وهو يودُّ ان نضع مصباحاً منيراً في غرفتهِ كل ليلة ولو لم ينم فيها لانهُ قد يأتيها متأخراً وهو يكره ان يدخل غرفة مظلمة . وذات ليلة دخلت غرفتهُ لاقفل كواها وانير مصباحها ولم اكن اعلم انهُ فيها فنهض من سريرهِ بغتةً وانتصب امامي واتفق انني تمكنت من انارة المصباح في تلك اللحظة وذكرت لهُ اسمي فهدأ روعهُ ولولا ذلك لكنت انا القتيل . ثم اجتمعت بهِ عصر اليوم التالي فوجدتهُ انيس المحضر واسع الرواية جدًّا . وكان ذلك وقتما تمَّ الفوز لالمانيا على فرنسا سنة ١٨٧١ واستلم تيرس رئاسة الجمهورية الفرنسوية فكلمني في سياسة اوربا كأنهُ ابن بجدتها . وقبلما ارتكب الجناية غاب عنا يوماً او يومين ثم عاد نحو الساعة التاسعة ليلاً وقال انهُ لا يريد طعاماً بل هو ذاهب لينام . ونحو نصف الليل سمعتُ جرس الباب يقرع بشدة فنهضت واذا احد رجال البوليس يسأل عنهُ فقلت لهُ انهُ نائم في غرفتهِ فقال كلاَّ بل هو الآن في دار البوليس ويدَّعي ان اسمهُ الدكتور مينور وقد قتل قتيلاً ويجب ان تذهب معي الى دار البوليس وتحقق مَن هو فذهبت معهُ واذا انا بالدكتور مينور نفسهِ فطلب مني ان ارسل اليهِ بعض امتعتهِ فارسلتها وجاء رجال البوليس في اليوم التالي وفتشوا امتعتهُ فوجدوا فيها نحو ثلثماية جنيه »

وكتب واحد من رجال ذلك السجن (وكان قد رأى الدكتور مينور كل يوم مدة ثلاث عشرة سنة) انهُ كان من ذوي اليسار الذين يسمح لهم ان يقيموا في قسم مخصوص ويعطى كل منهم غرفة خاصة يقيم بها اما هو فأُعطي غرفتين واحدةً ينام فيها وواحدة يقيم فيها في النهار ويتناول فيها طعامهُ وهو السجين الوحيد الذي سُمح لهُ بغرفتين في زماني . والغرفة التي كان يقيم فيها في النهار هي التي كان يكتب فيها ما كتبهُ للسر جمس مري وكان يصوّر فيها بالالوان المائية وكانت جدرانها مغطاة بخزائن الكتب وادوات التصوير لانهُ كان مغرماً بتصوير المناظر الطبيعية وبمساعدة الغواة بالتصوير من السجناء وبجمع الكتب من الطبعة الاولى وبمطالعة المجلات الادبيَّة

وكان في ذلك القسم من السجن مكتبة كتبها منتقاة وهو القسم الوحيد الذي فيهِ مكتبة فكان كثير التردد اليها واستعارة الكتب منها . والغالب انهُ كان يستعير الكتاب وقلما يأخذهُ الى غرفتهِ بل يتصفح القليل منهُ ثم يردهُ الى مكانهِ ويعود الى غرفتهِ مسرعاً

وذات يوم كان جالساً في الرواق الذي يقيم فيهِ السجناء لاستنشاق الهواء وكنت اتذاكر مع واحد منهم في موضوع مقالة للاستاذ ولتر ربلي قابل فيها بين رواية دكنس المسماة اوراق

بكوك و بين رواية لآخر اسمها داقد هروم وكنا كلانا نجهل هذه الرواية الثانية ونجهل اسم مؤلفها · وسمعنا الدكتور مينور نتكلم فقال ان داقد هروم رواية اميركية وقد كان لها شأن كبير في الولايات المتحدة وعندي هنا نسخة منها · ثم اتانا بها · ولما خرج من السجن قال لي اني تركت رواية داقد هروم هنا ليقرأها من يشاء

وبقي وهو في السجن يعتقد ان الارلنديين والابالسة يضمرون له الشر ويحاولون قتله ومع ذلك لم يكن يظهر الكراهة للارلنديين المسجونين معه · وطلب ان تفرش ارض الغرفة التي ينام فيها بالزنك على نفقتهِ لكي لا تصعد الشياطين اليهِ من الغرفة التي تحتها · وكان يضع اناء من الماء في كل غرفة من غرفتيهِ زاعماً ان الشيطان لا يستطيع ان يدخل غرفة فيها ماء

وكانت اوهامهُ تتسلط عليهِ في الليل · كان السجناء مأمورين ان يكونوا في فرشهم الساعة السابعة ونصف مساء وقبل الساعة الثامنة ببضع دقائق كان مدير السجن يمرُّ على الغرف كلها ليرى كل سجين في فراشهِ وكان الدكتور مينور يقول ــــ ويؤكد انهُ لا يكاد المدير يمر بغرفتهِ حتى يدخلها بعض الاشرار بامر رجال الحكومة ويخرجوهُ منها ويأخذوهُ غصباً عنهُ ويطوفوا بهِ البلاد ويدخلوهُ منازل الفجور ويضطروهُ الى ارتكاب الموبقات ثم يعودوا بهِ الى غرفتهِ · ولما صُنعت الطيارات (الاروبلانات) صاروا يحملونهُ بها ويطيرون بهِ الى الاستانة وغيرها من المدن الشرقية ويضطرونهُ الى دخول اماكن الفجور · حتى اذا نهض في الصباح نهض خائر القوى نادماً على ما فعل مشمئزاً منهُ

وعادهُ مرةً طبيب السجن وجعل يجادلهُ في امر فقال لهُ الدكتور مينور ان قصتي معك مثل قصة الثعلب والاسد فقد زعموا ان الاسد اخذ على نفسهِ العهود والمواثيق ان لا يؤذي احداً من الحيوانات الأ ذوات القرون · وذات يوم رأى بعضهم الثعلب خارجاً من مغارة الاسد مذعوراً لا يلوي على شيء فقالوا لهُ على مَ انت خائف فقال ألا ترون نتوءًا في قمة رأسي فقالوا ولكن هذا ليس قرناً فقال نعم ولكن ان قال الاسد انهُ قرن فمن يجادلهُ وهذا شأني معك ايها الطبيب · انتهى

والجنون فنون ونوادر المجانين كثيرة اكثر من ان تحصى ولكن لم يقع لنا قط ان سمعنا عن مجنون ساعد في تأليف قاموس وكان لهُ شأن كبير في تأليفهِ · غير ان الجنون الجزئي الذي من هذا القبيل قلما يخلو منهُ اصحاب القرائح ولولا انهُ كان في هذا الرجل دافعاً لهُ لقتل من توهم انهُ يقصد قتلهُ لعاش ومات مثل سائر الناس

ايفان باولوف

نعت الصحف العلمية الاخيرة عالماً روسيًّا من كبار علماء الفسيولوجيا وهو الاستاذ ايفان باولوف. وقد قالت مجلة نانشر في تأبينهِ « ان علم الطب سيبقى مديوناً لهُ الى آخر الزمان ». واعظم ما اشتهر بهِ ابحاثهُ في الغدد والعصارات الهضمية كالعصارة المعدية وعصارة البنكرياس والصفراء. وفيما كان يبحث في كيفية افراز المعدة للعصارة المعدية اثر في نفسهِ عظم شأن المنبهات المعنوية كالمشاعر الخمس في عمل الهضم وافراز العصارة المعدية وافراز اللعاب واختلاف تركيبهِ. فمن جهة حاسة البصر مثلاً وجد بالامتحان ان رؤية الطعام الجاف او الجامد تفضي الى افراز مقدار كبير من اللعاب المائع المائي ورؤية الطعام السائل تفضي الى افراز مقدار صغير من اللعاب اللزج. وذلك لان الاول يُحتاج اليهِ لمضغ الطعام والثاني لتسهيل البلع

وكذلك وجد ان رؤية لون لامع قبيل الاكل ينبه القابلية ويفضي الى افراز اللعاب والعصارة المعدية. وهكذا في الحواس الاخرى فان سماع صوت موسيقي او شم رائحة معينة او لمس شيء معيَّن تساعد على عمل الهضم. ومما جاء في كلامهِ عن الصوت وتأثيرهِ في الجهاز الهضمي قولهُ: « ومن غريب ما رأيت سيلان لعاب بعض الناس عند سماعهم صوتاً موسيقيًّا معلوماً. واغرب من ذلك جمود لعابهم عند سماعهم صوتاً موسيقيًّا آخر لا يختلف عن الاول الاَّ بمقدار ربع نوتة ». وقد سمَّى هذه المشاهد بالافعال المنعكسة الشرطية

وكلنا يعلم تأثير رائحة الطعام في تنبيه القابلية وعمل الهضم مما لا تفعلهُ اعظم المنبهات المعروفة. وليس منا من لا يشعر بدغدغة في جوانب فكيهِ حيث الغدد اللعابية وبسيلان لعابهِ عند رؤيتهِ احداً يأكل شيئاً حامضاً. وكثيرون يفيض لعابهم اذا ذكرت المواد الحامضة امامهم او اذا كانوا جياعاً ورأوا احداً يأكل حتى لا يتمالكوا عن بلع ريقهم اذا لم يحسن لهم مشاركة الآكل في طعامهِ

وقد عُرف فضل هذا الرجل فنال جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ وجعل عضواً في كثير من الجمعيات العلمية واعطتهُ الجمعية الملكية ببلاد الانكليز نشان كوبلي لاجل مباحثهِ في علم البيولوجيا وجُعل مديراً لمعهد الطب الامتحاني في بطرسبرج. وكانت وفاتهُ في اوائل فبراير الماضي ولهُ من العمر سبع وستون سنة

علم الانسان

تقسيم الاجناس

قبل الفراغ من الكلام على اجناس الانسان لا نرى غنًى عن ايراد الاقوال المختلفة في تقسيم تلك الاجناس. واولها واهمها تقسيم بلومنباخ في اواخر القرن الثامن عشر. فقد قسم اجناس الناس الى خمسة اقسام وهي القوقاسي والمنغولي او المغولي والاثيوبي والاميركي (الهندي) والملقي. اما القوقاسي فلا يزال القول بهِ حتى الآن على ما فيهِ من الشمول الذي ينظم العربي والاسوجي مثلاً في سلك واحد مع ان الفرق بينهما ليس اقل مما بين الاميركي والملقي وقد جعل كلٌّ من هذين قسماً مستقلاً عن الآخر كما رأيت. وهذا عيب واضح في تقسيم بلومنباخ كما ان من عيوبهِ الاغضاء عن الجنس الاسترالي (الاصلي) والبشمن من اهل جنوب افريقية الاصليين وعدم ذكرهما في ذلك التقسيم وهما من ابين تنوعات الانسان واوضحها حدوداً

ثم قسمها كوفييه الى ثلاثة اقسام القوقاسي والمغولي والزنجي. او الابيض والاصفر والاسود او كما سماها الاقدمون اليافثي والساميّ والحامي. ولكن هذا التقسيم المنظور فيهِ الى اللون دون غيرهِ ليس جامعاً مانعاً لما تقدم من الاعتبارات

وقسمها بكرنج الى ١١ قسماً وبوري سان فنسان الى ١٥ وديمولن الى ١٦. ومزية هذا التقسيم الاخير شمولهُ اي انهُ يتناول جميع التنوعات الواضحة الحدود ولا يهمل احدها. ولكن العلماء الطبيعيين لم يجمعوا على تقسيم من كل التقاسيم المتقدمة اذ لم تخلُ من وجوه الضعف ومغامز النقد. ويكفي في انتقاد تقسيم بكرنج ان يقال انهُ قسم الامم البيضاء الى قسمين العربي والحبشي. وهذا ايضاً هو شأن غيرهِ مثل اغاسيز ونوط وكروفرد وامثالهم. ولعلَّ تقسيم هكسلي افضل تقسيم في نظر علماء الحيوان. فقد قسم الناس الى اربعة تنوعات وهي الاسترالي (الاصلي) والزنجي والمغولي والابيض الناصع البياض (زانثوكروي) واضاف اليها تنوعاً خامساً وهو الاسمر (ملانوكروي) وتحت هذه التنوعات فروع وفصائل كثيرة. اما علماء علم الانسان فيعترضون على هذا التقسيم لانهم يحسبون بعض تلك الفروع والفصائل تنوعات قائمة بنفسها

ولا يخفى ان المحكّ الذي اعتمد العلماء عليهِ ليعرفوا هل امم البشر المختلفة تنوعات لنوع

واحد هو تزاوجها واتيانها بنسل غير عقيم على الدوام. وقد عُرف بالاختبار ان الخلاسيين المولودين من الاوربيين والسود او من الاوربيين والهنود الاميركيين يلدون على الدوام وكذلك المولودون من الهنود الاميركيين والسود وغيرهم . وان لنسلهم صفات مختلطة ورثها من الابوين وهو انما يختلف عن التنوعات الاصلية بان فيهِ ميلاً الى العود الى هذا الاصل او ذاك كثُر ذلك الميل ام قلّ . وقد قام بين العلماء من قال ان ليس الخلاسيون كلهم ولودين على الدوام وان الخلاسيين المولودين من الاوربيين والاستراليين الاصليين بوجه خاص يكادون يكونون عقيمين. ولكن طول التحقيق اثبت بطلان هذا القول وايّد المذهب الشائع من انهُ اذا تزاوج تنوعان نتج من تزاوجهما فرع جديد وان هذا الفرع يأتي بنسل اذا تزاوج افرادهُ وافراد ايّ التنوعات الاصلية

فبناء على ذلك اذا سلمنا جدلاً بوجود عدد قليل من التنوعات البشرية بادئ بدء فواضح ان تزاوجها يفضي الى ظهور عدد غير محدود من التنوعات الفرعية كما هو الحال بين الناس الآن. ومن رأي البعض انهُ لا يبعد ان يكون تزاوج التنوعات المختلفة هو كل السبب او بعضهُ فيما يرى الآن من الفرق بين الامم الكثيرة الاختلاط في نسبها كامم اوربا مثلاً . فقد ذهب هكسلي الى ان الهوتنتوت من اهل جنوب افريقية متولدون بين البشمن والزنوج من اهل تلك البلاد . وان السُمر (ملانوكروي) من اهل جنوب اوربا هم نتيجة تزاوج البيض والاستراليين الاصليين

بقيت هناك مسألة عظيمة الشان في هذا الباب اختصم عليها علماء علم الانسان سنين طوالاً ولم يتفقوا وهي كيف اختلفت تنوعات الناس القليلة التي يمكن عدّها اولية هذا الاختلاف الذي تراهُ الآن والذي صارت بهِ اقساماً مستقلة بنفسها بحيث يسهل تمييزها بعضها عن بعض . والعلماء في ذلك فريقان فريق يرى ان جميع صنوف البشر تسلسلوا من اصل واحد او من زوجين لا غير . وفريق يدعي ان التنوعات الاولية تولدت من اصول مستقلة وبعبارة اخرى ان الناس يرجعون الى اجداد مختلفة الاصول لا الى جدّ واصل واحد

اما الفريق الاول اي القائلون باصل واحد فيتعيّن عليهم ان يبينوا ما هي العوامل التي افضت الى ما يرى من الفروق العظيمة بين اجناس البشر مع تفرعها من اصل واحد. فالقدماء لم يجدوا صعوبة كبيرة في بيان تلك العوامل فقال ارسطو مثلاً ان الاقليم هو اعظمها وان

الشمس هي التي سودت بشرة الزنجي . ولكن ظهر للباحثين من المتأخرين ان عامل الاقليم اضعف فعلاً وابطأ سيراً مما كان يظن وان الاجناس المختلفة اختلافاً واضحاً في بناء اجسامها كالبشمن والزنوج في افريقية يعيشون في اقليم واحد ولكن ليس ثمة دليل يدل على ان بناء اجسامهم آخذ في التماثل والتجانس . ومن جهة اخرى نرى بعض قبائل اميركا الجنوبية لا تزال متشابهة من عهد بعيد رغم عظم اختلافها في الاقليم والمأكل . وقد نظر دارون الى هذين العاملين عامل الاقليم وعامل اختلاف طرق المعيشة وتأثيرهما في اجناس الناس المختلفة فظهر له ولغيره من كبار الباحثين ان تأثيرهما ضئيل وبطيء الى حد يعسر عنده التوفيق بين هذه النتيجة والمدة القصيرة التي مضت على خلق الانسان على ما جاء في التوراة . ولما كان بعض طوائف الناس كالمصريين والزنوج لا يزالون الآن كما كانوا منذ ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف في هيآتهم وملامحهم فاختلافهم الى هذا الحد عن الاصل الواحد الذي اشتقوا منه وفي تلك المدة امر مستحيل الأ بأعجوبة

هذه هي الصعوبة التي عرضت للقائلين بالاصل الواحد ولم يتمكنوا من حلها فلذلك راجت سوق المذهب الآخر الى حين ولكن المباحث الحديثة عادت بالناس الى المذهب الاول لما ثبت ان الانسان وُجد على الارض منذ زمن مديد وان التغيرات الكثيرة التي طرأت على صنوف الناس في ذلك الزمن المديد كافية على بطئها لافتراقهم عن الاصل الذي تفرعوا منه الى حد ان يكون منهم الابيض والاسود او القوقاسي والزنجي . ولكن يقال من جهة اخرى ان مذهب ارتقاء الانواع لا يستلزم ضرورة تسلسل تنوعات النوع الانساني من اصل واحد فان اصحابه يسلمون انه لا يبعد ان تكون انواع مختلفة من القرود قد ارتقت فتولد منها بعض تنوعات الناس . ومع ذلك كله نرى اصحاب هذا المذهب (وهو الذي اصطلح على تسميته بالداروني نسبة الى دارون اشهر القائلين به) اميل الى القول بالاصل الواحد حيث الاختلافات بين الانواع ضعيفة يمكن التوفيق بينها وردها الى مصدر واحد. فقد قال دارون في كتاب تسلسل الانسان ما ترجمته :

« لا ينكر ان طوائف الناس الموجودين الآن يختلفون في امور كثيرة كاللون والشعر وشكل الجمجمة ونسبة اعضاء الجسم بعضها الى بعض وغير ذلك ولكن اذا نظرنا اليهم جملة وجدناهم كثيري التشابه في امور شتى . وكثير من هذه الامور لا شأن له او انه غريب في بابه حتى لا يكاد يحتمل ان الانواع او الاجناس الاصلية المختلفة حصلت عليه

مستقلة عن غيرها . وهذا الحكم يصحّ على وجوه الشبه العقلية بين اكثر طوائف الناس تميزًا بعضها عن بعضها واذا رأى العلماء الطبيعيون اتفاقًا جليًّا في تفاصيل عديدة صغيرة بين طائفتين او اكثر من طوائف الحيوانات الداجنة او اشكال طبيعية متقاربة سواء كان ذلك في العادات او الاذواق او الاميال اتخذوا ذلك الاتفاق حجة لهم في القول بانها جميعاً متسلسلة من اصل واحد كانت فيهِ تلك الصفات وانهُ على ذلك يجب ان ترد الى نوع واحد . وهذه الحجة تصح ايضاً على اجناس الناس المختلفة »

قلنا ان اعظم عقبة في سبيل القائلين بتسلسل الناس من اصل واحد ان يبينوا كيف اختلفت التنوعات البشرية هذا الاختلاف عن الاصل مع انها لا تكاد تختلف الآن بشيء عمّا كانت عليهِ في اوائل العصور التاريخية . وقد حاول الفرد رصل ولس (قسيم دارون في المذهبِ) بيان ذلك بقولهِ ان الناس الاولين ممثلي الاجناس الحاضرة كانوا قليلي الادراك فلم يكونوا قد تمرسوا بفنون الدفاع عن انفسهم من عوادي الاقليم ولا اتقنوا الوسائل التي تكفيهم شرّ عدوان الطبيعة عليهم فلذلك كانوا في حالتهم الوحشية اكثر انفعالاً بالمؤثرات الخارجية من اهل هذا الزمان . ولذلك لم يلقَ الانتخاب الطبيعي وغيرهُ من العوامل مقاومة كبيرة في تكوين تنوعات الانسان المختلفة وهي أورثت نسلها لون بشرتها وتركيب بنيتها

ويقال اجمالاً ان المذهب القائل بوحدة اصل الناس صار اثبت الآن منهُ في الماضي . ولا يعلم هل تحلّ المسألة حلاً قاطعاً ولا ومتى يكون ذلك ولكن كثرة ما اكتشف في هذا الباب في الربع الاخير من القرن الماضي وفيما انصرم من هذا القرن يحدو الناس على الامل بحلها قريباً كما قال دارون

***

قلنا في مقالة سابقة ان العلماء يقدرون قِدَم الانسان على هذه الارض بمئات الالوف من السنين غير جازمين بعدد تلك المئات . وكانوا حتى القرن الماضي يسلّمون بتقدير احد كبار رجال الدين من الانكليز وخلاصتهُ ان الارض والانسان خلقا سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح . ولكن علم الجيولوجيا اثبت ان الحيوان والنبات ظهرا على هذه الارض منذ عصور متوغلة في القدم . وان اول ظهور الانسان عليها يعدّ حديثاً بالنسبة الى ذلك وهو يتراوح بين ٢٠ الف سنة ومئة الف على القليل . وعلم الآثار والعاديات يؤيد علم الجيولوجيا من هذا القبيل .

وقد حفروا في بعض انحاء وادي النيل الى عمق ٦٠ قدماً فوجدوا قطعاً من الفخار واللبن المشوي مما دلَّ على ان الانسان كان يسكن هذا الوادي و يحسن عمل الفخّار قبل الزمان الذي مرَّ على رسوب ٦٠ قدماً من الطمي . وحسبوا ان متوسط رسوب الطمي لا يزيد على بضع بوصات في القرن الواحد فاذا فرضنا انها ست اقتضى ١٢٠ قرناً او ١٢ الف سنة لرسوب ٦٠ قدماً منهُ . ووجدوا في سو يسرا ثلاث طبقات بعضها فوق بعض وفي كلّ منها آثار الانسان . اعلاها تحت سطح الارض ٤ اقدام وفيها من آثار الرومان الذين عاشوا منذ ١٥٠٠ سنة . والثانية التي تحت سطحها ١٠ اقدام . والثالثة تحت سطحها ١٩ قدماً . وعلى هذا الحساب يكون اهل الطبقة الثالثة قد عاشوا منذ نحو ٧١٠٠ سنة . وقد دلت آخر ابحاث علماء الآثار القديمة في هذا القطر انهُ كان مركز حضارة زاهية منذ ستة آلاف سنة او سبعة آلاف على القليل

والى هذه الآلاف الستة او السبعة يجب ان يضاف زمن طو يل ارتقت فيهِ المعارف والفنون حتى بلغت مبلغها في عهد المصريين الاقدمين مثلاً . وزد على هذه الادلة دليل اللغات ونكتفي هنا بايراد شاهدين :

الاول شاهد العبرانية والعربية . فهاتان اللغتان قريبتان في النسب وليست احداهما مشتقة او متفرعة من الاخرى بل هما فرعا اصل واحد اقدم منهما بالطبع . فان كانت العبرانية ترجع الى بضعة الوف من السنين كما يدلّنا التاريخ فالى كم من القرون والعصور يرجع اصلهما الذي اشتقت منهُ

والثاني شاهد اللغات الهندية الاوربية المعروفة ايضاً باسم الآرية . فان الهنود واهل مادي وفارس واليونان والرومان والجرمان والكلتيّين والسلاف القدماء كانوا في ازمان بعيدة امماً مستقلة في لغاتها وتواريخها . ومعلوم الآن ان هؤلاء جميعهم تفرعوا من اصل واحد وان لغاتهم بنات ام واحدة . فان كان عمر البنات يقدر بالوف السنين فبالحري عمر الامّ . فلا بدع اذا ارجعوهُ الى مئة الف من السنين

———

السبيرتسم

وعلاقتهُ بالجنون

(١)

ظهرت مسئلة السبيرتسم من ستين سنة وكثر فيها البحث والجدل وادعى انصارها معرفة اسرار ما وراء الطبيعة ووسائل الاتصال بعالم الارواح واجتهدوا في نشر تعاليمها وتأييد مبادئها . وادعاها ايضاً قوم في الشرق عالم العجائب ومسرح الارواح فلم يخطُ هذا العلم ان صح ان نسميهُ علماً رغم اجتهاد دعاتهِ خطوة واحدة الى الامام من نشأتهِ الى الآن بل بقي على ما كان عليهِ من الغموض والابهام فلم يحلُ غامضاً ولا كشف سرًّا طبيعيًّا . وبذل المقتطف مجهودهُ من عهد بعيد في كشف النقاب عما في اعمال اصحاب هذا العلم من الغش والاحتيال وفي تفسير بعض ظواهرهِ علميًّا . ولو جُمع ما كتب في هذا الموضوع لملأ صفحات كثيرة من حجم المقتطف الأ ان الكتابات كانت متفرقة وفي اوقات متباعدة فلم يلم الجمهور بها وبقيت المسائل ترد اليهِ بين حين وآخر فيجيب عليها على قدر ما يسمح بهِ وقتهُ ومجالهُ . فرأيت ان اجمع في مقالة واحدة كل ما تهم معرفتهُ في هذا الموضوع ليلمّ بهِ كل من يحب الوقوف على اسرارهِ . واستندت في ما كتبت الى ثقات درسوا الموضوع درساً دقيقاً والموا بهِ من كل جهاتهِ . ويؤيد الثقة بهم كونهم اطباء اخصائيين بالامراض العصبية ومديري ملاجئ المجاذيب والمجانين فاذا بحثوا فيهِ سار بحثهم على القواعد العلمية ومطابقة الحوادث التي تقع تحت نظرهم على احوال الوسيط او الشخص السبيرتي

يجب ان نعرف اولاً ان السبيرتسم واستحضار الارواح هو غير المانيتسم (التنويم المغنطيسي) ففي الاول يستولي الوهم على اصحاب الدخل العقلي وبعض اصحاب الامراض العصبية كما سنرى . والثاني حقيقة علمية يعترف بها كبار العلماء ويستعملها اطباء اخصائيون لشفاء بعض الامراض العصبية . وفي المانيتسم يستولي المنوّم (بالكسر) على ارادة المنوَّم (بالفتح) فيجري اوامرهُ انفعاليًّا بدون ان يدرك انهُ مسوق الى العمل بتأثير عامل خارجي . والشخص القابل للتنويم يكون دائماً ضعيف الارادة منحرف المزاج العصبي واحياناً مختط الادراك والعقل فهو لذلك يصح ان يكون وسيطاً ملائماً لاعمال السبيرتسم فاذا حضر قوم جلسة تنويم مغنطيسي وادعى المنوَّم كشف الاسرار ومعرفة الماضي والمستقبل فذلك

تدجيل غايتهُ التمويه والكسب لان اصحاب العلم الجديرين بالثقة كالاطباء الاخصائيين ومديري مستشفيات الامراض العصبية لا يدَّعون هذه الدعوى بل ينكرونها كل الانكار. وقد تيسر لنا حضور جلسات كثيرة من التنويم المغنطيسي فعرفنا ما فيها من الحقائق وتحققنا فساد دعوى معرفة الغيب بامتحانات لا تقبل الريب لاننا كنا نلقي الاسئلة على المنوَّم وهو هنا بمنزلة الوسيط في السبيرتسم فيجيب عليها اجوبة تافهة او غير سديدة . وبيان ذلك ان المنوِّم يوجب ان يقف على ما تضمرهُ فاذا عرفهُ اجاب المنوَّم جواباً ينطبق على السوءال وذلك لان المنوِّم يستولي على ارادة المنوَّم وذهنهِ فيجعلهُ خاضعاً لارادتهِ ومن ثم فهو يستطيع ان يوحي اليهِ الضمير فيجيب هذا عليهِ كما يشاء. مثال ذلك ان تضمر ان لك ابناً في الحرب على خط النار وانك تريد ان تعرف عنهُ شيئاً وانت ليس لك ابن هناك فينبئك المنوَّم ان حالة ابنك هي كذا وكذا فيتضح من ذلك انهُ لا يعرف شيئاً من الغيب وان لا اتصال لهُ على الاطلاق بعالم روحاني وان المنوِّم هو الذي كشف لهُ ضميرك فاجاب على ما تحب ان تعرف باعتقاد انك صدقت بان لك ابناً على خط النار . وقد اسهبت الكلام على هذا الموضوع في مقالة ادرجت في المقتطف فلا حاجة للرجوع اليهِ واطالة البحث فيهِ

واما السبيرتسم فعمل مستقل يقوم بظواهر خصوصية وفي ظروف خصوصية ويدعي اصحابهُ ان الارواح تجسم وتعود الى هذا العالم ولكن لمدة قصيرة تكون فيها شديدة التأثير

وتنحصر ظواهر السبيرتسم في اعمال قليلة وهي سماع اصوات القرع وحركة الطاولة وظهور الشبح والكتابة . ويقولون ان الارواح تخاطبهم بهذه الوسائل فالاصوات تصدر من الهواء والطاولة ومن رفس الارض برجل الطاولة وهي واضحة ومنسقة ولكل منها معنى خاص . والشبح يظهر بصورة خيال تجللهُ سحابة ولكنهُ واضح الى ان يمكن تصويرهُ بالفوتوغراف . والطاولة ترتفع عن الارض وتنتقل الى الامام والوراء والجانبين وتقف في الهواء لا يوءخرها ناموس الجاذبية العام عن القيام بهذا العمل الخارق . والكتابة تحصل بحركة يد الوسيط بدون ان يعرف غالباً ما هي او ما هو معناها . فبهذه الظواهر او بهذه اللغة المصطلح عليها تخاطب الارواح العالم الخارجي وعلينا ان نفك رموزها لتنكشف لنا اسرار المسئلة

لا يجوز ان نسفه بلا برهان علمي او دليل سديد آراء اصحاب السبيرتسم او ننكر مبادئهم الغريبة وان قامت اركانها على رمل تسفيهِ الرياح بل يجب ان نفرض ان مسئلة السبيرتسم تقبل البحث والجدل مثل كل المسائل العلمية لان كل علم ما عدا علم الحساب وما يتفرع عنهُ فيهِ نظريات تحسب اليوم حقيقة وتنقض غداً فيجب ان نلتفت اليهِ التفاتنا الى

المسائل العلمية وان كنا لا نرى فيهِ من الاهمية سوى ما بلغ من سلطتهِ على افكار العامة حتى لم يبقَ لانصارهِ حاجة الى التبشير بهِ ودعوة الناس اليهِ لان الناس يأتون اليهم مختارين من كل ناحية وصوب ويتهافتون على حضور الجلسات ويملأون قاعات التشخيص واكثرهم اقبالاً اصحاب الهوس الديني لانهم يشاهدون من العجائب ما ينطبق على ما الفوا تصديقهُ والاعتقاد بهِ من التعاليم الدينية . فاذا شاهدوا في جلسات السبيرتسم غرائب وعجائب يقصر ادراكهم عن تفسيرها وهي تشبه في ظاهرها العجائب التي رسخ فيهم الايمان بها مالوا الى الاعتقاد بصحتها ووجهوا حياتهم نحو هذا المعتقد الجديد . على ان الحياة تتجه في سيرها الى امور كثيرة كالحاجة والاشغال اليومية والحزن والفرح الخ والى الامور الشخصية كالاطباع والاميال والامزجة فيتالف من مجموع هذه الامور مركب فاعلي وانفعالي يدفع الى حب الاستطلاع والرغبة في كشف الاسرار والغوامض . والسبيرتسم يستولي على الذهن عند ما تكون المعدة ملآنة والقلب خالياً والجسم مستريحاً والمجال واسعاً للافتكار فيهِ فهذا هو مجال النظر في مبدإِ السبيرتسم وهو على ما نرى قليل الاهمية من حيث الفلسفة الشخصية وعدم وجود ضرر منهُ على الحياة او على النظام الاجتماعي . وعلى هذا النحو سار العالم من ستين سنة الى الآن يحسب السبيرتسم اكتشافاً جديداً لا توازيهِ الاكتشافات الكهربائية واشعة اكس والتلغراف اللاسلكي والطيارات الهوائية والغواصات التي هي العوامل الحقيقية للرقي والمقدمات الصحيحة للانقلابات الاجتماعية

يذهب الناس في تأويل مسائل السبيرتسم بحسب عقولهم واميالهم وتربيتهم وغرائزهم وينقسمون فيهِ الى ثلاثة اقسام : القسم الاول فريق المتعلمين الذين يشكون في صحتهِ ويمعنون النظر في وسائلهِ . فاذا ارتابوا في واحدة او ظهر لهم الخداع فيها نبذوها بجملتها واكثرهم لا يكترث لهُ كعلمٍ بل يذهب الى قاعة الجلسة كما يذهب الى قاعة التمثيل فلا يعلق في ذهنهِ منها سوى ذكر وقائعها . ووجود هذا الفريق في الجلسة يكرههُ اصحاب السبيرتسم وكثيراً ما يحاولون توقيف الجلسة لاعذار ينتحلونها واذا فشلوا في حضورهم حسبوا فشلهم من قبيل فشل الكيماوي بين احياناً بامتحاناتهم الكيماوية

والقسم الثاني فريق العلماء الذين يميلون الى البحث والتنقيب فيبحثون في السبيرتسم بحثاً ينطبق على القواعد العلمية ومنهم فلامار يون الفلكي المشهور ولكن ابحاثهم لم تأتِ بنتيجة رغم ما بذلوا من الجهد العظيم ورغم ما هم عليهِ من المكانة في العلم ومن دقة النظر وصدق الامتحان لان المسئلة على ما ظهر الى الآن لا تقبل التحقيق حتى ان فلامار يون نفسهُ نصير

السبيرتسم العنيد اضطر الى الاعتراف بان السبيرتسم لم يكشف لهُ غامضاً من غوامض الطبيعة وان ليس لظواهرهِ قاعدة يصح ان تكون قياساً لغيرها

والقسم الثالث فريق العامة الذين يترددون الى جلسات السبيرتسم لمشاهدة الغرائب المدهشة التي تخلب الباهم وتبهر ابصارهم وهم ليسوا على علم يؤهلهم لفهمها ومعرفة اسبابها وردها الى القواعد العلمية فيميلون الى تصديقها و ينسبون ما لا يفهمونهُ طبيعيًّا الى خوارق الطبيعة قياساً على خرافات الاقدمين واعتقادهم بغرائب الجن وخاتم المارد و بساط الريح وقبع الاخفاء الخ

ظواهر السبيرتسم

تجري الامتحانات في غرفة مظلمة و يقف الوسيط شاخص البصر ومحدقاً الى الطاولة ترجمان الارواح ينتظر الشروع في عملهِ وقضاء مهمتهِ . والحضور مجانين وعقلاء ينتظرون الشروع في العمل بشغف وفروغ صبرٍ كأن على رؤوسهم الطير فترتجف القلوب وتشخص الانظار وتضطرب الاعصاب و يأخذ التأثير مأخذهُ في كل منهم ولا سيما النساء لان فترة الانتظار للوقوف على ما يخبئهُ لهن المستقبل اشد تأثيراً فيهن مما هو بعد حصولهِ . ومن البديهي ان يحصل هذا الانفعال لمن يقف عند حافة المجهول وهو لا يعلم ما ستفاجئهُ بهِ الارواح من الخطر او الحذر اوكشف المستور من يد ذلك الوسيط او تلك الطاولة التي عما قليل ستهتز وتتحرك وترتفع وتدور وتجاوب على ما يلقى عليها من الاسئلة . فحضور الجلسة في بداءتها عظيم الاهمية والشأن لان الانفعال المتواصل يبلغ في نهايتها اشدهُ ويعم كل الحاضرين . والظواهر العصبية على ما تكون عليهِ من القوة والضعف في الشخص تظهر في البداءة ومنها يحكم على ميل الشخص ومزاجهِ واستعدادهِ ومن ثم على تأثير السبيرتسم فيهِ

يشرع الوسيط في العمل وحدهُ او بمساعدة شخص او شخصين فيضع يدهُ على الطاولة ثم يضع ممثلو الحفلة ايديهم ويتلوهم بعض الحاضرين حتى تتلامس الاصابع وتتم الحلقة فتأخذ الطاولة بعد ذلك في الحركة التي يشعر بها الممثلون اولاً لانهم يشعرون باخف الاهتزازات واضعفها ثم تزيد قوةً ووضوحاً حتى يشعر بها الجميع لان الطاولة اذ ذاك تأخذ في التقدم والتأخر والارتفاع والهبوط . ثم يضع الوسيط يدهُ بيد احد الحاضرين و يضرب بالاخرى في الهواء ضربةً او اثنتين او ثلاثاً او اربعاً فتسمع اصوات هذه الضربات من جهة الطاولة وهي اصوات صماء تشبه اصوات الصدمات الكهربائية . ومما يستحق الذكر هو ان رجلي الوسيط لا تلامس في هذا العمل ارجل الطاولة بل تكونان بعيدتين عنها ثم يضع الوسيط وبعض الحاضرين ايديهم على الطاولة فتسمع الاصوات من جوانب الغرفة وتظهر اقوى من الاصوات السابقة

تعزى هذه الاصوات الى طرق شتى من الغش والاحتيال الأ ان اصدق تعليل لها ما جاء بهِ الدكتور مارسل ڤيولت الذي درس الموضوع درساً دقيقاً فقال ان ذلك القرع المنظم هو اصطلاح تؤدّى بهِ معانٍ خصوصية فان قرعتين مثلاً تعنيان السلب وثلاث قرعات تعني الايجاب وان تنسيقها يدل على بعض حروف الهجاء فيؤلفون من الحروف كلمات يفهمها الوسيط فيؤدي نحواها للمستفيد

طلب الدكتور مارسل ڤيولت الاتصال بالارواح بمجلس حول الطاولة وكان بقربها كرسيّ ثقيل من نوع « البوف » يبعد ستين سنتيمتراً عن رجل الوسيط ليتأكد عدم احتيال الوسيط على استخدامهِ فتحرك الكرسي تحت رجلهِ حركة انزلاقية ذهاباً واياباً وكان اذا دفعهُ برجلهِ يرجع من نفسهِ اليهِ ثم تحرك الكرسي خمس مرات او ستاً حركة قوية ارتفعت الطاولة بعدها بدون ان يمسها احد وسقط ما عليها وتبعثر . ذلك لان الكرسي وان كان ثقيلاً ينزلق بسهولة على ارض الغرفة ويسهل دفعهُ بالرجل وجرّهُ بخيط من الدوبارة . وكانت الستائر تنتفخ على طولها كما لو نفختها ريح عاصفة بدون ان يمسها الوسيط بيدهِ او برجلهِ وترتفع احياناً فوق رؤوس الحاضرين وتجللهم . ثم وضع يدهُ في احدى يدي الوسيط ووضع احد اصحابهِ الفلكيين يدهُ في الاخرى فشعرا كلاهما بنخسٍ مؤلم على خاصرتيهما وكتفيهما ولم يريا اليد التي لمستهما بحيث يجوز ان يقال انها يد شخص غير منظور . وقد سمع اصوات القرع التي تصدر من الطاولة ورأى الطاولة تتحرك وتعلو وتنزل وتضرب الارض بارجلها ووقف على الاسئلة التي تلقى عليها وعلى الاجوبة التي تجاوب بها فتحقق بطول البحث ودقة النظر ان حركات الطاولة مع اصوات القرع الصادرة منها اشارات مصطلح عليها للدلالة على كلماتٍ او جملٍ . وطريقتهم في ذلك ان يبدأوا بكلمةٍ يسرعون الى كتابتها تحاشياً لضياع الوقت فاذا لم تفِ تلك الكلمة بالغاية او لم يفهم المقصود منها اعترضت الطاولة وظهر اعتراضها بحركات خصوصية كانها تتبرَّم فتعطي كلمة ثانية وثالثة الى ان يحصل الاعتقاد بوجود عنصر روحاني

وشاهد في بعض امتحاناتهِ الشبح او اجزاء منهُ كاليد والساعد والراس والجذع . قال : حضرت وصديقي فونتناي جلسة في مونفور لاموري فرأى صديقي شبحاً بيني وبينهُ واما انا فلم ارهُ لاننا كنا متقابلين نراقب اوسابيا (الوسيط المشهورة) وكل منا ممسك بيد من يديها . فتبادلنا محلينا فظهر لي حينئذٍ الشبح وهو رأس رجل ذي لحية كثة الأ انهُ لم يكن جلياً وتبادر الى ذهني انهُ خيال شخص يروح ويجيء امام مصباح احمر ولهذا لم اتمكن من مشاهدتهِ

من محلي الاول لان المصباح كان ورائي فظهر الشبح بيني و بين صديقي و بما انهُ لم يكن واضحاً وجليًا سألت هل يسمح لي بلمس تلك اللحية وللحال شعرت بلمس لحية ناعمة جداً لظاهر يدي

ظهرت كل تلك الظواهر بحضورهِ في القاعة التي كانت تزيد ظلاماً شيئاً فشيئاً بطلب الوسيط والحاضرين لان الارواح في زعمهِ لا تظهر الاّ اذا جعلت نفسها في مستوى الطبائع البشرية فتخاطبهم بطريق اعضاء الحس والسمع والبصر . رأى الطاولة تتحرك وترتفع وتقرع قرعاً متبايناً وفهم رموز القرع من نوع الاجوبة التي يجاوب بها على الاسئلة وظهر لهُ انها اجوبة تافهة لا قيمة لها ولا فائدة منها لان ڤيكتور هيجو الذي كانت روحهُ تستحضر كان يغلط في الاملاء وڤولتير في الانشاء . ولكنهُ لم يكترث لها كثيراً لان غايتهُ من البحث الوقوف على ظواهر الحياة بعد الموت لعلَّ في الطاولة سرّاً لم يسبر غورهُ فيكشف

وفي الواقع ان المسئلة بنفسها قليلة الاهمية ما خلا ما يكون من فعلها احياناً في توليد الانفعالات لان العامة الجاهلة اذا وقفت على تعليل مسئلة من المسائل الطبيعية تعليلاً علميًا لم تعد تلك المسئلة تؤثر فيها تأثيرها السابق . فالصاعقة كانت سابقاً ترعب الناس عموماً اما الآن فلا تخيف احداً لانهم وان كانوا لا يعرفون شيئاً عن الكهربائية فقد عرفوا ان الصاعقة تحصل بسلسلة قوات طبيعية وهي مع ذلك لا تزال تقتل الآن كما كانت تقتل سابقاً . واذا عرف ان نور الشفق حادث طبيعي برح من الاذهان انهُ نذير بالشر . وما من احد من اقاصي الريف يستغرب الآن سير المركبة بلا خيل وقس عليهِ . فالعلم الصحيح لا يثير النفسانيات والعلم غير الصحيح يؤثر فيها كثيراً و يشوش العقل بتعليل المسائل على ما هو فوق الطبيعة ولهذا فالشبح الذي يظهر في تمثيل السبيرتسم يؤثر ظهورهُ الغريب في الاشخاص المرضين للاختلاط الذهني والهذيان و يعرضهم للتعاسة والشقاء في حياتهم العقلية والعملية

يتضح مما سبق بيانهُ ان ظواهر السبيرتسم تصدر من شخص غير منظور و يتلقنها الوسيط بالرموز و يطلق عليها اسم الخارجة لانها ليست منهُ وخارجة من عملهِ الذاتي ولكن من الظواهر ما يتولد في الوسيط نفسهِ و يصدر منهُ بدون ان يتلقنهُ من مصدر خارجي وتسمى بالباطنة وهي اكبر شأناً من تلك واكثر اهمية لانها تستلزم استشارة الارواح بسرعةٍ وتدل على بلوغ الوسيط درجة الكمال وتظهر فيهِ بالكتابة والتكلم والملابسة

اما الكتابة فهي ان يكتب الوسيط احرفاً او كلمات او جملاً يتلقنها من الروح من غير ان يكون لدماغهِ او فكرهِ دخل في تأليفها ومن غير ان يكون تحت تأثير النوم المغنطيسي . وتعرف هذه الحالة في الفلسفة العقلية بالظاهرة الروحانية وفي الطب بازدواج الشخصية لانها

تحدث من ارتجاج العقل الذي يحصل عقيب التأثر والانفعال الشديدين وتظهر في المجاذيب اصحاب الهذيان وفي المجانين عند ما يستقل المركز الدماغي لوظيفة الكتابة بالعمل

واما التكلم فهو ان يتكلم الروح بفم الوسيط وهو حالة من ازدواج الشخصية اوضح واتم من الحالة السابقة لان عضلات التكلم اقل خضوعاً للارادة من عضلات الكتابة فيكون الارتجاج العقلي فيهِ اكثر ظهوراً وتظهر هذه الظاهرة في الوسيط من غير ان يكون في حالة الجولان النومي الذاتي او المحدث. ويظهر مثلها في الامراض الدماغية وفي المجاذيب المصابين بالهذيان المعروف بهذيان الحركة الكلامي

واما الملابسة فهي آخر حد لازدواج الشخصية لان الروح تلابس الوسيط وتسكن فيهِ وتكتب بيدهِ وتتكلم بفيهِ وتتسلط على عضلات وجههِ فتتحكم في سحنتهِ وملامحهِ وحركاتهِ بحيث يصبح بحالةٍ تختلف كثيراً عن حالتهِ السابقة بخطهُ لا يشبه خطهُ السابق ويصير للامحهِ معانٍ غير مألوفة ويحصل ذلك في حال النوم واليقظة . والوسيط يتعب منهُ تعباً زائداً قد لا يخلو من الخطر ويحصل مثل ذلك لبعض المجاذيب ويظهر فيهم في اوقات متقطعة وقد يكون طويل المدة او مستمراً اذا كانت العلة الدماغية فيهم مزمنة

هذه اهم الظواهر السبيرتية وهي غريبة وخارجة عن المألوف واذا لم تفسر تفسيراً علمياً صحيحاً كانت محل الدهشة والاستغراب . فحصول ما يماثلها في الاختلاط الذهني ينقض غرابتها ويدل على رابطة القربى بينها وبينهُ اذ لا ريب ان المناظر التي سبق شرحها تحدث في المراكز الحسية العمل الذاتي الانفعالي (automatisme) لان رؤية الاشباح وسماع اصوات القرع المتباينة تستوجب استرعاء اعضاء الحس الظاهرة ثم استرعاء مراكزها الدماغية ثم توجيه قوى العقل لادراكها وتفسيرها . اما الحركة والصوت فيمكن تفسيرهما بالسبب الذي احدثهما واما العمل الذاتي الانفعالي فيعسر تفسيرهُ فيردُّ الى عمل الارواح . وهذه هي نقطة الاشتراك بين الظاهرة السبيرتية وبين الاختلاط الذهني فهذا يشتق من تلك والاستعداد الشخصي واسطة الاتصال بينهما لان اصحاب الاستعداد تشتد رغبتهم في جلسات السبيرتسم للاتصال بالارواح والوصول الى حالة من احوال الوسيط ولاسيما حالة العمل الذاتي الانفعالي كالكتابة فاذا بلغوها كانت عاقبتها عليهم الاختلاط الذهني

الدكتور
امين ابو خاطر

طريقة الصرف المغطّى

او الصرف بالبرابخ [1]

في القطر المصري نحو مليون فدان من الاطيان الضعيفة التي انفق عليها الى الآن نفقات جمة لاصلاحها وهي مرهونة بمبالغ كثيرة مع انها لا تأتي الأ بحاصل قليل لا يوفي فائدة تلك النفقات والرهون. اذ لا يخفى ان اغلب المتأخرات الجسيمة المطلوبة للبنوك الراهنة والتي هي سبب تكاثر نزع الملكية في هذه السنين الاخيرة ليست مطلوبة على الاطيان التي من الدرجة الاولى مثل اطيان المنوفية وغيرها بل جانب عظيم منها متأخر على الاطيان التي اشرنا اليها . فسنشرح اولا حالة الاطيان المذكورة . وثانيًا سبب ضعفها والطريقة اللازمة لاصلاحها . وثالثًا النتيجة المالية المنظور الحصول عليها من تعميم تلك الطريقة

(١) — حالة الاطيان —

قدر السر وليم ولكوكس في كتابهِ عن الري في مصر الاطيان المحتاجة الى الصرف بالآلات الرافعة على الغالب بنحو مليون وثلثمائة وعشرين الف فدان . فاذا اسقطنا من هذا القدر نحو ثلثمائة وعشرين الف فدان من الاطيان الحسنة القديمة العهد بالزراعة في تلك المنطقة يبقى لدينا مليون فدان من الاطيان الضعيفة الكثيرة الاملاح والرطوبة

ثَبتَ من المباحث التي جرت حديثًا ان المياه الموجودة في جوف الارض بهذا القطر قد ارتفع منسوبها في السنين الاخيرة وذلك بسبب ارتفاع منسوب المياه في التُرَع العمومية الناشئ عن ارتفاع الحواجز في القناطر الخيرية بقرب مصر وبسبب تعميم الري في القطر . فتسبَّبَ من ذلك اولاً بعض النشع الى الاطيان القريبة من الترع العمومية . وثانيًا ما نراهُ سنويًا من تساقط لوز القطن في شهري اغسطس وسبتمبر قبل ان تدخلهُ الدودة اذ يرد ماء النيل حينئذٍ فيعم الري جميع الاطيان حتى الشراقي والتي تزرع البرسيم البدري او القطن فتكثر المياه في جوف الارض وترتفع فتغرق بها جذور اشجار القطن و يتساقط اللوز بكثرة من جراء ذلك . وكان هذا السبب من الاسباب المهمّة التي افضت الى قلّة حاصلات هذه السنين المتأخرة في الاطيان البحرية . فان جوف ارضها ممتلئ رطوبة مضرّة . واذا اردت

(١) ملخص ترجمة المحاضرة التي القاها حضرة صاحب الامضاء على الجمعية السلطانية الاقتصادية في جلسة ٣١ مارس الماضي

برهاناً على ذلك فقابل منسوب المياه التي في المصارف المارّة في وسطها بمنسوب الارض نفسها فترى ان الفرق بينهما في معظم الاحيان لا يزيد على ثلاثين سنتيمتراً ففي هذه الحالة تكون محاصيل تلك الاطيان ضعيفة جداً وسكانها لهذا السبب قليلين وكذلك مواشيها فينتج من ذلك قلة النفر والخدمة والسباخ

فاذا بقيت حالة تلك الاطيان على ما هي عليهِ اي لا يزيد ايرادها على واحد او واحد ونصف في المائة مع ان كثيراً منها مرهون للبنوك بواقع سبعة او ثمانية في المائة فالمتأخرات تزيد طبعاً وتؤدي الى نزع ملكيتها . وعاقبة ذلك على القطر المصري سيئة جداً لان تلك الاطيان الحديثة التصليح والزراعة هي التي كانت سبب جانب كبير من الدين على القطر فاذا بقيت تلك الاطيان على ما هي عليهِ فكيف يسدّ ذلك الدين الجسيم الذي عليهِ لاوربا . اما اذا اصلحت فان حاصلاتها تزيد وتُرسل الى الخارج وتزيد الصادرات فتفوق الواردات وفائدة الدين الذي على القطر

اذاً من الضروري لمصلحة المُلاك الخصوصية ومصلحة القطر العمومية ان تصلّح تلك الاطيان تصليحاً مستوفياً . وهو ما نبحث فيهِ الآن

(٢) — تصليح تلك الاطيان بواسطة الصرف المغطى —

في الناس فريق يظنّ ان رطوبة الوجه البحري واحوالهُ الجوية هي التي تؤثر في المزروعات وتسبب كثرة النداوى وتأخير نضج المحصولات وان الضرر جميعهُ ناتج من ذلك

فنحن لا ننكر تأثير الطقس والرطوبة في المزروعات ولكننا نرى اولاً ان ليس هناك فرقٌ جسيمٌ بين طقس المنطقة البحرية والمنطقة المتوسطة من هذا القطر الى حدّ يسبّب قلة غلة الاطيان البحرية

ثانياً نرى في اقاصي القطر ان الاطيان التي صرفها حسن والتي هي اعلى من غيرها تأتي بحاصلات وافرة مثل اطيان باقي القطر ولذلك فان السبب في ضعف الاطيان البحرية هو وجود الملح وكثرة المياه في جوفها لا رطوبة الجو . وعلى كلٍّ فان رطوبة الجو تأتي من جملة اسباب منها تبخر المياه من جوف الارض فاذا صُرفت تلك المياه وجفت الارض تماماً يقل التبخر ونقل الرطوبة . فالتحسين متوقف والحالة هذه على الصرف

اما الطريقة المستعملة الآن لصرف تلك الاطيان فهي كما يعلم القرّاء عمل مصارف

صغيرة في وسط الارض تبعد بعضها عن بعض ٣٠ الى ٦٠ متراً وعمقها لا يزيد على ثمانين سنتيمتراً الى متر . فهذه الطريقة تحسن الاطيان بعض التحسين مع مرور الزمان الطويل ولكن المالك لا يوافقهُ الانتظار هذا الوقت الطويل للحصول على ايراد كافٍ من اطيانهِ وخصوصاً اذا كانت مرهونة بواقع المائة سبعة او ثمانية في السنة . واذا امعنّا النظر في طريقة المصارف المكشوفة نرى ما يأتي

اولاً : ان هذه الطريقة تحسينها بطيء جداً فلا يتحسن بها في السنين الاولى سوى جزء قليل من الارض وهو الملاصق للمصرف ويبقى الباقي بائراً . واذا تحسن فيما بعد فيكون تحسنهُ سطحياً ويبقى جوف الارض سيئاً والبرهان على ذلك انهُ اذا تركت تلك الارض سنة او سنتين فقط غطت الاملاح سطحها وعادت كما كانت قبل التصليح

ثانياً : ان طريقة المصارف المكشوفة تجعل جانباً كبيراً من الارض مشغولاً بالمصارف من غير ان يزرع وهذا الجزء يتراوح ما بين سبعة في المائة وستة عشر بحسب قرب المصارف او بعدها بعضها عن بعض فاذا قدرنا ايجار الفدان بستمائة غرش فقط ومساحة المصارف مع جسورها بثلاثة قراريط من اربعة وعشرين قيراطاً فتكون الخسارة الناتجة من عدم ايراد الارض المشغولة بالمصارف مبلغ ٧٥ غرش سنوياً . فاذا أضيفت لتلك الخسارة مصروفات تطهير المصارف السنوية التي لا تقل عن ١٥ غرشاً الى ٢٥ غرشاً الفدان الواحد رأيت ان طريقة المصارف المكشوفة منها خسارة سنوية من ٩٠ غرشاً الى ١٠٠ غرش في الفدان الواحد

ثالثاً : لو كان من الممكن حفظ جميع المصارف المكشوفة منتظمة وعميقة على الدوام ومطهّرة ونظيفة من الحشائش وغيرها لا غضينا عن باقي عيوبها ولكن هذا من الصعب جداً بل من المحال كما يعلم من كان مثلنا مكلفاً ادارة بعض ابعاديات من الاطيان المشار اليها . واوّل مانع لذلك هو كثرة المصارف التي في الاطيان ففي ابعادية مساحتها مثلاً خمسمائة فدان ترى ٣٠٠ الى ٤٠٠ مصرف فكيف يمكن والحالة هذه حفظ ذلك العدد الكبير بحالة منتظمة فان صرف المياه السطحية ومرور المواشي وانهيال الجسور تجعل تلك المصارف تطمي بسرعة . واذا كانت تلك الاطيان مؤجرة زادت صعوبة حفظ المصارف ايضاً لان الفلاحين عادةً لا يهتمون بمسائل تطهير المصارف وحفظها نظيفة واذا اجبرتهم على ذلك طهروها تطهيراً سطحياً قليل الفائدة وهذه هي حالة العزب المتقنة نوعاً فما بالك بالابعاديات المتروكة لادارة الجهلاء والتي لا يتعهدها المالك الا نادراً

فترى من ذلك ان حفظ المصارف المكشوفة مطهرة جيداً من الامور الصعبة جداً ان لم تقل من المستحيلة فيلزم مُلاك تلك الاطيان ان يلجأوا الى طريقة صرف أخرى تكون وافية بالغرض وتزيل كل الاضرار السابق ذكرها · وهذه الطريقة هي طريقة الصرف المغطى اي البرابخ الفخار المغطاة · وهي ان يُفتح في الارض على مسافات متقاربة من ١٠ امتار الى ١٢ متراً مجارٍ ضيقة وعميقة من ٨٠ الى ٨٥ سنتيمتراً وقاعها منحدر انحداراً متساوياً بطريقة هندسية توضع فيهِ برابخ فخار قطر الواحد منها عشرة سنتمترات ومتداخلة بعضها في بعض عند اطرافها · ثم تغطى تلك البرابخ بالتراب المحفور من المصارف فيعاد ما اخذ من اسفل الى مكانهِ وما اخذ من السطح الى مكانهِ · و يلزم ايصال البرابخ في النهاية الى مصرف مكشوف يكون عميقاً لاجل صرف مياه البرابخ اليه · واذا كان منسوب مياه المصرف العمومي لا يضمن الصرف بالراحة وجب تركيب آلة رافعة لنزح المياه منهُ

اما فوائد هذه الطريقة فهي كثيرة وهاك اهمها :

اولاً ترى في الرسم الذي على الصحيفة المقابلة حرف (ا) رسم قطعة ارض منصرفة بالبرابخ وحرف (ب) رسم ارض منصرفة بالمصارف المكشوفة المعتادة في القطر المصري · ويتضح لك من مقابلتهما انهُ يمكن حفر مصرف واحد مفتوح بحسب الرسم (ب) حيث يمكن حفر خمسة مصارف او اكثر بموجب الرسم (ا) اذ المصارف مغطاة في جوف الارض بحسب الطريقة الثانية فلا تمنع زراعة سطحها · فينتج من ذلك ان الصرف يكون بقوة زائدة جداً ليس فقط بالنسبة لزيادة عدد المصارف بل ايضاً بالنسبة لشفط اي جذب البرابخ في الارض · وقد اتضح ذلك جليًّا في التجربة التي اجرتها مصلحة الدومين في سنة ١٩٠٢ والتي سنذكرها فيما بعد ففي تلك التجربة بلغت مياه الصرف الواردة من ارض مساحتها ٢٧ فداناً وصرفت بالبرابخ ١١٧ متراً مكعباً في الساعة · وقد صرف ٢٧ فداناً بالمصارف المكشوفة فلم يصرف منها الأ عشرة امتار مكعبة بالساعة اي اقل من الاولى باحد عشر مرة وهذا معقول لان المياه بموجب الطريقة المغطاة تتجه الى المصارف عامودية ولا ترى مانعاً يمنعها من ذلك اما في الطريقة المكشوفة فتضطر ان تتجه الى المصرف المكشوف أفقية · ومن المعلوم عند المجربين ان الارض الجامدة تعارض مرور المياه في قلبها افقيًّا · فينتج اذاً من وجود البرابخ ان المياه المضرة التي في داخل الارض تنصرف بسرعة ومعها الاملاح المضرة ايضاً

ثانياً ان الصرف المغطى بالبرابخ يجعل الهواء الذي هو روح المزروعات يتخلل جوف الارض بكثرة لان الهواء يدخل الارض و يحل محل المياه التي كانت فيها ثم يدخل ايضاً البرابخ عند انتهاء مرور المياه منها ويتخلل الارض هكذا من اسفلها فتجف وتتشقق بسرعة والفلاحون يعلمون ان تشقق الارض هو دليل تحسنها وخصوبتها • ومن هذا يتضح ان الصرف المغطى يزيل الاملاح المضرة من الارض ويحسن معدنها و يجعلها تفرط مثل الارض المستعملة من سنين عديدة

ثالثاً ان الصرف المغطى يحفظ حرارة الارض اذ يمنع تبخر المياه منها فينتج من ذلك اولاً سرعة نضج المزروعات وهذا مهم جداً لان الضرر الذي يصيب القطن وغيره يصيبها متأخراً • وثانياً ان الارض تلين للحراث وتنشف فيمكن خدمتها وزراعتها بدرياً وهذا مهم ايضاً كما يعلم المزارعون

رابعاً واخيراً ان الصرف المغطى يوفر على المالك كما اشرنا سابقاً مصروفات التطهير ويمكنه من زراعة الارض و يسهل مرور العربات ووابورات الحرث وغيرها مما ينتج من استعماله وفر مهم في الابعاديات المتسعة • فكل تلك الفوائد تدل على محاسن طريقة الصرف المغطى ولكن يلزمنا ان نبحث هل حققت التجارب تلك المحاسن

وجواباً على هذا نقول ان هذه الطريقة هي المستعملة في اوربا عامة ونتيجتها هناك حسنة جداً والاطيان المنصرفة هكذا تفوق دائماً بخصبها الاطيان المجاورة لها حتى ان حكومات اوربا سنت قوانين تجبر الفلاحين وتساعدهم على تعميم تلك الطريقة ومدت الاهالي مالياً لهذا الغرض • فان حكومة انكلترا مثلاً سلفت الاهالي ستة ملايين جنيه لاجل استعمال تلك الطريقة في مليون ومئتي الف فدان وكانت النتيجة حسنة الى حد ان هذه السلفة اوفيت في مدة ثماني سنوات فقط • وسنت الحكومة الفرنسوية قانوناً في ١٧ يوليو سنة ١٨٥٦ اقرضت الاهالي بمقتضاه اربعة ملايين جنيه للغرض نفسه وكانت النتيجة ايضاً حسنة للغاية • وقد يظن البعض ان نجاح هذه الطريقة في اوربا ليس دليلاً كافياً على نجاحها في القطر المصري بسبب اختلاف الجو وطبيعة الارض • فنقول انه اتضح هناك ان الصرف المغطى يجعل الارض تجف وتتشقق ويتخللها الهواء فتصبح خصبة وهذه الامور كلها تابعة لعوامل طبيعية عامة وارض مصر عرضة لتلك العوامل كغيرها

وزد على ذلك ان طريقة الصرف المغطى استعملت في القطر المصري واسفرت عن نتيجة

حسنة جداً . ففي سنة ١٩٠٢ اتفقت مصلحة الدومين الاميرية (انظر تفصيل ذلك في مجلة الجمعية الزراعية عن شهري مايو و يونيو سنة ٩٠٣) قطعة ارض من البور المسبخة بقسم ثاني بشبيش بالغربية وقسمتها الى ثلاثة اقسام متساوية المساحة

القسم الاول : ملئ وصرف سطحيًّا بلا حفر مصارف

القسم الثاني : حفرت مصارف فيهِ و بعد الواحد عن الآخر ٣٥ متراً

القسم الثالث : صرف بالطريقة المغطاة بواسطة البرابخ

و بعد ذلك ملئت القطع الثلاث مياهاً مدة اربعة شهور ونصف متوالية وكانت مياه الصرف ترفع بواسطة طلمبة بالنسبة لعلو مياه المصرف العمومي . ثم حللت الارض بعد التجربة وكانت قد حللت قبلها فوجد ان ٢٢ طن ملح استخرج من القطعة الثانية المنصرفة بالمصارف اما ما استخرج من القطعة الثالثة المنصرفة بالبرابخ فبلغ ١٢١ طنًّا اي ٥ ½ ضعف ما استخرج من الاولى . ثم زرعت كلها قطناً في مسافة شهرين بعد اتمام التجربة وهاك المحصول الذي اتى من الزراعة :

القطعة الاولى (ملء وصرف) لم تأتِ بشيءٍ

القطعة الثانية (مصارف مفتوحة) اتت بنصف قنطار

القطعة الثالثة (الصرف بالبرابخ) اتت باربعة قناطير ونصف

وقد نقلنا ما تقدم من دفاتر مصلحة الدومين التي أطلعنا عليها باشمهندسها . ثم اننا توجهنا في اكتوبر سنة ٩٠٨ الى الارض التي جرت فيها التجربة وكانت الاطيان حينئذٍ مزروعة قطناً فنظرنا المحصول وقدرناهُ بستة قناطير للفدان في القطعة المنصرفة بالبرابخ مع ان الاطيان الاخرى كانت لا تزال ضعيفة . وسألنا الناس هناك فأكدوا صحة ما ورد في مجلة الجمعية الزراعية وسرعة تحسن القطعة المنصرفة بالبرابخ . و بعد ذلك استعملت المصلحة تلك الطريقة فيما يزيد على مئتي فدان في دَمْرُو و بشبيش وكانت النتيجة حسنة جداً . ثم ان كثيراً من الملاك في بر مصر استعملوا الصرف بالبرابخ في بعض القطع الممتحنة عندهم وكانوا مسرورين جداً من النتيجة السريعة التي توصلوا اليها . اما ارض بشبيش التي عملت فيها مصلحة الدومين تجربتها فانها ارض فرطة من طبيعتها تخشية ان يكون فعل الصرف المغطى بطيئاً في ارض سوداء جامدة عملنا نحن ايضاً تجربة في قطعة ارض مساحتها عشرة افدنة بجهة سرمباي على النيل في مديرية البحيرة بملك الخواجه جورج عيد ولم تزرع سابقاً حتى انهم جربوا زراعة

الدنيبة فيها فلم تنبت لانحطاط تربتها كثيراً عن تربة الاطيان المجاورة لها وكانت ذات ارض جامدة سوداء ومستملحة للغاية . فبعد ان ركبنا فيها البرابخ اقمنا لها ساقية لرفع مياه الصرف وملأناها بالمياه بضعة اشهر ثم زرعناها برسيماً فنما . وفي السنة التالية اصبحت اطياناً زراعية جيدة وفي العام الماضي زرعت ذرة فاتى الفدان بسبعة ارادب فجعل المزارعون يتزاحمون على استئجارها وفعلاً قدموا لاستئجارها بسعر ٦٣٥ غرشاً الفدان فابى ناظر الزراعة تأجيرها بهذه الفئة لانها تساوي اكثر . وفي شهر فبراير الماضي توجه جناب الدكتور الفريد عيد مدير صندوق الرهينات العام وجناب المسيو جاكوبس مدير شركة كفر الدوار معنا الى تلك القطعة وعايناها وتأكدا من محادثة الفلاحين هناك صحة ما كان . وكان الفلاحون مستغربين سرعة اصلاح تلك القطعة بعد ما يئسوا منها اما نحن فموقنون ان تلك القطعة التي كانت اقل الاطيان وهي الآن احسنها ستتقدم ايضاً في المستقبل ويبلغ ايجارها عشرة جنيهات الفدان بشرط ان يواظب على رفع مياه الصرف بالطلمبة المركبة في تلك الجهة لمصلحة الابعادية كلها

واذا قيل ان بعض التجارب التي جربت بها طريقة الصرف المذكورة لم تأت بالنجاح المطلوب فهذا كان سببهُ إمّا جهل طريقة وضع البرابخ ووضعها يجب ان يناط بمهندس متمرن واما ان المياه الواردة من البرابخ لم ترفع فلا فائدة والحالة هذه من وضع البرابخ في الارض اذا لم تصرف المياه التي تمر فيها وترفع بالآلة اذا كان منسوب مياه المصرف العمومي لا يسمح بالصرف بالراحة

النتيجة المالية المنظورة

اذا سئلنا ما هي كلفة الصرف المغطى بالفدان الواحد نجيب انها تختلف بحسب ثمن البرابخ ومصاريف نقلها ومثالها واجرة الحفر وغير ذلك . فالقطعة التي جربنا فيها تلك الطريقة في سرمباي كلفت سبعة جنيهات الفدان . ويقال اجمالاً ان متوسط الكلفة هو كما يأتي للفدان الواحد :

غرش	
٣٠٠	ثمن البرابخ والكسر واجرة النقل
٢٣٠	حفر المصارف ثم ردمها
١٧٠	نقل البرابخ ووضعها وعمل الميزانية وغير ذلك
٧٠٠	الجملة

هذا اذا كانت البرابخ مصنوعة باليد حسب الطريقة المستعملة هنا . اما اذا اريد صرف مساحة كبيرة من الاطيان فيمكن حينئذٍ استحضار آلات لعمل البرابخ فتقل الكلفة . ولكن لزيادة التأكيد لنفرض ان كلفة العملية ليست فقط ٧٠٠ غرش بل ٨٠٠ ولنبحث في هل تفوق النتيجة المنظورة تلك الكلفة أم لا

قلنا ان القطعة التي جربت مصلحة الدومين تلك الطريقة فيها كانت بوراً سبخة ولم تمض بضعة اشهر حتى اصبحت اطياناً زراعية جيدة واعطت اربعة قناطير ونصفاً من الفدان الواحد وهذا مما يضمن لتلك القطعة ايراداً صافياً يتراوح ما بين ٧ جنيهات و٨ للفدان الواحد . وبما ان الارض كانت بوراً سبخة قبل عملية الصرف فيمكننا الحكم بان هذا الايراد الصافي نتج من تلك العملية . وقد كانت كلفتها بما فيها مصاريف الملء والصرف ورفع المياه والحرث وغيرها بموجب دفاتر حسابات الدومين ١٢ جنيهاً و٨٠٠ مليم فكأن هذا المبلغ اتى بفائدة سنوية قدرها ٧ جنيهات و ٥٠٠ مليم اي ٦٠ في المئة سنوياً . فمن هو المالك او المموّل الذي لا يقبل على عمل مثل هذا يأتيهِ منهُ ربح سنوي هذا مقدارهُ

واذا صرفنا النظر عن ارض الدومين التي كانت فرطة من طبيعتها ونظرنا الى الارض السوداء الجامدة المستملحة التي اجرينا فيها التجربة بسرمباي رأينا ما يأتي :

كلف الفدان في تلك القطعة ٧٠٠ غرش كما تقدم . فاذا اضفنا الى ذلك مصاريف الحرث والري والصرف والرفع بالساقية الخ وهي ٢٥٠ غرشاً . وكذلك فائدة هذا المنصرف وهي ٦ في المائة لمدة سنتين بدلاً من السنة الواحدة اي ١١٧ فتكون جملة الكلفة للفدان بما في ذلك فائدة النقود ١٠٦٧ غرشاً . ولما كان ايراد تلك القطعة الصافي الآن يتراوح بين ½٥ جنيه و ٦ جنيهات للفدان — ولنقل ½٥ جنيه — فان المبلغ المنصرف وهو ١٠٦٧ غرشاً يكون قد وظف بفائدة ٥٠ في المئة سنوياً

واذا نظرنا الى ثمن الارض قبل الصرف المغطى وبعدهُ رأينا ما يأتي :

لا يمكننا ان نثمن الفدان من الارض السبخ البور باكثر من ١٠٠٠ غرش . فاذا أضفنا الى ذلك المصروفات التي عملت كما هو مبين اي ١٠٦٧ غرشاً والمصروفات لتصليح الارض وتصليحها وجزء من ثمن المباني والمهمات والمواشي وغير ذلك اي ٨٠٠ غرش على الكثير كان ثمن الفدان الواحد مع احتساب جميع كلفتهِ ٢٨٦٧ غرشاً حال كون ثمن ذاك الطين الآن (وهو مؤجر بنحو ٧ جنيهات الفدان) لا يقل عن ٨٥٠٠ غرش فيكون الربح الناتج من العملية هو ٥٦٣٣ غرشاً أي نحو ٥٦ جنيهاً ربح الفدان مع ان الرأسمال والكلفة لا يزيدان

عن ٢٨ جنيهاً فكأن العملية أتت بربح قدرهُ مائتان في المائة هذا اذا أُريد بيع تلك الارض الآن اما اذا انتظر فسيزيد ثمنها عن ٨٥ جنيهاً وربما بلغ مائة جنيه فيزيد الربح ايضاً. واذا اغضينا عن هذا الربح جميعهِ ونظرنا فقط الى الوفر الناتج للزراعة من وفر التطهير السنوي (٢٠ غرش الفدان) ومن استعمال الارض كلها بدلاً من ترك ثلاثة قراريط بور مشغولة بالمصارف من الاربعة والعشرين قيراطاً (وقد قدرنا ذلك بخمسة وسبعين غرشاً الفدان) فهذا الوفر وحده وقدره ٩٥ غرشاً سنوياً كافٍ لجعل طريقة الصرف المغطى افضل من المصارف المكشوفة لان كلفتها وقدرها ٧٠٠ غرش للفدان تأتي بوفر سنوي قيمتهُ ٩٥ غرشاً اعني بواقع ١٤ غرشاً المائة سنوياً . ويبقى الربح الذي ذكرناه اعلاه زائداً اي كما يقال بلغة الفلاحين « من فوق الكوم »

فبعد تلك النتيجة الحسيَّة والتي يمكن كل واحد تحققها بتوجههِ الى سرمباي ومعاينة الارض التي أجرينا فيها الصرف المغطي هل يصح ان يقال ان كلفتهُ كثيرة ؟ فما هي كلفة ٨ جنيهات او ١٠ الفدان حال كون زراعة واحدة تسدها ويبقى تحسين الارض مع المحصولات التالية ربحاً صافياً للمالك . ولا يخفى ان زراعة القطن وحدها تكلف مع ثمن السباخ واجرة المواشي من ٥٠٠ الى ٦٠٠ غرش فهل كلفة ٨٠٠ غرش تحسين الارض بالكيفية التي ذكرناها كثيرة . وكيف لا يراها اصحاب الاطيان في انكلترا وفرنسا وباقي اوربا كثيرة واجرة النفر عندهم تساوي ثلاث مرات اجرتهِ هنا . ثم ان كلفة الصرف المغطى تزيد عندهم عما هي هنا بالطبع . والنتيجة التي يرجوها المالك من اطيانهِ هناك لا يمكن ان تُشابه النتيجة التي يمكن الحصول عليها هنا بوجود مياه النيل وحرارة الشمس وكثرة الانفار وغير ذلك من العوامل التي تجعل الزراعة هنا اكثر ايراداً منها في اوربا . ففي فرنسا مثلاً يبلغ ايجار الفدان من احسن الاطيان ما عدا الكرم ١٣٠ غرشاً كما عرفنا ذلك اثناء اقامتنا هناك مدة ثلاث سنوات متتالية لدرس الزراعة . فاذا فرضنا ان الارض المنصرفة بالبرابخ هناك يمكن تأجيرها بواقع ١٥٠ غرشاً أو ٢٠٠ غرش الفدان فما هي هذه الفئة بالنسبة الى التي يمكن الحصول عليها هنا حيث يمكننا تأجير الفدان باضعاف اضعاف تلك القيمة اعني ٨ جنيهات و ١٢ جنيهاً . فما دام الملاك في اوربا عامة يستعملون طريقة الصرف المغطى لاطيانهم التي تكون كثيرة الرطوبة مع ان معظم ما يرجونهُ بعد ذلك هو ايجار الفدان بسعر ٢٠٠ غرش وهم مسرورون بتلك الطريقة فكيف لا يقبل عليها اصحاب الاطيان هنا وهم يأملون تأجير الفدان بفئة ٨٠٠ و ١٠٠٠ غرش واكثر

هذا فيما يختص بكلفة الصرف المغطى وهناك بعض اعتراضات أخرى على هذه الطريقة يلزمنا ان ننظر فيها وتفندها

فاولاً يخشى البعض عدم ثبات البرابخ في الارض وسدها بالطين · فعلى ذلك نجيب انهُ متى وضعت البرابخ حسب الاصول الفنية فلا يخشى عليها مدى الدهر · فقد وجد في بلاد ايران مصارف بالبرابخ محفوظة من مدة قرون خلت وفي بوڤيه في فرنسا وُجد في ارض بعض الاديرة مصارف بالبرابخ من ثلاثة قرون محفوظة جيداً وتلك الاطيان كانت مشهورة بخصبها

وثانياً قد يعترض معترض ويقول انهُ ما دام الغرض من الصرف استخراج الاملاح من الارض فعوضاً عن عملية وضع البرابخ التي تكلف سبعة جنيهات الفدان يفضل حفر مصارف قريبة جداً بعضها من بعض اي على بعد اربع قصبات وملء الاطيان وصرفها · وبعد تحسينها يردم معظم المصارف ويترك بعضها وهذه الطريقة لا تكلف أكثر من ٣ جنيهات او ٤ الفدان

فعلى ذلك نجيب بان ليس الغرض من الصرف بالبرابخ فقط استخراج الاملاح من الارض بل تجفيف جوف الارض بوجه خاص وتشققها ليتخللها الهواء وفرطها وحفظ حرارتها الى آخر ما شرحناهُ سابقاً وجميع ذلك هو نتيجة الصرف بالبرابخ · ثم اذا كانت طريقة المصارف المكشوفة القريبة بعضها من بعض تأتي بفائدة في الاطيان الفرطة من نفسها والتي منسوبها اعلى من منسوب المياه الموجودة داخل الارض وليس هناك خوف من ارتفاع تلك المياه الارضية حتى تبلغ جذور المزروعات فالطريقة المشار اليها لا تفيد في الاطيان الجامدة السوداء في الجهات البحرية من القطر والتي فيها منسوب المياه الارضية مرتفع وقريب من جذور النباتات · ويلزم حفظهُ واطئاً عن تلك الجذور لئلاَّ يضر بها فلا يوجد والحالة هذه سوى طريقة الصرف المغطى بالبرابخ

رأينا ما هي النتيجة المالية لملاك هذه الاطيان واذا بحثنا في النتيجة العمومية للقطر المصري المنظور الحصول عليها مع تعميم هذه الطريقة رأيناها جديرة بالتفات رجال الحكومة · وهاك بيان هذه النتيجة على التقدير

يقال اجمالاً ان ثلث مساحة هذه الاطيان في الحالة الحاضرة يزرع قطناً كل سنة وان الثلثين الآخرين يزرعان برسيماً وذرة او يتركان للملء والصرف بقصد التحسين · ويمكننا ان

تقدر محصول الفدان الواحد الذي يزرع قطناً بقنطار ونصف في الحالة الحاضرة وأردب واحد بزرة فيكون محصول المليون فدان من تلك الاطيان القابل للتصدير الى الخارج (لان البرسيم والذرة لايصدران) كما يأتي

فدن		قنطار	قنطار
٣٣٠٠٠٠	×	١ ١/٢	٤٩٥٠٠٠
٣٣٠٠٠٠	×	١ اردب بزره	٣٣٠٠٠٠ اردب

فاذا قدرنا ثمن القنطار الواحد من القطن باربعة جنيهات واردب البزرة بثمانين غرشاً فتكون قيمة الصادرات من تلك الاطيان ٢٢٤٤٠٠٠ جنيه ولما كانت جميع صادرات القطر تساوي سنوياً نحو ٣١ مليون جنيه والمساحة المزروعة في القطر هي ٥٢٨٢٠٠٠ فدان فيرى من ذلك ان الاطيان التي نحن بصددها وهي مليون فدان لا تزيد صادراتها عن واحد من اربعة عشر من جملة صادرات القطر في حين ان مساحتها خمس المساحة كلها

فاذا تم تحسينها بالطريقة المشار اليها زادت ايراداتها وسكانها ايضاً وبعد وقت قليل تأتي بمحاصلات وافرة اقلها اربعة قناطير قطن في المتوسط رغماً عن النداوي وغيرها من الآفات. هذا عن ثلث مساحتها واما الثلث الآخر فيزرع قمحاً وفولاً وشعيراً لأن احدى منافع الصرف المغطى انهُ يجعل تلك الاراضي مع جفافها وفرطها وخروج الاملاح منها تعطي محصولاً وافراً من القمح والفول وهو لا يخرج منها الآن فيمكننا اذاً ان نقدر المحصول الذي ينتج منها بعد التصليح كما اشرنا هكذا

القطن	٣٣٠٠٠٠ فدان بواقع ٤ قناطير	١٣٢٠٠٠٠	قنطار
البزرة	٣٣٠٠٠٠ « « ٣ ارادب	٠٩٩٠٠٠٠	اردب
القمح والشعير	٣٣٠٠٠٠ « « ٤ ارادب	١٣٢٠٠٠٠	اردب
وثمن هذه المحصولات يساوي عن القطن والبزرة		٦٠٧٢٠٠٠	جنيه
وعن القمح والشعير		١٥٨٤٠٠٠	«
وجملة ذلك		٧٦٥٦٠٠٠	«
مع اننا قدرنا جملة صادراتها الآن بمبلغ		٢٢٤٤٠٠٠	«
فتكون زيادة الصادرات السنوية		٥٤١٢٠٠٠	«

ولو فرضنا ان تصليح تلك الاطيان يستوجب ان يقترض من الخارج نحو ٥ ملايين جنيه او ٦ ففائدة هذا المبلغ على حساب انها ٦ او ٧ في المائة لا تزيد عن ٤١٢٠٠٠ جنيه واذا استنزلنا هذه القيمة فيكون اذاً الربح الصافي للقطر المصري خمسة ملايين جنيه سنوياً تزيد على ايرادات البلاد الصافية

وليلاحظ ان تنفيذ هذا المشروع المفيد لا يستوجب زيادة مياه على المياه الممنوحة الآن لتلك الاطيان فاذاً ليس هناك صعوبة من هذا القبيل . ثم ان النقود اللازمة لتعميم طريقة الصرف المشار اليها تصرف في البلاد لا في الخارج . فلا بدع اذا اهتمت الحكومة المصرية بها وحذت حذو الحكومات الاوربية وخصوصاً حكومتي انكلترا وفرنسا اللتين اقرضتا الاهالي ما يزيد على عشرة ملايين جنيه لتعميم الصرف بالبرابخ هناك وكانت النتيجة حسنة الى حدّ ان سدت تلك القروض باسرع مما قدر لها رغماً عن كون الايراد الذي يمكن الحصول عليهِ هناك ليس شيئاً بالنسبة الى الايرادات التي يمكن الحصول عليها هنا حيث العوامل المساعدة للزراعة وافرة

ويمكن الحكومة فضلاً عن تسليف النقود اللازمة لاتباع هذه الطريقة تعميمها اولاً في اراضي الميري الواسعة المحتاجة اليها مع استحضار الآلات اللازمة لتقليل كلفة صنع البرابخ وسن القوانين للمساعدة على نشر هذه الطريقة اسوة بالحكومات الاوربية

ولا ريب عندنا ان المنفعة التي يجنيها القطر من ذلك تكون عظيمة جدًّا من حيث زيادة ايراداتهِ وتوازن احوالهِ المالية لسداد الدين الجسيم الذي عليهِ هذا فضلاً عن كون الاطيان التي تُحسن بهذه الطريقة تكون سبب رزق للمصريين الذين يزيدون سنوياً في بعض المديريات مثل المنوفية والمديريات القبلية التي لا تعود بعد بضعة اعوام تكفي لمعاش هؤلاء السكان المتكاثرين

اميل كتسفليس
مهندس وخبير زراعي لدى المحاكم المختلطة
بالاسكندرية

———

الاحلام

(خطبة للفيلسوف الاستاذ برغسن تلاها في نادي العلوم النفسية بباريس سنة ١٩٠١ ثم ترجمت الى الانكليزية بعد ان نقحها الاستاذ برغسن نفسهُ وطبعت سنة ١٩١٣ ثم سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٥ وقد لخصناها في الصفحات التالية وتركنا الكلام فيها بصيغة المتكلم)

ان الموضوع الذي اريد الكلام عليهِ الآن كثير التعقيد يتناول مسائل مختلفة مما هو في حد الغموض والاشكال بعضها سيكولوجي (نفسي) وبعضها فسيولوجي وبعضها مما وراء الطبيعة ولا يمكن استيفاء الكلام عليها الأ في ساعات كثيرة ولذلك اغض الطرف عن كل ما لا تمس الحاجة الى ذكرهِ واقتصر على ما قلَّ ودلَّ

يمكن تحديد الحلم بانهُ ادراك اشياء لا وجود لها في الخارج فاني ارى في حلمي رجالاً واشعر اني كلمتهم وسمعت كلامهم ولم يكن امامي رجال ولا انا تكلمت . واشعر كاني رأيت اشياء حقيقية واشخاصاً معلومين لكنني لا أرى اثراً لتلك الاشياء واولئك الاشخاص حينما استيقظ فكيف حدث ذلك

ولكن الم يكن هناك شيءٌ اي ألاَ يكون حول النائم شيءٌ ماديٌّ يؤثر في مشاعرهِ وقت الحلم اي في عينيهِ واذنيهِ وسائر اعضاء جسمهِ

اغمض عينيك وتأمل فيما يتراءى لك وانت مغمضها . قد تقول انك لا ترى شيئاً . ولكن كرّر اغماض عينيك وتأمل كانك تتبيَّن شيئاً تراهُ فتتصوَّر انك ترى اشياء كثيرة ترى اولاً فضاء اسود ثم قد ترى في هذا الفضاء نقطاً منيرة تجيء وتذهب وتعلو وتهبط رويداً رويداً . وكثيراً ما ترى بقعاً مختلفة الالوان وقد تكون الوانها قاتمة وقد يكون لامعة وهي تتسع ثم تضيق دواليك و يتغير شكلها ولونها سريعاً او بطيئاً وتدور على محاورها بسرعة تبهر النظر . وقد بحث علماء النفس والفسيولوجيا في سبب هذه البقع وتغير الوانها وعللوها بما يصيب شبكية العين من تغير دورة الدم فيها او من ضغط الجفنين على الحدقة وتأثير ذلك في عصب البصر . ومهما يكن سببها فهي اساس الاحلام كلها فهي اسبابها الداخلية ويضاف اليها اسباب خارجية وهي ما قد يؤثر في عيني النائم من صور المرئيات لان العين تميز بين النور والظلمة ولو كانت مطبقة الجفنين وقد تميز بين نور ونور . وفعل النور بالعينين ولو كانتا مطبقتين يؤثر في كثير من الاحلام فاذا أُدخل مصباح الى غرفة بغتة وكان النائم فيها غير مستغرق في نومهِ فقد يحلم انهُ رأى ناراً شبَّت في منزل فاحرقتهُ . مثال ذلك ان رجلاً اسمهُ

ليون حلم ان تياترو الاسكندرية احترق وسطع نور النار حوله ثم انتقل هو بغتةً الى البركة التي في قلب المنشية فدارت النار على السلسلة التي حولها ثم انتقل الى باريس في زمن المعرض واذا النار شابة فيهِ فاضطر ان يشترك في معمعة كبيرة واستيقظ حينئذٍ وفتح عينيهِ فرأى ان الممرضة دخلت غرفتهُ وبيدها مصباح ليلي وقع نورهُ على وجههِ بغتةً . وحدث مثل ذلك لرجل آخر كان مريضاً فانهُ حلم انهُ عاد الى البحرية التي كان فيها قبل مرضهِ وذهب الى طولون ولوريه والقرم والقسطنطينية ورأى البرق وسمع الرعد واشترك في معركة بحرية ورأى لمعان النار من افواه المدافع فاستيقظ مذعوراً واذا هو يرى الممرضة دخلت غرفتهُ وبيدها مصباح ليلي وقع نورهُ على وجههِ . ونور المصباح الذي دخلت بهِ الممرضة سبَّب الحلم الاول والثاني حالما وقع على العين اي انهُ نبَّه الحالم الى صور محفوظة في ذاكرتهِ

واذا كان النور مستطيراً مستمراً كنور القمر كان تأثيرهُ في النائم غير تأثير النور الساطع الذي يقع بغتةً فانهُ يحلم حينئذٍ انهُ يرى فتاةً جميلة المنظر او نحو ذلك من الاحلام التي تروق لهُ

وكما يؤثر النور في عيني النائم تؤثر الاصوات الخارجية في اذنيهِ عدا ما فيهما من المؤثرات الداخلية كالطنين والدوي والصفير ونحو ذلك مما قد نشعر بهِ ونحن مستيقظون وقد لا نشعر ولكننا نشعر بهِ حتماً ونحن نيام . فاذا تشقق الاثاث من شدة الحر او وقع المطر او هبت الريح او قصف الرعد أثرت كل هذه الاصوات في اذني الحالم فحوَّلها الى حديث او غناء او صراخ او ما اشبه . لكن الاصوات لا تؤثر في احلامنا كالالوان لان اكثر الاحلام نظري لا سمعي فكثيراً ما يحلم النائم انهُ تكلم مع شخص وتحادثا محادثة طويلة ثم يشعر انهُ لم يتكلم بل كان عاجزاً عن النطق وان محدثهُ لم يتكلم ايضاً بصوت مسموع بل كان التخاطب بينهما بالافكار ويكون ذلك اذا لم تسمع الاذن صوتاً لان الانسان لا يقدر ان يستنبط شيئاً من لا شيء .

اما اللمس فمؤثراتهُ كثيرة اكثر من مؤثرات السمع ويمكن ان نتكلم ساعات عما يحلم بهِ الانسان من تأثير اللمس فيهِ وهو نائم لان هذا التأثير يمتزج بالصور التي ترد الى الذهن عن طريق البصر فينوعها وينسقها تنسيقاً مناسباً لهُ فكثيراً ما يشعر النائم بخفة غطائهِ فيحسب انهُ لابس ثياباً رقيقة لا تدفئهُ او انهُ عارٍ او حافٍ واذا كان يحلم حينئذٍ انهُ في احد الشوارع شعر ان الناس ينظرون اليهِ غير مستغربين ولو استغرب هو ظهورهُ امامهم على تلك الصورة . وهذا النوع من الحلم يحلم بهِ كل احد . ومن الاحلام التي يحلم بها الجميع الطيران في الهواء او في الخلاء واذا حلم الانسان هذا الحلم مرة تكرَّر حلمهُ بهِ مراراً ويقول في نفسهِ

ان طيراني في المرة الاولى كان وهماً واما الآن فهو حقيقة لا ريب فيها · ولكنهُ اذا استيقظ حينئذٍ لم يتعذر عليهِ تعليل هذا الحلم اذا امعن نظرهُ وذلك انهُ يكون محمولاً على فراشهِ وقدماهُ غير ماسّتي الارض فهذا الشعور بانهُ محمول على غير قدميهِ يجعلهُ يعتقد انهُ طائر واذا كان نائماً على احد جانبيهِ حلم انهُ طائر على ذلك الجانب

ومن اهم تأثيرات اللمس ما يشعر بهِ النائم من حركات اعضائهِ الباطنة ولاسيما امعائهِ فان هذه الاعضاء تتحرك على الدوام في النوم كما في اليقظة اما في اليقظة فقلما نشعر بحركاتها لانشغالنا عنها باعمالنا المختلفة وليس الامر كذلك ونحن نيام. فالمعرَّضون لالتهاب الحنجرة واللوزتين يحلمون انْ قد ضُيِّق خناقهم حتى كادوا يختنقون ومتى استيقظوا وزال الحلم زال هذا الشعور ايضاً ولكن لا تمضي ساعات كثيرة حتى يصابوا بالالتهاب حقيقة اي انهم يشعرون بهِ وهم نيام قبلما يشتد حتى يشعروا بهِ وهم مستيقظون · وقد ذُكرتْ امراض وآفات كثيرة حلم بها البعض وهم نيام قبل اصابتهم بها فعلاً حسب الظاهر ولذلك رأى بعض الفلاسفة مثل شوبنهور ان في داخل الوجدان صدى ما يقع من الاضطراب في المجموع العصبي السمباثوي وقال غيرهُ مثل شرنر ان كل عضو من اعضاء الجسم يسبّب حلماً خاصاً بهِ · والَّف بعض الاطباء مثل ارتيغيوس كتباً قالوا فيها انهُ يمكن الاستدلال بالاحلام على نوع المرض · واخيراً ابان المسيو تسيه كيف ان الاحلام المختلفة تدل على الآفات التي تصيب اعضاء الجسم المختلفة كاعضاء الهضم واعضاء التنفس واعضاء الدورة الدموية

وزبدة القول اننا ونحن نيام لا تنقطع مشاعرنا عن التأثر بالمؤثرات الخارجية بل تبقى تتأثر في النوم كما تتأثر في اليقظة · ولو لم يكن فعلها محكماً في النوم كما في اليقظة . وان المؤثرات التي تؤثر فينا في اليقظة ولا نشعر بها لانشغالنا بغيرها يبقى تأثيرها فينا فنشعر بهِ ونحن نيام اذ تنقطع لانفسنا · فمجال شعورنا لا يضيق ونحن نيام بل يتسع ولو في بعض الجهات · نعم انهُ يضعف في شدتهِ ولكنهُ يتسع في نطاقهِ فيأتينا بتأثيرات كثيرة مشوشة وهذه التأثيرات هي الخيوط التي تنسج منها احلامنا ولو كانت غير كافية وحدها لنسج الاحلام لغموضها وعدم وضوحها فاذا شعر النائم بشيءٍ من النور والظلمة فقد يتصوَّرها كتاباً ابيض الورق اسود الحبر او بيتاً ابيض الجدران اسود الشبابيك او نحو ذلك من الصور التي فيها ابيض واسود · والذاكرة تحكم بان ما يراهُ النائم هو هذا الشيء او ذاك · فاذا كان الانسان نائماً نوماً عميقاً فذاكرتهُ التي تنسج احلامهُ من الامور المحفوظة في ذاكرتهِ تنتبه بالتأثيرات الخارجية والداخلية التي تحدث لهُ حينئذٍ فيتولّد الحلم من مجموعها وقد تكون هذه المحفوظات اموراً قديمة

لا يتذكرها الانسان وهو مستيقظ فتستخرجها الذاكرة من اعماق نفسهِ وهو نائم. والغالب انها اشياء وقعت نظره عليها واصوات دخلت اذنيهِ وهو غير منتبه . او تكون من بعض محفوظات الذاكرة التي نسي اكثرها و بقيت فضلاتها في مخادع الدماغ فتلتقطها الذاكرة حينئذٍ وتمزج بعضها ببعض على غير نظام وتخالطها بالتأثيرات التي تقع على مشاعر النائم مما حوله

واني اعتقد ان كل سيرتنا الماضية محفوظة بتفاصيلها في نفوسنا لم يفقد منها شيء. كل ما شعرنا بهِ وادركناهُ وافتكرنا بهِ واردناهُ من اول ما ابتدأ شعورنا. كل ذلك محفوظ في مخادع النفس ولكنهُ غير ظاهر العيان فهو يتوق الى الظهور ولكنهُ لا يجد اليهِ سبيلاً من تلقاء نفسهِ ولا نحن مهتمون بامرهِ او متفرغون لهُ لان لدينا مشاغل اخرى تشغلنا عنهُ. ولكن اذا اتفق ان انقطعنا عن اشغالنا اي عما يتسلط على ذاكرتنا وغبنا تخلصت هذه المحفوظات من قيودها وخرجت من مخادعها و بادرت كلها يزحم بعضها بعضاً تحضر امام الذهن في وقت واحد فيتعذر عليها ذلك لكثرتها ولا يصعب علينا ان نعرف ايها يتمكن من الحضور. فالمستيقظ يتذكر الامور التي لها علاقة بما حولهُ من المرئيات والمسموعات والملموسات وحينما ينام يحدث مثل ذلك اي انهُ يتذكر ما يلائم المؤثرات التي تؤثر فيهِ حينئذٍ ظاهراً و باطناً كالاشعة التي تتلألأ امام عينيهِ ولو كانتا مغمضتين والاصوات التي تقرع اذنيهِ ومن مجموع هذه وتلك يحدث الحلم اي مما يشعر بهِ المرء وهو نائم ومن الصور المرسومة في ذهنهِ من شعورهِ السابق . ثم ان الشعور الحاضر لا يكون واضحاً جلياً فتختار لهُ الذاكرة الثوب الذي يلائمهُ وتلبسهُ اياهُ

فالحلم مثل كل المدركات في تولدهِ وتكيفهِ . فاننا اذا نظرنا الى جسم من الاجسام فما نراهُ منهُ قليل في جنب الصورة العقلية التي ترينا اياها الذاكرة فالذي يقرأ هذه الصفحة لا يرى كل كلمة من كلماتها وكل حرف من حروفها ولو اراد ان يتبين كل كلمة فيها وكل حرف لقضى في ذلك ساعات كثيرة والحقيقة ان الذي يحسن القراءة لا يرى من الكلمة الا بعض حروفها وقد لا يرى من العبارة الا بعض كلماتها او ما يكفي للاستدلال على البقية وفهم المعنى . وهذه البقية لا يراها ولكنهُ يتصور انهُ رآها (١) وقد ثبت هذا بتجارب كثيرة

(١) [المقتطف] ويصدق هذا بنوع خاص في قراءة الخط فان بعض الكتبة لا يكتبون من الكلمة الا بعض حروفها ومع ذلك يقرأها بسهولة من اعتاد قراءتها وقد يترك الكاتب ومرتب حروف الطبع بعض الكلمات و بعض الحروف غلطاً فلا ينتبه القارئ لهذا النقص بل يقرأها كأنها موجودة لان ذاكرته تحضرها امام ذهنه

من ذلك تجارب غولدشيدر ومُلّر فانهما كتبا بعض العبارات المألوفة واخطأا في كتابتها عمداً فابدلا بعض حروفها وحذفا بعضاً وعُرضت هذه العبارات في غرفة قليلة النور امام رجل ثم انيرت بالنور الكهربائي برهة قصيرة جداً لا تكفي القارئ للرور بنظره على اكثر من ربع الحروف ومع ذلك سهل عليهِ ان يقرأ تلك العبارات من غير خطإٍ . ولما سُئل عن الحروف التي رآها حقيقة ذكر بعض الحروف المكتوبة وبعض الحروف المحذوفة ايضاً حاسباً انهُ رآها بعيني رأسهِ والحقيقة انهُ رآها بعيني عقلهِ ولذلك يرى القارئ صحيحاً بعض الحروف المرسومة خطأً . ويفسَّر ذلك بان الحروف التي وقعت صورتها على عينيهِ ايقظت في ذهنهِ صور هذه الكلمات كما كان يقرأها قبلاً اي جعلته يتذكر صورها الصحيحة . فالذي يدركهُ القارئ حينئذٍ هو ما يتذكرهُ لا ما يراهُ . وعليهِ فالقراءة السريعة نوع من معرفة الغيب لان ما يراهُ القارئ حينئذٍ هو جزء صغير مما يدركهُ واكثر ما يدركهُ كان مخزوناً في دماغهِ (١)

فالانسان وهو مستيقظ يفعل دواماً ما يفعلهُ وهو نائم اي انهُ يدرك صورة ناقصة لما يشعر بهِ وهذه الصورة تنبه الصورة الكاملة التي في ذاكرتهِ وهذه الصورة الكاملة تكون كامنة في ذلك الوقت فتوقظهما الصورة الناقصة وتنبه الذهن لها

والظاهر ان محفوظات الذاكرة تترتب وتتنسق حسب اجناسها وانواعها حينما يحدث ما يستدعيها . ويؤيد ذلك تجارب اجراها منستربرج قبل غولدشيدر ومُلّر وهو انهُ كان يكتب كلمة غير مألوفة كتابة صحيحة ويعرضها لعيني الرائي مدة قصيرة جداً لا تكفي لرؤيتها جيداً ويقيم واحداً الى جانب الرائي يهمس في اذنهِ كلمة اخرى لا مشابهة بين معناها ومعنى الكلمة المكتوبة فيقول الرائي انهُ رأى كلمة تشبه الكلمة المكتوبة في صورتها والكلمة التي سمعها في معناها (وهنا ذكر الخطيب الكلمات التي كتبها الممتحن وهي المانية وهي بمثابة لو كانت الكلمة المكتوبة مفتون والكلمة التي سمعها شجر فانهُ يقرأ زيتون كانهُ رأى الواو والنون وسمع كلمة شجر فنبهت في ذهنهِ اسم شجرة مختوم بالواو والنون . وكذلك اذا كانت الكلمة المكتوبة فستق وهمس واحد في اذنهِ كلمة مدينة فانهُ يقرأها دمشق وهلم جرًّا)

وهذا هو تعليل ما ندركهُ وما نحلم بهِ فانهُ يكون في الحالين من مؤثرات حقيقية تؤثر

(١) [المقتطف] ويتضح ذلك من ان المبتدئ بالقراءة يضطر ان يرى كل كلمة وكل حرف ولكن متى خزنت صور الحروف والكلمات في ذهنهِ وتعلقت بمعانيها صار يقرأ «كرجاً» ويكتفي برؤية شكل الكلمة المألوف او رسم العبارة

في المشاعر و يكون فيهما امور مخزونة في مخادع الذاكرة تنتهز الفرصة عند ما تفعل هذه المؤثرات فتظهر من مخادعها وتمتزج بها

ولكن ما هو الفرق بين الحلم والادراك في اليقظة او ما هو النوم من حيث فعل العقل ان كان العقل يعمل في النوم كما في اليقظة على ما تقدم ولماذا نسمي فعلهُ في اليقظة ادراكاً وفي النوم حلماً اي ما هي خواص النوم العقلية

الآراء كثيرة في هذا الشأن فقد قال البعض ان الانسان يتجرد عن العالم الخارجي وهو نائم و يبطل شعورهُ بهِ · ولكننا اثبتنا في ما تقدم ان المشاعر تشعر في النوم ولو لم تؤدِّ الى الذهن صورة واضحة لما تشعر بهِ · وقال غيرهم ان النوم يوقف فعل القوى العليا من قوى العقل كأن مراكزها تصاب بنوع من الشلل الوقتي · ولا اظن ان هذا القول رهين الصحة · نعم اننا لا نستدل الاستدلال المنطقي غالباً ونحن نيام ولكننا لا نكون عاجزين عنهُ حينئذٍ فقد نستدل ونحن نحلم ونقيم اقيسة منطقية صحيحة محكمة بل التجاسر واقول ان الذي يحلم يفرط في الاستدلال واقامة الاقيسة المنطقية فيكثر شططهُ ولو اكتفى بالمشاهدة والمراقبة لجاءت احلامهُ قليلة الاضغاث والسخافات لكنهُ يحاول تعليل كل ما يشعر بهِ فيجمع بين المتناقضات و يرتكب الشطط · وهذا لا ينفي ان قوى العقل العليا تكون ضعيفة على نوع ما وقت النوم ولذلك تضعف قوة الاستدلال المنطقية و يصير منطق النائم صورة فقط · وعليهِ فلا المشاعر تتوقف عن عملها وقت الحلم ولا قوة الاستدلال

هذا من حيث الآراء ولكننا لا نعرف حقيقة الاحلام فعلاً ما لم نبحث فيها بانفسنا · ولا يستطيع الانسان ان يبحث في كيفية الحلم وهو نائم يحلم ولكنهُ قد يستطيع ان ينتبه حينئذٍ الى كيفية تدرُّجهِ من النوم الى اليقظة اذا عقد نيتهُ على ذلك · واسمحوا لي ان اذكر لكم كيف امتحنت انا ذلك في نفسي · حلمتُ اني كنت اتكلم في موضوع سياسي امام جماعة من رجال السياسة فسمعت لغطاً زاد شدةً رويداً رويداً حتى صار صياحاً وضجة كبيرة واذا انا بقائل يقول (اخرج اخرج) وحينئذٍ استيقظت فسمعت كلباً ينبح فكان على الذات التي استيقظت حينئذٍ ان تقبض على الذات الحالمة وتقول لها لقد سمعتِ كلباً ينبح فظننتهِ غوغاء تضج فلا ادعكِ تذهبين ما لم تخبريني ماذا كنتِ تفعلين حتى ارتكبتِ هذا الخطأ · فتجيبها الذات الحالمة اني كنت بطّالة لا افعل شيئاً وهذا وجه الفرق بيني وبينكِ فانكِ انتِ اذا سمعت كلباً ينبح لا تعلمين ان الصوت نباح وصاحبهُ كلب من غير روية بل لا تصلين الى الحكم بان الصوت نباح والنابح كلب الاّ بعد جهد جهيد ولو بدا ذلك منكِ من غير ان تنتبهي

لهُ حسب الظاهر لانك تعودين الى معلوماتك السابقة وما خزنته فيها في ذاكرتك وتجمعينها وتوجهينها الى هذا الصوت وتقابلين بينهُ وبينها حتى تري واحداً منها ينطبق عليهِ تمام الانطباق واذا اخطأتِ في هذه المقابلة والمطابقة اقل خطإٍ فلا يكون الاستدلال صحيحاً بل نوع من الحلم · وهذا التطبيق بين الصوت المسموع ومحفوظات الذاكرة لا يتم الا بجهد كما يفعل الخياط الذي يجرب سترة خاطها على بدن من خيطت لهُ فانهُ يوسعها من جهة ويزمها من اخرى حتى تنطبق عليهِ تماماً · ولذلك فانت تبذلين جهداً كبيراً كل لحظة لادراك ما تشعرين بهِ · وحياتك في اليقظة حياة جهاد وعناء حتى في ساعات العطلة ولا تكتفين بالشعور والتطبيق بل تُغضين عن امور كثيرة تقع تحت حسكِ فلا تنتبهين لها ولا تنتبهين الا الى ما تختارين · لكن هذه الامور تدخل ذهنك عن طريق المشاعر اردتِ او لم تريدي وتخزن في مخادع الذاكرة وتظهر وانت نائمة فما دمت مستيقظة فانت تختارين مما في ذاكرتك ما يناسب الحالة التي تكونين فيها وهذا الاختبار المتواصل هو ما اسميهِ بالذوق السليم وهو جهاد مستمر ولكنكِ لا تشعرين بثقل وطأتهِ عليك كما لا يشعر المرء بثقل الهواء الذي يضغط على بدنهِ ولكنهُ يتعبكِ حتماً · ولا يفعل الذوق السليم فعلهُ الا بتعب ومشقة · هذا واكرر ما قلتهُ لكِ وهو اني اختلف عنكِ في اني لا افعل شيئاً · فالجهد الذي تعانينهُ انتِ لا اعانيهِ انا لاني لا اهتم بشيء وما النوم الا الابتعاد عن الهموم · اي ان نوم الانسان يكون على قدر انصرافهِ عن الاهتمام بامور الدنيا · فالوالدة التي تنام الى جانب سرير طفلها لا تسمع هزيم الرعد ولكنها تسمع تنهد الطفل لانها تكون نائمة عن الاول ومستيقظة للثاني وما دام المرء يهتم بشيء فهو غير نائم عنهُ ·

وقد تسأليني ماذا افعل حينما احلم فاخبرك ماذا تفعلين انتِ وانت يقظى · انك تأخذينني انا الذات الحالمة — الذات الحاوية لماضي تاريخكِ تأخذينني وتضغطين عليَّ حتى ادخل في الدائرة الضيقة التي تخطينها حولك · هذه هي اليقظة او حياة المستيقظ الطبيعية حياة الجهاد والارادة والعزم · اما الحلم فهو الحالة التي تقفين فيها حينما تهملين امركِ وتفقدين قوة توجيه نفسك الى امر واحد اي حينما تبطلين استعمال ارادتكِ · والامر الذي يستدعي الايضاح هو الطريقة البديعة التي تجرين عليها في توجيه كل ما فيك من القوى الى الشيء الذي يهمكِ وذلك في لحظة واحدة من غير تمهل · الا ان ايضاح هذه الطريقة من متعلقات الفلسفة العقلية

هذا ما تقولهُ الذات الحالمة للذات المستيقظة · ولو زدنا في استنطاقها لزادت شرحاً

واسهابًا · وخلاصة الفروق الجوهرية بين الحلم واليقظة ان القوى العقلية التي تشتغل في اليقظة تشتغل في الحلم ايضًا ولكنها تكون حرّة في الحلم ومقيدة في اليقظة · فالحلم يشمل الافعال العقلية كلها ما عدا القيد والاهتمام · والحالم يدرك و يتذكر و يستدل ولكنهُ لا يقيس ولا يطبّق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهدًا عنيفًا· فحسبان النباح ضجّةً استنتاجٌ بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بانهُ نباح كلب لا يكون الاَّ بعد إعمال الفكر و إعمال الفكر هو الذي ينقص الحالم و به يمتاز عن المستيقظ

و بهذا الفرق الجوهري نفهم مزايا الاحلام اي مميزاتها فيفهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقلما يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث حسب اهميتها

فعدم الانسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطباق التام بين ما يشعر به الحالم وما يتذكرهُ بل كثيرًا ما يطبّق الحالم امرًا على امر مخالف لهُ او يطبق امورًا متخالفة يأتي بها من ذاكرتهِ على امر واحد يشعر بهِ · مثال ذلك ان ترى عيناهُ نقطًا بيضًا في بقعة خضراء فيتصورها مرجًا اخضر فيهِ ازهار بيضاء او طاولة البلياردو وعليها كرات العاج او نحو ذلك مما يجتمع فيهِ الاخضر والابيض و يكون محفوظًا في ذاكرتهِ · وتتسارع هذه الصور من الذاكرة وكلٌّ منها يحاول ان يلصق بالتأثير الذي دخل ذهنهُ فقد تتوالى عليهِ الواحدة بعد الاخرى فيرى اولاً مرجًا ثم طاولة بليياردو وقد يظهران دفعةً واحدة حتى لا يرى فاصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجًا وطاولة بليياردو في آنٍ واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء الى غيرهِ حالاً واذ يرى العقل ذلك يحاول ايضاحهُ فيزيدهُ غموضًا

ولهذا السبب عينهِ ينتفي الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحالم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظتهِ لقضى في تذكرها يومًا كاملاً لانهُ وهو في اليقظة يعيش مع غيرهِ من الناس فيرى ما يجري لهُ متتابعًا بحسب اتصالهِ بهم كأن معاشرتهُ لغيرهِ بمثابة ترس ساعة لهُ اسنان كثيرة تنقسم بها حركة زنبلكها الى ساعات ودقائق بدلاً من تركهِ يتحل في وقت واحد· وهذا الترس المسنن لا وجود لهُ في الحلم فلا محل فيهِ للتحكيم والتدقيق وما يقتضيانهِ من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحالم ان يطبّق ما في نفسهِ على ما هو خارج عنهُ

بقي ان نعلل كيف ان همود العقل يجعل الحالم يقدّم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع انها تنطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدٍّ سوى

من الآراء المشاعة اننا نحلم في الليل بما كان يشغل افكارنا في النهار خاصةً · وهذا

يصدق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي نفكر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اننا لا نكون نائمين النوم الحقيقي المريح بل النوم الذي نستيقظ منهُ متعبين كأننا لم ننم

اما الاحلام التي نحلمها في النوم العادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا خطوراً وبالمواضيع التي مرت بنا ولم نمعن النظر فيها . واذا حلمنا بما حدث لنا في يومنا فالغالب ان يكون بالطفيف منهُ لا بالمهم فاذا كنتُ في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولما دنت مني اجفلتُ عن غير قصد ولغير داعٍ خوفاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان مركبة صدمتني ومرَّ عجلها عليَّ ولكنني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فعلاً . واذا سهرت على مريض مشرف على الموت وخطر ببالي انهُ قد يشفى ولو كان الرجاء من شفائهِ مقطوعاً ثم نمت فقد احلم انهُ شفي . والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر . ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمهِ هي في الغالب الامور التي تمرُّ في بالهِ وقت اليقظة مروراً لا التي يمعن نظرهُ فيها ويعلق قلبهُ عليها . ولا غرابة في ذلك لان الذات التي تحلم هي الذات التي لا تهتم ولا تُعنى . والصور التي تجمعها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة من غير تعب ولا عناء

اما اذا كان النوم عميقاً جدًّا فيحتمل ان تكون احلامهُ غير ذلك ولكن هذه الاحلام تنسى عادة ولا يتذكرها المرء بعد ما يستيقظ واذا تذكَّر شيئاً منها شعر كأنهُ آتٍ من مكان سحيق وزمان بعيد دلالة على انهُ تذكر في حلمهِ اموراً مرَّت عليهِ في صباهُ ولما استيقظ حاول ان يسترد بهجة الصبا فقالت لهُ هيهات

فالى احلام هذا النوم العميق يجب ان يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تنجلي محفوظات الذاكرة بعد ان يكون صاحبها قد نسيها ولكي يجلوا الامور التي تدخل في دائرة المباحث النفسية . ولا اجسر ان ابدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا احجم عن الإعجاب بالغيرة والهمة اللتين يعمل بهما اعضاء جمعية المباحث النفسية . فان كانت التلبثي تؤثر في احلامنا فمن المحتمل ان يكون اشد تأثيرها فينا ونحن نائمون هذا النوم ولكنني اكرر ما قلتهُ سابقاً وهو اني لا استطيع ان ابدي رأياً في هذا الموضوع . وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فاقف عند عتبة المجهولات وستكون اهم اعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في اعمق اسرار الوجدان او فيما نسميهِ بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي ان الباحثين سيكتشفون فيهِ مكتشفات عجيبة لا تقل اهميتها عن اهمية ما اكتشف مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية . هذا ما ارجوهُ واتمناهُ واجعلهُ مسك الختام

الكيمياء وقت الحرب

هل خطر على بال الذين وضعوا علم الكيمياء ووسَّعوا نطاقهُ وبنوا عليهِ الصنائع الكيماوية المختلفة انهُ يكون يوماً ما اكبر عون للانسان على قتل الانسان . هل خطر على بالهم ان العلم الذي عرفنا به تركيب الاطعمة وحقيقة الهضم والاغتذاء واستحضار الاصول النافعة من العقاقير الطبيَّة وتركيب الادوية المختلفة واكتشاف مسكّنات الالم ومزيلات الفساد ومخصبات الارض — هذا العلم نفسهُ يُستخدم في هذا العصر للقتل والفتك على اساليب اقوى وافظع من ان تخطر ببال . ولكن هذا هو الواقع المشاهد الآن والامَّة التي كانت تفاخر بكثرة الكيماويين فيها وكانت الامم الاخرى تغبطها على ذلك وتستخدم الكيماويين منها لمعاملها هي الامَّة التي بذَّت غيرها الآن في اساليب التنكيل والتخريب نعني بها الامة الالمانية . فقد احصى الاستاذ ليو ڤنيون عدد الكيماويين في ممالك اوربا ونسبتهم الى سكانها فوجد انهم في المانيا ٣٦ ضعف ما هم في فرنسا و ٤٢ ضعف ما هم في انكلترا

ولما نشبت الحرب قامت شركات المعامل الصناعية في المانيا وجعلت تهتم بجمع المواد الاصلية اللازمة لعمل الاسلحة والذخائر على انواعها فتألف منها لجان مختلفة لهذا الغرض جمعت اولاً كل المواد التي كانت مذخورة في البلاد استعداداً للحرب ثم اخذت تستورد غيرها . واول شيء شعرت بالحاجة اليهِ الحامض النتريك فانها جمعت قبل الحرب مقداراً كبيراً من نترات الصودا الوارد من بلادشيلي باميركا لاستخراج الحامض النتريك منهُ ولكنها وجدت بعد نشوب الحرب انهُ لا يكفي لغرضها اذ ثبت لها ان الحرب ستطول اكثر مما قدَّرت اولاً فلجأت الى الوسائل الكيماوية التي يتركب الحامض النتريك بواسطتها من الهواء وساعدتها في ذلك شركة صناعية في سويسرا تصنع اول اكسيد النتروجين من الهواء فانها وسَّعت معاملها جدًّا واخذت تصنع هذا الاكسيد وتسيّلهُ وترسلهُ سائلاً الى المانيا . وهذا السائل يتولد منهُ الحامض النتريك ويتولَّد منهُ ايضاً غاز سام فيفي بغرض المانيا من الجهتين اي قتل الاعداء بالقنابل المنفجرة او خنقهم بالغازات السامَّة

ثم منعت الحكومة الالمانية استعمال النترات في الزراعة حتى يستخدم كلهُ في الحرب واشارت باستعمال مواد اخرى بدلاً منهُ سماداً للمزروعات

واهتمت بأمر الحامض الكبريتيك لكي لا يقلَّ مقدارهُ في البلاد عمَّا يلزم للحرب

وكانت بلادها تستورد اربعة اخماسهِ من بلجكا وكان يستخرج في بلجكا من غير ثمن تقريباً لانهُ كان يتولد فيها حين سبك الزنك والرصاص والحديد من معادنها وكانت هذه المعادن ترد الى بلجكا من اسبانيا واميركا واستراليا وشمال افريقية وقد انقطع ورودها اليها بعد الحرب فانقطع اصطناع الحامض الكبريتيك . واستخراج الحامض الكبريتيك من الكبريت حسب الطريقة القديمة لا يفي بالمراد الاَّ اذا كانت المانيا قد استحضرت مقادير كبيرة من الكبريت من ايطاليا واميركا في بداءة الحرب او قبلما خاضت ايطاليا غمارها وقبلما ضاق نطاق الحصر البحري على المانيا لكن لا يتعذر عليها الآن ان تجلب المعادن الكبريتية من نروج والمجر

واهتمَّ علماء الالمان باستنباط مادة تقوم مقام القمح لعمل الخبز فاشاروا باستعمال الشعير والبطاطس والدم والسكر . وكتب بعضهم مقالات ضافية بيَّن فيها نسبة هذه المواد بعضها الى بعض من حيث تغذيتها للجسم

وكانت المانيا تستورد مقادير كبيرة من الزيوت والادهان وتشتري من القطر المصري مقداراً كبيراً من بزر القطن لكي تستخرج الزيت منهُ وتطعم كسبهُ لمواشيها فقد استوردت سنة ١٩١٢ من بزر القطن المصري ما ثمنهُ ١٥٢٠٣٤٢ جنيهاً وسنة ١٩١٣ ما ثمنهُ ١٤٨٠٧٠٤ جنيهات فلما نشبت الحرب وتعذَّر عليها جلب البزور الزيتية جعل الاميركيون يرسلون اليها ادهاناً مجمَّدة حسب طريقة نورمان والانكليز لا يمنعونهُ لاسيما وانهُ كان يصل الى المانيا بطريق نروج فبلغ مقدار الدهن الجامد الوارد الى نروج ٢٠٠٩ اطنان سنة ١٩١٤ وكان ٣٤٨ طنًّا فقط سنة ١٩١٣ . ومع ذلك بقيت الزيوت والادهان قليلة في المانيا فاشار علماء الالمان بطرق لاستخلاصها ممَّا تطرحهُ المطابخ من النفايات وقالوا انهُ يمكن استخلاص نصف مليون رطل منها كل يوم

وقد اهتمَّ علماء الالمان بعمل العلف للمواشي من مواد غير آلية ويقال انهم نجحوا في توليد نوع من الخمير يضيف نيتروجين الهواء الى المواد السكرية فيتركب من ذلك مادة حاوية كل العناصر التي يغتذي منها جسم الحيوان

واهم ما وجهوا عنايتهم اليهِ تركيب الطعام الصالح للاجسام من المواد التي يتيسَّر الحصول عليها ولو لم يعتد الناس اكلها كما تقدَّم

قال رجل من الامم المحايدة انهُ سافر من برلين الى ڤينّا في القطار المفتخر وتعشى فيهِ العشاء العادي الذي ثمنهُ نحو ٢٥ غرشاً فوجدهُ مؤلفاً من الشوربا واللحم وبينهما لون ثالث entrée وبعدهما الحلو . ولم يكن منظر الطعام ممَّا تعافهُ النفس ولكنهُ لما شرع في الاكل

رأى ان المطعم ليس كالمنظر فان الشوربا كانت ماء اضيف اليهِ بعض المواد الكيماوية واللون (الصحن) الذي بينها وبين اللحم كان من البطاطس المطيَّب ببعض الافاويه واللحم كان اكثرهُ من الجلود والاوتار وقد سلقت وقليت حتى صارت كالخرق . والحلو كان من البطاطس ايضاً وقد حُلّي بمادة كيماوية تقوم مقام السكَّر . والخبز كان خبز الحرب المشهور وطعمهُ خبيث كأنهُ مخلوط بالصراصير. فاكل ما تيسَّر لانهُ كان جائعاً ولكنهُ بقي جائعاً لان ما اكلهُ لم يشبعهُ فلم تكد سفرتهُ تنتهي و يصل الى مكان فيهِ طعام عادي حتى اقبل عليهِ كمن يكاد يموت جوعاً . وعليهِ فاذا كان الالمان يعتقدون انهم حلوا مسألة الطعام باستحضار موادهِ كيماويًّا فقد اخطأُوا في ذلك لان طعامهم هذا لا يشبع من جوع

ونرجح صحَّة ما قالهُ هذا الرجل من حيث الطعام الذي قدّم لهُ حينئذٍ ولكن لا يلزم عن ذلك ان الطعام الذي يقدَّم في ذلك القطر هو كذلك دائماً ولا ان طعام الالمان كلهم صار صناعيًّا تافهاً قليل التغذية فان حركات جنودهم تنقض ذلك ولكن تقديم طعام مثل هذا في قطر مفتخر ولو مرة كل يومين او ثلاثة يدلُّ على ان مواد الطعام نقصت في المانيا فعلاً وانهم استعانوا بالكيمياء وعمنوا بها مواد آلية تقوم مقام ما نقص ولكنهم لم يفلحوا . ولا عجب اذا لم يفلحوا لان اعضاء الهضم اعتادت هضم الاطعمة الآلية المعدَّة على اسلوب مخصوص فيتعذر عليها هضم غيرها او ما يخالفها فالذين الفت معدهم هضم خبز القمح لا يسهل عليهم هضم خبز الشعير على شدَّة القرب بين القمح والشعير واذا قُدّم لهم خبز مصنوع من نشارة الخشب وبعض المواد الكيماوية فلا يحتمل انهم يستطيبونهُ او يهضمونهُ . والذين اعتادوا اكل لحم الغنم والبقر لا يستطيبون اكل لحم الجمال والكلاب بل تعافهُ انفسهم الاَّ اذا عضهم الجوع واشرفوا على الهلاك

ثم ان اعضاء الجسم اعتادت ان تتناول من الطعام المهضوم ما يحتاج اليهِ الجسم لتوليد حرارتهِ وقوتهِ وللتعويض عمَّا يندثر منهُ فاذا لم يهضم الطعام في المعدة والامعاء او لم يكن حاويًا لهذه المواد على الكيفية المطلوبة تعذَّر على الجسم الاستفادة منهُ فتعجز الكيمياء عمَّا يسهل على الطبيعة

ولعلَّ قلة الطعام في المانيا تكون اكبر ممهد لحمل الشعوب الالمانية على مناضبة حكوماتهم والجائها الى طلب الصلح

مدينة المكاتب

نريد بها مدينة وشنطن عاصمة الولايات المتحدة الاميركية . ولا بدع اذا سميناها بهذا الاسم فانها تفوق سائر مدن الدنيا في عدد مكاتبها وعدد الكتب التي فيها

واول تلك المكاتب واعظمها مكتبة الكونجرس (اي مجلسي النواب والشيوخ) فان فيها من الرفوف ما يبلغ طوله مئة ميل وما يسع ٣٦٢٤٠٠٠ كتاب ومجلد ولكن تلك الرفوف لم تمتلئ حتى الآن بل فيها ٢٢٥٠٠٠٠ مجلد فقط . وهذه الكتب على كثرتها ليست حاوية لجميع مواضيع العلم والبحث . وعليه ترى الاخصائيين يؤمون غيرها ايضاً من المكاتب الخصوصية في تلك المدينة وكثير ما هي

واعظم هذه المكاتب الخصوصية مكتبة المساحة الجيولوجية فيها ٩٠٠٠٠ مجلد و ١٠٠٠٠٠ كراس تبحث كلها في الجيولوجيا والمواضيع المشاكلة لها

ثم مكتبة جراحة الجيش وهي اكبر المكاتب الطبية في الدنيا وكتبها تتناول المواضيع الطبية والجراحية

ومكتبة السجلات العمومية التابعة لمطبعة الحكومة وتسمى مكتبة مدير السجلات فيها ١٤٧٨٥٥ كتاباً وسجلاً و ١٦٢٨٩ خريطة

ومكتبة وزارة الزراعة وفيها ١٣١٠٠٠ كتاب وكراس في الزراعة وغيرها من فروع العلوم الخاصة بها

ومكتبة الارصاد الجوية وفيها ٣٣٠٠٠ مجلد تبحث في علم الظواهر الجوية (المتيورولوجيا) وعلم الاقليم (كليماتولوجيا)

وللفنون الحربية مكتبتان أدمجتا حديثاً في واحدة وهما مكتبة وزارة الحربية وفيها ٦٠٠٠٠ مجلد و ٤٠٠٠٠ كراس ومنشور . ومكتبة المدرسة الحربية وفيها ٣٤٤٢٧ مجلداً . ثم مكتبة وزارة البحرية وفيها ٥٠٠٠٠ مجلد . ويلحق بها مكتبة المرصد البحري وهي اعظم مكتبة فلكية في اميركا تحوي ٢٧٢٩٦ كتاباً و ٥٤٥٢ كراساً

ثم مكتبة وزارة الخارجية وفيها ٧٠٠٠٠ مجلد في القانون الدولي والسياسة والتاريخ والقوانين الاجنبية ووصف البلاد الاجنبية

ومكتبة تسجيل الامتيازات التجارية وفيها ٩٤٦٤٨ مجلداً في الفنون الصناعية

ومكتبة قلم المقاييس وفيها ١١١٦٦ مجلداً وبضعة آلاف كراس في علم الطبيعة والفنون المختلفة

ومكتبة خفر السواحل والمساحة وفيها ٢٥٠٠٠ مجلد وكراس و ٣٥٠٠٠ خريطة وكثير من الرسوم

ومكتبة المتحف الوطني وفيها ٤٣٦٩٢ مجلداً و ٧٢٠٤٢ كراساً في العلوم الطبيعية بوجه خاص

ومكتبة فرع المناجم وفيها ١٢٠٠٠ مجلد في المعادن والتعدين

ومكتبة المعارف وهي لا مثيل لها في عدد كتبها التي تبحث في فن التعليم . ومجموع ما فيها من الكتب والكراريس ١٤٥٠٠٠ . وهي تعير كتبها بالبوستة لجميع من يستعيرها في اميركا من معلمي المدارس وغيرهم من الذين يحترفون التربية والتعليم خارج المدارس

ومكتبة تذكار كولمبس وفيها ٢٨٣٩٩ كتاباً عن آداب الام اللاتينية في اميركا

ومكتبة المجلس الاعلى الماسوني للدرجة الثالثة والثلاثين وفيها ١٠٠٠٠٠ كتاب وكراس في الشؤون الماسونية وما يتعلق بها

ومكتبة مكتب الطرش المسمَّى بمكتب « فولطا » وفيها كتب وكراريس عديدة لم تحص في تعليم الطرش وما اشبه ذلك

ومكتبتان في سكك الحديد وما يختص بها في الواحدة ١٦٠٠٠ مجلد و ١٠٠٠٠ كراس . وفي الثانية ٢٥٠٠٠ كتاب وكراس وخريطة

ومكتبة القانون في وزارة الحقانية تحتوي على ٤٥٠٠٠ كتاب وكراس . وقد الحق بمكتبة الكونجرس مكتبة اخرى للقانون اكبر من هذه . وهناك مكتبة ثالثة لكتب القانون تابعة لجمعية المحامين في مقاطعة كولمبيا فيها ١٦٠٠٠ مجلد

ومكتبة قلم العمَّال وفيها ٢٨٠٠٠ مجلد وكراس في مشاكل العمَّال والاجور والاعمال وما اشبه من الموضوعات

ومكتبة المصايد وفيها ٢٨٦٩٥ كتاباً في الاسماك

ومكتبة مدرسة الهندسة في ثكنة وشنطن وفيها ٥٠٠٠٠ كتاب و ٨٠٠٠ كراس في الهندسة الحربية والملكية

ومكتبة قلم الاحصاء وفيها ٢٨٩٧٠ كتاباً و ٣٩٤١٨ كراساً

ومكتبة الفرع الخاص بدرس اجناس الناس وطبائعهم وفيها ٣١٧٠٩ كتب وكراريس في المباحث المختلفة الخاصة بهذا الفرع

ومكتبة كرنجي وهي مكتبة عمومية كبيرة تعير الكتب لمستعيريها

وفي وشنطن غير ما تقدم مكاتب اخرى كبيرة ملحقة بالجامعات والكليات المختلفة ومكاتب صغيرة ملحقة بالمدارس والاندية . ومجموع المكاتب كلها ١٣٧ مكتبة

اكل لحم الخيل

احسن المرحوم الامير عبد القادر الجزائري في كتابه الصافنات الجياد حيث افتتحهُ بقوله «الحمد لله الذي جعل الخير معقوداً في نواصي الخيل وزينها بالغرر الواضحة والتحجيل. واقسم بها ومدحها في محكم التنزيل. اناط العزّ بها وعلق القلوب بحبها. واودع الفخر في اثباجها والثروة في نتاجها. والبركة في اعرافها والسبق في عنانها». ولو كان المقام مقام مدح الخيل والعتاق المذاكي لضاقت بطون الطروس دونهُ اذ لم يجمع كتّاب المتقدمين والمتأخرين وشعراؤهم على مدح شيء واحد اجماعهم على مدح الجياد. فقد خصوا بعض العجماوات بالذم كالقرد والنمر والحية والضبع والثعلب وربما لم يقولوا كلمة خير فيها. وتناول ذمّهم الاسد سيد الوحوش على عظم بأسهِ وشدة مراسهِ. ولم تخلُ الحيوانات الداجنة من ذمهم فوصفوا الثور بالعناد والحمار ببلادة الفهم والهرّ بالحقد والخروف بالجبن الى آخر ما هناك الأ الفرس فلم يقولوا فيهِ قولة سوء

على ان المقام مقام بحث عليّ في استخدام الخيل لغير ما اصطلح الناس عليهِ حتى الآن. فقد اصطلحوا على استخدامها للركوب ثم لجرّ الاثقال وشذّ من استعمل لحمها للاكل. ولكن قام الباحثون الآن يبحثون في الانتفاع بلحمها وجلدها وعظامها بعد ان تكلّ عن الحمل او الجرّ. وقد حداهم على هذا البحث كثرة ما هلك من الخيل في هذه الحرب وما ذهب من لحمها وجلدها وعظامها ودمها سدًى وهدراً في حين انهُ كثير النفع للانسان

قتل في هذه الحرب الالوف المؤلفة من الخيل. وكان المتحاربون في اوائلها يدفنون الجثث اذا رأوا انها ستبيت بؤرة فساد ومكمناً لجراثيم الامراض ولكن الالمان اخذوا يفكرون بعد ذلك في ما للحم الخيل وجلدها وعظمها وحوافرها من القيمة وفي طريقة تمكنهم من الاستفادة بها. فنشر عالم الماني مقالة بعنوان «لحم الخيل طعام للناس وللحيوانات» انكر فيها احجام الناس عموماً عن اكل لحم الخيل وقال ان معظم السبب في ذلك غريزة مؤسسة على اعتقاد ديني. اما السينتفك اميركان فتعزو ذلك الى كون الجواد كان صاحب الانسان في سلمهِ ومساعدهُ في حربهِ منذ قرون كثيرة خلت فلذلك استنكف ان يقابل فضلهُ هذا باكل لحمهِ. وفصّل العالم الالماني المشار اليهِ مرادهُ فقال «ان الجرمان الاقدمين وجيرانهم كانوا يجلّون لحم الخيل كثيراً حتى عدوا الفرس اكثر الضحايا قبولاً عند الآلهة. وكانوا بعد

تقديمهِ على مذابحها في اعيادهم يأخذون جمجمتهُ ويسمرونها على ابوابهم وسقوف منازلهم تذكاراً للعيد . ولعلَّ هذا هو ما جعل كهنة المسيحيين القدماء يحرمون اكل لحم الخيل »

هذا ما قالهُ العالم الالماني ولكن المرجح ان المسيحيين اتبعوا في عدم اكلهِ تحريم التوراة للحيوانات التي لا تجترُّ ولا تشق الظلف والفرس احدها . ثم ان البابا غريغوريوس الثالث حرَّم لحم الخيل فلذلك لم يأكلهُ المسيحيون الأ مضطربن جوعاً كما جرى في المانيا سنة ١٨١٦ — ١٨١٧ وفي برلين سنة ١٨٤٧ وفي بروسيا الشرقية سنة ١٨٦٣ وفي حصار باريس سنة ١٨٧٠ ثم شاع اكلهُ في اكثر مدن اوربا

ومن رأي الكاتب ان تفتَّش ميادين القتال بعد حدوث المعارك فتذبح الخيل المجروحة جروحاً مميتة وتسلخ جلودها وتوضع جثثها في اكياس مبللة ببرمنغنات البوتاس فتبقى طرية اسبوعين من الزمان . قال « وقد اتبع الفرنسويون هذه الطريقة سنة ١٨٢٠ لحفظ لحم الخيل طعاماً . ثم ان اهل روسيا الاسيوية والتتر والقلموق والكرغس وغيرهم يأكلون لحم الخيل ويستطيبونهُ ويرسلون جلودها الى اسواق اوربا . لذلك يحسن بنا ان نتبع ايضاً هذه الطريقة في حفظ لحم الخيل واطعامهِ لاسرى الروس الذين عندنا وعددهم مليون ونصف فانهم يحبونهُ وهو افضل على كل حال من اللحم المبرَّد الذي يؤْتى بهِ من كندا او الارجنتين ويقدم طعاماً للاسرى الالمان في انكلترا فانهم يعافونهُ ولطالما شكوا من رائحتهِ وطعمهِ »

وكتب طبيب الماني مقالة في السينتفك اميركان قال فيها انهُ بالرغم من تعاظم شأن الاتوموبيلات في هذا الزمان وما لسكك الحديد من الاهمية التي بلغت غايتها لا يصح القول ان عصر الخيل فات وولَّى . فاذا عُرف ان في كل فيلق من فيالق الجيوش الكثيرة من الخيل ما يعدُّ بالالوف اتضح ان عددها في هذه الحرب كثير جداً

ثم وصف زيارتهُ لاحد المستشفيات الالمانية الخاصة بالخيل وكيفية معالجتها فيها فقال ان التي تصاب بداء السقاوة المعروف تقتل وتشرَّح حالاً . والتي يشتبه في كونها مصابة بهِ تعزل عن غيرها ويدقق الكشف عليها وفحصها طبياً . اما الخيل التي تكون مصابة بآفات لا تقبل الشفاء فتسلَّم الى الجزار ليذبحها . واما التي تكون محمومة فتقتل وتسلخ للانتفاع بجلودها لأن اكل لحمها ضارٌّ . وقال انهُ دخل ذلك المستشفى في نحو نصف سنة في اوائل الحرب الفا فرس شفي نحو الف منها فاعيدت الى فصائلها المختلفة . وقتل نحو مئة كانت مصابة بالسقاوة . وبيع ١٢٨ للجزارين لانها اصيبت بآفات لا تقبل الشفاء . ومات او قتل نحو مئة لاصابتها بامراض مصحوبة بالحمى . وبيع نحو ١٥٠ منها للفلاحين لانها غير لائقة

للخدمة العسكرية · والباقي بقي في المستشفى لاستئناف المعالجة وعمل العمليات الجراحية وعدده يزيد على ٥٠٠

وكثيراً ما اشرنا في اعداد المقتطف الماضية الى اكل لحم الخيل في المانيا · ولا يبعد ان يشيع اكلهُ فيها اذا ثبت بعد الفحص الدقيق انهُ كثير الغذاء سهل الهضم ليس فيهِ ما يضر آكليهِ وان امتناع الناس عامة عن اكلهِ الى الآن انما كان عملاً بفريضة دينية او اجابة لداعٍ آخر لا دخل للضرر فيهِ · واذا عمَّ اكل لحم الخيل بلداً مثل المانيا فليس ثمت ما يمنع اقتباس البلاد الاخرى لهُ واتخاذ هذا اللحم قواماً للطعام كلحم المواشي

وللخيل فائدة اخرى كبيرة غير الفوائد المتقدمة فانهم يستخرجون من دمها انواع المصل التي تستعمل لمداواة بعض الامراض او الوقاية منها كالدفتيريا والتتانوس وترياقاً لسم الافاعي

مصر منذ تسعين سنة

للسائح الفرنسوي جيراردي نرفال

(٥)

— بلاد الغرائب —

كنت اصعد احياناً الى سطح منزلي في آخر حارة الاقباط لامتع نظري بجمال الطبيعة فاذا امامي عند شروق الشمس سهول المطرية ومروج عين شمس الزمردية وعن يميني جبال المقطم الجرداء وتحت سفحهِ مدينة الاموات باعمدتها وقبابها العالية مدفن حكام مصر وخلفائها وسلاطينها منذ الف عام · وفي عين شمس مسلَّة الفراعنة الاثر الوحيد الباقي من تلك المدينة البائدة كأنها وهي بين تلك المروج الخضراء وحولها غابات النخيل والجميز حارسة للاهرام ولمدافن الالهة والملوك منذ اربعين قرناً

وكثيراً ما كنت اقضي على تلك الحال ساعة من الزمان امتع فيها نظري بجمال هذه المناظر وانا غارق في بحر الافكار وعالم الخيال · وفي صباح احد الايام رأيت الجو قاتماً فرفعت راسي واذا الجراد مالئ الافق وكان عبد الله ترجماني واقفاً بالقرب مني يحرك قصبة غليونهِ في الهواء مراراً فسقط بين اقدامنا بعض جرادات وهي كبيرة الحجم · وقال لي عبدالله ان الجراد آفة من آفات مصر يأكل الزرع و يفني الضرع و يخشى من حدوث مجاعة

في هذه السنة . ثم سألني ألا تأكل الجراد . فاظهرت التقزز والاشمئزاز . فقال يطيب اكلهُ اذا جرّد من رأسهِ واجنحتهِ وشوي بالنار او قلي بالسمن وهو طعام شهي عند العربان وكثيراً ما يملحونهُ و يقددونهُ ويحفظونهُ للشتاء ويستطاب اكلهُ مع خبز الذرة . وعلى ذكر الطعام قلت لهُ لما كنت قد تركت الفندق واتخذت منزلاً خاصاً ألا يمكنك ان تطبخ لي طعامي ولو على الطريقة المصرية لانهُ يصعب عليَّ ان اذهب كل يوم مرتين في الحر الى فندق دومرج . فاظهر الانفة والترفع وقال اعلم يا مسيو اني لست طباخاً بل ترجمان ان شئت فاطلب لنفسك غيري . فقلت ألا يعرف صاحبك البربري ابرهيم الطبخ . اجاب كلاَّ لان وظيفتهُ حراسة باب منزلك فقط . فقلت لهُ وما العمل اذاً ? فالسوق ملآنة بقولاً ولحماً وسمكاً فيجب ان آكل في منزلي فأتني بطباخ . اجاب قلما تجد طباخاً افرنجيًّا الاَّ في سرايات الامراء والوزراء ومرتبهُ لا يقل عن ستمائة غرش . فقلت اريد طباخاً مصريًّا يطبخ لي طعاماً بلديًّا . اجاب ربما تجدهُ عند صاحبك الخواجا جان

— الخواجا جان —

جان رجل فرنسوي المولد صاحب خمارة في حارة الاقباط يختلف اليها كثيرون من الاروام والمالطيين والاقباط . وهو من بقايا جنود الحملة الفرنسوية لم يشأ ان يرجع الى بلادهِ بعد ان تقيَّد في خدمة احد امراء المماليك فاصبح وطنيًّا مصريًّا فانتحل الاسلام وسمّى نفسهُ محمداً وارتفعت منزلتهُ واثرى وملك بيتاً كبيراً وتزوج واقتنى الجواري والعبيد والخيول وكان محسوباً من اتباع المماليك . ولما قُتل المماليك واتباعهم لم يتخلص المسيو جان من القتل الاَّ بحماية قنصل فرنسا لهُ غير انهم سلبوهُ اموالهُ وصادروا كل مقتنياتهِ فتفرق عنهُ نساؤُهُ وجواريهِ واصبح فقيراً فاضطر ان ينزوي في حارة الاقباط ويرتزق من تلك الحانة وبيع الخمر للافرنج « والعرقي » البلدي لليهود والاقباط والبوظة للبرابرة . ولما تكلل عملهُ بالنجاح اتى بالخمور الفاخرة من مالطة وسورية وجزائر اليونان واشتهرت حانتهُ حتى كانت مجتمعاً للافرنج وبعض العامة والخاصة من المسلمين وهؤُلاء كانوا يدخلون اليها سراً . فهناك تعرفت بالمسيو جان ولم اكتم عنهُ احوالي . ولما شاورتهُ في اموري المنزلية اجاب

من الصعب ان تقيم في مصر فرداً وفي منزل خصوصي من غير ان تبذل نفقات طائلة . فيجب ان يكون عندك خدم كثيرون ان شئت ان تكون في راحة وذا منزلة مكرمة في اعين القوم . ولكل خادم مهنة خاصة لا يتعداها الى سواها فالطباخ لا يطبخ الطعام الاَّ اذا كان

حوله غلمان يساعدونهُ في غسل الآنية والطباق . وكذلك « السفرجي » لا يعمل عملاً آخر سوى ترتيب السفرة والخادم لا يشتغل بغير تنظيف البيت وترتيبهِ . والبواب لا ينتقل من الباب وكل منهم يأنف العمل في مهنة غير مهنتهِ . فهم كسالى لا فائدة منهم . فالافندي او صاحب الوجاهة والمنزلة لا يكون وجيهاً الأ اذا استخدم كاتباً يدعى كاتب السر . وقهرماناً لدارهِ يدعى « الخازندار » وحاملاً للشبق ومنظفاً للشبقات والنراجيل يدعى « الشبقجي » . ووكيلاً لاسلحتهِ يدعى « السلحدار » وسائساً لخيوله برآسة « السراج باشي » . وصانعاً للقهوة يقال لهُ « قهوجي باشي » . وسقاء وحماره ليأتي بالماء من النيل بالقرب . وذلك عدا طائفة كبيرة من الطباخين والخدم والبوابين والخادمات والجواري داخل دار الحريم ومثلك لا يستغني عن طباخ مع مساعدهِ وخادم وقهوجي وبواب

قلت وكم يبلغ مرتب هؤلاء في اليوم . قال لا اقل من ثلاثين او اربعين غرشاً ويجب ان تحسب مثلها ثمن الماكولات . فقلت هذا مبلغ باهظ اكثر مما ادفعهُ في الفندق . فقال لا ريب في ذلك وقد لا يطيب لك الطبخ المصري . فقلت ساعوّد نفسي اكلهُ . فقال ويجب ان تناقش الخادم في الحساب لئلا يسرقك وهو يشتري الحاجيات المنزلية . فقلت لا بأس ساتوصل بهذه الواسطة الى فهم اللغة العربية . فارجو منك ان تنتخب لي هؤلاء الخدم . فقال ساهتم بذلك ولكني لا اكفل امانتهم واخلاصهم . فقلت وهل هم لصوص . فقال كلاّ لا لصوص في مصر لان اللصوصية مقترنة غالباً بالجراءة وهذه الصفة لا وجود لها هنا . ولكن هؤلاء الخدم يكتسبون منك بعض دريهمات في مشترى الحاجيات من السوق

رأيت من خلال هذا الكلام ان المصري المسكين محتقر في نظر الاوربيين عموماً حتى من الطبقة الواطئة من الافرنج . وللاوربي سلطة ولو وهمية على المصري كما ان للاتراك سلطة فعلية قاسية عليهِ وقد اذلهُ نير الاستعباد الطويل منذ العصور السالفة فاصبح عبداً لحكامهِ

— السخرة —

خرجت من حانة جان واجتزت ساحة الازبكية قاصداً الذهاب الى فندق دومرج في حي الافرنج ومررت بالقصر الذي جعلهُ بونابرت مسكناً لهُ ولم يزل قائماً وحولهُ حديقة واسعة محاطة بسياج من الصبّير (التين الشوكي) واشجار الجميز . وفي تلك الحديقة قتل الجنرال كليبر بيد غادر اثيم . وبالقرب من هذا القصر المعهد العلمي الفرنسوي المصري حيث

كان يجتمع اعضاء البعثة العلمية . ولم يزل هذا الاثر باقياً الى الآن[1] . وبالقرب من الحديقة بحيرة الازبكية تمتلئ ماء في ايام الفيضان و ينتقل الناس من جهة الى اخرى بالقوارب الكثيرة الراسية على ضفاف البحيرة . وقد بدأ الحاكم بردم جزء كبير منها وجعله حديقة زرع فيها شجر الجميز وغيره . ورأيت عند مروري من هناك مئات من الفلاحين المصريين يعملون في ردم البحيرة ونساؤهم وبناتهم ينقلون الاتربة في قفات واكثرهن لا يستر اجسامهن سوى قميص ازرق . اما البنات الصغار والغلمان من سن الثانية فما دون فعراة الاجسام كما يرون على ضفاف النيل في القرى . ورأيت الملاحظين على العمال من المصريين ايضاً وفوقهم المفتشون وكلهم من الاتراك وبايديهم اسواط من الجلد واذناب الثيران يقرعون بها ظهور الملاحظين . وهؤلاء يحملون بايديهم عصياً من الخيزران يقرعون بها ظهور العمال الفلاحين انتقاماً من قارعيهم !! وكل هؤلاء الملاحظين والمفتشين تحت سيطرة مفتش عام من ضباط الجهادية الاتراك وكان مترديا بلباس تركي وعلى رأسه طربوش احمر واسع وعلى جنبيه سيفه وفي نطاقه الجلدي الخناجر والغدارات . ويحمل في يده سوطاً طويلاً يلاحظ العمل كمهندس ويجدّ في تنشيط المفتشين و ينتهرهم باللغة التركية . ولما رآني هذا المفتش واقفاً امام هؤلاء العمال المساكين اندب سوء حظهم واعطف راثياً لحالة البنات والغلمان الصغار واكثرهم لم يتجاوز كثيراً سن الفطام دنا مني وحياني باللغة الفرنسوية الفصحى . فدهشت كثيراً وعلمت من اثناء الحديث انهُ من مواطنيَّ الذين كانوا ضباطاً في الحملة وقد اسلموا ولم يشاؤوا ان يفارقوا نساءهم المصريات فدخلوا في خدمة الباشا وتزيوا بزي الاتراك اصحاب السلطة وتخلقوا باخلاق اهل البلاد . ولما تم التعارف بيننا قلت لهُ :

لم تسخرون هؤلاء النساء مع اطفالهن و بناتهن في هذا العمل الشاق ؟ . فاجاب لسن مسخرات . فرجالهن يأتون بهن ليشتغلن معهم فيأخذون الاجرة مضاعفة فاجرة المرأة غرش في اليوم والبنت والغلام نصف غرش واما الاجرة العامة لكل عامل فغرش واحد . قلت اني ارى بعض العمال مقيدين بالسلاسل في ارجلهم فقال هؤلاء هم المتوانون الكسالى المتشردون الذين لا يأتون الى العمل من تلقاء انفسهم فنضطر ان نلتقطهم من الشوارع والقهوات . قلت وكيف كانوا يعيشون اذاً فقال من سرقة الاثمار والذرة والبلح

---

(١) قصر بونابرت والمعهد المشار اليه كانا في المكان القائم فيه الآن محل صيدناوي في ميدان الخازندار وما اليه من الابنية في جهة محل فرانسيز

من الغيطان فشيء قليل منها يكفيهم قوت يومهم . وفي الليل يؤمون القهوات ليسمعوا قصص الزير وعنترة ثم يتوسدون التراب . فالباشا احسن عملاً في تسخيرهم وتمويه بدم العمل وزد على ذلك اننا ندفع لهم الاجرة كغيرهم ولكننا لا نصرفهم ليلاً . قلت وكيف تجمعون العمال عند ما تحتاجون اليهم . فقال عندما يريد سعادة افندينا اصلاح طريق او ردم بحيرة او بناء قصر بأمر فصيلة من الجنود فيحصرون حيًّا او شارعاً من كل جهاته على غفلةٍ و يقبضون على كل من يقع تحت ايديهم و يأخذونهم للعمل. قلت وهل يأخذون كل من وقع تحت ايديهم من المارَّة . قال نعم ولا يطلق الضابط سبيل احد منهم الاَّ الاتراك والافرنج والباقون فمن كان منهم تاجراً او وجيهاً فيشتري نفسهُ و يدفع مال السخرة . اما الفلاحون والفقراء فيساقون الى العمل مكرهين باجرة مقررة ولا يصرفون الاَّ اذا انتهى الردم اوالهدم او البناء وربما دام سنة او اكثر . وكانت السخرة قبلاً امتيازاً لكل سيد او امير اما الآن فقد الغى سعادتهُ هذا الامتياز

— الراقصون والراقصات —

تناولت الغداء في الفندق وخرجت الى قهوة في الموسكي ثم ذهبت عند المساء الى مكان غناء قريب من القهوة . ورأيت اول مرة رقص الغوازي وسمعتُ غناء « العوالم » وكنت اود ان اصف هذا المكان لكثرة ما رأيتهُ عنهُ في كتب السياح من قبلي . فقد صوَّروهُ مكاناً فسيحاً مفروشاً بمقاعد الدمقس والحرير وجدرانهُ زاهية مزينة بصور النساء العاريات والحوريات وعلى رفوفهِ آنية الصيني والخزف الثمينة والمصابيح العربية كمصباح علاء الدين الموصوف في كتاب الف ليلة وليلة . فلم اجد في تلك القهوة سوى جدران مبيضة بالجير عليها رسوم جمال ونخل وسفن ناشرة اشرعتها ليس فيها شيء من الرواء . وعلى رفوفها اسرجة زيتية ينتشر دخانها الكثيف في الفضاء ومقاعدها من الخشب والجالسون عليها يدخنون بالشبقات اوالنارجيلات المركبة من جوز الهند وقصب الغاب . وصاحب المكان يدير عليهم القهوة من حين لآخر في فناجين ضمن ظروف من نحاس . وقد رأيت هناك الفلاح بزعبوطهِ الازرق والقبطي بقفطانهِ الاسود والبدوي بعباءتهِ المخططة وعلى رأسهِ الكوفية والعقال والعربي بشملهِ الابيض والتركي بسراويلهِ الواسع وطربوشهِ الاحمر وخناجرهُ في منطقتهِ . اما الافرنج من مالطيين واروام وايطاليين فجالسون ناحيةً نقدم لهم القهوة محلاَّة بالسكر

وكان في صدر المكان منصةٌ مرتفعة جلست عليها العوالم والراقصات وقد بهر نظري زيناتهنَّ وحلاهنَّ اللامعة على رؤُوسهنَّ وصدورهنَّ من القطع الذهبية. وقفن على المسرح يرقصن رقصاً غريباً مستهجناً خليعاً تهز فيهِ الاعناق والارداف والمعاطف واوساطهنَّ عارية تتدلى حولها شرائط القصب المعلقة في اطرافها الجلاجل تأتلف رناتها مع رنات الصنوج الصغيرة في اصابعهنَّ ومع حركات الرقص ونغمات الزمر والطار والدف. ورأيت راقصتين زججتا الحواجب والعيون وقد دقت خصورهما واعارهما الجمال مسحة. وفيما انا احدق فيهما رايت الشعر في عوارضهما وعلمت بعد ذلك انهما شابان مخنثان لا فتاتان. ولما انتهى دور الرقص نزل احدهما عن المرسح ودار بين المتفرجين يجمع «البقشيش» منهم فكان بعضهم يلقي في يدهِ بعض بارات يردفها بعبارات غزلية. فلما دنا مني وضعت في يدهِ قطعة نقود وحولت وجهي عنهُ اشمئزازاً وانفة. وقيل لي ان الراقصات والعوالم والغوازي كن يظهرن قبلاً في اماكن اللهو والغناء ولكن الوالي الباشا امر ان لا يظهرن على المراسح العمومية ونفى اكثرهن الى اسنا فاقتصرن على الغناء والرقص في البيوت والسرايات عند اقامة الاعراس والافراح فاضطر اصحاب القهوات ان يبدلوهنَّ بفتيان مردٍ يتخذون هيأة الغوازي في ضفر شعورهنَّ وزيناتهنَّ وملابسهنَّ ويقلدون رقصهنَّ الخليع وهم معروفون في مصر باسم «الخوَلات» كما ان المغنيات معروفات باسم «العوالم» جمع عالمة والراقصات باسم الغوازي جمع غازية

— الهائم —

رجعت الى منزلي وانا افكر في معيشتي البيتية المقبلة وعزمت ان اصرف ترجماني عبد الله اقتصاداً بعد ان عرفت الطرق والشوارع وتعلمت بعض كلمات عربية اتمكن بها من السؤَال والاستفهام والاهتداء في المسير. وعند وصولي الى منزلي رأيت جمعاً من الخدم والطباخين كان مواطني المسيو جان قد ارسلهم اليَّ لانتقي من بينهم من كان صالحاً لخدمتي فلقيتهم جالسين في صحن الدار يدخنون وقد وزع عليهم خادمي القهوة ورأيت اليهودي يوسف التاجر جالساً في قاعة الاستقبال وبين يديهِ النارجيلة يدخن. اما ترجماني فكان نائماً فايقظتهُ ولما رآني صاح بي:

كنت بانتظارك منذ الصباح. فقلت لهُ وماذا تريد مني ؟. قال لقد عملت سجساً وقلقاً في الحارة والجيران حولك يتضررون منك يريدون ان يشكوك الى مدير الضبط. قلت

ولماذا . قال لصعودك الى السطح ووصوصتك على نساء الجيران . قلت الم تقل لي انهُ ليس في صعودي الى السطح ليلاً من حرج . قال نعم ولكنك تصعد باكراً وتلبث الى ما بعد شروق الشمس فاضطرت صاحبة البيت ان ترسل فعلة يبنون جداراً عالياً في السطح يحجب عنك حريم الجيران وها هم الآن يعملون على حسابك . فصعدت الى السطح مع عبد الله فرأيت بعض الفعلة والبنائين يبنون جداراً من الطوب عند واجهة تطل على حديقة صغيرة ومنزل مفتوحة نوافذهُ وقال لي . في هذا البيت تسكن « هانم » اي سيدة محصنة وهي التي تشكو منك . وقد تهددت المرأة القبطية صحبة بيتك بان تشكوها الى القاضي لانها اجّرت بيتها لرجل اجنبي يصعد الى السطح ويشرف على البيوت وهذا محرم في الشرع فاضطرت القبطية ان تأتي بالبنائين ليرفعوا جداراً بين البيتين . قلت ولكني لم التفت قط الى هذه الجهة ولم ارَ هذه « الهانم » . قال ولكنها رأتك واقفاً في الصباح وهذه حجة كافية للشكوى . قلت وكم عمر هذه السيدة . قال هي امرأة ارملة في الخمسين من عمرها . قلت عجباً في الخمسين وتقول انها تتذمر وتأنف من النظر الى شاب اجنبي

فاشتد بي الغيظ واقبلت نحو الفعلة ودفعتهم بحدة وغضب وهدمت بيدي ورجلي ما وضعوهُ من الطين والطوب وسقط بعضهُ على حديقة جارتي الارملة . فوجم البناؤون وتباعدوا عني خوفاً من غضبي . والعادة ان الوطنيين لا يجسرون على مقاومة رجل افرنجي او تركي فطردتهم في الحال . اما الترجمان واليهودي فلم يجسرا ان يعترضاني . ثم نزلت ودعوت الخدم الذين ارسلهم لي جان فانتقيت منهم طباخاً وخادماً وصرفت الباقين وكان الطباخ يدعى مصطفى وقد رأيت على وجههِ ملامح الذكاء والنشاط واتفقت معهُ على الاجرة وهي غرش ونصف في اليوم على ان يطبخ لي على الطريقة المصرية ويشتري الحاجات من السوق . واما الخادم فجعلتهُ مساعداً لهُ

ثم جلست على المقعد مع الترجمان ويوسف ودار بيننا الحديث عن شؤون مختلفة الى ان قرع الباب وقيل لي ان شيخ الحارة قادم ليكلمني فاذنت لهُ في الدخول . فقال لي اني اسأت بطردي الفعلة وانهُ مسؤول عني لدى ولاة الامور وربما اصابهُ سوء لانهُ اسكن رجلاً افرنجياً عازباً بين منازل العائلات وان « الهانم » سترفع شكواها بي الى القاضي لاني اكشف عليها وقد القيت الطوب في ارضها . فاعتذرت لشيخ الحارة عن حدتي وجهلي لعادات البلد ووعدتهُ بان لا اصعد الى السطح في النهار واني مستعد لان اعوض الضرر الذي حدث بسببي . فقال لي حسناً تفعل وبذلك ترفع عن عاتقي المسئولية . فقلت لهُ ماذا

ترى ان اقدم لها على سبيل العوض · قال ارسل امرأتك تعتذر لها وتقدم لها من قبلك غزلية قماش وبضع مناديل حريرية او شيئًا آخر على سبيل الهدية · قلت يا للغرابة ولكنك تعلم اني لست متزوجًا · فاظهر الدهشة والاستياء وقال ما شاء الله ألم تأتِ بامرأة حتى الآن · اعطيتك مهلة اسبوع ولم تفِ بوعدك · · · · آه ما اسوأ حظي فاذا كنت مصرًّا على عدم السكنى مع امرأة فيجب ان تخرج من هذا المنزل وتذهب الى فندق او خان

فجعلت ألاطفهُ بالحسنى الى ان سرّي عنهُ ورجوت منهُ ان يعطيني مهلة ثلاثة ايام ايضًا ففعل · ولما خرج من عندي قصدت ان اذهب الى قنصل فرنسا اشاورهُ في امري

— قنصل فرنسا في القاهرة —

كنت قبل سفري من باريس قد اخذت من بعض الاصدقاء وارباب الوجاهة في الحكومة كتب توصية الى كثيرين من قناصل الشرق في مصر وسوريا احدها كتاب الى قنصل فرنسا الجنرال في الاسكندرية المقيم الآن في القاهرة للاستعانة بهم عند الاضطرار الى المساعدة والحماية · ولم اشأ عند وصولي الى القاهرة ان ازور القنصل ما دمت لست في حاجة الى مساعدتهِ · وقد وطدت العزم ان اقيم فيها كمصري شرقي خلافًا لعادة غيري من السياح الذين حالما يطأون ارض هذه المدينة يلبسون الفخر ملابسهم ويتقلدون اوسمتهم ويزورون قناصلهم فيصحبونهم في الاسواق والطرق بالتراجمة والادلاء والقواصة «والمجرين» امامهم وخصوصًا السياح الانكليز · فانك تراهم سائرين في القاهرة باثوابهم الرسمية مجعدي الشعور وعلى رؤوسهم القبعات البيضاء يجولون للتفرج على الآثار والجوامع بابهة كأنهم سائرون في موكب ولا يمكنهم بهذه الطريقة ان يختلطوا بحرية مع المصري والعربي والصعيدي والتركي · ويأنفون من الدخول الى قهوة او حانة او ان يجلسوا مع الشرقي لمعرفة اطوارهِ واخلاقهِ ويحسبون هذا الاختلاط تدنيًا وضعة · فهل يؤمل من هؤلاء السياح ان يدركوا شيئًا من اخلاق القوم وعاداتهم غير ما يرون من الظواهر · فاذا كتبوا فعلى غير هدى وحقيقة

اخذت كتب التوصية من حقيبتي وذهبت الى القنصل فلما عرفني رحب بي ودعاني للغداء عندهُ وكان على مائدتهِ يومئذٍ اثنان من مواطنيَّ وهما الدكتور كلوت بك طبيب الباشا وحكيم المستشفى · والمسيو لوبرت مدير الاوبرا في باريس سابقًا وقد بقي بعد الحملة الفرنسوية في القاهرة وجعلهُ محمد علي باشا كاتب التاريخ عندهُ « مؤرخ الوقائع والحوادث المصرية »

وكان بيت القنصل بجوار بيت الدكتور كلوت بك في حدائق رشيد (درب الجنينة) ·
والامر الغريب ان هذين الرجلين اي الدكتور والمؤرخ يلبسان الملابس الشرقية على الزي
التركي والطربوش الواسع والدامر والقفطان والسراويل وعلى صدر يهما تتلألأ الوسامات
التركية الممنوحة لهما من الباشا لانهما من اتباعه وهما مقيدان بخدمته وقد منحها لقب بك ·
وان من يراهما بهذه الهيأة لا يشك انهما سيدان من كبار الاتراك

— الاسلام والرق —

لبثت عند القنصل الى الليل واطلعت عنده على الجرائد التي وردت من فرنسا مع
البريد الاخير وعرفت اخبار بلادي وسياستها ولو لم تكن تهمني كثيراً لاني صبوت بكليتي
الى المعيشة الانفرادية وصرت مصرياً فلم اعد احفل بالمعيشة الاوربية والاخبار الغربية ·
وبعد الغداء دار الحديث بيني وبين القنصل عن شؤون مختلفة · وذكر لي حادثة تافهة في
حد ذاتها ولكنها اقلقت باله وهي في عرف قسيسي اللاتين قضية معضلة او مشكلة دولية
وذلك ان خادماً فرنسوياً من بقايا الحملة خامل الذكر اسلم هو وزوجته لفائدة خصوصية او
لسبب آخر فنهض الاكليروس اللاتيني لمقاومتهما وابلغوا شكواهم للقنصل ليرفع هذا
« الذل » على زعمهم عن الدين الكاثوليكي · واشتد الخصام والمشاحنة بين قضاة المسلمين وبين
اكليروس الافرنج فاولئك كانوا يحرضون هذا الفرنسوي على الثبات · وهؤلاء يقولون له
من العار ان تجحد دين ابائك واجدادك · والقنصل في حيرة لا يعلم ماذا يفعل فمن جهة
لا يقدر ان يقاوم جهاراً سلطة قضاة الدين في البلاد ومن جهة اخرى لا يشاء ان يثير غضب
الاكليروس اللاتيني عليه لئلاً يشكوه الى ملك فرنسا (لويس فيليب وقتئذٍ) ويتهموه
بالاهمال في حماية الدين والاخلال بواجباته وهو مندوب من حكومته لحماية النصارى في
الشرق · ولكن الرجل الخادم ظل ثابتاً في عزمه وقد اقتنع من كلام الامام اذ قال له « انك
خادم وضيع ففي النصرانية تظل طول حياتك خادماً فقيراً صعلوكاً واما اذا اسلمت فتصبح
سيداً كريماً · وفي شريعتنا الناس كلهم سواء في الحقوق فالحقير يمكنه ان يترقى بجده حتى
يصير اميراً او وزيراً و ينال نعيم الدنيا والآخرة فلما سمعت زوجته هذا الكلام صارت تحضه
على الثبات لتلقب « بالهانم » وتلبس الحلي والجواهر وتسير امامها الجواري والعبيد وهي تؤمل
ان تطلق يوماً ما من زوجها وتتزوج من سيد عظيم فتسكن السرايات والقصور

وقد وجد القنصل حلاً لهذا الاشكال فانه دعا الرجل وزوجته ليلاً بواسطة القواصة
ثم ارسلها مقيدين تحت جنح الظلام الى مركب في بولاق ينقلها الى الاسكندرية وهما

الآن مسجونان في القنصلاتو هناك الى ان تأتي الباخرة الفرنسوية فيرسلها الى فرنسا . فاعترضت على عمل القنصل المنافي لروح الحرية الفرنسوية وقلت لهُ هل يجيز لك القانون تقييد الحرية الشخصية والدينية . فاجاب نحن في بلاد الشرق حيث لا دستور ولا قوانين للحكومات . وللقناصل السلطة المطلقة فيما يفعلون تبعاً للظروف ولعادات البلاد فيجب ان اراعي حرمة النصارى وعاداتهم واحفظ مركزي فلم ارَ حلاً لهذا المشكل غير ما فعلت لاني من جهة لا قبل لي بمقاومة شريعة البلاد الدينية ومن جهة اخرى لا اريد ان اثير عواطف المسيحيين والاكليروس اللاتيني عليَّ

وبعد هذا الحديث بسطت للقنصل حالتي المنزلية وقصصت عليهِ ما جرى لي من امر صاحبة البيت والجيران وشيخ الحارة وكيف عزمت على التزوج من فتاة قبطية واستشرتهُ فيما يجب ان افعل تلقاء هذه المصاعب وقلت اني استأجرت منزلاً خصوصياً وهم يطلبون مني اما ان اخرج منهُ واما ان اتزوج او آتي بامرأة تخدمني فقال : لهم الحق في ذلك وهذه قاعدة او قانون متبع في مصر بصرامةٍ وعندهم ان سكنى شاب عازب في منزل منفرد وخصوصاً اذا كان اجنبياً بين منازل العائلات يدعو الى التقولات والشكوك وقد ذكر هذه العادة كل السياح في كتب اسفارهم . انظر كتاب الدكتور كلوت بك عن مصر وتقرير المستر وليم لاين قنصل انكلترا السابق فانهُ عند وصولهِ الى القاهرة مُنع من السكنى بين العائلات في منزل منفرد واضطر ان يقيم في الفندق حتى وصلت اسرتهُ من انكلترا وهذه العادة عريقة في القدم وقد ذكرها ماليت قنصل جنرال فرنسا في مصر على عهد لويس الرابع عشر منذ مائة وخمسين سنة في كتابهِ عن مصر . فيجب عليك ان تتزوج ان شئت البقاء في منزلك

قلت ولكني لا اريد ان اعقد زواجاً في مصر لا اراهُ صالحاً لي ولمستقبلي ولحالتي المالية . ثم اني قد عزمت على مواصلة سياحتي الى سوريا ولبنان . وقد اشار عليَّ ترجماني ان اشتري جارية من سوق العبيد (الجلأبة) فما رأيك . قال لك الخيار . قلت واذا فعلت هل اخالف القانون الفرنسوي . قال كلا بشرط ان تطلق حرية الجارية اذا اخذتها معك الى فرنسا . وطال الحديث بيننا في هذا الشان واوضح لي القنصل سهولة مشترى الجواري وخصوصاً الحبشيات وقال ان كثيرات منهن جميلات يغلب فيهن اللون الفاتح او النحاسي وان كثيرين من الاجانب والموظفين الاوربيين في مصر اقتنوا الجواري الحبشيات والنوبيات . وقد اشترى كلوت بك كثيرات منهن بامر الباشا الحاكم ووضعهنَّ في مدرسة الطب وقصر

المستشفى وعلمهن صناعة التوليد وجعل منهن قوابل · وقال لي ان الحكومة لا تمنع الاوربيين من مشترى العبيد والجواري · وان عبداً اسود ابق مرة من بيت المسيو لومبرت فشكا امرهُ لذوي السلطة ففتشوا عنهُ واعادوهُ اليهِ · وكنت لم ازل متشبعاً من عاداتنا الغربية فدهشت من هذه الانباء المخالفة لروح المدنية الاَّ اني علمت فيما بعد ان الرق في الشرق هو بمثابة التبني عندنا · فالعبيد في قصور العظماء وسرايات الامراء يعيشون في راحة ورفاهية والخدمة المفروضة عليهم ليست بشاقة ولا جائرة وحالتهم عند اسيادهم افضل من حالة الفلاحين المصريين الاحرار الذين يسامون ظلماً وعسفاً و يضربون بالسياط ويسخرون للاعمال الشاقة · وعلمت ايضاً ان الجواري اسعد حالة ومعيشة ورفاهة في قصور اسيادهن من المرأة المصرية التي يبيعها ابوها لزوجها فيقبض مهرها ويسلمها الى رجل قاس يسيء معاملتها وربما تركها مع اطفالها تموت جوعاً وتزوج بغيرها

والقناصل في الشرق مختلفو الآراء والمعاملات في حقوق الاسترقاق اذ ليس لها نصوص صريحة في القوانين الاوربية او المعاهدات الدولية · ولكن قنصل فرنسا اوضح لي رأيهُ في هذا الشان بقولهِ « لا ارى بأساً ببقاء الحالة الحاضرة كما هي عليهِ الآن اي ان يسمح للاوربيين بشراء العبيد والجواري لاعمالهم التجارية والصناعية · فالقوانين التركية تحرم مشترى الاراضي والعقارات وامتلاكها ولكنهم يضطرون الى اقتناء اراضٍ او انشاء معامل لمتاجرهم ومصنوعاتهم باسم غيرهم من الاقباط او السوريين او انهم يلجأون الى حيل شرعية بواسطة ايجارات لمدة طويلة او غير محدودة وفي هذه الحال يضطرون الى استئجار العمال والصناع من الفلاحين المصريين او الاهالي وهؤلاء كلهم موصوفون بالكسل فضلاً عن ان الحكام والامراء ومشايخ الحارات معتسفون فانهم اذا احتاجوا الى فعلة في الاشغال العمومية اخذوهم من معامل الاوربيين قسراً عنهم واقتادوهم للسخرة · ولا يخفى ما في ذلك من الضرر على متاجرهم واعمالهم ولهذا التجأ اكثرهم الى مشترى العبيد للعمل وتكفلوا بالانفاق على مأكلهم وملبسهم ولا سلطة حينئذ للحكام على هؤلاء العبيد المملوكين · واذا رأى الاوربي عبداً من عبيدهِ كسولاً او متمرداً فلهُ الحق ان يبيعهُ او ان يستبدلهُ بغيرهِ

ديمتري نقولا

بلونات تسبلن الجديدة

كلفت التيمس المسيو جورج براد الخبير الفرنسوي الشهير بفن الطيران ان يوافي قراءها بوصف مسهب لبلونات تسبلن القديمة والجديدة ووجوه الفوق بينها فانشأ لذلك مقالة ضافية الاذيال بناها على نتيجة فحصهِ لبلون تسبلن الذي قنصهُ الفرنسويون اخيراً في رفيني والمعلومات الخصوصية التي اتصلت بهِ من المانيا قال

زرت المكان الذي أُنزل فيهِ البلون الالماني في رفيني في ٢١ فبراير الماضي مع الضابط الفرنسوي الذي عهد اليهِ في وضع التقرير الرسمي عن ذلك البلون وتفقدناهُ جيداً فصار في وسعي ان اصف احدث طرز من بلونات تسبلن وصفاً مبنيًّا على الحقائق التي رأيتها بعيني ولمستها بيدي. واني اعترف بان وصفي هذا ليس من الدقة بالمكان الذي يكون فيهِ لو كان البلون المذكور صحيحاً سليماً ولكنهُ دقيق على قدر ما سمحت بهِ الحال كما يتضح مما يلي

ولرب قائل يقول وما ادراك ان البلون الذي قنصهُ الفرنسويون في رفيني هو من احدث ما بناهُ الالمان ؟ والجواب عن ذلك انهُ كذلك بلا ريب ولا شك لان فيهِ اختراعات جديدة لم تكن في البلونات القديمة كما يرى مما يلي علاوة على انهُ كان يسير بخمسة محركات وخمسة رفاصات وكان مكعب جرمهِ اكبر جدًّا من البلونات القديمة. ثم ان الحرفين L Z والرقم الذي يليهما تدل على مرتبة البلون التي رسمت عليهِ في قائمة البلونات التي تسلمها دور صنعة تسبلن الى الحكومة. الالمانية وكان آخر بلونين استلمتهما الحكومة الالمانية من دور صنعة تسبلن بفردركسهافن قبل نشوب الحرب تماماً في ١٤ يوليو سنة ١٩١٤ مرسوم عليهما الحرفان L Z ثم الرقمان ٢٤ و ٢٥ على التوالي. وقد شهدت بنفسي تجربة البلون ٣٠ L Z في بودنسي في ٥ نوفمبر سنة ١٩١٤. فالحرفان L Z والرقم ٧٧ الذي يليهما تكفي اذاً للدلالة على ان المانيا انشأت في الاشهر الثمانية العشرة الماضية ٥٢ بلوناً جديداً من بلونات تسبلن على الاقل. وكان المعروف ان المانيا كانت تبني بلوناً واحداً في كل ثلاثة اسابيع في الربع الاخير من سنة ١٩١٤ اما الآن فانها تبني بلوناً واحداً على الاقل في كل عشرة ايام كما يستدل من التقدير المتقدم. ولو كان البلون ٧٧ L Z من البلونات القديمة لوجب علينا ان نفرض ان انشاء البلونات في المانيا كان سائراً بسرعة غريبة يزيد متوسطها على بلون واحد في الاسبوع وهو امر غير معقول. ومن الامور البديهية ايضاً ان تكون المانيا قد استعانت ببلوناتها على مساعدة جيوشها في هجومها على فردون وان تكون قد استخدمت لذلك

احدث ما عندها من تلك البلونات واقواها لضرب خط سكة الحديد الذي يوصل فردون بسائر انحاء فرنسا و يستمد بهِ الحصن العظيم جمع ما يحتاج اليهِ من الميرة والذخيرة · وعلى ذلك يسوغ لنا ان نتخذ البلون L Z ٧٧ الذي قنصهُ الفرنسويون في رفيني قاعدة لبحثنا في البلونات التي اغارت على انكلترا و باريس والتي يحتمل ان تعيد الكرة عليها ايضاً

ان اكوام الانقاض التي تفقدناها في رفيني لم تمكنا من تصور حجم البلون الذي قنص هناك بالدقة والضبط ولكن فحص قوائمهِ الكبرى وانحنائها وتقدير معظم الضغط الذي تحملهُ ومقابلة هذه الامور بمثلها في البلون Z ٨ الذي قنصهُ الفرنسويون ايضاً في شهر اغسطس سنة ١٩١٤ وكان مكعب جرمهِ ٢٢ الف متر مكعب ايدت استنتاجنا بان جرم هذا البلون كان ٣٠ الف متر مكعب · وقد وجدنا ايضاً ان قوائم هذا البلون واضلاعهُ وسواها كانت مصنوعة من الالومنيوم المقوى بمزيج من النحاس والزنك في حين ان قوائم البلون Z ٨ واضلاعهُ كانت مصنوعة من الالومنيوم فقط

وفي الجدول التالي حجوم الانواع السابقة من بلونات تسبلن وهي

الطرز	متر مكعب	الطول بالمتر	القطر بالمتر
١٩١٢	١٩٥٠٠	١٤١	١٤،٨٠
١٩١٣	٢٢٠٠٠	١٥٦	١٤،٨٠
١٩١٤	٢٧٠٠٠	١٥٨	١٦،٥٨
١٩١٥	٣٠٠٠٠	١٦٠	؟

وكان شكل الانواع السابقة من بلونات تسبلن متناسبة متناسقة اي ان مقدمها كان مثل موَّخرها تماماً اما في البلون الاخير فقد كان هذا التناسب معدوماً · وكان شكل البلون اجمالاً مثل شكل البلونات البريطانية والفرنسوية اي انهُ كان كبيراً من مقدمهِ ثم يدق جرمهُ تدريجاً حتى ينتهي في رأس محدد في طرف موَّخرهِ فتقل بذلك مقاومة الهواء لهُ في سيرهِ و يكسبهُ سرعة السير من غير زيادة القوة المحركة

وكان في البلون المذكور كما في سائر البلونات الالمانية القديمة والحديثة مركبتان مصنوعتان من المعدن توضع فيهما المحركات و يجلس فيهما الميكانيكيون وهما مثل الزورق في شكلها وكان عقد المواصلة بينهما غرفة مركزية يجلس فيها ربانو البلون ورجالهُ وقاذفو القنابل · اما التلغراف اللاسلكي فكان في الغرفة التي توضع فيها القذائف · وكان في تلك

الغرفة ايضاً سلم عمودي يخترق البلون صعوداً و يؤدي الى ظهره حيث اقيمت منصة من المعدن لنصب المدافع السريعة عليها واطلاقها منها

وكان فيهِ ايضاً خمسة محركات من طرز المحركات التي كانت تستعمل في البلونات القديمة قوة كل منها ١٨٠ — ٢٠٠ حصان وزنتهُ ٤٨٠ غراماً وهو يحرق ٢٣٠ غراماً من البنزين لكل حصان او كيلو غرامين و ٥٠٠ غرام من الزيت في الساعة

اما البلونات القديمة التي بنيت في سنتي ١٩١٢ و ١٩١٣ فلم يكن فيها الا ثلاثة من هذه المحركات وكانت تدير اربعة رفاصات موضوعة في اماكن متناسبة على جانبي البلون اثنان منها عن اليمين واثنان عن اليسار والاول منها عن احد الجانبين على بعد ثلث طول البلون من المقدمة والثاني على البعد عينهِ من المؤخرة . وزيد محرك آخر في البلونات التي بنيت سنة ١٩١٤ فصار فيها اربعة تحرك اربعة رفاصات ثم زيد محرك خامس في البلونات التي بنيت في سنة ١٩١٥ فصارت خمسة تحرك خمسة رفاصات وضع الخامس منها وراء المركبة الخلفية . وقد زيدت بهذه الزيادة في المحركات والرفاصات سرعة البلونات في السير والارتفاع حتى اذا طرحت « الصابورة » والقنابل التي فيها و بسطت اجنحتها العمودية ورفعت مقدمها حتى صار في زاوية تزيد على ١٥ درجة تمكنت من الارتفاع بسرعة عظيمة والنجاة من القنابل التي تطلقها المدافع المقاومة للطيارات عليها ومن مناوأة الطيارات لها ايضاً . وذلك ما فعلهُ البلون الذي اغار على باريس في ٢٧ يناير الماضي فانهُ بعدما قذف قنابلهُ كلها صعد في الجو بسرعة عظيمة ابلغتهُ عنان السماء فغاب عن الابصار واحتجب تحت جنح الظلام عن انظار الطيارين الذين طاردوهُ الى علو ٢٨٠٠ متر

وقد ظهر لنا من فحص الجثث التي عثرنا عليها في بلون تسبلن الذي قنصهُ الفرنسويون في رفيني ان عدد الرجال الذين كانوا فيهِ لا يقل عن ٢٣ او ما يعادل عدد الرجال الذين قدرهم ربان سفينة الصيد « كنج ستيفن » في البلون L ١٩ لما مر بهِ في البحر الشمالي وهو يغرق وطلب منهُ رجالهُ ان ينقذهم على سفينتهِ بعد ما كانوا قد اغاروا على انكلترا وهذا مما يدل على ان البلونين كانا من طرز واحد . وقد كان المعروف ان بلونات تسبلن من طرز سنة ١٩١٢ كان يكفي لادارتها ثمانية رجال وزيد هذا العدد في طرز سنة ١٩١٣ فصار ١٢ وفي طرز سنة ١٩١٤ فصار ١٨ والعدد الاخير منها مثبت من التلغرافات التي نشرتها الصحف والمجلات الفنية في المانيا لما اغارت بلونات تسبلن على انفرس و باريس وانكلترا في اوائل سنة ١٩١٥

وكانت البلونات من طرز سنة ١٩١٤ تحمل ما زنتهُ الف كيلو غرام اي طن من القنابل في غارة لا يتجاوز مداها اربعاية ميل بحري ولكن البلون L Z الذي قنص في رفيني كان فيهِ ما زنتهُ ١٥٠٠ كيلو غرام من القنابل طن ونصف طن اما عدد القنابل بالذات فكان عشرين قنبلة وهي من حجوم مختلفة زنة اصغرها ٥٠ كيلوغراماً واوسطها ٨٠ كيلوغراماً واكبرها ١٠٠ كيلوغرام وكانت كل قنبلة من هذه القنابل موضوعة في جهاز خاص مؤلف من كلاّب مقفل ومتصل بجرى كهربائي فاذا ضغط قاذفو القنابل زرًّا امامهم في الغرفة التي يجلسون فيها عادة اتصل المجرى الكهربائي بالكلاّب فيفلت من قفلهِ وينفتح بثقل القنبلة المعلقة بهِ فتسقط القنبلة من مكانها على الغرض المقصود من غير ان تمسها يد ويحسن بي ان اشير هنا الى ان الجهاز الكهربائي الذي يستعمل لاخراج الكلاّب من قفلهِ هو مثل الجهاز الذي يستعمل للاجراس الكهربائية في المنازل والمكاتب وسواها تماماً وكان البلون قد قذف كل ما كان فيهِ من القنابل قبل ان يقنصهُ رجال المدفعية الفرنسوية وينزلوهُ الى الارض ورأيت الحفر التي احدثها انفجار هذه القنابل فكان عمق بعضها سبع اقدام ونصف قدم وقطرها ١٧ قدماً

ولم يكن في البلون المذكور مدفع من الطرز المعروف « بمدفع الريفولفرات » ولو من عيار صغير ولكن كان فيهِ ستة مدافع سريعة اثنان منها على الظهر يدوران على منصة هناك واثنان في المركبة الامامية والمدفعان الباقيان في المركبة الخلفية

ولم نستطع ان نثبت مقدار البنزين الذي كان في البلون ولا ما يحتاج اليهِ منهُ في غاراتهِ لان الاحواض التي يخزن فيها كانت النار قد اذابتها · ولم نعثر ايضاً على اثر للانوار الكشافة القوية التي تستعملها بلونات تسبلن عادة وترسل اشعتها من علو عظيم جدًّا الى الارض تحتها فتنيرها

وقد اصيب البلون بقنبلة المدفع التي صوبت اليهِ على علو يختلف من ١٨٠٠ متر الى الفي متر وكان قد اغار على باريس وطار في جوها على هذا العلو ايضاً ولكنهُ ارتفع الى علو ثلاثة آلاف متر بعد ما طرحت « الصابورة » منهُ وقذف ما كان فيهِ من القنابل

واخبرني الطيار لسبس الذي طارد هذا البلون اكثر من خمسين دقيقة وظل طول هذه المدة يطير تحتهُ وهو يراهُ من غير ان يستطيع اصابتهُ برصاص مدفعهِ السريع انهُ يقدر ان طيارتهُ كانت اوطأ من البلون من ٧٠٠ متر الى ٨٠٠ وان البارومتر في طيارتهِ دل على انها كانت على ارتفاع ٢٨٠٠ متر حينئذٍ وهو آخر ما تستطيع الوصول اليهِ · فيتضح من ذلك

ان احسن طريقة لمهاجمة البلونات انما يكون بالهجوم عليها قبل وصولها الى المدينة التي تقصد الاغارة عليها وقذفها القنابل التي فيها عليها اما في تلك المدينة نفسها فالافضل ان تترك مهمة مقاومة البلونات في جوها الى المدافع الخاصة بمقاومتها . فيرى من ذلك ان لمقاومة البلونات المغيرة ثلاثة ادوار وهي :

اولاً — مطاردة الطيارات الكبيرة المسلحة بالمدافع الكبيرة للبلونات قبل وصولها الى لندن او باريس او سواهما من المدن

ثانياً — اطلاق المدافع الخاصة بمقاومة البلونات والطيارات على هذه البلونات وهي محلقة في جو المدينة التي تغير عليها والاحسن ان تستخدم لذلك المدافع السريعة من العيارات الكبيرة مثل مدفع ١٠٤ مليمترات و ١٢٠ مليمتراً والمدافع البحرية الالمانيـة وان يستعمل فيها ثلاثة اصناف من القنابل وهي قنابل الاسترشاد ويشترط ان تترك وراءها اثراً مضيئاً يرشد الى مكان البلون ويمكن رجال المدفعية من تسديد الرماية . والقنابل الممزقة او المدمرة . وقنابل شرابنل . والمعروف ان مدافع كروب الخاصة بمقاومة الطيارات التي قطر فوهتهـا ١٠٤ مليمترات وعيارها ٤٥ تطلق قذيفة زنتها ١٥ كيلو غراماً ونصف كيلو غرام بسرعة ٨٠٠ متر في الثانية وترسلها الى علو اربعة آلاف متر . وهذه المدافع تطلق ١٥ طلقة في الدقيقة وتفلت قنابل شرابنل التي تطلق منها ٦٢٥ رصاصة . والالمان يستعملون هذه المدافع والمدافع التي قطر فوهتها ١٢٠ مليمتراً في حماية اوستند من غارات الحلفاء الجوية عليها

ثالثاً — مطاردة الطيارات الخفيفة السريعة المسلحة بالمدافع السريعة الانطلاق والاسهم النارية لهذه البلونات وهي عائدة من غارتها على ارتفاع عظيم

ومن الواجب ايضاً ان يكون حول المنطقة التي يرام حمايتها من الغارات الجوية عدد كبير من الانوار الكشافة القوية وان توضع بشكل دائرة حتى تلتقي اشعتها في الجو في نقطة واحدة فيقع البلون بين هذه الاشعة كما يقع جسم غريب بين شفرتي المقراض . والاحسن ايضاً ان توضع الانوار الكشافة على بعض الطيارات حتى تقع اشعتها على البلون عن مسافة قريبة

وقد يتوهم البعض ان عظم جرم البلون يجعلهُ هدفاً قريب المنال سهل الاصابة ولكن سرعتهُ واستطاعتهُ التحليق في الجو الى علو عظيم جداً تجعلان اكتشافهُ واللحاق بهِ وقنصهُ من اصعب الصعاب

ومما لا ريب فيه ان بلونات تسبلن تسير الى انكلترا قريبة من سطح الارض والبحر وربما كانت تقلل سرعتها وهي سائرة فوق سطح البحر ايضاً اقتصاداً في البنزين ثم ترتفع تدريجاً كما قلَّ المخزون فيها من البترول ويحتمل ايضاً ان تضطر في بعض الاحيان الى طرح ما فيها من «الصابورة» عند وصولها الى شواطىء انكلترا طلباً لزيادة الارتفاع والتحليق في الجو

ان عند المانيا الآن ٤٠ بلوناً من بلونات تسبلن الحديثة ومعظمها موكَّل باستطلاع البحر الشمالي وبحر البلطيك وهو في مفاوضة دائمة مع الاسطول الالماني والغواصات الالمانية . فيرى من ذلك ان المهمة الكبرى لهذه البلونات ان تقف على حركات السفن الحربية والسفن التجارية المعادية والمحايدة في هذين البحرين وتنقل خبرها الى هيأة اركان البحرية الالمانية

وقد علمت من الذين زاروا المانيا وعادوا منها ان الرجال اللازمين لبلونات تسبلن يدربون الآن في مدرسة خاصة في ليبتسج بجوار المستودع القديم الذي للبلونات هناك وانهُ انشىء في ضواحي تلك المدينة وعلى مقربة من المدرسة المذكورة ثلاثة مستودعات جديدة للبلونات ومدرستان اخريان احداها لتدريب ضباط مدفعية الجيش والاخرى لتدريب ضباط البحرية على تسيير البلونات البرية والبحرية وادارتها . ومركز مدينة ليبتسج من الوجهة الجغرافية يجعلها في حرز حريز من الغارات الجوية سواء كان من فرنسا او البلجيك او روسيا او البحر لبعدها عنها . وهي ايضاً المركز الاكبر في المانيا لتوليد غاز الهدروجين (مصنع شمنتس) واصنع اجزاء البلونات (مصنع زيس في بينا) علاوة على انها ملتقى ثلاثة مسالك او طرق هوائية تخترق جو المانيا اولها يؤدي الى الميدان الغربي بطريق غوثا ففرنكفورت وميانس ومتس او بطريق وادي الرين فكولونيا واكس لا شابل والبلجيك . والثاني الى الميدان الشرقي بطريق برلين فبوزن ولينتز وكونجسبرج . والثالث الى البحر بطريق كوكسهافن وهمبرج وكيال وعنابر شلزويج . وقد اقتصرنا في بيان هذه الطرق على اسماء المدن التي فيها المستودعات الكبرى للبلونات . اما الطرق نفسها فتظهر للطيارين مما فيها من المنائر الهوائية والمظلات اللازمة للبلونات

باب الزراعة

استغلال الارض

(٤)

انتقاء الموظفين

يحسب أكثر الملاك ان ادارة المزارع لا تستدعي ما تستدعيهِ الادارات الاخرى من ضروب الكفاءات الفنية والادبية والاخلاقية معاً ففريق منهم على ان معرفة الفلاحة ليست شرطاً ضرورياً في مدير المزرعة ناظراً كان او مفتشاً كأنهُ يمكن ان يحسن انسان ادارة شيء لا يعرفهُ

واذا كان الناظر الذي يحسن فلاحة احدى المناطق يخطئ اذا لم يحسن تدبيرهُ في منطقة غيرها كما ابنا في مقالتنا الاولى فكيف تدبير من يجهل الفلاحة جملةً اما ان يجري في ادارتهِ كما اتفق على غشم او معتمداً على غيرهِ . وما ظنك بادارة هذا شأن رئيسها فيها . ان ذكاء الانسان ونشاطهُ واستقامتهُ ونحوها من الصفات الفاضلة انما يظهر اثرها في تدبيرهِ شؤون ادارتهِ وتطبيقهِ قواعد صناعتهِ فاذا انتفت معرفتهُ بهذه الشؤون والقواعد انتفى ظهور اثر تلك الصفات فيها فهي كرؤوس الاموال التي لا تنتج ذاتها بل يتداولها في الاعمال . وعلى قدر الالمام بتلك القواعد والشؤون يأتي اثر تلك الصفات

ولئن كان في الاحوال العادية يمكن مع المزايا الشخصية الحسنة الاكتفاء بمعرفة مبادىء الفلاحة واصولها العامة فليس الشأن كذلك في الاحوال الدقيقة والمآزق الصعبة . تأمل تجد انهُ لم يثبت على صدمات الازمات من الملاك المستجدين والمرتهنين الأ من دبّرت مزارعهم الفلاحةُ الحاذقة والادارةُ الدقيقةُ المبنيةُ عليها تدبيراً أكثر غلتها وقلل مصروفها وبالتالي زاد ريعها الى آخر حدود الامكان

كنت قبيل تحرير هذه السطور احادث مفتشاً من كبار مفتشي البنوك العقارية في هذا الموضوع فقال لي « ألا ترى الشركة الفلانية فانها على متانة اساسها المالي قد تضعضعت احوال مزارعها لانحطاط ادارتها الزراعية وشركة الاتحاد فانها مع وهن اساسها المالي قد نشطت احوالها بفضل ادارتها الزراعية الراقية »

ومنهم فريق على انهُ في معرفة الفلاحة وحدها الكفاية لادارة شؤُونها بلا تقدير يؤْبهُ بهِ للكفاءة الادبية التي يجب توفيرها في كل من تمهد اليهِ مهام اي عمل . كأَن القواعد الفنية تقوم بذاتها مجردة عن العوامل الاخرى كالهمة في تطبيقها وجودة النظر في تكييفها حسب المناسبات وتمييز متشابهاتها وتقدير ملابساتها وتدبير شؤُونها ومتعلقاتها . واذا كنا نرى في الغيطان الصغيرة التي يزرعها اصحابها انفسهم من التفاوت بين غيط وغيط متلاصقين ما يدل على رجحان فلاح على فلاح مع تساويهما في معرفة القواعد الزراعية المتَّبعة في البيئة والشائعة في العرف فبالاحرى يكون التفاوت اكبر واظهر في المزارع الكبرى بين مزرعة ومزرعة . وهذا هو الواقع المشاهد في اكثر الاوقات والبيآت

فالمعرفة الفنية بلا الكفاءات الاخرى كالبذور بلا شروط النماء ويكون نماه كليها تبعاً لشروطهِ جودة ورداءة وكما ان توفر شروط النماء يساعد انبات البزرة الرديئة وعدم توفرها يُضعف انبات البزرة الجيدة كذلك الرجل النيّر يستطيع بمعارفهِ الفنية وان قلَّت اكثر مما يستطيعهُ من دونهُ تنوراً بمعارفهِ الفنية وان كثرت

واذا استثنينا بعض مسائل الحشرات والفطريات وغيرها من مسائل الزراعة التي تستدعي معرفة عملية خاصة فان الوسائط التي تعمل وتشير بها المعاهد والدوائر الزراعية الراقية في الفلاحة العملية ليست ازيد من اتقان العمل بالاساليب المعروفة . ولكن المعرفة شيء والعمل شيءٌ آخر واتقانهُ شيءٌ غيرهما

وكلٌّ يرى طرق الشجاعة والندى ولكنَّ طبع النفس للنفس قائد

ولا شبهة في ان الرجل المستنير اقدر على تجديد العمل واتقانهِ واعرف بمزاياها واساليبها ممن دونهُ تنوراً . وكل العارفين الذين انتقدوا الفلاح المصري بحق لم يصفوهُ بالجهل باساليب الفلاحة العملية فان معرفتها شائعة في عرفهِ الزراعي قبل كل شيءٍ آخر بل انتقدوا فيهِ بعدهُ عن الاتقان والتبصر والحزم في تطبيقها وتدبير شؤُونها وتكييفها بحسب الظروف . فمثلاً بعد تفشي دودة القطن ولاسيما دودتي اللوز يجب الاهتمام بالتبكير في زراعتهِ اكثر من قبلُ وبعد تفشي الامراض الفطرية فيهِ وفي بعض اصناف الحبوب يجب تخفيف سقيها في بعض ادوار حياتهما النباتية وغير ذلك من الاحوال التي اقتضاها تغير الظروف التي تدبّرها مهرة الفلاحين المستنيرين الدائبين على دقة البحث والاستدلال وجودة الملاحظة والاستنتاج وهذه صفات لا تتيسر الاَّ لذوي الشخصية الراقية عمليًّا وادبيًّا واذا كانت الكفاءات الادبية

لازمة لمديري المزارع في تطبيق اخص ما يعرفهُ الفلاح من اصول الفلاحة العملية وقواعدها فبالاحرى تكون الزم لهُ في سائر شؤُونها الاخرى اقتصادية كانت او ادارية

ان الاداري المستنير اذا لم يكن حاذقاً في الفلاحة لا يتوانى عن استخدام الاكفاء من رجالها لمعاونتهِ في شؤُونهِ ولذلك قلما شاهدنا بل لم نشاهد قط مزرعة تضعضعت احوالها من نقص الكفاءات الزراعية بل كل المزارع التي اضمحل امرها كان السبب فيه نقص الكفاءات الاخرى

ومن اغاليط الملاك توظيفهم بعض خدمهم او حشمهم ايثاراً لنفعهم عن غيرهم ومثل هؤُلاء يكونون في الغالب من غير ذوي الكفاءات وان ثقة المالك فيهم ناشئة من تزلفهم او قرابتهم منهُ او ارضائهم لهُ في احوال ليست من احوال الزراعة في شيءٍ فضلاً عن انهم لمكانتهم منهُ يكونون ذوي دالة عليهِ فلا يحذرون حذر غيرهم كما انهُ لا يأخذهم بالحزم والعزم الواجب في الاعمال الزراعية

ومن الاسباب التي تحول دون استخدام الاكفاء او تنمية الكفاءات قلة المرتبات او جعلها على نسبة معينة محدودة مهما كانت شخصية العامل وكفاءتهُ مع ان الموظف الحاذق يستطيع بتدبير او تعديل لا يستطيعها غيرهُ من الموظفين العاديين نفع المزرعة نفعاً لا يعد مرتبهُ او زيادتهُ بجانبهِ شيئاً مذكوراً

اعرف ناظر مزرعة في الجهات البحرية الواطئة لا تزيد مساحتها عن ٢٢٠ فداناً مرتبهُ الشهري بملحقاتهِ ٩ جنيهات مصرية واز يد وهذا المرتب يعتبر عند انصار المرتبات العالية كثيراً اما السبب فانهُ كان يأخذ هذا المرتب على مزرعة مساحتها ٧٠٠ فدان من اجود الاطيان الجنوبية العالية وكانت تلك المزرعة الصغيرة لا تغلُّ الاَّ بعض ما يصرف عليها وكان هذا الناظر معروفاً بالخبرة والنشاط والاستقامة فنقلهُ المالك اليها فكانت نتيجة عملهِ فيها زيادة غلتها تدريجاً حتى صار بعد الخسارة يستغل من الفدان من $2\frac{1}{2}$ الى $3\frac{1}{2}$ جنيه ربحاً صافياً

ان الارض الرديئة تحتاج الى الادارة الدقيقة جداً اكثر مما تحتاج اليها الارض الجيدة ففلاحها منها في عناء كبير وربح قليل فهي كالمريض احوج لحسن التدبير من الصحيح

احمد الالفي

التين البرشومي

اسمهُ النباتي فيكوس كاريكا "Ficus Carica" واسمهُ الانكليزي "Fig" وهو تابع للفصيلة الحرافية "Urticaceae" وشجرهُ يعلو من سبعة امتار الى ثمانية وخشبهُ خفيف مسامي اصفر اللون يستعمل في صناعة كراتيف الاسلحة واوراقهُ متبادلة ذات اعناق طويلة وسميكة خشنة ومغطاة بوبر قصير ويختلف شكلها باختلاف النوع فمنها اوراق ذات خمسة فصوص او ثلاثة ومنها اوراق بيضية الشكل والازهار موضوعة في غلاف لحمي تخرج من اباط الاوراق وهذا الغلاف اللحمي هو النورة ويسمى خطأً بالثمر ويوجد داخلهُ اعضاء التذكير والتأنيث والوسائط كما هو الحال عندنا في التين المصري وقد يكون عضو التذكير والوسيط في شجرة وعضو التأنيث في شجرة اخرى كما هو الحال في التين الازمرلي

وشجر التين يحتوي على عصارة لبنية مرة الطعم شديدة الحرافة . ورداءة طعم التين قبل نضجهِ تنسب الى هذه العصارة اللبنية الموجودة في الازرار الثمرية (النورة) ومتى تم النضج تحول تلك المادة الشديدة الحرافة الى مادة سكرية غروية شديدة الحلاوة . اما اصل موطن التين فهو حوض البحر الابيض المتوسط ثم زرع في افريقيا وانتقل منها الى اسبانيا وايطاليا وفرنسا ثم انتشر في جميع الممالك الاخرى . والتين من النباتات القديمة المصرية وقد وجد العالم النباتي « شونيفورث » في مقابر سقاره بجوار الاهرام صورة شجرتين من التين على كل واحدة منها رجل متسلق يجنى منها الثمر والمعروف ان قدماء المصريين كانوا يستعملون عصارتهُ اللبنية في الطب

تلقيح التين "Caprification"

بما ان التين الازمرلي لا يوجد في نورتهِ الذكر والانثى والوسيط معاً فلا يحدث فيهِ اخصاب فتذبل ازرارهُ الثمرية وتجف وبهذه الحالة لا يمكن الحصول على محصول منهُ الا بعد عملية تلقيحية صناعية

وبما ان الاخصاب يحصل عادة بواسطة حشرات صغيرة تسمى بلستفاجا جروسورم "Blastophaga Grossorum" توجد في وسائط "Galls" اشجار التين البري فعملية التلقيح تنحصر باخذ افرع من تلك الاشجار البرية التي تعيش في وسائطها حشرات البلستفاجا المذكورة وتعلق على اغصان التين المزروع ففي هذه الحالة تخرج تلك الحشرات من الوسائط مختلطة بالطلع الذي في التين البري وتلقح بهِ التين المستنبت

انواع التين

١ « التين الفيومي » وهو اكثر الانواع انتشاراً ويزرع بكثرة في قريتي دار الرماد ومنشية عبد الله بالفيوم وثمرهُ متوسط الحجم حلو الطعم ولبهُ احمر وهو اول انواع التين التي تظهر مبكرة في الاسواق في شهر يونيه « بوؤونه » ويعرف في الاسكندرية باسم التين الحبشي

٢ « السلطاني » وثمرهُ كمثرى الشكل تقريباً وجلد ثمرهُ احمر ارجواني اللون ولبهُ اصفر محمر شديد الحلاوة ويزرع بكثرة في سيدي جابر بالاسكندرية

٣ « العبودي » ويعرف ايضاً بالتين الاسود او الغرابي وجلد ثمره احمر غامق وهو اقل حجماً من الفيومي ولبهُ اصفر ارجواني حلو الطعم

٤ « الابيض الكمثرى » وهو اجود الانواع واكبرها حجماً وثمرهُ ذو جلد ابيض وقمتهُ مفرطحة وهو معروف بجودة نوعهِ ويباع بثمن اغلى من جميع الانواع الاخرى ويزرع بكثرة قرب الاسكندرية

٥ « الاستانبولي » وثمرهُ مستطيل قليلاً عند قمتهِ متوسط الحجم وجلدهُ اخضر مائل الى الصفرة ولبهُ احمر حلو الطعم

٦ « الاخضر » وثمرهُ متوسط الحجم ايضاً يشبه الاستانبولي تقريباً وجلدهُ اخضر فاتح ولبهُ احمر حلو الطعم ايضاً

التكاثر

يتكاثر التين بالعُقل وفي بعض الاحيان بالفسائل التي بجوار نباتاتهِ واحسن عُقل يتكاثر بواسطتها هي التي تؤْخذ من اغصان قوية عمرها سنة وهذه الاغصان تقطع قطعاً طولها خمسة وعشرون سنتيمتراً وتغرس في المنبت « الورش » متباعدة بعضها عن بعض بمسافة ثلاثين سنتيمتراً وتترك هكذا مدة سنة وفي شهر فبراير من السنة الثانية تنقل النباتات النامية من العقل الى المشتل وتزرع على ابعاد نصف متر بعضها عن بعض وتترك في المشتل سنة او اثنتين حتى تبلغ ارتفاعاً كافياً لتنقل الى محلها المستديم في البستان اما العُقل فيراعى زرعها بادئ بدء في شهر فبراير وقد تستمر الزراعة كما هو الحال في الفيوم لغاية اوائل ابريل ويلاحظ في زراعة العقل ان لا يترك منها فوق سطح الارض الا عين واحدة

اما في ناحية بلتان بقليوبية حيث تكون الارض طينية فتغرس العقل في محلها الدائم مباشرة متباعدة بعضها عن بعض مسافة اربعة امتار في شهر مارس وطول العقل يبلغ عادة من خمسين الى ستين سنتيمتراً وتغرس كل ثلاثة عقل معاً في جورة واحدة ويلزم ان تكون

كل عقلة محتوية على زر طرفي وتدفن العقل تماماً في الارض ولا يظهر منها الا الزر الطرفي فقط ومتى اخذت هذه العقل في النمو يترك اقواها لتكون شجرة اصلية ويقلع الباقي

طرق الزراعة

١ « طريقة زراعة الفيوم » هذه الطريقة تخالف جميع الطرق التي يغرس بها التين في الجهات الاخرى وبما ان طريقة غرس التين بالفيوم هي من احسن عمليات الزراعة لهذا النبات عملياً واقتصادياً فقد استحسنا شرحها بايجاز وهي كالآتي : —

تحضر الارض كما في حالة الزراعة الصيفية فتحرث اربع مرات ثم قبل الحرثة الرابعة تسمد بالسماد البلدي والكفري معاً بنسبة اربعمائة نقلة حمار للفدان ثم تخطط الارض بالطول وبالعرض كما في الشكل نمرة ١ وتبعد الخطوط بعضها عن بعض بمسافة اربعة عشر شبراً عبارة عن مترين و٦٠ سنتمتراً . ثم تطرد الارض من الشمال الى الجنوب وفي هذه الحالة يحصل التطريد في الخط الثالث فقط اي يترك خطان و يطرد الثالث وتسمى هذه العملية بتفصيل المراجع شكل ٢ ثم تطرد الارض ثانياً من الشرق الى الغرب وفي هذه الحالة يحصل التطريد في الخط الثاني فقط اي يترك خط و يطرد الثاني وتسمى هذه العملية بتفصيل الشقق و بعد تفصيل الشقق تقطع الارض بالمحراث الى ترابيع والتربيعة تحتوي على اثنتي عشرة شقة كما في الشكل ٣

ومساحة الشقة تكون غالباً ½ قصبة عرضاً في قصبة طولاً و يشمل الفدان الذي مساحته ثلاثمائة قصبة نحو اربعمائة شقة تقريباً . و بعد الانتهاء من تفصيل الارض واعدادها للزراعة كما سبق تغرس العقل في الشقق وتغطى كلها بالتراب بشرط ان لا يظهر منها شيء فوق سطح الارض و بعد الغرس تروى الارض رياً غزيراً ويزرع في الشقة ١٦ جورة في كل واحدة منها عقلتين تبعد بعضها عن بعض بمسافة ثلاثة سنتيمترات كما في الشكل ٤ وتبعد الجورة عن الاخرى بمسافة سبعين سنتيمتراً اي ان التين تزرع نباتاته على بعد سبعين سنتيمتراً بعضها عن بعض ويزرع في اول سنة من زراعته محاصيل وقتية مثل العجور والخيار والفول وغيرها وهذه المحاصيل تزرع خصيصاً للانتفاع بايرادها حتى يعطي التين ثمره

٢ اما في جهات القطر المصري الاخرى غير الفيوم فتزرع عقل التين على مسافة اربعة الى خمسة امتار بعضها عن بعض بطريقة الغرس المربع المستخدمة في غرس الاشجار الحمضية وخلافها

« نوع الارض » . يوافق التين الارض الزرقاء كاراضي بلتان بالقليوبية ودار الرماد بالفيوم

وتجود في الاراضي الخصبة الصفراء الغنية التربة ولا تنجح زراعتهُ في الاراضي المالحة او الرملية

« طريقة الري » يمنع ري التين من شهر نوفمبر لغاية آخر يناير (طوبه) ثم يروى في فبراير كل اثنى عشر يوماً وفي اغسطس وسبتمبر يخفف الري ويروى كل عشرين الى خمسة وعشرين يوماً ويلزم الاعتناء في الري عند نضج الثمار لان اهمالهُ يضر بمحصول التين في هذا الوقت

« التسميد » يسمد التين في الفيوم بالسماد البلدي والكفري معاً بنسبة اربعمائة حمل حمار للفدان اي يوضع في كل شقة حمل سماد ويفرش على الارض ثم يعزق فيها اما في الاسكندرية وفي الجهات الاخرى التي يغرس فيها التين على مسافات منتظمة فيسمد بطريقة تسميد الاشجار الاعتيادية اي يوضع لكل شجرة حمل سماد بلدي بعد حفر اخدود حولها

« التقليم » شجر التين لا يحتاج الى التقليم غير ان عملية التقليم تكون قاصرة على تربية النبات في صغره وقطع الاغصان المتقاطعة او الميتة في كبره وايضاً يلزم قطع الفسائل والاغصان الضعيفة التي تنمو في اسفل الغصون الاصلية

« المحصول » في الفيوم الاشجار المغروسة في مارس تثمر في السنة الثانية في شهر مايو اي بعد اربعة عشر شهراً من تاريخ غرسها وتستمر في الاثمار لغاية اغسطس ويجمع الثمر كل يومين او ثلاثة اما في السنة الثالثة وما بعدها فيبدأُ الجمع من يونيه « بؤُونة » وينتهي في نوفمبر « هاتور » ومحصول الفدان يختلف ما بين اربعين الى خمسين جنيهاً . ويباع التين بالمائة في الفيوم ففي شهر يونيه يبلغ ثمن المائة خمسة عشر قرشاً ثم ينخفض الثمن الى اربعة قروش في الاشهر الاخرى . ويمكث الشجر في الارض بالفيوم من خمس عشرة الى عشرين سنة ثم تغير ارضهُ ويغرس في غيرها . ولكن يشترط ان تكون الاشجار خالية من الامراض ومعتنى بتربيتها وتسميدها وتنظيفها من الحشائش والاعشاب

« طريقة تجفيف الثمر » بعد جني الثمر يوضع على سطح مستوجاف مغطى بطبقة من القش ويعرض لحرارة الشمس ويقلب من وقت الى آخر حتى يجف . وقد يجفف ايضاً في افران مخصوصة ولكن تجفيفهُ في الشمس افضل من تجفيفهِ في الافران

« الامراض » ١ الحشرة القشرية الشمعية المعروفة بالانكليزية باسم "Waxy Scale"

٢ الحشرة القشرية الفنجانية " " " "Cup Scale"

« العلاج » ترش الاشجار المصابة قبل نمو ازرارها بمحلول الجير والكبريت

عبد المجيد رضوان مدرس علم فلاحة البساتين
بمدرسة الزراعة العليا بالجيزة

التجارب الزراعية

تجرب وزارة الزراعة تجارب زراعية مفيدة في الجيزة منها ما يختص بزرع القمح والقطن وقد دعت كبار المزارعين الى مشاهدتها

واصناف القمح التي جربت زراعتها هناك ٦٩ صنفاً ٢٨ منها من استراليا و ٤١ من القطر المصري . وكل صنف منها مزروع على حدة في عدة اماكن على اسلوب واحد وهي مسمدة كلها بالسماد البلدي بمعدل ١٥ متراً مكعباً للفدان . والتقاوي ثلاث كيلات للفدان مزروعة في خطوط ليسهل المرور بينها

والقمح الاسترالي سنابلهُ طويلة من ذوات الصفين خالية من السفا (الحسك) ومع انهُ زرع في وقت واحد فبعضهُ نضج وحصد لانهُ لا يقيم في الارض الأ اربعة اشهر ونصف شهر وبعضهُ لا يزال اخضر . ويظهر لنا ان متوسط غلة الفدان منهُ كلهِ لا تقل عن سبعة ارادب . ويراد ان يعلم مقدار غلتهِ تماماً والسعر الذي يباع بهِ في اوربا عموماً وفي بلاد الانكليز خصوصاً

والقمح المصري ٤١ صنفاً كما تقدم مما يزرع في الوجه القبلي والوجه البحري وهي نامية جيداً كلها تقريباً ويظهر لنا ان محصول الفدان منها من خمسة ارادب الى ثمانية ومنها صنف مغربي قصلهُ طويل غليظ طولهُ متر وثمانون سنتمتراً وسنابلهُ كبيرة ولا يزال اخضر. ومنها صنف سنابلهُ غليظة متفرعة . وكل اصناف القمح الاسترالي والبلدي مزروعة بعد القطن . والاصناف التي يظهر بهذه التجارب انها اجود من غيرها تحفظ التقاوي منها وتزرع سنة بعد سنة ثم يعتمد عليها

وقد جربت زراعة القطن على اساليب مختلفة من حيث بعد الجور بعضها عن بعض وزمن الخف . فالابعاد بين الجور جعل بعضها ٢٠ سنتمتراً وبعضها ٤٠ وبعضها ٥٠ وبعضها ٦٠ . وكل فريق منها يخف في اربعة اوقات مختلفة اما بعد المسح بعشرين يوماً او اربعين او خمسين او ستين لكي يتضح اي هذه الطرق يدعو الى التبكير في نضج القطن فيسلم من دودة اللوز والدودة القرنفلية . وهناك كل اصناف القطن التي تزرع في القطر المصري وقد زرع كل صنف منها على حدة وعلى اساليب مختلفة ليعلم ايها اصلح لهُ . وهناك ايضاً بيوت من السلك تزرع فيها اصناف المزروعات حتى تبقى خالصة لا تلقح بغيرها بواسطة الفراش

ولا يخفى ان هذه التجارب العلمية ضرورية للوصول الى اجود اصناف القمح والقطن . وتجرب تجارب مثل هذه للوصول الى اجود اصناف الذرة الشامية والبلدية



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تُستَختار على المطوَّلة

الفلسفة والعلم والالمان والحرب

الذي شرَّد الالمان ، وأضرَّهم ، وأضرَّ العالَم بهم اليوم ، ليس العلم الطبيعي وفلسفتهُ المقيَّدة بهِ ، بل تعلُّقهم على الفلسفة المطلقة المنتشرة بينهم اكثر مما هي بين سائر الامم والتي كانت دائماً شؤماً على الاجتماع في كل العصور . ودكاترتهم في هذا الباب يقرعون دكاترة العالَم اجمع عداً في كل الابواب

فهذه الفلسفة العريقة فيهم ، والتي لا علاقة لها بالعلم الطبيعي هي التي ضلَّلتهم في المسائل الاجتماعيَّة وحملتهم على هذه الجناية الكبرى على الاجتماع وعلى انفسهم . وهي التي مكَّنت سوَّامهم منهم لمغامرة بهم سعياً وراء احلام غير موزونة هي في هذا العصر خاصة جنون مُطْبِق . وأعمت حكَّامهم عن ان يروا نتيجة ذلك عليهم . فامبرة هوهنزلرن اليوم في احتضار ، وسيُجهَز عليها متى ثاب القوم الى رشدهم ، وعبَّر هذه الحرب ستعلمهم يثوبون مهما غلظت طباعهم وأظلمت عقولهم . وما هو شأن العلم الطبيعي وفلسفتهِ الماديَّة في امة يجوز عليها الاعتقاد في نفسها انها شعب الله الخاص " ، وفي حكَّامٍ يزعمون ان الآلهة تناجيهم ويحملون السيف معوّلين في النصر عليهم

فانا لا ادفع عن الالمان فظائعهم حتى أُحتجَّ بها . ولا اظنُّ احداً حسبها عليهم اكثر مني حتى اني استهدفت لمطاعن الحمقى الجُبَناء المتشيّعين لهم من مقوَّسي الظهور الراتعين اليوم في بحبوحة من نِعَم الذين اغدقوا عليهم خيرات الأمن فكانوا لهم من الثالبين . وانما أُنكر دعوى الذين ينسبون ذلك فيهم الى تأثير العلوم الطبيعيَّة والعمل بفلسفتها الماديَّة كما يقولون . كأنَّ الالمان اليوم بين أمم اوربا الراقية هم المستأثرون بهذه العلوم وحدهم ، وشأنهم فيها فوق

الجميع ، وهو وهم . وكأنَّ هذه العلوم ترمي حقيقةً الى ذلك وهو وهمٌ أيضاً . وايُّ تعليم فلسفي او سواه كان يحكم العالم في العصور الخوالي يوم كان التفظيع والتشنيع يستنفد كل ضروب التفنن ، ويوم لم يكن للعلوم الطبيعيَّة وفلسفتها الماديَّة عين ولا أثر

وانا وان كنت اسلّم بحسن صنيع الآخرين في هذه الحرب في معاملة الناس والآثار كالانكليز والفرنساويين خاصة ، واحمدهم عليه ، فلا أسلّم بان السبب انحرافهم عن تعليم العلوم الطبيعيَّة وفلسفتها ، وشأن هذه العلوم عندهم أعظم ممَّا هو عند الالمان من كثرة فلاسفة هؤلاء وقلّة فلاسفة اولئك مما يدلُّ على ان فهمهم لهذه العلوم اتمّ ونظرهم من خلالها الى المصلحة أوسع

واني ليسرُّني ان اعلم اليوم ، ولو بدهشة ، ان الاتراك مع خلوّهم من كل علمٍ ، صاروا ممَّن يضرب المثل بهم في حسن الصنيع في الحروب ، على الرغم مما كتبوهُ عن أنفسهم في سفر خروج الارمن من هذه الدنيا الفانية الى العالم الباقي . وهي نعمة تهبط احياناً على الناس من علٍ ولا علاقة لها بالعلم ، وقد يكون لها علاقة بغير العلم مما لا يزال الاجتماع يئنُّ منهُ . وان كنت اعذرهم على فظائعهم واعذر سائر الشعوب الذين في مرتبتهم لجهلهم بالنسبة الى الالمان الذين لا عذر لهم لاتصافهم بالعلم عن حق

فلندع العلوم الطبيعيَّة وفلسفتها الماديَّة جانباً ولا ندنّسها بفظائع الالمان في هذه الحرب ، ولنبحث عن السبب الصحيح في تعاليم اخرى غير هذه التعاليم

لا ريب في ان الذي دفع الالمان الى هذه الأعمال الخرقاء في هذه الحرب الشنيعة هو تعاليمهم الفلسفية المنطبقة على طباعهم من جهة وعلى مراميهم سوءَاسمهم من جهة أخرى ، وقد ظنّوها الطريق المثلى الى بغيتهم . ولا ريب انهم اخطأوا ، وخطاؤهم هنا لقصر نظر اجتماعي لا لشيء آخر

واما الظنّ بان تعاليمهم هذه مستخرجة من العلوم الطبيعية ، ومنطبقة على فلسفتها الماديَّة فهو بعيد عن الصواب بعد الثريا من الثرى . فان كان في تعاليم بعضهم ما يرمي الى مثل هذه الدعوى لدعم نظرياتهِ الفلسفية السابقة فهو وهمٌ منهُ او تضليل مقصود ، كما أبنتُ ذلك في غير هذا المكان ، وكما يستفاد من مقالة زميلي الدكتور ابو خاطر التي عبَّر بها عن افكاري باحسن ممَّا كنت استطيع . فمطالعتي لها لا تضعف حجّتي بل تؤيّدها ، وان كان يرميهم فيها بسوء الفهم فقط ، وانا ارميهم فوق ذلك بسوء القصد

وكلام حضرة الزميل هنا هو ابلغ واعظم قيمة من كلام الفيلسوف برغصن في هذا المعنى · والسبب هو ان برغصن فيلسوف يعالج المعلوم متأثراً بالموهوم ، وزميلي طبيب طبيعي لا يتلمس في طيات الغيوم و بين النجوم

وكلامي هذا لا يحطُّ من قدر مقالة الفيلسوف برغصن في بابها · صاحب كتاب الارادة الحرَّة ، وهي ليست حرَّة الاَّ في دائرة الراجع من موروث ومخبور · كما ان زميلهُ الفيلسوف ريشه الشهير هو من زعماء الاسباب الغائية ، ولكنها ليست المجرَّد المطلق ولا الطبيعي المقيَّد ، كل ذلك من سيئات سطو الفلسفة على العلم ، والواجب الضدّ

فالفيلسوف المذكور لا يتعرَّض هنا للطعن في فلسفة العلوم الطبيعية ، وانما هو يقرّر ما في اخلاق الالمان من الشذوذ ، وفي افعالهم من الخرق · وقد وصفهم انهم اهل شعر وفلسفة منذ زمان طويل ، اي قبل ان يكونوا علماء · وهذا الميل فيهم صرفهم الى تحويل كل شيء الى « صورةٍ صناعية » اي غير طبيعية · فلما انتشر العلم الطبيعي بينهم لم يعانوا استخدام ما فيهم من الميل الفلسفي لاستخراج كليَّات هذا العلم كما هي حقيقةً ، بل حوَّلوا هذه الكليات الى غرضهم المرسومة « صورتهُ الصناعية » في ذهنهم طبقاً لفلسفتهم الخاصة حسب مرمى اهوائهم ، بناء على انهم « اهل فكر وخيالٍ لا تهمهم حقائق الاشياء » كما قال عنهم الفيلسوف المذكور · وكان المُنتَظر ان العلم والاختبار يصرفانهم الى هذه الحقائق في الامور الاجتماعية ، فلم يكن شيء من ذلك ، وكلُّ ما تمَّ لهم انهم انتظموا كالآلة الميكانيكية العمياء التي يسهل عطبها لاقل عطلٍ فيها · فالالمان اذا كان العلم رقَّاهم في الصناعة ، وزادهم قوَّةً كما زاد سائر الامم التي انتشر بينها ، فشرودهم في فلسفتهم حملهم على بذل هذه القوَّة لغرض اجتماعي لا ينطبق على ما يستفاد من نظام الاحياء ، فلم يتبصروا ليدركوا حقيقتهم في جسم المجتمع البشريّ ، ونسبتهم فيهِ الى سائر اعضائهِ وبالتالي ليصونوا مصلحتهم بصيانة مصالح المجامع التي لا تقوى مصلحتهم الاَّ بها ، فكان منهم هذا التهوُّر الذي جنَى عليهم حتى اليوم اكثر مما جنى على الآخرين

ولا عبرة بالقول انهم طمحوا حينئذٍ بانظارهم الى ما هو « ماديّ محض » ، فان هذا لا يجعل ماديَّتهم نتيجة الفلسفة المستخرجة من كليَّات العلم الطبيعي ، ولا يجعلهم بالحقيقة ماديّين اكثر من سواهم ، وربما فاقهم سواهم كالانكليز خاصةً في الحياة الاجتماعية العملية المتوفرة فيها مصلحتهم · فالألمان نظير كل الامم طُلاَّب مصلحة · والمصلحة لهم ولسواهم « ماديَّة » قبل

كل شيء . فامتلاك بلادٍ والانتفاع بناسها وارضها ومناجمها الخ كل ذلك « مادي » . ولكن الذرائع الموصلة اليهِ قد تكون ماديّة ، وقد تكون ادبية حسب المقام من جهة ، وحسب الفهم والإدراك من جهةٍ اخرى . فكل ما لا يُوصِل الى هذه المصلحة من هذا او من ذاك ، فالتعويل عليهِ خرقٌ يعاب كما في قول الشاعر :

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع النّدى

وما من عاقلٍ اليوم يقول ان الألمان ينالون بغيتهم في المجتمع بِحقهِ ، لا بادماجهِ ، بالطرق التي ساروا عليها حتى الآن . فقد ظهروا انهم ، مع علمهم الغزير ، جاهلون لطبائع العمران . فهم اذا كانوا اليوم علماء مبرّزين ، وصنّاعاً ماهرين ، فهم قبل ذلك فلاسفة مشرّدو الرويّة . واذا سطت الفلسفة على العلم ، وحوّلته لغرضها ، ولم ترتبط بهِ ، ولم تُبنَ عليهِ ، كان شرّها اعظم جدّاً مما لو كانت بدونهِ كما في البلاد التي معوّلها على العلوم الكلاميّة ، والعلم الحقيقي منها مفقود

ولقد سبق لي ان اسهبت الكلام في ذلك في خاتمة الجلد الاول من مجموعتي . ثم في رسالة « ارائي » بعد ذلك حيث افتتحت الكلام بقولي : « انا لا أحبُّ أن اعنى كثيراً بالفلسفة الاَّ ما كان منها من قبيل الاستقراء العلمي فقط ، لما تجرُّ اليهِ غالباً من السفسطات البالغة اذا شردت عن العلم »

ومن حسنات هذه الحرب ان مجرى الافكار في الفلسفة وسائر العلوم الكلاميّة وفي المباحث الادبية كالرومان ، أخذ اليوم يتغيَّر كثيراً . فقد كثر طعن الفرنساويين انفسهم على كتابهم في اسلوبهم في اقاصيصهم الموضوعة ، وما فيها من التأنق في تصوير ما لا ينطبق على الحقيقة . ولقد قرأت اخيراً خطاباً لأحد اطبائهم في العلم والفلسفة القاهُ في احدى الجمعيات الطبية بباريس اقتطف منهُ ما يأتي ولو انحرفت قليلاً عن الموضوع ، ليعلم ذلك الذين هاجوا عليَّ وماجوا يوم قلت ان فلسفة ارسطو واضرابها اضغاث احلام ، وخبط في اوهام . قال

« ان كلود برنار اوضح لنا التضادّ الكائن بين الفلسفة والعلم وهو برسمهِ لنا قواعد الطب »
« الامتحاني ، قام يحذّرنا من الفلسفة التي ترمي ، نظراً لما في عقلنا من الضعف وحبّ الاثرة »
« الى ان تكون ذات تعليم استبدادي ، والى السطوة على العلم بالمنطق وحدهُ وهذا يحول »
« دون التثبُّت بالدرس . وهو يقول بوجوب اقتران الفلسفة بالعلم ، لكن اذا كانت الفلسفة »

« خالية من السند العلمي ، لتسبح تائهة في طيات الغيوم ، فالعلم في غنًى عنها · ومن كلامهِ »
« قولهُ : « أرى ان العلماء يستطيعون عمل اكتشافاتهم ونظرياتهم والقيام بعلمهم من غير »
« الفلاسفة » · فالعلماء والمخترعون هم بالحقيقة المحسنون الحقيقيون الانسانية · وماك آدم[1] »
« وستفنسون[2] عملا لتقريب الناس بعضهم من بعض اكثر من افلاطون في جمهوريتهِ »
« التي لا تُسكن ، أو من أئمة الفلاسفة الانسيكلو بيذيين[3] · والفلاسفة بوجه العموم لم »
« يكونوا بركة على الانسانية بل بالضد · وهاك ما قالهُ بونابرت عن روسو[4] · قال »
« كان أفضل لراحة العالم ان لا نكون وُلدنا لا انا ولا هو » · فان هذا الرجل السفسطي »
« لم يكن اقل ضرراً على الانسانية من توماس موروس[5] بآرائهِ الخيالية ، او من فنلون[6] »
« بمدينتهِ صالنت عاصمة المستحيل · فانهُ ، أي روسو ، صنع انساناً لا وجود لهُ الاَّ في »
« مخيلتهِ أطلق عليهِ اسماً رومانياً هو (اميل) · وجعلهُ بين الرجال نموذجاً فذًّا ، اذ ربَّاهُ »
« تربية عالية ارستوقراطية حملت الطامعين المستبدين على التشبُّه بهِ للسطو على الجماهير »
و إلحاق الضرر بهم لشدَّة امانتهم بالكاتب نظراً لما في انشائهِ البديع من الخلابة المؤثرة
فيهم »[7] اه · وربما نقلت الخطاب كلهُ في المقتطف

فالفلسفة المادية التي اصطلح البعض بان يطلقها على الكليَّات المستخلصة من العلوم الطبيعية ليست فلسفة الالمان حقيقةً ، ولا هي سبب هذه الحرب وفظائعها · وما سببها الاَّ فلسفتهم الخاصَّة الخارجة عن مدار العلم الطبيعي ، وهي فلسفة اثرة غير اجتماعية خياليَّة عريقة في الغموض والابهام

الدكتور شبلي شميل

---

(١) مهندس انكليزي مخترع رصف الشوارع بالطريقة المعروفة باسمهِ

(٢) مهندس انكليزي مخترع اوتوموبيل السكك الحديدية

(٣) فلاسفة فرنساويون في القرن الثامن عشر منهم دالمبار وديدرو وفولطير الخ

(٤) جان جاك روسو فيلسوف فرنساوي وكاتب شهير

(٥) فيلسوف الماني من طرز الفلاسفة الاقدمين

(٦) واضع كتاب تلماك لارشاد وريث عهد مملكة فرنسا فقد جاء فيهِ وصف مدينة خيالية اطلق عليها هذا الاسم وزعم انهُ بها يرشد تلميذهُ الى حسن الحكم في الرعايا

(٧) La Médecine Internationale Mars 1916. Allocution du D. P. J. Larrieu, Paris.

كروية الارض

حضرة العالم المجل محرر المقتطف الاغر

سلام لكم باحترام و بعد فبينما انا اراجع بعض الاعداد الماضية من مجلتكم الزاهرة اذ وقع نظري في عدد يناير سنة ١٩١٣ على سؤال (هو التاسع) موجه من حضرة عزيز افندي رزق وهو « من اول القائلين بكروية الارض » فكان جوابكم انهُ « فيثاغورس اليوناني »

على انهُ ان كان فيثاغورس قد قال بكروية الارض منذ ٢٤٠٠ سنة (اي منذ سنة ٥٠٠ ق · م تقريباً فان اشعياء نبي اليهود قد سبقهُ فقرر هذه الحقيقة منذ ٢٦٠٠ سنة (اي منذ نحو سنة ٧٠٠ ق · م) اذ يقول في العددين ٢١ و٢٢ من الاصحاح الاربعين من سفره :—

« ألا تعلمون · ألا تسمعون · ألم تخبروا من البداءة ألم تفهموا من اساسات الارض · الجالس على كرة الارض وسكانها كالجنوب الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن »

والعجيب في هذا الامر ان هذا الاصحاح قد قرأهُ ائمة الكنيسة القبطية بامعان حتى انتخبوا منهُ الأعداد الثالث والرابع والخامس مقدمة لبعض فصول الانجيل التي تقرأ في كنيستهم (وانما خصصت الكنيسة القبطية بالذكر لانني متأكد من ترتيبها) ومع ذلك لم يؤْثر انهم هم أو سواهم من رجال الدين فطنوا لهذه الحقيقة فايدوها ايام كان الاخذ والرد بشأنها على اشدهِ · بل المرجح انهم كانوا من اشد الناس معارضة لكثير من الحقائق العلمية والجغرافية التي يظهر من حرف الكتب الدينية ما ينافيها في بعض المواطن · وهم انما يفعلون ذلك حبًّا بتلك الكتب فيجنون عليها وعلى الاديان عامة

على ان الكتاب المقدس يحتوي على كثير من احدث ما اكتُشف من الحقائق العلمية الجليلة التي لا يزال البعض يعدونها كفراً بالله وانبيائهِ · وقد ظلت زمناً هذا مقدارهُ وهي بين ايدي الناس وشفاههم ولكنها بعيدة عن اذهانهم

فبينما يقول اشعياء بكروية الارض يقول ايوب بانعزالها في الفضاء بقولهِ « يمد الشمال على الخلاء و يعلق الارض على لا شيء » (ص : ٢٦ : ٧)

كذلك يفتتح سليمان الحكيم سفره " الجامعة " بذكر ثلاث حقائق جليلة هي دورة الرياح ودورة المياه ثم عدم انعدام المادة وعدم تجددها — قال عن الاولى (ص : ١ : ٦) الريح

تذهب الى الجنوب وتدور الى الشمال · تذهب دائرة دورانا والى مداراتها ترجع الريح

وقال عن الثانية (ص : ١ : ٧) كل الانهار تجري الى البحر والبحر ليس بملآن · الى المكان الذي جرت منهُ الانهار الى هناك تذهب راجعة

وقال عن الثالثة (ص : ١ : ٩) ما كان فهو ما يكون والذي صُنع فهو الذي يُصنع فليس تحت الشمس جديد · وعدد ١٠ : ان وُجد شيءٌ يقال عنهُ انظر هذا جديد · فهو منذ زمان كان في الدهور التي كانت قبلنا

فمن هذه الحقائق اثنتان جغرافيتان والاخيرة كيمية · ولا يبعد ان تكون هذه الآيات ومثيلاتها هي التي نبهت عقول رجال العلم فانعموا فيها النظر ثم والوا البحث حتى وضحت لهم وأقاموا عليها الادلة التي كنا نسمعها من معلمينا فنعارضهم اشد المعارضة لتشبع افكارنا بما رسخ فيها من معتقدات العوام

فهل يأتي وقت يتفق فيهِ العلم مع الدين في الكليات والجزئيات ويثبت الفضل للدين كما ثبت الآن ؟

ارجو حضرتكم نشر هذا على صفحات مقتطفكم مشفوعاً بما ترونهُ

وتفضلوا بقبول فائق احترامي عزيز سور يال

المحلة الكبرى وكيل المدرسة القبطية

[المقتطف] ان الكلمة العبرانية التي ترجمت كرة في سفر اشعيا تشبه الكلمة العربية « حوق » اي الاطار الذي يحيط بالشيء ويظن بعض المفسرين الذين اطلعنا على اقوالهم انها تشير الى كروية الارض ويظن غيرهم انها تشير الى السماء التي تظهر انها تحيط بالارض · وجمهور المحققين على ان هذا الاصحاح والستة التي بعدهُ لاشعيا حتماً ولكن يقول بعضهم ان اليهود كانوا ينقحون كتبهم الدينية من وقت الى آخر ويزيدون فيها ما يشاؤُون · اما سفر ايوب فالمرجح انهُ كتب في القرن الخامس او الرابع قبل المسيح وانهُ حاوٍ للآراء العلمية والفلسفية التي كانت شائعة حينئذٍ · ولا يحق لنا ان نلوم آباء الكنيسة لانهم لم يقولوا بكروية الارض ووقوفها في الخلاء لان في الكتاب آيات كثيرة تدل على ان الارض مبسوطة فقد قال اشعيا نفسهُ في الاصحاح الثاني والاربعين هكذا « يقول الله الرب خالق السموات وناشرها وباسط الارض ونتائجها » وقال صاحب الزبور في المزمور ١٣٦ « الباسط الارض على المياه » · ومع ذلك فقد يكون في الكتاب آيات كثيرة لا يدرك الناس معناها الاّ بعد ما يتسع نطاق المعارف

رباعيات ابي العلاء المعري

سيدي محرر المقتطف الاغر

هل لكم ان تتفضلوا فتذكروا على سبيل المثال في مجلتكم رباعيةً للفيلسوف الشاعر ابي العلاء وما يقابلها من الترجمة الانجليزية التي قام بها الكاتب المبدع المتفنن امين افندي الريحاني فطال التحدث عنها والتنوه بها في الصحف . انكم بذلك تُغنون مَنْ لم يطلع عليها مثلي عن التردد في اقتنائها ، وانْ بعدتْ المسافة وكثر غرق السفن بين انجلترا واميركا مطلع شمسها . واذا كان الريحاني لم يظفر بمثل الاكرام الذي لاقاهُ شكري غانم واضع رواية « عنترة » بالفرنساوية ، فلا اقلَّ علينا من واجب السعي لاعلان وترويج هذا الديوان الذهبي الذي اتحف بهِ قلةُ السيال الناطقين بالانجليزية ، واذا حقَّ للسوريين خاصةً ان يفاخروا بكثرة رجال الادب فيهم وتعدُّد نابغيهم ، فحريٌ ايضاً ببقية اهل الضاد والغيورين عليها ان يشتركوا في تشجيع ذوي العبقرية الرافعين علَمَ اللغة ، دون تعصبٍ لوطنٍ او دين ، فما قتل المنفعة مثل التحاسد الجنسي او الديني الذميم

واذا كان الانجليز قد خلَّدوا ذكر فتزجرالد لاحكامهِ ترجمة « رباعيات عمر الخيام » فلماذا نقصّر ونتوانى نحن « الشرقيين » في تكريم صاحب « الريحانيات » مترجم « رباعيات ابي العلاء » (وهو منا وفخرٌ لنا) ، اذا كان عملهُ المجيد مستحقاً هذه العناية ، كما يتضح من التقاريظ الزاهية التي خُصَّ بها . انَّا لفي زمنٍ قلَّ بيننا من يزكّي عن علمهِ ومواهبهِ ، فخليقٌ بنا ان نحمد المجتهد ونرفع من قدر المستبق النشيط . لذلك انتهز هذه المناسبة ايضاً لمناشدتكم الادب ان تتكلموا مرةً اخرى بتوسع على قصة « مجنون ليلى » التي اطرف بها قراء الانجليزية حديثاً اديبٌ سوريٌ آخر

وقفتم مجلتكم الزاهرة على خدمة الادب والعلم وتدوين الحسنات ، ومثل هذه المآثر النفيسة جديرةٌ بالاعتبار لقيمتها الادبية المعنوية ، ولاجتهاد اصحابها في وقتٍ تفشّى اليأسُ والاتكالُ بين رجال الشرق

كم ثناء على فتىً عمَّ قوماً قيمةُ العقدِ حسنُ بعض اللآلي

عاش اولو الفضل غرباء في بلادنا فعرفهم سوانا ، واهنّا بذلك انفسنا ، وما انتفعنا بمن سلفوا ولا مَنْ خلفوا ، فكان جرماً على العلم والذكاء ان يظهر في مصر امثال الامام الديني

محمد عبده والمصلح الاجتماعي قاسم امين بك والشاعر الناثر المفلق شوقي بك · نُعنى بالاجنبي وخادم سوانا ونديمي الاكف لهُ تصفيقاً ، ولا نُعنى بجبابرتنا المُسْدي لآداب لغتنا ، كما نؤثر ان نغمض العين اذا ابصرنا نجماً يضيء في سمائنا عن رفع رؤُوسنا لتبيُّنهِ والاهتداء بوحيهِ ، فالى متى هذا الاغفال المزري بكرامة شعبٍ مهما عُدَّ الآن متأخراً فهو سلالةُ حضارتين عريقتين ؟

احمد زكي ابو شادي

لندن (طبيب)

[المقتطف] لما نشر الريحاني رباعياتهِ نوهنا بها في المقتطف وافردنا لها مقالة صدرنا بها الجزء الحادي عشر (جزء نوفمبر) من سنة ١٩٠٣ ملأَت نحو ست صفحات ولقبنا الرباعيات فيها بكتاب الشهر ومما قلناهُ هناك ان امين افندي ريحاني نقل الى الانكليزية مختارات من شعر ابي العلاء ونظمها نظماً رائقاً بعد ان ألَّف بينها واوجز واطنب وتصرف في التعبير عن المعاني · ثم اوردنا بعض الرباعيات الانكليزية واصلها العربي وبيَّنا كيفية تصرفهِ · وقلنا في آخر المقالة « حبذا لو اعاد المترجم الكرة على دواوين المعري فانهُ يجد فيها درراً أُخرى تعدُّ بالمئات يحسن ضمها معا اختارهُ منها الآن

وكنا نظن حينئذٍ ان الريحاني لم يسبق الى ترجمة اشعار المعري الى لغة اوربية ولم يكد ذلك الجزء من المقتطف يصل الى روسيا حتى كتب الينا حضرة العالم بندلي صليبا الجوزي منها يقول ان العالم النمسوي فون كرمر Von Kremer سبق امين افندي ونقل كثيراً من اشعار المعري الى اللغة الالمانية ثم ذكر بعض هذه الرباعيات بالعربية والالمانية وقد نشرنا ذلك في باب المراسلة من مقتطف فبراير سنة ١٩١٤ والحقناهُ بكلام وجيز يحسن مراجعتهُ

اما قصة مجنون ليلى فلم يترجمها لبيب افندي جريديني عن العربيَّة ترجمة بل بناها على القصة العربية اي انهُ اخذ الكثير من حوادثها ومعانيها وافرغها في قالب الشعر الانكليزي ولهذا قلنا انهُ عالجها فنظمها شعراً انكليزيًّا لا يقل في طبقتهِ عن شعر ولترسكوت كما هو في مارميون وسيدة البحيرة وهو يحسب ان ما فعلهُ انما هو تمهيد لشاعر انكليزي يتوسع فيهِ ما شاءت قريحتهُ

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

ملكة عظيمة بفضائلها

هي الدوقة اليصابات اوف بافاريا او ملكة البلجيك التي ذاعت مآثرها في الخافقين وتحدث الناس بفضائلها في كل بلاد. انشأت احدى الجرائد الانكليزية مقالة شائقة عنها فرأيت ان اعربها للقراء الكرام ولاسيما السيدات والفتيات اللواتي لا يفتأن يذكرنها بالخير كلما ذكرت هذه الحرب واهوالها

لما بلغت الدوقة اليصابات السن التي يبدأ فيها الصغار بالدرس افهمها اساتذتها ومهذباتها انها اذا انصبت على الدرس واحرزت من العلم قسطاً وافراً أضافت مجداً الى مجد بيتها التاريخي القديم البيت المالك في بافاريا ومن اعرق البيوت في الحسب والنسب

جاهدت اليصابات في ذلك الجهاد الحسن حتى لقد كانت تقضي ساعات لهوها وفراغها في الدرس والمطالعة فاظهرت ذكاء مفرطاً ومقدرة فائقة وكادت تفقد صحتها من شدة انكبابها على تحصيل العلوم فضربت منها بسهم وافر. وهي اليوم أكثر اميرات اوربا وملكاتها تضلعاً من العلم والفلسفة وقد نالت شهادة دكتور في الطب

ولما كانت في العشرين من عمرها صحت عزيمتها ان لا تتزوج فكانت تقول في بالها انني لم اتعب ذلك التعب الكثير في تحصيل العلم الا لاخدم بلادي وابذل حياتي في رفع شأنها واعلاء قدرها واجراء ما استطيع من الاصلاح فيها. كانت تفكر في ذلك كله وتدأب في اخراجه من حيز القوة الى حيز الفعل فشرعت تنشئ عدة طرق متسعة ومتنزهات جميلة تضع رسومها بيدها على اجمل مثال

وبعد ما نالت الشهادة الطبية اخذت في بناء عدة مستشفيات أكثرها لفقراء الامة وكلما اتمت بناء منها اعدت فيه جميع لوازمه من اسرة وعدد جراحية الى غير ذلك من احدث ما استنبطته العقول. وكانت تعتقد ان الدواء والغذاء وحدهما لا يعجلان في شفاء المريض

فيجب ان يظلَّ منشرح الصدر قرير العين كأن يُقرأ على مسمعهِ ما يسرهُ ويعزف امامهُ بآلات الطرب والغناء لكيلا يتطرق الضجر والسأم اليه بانتظاره يوم شفائهِ . وكانت تجد من نفسها انبعاثاً الى اتمام ما تفكر فيهِ لنفع امتها

كان يخيل اليها ان والدتها ستكون اول مساعد لها على اتمام ما عزمت عليهِ وهو ان تظل عزباء تخدم بلادها قصارى جهدها ولكن والدتها اتتها يوماً وقالت لها لقد حان الاوان يا ابنتي لان تتزوجي وتصيري ربة بيت وقد اخترت لك اجمل امير في اوربا وارضاهم خلقاً واحسنهم تهذيباً وتثقيفاً . فنظرت الى والدتها والحيرة تعلوها والبهتة آخذة منها وقالت لها وما انتفاع بلادي اذاً من علمي وجهادي في سبيل الحصول على العلم . أريد ان تكون لي شهرة واسعة وان تحدث امتي عن خدم جليلة اقوم بها لخيرها واسعادها . فابتسمت امها قائلة وما يضيرك لو تزوجت . انك تقدرين متى كنت الى جانب قرينك ان تنفذي ارادتك وتحققي رغبتك بمسرة وابتهاج . متى كنت الى جانب البرنس البرت اوف فلندرس الحالي وملك البلجيك العتيد صرتما يداً واحدة عاملة لخير بلاده ونفعها وخدمة بني الانسان . وانك تصيرين ملكة تأمرين بالنافع وتنهين عن الضار

فمن ذلك الحين احبت الدوقة اليصابات الملك البرت وتعاهدا على ان يدأبا في خدمة الامة البلجيكية ويمحوا سمعة عم الملك غير اللائقة بالملوك . وكانت اليصابات مملوءة بالشجاعة كما ان قلبها مملوء بالرأفة والحنان والعواطف الشريفة

⁂

تزوجت بامير لم يكن الحب وحده الرابطة الاولى في اقترانها بهِ وانما هناك رابطة اشد واقوى وتلك الرابطة هي تعاهدهما على اسعاد الامة البلجيكية وقد رزقا ابنة وابنين وقامت الملكة اليصابات على تربيتهم وتهذيبهم وانها لتفتخر في مجالس العظماء والعظيمات بانها قامت بالواجب عليها لابنائها فكانت لهم نعم المعلمة

ومن المزايا التي تذكر بها انها موسيقية من الطبقة الاولى واحب آلات الطرب اليها الكمنجا وقد علمت ابنها الاكبر دوق اوف برابنت وابنها الثاني العزف عليها وابنتها الضرب على البيانو

⁂

نشبت الحرب الاوربية الحالية وكان مركز زوجها الملك في قلب جيشهِ فقالت لهُ

مكانك اني الى جانبك حيثما تكن أكن وان اصابك مكروه فانا فداؤك ولا اريد ان احيا يوماً دون ان اراك · كذلك يظل الفرقدان

قال الملك قد يتفق احياناً انني اقف في الخنادق عدة ساعات غائصاً في الوحل والماء · قالت ذلك ما ارغب فيهِ فاقوم بحق الخدمة لبلادي

سارت الملكة والملك بعدما خبأت جواهرها الثمينة ولم تبقِ معها الأ حلية لا تفارقها حلية تضعها فوق قلبها معلقة بسلسلة ذهبية وفيها قلب ذهبي مرصع بالحجارة الكريمة وقد قلدها إياها زوجها الملك يوم تعاهدا على الحب ووعدته ذاك الوعد الصادق بان تقف عمرها على خدمة بلادها الجديدة

ان كثيرين من الملوك والملكات اودعوا جواهرهم البنوك في احوال حرجة فعمل الملكة اليصابات لم يكن عملاً مستغرباً لاسيما وانها كانت في احرج المواقف واصعبها ولم تظهر علامات التأثر على وجهها لانها كانت شجاعة كريمة الاخلاق مخاصة لزوجها فلم تطق على فراقهِ اصطباراً لئلاً تزيد حزنهُ وكآبتهُ حزناً وكآبة · ولقد جعلت هذه الملكة الصالحة رعيتها تحبها حباً جماً بحنانها ورأفتها وحميد صفاتها التي اقلّ ما يقال فيها انها ملكة الصفات الحميدة

وكان اولادها قبل الحرب يتمون علومهم في انكلترا وكانت هي تزورهم وتدخل غرفة الدرس وتشارك اساتذتهم في تعليمهم · ولما كانت هي نفسها مجتهدة وناجحة ايام كانت تدرس وتتعلم عرفت كيف تبث فيهم الرغبة في الدرس وتحصيل العلم

فالملكة اليصابات من اللواتي استنرن بنور العلم والعرفان شديدة الكره للفخفخة والمباهاة الفارغة · كانت تزور الفقراء والمرضى بنفسها وتكتب في دفتر معها ما تراهُ لازماً لهم ثم ترسل اليهم حاجاتهم بعد عودتها الى قصرها

ولم تفعل ملكة ما فعلتهُ هذه الملكة الشريفة العواطف فقد اشرفت على ساحة الحرب ورأت رجالها الشجعان يقتلون بقنابل الالمان وشهدت ايضاً ويلات الحرب ومصائبها · وكانت تصدر الاوامر تباعاً بتخفيف آلام الجرحى وتفعل من الخير ما لم تفعلهُ ملكة سواها

رحمه صروف

الدفثيريا وعلاجها

كثير من الامراض القصيرة المدة السريعة السير كالجدري والدفثيريا والكوليرا يتوقف شفاؤُهُ على سرعة تشخيصهِ ومعالجتهِ . وكلما اسرع التشخيص والعلاج اسرع الشفاء . كتب الينا بعضهم يقول :

« امسينا يوم الاثنين الثالث من ابريل وابنة لي في العاشرة من سنها تشكو بعض الم في احدى لوزتيها وبقيت قبل ذلك ببضعة ايام تشكو انحطاطاً في قواها حتى اصفرَّ وجهها ولكن ذلك لم يمنعها المواظبة على الذهاب الى المدرسة . وفي اوائل الليل اخذتها حمَّى خفيفة لازمتها طول الليل . وفي الصباح كانت الحمَّى لا تزال عليها ففحصت حلقها فحصاً سطحيًّا فلم ارَ شيئاً ولا اشتبهت في شيءٍ ولكن البنت ما فتئت تقول منذ شعرت بالالم في احدى اللوزتين اخاف ان اكون مصابة بالدفثيريا

ومن حسن حظها ان زارتنا الساعة ١١ قبل الظهر خالتها وهي ممرضة وكنت انا غائباً عن المنزل ففحصتها فرأَت في موْخر حلقها الغشاء الكاذب الرمادي اللون او اللوْلوي كما يقول الاطباء وهو من اهمّ اعراض الدفثيريا ولكنهُ قد يكون من اعراض بعض آفات الحنجرة ايضاً . فحكمت بان البنت مصابة بالدفثيريا فهبت مسرعة تفتش على طبيب تستعير حقنة الدفثيريا منهُ وبعد تعب كثير وفقت الى مطلوبها ومرّت باجزاخانة فاشترت منها جرعتين فحقنت المصابة بواحدة ثم بالثانية بعد نصف ساعة

وبعد الظهر دعونا الطبيب فقال انهُ لا يستطيع البت في هل المرض دفثيريا ام لا فارسل شيئاً من اللعاب الى المعمل البكتريولوجي حسب الطريقة المتبعة وفي خلال مجيء الجواب حقن سائر اهل البيت تحوطاً وفي جملتهم انا فلم يشعر احد من المحقونين باقل انزعاج ولا بشيءٍ من الحمى وكان بينهم طفلة عمرها ١٠ اشهر وبنت عمرها سنتان وكسور . على انهُ ظهر على جلد المصابة وبعض المحقونين طفح بعد الحقن بعشرة ايام فاكثر

وفي ظهر اليوم التالي (الثلاثاء) جاء الجواب بانهم وجدوا مكروب الدفثيريا في اللعاب فقطعت جهيزة قول كلّ خطيب . اما المريضة فارتفعت حماها مساءً حتى بلغت ٤٠،٥ وبقيت كذلك معظم الليل وفي صباح الاربعاء هبطت الى ٣٨،٥ وبعد الظهر الى ٣٨ . وما زالت تهبط حتى كانت طبيعية صباح الخميس . ولم تشكُ في اثناء ذلك كلهِ شيئاً سوى اشتداد

الحمى مساء الاثنين حتى كانت لا تطيق فتح عينيها ولكنها منذ صباح الثلاثاء كانت حالتها طبيعية فيما سوى ارتفاع الحمى قليلاً . ومن ظهر الخميس لم تطق البقاء في سريرها وكانت حركتها خارجة حركة من لم يصب بداءٍ يعدّ اشدّ الادواء فتكاً بالصغار وعاد اليها لونها كأنها لم تصب بالحمى المضنية وكانت تطلب الاكل كل ساعتين . ولولا الحاح الطبيب في ان تلزم سريرها او غرفتها على القليل مدة ما لعادت الى سابق عادتها من اللعب والمرح

فهذه الحادثة تبين لنا فضل الاسراع في تشخيص الداء ومعالجتهِ . وقد هال الممرضة منظر حلق الابنة حينما فحصتها وصاحت صيحة الهلع قائلة ان الاصابة شديدة الخطر فاوقعت الرعب في قلب الام بوجه خاص وهذا ما ربما تؤاخذ بهِ ولكن عذرها كون الابنة ابنة اختها فلم تتمالك عن فعل ما فعلت

قابل سلوك هذه الممرضة بسلوك بعض الاطباء الذين اذا رأوا حادثة مثل هذه اجلوها فاشتدّ الداء حتى يتعذر الشفاء . « وقبلما يأتي الترياق من العراق يكون العليل فارق » كما يقول المثل . انتهى

المقتطف — يدلّ الاحصاء على ان متوسط وفيات الدفثيريا هبط بعد اكتشاف المصل سنة ١٨٩٤ من نحو ٣٠ في المئة الى اقل من ١٥ في المئة . وعندنا انهُ اذا امكن تشخيص كل حادثة والشروع في معالجتها بعد ٤٨ ساعة من بدء الاصابة بها على الكثير هبط متوسط الوفيات الى اقل مما تقدم . ولكن يقال من جهة اخرى ان من الاصابات ما يكون خبيثاً شديد الوطأة باديء بدء فلا ينجع فيهِ علاج ولا تنفع وقاية غير وقاية الله . على انهُ يحسن تلقيح كل صغير يشعر بالم في حلقهِ حالاً فان التلقيح لا يضرّ ان لم يفد . كذلك يحسن حقن افراد العائلة التي يصاب احدها بالدفثيريا تحوطاً وان تكن فائدة الحقن المنعي لم تثبت ثبوتاً قاطعاً . اما ما ثبت ثبوتاً قاطعاً فهو فائدة الحقن الشفائي . والدفثيريا تخالف من هذا النظر بعض الامراض التي تعالج بالمصل كالجدري فان فائدة مصل الجدري منعية فقط اي ان التطعيم في الجدري يفيد قبل الاصابة لا بعدها على خلاف الدفثيريا . ولكن كثيرين من الاطباء يعتقدون بفائدة الحقن المنعي فلا بأس بهِ لانهُ ان لم يفد فلا يضرّ كما قلنا ولأن ثمن الحقنة لا يتجاوز في هذه الايام بضعة عشر غرشاً

فالاسراع في المعالجة لازم كلّ اللزوم . وقد دلّ كثير من الحوادث على ان التأخر في الحقن بالمصل اكثر من يومين بعد ظهور المرض افضى الى موت المصاب

باب التقريظ والانتقاد

حل العقدة

في انتاج الاولاد حسب الارادة

اهدى الينا صديقنا الدكتور ابرهيم العريبلي نزيل اميركا هذا الكتاب المبني على مباحثهِ الخصوصية ومباحث بعض علماء الطب وتجاربهم وقد افتتحهُ بقولهِ

مَن رام نسلاً من ذكور او انا ث باختيارٍ فليطالع مصحفي
فيهِ دليل لا يضلُّ مطالعاً والحق في صفحاتهِ لا يختفي
هذا اكتشاف مثبت بتجاربي فاختر لنفسك ما تحب وتصطفي

وواضح بعد هذا البيان الوجيز ان موضوع الكتاب الاستدلال على الاوقات او الاسباب او الاساليب التي تجعل الجنين ذكراً او انثى سواء كان ذلك في الناس او في الحيوانات . والكتاب يقع في ١٨٦ صفحة بحرف دقيق وقد جمع فيهِ كل ما يتعلق بالزواج وانتخاب الزوج والزوجة والحمل والولادة وتكوُّن الجنين من البيضة والالقاح وآراء العلماء الباحثين في تكون الذكر والانثى وعلاقة ذلك بقوة الزوجين وسنّهما وزمن الحيض واختلاف البلدان والفصول . وقد اضطرَّ المؤلف ان يضمن كتابهُ اموراً كثيرةً يأبى الناس التكلُّم بها جهراً مع انها من الزم اللوازم لحفظ الجنس والصحة والرفاهة فصرَّح بها كمن يعلم شدَّة الحاجة الى معرفتها . ولا ندري هل الاصلح ان يطَّلع الناس في كل سن على هذا الكتاب او يحصر الاطلاع عليهِ بالمتزوجين والمتزوجات . ولا شبهة في ان كثيرين يودُّون الاطلاع عليهِ . وما ذكرهُ عن الاسباب الداعية الى جعل الجنين ذكراً او انثى محتمل وقد ايدهُ بشهادات كثيرين من الاطباء الباحثين ومن مربي المواشي ومن المؤلف نفسهِ . وجعل ثمن النسخة خمسين غرشاً او ريالين ونصف ريال من الريالات الاميركية

الفهرست

وهو معجم الخريطة التاريخية للممالك الاسلامية لحضرة واضعهِ امين واصف بك . وقد

جاء في مقدمتهِ ما فحواهُ ان لمطالع في كتب التاريخ العربية القديمة حاجة كبيرة الى تعرّف مواقع البلدان التي ورد ذكرها فيها فاذا رجع الى الخرائط العصرية لم يجد فيها طلبتهُ . لذلك وضعت هذه الخريطة التاريخية للمالك الاسلامية وهذا المعجم الوجيز وصرفت عناية خاصة في ضبط الاعلام اعتماداً على الثقات كياقوت وابي الفداء والفيروزابادي وغيرهم

الاعترافات

او قصة نفس للشاعر الناثر عبد الرحمن افندي شكري . تصور مؤلفها صديقاً لهُ ملّ الحياة في عالم المدنية فهام في مجاهل السودان وقبل سفرهِ اودع المؤلف مذكراتهِ واشترط عليهِ ان لا ينشرها الا اذا مضت سنة ولم يأت خبر منهُ . وقد قال المؤلف في مقدمتهِ «لقد مضت سنوات لم اسمع في خلالها شيئاً عن صديقي صاحب الاعتراف فجعلت اسأل عنهُ حتى علمت انهُ وصل الى بلاد نيام نيام فاكلهُ اهلها رحمة الله عليهِ ... وقد رأيت ان اجمع مذكراتهِ وانشرها لان في نشرها عبرة كبيرة لمن يعتبر . وسيرى كثير من القراء نفوسهم مكبرة مرسومة في هذا الصحائف لاننا في حياتنا الاجتماعية سواسية مثل اسنان الحمار ..»

الغربيات

ديوان شعر لحضرة الياس افندي عبدالله طعمه السوري موطناً البرازيلي مقاماً . وقد جاء فيهِ انهُ الديوان الاول وان النسخة التي وصلتنا هي من الطبعة الثالثة وان الناظم في سن الواحدة والعشرين . اما ديوانهُ فحسن النظم يحتوي على كثير من الشعر الجيد . واما طبعهُ فاحسن مما نرى هنا ولاسيما الورق مما يدل على ان البرازيل لم تشعر حتى الآن بالازمة الورقية التي ناءت بها اوربا وهذا القطر

Hydraulic Flow

اهدي الينا هذا الكتاب من تأليف المستر الفرد بارنز في لندن وهو يشتمل على مذكرات هندسية في المواسير والترع والقناطر وسائر ما يتعلق باعمال الري فلا غنى عنهُ لمهندسي الري في هذا القطر . وقد ذيل باحد عشر رسماً . ثمنهُ ½ ١٣ شلن خالص المصاريف ويطلب بالعنوان الآتي

Messrs. E. & F. N. Spon Ltd.
57 Haymarket,
London, S. W.

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) كولمبس واكتشاف اميركا

ملوي. زكي افندي ناشد سركيس. كم هي المدة التي قضاها كولمبس في سفرتهِ الاولى من اوربا الى اميركا وكم سنة عاش بعد اكتشافهِ لاميركا

ج. اقلع بسفنهِ في ٣ اغسطس سنة ١٤٩٢ ووصل الى جزائر اميركا في ١٢ اكتوبر ثم عاد منها في يناير سنة ١٤٩٣ قاصداً اوربا وتوفي في ٥ مايو سنة ١٥٠٦ اي بعد اكتشاف جزائر اميركا باربع عشرة سنة وتجدون ترجمتهُ وكيفية اكتشافهِ لاميركا في مقتطف اكتوبر سنة ١٩٠١

(٢) آلات الحلب واستخراج الزبدة

دسوق. مصطفى عبده. سمعنا انهُ توجد عند الاوربيين والاميركيين آلات متنوعة لحلب البهائم على اختلاف انواعها وآلات اخرى لاستخراج الزبدة والسمن. ولا يخفى ان المعروف عندنا انما هو حلب المواشي باليد مع ما في هذه الطريقة من الضرر بالصحة بسبب تلوث اللبن باقذار يد المرأة الحلابة. ثم بعد الحلب يوضع اللبن في الشوالي الفخار ويترك فيها حتى تظهر القشطة. ويكون حينئذٍ معرَّضاً للاوساخ والاتربة. واظن ان ما يبقى في الشوالي بعد نزع القشطة يبقى فيهِ شيء كثير منها فيذهب في الجبن بغير فائدة. والطريقة الميكانيكية المتبعة في غير بلادنا سمعنا انها اتقن من طريقتنا البلدية في استخراج القشطة من اللبن لذلك قد خطر ببالي ان اسألكم من اين يؤْتى بالآلات لحلب اللبن واستخراج القشطة والزبدة منهُ وكيف يمكن الانتفاع باللبن الباقي بعد استخراج القشطة والزبدة في عمل الجبن

ج. ان التجار الذين يجلبون الآلات الزراعية من اوربا واميركا يجلبون ما يُطلَب منهم من آلات الحلب واستخراج الزبدة وما اشبه. وقد نشرنا فصولاً في عمل الجبن بقلم احد المدرسين في مدرسة الزراعة في المجلد الرابع والاربعين من المقتطف فعليكم بمراجعتها

(٣) الازهار والفصول

اسيوط . محمد افندي طه هام . ما هي الازهار التي تنمو في كل من الفصول المختلفة

ج . انَّ انواع النباتات المزهرة وتنوعاتها تعدُّ بعشرات الالوف واذا اردنا ان نذكرها كلها حسب طلبكم وجب ان نكتب فيها كتاباً كبيرا تعدُّ صفحاتهُ بالمئات وهـذا متعذر كما لا يخفى

(٤) النباتات الطفيلية والعطرية

ومنهُ . ما هي النباتات الطفيلية والعطرية

ج . النباتات الطفيلية او الحلمية هي ما كان مثل الكشوث الذي يمتص غذاءهُ من نبات آخر فان بزر الكشوث يقع في الارض وينبت ويميل الى هنا وهناك حتى يجد نباتاً آخر نامياً قربهُ فيلتف عليهِ وتنمو منهُ حينئذٍ جذور تلصق بذلك النبات وتمتص الغذاء منهُ فييبس اصل الكشوث العالق بالارض اذ لا حاجة اليهِ . والنباتات العطرية هي التي في اوراقها او ازهارها او اغصانها او فيها كلها زيت عطري او مادة عطرية كالورد والياسمين والنعناع والزنبق والنرجس وما اشبه

(٥) النباتات الصحراوية

ومنهُ . ما هي النباتات الصحراوية

ج . اذا اردتم ان نذكر اسماءها كلهـا فذلك متعذر واذا اردتم ان نذكر الوصف المميز لها فهو انها تشترك في كون اوراقها غليظة تجتمع فيها العصارة بكثرة حتى لا تجف ولو طال القيظ . والغالب ان تنتظم حو يصلات اوراقها على اسلوب يعرّض اقل جزءٍ منها للتبخر . وكثيراً ما تكون جذورها خيوطاً دقيقة لانها لا تجد رطوبة في الارض واما الرطوبة التي فيها فتمتصها اوراقها من رطوبة الهواء . ومما يستحق الذكر اننا رأينا مرةً على قنَّة المقطم فوق القلعة نبتة من الخبازى نابتة على صخر وجذرها غليظ كالكرة والظاهر ان بزرتها سفتها الريح الى هناك بعد ما وقع شيءٌ من المطر واستقر بعضهُ في منخفض في ذلك الصخر فنمت البزرة فيهِ وامتص جذرها الماء الذي وجدهُ وذخرهُ الى زمن القيظ

(٦) تطرية الذرة

طنطا . الخواجه يونس حبيب . نرجو الافادة عن محلول غير سام اذا وضعت الذرة فيهِ صارت طرية

ج . لا افضل من الماء فاذا نقعت الذرة فيهِ لانت واذا سلقت فيهِ زادت ليونتها

(٧) صنع النشا من الذرة

ومنهُ . كيف يصنع النشا من الذرة

ج . تجدون شرح ذلك في مقتطف يوليو الماضي في باب الصناعة

(٨) تقوية الارادة والذاكرة

المرابعين . احمد افندي الالفي . ما هي الوسائل التي يمكن الاستعانة بها على تقوية ملكات حصر الفكر والارادة والحفظ

ج . افضل الوسائل لذلك المزاولة او

التمرُّن ولا بدَّ من التدرُّج في ذلك تدرجاً من القليل او السهل الى الكثير او الصعب ومن الاقتصار على موضوع واحد الى مواضيع كثيرة ومن الاعتدال في الاكل او البقاء دون حد الشبع لانهُ اذا كثر الطعام في المعدة او ساء الهضم قل ورود الدم النقي الى الدماغ لتغذيتهِ وتنبيههِ ولا بدَّ من اراحة الدماغ بالنوم الكافي ومن الوقوف في تشغيلهِ عند حد التعب ومن تقليل الاعتماد على الكتب والمذكرات وكل ما يقلل الاعتماد على الحفظ والارادة وحصر الفكر

(٩) السلام بعد الحرب

مصر · امين افندي محمد · يقال انهُ اذا دارت الدائرة على الالمان في هذه الحرب تمتع العالم بالسلام بعدها خمسين سنة او اكثر فهل تظنون ان ذلك مؤكد او مرجح

ج · كلاَّ لا نظن انهُ مؤكد ولا مرجح بل نرى الاستعداد لحروب المستقبل قائماً على ساقٍ وقدم في كل البلدان فان الولايات المتحدة الاميركية — وهي مستقلة بامورها وتستطيع ان تستغني عن سائر البلدان في كل شيء وليس فيها اسرة مالكة تسعى لحفظ عرشها — اخذت الآن تناظر دول اوربا في انشاء اكبر البوارج الحربية ومرادها ان تنشئ بوارج سرعة البارجة منها ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وقوة آلات كلٍّ منها ١٤٠٠٠٠ حصان مع ان اقوى بارجة عند الانكليز الآن لا تزيد قوة آلاتها البخارية على ٧٨٠٠٠ حصان · ويقال ان دور الصنعة في انكلترا وفرنسا والمانيا وروسيا وايطاليا واليابان تعمل الآن نهاراً وليلاً في انشاء السفن الحربية وملحقاتها · وهذا الاستعداد الكبير للحرب يدفع الشعوب اليها ولو عن غير قصد منهم

(١٠) قرطاجنة وقرطجة

ومنهُ · قرأت في احد الكتب او الفهارس الجديدة ان المدينة التي بناها الفينيقيون في افريقية بالقرب من موقع تونس اسمها قرطجة لا قرطاجنة كما تذكرونهُ في المقتطف وان قرطاجنة اسم لمدينة في اسبانيا فهل ذلك صحيح

ج · ان الفينيقيين الذين بنوا هذه المدينة بنوها في اواسط القرن التاسع قبل المسيح وسموها قِرِيت حديشت اي القرية الحديثة او المدينة الجديدة تمييزاً لها عن صور مدينتهم القديمة التي جاءوا منها · وحرَّفهُ اليونانيون المعاصرون فصار كاخيدون والرومان كارشدون Carch·don والعرب قرطاجنة · قال ابو الفدا في كتابهِ تقويم البلدان ما نصهُ : « وقرطاجنة بفتح القاف وسكون الراء وفتح الطاء المهملة والف وفتح الجيم وتشديد النون ثم هاء بلدة من اعمال افريقية قرب تونس خراب وبها آثار قديمة وقرطاجنة ايضاً مدينة بالاندلس من اعمال تدمير » فالنون اصلية

في الاسم اليوناني والعربي واللاتيني ولكن اللاتينيين سموها احياناً كارثاغو ولكنهم ابقوا النون لما نسبوا اليها فقالوا Carthaginiensis والمدينة التي بناها الفينيقيون في اسبانيا بنوها في اواسط القرن الثالث قبل المسيح وسموها قرطاجنة الجديدة وهي المعروفة الآن باسم Cartagena

(١١) نوى البلح

الجيزة. محمود افندي احمد عارف قرأت في مقتطف يوليو الماضي في التكلم على مستعمرة الكمرون ان من صادراتها نوى البلح فارجو الافادة عن فائدة هذا النوى حتى يهتم بتصديره

ج. هو نوى نوع من النخل يستخرج منهُ زيت لعمل الصابون والزبدة الصناعية وكان يرد بكثرة الى مرسيليا والمانيا

(١٢) ضرر المطالعة

ومنهُ. هل المطالعة الكثيرة ابان النهار تضرّ بالجسم وكم ساعة تشيرون على المرء ان يطالع على الاكثر

ج. نشير على المرء في كل عمل ان يعمل الى ان يشعر بالتعب ثم يترك العمل الى ان يستريح سواء كان عملهُ جسديًّا او عقليًّا

(١٣) متانة الكباري

ومنهُ. كيف تساعد تلك الاعمدة الحديدية المقامة على كبري بولاق في زيادة متانته مع انها ان هي الا اثقال عليهِ

ج. ان الحديد المشبَّك الذي صنع منهُ كل جانب من ذلك الكبري يكون بمثابة كمرة واحدة من الحديد. فافرضوا ان المسافة بين كل بغلتين خمسون متراً فاذا صنعت كمرة واحدة من الحديد حتى يوضع احد طرفيها على البغلة الواحدة والطرف الآخر على البغلة الاخرى وتكون متينة لا تنقصف بثقلها بل تحمل فوقهُ ما يحتمل مرورهُ فوق الكبري وجب ان يكون عرضها كثيراً وعلوها اكثر من ذلك كما يعلم من حساب متانة الاجسام وكما يظهر لكم اذا امعنتم نظركم في ذلك ولو لم تدرسوا هذا العلم. وكمرة الحديد المصنوعة من عوارض مشتبكة تكون متينة مثل الكمرة المصمطة واخف منها جدًّا وهذا هو السبب في بناء الكباري على هذه الصورة. راجعوا ما كتبناهُ عن متانة الاجسام منذ عشرين سنة في المجلد الحادي عشر من المقتطف

(١٤) هل العمر محدود

الضبعيَّة. الخواجه اسعد باسيلوس. هل عمر الانسان محدود اي انهُ يموت في اجل محدَّد سواء استعمل الوسائل لاطالة عمره او لم يستعملها

ج. يظهر من اجماع الناس على الهرب من اسباب الموت وعلى استعمال العلاجات التي تشفي الامراض او تقي منها انهم وجدوا بالاستقراء الطويل ان بعض الاسباب التي

تميت الانسان يمكن منعها او ازالتها باسباب أُخرى ولكن لا ينتج من ذلك انهُ يمكن دفع كل اسباب الموت لان كل نفس ذائقة الموت وقد يستطيع الانسان ان يتقي الموت ويؤَخرهُ ولكن الى حد محدود ثم يأتيهِ رغماً منهُ

(١٥) نهار ستة اشهر

ومنهُ . اين هي البلاد التي يكون فيها النهار ستة اشهر والليل ستة اشهر

ج . عند القطبين تماماً فعند الدرجة ٦٦ ½ يصير طول النهار ٢٤ ساعة اي تبقى الشمس فوق الافق ٢٤ ساعة وتبقى تحتها ٢٤ ساعة وعند الدرجة ٦٧ ½ يحدث نهار طولهُ شهر كامل وليل طولهُ شهر كامل . وعند الدرجة ٧٨ يحدث نهار طولهُ اربعة اشهر وليل طولهُ اربعة اشهر . وعند القطب تماماً يحدث نهار طولهُ ستة اشهر وليل طولهُ ستة اشهر . الَّا ان النهار لا يكون شديد الحر لان الشمس تكون قرب الافق والليل لا يكون شديد الظلمة لان الشمس تكون تحت الافق قريبة منهُ ولان البدر يبقى فوق الافق في اكثر ذلك الليل الطويل او بين الربع الاول والربع الاخير من اوجههِ ويظهر الشفق القطبي كثيراً فينير ظلمة الليل

(١٦) سبب طول النهار وقصرهِ

ومنهُ . هل الشمس هناك غير شمسنا او ما سبب طول النهار وقصرهِ اذا كانت الشمس واحدة

ج . الشمس واحدة وقد يسهل عليكم ان تفهموا سبب طول النهار وقصرهِ بهذه العملية : —

امسكوا برتقالة بيدكم حتى يكون مكان عنقها الى اعلى والنقطة المقابلة للعنق الى اسفل وافرضوا ان هذه البرتقالة تمثل كرة الارض ومكان عنقها القطب الشمالي والنقطة المقابلة لهُ القطب الجنوبي والخط الوهمي المتصل بين العنق وهذه النقطة محور الارض . وافرضوا انكم وقفتم بهذه البرتقالة في غرفة مظلمة امام مصباح منير يمثل الشمس وجرمهُ كالبرتقالة فان نور المصباح يقع على نصف البرتقالة المقابل لهُ فينيرهُ ويبقى النصف الآخر مظلماً . فاذا امسكتم البرتقالة حتى يكون قطبها الشمالي متجهاً نحو سقف الغرفة وقطبها الجنوبي نحو ارضها كما تقدم ووقفتم بها على موازاة المصباح اي حتى يكون ارتفاعها فوق الارض مثل ارتفاع المصباح وادرتموها على محورها امام المصباح فان نورهُ يبقى دائماً على نصفها المقابل لهُ وينتقل عليهِ بدوران البرتقالة واذا رسمتم نقطة بالحبر على سطح البرتقالة وادرتموها على محورها دورة كاملة كل دقيقة من الزمان امام المصباح فان نقطة الحبر تقابل المصباح مدة نصف دقيقة وتغيب عنهُ نصف دقيقة . ومعلوم ان كرة الارض تتم دورتها على محورها في اربع وعشرين ساعة فاذا كانت هذه البرتقالة تمثل الارض فالدقيقة

تمثل اربعاً وعشرين ساعة ويكون نصفها نهاراً ونصفها ليلاً . واذا حرفتم البرتقالة كثيراً حتى يكون قطبها الشمالي او الجنوبي متجهاً الى المصباح دائماً والقطب الاخر الى الجهة الاخرى منهُ وادرتموها على محورها فان نصفها المتجه الى المصباح يشرق عليهِ نورهُ دائماً والنصف الآخر لا يشرق عليهِ نورهُ ابداً . وهذا حال الزهرة فان نصفها متجه الى الشمس دائماً والنصف الآخر لا يراها . واذا حرفتم البرتقالة قليلاً حتى لا يتجه قطبها الشمالي الى سقف الغرفة ولا الى المصباح بل يكون بين بين وادرتموها على محورها بعد ان رسمتم نقطة حبر على سطحها فان نهار تلك النقطة وليلها يختلفان في الطول والقصر حسب بعدها عن القطبين وحسب انحراف المحور واذا كانت البرتقالة لا تبقى في مكانها بل تدور حول المصباح كما تدور الارض حول الشمس دورة كاملة في السنة وكان محور البرتقالة منحرفاً على سطح هذه الدائرة تغير طول نهارها وليلها كما يتغير طول النهار والليل على سطح الارض . واذا تعذَّر عليكم تصوُّر المراد بعد هذا الشرح فلا بدَّ لكم من درس مبادىء علم الفلك وما يبنى عليهِ من العلوم الرياضية حتى تفهموا المراد تماماً

(١٧) اكثر الامم توحشاً

ومنهُ . من هم اكثر امم العالم توحشاً الأمَّة الصينية او الامم الافريقية

ج . اذا اردتم بالامم الافريقية زنوج افريقية فلا نسبة بينهم وبين الصينيين لان الصينيين من اعرق الامم في المدنية ولا يبعد ان يضارعوا الاوربيين بعد عقدين او ثلاثة من السنين

(١٨) استعمار افريقية لا الصين

ومنهُ . لماذا اختارت دول اوربا استعمار افريقية ولم تستعمر الصين

ج . لانها وجدت استعمار افريقية سهلاً واستعمار الصين صعباً او مستحيلاً بل هي تخاف ان تقوى الصين وتتغلب عليها يوماً ما وتعبّر عن ذلك بالخطر الاصفر

(١٩) الاشتراكية

ومنهُ . من اول مَن وضع مذهب الاشتراكيين

ج . راجعوا ما كتبناهُ في المقتطف عن الاشتراكية والاشتراكيين في المجلد الثامن عشر من المقتطف

(٢٠) حشرات اوربا واميركا

ومنهُ . هل في اوربا واميركا حشرات كالجراد والبراغيث والذباب

ج . نعم والجراد كثير في اميركا ولكنهُ لا يوجد في اوربا والبراغيث والذبان موجودة في اوربا واميركا

(٢١) العمد والمشايخ

ومنهُ . هل يوجد في اوربا عُمد ومشايخ وخفر وصيارف كما في مصر

ج · فيها اناس يقومون مقام هؤلاء كلهم ولكن نظام هؤلاء ليس مثل نظام اولئك

(٣٣) اليونانية والقبطية

وبنهُ · · سبب تقارب اللغة اليونانية من اللغة القبطية

ج · لان البطالسة ملكوا القطر المصري ثلثمائة سنة ولغتهم اليونانية فامتزجت القبطية بها واخذت كلمات كثيرة منها

(٣٤) واضعو اللغة القبطية

وبنهُ · من وضع اللغة القبطية

ج · هي لغة المصريين الاقدمين وقد دخلها بعض التغيير والتبديل بمرور الزمن وكتبت بحروف يونانية بعد دخول الديانة المسيحية الى هذا القطر

وبنهُ · هل يوجد اديرة في اوربا واميركا كما في القطر المصري

ج · نعم واكثر مما في القطر المصري



اوجه القمر في شهر مايو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الهلال	٢	٧	٢٩	صباحاً
الربع الاول	١٠	١٠	٤٧	·
البدر	١٧	٤	١١	مساءً
الربع الاخير	٢٤	٧	١٦	صباحاً
الهلال	٣١	٩	٣٧	مساءً
القمر في الاوج	٧	٩	٤٢	صباحاً
· · الحضيض	١٩	١٠	٠٠	·

السيارات في مايو

عطارد والزهرة وزحل كواكب المساء ويغرب المريخ نحو نصف الليل · والمشتري كوكب الصباح

السسموغراف في الحرب

السسموغراف آلة تدل على حدوث الزلازل وتعين مواقعها · وقد اهتم الاستاذ بلار الغسوي منذ نحو عشرين سنة باستخدامها للدلالة على الاماكن التي يقع فيها صوت شديد يهز الارض كاطلاق المدافع · ويقال انهُ تمكن الآن من عمل آلة صغيرة تدلُّ على كل مكان يُطلق فيهِ مدفع او تسير فيهِ مركبة او يعدو فرس ولو كان على ٣٥ ميلاً منها فيمكن استخدامها في الحرب للدلالة

على حركات الاعداء واماكن مدافعهم وخيولهم ومركباتهم . ويرسم اهتزاز الصوت فيها اشارات مختلفة يدل بعضها على اطلاق المدافع وبعضها على سير المركبات وبعضها على عدد الخيل وهلمَّ جرًّا فتكون اصدق جاسوس على حركات العدو وسكناته . وقد اتقن آلة منها حتى صارت تدلُّ على حركات السفن في البحر وحركات الغواصات فيهِ وانواعها وابعادها المختلفة والمرجح ان النمسويين والالمان وضعوا هذه الآلة الآن في غواصاتهم فاستغنت بها عن رفع عينها فوق الماء

التلغراف بالفوتوغراف

يقال ان رجلاً نروجيًّا اسمهُ فردرك دهل استنبط طريقة لارسال التلغراف دفعةً واحدة مهما كان عدد كلماتهِ كثيراً وذلك بنقل صورتهِ بالكهربائية . ولم نطَّلع على تفصيل هذا الاستنباط ولكننا نستنتج من القليل الذي قرأناهُ عنهُ ان التلغراف يُكتب ويوضع امام آلة او مرآة فتتأثر من صورتهِ تأثراً تنقلهُ الكهربائية وترسمهُ في المكان الذي يراد ارسالهُ اليهِ . ويقال ان الذين فحصوا هذا الاستنباط حكموا بانهُ سيحل محل آلات التلغراف المعروفة

النقل بالاوتوموبيل

جرَّبت الحكومة الاميركية نقل المدافع ولوازمها بالاوتوموبيلات على طريق طولهُ ٢٦٨ ميلاً فوجدت انهُ يسهل نقلها بسرعة ٢٠ ميلاً في الساعة وان نفقة نقل الطن لا تزيد على نصف مليم كل ميل . وكررت التجربة غير مرة فوجدت الامر كذلك من حيث السرعة وقلَّة النفقة ولكن يشترط ان تكون السكة مرصوفة جيداً . افلا يمكن ان تؤَلف شركات في هذا القطر ترصف بعض السكك الكبيرة وتسيّر عليها الاوتوموبيلات لنقل البضائع والركاب والحاصلات لانهُ اذا كانت اجرة نقل الطن مليمًا او مليمين او ثلاثة فهي ارخص جدًّا من النقل بسكة الحديد

الورق المضغوط بدل النعال

قلَّت الجلود في المانيا بسبب الحرب وغلا ثمنها جدًّا فصنع الالمان رقوقًا من الورق المضغوط وكسوها بقشرة رقيقة من الجلد فكان منها جلد متين رخيص الثمن لنعال الجزم ويقال انهُ امتن من الجلد العادي وارخص منهُ جدًّا . ولما شاع استعمالهُ رخص الجلد الحقيقي

الاسلحة والمكروبات

كتب الدكتور هورد بيرد فصلاً في المجلة الشهرية العلمية قال فيهِ ان كل الذين قتلوا او غرقوا في المعارك البحرية في هذه الحرب لا يزيد عددهم على عدد الذين يقتلهم

مكروب التيفويد في الولايات المتحدة في سنة واحدة . وان مكروب السل وحده يقتل من سكان الولايات المتحدة ١٤٧٦٠٠ كل سنة ويترك نحو مليون ونصف مليون من المصابين بهذا الداء فيموت اكثرهم بسببهِ . ويمرض كل سنة بالامراض المعدية خمسة ملايين نفس يموت منهم خمس مئة الف على الاقل . ومن افتك هذه الامراض بعد السل التهاب الرئة فانهُ يموت بهِ كل سنة ١٣٢٠٠٠ نفس ويموت ٧٨٩٠٠ بالسرطان و٧٥٢٠٠ باسهال الاطفال . وما يحدث في الولايات المتحدة الاميركية من فتك مكروبات الامراض بالناس يحدث مثلهُ في اوربا واكثر منهُ جدًّا في اسيا واميركا.

رجال الحرب ورجال الطب

انفق رجال الحرب على قتل كل رجل في حرب البوير ثمانية آلاف جنيه وانفق الاطباء على وقاية كل عامل من الموت في حفر ترعة بناما ما يقل عن خمسين غرشًا فرجال الحرب يدأبون على اهلاك النفوس وينفقون على ذلك اكبر النفقات ورجال الطب يدأبون على وقاية الناس من الموت ولا ينفقون الا الطفيف

خنافس تأكل الرصاص

ان اسلاك التلفون تغطَّى احيانًا بغطاء من الرصاص وقد وجد ان هذا الغطاء ينخر لغير سبب ظاهر ثم اتضح ان خنافس صغيرة كالبق تقع عليهِ وتعمل بهِ مشافرها فتخرقهُ

البترليوم في استراليا

حفرت بئر في استراليا عمقها ١٤٠٠ قدم فوجد فيها بتروليوم وشيء من الغاز . ويظهر من ذلك احتمال وجود البترول بكثرة في استراليا

تنظيف الآلات

ظهر بالتجارب ان تنظيف اجزاء الآلات باغلائها في مذوب الصودا الكاوي افضل من تنظيفها بالبنزين . فتغلى اولاً في الصودا الكاوي ثم تغسل بماء غالٍ وتترك فتنشف من نفسها وتكون قد نظفت تمامًا

البنوك الانكليزية

ان تسعة وعشرين بنكاً من البنوك الانكليزية الكبيرة مجموع رأس مالها ٤٩٣٥٦٠٢٠ جنيهاً فقط ولكن فيها من الودائع والحسابات الجارية ما يعادل ٩٢٤٧٩٠٩٩٧ جنيهاً اي ان رأس مالها لا يزيد على اربعة واربعة اعشار في المئة من الاموال التي تشغلها ولذلك تستطيع ان توزع ربحًا سنويًّا على اصحاب اسهمها يبلغ نحو ١٦ في المئة . وفي هذه البنوك كلها كثير

من المال الاحتياطي ففي التسعة والعشرين بنكاً المذكورة آنفاً من المال الاحتياطي ما يبلغ ٠٠٠ ٦١٣ ٣٢ جنيه مع ان رأس مالها لا يزيد على ٠٠٠ ٣٥٦ ٤٩ جنيه

وتمتاز البنوك الانكليزية على البنوك الالمانية بانها لا تخاطر ولا تضارب كالبنوك الالمانية مثال ذلك ان البنك الالماني انفق نحو خمسة عشر مليون جنيه على سكة بغداد الحديدية لا لانهُ يعلم ان انشاء هذه السكة عملية رابحة ماليًا بل لان امبراطور المانيا امرهُ ان يفعل ذلك فصدع بالامر. وبنوك اخرى المانية انفقت اموالاً طائلة على اعمال لا يرجى منها ربح مالي ولكنها قد تأول الى اتساع الامبراطورية الالمانية فاذا عقد الفوز لالمانيا في هذه الحرب استفادت من هذه الاعمال فائدة كبيرة والاَّ خسرت كل الاموال التي انفقتها بنوكها عليها وهي اكثر من مئة مليون جنيه

السر كولن سكوت منكريف

نعت اخبار انكلترا رجلاً من اكبر المفضلين على هذا القطر وهو السر كولن سكوت منكريف المهندس الشهير الذي كان وكيلاً لوزارة الاشغال العمومية في اوائل سني الاحتلال البريطاني كان اولاً في بلاد الهند واشترك في قمع الفتنة الهندية ثم انقطع لانشاء الاعمال الهندسية الكبيرة في الري الصناعي ودُعي الى القطر المصري سنة ١٨٨٣ وجُعل وكيلاً لوزارة الاشغال فاصلح القناطر وقواها واصلح بهاري الوجه البحري وترك خدمة الحكومة المصرية سنة ١٨٩٢ وعاد الى بلادهِ اسكتلندا حيث شغل منصباً عالياً ثم رجع الى الهند وجعل رئيساً لمجلس الري فيها ولهُ فضل كبير على المقتطف فاننا لما انتقلنا بهِ الى القطر المصري سنة ١٨٨٥ ورآهُ وعرف مواضيعهُ قال هذه مجلة لازمة لمن في نظارة الاشغال من الموظفين والمهندسين واشار على النظارة ان تشترك بخمسين نسخةً منها توزع عليهم فاستمرَّت على ذلك الى العام الماضي

وكانت وفاتهُ في ٦ ابريل وهو في الثمانين من عمرهِ

مضادات للفساد جديدة

اشارت مجلة نانشر الى الدواء الجديد المضاد للفساد الذي ذكرت المجلة الطبية الانكليزية خبر اكتشافهِ في اوغسطس الماضي ونقلناهُ عنها وهو محلول هيبوكلوريت الصودا مضافًا اليهِ شيء من الحامض البوريك فقالت ان اول من استعملهُ لمعالجة الجروح هو الدكتور داكن وكان ذلك في مستشفى كومبيان وغيرهِ من المستشفيات الحربية فافاد فائدة عظيمة

على انهُ ليس بالاكتشاف الجديد الوحيد

لمداواة الجروح . فقد ذكرت المجلة الطبية الانكليزية في عدد ٢٩ يناير ١٩١٥ دواء آخر اسمهُ كلورومين وهو من الادوية القاتلة للمكروبات ككل دواء غيره يتحد الكلورفيه بالنتروجين . واول من استحضرهُ الدكتور تشتاواي سنة ١٩٠٥ ولكنهُ لم يعلم شيئاً عن فعله المضاد للفساد . وهو يحضر باضافة هيبوكلوريت الصودا الى سلفوناميدالتولوين وقوتهُ اربعة اضعاف قوة الهيبوكلوريت المذكور . وقد نشرت المجلة المذكورة في ١٥ يناير الماضي تقريراً لاحد الجراحين الانكليز عن استعماله لمعالجة جروح الفم والفكين ومما قالهُ ان نتائج استعماله تقوي العزائم لظهور فوائدها تمام الظهور

درجة الحرارة في اعالي الجو

اصدرت الجمعية المتيورولوجية الانكليزية تقريراً بنتيجة الابحاث التي قام الناس بها لقياس حرارة الجو في اعاليه بواسطة الطيارات والبلونات . ويؤْخذ منهُ ان اعظم ارتفاع بلغهُ البلون الذي يطلق خصيصاً للصعود في الجو بعد ان يجهز بالآلات اللازمة لقياس العلو والحرارة من غير ان يكون فيه ركاب هو ٢٢ ميلاً او نحو ١٢ الف قدم فهبطت الحرارة الى ٥٢ درجة تحت الصفر بميزان سنتغراد او — ٥٢ . واعلى ما بلغهُ بلون فيه ركاب هو بلون طيّر من برلين سنة ١٩٠١ فصعد الى ارتفاع ١٠ كيلو مترات او نحو ٣٠ الف قدم وهو قدر ارتفاع اعلى قمة من قمم جبال حملايا تقريباً فوجدوا الحرارة هناك ٤٢ تحت الصفر . وقد جاء في التقرير ان الغيوم لا تكون فوق ذلك العلو وان الحرارة واحدة بينهُ وبين ارتفاع ٣٧ كيلو متراً . ومتى ارتفع البلون كيلو مترين عن الارض هبطت الحرارة الى ما تحت الصفر فجمد الماء فيه . فاذا بلغ علو تسعة كيلو مترات جمد الزئبق ايضاً

جامعة هندية في بنارس

وضع لورد هاردنج حاكم الهند في ٤ فبراير الماضي حجر الزاوية في بناء الجامعة الجديدة التي تقررت اقامتها في مدينة بنارس وتقدر الاموال اللازمة لها بمليوني جنيه

تعمير النساء

من الامور المثبتة بالاستقراء الطويل ان النساء يعمرن اكثر من الرجال . فقد حسب بعضهم ان الذين توفوا سنة ١٩١٥ وقد ناهز كلٌّ منهم الثمانين وذكرت وفياتهم في جريدة التيمس كان منهم ٨٥٤ رجلاً و١١١٧ امرأة ولم يناهز المئة احد من الرجال ولكن ناهزها سبع من النساء

وفيات الرجال بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين تفوق وفيات النساء ولعلَّ

سبب ذلك كثرة مشاق الرجال وهمومهم

وقد ظهر من احصاء شركات ضمانة الحياة في اميركا ان النساء اللواتي يتقاضين سنويات يعمرن اكثر من اللواتي لا يتقاضين هذه السنويات كانهن يعزمن ان تطول المدة التي يأخذن فيها هذه الاموال لكي لا تغبنهن شركات ضمانة الحياة . وعمل المرأة وجهادها ينقضيان حينما تناهز الخمسين اما الرجل فلا ينقضي تعبهُ وجهادهُ الأ بعدما يبلغ من الكبر عتيًا مع ان جسمهُ يكون قد ضعف كجسم المرأة

تعليم الهنود قواعد حفظ الصحة

اعدت حكومة مدراس بالهند عدداً من الخطب الخاصة بحفظ الصحة ووسائل النظافة وستترجها الى الهندية العامية لتلقى على الفلاحين في قراهم ومزارعهم فيسترشدوا بها في المحافظة على صحتهم ووسائل النظافة فيما بينهم

نفقات الدعوى اضعاف قيمتها

طالب احد المعدّنين في مناجم الفحم ببلاد الانكليز الشركة صاحبة ذلك المنجم بعشرة شلنات وثلثي شلن فرفضت اعطاءهُ هذا المبلغ لئلا يصير سابقةً فرفع امرهُ الى القضاء فانتقلت القضية من محكمة الى اخرى الى ان حكمت فيها حديثاً محكمة التمييز العليا في مجلس الاعيان بانهُ يستحق هذا المبلغ ولكن مصاريف القضية بلغت الوفاً كثيرة من الجنيهات

ورفع بنك قضية على محام يطالبهُ باربعة شلنات فبلغت مصاريفها ١١٠ جنيهات .
ورفع فلاح اسكتلندي قضية على مصلحة الجمارك في بلاد الانكليز يطالبها بنحو نصف غرش فدفع مصاريف القضية ١٥٠ جنيهاً

القطن المصري في نياسالند

كانت حكومة نياسالند من املاك انكلترا في شرق افريقية قد انفقت مالاً كثيراً على تجربة زرع القطن المصري في بلادها . وقد اصدرت مصلحة الزراعة فيها تقريرها السنوي اخيراً وفيهِ ان الحكومة عدلت عن زرع القطن المصري لانهُ جاء ادنى من الصنف الذي تزرعهُ وتسميهِ نياسالند ابلند ولعل سبب ذلك شدة انفعال القطن المصري بتغيرات الاقليم وبفعل الجراثيم الزراعية المختلفة

مسئلة الذباب

طال الجدال على صفحات بعض المجلات الانكليزية في هل يموت الذباب العادي في الخريف بعد ان يبيض فيفقس بيضهُ في الربيع التالي ام يستولي عليهِ سبات طويل مدة اشهر الشتاء فاذا اقبل الربيع بهوائهِ

لمتدل انتفض من سباتهِ وعاد يسعى الى رزقهِ . والاول هو مذهب الجمهور . وقد حاول اهل المذهب الثاني تأييدهُ بزعمهم انهم وجدوا كثيراً من هذا الذباب في حالة سبات حتى ان احدهم جمع مئتي ذبابة فلما فحصت ظهر ان ليس بينها ذبابة واحدة من الذباب العادي

بعض نتائج الحرب

كان من نتائج الحرب حتى الآن استبدال بعض الاسماء بغيرها . فاستبدل اسم بطرسبرج ببطرغراد . وماء كولونيا الالمانية بماء لوفان البلجيكية . وفي هذه العاصمة رأيناهم ابدلوا اسم « المخبز الروسي الالماني » باسم « المخبز الروسي الانكليزي » والاجزاخانة «الفرنسوية النمسوية» بالاجزاخانة « الفرنسوية الانكليزية » وهكذا فعل الجزار واللبان والبدال واشباههم . وكان من الالمان انهم استبدلوا اسماء بعض الاطعمة الانكليزية والفرنسوية باسماء المانية صرفة . وقد قرأنا في مجلة ناتشر الاخيرة ان قلم مساحة البحور التابع لوزارة البحرية الفرنسوية استبدل الاسماء الالمانية في جزيرة كرجويلن الفرنسوية في البحر المتجمد الجنوبي باسماء فرنسوية . وقد علقت المجلة على ذلك قولها « ومهما يكن من صواب هذا العمل فلا يسعنا الا القول ان التمادي في تغيير اسماء الاعلام المشهورة خطأٌ في خطإٍ . لذلك نأمل حرصاً على الدقة الجغرافية ان لا تطبق هذه الفكرة تطبيقاً عامًّا تفادياً من التشويش والارتباك »

معرض غريب مفيد

اقاموا في مقاطعة لستر من انكلترا معرضاً غريباً مفيداً الغرض منهُ بيان الآفات الكثيرة التي يستهدف لها الاطفال على امل مقاومتها وانقاذهم منها . فقد مثلوا وفيات الاطفال على اختلاف اعمارهم باعمدة خشبية صغيرة نصبوها الواحد بجانب الآخر . فالعمود الذي يمثل متوسط وفيات الاطفال من ولادتهم الى آخر السنة الاولى من عمرهم علوهُ ١١ قدماً في حين ان العمود الذي يمثل متوسط وفياتهم بين الشهر الخامس والعشرين من سنهم لا يزيد علوهُ على $2\frac{3}{4}$ البوصة . وبمثل ذلك قابلوا بين قيمة لبن الام ولبن البقر واللبن المجمد بالوسائل الصناعية في غذاء الاطفال . وكذلك اخطار الذباب في نقل عدوى الامراض

الجعلان المصرية

نشر بيان لمجموعة الجعلان التي جمعها اللورد غرنفيل سردار الجيش المصري سابقاً مدة اقامتهِ في هذا القطر وهو يتضمن صوراً ورسوماً كثيرة . وقد جاء فيهِ ان رسم

الاواب الذي يرى على الجعلان يرمز الى الحياة وان السمكة رمز الاله ايسس والخصب وقد استعملها المسيحيون القدماء بعد تنصرهم لانهم لم يروا جناحاً في استعمال رموز وثنية

اقتصاد القطن في المانيا

لما ضيق نطاق الحصر البحري على المانيا حاول الالمان استبدال القطن لصنع الذخيرة ببعض المواد النباتية فلم يفلحوا على ما يظهر ولكنهم افلحوا في استخدام بعض المواد كرب الورق واللغنين (اي المادة الخشبية في النباتات) ضمادات للجروح فوفروا بذلك بعض القطن لصنع الذخيرة وفي برلين شركة تبيع اللغنين الرطل بنحو غرش ونصف لضمد الجروح. ومن افضل الضمادات مادة معروفة باسم «سفاجنم» استعملت ضمادات للجروح في انكلترا والمانيا قبل الحرب وهي نوع من الطحالب كثير الخلايا والانابيب الدقيقة يمتص من الماء في حالته الطبيعية تسعة اضعاف ثقله فاذا جف زادت قدرته على الامتصاص وهو شديد النعومة كثير الخفة يجمع من المستنقعات و يجفف على الصخور حتى يبيض ثم ينظف وينعم

السم للذبان

ثبت الآن ان الذبان اعدى عداة الانسان. والهمة مبذولة لاستئصالها باية وسيلة كانت. وقد ذكرت مجلة جنوب افريقية العلمية مزيجاً يستأصلها وهو مصنوع من رطل من زرنيخيت الصوديوم (وهو سام جداً) وعشرة ارطال من السكر وثمانين رطلاً من الماء. يذاب الزرنيخ والسكر في الماء وينضح المذوب بمضخة على كوم الزبل واغصان الاشجار فتحوم عليه الذبان وتموت حالاً. وهذا المزيج رخيص الثمن شديد الفعل

اكبر بيانو

في التياترو المعروف بتياترو الامبراطورية في مدينة لندن اكبر بيانو في المسكونة فان فيه ٥٢٢ مفتاحاً و يضرب عليه ستة في وقت واحد وهو مصنوع في اميركا بلاد الغرائب

الغابات في اميركا الشمالية

كانت مساحة الغابات في الولايات المتحدة الاميركية قبل دخول البيض اليها نحو ٨٠٠ مليون فدان فيها نحو ٢٠٠ الف مليون قدم من الخشب فلم يبق منها الآن سوى ٥٥٠ مليون فدان فيها نحو ٢٩٠٠ مليون قدم من الخشب. ومن هذا القدر ٧٦ في المئة ملك الافراد والباقي ملك الحكومة. ويقدر ما يقطع من الاشجار كل سنة بمبلغ ٤٣ بليون قدم فاذا دام الحال على هذا المنوال ولم تزرع اشجار جديدة مكان المقطوعة نضب مورد الخشب الاميركي في ٦٥ سنة



من جزة الشمال (1) ملا، (2) ماوري (3) استرالي اصلي
(4) هوتنتوت (5) زولو (6) من غرب افريقية
(7) باسك (8) هندي اميركي (9) اسكيمو



(1) يوناني (2) هندي (3) يهودي (4) سوري
(5) سكندناوي (6) مجري (7) جركسي (8) صيني (9) ياباني

مقتطف مايو ١٩١٦
امام صفحة ٤٣٥

ارض متشققة او صلبة

بربخ بربخ بربخ بربخ بربخ بربخ

٢٠ متر

حرف (١)

قطاع من ارض منصرفة بالبرابخ

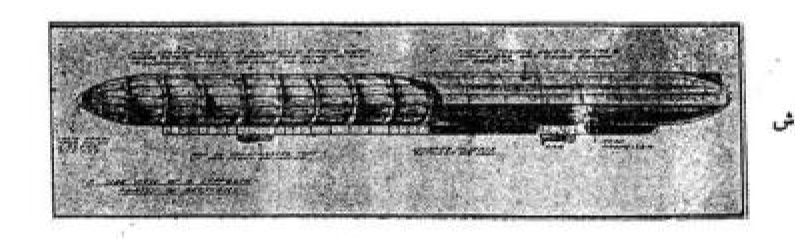
٥ متر

ارض باقية رطبة ومتحلة

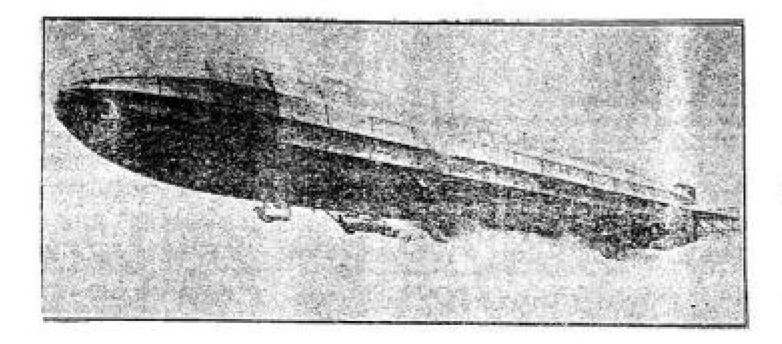
ارض باقية رطبة ومتحلة

حرف (ب)

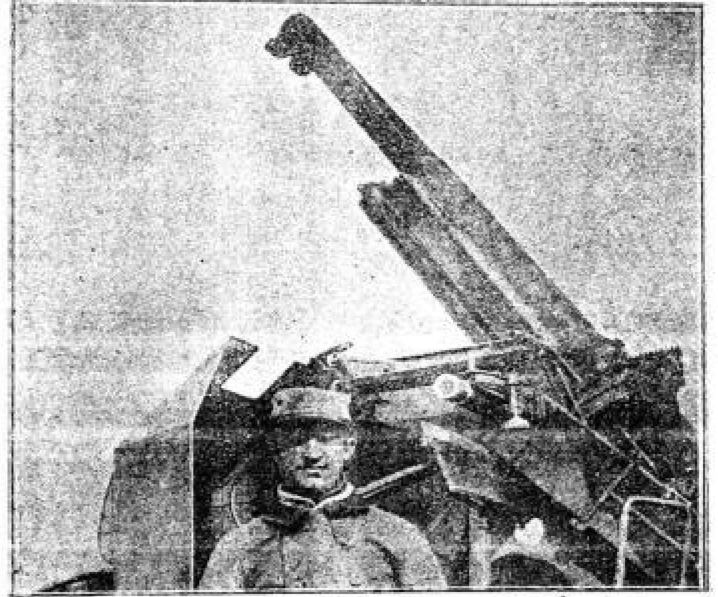
المقتطف مايو ١٩١٦
امام الصفحة ٤٤٠



ش ١



ش ٢



ش ٣

ش ١ تسبلن بشكلهِ القديم وتفاصيلهِ الداخلية ش ٢ تسبلن بشكلهِ الجديد

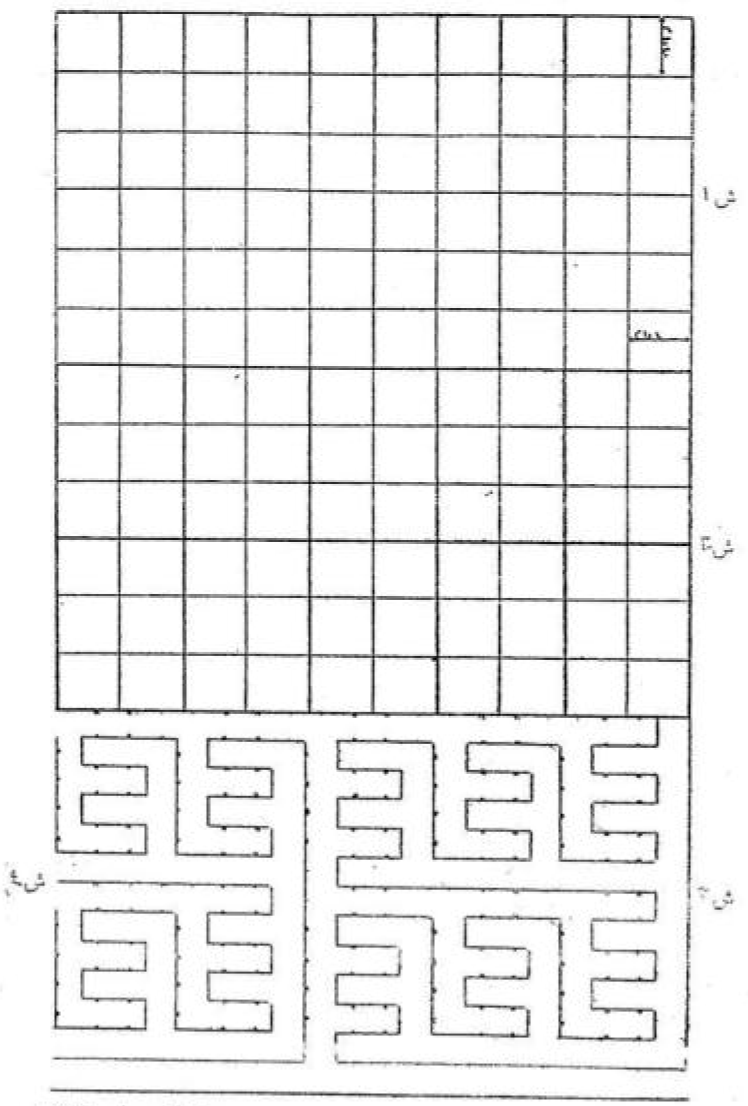
ش ٣ المدفع الذي رمي بهِ فخرق ووقع

مقتطف مايو ١٦١٦

امام الصفحة ٤٧٦

ما بقي من بلون تسبلن بعد ما احترق ووقع

مقتطف مايو ١٩١٦
امام الصفحة ٤٧٧

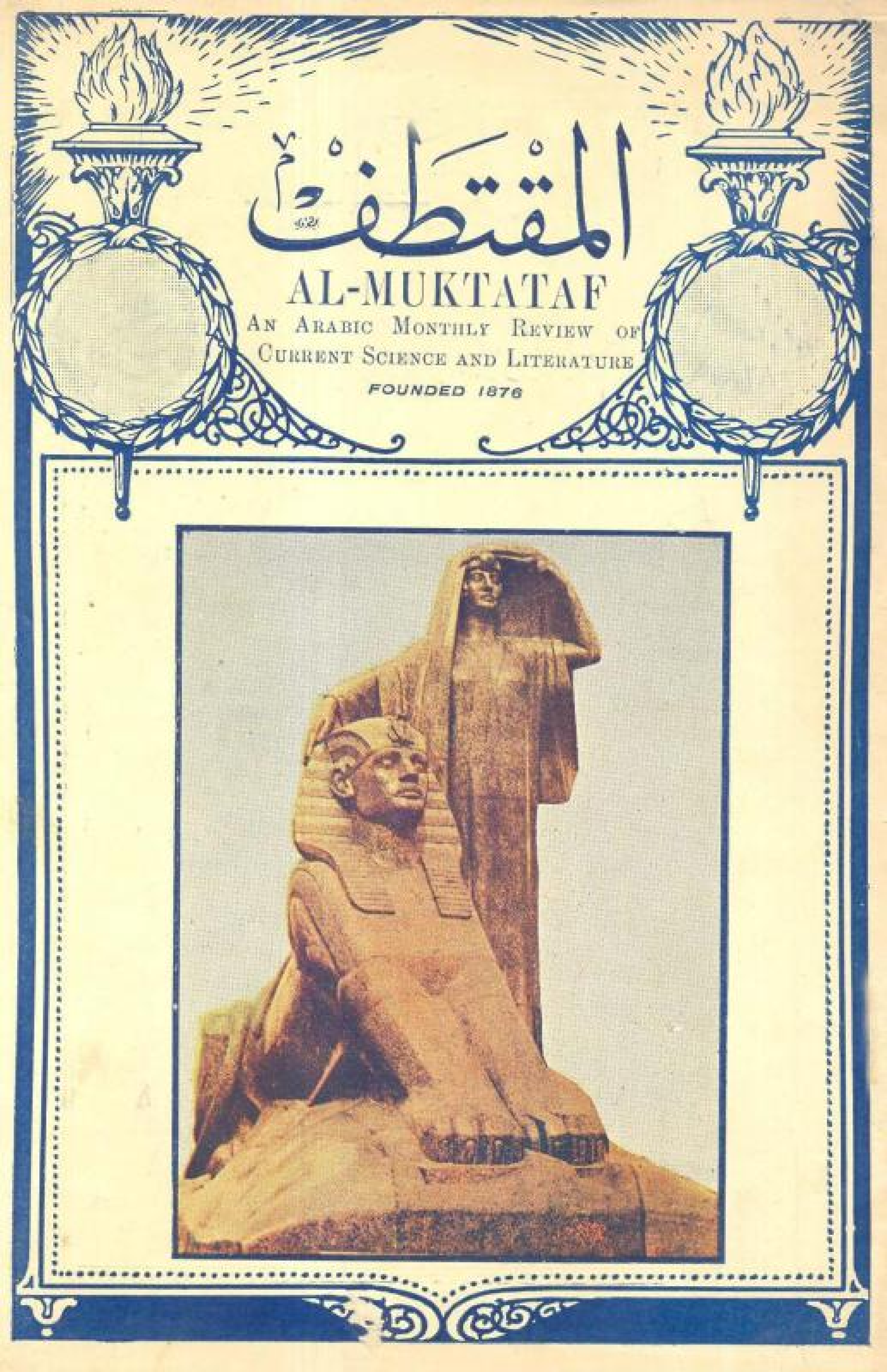


مقتطف مايو ١٩١٦

أمام الصفحة ٤٨٧

فهرس الجزء الخامس من المجلد الثامن والاربعين

صفحة



المقتطف
AL-MUKTATAF
AN ARABIC MONTHLY REVIEW OF
CURRENT SCIENCE AND LITERATURE
FOUNDED 1876

المقتطف

الجزء السادس من المجلد الثامن والاربعين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣٠ رجب سنة ١٣٣٤

المقتطف والمجمع اللغوي العربي

اتم المقتطف في آخر ابريل الماضي السنة الاربعين من انشائهِ وكان جمهور من رجال العلم والادب واهل الفضل والنبل قد رغبوا الينا ان يعقدوا في ذلك اليوم جمعية عمومية يتصدرها اعلام الشرق واقطاب اللغة العربية الشريفة لاقامة احتفال عظيم يليق « باقدم مجلة شرقية وشيخ المجلات العربية » كما تفضل رصفاؤُنا الكرام اصحاب المجلات العربية فلقبوا المقتطف . فشكرنا فضل اولئك الافاضل واعتذرنا بان عملنا لا يستحق منهم هذه العناية ولما الحوا علينا في القبول استأذناهم في تأجيل ذلك الى الزمن الذي يصفو فيهِ الدهر من هذه الاكدار وترتاح النفوس الى مثل هذا الاحتفال وتدول دولة الحرب وتعود دولة السلم وترتفع فيها رايات العلم فقبلوا هذا الاعتذار واجّلوا الاحتفال حتى تشاء الاقدار

ولكن الصديق القديم العهد الخالص الود الغيور على رفع منار العلم والادب الاستاذ الفاضل اسمعيل بك عاصم ابى الآ ان ينجز وعداً وعدهُ منذ ثمانية اعوام حين احتفل في منزلهِ بمضي عشر سنين على مجلة المنار وهو ان يحتفل « بشيخ المجلات العربية » حين اتمامهِ السنة الاربعين من عمرهِ . وقال ان كان صاحباهُ يعتذران الآن عن قبول حفلة عمومية فلا يسعهما الاعتذار عن قبول دعوتي والحضور في وليمتي حيث ابرُّ بوعدي واهنئهما في منزلي تهنئة خصوصية تكون على الاقل مقدمة وتمهيداً لتلك الحفلة العمومية . فشكرنا جميلهُ وقبلنا دعوتهُ على ان تكون الحفلة للمجلات العربية عموماً ويكون المقتطف من الجملة . وعليهِ دعا الدعوة التي افضت الى تحريك الهمة لانشاء مجمع لغوي عربي او اكاذيمية عربية كما يرى القراء الكرام في وصف هذه الحفلة بقلم حضرة الاستاذ الفاضل السيد محمد رشيد رضا صاحب

المنار . والى الاعتناء بامر التمثيل العربي حتى يخدم العربية مع المجلات والجرائد ويقوّم اود اللغة العامية . وقد وعد حضرة الاستاذ الفاضل اسماعيل بك عاصم ان يبتدئ ذلك بتمثيل رواية عربية من انشائهِ يخص دخلها بجمعية الهلال الاحمر

المجمع اللغوي المأمول

دعوة الى هذه الامنية وخطوة جديدة على ذكرى بلوغ المقتطف سن الاربعين من حياتهِ المفيدة

طالما تشوقت انفس اهل العلم والادب من المشتغلين بالتصنيف والانشاء والترجمة بلسان العرب الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي تقتضيها حال هذا العصر . وطالما تحدثوا بهذا في انديتهم ومسامرهم . وكثر ما هموا ولم يفعلوا . وما اقدموا ثم احجموا وما بدأوا ثم لم يثبتوا . وقد كان عدم تيسر المكان اللائق بهذا العمل من الموانع العائقة لكثير من الذين تمنوهُ وتحدثوا بشأنهِ عن مواصلة المذاكرة فيهِ ومعاودة الاجتماع لاجلهِ . فلما انشأ الاساتذة المتخرجون من مدرسة دار العلوم ناديهم منذ سنين قليلة تعلقت آمال كثير من الناس بهم . وكان اختيار حفني بك ناصف رئيساً لناديهم مقوياً للرجاء فيهم ثم ما عتم هذا النادي ان خبت نارهُ . واطفئت انوارهُ . ولكن بعد ترك حفني بك لادارتهِ ومغادرتهِ مدينة القاهرة مرتقياً في منصبهِ

لاح لنا امس بارق امل جديد عسى ان نصل في نورهِ الى ما نريد . فيكون ذلك من بركات المقتطف المفيد

صدر الجزء الاول من مجلة المقتطف في مثل هذا اليوم (اول مايو) من سنة ١٨٧٦ فتم لهُ امس اربعون سنة . وقد كان مما يخطر ببال كثير من اهل العلم وانصار النهضة العربية ان يجعلوا هذا اليوم عيداً للمقتطف يحتفلون بهِ الاحتفال اللائق بخدمتهِ للعلوم والفنون بهذه اللغة الشريفة التي لا حياة لنا الاَّ بحياتها العلمية والفنية ولكن الحرب الاوربية العامة جعلت العالم كلهُ في مأتم ولا تكون المآتم اعياداً

وقد كان في مقدمة الذين شعروا بوجوب الاحتفال بالمقتطف صديقنا الاديب الخطيب الشهير اسمعيل بك عاصم المحامي وقد رأى ان ما يمنع من اقامة الاحتفالات العامة لا يمنع من اجتماع خاص لتهنئة خاصة فاعد امس في دارهِ الزاهية مأدبة لصاحبي المقتطف دعا اليها

صاحب الدولة رئيس الوزارة حسين رشدي باشا وصاحب المعالي عدلي باشا يكن وزير المعارف وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية وصاحبي السعادة يحيى باشا ابرهيم رئيس الاستئناف الاهلي واحمد زكي باشا كاتب سر مجلس النظار وحضرة صاحب العزة احمد بك لطفي السيد مدير دار الكتب السلطانية وبعض اصحاب المجلات العربية المشهورة

انتظم عقد هذه الجماعة عشاء في تلك الدار المتألقة بالانوار فكانت سامراً علمياً من ارق السمار اتحفها حضرة صاحب الدعوة بهذه الابيات

يا بدوراً قد تجلى في سما العليا سناكم
حاكت الافلاك داري حين حياها نداكم
فاقبلوا مني دعاء اسعد الله مساكم

وبعد مسامرات كان جلها في مناقب العرب وما سبق لهم من ترقية العلوم والفنون تحلقوا حول تلك المائدة فاصابوا مما طيف عليهم بهِ من الوانها الفاخرة ثم نهض الداعي الوفي الكريم فالقى خطبة نفيسة في الثناء على المقتطف المفيد وعلى منشئيهِ الفيلسوفين الكبيرين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر بيَّن فيها خدمتهُ الجليلة للعلم والعربية وذكر انهُ انشئ في بيروت ثم جذبتهُ مصر اليها وذكر مقالتين نشرتا في الجزء الاول كانتا كالمرآة التي تجلى فيها كمالهُ . مقالة في عمل الزجاج ومقالة في القمر وتشكلهِ منذ يبدو هلالاً الى ان يكون بدراً كاملاً . وكذلك كان المقتطف فانهُ كالزجاج في صفائهِ وبهائهِ وهو كالقمر بدأ هلالاً ثم صار بدراً كاملاً واسأل الله حفظهُ من المحاق

ثم ذكر بدء معرفتهِ لمنشئي المقتطف من زهاء ثلاثين سنة وذكر من فضلهما واخلاقهما ما هو معروف واشار في خطابهِ الى ما سبق من احتفالهِ المشكور ببلوغ مجلة المنار عشر سنين وذكر المنار في سياق الاستدراك على وصف المقتطف بالسبق في خدمة العلوم ثم قام كاتب هذه السطور فاستأذن الوزير الاكبر بالقاء كلمة في الموضوع هذه خلاصتها

ورد في الحديث الشريف « من لم يشكر الناس لم يشكر الله » وقد رأيت صديقنا الفاضل اسماعيل بك عاصم استدرك على وصفهِ المقتطف بانهُ المجلة العربية الوحيدة التي قامت بما قامت بهِ من خدمة العلم فذكر المنار وقرنهُ بالمقتطف وقال ان للمقتطف فضيلة السبق واني اعترف لهُ بذلك كما اعترف لابن معط ابن مالك اذ قال في فاتحة الالفية :

وهو بسبق حائز تفضيلا مستوجب ثنائي الجميلا

نعم انا اعترف للمقتطف بالسبق والتبريز في العلم وازيد على ذلك الاعتراف بانني قد استفدت من المقتطف من اول عهدي بطلب العلم ولا ازال استفيد منهُ . انني لما دخلت المدرسة الوطنية في طرابلس الشام وذلك اول عهدي بطلب العلم رأيت استاذنا الشهير الشيخ حسيناً الجسر مشتركاً في المقتطف ومواظباً على قراءتهِ فكانت تلك اول معرفتي بالمقتطف وصرت استعيرهُ بعد ذلك واقرأهُ فاستفدت من مباحثهِ فوائد عقلية وصحية واجتماعية ولا ازال اعتمد على ما يكتبهُ في معرفة اطوار التجدد العلمي المصري

ان المقتطف في نظري مدرسة جامعة سيارة يستفيد منها العالم العربي في كل بلد يقرأ فيهِ . فان الذين يتعلمون مبادئ العلوم العصرية يحتاجون الى الوقوف على ما يتجدد فيها بالبلاد الغربية . ولا سبيل الى هذا الاَّ بالاطلاع على الكتب والمجلات الاوربية التي تصدر في كل عام وهذا لا يتيسر الاَّ لبعض الاغنياء المتقنين لبعض لغات العلوم الاوربية — فالمقتطف يلخص لنا في كل شهر ما لا يستغني عنهُ قراء العربية

من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل بهِ في الوقت المناسب ونرجو ان يكون ذلك على رأس الخمسين من حياتهِ النافعة

احتفل فريق من المصنفين ببلوغ مطبعة المعارف سن العشرين في خدمة الصناعة واتقانها فاذا جرينا على سنتهم كان علينا ان نقيم للمقتطف عشرات من الاحتفالات . كان على مروجي الصناعة ان يقيموا للمقتطف مثل هذا الاحتفال لا لان لهُ مطبعة اخرجت للناس من المطبوعات النافعة ما لم يخرجهُ غيرها فحسبُ بل لان للصناعة باباً في المقتطف فهو مرشد لترقيتها بجميع فروعها . وكان على المجتهدين في ترقية الزراعة ان يقيموا لهُ احتفالاً آخر لان للزراعة باباً فيهِ مثل باب الصناعة . ومثل هذا يقال في كل علم وفن ولكن صديقنا اسماعيل بك عاصم جمع لنا في هذه الليلة صورة مجملة لما يجب على الامة مفصلاً

ان اكبر منقبة للمقتطف ومنشئيهِ انهما حجة اللغة العربية على من يتوهمون انها لا تتسع لجميع العلوم العصرية ولا يسهل تعليمها بها . فهذان العالمان الكبيران تعلما العلوم باللغة العربية واشتغلا بالكتابة والتأليف فيها مدة اربعين سنة فافادا العلم ما لم يفدهُ احد من المتعلمين منا باللغات الاجنبية

هذا ملخص ما قلتهُ . ثم ألقى احمد زكي باشا خطبة نفيسة في فضل المقتطف ومنشئيهِ

في خدمة العلم باللغة العربية اشبهها بما هو معروف في الفقه الاسلامي من تقسيم الواجب الى فرض عين وهو ما يطلب من كل فرد من الافراد كالصلاة والصيام وفرض كفاية وهو ما اذا قام بهِ بعض الافراد سقط الطلب عن الباقين (كالفنون والصناعات التي لا يستغني الناس عنها في معايشهم) . وقال ان صاحبي المقتطف هما اللذان قاما بفرض الكفاية من خدمة العلوم والفنون . ثم ذكر اول عهده بالمقتطف وانهُ ارسل اليهِ سؤالاً الى بيروت ثم عهدهُ برؤية منشئيهِ وما يحمد من صحبتهِ لهما

وقام ايضاً الشاب النجيب اميل افندي زيدان صاحب مجلة الهلال الغراء فاثنى على المقتطف وذكر انهُ تلميذ لتلاميذ منشئيهِ العلامتين وذكر ان والدهُ وهو استاذهُ الاول كان تلميذهما وكذلك كان اساتذتهُ في المدرسة الكلية من تلاميذهما

ثم قام صاحب مجلة المفتاح الغراء توفيق افندي عزوز فخطب خطبة اثنى فيها على المقتطف بما هو اهلهُ وذكر استفادتهُ منهُ كغيرهِ وقال ان منشئيهِ العلامتين الفاضلين قد افادا باخلاقهما كما افادا بمجلتهما فهما باتفاقهما وتكافلهما واخائهما قدوة صالحة لهذه الامة التي تشكو من التفرق والاختلاف وقلة الثبات ما هو اعظم عائق لها عن القيام بالاعمال النافعة

وبعد ذلك قام العلامة الدكتور فارس نمر فالقى خطاباً بليغاً قال في فاتحتهِ انهُ بلسانهِ ولسان شريكهِ واخيهِ الدكتور صروف يشكر اولاً لسعادة اسماعيل بك عاصم عنايتهُ بهذه الدعوة ويعتب عليهِ انهُ جعلها بصورة احتفال ومما قالهُ :

ان حضرة رب هذه الوليمة شرف ادارتنا منذ بضعة ايام وهنأنا بمرور اربعين عاماً على مجلتنا المقتطف ودعانا الى تناول الطعام مع جماعة من علماء مصر وارباب المجلات العربية الذين دعاهم احتفالاً بذلك فابنا لحضرتهِ ان الوقت لا يصلح للاحتفالات ولا خدمتنا تستحق هذه العناية ولكن ابت مكارمهُ ومكارمكم ايها السادة الا ان تخصونا بالنصيب الاوفر من محاسن هذه الليلة وان تحفونا بهذا المدح الذي لا نستحقهُ فلحضرة صديقنا الفاضل صديق العلم والادب رب هذه الدار ولدولة الوزير الكبير رئيس الوزراء ولمعالي وزير المعارف ولفضيلة مفتي الديار المصرية ولسعادة رئيس الاستئناف الاهلي ولسعادة سكرتير مجلس النظار وسائر الذين تكرموا بالثناء على المقتطف وذكروهُ بالخير ولبوا هذه الدعوة اكراماً لهُ جزيل الشكر من هذين العاجزين

ثم قال ان المقتطف وان كان قد انشيء في القطر السوري فقد كان معظم انتشاره في القطر المصري وقد لقي من اعاظم مصر اعظم عضد وارحب صدر حتى ان وزير مصر الشهير المرحوم رياض باشا كان يكاتبهُ منذ بدء انشائهِ ولما نقلناهُ من سورية الى مصر رحب بهِ رحمهُ الله كما رحب بهِ الوزير الكبير شريف باشا والعالم المرحوم شفيق بك منصور وغيرهم من اعاظم مصر واكابر علمائها . والامل وطيد ان خدمة المقتطف على ما بها من الضعف تجد من تأييدكم ايها السادة ما يقويها ويزيدها اضعافاً مضاعفة بموازرة سائر المجلات والجرائد العربية في عصر مولانا السلطان المعظم الذي حق لنا ان نباهي بهِ سلاطين الشرق والغرب معاً على حبهِ للعلم واكرامهِ للعلماء ورغبتهِ في اعلاء منار الادب وغيرتهِ على نشر المعارف وجودهِ في سبيل التربية ادامهُ الله للامة العربية فخراً وادامكم للغة العربية ذخراً

ثم دارت بعد ذلك المذاكرة في مسائل علمية ولغوية افضت الى الكلام في شدة الحاجة الى انشاء مجمع لغوي في مصر فقال احمد لطفي بك السيد مدير دار الكتب السلطانية ان احمد زكي باشا كان قد اقترح عليَّ ان اخصص مكاناً من دار الكتب لذلك . واني اجبت الى ذلك فلديَّ الآن في المكتبة مكان لائق كانت الجرائد ذكرت اننا فرشناهُ واعددناهُ لراغبات المطالعة من السيدات وليس عندنا سيدات يغشين دار الكتب للمطالعة فنعد لمن مكاناً ...

فسر جميع الحاضرين بهذا وقابلوهُ بالثناء ورأوا ان قد زالت بهِ عقبة من عقبات الشروع في تأسيس المجمع اللغوي الذي بينا مكانتهُ من النفوس في اول هذه المقالة وزادهم سروراً ما رأوهُ من ارتياح الوزير الاكبر وزير المعارف للشروع في تأسيس المجمع اللغوي بدار الكتب السلطانية وارجو ان نبشر قراء العربية في مقال آخر بتأسيس هذا المجمع بالفعل

وقد امتد هذا السمر المفيد الى منتصف الليل فانصرف السامرون مثنين على رب المنزل اطيب الثناء

محمد رشيد رضا

الشيخ ابراهيم الحوراني

حملت الينا انباء سورية عن طريق اميركا نعي العلامة الكبير والكاتب الشاعر الشهير المأسوف عليهِ المرحوم الشيخ ابراهيم الحوراني . توفاهُ الله في مدينة بيروت في اواخر شهر يناير الماضي ولهُ من العمر نحو سبع وسبعين سنة قضاها كلها في خدمة العلوم والمعارف والتعليم ونظم القصائد البليغة وانشاء المقالات الرنانة والقاء الخطب الشائقة ووضع المصنفات المفيدة وترجمة الكتب النافعة في كل فن ومطلب

ولد الفقيد في مدينة حمص وترعرع في دمشق وطلب مبادىء العلوم في مدرسة المرسلين الاميركيين في عبيه احد قرى جبل لبنان ثم غادرها الى دمشق وانقطع فيها للدرس والمطالعة واكبَّ على تحصيل العلوم النقلية والعقلية والرياضية والطبيعية فحذقها وتضلع منها وبلغ من البراعة فيها والوقوف على اسرارها مبلغاً بعيد الشأو عزيز المنال

وما عتم بعد ذلك ان برح دمشق وامَّ بيروت حيث عين استاذاً في المدرسة الكلية الاميركية لفنون اللغة العربية ومن ذلك الحين اخذ طائر صيتهِ يحلق في سماء سورية ومصر والعراق وغيرها من الاقطار العربية فاتسع نطاق ذكرهِ وشجت اعراق شهرتهِ وعلت منزلتهُ بين العلماء والشعراء وارتفع شأنهُ عند طلاَّب المعارف والآداب فاقبلوا عليهِ من كل حدب وصوب يستضيئون بنبراس علمهِ الزاهر ويغترفون من بحر ادبهِ الزاخر حتى اصبح بيتهُ في رأس بيروت منارة ادب وعرفان وكعبة علم يحج اليها العلماء والمتعلمون من كل مكان وناديًا ادبيًا حافلاً بافذاذ النشأة واخوان النهضة على اختلاف النحل والملل

وما انس لا انس تلك الليالي السارة التي انقضت في ذلك البيت الكريم وكان سمارها نخبة علماء بيروت وشعرائها وادبائها فكم انعقد لهم فيها من حفلات الانس والطرب ومجالس العلم والادب . وكم شهدوا ثمَّ من مطارحات علمية ومساجلات شعرية تخللها ما شاؤوا من المفاكهات والمطايبات . وفي كل منها كان شيخنا المأسوف عليهِ واسطة عقد الحضور وقطب دائرة الجلوس يهش بوجوه زائريهِ ويبش ويشنف آذان سامعيهِ بالملح المستطرفة واللطائف المستظرفة ويتحفهم بالفوائد العلمية واللغوية وينشدهم من شعرهِ القديم ما يزري بالدر المنظوم ويبادهم من مرتجلاتهِ بما هو اشهى من الرحيق المختوم

وفي سنة ١٨٨٠ اعاد المرسلون الاميركيون في بيروت اصدار جريدتهم المعروفة

بالنشرة الاسبوعية وولوا فقيدنا رئاسة كتابتها وناطوا بهِ علاوة على ذلك ترجمة وتصحيح الكتب الدينية والادبية التي كانت تطبع في مطبعتهم · وظل الى قبيل وفاتهِ قائماً بهذه الاعمال كلها وبغيرها من الاعمال الاخرى التي لم يكن للمرسلين الاميركيين علاقة بها كالتعليم والتأليف ونظم الشعر والقاء الخطب وغير ذلك

ولهُ على الخصوص في مجلدات النشرة الاسبوعية التي صدرت في هذه السنين الطويلة ما لا يحصى من المقالات والقصائد والخطب التي تشهد لهُ بطول الباع وسعة الاطلاع وغزارة المادة وتوقد الذهن وذكاء القريحة وسرعة الخاطر وقوة الحجة والتبريز في حلبة النظم والنثر

وكان رحمهُ الله من اكبر الثقات في اللغة العربية متبحراً في فنونها ومتعمقاً في آدابها ومتضلعاً من فلسفة الفاظها ومعانيها ومتفرداً باستيعاء قيودها وضوابطها واستيعاب شواردها ونوادرها · ولهُ في ذلك مباحث جليلة ومقالات ممتعة تدل على علو كعبهِ وشدة نبوغهِ وتفوقهِ · وكان في مقدمة الساعين في ترقية لغة الكتب والصحف واصلاحها والنهوض باساليبها وتعابيرها من حضيض الابتذال والضعف والركاكة الى يفاع الصون والصحة والمتانة

ومما يريك شدة عنايتهِ بهذه الامور انك تطالع كل ما خطهُ يراعهُ شعراً ونثراً فتراهُ حافلاً بالتراكيب البليغة والالفاظ الفصيحة الصحيحة التي لا يمكن العثور في كتب اللغة على ما يكون اوفى منها بتأدية المعنى الذي ارادهُ · ولهُ الفاظ كثيرة وضعها لمعانٍ جديدة ومسميات مستحدثة فاخذها عنهُ الكتاب والشعراء

ومن مصنفاتهِ في آخر حياتهِ كتاب مطول في علم المنطق جمع فيهِ بين ما وضعهُ مناطقة العرب ومناطقة الافرنج فجاء احدث وانفس ما أُلّف في هذا الفن

وجملة القول ان فقيدنا بل فقيد الشرق كان نابغة دهرهِ ونسيج وحدهِ ومن اكبر شعراء عصرهِ وفي طليعة جهابذة اللغة العربية البارعين في العلوم الرياضية

وكان فكهاً طروباً حلو الحديث رقيق الجانب لين العريكة حسن المحاضرة لطيف المعاشرة · رحمهُ الله عداد حسناتهِ وعزى نجليهِ الكريمين وكريمتهُ المصونة وسائر آلهِ وذوي قرباهُ

مصر اسعد داغر

[المقتطف] سننشر خلاصة من آثار الفقيد العلمية والادبية تدلُّ على منزلتهِ الرفيعة بين الشعراء والمنشئين وارباب الحجى وما لهُ من الفضل على تلامذتهِ ومريديهِ

السبيرتسم وعلاقتهُ بالجنون

المقالة الثانية

بحثنا فيما سبق في ظواهر السبيرتسم وتأثيرها في اصحاب الانحراف العصبي والاستعداد الوراثي ووعدنا ان نبحث في هذه المقالة في علاقة السبيرتسم بالجنون. وبما ان المسئلة خطيرة واهميتها كبيرة من الوجهتين العلمية والاجتماعية فكل ما نقررهُ هنا يُسند الى العلماء الاختصاصيين بالامراض العصبية الذين انصرفوا الى درس هذا الموضوع درساً خاصاً واخصهم الدكتور مارسل ڤيولت ونضرب صفحاً عن المشاهدات الشخصية التي تسنى لنا ويتسنى لكل طبيب ان يشاهدها في ممارستهِ فيقوم البرهان على دعامة من العلم ثابتة يصعب نقضها

كثيراً ما يتخذ الهذيان في ذوي الاختلال العصبي او المجانين حالة سبيرتية بدون ان يكون منشأهُ السبيرتسم وبدون ان يحضر المريض جلسة من جلساتهِ او يعرف شيئاً عنهُ وهذا ما يسميهِ علماء الامراض العصبية بالمرض السبيرتي او بالجنون السبيرتي وهو يشبه بظواهرهِ الهذيان الذي ينشأ من السبيرتسم مباشرةً بحيث يصح ان يطلق عليهِ اسم جنون الوسيط وبعبارة اخرى ان الجنون السبيرتي وجنون الوسيط اسمان مترادفان لمرض واحد

يقسم الجنون السبيرتي الى ثلاثة اقسام وهي مرض الوسيط والجنون والسويداء ولكل منها اعراض وصفات خاصة يمتاز بها كما تمتاز الامراض العمومية بعضها عن بعض

(١) مرض الوسيط — اذا اخذنا مرضاً عمومياً كالحمى التيفوئدية رأينا انها تحصل من وجود مكروب خصوصي في الجسم يفرز سماً خصوصياً ويحدث عللاً خصوصية على سطح الامعاء الاّ ان اعراضها تختلف باختلاف قوة المصاب وبنيتهِ وسنهِ وعاداتهِ ونوع معيشتهِ واستعدادهِ فيشفى البعض ويموت البعض الآخر مع ان السبب واحد والعلاج واحد

ومثلها الامراض الدماغية فان لها اعراضاً خصوصية في بداءتها وسيرها ونهايتها ولكنها تختلف باختلاف مزاج المصاب وطبعهِ وميلهِ واعتقادهِ وعلمهِ وسعة عقلهِ فيكتسب الهذيان فيها صبغة خصوصية تدل على بعض ذلك او كلهِ فاذا كان الاضطهاد مثلاً صبغة لهذيان المريض عزاهُ الكاثوليكي الى الشيطان والجاحد الى الجزويت والمدني المطمئن الى اعدائهِ. وقس عليهِ ولهذا يقول الدكتور مارسل ڤيولت انهُ لا يوجد جنون سبيرتي محض بل جنون ذو صبغة سبيرتية وقد قسمهُ الى قسمين الاول الجنون الذي يظهر في ذوي الاستعداد الوراثي فتظهر فيهم نوب الهذيان بعد اشتغالهم بالسبيرتسم او بعد ترددهم الى جلساتهِ والثاني

الجنون الذي لا يتولد من السبيرتسم راساً بل يكتسب منهُ الصبغة السبيرتية . اما الاول فمن انواعهِ ما يكون الهذيان فيهِ متقطعاً وقابلاً للشفاء ومنها ما يكون نتيجة علل دماغية غير قابلة الشفاء وفي كلا الحالين تبقى اعضاء الجسم سليمة لا تصل اليها الانحرافات الدماغية ولا يخشى منها على حياة المصاب الاَّ ما كان من قبيل الانتحار و يرجع ما بينها من الفوارق الى نمو العقل فيكون الهذيان في البعض مشوشاً وفي البعض الآخر منظماً او مبرقعاً بظواهر منطقية معقولة والى الاميال الشخصية فيكون بعضهم شديد الحزن والكآبة والبعض الآخر متكبراً كثير الادعاء والخيلاء والبعض سريع التأثر والانفعال

قلنا فيما سبق ان حالة السبيريتي تشبه الحالة في الاختلاط الذهني و بيَّنا صلة القربى ورابطة الاتصال بينها ونقول الآن ان الاختلاط الذهني قد يتولَّد في البعض بدون ان يرافقهُ الهذيان فيدرك المصاب انهُ في حالة غير طبيعية و يستطيع الحكم بان ما يشعر بهِ هو شعور كاذب فلا يعلق عليهِ اهمية . وهذا اخف انواع الاختلاطات الذهنية وهو نادر لان كل اختلاط ذهني اذا تكرر حدوثهُ آل الى الهذيان اذ يضطرب بال المصاب بهِ و يفقد راحتهُ و يوجس على صحتهِ ولاسيما على سلامة عقلهِ فيقول بنفسهِ ولذويهِ انهُ على ابواب الجنون او لا بد من ان يجن لان الاصوات الوهمية التي يسمعها لا يمكن ان تصدر من دماغ سليم . وهو مصيب في ذلك لان ملابسة هذا الانحراف الذي يتكرر بتكرار سببهِ تسبب لهُ كدراً تمازجهُ افكار وتصورات سوداوية و يؤُول الى هذيان سوداوي حقيقي يساعد على ذلك الحالة العمومية التي تسوء كثيراً من الارق وفقد شهية الطعام فتنحط القوة و يضعف الجسم ومن ثم يضعف العقل فتضعف قوتهُ على مقاومة الهذيان

قلنا ان هذا النوع نادر والغالب ان يجهل المصاب حالتهُ الاختلاطية وان يبقى معتقداً بسلامة عقلهِ وبصحة ما يجول في ذهنهِ من الالفاظ لان الاختلاط الذهني يظهر فيهِ فجأَة و يبدأُ غالباً بحاسة السمع وهذا هو الاختلاط الذهني السبيريتي بمبناهُ ومعناهُ فيبتدئُ من اول يوم من اصابتهِ يسمع اصواتاً تشبه اصوات القرع الخاص بظهور الارواح ويسمعها صادرة من اثاث البيت او من جدار الغرفة ثم يأخذ بتفهم معناها فيستعمل واسطة السبيريتيين المألوفة اي التهجئة ويحسب ذلك وحياً هبط عليهِ وموهبة خصوصية تؤَهلهُ لان يكون وسيطاً لان الارواح صارت تخاطبهُ بلغتها فيسر اولاً بهذه الموهبة و يوجه كل ذهنهِ واهتمامهِ اليها للتمكُّن منها والوصول الى امور جديدة عنها . ومن الطبيعي ان هذا الاهتمام الزائد يؤَدي الى نمو الاختلاط الذهني السمعي بسرعة فلا يطول الوقت حتى يصير يسمع

اصواتاً حقيقية ولكنها لا تلبث طويلاً حتى تصبح مكدرة ومزعجة لانها تكون على الغالب اصوات اهانة وتهديد تكدرهُ وتغيظهُ او اصوات شتائم وبذاءة تمس شرفهُ وبعد مرور مدة على هذه الحالة يأخذ يردُّ عليها فتزداد وضوحاً وتصبح الكلمات المتقطعة جملاً بحيث يقع حديث طويل عريض بينهُ وبينها وكثيراً ما يقع ذلك ليلاً فينتج منهُ ارق متواتر ومزعج ينهك المصاب ويضنيهِ. ومتى بلغ هذه الدرجة يكون قد رسخ الهذيان فيهِ فتتغير اطوارهُ ويستولي عليهِ الجزع لاعتقادهِ ان عدواً يطاردهُ فيقيم في بيتهِ وسائل الدفاع عن نفسهِ فيقفل الابواب والشبابيك والنوافذ ويسدّ اذنيهِ بالشمع ويغطيها بغطاء من الرصاص ويحاول المقاومة ما استطاع اليها سبيلاً لصدّ مضطهديهِ فيفشل

ثم يتسرب الهذيان شيئاً فشيئاً الى حياتهِ الخاصة فيستولي على افكارهِ ويتسلط على اعمالهِ ويوجب عليهِ الاذعان الى ما يأمرهُ بهِ يذكرهُ بماضيهِ ويفضح اسرارهُ ويقبح اعمالهُ فيصبح تحت تأثير الانفعال الدائم ويزيد وسائل الدفاع ويجاوب تارةً على الشتائم والهزء والتهديد بمثلها ويحاول اخرى ان يتصالح مع مضطهديهِ فيسترضيهم بالرجاء والاستعطاف ويعترف لهم بخطاياهُ ويعدهم بالندامة على كل سيئاتهِ الماضية فيخيب سعياً لان الاصوات تجاوب على التملق بالشتيمة وعلى الاستعطاف بالتهديد وعلى الوعد بالاستخفاف فيتميز غيظاً ويغضب ويبتدئ يتلفظ الفاظاً سمجة وبذيئة لم يعتد التلفظ بها في حالتهِ السابقة

ومتى بلغ المصاب هذه الدرجة لا يندران تشترك المراكز الحسية الاخرى في العمل الانفعالي الدال على زيادة الخلل الدماغي وتقدمهِ. اما هذيان الحس البصري فنادر واما الذوقي والشمي وهذيان الحس العام فكثيرة الحدوث فيشمُّ المصاب الروائح الكريهة ويستنكر طعم المآكل ويعتقد انها مسمومة ويشعر بمجارٍ كهربائية على جسمهِ تلذعهُ وتعذبهُ. فيقول ان كل ذلك من عمل الارواح التي تتعمد اذاهُ فيحاول الدفاع عن نفسهِ منها بحرق الطيوب ونشر بخار العطور في غرفتهِ وغسل اللحوم قبل اكلها ورفض كل طعام لم يطهرهُ بنفسهِ والتحوط بالقطن والاسلحة

ثم يتحول من الدفاع الى الهجوم كما حصل في حادثة حرق فيها المصاب بيتهُ بما فيهِ من الخدم لكي تحترق معهم الارواح التي تضطهدهُ وهي حادثة مشهورة وليست الوحيدة في بابها وحصول مثلها ليس بنادر. وكثيراً ما يتخذ للدفاع طرقاً مستهجنة ومنها ان يحرق كبريتاً في غرفتهِ وان يبقى مقيماً فيها معرضاً للاختناق لكي يزعج الارواح التي تضطهدهُ او ان يعذب جسمهُ عذاباً مبرحاً لكي يوصل الالم الى الروح التي تسكن فيهِ وتتسلط عليهِ

ان النفور من هذه الحياة المعذبة يدفع المريض الى اعمال اقبح مما ذكر لانهُ بعد ان

يقنط من عجزهِ عن مقاومة الارواح يتحول الى القاء التهمة على من يعاشرهم من اهلهِ وخدمهِ وجيرانهِ وعلى الحكومة التي تتساهل وتغض الطرف عن اعمال المعتدين والبوليس الذي لا يدافع عن الناس الاخيار والطبيب الذي لا يداوي والوسيط الذي يشجع الارواح الشريرة و يوجهها ضدهُ . وقد يتجاوز من الاتهام الى القتل فيقتل جارهُ بتهمة انهُ يؤجر بيتهُ للارواح الشريرة وقد يقتل عابر سبيل اوشخصاً لا يعرفهُ ولا علاقة لهُ بهِ بدون تعمد سابق لان صوتاً اوحى اليهِ ان لذلك الشخص اشتراكاً مع الارواح (انظر حادثة العالم الجاني في الجزء الماضي)

ومع ذلك فقد يدخل في عمل الاختلاط الذهني بعض الحلو على مرارة العيش وتحول الاصوات من الشتيمة والاهانة والتهديد الى التنشيط والتعزية والملاطفة اي يعتقد ان ارواحاً صالحة اتتهُ كما اتتهُ قبلاً الارواح الشريرة فيصير يرى صوراً جميلة وروحانية يخيل اليهِ انها مرسلة اليهِ من السماء وهي على الغالب لا تكلمهُ الاَّ ان انظارها وحركاتها معزية ومشجعة وظهورها يملأ صدرهُ حبوراً وقلبهُ عزاء وهي بالحقيقة تدل على اشتداد الخلل الدماغي

لا تصل تلك الحياة التعيسة الى هذه الحالة الاَّ والقوى العقلية ضعفت وانحطت واصبح المريض آلة لا عقل لها لان الروح اذا اوحت اليهِ انهُ وسيط او ذو مواهب سامية او انبأتهُ بمستقبل باهر مال بكليتهِ الى تصديقها واذا اوحت اليهِ عكس ذلك انكر عليها وكذبها لانهُ يميل طبعاً الى تصديق ما يسرهُ ويرضيهِ اكثر من تصديق مايكدرهُ ويغيظهُ فضلاً عن انهُ يعتقد ان اهتمام الارواح بمعاكستهِ دليل على اهميتهِ وعظمتهِ وان اهتمامها لا يبلغ هذا الحد لمعاكسة من لا اهمية لهُ وهكذا ترسخ افكار العظمة فيهِ شيئاً فشيئاً وتنتهي بعد طول المدة بمحو تصورات الاضطهاد

ظهر مما تقدم ان مصدر الهذيان الذي يزعج المصاب ويكدر عيشهُ هو خارجي اي ان المصاب يسمع الاصوات صادرة اليهِ من شخص آخر خارج عنهُ وهذا ما يسمونهُ بمرض الوسيط الخارجي . على ان من الاختلاطات الذهنية ما تبدأ ظواهرهُ في المصاب نفسهِ فتكون باطنية اي انهُ يسمع كلام الشتم والاهانة من دماغهِ او من الروح الذي يلابسهُ ويطلق على هذا النوع اسم مرض الوسيط الداخلي وهو من هذا القبيل يشبه حالة المسكون من ابليس في الاعصر القديمة . وهذه هي الملابسة الدالة على ازدواج الشخصية الباطني وهي الدرجة الاولى من سلمها وقد يقف المريض عندها او يتدرج منها الى ان يبلغ احط درجة من الانحطاط العقلي ولا يندر ان يبلغ هذه الدرجة دفعة واحدة

تبدأ ظواهر الملابسة بالاستهواء الباطني وهي تختلف عما سبق بان الكلام لا يصاغ في

رأس المريض واذنهُ لا تسمعهُ بل يطرأ عليهِ فكر سيئ بوجوب القيام بعمل منكر فيطردهُ اولاً لانهُ ليس من امياله وعاداته ويرى ان هذا ليس فكرهُ بل فكر الارواح التي تحاول ان تثلم صيتهُ وتدنس شرفهُ وتبعثهُ الى السجن او تقودهُ الى المشنقة وانهُ سعيد الطالع وحسن الحظ لتمكنهِ من مقاومة هذا الفكر السيّئ وعدم ارتكاب الفعل القبيح الذي يوعز بهِ

ويشتد الاستهواء الباطني في بعض المصابين حتى تصعب مقاومتهُ او تستحيل فيغضب المصاب اولاً لانهُ يستطيع ان يقدر ما ينتج عنهُ من العواقب السيئة الاَّ انهُ لا يستطيع الى المقاومة سبيلاً فيظهر فيهِ عندئذٍ اضطراب يتفاقم شيئاً فشيئاً كلما تأخر عن اجراء العمل الذي استهواهُ ويشعر كأن طوقاً من حديد يطوّق رأسهُ وتظلم عيناهُ ويخفق قلبهُ ويضيق صدرهُ ويحس بضغط على عنقهِ يكاد يخنقهُ وقد يبلغ اضطراب المصاب من هذه الاعراض درجة تضمحل معها كل قوة على المقاومة فيندفع الى اجراء العمل الذي استهواهُ ويشعر بالراحة بعد اجرائهِ . ولهذا الاستهواء درجات كثيرة يختلف العمل باختلاف تقدمها من الملابسة البسيطة التي تبدأ بالتفوه بالكلام السمج الى عمل الاعمال المنافية للادب الى ارتكاب السرقات والحرائق والقتل حتى الى ارتكاب الاعمال التي فيها خطر على حياة المريض نفسهِ وفيها كلها يحاول المقاومة اولاً فيعقبها الضيق المزعج في الجسم والعقل فارتكاب الجرم فالراحة بعد ارتكابهِ . ولا يخفى ان هذه الظواهر لملابسة الارواح هي نفس الظواهر التي تظهر في الذين كان يقال انهم مسكونون

واذا تقدم المرض درجة اخرى عما ذُكر ظهر الاختلال الذي يسمونهُ الاختلاط الدماغي المحرك للكلام فيشعر المريض بان كلاماً يُفاهُ بهِ في باطنهِ بدون ان يسمعهُ وهو على الغالب كلام سفاهة وشتائم وتوبيخ واهانة ومشورات رديئة واوامر بعمل الشر او بالتلفظ بالفاظ بذيئة . ويحسّ بذلك في انحاء شتّى من جسمهِ في رأسهِ وصدرهِ ومعدتهِ وبطنهِ وقد شاهد الدكتور مارسل ڤيوات مريضاً بترت رجلهِ فكان يحس بها في قرمة البتر . وقد يقف الكلام في الحلق فيكون وقوفهُ صلة بين هذا النوع من الاختلاط الذهني وبين الاختلاط الذهني المحرك للكلام لان وقوف الصوت في الحلق ينبه الشفتين الى الحركة او الى التكلم فتتحرك شفتا المريض بدون تلفظ او يتلفظ الفاظاً واضحة احياناً وغير مفهومة احياناً اخرى وبصوت منخفض احياناً وعالٍ احياناً اخرى وكل ذلك تابع لدرجة ازدواج الشخصية وليس للارادة سلطة عليها . وقد يفهم المريض ما يريد ان يقول وقد لا يفهمهُ الاَّ بعد ان يتلفظ بهِ ويسمعهُ واذا تكلم بصوت عالٍ ومسموع كان صوتهُ أبحّ او اعلى من المعتاد والمألوف بحيث يخيل

عند محاورتهِ على الكلام الذي تخاطبهُ بهِ الارواح ان المخاطبة جارية بين اثنين مختلفي الصوت

وفي هذه الدرجة يرسخ الاعتقاد في المريض بملابسة الروح لهُ فيدعي ان الروح تسكن فيهِ او تقاسمهُ جسمهُ فيتكون منهما كائن مزدوج يتحرك قسماهُ بارادتين مختلفتين و ينازع احدهما الآخر نزاعاً شديداً

ومن اعراض هذا النوع من الاختلاط الذهني خلا ما ذكر الكتابة الانفعالية وهي ان يكتب المريض كتابة لادخل للارادة فيها و يكتب كلاماً يجهل ما هو حتى يقرأهُ مخطوطاً على الورق . وبما ان الاضطهاد صفة ملازمة للاختلاط الذهني فما يكتبهُ يكون دائماً مكدراً لانهُ كلام اهانة وشتم وتوبيخ ونبوءات بالشقاء او بما يثلم صيتهُ و يهين شرفهُ و يجعلهُ مكروهاً من الناس او ابله او مجنوناً . ومن المرضى من يرسم رسوماً لا قيمة لها الأ بمقدار مهارة المريض السابقة وهي تسوءُ كما تسوءُ الكتابة لانها تدل على سفاهة وسوء ادب وتحط من مقامهِ وشرفهِ . ولا ريب ان اليد التي تجرّ القلم للكتابة او الرسم تعمل هنا العمل الذاتي الانفعالي وتنقل عن فيكتور هيجو كتابة فيها غلط هجائي وعن رافائيل رسماً لا قيمة لهُ وقد رأينا فيما سبق ان الكتابة الانفعالية واسطة الاتصال بالارواح التي يستعملها الوسيط الذي لهُ خاصة الكتابة السبيرتية فيستحيل ان تفصل هذه الظاهرة عن مثلها في المصابين بالاختلاط الذهني ورأينا ايضاً انها تظهر في المستعدين لها بعد ان يحضروا جلسات السبيرتسم وان السبيرتسم سبب مهيئ لها

وفي الدرجة الاخيرة من سلم الاختلاطات الذهنية تجتمع في المصاب الواحد كل تلك الظواهر فتتغير سحنتهُ وتتغير ملامحهُ و يكتب بيدهِ ويتمتم بشفتيهِ ويتكلم بلسانهِ و يرتكب الجرائم . هذه هي درجة الملابسة التامة التي تعمل فيها هذه الاعمال بدون ان يكون للمريض ارادة فيها او قوة على ردعها واما اذا كان لا يزال فيهِ بقية من العقل فانهُ يشكو من هذه الحالة و يظهر يأسهُ الشديد منها واما اذا كان ازدواج الشخصية فيهِ تاماً وخسر كل رقابة العقل على اعمالهِ فيظهر فيهِ هذيان العظمة لان الروح التي توحي افكارها بواسطة الدماغ وتجري اعمالها بواسطة العضلات تمحو الشخص القديم ولا تبقي منهُ سوى ذكرى طفيفة

وقد رأينا فيما مرَّ كيفية ظهور الروح المعزية وهي كذلك هنا لان المريض يرى ارواحاً صالحة جاءت لتعزيهُ بمقاومتها الارواح الشريرة التي تضطهدهُ وهي تقوم بعملها على طرق مختلفة كالتكلم بفم المريض او الكتابة بيدهِ او المفاوضة بالسمع والبصر ولكنها لا تسير في عملها على قاعدة مطردة فقد تجاوب بالفم على ما تقولهُ الارواح الشريرة بالاذن او بالكتابة على ما تتلفظ بهِ بالفم او بصوت مخفض على ما تقولهُ بصوت عالٍ وقس عليهِ اي ان

الظواهر المرضية لا قياس لها لانها تابعة لحالة الاختلاطات وسير العلل الدماغية

(٢) الجنون — هو اختلاط ذهني يختلف عن السابق بانهُ لا يزعج المريض و يكدره بل يفرحهُ و يسرهُ اذ ليس فيهِ شتائم واهانات وتهديد وتوبيخ كما في ذاك وتظهر اعراضهُ في المصاب بالكلام الدال على العظمة والحماسة والاعجاب والكبرياء والنصيحة والارشاد الى غير ذلك من وسائل التعزية التي تعزي الارواح بها الوسطاء وهي تظهر في المجنون في كل اعضاء الحس فيرى الرؤى الجيلة والمسرة و يشم الروائح الذكية ويسمع الاصوات المشجعة ولهذا يكون هذيانهُ هذيان رضىً واستحسان ثم يتحول بعد مدة الى هذيان العظمة والادعاء بالنبوءة والالوهية · ولمنطقة هذه التصورات علاقة بعقل المريض فاذا كان ضعيفاً كان الهذيان ضيق النطاق وزريًا وعديم الثبات وكثير التناقض · واما اذا كان ذكيًا ولا سيما اذا صقلهُ العلم فيكون كبيراً في مجموعهِ ومنطقيًا ومنظماً لا ينقصهُ الاَّ اصلهُ الوهمي وفساد المقدمات التي يستند اليها والغلو في النتائج التي يطلب الوصول اليها والتشبث بصحة اعتقادهِ الذي لا يقبل فيهِ بحثاً او جدلاً

اما هذيان الرضى والاستحسان فقليل ونادر وهو من خصائص العقول الصغيرة التي لا تستطيع ابتداع التصورات العالية و يظهر في الامراض الدماغية التي تضعف فيها القوى العقلية كالفالج العام فيكتفي المصاب بالموهبة التي لهُ على استحضار الارواح و يعيش جنبًا لجنب مع اختلاطهِ الذهني بدون ان يجد فيهِ داعياً للكبرياء لان مطامعهُ لا تمتد الى ابعد من اميالهِ الخصوصية فيقتصر في حياتهِ القليلة الاهمية على القليل الذي يكفي لارضاء ميلهِ وغريزتهِ و يقف هذيانهُ عند حد الرضى و يخلو من مزاعم النبوءة او الوحي فهو بالاجمال انسان انفعالي لا فاعلي

واما هذيان العظمة فيتسع فيهِ نطاق التصور ويزعم المجنون ان موهبة الوسيط لا تعطي الاَّ للذين ينعم عليهم بها من السماء اما لاهليتهم او لشرف محتدهم ويزعم انهُ على ذكاء يفوق الحد او انهُ من ذرية نبيلة يرجع اصلها الى عنصر الهي او ان يداً اثيمة سرقتهُ من اهلهِ ووضعتهُ في مركزهِ الحالي الزري· او ان قوة فيهِ فوق الطبيعة يعرف بها مستقبل البشر وطبائعهم او انهُ اهل لان يحكم امةً ويسوس مملكةً الخ

والاختلاط الذهني هنا هو ابن التصور لذلك يكتسب الهذيان فيهِ رونقاً يدل على ان رغائب المصاب واميالهُ ومطامعهُ تفرغ في قالب من التعقل وتدل احاديثهُ على الاهمية التي يعلقها على شخصيتهِ ويتخذ هيئة تناسب مقامهُ العالي ويتقدم للامتحانات والمسابقات ويكثر الاحتفاء بالناس بغية الاعلان عن نفسهِ واستمالتهم في الانتخابات

لاسترجاع مقامهِ السامي او بؤسس في الصحاري القاصية امارات وممالك وهمية والمطالب في جنون العظمة تشمل الارضيات والسماويات فاذا استهوى المريض اهليتهُ وشرف ولادتهِ طلب التبسط في خيرات الارض ورغب في تأسيس مملكتهِ في هذا العالم· واما اذا خالطهُ شعور باطني ظهر فيهِ الميل الى ادعاء النبوَّة والالوهية· واصحاب هذا الهذيان يكونون غالباً اصحاب تشاؤُم واوهام يشغلهم دائماً الاهتمام بازالة كل ما يجري على الارض من الشرور وتختلف فيهم منازع الارواح بين دينية وفلسفية واجتماعية وسياسية ويقوى فيهم الميل الى الكلام والخطابة ولا يخلو كلامهم من مسحة من التعقل والرزانة

والسبيرتسم ليس الاَّ شعوراً باطنيًّا فاذا قاد مثل هؤُلاء الى الجنون رقوا سلمهُ بسرعةٍ لان الاختلاط الذهني يساعد على ذلك واقاموا دعوتهم الجديدة على دعامة من التعاليم السبيرتية وشرعوا فيها بالتوبيخ والانذار وزعموا انهم رسل لاصلاح المجتمع والسياسة والادب· ويدعي المجنون اولاً انهُ مرسل من الله ثم يدعي انهُ هو الله بالذات واذ ذاك يكون ازدواج الشخصية فيهِ قد بلغ حدهُ الاقصى واصبح الاختلاط الذهني عامًّا والملابسة تامة ولم يبقَ في المريض تعقل يستطيع معهُ ان يعرف من هو او ما يصدر منهُ وينسى شخصيتهُ السابقة الحقيقية ولا يذكر منها الاَّ ما قل وندر · ومنهم من يتخذ هيئة الجلالة والعظمة فيرقد في سريرهِ بدون طعام ما لم يجبر عليهِ ويقضي حاجتهُ الطبيعية في الفراش لانهُ يفقد ارادتهُ بما يكون فيهِ من الذهول · ومنهم من يذكر ان لهُ جسمًا فيقضي حاجتهُ انفعاليًّا بدون ان يفيق من ذهولهِ الالهي ويتجرد من تصوراتهِ البعيدة والعميقة · فهؤُلاء الخرس الذين لا يتكلمون ويصعب استصدار الكلام منهم هم كالمجاذيب الذين لا عقل لهم ولا يمتازون عنهم الاَّ بهدوئهم وشكل سحنتهم الدالَّين على انشغافهم وانشغالهم بالتصورات السامية والواسعة والبعيدة المدى

وهذا الهذيان على انواعهِ يرتبط ارتباطاً متيناً بالاختلاطات الذهنية الحسية والمحركة· ينمو تدريجًا وينتقل من نوع الى آخر وتختلف ظواهر كل نوع باختلاف الروابط التي تربطهُ بالدماغ وطبيعة الاختلاط ومدارك المريض السابقة · فذو المطامع العالمية قد يدعي الالوهية بعد مرور مدة على هذيانهِ وجنون الوسيط هو الحد الاقصى لمرضهِ

(٣) السويداء — يندمج في هذا الصف فريق من المصابين يبدو على سحنتهم دائمًا الحزن والكآبة وهم جبناء ذوو خوف وخجل ووسواس ضعيفو الارادة · يندمون على كل عمل يعملونهُ ويخشون من سوء عاقبتهِ واذا كانوا متدينين حاذروا ارتكاب اية خطيَّة عاقبتها

الملاك يحتاجون على الدوام الى النصيحة والارشاد والنصيحة الاخيرة تزيل تأثير ما قبلها . يحاشون المعاشرة و يطلبون العزلة و يجتنبون الكلام و يؤثرون الصمت . ومع ذلك يخافون من التقاعد عن العمل لئلاً يكون سيئ العاقبة عليهِ. ومن عدم اتباعهم النصيحة كالواجب ومن سوء عاقبة العزلة والصمت و بهذا التردد والتذبذب تكون حياتهم حياة اضطراب وانزعاج

ومن كانت هذه حياتهُ ظهرت اعراض الاختلاط الذهني فيهِ بالتقريع والتوبيخ وعقبها هذيان سوداوي مؤلف من تصورات محزنة كالتصور بالخراب والاضطهاد وخسارة الشرف وارتكاب الجرائم الوهمية يخاف احدهم من شيء لا يعرف ما هو ويخشى ان يموت في السجن يحيط بهِ الجلادون . واذا راجع تاريخ حياتهِ السابقة وجد فيها ذنوباً لا تغتفر استوجبت عذابهُ الاليم وقضت بهلاكهِ منها انهُ قصر بواجباتهِ نحو والديهِ وكان سبباً لخرابهما وموتهما او اغاظ الله وعمل اعمالاً شائنة واستحق الجحيم

يختلف الهذيان السوداوي عن هذيان الاضطهاد انهُ في هذا ينسب المريض العذاب الى العالم الخارجي و يلقي اللوم على شخص آخر وفي ذلك ينسبهُ الى نفسهِ ولا يلوم الأ نفسهُ وفيهِ تطاردهُ الارواح لكي تقاصهُ على ذنوبهِ وسيئاتهِ وهو لا ينكر عليها الحق بهذه المطاردة و يعترف بانهُ يستحق توبيخها وتهديدها . والرؤى وان كانت فيهِ نادرة الأ انها مخيفة ومزعجة وهي رؤى رمم اناس ماتوا بسببهِ او رؤى ارواح مهددة . وكل رائحة في انفهِ كريهة ونتنة

ومن اعراضهِ المستهجنة اعتقاد المريض بان الروح التي تلابسهُ قد نزعت منهُ احشاءهُ وان لا رئة لهُ ولا قلب ولا معدة ولا دماغ وان تلك الروح تجرهُ بدون شك الى الهلاك

الحزن بادٍ على السحنة والهيئة ذليلة والعين كاسفة والجفون متهدلة والجبهة مجعدة والملامح ساكنة والشفة السفلى متدلية والشعر منثور والثياب وسخة والمريض جامد لا يتحرك مكتوف اليدين او راكع او ساجد مجهود المنعطف والمسترح او عاري البدن ومعرض للبرد القارس اقتصاصاً من نفسهِ

تلك حالة السوداوي التعيس وهو اكثر تعاسة من المجنون وكثيراً ما يحاول الانتحار تخلصاً من تأنيب ضميرهِ الشديد المتواتر واذا كان محجوراً عليهِ في مستشفى حاول الانتحار جوعاً برفض كل طعام يقدم لهُ

وفي المقالة التالية التي نجعلها خاتمة البحث في هذا الموضوع سنورد بعض المشاهدات الطبية التي تؤيد كل ما سبق بيانهُ وتدل دلالة واضحة على علاقة السبيرتسم بالجنون

الدكتور امين ابو خاطر

علم الانسان

(٢) البيئة

البيئة هي ما سماهُ بعض الكتاب العصريين الوسط او المحيط · ويراد بها في بحثنا هذا البقعة التي ينزلها الانسان من هذه الارض بما يحيط بها من الناس واحوال الاقليم من حرّ وبرد وجفاف ورطوبة وما حاكى هذه الظواهر الطبيعية

عند ولادة الطفل يكون قد مضى عليهِ تسعة اشهر معرَّضاً لعوامل البيئة التي هو فيها اي بطن امهِ · ثم ان جنسهُ تعيَّن منذ حُبل بهِ وقابليتهُ للانطباع او الانفعال بالعوامل الخارجية تسهل عليهِ الانفعال بالبيئة التي كان فيها قبل ولادتهِ ولكن ذلك لا يغير جنسهُ · ولذلك كثيراً ما نخطئ في ظننا ان وجود الامهات في بيئات غير صالحة اي بيئات لم تستوف فيها شروط حسن الغذاء والعافية فجاء بها الاولاد ضعافاً والنسل منحطّاً هو سبب انحطاط الجنس · وبقدر ما يصح هذا الظن يُسَرُّ المصلحون الاجتماعيون لان اصلاح النسل بطريقة الانتخاب الصناعي المسماة «يوجنكس» تصير سهلة التناول ضمن حدود محدودة ولو كانت بعيدة التحقيق اجمالاً بسبب جهلنا لشروطها وقواعدها · فان اصلاح البيئة الطبيعية امر لا اسهل منهُ اذا استطعنا اقناع الجمهور بالحاجة اليهِ لنفع جميع الطبقات على السواء فاذا افتخر الرجل المتمدن بانهُ اسمى من سائر طبقات الخلق فانما يكون ذلك بتمكنهِ من الاحتكام في بيئتهِ الطبيعية على الاكثر · ومهما يكن من امر الماضي فلا مشاحة الآن ان البيئة الطبيعية من صنع الانسان كما ان الانسان من صنعها

ولا ينكر لان لاحوالنا المادية باوسع معانيها يداً في تكييف معايشنا · فمن ساعة الحبل بالطفل يذعن لما اصطلحنا على تسميتهِ «بالقيد الجغرافي» · خذ مثلاً لك طفلاً انكليزيّاً ولد في الهند فان هناك عوامل شتّى تعمل معاً لتقرر هل يبقى حيّاً او يموت . وهذه العوامل يمكن ردها الى ثلاثة للاختصار · الاول تربيتهُ الخاصة بقومهِ · والثاني جنسهُ · وقد عرف هذا الجنس بخواص اشهرها زرقة العينين وشهب الشعر وخواص اخرى في تركيب البنية · والثالث عامل الاقليم وجميع ما يتعلق بهِ · اما من جهة العامل الاول فان تربية الطفل الانكليزي تكون على الغالب اعلى من تربية الهندي لانها تكون اكثر انطباقاً على قواعد الصحة · ولكن العاملين الآخرين وهما عاملا الجنس والاقليم عظيما التضادّ والتناقض الى حدّ يقضي بموت الطفل لا محالة اذا لم يرحل عن الهند في بعض ادوار عمرهِ · وربما استطاع انكليز الهند تطبيق معيشتهم

على اقليم البلاد وتعوّد سكناها بعد ان يدفعوا بذلك ثمناً غالياً من نفوس اطفالهم ولكنهم لا يريدون ان يدفعوهُ كما يستدلّ من رغبتهم عن المقام في تلك البلاد باولادهم الى آخر العمر

فما هي اذاً حدود القيد الجغرافي؟ واين تبتدئ دائرة نفوذها واين تنتهي؟ واذا قلنا ان هذا القيد قائم بثلاثة امور وهي المركز والجنس والتربية فهل يغلب احدها الآخرين على طول الزمن؟ وان كان ذلك فايٌّ هو الغالب؟ خذ الانكليز الذين نزلوا الهند والذين نزلوا استراليا مثلاً . فما الفرق بين الاحتلالين على مرور الايام؟ هل يكون احتلال الانكليز للهند حادثاً بسيطاً وقتيًّا واحتلالهم لاستراليا استعماراً دائماً؟ اوخذ سكان ولايات اميركا الجنوبية من بيض وسود وحمر . فهم لا تجمعهم الآن جامعة الأجامعة الاقليم المشترك اما في الجنس والتربية فهم مختلفون كلّ الاختلاف . فما يكون تأثير ذلك فيهم على مرور الزمن

ان البحث في هذا الموضوع من خصائص علم حديث سمّوهُ علم الجغرافية الانثروبولوجية اي علم الانسان من حيث علاقتهُ بالبيئة التي هو فيها او البقعة التي ينزلها من رحاب هذه الارض . ومن اعلام هذا العلم رتسل الالماني وقد عرّف الانسان بقولهِ انهُ قطعة من الارض . وزاد انصارهُ على ذلك انهم بعد ان قسموا الارض الى هواء وماء وقشرة سطحية وكتلة داخلية قالوا ان الانسان هو الجزء الأكثر حركةً ونشاطاً من غلافها الحي

وقال ديمولن الفرنسوي « ان على وجه البسيطة اممًا مختلفة لاحدّ لها فما هو سبب هذا الاختلاف . يقال بوجه عامّ ان السبب هو الجنس . ولكن قولنا هذا لا يفسّر شيئاً ولا يعدّ تعليلاً شافياً لان الجنس ليس علّة بل معلول . اما السبب الاول في اختلاف الاجناس فهو الطريق الذي جازتهُ تلك الامم . فان الطريق هو الذي يولّد الجنس وهذا يولّد الصنف الاجتماعي » .

وكلامهُ هذا وارد في مقدمة كتابهِ المسمّى "Comment la route crée le type social" اي كيف يولّد الطريق الصنف الاجتماعي . ويقول في مكان آخر من المقدمة « ولو اعيدت هذه الارض سيرتها الأُولى من اول وجود الانسان عليها لعاد تاريخ اقوامها كما كان اجمالاً ولجرى في مجاريهِ الكبرى الحالية . وقد يكون هناك مجارٍ صغيرة واختلافات ثانوية في بعض مظاهر العيشة العمومية والثورات السياسية التي تنزلها فوق منزلتها ولكن المجاري او الدروب التي ولّدت اصنافاً او شعوباً معينة تولّد تلك الاصناف او الشعوب عينها اذا تركت وشأنها وتطبعهم بطابع الصفات الجوهرية الاولى عينها »

ومهما قيل في ذلك فلا مناص من ان نحسب حساب الجنس والأقليم لا تنافس سائر الحيوانات الانسان وتزاحمهُ على سيادة هذه الارض وتبني لانفسها مدنيات تضارع مدنيتهُ

او تفوقها · وبعبارة اخرى لمَ يرعى الناس الماشية ولا ترعى الماشية الناس · والجواب اننا خلائق عاقلة لاننا فُطرنا على ان نكون كذلك

ثم انهُ لا مندوحة لنا ايضاً من ان نحسب حساب التربية وما تبنى عليهِ من الادراك والاختيار · فانهُ لا اسهل في تعليل صيرورة الفرس حيواناً اليفاً وصيرورة قبائل اسيا اقواماً رحلاً من القول انهُ وجد في اسيا سهول واسعة ووجدت الخيل البرية فيها فلم يجد اهل تلك السهول بدّاً من تصييرها اليفة ومن ان يصيروا هم قبائل رحلاً · صحيح ولكن لِمَ لم يحاول الانسان تذليل الفرس البري من اول عهده بهِ وقد كان في طوقهِ ان يذللهُ من قبلُ والسهول سهول والخيل البرية تملأ بساطها · ولِمَ لم يحاول الهندي الاميركي تذليل الجاموس ويعش عيشة القبائل الرحّل وسهول اميركا لا تقلّ عن سهول اسيا رحباً وسعة · ولِمَ لا يستخدم البيض والسود في افريقية الفيل في اعمالهم ويذللونهُ للانتفاع بهِ كما فعل الهنود · أذلك لأن هذه الاعمال غير ميسورة ام لأن الانسان لم يهتدِ الى سبيل عملها

ليتصور الباحث في هذا الفرع من العلوم ان حركة الانسان على هذه الارض اوقفت وانهُ وُكل اليهِ توزيع ما فيها من حرّ ورطوبة وادواء ونبات وحيوان وصناعات واشكال حكومة ومذاهب ولغات وسائر ما هناك · لو فعل لوجد ان كثيراً من الاشياء التي عهد اليهِ في توزيعها تتلاءم كما تتلاءم الآن كانها خلقت لتكون معاً · مثال ذلك ان سكان البقاع المحاذية لخط الاستواء ينقطعون الآن عن العمل في منتصف النهار للقيلولة سواء كان في افريقية او اميركا الجنوبية او اسيا ولكنهم ربما اختلفوا في امور اخرى كاللون مثلاً فانهم كلهم ضاربون الى السواد ولكن سكان اميركا الجنوبية سمر نحاسيون والافريقيين سود حالكون والاسيويين كسكان جزيرة بورنيو صفر · وليس توزع الانسان على وجه الارض سوى مشهد واحد من مشاهد نشوئهِ وارتقائهِ ولكنهُ مشهد عظيم الشان كما يظهر لمن يلقي نظرة اجمالية على الارض ويبحث في اختلاف بقاعها اختلافاً جغرافياً

اشار المؤرخ الانكليزي «بكل» في بعض كتاباتهِ الى «العقل الانساني في العصر الاوربي» · فما هو ذلك العصر واين مكانهُ الطبيعي والجغرافي · وقد قسمهُ بعضهم الى ثلاثة ادوار: الاول الدور النهري اي سكنى ضفاف الانهار · والثاني دور بحر الروم اي سكنى سواحلهِ · والثالث دور الاتلنتيكي الحالي اي سكنى سواحلهِ · اما من جهة الدور الاول فمعلوم ان وادي النيل ووادي الفرات كانا مسرحين لحضارتين زهتا ودامتا مدة طويلة · على ان تينك الحضارتين لم تنشأا عفواً بلا تعب · فانهُ وان كان النهران المذكوران

قد ساعدا الانسان فان الانسان ساعدهما ايضاً باختراع نظامات الري فيهما · واما الدور الثاني فيمتد الى آخر العصور المتوسطة وهو الدور الذي كانت فيهِ سواحل بحر الروم مسرح المدنيات السامية هذا اذا ضربنا صفحاً عن حضارة الهند والصين وبيرو والمكسيك وان تكن حضارة هاتين الاخيرتين دون الحضارات الاخرى شأناً · واما الدور الثالث فيمتد من عهد اكتشاف اميركا الى يومنا هذا وفيهِ انتقلت قاعدة تلك المدنيات السامية من سواحل بحر الروم الى سواحل الاوقيانوس الاتلنتيكي وخصوصاً سواحل الجزر البريطانية

والباحث في تلك الادوار وخصوصاً الدور الثاني وطبيعة ارضهِ وسكانهِ يرى ان ليس من الضرورة ان البقع المتشابهة في طبيعتها تحوي اقواماً متشابهين في خلقهم وعاداتهم وطرائق معيشتهم · وقد يكون ذلك كذلك لو كانت الاحوال الطبيعية واحدة لا تتغير وكان يمكن فصل الاصناف المختلفة من الناس بعضها عن بعض فصلاً تاماً · ولكن الامر ليس كذلك بل ان تاريخ البشر تاريخ امتزاج اصناف الخلق بعضها ببعض الى حد يوجب الحيرة والارتباك · فما هو سبب الامتزاج · من رأي البعض ان سببهُ جغرافي · نعم ان الانسان يمشي الى امام لأن الطبيعة تدفعهُ من ورائهِ ولكن بعض الاحياء تزرح إعياء تلقاء دفع الطبيعة لها وضغطها اياها فتموت · ثم ان في عقل الانسان ذاكرة اجتماعية ذخرت فيها فوائد استفادها في التغلب على بيئة قديمة ليستخدمها في التغلب على بيئة جديدة وبذلك تمكن من ازالة الحدود الطبيعية التي تفصلهُ عن غيره · ولما كان حيواناً شائع الوطن بطبيعة بنيتهِ الموروثة اصبح شائع العادات والاخلاق ايضاً من غير ان يشعر ولكنهُ يشعر بذلك فيما بعد ويطلبهُ لانهُ لا يكتفي بمجرد المعيشة بل يطلب عيشة راضية سائغة · وما يقال عن توزع الناس انفسهم على سطح الكرة يقال ايضاً عن توزع حرفهم وصناعاتهم واعمالهم المختلفة · اي انهُ لو كانت البيئة الطبيعية كل شيء بحسب حسابهُ لكانت الاحوال الواحدة تفضي الى الاعمال الواحدة في كل حال

وخلاصة القول ان الطبيعة الخارجية او البيئة تعين اصنافنا واشكالنا وهيئاتنا ولكن فطرتنا تتغلب على ذلك التعيين تغلباً لا نظير لهُ في سائر انواع الحيوان · لذلك ترى الانسان يحب ويعشق كل يوم على مدار السنة · نعم ان تيار حبهِ يخف ويشتد بتقلب الفصول ولكنهُ ليس عبداً لهذه الفصول · ومثل هذا يقال في مكثهِ ومهاجرتهِ وحلهِ وترحالهِ وسائر حركاتهِ وسكناتهِ · وبعبارة اخرى ان البيئة وهي ما تسمى عادة بالظروف والاحوال والمحيط والوسط تستطيع تغيير ما تحيط بهِ وفي جملتهِ الانسان ولكنها لم تستطع من تلقاء نفسها حتى الآن ان تولد انساناً او حياً آخر من الاحياء

المذنبات ومادة اذنابها

يذكر القراه مذنب هلي الذي ألمّ بجو الارض في ربيع سنة ١٩١٠ زائراً زيارة دامت بضعة اشهر ثم ودّع على ان يزورنا ثانية بعد زمان طويل . على ان الذين رأوهُ منا عند اول ظهورهِ قليلون لانهُ كان يظهر في نحو الساعة الثالثة بعد نصف الليل اي في الهزيع الاخير منهُ حينما يرين الكرى على الاجفان فيستصعب النائم النهوض من سريرهِ الا لامر ما ولو نبههُ منبه . وقد كنا في جملة الذين بذلوا ساعات من نوم الفجر على حلاوتهِ في سبيل رؤية ذلك الضيف . وزادنا شوقاً الى رؤيتهِ علمنا علماً ليس بالظنّ اننا لا نراهُ في زيارتهِ التالية لان الفترة بين زيارة وزيارة نحو سبعين سنة . وكان ظهورهُ على ابينهِ في السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من مايو في تلك السنة حينما كان يدنو مسرعاً من فلك الارض قبل عبورهِ على قرص الشمس

وقد كتب المستر فري احد علماء الفلك الاميركيين مقالة عن تركيب اذناب المذنبات اعتمد فيها على النتائج الجديدة التي استخلصت من ظهور مذنب هلي فلخصناها فيما يلي :

في ١٧ و ١٨ و ١٩ مايو سنة ١٩١٠ كان ذنب مذنب هلي يرى طويلاً مستقيماً وممتداً في الافق الشرقي الى حدود المجرَّة بانحراف . وكيفية حركة الذنب في خلال تلك المدة تهمّ الناظر اليهِ من الارض لانها تبين لنا هل مرَّت الارض فيهِ مخترقة اياهُ عند دنوّ المذنب من فلكها ام لم تخترقهُ . ولا ريب ان الذنب اقترب كثيراً الى الخطّ الموهوم الحادث من تقاطع فلك الارض بفلكهِ ثم جعل يتقهقر بعد ما باتت نواتهُ والشمس في خط واحد بالنسبة الى الارض . اما كون ذنبهِ قد مسّ الارض فيتوقف على طولهِ وقد عرفنا طولهُ بسهولة فقدرهُ الاستاذ برنارد بمبلغ ١٢٠ درجة على القليل . وقدرتهُ انا بمبلغ ١١٥ درجة وفي هذه الحالة يكون بعيداً عن فلك الارض كثيراً . وقدرت عرض الذنب في اوسع موضع فيهِ بخمس درجات في ١٨ مايو . وقدرهُ برنارد في اليوم التالي بعشر درجات . ورأى ما يشبه ان يكون فرعاً ثانياً للذنب واقرب الينا من الفرع الاول ولكنهُ كان ضئيلاً جداً وعرضهُ ٢٠ درجة

ورأى كثيرون من الذين رصدوهُ في انحاء الارض المختلفة هالات ودارات شديدة اللمعان والاشراق حول الشمس او القمر في ١٩ مايو اي عند الاقتران او بعدهُ بقليل . ففي مرصد يركيس شاهد الاستاذ فروست سحباً شديدة اللمعان كثيرة الالوان بين الظهر

والساعة الواحدة بعدهُ وهالة قطرها ٣٠ درجة . وشاهد الاستاذ مكس وولف من مرصد كونجستول بالنمسا شفقاً لامعاً طويل المدة ودارة حول القمر تفوق في وضوحها كل ما شاهدهُ من الدارات قبلاً وقطرها ٥٦ درجة . وقد دلَّ ظهورها على وجود عدد عظيم من الذرات الدقيقة في الهواء مما قطرهُ ١ ½ من الالف من المليمتر او نحو ٦ من ١٠٠ الف من البوصة . ورأى غيرهما الهالة الشمسية المعتادة وقطرها ٤٥ درجة وسبب ظهورها وجود بلورات من الجمد ولكن لا يبعد ان تكون البلورات في هذه الحالة قد تكونت بانعقادها حول ذرات الغبار المعروف بالغبار العالمي . وليست هذه المشاهد شاذة الى حدّ ان يقال ان اسبابها ليست ارضية ولكن ظهورها مصاحباً لظهور المذنب يحمل على القول ان مصدرها خارج جوّ الارض . فاذا صحَّ ذلك فلا شيء يمنع من القول ان بعض النور المنبثق من ذنب المذنب انما هو نور منعكس عن دقائق الغبار الذي يقذف في الاصل من نوى المذنبات بعد ما تحمى بحرارة الشمس في جوّ مفعم بغازات الكربون الى درجة الحرارة البيضاء

وكثيراً ما تشاهد سهام نارية تنبثق من نواة مذنب كبيرة وتنتشر حولها والمرجح انها مؤلفة من الغاز الحامل للغبار . وليس ببعيد ان يكون بعض ذلك الغاز شديد الكهربائية . فاذا كان كذلك فلا يبعد ان يندفع بقوة الكهربائية الى الذنب حيث يستولي عليهِ عامل آخر وهو دفع نور الشمس للذرات الدقيقة وبهذا الدفع يبعث الغبار الى الفضاء . هذا هو مذهبنا في ماهية اذناب المذنبات وسيأتي الكلام على امتحانهِ بالنسبة الى المذنب

وقد ظهر من فحص نواة المذنب بالسبكترسكوب انها ارسلت نوراً كثيراً ذا طيف متصل اي فيهِ جميع الوان قوس قزح . وطيف مثل هذا قد يحدث عن نور صادر من غبار بالغ درجة البياض . واذا كان كثير النور الازرق والبنفسجي فالمرجح انهُ يصدر من نور الشمس بعد انعكاسهِ عن مادة جامدة ابرد من الغاز لا عن مادة غازية . وهذا القياس اي وجود النور البنفسجي وما وراءهُ ورؤْية خطوط فرونهوفر في طيف المذنب يدلان دلالة لا ريب فيها على ان النور الصادر من نواة المذنب كان ممزوجاً ببعض نور الشمس . ثم فحص نور الجزء التالي للنواة من المذنب فكوَّن طيفاً متصلاً كطيف النواة ولكنهُ كان ضعيفاً حتى لم يؤثر اخيراً في الواح التصوير . ومهما يكن في الذنب من الغبار فان نورهُ كان اقلّ بكثير مما يصدر عن جسم نورهُ منهُ . على اننا لو قلنا انهُ ليس فيهِ غبار لما كان ذلك ليمنع بالضرورة تأثير الغبار الذي في جوّنا . فان الدقائق التي تتحرك بسرعة او الذرات الكهربائية التي هي اصغر حجماً من الدقائق واصغر من ان تعكس نور الشمس قد تصلح لان تكون نوى تتكاثف

المواد الاخرى عليها عند دخولها جو الارض وبالتالي لانعقاد بلورات الجمد عليها

وقد وجد في طيف ذنب المذنب على بعد ٣ درجات الى ٦ من نواتهِ اجزاء تدل على وجود غاز اكسيد الكربون الاول . وكانت هذه الاجزاء ٨٠ في المئة من مجموع الطيف اما الباقي فكان طيفاً متصلاً . هذا ما شوهد فيهِ يوم ٢٩ مايو . وقد قال الدكتور لويل « ان الذنب كان مؤلفاً بين ٢٩ ابريل و٧ مايو من اجزاء كالتي تحدث من احتراق غاز محمي الى درجة البياض . وفي ١١ مايو تغير طيفهُ فبات متصلاً تقريباً او حادثاً عن نور الشمس بعد انعكاسهِ عن ذرات الغبار . وفي ٢٣ مايو عاد ممتلئاً بالاجزاء المشعة وبقي كذلك وهو يزداد يوماً فيوماً الى الآخر » . اي انهُ عند بلوغ اطراف الذنب جو الارض ازداد الغبار فيهِ ازدياداً فائق المعتاد

وشوهدت في طيف المذنب مدة جزء كبير من ظهورهِ خطوط مما وراء البنفسجي ناشئة عن غاز السيانوجين المحمي الى درجة البياض . وهذا الغاز شديد السم وكل دقيقة منهُ مؤلفة من جوهرين من الكربون وجوهرين من النتروجين . وظهرت خطوط الصوديوم في طيف الراس قرب النواة مدة قصيرة وخصوصاً في الجزء الاشد حرارة او المواجه للشمس مما دلَّ على ان حرارة النواة حينئذٍ كانت قريبة من درجة البياض اذ المشهور ان معدن الصوديوم يتبخر ويتقطر عند الدرجة ٩٠٠ سنتغراد. اي ان حالة النواة تشبه حالة البركان الثائر فتلين الجوامد التي على سطحها حتى تصير كالعجين وتندفع الغازات التي في مسام الجوامد على مثال حجارة الخفان التي تندفع من الحمم البركانية وتنتشر الى مسافة بعيدة لان جاذبية النواة ضعيفة: لا تستطيع حفظ الغازات قريبة من مركزها . وهذه الغازات تندفع اولاً في جهة الشمس ثم في الجهة المقابلة لها . وتكون في حركتها هذه تحت عاملين الواحد الحركة الدائرية الاصلية والثاني الحركة الناجمة عن فعل نور الشمس وهي اسرع من الاولى . وكان العالم لبديف الروسي اول من اكتشف هذا الفعل ثم علل العالمان نكولس وهل الاميركيان تكوُّن اذناب المذنبات بهِ . والمراد بفعل نور الشمس دفعهُ للمواد وهذا الفعل يشتد بصغر الذرات لان سطحها الذي يقع الدفع عليهِ لا يصغر كما تصغر مادتها . وحينئذٍ تندفع الدقائق بسرعة عظيمة تبلغ بها اطراف الذنب في ايام قليلة ثم ينقطع وهجها اما لان حرارتها تهبط عن درجة البياض او لانها تكون قد احترقت او لانها تتفرق بعضها عن بعض الى مسافات تفقد عندها قوة ايصال الكهربائية . واعظم سرعة تبلغها الدقائق هي ٢٥٠٠٠٠٠ ميل في اليوم كما قاسها الدكتور لويل او اكثر قليلاً كما ظهر من حساب الاستاذ برنارد

ثيوسيديدس المؤرخ وبركليس الخطيب

وشجاعة العرب

قرأنا لمترلنك اكتب كتّاب البلجيك ان لم يكن اكتب اهل اوربا في هذا العصر فصلاً بناهُ على رثاء بركليس لقتلى اثينا في حربها مع اسبرطا على ما ذكرهُ ثيوسيديدس (اوثيوكيذيذس) المؤرخ اليوناني. فرأينا ان نلخصهُ ونلحقهُ بشيء مما قيل عن شجاعة العرب

وثيوسيديدس فيلسوف ومؤرخ ولد قبل المسيح بنحو ٤٧٠ سنة وهو اول من اعتمد التحقيق من المؤرخين فقد قال انهُ لم يصف الاَّ المعارك التي شهدها بنفسهِ او لقي الذين كانوا فيها ووقف على رواياتهم وقابلها بعضها ببعض ومحّصها بمحك العقل. وبركليس اكبر ساسة اليونان ولد سنة ٤٩٧ قبل المسيح وتتلمذ للفيلسوف انكسغوراس واشتهر بكرم الاخلاق وذكاء العقل وبلاغة العبارة وقوة المعارضة والتفاني في حب وطنهِ

وهاك خلاصة ما قالهُ مترلنك تمهيداً لرثاء بركليس قال:

(١)

حوادث هذه الايام اعظم حوادث التاريخ وما دامت جارية يليق بنا ان نلتفت الى اخبار العصور الغابرة لعلنا نجد فيها ما نستفيد منهُ ونتعظ بهِ ونستند اليهِ. فنجد ان حرب اثينا مع اسبرطا التي تأججت نارها سبعاً وعشرين سنة تماثل الحرب التي نحن مشتبكون فيها الآن. والذي ذكر حوادث تلك الحرب وفصّلها هو اعظم مؤرخ قام في المسكونة واول مؤرخ ذكر الحقائق الثابتة التي لا مجال للشك فيها ثم استدلَّ منها على ضمائر اصحابها وما يمكن ان ينتج منها استدلالاً يؤيدهُ العقل. فهو اكتب الكتّاب ولا يضارعهُ الاَّ طاشيتوس المؤرخ الروماني. اما طاشيتوس فكان شاعراً ينظم غرر المراثي ومصوراً يصور المهاوي بما فيها من المخازي واما ثيوسيديدس فكان سياسياً يحثُّ على مكارم الاخلاق والعليا يخترق ببصرهِ حجب الغيب ومصوراً يرسم صور البلدان الحرة وعقول الاذكياء النوابغ والكرماء الاماثل الذين كان منهم سكان البلاد اليونانية في تلك الازمان. الاول يتلمس في الظلام يجمع الاخيلة بيديهِ ويضمها بعضها الى بعض وينظمها عقوداً ولكنهُ لا يزيل شيئاً من ظلمتها. والثاني يجمع اشعة النور ويصوغ منها احكاماً بهيَّة مشرقة على ما فيها من التحقيق. الاول ضجور شديد الوطأة مهتضم للحقوق ولو عن غير قصد منهُ. والثاني صبور منصف يسمو بعقلهِ

الى اسمى ما يبلغ اليهِ ذهن الانسان لا غرض لهُ الاَّ اقامة قسطاس العدل والسعي وراء الخير العام والمجد المخلَّد . تجد الرونق والبهاء في كل ما كتبهُ حتى في وصفهِ للوباء الجارف

(٢)

الحرب بين اثينا واسبرطا كالحرب بين فرنسا والمانيا . غير ان حربنا الآن قائمة بين امة متمدنة وامة متوحشة ادبيًّا واما حرب اثينا واسبرطا فكانت بين طائفتين من امة واحدة . ولكن تينك الطائفتين كانتا مختلفتين ادبيًّا كل الاختلاف فالاولى كان شعارها السلام والبشاشة ولم تكن تُعنَ الاَّ بما يعود عليها بالراحة والهناء وبما تتمتع بها حواسها من المناظر الجميلة واللذات المحللة وقد خرجت الى الحرب كأنها خارجة الى ملعب طلقة المحيا حاسبة الحرب من الملاهي التي تروّض الاجسام والفرائض التي يقوم بها المرء عن طيب نفس . ولم تكن قد استعدت للحرب ولا اخذت شيئًا من اهبتها بل لم تكن تعنَ بالمستقبل معتمدة على ما خُصَّت بهِ من الشجاعة الفطرية وسعة الحيلة فنجت من مشاق الاهتمام بالمستقبل واستطاعت ان تقابلها بعزيمة صادقة لمن قضى العمر في معالجتها

اما اسبرطا فلم يكن لها شغل شاغل غير الحرب والتأهب لها فكانت كتيبة عبوسة متجردة على الدوام للحرب والصدام تكرهُ كل ما يحلل وجود الانسان على الارض . امة التخريب والسلب والنهب امةّ الوخز والنخز وطأتها ثقيلة على كل ما حولها وعلى نفسها ايضاً . تسعى الى غاية تعدُّ من اسمى الغايات لو كان الغرض من وجود الانسان على الارض ان يكون آلة صماء وعبداً للرؤساء . ولكنها كانت تخالف الذين نحاربهم نحن الآن في انها كانت في الغالب تحب العدل وتترفع عن الدنايا وتحترم الآلهة وهيا كلها وتقوم بالعهود ولا تنقضها . ولكن لو أُطلق لها العنان لتحكم بلاد اليونان كلها كما تشاء من اول عهدها لما نشأ في تلك البلاد ما نشأ من المفاخر ولما حفظ لها التاريخ الاَّ آثار قوتها الحربية التي لا نفع منها ولا مجد لها ولفقد العالم ذلك الكوكب النوراني الذي يتجه نظرهُ اليهِ حتى الآن

(٣)

وكانت نتيجة الصدام بين هاتين القوتين ان فازت اسبرطا في اول الامر فوزاً حملها على الغرور حتى فقدت ثمارهُ واستطاعت اثينا ان تكبح جماحها سبعاً وعشرين سنة وهي كأنها تقاوم الاقدار . بل لما اعتقدت اسبرطا انها تسحق اثينا في اسابيع قليلة وقفت اثينا لها وقفة الخصم العنيد سبع عشرة سنة والنصر في يدها رغماً عن الوباء الجارف الذي اهلك ثلث سكانها وربع جيشها . ولم يقلب لها الدهر ظهر المجن الاَّ بعدما اصغت الى مشورة متفلسفيها

وبعثت بكل اسطولها وجنودها الى صقلية ومع ذلك استطاعت ان تقاوم عشر سنوات اخرى وكانت هي القاضية على نفسها اخيراً . ولا يقع في التهلكة الأَ من يلقي بيديهِ اليها

(٤)

وليس من غرضي ان اتوسع في هذا الموضوع وانما انا اقصد ان اعيد قراءة صفحة كُتبت منذ اكثر من الفي سنة تأبيناً للابطال الذين فقدتهم اثينا في الدفاع عنها وهي تناسب حالنا بعد ان حلَّ بنا ما حل من الاحزان التي يليق بنا ان نخفف مرارتها وفقدنا من فقدنا من الرجال الذين يجب علينا تأبينهم . فان عادات اليونان كانت تقضي بجمع عظام القتلى الذين حُرقت جثثهم في ميدان القتال والعود بها الى اثينا في آخر كل سنة . وكان السكان يختارون ابلغ خطيب منهم لتأبينهم فوقع اختيارهم على بركليس الشهير فبدأ بذكر مناقب الشعب الاثينوي وشرائعهِ واستطرد الى التأبين التالي فقال

لم اذكر ما ذكرتُ من مفاخر بلادنا الأَ لابيّن ان ليس لخصومنا مفاخر مثلها ليأسفوا على فقدها وان الرجال الذين فقدناهم جديرون بكل مدح واطراء . ولقد قمتُ بالجانب الاكبر من مدحهم لان اثينا التي وصفتها انما بلغت ما بلغتهُ بشجاعتهم وشجاعة امثالهم من الرجال الذين تنطبق شهرتهم على استحقاقهم . واذا فتشنا عن مقياس الاستحقاق وجدناهُ فيما ختموا حياتهم بهِ او فيما عملوهُ من الاعمال التي تدلُّ عليهِ اذ من العدل ان يقال ان وقوف الانسان وقفة الصنديد في الدفاع عن وطنهِ تغطي ما كان فيهِ من النقائص . والحسنات يذهبن السيآت . والفضائل العمومية تزيل المعايب الشخصيَّة . وما من احد من هؤلاء اضعف الغنى عزيمتهُ بما يترتَّب عليهِ من الملاذ او صدهُ الفقر عن التعرض للمخاطر بما يعدهُ بهِ من الاباحة اذا دارت الدائرة على الاغنياء . بل انهم كلهم حسبوا الاخذ بالثار من الاعداء افضل الغنائم والمخاطرة بالنفس في سبيلهِ امجد الاعمال فساروا الى الحرب متهللين عاقدي العزيمة على تجشُّم كل المشاق وتحمُّل كل المخاطر لكي يأخذوا بثارهم من عدوهم والقوا اعتمادهم على انفسهم ولو كانوا يعلمون ان الفوز قد لا يكون لهم مفضلين عزَّة الموت على ذلَّة الحياة ففروا من العار وقابلوا الردى وجهاً لوجه لانهُ السبيل الى المجد

ففي هؤلاء الرجال كما يليق بالاثينيين وعليكم انتم ايها الاحياء ان لا تكونوا دونهم في ساحة الوغى ولو طلبتم من الالهة ان يكون الفوز لكم . وعليكم ان لا تكتفوا بالادلة الكلامية التي توجب عليكم الدفاع عن وطنكم وان كانت هذه الادلة مما يحسن ان يلجأ اليهِ الخطيب في محفل مثل هذا يقدرها قدرها بل ينبغي ان تحققوا بانفسكم قوة بلادكم وتمتعوا انظاركم

يشاهدها كل يوم حتى يملأ حبها افئدتكم · ومتى تجلَّت لكم عظمتها كما هي ينبغي عليكم ان تعلموا انها بلغت ما بلغت من المجد والسؤدد بشجاعة ابنائها وتفانيهم في حبها واعتقادهم ان ذلك من اوجب الواجبات عليهم وانهُ ما من فشل كان يمكن ان يحرم بلادهم من بسالتهم بعد ان القوها امام قدميها عن طيب نفس · نعم محَوْا انفسهم اجماعاً في مصلحة بلادهم فنال كل واحد منهم الجزاء الذي لا يفنى ودُفنوا ولكن ليس في المدافن التي تحوي عظامهم بل في امجد الهياكل حيث يبقى اسمهم خالداً يذكر كما ذكرت فعالهم المجيدة · والارض كلها بما وسعت مدفن للابطال وذكرهم في اقصى الممالك تحويهِ القلوب · انظروا الى هؤلاء واتخذوهم قدوةً لكم واعلموا ان السعادة ثمرة الحرية والحرية ثمرة الشجاعة ولا تحجموا عن مخاطر الحروب · الصعاليك لا يخاطرون لانهم لا يرجون شيئاً وانما يخاطر من يخشى النوائب ومن اذا حلَّت بهِ عبثت بامانيهِ وكان عبئها عليهِ ثقيلاً · والجبن والذل اشد على الحرّ من موت يصيبهُ وهو في عنفوان قوتهِ وحبهِ لوطنهِ

ما قمت لاطلب منكم ان تتعزوا بل لاطلب منكم ان تدرَّبوا · هذا ما اطلبهُ من اباء هؤلاء الابطال · والمرء معرَّض للموت في كل لحظة ولكن السعيد من يموت ميتة مجيدة مثلما مات هؤلاء الذين تندبونهم الآن بعد ان قُدِّر لهم ان تنتهي حياتهم هذا المنتهى المجيد · ولا انكر انهُ يصعب عليكم ان تتعزوا عن الذين فقدتموهم ولاسيما اذا كنتم ترون امثالهم في بيوت جيرانكم فيذكرونكم بهم · ولكن الذين لا يزالون منكم في سن الكهولة سيلد لهم اولاد يقومون مقام الذين فقدوهم ويكونون سياجاً لوطنهم لان الرجل الذي لا يودُّ ان يكون ابا لا ينتظر منهُ ان ينصف وطنهُ ويقوم بنصرتهِ · والذين جازوا السن التي ينتظر فيها اخلاف النسل حسبهم تعزيةً انهم قضوا الجانب الاكبر من عمرهم آمنين والقليل الذي بقي منهُ يعزيهم فيهِ شرف الذين فقدوهم · والحب والشرف لا يشيخان ولا يسرُّ قلب الشيخ في شيخوختهِ مثل الشرف » انتهى

هذا الكلام الذي قيل منذ ثلاثة وعشرين قرناً يرنُّ صداهُ في نفوسنا كأنهُ قيل امس وهو ابلغ تأبين للذين فقدناهم ولو كان اليماً فلتحنِ الرؤُوس امام ما فيهِ من البلاغة الفائقة وامام ذلك الشعب العظيم الذي فهمهُ وعمل بهِ · انتهى

رأينا ان نلحق بهذا الفصل كلاماً في الشجاعة روي عن لسان اسماء بنت ابي بكر الصديق قالتهُ لابنها عبدالله بن الزبير بن العوام لما تفرَّق عنهُ اصحابهُ واشتد الحصار عليهِ في خلافة

عبد الملك بن مروان · فان اخاهُ عروة جاءهُ حينئذٍ وقال لهُ ان عبدالملك يعطيك الامان على ما احدثت انت ومن معك وان تنزل ايّ البلاد شئت ولك بذلك عهد الله وميثاقهُ · وكان عبدالله قد امتنع عن مبايعة يزيد بن معاوية وثار عليهِ بالحجاز بعد ان كان سيف الاموي بين القاطع وادَّعى الخلافة واخذ البيعة لنفسهِ في الحجاز وكاتب اهل العراق واليمن وخراسان ومصر فوافقهُ الجم الغفير منهم على خلع بني امية · ثم قوي امرهُ لما توفي يزيد سنة ٦٤ للهجرة ودانت لهُ اكثر البلاد ولكن اهل الشام بايعوا مروان بن الحكم الاموي · ثم توفي مروان سنة ٦٥ وخلفهُ ابنهُ عبد الملك فوجه الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير وكان قد انتقض عليهِ اكثر اتباعهِ لتضييقهِ على محمد بن الحنفية · فلما قال لهُ اخوهُ عروة ما تقدم دخل على امهِ وقال يا اماهُ قد خذلني الناس حتى ولدي واهلي ولم يبقَ معي الأ اليسير ممن ليس عندهُ اكثر من صبر ساعة · والقوم يعطونني ما اردتُ من الدنيا فما رأيكِ · فقالت انت اعلم بنفسك ان كنتَ تعلم انك على حق واليهِ تدعو فامضِ لهُ فقد قُتِل عليهِ اصحابك فلا تمكّن من رقبتك يتلعب بها غلمان بني امية · وان كنت انما اردت الدنيا فبئس العبد انت اهلكتَ نفسك ومن قُتِل معك · وان قلتَ قد كنتُ على حق فلما وهن اصحابي وهنتُ وضعفتُ · فليس هذا فعل الاحرار وكم خلودكَ في الدنيا · القتل احسن

فدنا عبد الله فقبّل رأسها وقال هذا والله رأيي الذي قمتُ بهِ داعياً الى يومي هذا وما ركنتُ الى الدنيا ولا احببت الحياة فيها ولكني احببت ان اعلم رأيك فتزيدني بصيرةً مع بصيرتي · فانظري يا اماهُ فاني مقتول فلا يشتد حزنكِ وسلّمي الامر لله فان ابنك لم يتعمّد اتيان منكر ولا عملاً بفاحشة ولم يجُر في حكم ولم يغدر في امان ولم يتعمّد ظلم مسلم ولا معاهد · ولم يبلغني ظلم من عمّالي فرضيت بهِ ولم يكن شيءٌ آثر عندي من رضاء ربي · اللهمَّ اني لا اقول هذا تزكيةً مني لنفسي انت اعلم بي ولكني اقولهُ تعزية لامي لتسلو عني

فقالت امهُ اني لارجو من الله ان يكون عزائي فيك حسناً · ان تقدمتني احتسبتك وان ظفرت سررتُ بظفرك اخرج حتى انظر الى ما يصير اليهِ امرك · ثم قالت اللهمَّ اني سلمتُ لامرك فيهِ ورضيت بما قضيتَ فاثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين

وسواءٌ كان هذا الكلام مما قالهُ عبد الله بن الزبير وامهُ او مما وُضع على لسانيهما على اختلاف الروايات فيهِ فهو عنوان الشجاعة وترجمان البسالة · وما اشجع ممن تعرض عليهِ الراحة والرفاهة فيفضل الدعة لما يحسبهُ حقّاً ولو تحت ظلال السيوف

قيام المجلاَّت وسقوطها

ليس بين قراء المقتطف الآ من عرف مجلة «العلم العام» الاميركية من كثرة ما طالعوهُ من المقالات التي ما فتئ المقتطف ينقلها عنها الى العربية منذ عهد طويل. والمراد بالعلم العام العلم الذي تتاح موائدهُ للعامة لانهُ ممَّا يسهل عليهم تناولهُ كما يرى من بيانها الذي سننشرهُ فيما يلي. والظاهر انها لم تفز بهذه الامنية امنية تقريب العلوم من افهام العامة بدليل انقطاعها عن الصدور في شكلها القديم من اواخر السنة الماضية وانقسامها مجلتين مختلفتين كلَّ الاختلاف في مقصدها وشكلها. وقد اصدرت لذلك بياناً قالت فيهِ:

«آلت هذه المجلة على نفسها منذ بدء ظهورها سنة ١٨٧٢ ان تقوم بعملين مختلفين الواحد تقريب العلوم من مدارك الجمهور. والآخر نشر مقالات تتتبع فيها تقدم العلوم وتشير بوجوه الاصلاح اللازم في دوائر العلم والتربية والاجتماع. وهاتان الغايتان عظيمتا الشان ولكن لما كان العلم يزداد اتساعاً وتشعباً كلَّ يوم فقد ازدادت بذلك المصاعب القائمة في سبيل الجمع في مجلة واحدة بين الغايتين المشار اليهما

«في اوائل عهد هذه المجلة بالوجود كان مذهب النشوء والارتقاء لا يزال في مهدهِ وقد انقسم العلماء فيهِ اسباطاً واشياعاً وكنا ننشر المقالات في مجلتنا من قلم داروين وسبنسر وهكسلي وتندل وامثالهم فكان الناس يقبلون على قراءة تلك المقالات لصدورها من اولئك الاعلام أهل الحجة في العلوم الحديثة. وقد اصاب الذين سمَّوا الثلث الاخير من القرن التاسع عشر عصر العلم وذلك لان العلم الطبيعي سار فيهِ سيراً حثيثاً ونزل اسمى منزلة من حضارتنا. وهذا السير يستلزم تقسيم الاشغال المختلفة والاخصاء فيها حتى يعسر على المشتغل في فرع من الفروع ان يفهم الاشغال التي تجري في فرع آخر في حين ان الحواجز التي بينها اصطلاحية اكثر منها حقيقية اي انها حواجز مبانٍ لا حواجز معانٍ. ولا ريب ان الصعوبة التي يجدها الجمهور في فهم تلك الاشغال اعظم حتى لقد خيف ان يفقدوا الاهتمام بتقدم العلوم وتتبع سيرها. وحيث يعتمد العلم على الشعب لا غنى لهُ عن ثقة الشعب وحسن انعطافهِ. وهذا يقتضي ان يكون هناك مجلتان بدل الواحدة اذ من اللازم توجيه الكلام ايضاً الى الذين يختلفون عن الجمهور في درجة فهمهِ واهتمامهِ

«وفي خلال الخمس عشرة سنة الماضية وجه محرر هذه المجلة همهُ الى تحريرها على قواعد

علمية سامية وفتح صدرها لكبار العلماء الذين يرومون بحث المسائل العلمية الرفيعة الشان . وقد كانت المجلة مجلة الجمهور بمعنى انها لم تكن خاصة بفريق ولا اصطلاحية وكان في وسع الادباء والاذكياء ان يفهموها ولكنها لم تكن مجلة الجمهور بمعنى ان جميع الطبقات يفهمونها وان مشتركيها يعدون بمئات الالوف . وكان يردها كثير من المقالات التي تصلح لمجلة من طراز آخر ولا ريب ان الجمهور يحتاج الى مثل هذه المجلة . فان مجلة كثيرة الصور موقوفة على تقريب العلم من اذهان العامة لجديرة بان يقبل القراء عليها مزيد الاقبال وبأن تحرر على قواعد تختلف عن قواعد المجلات العلمية البحتة كما تختلف المدارس الابتدائية عن الثانوية في اساليبها ومقاصدها

« لذلك نقل اسم هذه المجلة الى شركة تألفت لانشاء مجلة قريبة من افهام العامة اما المجلة الاصلية فصدرت من اكتوبر الماضي على جاري عادتها وبشكلها المألوف ولكنها اتخذت لها اسماً آخر وهو « المجلة العلمية الشهرية » . وهذه القسمة الى مجلتين منطبقة على مذهب الارتقاء اذ يتسنى لكل منها ان تطابق بين نفسها والبيئة المحيطة بها باكثر مما تستطيعان لو كانتا مجلة واحدة فتخدم كل منها العلم خدمة كبيرة في طريقتها »

وكانت شركة المجلة قد اسبقت هذا البيان ببيان آخر قالت فيه انها ما اقدمت على هذا الامر الا لانها كانت تخسر كل سنة عشرة آلاف ريال فلم تر من الحكمة والصواب الاستمرار على اصدارها واشارت الى بعض المجلات والصحف الاخرى في اميركا فقالت ان مجلة « العلم » الاسبوعية خسرت من اول صدورها الى الآن ٨٠ الف ريال وان مئة صحيفة او اكثر من الصحف العلمية في اميركا لا يفي دخلها بنفقاتها

اما المجلة المصورة التي انتحلت اسم المجلة العلمية فقد جاءتنا اجزاؤها حافلة بالمواضيع التي تروق الخاصة والعامة معاً وفي كل جزء منها اكثر من ١٥٠ صفحة مفعمة بالمقالات والفوائد المختلفة ولا تكاد تجد بينها صفحة خالية من الصور ففيه نحو ٣٠٠ صورة . هذا عدا الاعلانات المنشورة بين دفتيه في صدره وذيله وهي تملأ نحو ٩٠ صفحة اخرى منهُ . وثمن العدد ثلاثة غروش صاغ وقيمة الاشتراك السنوي ريال ونصف . وقد قالت ادارة المجلة ان الاشتراكات فيها تضاعفت في خلال ثمانية شهور فكانت ١٠٠٠٠٠ في بدء صدورها فاصبحت الآن ٢٠٠٠٠٠

اما مادة المجلتين فتتضح من المقابلة بين العددين الاخيرين منها . ففي العلمية عشر مقالات في امثال المواضيع الآتية : توزع النباتات في كليفورنيا . قدم الانسان في اميركا

الشمالية شنغشا والصينيون· الارقام الكبرى والاعمال غير المتناهية (وهي مقالة رياضية)· الفيتامين وطبيعتهُ الكيماوية ومعناهُ الفسيولوجي (وهي مقالة كيماوية فسيولوجية كما هو ظاهر) الى آخر ما هناك من المقالات العلمية الصرفة

وفي الاخرى نحو مئتي مقالة ونبذة بين كبيرة وصغيرة وهي مبوبة عشرين باباً في الطيارات والاوتوموبيلات والزراعة والهندسة والكهربائية والجيولوجيا وتدبير المنزل والحرب الحاضرة والاختراعات والطب والجراحة والفوتغرافيا والراديوم وسكك الحديد وغير ذلك · ولا نحسبنا مغالين اذا قلنا ان كل مقالة وخبر وفائدة منها تكاد تكون مبينة برسم او صورة

ومما يجدر ذكرهُ في هذا المقام ما قالتهُ المجلة في آخر عدد ظهر منها قبل انقسامها مجلتين· قالت تحت عنوان « المجلات العلمية والجمهور » ما ترجمتهُ :

« اذا كانت البلاد جمهورية فالمجلات والصحف السيارة اللائقة بتربية اخلاق الامة من جميع طبقاتها وحملها على الاهتمام بالعلم وادراك قيمتهِ في ترويج خير الاوطان والنوع الانساني عامة شأن كبير جداً · واذا كان ملكية فلا غنى لها ولحكامها واشرافها واعيانها عن رعاية العلوم والفنون والآداب · ففي المانيا تدير الحكومة الالمانية مدارسها وجامعاتها ومعاهد البحث العلمي وتعينها بالاموال كما تعين المشروعات التجارية التي يطبَّق العلم فيها على العمل· وفي انكلترا يقف رجال الثروة نفوسهم على البحث العلمي و يتولون بعض المناصب من غير ان ينقدوا اجوراً على ذلك · وفيها وفي فرنسا يجزى الباحثون والمنقبون على اتعابهم بالقاب ورتب يمنحونها

« وليس في الامكان جعل البحث العلمي حرفة قائمة بنفسها · ففي نظاماتنا الاجتماعية الحالية يجزى العامل على كل خدمة يخدم بها فرداً واحداً او مجموعاً من الافراد ولكن خدمة المجتمع كلهِ لا تؤخذ عليها اجرة في الغالب · فانهُ اذا فاز اصحاب الصحف او اصحاب معامل الذخيرة او ضباط الجيش باثارة حرب انتفعوا من عملهم هذا · واذا دافعوا عن السلام فبقي موطَّد الاركان نالهم الخسران · واذا استطاع المحامون حل العقد القانونية والاطباء تقليل اسباب الامراض اضاعوا بذلك مصالحهم المادية · واذا عمل جرَّاح عملية سرطان فقد ينقد الف ريال اجرة عمل ساعة · ولكن اذا اكتشف طريقة جديدة للعمليات اصلح من الطرق المعروفة فقد ينتفع بعض الانتفاع ولكنهُ لا ينتفع اكثر من سائر الجراحين و يكون انتفاعهُ اقل من انتفاع المصابين بكثير · واذا اكتشف دواء للسرطان لا يعطى اجراً ماليًّا

مقابل اكتشافهِ هذا بل بالضد من ذلك يفقد هو ورصفاؤُهُ الجراحون وسيلة من الوسائل التي يعولون عيالهم بها

يرى من ذلك ان البحث العلمي وهو اعظم خدمة يُخدَم بها المجتمع الانساني ليس عليهِ أجر. وقد وكل في هذه البلاد الى اناس وقفوا بعض وقتهم على التعليم في المدارس والجامعات تفضلاً . وفي السنين الاخيرة سعت الحكومة والمعاهد ذات الاوقاف وارباب المصانع والمتاجر الى ترقية البحث العلمي على اساس تجاري فكان الربح عظيماً جداً . ولكن اذا اريد اطراد البناء على هذا الاساس بادارة الامة فلا غنى عن تربيتها حتى تنزل هذا العمل منزلتهُ اللائقة بهِ وتقدرهُ حق قدرهِ . ولا ريب ان نشر العلوم في المجلات والصحف هو افضل الوسائل لادراك هذه الغاية

ان المسألة معضلة . ذلك لان المدارس العالية والجامعات والمتاحف لا ينتظر منها ان يفي دخلها بنفقاتها حتى انك لترى المدارس الثانوية التي يعلَّم فيها اولاد الاغنياء قائمة على اساس الاعانات . ولو ان متحف التاريخ الطبيعي عندنا فرض رسماً على زائريهِ خلا منهم ولبات دخلهُ من هذه الرسوم في سنة غير كافٍ لنفقاتهِ في شهر . على ان الملاعب العادية التي تعرض فيها الحيوانات المختلفة تقوم بنفقاتها وتربح

اما العلم فمتهن في المجلات القصصية والصحف السيارة . وترى الصحف الصفراء وملاعب الحيوانات والصور المتحركة تقدم الى الجمهور ما يدفع مقابلهُ عن رضى . ولا تعار جمهور يتنا بان هذه هي الامور التي يريدها الجمهور لان رغبة مئة مليون من السكان فيها دليل على تقدم عظيم في جنب ما كان يرغب فيهِ قبلاً

ولما رأت شركة هذه المجلة انها تخسر عشرة آلاف ريال في السنة لانها علمية محضة لم ترَ من الصواب والحكمة الاستمرار على اصدارها

نعم ان هذه المجلة تستحق ان ينفق عليها عشرة آلاف ريال في السنة فوق دخلها بل تستحق ان ينفق عليها اكثر من ذلك كما تنفق البلاد على متحف التاريخ الطبيعي ثلثمائة الف ريال في السنة وعلى جامعة كولمبيا اربعة ملايين ريال ولكن لا ينتظر من شركة خصوصية ان تخسر من جيبها هذا المبلغ سنة بعد سنة الى ما شاء الله لاجل فائدة الجمهور . وكذلك كان الدكتور غراهم بل والمستر هبرد ينفقان نحو ثمانية آلاف ريال في السنة على مجلة العلم . وفي اميركا اكثر من مئة مجلة مخصصة للمباحث العلمية المحضة وما من مجلة منها تكتسب ما يقوم بنفقاتها . على ان المجلات التي تكتب في تطبيق العلم على العمل قد تقوم بنفقاتها

وذلك مما يقوي الامل بان الجمهور سيتدرج الى الرغبة في البحث العلمي المحض حتى تصير مجلاتهُ تقوم بنفقاتها

وقد لا يحسن ان يطلب من الحكومة ان تساعد المجلات العلمية مباشرةً بان تعين لها اعانات سنوية ولكن يجب ان يطلب منها لتساعدها على سبيل آخر وهو ان ترتب اعداداً كافية منها للمكاتب العمومية وان يطلب من كل الذين يعلمون فائدة هذه المجلات ان يشتركوا فيها حتى يكثر دخلها و يفي بنفقاتها · انتهى

فان كانت المجلات العلمية لا تقوم بنفقاتها في بلاد واسعة غنية مثل اميركا فيها اكثر من مئة مليون من السكان واكثرهم متعلمون متهذبون و يعرفون قيمة العلم وهم اغنى شعوب الارض فما قولك في بلاد مثل هذا القطر والقطر السوري · وقد يظن لاول وهلة ان المجلات العلمية رخيصة جداً في اميركا كالمجلات القصصية فلا يفي دخلها بنفقاتها ولكن ليست الحال كذلك فان مجلة العلم الاميركية شهرية وهي اصغر من المقتطف واغلى منهُ لان قيمة الاشتراك فيها ستة ريالات او ١٢٠ غرشاً في السنة ومع ذلك لا يقوم دخلها بنفقاتها مع انها اشهر مجلة علمية في الدنيا و يكتب فيها اعلم علماء اميركا وقد مرَّ على صدورها حتى الآن ٩٨ سنة · ومجلة العلم التي تبلغ خسارة اصحابها ثمانية آلاف ريال في السنة كما تقدم اسبوعية ولكن لا تزيد صفحاتها في الشهر على ١٤٠ صفحة مع ان قيمة الاشتراك فيها خمسة ريالات في السنة عدا اجرة البريد

فان كانت حكومات الامم الراقية تنفق النفقات الطائلة على معاهد التعليم والتهذيب وعلى مشاهد النزهة والتسلية فاحربها أن تنفق مثل ذلك على المجلات العلمية اذا تحققت فائدتها لشعبها وهي الرابحة ان فعلت لانهُ ما من مال ينفق في سبيل من السبل و يكون ريعهُ اكثر من ريع المال الذي ينفق في سبيل التعليم · فلو وسعت الحكومة المصرية مدرستها الطبية منذ ثلاثين سنة حتى تسع مضاعف ما تسعهُ الآن واكثرت من المدارس الزراعية وساعدت المجلات العلمية وانفقت على ذلك كلهِ مئة الف جنيه كل سنة فوق ما تنفقهُ الآن لجنت البلاد مما زاد في صحة سكانها وريع اطيانها ما يساوي ملايين كثيرة من الجنيهات

الا ان ما فاتنا في الماضي نرجو ان لا يفوتنا في المستقبل لاسيما وقد جلس على عرش مصر سلطان يعلم فائدة العلم ويهتم بنشرهِ وتعزيزهِ ولا بدَّ من ان يحذو رجال حكومتهِ حذوهُ ويعملوا برأيهِ

هل امبراطور المانيا مجنون

كتب الدكتور كالب الصليبي نزيل انكلترا مقالة في هذا الموضوع في مجلة السترند الانكليزية كان لها وقع عظيم لانهُ بناها على صورة رآها في مدينة مونخ يتضح منها عقل مصورها وعلى اقوال اشهر الثقات الباحثين في الامراض العقلية قال فيها ما خلاصتهُ

مضت سنون كثيرة والذين يوثق بعلمهم يشكّون في سلامة عقل امبراطور المانيا . اما الآن فصار لهذا الموضوع شأن كبير يهمُّ الناس اجمع وانتقل البحث من معرض النظر في اقوالهِ الى معرض النظر في افعالهِ التي ازجت اوربا في هذه الحرب ولم تقتصر اوامرهُ على قتل المحاربين بل تناولت اغتيال السكان الآمنين في منازلهم

ولقد كنت اهتمُّ بهذا الموضوع كما قرأت عن حالة الامبراطور العقلية ثم زاد اهتمامي بما رأيت في مدينة مونخ سنة ١٩١٣ اذ ذهبت اليها للاشتراك في عيد وغنر كما سيجيء ويضاف الى ذلك ما درستهُ على استاذي السر توماس كلوستون من حوادث الجنون الكثيرة وما رأيتهُ في البيمارستان الملكي قرب ادنبرج وفي ملجإ يورك الذي كان جدي الدكتور كالب وليمس يعالج المجانين فيهِ مدة خمس وثلاثين سنة وبنى على معالجتهم كتابةُ في مسؤلية المجانين المجرمين

وتظهر اهمية هذا الموضوع من انهُ ان كان امبراطور المانيا مجنوناً فهو غير مسؤول عما يفعل فلا يؤآخذ مثلاً باغراق الباخرة لوزيتانيا مع انهُ لو كان في مكانهِ رجل عاقل لحُكم عليهِ بانهُ قاتل وعوقب بالقتل

ولكن مسألة مهمة مثل هذه لا يحق لاحد ان يبدي فيها حكماً ولو كان طبيباً ما لم يكن قد تعلَّم علم الامراض العقلية ومارسهُ زمناً طويلاً ولذلك لا اتوخى الا تلخيص ما اجابني بهِ بعض الثقات المشهورين الذين يعتمد على اقوالهم واحكامهم في هذه المسألة في مجالس القضاء مضيفاً اليهِ ما رأيتهُ بنفسي في مدينة مونخ

والاطباء الذين كتبت اليهم سائلاً عما يرونهُ في هذا الموضوع لا يستطيعون ان يذيلوا آراءهم باسمائهم لان آداب صناعتنا تحظر ذلك على الطبيب الذي يمارس صناعتهُ ونعم ما تفعل ولم اتجاسر انا على اظهار اسمي الا لانني ابطلت ممارسة الطب . ومن الثقات الذين كتبت اليهم طبيب مشهور ولعلهُ اشهر اطباء الامراض العقلية استحسن هذا البحث واسف لانهُ لا

يستطيع ان يكتب فيهِ بالاسهاب وختم كتابهُ بقولهِ « ارجح ان في عقل الامبراطور شيئًا من الخلل واؤكد انهُ مجرم »

وهذه الكلمات قليلة بسيطة ولكن الطبيب الذي قالها هو اكبر ثقة في هذا الموضوع ولا اظن ان الحكم الاخير يكون ان يكون ادق من حكمهِ هذا او اقرب منهُ الى الصواب

وامامي الآن مستندان من اقوى المستندات كتبا بعد ما شهرت الحرب ويليق بي ان استشهد بهما الاول ما قالهُ الدكتور مورتن برنس في كتابهِ عن امبراطور المانيا وحالته العقلية فقد قال ان هذا الامبراطور خطب في السبع والعشرين سنة التي مرَّت منذ تبوَّأ عرش الملك خطبًا عديدة يجد فيها الباحثون في الامراض العقلية اموراً كثيرة تستحق الالتفات . من ذلك انهُ لم يستشهد في كل خطبهِ بشعر « غيتي » شاعر الالمان المشهور ولو مرة واحدة ولكنهُ كان يستشهد دوامًا باسلافهِ من آل هوهنزلرن وبينهم كثيرون من المجانين . ثم ان خطبهُ كلها تتضمن كراهة المبادىء الديموقراطية واحتقارها مع ان الديموقراطيين يبلغون الآن ثلث الشعب الالماني . وهذا الهوس متسلّط على عقلهِ وهو مفعم بالغيظ والخوف وفيهِ ما يدفعهُ الى نفثهما دوامًا فيتفجران منهُ تفجرًا ومن ثم كثرت محاكمة الذين يقال انهم اهانوهُ وقويت سلطتهُ وسلطة الفريق الحربي في المانيا . ولكن ما سبب هذا البغض والغيظ المتسلطين على عقلهِ

والجواب انهُ يحلُّ الآن محلاً تفتهُ قوانين المتمدنين فانهُ يدَّعي ان لهُ سلطة مطلقة ممنوحة لآل هوهنزلرن من الله تعالى لا من الشعب . وهو لا يدَّعي هذه الدعوى احتيالاً بل يعتقد صحتها وعندهُ انهُ متسلط على شعبهِ بحق الهي وان كل ما لشعبهِ من الحقوق انما هو منحة منهُ . ولذلك قال « اني انظر الى الشعب الذي سلَّمهُ الله اليَّ كمنحة يطالبني بها وعليَّ ان ازيد الميراث الذي سأقدم عنهُ حسابًا يومًا ما ولذلك اضطرُّ ان اسحق كل الذين يعارضونني »

والثاني مقالة في « الغيظ » قرأها الدكتور ستاوب في العام الماضي في المجمع الطبي العقلي وقال فيها ان الرجل من اهالي ملقًا قد يعربد فيخرج الى الشوارع فيخاصم ويضرب ويقتل . ويحدث مثل ذلك في بلدان اخرى وقد يصاب بهذا الجنون جمهور كبير من الناس دفعة واحدة كأنهُ ينتشر بينهم بالعدوى حتى لقد تصاب بهِ امة برمتها فتصير خطراً كبيراً على العمران . وفي التاريخ اخبار كثيرة عن ملوك وولاة اصيبوا بهذا النوع من الجنون ولاسيما اذا كانوا مصابين بداء الصرع فأعدي بهِ اتباعهم وانصارهم ونكَّلوا بالناس اشد التنكيل .

ولكن كل ما ذكر عن اولئك الملوك والولاة لا يقابَل بما فعلهُ امبراطور المانيا الآن . وقد تجيز القوانين الدولية قتل الناس على هذه الصورة ولكن اهالي العصور المقبلة سيجرّمونهُ حتماً. ثم ان حدوث حوادث كثيرة من هذا القبيل من آل هوهنزلرن يدلُّ على ان ما حدث الآن انما هو حادث عقلي مرضي مثل الحوادث التي سبقتهُ ويستحيل ان يرضى الناس باعادتهِ مرةً اخرى »

ولا شبهة في صحة هذا الرأي فان شهوات الغيظ والبغض والخوف متى قامت في انسانٍ متغانٍ في حب نفسهِ فقد تفضي الى افعال جنائية ان لم تكن من نوع الجنون الجنائي . فان جنون العظمة (المغالومانيا) او النفخة والفخفخة سخافة تستوجب الهزء ولكنهُ قد يفضي الى ارتكاب الجرائم ومن ثم تدعو الحال الى تقييد بعض مختلي الشعور لدفع اذاهم عن انفسهم وعن غيرهم . واذا اشتد الخوف بالمصابين بجنون العظمة فقد يفعلون افعالاً تتجاوز مضارها بيوتهم وتعمُّ بلاداً برمتها مع انهُ يتعذر الحكم بانهم مجانين فعلاً لان بين العقل والجنون درجات يلتبس فيها الواحد بالآخر حتى يصعب التفريق بينهما . والرتب العالية والاطراء والتملق قد تنفخ محبي العظمة حتى يختل بها شعورهم واذا حدث حينئذٍ ما يدعوهم الى امتشاق الحسام فقد يثيرون لظى حرب تحرق الاخضر واليابس

في شهر سبتمبر من سنة ١٩١٣ دخلت البيت الذي كان لنبخ المصور الالماني المظيم يقيم فيهِ في مدينة مونخ وكانت زوجتهُ لا تزال ساكنة في جانب منهُ الأ انها كانت غائبة حينئذٍ . وكان دليلي احدى السيدات من بلاط امبراطور النمسا فارتني كثيراً من الصور البديعة التي صوَّرها لنبخ وبينها كثير من صور بسمارك ومن صور اولاد لنبخ نفسهِ . ثم دخلت بي غرفة صغيرة وهي تبتسم واذا انا بصورة مثل خربشة الدجاج يصور الطفل صوراً احسن منها وتحتها بحروف واضحة اسم « ولهلم » امبراطور المانيا فانهُ صوَّرها واهداها الى لنبخ لكي يعرضها بين صورهِ البديعة حاسباً انها تضاهيها . وعندي ان هذه الصورة اصدق شهادة على حالتهِ العقلية

وانا لا اعتقد انهُ مجنون ولكنني اعتقد انهُ مصاب بمرض حب النفس فان ظهور الجنون في بعض اسلافهِ لا يستلزم ظهورهُ فيهِ . وعسم ذراعهِ الناتج عما اصيب بهِ من شلل الاطفال لا يدلُّ على حالتهِ العقلية الأ من حيث كونهُ يؤلم مَن كان شديد الاعجاب بنفسهِ مثلهُ ويعرّضهُ دائماً للاحتدام غيظاً

اما الجنون فلا ارى وجهاً لنسبتهِ اليهِ لانني ارى في انتظام اعمالهِ ما يخرجهُ من طبقة المجانين ولو قُسِم لهُ ان يكون تاجراً او مؤلفاً للشركات لافلح في ذلك لكنهُ شبَّ وشاب في

بيئة لا يسلم فيها الانسان من الزلل ولاسيما اذا كان معجباً بنفسهِ محبًّا للتملُّق . فقوي فيهِ العُجب الى حد المرض والاضرار بالغير ومن كان في منصبهِ وفي احوالهِ لا بدَّ ان تأخذ منهُ الخيلاء كل مأخذ ولو كان مرقص اورليوس(١) فهو من هذا القبيل معذور بعض العذر لانهُ منفعل بالفواعل التي احاطت بهِ فتسلطت عليهِ ومع ذلك لا ابرئهُ من المسؤولية الادبية بل اعدُّهُ من اكبر المجرمين واودُّ ان يعاقب كذلك . انتهى

ثم قالت مجلة السترآند انها عرضت هذه المقالة على اثنين من اكبر الثقات في هذا الموضوع . الاول الدكتور ارمسترنج جونس مدير بيمارستان كليبري ومدرس علم الامراض العقلية في مستشفى مار برثلماوس فسمح لها ان تنشر رأيهُ واسمهُ . والثاني طبيب آخر لا يفوقهُ احد في هذا العلم فكتب اليها برأيهِ ولكنهُ فضل الأ ينشر اسمهُ

قال الاول طالعت المقالة البديعة التي كتبها الدكتور صليبي وانا اوافقهُ على ان هذه المسألة مهمة جدًّا ولا يحق لاحد ان يبدي فيها حكماً ما لم يكن قد درس علم الامراض العقلية ومارسهُ زمناً طويلاً . وان البحث في هذا الموضوع لم يعد امراً نظريًّا خصوصيًّا بل صار امراً عمليًّا عمومياً يهمُّ الامم كلها لكي يُعلَم مَن هو الملوم في هذه الحرب الكبرى ولكي يعلم مقدار مسؤوليتهِ

لا يخفى على الخبيرين ان الحد بين العقل والجنون غير واضح فالطرفان البعيدان يمتازان كل الامتياز احدهما عن الآخر واما الطرفان القريبان فيتماسان حتى يتعذر الفرق بينهما اي يصعب ان يعرف اين ينتهي العقل و يبتدئ الجنون لاسيما وان احوال الانسان تختلف من وقت الى آخر فان كل احد يفعل احياناً افعالاً تبعد عن مقتضى العقل والفطنة ولاسيما في سن الصغر حتى يعذر الصغار على افعال يفعلونها لا يعذر عليها الكبار لو فعلوها . بل العمل الواحد الذي يستحسن في سن من سني الحياة قد يعدُّ جنوناً في سن اخرى . والجنون فنون واسعة النطاق جدًّا رأى الباحثون اصولها في غرائز الانسان ولكنها لا تنمو ما لم تكن في تربة صالحة لنموها اي ما لم يكن العقل ميالاً الى التحيز والعُجب ومحبة الذات . ونمو الغرائز ولاسيما غريزة حفظ الذات يميل بالمرء الى الخُلق الذي يظهر امتيازهُ بهِ فاذا نما العقل نموًّا صحيحاً نشأ سليماً يتولى ارشاد الغرائز بمساعدة قوانين الآداب والقدوة الصالحة . و يراد بالعقل السليم قوة الحكم والتمييز او استخدام المعلومات السابقة في الاحوال الحاضرة . والعقل السليم هو

---

(١) امبراطور رومانى مشهور بفلسفتهِ وكرم اخلاقهِ

الذي يجعل المرء يعترف بما عليهِ لغيرهِ ويحترم حقوق الناس . وقد قال هربرت سبنسر « ان الغرائز التي يترتب عليها خير الامم والافراد ينتج عنها حفظ النفس » وهي تشمل الاحترام الواجب للامم والعمل بما بينها من العهود والمحالفات وتوجب مجاملة الجميع ورفع شأن الانسانية . وبغير ذلك لا يمكن ان يكون للامم أمن وسلام . فهل بدا من الامة الالمانية او من امبراطورها شيء من الاحترام لهذه الامور . والجواب كلاَّ . ومتى انحرفت الغرائز كما يحدث في العقول الميالة الى الخلل إما لظنون لا صحة لها او لمؤثرات قوية اثرت في الحداثة زاد الخلل العقلي حتى اذا بلغ اشدهُ صار الحجر على صاحبهِ امراً واجباً . ولا فائدة ان يُطلَب من المصاب بهذا الخلل ان يستعمل عقلهُ لان العقل يكون قد فقد قوة تمييز المؤثرات الخارجية او الجمع بينها والحكم على نتائجها ولا بدَّ حينئذٍ من حدوث ما لا تحمد عقباهُ

ان تعليم بسمارك لهذا الامبراطور في حداثتهِ قوَّى في نفسهِ ايجاس الشر من عدو وهمي والاستعداد للايقاع بهِ وهذا العدو الوهمي هو بلادنا . ثم ان اعتقاد آل هوهنزلرن بان لهم حقًّا الهيًّا وازدياد هذا الاعتقاد بما في عروق هذا الامبراطور من دم آل ستورت جعلاهُ يعتقد بتأييد الله لهُ حتى سئم العالم دعواهُ في كل محفل بانهُ شريك لله وتوخيهُ الوصول الى ما وصل اليهِ نبوليون من المجد والسؤدد . ثم ان عبثهُ بالعهود التي وقَّعها مع دول اخرى لحفظ البلجيك وذهابهُ الى المغرب الاقصى قصد اغاظة فرنسا والتحامهُ مرفأ أغادير تحدياً لها وافتخارهُ بتشبيههِ نفسهِ باتلا ملك الهون كل ذلك دليل على طمع وعتوٍّ متمكنين من نفسهِ وبالغين حد الجنون . وقد سمي هذا النوع من الجنون باسم بارانويا[1] والمصابون بهِ لا يدخلون كلهم البيمارستانات . وقد يكون منهم اناس من النوابغ واصحاب القرائح الوقادة ومدعي القداسة والنبوة والذين يتصورون انهم يستطيعون العروج الى القمر او غيرهِ من الكواكب . والغالب انهم اصحاب عزيمة صادقة ولكن الصفة الكبرى التي يمتاز بها المصابون بالبرانويا هي الانانية وهي حالة نفسية باطنية ولكن تتخذ صفة دينية . وبهذا تفسر دعاوي امبراطور المانيا الدينية التي يجاهر بها من وقت الى آخر فان عقلهُ غير موزون فلا ينتقد نفسهُ ولا يحتمل ان ينتقدهُ غيرهُ ومن ثم اقام القضايا الكثيرة على الذين انتقدوهُ . وهذه الحالة العقلية تستمرُّ مهما لقيت من المقاومة الى ان يجد صاحبها نفسهُ ضمن جدران البيمارستان حيث يقضى على امانيهِ ولعل هذا البيمارستان يكون الآن جزيرة القديسة هيلانة

(1) Paranoia والكلمة يونانية ومعناها بلا فكر وهي نوع مزمن من الجنون اخص اعراضهِ كثرة الوهم وقد يبقى صاحبهُ سليم العقل من وجوه كثيرة . والانذار فيهِ رديء جدًّا

اما الطبيب الذي فضَّل ان لا ينشر اسمهُ وهو لا يفوقهُ طبيب آخر في الدنيا كلها في هذا الموضوع نختم كتابهُ بقولهِ

ان هذه المسألة تعرض دوامًا على الاطباء كما قلتم في كتابكم ولاسيما الاطباء الذين يعالجون الامراض العقلية . والامر الاول الذي يجب الالتفات اليهِ هو تحديد الجنون فان الثقات مختلفون في ذلك والاكثرون الآن على ان الجنون يقاس بافعال المرء لا بالادلة العقلية . وقد مضى عليَّ اكثر من عشرين سنة وانا اقول اني انتظر ان تحدث رزايا كبيرة من تصرُّف امبراطور المانيا الخارق حدود العقل بانيًا قولي هذا على الامور التالية

اولاً انهُ من اسرة ظهر الجنون فيها وقد احاط بهِ المتملقون ولا يظهر انهُ يملك قياد نفسهِ

ثانيًا ان الذي يعالج المجانين زمانًا طويلاً يستطيع ان يردَّ جنون الكثيرين منهم الى نمو زائد في حاسَّة من حواسهم الطبيعية . فالغَيْرة قد تزيد حتى تتولَّد منها اعراض يخشى شرها . واحساس الشر من الغير قد يصير ما يسمَّى بجنون الاضطهاد . والحذر قد ينتهي بجنون الشك folie de doute وهلمَّ جرًّا

ثالثًا قيل ان الذين يولدون صمًّا او يعتريهم الصمم في حداثتهم يصيرون اما من اصحاب الظنون فيعتقدون ان الناس يتقولون عليهم الاقاويل لانهم لا يسمعون كلامهم او يصيرون من المعجبين بانفسهم لانهم لا يسمعون احدًا يعترض عليهم

ولا شبهة ان كل هؤلاء معرضون للخلل العقلي

فاذا التفتنا الى امبراطور المانيا ورأينا المتملقين يحيطون بهِ وهو من المقدرة على جانب عظيم لم يتعذَّر علينا ان نعرف سبب اعجابهِ بنفسهِ وزد على ذلك انهُ غير قادر على انتقاد اعمالهِ . واعتقادهُ بانهُ يعرف كل شيء يدلُّ على خلل في قوة التمييز . لكن كل ما تقدم لا يوجب ان يكون مجنونًا . ولا شبهة في ان اعمالهُ لا تنطبق على القواعد الادبية المرعية . واذا قيل هل هو مجنون او مجرم فالحكم في اي الرجلين هو صعب جدًّا . فلو فعل رجل من الرعايا فعلهُ فسبَّب موت آخر لعومل معاملة مجنون مجرم وسجن في سجن المجانين المجرمين

قال مودسلي [1] ان البعض جنونهم اشد من شرهم والبعض شرهم اشد من جنونهم والفريق الاول حري بالشفقة والثاني بالعقاب . انتهى

(1) Maudsley عالم فسيولوجي كان رئيس المجمع الطبي السيكولوجي في بلاد الانكليز واستاذ الطب الشرعي في جامعة لندن ومحرر مجلة العلوم العقلية . ومن اشهر مؤلفاته فسيولوجية العقل و باثولوجيته ومسؤولية المصابين بالامراض العقلية

اصلاح الانف بالجراحة

في الناس كثيرون ينكرون فائدة الدواء في معالجة الامراض · وقد عرفنا بعضاً من مشاهير الاطباء يشخص المرض احسن تشخيص ثم يقف عند هذا الحد كأن يقول لعليله ان مرضك كيت وكيت ولا ينجيك منهُ الأ الاعتدال في المعيشة والهواء النقي والطعام السهل الهضم الكثير الغذاء وفي الانسيكلوبيذيا البريطانية عند كلامها على معالجة الدفثيريا بالمصل قولها ان كثيرين من مشاهير الاطباء ينكرون فائدة المعالجة بالمصل مع ظهورها كالشمس ولكن امثال هؤلاء ان كانوا لا يصدقون فعل المصل فهم لا يصدقون شيئاً

نعم ان طائفة كبيرة من الادوية لا فائدة منها مطلقاً · ولكن من ينكر فائدة الكينا مثلاً في شفاء بعض اصناف الحمّى او فائدة التطعيم في الوقاية من الجدري وكذلك فعل كثير من انواع الدواء في تقوية البنية · فان من ينكر ذلك كمن ينكر فعل السمّ في الاجسام

على انهُ مهما يكن من انكار بعض الناس لفعل الدواء فليس ثمة من ينكر فعل الجراحة · فقد يختلف الاطباء في تشخيص مرض ما ولا يتفقون على تشخيصهِ الأ عند فتح رمة صاحبهِ بعد مماتهِ كذلك قد يختلفون على الدواء الذي يصفونهُ لهُ وقد لا يتفقون البتة ولكن لا مجال للاختلاف فيما يرى رأي العين ويلمس باليد والعمليات الجراحية من هذا القبيل · وقد خطت الجراحة خطى واسعة في الربع الاخير من القرن الماضي حتى قال البعض ان تقدمها اعجب ما كان في ذلك القرن وربما عدّ اعظم ما تمّ من الاختراعات والاكتشافات فيهِ

وكثير من الامراض كان يفضي بصاحبهِ الى الموت على الغالب قبل تقدم الجراحة باكتشاف مضادات الفساد كالتهاب الزائدة الدودية الذي كان يسمّى باسماء مختلفة قبل التحقق من ماهيتهِ · وكانت عملية الزائدة تحسب من العمليات الكبيرة فاذا نجحت واحدة فشل عشر · اما الآن فتعدّ من العمليات البسيطة التي لا يحسب لها حساب وقلما تنتهي بالموت

ولم يقتصر فضل الجراحة على معالجة الامراض بل جاوزها الى تحسين بعض اعضاء الجسم وخصوصاً ملامح الوجه وبالاخص الانف · فان الانف من ابين اجزاء الوجه التي تظهر بها الملاحة · فاذا كان معتدلاً لا شمم فيهِ ولا فطس ولا خنس ولا كزم ولا فغن ولا قنا فهو جميل ويزيد الوجه بهِ جمالاً والأ فقد يكون قبيحاً والوجه كذلك

وعيوب الانف ثلاثة. الاول ما ينشأ عن جروح تصيبهُ. والثاني ما تجلبهُ الامراض. والثالث ما كان خلقيًّا. وقد يتفق اذا كان العيب خلقيًّا ان لا يظهر الأَّ عند بلوغ الانسان حدًّا محدوداً من العمر وحينئذٍ يشمخ الانف بغتة بلا انذار سابق

واول من عالج آفات الانف بالجراحة الهنود فقد كان بعض قبائلهم في زمن سالف يقاصون بعض الجناة بجدع انوفهم. ورأى بعض كهنتهم ان الذين تجدع انوفهم تشوه وجوههم اقبح تشويه وان الواحد منهم يبذل اعزَّ ما لديهِ في سبيل تخفيف ذلك التشويه فاحتالوا على رزقهم باصلاح الانوف. وذلك انهم كانوا يقطعون قطعة من جلد الجبهة فوق الانف ويلصقونها بالفراغ الحادث من جدع الانف فتنمو فيهِ وتملأهُ. وقد ذكر التاريخ ان الطبيب برانكا الصقلي كان يعالج آفات الانف في اواخر القرن الرابع عشر واوائل الخامس عشر بتطعيمهِ بجلد يقتطع من الذراع. واشتهر بعملياتهِ هذه شهرة طبقت الخافقين

اما العيب الخلقي في الانف فقد يكون نتوءًا بارزاً في قصبتهِ يصير بهِ الانف اقنى او تضخماً في مارنهِ او فطساً في منخريهِ او غير ذلك. وقد درس جراح الماني عيوب الانف الخلقية ومارس معالجتها جراحيًّا مدة طويلة فعرض على جمعية برلين الطبية شابًّا كان ضخم الانف فعمل لهُ عملية جراحية بتر بها النتوء البارز من القصبة فعاد الانف معتدلاً سويًّا لا يكاد يرى فيهِ اثر العملية. ثم عرض على الجمعية بعد ذلك كثيرين عالج انوفهم بطريقة لم يمسّ فيها جلد الانف فاصلح الانوف من غير ان تظهر عليها ندوب الجراح

وقد ظهر من سؤَال كثيرين من الذين عملت فيهم العملية الجراحية ان الذي حدا بهم على تحمل آلامها واتعابها ونفقاتها ليس مجرد تحسين الوجه بل التخلص من تعيير الرفاق اياهم بانوفهم وتعريضهم للهزء والسخرية بسببها. وترى في الرسم المقابل صورة فتاة بانفها الاقنى قبل العملية وبهِ سويًّا بعدها. ويقال انها عادت الى المستشفى بعد شفائها وخروجها بين الناس لتشكر الجراح على عمليتهِ فامسكت يدهُ بكلتا يديها وقالت «صدقني انهُ لم يلتفت احد في السوق اليَّ». والظاهر ان الناس كانوا يكثرون الالتفات اليها وهي سائرة لا لحسن فيها بل لقبح في انفها

مصر منذ تسعين سنة

— للسائح الفرنسوي دي نرفال —

(٦)

الدراويش

خرجت من عند قنصلي بعد العشاء وكان خادمي البربري ينتظرني عند الباب وقد ارسلهُ عبد الله ترجماني ليرافقني الى منزلي ليلاً وقد انف هذا ان يأتي بنفسهِ لئلاً يحسب خادماً رخيصاً فقضى جزءاً من الليل في القهوة مع بعض التراجمة ثم دخل الى منزلي ونام. وفيما كنت مجتازاً مع البربري في محلة الازبكية رأيت حركة غير عادية فالطرق والقهاوي مكتظة بالناس وفوق الحوانيت المصابيح والزينات والاعلام. ومنائر الجوامع مزينة بالانوار والموءذنون يرتلون الآيات القرآنية. ورأيت عند ساحة العتبة الخضراء ووراءها صواوين داخلها المقاعد والكراسي للجالسين وبينهم القراء والفقهاء يقرأون القرآن انشاداً وفي بعض الصواوين والحوانيت جوقات المغنين وضاربي الطبول والزمارين. ثم اجتزت من هناك الى ما بين حارة الافرنج والاقباط فرأيت في صحن احد الجوامع جماعة من الناس واقفين على شكل دائرة في وسطها اناس ينشدون وحولهم اربعون او خمسون شخصاً يرددون ذكر الله على طريقة لم ارها قبل الآن. فوقفت اتفرج على هذا المشهد رغماً عن ارادة البربري خادمي وكان يدفعني بقوة حتى اخرج من هناك خائفاً على زعمهِ من ان يتعدى عليَّ احدٌ من الجهلة لكوني نصرانيًّا افرنجيًّا ولكني رأيت هناك كثيرين غيري من الاقباط واقفين يشاهدون تلك الحفلة الدينية وقد عرفتهم من جبابهم وعمائمهم السوداء. واني لعالم ان المسلمين يتسامحون كثيراً في ترك الاجانب يشهدون حفلاتهم الدينية. ولما لم اتمكن من اقناع البربري باشارات واضحة قلت لهُ ان يأخذني الى خمارة المسيو جان مواطني وكانت على مقربة من هذا المكان. ولما وصلت رأيت عندهُ جماعة من الاروام والاقباط يشربون الخمر فسألتهُ عن تلك الزينات والافراح والمعالم التي رأيتها في تلك البقعة وعن الجمع المحتشد في صحن الجامع وعن نشيد الفقهاء والمرتلين فقال لي انها حفلة عيد لولي ذلك الجامع وهذا العيد معروف عندهم «بالمولد» وكل البيوت والحوانيت حولهُ تزين تلك الليلة بالاعلام والشموع والازهار. وان تلك الحفلة التي رأيتها في صحن الجامع معروفة بحفلة «حلقة الذكر» حيث

يجتمع الفقهاء وارباب الطرق المنتسبون لطريقة ذلك الوليّ فيرتلون الايات القرآنية والناس من حولهم وقوف يرددون ذكر اسم الله

فدعوتهُ لان يصحبني الى المكان المشار اليهِ لاتفرج على هذه الحفلة · ولما وصلنا كانت الحفلة في اجمل مظاهرها ورأيت القائمين بالذكر وقوفاً يتمايلون يمناً و يساراً و يترنحون هياماً وهم يرددون ذكر اسم الله بسرعةٍ والمنشدون يثيرون بقصائدهم عاطفة حب الله في صدور السامعين · وقال لي المسيو جان ان اسلوب الحفلة ليس من عقائد الدين الاسلامي وانما هو اختراع قوم من الصوفية يعتقدون ان سعادة الروح في التجرد من المادة وهم بحسب الطريقة كأنهم مجردون من الجسم الهيولي فتسرح ارواحهم وتهيم في حب الله · واما القصائد التي ينشدونها في وسط الدائرة فكلها من منظومات الشعراء الصوفيين · وقد رجوتهُ ان يترجم لي بعض ابيات من تلك الاشعار ففعل · وها انا انقل بعض ابيات منها :

ذاب قلبي من الوجد والغرام وجفوني لا تغمض من الحب والهيام
وجسمي مضنى من السقام هل يا ترى ارى حبيبي ولو في المنام
في ظلام الليل انشد حبيبي الغالي ودموعي على خدي كاللآلي
وفؤادي في لظى الشوق يا حمام الدوح لِمَ تنوح
قال على فراق الحبيب والبعاد احرق فؤادي (١)

وارى ان الانشاد الروحاني هو بمثابة نشيد الانشاد في التوراة · وقال لي جان سترى بعد غد حفلات ذكر اكبر من هذه وذلك في مولد النبي · ولكن يجب ان تقف بزي عربي صرف لان هذا العيد يقع هذه السنة في يوم وصول المحمل ورجوع الحجاج من الحجاز · وبين هؤلاء عدد كبير من حجاج المغاربة والجزائريين وهؤلاء على جانب عظيم من الحماس حتى انهم لا يطيقون ان يروا في حفلاتهم الدينية اجنبياً وخصوصاً اذا كان مثلك بزي افرنجي

— الخدمة المنزلية —

وفي صباح اليوم التالي دعوت عبد الله ترجماني وقلت لهُ اني عزمت ان لا اعود بعد الى الفندق واشرت اليهِ ان يعدّ لي الطعام في المنزل عن يد الطباخ مصطفى · وفي السوق كثير من اللحوم والدجاج والخضر والفاكهة ما عدا الاسماك التي تصاد من النيل وكلها تباع

(١) لم اتمكن من نظم هذه الابيات حسب وضعها الاصلي ولم اجد في قصائد ابن الفارض او البهاء زهير او غيرهما من شعراء الغرام ما يطابق الفاظ هذه الاشعار ولذلك عربتها تعريباً حرفياً ويغلب على ظني انها من اغاني العصر الماضي

باثمان بخسة جداً . فالدجاجة الصغيرة تشترى بغرش واحد والحمامة بنصف غرش وقال لي المسيو جان انهُ لا يذبح في مصر سوى الغنم والجمال واما لحم البقر فلا وجود لهُ . والخضر كثيرة منها نوعان شائعا الاستعمال وهما البامياء والملوخية وليستا معروفتين عندنا في اوربا . ومع رخص هذه المواد الغذائية رأيت بعد بضعة ايام ان نفقات المطبخ فاقت كثيراً المصاريف التي كنت ادفعها في الفندق وتجاوزت الحد الذي كنت اظنهُ فتأ كدت حينئذٍ صدق قول مواطني جان ان الخادم والطباخ والترجمان اتفقوا على سرقتي . وهذا ما كان يشكو منهُ السياح من قبلي . فشاتوبريان قال انهُ انفق مالاً طائلاً على مطبخهِ مدة اقامتهِ بمصر . ودي لامارتين نفدت دراهمهُ قبل ان يتمكن من اتمام سياحتهِ وكثيرون من السياح لم يمكثوا سوى بضعة اسابيع واضطروا ان يعودوا الى بلادهم قبل ان يتموا سياحتهم في هذه البلاد لنفاد ما عندهم من المال . واخيراً عزمت على ان اقتني جاريةً فاستغني بها عن الطباخ والترجمان واقتصد بعض النفقات حتى لا اضطر ان اعود الى فرنسا قبل اتمام سياحتي في مصر وسورية ولبنان . واتفقت مع عبدالله على ان اذهب في اليوم التالي الى سوق الجواري لاشتري جارية تقوم بخدمتي المنزلية

— وكالة سوق الجواري —

في صباح اليوم التالي اصطحبت ترجماني فاجتزنا في شوارع واسواق كثيرة الى ان وصلنا بعد ساعة الى منزل محاط بجدار عالٍ فدخلنا في بوابة كبيرة الى حوش واسع في وسطهِ بئر واشجار كثيرة من الجميز وقال لي عبد الله ان هذا المكان يدعى «وكالة الجلابة» او سوق الجواري . فلما وصلنا الى آخر الحوش رأينا نحو اثنتي عشرة جارية من الزنجيات والسودانيات متوسدات الثرى ومستندات الى الجدار . تستر اجسامهنَّ ثياب بالية زرقاء وهيئاتهن تدل على الكآبة والبؤس . وحينئذٍ اقبل بعض النخاسين ارباب هذه الوكالة فاستقبلونا بترحاب وسألنا احدهم عما نريد من الجواري أسودانيات ام نوبيات ام حبشيات فقلت لهُ بواسطة ترجماني اريد ان اراهنَّ كلهن لانتقي منهن جارية تصلح لخدمتي

فادخلنا الى المنزل وهناك غرف ارضية رحبة فدخلنا في احداها واذا هناك ست جوار سودانيات وزنجيات جالسات على حصير فلما وقع نظرهن عليَّ استغرقن في الضحك والقهقهة لغرابة ملبسي الافرنجي فلم اظهر شيئاً من الغيظ وقد وجدت لهنَّ عذراً في ذلك لان انظارهن لم تألف بعد مرأى رجل بقبعةٍ طويلة ولباس ضيق . وربما كنت اول افرنجي وقف امامهنَّ . وكن لابسات اثواباً خلقة لا تكاد تستر اجسامهن ولست الوم النخاس في ذلك

لانهُ غير مضطر الى تحسين بضاعتهِ وتزيين جواريهِ وهن معروضات في كل ساعة للبيع · وكانت شعورهن مضفورة في عشرات من الجدائل الصغيرة الدقيقة ووجوههن لامعة من طلاء الشحم والزيت على عادة البلاد التي اتين منها · وكن لابسات في ايديهن وارجلهن وانافهن واذانهن كثيراً من الاسورة والخلاخل والاخزمة والاقراط النحاسية وعلى سواعدهن وصدورهن الوشم الازرق وعلى وجوههن اثار خطوط وندوب مما يزيدهن قبحاً · وقيل لي انهن جلبن من السودان وسنار · ورغماً عما كن فيهِ من نضارة الجسم وزهو الصبا لم تمل نفسي الى اقتناء جارية منهن لاني رأيت في ضخامة شفاههن وبروز الفك الاسفل واتساعهِ في وجوههن وانخفاض جباههن مما يجعلهن في نظر الاوربي قبيحات جداً وهو لم يتعود نظرهُ بعد هذا الصنف من النوع الانساني فاذا لم اجد جارية منهن تصلح لي فان قصور العظماء وسرايات الامراء لفي حاجة الى مثل هؤلاء الجواري للقيام بالخدمة المنزلية وهن موصوفات بقوة الجسم والنشاط والهمة والصبر على الخدمة والاعمال الشاقة

ورأيت في غرفة اخرى جواري نوبيات اقل قبحاً من الاوليات واصغر سنًّا واصفى لونًا ولو كنت غنيًّا وقصدت ان اقضي الحياة في البذخ والتنعم حسب المعيشة الشرقية المترفهة لابتعت كثيراً من هؤلاء الجواري ولكنني كسائح عابر سبيل لا اريد سوى جارية تصلح لخدمة منزلي · فطلبت من النخاس ان يريني احسن مما رأيت فقال لي ان ذلك منوط بمقدار ما ادفعهُ من المال ثمناً للجارية فسألتهُ — وكم ثمن الجارية من هؤلاء السودانيات والنوبيات فاجاب كيسان · وعلمت ان الكيس خمسماية غرش او ١٢٥ فرنكاً وقال لي ايضاً اذا اشتريت جارية فلك ان تردها في مدة ثمانية ايام اذا رأيت فيها عيباً · فقلت لهُ اريد جارية احسن مما رأيت · فاخذني الى مخادع اخرى وفيها كثير من الجواري النوبيات وهن اصغر سنًّا واكثر نضارة واقل قبحاً من السابقات الأ انهن كلهن من صنف واحد · ثم عزم النخاس ان يعريهن من ثيابهن حتى يريني نضارة اجسامهن وانجدال عضلهن ومرونة صدورهن فاستهجنت هذا الامر · وهؤلاء الفتيات المسكينات الساذجات كن طوع امر سيدهن لا بل كن يضحكن ويقهقهن كأن هذا العمل مألوف عندهن وقد تعودنهُ وذلك ما جعل هذا المنظر المستهجن اقل تأثيراً في نفسي · وكل واحدة منهن عالمة انها خطفت او ابتيعت من بلادها لا لتبقى اسيرة عند النخاس بل لتباع لسيد تقيم عندهُ وربما لقيت حظوة لديهِ وحسنت حالتها وصلحت معيشتها · ثم قلت لعبد الله ان يسأل النخاس عن الجواري الحبشيات · فاجابني عن لسانهِ

ان الحبشيات لا يعرضن عادة للفرجة لكل قادم او متفرج من السياح والغرباء بل لمن تأكد انهُ اتى بقصد الشراء حقيقةً · وعدا ذلك فالحبشيات اغلى ثمناً من غيرهن والواحدة منهنَّ تساوي ثلاثة او اربعة اكياس · وهنَّ نادرات الوجود الآن وفي بعض السنين لا يأتي «الجلابة» الأ ببضع جوارٍ منهنَّ · ثم اشار اليَّ ان انتقي من بين السودانيات جارية دنقلية فاجبتهُ لا اريد سوى حبشية · فقال لي عبد الله اذاً فلنذهب الى وكالة اخرى في خان جعفر او خان كوجك · ولما علم النخاس بعزمنا على الذهاب من عنده الى وكالة اخرى من غير ان نشتري جارية منهُ قال لي انهُ جلب عدداً من الجواري الحبشيات ولكنهُ وضعهنَّ في وكالة خارج المدينة لكي لا يضطر ان يدفع عنهنَّ رسم الدخولية وعرض علينا ان نصحبهُ الى هناك لكي نراهنَّ · فقلت لهُ لا بأس هيا بنا

خرجنا من هناك واجتزنا شوارع كثيرة الى ان خرجنا من المدينة شمالاً ومررنا بين مدافن على آكام وتلال والطريق هناك مترِبة يثور عثيرها الناعم في الهواء فيحجب عنا الجادَّة · ثم انحدرنا الى سهل واسع بقرب من حصنٍ قديم يقال لهُ باب المذبح وعلى مقربة منهُ جامع تداعت جدرانهُ للخراب فترجلنا عن الحمير واستقبلنا عند باب فضاء واسع بعض العربان · وفي وسطهِ خيام منصوبة وضعت فيها الجواري وعندما دنونا من تلك الخيام بلغ الى سمعنا جلبة وضوضاء فادخلنا الجلاَّب الى الخيمة الاولى وفيها بعض الجواري السودانيات فلما وقع نظرهنَّ عليَّ استغرقن في الضحك كغيرهنَّ · وفي وسط الخيام ساحة فيها بعض جوارٍ يعملن في الغسل والطبخ · واجتذب نظري جارية واقفة عند موقد النار تحرك الطعام في حلقٍ كبيرة فدنوت منها ورأيتها تطبخ نوعاً من الحبوب ولما وقع نظري عليها دهشت من اعتدالِ قوامها وتناسب اعضاء وجهها وصفاء لون بشرتها وعليها مسحة من الجمال فقصدت ان ابدأ الحديث معها بلفظة «طيّب» فلم تعرني انتباهاً ولم تلتفت اليَّ وظلت مكبة على عملها فتحولت عنها الى باقي الجواري فلم استحسن واحدة منهنَّ وتقززت من رائحة الشحم والزيت المدهونة بهِ شعورهنَّ واجسامهنَّ · وقال لي عبد الله ان ذلك من نوع التحلي والزينة في بلادهنَّ · وكنت كلما دنوت من واحدة منهنَّ تطلب مني «بقشيشاً» فاخذت بضعة فرنكات ودفعتها للنخاس لكي يوزعها عليهنَّ وخشيت ان يستأثر بها فقلت لهُ وزعها على مرأى مني فقال

انهنَّ لا يعرفنَ قيمة النقود ولا يدرين ما يصنعن بها والاولى ان اوزع عليهنَّ اشياء اخرى بقيمتها ثم احضر لهنَّ مقداراً من التمر الناشف والبطيخ والتبغ وزجاجة من العرق ووزعها عليهنَّ فاظهرن السرور والانبساط وبدأن يرقصنَ امامي علامة الشكر على هديتي ·

واما الجارية الطويلة التي جذبت نظري فلم تتحرك من مكانها ولم تشترك مع رفيقاتها بالسرور كانها تأنف ان تساوي نفسها بهنَّ فدنوت منها وحدقت في وجهها فاظهرت النفور والانفة واخيراً وقعت عينها على كفيَّ وعليها قفازان من جلد اسود فاظهرت الدهشة والاستغراب كيف ان لون وجهي ابيض و يداي سوداوان فتركت عملها ووقفت تنظر بحيرة الى هذا الامر الغريب الذي لم يدركهُ عقلها الساذج. ولكي ازيد دهشتها وضعت يديَّ وراء ظهري ونزعت عنهما القفازين ثم اظهرتهما مجردتين فذعرت من هذا التغيير الفجائي وظنتني ساحراً ففرت من امامي وهي تصرخ برعب «بسم الله الرحمن الرحيم هذا عفريت هذا شيطان» فذعرت رفيقاتها فابتعدن عني وهنَّ ينظرن اليَّ شزراً. ثم دنوت من عبد الله وقلت لهُ لقد اعجبتني تلك الجارية الواقفة تطبخ عند الموقد فكم يبلغ ثمنها؟ اجاب ان هذه الجارية لا يبيعها صاحبها لانها محظيتهُ وهو يرجو ان تلد لهُ ولداً وحينئذٍ امّا انهُ يعتقها و يجعلها زوجةً لهُ واما انهُ يبيعها بثمن طائل كرضعة ولادة فتأثرت من هذا الجواب ثم قلت لهُ

اليس عندهُ جارية حبشية لان نفسي تعاف مرأى هؤلاء الزنجيات فقال ان الحبشيات نادرات الوجود الآن واشار اليَّ ان انتظر مدة يومين عند وصول الحجاج من مكة. وكثيرون من تجار الجواري «الجلابة» ياتون معهم ويجلبون جواري حبشيات وتركيات وهنديات وغيرهنَّ من جزيرة العرب وسكان محيط الاوقيانس وقال ان الحجاج سيقفون في سهل بعيد عن المدينة يقال لهُ «بركة الحاج»

ثم خرجنا من تلك الوكالة ولما وصلنا الى باب المذبح ومررنا في شارع الحسنية رأينا رجلاً تركيًّا يتبعنا وقد خرج من تلك الوكالة يقود امامهُ جاريتين سودانيتين اشتراهما فلاحت مني نظرة اليهما فرأيتهما تبكيان والدموع ملء اعينهما ولا اعلم لماذا تبكيان هل كان ذلك حزناً على فراق رفيقاتهما ام فرحاً لتخلصهما من اسر النخاس وشظف العيش. ذهبتا وهما لا تعلمان ما خبأ لهما الزمن هل تكونان في بيت من اشتراهما كمحظيتين ام كخادمتين

— مرسح في القاهرة —

اجتزنا بشارع الحسنية ثم مررنا في طريق على محاذاة ضفة الخليج وعند آخره يتفرع بين حي الافرنج وحارة اليهود ثم مررنا في الموسكي وعند مدخل واغورن بالقرب من الفندق (خمارة النيل القديمة) رأيت اعلانات بحروف افرنجية معلقة عند مدخل قهوة كبيرة علمت منها ان ستمثل تلك الليلة رواية فرنسوية يقوم بتمثيل ادوارها نخبة من الافرنج غواة التمثيل لاعانة جمعية العميان الفقراء وهم في مصر كثيرون جداً فصرفت ترجماني عبد الله وذهبت

وتناولت العشاء في الفندق وعند الساعة التاسعة ذهبت الى الملعب فرأيت ساحة واغورن ضيقة على سعتها وقد ازدحمت فيها اقدام الذين قدموا لحضور التمثيل ومن المتفرجين والمارة والغلمان والمتسولين والحمارة والصراخ متواصل من كل جهة « بقشيش بقشيش » كما رأوا افرنجياً داخلاً

فدخلت الى الملعب ورأيته مكتظاً بالوافدين والمقاعد السفلى ملأى بالجالسين من الطليان والاروام والمالطيين . وفي المقاعد الامامية قرب جوق الموسيقى كثيرون من الضباط الاتراك والباشاوات . واما الالواج فكلها ملأى بالنساء الافرنجيات والشرقيات ومعظمهن من السوريات وهؤلاء اكثرهن بهرجة وزينة وانفرهن ملبساً وحلية وقد نزعن الحبرات عن رؤوسهن وجلسن سافرات الوجوه . وترددي الكثير بين احياء مصر والى منتزهاتها وكنائسها جعلني خبيراً بالتمييز بين اصناف المسيحيين نساء ورجالاً فالنساء السوريات والمالطيات وبعض الايطاليات المتوطنات في مصر من زمن طويل يلبسن على رؤوسهن الطربوش الاحمر المطوق بالعصائب المقصبة . واليونانيات يلبسن طاقية حمراء مطرزة بالشريط الذهبي يقال لها في اللغة الرومية « تاتيكوس » والنساء الارمنيات يعرفن بوضع الشال على اكتافهن والغطاء الابيض على رؤوسهن . واما اليهوديات فحيث يحرم على المتزوجات منهن اظهار شعورهن لاجنبي حسب المذهب الرباني التلمودي يلصقن على رؤوسهن قبعة من ريش الطيور تغطي الشعر . واما اثواب النساء فتختلف بين الاوربيات والشرقيات وهؤلاء الاخيرات وخصوصاً السوريات والتركيات يلبسن ثوباً من الحرير مزركشاً بالقصب قصيراً الى الركبتين حتى تظهر تحته اطراف لباس ضخم معقود عند كاحل الرجلين يقال له « شنتيان » والثوب منفرج عند الصدر انفراجاً واسعاً حتى تبرز النهود وهو مشقوق من الجانبين حتى تظهر الخاصرتان . و يتمنطقن بمنطقة من الحرير الملون في اوساطهن . وهذا النوع من الزي ورد اخيراً من اسطنبول مع النساء التركيات والشركسيات و يقال له عندهم « اليلك » وكان قبلاً شائعاً في اوربا منذ بدء القرن الماضي . اضف الى ذلك ما يلبسن من الحلى والاقراط وما على رؤوسهن من الاهلة المرصعة بالماس والحجارة الكريمة وحول اجيادهن من العقود واللآلئ . ففي هذا الملعب معرض الجمال والزي الشرقي على اختلاف انواعه وابهة الفخفخة الشرقية . وهذا الجمال ليس طبيعياً صرفاً لاني رأيت اكثر النساء يبذلن ما في وسعهن ليظهرن جميلات مكحلات العيون مزججات الحواجب مبيضات الوجوه محمرات الوجنات يوسمن وجوههن وجباههن بشامات سوداء على عادة اهل القرن الماضي في

اوربا الا انها ابطلت في فرنسا بعد الثورة الفرنسوية · واما شعورهنَّ فمصبوغة بنبات يقال لهُ الحناء كأن لونها الطبيعي لا يعجبهنَّ · فالمرأة الشرقية بما عليها من الزينة والحلي والجواهر عنوان منزلة اهلها المالية والادبية تحمل على جسمها ثروة زوجها · واما النساء المسلمات فلم يكن في المسرح منهنَّ سوى بعض التركيات وكن محجبات وقيل لي انهُ لم يكن بينهنَّ امرأة واحدة مصرية

ثم فتح الستار ومثلت رواية من نوع الفودفيل وكانت الممثلة الاولى مدام بونوم صاحبة المكتبة الفرنسوية التي سبق ذكرها · وعند انتهاء التمثيل خرج الجمع · اما النساء اللواتي وصفتهنَّ فخرجن محبرات بالسواد ساترات الوجوه ببرقع ابيض يقال لهُ « برغوث » وسار خدمهنَّ او رجالهنَّ يحملون امامهنَّ الشموع والفنارات ومن كن يسكن في مكان بعيد ركبن الحمير وذهبن

— الحلاَّق —

في اليوم السابق من وصول المحمل وركب الحجاج فكرت في مشورة مواطني جان وهي ان ابدل زيي الافرنجي بزي عربي لئلاَّ اعرض نفسي لخطر او اهانة من المغاربة المتحمسين · وكنت قد اشتريت قبلاً مشلحاً من الصوف فاخذتهُ وذهبت الى صديقي المصور ورجوت منهُ ان يأخذني الى حلاق يعرفهُ فخرجنا معاً واجتزنا شارعاً طويلاً على جانبيهِ دكاكين الاروام والارمن (بين السورين) ثم دخلنا الى دكان حلاق مالطي تطل نوافذهُ على ترعة الخليج · فجزَّ شعري الطويل وترك خصلة منهُ في ام رأسي حسب عادة المسلمين واصلح من شأني حلاقة وغسلاً وتزييناً ثم اشترينا طربوشاً احمر مغربياً وطاقية بيضاء تلبس تحتهُ دائرها مزركش بخيوط حريرية · وهذا النوع من الطرابيش يصنع في مدينة « تور » احدى مدن فرنسا ويرد منها الى كل بلاد المشرق · ولكي استر لباسي الافرنجي اشتريت سروالاً واسعاً من الجوخ الازرق فوقه صدرية حمراء مخرمة الطرف بشريط وازرار فضية ولما لبست هذا اللباس ووضعت على رأسي الطربوش تدلى عليهِ الطرَّة الطويلة من الحرير الازرق وتدثرت بالمشلح الابيض على كتفي قال لي الحلاق والحاضرون انهُ يحق لي الآن ان اسمَّى « شلبي » وهي كلمة تركية تطلق عندهم على كل شاب حسن الهندام · وقال لي المصور اني صرت بزيي هذا اشبه اميراً سورياً لبنانياً وصل حديثاً من صيداء او بيروت

— ركب الحجاج —

وفي صباح اليوم التالي ذهبت مع صديقي المصور وترجماني للتفرج على ركب الحجاج

وكانوا قد وصلوا قبل يوم ونزلوا مع المحمل في بركة الحاج بالقرب من المطرية · فاستأجرنا الحمير وخرجنا من باب الفتوح ورأينا في طريقنا جماهير الناس ذاهبين الى ذلك المكان بين مشاة وفرسان وعربًا راكبي الجمال وقد غصت بهم الطرق والسهول · ومرت فرقة من حرس الباشا الوالي باسلحتها اللامعة وخوذاتها النحاسية ورماحها الطويلة · وصلنا الى سهل واسع عند ترعة الخليج بالقرب من المطرية، وكانت هناك خيام مضروبة واعلام مرفوعة لاستقبال الحجاج الوافدين · وبلغ عددهم في هذا العام كما قيل لي ثلاثين الفًا بين مصريين واتراك ومغاربة من مراكش والجزائر وتونس · ومرت فرق عديدة من ارباب الطرق باعلامهم وشاراتهم المختلفة (١)

— السيد عبد الكريم —

في صباح اليوم التالي ذهبت مع ترجماني الى سوق الجواري في سوق العزي Souk-el-Ezzi (؟) بعد ان لبست ملابسي الجديدة الشرقية لئلا يهزأ الجواري بي كما فعلن في المرة الاولى فوصلنا الى منزل ذي رحبة واسعة يدعى بيت الكاشف كان قبلاً لاحد امراء المماليك وفي صدره ايوان واسع باعمدة من رخام حوله مقاعد ووسائد حريرية · فرأينا رجلاً اسمر اللون بدين الجسم واسع الصدر متربعًا على المقعد وهو يدخن نرجيلة وامامهُ كاتب قبطي جالس على الحصير ومعهُ ادوات الكتابة ويظهر انهُ كاتب سره

فلما صعدنا الى الايوان استقبلنا الرجل بترحاب ولطف · وقال لي عبد الله هذا هو السيد عبد الكريم من اشهر واكبر الجلاَّبة تجار العبيد والجواري · ثم وضع عبد الكريم يدهُ على صدره وجبهته ورحب بي بقوله اهلاً وسهلاً · فرددت عليه السلام وادرك من لهجتي الغريبة اني افرنجي ثم دعاني للجلوس بالقرب منهُ على المقعد وامر ان نقدم لي القهوة والنرجيلة واما ترجماني فجلس عند طرف الايوان · وكان يترجم بيني وبين عبد الكريم فذكر لهُ منزلتي ورغبتي في هذه الزيارة واني اطلب جارية تقوم بخدمتي مدة اقامتي بمصر وذكر لهُ اني استأجرت منزلاً وفرشتهُ وجعلتهُ صالحًا للعيشة العائلية · وكان عبد الكريم يكلمني من حين

(١) وهنا وصف السائح مرور الموكب في شوارع القاهرة ووصول المحمل الى القلعة واستقبال محمد علي باشا والجالو واعضاء اسرته والعلماء والاشراف له ما لا يخرج وصفهُ عن حد الحفلات المعتادة التي تعمل الآن · واتفق ان ذلك اليوم كان عيد مولد النبي ايضًا فوصف ما رآهُ في المساء من الزينات ومعالم الافراح في الجوامع والدكاكين وقصور العظماء والملاعب المختلفة في ساحة الازبكية والعتبة الخضراء ما لا داعي الى ذكره

لآخر بلغة ايطالية سقيمة وظهر لي من هيئتهِ وحدة نظرهِ انهُ في غاية الذكاء والاقدام ولا تخلو ملامحهُ من المكر والدهاء ولا بدع فانهُ جاب البلاد وخبر العباد وطاف في مجاهل افريقية حتى الحبشة وسواحل بلاد العرب وخليج العجم الى المحيط الهندي . ورأيت في عينيهِ نوراً جذاباً وسلطة على ارادة من ينظر اليهِ ثم نزلنا من الايوان ودخلنا عرصة وراء المنزل فرأينا بعض الجواري النوبيات والسودانيات ثم اقبل بعض المشترين فتركنا عبد الكريم وذهب لاستقبالهم وكان يعرض عليهم كل جارية بمفردها ويطنب باوصافها ويعري اكتافها ويقرع بكفهِ على ظهرها وصدرها ليريهم قوة عضلاتها ونعومة جسمها وقد ساوم احدهم على جارية سودانية واشتراها . ثم رجع عبد الكريم الينا وادخلنا الى دهليز طويل في المنزل حولهُ غرف ومخادع عديدة ورأينا في عرصة داخلية بعض السود المعروضين للبيع ولما امعنت النظر فيهم رأيت بينهم رجلاً طويل القامة نحاسي اللون على كتفهِ مشلح مخطط ولهُ شعر طويل مسترسل على وجههِ وملامحهُ تدل على الوقار والرزانة والانفة . ورأيت على دهشةٍ مني في يدهِ سلسلة او قيداً من الحديد فرابني هذا الامر ولما سألت عبد الكريم عنهُ قال . انهُ امير من امراء الفلا بجوار الحبشة اسر في الحرب مع قبيلة اخرى معادية باعتهُ للنخاسين وانما قيد بالحديد لئلاَّ يؤذي نفسهُ او احداً غيرهُ اذا اطلق سبيلهُ لانهُ نفور انوف يأبى الاسر ترفعاً واستكباراً فملت عطفاً اليهِ واسفت على حالتهِ

ثم ادخلنا عبد الكريم الى قاعة واسعة رأيت فيها سرباً من الجواري الزنجيات والنوبيات الاَّ انهن اصغر سناً ممن رأيتهن قبلاً . وكن يقهقهن ضحكاً ويغنين طرباً الاَّ واحدة منهن كانت منزوية تبكي وتضم الى صدرها طفلاً رضيعاً وربما كانت تبكي حناناً على ابنها الرضيع وهي لا تعلم هل يباع معها ام يفصل عنها فحولت نظري عن هذا المنظر المؤثر وانفطر قلبي شفقة على تلك الام المسكينة التعيسة . ولم استطع كتمان غيظي وانفعالي فقال لي ترجماني ببرودة لا تجزع ولا تأخذنك الشفقة عليها فهذه الجارية مملوكة احد الافندية من موظفي الحكومة ارتكبت زنى او عصت امر سيدها فلكي يؤدبها احضرها الى هنا موهماً اياها بانهُ يريد ان يبيعها ولكنهُ اوصى السيد عبد الكريم ان يحتفظ بها الى ان يأتي اليوم او غداً ويسترجعها ولا اعلم مكان هذا الكلام من الحقيقة . أليس من الغرابة ان تبكي جارية خوفاً من العتق ؟ . ان العبيد والجواري لا يشترون في مصر وكل بلاد المشرق الاَّ للقيام بالخدمة المنزلية والحسان منهن يقمن عند اسيادهن مقام الزوجات بخلاف الرق في امريكا الجنوبية والبرتوغال والبرازيل حيث يشترون العبيد والجواري للاشغال الشاقة في حرث

الارض وزرعها والتعدين . أليس الرق في الاسلام اخف وطأة منهُ عند المسيحيين المتمدنين؟
أليس باي تونس المسلم الغى الرق في بلادهِ قبل ان تلغيهُ هولاندا والبرتوغال في مستعمراتها ؟

— الجاوية —

صعد عبد الكريم الى منزل حرمهِ ورجع وقال لي ان في حرمهِ بعض الفتيات الحبشيات وهو كثير الاهتمام بهنَّ حتى انهُ سمح لهنَّ ان يأكلن على سفرتهِ مع اسرتهِ ويعاملهنَّ كما يعامل اهل بيتهِ . وانهُ امر ان ينزلن الى عرصة الدار لكي اراهنَّ . فجلسنا ننتظر في الايوان وبعد ساعة فتح باب داخلي وخرج منهُ سرب من الفتيات يبلغن نحو خمس عشرة جارية وكلهنَّ حبشيات نحاسيات اللون . خرجن من الباب يدفع بعضهن بعضاً ووثبن الى فناء الدار ركضاً وقفزاً كانهنَّ ظبيات خرجت من اقفاصها او بنات خرجن من قاعة الدرس الى ساحة اللعب . ثم ذهبن الى حوض ماء كبير واخذن يلعبن برش الماء بعضهنَّ على بعض . فهؤلاء المسكينات يحسبن انفسهنَّ على ضفاف الانهر في بلادهنَّ يسرحن مرحاً على مرأى من اعين امهاتهنَّ ولا يعلمن ما خبأ لهنَّ الدهر والاسر من الكوارث

فامعنت نظري فيهنَّ فاذا هنَّ جميلات متناسبات الوجوه واسعات العيون . وقال لي عبدالله ان كثيرات منهنَّ بعن اختياراً او احضرن برضاهنَّ قصد المبيع لعلهنَّ يجدن مستقبلاً حسناً سعيداً . ولما سألت عبد الكريم عن ثمن الجارية منهنَّ اجاب اربعة اكياس (٢٠٠٠ غرش) لان الحبشيات يبعن غالياً بثمن اغلى من النوبيات والسودانيات . ثم عرض عليَّ ان يريني منزل حرمهِ وقال لي ان عندهُ ايضاً جواري أُخر اغلى ثمناً واحسن شكلاً . فاصعدني وحدي الى الطبقة العليا واراني في احدى الغرف خمس جوارٍ حبشيات على جانب عظيم من الجمال وكلهنَّ صغيرات بعيون واسعة وانوف معتدلة وشفاه رقيقة ووجوه مستديرة لا فرق بينهنَّ وبين اجمل النساء الاوربيات الاَّ في لون البشرة النحاسي فالجارية منهنَّ تشبه في جمالها تمثال الزهرة الرخامي الابيض الذي اكمد لونهُ من حرارة الشمس وطول الزمن . وقال لي عبد الكريم انهنَّ نصرانيات من صميم الحبشة . فوقفت في حيرةٍ لا اعلم من اختار منهنَّ لانهنَّ متماثلات في كل شيء وحينئذٍ حانت مني التفاتة فرأيت جارية واقفة عند باب المخدع فلما وقع نظري عليها دهشت اذ رأيت امامي فتاة بديعة الجمال حسنة القوام لونها اصفر ضارب الى البياض عيناها لوزيتان ناضرة الجسم فادركت لاول وهلةٍ انها من الجنس الاصفر من سكان جاوه او جزائر المحيط الهندي فاقتربت قليلاً منها فرأيت من لمعان عينيها الجذابتين ونعومة بشرتها ما جعلني اميل اليها . ولما رأى عبد الكريم كثرة تحديقي

بها ولحظ ميلي اليها وضع يدهُ على كتفي برفقٍ وقال لي « بونو بونو مولتو بونو »

ثم نزلنا الى الايوان ودار الحديث بيننا على هذه الفتاة بواسطة ترجماني فعلمت انها وصلت بالامس مع ركب الحجاج من الحجاز وان بعض فرسان العرب في عمان اسروها من بلادها وهي صغيرة وباعوها لاحد امراء مسقط في خليج العجم · ولما توفي باعها ورثاؤهُ مع ما باعوهُ من تركتهِ لاحد مشايخ الحجاز في مكة وهي لم تبلغ بعد سن الحلم وهذا باعها في موسم الحجاج للنخاس · وقال لي عبدالله ان السيد عبد الكريم وضعها مع حرمهِ عندوصولها امس ولما رأى مني استنكاراً ادرك ما اريد فاقسم لي اعظم الايمان ان السيد عبد الكريم لا يأتي بعمل منكر امام حرمهِ لئلاَّ يجلب سخطهنَّ عليهِ وعدا ذلك فهو متدين تقي قضى الليل كلهُ في الجامع يصلي حرمة لعيد مولد النبي

ثم دارت المناقشة بيننا على الثمن فطلب عبد الكريم خمسة اكياس ثمناً لهذه الجارية الجاوية (٢٥٠٠ غرش) وقال لي عبد الله ان السيد يأبى عادةً ان يساوم في الثمن · فقبلت ورأيت من العار المساومة على ثمن امرأة · ولما سألتهُ عن اسمها قال لي ان اسمها « زنْبْ » فعسر عليَّ لفظ ثلاثة حروف ساكنة واخيراً علمت ان زنب هو اسم زينب في لفظ عرب اليمن وعمان · ثم كتبت لعبد الكريم تحويلاً في الثمن لاحد الصيارفة الافرنج المودعة عندهُ اموالي واستلمت الجارية وخرجنا من هناك يرافقنا احد خدمة عبد الكريم يحمل صندوقاً صغيراً قال لي انهُ يحتوي على بعض ثياب للجارية كانت لها عند سيدها الاول في عمان

ولم نصل الى المنزل الاَّ عند المساء وكان مرورنا من حارة اليهود الى الخرنفش فوصلنا الى دار عظيمة واسعة الرحاب لاحد كبار مشايخ الطرق يقال لهُ السيدالبكري فدخلنا ورأينا ازدحاماً عظيماً في فناء الدار ونحو ستين او سبعين شيخاً خاشعين ساجدين على ايديهم وركبهم والشيخ البكري راكب على جواد مطهم وعلى كتفهِ برنس ابيض متشح بهِ وهو يتنقل بجوادهِ على ظهور هؤُلاء الناس والمنشدون من حولهم يذكرون اسم الله ويرتلون الآيات · وقال لي عبد الله ان هذه الحفلة تدعى « حفلة الدعسة » تعمل في السنة مرة في عيد مولد النبي وانها من الخوارق والعجائب لان بركة هذا الشيخ وصلاحهُ يخففان وطأة الجواد عن ظهورهم ويجعلهم يشعرون بالسرور والارتياح ولم يحدث قط في هذه الحفلة عطب او ضرر لاحد من العباد من حوافر جواد الشيخ الشريف

وفي المقالة التالية ما جرى لهذا السائح مع جاريتهِ من الحوادث الغريبة

ديمتري نقولا

الخسارة البحرية

في الحرب الحاضرة

لما نشبت هذه الحرب كان زمام البحر في ايدي الحلفاء لتفوق اساطيلهم على اساطيل الجرمان . ورأى الجرمان ذلك فحشدوا ما استطاعوا من بوارجهم في مرافئهم اما السفن الحربية التي لم تستطع الوصول الى هذه المرافئ فبقيت تمخر في البحور البعيدة حيث الخطر عليها قليل فحاول قطع سبل التجارة على بواخر الحلفاء كما رأينا من اعمال الطراد امدن المشهورة وغيره . فعمد الحلفاء الى تطهير البحور منها ففازوا بهذا الارب ولكن بعد ان خسروا عدداً من سفنهم البحرية كما يتضح مما يلي . وسنبين في هذه العجالة خسارة الحلفاء في السفن البحرية في الميادين المختلفة وخسارة الجرمان ايضاً حتى مارس الماضي

خسارة الحلفاء

خسر الانكليز في تطهير البحار الجنوبية من الطرادات الالمانية ثلاثة طرادات وهي «جودهوب» ومحمولهُ ١٤١٠٠ طن « ومونموث » ومحمولهُ ٩٨٠٠ . وقد خسروهما في المعركة البحرية التي دارت بينهم وبين بعض الطرادات الالمانية على الساحل الغربي من اميركا الجنوبية بازاء شيلي . اما الطراد الثالث فاسمهُ « بيغاسوس » وهو اصغر من السابقين بكثير اذ حمولتهُ ٢١٣٥ طناً . وقد اغرقهُ الالمان في مياه زنجبار

هذا ما خسروهُ خارج مناطق الخطر الكبرى اما ما خسروهُ داخلها فهو البوارج والطرادات الكبيرة الآتية : ارزِستِيل . واوشن . وجليات . وترايمف وهي انكليزية . وبوفيه وليون غمبتا وهما فرنسويان

وفي المعركة التي جرت قرب السواحل الالمانية (وخسر الالمان فيها الطراد بلوخر واصيب بعض طراداتهم الاخرى باضرار مختلفة) عطب الطراد الانكليزي لَيُون وطرادات غيره ولكنها أُصلحت

اما خسارة الحلفاء بالالغام فاعظم من خسارتهم في المعارك وقد خسروا بذلك البارجة اودايشس على ساحل ارلندا وهي من بوارج فوق الدردنوط . والبوارج « الملك ادورد » و« بلوارك » و« نتال » وكلها انكليزية و « بندتو برين » وهو ايطالي

وخسروا بتربيد الغواصات الطرادات « هوج » و« ابوقير » و« كريسي » و« فورمدابل » و« مادجستك » و« امالفي » و « غريبالدي » والاخيران ايطاليان

فمجموع السفن البحرية التي خسرها الحلفاء حتى ٤ مارس الماضي من كبيرة وصغيرة يناهز الثلاثين ولكن خسارتهم اياها لم تغيّر الحالة الحاضرة بل لا يزالون الآن متفوقين على اعدائهم في البحر تفوقهم عليهم في اول الحرب. وفي الرسم الاول صورة المدرعات والطرادات الكبيرة والصغيرة التي خسروها

خسارة الجرمان

بدأت الحرب والمانيا الثانية بين الدول البحرية ولكن الفرق بينها وبين انكلترا كبير جدًّا فالاصحّ ان يقال انها ثالثة لان الاسطول الانكليزي اول لا ثاني لهُ — قوتهُ اكثر من ضعفي قوة الاسطول الالماني. ومما يذكر في هذا الصدد ان نسبة قوة الواحد الى الآخر لم تتغير تغيراً محسوساً بانضمام اساطيل حلفائهِ اليهِ

ومعلوم ان طرادين كبيرين من الطرادات الالمانية وهما الطراد جوبن من طراز دردنوط والطراد برسلو وهو اصغر منهُ بكثير تمكنا من بلوغ المياه العثمانية قبل اشتراك تركيا في الحرب وافضى ذلك الى مفاوضات سياسية انتهت باغارتهما على بعض المرافئ الروسية في البحر الاسود والى دخول تركيا الحرب في جانب الجرمان. وقد تعددت الاشاعات بعطبهما ولكن عطبهما لم يمنعهما من مواصلة الحرب

واول معركة تلاقت فيها الطرادات الانكليزية والالمانية معركة فوكلند على الساحل الجنوبي الشرقي من اميركا الجنوبية او جنوب الاتلانتيك وفيها فقد الالمان طرادين مدرعين هما «شارنهورست» و«جنيسنو» وطرادين خفيفين هما «لبتسك» و«نورنبرج». واستيق الطراد «دريسدن» الى الباسيفيك حيث اغرق فيما بعد

اما الطرادات والبواخر المحوّلة التي انقطعت لقطع الطرق على البواخر التجارية فهي «امدن» و«كرلسروه» و«الامبراطور ولهلم الكبير» و«البرنس ايتل» و«فردريك و«الكرونبرنز ولهلم». فاغرقت الثلاثة الاولى منها بعد ما خربت كثيراً ولجأت الثلاثة الباقية الى المرافئ الاميركية

وفقد الالمان في البحر البلطيك الطراد «مجدبرج» وشاع انهم فقدوا ايضاً طراداً من طراز «مولتكي» ولكن هذه الاشاعة لم تحقق حتى الآن. واغرقت غواصات الحلفاء البارجتين «مسعودية» و«بربروسا» العثمانيتين. وغرقت البارجة «مجيدية» بلغم

وهاجم الاسطول الانكليزي بعض الطرادات الالمانية ففقد الالمان المدرعة «بومرن» والطرادات «ماينتس» و«كولن» و«ار يادن»

واختلف تقدير الغواصات التي فقدها الجرمان فمن قائل انها ٣٥ ومن قائل انها ٧٥ . والحقيقة ضائعة

ويقال اجمالاً ان عدد السفن الحربية الكبيرة التي فقدها الحلفاء اكثر مما فقده الجرمان وربما كان بعض السبب في ذلك اننا نجهل خسارة الجرمان بالدقة لانهم يخفون خسارتهم البحرية. وهناك عدد من السفن الحربية الجرمانية ذكر الحلفاء في بياناتهم الرسمية ان الجرمان فقدوها ولكن هؤلاء سكتوا عنها . على ان خسارة الفريقين لم تفضِ الى تغيير يذكر في نسبة قوتهما البحرية بل لا تزال تقريباً كما كانت في بادىء الحرب

وفي الرسم الثاني صورة السفن الحربية الكبيرة والصغيرة التي فقدها الجرمان دون الغواصات . فان عدد ما فقدوه منها مجهول كما تقدم القول . اما النقالات والبواخر فقلَّما فقد الجرمان منها لانقطاعها عن السفر بسبب الحصر البحري . على انهم خسروا كثيراً من النقالات والسفن الشراعية العثمانية في الدردنيل والبحر الاسود

وهاك جدولاً ذكرنا فيهِ نوع السفن التي فقدها الفريقان حتى اوائل مارس وتفريغ كل منها وقوتها وسرعتها متبعين فيهِ نمرها في الرسمين

سفن الحلفاء

	السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١)	اوداشس	فوق الدردنوط	٣١٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً
(٢)	ترايمف	قبل الدردنوط	١٤٠٠٠ «	٢٠ «
(٣)	بلوارك	«	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(٤)	ارزستبل	«	١٥٠٠٠ «	٠٠ «
(٥)	اوشن	«	١٣٥٠٠ «	١٨ $\frac{1}{2}$ «
(٦)	ارجيل	طراد	٢١٠٠٠ «	٢٢ $\frac{1}{2}$ «
(٧)	جودهوب	«	٣٠٠٠٠ «	٢٤ «
(٨)	فورمدابل	قبل الدردنوط	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(٩)	مادجستك	«	١٢٠٠٠ «	١٦ «
(١٠)	مونموث	طراد	٢٢٠٠٠ «	٢٤ «
(١١)	كريسي	«	٢١٠٠٠ «	٢١ «
(١٢)	ابو قير	«	٢١٠٠٠ «	٢١ «

	السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١٣)	هوج	طراد	٢١٠٠٠ حصان	٢١ ميلاً
(١٤)	جليات	قبل الدردنوط	١٣٥٠٠ «	١٨½ «
(١٥)	هوك	طراد	١٢٠٠٠ «	١٩ «
(١٦)	بندثوبرين	قبل الدردنوط	٢٠٤٧٥ «	٢١ «
(١٧)	امالفي	طراد مدرع	١٩٠٠٠ «	٢٢½ «
(١٨)	بوفيه	قبل الدردنوط	١٥٠٠٠ «	١٨ «
(١٩)	غريبالدي	طراد مدرع	١٤٧١٣ «	٢٠ «
(٢٠)	تسوجارو[1]	طراد محمي	١١٦٠٠ «	٢٠ «
(٢١)	تكاشهو			
(٢٢)	جمتشج			
(٢٣)	هرميس	طراد خفيف	١٠٠٠٠ «	٢٠ «
(٢٤)	امفيون			
(٢٥)	نيجر			
(٢٦)	باثفيدنر			
(٢٧)	بيجاسوس	طراد خفيف	٠٧٠٠٠ «	٢٠½ «
(٢٨)	سبيدي			
(٢٩)	كرابلانكا			
(٣٠)	ليون غمبتا	طراد مدرع	٢٧٥٠٠ «	٢٢ «
(٣١)	ارثوزا			
(٣٢)	الاميرال شارنر			
		المجموع	٤٠٢٢٨٨	

سفن الجرمان

	السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(١)	بلوخر	طراد مدرع	٤٠٠٠٠	٢٥
(٢)	شارنهورست	«	٢٦٠٠٠	٢٥
(٣)	جنيسنو	«	٢٦٠٠٠	٢٥

(١) هو من الطرادات التي غنمتها اليابان من روسيا في حربها كان اسمه بلادا فغيرته اليابان الى ما ترى

	السفينة	نوعها	قوتها	معظم سرعتها
(٤)	يورك	طراد مدرع	١٩٠٠٠	٢١
(٥)	برنس ادلبرت	«	١٨٠٠٠	٢٠
(٦)	فردريك كارل	«	١٨٠٠٠	٢٠
(٧)	ماينتس	طراد محمي	٢٠٠٠٠	٢٦
(٨)	كولن	«	٣٠٠٠٠	٢٦
(٩)	امدن	«	١٣٥٠٠	٢٤
(١٠)	دريسدن	«	١٣٥٠٠	٤٤
(١١)	نورنبرج	«	١٣٢٠٠	٢٣ ١/٢
(١٢)	بربروسا	مدرعة	١١٠٠٠	١٧
(١٣)	مجيدية	طراد	١٢٥٠٠	٢٢
(١٤)	مسعودية			
(١٥)	القيصرة اليصابات	طراد محمي	٠٨٠٠٠	١٩
(١٦)	زنتا	«	٠٧٢٠٠	٢٠
(١٧)	بريمن			
(١٨)	كونجسبرج			
(١٩)	ليبتسك	«	١٣٢٠٠	٢٣ ١/٢
(٢٠)	اريادن	«	٠٨٥٠٠	٢١
(٢١)	اندين	«	٠٨٥٠٠	٢١ ١/٢
(٢٢)	باجوار (٢٣) إلتس			
(٢٤)	نيجر (٢٥) لوكس			
(٢٦)	كورموران			
(٢٧)	البتروس (٢٨) هيلا			
(٢٩)	القيصر ولهلم الكبير	قبل الدردنوط	١٣٠٠٠	١٧ ١/٢
(٣٠)	راس طرف الغار			
		المجموع	٣٣٩١٠٠	

اما السفن التي لم تذكر لها اوصاف فهي اما من السفن الصغيرة التي لا يحسب لضياعها حساب او من التي اغفلت كتب القوم وصفها · ومنها ما ذكر بعض اوصافهِ دون الآخر كما رأيت

ويظهر من مقابلة المجموعين ان قوة السفن التي فقدتها المانيا وحليفتاها اقل قليلاً من السفن التي فقدتها انكلترا وحليفاتها

ولا يخفى ان الاسطول الالماني والنمسوي لاجئان الى مرافئهما فلم يتعرض منهما للخطر الأ البوارج التي كانت تمخر في البحار البعيدة عند اعلان الحرب وهذه قضي عليها كلها واما التي اختبأت في المرافيء الحصينة فلم تخرج منها الأ نادراً وكان خروجها دائماً لمفاجأة خصمها اي انها لم تواقفهُ في ميدان النزال ليعلم القوي من الضعيف · واما بوارج الحلفاء فكانت تهاجم كلما لاحت لها فرصة وقد حاولت اقتحام الدردنيل وهو مملوءٌ بالالغام والمدافع على جانبيهِ فخسرت خسارة كبيرة · ثم كانت اذا فاجأها اسطول عدوها في الزمان والمكان اللذين يختارهما تنهض لقتالهِ حالاً حتى اذا فرَّ من وجهها تبعتهُ ولو تعرَّضت لما يبذرهُ وراءهُ من الالغام · واذا وقفت بارجة منها تلتقط بحارة سفينة المانية عادت اليها بوارج الالمان واصلتها ناراً حامية فكل ذلك زاد في تعرضها للمخاطر

والعبرة في سفن الطرفين هي في حداثتها وقوة آلاتها البخارية فاذا قابلنا بين ما خسرتهُ المانيا من السفن الحربية الحديثة بوارج كانت او طرَّادات وما خسرتهُ انكلترا منها وعليها وحدهما الاعتماد في الحرب البحرية وجدنا ان ما خسرتهُ المانيا من سفنها الحربية الحديثة يفوق في قوتهِ ما خسرتهُ انكلترا او هو مثلهُ · ومعلوم ان نسبة قوة انكلترا البحرية الى قوة المانيا البحرية كانت قبل الحرب مثل نسبة اثنين الى واحد فلو خسر الانكليز ما قوتهُ ستون الف حصان وخسر الالمان ما قوتهُ ثلاثون الف حصان فقط بقيت النسبة بين قوتي الدولتين على حالها واذا زادت خسارة الالمان على خسارة الانكليز زاد تفوُّق الانكليز البحري على تفوق الالمان · ناهيك ان الانكليز اقدر من الالمان على بناء السفن الحربية واسرع منهم في بنائها واعدادها للحرب ولذلك لا عجب اذا كانت قوة الاسطول البريطاني الآن مضاعف قوة الاسطول الالماني وبهذا يعلَّل التجاء الاسطول الالماني الى البحر البلطيك داخل ترعة كيال التي لا يمكن اقتحامها لضيقها وطولها وشدة تحصينها على جانبيها · ولو آنس من نفسهِ المقدرة على منازلة الاسطول البريطاني لخرج اليهِ وفاجأهُ او بيتهُ لان للمهاجم مزية كبرى على المهاجم ولكنهُ لا يفعل لانهُ يرجح ان الدائرة تدور عليهِ لعظم تفوق الاسطول البريطاني عليهِ

شكسبير

تمهيد

احتفل كثيرون في ٢٣ من شهر ابريل الماضي بمرور ثلثمئة سنة على وفاة شكسبير الشاعر الانكليزي المشهور . فرأينا ان نكتب عنهُ شيئاً مما يدخل في مباحث المقتطف وتكون منهُ فائدة لقرائهِ . ومدار ما سنكتبهُ على شهرة شكسبير اي على دلائل هذه الشهرة واسبابها وكيفية وصولهِ اليها رجاء ان يكون من ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

(١) دلائل هذه الشهرة

اتفق الذين كتبوا عن شكسبير على انهُ من المشاهير لكنهم اختلفوا في تحديد شهرتهِ فقال الذي كتب ترجمتهُ في انسكلوبيذيا ريس الانكليزية المطبوعة منذ مئة سنة انهُ « شاعر انكليزي من مؤلفي الروايات التمثيلية وهو اشهر من ألَّف من القدماء والمحدثين » . وقال الاستاذ سبنسر بينس في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية انهُ « شاعر انكلترا واعظم شعراء الروايات التمثيلية الذين نشأوا في اوربا في العصور الحديثة » . وقال العالم ادمند كرشفر تشمبرس في الطبعة الحادية عشرة من الانسكلوبيذيا البريطانية التي طبعت سنة ١٩١٣ انهُ « شاعر انكليزي وممثل ومؤلف روايات تمثيلية »

وقال الاستاذ دودن في طبعة حديثة من سكلوبيذيا تشمبرس « انهُ اكبر شاعر من شعراء الروايات التمثيلية » وقال الدكتور بنيامين سمث محرر سكلوبيذيا السنتشري « انهُ شاعر انكليزي مشهور وهو اشهر واضعي الروايات التمثيلية » . وقال بوليو في قاموس الاعلام الفرنسوي « انهُ اول شاعر انكليزي صنف الروايات التمثيلية » وقال لاروس في الانسكلوبيذيا الفرنسوية « انهُ اعظم شاعر من شعراء الروايات التمثيلية »

واثبت الاستاذ كاتل الاميركي بالاستقراء ان شكسبير اشهر رجل عند الاوربيين والاميركيين بعد نبوليون بونابرت . وذلك انهُ اخذ ستة من اشهر الانسكلوبيذيات الانكليزية والفرنسوية والالمانية والاميركية واوسعها رفتَّش في كلٍّ منها عن الالف الذين شغلت ترجماتهم اوسع مكان فيهِ بالمقابلة مع غيرهم فاجتمع لديهِ ستة آلاف اسم فانتقى منهم الالف الذين ذكروا في هذه الانسكلوبيذيات الستة كلها وكانت ترجماتهم فيها اوسع من ترجمات غيرهم وقسمهم الى عشر طبقات حسب طول ترجماتهم ورتَّب اسماء كل طبقة حسب طول الترجمات فوجد رجالات الطبقة الاولى حسب الترتيب التالي

نبوليون بونابرت . شكسبير . ڤولتير . باكون . ارسطوطاليس . غيتي . يوليوس قيصر . لوثيروس . افلاطون . نبوليون الثالث . بترك . هوميروس . اسحق نيوتن . شيشرون . ملتون . الاسكندر المكدوني . بتّ . وشنطون . اغسطس قيصر . ولنجتون . رفائيل . ده كارت . كولمبوس . كنفوشيوس . ولترسكوت . ميخائيل انجلو . سقراط الخ

ومن رجالات الطبقة الثانية فنلون . وهنيبال . وشاتوبريان . وداروين . وكورنيل . وبطرس الاكبر . ولامرتين . وفلوطرخس . وشارلمان . وفيكتور هيغو . ودزرائيلي . ودكنس . وقسطنطين الكبير . ولافونتين . ومدام ده ستايل . وابقراط . وصفوقليس . وبركليس . وهيرودوتس

ومن الطبقة الثالثة مرقص انطونيوس . وبتوفن . ومدام ده سفنيه . والفردوسي . وغاربلدي . وايرونيموس . وريكاردوس قلب الاسد

ومن الطبقة الرابعة ماريا تريزا ووغنر وكوبرنكس وابن رشد وماري انطوانت وابن سينا وتيمور لنك وجنّر ومحمد علي وصولون ولاڤوازيه

ومن الخامسة ارخميدس وفرنكلين وجالينوس واسكندر دياس وبترارك ورشليو ورنان

ومن السادسة اقليدس ومحمد الفاتح وغمبتا وهيرودس وطيطس ومدام رولان

ومن السابعة صلاح الدين الايوبي وجنكيز خان ويوسيفوس والامام علي وكروميل ولامارك

ومن الثامنة صافو وكليوباطرة وزينون ولالند وهبرخس

ومن التاسعة نادر شاه ولفنستون وملثوس وثيوقريطس وامبيودقليس

ومن العاشرة السلطان سليمان القانوني وبوب والبرنس البرت وفردرك وليم وسيمونيدس

واغفل الدكتور كاتل ذكر الانبياء والرسل حتى لا يعترض عليهِ رجال الدين بان شهرتهم ليست من قبيل شهرة البشر وعندهُ انما تقدم دليل استقرائي على ان الاوربيين والاميركيين يحسبون شكسبير اشهر الرجال كلهم ما عدا نبوليون واشهر الشعراء فلا يقاس احد بهِ من المتقدمين ولا من المتأخرين

واذا التفتنا الى ما كتب عن شكسبير ونبوليون في غير الانكلو بيذيات ايضاً وجدنا شهرة شكسبير تفوق شهرة نبوليون كثيراً بل قد يكون سقراط وارسطو وافلاطون اشهر من نبوليون ايضاً من هذا القبيل

واشعار شكسبير ورواياتهُ التمثيلية تملأ مجلداً كبيراً ولو ترجمت الى العربية وطبعت بقطع المقتطف وحرفهِ لملأت ثلاثة آلاف صفحة ومع ذلك قد طبعت بالانكليزية مراراً لا تحصى وعلى اشكال مختلفة عددت منها الانسكلوبيذيا البريطانية الاخيرة ٧١ شكلاً طبعت في انكلترا وكل شكل منها طبع مراراً . ولا نظن ان احداً قرأ اللغة الانكليزية من ابنائها او من غير ابنائها الاَّ قرأ روايات شكسبير كلها او بعضها واقتنى نسخة او اكثر منها . في مكتبتنا اربع نسخ مختلفة بعضها قديم و بعضها حديث عدا الاجزاء التي لروايات مخصوصة او لاقوال مخصوصة مما يستشهد بهِ من اقوالهِ . فكم منها عند المئة والستين مليوناً من ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا والهند وعند غيرهم من قرَّاء هذه اللغة وكم من الملايين طُبع من هذه النسخ منذ اكثر من ثلثمائة سنة الى الآن . فاذا فرضنا ان بيوت ابناء اللغة الانكليزية في اوربا واميركا واستراليا ثلاثون مليون بيت (لانهم نحو مئة وستين مليون نفس) وفي كل بيت منها نسخة واحدة ففيها الآن ثلاثون مليون نسخة كاملة عدا المختارات الكثيرة الانواع

وقد ترجم شكسبير مراراً ترجمات مختلفة الى الالمانية والفرنسوية والايطالية والاسبانية والهولندية والدنماركية والاسوجيَّة والبوهيمية والمجرية والبولونية والروسيَّة

وفيهِ اكثر من ٢٥٠٠ كلمة من الكلمات التي لم تعد مألوفة ولذلك عني الانكليز بتفسيرها وبوضع الحواشي الكثيرة على رواياتهِ او بشرحها . وعني المصورون والحفارون في كل اللغات بتصوير المناظر التي ذكرت فيهِ على اساليب مختلفة وحفرها وطبعها . وقد عددت الانسكلوبيذيا البريطانية في طبعتها الاخيرة الكتب التي الفت على شكسبير في الانكليزية وغيرها من اللغات التي ترجم اليها شروحاً كانت او انتقادات او معجمات او ترجمات او تواريخ اوما اشبه فملأت اسماؤُها ما لو ترجم الى العربية لملأ اكثر من عشرين صفحة من صفحات المقتطف

وقد مرَّ على هذه الروايات الآن اكثر من ثلثماية سنة وهي تمثل في اوربا واميركا وفي كل البلدان التي ترجمت الى لغاتها حتى في هذه العاصمة والناس لا يملونها . وعني اشهر الممثلين والممثلات بتمثيلها او نالوا شهرتهم بها . ولم يشتهر خطيب ولا منشىءٌ في الانكليزية الاَّ وقد رصَّع اقوالهُ بعبارات من امثال شكسبير وجوامع كلمهِ

والخلاصة اننا اذا استثنينا مشترعي الاديان الكثيرة الانتشار والاتباع فشكسبير اشهر رجل قام في كل العصور . وسنتكلم في الجزء التالي على اسباب هذه الشهرة وكيفية وصولهِ اليها



استغلال الارض

اركانهُ وكيفياتهُ

(٥)

المراقبة اما زراعية على فلاحة المزرعة من حيث اجراؤُها متقنة في ابانها او كتابية على حساباتها من حيث ضبطها مطابقة للواقع او عامة عليهما وعلى سائر شؤُونهما الاخرى تطبيقاً للقواعد الادارية والفنية والاقتصادية والعرف العام · والغرض منها ان يجري الموظفون في إداء اعمالهم على احسن الاساليب المختارة بجد واستقامة فتحث المتواني وتذكر الناسي وتنير السبيل للمسترشد وتنشط العامل فضلاً عن نبذ من لا يستبين صلاحهُ وفلاحهُ · وما دامت مبنية على مقتضيات الخبرة والنظام واللياقة فهي جليلة النفع جدًّا لا لخير العمل فقط بل لخير العمال ايضاً اذ يجد فيها الغيورون منهم افضل مشجع ومعين لهم على ما يبتغون من تسديد العمل وانجاحهِ · ومن الوهم استشعار بعضهم منها شيئاً من معنى الغض من كفاءتهم او الحط من كرامتهم الاَّ اذا جاءت في اسلوب منحرف عن الجادَّة · ومن الاسف انها قد تكون كذلك في بعض الاحوال

(١) كأن يجعل المالك في الخفاء احد العمال عيناً لهُ على سائرهم — اقول ما قيمة عمل كهذا ليس لعاملهِ من الوسائل فيهِ الاَّ تسقط الاخبار والاحوال من الافواه والاهواء

(٢) او ان يجعل للوشايات قيمة اكثر مما تستحق — اقول ان الموظف الحر ليتألم من رئيسهِ اذا انحرف مرة عن اللياقة في معاملتهِ فكيف اذا صار هدفاً لوشايات من دونهُ من جمهور اهل المزرعة وعمالها وماذا تصير قيمتهُ مع ذلك بينهم

(٣) او ان يضيق اختصاص العمال للغاية فيقيدهم بالرجوع اليهِ حتى فيما لا بد منهُ من كليات العمل وجزئياتهِ — اقول واذاً تتعطل فيهم مزايا التفكير والتدبير والاحتياط وتكييف العمل حسب الظروف والاحوال المنظورة لهم (ويرى الحاضر دواماً ما لا يراهُ الغائب) والشعور بالمسؤُولية الحقيقية ولا يهتمون للنتائج لانهم ليس لهم رأي في مقدماتها وتضيع بينهم النسب الادبية والعملية لضعف التفاوت بين رئيسهم ومرؤُوسهم

وما اشبه ذلك من الاساليب التي لا ترجع الى اصل من اصول المراقبة النظامية والتي لا تبقى معها لكفاءات العمال الممتازة قيمة

ولا شبهة في ان احوال بعض الموظفين السيئة حملت كثيرين من الملاك على المبالغة والحذر من سارقهم والاخذ في مراقبتهم بكل ما يمكن من الوسائل وان حقرت على مبدإ ان الغاية تبرر الواسطة . ولكن لا شبهة ايضاً في ان المشاهدات والاختبارات ترينا انهُ مع المراقبة السيئة تحل الفوضى محل النظام وتسود الاوهام على الحقائق فيرتبك حال العمل والعمال وتصير المراقبة ذاتها داء دوياً على المزرعة وموظفيها

ان افضل وافعل اساليب المراقبة ما ساير منها العمل ونظامهُ فيراقب كل رئيس عمل مرؤسيهِ ويكون هو وهم تحت مراقبة الرئيس الاكبر منهُ وهكذا الى مراقبة المالك او وكيلهِ مراعى في كل ذلك الاصول المتبعة والنزاهة في تقدير الاعمال

ومما يعين على اتقان المراقبة وضع قواعد وضوابط عامة للعمل وتسديد مجهودات العمال تطبيقاً عليها نحو غرض معين لا التباس فيهِ ويوجد خصوصاً في المزارع الكبرى شيء من هذه القواعد ومع انها لا تزال قليلاً من كثير مما يجب ان يكون فانها لم تدون كلها تدويناً يساعد على التوسع فيها لجعل فائدتها اعم واشمل

ومن خير ما دوّن في هذا الموضوع القواعد التي وضعها حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون لمزارعهِ الواسعة والمزارع المستتبعة لها والجداول الزراعية التي وضعها حضرة الزراعي المستنير السيد افندي عبد الله مفتش عام شركة الاتحاد العقاري المصري وضعاً دقيقاً لا نظير لهُ في بابهِ حتى الآن في غير هاتين الدائرتين على ما اعلم

وفي مصلحة الدومين (مصلحة الاراضي الاميرية الآن) طائفة من القواعد الحسنة ايضاً ويا حبذا لو تفضل احد المطلعين عليها اطلاعاً تاماً بتلخيصها ونشرها

وبعد فانهُ يجدر بكل مالك ان يلم ولو الماماً اجمالياً باصول الفلاحة والادارة وان يشرف على مزارعهِ بنفسهِ بين كل حين وآخر فان ذلك يكون افعل وافضل في المراقبة من كل وسيلة اخرى وما القواعد والضوابط الأ وسائل تأتي فائدتها بقدر ما في تطبيقها من العناية والنزاهة

احمد الالفي

قصب السكر وزراعتهُ في مصر

زرع الهنود قصب السكر منذ عهد متوغل في القدم واستخرجوا السكَّر من عصيرهِ ومنهم تعلم الصينيون استخراج السكر قبل التاريخ المسيحي بنحو ٧٨٠ سنة . وكان الهنود يستخرجونهُ حبوبًا صغيرة كالسكر المصري الاسمر فسمي شركر بلغة الهند القديمة اي الحبوب او الحبب ومنهُ اسمهُ بالعربية والفارسية وكل اللغات الاوربية . ونقل قصب السكر الى مصر وبلاد العرب من بلاد الهند وزرع فيهما وبرع المصريون في استخراج السكر منهُ وتكريرهِ حتى سمى الهنود السكر المكرر بالسكر المصري . وكان السكر المصري من اهم صادرات هذا القطر في القرون الوسطى وكان الانكليز يأخذونهُ من مصر ويرسلون اليها الصوف بدلاً منهُ

ثم لما كُشفت جزائر الهند الغربية زُرع قصب السكر فيها وجعل الانكليز يجلبون سكرهم منها ويتّجرون بهِ في اوربا فكان مورد ثروة لهم اثمن من مناجم بيرو والمكسيك لاسبانيا

وبقي قصب السكر من اربح المزروعات لهذا القطر وسائر الاقطار التي تعتمد على زراعتهِ الى ان استخرج السكر من البنجر وضربت الحكومة الالمانية زراعة قصب السكر ضربةً قاضية لكي تميتها ثم تستبد بتجارة السكر فانها رأت ان بلادها من اصلح البلدان لزرع البنجر الكثير السكر فساعدت الزرَّاع على زرعهِ والصناع على استخراج السكر منهُ والتجار على اصدارهِ وبيعهِ بارخص الاثمان ودفعت لهم بدل ما يخسرونهُ بترخيص سعرهِ حتى تضطر البلدان التي تزرع قصب السكر ان تبطل زرعهُ وتبدلهُ بمزروعات اخرى وحتى تفلس الشركات التي كانت تستخرجهُ وتخرب المعامل التي كانت تكررهُ فيصير الاعتماد كلهُ على سكر البنجر وحينئذٍ تغالي بثمنهِ وتفرض لهُ الثمن الذي تريدهُ فتسترد ما انفقتهُ على توسيع زراعة البنجر وترويج سكرهِ وتستبد بهِ لانهُ صار من الحاجيات التي لا يستغنى عنها كالقمح . وكانت ترمي بحيلتها التجارية هذه الى محاربة انكلترا بنوع خاص فنالت بغيتها واضرت بالبلدان الانكليزية التي كانت تعتمد على زرع قصب السكر خاصة وبالقطر المصري ايضًا ضررًا كبيرًا كما لا يخفى

وكانت انكلترا اكبر سوق في الدنيا لسكر القصب فصارت اكبر سوق في الدنيا لسكر البنجر عامة ولسكر البنجر الالماني خاصةً كما ترى في هذا الجدول

الوارد الى انكلترا من سكر القصب

السنة	من املاكها	من سائر البلدان	المجموع
١٨٧٢	٢٧٦ ٤٨٧ طنًا	٢٤٢ ٤٧٥ طنًا	٥١٨ ٩٦٢ طنًا
١٨٨٢	« ١٩٨ ٨٤٣	« ٣٩٩ ٦٧٣	« ٥٩٨ ٥١٦
١٨٩٢	« ١٣٤ ٤٨٠	« ٢٥٤ ٧٠٠	« ٣٨٩ ١٨٠
١٩٠٢	« ٠٩٨ ١٦٤	« ٠٩٠ ٣٥٧	« ١٨٨ ٥٢١

الوارد الى انكلترا من سكر البنجر

السنة	من المانيا	من سائر البلدان	المجموع
١٨٧٢	٠٥٧ ٦٠٣ طنًا	١٧٤ ٦٢٠ طنًا	٢٣٢ ٢٢٣ طنًا
١٨٨٢	« ٢٧٩ ٦٦٧	« ٦٢٥ ٨٧٧	« ٩٠٥ ٥٤٤
١٨٩٢	« ٦٣٦ ١٦٧	« ٣٢١ ٤٠٦	« ٩٥٧ ٥٧٣
١٩٠٢	« ١٠٠٣٤٥٢	« ٣٨٧ ٤٢٣	«١٣٩٠ ٨٧٥

اي كان سكر القصب الوارد الى انكلترا من مستعمراتها كان ٢٧٦ الف طن سنة ١٨٧٢ فصار ٩٨ الف طن فقط سنة ١٩٠٢ مع ان السكان كانوا ٣٢ مليونًا سنة ١٨٧٢ فبلغوا ٤٣ مليونًا سنة ١٩٠٢ فكان يجب ان يزيد السكر الوارد على هذه النسبة على الاقل ولكن ما نقص من سكر القصب زاد اضعافهُ من سكر البنجر فكان الوارد منهُ ٢٣٢ الف طن سنة ١٨٧٢ فبلغ مليونًا و ٣٩٠ الف طن سنة ١٩٠٢ كما ترى في الجدول المتقدم واكثر هذه الزيادة من المانيا فان الوارد منها كان ٥٧ الف طن فقط سنة ١٨٧٢ فصار اكثر من مليون طن سنة ١٩٠٢ اي زاد نحو ١٧ ضعفًا

ولم تنتبه انكلترا للخطر الذي احدق بها الاً بعد ما ضاقت حلقاتهُ عليها ولو انتبهت لذلك قبلاً لما خربت مزارع السكر فيها ولما اصيب هذا القطر بما اصيب بهِ برخص سكرهِ. لان استخراج السكر من البنجر وتحويلهُ حتى يصير مثل سكر القصب تمامًا عملان نفقاتهما غير قليلة ولولا مساعدة الحكومة الالمانية لمستخرجي هذا السكر بالمال ما استطاعوا ان يرخصوا ثمنهُ حتى يناظر سكر القصب. وقد بلغت الاموال التي انفقتها المانيا على مساعدة تجار سكر البنجر ومستخرجيهِ ثمانية ملايين من الجنيهات في بعض السنين. ولما انتبهت انكلترا والتأم مؤتمر بركسل لمنع المساعدات عن مستخرجي السكر وتجارهِ او لوضع حدٍ لها كانت تجارة الالمان بالسكر قد توطدت اركانها وسكر القصب قد ضعف شأنهُ جدًا وكانت النمسا قد اشتركت مع

المانيا في هذه الحرب التجارية فرفعتا ثمن سكرهما ٢٥ في المئة كما ترى من الجدولين التاليين وهما للسكر الوارد الى انكلترا سنة ١٩٠٣ و ١٩١٣

سكر البنجر

سنة	السكر الالماني والنمسوي مقداره	السكر الالماني والنمسوي ثمنه	سكر سائر البلدان مقداره	سكر سائر البلدان ثمنه
١٩٠٣	١ ١٢٤ ٣٧٢ طنًا	١١ ٣٣٣ ٩٣٣ جنيهًا	٣٥٤ ٩٠٧ طنًا	٣ ٤٩٨ ٨٣٧ جنيهًا
١٩١٣	١ ٣١٧ ٠٠٩ "	١٥ ١٢٩ ٥٤٨ "	٣٨٩ ١٥٣ "	٣ ٥٤١ ٣٨٣ "

سكر القصب

سنة	من الاملاك الانكليزية		من سائر البلدان	
١٩٠٣	٠ ٠٦٧ ٧٨٩ طنًا	٠ ٥١٠ ٤٣٣ جنيهًا	٠ ١٣٣ ٩٧٩	١ ١٣٦ ٤٣٤
١٩١٣	٠ ١٣٤ ٦٨٨ "	٠ ٩٢٠ ٤٣٣ "	٠ ٢٩٧ ٣١٣	٣ ٤٥٤ ٩٥٩

اي صارت انكلترا تستورد من سكر املاكها ما ثمنهُ اقل من مليون جنيه ومن السكر الالماني والنمسوي ما ثمنهُ اكثر من ١٥ مليون جنيه وكانت نتيجة الاعتماد على السكر الالماني ان ارتفع ثمن قنطار السكر في انكلترا عند شبوب هذه الحرب من ١٦ شلنًا الى ٤٥ شلنًا حتى اضطرت الحكومة الانكليزية ان تهتم بالامر وتبتاع ٨٦٦ ٢٨٦ ١ طنًا من السكر اكثرها من كوبا باميركا لئلاً ينفد السكر كلهُ من بلادها ويتعذَّر عليها جلب غيرهِ. ولولا الولايات المتحدة التي نشَّطت زراعة قصب السكر لمَّا اهملتها انكلترا لكانت سوق السكر الآن في يد المانيا تقطع لهُ السعر الذي تريدهُ فان الولايات المتحدة لما ضمَّت كوبا وبورتوريكو وهواي ساعدت زارعي قصب السكَّر فيها بما يساوي ١٧٢ غرشًا عن كل طن فكانت النتيجة ان زاد محصول السكر فيها من ٥٨٥ ٦٥٥ طنًّا سنة ١٨٩٩ الى ٣٥٠٠٠٠٠ طن سنة ١٩١٤

ولو اهتمت انكلترا بتعزيز زراعة القصب في املاكها وفي القطر المصري ايضًا لاستغنت عن جانب كبير ممَّا تنفقهُ على السكر زيادة عمَّا كانت تنفقهُ عادة. ويقال ان هذه الزيادة لا تقل الآن عن عشرين مليون جنيه في السنة. ولنا الامل الوطيد انها تهتم بذلك بعد الحرب ويكون للقطر المصري النصيب الاكبر من اهتمامها

مستقبل زراعة قصب السكر

ابنا في النبذة المتقدمة ان ما عملتهُ المانيا من مساعدتها لزراعي البنجر ومستخرجي سكرهِ كان القصد منهُ اضعاف زراعة القصب واستخراج سكرهِ واضطرار انكلترا الى الاعتماد على

المانيا في ما تحتاج اليه من السكر وابنا الاضرار التي تجت عن ذلك للاملاك الانكليزية التي كانت تزرع قصب السكر ولهذا القطر ايضاً

وقد حقق بعضهم انهُ اذا اهتمت انكلترا بزرع القصب في املاكها تيسَّر لها ان تزيد مقدار ما يحصل منها من السكر حتى يبلغ اربعة ملايين ونصف مليون طن مع انهُ لا يبلغ الآن الأ ٨٠٠ الف طن فقط كما ترى في هذا الجدول

	المحصول الحاضر	المحصول الممكن
جزائر الهند الغربية	٢٢٩٠٠٠ طن	٢٦٥٠٠٠ طن
شرق افريقية	— «	٦٥٠٠٠٠ «
كوينسلند	١٤٤٠٠٠ «	٥٠٠٠٠٠ «
موريتوس	٢٥٠٠٠٠ «	٣٠٠٠٠٠ «
فيجي	١٧٧٠٠٠ «	١٠٠٠٠٠ «
ناتال	١٠٠٠٠٠ «	٣٣٠٠٠٠ «
	٨٠٠٠٠٠ «	٤٥٣٠٠٠٠ «

وقد ذكرنا غير مرة ان القطر المصري من اصلح البلدان لزرع قصب السكر من حيث تربتهُ ومن حيث قربهُ من اسواق اوربا

ويزرع قصب السكر الآن في نحو خمسين الف فدان من القطر المصري ولا يستخرج منها الأ نحو ستين الف طن من السكر مع ان محصول سكر القصب في المسكونة يختلف بين تسعة ملايين طن وعشرة ملايين طن فلو زاد السكر المصري عشرة اضعاف او عشرين ضعفاً لبقيت سوقهُ رائجة لانهُ لا يؤثر في محصول سائر البلدان اي لو اتسعت زراعة القصب في القطر المصري حتى تناولت نصف مليون فدان او مليون فدان و بلغ مقدار السكر المصري مليون طن او مليوني طن لبقيت سوقهُ رائجة ولاسيما اذا ضربت بلدان الحلفاء الضرائب الثقيلة على سكر البنجر الالماني

ومتوسط غلة فدان القصب في القطر المصري نحو عشرين طنًا فيها من السكر نحو ١٢ الى ١٣ في المئة فينتج من الفدان نحو طنين ونصف فاذا اتسعت زراعة قصب السكر رويداً رويداً حتى بلغت نصف مليون فدان بلغ محصولهُ مليونًا وربع مليون من السكر. واذا ابطلت المانيا مساعدة اصحاب سكر البنجر ماليًّا كما ستضطر ان تفعل بعد الحرب فارتفع ثمنهُ صارت زراعة القصب من اربح الزراعات في هذا القطر

الحمى القلاعية في المواشي

ارسلت الينا وزارة الزراعة المنشور التالي

انهُ بالنظر الى انتشار مرض الحمى القلاعية بين مواشي القطر المصري في الوقت الحاضر قد وضع هذا المنشور لشرح اسباب المرض واعراضهِ وطرق انتشارهِ وعلاجهِ الفات لنظر الاهالي ليكون خير مرشد لهم لاتخاذ الاحتياطات الصحية اللازمة لمقاومتهِ

الحمى القلاعية او ابو الركب — مرض معد سريع الانتشار يصيب المواشي اكثر من غيرها من الحيوانات الاخرى وقد تصاب بهِ الغنم والجمال و ينتقل الى الانسان وخصوصاً الاطفال بالعدوى من شرب لبن الماشية المصابة بهِ قبل غليهِ و يعرف المرض بوجود قروح صغيرة في الفم والشفتين واللسان والضرع و بين الظلفين

اسباب المرض — ينشأ المرض من مكروب دقيق للغاية لم تساعد اكبر النظارات المعظمة على رؤيتهِ وهو يوجد في لعاب الحيوان المصاب ودموعهِ وفي المواد التي تسيل من قروح فمهِ وشفتيهِ ولسانهِ و بين ظلفيهِ

طرق انتشار المرض — ينتشر المرض بين الحيوانات من اختلاط المصاب منها مع السليم اذا كان يتغذى او يرعى او يشرب معهُ من مكان واحد او من استعمال ادوات الحيوانات المصابة للحيوانات السليمة و بالجملة كل ما لامس او قرب من حيوان مصاب سواء كان انساناً او حيواناً يعتبر حاملاً وناقلاً للعدوى بين الحيوانات

اما الحيوانات الصغيرة فانها تصاب بالمرض من رضعها امهاتها المصابة بقروح حول حلمة الضرع

اعراض المرض في المواشي — تبتدئ الاعراض بارتفاع درجة حرارة الحيوان المصاب و يظهر عليهِ القلق و يمتنع عن تناول علفهِ و يتحرك بثقل وتكلف و يقرض باسنانهِ وتنقبض شفتاهُ وقد يميل الحيوان للاكل ولكن يحول دون ذلك البثور المؤلمة في لسانهِ و باطن شفتيهِ وتكون تلك البثور في اول ظهورها بيضاء ضاربة الى الحمرة و يختلف حجمها من قدر القرش الى حجم الريال وتسيل منها مادة زلالية رائقة لا تلبث ان تصير كدرة . ثم يسقط غشاء البثور و يبقى مكانها قروح حمراء فيسيل اللعاب من فم الحيوان المصاب على هيئة خيوط دقيقة . وقد يصاب الضرع بقروح كالتي توجد في الفم واللسان فتحدث فيهِ التهاباً و يتقيح فيتلف لبنهُ . و يكثر الحيوان من الرقاد و يمتنع عن السير وذلك لوجود قروح صغيرة مؤلمة بين ظلفيهِ فاذا تقيحت تلك القروح التهبت الاظلاف وعرج الحيوان عرجاً ظاهراً . وقد

ينفصل الظلاف عن سطح الحافر احياناً من شدة الالتهاب الصديدي اما الماشية الحامل فانها تجهض احياناً اذا اشتدت عليها وطأة المرض ويقل اللبن في الماشية الحلوب

الاعراض في الغنم والجمال – اعراض المرض في الغنم اشبه شيء بمثلها في المواشي غير ان قروح الفم قليلة ولكن قروح الاظلاف تكون غائرة متقيحة فيعرج الخروف و يدب على ركبتيهِ من شدة الألم وقد يسقط الظلف احياناً من شدة التقيح . اما الاعراض في الجمال فخفيفة الوطأة وتنحصر في وجود قروح مختلفة الحجم في فم الجمل

مدة سير المرض ونسبة النافق بالموت — يسير المرض في اغلب الاحيان سيراً حسناً اذا عولج الحيوان في اول اصابتهِ و يشفى في مدة خمسة عشر يوماً من بدء ظهور الاعراض عليهِ . اما نسبة النافق من الحيوانات المصابة فقليل في المواشي ولكنهُ كثير بين الحيوانات الصغيرة

العلاج والاحتياطات الصحية – اول ما يجب عملهُ عند ظهور مرض الحمى القلاعية هو تبليغ العمدة وعزل الماشية المصابة عن السليمة ووضعها في مكان ظليل طلق الهواء بعيد عن الطرق العمومية ويجب اعطاء الحيوانات المصابة علفاً ليناً سهل الهضم كالبرسيم او النجيل او الردة المبلولة بالماء المغلي وماء كافياً لسقيها ويغسل فم الحيوان المصاب بمحلول الملح او محلول الشبة او محلول البوريك وتغسل الاظلاف بمحلول سلفات النحاس وبعد ذلك تدهن بالقطران حتى يحضر الطبيب البيطري . و يعمل ذلك يوميًا ويتمم علاج الحيوان المصاب بالادوية التي تستعملها وزارة الزراعة لمكافحة هذا المرض ويجب تطهير اماكن الحيوانات المصابة ورشها بالجير وترك الزريبة معرضة للشمس والهواء النقي مدة من الزمن حتى تنتقى مما فيها من الجراثيم

اما العلف الملوث بعدوى المواد السائلة من القروح او الفم او الاظلاف فيجب جمعهُ وحرقهُ

انتهى منشور وزارة الزراعة وحبذا لو اعلنت ايضاً عن طريقة العلاج التي يستعملها الطبيب البيطري اذ قد يتيسر لنظار الزراعات ان يستعملوها اذا تأخر حضور الطبيب . والمعروف عندنا ان الحيوان المصاب يطعم علفاً مسهلاً معهُ املاح مسهلة اذا دعت الحال

وهذا الداء معروف من قديم الزمان والمرجح انهُ دخل اوربا منذ اكثر من الفي سنة وهو شديد الفتك احياناً فقد انتشر في المانيا سنة ١٨٩٢ فامات من مواشيها ما ثمنهُ سبعة ملايين ونصف من الجنيهات . ولما كانت الوقاية خيراً من العلاج يجب ان ينتبه اصحاب المواشي بنوع خاص الى منع شربها من المساقي التي تشرب منها المواشي المصابة بهذا الداء

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الطير والسمك والمحار

ذكرنا في بعض الاجزاء الماضية ما يؤكل من الغنم والبقر اي ما يؤكل من لحمها ودهنها وشحمها ودماغها واحشائها المختلفة · وما في ذلك كلهِ من الغذاء منسوباً بعضهُ الى بعض سواء اكان الحيوان سميناً او هزيلاً او بين بين · وقد رأينا الآن ان نستطرد الى ذكر ما يؤكل من الطير والسمك ومحار البحر

الطير

الطيور التي تؤكل عادة هي الديوك الرومية والدجاج (الفراخ) والوز وما يصاد من الطيور البرية · واذا قوبلت بعضها ببعض ولم تكن مسمَّنة وجد في لحمها من الماء والبروتين والدهن ما تراهُ في هذا الجدول

	ماء	بروتين	دهن	رماد
الديك الرومي	٥٥٫٥ في المئة	٢١٫١ في المئة	٢٢٫٩ في المئة	١٫٠ في المئة
الدجاج	٦٣٫٧ «	١٩٫٣ «	١٦٫٣ «	١٫٠ «
الوز	٤٦٫٧ «	١٦٫٣ «	٣٦٫٢ «	٠٫٨ «

لكنها اذا كانت مسمَّنة زاد الدهن فيها كثيراً فقلَّ الماءُ ثم ومن كانت الطيور المسمَّنة اكثر غذاءً من غيرها ويجب ان تكون اغلى ثمناً ولكن ذلك لا يستلزم ان تكون انفع من غيرها للذين يأكلونها لان هضم الدهن ليس بالامر السهل والبعض لا يستطيعون هضمهُ ومن ثم يفضَّل اطعام السفاين (لحم الصدر الابيض) للمرضى والناقهين لانهُ اقل دهناً من غيرهِ واسهل هضماً · واما ما يقال من ان تولُّد الحامض اليوريك يكون اقل فيهِ مما هو في غيرهِ من اللحوم فلا دليل على صحتهِ · والحمام واليمام وكل ما يصاد من انواع الطير كالعصفور والبط والسماني قلما تختلف عن الطيور الاهلية ولكنها تختلف كثيراً من فصل الى آخر بمقدار ما فيها من الدهن

السمك

السمك من اللحوم المغذية السهلة الهضم وهو كالدجاج من هذا القبيل وبعضهُ يقيم في الانهار وبعضهُ في البحار وبعضهُ يقضي جانباً من عمرهِ في البحر وجانباً في النهر. وانواع السمك كثيرة جدًّا في كل البلدان وهي تختلف في مقدار ما فيها من الدهن ويختلف طعم النوع الواحد من السمك حسب كونهِ ذكراً او انثى وحسب عمرهِ والفصل الذي يصاد فيهِ والطريقة التي يطبخ بها والغالب ان طعمهُ يتوقف على مقدار ما فيهِ من الدهن فهو في سمك المشط نحو ١٤ ونصف في المئة وفي السلمون نحو ١٣ في المئة وفي الانكليس (ثعبان البحر) ٩ في المئة وفي المرجاني الاحمر (السلطان ابرهيم) اقل من خمسة في المئة

وقد امتحن ملنر مقدرة الانسان على هضم لحم الطير ولحم السمك ولحم المحار فاطعم رجلاً من سمك السلمون المحفوظ في العلب وآخر من لحم القد الطري المقلو وآخر من لحم الفراخ المحفوظ في العلب وآخر من لحم البط المشوي فوجد انهم هضموا نحو ٩٦ في المئة من لحمها ونحو ٩٧ في المئة من دهنها اي انهم هضموها كما يهضمون لحم الغنم والبقر بل ظهر ان لحم السمك القليل الدهن ولحم الدجاج القليل الدهن كلاهما اسهل هضماً من لحم البقر القليل الدهن. ولحم السمك والطير الكثير الدهن مثل لحم البقر الكثير الدهن من حيث سهولة الهضم ولذلك اذا اريد تنويع الاكل فيبدل لحم الغنم والبقر بلحم الطير والسمك والمحار

والغالب ان الاطباء يصفون لحم الطير والسمك اي اللحم الابيض حيث يحسبون ان اكل اللحم الاحمر عسر الهضم او غير نافع. ومن المحتمل ان لحم الطير والسمك اسهل هضماً من لحم الغنم والبقر ولكن لا دليل على وجود فرق كبير بين النوعين لاسيما وان هضم الطعام وتأثيرهُ في الجسم يتوقفان غالباً على الطريقة التي يطبخ بها وعلى اعتياد الجسم لهُ ورغبتهِ فيهِ فمن الناس من يستطيب السمك ويفضلهُ على كل طعام ويهضمهُ بسهولة تامة ومنهم من لا يستطيبهُ بل تقزز نفسهُ من رائحتهِ ولا يهضمهُ اذا اكلهُ. والذي يستطيب السمك قد يستطيب المقلو منهُ ويكره المسلوق او المطبوخ على صورة اخرى. ومنهم من يستطيب بعض انواع السمك ويكره انواعاً اخرى او يستطيبها اذا كانت سمينة ويكرهها اذا كانت نحيفة عجفاء. ومنهم من يستطيبها مع التوابل كالطرطور والمايونيز ومنهم من يكرهها اذا كانت كذلك وهلم جرًّا. وقس على ذلك لحم الطيور على انواعها فان سهولة هضمها وفائدتها يتوقفان على نوعها واعتيادها والطرق التي تطبخ بها

المحار

يراد بالمحار انواع الحلازين والاصداف والسراطين البحرية التي يؤْكل لحمها . وكلها ليست مما يكثر اكلهُ عندنا ولكن الاوربيين والاميركيين يكثرون من اكلهِ ويعتنون بتربيتهِ في البحر . ويقدَّر ثمن لحم الاصداف البحرية الذي يؤْكل في الولايات المتحدة سنويًّا باربعة ملايين من الجنيهات . ويعترض على اكل هذه الحيوانات انها اذا صيدت من قرب شاطئ مدينة حيث تصب قاذوراتها فمنها خطر على آكليها لان القاذورات قد يكون فيها مكروب التيفويد فيقيم في ابدان هذه الحيوانات ويصل منها الى آكلها كما اوضحنا غير مرة ولذلك فقد يكون من اكلها خطر على آكليها لاسيما وانها لا تطبخ قبل اكلها طبخاً يميت المكروبات المرضية منها . وهاك جدول المواد المغذية في بعض هذه الانواع

	ماء	بروتين	دهن
لحم الصدف الطويل	٨٥,٨	٠٨,٦	٠١,٠
« « المستدير	٨٦,٢	٠٦,٥	٠٠,٤
« السرطان	٧٧,١	١٦,٦	٠٢,٠
« الكركند	٧٩,٢	١٦,٤	٠١,٨
« الباطيلينوس	٨٦,٩	٠٦,٢	٠١,٢
« السلحفاة	٧٤,٥	٢١,٢	٠٣,٥

ويظهر من هذا الجدول ان لحم انواع المحار اكثر ماء من لحم السمك واقل منها دهناً ولكنها تشبهها في مقدار البروتين

والطيور الاليفة اي الدجاج والوز والدجاج الرومي غير قليلة في هذا القطر وكذلك الحمام كثير ايضاً ولكننا نرتاب في فائدة هذه الطيور من باب تجاري لان ما تأْكلهُ من الحبوب قد يساوي ثمن بيضها وفراخها ولكن اذا كانت الدجاج مطلقة في الاطيان حتى تأْكل مما تجدهُ فيها من الحشرات ولا تأْكل البذار وكذلك اذا اقام الوز في الترع والمساقي واكتفى بما يجدهُ فيها من الهوام والحشرات والجذور فمنها كلها ربح كبير

واربح من ذلك كلهِ تربية السمك في بركة قارون بالفيوم وفي كل البرك والبحيرات والمستنقعات والاعتناء بمصايد الاسماك على سواحل بحر الروم فان الربح من السمك يفوق كل ربح لانهُ قليل النفقة جدًّا ولحمهُ مغذٍ سهل الهضم كما تقدم . واذا بذلت العناية بتربية السمك على الاساليب العلمية كانت منهُ تجارة واسعة

وفاة اللادي باكر

نعت اخبار انكلترا اللادي باكر ارملة السر صموئيل باكر المشهور باكتشافاتهِ واعمالهِ في السودان المصري وصاحب الفضل على مصر في استعادة املاكها السودانية

قالت مجلة نائشر في تأبينها : « لا ريب ان معظم الفضل في تحويل باكر من صياد صرف الى مكتشف جغرافي ثم الى سياسي عائد عليها . وهي مجربة الاصل مرَّضت باكر في اثناء مرض شديد المَّ بهِ وهو عازب فتزوجها وكان اقترانهما نادراً في الفتهِ ونفعهِ . اما تحوُّل باكر من صياد الى مكتشف فحكايتهُ بالاختصار انهُ قصد اعالي النيل للصيد فحولت همهُ الى الاكتشاف الجغرافي . ولما رأيا سوء حال الاهالي هناك من الرق وتجارتهِ شهرا حرباً قلبية عليهِ قصد استئصال شأفتهِ فافضى ذلك الى حملة السودان الاولى والى اعمال غوردن المشهورة . وظاهر ان توسيع باكر لدائرة مشاغلهِ وصبغ رحلاتهِ الافريقية بصبغة المروءة والسياسة كان اجابة لداعي زوجتهِ . فانها صحبتهُ الى الحبشة في رحلتهِ اليها سنة ١٨٦٠ — ١٨٦٢ والى اعالي النيل في رحلتهِ سنة ١٨٦٢ — ١٨٦٥ وهي التي انتهت باكتشاف بحيرة البرت نيانزا

وصحبتهُ ايضاً في الرحلة التالية اليها سنة ١٨٧٠ وهي الرحلة التي ايدت السلطة المصرية على تلك البلاد . ومن هذا التاريخ بدأت حربهما الطويلة لمقاومة الرق في السودان فاسعدهما الجد تارةً وخانهما اخرى ولكن تم لهما النصر اخيراً بانكسار شوكة المهدوية واستعادة السودان للمرة الثانية والاخيرة

ومما تجدر الاشارة اليهِ في تعداد فواضلها انها كانت حادة الذهن تقرأ نيات السودانيين الذين جالت هي وقرينها بينهم من ملامح وجوههم وان سرعة ادراكها للمخاطر التي تعرضت لها الحملة برآسة قرينها وسرعة تداركه تلك المخاطر انقذتا الحملة من الوبال »

اما السر صموئيل باكر قرينها فاشترى سنة ١٨٧٤ ارضاً في مقاطعة سوث دفون بانكلترا واقام فيها حتى وفاتهِ سنة ١٨٩٣ اي نحو ١٩ سنة . وعاشت قرينتهُ نحو ٢٣ سنة بعدهُ وتوفيت في مارس الماضي

انواع الخبز الغريبة

يقال ان اهالي جبال كورسكا التي يكثر شجر السنديان فيها ييبسون بلوطهُ ويطحنونهُ ويصنعون منهُ خبزاً جيداً وهو طيب الطعم مغذٍ جداً ويبقى طريّاً اسبوعين . واهالي نروج يصنعون الخبز من بعض الطحالب يجففونها ويسحقونها ويعجنونها ويخبزونها. ولا يخفى ان فلاحي هذا القطر يصنعون خبزهم من الذرة البلدية بعد ان يمزجوها بقليل من الحلبة ويستطيبون هذا الخبز وهو مغذٍ لهم

درّب ولدك على العمل

كتب المستر كلارك رئيس مدرسة كلارك الكلية بمدينة لندن ان خير وصية يوصي بها الوالدين ان يدربوا اولادهم على العمل الذي يختارونهُ ليكون حرفةً لهم في حياتهم كلها. فيجب ان لا يسروا بالعمل الوقتي لاولادهم ولو كان ربحهُ كثيراً بل ينبغي ان يفضلوا عليهِ العمل الذي يراد انقطاعهم لهُ ولو لم يعطوا اجرةً في اول الامر . ويجب ان يمرنوا لهُ ويتدربوا عليهِ جيداً ويزاولوهُ حتى يتقنوهُ

وقد جرت عادة اصحاب المعامل والاشغال الكبيرة ان يدرّبوا اولادهم على العمل في مكاتب اخرى غير مكتبهم ومعامل اخرى غير معاملهم حتى يعاملوا هناك كأنهم غرباء ويعطوا اجرةً لا تزيد عن اجور امثالهم من الصناع او المستخدمين فاذا تدربوا على العمل جيداً يعودون الى مكاتب والديهم او معاملهم ويوضعون في الدرجة التي يستحقونها بين العمال وكلما اتقنوا فرعاً نقلوا الى غيرهِ الى ان يتقنوا كل فروع العمل ويتأهلوا لادارتهِ كلهِ

واهم ما يجب الانتباه لهُ ان لا يعطى الولد من الاجرة الاَّ ما يعطى لامثالهِ ولو كان ابوهُ على جانب كبير من الثروة وهو صاحب المحل حتى يشعر الولد انهُ كسب اجرتهُ باستحقاقهِ فيتدرّب على الانفاق منها بالحكمة والاقتصاد

ولا يخفى انهُ اذا كان الولد لا يميل الى العمل الذي يختارهُ لهُ والداهُ وثبت لهما ذلك بعد التجربة وجب ان لا يجبراهُ على تعاطيهِ لانهُ لا يفلح فيهِ كما يفلح في العمل الذي يميل اليهِ . وكثيراً ما يجبر الشاب على عمل فيمارسهُ بضع سنوات ثم يتركهُ ويعود الى العمل الذي يرى من نفسهِ ميلاً اليهِ

وشر الامور كثرة التقلب والانتقال من عمل الى عمل فان في ذلك اضاعة للوقت وترسيخاً لملكة عدم الثبات ولو كان فيهِ بعض الفائدة في توسيع الاختبار

فوائد منزلية

لا تترك بندقية او مسدساً في البيت والخرطوش فيها او فيهِ بل انزعهُ منها قبل تركها

اذا اردت ان تصب ماء سخناً في كاس من الزجاج وخفت ان تتكسر فضع فيها ملعقةً من الفضة او المعدن وصب الماء عليها

اذا وضع في فناجين الشاي مادة ابقت عليها لطخة يعسر نزعها بالغسل بالماء فافركها بالملح والخل فتزول

اذا قُطع السمك بسكين فبقيت رائحتهُ لاصقة بها فافركها بليمونة حامضة فتزول رائحة السمك منها

حان الوقت لرفع السجادات والبسط ووضع الفراء والثياب الصوفية كلها جانباً الى زمن الشتاء . وحان الوقت ايضاً لظهور العث واتلافهِ الامتعة الصوفية . اما السجادات والبسط وما اشبه فتنظف جيداً وتطوى و يوضع في طياتها حبوب النفتالين واما الفراء والثياب الصوفية فتوضع في اكياس من البفتة النظيفة وتخاط جيداً او تدرز درزاً حتى لا يبقى فيها سبيل لدخول فراش العث

واذا وجدت ان العث دخل السجادة وعسر اخراجهُ منها فبلَّ منشفة بالماء السخن وابسطها عليها وامرَّ عليها مكواة حامية فيدخل بخار الماء السخن بين خيوط السجادة و يقتل ما فيها من العث

اذا اذبت اوقية من الصمغ العربي الابيض النقي في ثماني اواقي من الماء الغالي واخذت ملعقة من هذا المذوب ومزجت بها رطلاً من النشا اكتسب ما ينشَّى بهِ من القمصان والقبات لمعاناً شديداً

اذا شعرت بسوء هضم وكنت تكره شرب الدواء فاحسن علاج تعالج بهِ نفسك الصوم فلا تأكل في الصباح او اكتفِ بفنجان من اللبن او بكسرة من الخبز تمضغها جيداً او بيضة مسلوقة . وقلل ما تأكلهُ في الغداء والعشاء حتى يكون نصف ما تأكلهُ عادةً وامضغهُ جيداً فالغالب ان سوء الهضم يزول في يوم او يومين



التقرير السنوي

لدار العلم السمثسونية

صدر هذا التقرير عن سنة ١٩١٤ وهو يقع في ٧٣٠ صفحة بحرف دقيق وقد افتتحهُ سكرتير مجلس الادارة العامل بتقرير مسهب عن مالية هذه الدار ومباحث اساتذتها والعلماء المتصلين بها في الطيران والجيولوجيا وعلم الحيوان والنبات والانسان والفلك والتاريخ واحوال المتحف الوطني المتصل بها وما اضيف اليهِ تلك السنة من الامثلة والتحف . واحوال بستان الحيوانات والمرصد الفلكي الطبيعي والمكتبة والمطبعة ومجلس الادارة . وقد شغل هذا التقرير ١٣٣ صفحة ويليهِ ٣٢ مقالة لكبار العلماء واكثرها في المواضيع العلمية المحضة مثل اشعاع الشمس والآراء الحديثة فيها وشكل الارض وبنائها وتركيب الجوهر الفرد وثبوت الاروبلان والاقليم في العصور الجيولوجية وجيولوجية قاع البحر ونحو ذلك من المواضيع العلمية المفيدة

تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها

مع خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وما كان بينها من العلائق التجارية والحربية وغيرها عن طريق سيناء من اول عهد التاريخ الى اليوم لمؤلفهِ نعوم بك شقير مدير قلم التاريخ بوزارة الحربية بمصر وصاحب تاريخ السودان

نعوم بك شقير مؤلف هذا الكتاب النفيس بحّاثة مولع بجمع الحقائق التاريخية وتبويبها وتنسيقها . وقد اختار حتى الآن موضوعين من اصعب المواضيع التاريخية التي ينكب المؤرخون عن الكتابة فيها لوعورتها وقلة المواد التي يسهل الوصول اليها فيها . فاذا اراد الكاتب ان يكتب عن تاريخ المصريين الاقدمين او اليونان او الرومان او الفرس او العرب او الانكليز او الفرنسويين او امثالهم من الامم القديمة والحديثة وجد المواد متوفرة لديهِ من مؤرخي تلك الامم واما جمع تاريخ مطول عن السودان فلا يقدم عليهِ الأرجل ذو همة عالية وصبر عظيم وغرام شديد بجمع الحقائق والاخبار التاريخية . وما فعلهُ نعوم بك في تاريخ السودان فعلهُ في تاريخ سينا فجاء دائرة معارف عن ذلك القفر وسكانهِ وكل ما

يتصل بهِ قديماً وحديثاً فملأَ نحو ثمانمئة صفحة كبيرة . وحالما وقع نظرنا عليهِ والتفتنا الى فهرسهِ لاح لنا انهُ جرى فيهِ مجرى الاجسام الحيَّة النامية اي انهُ توسع في الموضوع رويداً رويداً حسب مقتضى الحال فاستطرد من الكلام على تاريخ سيناء القديم والحديث الى الكلام على كل ما لهُ علاقة بسيناء من تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وسكان هذهِ البلدان الحاضرين والغابرين ثم التفتنا الى مقدمتهِ فوجدنا انهُ اوضح ذلك كلهُ فيها احسن ايضاح حيث قال

« كان لي اتصال بسيناء منذ دخلت ادارة المخابرات بوزارة الحربية سنة ١٨٨٩ ثم لما حدثت حادثة الحدود سنة ١٩٠٦ عينت سكرتيراً للجنة المصرية التي ندبت لتعيين حدود سيناء الشرقية مع اللجنة العثمانية

« ولما كانت سيناء على اتساعها وشهرتها التاريخية وقربها من مصر مجهولة عند عامة المصريين وكان تاريخ السودان الذي فرغت من تأليفهِ سنة ١٩٠٤ قد لقي عند القراء الكرام اقبالاً لم اكن اتوقعهُ حملني ذلك على وضع تاريخ سيناء على مثال تاريخ السودان . فشرعت منذ ندبت مع لجنة الحدود في جمع كل ما امكن جمعهُ من الحقائق التاريخية والجغرافية لاسيما وقد كان عليَّ ان اتحرَّى تاريخ عرب الحدود وملكيتهم للاراضي والمياه وعلاقاتهم الحاضرة والماضية مع مصر وسوريا . ولكن ما عتمت ان وجدت دون جمع الحقائق التاريخية من بدو سيناء عقبات كؤُودة اهمها اولاً ان بدو سيناء على غاية الخشونة والجهل لا علم لهم ولا شبه علم بل ليس في بادية سيناء كلها من يحسن القراءة والكتابة وثانياً ان اهل القبيلة الواحدة يجهلون كل الجهل بلاد القبائل المجاورة لهم وليس من يعرف احوال القبائل كلها من اهل سيناء الا افراد قليلون يعدون على الاصابع . وثالثاً ان اكثر مشايخ القبائل في سيناء لا يعرفون من تاريخ قبائلهم وجغرافية بلادهم الا اليسير وهذا اليسير لا يمكن الحصول عليهِ الا بعد بذل الجهد لان البدو متكتمون الى الغاية عن الحكام خوفاً من التعرُّض لامورهم وادخال قانون القرعة في بلادهم

« على ان هذه العقبات التي لم اكن اتوقعها لم تكن لتثنيني عن عزمي بل بذلت الجهد في تذليلها . فكنت حيثما نزلت اجمع المشايخ والخبراء واتلطف في تسقُّط اخبارهم واستقصاء احوالهم مبيناً لهم ان ذلك في مصلحتهم . ولم اكن اكتفي بسؤال واحد منهم عن اية حقيقة كانت ولو انهُ اسم مكان بل كنت اطرح السؤال الواحد على اثنين او اكثر واسأل كلاً منهم على انفراد ثم اجمعهم اذا اقتضى الامر وأسألهم السؤال عينهُ حتى استوثق من صحة

الجواب فاثبتهُ في يوميتي كما فعلت في تمحيص حقائق تاريخ السودان . ثم انهُ لم تسنح لي فرصة لاختبار البلاد واهلها بنفسي الأ اغتنمتها فزرت البدو مراراً في مخيماتهم وحضرتُ افراحهم ومراقصهم وغنائم وسباقهم على الخيل واجتماعاتهم العمومية والخصوصية وجوّلت في انحاء الجزيرة في الجهات التي قضت عليَّ المصلحة بالتجوال فيها وفي كثير غيرها . وكنت في اثناء ذلك ابحث عن آثار البلاد القديمة والحديثة ولاسيما العربية منها فعثرت على كثير من النقود القديمة والحصون الأثرية والحجارة التاريخية الهيروغليفية واليونانية والنبطية والعربية مما زادني علماً باحوال البلاد وتاريخها القديم والحديث

« هذا وقد كشف لي البحث في آثارها عن عادة جميلة لاهلها كانت عوناً لي على استطلاع الكثير من اخبارها وحوادثها التاريخية والتقليدية . وذلك انهم اعتادوا تخليد كل عمل جليل أو حادث هام حدث في الجزيرة بان يقيموا لهُ « رجماً » وهو حجر ابيض او كومة من الحجارة « على ماء شهير او دربٍ جهير » — او يرسموا بضع دوائر او نمّاً عن جانبيهِ حفر . وهم يعنون كل العناية باحياء هذه الرجم والرسوم

« ومن جملة عادات البدو التي اطلعت عليها في اثناء البحث فمكنتني من معرفة الكثير من غزواتهم وحروبهم الحديثة انهم ينظمون القصائد في كل غزوة او حرب شهيرة و يستظهرونها و يتوارثونها خلفاً عن سلف

« وقد دامت مهمة الحدود خمسة اشهر قضيتها كلها في ارض سيناء وبين اهلها فما انتهيت من المهمة حتى كان قد اجتمع عندي من الحقائق التاريخية والجغرافية واحوال البلاد واهلها قديماً وحديثاً ما يملأ مجلداً كبيراً

(مستندات التاريخ) فلما رجعت الى مصر في اوكتوبر سنة ١٩٠٦ باشرت وضع التاريخ الذي عزمت عليهِ فوجدت المعلومات التي جمعتها في التاريخ القديم والاجيال المتوسطة لا تزال قاصرة جدًّا فنقّبت في كتب الاقدمين والآثار المصرية القديمة في التوراة . وكتابي « فجر العمران » « وجهاد الامم » لمسيو ماسبرو العالم الأثري الفرنساوي . وكتاب « مباحث في سيناء » لمستر فلندرس بتري العالم الأثري الانكليزي . وفي كتب مؤرّخي العرب كالمقريزي . والمسعودي . واليعقوبي . والهمذاني . وابي الفداء . وغيرهم فجمعت منها حقائق جمة عن تاريخ سيناء القديم

« وبلغني ان في بلدة الطور كتاباً يدعى « الام » انشئ في قلمة الطور القديمة وفيهِ كثير من اخبار سيناء في القرون التي بعد الالف للهجرة . وكنت اتوق جداً الى مطالعة

الكتب والمستندات العربية التي في دير طور سيناء الشهير فاتفق اني نُدِبت لمهمة الى بلاد الطور في ابريل سنة ١٩٠٧ فزرت مدينة الطور والدير واطلعت على كتاب «الامّ» في الطور وكتب شتى عربية في الدير وقفت منها على كثير من الحقائق التاريخية في الاجيال المتوسطة • وعدت الى مصر وانكببت على العمل فلم تنتهِ سنة ١٩٠٧ حتى اتممت الكتاب فجاء في ثلاثة اجزاء كبيرة وهي :

« (الجزء الاول) في جغرافية سيناء الطبيعية والادارية • وفيهِ ذكر حدودها واراضيها • وجبالها • واوديتها • ومياهها • ومعادنها وهوائها • ونباتاتها • وحيواناتها • وسكانها • ومدنها وقراها • وديرها • وطرقها • وآثارها • وحكومتها وغير ذلك

« (الجزء الثاني) في بداوة سيناء وفيهِ ذكر لغة اهلها • ودياناتهم • ومعارفهم • وزراعتهم • وتجارتهم • وعاداتهم • وخرافاتهم • وقضاتهم • ومحاكمهم : وشرائعهم واحكامهم • مع نقد شريعة البدو وحكومتهم وطرق اصلاحهم

« (الجزء الثالث) في تاريخ سيناء القديم والحديث ويشمل تاريخ السكان الاصليين مع الفراعنة • وتغرب بني اسرائيل في سيناء • ومملكة النبط في البتراء • وتاريخ دير طورسيناء • وتاريخ سيناء في عهد اليونان والرومان والفتح الاسلامي الى هذا العهد • وحروب البدو في سيناء في عهد الاسرة العلوية • وتفصيل حادثة الحدود وغيرها

« هذا وقد جعلت تحت كل جزء ابواباً وتحت كل باب فصولاً تناولت جميع مباحث التاريخ القديم والحديث والجغرافية فجاء اوفى كتاب أُلّف في سيناء في الافرنجية او العربية الى هذا العهد • وقد تفرَّد عن الكتب الافرنجية والعربية في المباحث الآتية :

« ١ • الحجارة التاريخية العربية ومنها الحجارة التاريخية في قلعة صلاح الدين الايوبي على عين سدر * ٢ • جلّ ما جاء في كتب مؤرخي العرب عن سيناء واهلها * ٣ • لغة بدو سيناء ودياناتهم وعاداتهم واخلاقهم وشرائعهم * ٤ • غزوات اهل سيناء وحروبهم الحديثة المأخوذة عن رجومهم وتقاليدهم واشعارهم * ٥ • كتاب الام وكتب الدير العربية

« ولما تم الكتاب على هذا المنوال وهممت بتقديمهِ للطبع عرضت لي موانع لا محل لذكرها هنا اخّرت طبعهُ الى شتاء سنة ١٩١٤ فاضفت اليهِ ما جدَّ عندي من الحوادث والمعلومات عن سيناء واهلها منذ اواخر سنة ١٩٠٧ و باشرت الطبع

« (الخاتمة) ولكن لم يتم طبع الجزئين الأولين منهُ حتى قامت الحرب المشؤومة الحاضرة ودخل الاتحاديون الحرب في جانب الالمان وجردوا جيشاً من سوريا والعراق والحجاز على

الانكليز في مصر عن طريق سيناء فاوقفت الطبع ريثما تنتهي الحملة فاجعلها خاتمة الكتاب . ثم خطر لي ان اضمّن الخاتمة جميع الحملات التي حملها الغزاة على مصر بطريق سيناء . ثم توسعت في ذلك فراجعت التاريخ القديم والحديث واخذت خلاصة تاريخ مصر والشام والعراق وجزيرة العرب وكل ما كان بين مصر وجاراتها من الوقائع الحربية والصلات التجارية وغيرها عن طريق سيناء واضفت اليهِ وصف جزيرة العرب وتاريخ العرب قبل الاسلام وبعدهُ في بلادهم وخارج بلادهم . وحركة السنوسي في الغرب . وتاريخ السوري في مصر . وغير ذلك من المباحث التي اوجبتها الحرب الحاضرة . وجعلتُ هذه الخلاصة مع وصف الحملة الاخيرة على مصر «خاتمة الكتاب» انتهى

والكتاب كما وصف موءلفهُ بل ان مَن يتصفحهُ يجد فيهِ من الفوائد اكثر مما تدلُّ عليهِ هذه المقدمة ويأسف جدًّا لان المؤلف لم يتمكن من الحاقهِ بفهرس مسهب على حروف المعجم بل باكثر من فهرس واحد تسهيلاً للمراجعة واجتلاء الفوائد . وحبذا لو لم يذكر من الاعلام الاَّ مَن تقتضي حوادث الكتاب ذكر اسمائهم حتى لا يكون اسم الشخص ومقامهُ مقصودين بالذات فلا يعتب عليهِ الذين لم يذكرهم مع غيرهم وهم حريون بالذكر معهم لاسيما وانهُ لا يحسن بالمؤلف ان يجعل اعتقادهُ حكماً في مقامات معاصريهِ

والكتاب مطبوع طبعاً حسناً جدًّا وفيهِ كثير من الصور بعضها في متنهِ وبعضها مطبوع وحدهُ على ورق صقيل . وحبذا لو طبعت كلها كذلك لتزيد وضوحاً . ويقيننا ان القراء سيقبلون عليهِ كما اقبلوا على تاريخ السودان

المفيد

مجلة علمية ادبية مدرسية تصدر في الشهر مرتين لصاحبها ومديرها المسؤُول علي افندي امين قال في فاتحتها انهُ رأى في كيان الصحافة العلمية المصرية فراغاً لمجلة وسط لا يعيي بفهمها ناشئ ولا يعجز عن اخذ مادتها مستفيد تكون انيساً للطالب في وحدتهِ وسميراً للغريب في غربتهِ ومرجعاً للحائر في حيرتهِ فاعدَّ نفسهُ لسد ذلك الفراغ القديم بهذه المجلة الجديدة ويلي ذلك مقالة حسنة في النهضة العلمية العربيَّة اشار فيها الى الشعراء الذين حاولوا صدع قيود الشعر والشذوذ عن طريقتهِ القديمة كالشربيني الذي كتب في عام ١٦٨٧ قصيدة باللغة المصرية العامية اسمها هز القاووق يسخر فيها من عادات الفلاحين ولغتهم ويطعن فيها على معلومات الفقهاء واخلاقهم . ولكن ريح التقليد انسفت عملهُ الجليل فضاع شعرهُ في غمار القصائد التقليدية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيه مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) مستقبل الانسان

احمد افندي عبد العال سلامه · هبْ ان الانسان اصبح كما في مقالات مستقبل الانسان التي في المجلد الثامن عشر من المقتطف فما مصيرهُ أينقرض ام يرجع القهقرى ثم يرتقي وهكذا

ج · ان مستقبل الانسان متوقف بنوع عام على ما تصير اليهِ حال الارض بعد الوف كثيرة من السنين · والمرجح انها تصير غير صالحة لسكناهُ فينقرض كما انقرض غيرهُ من الحيوانات البائدة · ومعلوم ان الانسان يقاوم الفواعل الطبيعية ولا يستسلم لها عفواً ولكن مقاومتهُ لها تقف اخيراً عند حدٍّ محدود فاذا نضب ماء الارض كلهُ كما حدث في القمر استحال على الانسان ان يعيش فيها مهما تغيَّرت اطوارهُ وتغيَّر بدنهُ · هذا اذا لم يقع بالارض كارثة فجائية من الكوارث المعرَّضة لها مثل غيرها من كواكب السماء كأن يصدمها كوكب آخر فيشعلها او يمزقها · الأ ان الفواعل الطبيعية التي نعرف نواميسها لا ينتظر ان تقرض نوع الانسان قبل الوف من السنين فلا محل للاهتمام بها من الآن · والفواعل التي لا نعرف نواميسها كتصادم الكواكب حدوثها نادر جدًّا و يدل الاستقراء على ان احتمال وقوعها لا يبلغ واحداً في المليون

(٢) القانون الدولي

ومنهُ · تكرَّر ذكر القانون الدولي في الحرب الحالية فاذكروا لنا كل ما يعرف عنهُ

ج · لقد نشر في المقتطف ضمن مقالات حقوق الامم في المجلد الحادي والثلاثين والثاني والثلاثين والسابع والثلاثين

(٣) مصر وسفراؤها

ومنهُ · هل لمصر سفراء لدى الدول

ج · كلا

(٤) التزوج من الاسر المالكة

ومنهُ · هل يمنع نظام الاجتماع الحالي عصاميًّا ذا مركز سام في الهيئة الاجتماعية التزوج من الاسر المالكة

ج · نعم و يُعَدُّ ذلك غضاضة ولكن

العادة ان يرقّى العصامي حتى يصير من اشراف المملكة قبل تزوُّجهِ من الاسر المالكة . اما ابناء الاسر المالكة فيجوز لهم التزوج بنساء من غيرها في بعض الممالك كما حدث في الصرب ورومانيا ولا يجوز في ممالك اخرى او يخسروا حق تمليك اولادهم كما حدث في النمسا

(٥) احسن مجلة فرنسوية

ومنهُ . ما احسن مجلة عمومية فرنسية

ج . الرڤي دي ده موند

(٦) تخمير عجين الذرة

ايتاجوبي . الخواجه خليل اسطفان . ما هي الطريقة لتخمير دقيق الذرة

ج . يخمر عجين الذرة كما يخمر عجين القمح ثم ان المصريين يخلطون الذرة بالقمح فيرتفع خبزها او يخلطونها بالحلبة فيتماسك خبزها ولو كان ارغفة رقيقة كخبز التنور في سورية

(٧) البول السكري

مغاغه . محمد افندي حنفي . ارجو نشر مقالة بمجلتكم الزاهرة في مرض البول السكري وكيفية علاجهِ بالتفصيل

ج . تجدون مقالة في هذا الموضوع في المجلد العشرين من المقتطف صفحة ٣٣٦ وما بعدها بعنوان « الديابيطس وعلاجهُ » ومقالة اخرى في المجلد ٤٧ والصفحة ٥٦٩ وهي احدث ما كتب في هذا الموضوع

ومنهُ . هل وجود السكر بمقدار قليل في الجسم يضر

ج . كلاَّ اذا لم يكن معهُ شيء من الاعراض المرافقة لهذا المرض لان السكر موجود دائمًا في الدم ويخرج قليل منهُ مع البول

ومنهُ . ما هي مقالة اللانست العلمية التي اشارت الى الدواء المفيد لمرض السكر وهو بيكربونات الصودا المضافة الى الملح حسبما قرَّر مجمع روكفلر العلمي كما جاء في الجرائد العربية منذ اربعة اشهر

ج . ان جريدة اللانست طبية لا علمية والذي نعرفهُ عن هذا العلاج هو ما ذكرناهُ في مقتطف نوفمبر الماضي في باب الاخبار العلمية نقلاً عن مجلة العلوم الطبية الاميركية وهو ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية توصل الى صنع دواء يشفي من مرض البول السكري وان اهم عناصر هذا الدواء كربونات الصودا وقليل من ملح الطعام . ولكن يظهر من المقالة المنشورة في مقتطف ديسمبر الماضي ان في هذا العلاج شيئًا آخر مهمًّا غير كربونات الصودا والملح

(٨) الجيش الروسي

الضبعية . اسعد افندي باسيلوس . اصحيح ما يقال ان الجيش الروسي لا يزيد على مليوني جندي وليس عندهُ مؤُونة ولا ذخيرة ولا مدافع ضخمة لميدان

والحصار ولا نظام ولا قواد يعتمد عليهم

ج · لا صحة لشيءٍ من ذلك · والاخبار ترد الآن يوميًّا عن فعال الجيش الرومي وتنشر في المقطم نعم انهُ لم يكن مستعدًّا في اول الحرب كالجيش الالماني من حيث كثرة الذخيرة والاسراع في عملها بدل ما يستعمل منها ولذلك انفق ما عندهُ منها بسرعة فتقدم في بلاد الالمان وبلاد النمسويين ولما نفدت ذخيرتهُ وعجزت معاملها التي في بلادهِ عن تقديم كل ما يلزم بالسرعة المطلوبة اضطر ان يرتد من امام اعدائهِ ثم جعلت الذخيرة تأتيهِ من انكلترا واليابان واميركا فصدَّ الالمان والنمسويين واوغل في البلاد العثمانية ولولا استعداد معامل الالمان والنمسويين لعمل المقادير الكبيرة من الذخيرة بسرعة تفوق كل ما كان ينتظر لما استطاعوا ان يخرجوا الروس من بلادهم على ما نظن · والروس يفوقون الالمان عدداً ولا يقلون عنهم شجاعة ولكن لا شبهة في ان الالمان يفوقون غيرهم في التدريب العسكري وكثرة الذخيرة لكثرة من عندهم من الضباط والكيماويين المنصرفين لعمل المواد الحربية

(٩) انتهاء العالم

ومنهُ · ان كل اشارات انتهاء العالم التي في التوراة حاصلة الآن وهي الحروب وطيران الانسان وقيام الممالك بعضها على بعض وحدوث الزلازل والمجاعات فهل قرُب انتهاء العالم فعلاً

ج · اننا لا نرى ما يدلُّ على انتهاء العالم فالحروب والمجاعات لم تنقطع من الدنيا والزلازل ليست اكثر الآن مما كانت في عصور اخرى ولا نرى لطيران الانسان علاقة بانتهاء العالم اكثر مما لطيران العصافير علاقة بهِ

(١٠) احسن دولة استعمارية

ومنهُ · ما هي احسن دولة استعمارية اذا استعمرت بلاداً ساعدت اهلها على الرقي

ج · يشهد الاوربيون من كل الامم لانكلترا بانها اصلح دول اوربا للاستعمار وقد جعل الفرنسويون الآن ينسجون على منوال الانكليز · اما سائر الدول فما يعلم عن مستعمراتها لا يعود بالفخر عليها الا الولايات المتحدة الاميركية فانها فعلت ما لم تفعلهُ دولة اخرى بمستعمراتها من حيث الانفاق بسخاء عليها لاجل تمدينها وترقيتها

(١١) المقتطف واخبار الحرب

ومنهُ · ما سبب حرمان قراء المقتطف من اخبار الحرب شهراً بعد شهر

ج · لان هذه الحرب واسعة النطاق جدًّا واخبارها كثيرة لا يتسع المقتطف لها ولاننا نطبع تاريخًا خاصًّا بهذه الحرب نذكر فيهِ كل اخبارها ناهيك عن انها تذكر في المقطم يومياً

(١٢) سكان مصر في الماضي والحاضر

ومنهُ · اصحيح ان سكان وادي النيل

بلغ عددهم في احد العصور القديمة ثلاثين مليون نسمة وكانوا كلهم من الاقباط . وفي اي عصر كان ذلك

ج . لا دليل على ان سكان هذا القطر بلغوا في عصر من العصور الغابرة ما بلغوهُ الآن وهو ثلاثة عشر مليونًا

ومنهُ . كم بلغ سكان هذا القطر في العصور الماضية

ج . ذكر ديودورس المؤرخ ان سكان القطر المصري لم يزيدوا على سبعة ملايين نفس في ايام البطالسة . وقال يوسيفوس المؤرخ اليهودي انهم كانوا سبعة ملايين ونصف مليون . وحسب لاين ان القطر المصري كان يعول ثمانية ملايين نفس . ثم قلَّ عددهم رويداً رويداً حتى صار مليونين ونصفاً سنة ١٨٢٠ وبلغ ٤٤٧٦٤٤٠ في تعداد سنة ١٨٤٦ ثم زاد فبلغ ٦٨٣١١٣١ في تعداد سنة ١٨٨٢ . و٩٧٣٤٤٠٥ في تعداد سنة ١٨٩٧ . و١١٢٨٧٣٥٩ في تعداد سنة ١٩٠٧ . وهو الآن ١٣ مليونًا او اكثر قليلاً على ما يقدَّر

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يونيو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٩	١	٥٩	صباحاً
البدر	١٥	١١	٢٤	مساء
الربع الاخير	٢٢	٣	١٦	«
الهلال	٣٠	٠	٤٣	«
القمر في الاوج	٣	١١	٣٠	«
« الحضيض	١٦	٤	٣٦	«

السيارات في يونيو

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخره والزهرة وزحل يكونان كوكبي مساء والمريخ يغرب نحو الساعة ١١ مساء والمشتري يكون كوكب صباح

السلطنة المصرية والنقود السلطانية

اطلعنا امس على دليل جديد من الادلة الكثيرة التي شاءت العناية الصمدانية ان تجعلها عنوانًا لمجد هذا القطر في عصر سلطانهِ الكامل وهو صور النقود السلطانية الجديدة التي قرَّ القرار على شكلها وهي تضرب الآن ليصير التعامل بها في هذا القطر مع غيرها من النقود التي يجيز القانون الآن التعامل بها .

وهي من الذهب والفضة والنيكل والنحاس

فالذهب او الجنيه المصري كالجنيه القديم في سعته طول قطره ٢٤ مليمتراً وقد نقش على وجهه بخط معلق اسم «السلطان حسين كامل» وتحته التاريخ الهجري لارتقائه عرش السلطنة وهو سنة ١٣٣٣ ويحيط بالاسم والتاريخ سعفان من النخل · وعلى الوجه الآخر كلمة «السلطنة المصرية» وفوقها «١٠٠ غرش» وتحتها بحروف افرنجية 100 Piastres ويحيط بذلك سعفان من النخل وتحتهما التاريخ الهجري لضرب الجنيه بالارقام الهندية ١٣٣٥ والمسيحي بالارقام الافرنجية 1916

والريال من الفضة وهو كالريال العادي وقطره ٣٩ مليمتراً وقد نقش على وجهه اسم «السلطان حسين كامل» وتحته التاريخ الهجري لارتقائه ويحيط بذلك سعفان من النخل كما في الجنيه · وعلى الوجه الآخر «السلطنة المصرية» وتحتها بالعربية «٢٠ قرش» وبالافرنجية 20 Piasters ويحيط بذلك سعفان من النخل وتحتها تاريخ الضرب الهجري بالارقام الهندية والمسيحي بالارقام الافرنجية

ونقود النحاس مثل النقود الذهبية والفضية في شكلها وكتابتها الا في تعيين قيمتها واما نقود النكل فمخروقة من وسطها حتى تصير كالحلقة والرجاء ان يتم صك هذه النقود قريباً

فيرى كل الذين يتعاملون بها سمة السلطنة المصرية وعنوان مجدها اذ قد اجمع الناس في الازمنة والبلدان المختلفة على ان السكة من ادل الدلائل على مجد البلاد حتى لقد كان الملوك يكتفون احياناً من البلدان الخاضعة لهم ان تكون سكتها باسمهم

المسكرات والوراثة

قضى الاستاذان ستوكارد وبابينيكولو ردحاً من الزمان يسقيان خنازير غينيا الكحول او يدخلان بخار الكحول في رئاتها ليعلما هل يرث نسل هذه الخنازير العاهات والآفات التي تصاب اباؤها وامهاتها بها من جراء دخول الكحول في ابدانها · وقد نشرا نتيجة بحثهما وتجاربهما في عدد اخير من احدى المجلات الاميركية التي تبحث في العلوم الطبيعية · ويؤخذ مما كتباه فيها ان استنشاق الخنازير لابخرة الكحول وامتصاص الدم لها يضر نسلها اكثر كثيراً مما يضره شرب الخنازير للكحول · ومما يستحق الذكر ان تأثير الابخرة في الخنازير التي تنشقها انما هو تنويمها او جعلها كثيرة الصخب والحركة حسب امزجتها وفيما سوى ذلك لا تأثير لها البتة في اجسامها وهي حية او بعد موتها

وظهر من تجاربهما ايضاً ان الخنازير التي ابقيت في حالة سكر مستمر في زمن المزاوجة كانت تلد نسلاً مصاباً بالآفات بلا

استثناء وقلما يبلغ احدها من البلوغ . والتي تعيش منها تلد نسلاً كان يخرج نسلها كله اضعف منها ولو لم تشرب الكحول او تستنشقهُ . وبعضهُ كان كثير التشوه . وكثير منهُ كان يولد بلا عيون . وكانت هذه العيوب تبقى ثلاثة اعقاب ثم كان العقم يظهر في العقب الرابع منها فيبيد بعضها . وكان الاستاذان المذكوران يسقيان بعض الخنازير الكحول بانبوبة او يمزجانهِ بالطعام ولكنهما عادا فعدلا عن ذلك اذ كانت الخنازير تصاب باختلال في الهضم او باعراض اخرى تقف في سبيل تجاربهما

قالت مجلة نانشر في التعليق على هذه التجارب : ولا بدَّ للاستاذين من تجربة فعل الابخرة غير الكحولية في الجراثيم التي يتكون النسل منها قبلما يصح القول انهما ابانا عظم ضرر الابخرة الكحولية »

آثار مالطة

وصف الاستاذ اشبي الانكليزي وزميلاهُ المسيو زاميت اليوناني والمسيو وسبوت الفرنسوي في العدد الاخير من مجلة « فان » بعض آثار مالطة القديمة وما استخرجوهُ من الاحافير سنة ١٩١٤ . وفي جملة ا وصفوهُ بناء مبني بالحجارة الضخمة في مكان اسمهُ الدبدبة اي الصوت او الصدى وقد قالوا انهم يجهلون غرض بانيهِ منهُ . ومن الاحافير ستة اعمدة من الحجر اسطوانية الشكل الاَّ انها تستدق في طرف كالمخروط . وقد عثروا على كثير من الشقف اي كسر الفخار وهي من آثار العصر المعروف باسم نيوليثك اي العصر الحجري الحديث ووجدوا ايضاً قطعاً من القرميد الاحمر الغامق ولكنهم قلما وجدوا شيئاً من الادوات الصوانية

المؤتمر العلمي الهندي

عقد المؤتمر العلمي الهندي للمرة الثالثة في مدينة لكنو بين ١٣ و ١٥ يناير الماضي . وبالرغم من وقوف الحرب عقبة في سبيل العلم وتقدمهِ غصَّ المؤتمر بالاعضاء حتى بلغوا ٣٠٠ نفس وقرئت سبعون مقالة في مواضيع شتى . وخطب السر سدني برارد مدير مصلحة المساحة الهندية خطبة الرآسة وموضوعها « سهول الهند الشمالية وعلاقتها بجبال حملايا »

هدية لجامعة كليفورنيا

كانت الحكومة الفرنسوية قد عرضت في معرض بناما والباسيفيك اشياء كثيرة في جملتها مكتبة مؤلفة من ستة آلاف مجلد تتضمن آثار الفرنسويين في سير المدنية والحضارة فاهدت هذه المكتبة الى جامعة كليفورنيا الاميركية

الاقليم وورق الاشجار

من رأي بعض العلماء ان لشكل اوراق الاشجار علاقة باقليم البلاد التي تكثر تلك الاشجار فيها وبالتالي ان شكل الورق يمكن اتخاذهُ دليلاً على الاقليم. فقد ظهر لهم بطول الاستقراء ان ورق الشجر في البلاد الحارة الواطئة غير مسنن في الغالب وفي البلاد الباردة مسنن كثيراً او قليلاً . واذا وجد في البلاد الحارة شجر مسنن الورق فذلك يكون في الاماكن المرتفعة الرطبة . واذا وجد في البلاد الباردة شجر غير مسنن الورق فانما يكون ذلك في الاماكن الحارة الجافة الهواء . وبناء على ذلك يمكن الحكم على اقاليم العصور السابقة التاريخ من آثار شجرها

المجذومون في اميركا

احصت مصلحة الصحة الاميركية سنة ١٩١٣ عدد المجذومين في الولايات المتحدة الاميركية فكان ١٤٨ نفساً اكثرهم من السكان الاصليين . ولما كان المجذومون يعزلون عن الاصحاء حالما يعرف امرهم فقد احتاطوا لذلك بالتنقل من بلد الى بلد . فاذا خافوا افتضاح امرهم في مكان ينزلونهُ هجروهُ الى غيره وهكذا على التوالي حتى يعييهم الاختفاء فيقبض عليهم . وقد عرض على مجلس النواب الاميركي مشروع قانون للنظر في هذه المسألة وزيادة العناية بالمجذومين فوافق عليهِ واحالهُ الى مجلس الشيوخ

الدخان في قبرس

كانت زراعة الدخان زاهية في جزيرة قبرس في القرن الماضي ثم اهملت . وفي سنة ١٩٠٥ اوفدت وزارة المستعمرات الانكليزية مندوباً الى الجزيرة لدرس احوال الزراعة فيها فاقترح ان تعاد زراعة الدخان الى سابق عهدها وقد عادت الحكومة الانكليزية الى هذا الموضوع بعد ما ضمت قبرس الى املاكها على اثر الغاء السيادة العثمانية

وفاة محسن

توفي في انكلترا حديثاً السر جيمس كيرد احد كبار رجال الاعمال في مدينة دندي باسكتلندا وكان قد وهب الجمعية العلمية الانكليزية سنة ١٩١٣ مبلغ عشرة آلاف جنيه. وبلغ مجموع ما وهبهُ للجمعيات العلمية في حياتهِ ٢٥٠ الف جنيه منها ٥ آلاف للجمعية الملكية و ٢٤ الفاً لبعثة شكلتون الى الاصقاع القطبية الجنوبية

جوائز للاموات

من عادة مجمع العلوم الباريسي أن يمنح كل سنة جوائز للفرنسويين المتفوقين في فروع العلم المختلفة . وفي آخر جلسة عقدها

وقف الرئيس المسيو غاستون داربو واعلن ان معظم جوائز هذه السنة تقرر منحها لرهط من الشبان النابغين الذين قتلوا في الحرب. ثم عدَّدهم وذكر خدمتهم لبلادهم وقال ان جائزة الرياضة منحت للمسيو مارتيه وقد قتل في معركة الموز سنة ١٩١٤. وجائزة الكيمياء الطبيعية منحت للمسيو مرسلان وقد قتل عند فردان في تلك السنة. وجائزة قياس الوقت بالآلات للمسيو مولن الذي قتل في معركة المارن وهو باني معهد الكرونومتري (اي قياس الوقت بالآلات) في مدينة بزانسون. وجائزة الكيمياء الآلية للمسيو فجبيه. وعلم الصخور للمسيو البردي رومو ثم ذكر ثمانية غيرهم من العلماء الذين قتلوا في المعارك المختلفة ومنحهم المجمع جوائز على تفوقهم في بعض فروع العلم الاخرى فنجتزئ بالاشارة اليهم آسفين على شبابهم وعلى ثكل العالم ايام وحرمانهِ خدمتهم النافعة

ثقل ذرات المسك

المفهوم ان الشمّ او الشعور بالرائحة ينتج عن ملامسة الذرات المنفصلة عن الاجسام ذات الرائحة لاعصاب الشمّ في الانف. فلذلك استدلوا ان هذه الاجسام لا بدّ ان يخف ثقلها على الدوام ما دامت الذرات تنفصل عنها وحاول بعض العلماء تأييد هذا الاستدلال بالتجربة والامتحان في المسك فلم يفلحوا. ولا نزال نقرأ في الكتب ان رائحة المسك تفوح منهُ على الدوام من غير ان يفقد شيئاً من وزنهِ ولاسيما ان الانسان يشعر برائحتهِ ولو كان منهُ جزء في عشرة ملايين جزء من الهواء ويشعر برائحة المادة المسماة «مركبتن» ولو كان منها جزء في ٥٠ الف مليون جزء من الهواء كما يقول بعض العلماء.

وقد قام اخيراً عالم ايطالي وزن رائحة المسك بميزان من اغرب الموازين وادقها فظهر لهُ ان قطعة من المسك زنتها ١٫٣٣٢٤٥ من المليغرام فقدت في سبعة اشهر ١٤ في المئة من ثقلها. وكان فقدها لرائحتها اسرع بكثير في اوائل التجربة منهُ في اواخرها. ووجد هذا العالم عند انتهاء تجربتهِ ان قطعة المسك فقدت رائحتها تماماً فعالجها ببلها بالماء وسحقها وتعريضها للهواء المطلق فلم يفلح ولم تعد الرائحة اليها

مقدار اشعاع الشمس

وجد علماء الظواهر الجوية بتجاربهم ان متوسط اشعاع الشمس لحرارتها الى هذه الكرة هو ١٫٩٣ من الوحدة الحرارية لكل سنتيمتر مربع في الدقيقة. وقد قيس ذلك في اعلى مكان بلغهُ البالون (علو ١٥ ميلاً) فوجد انهُ ١٫٨٤ من الوحدة الحرارية. وقيس على مساواة سطح البحر في وشنطون فوجد انهُ ١٫٥٨

الاقتصاد في الورق

قررت مجلة ناتشر الانكليزية المشهورة تصغير حجمها بضع صفحات بسبب ازمة الورق اسوة بسائر المجلات والصحف الانكليزية. وقد امتدت هذه الازمة الى اميركا ايضاً فكتب رئيس احدى شركات الورق الى وزارة التجارة الاميركية يوجه انظارها الى النقص الكبير الذي طرأ على المواد التي يصنع الورق منها مثل الخرق والورق القديم واشار على الوزارة ان تعلن في طول البلاد وعرضها وجوب الاقتصاد في هذه المواد والعناية بها فلا تبدد ولا تتلف كما يجري الآن بل تحفظ وتجمع . ومما جاء في مذكرته ان معامل اميركا تصنع كل يوم من الورق ما زنته ١٥ الف طن وان جزءا كبيراً منه يمكن استخدامه ثانية بعد الانتفاع به لعمل ورق ادنى من الورق الاول ولكن الناس يحرقونه او يتلفونه بوسائط اخرى

الفحم الحجري في الدنيا

يقدر ما يستهلكه الناس من الفحم الحجري في السنة بنحو ١٣٠٠ مليون طن . ومن رأي احد العلماء الاميركيين ان الموجود منه في الارض يكفي اهلها زماناً يقدر بالقرون اذا بقي استهلاكهم اياه على هذا المنوال

جغرافية سترابو

عقدت الجمعية اليونانية في لندن جلستها السنوية فخطب الدكتور ليف الانكليزي خطبة الرآسة وموضوعها تاريخ التجارة اليونانية فاقترح على الجمعية ان تطبع الثلاثة الكتب الاولى من جغرافية سترابو وتنشرها وهي وصف مستفيض لبلاد اسيا الصغرى . وقد وعد السر وليم رمزي والمستر هوغارث ان يمدا يد المساعدة على انجاز هذا العمل

السم ترياق

تفشى الطاعون بين السناجيب في ولاية كليفورنيا الاميركية فسعت حكومتها في استئصالها خشية انتقال العدوى منها الى الناس . ومن جملة الوسائل التي استخدمتها لذلك نقع الشعير في محلول سلفات الستركنين والقاؤه في الاماكن التي يكثر تردد السنجاب اليها فيأكل منه ويموت . ولكنهم خشوا ان تأكل منه السماني التي يكثر وجودها في تلك الولاية فتنقرض فاحالوا بحث هذه المسألة الى لجنة من العلماء فظهر لها بعد التجارب الكثيرة انه يمكن اطعام السماني شيئاً كثيراً من سلفات الستركنين من غير ان تسم به في حين ان السنجاب يموت لاقل شيء يأكله منه

السر تشارلس وطسن

نعت انباء انكلترا المرحوم السر تشارلس وطسن المعروف في القطر المصري والسودان . فانهُ رافق الجنرال غوردن في رحلتهِ الى الخرطوم والى جندوكورو في اعالي النيل فسح البحر الابيض وبحر الجبل من الباخرة التي كانوا يركبونها وكان هذا المسح اساساً لجميع الخرائط التي رسمت من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٩٠٠ . ولما اعيد مسح تلك الاراضي حديثاً سنة ١٩٠١ استعان الماسحون بمعلوماته في تعيين مجرى بحر الجبل وروافدهِ وما طرأ عليها من التغيير . ومن اعمالهِ قياسهُ لمقدار الماء الذي يصبهُ نهر السبت في البحر الابيض . وفي سنة ١٨٧٥ مرض فسافر الى انكلترا ثم عاد الى مصر سنة ١٨٨٢ والتحق بالجيش المصري فنعتهُ واجباتهُ العسكرية من متابعة الاعمال العلمية . وفي سنة ١٩٠٢ ترك خدمة الجيش

اثر سكوت

احتفل في الخامس من الشهر الماضي في لندن برفع الستار عن الاثر البرونزي الذي نصب في كنيسة سنت بول للكبتن سكوت الرحالة القطبي الشهير ورفقائهِ الذين ماتوا في الاصقاع القطبية . وقد ازاح الستار عن نصبهِ رئيس الوزارة الانكليزية

البحرية الانكليزية

لما نشبت الحرب كان في البحرية الانكليزية ١٤٦٠٠٠ ضابط ورجل ما عدا الاحتياطي وعددهُ ٦٧٠٠٠ . وفي آخر يناير سنة ١٩١٥ اصبح عدد الموجود منهم في الخدمة العاملة ٣٢٠٠٠٠ . وكان البرلمان قد رخص لوزارة البحرية ان تحشد جيشاً عاملاً عددهُ ٣٥٠٠٠٠ فلم ينقض مارس الماضي حتى اجتمع عندها هذا العدد . يضاف اليهِ عدد الذين يعملون في بناء السفن وترميمها وغيرها من الاعمال الاضافية وهم يبلغون ٧٠٠٠٠٠ فالمجموع الكلي نحو مليون

العمى اللوني

يراد بالعمى اللوني ان يرى بعض الناس لونين مختلفين لوناً واحداً . فمنهم من يرى الاحمر والاخضر واحداً ومنهم من يرى الازرق والاصفر واحداً . ولم يتفق لاحد علماء الطبيعة قبل الآن ان رأى احداً من الناس يخلط بين سائر الالوان . ولكن عالماً المانياً اميركياً كتب في احدى المجلات العلمية يقول انهُ رأى انساناً يخلط اللونين الازرق والاخضر فيراهما واحداً والاحمر والاصفر فيراهما واحداً ايضاً وهو الوحيد على ما عرف حتى الآن . على ان من الناس من يعمى عن رؤْية الالوان كلها ولا يميز لوناً منها

اكبر المدافع البحرية

اكبر المدافع البحرية المعروفة قطر فوهتها ١٥ بوصة وهي منصوبة في المدرعة « الملكة اليزابث » وما كان من طرزها. ويليها مدافع قطر فوهتها ١٤ بوصة وهي منصوبة في بعض البوارج الكبرى من الاساطيل الاميركية واليابانية . اما الاساطيل الالمانية فالمعروف ان فيها مدافع قطرها ١٢ بوصة ولكن شاع ان الالمان نصبوا في بوارجهم الضخمة مدافع قطرها ١٧ بوصة وهي اشاعة لم تثبت حتى الآن

خسارة الحلفاء والمحايدين في السفن التجارية

قدر الاميرال السر سبريان بريدج خسارة الحلفاء والمحايدين في السفن التجارية من اول الحرب حتى ٢٣ مارس الماضي بما يأتي :

مجموع خسارة الحلفاء ٥٣٨ باخرة وسفينة تجارية حمولتها ٠٠٠ ٦٦٨ ١ طن . منها ٤١٠ سفن لانكلترا حمولتها ٠٠٠ ٣٣٩ ١ و٥٣ لفرنسا حمولتها ٠٠٠ ١٥٨ طن و٢٧ لايطاليا حمولتها ٠٠٠ ٧٣ . و ٣٥ لروسيا حمولتها ٠٠٠ ٤٩ . و ١٠ للبلجيك حمولتها ٠٠٠ ٣٠ . و ٣ لليابان حمولتها ٠٠٠ ١٩ . اما المحايدون ففقدوا ٢١٨ سفينة محمولها ٣٩٣ ١٥١ طناً

ترويج التجارة الاميركية

تألفت في اميركا شركة رأس مالها ٥٠ مليون ريال (١٠ ملايين جنيه) وهمها الاول ترويج التجارة الاميركية في الخارج . وستختار عمالها من الشبان خريجي الكليات وتدربهم على الاعمال التجارية ليكون منهم موظفون دائمون فيها . والرأي ان هذا العمل هو اهم الاعمال التي عملها رجال المال والاعمال في اميركا لترقية شأن التجارة الاميركية في الخارج

الاستاذ باولوف حيّ يرزق

نعينا في الجزء الماضي الى القراء نقلاً عن مجلة نانشر الانكليزية الاستاذ ايفان باولوف الروسي من كبار علماء الفسيولوجيا . ولكننا قرأنا في احد اعدادها الاخيرة تكذيباً لذلك النعي حيث قالت : علمنا بمزيد السرور ان نبأ وفاة الاستاذ باولوف غير صحيح فبتنا نرجو ان يفسح الله في اجله لتطول خدمته النافعة . اما الذي توفي على ما أخبرنا من بطرغراد فهو الاستاذ يوجيني باولوف الجراح الشهير . واسم باولوف شائع في روسيا . وفي بطرغراد وحدها خمسة اساتذة يسمّون بهذا الاسم . فلا بدع اذا اخطأت التيمس في نعيه واخطأنا في نقلنا لهذا النعي عنها »

الحساب الغربي في البلغار

روت التيمس ان مجلس نواب البلغار قرر استبدال الحساب الشرقي الذي تتبعهُ البلغار اسوة بسائر البلاد الارثوذكسية بالحساب الغربي المتبع في سائر البلاد المسيحية. قالت : وهذا التغيير الذي اجل الى الآن بسبب مقاومة رجال الدين في روسيا انما يعدّ مظاهرة ضد روسيا وقد كان الباعث عليهِ رغبة البلغار في توسيع شقة الخلاف التي بين البلدين »

وقرأنا في مكان آخر ان الحكومة البلغارية استبدلت اسم الكنيسة الكبرى في صوفيا وهو القديس اسكندر نيوسكي (الروسي) باسم القديسين سيريل ومثوديوس. وقد فعلت ذلك اغضاباً لروسيا

كسوف الشمس سنة ١٩١٨

اخذ الفلكيون يعدون عدتهم من الآن لرصد كسوف الشمس الكلي الذي سيحدث في ٨ يونيو سنة ١٩١٨ . وسيبدأ في شمال الاوقيانوس الباسيفيكي ثم يسير شرقاً بجنوب فيدخل الولايات المتحدة الاميركية من ولاية وشنطن الواقعة في اقصى الشمال الغربي ويمرّ بولايات اوريغن وايداهو ويومن وكولورادو وكنساس واوكلاهوما ومسيسبي ثم بولاية فلوريدا في اقصى الجنوب الشرقي

الجامعات الالمانية وتلاميذها

كان في الفصل المدرسي الاخير من الجامعات الالمانية وسائر معاهد العلم العليا في المانيا قبيل الحرب ٧٩٠٧٧ تلميذاً منهم ٤٥٠٠ امرأة و ٩٠٠٠ اجنبي . ومن هؤلاء التلاميذ ٦٠٩٤٣ كانوا من تلاميذ الجامعات وحدها (وعددها ٢١ جامعة) وبينهم ٤١١٧ امرأة و ٤١٠٠ اجنبي . و ١٢٢٣٢ كانوا في مدارس الفنون (وعددها ١١) بينهم ٨٢ امرأة و ٢٥٠٠ اجنبي . و ٢٦٢٥ في مدارس التجارة الستّ و ١٤٠٤ في مدارس البيطرة الاربع . و ٩٣٨ في مدارس الزراعة الثلاث . و ٦٦٨ تلميذاً في مدارس التعدين الثلاث . و ٢٦٧ تلميذاً في مدارس الغابات الاربع

ففي الفصل المدرسي الاول بعد الحرب هبط مجموع الطلبة الى ٦٤٧٠٠ في ٤٧ من المعاهد العلمية المذكورة واقفلت مدارس الغابات وأُلحقت مدرسة مونخ البيطرية بجامعتها . وفي شتاء ١٩١٤–١٩١٥ انتظم ٥٠ الفاً منهم في سلك الخدمة العسكرية اي ثلاثة ارباعهم ثم انتظم غيرهم فلم يبق منهم في المدارس سوى ١٢ الفاً في آخر صيف ١٩١٥ اي ان الذين دخلوا منهم الجيش نحو ٨٢ في المئة من المجموع . اما في حرب سنة ١٨٧٠ فقد بلغ عدد تلاميذ الجامعات قبيل الحرب ١٣٧٨٥ فدخل الجيش منهم

٤٤٠٠ او ٣٢ في المئة من مجموعهم و٣٢٠٠ من هؤلاء فقدوا في الحرب

احتجاج فلكي على الحرب

في الجمعية الفلكية الفرنسوية عضو سويسري اسمهُ فيبل استعفى حديثاً من عضويتها بحجة انهُ قرأ في الصحف اليومية الشيء الكثير عن هذه الحرب الفظيعة بل المجزرة الهائلة فلما استجار منها بقراءة الصحف الفلكية كان كالمستجير من الرمضاء بالنار . والمراد من انتقاده هذا جريدة الجمعية المسماة «لاسترونومي» فانها ما فتئت منذ اول الحرب تطعن في الالمان غير مستثنية علماء الفلك منهم . وقد قال الفلكي المذكور في احتجاجهِ انهُ يفضل على قراءة هذه الجريدة قراءة جريدة «سيريوس» الفلكية الالمانية فانهُ لم يقرأ فيها كلمة واحدة عن الحرب منذ نشوبها الى الآن . وقد قبلت الجمعية استعفاءهُ حالاً

الكهربائية لكل شيء

سيقام في نيو يورك بناء مؤلف من ١٦ طبقة يكون نموذجاً لابنية اخرى تقام بعدهُ ومن اخص خصائصهِ ان جميع ما فيهِ من الحركات والسكنات يدار بالكهربائية حتى الطبخ في المطابخ وتبريد الماء وما شاكل من الاعمال المنزلية

الخيطان من الورق

الحاجة تفتق الحيلة . لما اعيا الالمان جلب كثير من المواد الخام من الخارج جرَّبوا استبدالها بمواد يكثر وجودها عندهم فظفروا ببغيتهم في بعض الاشياء واخفقوا في البعض الآخر . ومما ظفروا بهِ صنع خيطان الدوبارة والخيطان العادية من الورق وهي معروضة الآن في الاسواق للبيع . وليس صنع الخيطان من الورق بالامر الجديد . ففي اليابان كانوا يصنعون ملابس من غزل رب الورق منذ ١٠٠ سنة . وفي اميركا منذ ٦٠ سنة . وفي المانيا منذ ٢٦ سنة

بعثة جديدة الى القطب الشمالي

كان الرحالة امندصن الاسوجي الذي اشتهر باكتشاف القطب الجنوبي قد اعدَّ حملة قبل الحرب للسفر الى القطب الشمالي فمنحهُ مجلس النواب ١٢ الف جنيه للانفاق على البعثة ولكنهُ رفض هذا المبلغ بسبب نشوب الحرب . وعاد الآن فقرر السفر الى القطب في هذا الصيف من شمالي ألاسكا

اللادي كلفن

توفيت في مارس الماضي اللادي كلفن ارملة اللورد كلفن العالم المشهور فعاشت بعدهُ نحو تسع سنوات

فهرس الجزء السادس من المجلد الثامن والاربعين

صفحة

فهرس المجلد الثامن والاربعين

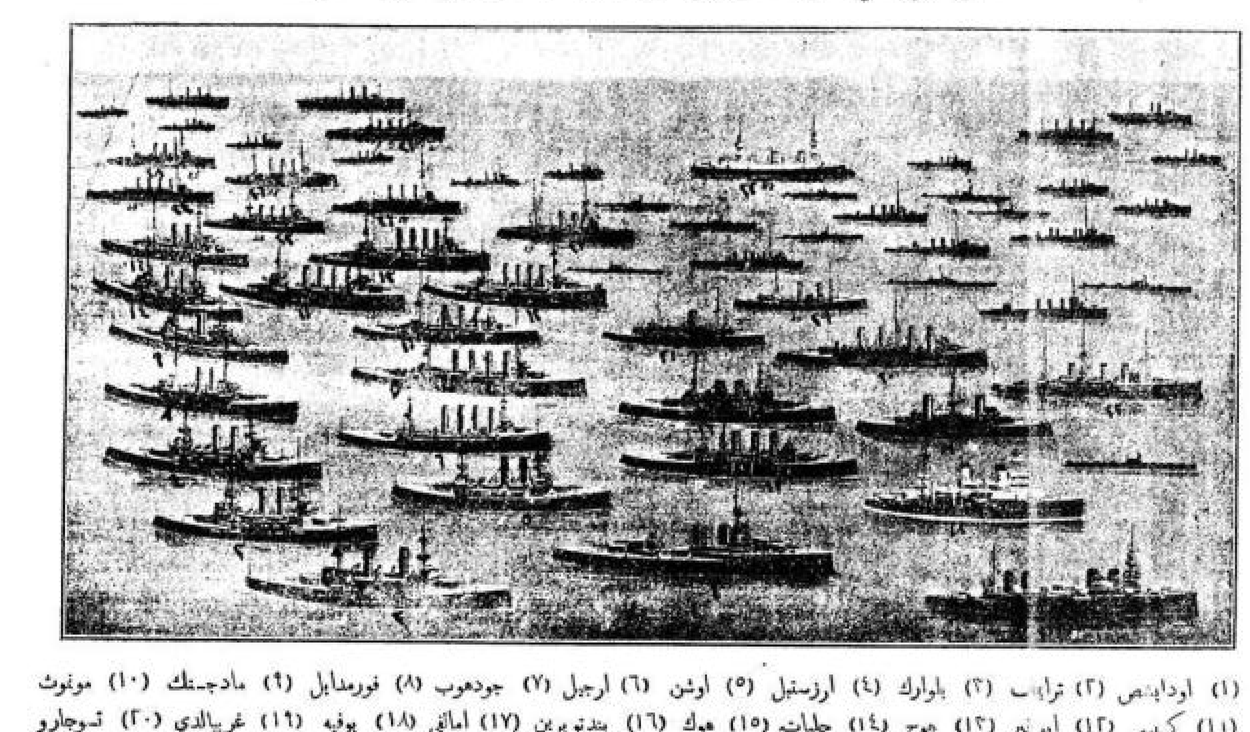


صورة الانف بعد العملية

صورتهُ قبلها

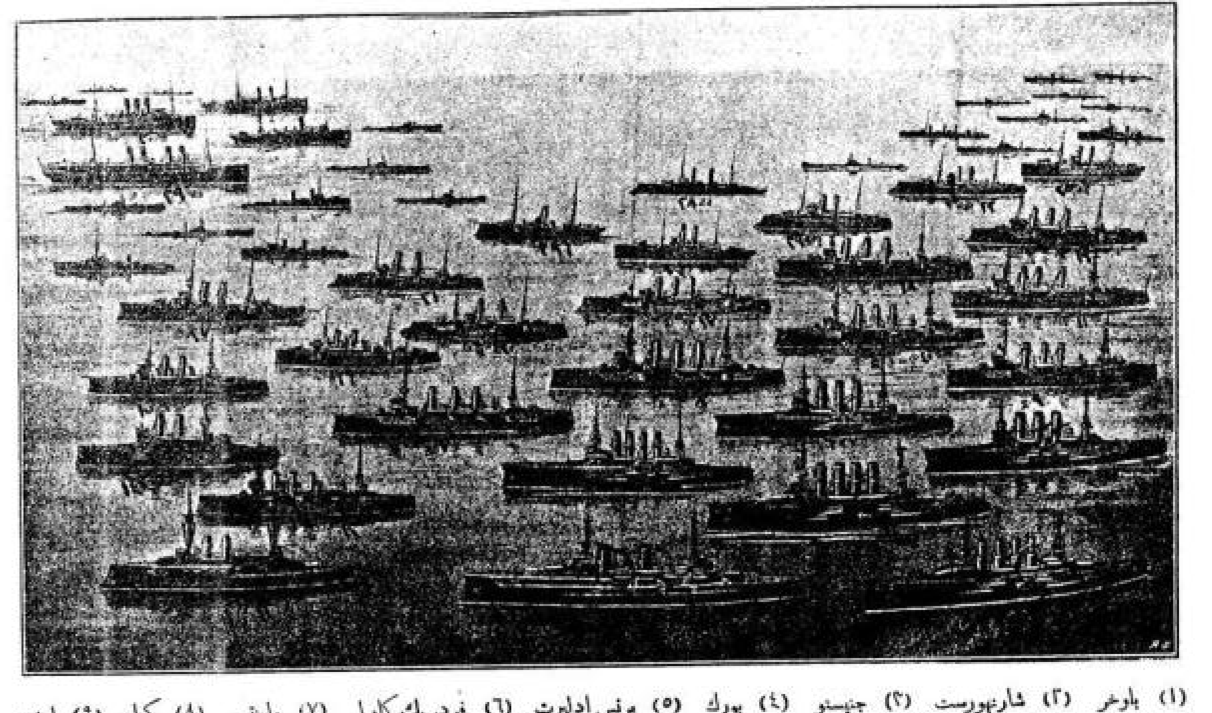
مقتطف يونيو ١٩١٦
امام الصفحة ٥٦١

السفن الحربية التي فقدتها انكلترا وفرنسا وروسيا وايطاليا واليابان في الحرب الحاضرة



(١) اوداشس (٢) ترايمف (٣) بلوارك (٤) ارزستبل (٥) اوشن (٦) ارجيل (٧) جودهوب (٨) فورمدابل (٩) مادجستك (١٠) مونموث
(١١) كريسي (١٢) ابوكير (١٣) هوج (١٤) جليات (١٥) هوك (١٦) بندتوبرين (١٧) امالفي (١٨) بوفيه (١٩) غريبالدي (٢٠) تسوجارو
(٢١) تكاشيهو (٢٢) —نغ (٢٣) هرميس (٢٤) امفيون (٢٥) نيجر (٢٦) باثفيندر (٢٧) بجاسوس (٢٨) سيدي (٢٩) كرابلانكا (٣٠) غميا
(٣١) ارثوزا (٣٢) الاميرال شارنر

السفن الحربية التي فقدتها المانيا والنمسا وتركيا في الحرب الحاضرة



(١) بلوخر (٢) شارنهورست (٣) جنيسنو (٤) يورك (٥) برنس ادلبرت (٦) فردريك كارل (٧) ماينتس (٨) كولن (٩) امدن
(١٠) دربسدن (١١) نورنبرج (١٢) بربروسا (١٣) مجدية (١٤) مسعودية (١٥) القيصرة اليزابث (١٦) زنتا (١٧) برين (١٨) كونجسبرج
(١٩) ليبتسك (٣٠) اريادن (٢١) اندين (٢٢) باجوار (٢٣) الس (٢٤) نجر (٢٥) لوكس (٢٦) كوردوران (٢٧) البتروس (٢٨) هيلا
(٢٩) القيصر ولهلم الكبير (٣٠) وراس طرف الغار



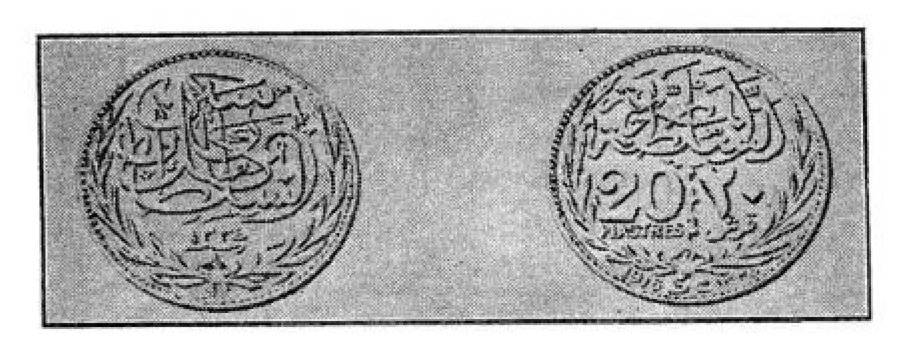
صورة تمثال شكسبير في كنيسة الثالوث بمدينة ستراتفورد وطنهِ

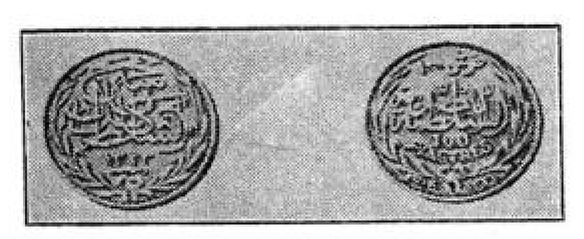


صورة شكسبير عن النسخة المطبوعة سنة ١٦٢٣

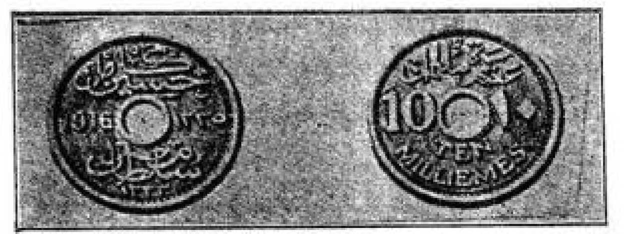
مقتطف يونيو ١٩١٦

امام الصفحة ٥٨١

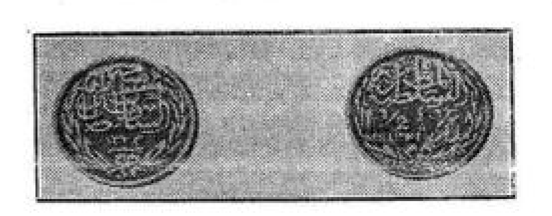


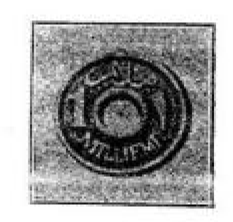






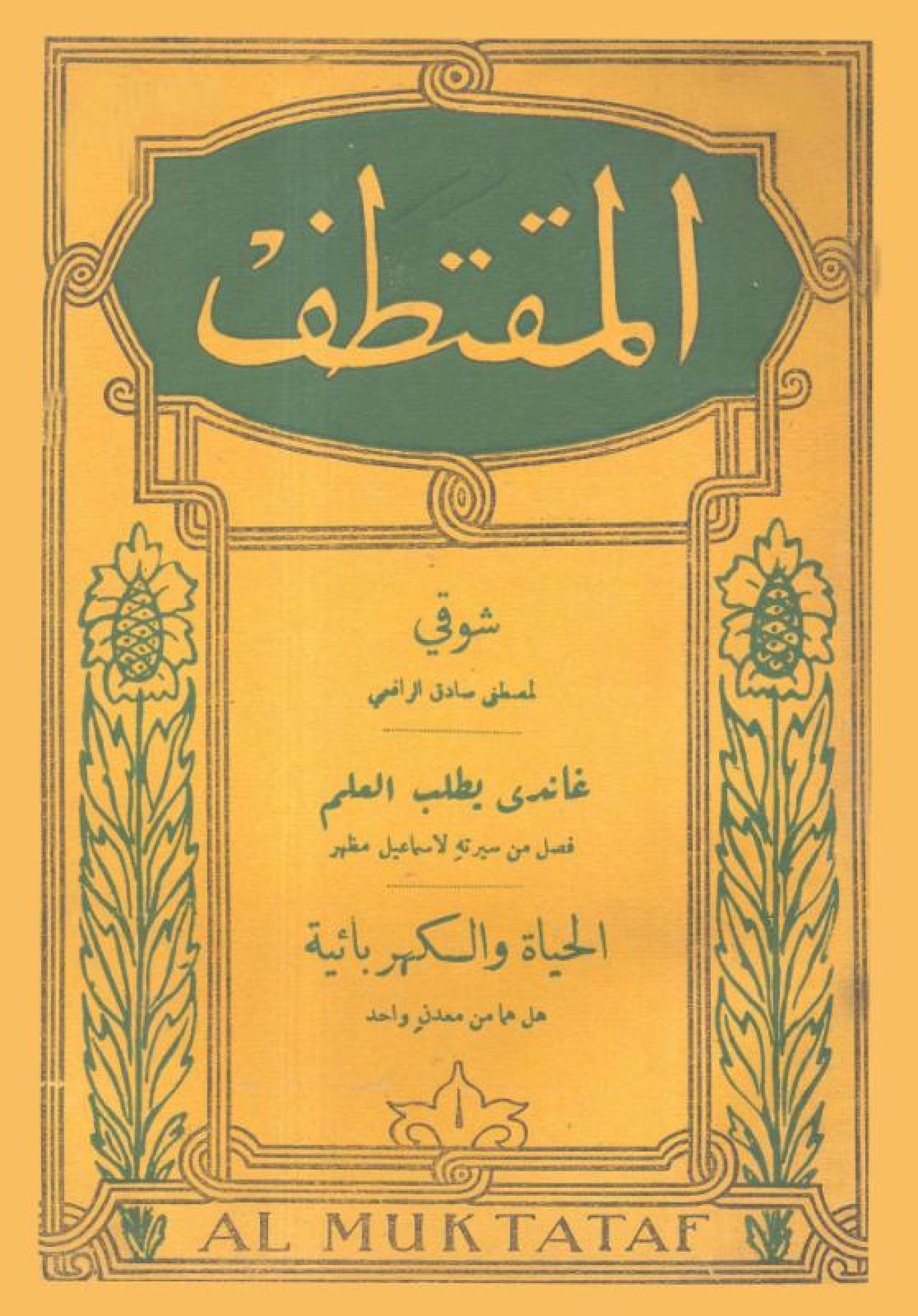






مقتطف يونيو ١٩١٦

امام الصفحة ٦٠٦


المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرته لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدنٍ واحد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والاربعين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩١٦ — الموافق ١ رمضان سنة ١٣٣٤

اللورد كتشنر

ولمعة من سيرته

الطود العظيم يختلف وصف مناظره باختلاف جهة الناظر اليه · فتارة يصف واصفهُ خضرتهُ ونضرتهُ وبهجة سفحهِ وجمال قمتهِ · وتارة اشجارهُ الغبياء وعيونهُ الثرارة ومياههُ الحجيلاء · وتارة صخورهُ ووعورهُ الى غير ذلك من مختلف المناظر التي تستقبل الناظر

والرجل العظيم كالطود العظيم لهُ من السجايا والمزايا والافعال العظيمة والاخلاق الكريمة والخدم الجليلة والآثار النافعة والمساعي الحميدة ما يخط قلم البليغ المقالات العديدة في وصفهِ ولا يستوفي مع ذلك غير القليل من شرحهِ

نعى الينا البرق في اوائل الشهر الماضي رجلاً عظيماً ولا كالرجال وبطلاً مقداماً تعنو لهيبتهِ الابطال وطوداً منيفاً تخر لسطوتهِ الجبال · فالانكليز خسروا بفقد كتشنر سيداً ماجداً وقائداً مقداماً ومدبراً عظيماً ولكن خسارتهم هذه جاءت بعد ما قضى معظم سني عمرهِ في خدمة وطنهِ حتى انشأ بشدة ذكائهِ وفائق همتهِ الجيوش الانكليزية التي هي اليوم سياج الامبراطورية · فمصابهم بهِ عظيم من حيث كونهُ قطباً عظيماً في الامة وخسارتهم بفقدهِ كبيرة من حيث ما لهُ من نفوذ الكلمة وعلو المكانة في النفوس · لاننا ما سمعنا قبل قيام اللورد كتشنر ان امة انقادت لصوت رجل واحد من رجالها كما انقادت الامة الانكليزية الى صوتهِ ولبى شبانها دعوتهُ حتى انتظم منهم مليونان في الجيش الانكليزي طوعاً واختياراً اجابة لطلبهِ في عام واحد · وما زالوا يسارعون الى التجند حتى ناف عددهم على خمسة ملايين قبل تمام العامين · وقلما رأينا ضباط امة وجنودها يهابون قائدهم كما كانوا يهابون اللورد كتشنر لشدة

وطأتهِ ومزيد تدقيقهِ في قيادتهِ ويهيمون مع ذلك في حبهِ ويطنبون في مدحهِ حتى انك لو سألت اياً شئت منهم لكان يجيبك اننا نهجم على الموت طوع امرهِ ونتبعهُ الى ساحات الردى عن طيب نفس ولو كان اشد فؤادنا علينا واقلهم رفقاً بنا. وما ذلك الا لمزيد اعجابهم بهِ واحترامهم لهُ واستعظامهم لمقدرتهِ وكفاءتهِ وبسالتهِ في قيادتهِ

ومع ان النقّاد الحربيين يعدونهُ في مقدمة القواد العظام المدبرين والمنظمين لا القوَّاد المحاربين فهو في اعتبار السواد الاعظم من الامة الانكليزية بطلها الذي لا يبارى وفارسها الذي لا يجارى . فكان اذا مرَّ امامها عند عرض الجيوش مع غيرهِ من القواد وكبار الضباط او في موكب حافل برجال الدولة تهتف لهُ حتى يشق هتافها العنان وتظهر كل امارات الاعجاب والاستحسان . واذا ذكرتهُ في مسامراتها ومجتمعاتها اطنبت في مدحهِ وتغنت بخصالهِ وفعالهِ كما يفعل عامة مصر والشام عند ذكر عنترة العبسي او ابي زيد الهلالي او ذياب بن غانم

كنّا في بدءِ الحرب ببلاد الانكليز فقصدنا يوماً فندقاً على ضفة نهر التايمز يقصدهُ الناس في الصيف كثيراً لحسن موقعهِ وجمال بقعتهِ وطيب هوائهِ وبهجة نزهتهِ ونزلنا مساء الى غرفة المائدة لتناول العشاء فرأينا رجلاً من فضلاء الانكليز واقفاً كالخطيب يهنئ الجالسين على الموائد بتعيين اللورد كتشنر وزيراً للحربية الانكليزية ويعزو اليهِ من العجائب والغرائب ويروي عنهُ من القصص والنوادر ما جعل احدنا يهمس الى الآخر قائلاً صدق من قال ان كتشنر عنترة الانكليز . وقابلنا بعد ذلك جناب اللورد كرومر وهو يومئذٍ عليل يشكو السقام في منزلهِ فاشار الى فعل اللورد كتشنر في التجنيد وقال باسماً لا يكثر على من مزق شمل الدراويش في بلادهم ان يجمع شمل قومهِ في بلادهِ

على ان خسارة اللورد كتشنر مهما عظمت على قومهِ فهي ليست من الخسائر التي تؤَثر في الحرب بعد وقوعها لان تأثير كتشنر الفعلي في الحرب والتجنيد قلَّ بعد ما مالت الآراء الى جعل التجنيد الزامياً واصبح معظم تأثيرهِ في الحرب منذ ذلك الحين ادبياً

قضى خمساً واربعين سنة دأباً في خدمة دولتهِ وامتهِ ولعل اعظم خدمهِ هذه كانت مدة اقامتهِ في الديار المصرية من حيث ارتباطها بالامبراطورية الانكليزية فخسارة مصر بفقدهِ عظيمة كخسارة سواها ان لم تقل انها اعظم منها . جاء مصر وهو ضابط صغير واخبرنا احد اصدقائهِ انهُ اتاها من قبرس خفية خلافاً لامر رئيسهِ وطوعاً لاغرائهِ واغراء بعض الضباط رفاقهِ . وكان قصدهُ من هذه المخالفة الخفية مشاهدة ما تفعلهُ مدافع البوارج الانكليزية بحصون الاسكندرية ولولا حسن حظهِ وطلب السلطة العسكرية بقاءهُ في مصر لعاد الى

قبرس وعوقب على هذه المخالفة . وانتظم في الجيش المصري منذ اوائل انشائهِ وما زال يعظم فيهِ ويرتقي حتى صار سرداره' وتمّ فتح السودان على يدهِ فطار صيتهُ في الآفاق ولاسيما بما اظهر من التدابير المحكمة والاعمال المتقنة وقلة الخسارة في الرجال والنفقة في الاموال . ففي مصر تمرس وتمرن وفي جيشها تقدم وارتقى ووضع اساس عظمتهِ وشهرتهِ . وان كان الضباط الانكليز يهابونهُ ويهيمون بهِ فالضباط المصريون اشد منهم هيبة لهُ وهياماً بهِ ومن منا لا يعلم مقدار حبهِ لهم وعطفهِ عليهم وتفضيلهُ مجالستهم ومعاشرتهم على مجالسة السادات والامراء في مجالس الانس والحفلات العمومية

ولو فارق الفقيد مصر بعد فتح السودان ولم يعد اليها بعد حرب البوير وتنظيمهِ جيش الهند لكان اعظم الذين يحزنون على فقدهِ في هذا القطر الضباط وغيرهم من الموظفين الذين عاشروهُ ولكن رجوعهُ الى مصر للاشراف على ادارتها والعناية بتدبير امورها والسهر على دوام الاصلاح فيها علّق بهِ قلوب المدنيين كما علق قلوب العسكريين لما لهُ من المآثر والآثار الحسان فيها . فامراء مصر ووزراؤها ونوابها واعيانها وتجارها وعلى الخصوص المزارعون فيها يعدونهُ من الاصدقاء الصادقين لهم والمخلصين في غيرتهِ على خيرهم ويذكرون اعمالهُ بالثناء وهم جميعهم يعدون خسارتهُ اليوم اعظم خسارة ويشعرون بان فقدهُ فقد صديق عزيز على مصر ويحفظون لهُ في قلوبهم ذكراً جميلاً ابد الدهر

∴

ولد اللورد كتشنر في ٢٤ يونيو سنة ١٨٥٠ بارلندا من والدين انكليزيين ودرس في مدرسة ولتش الحربية ثم انتظم في سلك المهندسين الملكيين سنة ١٨٧١ وكان قد تطوع في الجيش الفرنسوي سنة ١٨٧٠ وحارب الالمان في حرب تلك السنة الشهيرة . ثم عهد اليهِ في مسح فلسطين من سنة ١٨٧٤ الى سنة ١٨٧٨ . وزار لبنان مع شقيقتهِ واقام في قرية شملان بضعة اسابيع وفي عاليه وسواها من مصايف ذلك الجبل ثم مسح جزيرة قبرس وسافر منها الى الاستانة حيث تعلم اللغة التركية ثم غادرها الى البلقان وانتظم في سلك الجنود التي كان يقودها باكر باشا

وقدم القطر المصري في ٢١ فبراير سنة ١٨٨٣ ودخل في خدمة الجيش المصري وفي السنة التالية انتدب مع اللفتننت رندل (الجنرال رندل الآن) للسفر الى بربر بالسودان ومساعدة مديرها على تسكين البلاد ولكن بربر سقطت بيد رجال المهدي قبل ان يتيسر لهما مغادرة كروسكو

وشبت الثورة في دنقلة فتطوع اللورد كتشنر للذهاب اليها واستجلاء الحقيقة فيها فبلغها في اول اغسطس سنة ١٨٨٤ فوجد مديرها منهمكاً بمحاربة الدراويش واستأذن الحكومة المصرية في مساعدته فابت عليهِ ذلك ثم تزيا بزي الدراويش واخذ يتنسم الاخبار عن الجنرال غوردن في الخرطوم وارسل تقريراً مسهباً عن حالة دنقله وما سمعهُ عن الجنرال غوردن الى الحكومة المصرية وكان لهُ شأن كبير في الحملة الانكليزية التي ارسلت بطريق النيل لانقاذ الجنرال غوردن في الخرطوم . وكان غوردن باشا شديد الاعجاب بهِ وقد تنبأ بان مستقبلهُ سيكون باهراً جداً

وظل اللورد كتشنر في خدمة الجيش المصري اول مرة الى ١٥ يوليو سنة ١٨٨٥ فرجع الى الجيش الانكليزي وبقي فيهِ الى ٢٥ اغسطس سنة ١٨٨٦ ثم عاد الى خدمة الجيش المصري وعين قومنداناً لسواكن وساحل البحر الاحمر

وهاجم عثمان دقنه في هندوب سنة ١٨٨٨ ففر هذا من امامهِ واصيب اللورد كتشنر برصاصة في وجههِ في هذه المعركة فجرحتهُ جرحاً بالغاً اضطر ان يسافر الى القاهرة بسببهِ . وشهد ايضاً معركة الجميزة بعد احد عشر شهراً من معركة هندوب وكان قائداً للواء الاول من الجنود السودانية . وامتاز في معركة طوشكي على الحدود المصرية بالبسالة والاقدام

وانتدبتهُ الحكومة المصرية في سنة ١٨٩١ مفتشاً عاماً للبوليس فكانت لهُ اليد الطولى في اصلاح شؤُونهِ وتحسين حالهِ ووضع القوانين لهُ وقضى على عصابات الاشرار التي كانت تعبث في البلاد فساداً في تلك الايام

وعين بعد ذلك ادجوتانت جنرال للجيش المصري ثم استعفى الجنرال السر جون غرنفل من قيادة الجيش المصري فعين سرداراً مكانهُ في ١٢ ابريل سنة ١٨٩٢

وسيرة اللورد كتشنر معروفة للقراء بعد هذا التاريخ . فان الحكومة المصرية قررت في ١٢ مارس سنة ١٨٩٦ الزحف على دنقله والتظاهر بالزحف على بربر وفي ١٨ مارس سنة ١٨٩٦ ابتدأ الزحف على دنقله ولم يحل يوم ١٥ اكتوبر من تلك السنة حتى تم فتحها وانحلت الحملة

وقاد في سنة ١٨٩٨ الحملة على الخرطوم واتم استرجاع السودان في اواخر السنة التالية . وفي ١٩ سبتمبر سنة ١٨٩٨ التقى بالماجور مرشان (الجنرال مرشان الآن) في فاشوده بعد ان كاد الخلاف عليها يؤَدي الى حرب كبيرة بين انكلترا وفرنسا

وقد انعم عليهِ بعد استرجاع السودان بلقب لورد ومنحتهُ حكومتهُ ٣٠ الف جنيه مكافأةً لهُ على ذلك وعين حاكماً عاماً للسودان مع بقائهِ سرداراً للجيش المصري

وفي ٢٠ دسمبر سنة ١٨٩٩ ندب رئيساً لاركان حرب اللورد روبرتس في جنوب افريقية وظل في هذا المنصب الى سنة ١٩٠٠ لما غادر اللورد روبرتس جنوب افريقية فتولى القيادة العامة مكانهُ حتى انتهت تلك الحرب فكوفئ بترقيتهِ الى رتبة جنرال ومنح ٥٠ الف جنيه

وفي سنة ١٩٠٢ عين قائداً عاماً لجيش الهند فادخل عليهِ اصلاحاً كبيراً وعارض اللورد كرزن حاكم الهند حينئذٍ في بعض الامور فكان الفوز لهُ فيها واضطر اللورد كرزن الى الاستعفاء

وقد اجفل بهِ جوادهُ مرة في الهند فكسرت ساقهُ وكانت قد كسرت من قبل في سورية على ما يقال وظل يشكو من اثر هذا الكسر في ساقهِ لما كان معتمداً لدولتهِ في هذا القطر فكان يتوكأ على عصا وفي بعض الاحيان يصعب عليهِ المشي

وندبتهُ حكومتهُ سنة ١٩٠٩ لتعهد الدفاع في المستعمرات الانكليزية وزار اليابان في تلك الاثناء فجرى لهُ استقبال حافل فيها

وزار استراليا فكلفتهُ حكومتها ان يضع لها خطة عسكرية للدفاع الوطني فلبى طلبها ووضع الخطة التي سارت الحكومة الاسترالية عليها في تنظيم حامية بلادها

وعاد الى انكلترا وعين عضواً في لجنة الدفاع الامبراطورية ومنح رتبة فيلد مارشال وعين بعد ذلك وكيلاً لدولة انكلترا وقنصلاً جنرالاً لها في القطر المصري خلفاً للسر الدن غورست وانعم عليهِ منذ ثلاثة اعوام برتبة ارل وظل في هذا المنصب الى ان شبت الحرب وكان حينئذٍ عائداً من انكلترا الى مصر فاسترجعتهُ حكومتهُ من الطريق وعينتهُ وزيراً للحربية · وقد قابلت الامة الانكليزية تعيينهُ حينئذٍ بالارتياح والسرور وكانت ثقة الامة باصالة رأيهِ وبعد همتهِ وذكائهِ من اكبر العوامل التي حملت الانكليز على التطوع للخدمة في الجيش ومكنتهم من تجييش الجيوش وتنظيمها

وقد نال ارفع النياشين في الامبراطورية الانكليزية مثل نيشان الامتياز ونيشان الجارتر الذي لا يهدى عادة الا الى الملوك والامراء

وفي الخامس من يونيو الماضي ركب طراداً صغيراً قاصداً روسيا مع ياورهِ الخاص وجماعة من اركان حربهِ فلم يكد الطراد يسير بهم حتى ضرب بطربيد او مسَّ لغماً فنسف وغرق اكثر الذين فيهِ وثبت ان اللورد كتشنر من الذين غرقوا فشمل الحزن عليهِ الامبراطورية الانكليزية والممالك المحالفة لها وكل الذين يتمنون ان يكثر الرجال العظام النافعون

المناعة في الامراض

المناعة في اصطلاح الاطباء هي عدم قابلية بعض الاجسام للاصابة ببعض الامراض او للتأثر ببعض السموم . فمن المشهور ان من الناس مَن يعرضون انفسهم للعدوى بمرض من الامراض مراراً ولا يُعدَون بهِ في حين ان غيرهم يعدون بهِ او بايّ مرض مُعدٍ يتعرضون لهُ . ألا ترى انك تلقح هذا الطفل بلقاح الجدري تكراراً فلا يؤثر فيهِ وتلقح غيرهُ مرة واحدة فتملأ البثور بدنهُ . وتظهر اصابة بالدفتيريا بين عائلة كبيرة في الريف حيث لا تحوط ولا وقاية فيشفى المصاب او يموت ويبقى سائر افراد العائلة سليمين من شرّها

والمناعة ثلاثة اصناف خلقية . ومكتسبة . ومحدثة او مجلوبة

المناعة الخلقية

من الحيوانات ما لا تؤثر فيهِ بعض اصناف السموم وهي تفتك بغيرهِ اشدّ فتك . فالنمس الهندي يقتل الافاعي ولا يؤثر فيهِ سمّ الصل وهو اشد الافاعي سمّاً . والحمام لا يتأثر بالمورفين ولو اعطي جرعة كبيرة منهُ . والجرذان لا تصاب بالتدرن في حين ان الانسان وخنزير غينيا شديدا التأثر بهِ . وقد ذكرنا في الجزء الماضي ان الطاعون تفشى بين السناجيب في ولاية كليفورنيا الاميركية فسعت حكومتها في استئصالهِ خشية انتقال العدوى منها الى الناس . ومن جملة الوسائل التي استخدمتها لذلك نقع الشعير في محلول سلفات الستركنين والقاؤهُ في الاماكن التي يكثر تردد السنجاب اليها فيأكل منهُ ويموت . ولكنهم خشوا ان تأكل منهُ السماني التي يكثر وجودها في تلك الولاية فتنقرض . فاحالوا بحث هذه المسألة الى لجنة من العلماء فظهر لها بعد التجارب الكثيرة انهُ يمكن اطعام السماني شيئاً كثيراً من سلفات الستركنين من غير ان تسمّ بهِ في حين ان السنجاب يموت لاقل شيء يأكلهُ منهُ . ثم ان الانسان لا يصاب بحمّى الخنازير وكولرا الدجاج والطاعون البقري وليس بين الحيوانات نوع يصاب بالكولرا التي تفتك بالنوع الانساني اعظم فتك . ومن المعروف ايضاً ان الدجاج والتماسيح لا تصاب بالكزاز ولا الجرذان البيضاء بالجمرة الخبيثة

على ان المناعة المطلقة لا وجود لها فان السمّ يؤثر في كل حيوان اذا كانت جرعتهُ كبيرة وكان الحيوان ضعيف الجسم

المناعة المكتسبة

ويراد بها المناعة التي يحصل الجسم عليها ضد مرض معين بعد اصابته به وشفائه منهُ · والمرجح ان الجسم يحصل على هذه المناعة طالت مدتها او قصرت في جميع الامراض المعدية · وقد عرف ان الذي يصاب بالجدري او الحمى التيفويدية او القرمزية لا يصاب بها ثانية مدى العمر او اذا اصيب بها فبعد سنين كثيرة من الاصابة الاولى

المناعة المحدثة

هذه نوعان الواحد ايجابي والثاني سلبي · فالايجابي يحدث بان يلقح الحيوان تحت الجلد بجرعة خفيفة من احد السموم بحيث لا تكفي لقتله فتزيد قوتهُ على المقاومة حتى اذا لقح مرة ثانية بجرعة اقوى من الاولى احتملها من غير ان يصاب بسوء · واذا كرر هذا العمل حصل على المناعة التامة حتى لقد يحتمل جرعة لو اعطيها بادئ بدء لقتلته · وقد تكون الجرعة بطريق الفم في بعض الاحوال · وهذا القول يصح ايضاً في سم الافاعي اذ يظهر ان الحواة في الهند يحصلون على المناعة من الصل بمثل هذا العمل · اما مكروبات الامراض والسموم التي تتولد منها فان المناعة ضدها تحصل بالحقن اولاً بجرعات صغيرة من المكروبات او المكروبات التي اضعفت بمزجها بمضادات الفساد او بتجفيفها او بامرارها في اجسام حيوانات حصلت على بعض المناعة ضدها او بوسائل اخرى معروفة في الطب

والغالب ان تكون هذه العملية (اي عملية الحصول على المناعة بالطريقة الايجابية) طويلة · فان جعل الحصان مثلاً منيعاً ضد الدفثيريا يقتضي بضعة اشهر من الوقت · وعليهِ كان بطء هذه الطريقة حائلاً دون الانتفاع بها في شفاء الامراض المعدية ولاسيما ان مدة المرض منها قد لا تزيد على بضعة ايام · واشهر الشواهد العملية على هذه الطريقة التطعيم ضد الجدري · فان الناس يطعمون بجدري البقر الخفيفة الوطأة ليحصلوا على المناعة من الجدري العادية الشديدة الوطأة · ومنها مداواة الكَلَب بطريقة باستور فان الذي يعضهُ كلب كَلِب يلقح قبل ظهور الداء فيهِ بجرعات من سم الكَلَب بعد اخذهِ من ارانب ماتت بهِ · فمبدأ هذه الطريقة هو زيادة قوة الجسم لمقاومة فعل السموم مهما يكن نوعها

اما النوع السلبي فهو المشهور في معالجة الامراض المعدية ويعرف بانهُ مناعة اصطناعية تجلب بحقن الجسم بمصل دم مستخرج من حيوان حصل على المناعة بالطريقة الايجابية

السالفة الذكر . واشهر الامثلة عليها معالجة الدفثيريا بالمصل المعروف . وهو يستخرج من الخيل التي حصلت على المناعة كما سبقت الاشارة اليهِ . وهذا المصل يقي الملقح بهِ من الاصابة بالدفثيريا ويشفي المصاب اذا لقح بهِ في الوقت الملائم وبالكميات اللازمة . ومبدأ الوقاية والشفاء بهِ هو ان المصل يحتوي على مواد كيماوية مضادة للسم (انتتوكسين) تولدت في خلايا دم الحصان او سائر انسجتهِ فاذا اتحدت بالسموم (توكسين) التي تولدها مكروبات الدفثيريا ابطلت فعلها القتال

والرأي الآن ان هذه المواد التي يتألف الانتتوكسين منها هي مواد البيومنية (زلالية) . اما كون فعلها ضد التوكسين كيماويًا فيبرهن عليهِ بان تمزج المادتان معًا في اناء ثم يحقن حيوان بهما بحيث يكون في الحقنة من التوكسين ما يكفي لقتل الحيوان لو كان التوكسين وحدهُ . فيتحد التوكسين بالانتتوكسين ويبطل فعلهُ ولا يفضي اتحادهما الى اقل ضرر بالحيوان المحقون

ومن المعلوم ان كل سم من سموم الامراض المعدية يصيب نسيجًا معينًا من انسجة الجسم . فسم الكزاز مثلاً يصيب الجهاز العصبي وخلايا هذا الجهاز تولد الانتتوكسين المضاد لهُ . ومن رأي متشنيكوف ان الانتتوكسين يتولد في خلايا الدم البيضاء فانها تحيط بالمكروبات من كل جانب ثم تضيق الخناق عليها فتضطرها الى التسليم والتشتت . وقد بنى رأيهُ هذا على مشاهداتهِ في برغوث الماء المسمى دفنيا . فانهُ كثير في المستنقعات والمياه الراكدة يقتات ببزور نوع من المواد الفطرية . وقد لحظ متشنيكوف ان هذه البزور تخرق امعاء البرغوث وتدخل جوفهُ وتتضاعف فتهاجمها خلايا الدم البيضاء وتحيط بها وتلتهمها وتهضمها . على انهُ كثيرًا ما كان يحدث ان البزور كانت تنمو بسرعة فتعجز الخلايا عنها ويموت البرغوث . والظاهر انهُ اذا كانت المكروبات قوية شديدة السم تمكنت من دفع الخلايا عنها فتنمو اذ ذاك وتتوالد بلا مانع ولا معارض

ويرى كثيرون ان الخلايا البيضاء لا تلتهم المكروبات الحية ولا تهضمها وانما تأكل الميتة منها وتمتصها . ويقولون ان سبب موت هذه المكروبات مواد كيماوية يولدها الجسم اجابة لداعي المواد السامة التي تولدها المكروبات

خسارة الالمان في الاراضي

قلَّما يخطر على البال ان الالمان خسروا حتى الآن من املاكهم اكثر كثيراً من البلاد التي احتلوها في روسيا وبلجكا وفرنسا والسرب . نعم ان هذه البلاد عامرة كثيرة السكان والبلاد التي فقدوها غامرة في الغالب قليلة السكان . ولكن البلاد التي احتلوها لا يحتمل ان تبقى لهم او ان يحاولوا هم البقاء فيها لان سكانها يخالفونهم جنساً ولغةً ولا يحتمل ان يرضوا بالانضمام الى المانيا مهما تودَّدت اليهم وتلطفت . واما البلاد التي خسروها فيحتمل او يرجَّح انها لا تُرَد اليهم كلها او لا يرد اليهم الا القليل منها . وسكانها يفضلون الذين اخذوها على الالمان الذين كانت لهم

غير ان الالمان لم يتعبوا كثيراً في امتلاك البلاد التي اضاعوها الآن وان كانوا قد انفقوا نفقات طائلة على تعميرها . فبين سنة ١٨٨٣ و ١٨٨٥ ذهب نحو مئة منهم ومعهم بعض المدفعيات الى الجنوب الغربي من افريقية ورفعوا الراية الالمانية على جانب واسع جداً من البلاد وادَّعوا امتلاكها . ثم رفعوا رايتهم على جزيرة زنجبار وكل الساحل المقابل لها واوغلوا في شرق افريقية حتى بحيرة طنجنيكا . فامتلكوا في شرق افريقية وغربها ما مساحتهُ نحو مليون ميل مربع وعدد سكانهِ اكثر من ١٣ مليون نفس اي ان مساحة ما امتلكوهُ في افريقية نحو خمسة اضعاف مساحة بلادهم

ووجهوا نظرهم الى الجزائر الشرقية فقبضوا على بعضها وكادوا يمتلكون استراليا وينتزعون جزائر ساموى من الولايات المتحدة

وكان الانكليز اشد الناس مودَّة للالمان واكثرهم ملاينة لهم لاسيما وانهم كانوا يقولون ان مستعمراتهم زادت على حاجتهم وصار حفظها عناء كبيراً عليهم والالمان في حاجة الى مستعمرات واسعة يهاجرون اليها و يجلبون منها المواد الاصلية لصناعتهم . واسطولهم صغير حقير لا يجسر ان يقاوم الاسطول الانكليزي في مكان من الامكنة فلم يضنُّوا عليهم الا بزنجبار لكنهم اعطوهم جزيرة هليغولند بدلاً منها وهي عند مدخل ترعة كيال . ثم ادركوا الآن ان الصفقة كانت خاسرة جداً لان الالمان حصنوا تلك الجزيرة فصارت امنع من عقاب الجو وجعلوها قاعدة بحرية لهم لمقاومة الاسطول الانكليزي

وظلت المانيا كل زمن بسمارك تستخدم مستعمراتها للتجارة اي تجلب منها ما تحتاج اليهِ صناعاتها ولاسيما جوز الهند الذي تستخرج دهنهُ لعمل الزبدة الصناعية وتستخدم كسبهُ علفاً للمواشي ولم تحاول جعلها قاعدة حربيَّة لامتلاك غيرها

والبلاد التي امتلكتها المانيا في افريقية وجزائر البحر من اغنى البلدان في المعادن والاشجار ففيها الذهب والنحاس والماس وحراجها واسعة كثيرة الشجر وينبت فيها كل ما ينبت في المناطق الحارة والمعتدلة · لكن المانيا لم تكتفِ بما امتلكت وهو يزيد على بلادها اضعافاً مضاعفة كما تقدَّم بل بعثت اليهِ بالجنود والضباط لكي ينظموا جنوداً من الوطنيين ويعتدوا بهم على املاك الانكليز والفرنسويين والبرتغاليين والبلجيكيين كلما حانت الفرص

وهذا ايضاً لم يقنع الالمان بل حدثتهم النفس بالاستيلاء على اميركا الجنوبية وبلاد الصين · ففي سنة ١٨٩٨ اعدوا اسطولهم لاجتياح اميركا الجنوبية وكانت حكومة الولايات المتحدة مشغولة حينئذٍ بمحاربة اسبانيا في كوبا ودرى الرئيس مكنلي بما كانت المانيا تقصده فارسل الى قواد اسطولهِ يأمرهم ان لا يواقعوا الاسطول الاسباني بل يحتفظوا بكل قنبلة في بوارجهم لمحاربة الاسطول الالماني وارسلت الحكومة الانكليزية اسطولاً كبيراً ليقطع الطريق على الاسطول الالماني ويغرقهُ · ورأى امبراطور المانيا ان قد كُشف امرهُ فاحجم وحاول التودُّد الى الانكليز والاميركيين · وبعد تسع سنوات حاول انتزاع مراكش من فرنسا فتصدَّت لهُ انكلترا فرأى ان المباغتة لا تنفع ولا بدَّ لهُ من الاعتماد على قوتهِ البرية ليضعف بها خصومهُ قبل ان ينال مأربهُ منهم فكانت هذه الحرب الزبون

والداعي الذي دعا الالمان الى امتلاك البلدان ليس ان بلادهم ضاقت بهم فطلبوا مهجراً يهاجرون اليهِ ومنجماً يرتزقون منهُ كلاَّ لان بلادهم لا تزال واسعة على سكانها متوسط ما في الميل المربع منها ٣١٠ انفس فقط وهم يرغّبون الروس والبولونيين والايطاليين والسويسريين والبلغاريين في المهاجرة اليها والاقامة فيها · وليس في المانيا اناس يرغبون في سكنى المستعمرات ولذلك لا تجد في كل مستعمراتهم الاَّ نحو خمسة آلاف منهم وانما غرض المانيا من اجتياح المستعمرات استخدام الملايين من سكانها والاكتساب من عرق جبينهم بكل واسطة ممكنة ومعاملتهم كالانعام او كالآلات الميكانيكية واستخراج ثروة بلادهم الطبيعيَّة وجلبها الى المانيا لتغتني بها وتفوق ممالك الارض ثروةً وعزة

قُتل اثنان من مرسلي الالمان في بلاد الصين في ولاية شانتنغ سنة ١٨٩٧ فاسرع اسطول الماني الى خليج كياوتشاو وقبض عليهِ دية للحكومة الالمانية عن قتل ذينيك الرجلين · وبنت الحكومة الالمانية هناك مدينة من اجمل المدن وانشأت حصوناً من امنع الحصون واقامت فيها الجنود وفي مرفإها البوارج وهي ترمي الى ما وراء ذلك فان ولاية شانسي المجاورة لشانتنغ قائمة على مناجم من الفحم الحجري ليس لها مثيل في الدنيا كلها وفيها ايضاً مناجم حديد

من اكبر المناجم والمعدِّنون الصينيون يكتفون باقل من القليل اجرةً حتى ان طن الفحم الحجري هناك لا تزيد اجرة استخراجهِ من الارض على خمسة غروش · وكان غرض المانيا ان تستولي على تلك المناجم وتستخدم لها المعدِّنين من الصينيين فتقبض على تجارة الفحم الحجري في الدنيا ترخصهُ اولاً حتى يبطل استخراجهُ من كل مكان آخر وتسد مناجمهُ ثم تغالي بثمنهِ كما فعلت بالسكر فتسترد ما خسرتهُ وتربح فوقهُ ربحاً ما عليهِ من مزيد ويصير امر الفحم الحجري في يدها · وكان مرادها ان تفعل مثل ذلك بتجارة الحديد فتقبض عليها بيديها لان اجرة العامل في استخراج الحديد في بلاد الصين اقل من نصف غرش في اليوم

والآن أُخذت كياوتشاو من الالمان لكي تُردَّ الى الصين فخسر حكام الالمان خسارة لا تعوَّض ولا تقابل بها كل خسارتهم المالية في هذه الحرب واضاعوا ايضاً كل جزائرهم في البحر الجنوبي وفي بعضها مناجم الفصفات التي اغنت مدينة همبرج فبطلت معاملها من حين استولى اليابانيون على هذه الجزائر · واكثر الجزائر الاخرى كثير النارجيل ولهذا السبب امتلكها الالمان فاخذها منهم الانكليز الآن

والخسارة الكبرى التي خسرها الالمان بعد املاكهم في الصين املاكهم في افريقية ولاسيما في الشمال الغربي منها حيث الاقليم يصلح لسكن البيض فانهُ لم يبقَ لهم منها الأ بعض ما يملكونهُ في شرق افريقية والمرجح انهم سيخسرونهُ قبل انتهاء الحرب · وهاك جدول بما كانوا يملكون قبل الحرب

	اسم البلاد	زمن الاستيلاء عليها	مساحتها	سكانها البيض	سكانها الاصليون
بافريقية	بلاد التوغو	١٨٨٤	٣٣٧٠٠ ميلاً مربعاً	٠٠٣٦٨ نفساً	١٠٣١٩٧٨ نفساً
	« الكميرون	١٨٨٤	١٩١١٣٠ «	٠١٨٧١ «	٢٦٤٨٧٢٠ «
	في الجنوب الغربي	١٨٨٤ - ١٨٩٠	٣٢٢٤٥٠ «	١٤٨٣٠ «	٠٠٧٩٥٥٦ «
	« « الشرقي	١٨٨٤ - ١٨٩٠	٣٨٤١٨٠ «	٠٥٣٣٦ «	٧٦٤٥٧٧٠ «
	كل املاكهم بافريقية		٩٣١٤٦٠ «	٢٢٤٠٥ «	١١٤٠٦٠٢٤ «
	في اسيا كياوتشاو	١٨٩٧	٠٠٠٢٠٠ «	٠٤٤٧٠ «	١٦٨٩٠٠ «
	في جزائر الباسيفكي	١٨٨٤ - ١٨٩٩	٠٩٦١٦٠ «	٠١٩٨٤ «	٦٣٤٥٧٩ «
	المجموع الكلي	١٨٨٤ - ١٨٩٩	١٠٢٧٨٢٠ «	٢٨٨٥٩ «	١٢٣٠٩٥٠٣ «

وبلاد التوغو في غرب افريقية من جهة الجنوب بين بلاد النيجر الفرنسوية ومستعمرة شاطئ الذهب وهي زراعية شديدة الخصب يزرع فيها الذرة واليام والتبيوكا والزنجبيل والموز والبن وفيها كثير من النخل الزيتي والكاوتشوك والنارجيل · ومواشيها كثيرة جداً من

البقر والغنم والمعزى والخنازير والخيل . ومن صناعات السكان الاصليين الحياكة والحدادة والنجارة وعمل الخزف وهم يستخرجون الحديد ويسبكونهُ

وبلاد الكرون الى الشرق من بلاد التوغو وسواحلها كثيرة الخصب ويزرع فيها النارجيل والبن والصمغ الهندي والنخل الزيتي وجربت فيها زراعة كبش القرنفل والقاناًلا والزنجبيل والفلفل . والبلاد كثيرة الابنوس ونحوه من الاخشاب الثمينة وفيها الذهب والحديد

وافريقية الجنوبية الغربية سواحلها قليلة الخصب وقد جرب في داخليتها زرع القطن والكرم والتبغ والتوت لتربية دود الحرير ولكن اكثر الاعتماد على تربية المواشي لاتساع مراعيها وفيها من البقر ٢٠٥٦٤٣ ومن الغنم ٤٧٢٥٨٥ ومن المعزى ٥١٦٩٠٤ ومن الخيل ١٥٩١٦ ومن البغال والحمير ١٣٦١٨ ومن الخنازير ٧٧٧٢ ومن الجمال ٧٩

وفيها من المعادن النحاس والذهب وحجر الفتيلة . وقد استخرج منها ٢٧٥٠٠ طن من النحاس سنة ١٩١٢ و ٧٦٦٤٦٥ قيراطاً من الماس قدر ثمنها ٩٦٨٤٢٣ جنيهاً

واملاك المانيا في شرق افريقية اكثر مستعمراتها سكاناً سواحلها كثيرة الحراج من النارجيل والتمر الهندي والباوباب ونجودها كثيرة الاكاسيا وشجر القطن والجميز والبنيان ويزرع فيها البن والتبغ والقانالاَ والكاوتشوك والشاي والقطن والشنكونا وقصب السكر . وسنة ١٩١٢ كان فيها للوطنيين ٣٩٥٠٢٥٠ من البقر و ٦٣٩٣٣٠ رأساً من الغنم والمعزى . وفيها من المعادن الفحم الحجري والحديد والرصاص والنحاس واهم صادراتها الصمغ الهندي والكبرا والعاج والبن والسيسل وشمع الحشرات . وكياوتشاو صغيرة ولكن تحيط بها بلاد واسعة غنية ومن حاصلاتها الاثمار على انواعها والفول السوداني والباطاطا الحلوة ويربى فيها دود الحرير ويستخرج منها الفحم الحجري ويصنع فيها الصابون والمسكرات ويرد اليها كل سنة ما ثمنهُ ستمائة الف جنيه ويصدر منها ما ثمنهُ اربعة ملايين جنيه

وجزائر الباسيفيكي كثيرة واكثرها غني بالنارجيل والكاوتشوك والقطن والبن والافاويه ومناجم الذهب

وقد بذلت الحكومة الالمانية جهدها في تعمير هذه المستعمرات فانشأت فيها المرافئ وسكك الحديد والمدارس والمعامل وما اشبه واعتنت بالسكان الاصليين ولكن كما يعتني صاحب المواشي بمواشيهِ اي بذلت جهدها في وقايتهم وتشغيلهم حتى تستفيد منهم الفائدة الكبرى ولكنها لم تفتح امامهم سبل الارتقاء لكي يتمكنوا من الاستقلال يوماً ما او لكي يبلغوا ما يستطيعون البلوغ اليهِ من الارتقاء العقلي والادبي والمادي

السبيرتسم وعلاقتهُ بالجنون

المقالة الثالثة

مشاهدات طبية

شرحنا في المقالتين السابقتين الظواهر السبيرتية وما يماثلها و ينطبق عليها من الاحوال المرضية ووعدنا ان نختم البحث في هذا الموضوع بايراد بعض الحوادث التي لا يمل القارئ من مطالعتها لما فيها من الفكاهة والفائدة ولا يبقى بعد الوقوف عليها مجال للريب في علاقة السبيرتسم بالجنون

المشاهدة الاولى — حادثة وقعت تحت نظري ومراقبتي اثبتها هنا لاهميتها وحسن دلالتها على علاقة السبيرتسم بالجنون وهي ف — عمرهُ ٥٢ سنة لا سابقة مرضية لهُ ولا عادات سيئة حسن التربية قوي العقيدة بالدين وعلى معرفة من العلوم الابتدائية وقليل من الثانوية. بدأ الميل فيهِ منذ عشرين سنة الى اقتحام الاعمال الكبرى ولاسيما استنباط الماء من جوف الارض . وازداد هذا الميل منذ عشر سنين الى مزاحمة الشركات الكبرى وزعم انهُ يستطيع ان يكفي سكان القاهرة من الماء الزلال الذي يستنبطهُ من سفح المقطم واخذ يتهم رجال الادارة بالغفلة والاغضاء عما تجنيهِ الاهالي من فائدة مشروعهِ . ومع انهُ لم يحضر جلسة سبيرتية ولا عرف شيئاً عن السبيرتسم كان يلجأ دائماً الى استشارة الطاولة و يعتقد بصدق انبائها وحاول اكثر من مرة ان يقنعني انا وسواي باستطاعتهِ تحريك الطاولة فجلسنا مرة حولها ووضعنا ايدينا عليها بعد ان وضع هو يدهُ عليها فلم نشعر بحركة ما واما هو فكان يحاول جهدهُ اقناعنا بحصول الحركة

وبدأ الاختلاط الذهني فيهِ منذ ثلاث سنوات وظهر اولاً في حاسة السمع فصار يسمع اصواتاً غريبة من نوع القرع ثم اصوات كلام مفهوم وبعد مدة امتدَّ الى حاسة البصر فصار يرى رؤًى غريبة وبعدها الى الحس العام فصار يشعر بمجارٍ كهربائية مزعجة على سطح جسمهِ ويعتقد ان الارواح تعذبهُ بهذه الطرق الثلاث و يتهم بذلك جيرانهُ الذين يسكنون شقة من البيت تحت شقتهِ فكان يقول انهُ يسمع كل ما يجري عندهم من المؤامرات ويرى كل ما يرتكب من الجرائم ولكنهُ لا يستطيع الى المقاومة سبيلاً لانهم كانوا ينومونهُ تنويماً مغنطيسياً ويعذبونهُ بالمجاري الكهربائية عذاباً اليماً

اصاب الاختلاط الذهني فيهِ ثلاثة مرات كرسية واخذت اعراضهُ تشتدُّ شيئاً فشيئاً

حتى استولى على كل عمل من اعمالهِ وحركة من حركاتهِ وصار يرى جرائم القتل تكرر عند الجيران كل يوم وساعة حتى امتلأت الجنينة برمم قتلاهم وصار يخرج الى الشارع وينبه على المارة والجيران ان يتقوا شر جيرانهِ شركاء الارواح الشريرة في الجرائم وينشئ التقارير المسهبة للحكومة وخصوصاً لعميد الدولة المحتلة عن تلك الفظائع ويطلب منعها والاقتصاص من مرتكبيها واصبح لا حديث لهُ الأ فيهم وعنهم وآل امرهُ منذ سنة الى السرايا الصفراء حيث يقيم الآن وحالهُ تحسن ببطوء.

المشاهدة الثانية — نقلت عن جيلبر و بالهو ومونيه فينار

في ٨ اكتوبر حضر المريض للعيادة وشكا من ان ارواحاً تضطهدهُ وطلب منا شهادة طبية يستند اليها في الشكوى من اناس يتهمهم بمشاركة الارواح في تعذيبهِ

كان حارساً في مقبرة برلاشيز والتقى منذ سبع سنوات بامرأة نظرت بختهُ في الورق وفسرت لهُ خطوط يدهِ وزعم انهُ لم يعر ذلك اهمية ولكنهُ اعترف بان ذهنهُ اظلم من ذاك الوقت ولم يعد يقوم بواجباتهِ حق القيام. وفي اغسطس سنة ١٨٩٦ رفت من مصلحتهِ بدون ان يعرف سبباً لرفتهِ وبعد سنتين ماتت امرأتهُ عقيب ولادةٍ ومات ابنهُ بعدها بمدةٍ قصيرة وبعد موت امرأتهِ بثلاثة اسابيع دُفع بجاءة بدافع لا يعلمهُ الى كتابة جملة قال ان روح امرأتهِ املتها عليهِ وهي « انا امرأتك التي تحبك أنبئك بانك ستتزوج بالسيدة ماري ب الساكنة في شارع بارمانتيه نمرة ٢٨ » وكان ذلك بدء اتصالهِ بالارواح وقد ازعجتهُ هذه الظاهرة كثيراً لان روح امرأتهِ كانت تتردد اليهِ كثيراً وتملي عليهِ جملاً عديدة وكثيراً ما كانت تراجع هذه العبارة « ستتزوج بتلك المرأة وستكون معمياً »

ورغبة في استيضاح هذه الظاهرة دخل في جمعية سبيرتية فافهموهُ انهُ وسيط مهم وعلّموهُ كيف يحرك الطاولة. ومن ذاك الحين جعل يرى الارواح ولاسيما ليلاً بصور شنيعة كصورة الافعى والضفدع والضب وكانت تكلمهُ وتقول لهُ دائماً « ان حياتك ستكون مملوءة بالمحن ». وفي اثناء ذلك وقع في يدهِ اعلان مبصرة بالورق ينطبق اسمها وعنوانها تمام الانطباق على ما املت عليهِ روح امرأتهِ وهو السيدة ماري بشارع بارمانتيه نمرة ٢٨ فذهب اليها فاخبرتهُ انهُ وسيط مهم وجعلتهُ يكشف الماضي والمستقبل لشخص كان حاضراً

اخذت هذه الظواهر تزداد فيهِ من ذاك الحين وصار يرى المبصرة الى جانبهِ على الدوام ولاسيما في الليل وكانت تعذبهُ وتطلب منهُ ان يكون عشيقها فيرفض لكونها عجوزاً شنيعة عدا انهُ كان يخشى شرها. وقد اصبح دائم الاتصال بروح امرأتهِ فكان يلومها على مشورتها عليهِ

بالزواج بمبصرة الورق القبيحة ويطلب منها ان تخلصهُ منها فلا يجاب الى طلبهِ . ومن ثم اخذ يقدم الشكاوي الى الحكام الواحدة تلو الاخرى ويطلب من البوليس معاقبة المبصرة وهذه تدافع عن نفسها بزيادة تعذيبهِ وكان يراها على الدوام قريبة منهُ وهي وزوجها يشتمانهِ ويهددانهِ بالقتل ان لم يسحب شكاويهُ ويرسلان اليهِ طائفة من الارواح الشريرة التي ترعبهُ بصورها الشنيعة وقد استيقظ صباح يوم بغتة مرعوباً من افعى راقدة على صدرهِ وراسها على كتفهِ واستحال عليهِ النوم بعد ذلك واخذ يحاول احياناً صرف الارواح عن كيدها بالرجاء والاستعطاف فلم ترعوِ ويحاول احياناً ان يطردها بعصا ولكن العصا كانت تخترقها بدون ان تؤثر فيها لانها غير هيولية مع انهُ كان يراها بوضوح كما يرى المواد الهيولية . وفوق هذا كانت تنبعث من تلك الصور الشنيعة روائح كريهة كروائح المواد الآلية المحروقة وهذا يدل على ان حواسهُ الاخرى اصيبت ايضاً

وما عدا الارواح التي تضطهدهُ كان يرى ارواحاً صالحة تدعوهُ النصائح الحسنة تكلمهُ تارة فيسمع كلامها وتوحي اليهِ اخرى بطريق الفكر فيفهمها . واخبرنا انهُ رأى مرة روحهُ الخاصة جاءت اليهِ وخاطبتهُ بهيئة رجل مرتدٍ رداء اسود وانهُ رأى بغتة في رائعة النهار كرة من نارٍ تتدحرج امامهُ على الشارع ثم اختفت وعقبتها رائحة كبريتية وادعى ان هذه الظواهر لا يشعر بها احد سواهُ وانهُ يمتاز بذلك بصفة كونهِ وسيطاً

ثم ان اتصالهُ بالارواح صالحة كانت او شريرة لم يقف عند حد الحواس بل تعدى الى الكتابة وقد املت عليهِ روح امرأتهِ امامنا الجملة الاولى التي مر ذكرها . واذا كتب فيكتب احياناً كلاماً يسمعهُ باذنهِ واحياناً كلاماً يوحى اليهِ في باطنهِ بدون ان يسمعهُ باذنهِ وفي هذه الحالة قد كتب تحت نظرنا ومراقبتنا العبارة الآتية « انت لص وكان يمكنك ان تعمل احسن من ذلك كثيراً . انت لا تعمل حسناً باهانتك هذه المرأة » واحياناً يأخذ القلم ويشرع بالكتابة بدون ان يشعر انهُ يتبع املاء يملى عليهِ من الباطن او من الخارج لاننا القينا عليهِ سؤالاً ارتبك في الجواب عنهُ فاخذ القلم وشرع يكتب ما استحال عليهِ الجواب عنهُ لفظاً فدل ذلك على انهُ لا يدرك معنى الكلام الا بعد كتابتهِ على الورق . ثم سألناهُ من أملى عليهِ هذا الجواب فقال لا ريب في ان روحاً جعلتهُ يكتب ما كتب واكد لنا ايضاً انهُ لم يسمعها عندما املتهُ عليهِ . والكتابة التي يكتبها باملاء الارواح تكون احياناً صحيحة واحياناً متنوعة واحرفها متقطعة وسطورها متباينة وقراءتها صعبة وكثيراً ما يرسم سلسلة خطوط غير منتظمة كثيرة المنحنيات والاشكال قد يملأ بها صفحة كاملة . وقد قرأ لنا مرة عبارة من

كتابة من هذا النوع لا تخلو من المعنى فاستعدناه قراءتها فلم يستطع ان يقرأها كما قرأها في المرة الاولى

وكان يتنبأ احياناً عن المستقبل و ينبئ بما يكون عليهِ الطقس في فصول السنة و يدل على العلل التي تصيب الناس وعلى مدتها وشدتها و يزعم ان لهُ تأثيراً كبيراً في شفاء الامراض

ومن نحو سنة صار يدَّعي انهُ ينتقل من مقرهِ الى الاماكن البعيدة تارةً تجرهُ الارواح اليها رغماً عنهُ وتعذبهُ في الطريق بالسوائل المحرقة وتارةً ينتقل من نفسهِ ويجول في الفضاء ويسبح في الكواكب وقد جال في اكثرها واكتشف كثيراً منها وهو لا يعرف ما هي ولا يذكر اسماءها. و يحصل لهُ ذلك نصف الليل غالباً واكثر سياحاتهِ كانت الى عطارد وهناك يتجسم ويتخذ هيئتهُ وصورتهُ الاعتياديتين. وكتب لنا مرة رواية احدى سفراتهِ قال

رأيت سلسلة جبال على شطوط بحر عطارد ورأيت الشطوط تعلوها الصخور و يغطيها النبات وهي آهلة بالحيوانات الكثيرة الانواع ويمتد من سفوح الجبال سهول من اوسع السهول واخصبها وسكان البلاد نظيرنا . ولما لم يكن في امكاني ان اذهب الى كل مكان لاطلع بنفسي على كل شيء استعلمت عن بعض الاماكن من روح لا اعرفهُ فاراني قلعة عطارد وافادني عن كل شيء وشرح لي عن مدينة لوفيفنوف وكنيستها وعن قسم كبير من مقاطعة لستافانوف . وتعرفت بروح من عائلتي وهي روح والدتي ولكنني لم اتعرف بها الأ حديثاً وقد ساعدتني على المحادثة مع سكان تلك المدينة . وانفردتُ في بعض المقاطعات فتعقبتني الارواح ولو اتخذتُ رفيقاً لاتقيت شرها . ورأيت شخصين لم يكترثا لي فسألت والدتي وعطارد عنهما فقال عطارد تفرس فيهما جيداً هما يسوع ومريم العذراء وهما عدوان لك وقد أطلعنا على معلومات اخرى وهي ان ملابس سكان تلك البلاد كملابسنا واشغالهم كاشغالنا وان لغتهم هي اللغة اليونانية القديمة مشوهة

المشاهدة الثالثة — نقلت عن سوليه و بواسيه وهي تشرح حالة امرأة مصابة بجنون الوسيط المزدوج مع هذيان النبوءة والرسالة واختلاطات ذهنية حسية ومحركة يخالطها عناصر من مصدر منزلي واجتماعي

المرأة — عمرها ست وثلاثون سنة عصبية المزاج كثيرة الاضطراب والتفكر لا تميل كثيراً الى طبع امها الرصين ولا الى احد ممن يحيط بها لانها لم تجد فيهم من يفهمها وفضلت ان تخلص منهم بالزواج رغم اعتقادها بانها لا تجد في الزواج ما يوافق رقة احساسها والغاية الشريفة التي تنشدها وهي محبة الانسانية ومحبة الديانة مع انها لا تعرف شيئاً مهماً عن

الدين لان تربيتها لم توجد اليهِ التوجيه الكافي . وكان خالها يهتم بالسبيرتسم وسمعتهُ احياناً يتكلم عنهُ فاستلفت ذلك نظرها الاَّ انها لم تحضر جلسة منهُ وبعد موت خالها زال هذا الموضوع من بالها

حسبت نفسها تعيسة مع زوجها لانها وجدتهُ فظاً دنياً فانصرفت بكليتها الى احلامها السابقة وبدأت تسمع صوتاً لطيفاً وواضحاً صادراً من صدرها يعزيها ويشجعها ويعدها بالمكافأة في المستقبل عن مصائبها الحالية وكانت تصغي اليهِ وتجهد قواها العقلية احياناً لاستصدارهِ وتسألهُ من هو وتحسب انهُ لا بد ان يكون صوت ميت يهتم بها

ونظراً الى ما كانت عليهِ من الميل الى نشر مبادىء الحب والحنو والشفقة ولما كانت تقاسي من العذاب في بلوغ مطالبها السامية كانت ترى زوجها بارداً فاحتقرتهُ ومع ذلك فلما انحرفت صحتهُ واصيب بالنوراستينيا عقيب شغل عنيف اضطر الى الانقطاع عنهُ رافقتهُ الى سويسرا واعتنت بهِ اعتناء زائداً مفرطاً

كانت تعتقد ان الصوت الذي يكلمها هو صوت روح وكانت قد تعرفت بسيدة تحرك الطاولة فارتأى زوجها ان تجرب ذلك وحدها ففعلت واعتقد زوجها ان الطاولة تهجت تحت يدها اسم والدهِ فاقتنعت هي انها تخاطب الروح التي كانت تحامي عنها ولكنها لا تعرف روح من هي . ثم تعبت من خدمة زوجها واضطرت الى ملازمة الفراش واباحت لهُ حينئذٍ بسر الصوت الذي لم تبح بهِ لاحد فاظهر لها اعتقادهُ باتصالها باحد الارواح . وفي مساء يوم جلست في سريرها واركعت زوجها امامها وقالت لهُ ان الروح مزمع ان يكلمها ثم فاهت بما قالتهُ الروح بدون ان تعلم ما تنوي ان تقولهُ فانحت عليهِ باللوم والتقريع وهو خلاصة ما كان يجول في ذهنها ضدهُ من مدة طويلة اما هو فلم يشك في صدقها لانهُ ايقن من امور كثيرة ان ذلك الصوت صوت امهِ التي لم تعرفها زوجتهُ الاَّ قليلاً ولكن تأثيرها فيها بقي قوياً

فعرفت الآن الروح التي كانت تحامي عنها وهي روح حماتها التي اصبحت مرشداً لها وثبت لها انها وسيط يقرع ويسمع ويتكلم واخذ زوجها يستعين بهذه الصفات على استحضار روح امهِ واستشارتها عند اللزوم فقادت هذه الممارسة المرأة الى التهيج العصبي المفرط والأرق وألم الراس وخفقان القلب والرؤى . فرأت في احدى الليالي رؤيا تذكر في تاريخ حياتها وهي نور اثار شعرها وتجلى لها الله بوضوح محاطاً باشخاص كانهم اجتمعوا لمشورة سماوية . وكلمها الله بلطف وخصها باسم راراهو ووعدها بمحبتهِ ومساعدتهِ وامرها ان تستمر على نشر الصلاح والرحمة

وقد كانت تفكر منذ مدة طويلة في انشاء ديانة تكون الرحمة مبدأها الاسامي وكان

صوت حماتها يشجعها على ذلك واصبح هذيانها بعد تلك الرؤيا جليًّا وواضحًا استوجب مداواتها والاعتناء بها اعتناء خصوصيًّا فحسنت حالتها بعد المداواة ولما دخلت في دور النقاهة نقلت الى باريس ودخلت السناتوريوم في اول يوليو سنة ١٩٠١ ولم تذكر مدة اقامتها فيهِ شيئًا عن ماضيها ولم تبح على الاطلاق انها اصيبت بحالة اختلاطية الا انها كانت تتكلم مع روحها المرشدة بدون ان تدع سبيلاً لاكتشاف ذلك رغمًا عن كل مراقبتنا واستقصائنا. وكانت تتحدث كثيرًا بالفلسفة والآداب وتتكلم عن غايتها وهي ابدال الاديان المعروفة بدين الرحمة وتكتب افكارها باختصار عن الحب والقلب الانساني وكل ذلك بدون غلو وبساطة تخالطها حماسة امرأة تعدّ نفسها في منزلة عالية. وافادتها العزلة والراحة سريعًا بازالة ما بقي من الانحطاط العصبي الذي اصيبت بهِ ونال زوجها الذي كانت تحتقرهُ الحظوة في عينيها واستدعتهُ ليكمل مدة نقاهتهِ في الجنوب في اواخر اغسطس سنة ١٩٠١

الا ان حديث العائلة عاد الى موضوع السبيرتسم فاحست انها مدفوعة بما لا تستطيع مقاومتهُ الى ان تسأل الطاولة وهذه لم تقتصر على الاخبار عن حماتها وخالها بل اخبرتها عن اناس لا يزالون احياء وقالت ان القيصر نقولا الثاني حضر بنفسهِ ووقف عند رجل الطاولة ليصادق على مشروعها ويشجعها على نشر دعوة الرحمة والسلام العام. فعاد اليها الهذيان قويًّا وزادت على مكالمة الارواح انها زعمت ان يسوع المسيح والله نفسهُ صارا يناجيانها والله الذي تجلى لها في سويسرا استمدّ منها اسم راراهو وصار يناجيها من مصادر مختلفة من الراس ومن الصدر ومن الطاولة وبالرسائل المكتوبة وعيَّن لها نظامًا للاهوت وجعل تذكار حالاتها الانفعالية السابقة يعود اليها بدقة فترى الاشخاص الذين رافقوا الله في تجليهِ الوحيد لها في سويسرا وتقول ان الله يحكم الكوكب كيفاوس وهو اله الالهة واشرفهم واقدمهم وانهُ هو الذي يدبرها في المستقبل ويسلحها ويحميها وهو الذي يأمرها ان تخصص نفسها للدعوة الى ديانة الرحمة التي ستدعى الديانة الكامية باسمها وان الله يكتبها بحرف K لانهُ اشرف من حرف C وان اخت زوجها حضرت لكي تعتني بها لانها قرأت بالالهام التلبثي رسالة عتاب منها على تأخرها عن الحضور للاعتناء بها. ومن ثم اصبح الهذيان مزعجًا كثير الحماس والتهيج واقتضى الرجوع الى مداواتها بالعزلة والانقطاع التام عن ممارسة استحضار الارواح. ولما تحسنت حالها اعيدت الى باريس وادخلت الى السناتوريوم في ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٠١ وكانت في اشد الانحراف العصبي تصاب بالم في الراس وآلام في الاطراف وخفقان قلب وارق وتخيل وانحراف حساسة الجلد ونقصانها في بقع غير معينة وسرعة انفعال وضيق

ونوب وبكاء وثورات حرارة على سطح الجسم وهبوط ونوب اسهال عقيب اقل غيظ .
وكل هذه الاعراض تزول وتعود على التعاقب حسب ما يحصل لها من دواعي السلوى او
الغيظ وقد ضعفت بسببها وهزلت

ومع ان الهذيان صار على وشك الزوال كان لا يزال قويًّا والعمل الذاتي الانفعالي
شديد الاثر والمريضة تمثل بمنظرها وموقفها وعبوستها استعدادها لهبوط الوحي وتتنبأ بلهجة
الانبياء بكل رصانة وتلح كثيراً لاظهار مواصلاتها بعالم الغيب في ما لازمت السكوت عنهُ
مدة اقامتها الاولى في السناتوريوم . وقد زادت اختصاصاتها الوسيطية ونمت عدداً وتركيباً
وحافظت بنوع خصوصي على خاصة القرع . ورغماً عن سهولة مخاطبتها للارواح بواسطة السمع
بقي ميلها الى الرجوع الى الطاولة قويًّا جدًّا واذ كنا نعارضها في ذلك كثيراً ونشدد المراقبة
عليها اخذت تقرع بقلم الرصاص وتكتب احرفاً على الكتاب او على الفراش وبعد منعها منهُ
لجأت الى القرع باصبعها ومن ثم اصبح القرع داخليًّا ودماغيًّا محضاً اي ان الاحرف صارت
تقرع بفكرها وفي رأسها واصبح هذا القرع الدماغي احدى الوسائل الرئيسية لمناجاة الارواح
ولاسيما مناجاة الله الذي كان ملازماً لها اكثر من الجميع

الأ ان قلم الرصاص بقي تحت يدها فكان يستهويها فيسحب يدها فتمسكهُ فيجرها على الورق
وبذلك اصبحت وسيطاً رساماً وكانت ترسم رسوماً عديدة وعيناها مغمضتان وترمز الى الله
حارسها بصورة بشرية غير جلية يستدلُّ عليها بخطوط متعرجة تنشأ من نقطة واحدة وترمز
برسوم اخرى الى الهة اخرى او نجوم مجهولة وترفق كل رسم بكتابة تفسيراً لهُ اذ
بدونها يبقى الرمز غامضاً لانهُ مركب من خطوط مستقيمة واخرى منحنية مع نقط رمزية تدل
دلالة ضعيفة على تقاطيع الوجه

وقد كانت تزعم ان بعض كتاباتها تكشف اشياء مجهولة عن الالهة والكواكب والنجوم
والمسائل العلمية وعمل تلسكوب جديد والوسائل المجهولة لشفاء الامراض والرسالة الكامنة
ووسائل الحصول على الفائدة منها وكانت تظهر في كل هذه الشروح اعجاب الله بها وشدة
عطفهِ عليها

اما زوجها فكان في الجنوب ولم يرَ امرأتهُ في الدور الثاني من المعالجة ولكن عرف
بوصول هذه الرسائل اليها وكان يعتقد بصحتها اعتقاداً لا يشوبهُ ريب ويعجب بها كثيراً ولم
تتمكن من اقناعهِ بفساد هذه المواصلات الأ بصعوبة كلية

وفي ادوار الحدة كانت تلابس كل انواع الاتصال بالارواح من حماتها والقيصر نقولا

الثاني الى الآلهة المجهولة. وبعد مجموع الاعراض وتحسن الحالة صارت الاصوات تسكت شيئاً فشيئاً ولم يبقَ منها الا اصوات الارواح المعزية وفي دور النقاهة لم يبقَ الا صوت الله وحدهُ ومع ذلك صارت تجهد كل قواها لاستدعائهِ. وقد طالت مدة النقاهة وبقيت بحالة التصرف تخاطب الله بالطرق السبيرتية القانونية وتنصرف الى الصلاة وتصلي بدون انقطاع صلوات حارة ويحصل لها ذهول تشعر فيهِ احياناً انها بمقام كهنوتي. وقد حصل لها ذلك في سويسرا لما ظهرت لها الرؤيا ومن ذاك الوقت صارت في دور تشعر بنزاع لطيف وبمبارحة الحياة والارض والانتقال الى الفضاء وحاسة الجسد واقفة ومعطلة ويرافق ذلك استدعاء الله الحي الذي يستدعيها الى الفردوس ثم يعيدها الى الارض

واستمرت على المواصلة بينها وبين دليلها التلبثي بالقرع الدماغي والقرع السمعي واللغة الانفعالية وكانت تتحدى في كتابتها صيغة الانشاء التلغرافي احياناً وصيغة الانشاء النثري والشعري غالباً وتحليهِ بانواع البديع وكان الشعر يطاوعها فتنظم منهُ في كل مقاصدها وتقرض قصائد طويلة يدل بعضها دلالة واضحة على ازدواج شخصيتها وتعنون الواحدة بالصلاة والاخرى بالصوت وتشرح فيها تأثير اختلاطاتها الذهنية وذهولها

وسار التحسن سيراً قانونياً الا انهُ كان بطيئاً ومذبذباً بسبب الاختلاطات المستعصية التي لم يكن التغلب عليها بسهولةٍ لانها كانت اذا سكتت الارواح عن مخاطبتها تحزن وتتكدر فتستدعيها سرّاً لتعلم هل كانت لا تزال تلبي طلبها وكانت تقول انها تساق الى الطاولة كما « لو كانت مورفينا » . وبالرغم من هذه الصعوبة تم الشفاء وهي الآن تقوم بدون عناء بواجبات الام والزوجة مع الواجبات البيتية ولا تزال تقية ورعة تهتم بالاعمال الخيرية وتزاول نظم الشعر بدون ملل لا هذيان فيها ولا اختلاط وقد فهم زوجها ومن يحيط بها حالتها فصاروا يعتنون كل الاعتناء بابعادها عن كل عمل سبيرتي

الخلاصة — اتضح لنا ان سدى السبيرتسم الوهم ولحمتهُ الخداع وانهُ ليس من العلم الصحيح في شيء لا ركن لهُ يستند اليهِ ولا قاعدة صحيحة يعول عليها. يستخدم اصحابهُ ذوي العقول المزعزعة ويعول دعاتهُ في تأييدهِ ونشرهِ على تلفيقهم وجمجمتهم وهذيانهم ولو كان علماً صحيحاً او لو اخلص اصحابهُ في بحثهم لنبذوا تلك الوسائل الدنيئة وعولوا على البحث العقلي الصادق والتجارب العلمية الصحيحة كما يفعل رجال العلم الصادقون الذين افادوا العالم باكتشافاتهم واناروا الانسانية بمعارفهم بدون جمجمة او مخرقة لا غموض في اعمالهم ولا اسرار ولا رموز ولا تكهن ولا شيء آخر مما يغشي الاذهان ويضيع الرشد

وقد عرفنا كيف يتغلغل بين المتفرجين في قاعة السبيرتسم صغار العقول واصحاب الانحراف العصبي والجنون المستتر والهوس الديني والاستعداد الوراثي المفسود فيلقون بايديهم الى التهلكة اذ يقضي السبيرتسم على البقية الباقية من عقولهم المتخلخلة فينفضح المستور فيهم وينهدم المتخلخل من بنيانهم ويشتد الميل في كثير منهم الى الموت انتحاراً ويلحق اذاهم بالجمهور كما ثبت من الشواهد التي قدمناها وعرفنا منها ان الجنون السبيرتي يرتكب جريمة القتل عمداً او بغير عمد فضلاً عن ان جنون الوسيط يزعزع العقول الضعيفة بما يقدم صاحبهُ من الشواهد التي يدعي انهُ رآها بعينهِ او قام بها بنفسهِ شواهد من المعجزات والخوارق التي تعجز تلك العقول الضعيفة عن تعليلها فتميل الى تصديقها والايمان بها و يتولد فيها الميل الى القيام بمثلها فينمو هذا الزرع و يكثر الخلل وتفسد التربية

فعلى دعاة السبيرتسم ان يقيموا بنيانهم على اساس علمي وان يكشفوا لنا ان استطاعوا سراً جديداً من اسرار الطبيعة و يأتونا ببرهانهم ان كانوا صادقين

انتهى

الدكتور
امين ابو خاطر

سكان غربي اسيا

او تركيا اسيا

ليس في ارض الله بلد مثل تركيا في تعدد اقوامهِ واختلاف اجناس سكانهِ لغة وبنية وديانة وعادات . وقد خطر لعالم الماني اسمهُ لوشان (وهو استاذ علم الانسان في جامعة برلين الآن) منذ ٣٥ سنة ان يتعهد تلك الاقوام و يرجع كلاً منها الى اصلهِ ففاز بهذه المهمة حيث اخفق غيرهُ . فان العالم روزن وهو من اكبر ثقات زمانهِ في البحث عن ام اسيا الصغرى وسورية قال في بعض كتاباتهِ ان معرفة اصل الاقوام النازلة في غرب اسيا ستبقى على الدوام لغزاً لا يحل . وقد قرأ لوشان بحثهُ هذا في الحفلة السنوية التي تعقد تذكاراً للاستاذ هكسلي بعد ان قضى فيهِ ثلاثين سنة من الزمان . وعدَّ من سكان تركيا اسيا ٢٣ فرعاً بحث في اصل كل منها واوضح بحثهُ بالصور . وسنلخص في هذه المقالة ما كتبهُ عن كل فرع من هذه الفروع

اما اسماء الفروع فهي كما يأتي : السود . الجركس . الالبان . البلغار . البوسنيون . الافرنج واللفنتين . اليهود . الغجر (النَّوَر) التركمان . اليوروق الكرد . الطحطجية . البكتاش . الانصارية . القزيل باش . الدروز . الموارنة . الايرانيون . العرب . الترك . الروم . الارمن

(١) السود

هؤلاء اسهل الاقوام تمييزاً عن غيرهم لسواد بشرتهم · وقد كان اثرهم ضئيلاً في تاريخ البيض من اهل اسيا الصغرى وسورية وبناء مدنيتهم مع انهم جلبوا الى تلك البلاد من اول عصور التاريخ · ولا تكاد تجد حتى الآن بيتاً من بيوتات المسلمين الأ وفيهِ الخدم من العبيد والإماء او الجواري السود اللواتي ادخلن الحريم فولدن الاولاد من الاسمر الفاتح الى الغامق وما بينهما · وقد لا تجد مكاناً افضل لدرس اختلاط الاجناس من مدن الشرق الادنى الأ البرازيل · والغالب ان يسمى العبد الاسود في جنوب الاناطول عربيًّا · وليس في لون البشرة هناك ضعة على ما اعلم فان الخلاسيين يزاوجون البيض

(٢) الجركس او الشركس

بعد ما سلَّم شامل[1] هاجر نحو مليون مسلم من اهل القوقاس الى الاناطول وسورية فانزلتهم الحكومة على الرحب والسعة وقطعت لهم القطائع ولكن لما كانوا بلا زعيم يأتمرون بأمرهِ لم تكن لهم شكيمة تكبح جماحهم فسادت الفوضى واللصوصية وقام كلُّ رجل على اخيهِ فانقرضوا في معظم الاراضي التي اقطعوها · والذي زاد الطين بلة وساعد على انقراضهم ان تلك الاراضي كانت في الغالب آجاماً ومستنقعات فكانت بؤرة للحمى الملاريةففتكت بهم فتكاً ذريعاً · اعرف مكاناً قرب «الاصلاحية» هاجر اليهِ نحو الف عائلة جركسية سنة ١٨٨٠ وليس فيهِ الآن سوى سبع منها وهي على اسوإِ حال بسبب الحميات وسائر الامراض · وقلما يزوج الجركس بناتهم للترك او العرب

(٣) الالبان او الارنؤد

يقال ان عدد الارنؤد (او الارنؤط) في تركيا اسيا يبلغ مئة الف · وكثير منهم ينتظمون في الجيش وبعضهم اصحاب مناصب عالية في الحكومة وقليل منهم في السفارات والقنصليات وهم معروفون بذكائهم النادر · ومعظم «القوَّاسة» في القنصليات الاجنبية وعند كبار التجار من الارنؤد وكذلك الغلمان الذين يستخدمون أجراء في الحمامات التركية · واكثر الخانات في داخلية البلاد في ايدي الارنؤد

ومن السهل التمييز بين هؤلاء الارنؤد وسائر العناصر المسلمة التي تتألف السلطنة العثمانية منها وذلك لانهم كثيرو المباهاة بجنسهم والتمسك بلغتهم وقلما يزاوجون الغرباء عنهم فلذلك

---

(١) اسم زعيم قوقاسي مشهور حارب روسيا زماناً طويلاً ثم اسرته في اواسط القرن الماضي

تراهم متجانسين في ملامحهم وصفاتهم الطبيعية الى حدّ لا يخطئ أحد عنده في تمييزهم عن غيرهم . ومعظمهم سمر طوال القامة ذوو رؤُس كبيرة مفلطحة او مستديرة

(٤) البلغار

في تركيا بضعة الوف من البلغار اكثرهم في الاستانة وبعض المدن التي على ساحل الاناطول الشمالي . ويسهل تمييزهم عن غيرهم بلسانهم وزيهم . وقلتهم منعت ان يكون لهم اثر في جيرانهم النازلين بينهم . وهذه هي حال الرومان والسرب المقيمين في الممالك العثمانية فنكتفي بالاشارة اليهم

(٥) البوسنيّون

لم تغادر باخرة من بواخر شركة لويد النمسوية مدينة تريسته الى الاستانة منذ سنة ١٨٧٩ الأ وعليها مهاجرون من اهل البوسنه والهرسك فراراً من حكم النمسا . وهم يفضلون السكنى قرب مدينة بروسه (او بورسه) . وهم يسمون في النمسا تركاً والحقيقة ان ليس في عروقهم دم تركيّ فانهم سلالة الصقالبة الجنوبيين الذين سكنوا البوسنه والهرسك في القرن الرابع عشر للميلاد فلما سقطت السلطنة السربية اسلموا . ولغتهم ليست من التركية في شيء بل هي مزيج من اللسان السربي والكرواتي

(٦) الافرنج واللفنتين

يسمى المسيحيون الاوربيون في جميع الشرق الادنى فرنجاً ويسمى نسل الاوربيين فيه من فرنسويين وايطاليين على الغالب لفنتين (اي شرقيين) وهم قلما يزاوجون اهل البلاد . ولا ريب عندي ان كثرة ما يرى من الشقر الالوان في داخلية الاناضول وسورية ليست ناشئة عن تزاوج اهل البلاد والاوربيين في الزمان الحديث بل سببها قديم

وقد اكد كثيرون ان متوسط وفيات الاولاد بين العائلات الافرنجية الشقراء في المدن الشرقية الشديدة الحرّ صيفاً اعظم منهُ بين السمر الالوان فاذا ثبت ذلك بالاحصاء الدقيق كان ذا شأن كبير من الوجهة العلمية

(٧) اليهود

لا يخفى ان اليهود الشرقيين لا يزاوجون الاقوام المقيمين بينهم فلذلك لا يؤثرون طبعاً في صفاتهم الجسمانية . وهم على اقسام اكثرهم عدداً اليهود المسمون سفرديم وهؤلاء نسل

اليهود الذين طردوا من اسبانيا في القرن الخامس عشر ولهجتهم فرع من الاسبانية القديمة ٠ واثرهم كبير في تقدم السلطنة العثمانية عقليًّا وماديًّا

واقل منهم شأناً بكثير اليهود الاشكنازيم او الشكناز نسل اليهود الذين هاجروا من شرق اوربا ولغتهم خليط من العبرانية العامية والجرمانية القديمة ٠ وكان الفرق بين هذين القسمين في مبدإ الامر جغرافيًّا عرَضيًّا ولكنهما ما فتئا يفترقان حتى امسى الاختلاف بينهما جوهريًّا وحتى بات الجمع بينهما مستحيلاً ٠ عرفت عائلة شكنازية في الاناطول تفضل الامتناع عن اكل اللحم على اكلهِ مذبوحاً بيد جزار سفردي ٠ وفي سنة ١٨٦٤ ابتاع يهود بخارست المنتمون الى طريقة سفرديم مقبرة خاصة لكي لا يشاركوا الشكناز في شيء حتى الموت ٠ ولم اتحقق هل بين الطريقتين فروق في المعتقد ٠ وفي معظم البلاد تجدهم اقل اختلاطاً ومعاملة بعضهم لبعض من البروتستانت والكاثوليك في اشد قرى اوربا تعصباً ومع ذلك ليس لفريق منهما خواص طبيعية واضحة مميزة كما تتميز الاجناس المختلفة بعضها عن بعض

على ان بعض اليهود يقولون انهم «ساميون صرف وشعب مصطفى مختار» وترى بعض الصحف العلمية الحديثة تحدثك عما في اليهود من التجانس التام ٠ ولكن هذا التجانس ليس لهُ في الواقع وحقيقة الامر وجود الا في الكتب ٠ فان في اليهود اناساً ذوي عيون شهل وسود ٠ وشعور سبطة وجعدة ٠ وانوف شماء وفطساء وخنساء ٠ ويتراوح الدليل الجمجمي فيهم بين ٦٥ وهو اقل ما يكون في النوع الانساني و ٩٨ وهو اعظم ما يبلغهُ فيهِ ٠ وليس بين علماء علم الانسان من لا يزال يقول بتجانس جماجم اليهود على ما اعلم ٠ والجميع يسلمون بان معظم جماجم اليهود مفلطح (مستدير) في حين ان جماجم الجنس السامي مصفحة (طويلة) ٠

ومع هذا كلهِ نسمعنا نتحدث بالوجه اليهودي وسهولة تمييزهِ عن غيرهِ ٠ ولكن هذه الخاصة ان صحت تسميتها خاصة نستسهل الشعور بها ونستصعب تحديدها ٠ وقد حدَّدها احد علماء الالمان واسمهُ جوزف جاكوبس بانها اتخاذ المنخرين شكلاً خاصاً بهما ٠ وقد نسب هذا الشكل اليهِ فسمي "Jacobs's nostrility" اي شكل المنخرين على مذهب جاكوبس

وقد اراد العالم فيسنبرج ان يبرهن على ان لليهود خواص طبيعية تميزهم عن سائر اجناس الخلق فعرض مئة صورة فوتوغرافية من صور الروسيين المسيحيين واليهود على صديقين من اصدقائهِ احدهما روسي مسيحي والثاني روسي يهودي ولم يكن يميز المصوَّرين شيء ما سواء كان ذلك في اللباس او غيرهِ ٠ فاصاب الاول في نصف الصور واخطأ في النصف

الآخر . واصاب الثاني في ٧٠ بالمئة منها واخطأ في الباقي . على انني لا ارى هذه التجربة شافية وافية . فقد كان اجدر بهِ ان يعرض على صاحبيهِ صور يونان وارمن وايرانيين اذاً لرأى ان الاصابة تكون اقلّ والخطأ اكثر ولاتضح لهُ ان ما يسميهِ بالطرز اليهودي ليس الأ طرزاً شرقياً صرفاً

وفي تركيا ومصر يهود من غير هذين الصنفين نزلوا تلك البلاد من عهد السبي ولكنهم قليلون ولم تسنح لي فرصة لقياس جماجمهم

(٨) النَّجر (النَّوَر) وتوابعهم

يقال ان في انحاء تركيا ٣٠ الفاً من النجر يعيشون على السرقة وعمل المناخل والغرابيل والسلال . وفيما سوى ذلك تجد عشرتهم طيبة والجمال بينهم ليس نادراً . وهم رحَّل يرتادون في الشتاء السهول فيتنقلون فيها بخيامهم المصنوعة من شعر المعزى وفي الصيف الجبال . ورأيت مرة قوماً منهم ضربوا خيامهم في مكان يعلو ثمانية آلاف قدم عن سطح البحر . ولا يعرف شيء عن اصلهم وفصلهم واول عهدهم بالمهاجرة وتاريخهم . فهم في الاناطول يتكلمون بالتركية وفي سورية بالعربية ويبالغون في اخفاء لغتهم او لهجتهم الخاصة بهم كلَّ المبالغة حتى انني حاولت مراراً وتكراراً ان اقتنص منهم بعض عبارات منها فذهبت مساعيَّ سدًى

وقد لقيت في شمال سورية طائفة تسمّي نفسها طائفة الابطال وتتبرأ من النجر ولكنني لم اجد فرقاً جوهريًّا بينها وبينهم لا في الصفات الطبيعية ولا في العادات الاجتماعية . ومن هذه الطائفة فئات تجول من مكان الى مكان رُباعَ او خُماسَ وتحمل كلٌّ منها راية كبيرة حمراء او خضراء . وفئات دأبها الشعوذة والرقية وإبصار البخت والحواية

ولا يخالط النجر قبائل سورية والاناطول . وهم يقولون انهم مسلمون ويتسمون باسماء اسلامية ولكنهم يعاملون بالاحتقار والامتهان في كل مكان . والمسلمون في الاناطول قلما يلعنون واذا لعنوا احداً او شتموهُ فمن جملة شتائمهم قولهم « تشنجين » اي يا نجري

(٩) التركمان

التركمان الحقيقيون اي اهل غربي تركستان نادرون في الاناطول ولم ألقَ منهم احداً في سورية . وهم يرتحلون من مكان الى مكان بيتاً او بيتين معاً . ويسهل تمييزهم عن غيرهم ولو عن بعد بنوع جمالهم التي يقتنونها فانهم يقتنون الجمل ذا السنامين في حين ان

غيرهم من قبائل اسيا الصغرى تقتني الجمل ذا السنام الواحد او الهجين . رأيت مرة عائلة تركانية في ليسيا الشرقية جاءت من نواحي سمرقند بتركستان وكان قد مضى عليها في ارض غربتها اربع سنوات وقالت لي انها تنوي الوصول الى الاستانة ثم تنقلب عائدة الى وطنها وقدرت ان ذلك يكون بعد خمس سنوات او ست . ولبعض التركان عيون كعيون اليابانيين والصينيين . ورؤُّسهم صغيرة مستديرة وهم قصار القامة قلما تزيد قامة احدهم على ١٦٠ سنتمتراً . ولا يخالطون الذين ينزلون بينهم

(١٠) اليوروق

اليوروق قبيلة من قبائل الاناطول الرحّل وهم اكثر عدداً من التركان بكثير . ومعنى الكلمة رحالة او جوّالة . وقد سميت جميع القبائل الرحّل يوروق فافضى ذلك الى خطإٍ كثير . اما اليوروق الحقيقيون فيتميزون بتشوبه رؤُّسهم تشويهاً صناعيًّا وطول جماجمهم . ولا يعرف وطنهم الاصلي . وهم يتكلمون التركية ولم يُهتدَ حتى الآن الى اثر من آثار لسانهم الاصلي . وقد ارتأيت من قبل انهُ لا يبعد ان تكون لهم صلة قربى بالنَّور لما بين الفريقين من اوجه الشبه الطبيعي . ثم خطر ببالي بعد ذلك انهُ لا يبعد ايضاً ان يكون اسلامهم هو سبب ارتقائهم الادبي ودعتهم ومثابرتهم على العمل حتى اشتهرت نساؤُهم بعمل البسط والسجّاد . ولكن هذا مجرد رأيٍ عنَّ لي اذ لا يبعد ايضاً ان تكون مشابهتهم للنَّور عرضية اتفاقية . وعسى ان احداً غيري يكون اكثر توفيقاً مني في العثور على تقاليد وحكايات و بقايا من لغتهم القديمة يهتدى بها الى حقيقة اصلهم

وبينهم وبين الذين يساكنونهم شيء من التحاسد حال حتى الآن دون تزاوجهم

(١١) الكرد

كردستان بلاد الاكراد ارض جبلية الى الجنوب الشرقي من جبال ارمينية تبلغ مساحتها ضعفي بلاد اليونان . ومعظم الجزء الشمالي الغربي منها عثماني والجزء الجنوبي الشرقي ايراني . وقبائل الاكراد او عشائرهم كثيرة لم تتحد سياسيًّا فيما مضى بل كان كلٌّ منها خاضعاً لزعيم مستقلّ حتى جاءت تركيا في القرن الماضي فكسرت شوكتهم بمساعدة الجنرال مولتكي الكبير وكان حينئذٍ ضابطاً في جيش بروسيا

ولا يعلم متى اتخذت عشائر الاكراد كردستان موطناً لها ولعلَّ تاريخ اشور وما يستخرج من الدفائن والاحافير في اعالي دجلة والفرات يميطان اللثام عن هذا السرّ في مستقبل

الايام . اما ما نعلمهُ عن الاكراد فهو ان لغتهم آرية اي شقيقة اللغات الاوربية المشهورة ورؤُسهم مصفحة وعيونهم زرق وشعورهم شقر على الغالب . وقد فحصت ثلاث فئات من الاكراد فئة مؤلفة من ١١٥ رجلاً قرب قره قوش . وثانية من ٢٦ رجلاً في نمرود طاغ . وثالثة من ٨٠ رجلاً قرب سنجارلي . فوجدت في الاولى ٧١ رجلاً من البيض الناصعين (زانثوكروي) وفي الثانية ١٥ . وفي الثالثة ٣١ . اي ان البيض الناصعين بلغوا ٥٣ في المئة من المجموع (٢٢١) . وتراوح الدليل الجمجمي في الاولى بين ٧١ و ٧٨ . وفي الثانية بين ٧٢ و ٧٨ . وفي الثالثة بين ٧٤ و ٨٠

اما اكراد قره قوش ونمرود طاغ فيعيشون في عزلة عن الناس ولم أجد بينهم سوى تاجرين صغيرين من الارمن . واما اكراد سنجارلي فيسكنون على مقربة من قرى المسلمين والارمن . والمشهور انهم يخطفون بنات الارمن احياناً ويتخذونهن زوجات وكثيراً ما يتزوجون من المسلمين العثمانيين فباتوا لذلك ابعد عن عنصرهم الاصلي من الاكراد الآخرين

هذا فيما يخص الاكراد العثمانيين او الغربيين . اما الاكراد التابعون لايران اي الشرقيون فربما كان عدد السمر فيهم اكثر منهُ في العثمانيين ورؤُسهم اكثر استدارة

ولغة الاكراد كثيرة اللهجات ولكن يمكن قسمتها الى قسمين شرقيّ وغربيّ وكلاهما آريّ كما تقدم القول ذو صلة بالفارسية الحديثة والهندستانية . ومن رأيي ان الاكراد متشعبون من الجنس الآري او الفرع الذي يقطن منهُ شمال اوربا فالجرمان ابناء عمومتهم . ومما يؤيد ذلك ولا يمكن ان يكون مجرد اتفاق ان على بضعة اميال من حدود كردستان شمالاً بلدة بوغاز كوى عاصمة المملكة الحثية القديمة حيث اكتشف ونكلر سنة ١٩٠٨ آثاراً عليها كتابات حثية ناجى بها ملوك حثّ آلهة الآريين مثرا وفارونا واندرا ونساتيا واستمطروا الرحمة منهم كما استمطروها من آلهة حثّ . وتاريخ هذه الكتابات سنة ١٣٨٠ قبل الميلاد . وقد سمّي فيها ملوك حثّ وقومهم « هاري » . وفي كتابات فارسية وجدت بعد ذلك بتسعة قرون سمّى زركسيس وداريوس نفسهما « هاريا » اي آريين

لذلك يقال ان الكرد سلالة غزاة الآريين وقد حافظوا على شكلهم ولغتهم ما يزيد على ٣٣٠٠ سنة

العلوم الحديثة وفضلها على الانسان

ذكر استوالد (Ostwald) في كتابهِ الفلسفة الطبيعية مذهبهُ في تعريف العلوم فقال « العلوم هي استنتاج ما سيحصل مما نعلمهُ من دقائق الامور المتكررة » وبين ان المعرفة التي لا نستطيع ان نتنبأ بواسطتها عن صورة المستقبل لا تعد من العلوم بل عدها ضمن اللعب. فالعالم الانساني لا يستفيد شيئاً من لاعب الشطرنج وهو لا ينبغي له ان يتطلب اهتمام سواهُ بلعبتهِ كما لا ينبغي لسواهُ ان يمنعهُ عن التمتع بلعبها ما دامت لا تضر الانسان فالتاريخ على حسب هذا التعريف لا يعد من العلوم اذا تناسى المشتغلون بهِ او لم يستطيعوا ان يستفتجوا من علم ما مضى حوادث المستقبل فيستفيد العالم منهُ

هذا التعريف في ذاتهِ تعريف للعلوم في اعم واوسع معانيها ولكن اريد ان اعرّف العلوم في هذا المقال تعريفاً نكون بهِ اقرب الى ادراك حقيقتها وفهم بعض مميزاتها ولذلك ارى ان اعرفها بطريقتها التي يتبعها الباحثون في ابحاثهم الحديثة والتي امتازت بها معارف العصور الحاضرة عن معارف العصور الغابرة واستطاع الانسان بها ان يقرب من الحقيقة. هذه الطريقة وصفها كارل بيرسن (Karl Pearson) بقولهِ « ان في ترتيب الحقائق وتكوين حكمنا مؤسساً على ذلك الترتيب لا على هوى النفوس — الغرض الذي ترمي اليهِ العلوم وجوهر الطريقة العلمية الحديثة » فطريقة العلوم الحديثة تبتدئ بجمع الحقائق وترتيبها لادراك انسجامها وارتباطها والوقوف على اهمياتها النسبية ثم تستنتج غير جاعلة لشعور شخصي او عاطفة دينية او قومية دخلاً في الامر. هذه هي الطريقة العلمية وارى ان كل ما يتبع فيهِ هذه الطريقة يعد من العلوم

وقد تتبع هذه الطريقة الآن في مباحث عدة تشمل موضوعات هذا العالم العظيم ولذلك تعددت العلوم الحديثة واختلفت ومع ذلك فان بينها جميعاً ارتباطاً تامًّا ولا يصح لنا ان ننظر اليها نظرنا الى اقسام مستقلة لا علاقة بينها. فكان اذن موضوع تقسيمها ليس من الموضوعات السهلة. وقد اختلفت في هذا الشأن العلماء باختلاف العصور لاتساع دائرة العلوم بما يجرى من الابحاث والتجارب كل يوم. ولربما كان اكبر داع لتضارب آراء العلماء بخصوص تقسيم العلوم قصر بعض الموضوعات على بعض العلوم دون غيرها مع انهُ قد تتعدد مواضع الاشراف على تلك الموضوعات وتدخل بذلك ضمن عدة علوم

ولا يخلو موضوع تقسيم العلوم من مزايا فان البحث فيهِ مما ينبه العقول الى مسائل ذات

اهمية كبرى · فلا يخفى مثلاً ما في معرفة مركز علم الاجتماع بين سائر العلوم من الاهمية على المجتمع الانساني · وان درسنا للعالم لا يكون كاملاً ما لم تكن بين ايدينا خريطة تبين لنا علاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض فان لها مع تعددها وكثرة فروعها وحدانية يجب ان نؤكدها لانها كلها ترمي الى غرض واحد · ولقد يقدر تقدمها نحو الكمال بادراكنا درجة القرابة بينها · والفروع التي تتفرع اليها العلوم اصطلاحية اكثر منها غير ذلك والغرض منها سهولة الغلبة على الموضوعات العلمية · فمع ان عامة الناس لا يصعب عليهم ان يتصوروا الفرق بين النباتات والحيوانات فان العلماء لا يستطيعون تحديد مبادئ تلك المملكتين تحديداً دقيقاً وكذا مثلاً في علمي الطبيعة والكيمياء

وقد قسم استوالد العلوم الى ثلاثة اقسام سمّى القسم الاول منها العلوم الدقيقة او العلوم المحكمة وهو يشمل علم المنطق والرياضة والهندسة والحركة · وسمى القسم الثاني العلوم الطبيعية وهو يشمل الميكانيكا والطبيعة والكيمياء · وسمى الثالث العلوم الحيوية وهو يشمل الفسيولوجيا والسيكولوجيا (علم النفس) والسوشيولوجيا (علم الاجتماع) وقد رتبها على هذا السياق لتأتي بحسب الاعم وبحيث يتوقف العلم على تعميمات العلوم التي تسبقهُ · فعلم الطبيعة مثلاً لا تفهم نظرياتهُ ويستحيل التوسع فيها بالمام يسير بالعلوم الرياضية · كما ان الرياضة نفسها تتوقف كلية على المنطق · وطالب الفسيولوجيا لا يمكنهُ درسها بدون ان يحيط بمبادئ العلوم الطبيعية من طبيعة وكيمياء · وعرّف استوالد علم الفسيولوجيا بانهُ يبحث في الظواهر الحيوية ما عدا الظواهر النفسية او العقلية اي يدخل تحت لفظة فسيولوجيا علم النبات والحيوان وعلم وظائف اعضاء النباتات والحيوانات والانسان

ومما يدل على ان تقسيم العلوم اصطلاحي ان كثيراً من العلماء يعدون علم الميكانيكا فرعاً من فروع الطبيعة · ووجود فرع من علم الكيمياء يسمى الكيمياء الطبيعية يدل على انهُ لا يوجد حد فاصل بين الطبيعة والكيمياء

هذه العلوم العديدة توصلنا الى الوقوف على قوانين الطبيعة ودرس نظام العالم وظواهره · والاعتقاد الشائع ان العلوم تشرح اسرار العالم وتحل بها ألغاز الكون نشأ عن غلو ومبالغة · فالعلوم لا تشرح ظواهر الكون بالمعنى الذي يفهم من لفظة « شرح » وانما هي تحلل تلك الظواهر المعقدة الى عواملها التي تتركب منها · ولو قيل ان العلوم الطبيعية شرحت او علّلت ظاهرة المد والجزر او ان العلوم الحيوية جعلت بعض وظائف الجسم اكثر بياناً ووضوحاً فلا يعنى بذلك الأ الوصول الى ادراك الحقائق المرتبطة بهذه الامور و كشف علاقتها

بقانون عام . كذلك اذا قلنا مثلاً ان العلوم عللت سير الكواكب في النظام الشمسي واوقفتنا على اسرار مجاريها فاننا لا نعني بذلك الأ اننا عرفنا علاقة ما يختص بحركة هذه الكواكب بقانون عام وهو قانون الجاذبية . وهذا القانون لا يتعدى كونهُ وصفاً لتلك الحركة كما كانت قوانين كبلر (Kepler) قبلهُ الأ ان هذا الوصف ادق واوجز بل ابلغ من تلك الاوصاف الثلاثة التي تعرف بقوانين كبلر لانهُ يشملها جميعاً ويمكننا استنتاجها منهُ

الى هنا تنتهي وظيفة العلوم فان وظيفتها الحقيقية هي وصف العالم امَّا علة جري الكواكب على هذا القانون فليس البحث فيها من اختصاص العلوم . ولا غرابة ابداً في هذا التصريح فلو قيل مثلاً ان الكواكب تتجاذب لانها مادية فليس ذلك جواباً شافياً لان علة تجاذب المادة تظل غامضة . ولو قيل ان المادة تتجاذب لانها نافورات من الاثير يتدفق الاثير منها فان علة تكوين هذه النافورات الاثيرية تظل بعد ذلك غامضة . وفي هذه الايام وقد تقدم علم الطبيعة تقدماً مدهشاً حتى استطعنا ان نحلل الظواهر الطبيعية الى الالكترونات يبقى امامنا تعليل خواص هذه الالكترونات وكنهها حتى ولو ذهبنا الى انها مراكز اجهاد في الاثير يبقى امامنا الاثير سرّاً غامضاً . فالعلوم الحديثة لا تبحث في الكمية بل تبحث فقط في الكيفية وذلك بان تصف لنا كيفية حدوث امور هذا الكون كما نشاهدها وصفاً تامّاً موجزاً حيث تستعاض جملة قصيرة يسمونها قانوناً طبيعيّاً بمعانٍ جمة لا توفي حقها الأ مجلدات ضخام

وقد يذهب بعض الكتّاب الى وجوب اقرارنا بخروج بعض موضوعاتنا عن دائرة العلوم . الأ ان ذلك قول لا صحة فيهِ وقد بيّن ذلك الاستاذ كارل بيرسن في مقال طويل حيث شنَّ الغارة على الفلاسفة « الذين يشرحون ظواهر الكون وهم لا يلمون ولا باليسير من مبادىء العلوم الطبيعية » فلو خرجت مباحث النفسيات او ما وراء المادة عن دائرة العلوم لكان ذلك لعدم اتباع الطريقة العلمية الحديثة في تلك المباحث اي لعدم الابتداء بجمع الحقائق وترتيبها والبحث في علاقاتها بعضها ببعض واستنتاج ما نستنتج من تلك الحقائق المجموعة غير مندفعين تحت تأثير اميالنا النفسية او عواطفنا التي يجب الأ يكون لها دخل في هذه الامور . فباتباع هذه الطريقة فقط يمكن الوصول الى الحقيقة . وقد لا يمنع البحث احياناً لاغترارنا بظواهر الامور واعتبارنا بعض الاباطيل والاوهام حقائق نجعلها اساس استنتاجاتنا واحكامنا او لعدم درسنا عدداً كافياً من تلك الحقائق تكون دعائم تقوى على حمل ما يبنى عليها

فظواهر السحر التي كانت تعد حقائق في القرون الوسطى اتضح لنا الآن انها ما كانت الأ اوهاماً ما لها دليل . اما كيمياء تلك القرون فقد كانت خليطاً بين اوهام وحقائق وبتوالي

البحث عزز جانب تلك الحقائق القليلة واضيف اليها عدد كبير غيرها حتى تدرج من كيمياء تلك القرون علم الكيمياء الحديث

فعجز العلوم في وقتنا هذا عن ان تحكم حكماً نهائياً في المسائل الروحية او العقلية او غيرها لا ينبغي ان يحملنا على القول بان باع العلوم اقصر من ان يحلها فكما حلّت مسائل عدت عويصة في الماضي سيحل رجال المستقبل المسائل التي تعد عويصة الآن . وما على رجال العلوم الأ ان يجمعوا من الحقائق ويجروا من التجارب ما يستطيعون بهِ ان يعرفوا علاقة تلك الظواهر بعضها ببعض و بغيرها من الظواهر الطبيعية الاخرى

ولذلك قام في اواخر القرن الماضي جمع من رجال العلوم وعظماء الكتاب من الانجليز بتأسيس جمعية لجمع المشاهدات واجراء التجارب المتعلقة بما كان قد شاع وفتشر من اخبار التنويم المغناطيسي وتحضير الارواح وغير ذلك من المسائل الروحية حتى يندمج البحث في هذه الامور ضمن المباحث العلمية لو كانت على حقيقة و يتأسس بذلك فرع من العلوم يبحث في الروحيات او يقام الدليل على بطلانها فتندمج ضمن الخزعبلات والاوهام كما اندمج مثلاً السحر من قبل . ويجب في هذه الامور عدم التحيز او الاسراع في الحكم (لانها لا شك لا تكون خالصة من الغش والتدليس) والأ تتشبث فتنكر دائماً او نصدق دائماً بل يجب ان نبحث بحثاً دقيقاً حتى نصل الى الحقيقة ونقرّبها وان آلمنا ايجادها على غير ما كنا نأمل

وان من مميزات العلوم اقرارها بالعجز عند العجز وليس في ذلك غضاضة عليها او على المشتغلين بها بل ان ذلك مما يضمن تقدمها في المستقبل اذ يظل باب الاجتهاد مفتوحاً لا يوصده جمود متخبط على غير هدى . ولا ينبغي صيانة لتقدم العلوم ان يتداخل في حقوقها وامورها فلاسفة ما وراء المادة او غيرهم من الكتاب فيقفوا حجر عثرة في سبيل تقدمها . ومن مميزاتها ايضاً الاذعان للحق عند ظهورهِ والاعتراف بالخطإ والسعي في تصحيحهِ وذلك علة ما يطرأ عليها من التغيير بتوالي البحث والدرس وليس ذلك مما ينقص من قدرها فهي في كل حالة ن احوال تطورها تحتوي على مبادئ من الصدق والحق . ولا يصح لنا ان نعد قوانين الماضي ونظرياتهِ خطأ فهي كما قال كارل پيرسن شبيهة بما يسميهِ الرياضيون التقريب الاول فاذا توصلنا اليها نجعلها عياراً للمقابلة والمقارنة فنرى عند ذلك تلك المقادير الدقيقة التي اهملها ذلك التقريب فلا تهمل تلك القوانين او النظريات بل يتوسع فيها حتى تشمل تلك المقادير الدقيقة ايضاً وتكون تلك القوانين او النظريات في كل حالة اقرب الى الحقيقة من الحالة التي قبلها . فنظرية الضوء مثلاً ابتدأت بان الضوء ذرات او دقائق صغيرة تخرج من الاجسام

المرئية الى العين وقد كانت هذه النظرية كافية لشرح انتشار الضوء على خطوط مستقيمة وهي اول ما شرح على اصولها ظاهرتا الانعكاس والانكسار وهي التي مهدت الطريق لصنع المناظير المقربة والمكبرة ولكن استكشف بعد من الظواهر ما لم تستطع تلك النظرية ان تسعهُ في ارجائها فحلت محلها نظرية التموجات وهذه ايضاً لم تلبث على حال واحد فنظرية الاثير « الصلب المرن » تبعتها نظرية التموجات المغناطيسية الكهربائية وها هي اليوم نظرية بلانك (Planck) المعروفة بنظرية الدفعات موضع بحث لدى علماء الطبيعة وتدل الاستكشافات الحديثة في تأثيرات الضوء الكهربائية والاشعاع على صحتها

فالنظريات العلمية تخرج من حال الى حال ليكمل ما ظهر من النقص فيها . والعلوم في هذا الشأن تشبه بناء يزداد كبراً وفخامة . قد تهدم منهُ اركان لا لتترك مهجورة مخربة بل ليقام مكانها ما هو افسح واكثر ملاءمة لسائر البناء

ولا يُظن الآن انهُ سيأتي يوم ينتهي الانسان فيهِ من تشييد هذا البناء . وعلماء الطبيعة خصوصاً يدرون هفوتهم في ابان منتصف القرن الماضي حيث ظنوا ان علم الطبيعة بلغ منتهى ما يمكن الوصول اليهِ وظنوا ان كل ما سيجري من التجارب فيهِ لا يكون لاستكشاف جديد بل لدقة تقدير الكميات الطبيعية . والعالم يدري ما كان مآل تلك التجارب والابحاث فقد استكشفت اشعة الكاثود (Cathode Rays) وعُرفت الالكترونات ودرست الظواهر الراديومية وكشفت اشعة اكس ففتح بذلك باب جديد في علم الطبيعة وصلنا بولوجهِ الى نتائج ونظريات لم تكن تخطر على عقول رجال القرن التاسع عشر

ونشأت تدريجاً نظرية المادة الجديدة اي ان المادة جواهرها الفردة شحنات كهربائية صغيرة . ونأمل الآن الاً يقف تقدم هذه العلوم فاذا كان التاريخ ينبئنا عن عصور زهت فيها المدنية وتقدمت فيها المعارف تبعتها عصور اندثر فيها من العالم ما اكتسب من قوة وعلم الآن للتمدن الحديث مميزات يمتاز بها على تمدن قدماء المصريين واليونان وغيرهما فالعلوم الآن منتشرة ليست محلية محصورة في بلد واحد او قاصرة على قوم دون غيرهم والتمدن الحديث اساسهُ العلوم الطبيعية التي ندرس بها قوانين الطبيعة وليس اساسهُ سفسطة فيلسوف او خياليات شاعر

وهذه العلوم الحديثة لها على الانسان فضل لا نزال نجهلهُ في هذه البلاد فقد اهتمت بأمرها الامم الراقية وشيدت لها المعاهد فترعرعت وارتقت لديهم ونحن منصرفون عنها بما لا يغني ولا يفيد

ان اول ما يخطر بالفكر من فوائد العلوم الحديثة ما نراهُ من سهولة المواصلات وسرعة الانتقال وتوفر اسباب الراحة وغير ذلك ولكن للعلوم فضلاً اكبر شأناً من هذا فانها تدرب المشتغلين بها على عدم التقيُّد بعادة او برأي وعلى البحث عن الحقائق المجردة · اي ان العلوم تدرب العقول على الطريقة العلمية فلا تكون عرضة كغيرها لتلاعب الاهواء وللانقياد للعواطف الثائرة · وفي ذلك اول واعظم فائدة تعود على الانسان من العلوم · فرجل العلوم الحديثة الذي تعوَّد ان يجمع الحقائق ويرتبها ويستنتج منها ما يستنتج من قوانين الطبيعة لا يكتفي بزخرف القول ولا يركن الى خيال ولا ينقاد لعاطفة هائجة · ومن امثال ذلك الرجل يجب ان يكون قادة الامة وساسة امورها ورجال الاصلاح والتشريع فيها · فاول فائدة تعود على المجتمع الانساني من نشر الوية العلوم الحديثة وتشجيعها والحث على الاشتغال بمباحثها وموضوعاتها هي تدريب عقول افراد ذلك المجتمع على استعمال الطريقة الوحيدة التي يمكن الانسان ان يصل بها الى الحقيقة

وللعلوم تأثير كبير في حالتنا الاجتماعية ورقي جنسنا وتمدينا وقربنا من الكمال الانساني الذي ننشدهُ فبدرس القوانين الطبيعية التي تسير عليها الحياة والظواهر التي توثّر فينا وبوقوفنا على حقيقة ارتباطنا بالطبيعة وفهم ذلك الارتباط فهماً كليًّا يمكننا ان نقوي العوامل التي تعمل في ارتقاء الجنس الانساني ونساعد الطبيعة البطيئة في سيرها على ناموس الارتقاء · وعلى محبي الانسانية الذين يساعدون الضعفاء عقلاً والضعفاء جسماً ان يستنصحوا العلوم في امورهم حتى لا يعملوا بدون علم في توفير العوامل التي تدعو الى تقهقر الجنس وانحطاطه

وللعلوم سوى هاتين الفائدتين فوائد اخرى نتمتع بها كل يوم من ايام حياتنا فتقدم الطب والجراحة والصيدلة وتقدُّم الزراعة والصناعة واستخدام قوى الطبيعة في حاجياتنا وامور معيشتنا وغير ذلك من الامور التي يمتاز بها هذا العصر كل ذلك من فضل العلوم علينا · واملنا بمواصلة البحث في العلوم بلا انقطاع ان يأتي المستقبل بما لا نتوقعهُ الآن كما اتى هذا الزمن بما لم يك في حسبان اسلافنا

وهنا مسألة هامة تخفى على من يعترض على تضييع الاوقات والاموال في كثير من الابحاث الفنية والنظريات العلمية التي لا يرى فيها فائدة تعود على العالم ويفوتهُ انهُ يتعذر علينا ان نجني فائدة عملية او نتوصل الى اختراع جديد ما لم نهتم بتلك الابحاث والنظريات · فلو لم تكن نظرية كارنو (Carnot) مثلاً وعلم الحركة الحرارية لما بلغت الآلات البخارية وغيرها ما بلغتهُ اليوم من درجة الاتقان · ولو لم يكتشف غلفني ما حدث في ارجل الضفدع

عند لمسها قضبان الحديد والنحاس لما عرفت الكهربائية الديناميكية ولما درست قوانينها ولما خطرت التيارات المتجة بالتأثير بفكر احد ولما اتصل الانسان الى استنباط التلغراف والتليفون ·

واري ان نشوء التلغراف اللاسلكي اعظم دليل على ان الابحاث والنظريات التي قد يبدو للانسان ان لا فائدة مادية منها هي التي اوصلت الانسان الى مخترعاته المدهشة فلم يكن غرض كلارك مكسول عند وضع معادلاتهِ التفاضيلة التي تمثل القوى في المجال المغناطيسي الكهربائي وعند استنتاجهِ من تلك المعادلات معادلة تمثل انتشار تموجات مغناطيسية كهربائية الأ تأسيس نظرية جديدة في الضوء وقد كانت هذه النظرية وقتئذٍ لا تخلو من صعوبات ولم يكن هناك دليل عملي على وجود مثل هذه التموجات فقام اولفر لودج وهرتز بتجاربهما في التموجات الكهربائية فتوصل الاول الى احداثها في الاسلاك والثاني الى جعلها تنتشر في الاثير وهذا ما ادَّى توًّا الى التلغراف اللاسلكي · وقد استعملت في هذه التجارب نظرية وضعها كلفن وبيّن بها ان التفريغ الكهربائي يكون تذبذبيًّا اذا توفرت شروط معلومة · فلولا معادلات مكسول ونظرية كلفن لما تنبهت العقول الى فكرة التموجات الكهربائية ولما توصل الانسان الى اختراع التلغراف اللاسلكي · وكذلك في كل المخترعات الاخرى فانها نتيجة الاشتغال بالعلوم

الأ ان العلوم لا توصلنا فقط الى المخترعات التي تعود على الانسان بالخير بل ان كل آلات الدمار والهلاك التي تستعمل الآن في هذه الحرب الهائلة من نتائج العلوم ولكن ليس اللوم راجعاً اليها فان الاتوموبيل مثلاً كما قال وليم كمبل[1] قد يستعمل لنقل الطبيب لاسعاف المريض او لنقل اللص بعيداً عن يد القانون · حقيقة ان للعلوم هذه السيئة الأ ان حسناتها عديدة تمحو تلك السيئة · فلها مثلاً تأثير غريب على رجال العمل والسياسة · وقد ذكر شوستر في خطبة الرئاسة لمجمع تقدم العلوم البريطاني مثالاً لذلك قال انهُ كان عند احد اصدقائهِ الاميركيين تلسكوب كبير فزارهُ ذات ليلة رجل من رجال السياسة المتحمسين فيها وكان حينئذٍ زمن الانتخاب لرئاسة الولايات المتحدة وكانت الاحزاب مختلفة بين ان يكون المنتخب للرئاسة برين او تافت والنضال على اشده بينها فنظر الزائر الى مجاميع النجوم بالنظارة ثم قال لصاحبها

اتقول لي ان كل نجم من هذه النجوم شمس مثل شمسنا ؟ · فقال نعم · فقال لهُ وان لكل شمس منها سيارات تدور حولها كما تدور السيارات حول شمسنا · فقال نعم · فقال لهُ

(١) المقتطف « العلم والعمران » شهر نوفمبر سنة ١٩١٥

وانهُ قد يكون في كل سيارة منها احياء كما في الارض . فقال نعم . « ففكر الزائر قليلاً ثم قام وقال . اذاً لا فرق عندي سواء تم الانتخاب لبرين او لتفت » [١]

فالاشتغال بالظواهر الطبيعية ودرس قوانينها قد يصرف الانسان عن الاهتمام بامور هو في غنى عنها وقد يبعث في افراد الامم المختلفة روح الوئام والائتلاف اذ يتعاونون جميعاً لغرض واحد وهو درس الطبيعة واستكشاف قوانينها وتبيد بذلك منهم روح التعنت والتحزب اذ لا تعنت ولا تحزُّب في العلوم . فلا نخطئ اذن لو قلنا انهُ اذا انتشرت العلوم وارتقت بين الامم والشعوب ترتبط اطراف العالم بعضها ببعض وتصير المصالح متوقفة بعضها على بعض وتتوحد اغراض تلك الامم بتأثير العلوم فتقلُّ تدريجاً اسباب المنازعات وتصبح الارض وطناً واحداً لبني الانسان . واقد تظهر اليوم هذه الفكرة حلماً ينقضهُ قصف المدافع وانين القتلى والجرحى في ميادين القتال الا انها فكرة قد تحقق بمرور الزمن وان يكن بقاء الاقوى وتنازع البقاء ناموسين طبيعيين الا ان القوة قد تكون قوة جثمانية وقد تكون قوة عقلية والباقي عادة هو الاصلح . فالاقوى كما قال الدكتور شبلي شميل في خاتمة كتابهِ في النشوء والارتقاء ليس الاصلح دائماً وليس الاصلح واحداً في كل حال

هذا وان للعلوم فضلاً آخر فهي تسد بعض ما تتطلبهُ النفس من الجمال واللذة فالطبيعة لا شك منظرها جميل الا ان لها غير جمالها الظاهري جمالاً لا ينكشف الا بالعلوم فلا يعرف الانتظام التام بين اجزاء الطبيعة الا بالعلوم الحديثة ومن يتتبع خطواتها يجد في ذلك لذة قد تفوق لذة الانسان بقراءة رواية او قصيدة . فتجارب السير جوزف طمسن مثلاً آلت الى استكشاف الالكترون . والنظريات الرياضية المتعلقة بالالكترونات التي وضعها لارمور ولورنتز وغير ذلك من الابحاث العلمية تدل لا شك على ما لهؤلاء الرجال من الذكاء وقوة الخيال الذي لا يتعدى عالم الحقيقة الى عالم الباطل والاوهام ويجد الانسان في معرفة هذه الاشياء فضلاً عن الاشتغال بها لذة عقلية عظيمة . ولا شك ان رجال العلوم لا يدعوهم الى البحث والاستكشاف الا ما يجدونهُ من اللذة في ذلك واي لذة تضاهي ما يشعر بهِ الانسان عند الوقوف امام الطبيعة يتمتع برؤية ما فيها من الانتظام وما بين اجزائها وجزئياتها بل الكتروناتها من التأثير والحركة اللتين تحدث عنها ظواهر هذه الطبيعة العظيمة

مصطفى نظيف B. Sc. Hons.
مدرس بمدرسة طنطا الثانوية

(١) مقتطف دسمبر ١٩١٥

مصر منذ تسعين سنة

صحف التاريخ

(٧)

عزمت ان امكث بضعة شهور في بلاد العجائب والغرائب . وارأني غير آسف لما احمله من العناء في هذه الغربة وما ابذله من النفقات الكثيرة للوصول الى غرضي ورأيت ان افضل واسطة لمعرفة الحقائق عن مصر والمصريين هي الائتلاف معهم وتعوُّد معيشتهم ومجاراتهم في عوائدهم مع الصبر والحزم وطول الاناة

فمصر مرآة الزمن الغابر وعلى آثارها ومبانيها وجوامعها ومشاهدها نقرأ صحف تاريخها القديم على اختلاف تقلباتها واحكامها السياسية قرناً فقرناً . فبغداد ودمشق والقسطنطينية وغيرها من مدن الشرق القديمة لم يبقَ منها في الوجود سوى آثار ناقصة غير معروفة . ففي بغداد عاصمة الماديين والفرس لا يجد السائح اثراً لهذه الامم البائدة سوى بعض آثار دارسة وكذلك دمشق لا يجد فيها اثراً لسكانها الاراميين الاقدمين سوى بعض آثار رومانية ويونانية . والقسطنطينية فقدت على اثر الفتح الاسلامي كل آثارها اليونانية ما عدا اثراً واحداً وهو جامع اجيا صوفيا وهذه المدينة تتجدد ابنيتها كل عشرين سنة مرةً لكثرة الحرائق التي تحدث فيها يومياً فيتغير شكلها وتتبدل معالمها كلها واما مصر فلا تزال قائمة فيها كل آثار فراعنتها الاقدمين وابنيتهم وهيا كل معبوداتهم ومصنوعاتهم حتى جثثهم اسرة فاسرة . وكذلك آثار من خلفهم من حكام اليونان والرومان والفرس والعرب والاتراك . فاينما جئت في مدنها وقراها تجد اثراً قديماً . وفي اي شوارع القاهرة مررت تقرأ على جدران الجوامع وابنيتها القديمة آثار حكامها السابقين من الامويين والعباسيين والفاطميين والتركمان والسلجوقيين والايوبيين والمماليك . وابنية هذه الآثار والمعالم والجوامع اتبعت فيها الهندسة الاندلسية والصقلية وارى ان هذا الطرز من هندسة الابنية بزنطي الاصل انتقل اولاً من القسطنطينية الى دمشق وبغداد ومنها الى الاندلس على عهد الامويين ثم اتبع في مصر على عهد الخلفاء الفاطميين . ولذلك ترى آثار ابنية الاندلسيين في غرناطة وقرطبة واشبيلية تشابه تمام الشبه هندسة الجوامع والقصور القديمة في القاهرة واكثر من تولى مصر من الحكام المسلمين بنى جامعاً او قصراً او اقام سبيلاً او اثراً حميداً من عمرو بن العاص الى

ابن طولون وصلاح الدين و بيبرس الى الحاكم بامر الله والغوري الى امراء المماليك مما يدل على عظمة الاسلام في القرون المتوسطة .

ومن الغريب ان جامع عمرو الذي بناهُ فاتح مصر واحد صحابة النبي والاثر الاول الديني للاسلام لم يبق منهُ سوى بعض جدران متهدمة ومجموع خرابات واما غيرهُ من جوامع الامراء والسلاطين فمتينة البنيان مشيدة الاركان . وجامع عمرو في بقعة منفردة وبرية خاوية خالية بين القاهرة ومصر القديمة تدعى الفسطاط اي الخيمة لان هذا القائد العظيم نصب خيمتهُ في تلك البقعة فبنيت بعدهُ حولها المدينة الاسلامية الاولى ودعيت الفسطاط وبناء هذا الجامع على الطرز البيزنطي تحيطهُ الاعمدة المرمرية تستند عليها قبة عظيمة . ورأيت داخلهُ محراب الامام وهو اجمل واقدم اثر مقدس للاسلام صنع في سنة ٩٤ هجرية . و يقال في تاريخ الفتح ان حمامة بنت عشها على خيمة عمرو وآوت فيهِ صغارها ولما بدأ بنيان الجامع لم يشأ فاتح مصر وقاهر الروم ان يهدم عش هذه الحمامة ويقلق راحتها فامر ان يبنى الجامع حول الخيمة وتركها آمنة مطمئنة على وكرها واولادها

وزرت بالقرب من باب النصر جامع الخليفة الحاكم بامر الله وهو الآن مجموع اطلال دارسة في فناء ارض مسورة بالجدران العالية فهذا الحاكم لم يكتفِ بلقب الخلافة و بسلطتهِ المطلقة الاستبدادية على كل بلاد الشرق من العراق الى العربية وسورية ومصر بل اراد ان يتشبه بنيرون في ظلمِ وعتوهِ وبكاليغولا الامبراطور الروماني في كبريائهِ فالاول حرق رومية ليتفرج على خراباتها والثاني ادعى الالوهية وبنى لنفسهِ هيكلاً ليعبد فيهِ وكذلك هذا الحاكم انشأ ديناً خاصاً بهِ وامر الناس بالسجود لهُ بعد ان ملأ البلاد ظلماً وجوراً

— الخماسين —

« الخماسين » وما ادراك ما هي خمسون يوماً تهب فيها الرياح الجنوبية والشرقية المحرقة المخمدة للانفاس المذيبة للاجسام و يصعب جداً على المرء ان يخرج من دارهِ في هذه الايام قبل الساعة الرابعة حينما تهب الرياح الشمالية فتنتعش النفوس بنسماتها البحرية . واكثر الناس هنا يقضون ايام « الخماسين » اما تحت الاقبية الارضية التي لا تصلها اشعة الشمس الحارة او في الحمامات . وعلى ذكر الحمامات اقول انها كثيرة في القاهرة مبنية على الشكل البيزنطي وفي وسط كل حمام بركة كبيرة تنصب فيها المياه بشكل يبهج النظر وفوقها قبة عالية متناسبة الشكل مكسوة بزجاج مختلف الالوان وحول صحن الحمام غرف عديدة للمستحمين في كل منها اجران من الرخام للماء السخن والبارد . وهناك مخادع عديدة للغسل

والفرك والتمسيد والغطس · وفي رحبة الحمام اسرّة ومقاعد للنوم والاستراحة بعد الاستحمام تقدم فيها النارجيلة والقهوة والمشروبات حسب عادة اهل الشرق الميالين الى التنعم والراحة· ومما يجب ذكرهُ ان اكثر هؤلاء المستحمين اصحاء الاجسام لا يخشى من الاختلاط بهم خلافاً للحمامات العمومية عندنا فانهُ يجتمع فيها كثيرون من المرضى والمصدورين فالمستحمون في الشرق يطلبون التنعم والنظافة واما عندنا فيقصدون الاستشفاء

وعند ما تهب الرياح الشمالية من البحر بعد عصارى النهار يخرج الناس من منازلهم افواجاً الى الخلاء والمروج والمتنزهات لاستنشاق النسيم العليل فالنساء المسلمات يذهبن الى المدافن ويجلسن على حجارة القبور واما المسيحيون واليهود رجالاً ونساء فيذهبون الى شبرا ويسرحون تحت ظلال شجر الجميز او يجتمعون زمراً على المروج الخضراء او يجلسون على ضفاف السواقي والبحيرات · والنساء الشرقيات لهن واسطتان للتخلص من التستر وضيق الحجاب بين جدران منازلهن وهما الحمامات وزيارة القبور والرجل مهما كان شديد الغيرة على امرأتهِ ليس في وسعهِ ان يمنعها عن الذهاب الى الحمام او المدافن ولو في الاسبوع مرة واحدة وهذا الامر من حقوقها بحكم العادة

وكل سائح اوربي اتبع طريقتي في المعيشة الشرقية واشترى مثلي جارية يجب ان يضع بازاء عينيهِ ما يلقى من المصاعب · وقعت في اشد الحيرة في كيفية الـبرمع جاريتي · هل امنعها من الخروج كباقي النساء وحرية الاوربي تأبى هذه المعاملة القاسية· ومن جهة اخرى كيف ادع فتاة ساذجة جاهلة عوائد البلاد غريبة ان تخرج وحدها وتسير في شوارع القاهرة بلا رقيب يحرسها ثم اي زيّ تتبعهُ في لبسها أزي اوربية وعلى رأسها قبعة وهذا امر ممتهن يوجب السخرية والهزء لانها جارية · ام تلبس الملاءة والبرقع وتسير مع افرنجي جنباً الى جنب ؟ وكان يجب عليّ ان احسب عواقب هذه المصاعب

وبينما كانت تصلح شعرها وتلبس ثيابها نزعت العصابة عن رأسها فرأيت على جبينها عند منبت الشعر اثر حرق مستدير على قدر قطعة النقود ومثلهُ على صدرها تحت عنقها وقد نقش عليهِ وشم ازرق يمثل قرص الشمس ولا اعلم هل كان ذلك من ضروب الزينة في بلادها ام سمة النخاس الذي اسرها · وقيل لي ان النخاسين يسمون جواريهم كما يسم الرعاة مواشيهم وغنمهم لتعرف انها ملكهم· وكان ترجماني قد قال لي انهُ يحق لي ان ارد الجارية اذا وجدت فيها عيباً ولكن نفسي الابية تأنف الالتجاء الى هذه الطريقة المعيبة وخصوصاً لان هذه الحروق ولو كانت قبيحة المنظر يمكن ان تستر بعصابة على الجبين او بحلية من الذهب

او بعقد على العنق · وكانت الجارية قد قصت خصلة من شعرها وجعلتهُ غرة على جبينها فلم يعد يرى عيبهُ · وكان انفها مخزوماً منذ الصغر للتحلي بالخزام وكفاها ورجلاها مصبوغة بالحناء على عادة نساء الشرق

∴

وعند المساء سمعت خادمي ابرهيم يناديني وفهمت منهُ ان زائراً اتى لمقابلتي فنزلت ورأيت اليهودي يوسف جالساً في المخدع ينتظرني وهو يدخن فقال لي اتيت لزيارتك وقد بلغني انك اشتريت جارية رغماً عن نصحي لك · واني لا اقصد سوى خيرك · وربما غُششتَ في الثمن لان التراجمة يتفقون غالباً مع «الجلابة» على سرقة الاجنبي · فقلت لهُ ربما كان ذلك · فقال ولا بد ان عبدالله ترجمانك اخذ من النخاس كيساً على سبيل السمسرة · وقلت ما العمل فليس في وسعي رد ما فات · قال اذا شئت ان تبيع الجارية وتخلص منها حينما ترجع الى بلادك هل تظن ان النخاس يستردها منك بالثمن الذي اشتريتها منهُ قلت ومن قال لك اني سابيعها اذا رجعت الى بلادي · قال لو اتبعت نصيحتي لكنت عقدت زواجك على فتاة قبطية من البنات اللواتي عرضنَ عليك ولكنت اقتصدت كثيراً من المال والنفقات · قلت اني لا اريد ان ارتبط بزواج ديني حسبما طُلب مني · قال ولكنك لا تعدم ايجاد وسائط اخرى وكان يجب ان تثقف بي · وفي امكاني ان اسعى لك في زواج تجددهُ متى شئت ولا يكلفك نفقات كثيرة · قلت وكيف ذلك · قال تفتش على رجل فقير صعلوك او خادم صغير من الاقباط او اولاد العرب يرضى بعقد الزواج بالفتاة التي تعجبك على حسابك ثم يطلقها و يتركها لك بدون ان يرى وجهها و يمكنك ان تجدد هذه العقد كلما شئت ابدال المرأة وهذا الزواج المستمار لا يكلفك في كل مرة سوى مال قليل

فطار صوابي من هذا الكلام المغاير لروح العدل والشرائع الانسانية وغلى الدم في عروقي وهممت ان اصفع هذا الرجل الا اني كظمت غيظي واظهرت عدم المبالاة ثم قهقهت ضحكاً · فالسائح في الشرق وخصوصاً في مصر يجب ان لا يعجب من امر ولو كان مدهشاً مستغرباً

ثم اوضح لي يوسف بالتفصيل حقيقة هذه المسألة وان كثيرين من الاورببين اتبعوها · وان اكثر النساء الفقيرات لا يرون بأساً في الزواج على هذه الطريقة اذ يجدن رجلاً يطعمهنَّ ويكسوهنَّ لكي يتخلصن من نقمة حاكم مصر الذي نفى كل المومسات الى الصعيد الاعلى وحرم على كل امرأة عزباء او ليست ذات بعل ان تسكن وحدها ان لم تكن مملوكة · وعلمت من مصدر ثقة انهُ كان في مصر منذ عشر سنين على اثر خروج الحملة الفرنسوية عدد كثير من

النساء المومسات حتى ان المشائخ علماء الدين قاموا يطلبون من الحكومة اسعادهن وابطال منازل الفجور العمومية لكن الحكومة لم تصغ الى شكواهم لانها تستفيد منهن اموالاً طائلة بما تفرضهُ عليهن من الضرائب . ولكي ترضي العلماء ابعدتهن الى المطرية في ضواحي مصر . فتفاقمت الشرور اكثر من ذي قبل وكان كثيرون من الناس يتركون زوجاتهم واولادهم ويقيمون مع العاهرات في تلك الضاحية فقام جماعة من العلماء المتدينين وعرضوا على الحكومة دفع الضرائب السنوية التي تأخذها من هؤلاء النساء وانهم يتبرعون بها عن طيبة خاطر بشرط ان تطهر مصر منهن فامر الباشا حينئذٍ بنفي كل العواهر الى اسنا في الصعيد الاعلى . واصبحت الآن هذه البلدة طيبة القديمة بؤرة الفجور والفساد ومحطاً للسياح والاجانب عندما يمرون من هناك لزيارة الآثار القديمة وصارت مدينة اسنا كابوى ثانية(١) وقد شيدت فيها القصور واقتنى فيها اولئك النساء عبيداً وجواري وحلى ثمينة على حساب السياح الاوربيين

وتأكدت ان صاحبنا يوسف لا يقصد من تكرار زياراتهِ لي وكثرة مشوراتهِ والتظاهر باخلاص الصداقة لي سوى منفعتهِ الخصوصية . فقلت لهُ في اثناء الحديث ان ما دفعتهُ ثمناً للجارية وترتيب البيت وفرشهِ اضعف ماليتي وصرت مضطراً الى اتباع الاقتصاد . فقال لي ليتك وضعت بين يدي الخمسة الاكياس التي دفعتها ثمناً للجارية لكنت في مدة وجيزة ارجعتها لك اربعة اضعافها بتجارة ورق التوت لاني اتاجر بهذا الصنف مع بعض شركاء فنشتري الورق بالجملة من اصحاب الاملاك وهو على الشجر ثم نبيعهُ مجزءا باثمان غالية للزارعين الذين يربون دود الحرير ولكن يلزمنا رأس مال ندفعهُ نقداً ثمناً للورق . والنقود في مصر قليلة جداً حتى ان المتوسط المعتاد للفائدة القانونية ٢٤ في المائة ولكننا في تجارتنا هذه نربح في المائة ١٠٠ او ١٥٠ . ولما لم يأتِ مني جواباً قال لي . والآن عندي لك نصيحة اخيرة لا اقصد فيها سوى خيرك وهي ان لا تدع ترجمانك عبد الله يكلم الجارية او يأتلف معها ولا تجعل لهُ سبيلاً للاجتماع بها لما بينهما من وحدة الجنسية والدين فربما افسد اخلاقها الساذجة او شوش افكارها وجعلها تنفر منك وربما فرت من عندك يوماً ما والتجأت الى سيد آخر يحميها من رجل اجنبي

فهذا الكلام جعل في قلبي قلقاً وهماً ورأيت شيئاً من الصواب في نصيحته هذه ولو لم يقصد بها سوى النكاية بترجماني لكوني اشتريت الجارية بواسطتهِ من غير ان استشيرهُ .

---

(١) كابوى مدينة في ايطاليا اشتهرت منذ القدم بالفساد والفجور ولم تزل الى الآن مجتمعاً لفاسدي الاخلاق والآداب تؤمها العواهر من جميع البلاد وهي محط رحال السياح من جميع انحاء اوربا وكلمة كابوى في ايطاليا اضحت من مترادفات الفجور والفساد

وحقيقة الامر اذا كان يصعب على الشرقي المحافظة على زوجته فكم بالاحرى يصعب عليَّ وانا اجنبي ان احافظ على فتاة غريبة عني جنساً وديناً ولغة واخلاقاً . والى الآن لا اعلم شيئاً من امرها سوى اسمها . هل اقتني عبداً خصياً (اغا) ليحافظ عليها و يرافقها في خروجها ودخولها او هل اطلق لها الحرية والاستقلال في العمل كصاحبة رجل فرنسوي حرّ . ان يوسف اليهودي هذا يحذرني من ترجماني ولكن الفطنة تقضي عليَّ ان احذرهما كليهما معاً

وكان عبد الله قد تركني في الصباح وذهب الى السويس ليستقبل بعض الانكليز القادمين من الهند فعزمت عند رجوعه ان اصرفهُ من خدمتي اقتصاداً لمرتبهِ وفكرت في ان بُعدهُ عني يضطرني للاهتمام بدرس اللغة العربية او التقاط بعض عبارات ضرورية من الجارية تكفي لتبادل الكلام بيننا . قال اللورد بيرون ان افضل واسطة لمن يريد ان يتكلم لغة امرأة يعيش معها منفرداً ولا يعتمد الأ على بعض كتب ابتدائية . وحقيقةً ان التمرن على الكلام افضل من الانكباب على المعجمات والتراجم . ولما انصرف يوسف من عندي صعدت الى غرفتي فرأيت زينب واقفة امام النافذة المطلة على الشارع تتطلع يميناً و يساراً من وراء « المشربية » فاقتربت منها وهي لا تشعر ورأيتها تحدق بنظرها الى بيت مجاور وكان هناك ضابطان تركيان جالسان عند مدخل الدار يدخنان فادركت ان وراء ذلك خطراً ادبياً يجب تلافيهِ ولما اردت ان افهمها بطريقة لطيفة ودية ان تبتعد عن النافذة امتنع عليَّ النطق بكلمة عربية تعبر عن رغبتي . وفكرت ان كلمة « طيّب » التي لا اعرف سواها تؤدي عكس المراد فخطرت على بالي اداة النفي « لا » فوقفت بازاء الجارية ووضعت كفي على جبهتي وقلت لها « لا لا » فحدقت بي تحديقاً يقرب الى البلاهة ورأيت انها لم تفهم قصدي فقبضت على يدها برفقٍ وقدتها الى المقعد واومأت اليها بالجلوس . ثم وضعت يدي على فمي مشيراً اليها ان قد حان وقت الاكل . وبعد قليل ناداني طباخي مصطفى فخرجت ورأيتهُ حاملاً مائدة مستديرة وعليها اطباق الاكل فقلت لهُ « بونو بونو » اي حسناً فعلت واومأت اليهِ بالانتظار ثم دخلت واظهرت لزينب اشارة ان تضع النقاب على رأسها ففعلت ودخل مصطفى ووضع السفرة وخرج واغلق الباب

وكان بين اصناف الاكل دجاجة مطبوخة بالارز وقلقاس ورؤس بصل كبيرة عائمة في مرق متبل بالخردل فوضعت كرسيين حول السفرة وجلست على احداها واومأت اليها بالجلوس فاظهرت الاباء وحولت رأسها الى النافذة فظننت انها لا تتمكن من الاكل وهي على كرسي عالٍ والسفرة واطئة فنهضت واحضرت وسادة ووضعتها بدلاً من الكرسي واشرت

اليها بالجلوس فزادت اباء ونفوراً فقلت لها بلغتي هل تريدين ياعزيزتي المسكينة ان تموتي جوعاً

قلت ذلك وانا عالم انها لم تفهم كلمة واحدة ولكني عبرت عن عواطفي نحوها . . . وامصيبتاه ما العمل كيف اتفاهم معها فجعلت اومي اليها ان تجلس وتأكل مردداً لفظة « طيب طيب » وكل ذلك لم يفد شيئاً لانها ظلت محولة وجهها عني واخيراً بعد الالحاح قالت لي « ما فيش » فلم افهم قصدها فظننت بعد التفكر ان الفتاة جاوية وربما كانت على دين الهنود البراهمة وهؤلاء يحرمون ذبح الحيوانات ويمتنعون عن اكل لحومها ولا يقتاتون بسوى الاغذية النباتية . ولكي اتحقق هذا الامر اخذت قطعة من الخبز وقبلتها ووضعتها على رأسي باحترام مردداً اسم « براهما » اله الهنود . الا انهُ ظهر لي انها لم تفهم شيئاً من هذه الرواية الايمائية (بانتوميم) ونقمت في سري على النخاس عبد الكريم لانهُ باعني طيراً جميلاً ولم يقل لي بما يقتات . فقدمت لها قطعة الخبز واشرت اليها ان تأكلها فرفعت يدها علامة الاباء وقالت « ما فيش » وخطر على بالي ما جرى في باريس منذ بضع سنين فان احد اصحاب المراقص احضر من الهند بعض الراقصات وكن يمتنعن عن الاكل في المطاعم العمومية ويحضرن طعامهن بايديهن من الاغذية النباتية . فعزمت ان اخرج مع الجارية بعد الغداء الى الفندق لاستطلع كنه امرها بواسطة احد التراجمة وخطر على بالي ان اذهب اولاً الى مواطني جان ولكن رأيت من عدم اللياقة والادب ان ادخلها الى حانة يجتمع فيها كثيرون من العامة . واخيراً فكرت في مدام بونوم صاحبة المكتبة الفرنسوية واذ ذاك سمع من الشارع قرع اجراس صغيرة فنهضت زينب واطلت من النافذة فنهضت على اثرها ورأيت غلاماً يقود قطيعاً صغيراً من الماعز الحلوبة في اعناق بعضها الجلاجل فأومأت اليّ باصبعها وصرخت « أيوا أيوا » فعلمت انها تريد شيئاً من الحليب . فناديت الغلام وامرت مصطفى ان يملأ اناء من الحليب فاظهرت الجارية السرور والارتياح وقالت للغلام « تعال بكرا » ففهمت انها تدعوهُ للمجيء في الغد ايضاً ثم مدَّ هذا يدهُ نحوي وصرخ « الفلوس الفلوس » فنقدهُ الطباخ ثمن الحليب ومد يدهُ ثانية وقال « بقشيش يا سيدي » فقلت لهُ مقلداً الجارية « تعال بكرا » . تعلمت وقتئذٍ كلمتين جديدتين وهما « الفلوس وتعال بكرا » وكانتا الامثولة الاولى من درس اللغة العربية

ثم اومأت اليها ان تتشح بالملاءة وتخرج معي فاظهرت الاباء والنفور وقالت « انا عاوزة حبرة » فعلمت ان هذه الجاوية تستنكف وهي مملوكة رجل افرنجي ان تظهر في الشوارع بزي النساء الفلاحات من العامة فاظهرت لها في دوري النفور والاباء وقلت لها « مافيش »

ديمتري نقولا

الحمى التيفوسية

تمهيد

منذ نحو شهرين والحميات منتشرة في القطر المصري ولاسيما في الوجه البحري كالحمى الراجعة والحمى التيفودية والحمى المستمرة والحمى المتقطعة ولكن اكثرها انتشاراً الحمى التيفوسية فما من قرية في الوجه البحري تقريباً الا دخلتها هذه الحمى

تاريخ الحمى التيفوسية في القطر المصري

شخصت هذه الحمى في القطر المصري منذ سنة ١٨٣٦ ويقول پرونر انهُ دخل مستشفى القصر العيني مرضى بهذه الحمى في ذلك الوقت لا يقلون عن ٣٠٠٠ من الجنود وان كثيرين من الاطباء اصيبوا بها وثلثي التمورجية وتوفي ثلث المرضى ما بين اليوم السابع والحادي عشر. وظهرت سنة ١٨٥١ و ١٨٥٢ وحدثت اصابات بها في القاهرة سنة ١٨٧٦ . وسنة ١٨٨٦ ظهرت في شكل وباء هي والحمى الراجعة في سجن طرة فمات من ٩٦٤ مسجوناً ١٤٨ في ابريل و ١٠٦ في مايو ومن ذلك الحين صارت اوبئتها تتوالى حتى يومنا. والظاهر ان السبب الاكبر لذلك انهُ لم يكن يبلغ عن الامراض المعدية ولم يكن يعتنى بتشخيص الحميات

وقد حدث في بلاد السرب ما يشبه ذلك حينما دخلها النمسويون من عهد قريب وادخلوا معهم الحمى التيفوسية فانها انتشرت فيها انتشاراً مريعاً وتوفي بها نحو مائة طبيب من ثلثمائة ولولا وصول البعثات الاجنبية لما انقطع الوباء وبهمتهم انحطت نسبة الوفيات الى ١٦ في المائة

كيفية انتشارها

هذه الحمى معدية جداً تنتقل بسرعة الى الممرضات والاطباء والتمورجية وحلاقي الصحة فقد شاهدت في ١٤ مستشفى قرويًا انهُ اصيب ستة من التمورجية والحلاقين ويعدى هؤلاء على الخصوص اذا كان الوباء شديد الانتشار لان الهواء يتشبع حينئذٍ بجراثيم المرض ويعتقد البعض ان جراثيم المرض تخرج من جسم المريض وتلتصق بالملابس والاثاث وانهُ يبقى كذلك مدة طويلة وعلى كل حال فالعدوى تنتقل بواسطة الاختلاط والازدحام وقد وجد اخيراً انها تنتقل بالقمل والبق ولذلك تشاهد في السجون والثكنات المزدحمة والمحلات التي لم تتوفر فيها الشروط الصحية وتشاهد عادة في اواخر فصل الشتاء وفي فصل الربيع

اسباب انتشارها في القطر المصري

اولاً الازدحام ومعيشة معظم الاهالي معيشة غير صحية وفي مساكن رديئة

ثانياً جهل الاهالي وتسترهم على المرضى وعدم اعتقاد معظمهم بالعدوى

ثالثاً تستر العمد والمشايخ على المرضى

رابعاً تستر بعض الاطباء على المرضى ايضاً كي لا يغضبوا

خامساً معالجة المرضى في منازلهم فانهُ مهما كانت شروط العزل مستوفاة فليس ما يمنع الاختلاط

واذكر على سبيل المثال حالة عشر قرى انتشر بها التيفوس وبعض تفصيلات اخرى عنها :—

نمرة القرية	عدد السكان	عدد المصابين	عدد المتوفين	عدد الذين شفوا	النسبة المئنية
من يناير للآن					
١	٣٠٣٦	١٤١	١٥	١٢٦	نسبة الوفيات داخل المستشفيات ٣ و١٢ في المئة
٢	١٥١٤٢	٣٨٩	٦٤	٣٢٥	
٣	٠٤٢٧٦	١٤٣	١٦	١٢٦	
٤	٠١٢٠٦	٠٤٨	١٦	٠٣٢	
٥	٠٠٣٢٤	٠٥٢	١٤	٠٣٨	
٦	٠٥٨٧٣	٠٥١	١٥	٠٣٦	
٧	٠١٢٣١	٠٣٧	٠٦	٠٣١	
٨	٠١٠٥٤	٠٣١	٠٥	٠٢٦	
٩	٠٢٦٧٢	٠٢٨	٢	٠٢٦	
١٠	٠٠٢٨٠	٠٣١	٠٢	٠٢٩	

اعراض المرض

شاهدت في هذا العام اصابات عديدة بهذا المرض وارى تقسيمهُ الى ثلاثة انواع النوع الاعتيادي والنوع الخبيث والنوع الخفيف. فالنوع الاعتيادي يشعر فيهِ المريض

في اول المرض بقشعريرة وألم في الرأس والظهر والساقين وترتفع حرارتهُ فتصل النهاية العظمى في اليوم الثاني او الثالث ويكون نبضهُ ممتلئاً وسريعاً ولسانهُ ابيض ثم يجف ووجههُ محتقناً وملتحمات عينيهِ محتقنة وهيئتهُ كئيبة وربما يحصل لهُ قيء. وفي الاحوال الشديدة تظهر الاضطرابات العقلية من اول ظهور المرض فيحصل للمريض هذيان وتهيج شديد وقد شاهدت احياناً التهاباً شعبيًّا ويظهر الطفح في اليوم الثالث الى الخامس اولاً على الصدر والبطن ثم على الاطراف والوجه وهذا الطفح يكون بشكل بقع وردية على الغالب بعضهُ يزول بالضغط وبعضهُ يتأثر فقط والبعض لا يزول بالمرة ويشاهد هذا الطفح بعد الوفاة

وفي الاسبوع الثاني يجف الجلد وتشتد الاعراض السابقة ويزداد الضعف والهذيان والحمى ويستلقي المريض على ظهرهِ ويدل وجههُ على الغباوة وعدم التأثر بما حولهُ وتحمر وجنتاهُ وتحتقن ملتحمات عينيهِ وتنقبض حدقتاهُ ويسرع نبضهُ جدًّا ويضعف ويظلم وجههُ وقد يحتبس بولهُ. واذا كانت الحالة شديدة فقد تنفتح عينا المريض ولكنهُ لا يرى ويجف لسانهُ ويسمر لونهُ ويتشقق وتوجد قذرات على الاسنان ويزداد التنفس سرعةً ويضعف القلب ويموت المريض من الضعف وفي الاحوال الاعتيادية ينام في نهاية الاسبوع الثاني نوماً عميقاً ويستيقظ رائق العقل وتنخفض الحرارة وينقه بسرعة ويندر حدوث نكسة

واما سير الحمى في جميع ادوار المرض فانها تبدأ مرتفعة وتبلغ نهايتها من اليوم الثالث الى الخامس وتستمر كذلك ١٢ او ١٤ يوماً ويوجد فرق ضعيف بين درجة حرارة الليل والنهار وتصل الحرارة الى ٤١,٥ درجة سنتجراد وفي الاحوال الاعتيادية لا تتعدى ٤٠ درجة سنتجراد وفي النهاية تنزل فجأة. وشاهدت في القلب ان الصوت الاول يصير ضعيفاً وشاهدت في بعض الاحوال خريراً (Systolic murmur) ويحدث احياناً احتقان في قاعدة الرئتين وزلال في البول

واما الاحوال الخبيثة فتشتد فيها هذه الاعراض جدًّا ويموت المريض في اليوم الثاني او الثالث. واما الاحوال البسيطة فلا تشاهد الاَّ في زمن الاوبئة وتشبه الانفلونزا وتشفى في ثمانية او عشرة ايام وعلى كل حال ففي جميع هذه الاحوال يكون دور التفريخ (الحضانة) من ١٢ الى ١٥ يوماً

المضاعفات

مما شاهدتهُ التهاب رئوي شعبي والتهاب سحائي والتهاب الغدة النكفية وخراج في الغدة النكفية وخراجات في النسيج الخلوي والمفاصل والتهاب في الاعصاب التي تغذي المثانة

والمستقيم والصفن وفي العصب الوركي ولم اشاهد ما سمعت عنهُ من حدوث غنغرينا في الرئة او الاصابع او الانف او شلل ولم اشاهد الالتهاب الكلوي الا في حالة واحدة

التشخيص

ادعى الكثيرون انهم اكتشفوا جرثومة هذا المرض ولكن يظهر ان ذلك لم يثبت حتى الآن ولذلك نرى ان فحص الدم بكتريولوجيا لا يشخص المرض بل ينفي وجود جراثيم حميات اخرى كالملاريا والحمى الراجعة والتيفودية وغيرها . وفي زمن الاوبئة يسهل جداً تشخيص الحمى التيفوسية وطبعاً في اول يوم المرض قد تختلط بجميع الامراض المصحوبة بحمى ولكن عند ارتفاع درجة الحرارة وظهور الطفح والاعراض السابقة تميز بسهولة من باقي الحميات

الانذار

تحصل الوفاة عادة في الاسبوع الثاني من التسمم وفي الاسبوع الثالث من الالتهاب الرئوي وفي الاسبوع الرابع من الضعف ونسبة الوفيات من ١٢ الى ٢٠ في المائة

العلاج

لا يوجد لهذه الحمى علاج خاص بل تعالج ككل الحميات اي تعالج الاعراض وافيد دواء الهواء النقي اي تفتح جميع الابواب والنوافذ بحيث يكون المريض بعيداً عن التيار الهوائي وتوجد مركبات حديثة كالكلرجيرول قيل انها تشفي التيفوس ولكنها جربت كثيراً وترك كثيرون استعمالها ويجب ازالة شعر رأس المريض وشعر الابطين والعانة ويغسل بالماء والصابون والبترول

الوقاية

لا يوجد بمصر الآن مصل واقٍ من التيفوس وقد سمعنا بوجود مصل في اميركا ولكنهُ لم يصلنا ولا نعرف كفاءتهُ واحسن طريق للوقاية هو المعيشة الصحية وعدم الاختلاط بالمرضى وعزل المرضى من المستشفيات . ويعتقد البعض ان شرب المسكرات يقي من التيفوس والامر بالعكس اذ لا شبهة ان الاكثار من المسكر يضعف مقاومة الشخص ويجعلهُ عرضه لان يصاب اكثر من غيره واذا اصيب تكون اصابتهُ شديدة وقلما ينجو منها

الدكتور محمد زكي شافعي

بالمنصورة

علم الانسان

(٣) اللغة

اعظم ما يميز الانسان عن سائر الحيوان تلك القوة التي يستهل صبية المدارس انشاءاتهم بذكرها حيث يقولون « سبحان من خلق الانسان وميزهُ على الحيوان بالنطق واللسان » . فاذا صحَّ ان اللغة بنت العقل صحَّ كذلك ان العقل ابن اللغة . وكما ان العظم قوام اللحم كذلك النطق قوام حياتنا العقلية والروحية

خصَّ الانسان بسيادة هذا الكون وآلة هذه السيادة العقل . ولا ريب انهُ لما استعان على العصر الجليدي بالنار وصمد للمموث ودب الكهوف فصرعها وعاش بعدهما كان قد صار حيواناً عاقلاً ما فتئ يرتقي حتى بلغ الاوج الذي نراهُ فيهِ الآن . وكان قد صار حيواناً مفكراً وان كانت افكارهُ ضيقة المجال قصيرة المدى . بل ان هناك قوماً يقولون انهُ كان قد صار حيواناً ناطقاً يعبّر عن تلك الافكار الضيقة باصوات ذات مقاطع ولا يتحولون عن هذا القول الأ اذا ثبت لهم ضدهُ . وعندهم ان الانسان الاول حاول الكلام حالما تعلم الوقوف منتصباً على قدميهِ فافلح في ذلك كثيراً او قليلاً

ولسنا نعلم بالتمام متى بدأ الانسان الكلام فقد تضاربت الآراء في اصل اللغة وخصوصاً في النصف الثاني من القرن الماضي لما كانت خواطر العلماء مشغولة بالمذهب الداروني . فذهب فريق الى ان مصدر الكلمات الاولى التي نطق الانسان بها اصوات حاكى بها نباح الكلب ومواء الهر وخوار الثور وعواء الذئب وهلمَّ جرًّا . وذهب فريق ثانٍ الى ان مصدرها الاصوات التي نستعملها عند هياج العواطف . وحاول فريق ثالث ان يقسم اللغات الى اصول شتى ثم يرجعها الى اصل واحد فيحلّ بذلك مسئلة اشكلت على العلماء حتى الآن وهي مسئلة تفرق الاجناس المختلفة وتوزعها على وجه الارض

على ان هذه المذاهب كانت اشبه شيء بفقاعات زاهية الالوان ما عتمت ان انفجرت واضمحلت . فان البحث في لهجات الهمج المعاصرين لنا لم يسفر عن وجود الشيء الكثير من أسماء اصوات والتقليد كما ذهب اليهِ اهل الفريق الاول والثاني . ثم ان المقابلة بين اللغات الآرية او ما تسمَّى بالهندية الاوربية (ومنها الفارسية والهندستانية) ترجعنا الى الوراء ثلاثة آلاف سنة او اربعة آلاف في الاكثر وليست هذه المدة بالشيء المذكور بالنسبة

الى زمن الانسان · وقد دل البحث ايضاً على وجود لغات ولهجات لا عدادَ لها حيث كان بعض العلماء يحاولون ارجاع اللغات كلها الى اصول قليلة · ففي اميركا الشمالية وحدها خمسون لهجة مستقلاً بعضها عن بعض · وعليهِ ازداد الاعتقاد بان الجنس واللغة ليسا متلازمين اذ ايّ عالم من علماء اللغات كان يستطيع — اعتماداً على درس اللغة الفرنسوية الحديثة وحدها دون مساعدة التاريخ — ان يكتشف ان جمهور اهل فرنسا من سلالة الغالييّن القدماء الذين كانوا يتكلمون اللغة الكلتية[١] حتى اكرهم غزاة الرومان على استبدالها بشكل من اشكال اللغة اللاتينية · ثم ان اللغة الكلتية في دورها كانت قد حلّت قبل ذلك بزمان قصير محلّ لغة اخرى ربما كانت قريبة من اللغة الباسكية[٢] التي لا تزال حية الى الآن · ولكن ذلك لا يستلزم كون غزاة الكليتين حلّوا محل الذين غزوا بلادهم كلهم ومحوهم كما محت اللغة الكلتية اللغة السابقة لها · والخلاصة ان الاجناس سهلة التمازج اما اللغات فلا تتمازج الاَّ نادراً

ولكن طرق تفاهم الناس عموماً واحدة في كل مكان وان تكن لغاتهم متباعدة تباعداً تامّاً · وهذه الطرق[٣] المشار اليها هي الكلام والرمز والاشارة والكتابة وقرع الطبول وايقاد النيران وغير ذلك مما يكاد شيوعهُ يحجب عنا عظم شأنهِ ومعناهُ

وغنيٌّ عن البيان ان علم الانسان لا تقوم لهُ قائمة بلا مساعدة علم اللغة · فان فهم لغة قوم تريد البحث في اصلهم وفصلهم انما هو اهمّ ادوات البحث · لذلك لا غنى عن ان يكون الباحث في علم الانسان متضلعاً من علم اللغة عارفاً موضع كلّ لغة يدرسها من التاريخ قادراً على بيان ادوار نموها وتقلّبها تبعاً لحاجات زمانها و بيان علاقة الالفاظ بالمعاني

لو سئل رجل غير متضلع من علم اللغات ما هي الصورة القائمة في ذهنك عن لغة هذه القبيلة او تلك من القبائل الهمجية لأجاب انها اولاً قليلة الالفاظ · وثانياً ان تلك الالفاظ قصيرة المباني شاملة المعاني او هي اصول قليلة الفروع اولا فروع لها كرجل ودبّ واكل وقتل وهلمَّ جرًّا · والحقيقة ليست كذلك · فان اهل ارخبيل تيبرا فوبجو مثلاً (الارخبيل الواقع

(١) الكلتية او السلتية Celtic

(٢) لغة الباسك في غرب فرنسا وشمال اسبانيا بشرق

(٣) وقد سماها العرب الدوالّ او الدلالات وقال بعضهم انها اربع و بعضهم خمس وهي اللفظ والاشارة والعقد والخط والنصبة او الحال الناطقة بسكوتها

في اقصى اميركا الجنوبية جنوباً) ليسوا من الحضارة في شيء ومع ذلك فقد وجد عالم حاول وضع قاموس للغتهم ان فيها ٣٠ الف كلمة بعد طرح كثير من الكلمات التي لا شأن لها . ففي تلك اللغة عشرون كلمة او ضميراً بمعنى هو وهي . وفيها اسمان للشمس واسمان للقمر واسمان للبدر . وفي كلٍّ من الاسمين الاخيرين اربعة مقاطع وليس احدها مشتقاً من الآخر او مشتركاً معهُ في اصلهِ . فالالفاظ عندهم كثيرة والمعاني قليلة وهم يعبرون بتلك الالفاظ او الاصوات طالت ام قصرت عن مرادهم ولو بطريقة ناقصة ولكنهم لا يتبادلون الافكار والآراء التي هي وحدها « نقود » الفكر الصحيح

مثال ذلك « قطعت ساق الغزال عند مفصلهِ بقطعة صوان » فان هذه العبارة تؤدي الى ذهن المخاطب معنى المتكلم مجرَّداً من غير نظر الى ما قد ينطوي تحت ذلك من التفاصيل والمعاني الاخرى ككون المتكلم كان جائعاً ومتعجلاً يهيئ صيدهُ لنفسهِ ولغيرهِ الى آخر ما هنالك . وما يقال في لغة هؤلاء الاقوام يقال ايضاً في لغة سائر الهمج فانهم يحشدون عدداً كبيراً من الاصوات والمقاطع في كلمة او عبارة واحدة لتعبر عن مرادهم مفصلاً من مثل العمل وغايتهِ وآلتهِ ووقتهِ وسائر ما يتبع ذلك من الحركات والسكنات . فكلمة « ماميهلاپينتاپيا » في لغة الفوجيين المذكورين تعني « نظر كلٌّ الى الآخر وهو آملٌ انهُ يقترح عمل شيء يرغب كلٌّ منهما فيهِ ولكنهما يأبيان عملهُ » . ولما كانت هذه الحالة لا يمكن ان تتكرر بجميع مفصلاتها وكانت الكلمة المذكورة موضوعة لها دون غيرها فظاهر ان هذه الكلمة قد لا يلفظ بها الاَّ مرة واحدة في العمر . وعليهِ لا يفتح الواحد منهم فاهُ الاَّ ليلفظ بكلمة او عبارة جديدة لا وجود لها قبلاً . وهذا امرٌ على غرابتهِ يفسّر لنا ميل الاقوام الهمجية الى تغيير اخلاقهم وصفاتهم في زمن وجيز

مثال آخر من لغة اخرى وهي لغة « هورون اروكويز » ففيها لفظة « اسكويرهون » تعني « ذهبت الى الماء » ولفظة « ستسنها » « اذهب الى الماء » ولفظة « اوندكوها » « في الدلو ماء » ولفظة دوستنتيواشاريت « في القدر ماء » . ولكنهم اذا ارادوا الماء وحدهُ فعندهم لهُ لفظة « اوين » . كذلك تستطيع بهذه اللغة ان تعبر باصوات خاصة عن عشرين نوعاً من انواع القطع المختلفة مثلاً ولكن لا كلمة فيها للقطع المجرَّد . فلا عجب والحالة هذه اذا رأى العالم المشار اليهِ انهُ مضطر الى وضع قاموس ضخم للغة الفوجيين . والكلمات « ابي » و « ابوك » و « ابوهُ » و « ابيها » في لغة الزولو الفاظ تختلف بعضها عن بعض

غير مشترك في شيء اي ابن . لفظة اب الموجودة في الكلمات الاربع المذكورة ليس لها ما يقابلها في لغة الزولو

من هذا ترى ان ارتقاء لغة ما هو انتقالها من هذه الصور التركيبية الى الصور التحليلية فان الفاظ اللغة اسماءها وافعالها وحروفها اشبه الاشياء بصندوق القطع الخشبية التي يلهى بها الاطفال فانك لا تستطيع ان تركّب بها تراكيب جديدة على ما تشاء الاّ اذا كانت مستقلاً بعضها عن بعض . وترتيب الكلمات ووجود النبرة فيها كافيان لتركيب الجمل والعبارات . والواجب ان تكون كل كلمة مستقلة عن غيرها قائمة بنفسها . وكلّ ما يطرأ عليها من التغيير بانتقال النبرة من طرف فيها الى طرف او بادخال المزيدات عليها يفضي الى تخصيص معناها وتضييق دائرة استعمالها . وقد يبقى معنى الكاتب مضطرباً مشوشاً مع استعمال ابسط العبارات والتراكيب ولكنهُ لا يبلغ الى درجة سامية في التعبير عن معانيهِ اذا كانت لغتهُ قاصرة ليس لالفاظها معانٍ محدودة . نعم ان التفكير بلا كلام ليس مستحيلاً ولكن كون الكلمات مفرغة في قوالب معينة يسهّل تفاهم الناس وتخاطبهم اذا عبرنا عن كل معنى باللفظ الخاص بهِ

ومن غريب ما يذكر عن بعض لغات الهمج ان في تراكيب الفاظها مميزات تختلف باختلاف المعاني . فعندهم علامة للعاقل وعلامة لغير العاقل . وعلامة للملك الثابت واخرى للمنتقل . فاذا اراد احدهم ان يقول « يدي » وهي ملك ثابت استعمل ضميراً يخالف الضمير الذي يستعملهُ للفظة « قاربي » وهي ملك منتقل . « وولدي » عندهم مثل « يدي » اي ملك ثابت غير منتقل . واذا ارادوا الكلام عن الرجل بحضورهِ قالوا « اينيها » وعن المرأة بحضورها قالوا « اناها » اما الغائب والغائبة فلهما الفاظ اخرى تعبر عنهما وعن اختلاف حركاتهما . واذا كان الرجل والمرأة جالسين قالوا عن الاول « هنيها » وعن الثانية « هانيها » وهكذا اذا كانا ماشيين او راكبين او نائمين او كان الكلام عنهما منفردين او مشتركين مع غيرهما

وفي البعض الآخر صورتان للضمير « نحن » صورة تعني « كلنا » وصورة تعني « بعضنا » ولذلك ترى المبشرين في هذه القبائل يعنون باختيار الصورة اللازمة . فاذا اراد احدهم ان يقول « نحن اخطأنا » اي كلنا وجب ان يستعمل الكلمة الشاملة والاّ ظن السامعون ان طغمة المبشرين التي هو منها اخطأت دون غيرها . واذا وقف للصلاة واراد القول « نحن اخطأنا » وجب ان يستعمل الصورة الثانية التي تعني « بعضنا » لئلاَّ يدخل الله سبحانهُ

في ذلك الحكم . ومثل هذا لفظة « انا » فقد يكون معناها « انا في الجملة » او « انا وحدي دون غيري » . واذا شاء الاب ان يتكلم عن نفسهِ وعن ابنهِ استعمل لذلك ضميراً يختلف عن الضمير الذي يستعملهُ لو اراد الكلام عن نفسهِ وعن رجل آخر معهُ غير ابنهِ . ولهم صور متعددة للدلالة على عمل اثنين مع واحد او اثنين او اكثر من اثنين في الماضي والحاضر

*

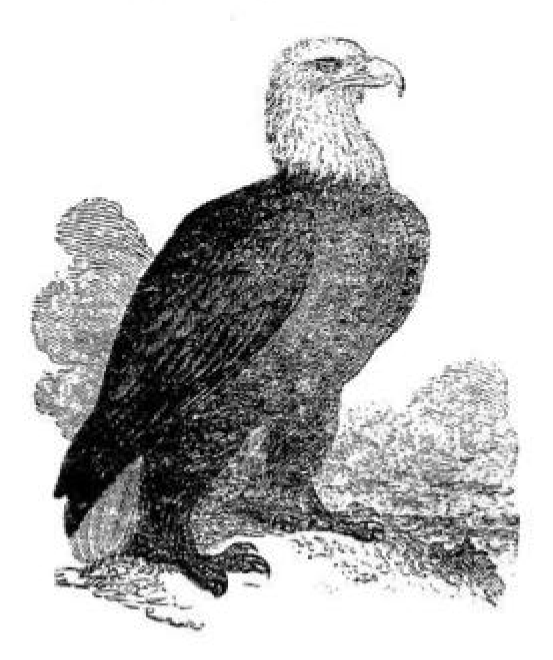
هذا وقد كان المذهب الشائع قبلاً ان لغات البشر متفرعة كلها من اصل واحد ولكنهُ مذهب لا يؤيدهُ برهان فقد يمكن ان تكون اللغات فروعاً من اصل واحد ولكنها اختلفت كل الاختلاف في كلماتها وصور تلك الكلمات حتى لم يبقَ فيها شيءٌ يدلّ على وحدة ذلك الاصل . وقد يمكن ايضاً ان تكون لهجات الناس الاولين او لغاتهم متعددة في الاصل وهذا الفرض يسهّل تفسير ما يرى من الاختلاف الكلي وعدم وجود وجه للشبه بين لغات الباسك والصينيين واهل بيرو والهوتنتوت والسنسكريت مثلاً

قلنا فيما مرّ ان الجنس واللغة ليسا امرين متلازمين اي ان لغة قوم ما ليست في نفسها برهاناً شافياً على جنسيتهم . فسكان هذا القطر من قبط وعرب وترك وسور يتكلمون العربية وهم من اربعة اجناس مختلفة . وقس على ذلك اهالي سورية و بر الاناضول وبلدان كثيرة

وفي معظم امم الارض او كلها تزاوج الغزاة الغالبون والمغزيون المغلوبون و بذلك قد تكون اللغة المتكلَّم بها نتيجة تغلّب الامم بعضها على بعض كما تكون نتيجة التقليد او اكثر منهُ . وليس حلول اللغة العربية في مصر والشام محل القبطية واليونانية والارامية سوى مثل من امثلة عديدة على موت لغات قديمة وقيام لغات جديدة مقامها

فظاهر من ذلك اي من فناء بعض اللغات وحلول لغات اخرى محلها في عهد التاريخ انهُ لا يصح قسمة الناس الى آريين وساميين وتورانيين وغير ذلك اعتماداً على شهادة اللغة فقط اذ اللغة شاهد مجروح الشهادة

بين النسر والسنور



سمّوهُ نسراً فهو أليَق بهِ ولو قال علماءُ الحيوان انهُ العقاب . وصف احد الكتّاب حرباً خيالية دارت رحاها بين النسر والسنور البري قال صمتَ الزاغ وهو نادر الصمت وسكنت القطا وهي دائمة الحركة . واسرعت الارانب الى اوجارها او وقفت على مقربة منها حتى تبادر اليها عند اقل اشارة كأنَّ هذه الحيوانات توقّعت عدوًّا مفاجئًا وشرًّا مستطيرًا

أخافت من الصقر . ها كهُ على صخرةٍ واقفاً مبهوتاً لا يبدي حراكاً ولو اتيح لهُ لقلّد النسر على جاري عادتهِ وعاث بينها فساداً لكن لسان الحال ناداهُ أطرق كرى ان النعامة في القرى . فوقف ولكنهُ لم يطرق بل احدق في الجو كأنَّ شيئًا فيهِ استهواهُ

ومن عادة السنور البري وهو اكبر الضواري في ذلك الوادي ان يخرج ويتشمّس في الضاحية فهرول الآن الى وجرهِ ووقف فيهِ وعيناهُ تقدحان شررًا حتى تحسبهما سراجين وقّادين

واتضح حينئذٍ ان كل الحيوانات التي هناك كانت ترقب شيئًا آتياً من جهة الشمس ولم

يكن الأ نقطة سوداء في الجو ثم جعل يكبر رويداً رويداً باقترابهِ من تلك الحيوانات كأنهُ رآها مع بعدهِ الشاسع عنها كما رأتهُ في فزف اليها المطايا

ولم يكن الأ لحظات قليلة حتى بان انهُ طائر من الجوارح ثم اتضح انهُ النسر بعينهِ ملك الطيور . وكأن هاتفاً قال لتلك الحيوانات اصمتي فقد جاء الملك . والملك نفسهُ اعلن قدومهُ بصفير سمعهُ القاصي والداني ثم حوَّم وجثم على قنة اعلى الصخور وضمَّ جناحيهِ متأنياً غير عجول

بقي الصمت احرى كأن لا طير في تلك البقعة ولا وحش ولا شيء من خشاش الارض ولكن ملك الطيور ادرى لانهُ مارس الامور فلا تخدعهُ الظواهر وما صمتُ هذه الحيوانات في حضرتهِ الأ برهاناً على هيبتهِ وسطوتهِ

وغابت الشمس وارخى الليل سدولهُ و بزغت الكواكب ثم غابت ودار الفلك دورتهُ وطلعت ذكاء بجلالها وملك الطيور واقف على صخرهِ ينظر في عينها تارة ويجيل بصرهُ فيما حولهُ اخرى ولكنهُ لا يلقي نظرهُ حتى تردّ اليهِ نظرات من سكان الانجم والاشجار والاوكار والاوجار فانها كلها ادركت شأنهُ بسليقة موروثة ولو لم يرهُ اكثرها مرأى العين من قبلُ . وكان اميرها الذي تعنى لامرهِ فيتصرف فيها كما يشاء تصرُّف المالك بملكهِ صقراً غشوماً لهُ مع الغربان مواقع مشهورة

وقام من الغربان حينئذٍ زاغ احمق اخذ منهُ نزق الشباب كل مأخذ لاسيما وانهُ كان عاشقاً يفتش عن زاغة تيَّمتهُ فنشر جناحيهِ وطار من شجرة الى اخرى وكانهُ جهل وجود الملك على مقربة منهُ او عدَّ النسور من الصقور . الأ ان الملك لم يتجاهلهُ فنهض و بسط جناحيهِ واقبل نحو الوادي فالتفت الزاغ واذا بملك الطيور منقضٌّ عليهِ ومخالب رجليهِ تلمع كانياب اغوال فاعتراهُ الدوار وكادت روحهُ تزهق من بين جنبيهِ لكن بداهتهُ لم تفارقهُ فبسط جناحيهِ باسرع من البرق وفرَّ نحو اسفل الوادي ولسان الحال ينشدهُ اين المفرُّ والقضاة المدركُ . فان النسر انقضَّ عليهِ انقضاض البرق وخطفهُ من ابدي القدر وعاد بهِ الى مجثمهِ و بعد قليل جعلت الريح تعبث بريشهِ وملك الطيور ينعم باكل لحمهِ ومص دمهِ وسائر انواع الحيوان تطلع وتعتبر

فلندعهُ هنيهة يأكل هنيئاً مريئاً ثم نلتفت اليهِ فنراهُ ينظف مخالبهُ بمنسرهِ . ومنسرهُ يسنه على الصخر . ومن يأكل لحماً ولا ينظف يديهِ وفاهُ فهو قذر يجهل قوانين الصحة وشروط النظافة . ثم تحسحس ووقف على قدميهِ و بسط جناحيهِ والقى بنفسهِ في الهواء واطلق جناحيهِ

للريح وجعل يدور دوراناً لولبياً و يعلو رويداً رويداً الى ان بلغ عنان السماء وكاد يغيب عن الابصار كأنهُ قصد الدنو من الشمس ليتمتع بمرآها قبلما يزف و ينقض على فرائسهِ اما هو فلم يفعل ذلك ومن ادرى منهُ بمعرفة ما يصلح لهُ وقد علمتهُ التجارب وحنكتهُ السنون بعد ان بلغ من العمر عتياً

و بعد ساعة زمانية انحدر فرأتهُ الطيور والوحوش فهرب بعضها من وجههِ ووقف البعض الآخر في مكانهِ كالاصنام ومن ذلك القطا والحجال والارانب البرية واكثر الطيور الخوائض ودجاج الغاب وثلاث من الاراوي كانت ترد الماء من بحيرة في قلب الوادي وكان النسر جاء وارداً ايضاً فلم يكد يدنو منها حتى اطلقت سوقها للريح يجدّ وراءها كأنهُ يحاول اقتناصها وما هو الاَّ لاعب ثم عاد الى البحيرة وغاص في الماء فاضحى اضحوكة للناظرين. ومن يتمالك نفسهُ عن الضحك اذا رأى واحداً يحاول السباحة وهو لا يحسنها ولو كان ملكاً رفيع الشأن. وجعل يخبط كأنهُ يفتش عن شيءٍ اضاعهُ ثم وثب من الماء ووقف على الشاطئ وفي مخالبهِ سمكة حية وانتقل من الشاطئ الى قمة صخرٍ وجعل يمزق السمكة ويزدردها الى ان اتى عليها كلها ثم نظف مخالبهُ ومنسرهُ

وفي غضون ذلك نشب الخصام بين ذكرين من ذكور القطا فاستيقظ السنَّور البري من قيلولتهِ وجعل يتلصص الى ان دنا منهما ثم وقف وقفز متهيئاً للوثوب عليهما واذا بظل ظليل مرَّ عليهِ وصوت حفيف اجنحة صمَّ اذنيهِ. فالتفت فرأى النسر طائراً فوقهُ فنفش ذنبهُ ونشب كالسهم الى اعمق مكان في وجرهِ اما النسر فاستمر في طريقهِ الى ان اصاب ارنباً كانت رأتهُ اكل السمكة فظنت انهُ شبع واكتفى فلم تحاذر فاختطفها وصعد بها الى معقلهِ ومزَّق لحمها والتهم نصفهُ ثم ارخى جناحيهِ وجثم لا يبدي حراكاً لا هو بالنائم ولا هو بالمستيقظ بل بين بين كأنهُ يفكر في امرٍ عويص شغل بالهُ. وقبلما غابت الشمس استيقظ وجعل يتفلَّى و ينظف ريشهُ من اوضار الصيد والقنص ثم تمطَّى مراراً وزف جناحيهِ وسقط نحو البحيرة فعب منها كفافهُ وعاد الى الصخر فجثم وقضى الليل كلهُ لم يغمض لهُ جفن حتى اذا لاح الفجر نهض واطلق جناحيهِ للريح والتفتت الطيور والوحوش فلم ترهُ لكن هيبتهُ بقيت في نفوسها وهي تقول ان الملوك تذهب وتأوب فلم تجسر على الخروج الاَّ بعد الضحى وحينئذٍ بادر الصقر الى رمَّة الارنب والغراب الى عظام الزاغ وجعل سكان ذلك الوادي يجولون على جاري عادتهم وتمطَّى السنَّور واستلقى على صخرٍ واغمض عينيهِ آمناً لان ملك الطيور كان حينئذٍ محلقاً في عنان السماء على خمسة عشر الف قدم فوق الارض وفي مكان يبعد عن هذا المكان مئات من

الاميال وهو لا يرى شيئاً على البسيطة لان السحب كانت تحجبها عن بصره

بعد نحو اسبوع من الزمان خرج السنّور الى صخر يحيط به العوسج واستلقى عليه في عين الشمس وجعل يتمرّغ ويتمطّى ويتثاءب ثم اغمض عينيه ولو لم يغمضها لرأى ظلين يجريان على جانب الاكمة التي امامهُ ظلي نسرين لا نسر واحد فان النسر كان قد ضرب في بلاد الله يفتش عن زوجة مع انهُ بلغ من العمر عتيًا فوجدها وامتلكها بقوة مخالبهِ وجاء بها . ولما اقتربا من سياج العوسج رأيا السنور فافترقا ووقف احدهما وهو الذكر على صخر يبعد عنهُ نحو مئة ذراع وبقيت الانثى تحوم فوق السنور لكنها لم تستطع ان تخفي صوتها فسمعهُ السنور وفتح عينيهِ واذا مخالبها فوق رأسهِ وفي تلك اللحظة عينها ادركت اعصابهُ الخطر قبل الوقوع فيهِ فحركت عضلاتهِ كلها واستفزتها لعمل ما فيهِ النجاة بل ادركت اعصابهُ ذلك من مجرَّد سماعهِ الحركة فبلما فتح عينيهِ فلما فتحهما كان جسمهُ قد انسلَّ بسرعة البرق وابتعد عن مخالبها وارتمى بين العوسج فاندفعت وراءهُ ولكن تعذَّر عليها الوصول اليهِ واشواك العوسج قائمة في وجهها سياجاً لهُ

الى هنا فعل السنور فعل الحكيم المدبّر ولو وقف عند هذا الحد لنجا من مخالب الموت ولكن الغرور او حب الوطن زيَّن لهُ ان لا سلامة الأ في وجرهِ وهذا شأن السنانير فانها حكيمة اذا فعلت بالبداهة ولم تفكر وجاهلة اذا اعتمدت على عقلها السقيم وتفكيرها العقيم وكان بينهُ وبين وجرهِ خمس اذرع في ارض مكشوفة وخصيمتهُ بين العوسج يعسر عليها التملص سريعاً ولكن زوجها كان على مقربة متربصاً فلم يكد السنور يعود نحو وجرهِ حتى انقضَّ عليهِ كالقضاء المبرم . ورأى السنور ذلك فقال قضي الامر ولكن النفس عزيزة ولو نفس سنّور فانقلب على ظهرهِ وكشر عن نابيهِ وابدى مخالب كالمناجل ووقع النضال بينهُ وبين النسر وكان النسر في غيبتهِ قد التقى بقرن عنيد فحاربهُ وعاد من حربهِ مثخناً بالجراح لكنهُ بقي يعدُّ نفسهُ كفؤاً لعشرة من السنانير فاشتدَّ النضال على السنور الى ان قضى عليهِ وكانت انثاهُ قد تخلصت من العوسج فلما وقع نظرهُ عليها هش اليها وبش وصار كلهُ صبابة ونسي انهُ من القشاعم فترك لها السنور كلهُ حاسباً اياهُ وليمة العرس

وفي اليوم التالي اخذ النسران يبنيان وكرهما في قنة ذلك الشاهق وعزما على الاقامة هنالك ما دام حبل الحياة موصولاً وبطلت الفوضى في ذلك الوادي وصارت مملكة تمنى لملك مستبد

النقود العربية القديمة

القسم الاول

في نقود الارتقيين والاتابكيين والايوبيين

تواتر في هذه الايام ذكر سيرة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب . وقد نقل صاحب السعادة احمد زكي باشا امين سر مجلس الوزراء صورة قطعة من نقود الملك المذكور بالفوتوغراف وكتب الى جانبها باللغة الفرنساوية ما ترجمتهُ :

« نقود صلاح الدين من فضة ضُربت سنة ٥٨٦ هـ (١١٩٠ م) ونُقش عليها « تمثال السلطان وهو معمَّم جالس جلسة شرقية على عرشٍ وفي يسراهُ كرة والسبحة على ذراعهِ اليسرى »

قال وهذه النقود المحفوظة في دار العاديَّات البريطانية مُمَّيزة برقم ٢٧٦ على ما ذكرهُ الاستاذ ستانلي لين پول في فهرست النقود العربية وانَّ منها في ذلك المتحف ثلاث قطع غيرها مميزة برقم ٢٧٥ و ٢٧٧ و٢٧٨ . اه

ولمَّا كنتُ مولعاً بدرس النقود القديمة عزمتُ مع قصر باعي على البحث في هذا الموضوع ليتضح نوع النقود التي كانت متداولة في الاونة التي عاش فيها السلطان صلاح الدين الايوبي فيعلم هل كانت الصورة المنقوشة على نقودهِ هي صورتهُ

قال الاستاذ ستانلي لين پول في وصف الدرهم الذي نمرتهُ ٢٧٦ — وقد ذكرهُ مع نقود الدولة الايوبية — ما ترجمتهُ :

الوجه الواحد : صورة [رجلٍ] معمَّم متربع على كرسي مربع يمثل العرش وفي يسراهُ كرة (وهو يشبه نقود بني ارتق المشروحة في الجزء الثالث من هذا المصنف صفحة ١٦٨) ويعلو العرش اربع شُرفات :

Obv. Area : "Figure seated crossed-legged within square repre-"senting throne: wearing turban and holding orb in left hand : (similar "to Urtukees cp. vol. III p. 168).- Throne surmounted by four pinnacles."

وكتب حول الصورة ما يأتي :

« الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب »

وعلى الوجه الثاني « الامام الناصر لدين الله امير المؤمنين » وعلى دائرهِ « ضرب هذا الدرهم سنة ستة وثمانين وخمسماة »

وقد وصفهُ الاستاذ ستانلي لين بول كما وصف النقود الثلاثة التي تماثلهُ من النقود النحاسية لا الفضية[1] واشار الى كل واحد منها بحرفي Æ المستعملة عند ارباب الفن للنقود النحاسية كما ان الذهب يشار اليهِ بحرفي AV متصلين (Aureus) او .G (Gold) والفضة بحرف .S (Silver) في الكتب الانكليزية وبحرفي .AR (Argent) في الكتب الفرنساوية وهاك صورتهُ :





وفي دار الآثار بالقسطنطينية نقود مثل هذا باسم صلاح الدين الّا انها تختلف قليلاً في الضرب[2] وقد وصفها ادهم غالب بك مع النقود النحاسية في كتابهِ الموسوم « بفهرست نقود التركمان » المطبوع في الاستانة سنة ١٨٩٤ م صفحة ١٥١ وهي مصورة في اللوحة الثامنة من الكتاب المذكور رقم ١٨٨ وقد ضربت سنة ٥٨٦ هـ وقطرها ٢٩ مليمتراً

علينا الآن ان نبحث اين ضُرب هذا الدرهم المنسوب الى صلاح الدين وما هي الصورة المنقوشة عليهِ · ولكي نتوصل الى معرفة ذلك يجب ان نلقي نظرة اجمالية على اشكال النقود العربية التي ضُربت في الممالك الاسلامية منذ نشأتها الى عهد الدولة الايوبية

— نظرة اجمالية —

ضُرب على عهد الخلفاء الراشدين والامويين نقود مصورة اي منقوش عليها بعض الصور على طرز النقود الساسانية والرومية وكانت تعرف عند المؤرخين بالدراهم والدنانير الكسروية والهرقلية او القيصرية · وفي خلافة عبد الملك بن مروان وهو خامس خلفاء الامويين بطل صك هذه النقود وصكت النقود العربية الخالصة المعروفة عند الخاص والعام

(١) وسنأتي على ايضاح كونها من النحاس ولو سميت دراهم

(٢) ان المسكوكات القديمة لا يشابه بعضها بعضاً تماماً الّا في ما ندر وكثيراً ما يقع فيها بعض الاختلاف وان كانت مضروبة في تاريخ واحد وباسم ملك واحد

وذلك ابتداء من سنة ٧٤ — ٧٧ للهجرة · وحذا حذو عبد الملك سائر من خلفهُ من الامويين والعباسيين والفاطميين حتى الايوبيين

قال جودت باشا في تاريخهِ صفحة ٢٧٦ ما نصهُ :

« في زمن الرسالة المحمدية لم يقع اعتناء بامر السكة نظراً لكون الملة كانت في ابتداء امرها ساذجة مع بداوة العرب · فاستمرت النقود المتداولة بين الناس على الحال التي كانت عليهِ وفي الاكثر كانت تستعمل المقادير الميزانية وبالجملة فان السكة التي كانت جارية في بلاد العرب هي الدراهم والدنانير التي كانت مسكوكة بسكة ملوك الفرس والمجوس والهند والروم · وفي زمن الخلفاء الاربع رضوان الله عليهم اجمعين واوائل الدولة الاموية كانت الهمم والانظار متعلقة بامر الغزو والجهاد · ولذلك لم يقع اهتمام بضرب السكة ثم ان بعض الولاة والعمال في جهة الشرق ضربوا سكة فضية على الطرز الكسروي اعني على طرز السكة الساسانية التي كانت بالحروف البهلوية فكانوا يكتبون على حرف دائرتها اسماءهم بالحروف العربية وفي وسطها البسملة والهيللة « لا اله الاَّ الله » وقد نظرتُ الفقير كثيراً منها · واقدم سكة رأيتُها ضُربت في سنة (٢٨) هجرية في قصبة هرتك من بلاد طبرستان ورأيت مكتوباً في دائرها بالخط الكوفي « بسم الله ربي » · وفي خلافة حضرة علي كرَّم الله وجههُ كان مكتوباً على دائرة السكة التي ضُربت في سنة (٣٧) بالخط الكوفي « ولي الله » وقد رأينا مكتوباً على دائرة السكة التي ضربت (سنة ٣٨ و٣٩) بسم الله ربي » على المنوال السابق »(١)

وسنزيد الكلام ان شاء الله على النقود التي ضربت في اوائل الدولة الاموية في القسم الثاني من هذا البحث

وبعد ان مضى اربعة قرون ونصف قرن من تاريخ ابطال النقود المصورة التي كانت تضرب في اوائل الدول الاسلامية قام بنو ارتق وبنو اتابك ورجعوا الى الاسلوب الاول فنقشوا على نقودهم رسوماً ورموزاً مختلفة · وكثيراً ما كان عليها صور اشخاص يتوهم من يراها انها شبه الامراء والملوك الذين اسماؤُهم مكتوبة فيها وهي غير ذلك كما سيجيء · وها نحن شارحون الآن نقود بني ارتق ثم نقود بني اتابك ثم نقود الدولة الايوبية ولاسيما ما ضُرب منها في عهد الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب

(١) ان المسكوكات التي شاهدها جودت باشا صاحب التاريخ كان اكثرها موجوداً عند صبحي باشا احد الوزراء العثمانيين وهو اول من اهتم في المشرق بجمع النقود القديمة وتأليف الكتب في وصفها

(١) نقود بني ارتق

الامير ارتق بن اكسك من قبيلة توكمانية دخل في خدمة الب ارسلان السلجوقي سنة ٤٥٥ هـ فنال عنده حظوة لانه كان شجاعاً محنكاً في الحروب فولاه مراقبة حدود مملكته — وفي سنة ٤٧٧ هـ ارسله ملك شاه بن الب ارسلان مع فخر الدولة بن جهير لفتح ديار بكر فبذل له الامير شرف الدولة صاحب آمد (ديار بكر) مالاً وسأله ان يمن عليه بنفسه ويمكنه من الخروج من آمد . فاذن له في الخروج وكان هو على حفظ الطرق والحصار[1] وخاف الامير ارتق عاقبة تساهله مع صاحب آمد فالتجأ الى تتش بن الب ارسلان ملك دمشق ودخل في خدمته وعاونه في فتح مدينة حلب. وجزاء على مساعدته ولاه تتش بيت المقدس في سنة ٤٧٩ فملكه ومكث اميراً فيه الى ان مات سنة ٤٨٤ . فخلفه ولداه سكمان او سقمان[2] وايل غازي — وفي سنة ٤٩٠ سار امير الجيوش الافضل من مصر واستولى على بيت المقدس ففر سكمان الى الرها وسار اخوه الامير ايل غازي الى العراق

وتملك سكمان حصن كيفا وانشأ مملكة تعرف بالطبقة السكمانية ثم امتد ملكه الى آمد ومكثت هذه الطبقة مالكة حتى سنة ٦٢٩ هـ

تقدم ان الامير ايل غازي رحل الى العراق فدخل بغداد وتولى شحنة البلد ثم سار الى ماردين سنة ٥٠٢ واسس فيها مملكة ايل غازي ويعرف خلفاؤه باصحاب ماردين وميا فارقين

هذان الفرعان اهم فروع دولة بني ارتق — وهاك اسماء ملوك الطبقة السكمانية اصحاب حصن كيفا وآمد ووصف بعض نقودهم وهي كلها من نحاس :

	سنة ابتداء ملكه
الاول — الامير سكمان بن ارتق بن اكسك	٤٨٣ هـ
الثاني — ابرهيم بك سكمان	٤٩٨ «
الثالث — ركن الدين داود بن سكمان	٥٠٢ «
الرابع — فخر الدين قرا ارسلان بن داود	٥٤٣ «
الخامس — نور الدين محمد بن قرا ارسلان	٥٧٠ «
السادس — قطب الدين سكمان (الثاني) بن محمد	٥٨١ «
السابع — ناصر الدين محمود بن محمد	٥٩٧ «
الثامن — ركن الدين مسعود بن محمود	٦١٩ «

(١) تاريخ الكامل لابن الاثير جزء ١٠ — ص ٤٥ طبعة مصر سنة ١٣٠٣

(٢) كتب اسمه على نقوده سكمان كما كتبها ابن خلكان . وفي تاريخي ابن الاثير وابي الفدا سقمان بالقاف

وكان انقراض ملكهم سنة ٦٢٩ وهي السنة التي فيها انتزع الملك الكامل مدينة آمد من صاحبها مسعود وجاء بهِ الى مصر واعطاهُ اقطاعاً جليلة بديار مصر[1]

وقد رسمنا في الشكل الاول نقود بعض هؤلاء الملوك وهاك قراءة الاستاذ مرسدن الانكليزي لها وعنهُ نقلنا هذه الرسوم

رقم ١ — من نقود نور الدين محمد بن قرا ارسلان (ضرب سنة ٥٧١)

على وجههِ : صورة طائر رأسهُ رأس انسان او هو شبه ملاك وحول رأسهِ هالة وكتب على دائرهِ : سنة احد وسبعين وخمس مائة

وعلى قفاه : (ملك) الامرا محمد (بن) قرا ارسلان بن (داود بن) سكمان بن ارتق

وعلى الدائر : الامام المستضى بامر الله امير المؤمنين . وقطرهُ ٢٨ مليمتراً

رقم ٢ — من نقود قطب الدين سكمان بن محمد (ضرب سنة ٥٩٠ او ٥٩٦)

وعلى وجههِ : صورة ملاك[2] جالس في قبة والكرة بيدهِ اليمنى وعلى رأسهِ شبه تاج وفوق القبة ملاكان مجنحان : وعلى دائرهِ : سنة . . . وتسعين وخمسمائة

وعلى قفاهُ :

الناصر

ملك الامرا . . . . .
. . . . بن
داود بن سكمان
بن ارتق نصيرا

الامام / لدين الله

امير المؤ

رقم ٣ — من نقود الملك المذكور (ضرب سنة . . . . وخمس مائة)

على وجههِ : صورة رأسين متخالفين وفوقهما : « . . . خمسمائة »

وعلى قفاهُ :

الملك العادل قطب
الدين سكمان بن
محمد بن قرا ارسلان
بن ارتق معين الامام

الناصر

---

(١) تاريخ ابي الفدا الجزء ٣ ص ١٥٢ طبعة مصر

(٢) لا يمكن تحقيق اي ملك او امير هو اما الهيئة فاشبه بملوك الفرس او الهنود

واما اصحاب ماردين او ملوك ايل غازي فهم :

		تاريخ ابتداء ملكهم
الاول	نجم الدين ايل غازي بن ارتق بن اكسك	سنة ٥٠٢ هـ
الثاني	حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي	« ٥١٦ «
الثالث	نجم الدين البي بن تمرتاش	« ٥٤٧ «
الرابع	قطب الدين ايل غازي (الثاني) بن البي	« ٥٧٢ «
الخامس	حسام الدين يولق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)	« ٥٨٠ «
السادس	ناصر الدين ارتق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)	« ٥٩٧ «
السابع	نجم الدين غازي (الاول) بن ارتق ارسلان	« ٦٣٧ «
الثامن	قرا ارسلان بن غازي (الاول)	« ٦٥٨ «
التاسع	شمس الدين داود (الاول) بن قرا ارسلان	« ٦٩١ «
العاشر	نجم الدين غازي (الثاني) بن قرا ارسلان	« ٦٩٣ «
الحادي عشر	عماد الدين علي البي بن غازي (الثاني)	« ٧١٢ «
الثاني عشر	شمس الدين صالح بن غازي (الثاني)	« ٧١٢ «
الثالث عشر	داود (الثاني) بن صالح	« ٧٤٠ «
الرابع عشر	عيسى بن داود (الثاني)	« ٧٧٨ «
الخامس عشر	شهاب الدين احمد بن عيسى	« ٨١١ «

وكانت نهاية ملكهم سنة ٨١٤

وترى في الشكل الاول رسم نقود بعض هؤلاء الملوك

رقم ٤ — من نقود حسام الدين تمرتاش بن ايل غازي

على وجههِ — رأس ملك مكلل ناظر الى اليمين وهو شبه رأس الملك انطيوخوس السابع (كما في نقود ملوك سورية المعروفين بالسلوقيين) وعلى عنقهِ اسم « نجم الدين » مقلوباً

وعلى قفاهُ :

ايل غازي

الملك العالم

العادل حسا

م الدين

رقم ٥ — من نقود نجم الدين البي بن تمرتاش

على وجهه : صورة رأسين متواجهين نقش فوقها «نجم الدين» وتحتها «ملك ديار بكر» وبعدها اشارة رمزية

وعلى قفاه : صورة العذراء رافعة يدها لتبارك الملك (وهو اشبه بنقود البزنطيين في ايام ملوك كومنينوس) وعلى دائره «ابو المظفر البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق»(1)

رقم ٦ — من نقود الملك المذكور

على وجهه : صورة انسان طويل الشعر مشتمل بثوب وعلى دائره «الملك العالم العادل نجم الدين ملك ديار بكر»

وعلى قفاه : صورة رجل في عنقه قلادة وعلى رأسه تاج · وعلى دائره : «ابو المظفر البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق سنة ثمان وخمسين وخمسماية»

رقم ٧ في الشكل الثاني — من نقود قطب الدين ايل غازي (الثاني) بن البي

على وجهه : صورة شاب مكلل (ضمن شكل مربع ينظر الى العلا من الجهة اليمنى وهو اشبه بصورة الملك قسطنطين الكبير في بعض نقوده) ونقش على دائره : —

«بن البي بن تمرتاش بن ايل غازي بن ارتق»

وعلى قفاه : ايل غازي

لمولانا الملك العالم

العادل قطب الدين

ملك الامرا شاه

ديار بكر

رقم ٨ — من نقود حسام الدين يولق ارسلان بن ايل غازي [الثاني] (ضرب سنة ٥٨١ هـ)

على وجهه : تمثال رجل ملتفت الى الامام وعلى رأسه شبه اكليل وشعره معقوص وعلى دائره : «حسام الدين يولق بن ايل غازي»

وعلى قفاه : ضمن نجم مسدس : «الملك الناصر صلاح الدنيا والدين يوسف بن ايوب ضرب سنة احدى (و) ثمانين وخمس ماية»

رقم ٩ — من نقود ناصر الدين ارتق ارسلان بن ايل غازي (الثاني)

على وجهه : صورة امير متربع في جلوسه على (كرسي) مربع وبيده اليسرى كرة مستندة

---

(1) انظر المقتطف السنة الرابعة ص ٣٢١

الى صدرهِ ورأسهُ خارج الكرسي وحول رأسهِ نجمان — وعلى الدائرة :

« ناصر الدين ارتق ارسلان »

وعلى قفاهُ :

بالله

الامام المستنصر

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد

انتهى الى هنا ما اخترناهُ من شكال نقود الدولة الارتقية ونأتي الآن على نقود دولة بني اتابك ثم نذكر الاسباب التي لاجلها نُقشت الصور على هذه النقود

(٢) في نقود الاتابكية اصحاب الموصل

في سنة احدى وعشرين وخمسمائة تولى اتابك عماد الدين زنكي بن اقسنقر شحنكية بغداد استدها اليهِ السلطان محمود[1] «وكان سبب ذلك ان عماد الدين لما صعد من واسط في التجمل والجمع الذي ذكرناهُ وقام في حفظ واسط والبصرة وتلك النواحي القيام لذي عجز غيرهُ عنهُ عظم في صدر السلطان وصدور امرائهِ ٠ فلما عزم السلطان على المسير عن بغداد نظر فيمن يصلح ان يلي شحنكية العراق يأمن معهُ من الخليفة فاعتبر امراءهُ واعيان دولتهِ فلم يرَ فيهم من يقوم في هذا الامر مقام عماد الدين فاستشار في ذلك فكلٌ اشار بهِ ٠٠٠ فاسند اليهِ الولاية وفوضها اليهِ مضافة الى ما لهُ من الاقطاع وسار عن بغداد وقد اطمأَنّ قلبهُ من جهة العراق فكان الامر كما ظن »[2]

وفي سنة ٥٢٢ فتح مدينة حلب وفي سنة ثلث وثلثين ملك بعلبك وفي سنة اربع وثلثين ملك شهرزور واعمالها وفي سنة تسع وثلثين فتح مدينة الرها من الفرنج وحاصر قلعة البيرة — وفي سنة احدى واربعين وخمسمائة قتل عماد الدين وهو يحاصر قلعة جعبر — وكان سيف الدين غازي ولدهُ بمدينة شهرزور وهي اقطاعهُ فارسل اليهِ زين الدين علي كوجك نائب ابيهِ عماد الدين زنكي بالموصل يستدعيهِ الى الموصل — فحضر واستقرَّ ملك سيف الدين على البلاد — وبقي اخوهُ نور الدين بحلب وهي لهُ

---

(١) مختصر تواريخ الدول لابي الفرج ص ٣٥٢

(٢) تاريخ الكامل لابن الاثير جزء ١٠ - ٢٣٨ الطبعة المذكورة

وهاك اسما ملوك الموصل من آل اتابك : سنة ابتدا الملك

الاول	عماد الدين اتابك زنكي بن اقسنقر	٥٢١ هـ
الثاني	سيف الدين غازي (الاول) بن زنكي	٥٤١ «
الثالث	قطب الدين مودود بن زنكي	٥٤٤ «
الرابع	سيف الدين غازي (الثاني) بن مودود	٥٦٥ «
الخامس	عز الدين مسعود (الاول) بن مودود	٥٧٦ «
السادس	نور الدين ارسلان شاه (الاول) بن مسعود	٥٨٩ «
السابع	عز الدين مسعود (الثاني) بن ارسلان شاه	٦٠٧ «
الثامن	نور الدين ارسلان شاه (الثاني) بن مسعود	٦١٥ «
التاسع	ناصر الدين محمود بن مسعود	٦١٦ «

ومن اتابكة الموصل فرع آخر ملوكهُ الآتي ذكرهم :

الاول	بدر الدين لؤلؤ	ملك سنة ٦٣١ هـ
الثاني	ركن الدين اسمعيل بن لؤلؤ	« « ٦٥٧ «
الثالث	اسحق بن لؤلؤ (صاحب جزيرة ابن عمر) [١]	« « ٦٥٩ «
الرابع	علي بن لؤلؤ (صاحب سنجار) [٢]	« « ٦٦٠ «

وترى في الشكل الثاني صور النقود التي ضربها بعض اتابكة الموصل وهي

رقم ١٠ — من نقود قطب الدين مودود بن زنكي

على وجههِ : رأس انسان ملتفت قليلاً الى الشمال وفوقهُ ملاكان مجنحان وكتب على الدائر : « ستة وخمسين وخمسمائة »

وعلى قفاهُ :

بن زنكي
الملك العادل
العالم ملك امرا
الشرق والغرب
طغرلتكين اتابك

(١و٢) انظر تاريخ ابي الفدا الجزء ٣ - ٢١٣

رقم ١١ — من نقود سيف الدين غازي [الثاني] بن مودود (ضرب بالجزيرة سنة ٥٧٥ م)

على وجهه : صورة رأس عليه قلنسوة (اشبه بالنقود اليونانية)

وعلى الدائر : « لا اله الا الله محمد رسول الله »

وعلى قفاه :

ملك الامر

ا غازي بن

مودود

وعلى دائره : « بسم الله ضرب بالجزيرة سنة خمس وسبعين وخمسمائة »

رقم ١٢ — من نقود ناصر الدين محمود بن مسعود

على وجهه : صورة انسان متربع ماسك الكرة بيده اليسرى وعلى جانبي رأسه نجمان وكتب على الدائر : « ناصر الدين . . . . د [محمود]

وكتب على قفاه :

بالله

الامام المستنصر

امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد

ثم على الدائر : سنة سبع عشر وستمائة

رقم ١٣ — من نقود الملك المذكور (ضرب بالموصل سنة ٦٢٧)

على وجهه : صورة رجل متربع وهلال بين يديه مسند الى صدره

وعلى الدائر : « ضرب بالموصل سنة سبع وعشرين وستمائة »

وعلى قفاه : "لا اله الا الله محمد رسول الله الامام المستنصر بالله امير المؤمنين

وعلى دائره : ناصر الدنيا والدين اتابك . . . . . . الاشرف »

سيأتي البقية

يوسف اليان سركيس

شكسبير

اسباب شهرتهِ

ابنا في الجزء الماضي ان شكسبير اشهر رجل قام في اوربا واميركا بعد نبوليون بونابرت اذا اعتبرنا مجموع ما كُتب عنهُ في الانسكلوبيذيات المشهورة . واما اذا اعتبرنا ما كتب عنهُ في غير الانسكلوبيذيات وما لهُ من الشأن في نفوس الاوربيين والاميركيين خاصتهم وعامتهم كما يظهر من استشهادهم باقوالهِ والاقبال على مشاهدة رواياتهِ فهو اشهر من نبوليون ايضاً . ولرواياتهِ واشعارهِ المقام الاول عند الانكليز والاميركيين بعد التوراة والانجيل فترى كتَّابهم وشعراءهم وخطباءهم وجمهورهم رجالاً ونساء يرصعون اقوالهم بالدرر المقتبسة من بحرهِ

وهذه الشهرة لم يحلم بها ولا توخَّاها ولا كان لهُ في عصرهِ شيءٌ يذكر منها بل لو بنينا حكمنا على ما نالهُ منها وهو حي ثم وهو ميت الى ان مضى على وفاتهِ مئة عام لرأينا انهُ عاش ومات مثل اواسط الكتَّاب فلم يبلغ مبلغ كبار العلماء والشعراء وقواد الجيش وامراء البحر مثل نيوتن وتنسن وولنتن ونلسن بل كان كما قال فيهِ احد واصفيهِ كالمحارة التي تفرز المادة اللؤلؤية حول ذرة في جسمها فيتكون منها جوهرة غالية الثمن ترصَّع بها تيجان الملوك وهي لا تدري انها فعلت شيئاً

يدلُّك على انهُ لم يكن يعلم قيمة رواياتهِ انهُ لم يهتم بطبعها ونشرها والذين طبعوها ونشروها في حياتهِ لم يستأذنونهُ في ذلك ولا استشاروهُ ولا اعطوهُ شيئاً من ريعها ولعلهم غيَّروا وبدلوا فيها ما شاؤُوا وهو لاهٍ عنهم مكتفٍ بالمال القليل الذي كسبهُ من تمثيلها كما سيجيء في ترجمتهِ . ولم يخلف اولاداً يغارون على اسمهِ ويستفيدون من شهرتهِ فيستخدمون وسائل الشهرة العادية كحفلات التأبين واستنشاد الشعراء والنشر في الجرائد فانهُ رزق ابناً وحيداً وابنتين فابنهُ توفي قبلهُ بعشرين سنة وابنتاهُ تزوجتا ولكن مات اولادهما في حياتهما وانقطع نسلها

ولم يكن من بيت غنيّ ومجد فان اباهُ كان لحاماً او بائع جلود وكان في اول امرهِ على شيء من السعة ثم افتقر الى درجة الاملاق . وهو نفسهُ تزوج بفتاة اكبر منهُ سناً لانها كانت على شيء من الثروة ثم هرب من وجه القضاء ولجأ الى التمثيل للتعيش ولم يكن في اول الامر

ممثلاً بل كان خادماً في دار التمثيل يمسك خيول الذين يأتون راكبين ولا خدم معهم تمسك خيولهم · ثم لما انتظم بين الممثلين وظهرت براعتهُ في التمثيل وفي تأليف الروايات التمثيلية اكرمهُ اهل وطنهِ كما يكرمون كل ممثل بارع ومنشىء بليغ ولكنهم لم يغالوا في اكرامهِ · ولما توفي رثاهُ بعض اصدقائهِ ولم يبالغوا في مدحهِ بل وصفوهُ بالانس والظرف · ويستدل من ذلك كلهِ ان الشهرة التي لهُ الآن مكتسبة نشأت بعد موتهِ وتزايدت على مرور الزمن فكيف ذلك

التمثيل فن جميل وتجارة رابحة ومجالهُ واسع جداً عند الاوربيين والاميركيين لان النساء يشاركن الرجال فيهِ ولا تأنف اجمل النساء والبنات واطربهنَّ صوتاً ان تكون في عداد الممثلات · ولا يخفى ان المناظر الجميلة والاصوات المطربة تستهوي القلوب واذا اقترنت بروايات تاريخية او فكاهية كثيرة الحوادث غريبة النوادر مدهشة الوقائع مشتملة على تاريخ الامة صار لها اعظم وقع في النفوس · واذا كانت كثيرة الاشعار والاغاني وتكررت مرة بعد اخرى استظهر السامعون كثيراً منها فالفتها آذانهم وادمغتهم فصاروا يرتاحون اليها ولا يصبرون على الانقطاع عنها · واذا كانت كثيرة النكات الادبية والفكاهية ملحة بالمواعظ والحكم وجوامع الكلم طرب لها كل احد حتى العلماء وخدمة الدين · واذا تناولت كل اعمال الناس ومعايشهم رجالاً ونساء حتى يرى فيها كل احد شيئاً مما يعلمهُ او يسرُّ بهِ تناول الاقبال عليها كل الطبقات

ولكن ذلك كلهُ لا يكفي ليصير لها الشان الذي صار لروايات شكسبير بل لا بدَّ من اناس يحملون الجمهور على الرغبة في مشاهدة الروايات بكل طرق الترغيب · واتفق ان رأى البعض في صناعة التمثيل مجالاً واسعاً للكسب لانها تحتمل الرواج الى ما لا حدَّ لهُ فاستخدموا لها امهر الرجال في الالقاء والتمثيل واجمل النساء واطربهنَّ صوتاً وارشقهنَّ حركات ودفعوا لهم ولهنَّ الاجور الطائلة وجهزوا مشاهد التمثيل بما يمثلون بهِ ازياء الناس في كل العصور وانواع اسلحتهم واشكال منازلهم وطرق معيشتهم واختاروا امهر الكتَّاب لوصف التمثيل وانتقاد الممثلين والممثلات وصوروهم صوراً ترتاح لها النفوس وذكروهم وذكروهنَّ بما لا مزيد عليهِ من المدح والتبجيل فصار المرء في اوربا واميركا يهيئ ما يدفعهُ لمشاهدة التمثيل كما يهيئ ما يدفعهُ لمشترى طعامهِ ولباسهِ ويهتم بهِ اكثر مما يهتم بالمال الذي ينفقهُ على تعليم اولادهِ · والكل في ذلك سواء غنيهم وفقيرهم · ورأى هؤلاء المتاجرون بالتمثيل المكتسبون منهُ ان روايات شكسبير مُلك مشاع لا صاحب لهُ ولا يطالبهم احد بحق كما يطالبهم المنشئون فاكثروا من تمثيلها

وترغيب الناس فيها فزاد اقبالهم عليها اقبالاً وصقلتها الالسنة على مرور الزمن واشربت الافئدة معانيها ومبانيها · وقد اجمع كبار المنتقدين من الانكليز انها حرية بذلك بل هي احرى بهِ من غيرها ولو صحَّ لنا ان نبدي رأياً لترددنا كثيراً في موافقتهم ولو اتيح لنا ان نترجم هذه الروايات الى العربية لحذفنا من كل رواية ثلثها على الاقل

وقد التفتنا قُبَيل كتابة هذه السطور الى ما في هذه الروايات من الاقوال التي يتمثَّل الانكليز بها فاخترنا من الرواية الاولى وهي رواية النوء (Tempest) الاقوال التالية وترجناها وهي

الموت في البرّ افضل · فدان من القفر ولا غلوة من البحر · ماذا ترين في الزمن الغابر وظلامهِ الدامس · تركتُ الدنيا وانقطعت لتثقيف عقلي · امتهنَ ذاكرتهُ حتى صار يصدق اكاذيبهُ · لقد كانت مملكتي خزانة كتبي · نِعْمَ الارحام ولكن بئس البنون · لا يسكن الشر في بيت من الخير

ان كان للشر بيت مثل ذا طلبتْ ملائكُ الخير ان يبقى لها سكنا

كل ما فيها حسن غير ما تحيا بهِ · الشقاء يقود الى معاشرة الاشقياء · لا يطالب ميت بدَيْن · بلاغة ولا نطق

مضى زمن التصابي والاماني كاحلام بهـا يوماً نعمنا
فلا قصر ولا برج بباقٍ وما من هيكل الأ ويفنى
ودنيانا سيدركها زوالــ ولا يبقى لها في الكون مغنى
وعمر المرء نوم وهو حلم وليس لهُ ولا للعمر معنى

ولو جرينا على هذا النسق في سائر الروايات للأنا بمثل هذه الامثال والاقوال المأثورة خمسين صفحة من صفحات المقتطف فان العالم جون بارتلت جمع منها ما ملأ ١٢١ صفحة من كتابهِ المعنون بالمقتبسات المألوفة "Familiar Quotations" مع انهُ لم يستطع ان يجمع من اقوال باكون الفيلسوف الانكليزي المشهور الأ ما ملأ ثماني صفحات

ثم قلبنا بعض الروايات جزافاً من غير اختيار فترجمنا منها الاقوال التالية

سقياً لمن قوتهُ قوة جبار وتعساً لمن يستعمل قوتهُ كالجبار · آه من الانسان وخيلائهِ مُنح طرفاً من السلطة وهو اجهل الخلق بما يعد نفسهُ اعلمهم بهِ · لا دواء لضيق العيش غير الامل · الم الموت في الخوف من الموت · اشد الرزايا الشيخوخة · الالم والفقر والسجن لا تقاس بالخوف من الموت · الفضيلة لا تخشى والصلاح لا يهاب احداً

كم يضمر المرأة من شر بباطنه ووجهه كملاك النور اشراقا

لا كان فاه حانث ولا عيون مغربه

وقبلة الحب خداع من شفاه مزربة

ربيع المحبة مثل الربيع تراه دواماً اليف التقلب

ليس بانسان من لا يستطيع ان يرضي المرأة باللسان · ما اقوى المزاولة على ترسيخ العادات · لولا تقلب الانسان لكان كاملاً · لا تحرجني فتخرجني · انت وما تملك لغيرك وما الانسان الاَّ كمصباح نوره لغيره لا لنفسهِ · مَن لا ينتفع الناس بفضلهِ لا فضل لهُ · الطبيعة مُرابٍ تنتظر الشكر الكثير ممَّن تعطي والربا لما تعطيهِ · شكوكنا عدوة لنا نخسر بها ما نكسبهُ بدونها لانها تحملنا على ترك العمل رهبةً · قد يكون بين القضاة مَن هو اكبر جرماً ممن يقضون عليهِ · قد يعلو اناس بالنقائص ويهبط غيرهم بالفضائل · اقض على الخطإ لا على مرتكبهِ · بالبشاشة والترحيب تطيب الوليمة · كلام الحب همس · الصمت دليل السرور · من يسهل عليهِ التعبير عن فرحهِ ففرحهُ قليل · لا يعرف الحزن الاَّ من يعانيهِ

هذا وقد نشرنا في مجلدات المقتطف الماضية طائفة كبيرة من حكم شكسبير وجوامع كلِمهِ التي جرت مجرى الامثال عند الانكليز فلتراجع في اماكنها

وقد اجمع النقَّاد على ان شكسبير كان من اعلم الناس بطبائع الناس حتى ان الذين طبعوا رواياتهِ في حياتهِ على غير علم منهُ جعلوا الوصف المرغّب في مشتراها انها تشرح طبائع الناس على اختلاف درجاتهم وعناصرهم · ولما رثاهُ صديقهُ الحميم بن جنصن جعل بيت القصيد في رثائهِ ما ترجمتهُ

ان الطبيعة فاخرت فيهِ الملا وتسربلت ما حاكهُ في وصفها

ونظر اليهِ شعراء الانكليز كلهم من عهدهِ الى الآن نظر التلميذ الى استاذهِ حتى قال الشاعر دريدن اني بالرهبة والوقار اطلب بركتهُ وانا اكتب

فالشهرة التي حازها حازها بما في رواياتهِ واشعارهِ من البلاغة والتعبير عن عواطف الناس واميالهم في كل اطوارهم ودرجاتهم وبما بذلهُ اصحاب مشاهد التمثيل من العناية بترغيب الناس فيها ولولا ذلك لاهملت كما اهمل غيرها



استغلال الارض

اركانهُ وكيفياتهُ

(٦)

منزلة الموظفين من المالك في مزرعتهِ منزلة الرأس المدبّر لها والعين الساهرة عليها والقوة الفعالة فيها فيجب ان يكونوا في القيام بمهام اعمالهم على المشرب الذي يبتغيهِ و يرتضيهِ كما تكون الاعضاء السليمة في اداء وظائفها تضامناً ونظاماً واقتداراً فهل كلهم كذلك دائماً ؟ كلا لاحوال عند بعضهم

منها عدم النزاهة اذ يتصرفون في شؤون المزرعة لا حسبما تقتضيهِ مصلحتها فقط كما هو الواجب بل تبعاً لاغراضهم الذاتية فيستشعر من دونهم من سائر العمال وجمهور اهل المزرعة ان حاميها حراميها كما يقول المثل فيستشري الفساد في العمل تبعاً لفسادالقائمين بادارتهِ واذاً ينثلم شرفهم ومستقبلهم من جهة و يسوء حال المزرعة من جهة اخرى

ومنها تقصيرهم عن إيفاء العمل حقهُ من العناية والرعاية فيأتي كيفما اتفق بلا نظام يلتزمهُ عمالهُ ولا حسيب يرقبونهُ ولا رقيب يحذرونهُ

ومنها نبذهم التضامن الواجب في العمل وانصرافهم الى التخاذل فيهِ والتحاسد وتجريح بعضهم بعضاً واذاً تضيع مجهوداتهم فيما يضرهم و يضر المزرعة بهم

ومنها استبداد رؤسائهم بمرؤسيهم وحسبانهم ان الرئاسة لا تقوم الاَّ بالاستعلاء عليهم ومراغمتهم ولو بالباطل واذاً تنقبض نفوس ذوي الكرامة من المرؤسين عن العمل و ينفسح المجال لصغار النفوس منهم الذين يستمرون خطة المداهنة والتملق و ينصرفون الى ذلك عن العمل لخير المزرعة

ومنها الغفلة عن تقدير الظروف الملابسة للعمل حق قدرها كعدم الحرص على تنفيذ ارادة المالك او الرئيس الاكبر في بعض الاعمال بالدقة التي يأمرونهُ بها و ينظرونها — او التهاون في مراعاة مقتضيات العرف والآداب الخ

ان كثيراً من الموظفين بارتكابهم هذه السيئآت والاغاليط وما حاكاها قد كسفوا كفاءاتهم نخبا نورها ووصموا انفسهم وصمة عار يعسر محوها واضرّوا باخوانهم الابرياء حتى صار الموظفون كافة والاصل فيهم في عرف الملاك التهمة لا البراءة

ولقد كانت هذه السيئات على اشدها حينما كان الزعم الفاسد زعم ان الفلاحة لا تستدعي من الكفاءات ما يستدعيه غيرها من الفنون الاخرى منتشراً بين جمهور الملاك وكان هؤلاء لا ينظرون الى موظفي مزارعهم الا كنظرهم الى الشيء الحقير وكأنّ اولئك كانوا يستعيضون عما يفوتهم من التوقير الادبي من الملاك بالعبث في مزارعهم عبث الدناءة والحقارة اما الآن وقد اخذ نور الحقائق يكشف عن الفلاحة واهلها ما يغشيها من الابهام والاوهام فالأمل ان يصل ذوو الفضل والجد الذين كثر عديدهم في المزارع الآن الى احسن ما يستحقون

احمد الالفي

حشرة جديدة

دودة ساق الارز الثاقبة — Schœnobius bipunctifer.

لفت نظري في صيف العام الماضي اذ كنت في جهات دمياط ابيضاض رأيته في بعض سنابل الارز بكل الغيطان التي وقع عليها نظري ولما كانت هذه الحالة غريبة عمدت الى البحث عن السبب فاذا انا اجد هذه السنابل ايضاً فارغة من حبوبها . اما النبات فكان سليماً من حيث بنيته فادهشني الامر جداً واخذت افحص اجزاء النبات هنا وهناك فلم اعثر على شيء فعمدت الى شق الساق على طولها فاذا انا اجد فيها دودة صغيرة بيضاء اللون ذات رأس كبير . وكانت مستقرة على باطن الساق وقد احتفرت فيها طريقاً بسبب اكلها مادة الساق . وكنت ارى هذه القناة حمراء ضاربة الى السواد

ثم انتقلت الى غير البقعة وفحصت عدة من سوق ما وجدت في سنابله ابيضاضاً وفراغاً من الحب فاذا كلها تشتمل على دودة صغيرة كالسابقة سواء بسواء . فايقنت بهذا الاستقراء ان ما يصيب الارز انما هو بسبب فعل هذه الدودة الجديدة . وقد لفتّ اليها نظر حضرة معاون وزارة الزراعة بمركز فارسكور وهذا ارسلها الى وزارته ولكن علمت انها لم تستطع ان تربي هذه الدودة تربية تمكنها من معرفة تاريخ حياتها بالضبط لانهم لم يستطيعوا ان يحصلوا من كل الدود الذي ارسل اليهم الا على فراش واحد والشرنقة التي خرجت منها . ولعل ذلك انما كان بسبب ان من دأب هذه الدودة الضعف والموت اذا هي خرجت من الساق

التي كانت فيها . فضلاً عن انها كانت لا تقدر على العيش على الساق اذا اصابها الجفاف لصلابة مادتها وامتناع مأكول الدودة .

وانا ايضاً لم استطع ان اربيها لان الموسم كان قد انقضى ولكن رأيت بيضها على شكل لطع صفراء على ورق الارز وجمعت كثيراً من فراشها

ولما كانت هذه الدودة تهدد محصول الارز في مصر تهديداً كبيراً . وكان الله قد وفقنا الى العثور عليها وهي في دور اذاها الاول حتى تلفت نظر ولاة امورنا العاملين اليه لتلافي الخطب قبل ان يدهمنا . ولما لم اقف على تاريخ حياة اطوار هذه الحشرة فقد رجعت الى ابحاث مصلحة الزراعة بالهند في الحشرات فاذا انا اجد وصف حشرة تصيب الارز في الهند تنطبق اوصافها على ما عثرت عليه انطباقاً تاماً . كتبتهُ مصلحة الزراعة في بومباي في نشرة قائمة بذاتها . ولذلك لم اتردد في نقل ما جاء عن هذه الحشرة بتلك النشرة مراعياً في ذلك وجه العلاقة بينهُ وبين المزروعات المصرية

⁂

صفات الفراش — ان فراش الدودة التي نحن بصددها صغير الجسم ضعيفهُ . اجنحتهُ صفراء . وعلى الجناحين الاماميين نقطتان سوداوان . والانثى اكبر جسماً من الذكر وعلى مؤخر بطنها شعر اصفر كثيف تغطى بهِ كتل البيض بعد وضعهِ على اوراق النبات . وتوجد غالباً معلقة في اطراف الاوراق او ملتصقة بالساق . وفي زمن وضع البيض تشاهد بكثرة على الاوراق ولاسيما في الجهات المظللة من الحقل . والضوء يجذبها اليهِ لشدة حبها لهُ وبذلك يسهل اعدام كثير منها بهذه الواسطة

البيض ووضعهُ — لم يشاهد مطلقاً وضع الانثى للبيض نهاراً اذ جميع ما جمع منها في الحقل وما ربي في الصناديق لم يضع بيضهُ الأ في الليل وتضع الاناث البيض على اوراق الارز وبعض الحشائش الاخرى ولا تزيد مساحة كتلة البيض على نصف سنتي متر عرضاً واثنين طولاً . وترى بسهولة لمن اراد البحث عنها . وتوجد غالباً على غير ورقة النبات او على احد جوانبهِ . وفي نادر الاحوال ترى على الورقة الواحدة كتلتان او ثلاث . ولون كتل البيض اصفر لانهُ يكون مغطى بشعر الانثى وهو اصفر وعلى ذلك فهي ترى كبقع صفراء وسط اوراق الارز الخضراء . والبيضة بمفردها صغيرة الحجم جداً ذات شكل كُري وهي بيضاء اللون وتكون في الكتلة في صفوف متقاربة بعضها فوق بعض . ويتراوح عدد بيض الكتلة الواحدة بين ٤٠ و ٢٣٠ بيضة

الدود — يفقس البيض بعد ستة ايام من وضعهِ ويصير لون الكتلة اسود قبل الفقس بيوم او اثنين . وبعد الفقس تخرج الديدان وهي سوداء اللون ورأسها كبير بالنسبة لجسمها اذ هو نحيف صغير يبلغ طولهُ مليمترين ثم تنتشر الديدان على الورقة وفي هذا الطور تحدث خطوطاً طولية في البشرة السطحية من الورقة باكلها لها وبعد ان تبلغ من العمر ٣٠ ساعة تتجه صوب ابط الورقة حتى تبلغهُ فتبدأ بثقب الساق عند هذه النقطة. وقد وجد هذا الدود في الساق الواحدة في النهاية العظمى اثنتا عشرة دودة . اما باقي الدود فينتقل الى سوق نباتات اخرى مجاورة لهذه بواسطة الاوراق لتقارب بعضها من بعض . ومن يوم دخول الدودة في الساق تبتدئ باحداث الضرر في النبات وفي الوقت نفسهِ تصبح غير مرئية فهي آمنة من كل ما يؤذيها . تتغذى داخل ساق النبات وتأخذ في الكبر فتملئ الساق المجوفة ببرازها ولا يوجد في هذا الوقت من الدود غير واحدة في كل ساق . وبعد ان تبلغ الحد النهائي من النمو يصير طولها سنتيمترين ونصف سنتيمتر تقريباً

ومن المتعذر تربية هذه الدودة في الصناديق لانهُ بمجرد خروجها من ساق النبات الذي دخلتهُ يصبح من الصعب عليها ثقب غيرهِ ودخولهُ . وقد قدرت المدة التي تعيشها الدودة المرباة تربية صناعية بنحو ٢٧ يوماً في حين ان الدودة التي تترك التعيش عيشة طبيعية داخل الساق في الحقل تعيش مدة دون هذه طولاً

الشرنقة — بعد ان تبلغ الدودة نموها النهائي تأخذ في احداث ثقب مستدير قطرهُ نحو ثمانية مليمترات وذلك حفظاً لحياة الفراش المقبل . والقطعة التي احدثها الثقب في الساق لا تنفصل عنهُ بل تظل مكانها كأن الساق لم يحدث فيها شيء وذلك بواسطة نسيج تنسجهُ الدودة حولها وبالقرب من هذا الثقب تنسج شرنقة حريرية خفيفة لتشرنق داخلها . ويتجه رأس الحشرة نحو الثقب دائماً حتى اذا اصبحت فراشة وجدت امامها الثقب المغطى فتزيل الغطاء وتخرج من الساق وطول الشرنقة سنتيمتر ونصف تقريباً وعرضها مليمتران ونصف . ولونها اسمر . وهي تمكث مشرنقة نحو تسعة ايام ثم تتحول الى فراشة فتبدأ بوضع بيضها وبذا تتم دورة حياة هذه الحشرة

سلوك الحشرة في الرز — لهذه الحشرة ايام وجود الارز في الحقل نسلان . دود النسل الاول لا يسهل العثور عليهِ لان النباتات التي يصيبها تموت لصغرها فلا يتمكن الباحث من رؤيتها لتكاثف النباتات ولان القطع التي تموت نباتاتها يشتل غيرها . اما دود النسل الثاني فانهُ عند ظهورهِ تكون اغلب النباتات قد بلغت اشدها . وفضلاً عن هذا فانهُ يشاهد

بكثرة على اصناف الارز البدرية وتصيب ديدان النسل الثاني نباتات هذه الاصناف قبل ازهارها بزمن يسير جدًّا · ولهذا فبعضها لا يزهر مطلقاً والبعض يزهر غير انهُ لا يكون حبوباً وعند حلول ميعاد الحصاد تترك الديدان الجزء العلوي من النبات لجفافهِ وتذهب الى الجزء الاسفل من الساق فيبقى عدد من الديدان والشرانق داخل الجزء الباقي من الساق بعد الحصد ومن هذا العدد يظهر النسل الثالث لهذه الحشرة

تمضي هذه الحشرة الشتاء في بقايا سوق الارز وداخل جذورهِ وفي بعض الحشائش التي تنمو معهُ او قريبة منهُ

طرق المقاومة — تنحصر طرق المقاومة فيما يأتي

(١) ازالة جميع بقايا الارز وذلك بحرث الارض بعد الحصد وجمع هذه البقايا وحرقها فلا تترك كما يفعل بعض المزارعين في الاراضي التي يريدون زراعتها برسيماً عقب الارز لتدفئتهِ لان الاضرار التي تلحق بالارز اعظم بكثير من الفائدة التي تعود على البرسيم

(٢) ازالة كتل البيض : عوامل المقاومة جمع كتل البيض واعدامها وذلك بقطع اطراف النبات الذي تظهر عليهِ الكتل بكثرة بشرط ان يكون هذا النبات لم يزهر لانهُ ان ازهر اصبحت هذه العملية غير جائزة وهذه الكتل تشاهد بسهولة لان لونها يلفت النظر من بعد فضلاً عن مخالفتهِ للون كتل بيض الحشرات الاخرى وهو اصفر فاتح — فيجب على كل مزارع توجيه عنايتهِ الى هذه النقطة فعليهِ وحدهُ يعود نفعها وعليهِ كذلك معرفة الفراش بلونهِ الاصفر الفاتح الذي يميزهُ من باقي فراش الدود الثاقب حتى اذا ما رآهُ في جهة من الحقل بادر الى جمع ما عساهُ يكون وضعهُ من البيض

(٣) جمع الفراش بواسطة الضوء — يفيد الضوء كثيراً في جمع فراش هذه الدودة لفرط تهافتهِ عليهِ فيحسن اذاً انارة لمبة قوية الضوء ووضعها في صيدة بها ماء وبترول في الحقل المصاب فنور اللمبة يجذب الفراش فيسقط في الماء والبترول فيموت او يجمع ويقتل وبهذه الطريقة يمكن التغلب على عدد عظيم من الفراش فيقل البيض وعليهِ نقل الدودة · غير انهُ لحصول من الضوء على هذه النتيجة عاملان اولها معرفة ايام خروج اغلب الفراش من شرانقهِ ثانيهما ان تكون ايام ظهور الفراش لياليها مظلمة لا قمر فيها حتى يتمكن ضوء اللمبة من جذب الفراش اليهِ ولكن يعترض هذه الفكرة كثير من الظروف تجعلها تارة عديمة الفائدة وطوراً تصيرها مضرة لانها كثيرة النفقة بالنسبة للفائدة التي يحصل عليها منها · وهي عادة تكون عاملاً قوياً في اصابة الحقل الموضوعة فيهِ اللمبة اصابة عظيمة لان الفراش يأتي من كافة

الحقول المجاورة لهُ ولا يصل كثير منهُ الى المصيدة وان فرض ووصل فكثير منهُ يضع بيضهُ في الحقل قبل وصوله فالواجب اذا وضع اللبة في حقل لا يكون مزروعاً ارزاً والاَّ فلا نشير باتباع هذه الطريقة مطلقاً

(٤) اقتلاع النبات جميعهُ : ان انجع الطرق لاستئصال هذه الحشرة مراقبة كل فلاح محصولهُ مراقبة شديدة حتى اذا ما ظهرت سنبلة بيضاء اللون فارغة من الحب بادر الى استئصال نباتها جميعهِ واحراقهُ في الحال وبهذه الوسيلة السهلة تباد الحشرة وينجو المحصول من شرها

محمد مختار الجمال

بوزارة الزراعة

بحث في تحسين زراعة القطن

اذا كانت الحرب الطاحنة القائمة الآن بين دول اوربا قد شغلت المزارع فجدير به ان يترك السياسة لمن يعنيه امرها و يتبع ادوار الحرب الاقتصادية التي قامت بين مزارعي اميركا من جهة و بين غزالي القطن من جهة اخرى كل فريق يسعى للوصول الى غاية خاصة الاول يسعى لرفع اسعار القطن والآخر لتخفيضها

وقد ابتدأت هذه المنافسة من سنة ١٩٠٢ اذ رأى مزارعو القطن في الولايات المتحدة ان تجار القطن يتحكمون فيهم و يأخذون منهم القطن بسعر لا يكاد يوازي نفقاتهم فتباحثوا في الامر ورأوا ان لا خلاص لهم من هذه الكارثة الاَّ بالاتحاد فانشأوا النقابات الزراعية في كل الولايات وانشأوا جمعيتين تربط هذه النقابات بعضها ببعض حتى صارت قوتهم كالبنيان المرصوص يشد بعضهُ بعضاً وشرعت هذه النقابة العظمى او نقابة النقابات في تأسيس مخازن عمومية في انحاء البلاد وصارت تقبل اقطان المزارعين وتخزنها فيها مقابل اجر زهيدة لا تتجاوز ثلاثة قروش عن البالة في الشهر واوجدوا المال الكافي للتسليف على القطن حتى لا يضطر المزارع الى البيع اذا كان السعر منحطاً فكانت النتيجة انهم رفعوا اسعار القطن فابلغوها السعر الذي يلائم مصلحتهم ور بحت هذه الجمعيات من ٣٣ الى ٤٠ في المئة علاوة على ما ربحهُ المشتركون في الانتفاع بارتفاع اسعار قطنهم ثم اهتمت هذه الجمعيات بحث المزارعين على تقليل مساحة القطن كما رأت بقية من محصول الى محصول آخر فحفظت بذلك الاسعار من النزول

ولما رأى الغزالون ما حصل عليهِ الزراع من فوائد الاتحاد اسسوا منهم جمعية اتحاد الغزالين بناء على دعوة الغزال الانكليزي الكبير السرجون مكارا الذي قدم مصر في نوفمبر سنة ١٩١٤ مع وفد من جمعيتهِ وجعلوا مركز هذه الجمعية مدينة منشستر واقبل الغزالون على الاشتراك فيها من جميع انحاء العالم . وجعلت هذه الجمعية غايتها تخفيض اسعار القطن باتخاذ الطرق الثلاث التالية

اولاً — ايجاد اراضٍ وبلاد جديدة لزرع القطن فيها وزيادة مقدارهِ

ثانياً — تقليل مقطوعية القطن بتقليل ساعات العمل

ثالثاً — تخزين كمية من القطن لحساب الغزالين ليضغطوا السوق بها عند ارتفاع اسعار القطن بسبب قلة الموجود منهُ وقد اهتمت هذه الجمعية بتجربة زراعة القطن في جميع الاراضي الصالحة لذلك « وهي التي تكون المياه فيها صيفاً كافية ولا تزيد درجة حرارتها في هذه المدة عن ١٧ درجة بميزان سنتغراد » فنجحت في تجارب عديدة وثبت لها ان الاراضي الصالحة لهذه الزراعة كثيرة مثل السودان ونيجيريا والكمرون والجزائر ومراكش وتونس وتركستان ولكن لما شرعت في تطبيق هذه التجارب تطبيقاً عاماً تجاريًّا لم تنجح على الاطلاق لاسباب عديدة اهمها عدم وجود ايدٍ عاملة كافية لهذه الزراعة وعدم وجود طرق مواصلات مسهلة لنقل المحصولات او عدم ثبات الاسعار على حالة واحدة او عدم معرفة اهل تلك البلاد بطرق الزراعة او عدم وجود وابورات لحلاجة في تلك البلاد

واذا فحصنا حالة الولايات المتحدة رأينا انها لا تميل الى زيادة الاراضي المزروعة قطناً لانها ترى زراعة الحبوب وسائر الاصناف انفع لها من القطن ولا سيما ان زراعة القطن تحتاج الى عمال كثيرين واجرة العامل هناك غالية جدًّا فهي من دولار (ريال) الى دولارين في اليوم فالزراعة هناك محدودة فلا تتعدى الزمام المعين لها ولما كان محصول اميركا يقدر بأثني عشر مليون بالة الى ستة عشر مليونًا اي ثلاثة ارباع محصول العام فهي مكتفية بهِ ويرى المزارع الاميركي ان الاصناف الاخرى تعود عليهِ بارباح اكثر من القطن الذي محصول فدانهِ نحو قنطارين فقط

ولا ينتظر ايضاً زيادة محصول القطن في الهند زيادة مفيدة لان كل المساعي التي بذلت لهذه الغاية ذهبت ادراج الرياح اذ الهند بلد يحتاج الى الحبوب اكثر منهُ الى سائر المزروعات بدليل القحط والمجاعات التي تنتابهُ مراراً علاوة على ان زراعة القطن لا يجنى منها محصول وافر لان محصول الفدان الواحد ٧٥ رطلاً ومجموع محصول الهند من اربعة الى خمسة ملايين بالة

ويحتاج القطن في بلاد الهند الى ارواءٍ غزير وقد جرب القطن المصري في الهند فلم ينجح لانهُ احتاج الى اثنتين وعشرين رية في العام واحتاج الى مدة تزيد شهرين عن القطن المصري وكان نوعهُ رديئاً ولم يكن من يشتريهِ وارادت الحكومة جمعهُ وبيعهُ لتجاربها اي الذين يغزلون القطن المصري فوجدوهُ مخلوطاً وفضلوا عليهِ المشترى من الاسكندرية ولهذا فشلت هذه التجربة ايضاً

وقد جرب القطن المصري في الولايات المتحدة فلم ينجح النجاح المنتظر ولهذا عدلوا عن زرعهِ . فليس والحالة هذه مزاحم للقطن المصري الا القطن الاميركي المعروف « بسي ايلند » وكميتهُ محدودة جداً ويزرع في اماكن خاصة

فترى مما تقدم ان مزارعي اميركا وصلوا الى الغاية التي يرومونها ويرغبون فيها من حفظ اسعار القطن وان الغزالين على الضد من ذلك فانهم لم يتوصلوا الى غايتهم رغم جهادهم العظيم ورغم تخفيض ساعات العمل . وزاد ارتباكهم اولاً الزيادة المطردة في عدد الانوال فقد زادت الثلث في اثناء عشر سنوات مع ان كمية القطن لم تزد على هذه النسبة . ثانياً زيادة المقطوعية التي لا تكاد الآن تترك بقية من عام الى آخر وحاجات العالم كل عام في ازدياد

كل هذه النظريات تحملنا على ان نتأكد ان الحاجة شديدة الى محصول قطننا وان اسعارهُ الحالية ليست اسعار مضاربة او اسعاراً اصطناعية بل هي مبنية على قاعدة اقتصادية متينة قاعدة العرض والطلب . فالطلب كثير والعرض قليل . فلهذا لا يخشى عليهِ من هبوط اسعارهِ وان هبطت فهبوطها لا يكون الاَّ لاسباب عرضية وقتية تزول بزوال السبب وان ما حصل في سنة ١٩١٤ من بيع القطن المصري بسعر عشرة ريالات كان جريمة اقتصادية وقع في شركها المزارع لجهلهِ الاحوال الاقتصادية العامة وقيمة محصولهِ وعدم احتياطهِ للطوارئ .

هذا ولما رأت جمعية اتحاد الغزالين ما نجم عن اتحاد زرَّاع اميركا ارادت ان تفاوض معهم لتوفق بين مصالح الفريقين فاجتمع وفد من اعضائها باعضاء جمعيات التعاون الزراعية في اميركا وعقدوا مؤتمراً في مدينة اتلانتا باميركا فما كان اعظم دهشة وفد الغزالين لما رأوا في الصباح اعلانات كالاعلانات التالية معلقة على جدران المدينة « لا تنالون مفتاح مخازننا الاَّ بسعر ١٥ سنتاً الليبرا » (اي ٣٠٠ قرش القنطار) ولم يحصل اتفاق بين الفريقين وعاد الوفد بالفشل بعد ما اقنعهم حاكم المدينة ان طلب المزارعين عادل وان قنطار القطن يكلفهم تلك القيمة

ولنبحث الآن في مصاريف زراعة القطن عندنا ونقابل بين ايرادها وايراد اهم الحاصلات الاخرى التي يمكن ان تقوم مقامها كزراعة القمح والذرة ونبحث ايضاً عن السعر الذي يجب ان نبيع قطننا بهِ لكي يكون ايراد الفدان من زراعة القطن مساوياً لايراد الفدان من القمح والذرة

فمن المعلوم في ارض يزرع نصفها قطناً والنصف الآخر ذرة وقمحاً ان القطن يشغل الارض المدة التي يشغلها في النصف الآخر الذرة والقمح فلننظر في مصاريف الفدان المزروع قطناً من جهة والمزروع ذرة وقمحاً من جهة اخرى ونأخذ متوسط محصول كل من الفدانين وثمن هذا المحصول ونطرح منهُ المصاريف لنرى الربح الصافي فيتيسر لنا بذلك ان نعرف الثمن اللازم للقطن لكي يساوي ايراد فدانهِ ايراد الفدان من الصنفين الآخرين. وقد اخذنا متوسط محصول القطن ومتوسط المصاريف ونحن عالمون ان الاراضي يختلف بعضها عن بعض في النفقة والجودة ولكننا بنينا حسابنا على المتوسط بصفة عامة

مصاريف فدان القمح بالمليمات: ٤٠٠ حرث و٨٠٠ تقاوي و٦٠٠ ري و ١٠٠ تنقية حشايش و ٢٠٠ ضم و ٢٠٠ مشال و ٦٠٠ دراس و ١٥٠ دراوه وغربله وجنيه و ٥٠٠ سماد . المجموع ٤ جنيهات و ٥٥٠ مليماً

مصاريف فدان الذرة: ٤٠٠ حرث و ٢٥٠ تقاوي و ٥٠٠ ري و ١٥٠ عزيق و ٢ جنيه سماد و ١٠٠ قطع و ١٥٠ مشال و ٢٠٠ تقشير. فالمجموع ٣ جنيهات و ٧٥٠ مليماً

مصاريف فدان القطن: جنيه حرث و ٤٠٠ مليم تقاوي و ٧٥ زرع و ٢٠٠ مسح خطوط و ٥٠ خف القطن وجنيه عزيق وجنيه ري واجرة ري و ٣٠٠ مليم تنقية دودة و ٨٠٠ جني و ١٥٠ قطع حطب وجنيه سماد . المجموع ٥ جنيهات و ٩٧٥ مليماً

فاذا فرضنا ان محصول الفدان الذي زرع قمحاً ستة ارادب وكان ثمن الاودب جنيهاً مصرياً ومئتي مليم وستة احمال تبن سعر الحمل ثلاث مئة مليم كان ثمن محصولهِ تسعة جنيهات و ٥٥٠ مليماً فيكون ايرادهُ الصافي اربعة جنيهات و ٤٥٠ مليماً

واذا فرضنا ان محصول الفدان الذي يزرع ذرة عشرة ارادب بسعر ٩٠٠ مليم الاردب كان ثمن محصولهِ تسعة جنيهات ثم نطرح من ذلك قيمة المصاريف وقدرها ثلاثة جنيهات و ٧٥٠ مليماً فيكون ايرادهُ الصافي خمسة جنيهات و ٢٥٠ مليماً فاذا اضفنا الى هذا المبلغ صافي ايراد الفدان من زراعة القمح كان مجموع الايرادين تسعة جنيهات و ٧٠٠ مليم

واذا فرضنا ان محصول الفدان الذي يزرع قطناً ثلاثة قناطير و ٩٢ رطلاً وهو متوسط السنين الاخيرة قضت علينا الضرورة ببيع القنطار بسعر اربعة جنيهات حتى يساوي ثمنها بعد طرح مصاريفهِ صافي محصول القمح والذرة (١)

ورب معترض يقول من اين لنا الحصول على هذا السعر ونحن تحت رحمة التجار والمضاربين يتحكمون فينا كيف شاءوا . كذلك كانت حال مزارعي اميركا قبل ربع قرن وكان قطنهم يباع باربعة ريالات ولكنهم لم ييأسوا بل اتحدوا والفوا النقابات والجمعيات حتى تحكموا في اسعار القطن وصار التجار تحت رحمتهم ولم يحتاجوا الى مال كثير والتجأوا الى الطرق الاقتصادية التي ابلغتهم هذا الغرض . والفرصة سانحة لنا الآن لان نبحث فيما يوصلنا الى هذه الغاية لان افكار حكومتنا السنية متجهة الى مساعدة المزارع وتحسين حالهِ وليس الامر من الصعوبة بالمكان الذي نخيلهُ ومن يمعن النظر فيهِ يجد ان الوصول اليهِ ليس بالامر المستحيل لانهُ متى الفت النقابات ووجدت نقابة جامعة لكل النقابات وفرض على كل قنطار من القطن مبلغ قليل في بادىء الامر لمساعدة المشروع وتكوين رأس المال و بنيت شون لتخزين القطن والتسليف عليهِ وساعدت الحكومة في تجزئة الاموال على اشهر عديدة وتحسنت حالة المزارع المالية نوعاً وصلنا الى هذه الغاية . واساس كل ذلك الاتحاد والتعاون وتبادل الثقة

عن المقطم محمد ابو الفتوح

تغذية النبات الصناعية

يقال انهُ يسهل تغذية اثمار النبات تغذية صناعية كما يغذّى الحيوان فقد جاء في السيَنتفك اميركان ان بعضهم امتحن ذلك في اليقطين فغذاهُ بمذوب السكَّر على هذه الصورة : — اذاب السكَّر في الماء حتى تشبَّع الماء منهُ ووضع هذا المذوّب في انائين الى جانب يقطينة حالما عقدت وشقَّ عنقها شقًّا غائراً من جهتين ولكنهُ غير نافذ واوصل فتيلة من فتائل مصابيح البترول بين كل شق ومذوب السكر في الاناء المجاور لهُ فكبرت اليقطينة في اربعة ايام وصارت عشرة اضعاف ما كانت . ولكن يظهر لنا ان اليقطين يكبر كذلك من غير ان يغذى بمذوب السكر كما هو معلوم

(١) [المقتطف] الفدان الذي محصولهُ عشرة ارادب من الذرة ينتظر ان يكون محصولهُ من القطن خمسة قناطير او اكثر لا مثل متوسط زراعة الفدان كلها لكن ذلك لا يغير مرمى هذه المقالة النفيسة

مياه الري وري القطن

القطر المصري يختلف عن كل الاقطار الزراعية في انهُ يعتمد في زراعتهِ على الري الصناعي فقط لان لا مطر فيهِ يروي مزروعاتهِ كسائر اقطار المسكونة

والبلدان التي تروى اشجارها ومزروعاتها بماء المطر اهتمت بما فيها من الانهر والينابيع فاستخدمت مياهها للري وقتما يحتبس ماء المطر وتحكمت في ذلك حسب مقتضيات الزراعة وهي في الغالب اما بلدان صناعية تجارية لا تلقي كل اعتمادها على الزراعة واما بلدان زراعية ولكن الاراضي الزراعية فيها واسعة جدًّا كثيرة المراعي والمواشي حتى اذا قلَّ محصولها بسبب قلة المطر او قلة ماء الري لم يؤَثر ذلك في معايش اهلها تأثيراً يذكر لاعتمادهم على صناعتهم ومواشيهم

اما القطر المصري فاعتمادهُ كلهُ على ماء الري واطيانهُ ضيقة يخص النفس من سكانهِ اقل من نصف فدان فاذا اخطأَ مقسمو ماء الري حتى زاد على بعض الاطيان او قل عن حاجتها قل بهِ محصولها وساءَت حال اصحابها لان ليس لهم مورد رزق آخر يعتمدون عليهِ

ويخطئُ من يظن ان ماء الري يعطى لاصحاب الاطيان مجاناً كأنهُ هبة من الحكومة لهم تتصرف فيها كما تشاء . وانما هو بضاعة مشتراة بثمن غالٍ لان متوسط مال الفدان في القطر المصري مئة غرش في السنة وهذه الضريبة الفاحشة التي لا مثيل لها في بلد آخر اكثرها ثمن ماء الري الذي يروى بهِ ذلك الفدان . وكان الواجب ان توزَّع مياه الري على الاطيان حسب الضرائب ولكن اذا كان الماء الذي يصل الآن الى اطيان مربوط الفدان منها ١٥٠ غرشاً في السنة كافياً لتلك الاطيان فلا داعي لزيادتهِ . واذا كان الماء كافياً لري الاطيان الزراعية والاطيان البور واصلاحها فلا موجب لمنع هذه الزيادة عن هذه الاطيان لاصلاحها لان الاطيان المصلحة في غنى عنها . ولكن ان كان ماء ترعة لا يكفي لري الاطيان المزروعة المربوطة بالمال وري الاطيان البور المعفاة من الضرائب فالعدل يقضي بان تروى الاطيان المزروعة اولاً ولا تروى الاطيان البور الا مما يفيض عن الاطيان المزروعة . وهذا ما يفعلهُ كل مالك في هذا القطر باطيانهِ ولكن لا يفعلهُ رجال الري الذين لا يريدون ان يتعبوا انفسهم او يعكروا مزاجهم او يغيروا كلمة قالوها كما حدث فعلاً حيث توزع مياه الري على الاراضي المزروعة والاراضي البور بالسواء وهي لا تكفي لهذه وتلك فيضطر صاحب الاطيان الصالحة كلها للزراعة ان يبور بعضها لكي تكفي مياههُ للبعض الآخر . والمالك الذي الجانب الاكبر

من اطيانه بور لا يصلح للزراعة يترك المياه الغزيرة التي يعطاها تجري هدراً ورجال الري يرون ذلك بعيونهم ولا يستطيعون ان يقولوا كلمة كأن تقسيم المياه جرى حسب شريعة مادي وفارس التي لا تتغير

ومما يجري هذا المجرى ترتيب المناوبات في ري القطن فان رجال الري يدّعون ان القطن نبات صيفي يحتمل العطش فلا يموت اذا طالت المناوبات عليهِ . وهذا صحيح وقد يعيش من غير ماء مطلقاً ولكن لا يجنى منهُ قطن حينئذٍ . ونحن نزرع القطن ونرويهِ لا لكي يعيش ولا يموت ولا لكي نجني من الفدان قنطاراً او قنطارين بل لكي نجني من الفدان اكثر ما يمكن ان يجنى منهُ باية طريقة من الطرق . وقد ثبت بالامتحان انهُ اذا جاد القطن بلغ محصولهُ عشرة قناطير كبيرة من كل فدان . فاذا ثبت ايضاً ان للري يداً في زيادة المحصول وانهُ اذا قصرت مدة المناوبات من نصف يونيو الى آخر يوليو زاد محصول الفدان قنطاراً او قنطارين وجب على مصلحة الري ان تبذل كل واسطة وتستقلّ كل نفقة في سبيل الوصول الى هذه الغاية لان زيادة قنطار كبير في محصول الفدان بمثابة مليون وسبع مئة الف قنطار او نحو سبعة ملايين من الجنيهات في السنة او فائدة مئة وخمسين مليوناً من الجنيهات . فالوصول الى هذه النتيجة يستحق كل اهتمام رجال الري وتستقلّ في جنبهِ كل نفقة مهما كانت

وحبذا لو اشترطت وزارة الاشغال على مهندسي الري ومفتشيهِ في المستقبل ان يدرسوا الزراعة علماً وعملاً حتى يصح تعيينهم في وظائف الري

تعب الارض من عدم الزرع

يقال ان الارض تتعب من توالي زرعها سنة بعد اخرى وهذا صحيح ولاسيما اذا زرعت نوعاً واحداً سنة بعد اخرى . ولكنها تتعب ايضاً وتفسد اذا لم تزرع . فيجب ان تزرع دائماً سنة بعد اخرى كاكثر اراضي هذا القطر ولكن يجب تنويع زراعتها كما هو جارٍ في هذا القطر ولو دعت الحال الى تكرير زراعة الصنف الواحد فيها مرة كل سنتين فاننا نعرف اطياناً تزرع منذ سنين كثيرة نصفها قطناً والنصف الآخر فولاً او برسيماً وذرة دواليك فزراعة القطن تأخذ سنة كاملة ويزرع بعدهُ برسيم ثم ذرة او فول ثم ذرة ومحصولها دائماً فوق المتوسط ولكنها تسبخ وتخدم جيداً ولو تركت سنة او سنتين من غير زراعة لبارت وفسدت

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الحبوب في الطعام

الحبوب التي يعتمد عليها الانسان في طعامهِ في هذا القطر والقطر السوري هي القمح والشعير والذرة الشامية والذرة البلدية اي الحبوب التي يصنع منها الخبز ويضاف الى ذلك الارز . ويكاد طعام الفقراء يقتصر عليها اي ان ما تحتاج اليهِ اجسامهم من المواد التي تنمو بها وتقوى على العمل وتعوّض عمّا يفقد منها اكثر هذه المواد ان لم نقل كلها يأتي من الخبز الذي يأكلونهُ سواءٌ كان مصنوعاً من دقيق الحنطة او من دقيق الذرة او منهما كليهما واما في البلدان الاوربية والاميركية فيكثر اكل اللحم والدهن والبطاطس فينال الجسم جانباً كبيراً من غذائه منها . وهاك كلاماً موجزاً عن كل نوع من هذه الحبوب وما فيهِ من الغذاء

القمح

القمح اكثر الحبوب استعمالاً لعمل الخبز في اوربا واميركا وسواحل بحر الروم ولا يفوقهُ في هذا القطر الاَّ الذرة البلدية فان اكثر اعتماد الفلاحين في خبزهم عليها لا على القمح . والعناصر الجوهرية في القمح هي الكربون والاكسجين والهيدروجين والنتروجين والكبريت . ومتوسط ما فيهِ منها نحو ٥١ في المئة من الكربون ونحو ٢٣ في المئة من الاكسجين ونحو ٧ في المئة من الهيدروجين ونحو ١٧ في المئة من النتروجين ونحو واحد في المئة من الكبريت

ويصنع الدقيق من القمح بطحنهِ وقد مرَّت قرون كثيرة وهو يطحن بين حجرين هما حجرا الرحى ثم ينخل فتخرج قشورهُ نخالةً (رضة) وينخل ثانية فيفصل الجزء الخشن منهُ الحاوي للنخالة الدقيقة خشكاراً وما بقي فهو الدقيق الناعم الذي يعجن ويصنع الخبز منهُ

وقد أُبدل حجرا الرحى الآن باسطوانات من الحديد الصلب يمر القمح بينها فتسحقهُ وتطحنهُ وتفصل بين النخالة والنشا او المادة البيضاء فصلاً تامًّا فيأتي الدقيق اشد بياضاً ممَّا لو طحن

بالرحى . الاّ ان الدقيق الابيض الناتج من الطحن بالاساطين الحديدية لا يزيد وزنهُ على ثلاثة ارباع وزن القمح ومنهُ يصنع الخبز الابيض والربع الباقي يكون نخالة وخشكاراً فيباع علفاً للمواشي . والخشكار كثير الغذاء والغذاء في الرطل منهُ اكثر من الغذاء في الرطل من الدقيق الابيض الناعم ولو كان لونهُ اصفر ولذلك يفضل كثيرون بقاءهُ مع الدقيق الابيض وعمل الخبز منهما كليهما معاً

والطحن بالمطاحن ذات الاساطين يكون على درجات فاولاً ينظف القمح من كل ما يخالطهُ من التراب ونحوهِ ويمر بين اسطوانتين سطحاهما محدَّدان فتهرسانهِ هرساً . ويجري القمح المهروس الى مناخل تنخلهُ فيخلص منهُ بعض الدقيق الذي خرج منهُ بالهرس وباقي القمح المهروس يمرُّ بين اساطين اخرى فيزيد هرسهُ رويداً رويداً لان البعد بين كل اسطوانتين يكون اقل من البعد بين اللتين قبلهما فينفصل الدقيق عن النخالة (الردة) فصلاً تامًّا لا كما يحدث بالطحن بالارحاء حيث يطحن بعض النخالة ويمتزج بالدقيق

وعليهِ فالطحن بالاساطين يفصل النخالة كلها عن الدقيق ويفصل معها الجراثيم التي تنمو اذا زرعت حبوب القمح لكن المناخل الكثيرة التي تنخل هذا الطحين في طريقهِ من اسطوانة الى اخرى تفصل الخشكار عن النخالة ثم تطحنهُ ثانية حتى تسهل اضافتهُ الى الدقيق لاسيما وانهُ يكون فيهِ من المادة المغذية اكثر مما في الدقيق الابيض وزناً لوزن ومتى اضيف الى الدقيق الناعم صار ملمسهُ خشناً نوعاً . ولذلك فالدقيق الناعم جدًّا لا يعد اجود انواع الدقيق لان المادة المغذية اي الغلوتن تكون قليلة فيهِ فيقل حبلهُ

وقد تفنَّنت بعض المطاحن التجارية ذات الاساطين في طحن القمح وفصل بعضهِ عن بعض حتى تجد فيها اربعين نوعاً من الاساطين والمناخل يمرُّ الدقيق عليها كلها في طحنهِ ونخلهِ فيخرج منهُ اربعون صنفاً من الدقيق ثم يخلط بعضها ببعض حتى تتكون منها الاصناف المطلوبة . والغالب ان الاصناف الجيدة تكون ٧٢ في المئة من القمح اي ان كل مئة رطل من القمح يخرج منها ٧٢ رطلاً من الدقيق الجيد ورطلان او ثلاثة مما دونهُ قليلاً . ويمتاز الدقيق النظيف بصفاء لونهِ وشدَّة حبلهِ وقلة النخالة فيهِ او انعدامها منهُ بالمرة . والدقيق الذي دون هذا اقل حبلاً منهُ لقلة المادة الغروية فيهِ ولكنهُ اكثر منهُ غذاء لكثرة البروتين فيهِ

وقد حلَّل الدقيق وتوابعهُ من مطحنة تجارية ذات اساطين كثيرة تحليلاً كيماويًّا فوجد فيها من المواد ما تراهُ في الجدول التالي

	ماء	بروتين	دهن	كربوهدرات	رماد
دقيق درجة اولى	١٠٫٥٥	١١٫٠٨	١٫١٥	٧٦٫٨٥	٠٫٣٧
« « ثانية	١٠٫٤٩	١١٫١٤	١٫٢٠	٧٦٫٧٥	٠٫٤٢
دقيق نظيف درجة اولى	١٠٫١٣	١٣٫٧٤	٢٫٢٠	٧٣٫١٣	٠٫٨٠
« « ثانية	١٠٫٠٨	١٥٫٠٣	٣٫٧٧	٦٩٫٣٧	١٫٧٥
دقيق مسمر	٠٩٫١٧	١٨٫٩٨	٧٫٠٠	٦١٫٣٧	٣٫٤٨
دقيق كامل	١٠٫٨١	١٢٫٣٦	٢٫٢٤	٧٣٫٦٧	١٫٠٢
نخالة	٠٩٫٩٩	١٤٫٠٢	٤٫٣٩	٦٥٫٥٤	٦٫٠٦

يظهر من هذا الجدول ان البروتين في الدقيق الاسمر اكثر منهُ في غيرهِ ولكن الطلب عليهِ اقل من الطلب على غيرهِ ويطلق عليهِ بالانكليزية اسم الكلب الاحمر وقلما يصنع الخبز منهُ

وكان الخبز يعجن ويخبز في كل البيوت في الزمن الغابر ولا يزال كذلك في بلاد الفلاحين ثم انشئت الافران لخبز ما يعجن في البيوت والآن صار اهالي المدن يشترون خبزهم فلا يتعبون بتنقية القمح وتصويلهِ وطحنه ونخلهِ وعجنهِ وتقريصهِ ورقهِ وخبزه كما كان يفعل اسلافهم . واهتمت الحكومات الراقية بمراقبة الخبز الذي يباع من حيث نوعهُ وخبزهُ ووزنهُ لكي لا يغش المشترون فيدفعوا من الثمن اكثر مما يستحقهُ الخبز . ومن الغريب ان الحكومة المصرية لا تهتم بما يبيعهُ اصحاب المخابز من نوع الخبز ووزنهِ وثمنهِ فقد وزنا مرة بعض الارغفة من الخبز المخمر بخميرة البيرة فوجدنا ان ثمن الاقة منهُ نحو ثمانية غروش وهو ثمن فاحش جدًّا ولكن الذين اعتادوا اكل هذا الخبز او نحوهُ ولا يستطيعون ابتياعهُ باقل من ذلك يضطرون ان يشتروهُ باي ثمن طلبهُ اصحابهُ . وما دام الخبز من الحاجيات لا من الكماليات فلا بدَّ من تعيين سعر لهُ . وحبذا لو عاد الناس الى عمل خبزهم في بيوتهم كما كان اسلافهم يفعلون وكما يفعل سكان الارياف

الشعير

اكثر استعمال الشعير علف للخيل والحمير وقد يقشر فيبقى حبوبًا كاللؤلؤ تباع لعمل الشوربا وهي من افضل ما يكون لذلك . وقد يطحن ويمزج دقيقهُ بدقيق القمح وهو مغذٍ مثل دقيق القمح كما ترى في هذا الجدول

	الشعير كله	الشعير اللؤلؤي	دقيق الشعير
رطوبة	١١٫٩ في المئة	١١٫٣ في المئة	١٠٫٣ في المئة
بروتين	١٠٫٥ «	٨٫٥ «	٨٫٠ «
دهن	٢٫٢ «	١٫١ «	١٫٧ «
كربوهيدرات	٧٢٫٨ «	٧٧٫٨ «	٧٩٫٣٥ «
رماد	٢٫٦ «	١٫٣ «	٠٫٦٥ «
فصفور	٠٫٩٥ «	٠٫٤٦ «	٠٫٣٠ «
حديد	٠٫٠٠٤ «	٠٫٠٠١٣ «	٠٫٠٠١ «

والحديد والفصفور من مواد الرماد. ويراد بالكربوهيدرات كل المواد الهيدروكربونية كالنشا والصمغ. واذا نقع الشعير وابتدأ ينبت تتولد فيهِ مادة خميرية تحول نشاهُ الى سكر والسكر يختمر ويصير الكحولاً وعلى هذه الطريقة تصنع البيرة من الشعير النابت

الذرة الشامية

الذرة الشامية اصلها من اميركا وقد انتشر زرعها في الشرق كلهِ ولكن زرعها على اكثرهِ في الولايات المتحدة الاميركية ويبلغ محصولها فيها في السنة نحو ثلاثة آلاف مليون بشل اي نحو ٥٧٢ مليون اردب وهي تزرع في اكثر من خمس الاراضي الزراعية واكثرها يطحن ويباع دقيقاً. والغذاء في الذرة لا يقل عن الغذاء في القمح كما ترى في الجدول التالي

	الذرة	دقيق الذرة
رطوبة	١٠٫٧ في المئة	١١٫٦ في المئة
بروتين	١٠٫٠ «	٩٫٠ «
دهن	٤٫٣ «	٤٫٣ «
كربوهيدرات	٧١٫٨ «	٧٢٫٥ «
الياف	١٫٧ «	١٫٥ «
رماد	١٫٥ «	١٫٣ «
فصفور	٠٫٧ «	٠٫٧ «

واصناف الذرة كثيرة مختلفة ويمكن تأصيلها حتى يزيد ما فيها من البروتين والدهن فقد اخذ اثنان من مجلس الزراعة في ولاية اللينويز باميركا صنفاً فيهِ ١٠٫٩ في المئة من

البروتين و ٤٫٧ من الدهن واستنبتاه عشر سنوات فتولّد معها صنف فيهِ ١٤٫٢٦ في المئة من البروتين على الاكثر وصنف فيهِ ٨٫٦٤ من البروتين على الاقل . وصنف فيهِ ٧٫٣٧ من الدهن على الاكثر وصنف فيهِ ٢٫٦٦ على الاقل

والمواد غير متوزعة على السواء في حبة الذرة فالقشرة تعدل ٥٫٥ في المئة من الحبة كلها والجرثومة ١٠٫٢ والكربوهيدرات وهو المادة النشوية ونحوها البقية اي ٨٤٫٣ ومركبات كل من هذه الاجزاء كما ترى في هذا الجدول

	البروتين	الدهن	الكربوهيدرات	الالياف	الرماد
الحبة كلها	١٢٫٦ في المئة	٠٤٫٣ في المئة	٧٩٫٤ في المئة	٠٢٫٠ في المئة	٠١٫٧ في المئة
قشرتها	٠٦٫٦ «	٠١٫٦ «	٧٤٫١ «	١٦٫٤ «	٠١٫٣ «
الجرثومة	٢١٫٧ «	٢٩٫٦ «	٣٤٫٧ «	٠٢٫٩ «	١١٫١ «
اللب	١٢٫٢ «	٠١٫٥ «	٨٥٫٠ «	٠٠٫٦ «	٠٠٫٧ «

والظاهر من التحاليل الكيماوية التي اطلعنا عليها للذرة المصرية ان نتروجينها اقل من نتيروجين الذرة الاميركية المشار اليها آنفاً ومع ذلك فالامر يحتاج الى عناية وزارة الزراعة لكي تحلل الاصناف التي تزرع الآن في القطر المصري وتبين ايها اكثر غذاء

مرق مغذٍ

ضع رجلين من ارجل العجول في كسارولا وصب عليهما رطلين من الماء ورطلين من اللبن واغل الجميع اربع ساعات او خمساً ثم صفِّ المرق بعد ان تضيف اليهِ ما يكفي من الملح والقرفة او جوز الطيب لتطييب طعمهِ فيكون منهُ مرق مغذٍ جداً للاولاد والناقهين من المرض

خذ رطلاً من رقبة عجل وانزع منها كل الدهن والاوتار وافرمها جيداً وضعها في قدر واغمرها برطلين من الماء السخن وضع القدر في اناء واسع فيهِ ماء غالٍ واتركهُ قرب النار خمس ساعات او ستاً وصفِّهِ بعد ذلك فيكون منهُ مرق مغذٍ جداً

باب الصناعة

الفنون العقلية في مصر [1]

عرضت مصنوعات تلاميذ مدرسة الفنون والصنائع السلطانية ولم تكتب الجرائد من عربية وافرنجية عن هذا المعرض الجميل الأ شيئاً قليلاً ولربما يستغرب بعض محرري الجرائد اذا علم بوجود مدرسة تضم بين جدرانها نحو خمسين طالباً مجدين مجتهدين في انماء ما خلق فيهم من حب الفنون الجميلة بارشاد استاذ متضلع ومساعديه

ومن نظر نظرة عامة الى اعمال التلاميذ مدة السنة وخصوصاً ما صنع في الاسبوع الاخير لامتحان الدبلوم ظهر لهُ جلياً ان نصيب مصر من المواهب الفنية مولود بين جدرانها ولكن نقطة البحث هي هل طريقة التعليم المدرسية الحالية تكفي للدلالة على كل اصحاب هذه المواهب المتفرقين في انحاء القطر؟ وعندنا ان مواهب مصر الفنية لا تظهر ولا يمكن التنقيب عنها قبل ان ينال كل ولد مصري قسطاً من التعليم لاختبار قواهُ العقلية ولربما تجد الموهبة في اولاد الفلاحين وبناتهم او بين ابناء النجارين او الحدادين او البنائين او في البنات الفقيرات من خياطات وغسالات لانها لا تستقر في عقول فئة مخصوصة من الناس فهي تولد حيثما تشاء وعندها الفقير والباشا والفلاح على السواء

تنتخب مدرسة الفنون والصنائع في الوقت الحاضر تلاميذها من تلاميذ المدارس الابتدائية الذين لم ينالوا حظاً من التعليم يساعدهم على تمضية اختبار في علوم لها علاقة بالفنون فالمسألة موكولة للحظ لو انجبت المدرسة احياناً تلاميذ من النوع المطلوب · ان العالم اجمع في احتياج للرجال ذوي المقدرة والكفاءة فيجب على مصر ان تفرزهم من بين سكانها باكتشاف احسن الطرق لتعميم التعليم لجميع طبقات ابنائها وبناتها

يلوح لي ان الحرف الاولية في المدرسة هي الحياكة والحدادة وخراطة الخشب وعلى ظني ان الحياكة تأخذ المرتبة الاولى لاهميتها وحسن نقوشها واتقان قطع العينات صنع التلاميذ وتتلوها الحدادة كعواميد السلم وقوائم المصابيح والشمعدانات والسماعات وغيرها · ثم خراطة

---

(1) من مقالة لجناب المستر روبرت وليمز المهندس المعاري وعضو بالجمعية الملوكية البريطانية للمهندسين المعاريين نشرت في مجلة الاركتكت وعربها حضرة سمعان افندي عبد السيد المهندس المعاري الحائز على دبلوم كلية الجامعة بلندن

الخشب وعمل ارائيك من الطين . وتبشر الاعمال التي عملت في هذه الحرف بمستقبل حسن في التصميم وحسن التغييرات الجديدة والذوق الجميل . وكثير من التلاميذ يدرسون فن الزخرفة ويظهرون استعدادهم الوراثي للزخرفة بالالوان القاتمة التي هي من مميزات وطنهم ولهم فيها نقوش جميلة . ان زخرفة الحيطان والسقوف تفقد السكينة التي يحب الانسان ان يراها في المنازل الانكليزية . والالوان القاتمة توافق الطقس المصري الا اننا نوجه انظار التلاميذ الى استعمال صبغات اخف واهدأ والى عمل ارائيك مجسمة من نقوش وزخارف السقوف . عرضت ايضاً موبليات كطاولات وكراسي وعلب للشاي وبراويز للصور والنياشين منقوشة نقشاً بديعاً مما يدل على ان التلميذ يستعمل آلات العمل بسهولة ومقدرة وهي من علامات المستقبل الباهر ويرجع الفضل في جميع هذه المعروضات الى المستر ستورت الذي استلم نظارة المدرسة من مدة قريبة لا تتعدى الاربع سنوات وذلك لشدة اعتنائهِ بتعليم التلاميذ فن الرسم والتصميم بنفسهِ او بملاحظتهِ . لذلك خطت مدارس الفنون والصنائع خطوة واسعة ولا بدع اذا نظرنا الى المستقبل بعين ملؤها السرور والارتياح . وامام المدرسة مستقبل باهر اذا اخذت على عاتقها تعليم حرف وصنائع حديثة واحياء الحرف القديمة فان جميع الحرف والصنائع تقريباً التي تمارس في اوربا الآن قد مورست في مصر في زمن من الازمان على نوع ما كما يظهر جلياً لمن يتفقد الآثار الموجودة في دار التحف المصرية ودور التحف في المدن الاوربية والاميركية

فالحياكة هي احدى الحرف المصرية القديمة العهد جداً لكنها قابلة للتحسين ويسرنا ان مدرسة الصنائع سائرة في تحسينها . ففي الحلة الكبرى حائك من يوركشير بانكلترا يعلم التلاميذ احسن الطرز الحديثة الجميلة والانسجة الحريرية المطرزة بنقوش من الصناعات المصرية القديمة التي اضمحلت ولكنها ابتدأت في النمو . وفي وقت قريب ترى اكثر الطاولات في المنازل المصرية مغطاة بهذا الصنع المنزلي الجميل . ويحسن الفوربيقي الاوربي عملاً اذا لم يقاوم هذا التيار والأ كسدت تجارتهُ فكلما تمت مصر احتياجاتها بنفسها زادت تجارتها مع اوربا لكثرة البضائع التي يمكن التبادل بها

البلاد المصرية هي ام النول اليدوي فالنول موجود تقريباً في جميع القرى المصرية فيجب ان لا يستبدل بآلات النسج الضخمة مهما حسن النسج بها . حسّن النول ولكن ابقِ الصناعة في القرى . صنع قدماء المصريين الزجاج والمصري الحديث يحب الزجاج الملون فيلزمهُ الاقبال على صناعتهِ في المدرسة ليس بالوان اولية زاهية بل بظلال هادئة جميلة

بالوان كالتي تظهر في سماء مصر عند غروب الشمس . ويلزم التلميذ ان يكون سريعاً في ملاحظتها واقتباس الوانها لانها لا تستمر طويلاً . ويلزمهُ ايضاً ان يبكر احياناً ليراقب الالوان الرقيقة التي تظهر بلون وردي عند الفجر على الجبل الاحمر مثلاً . هذه البلاد بلاد الخزف فيمكن صنع فخار لامع وآنية مزخرفة واشياء اخرى جميلة لوجود كمية وافرة من الطين الصالح للاستعمال . يوجد في مصر كمية وافرة من الاحجار النادرة كالالبستر والجرانيت (الاحمر والاسمر) والمرمر وغيرها فما هي الاشياء التي لا يمكن الصانع والناحت ان يعملها منها ؟

توجد مجموعة نفيسة من المعادن في دار التحف الجيولوجية فيجب على التلاميذ درسها والتأمل في نقوش اجزائها البديعة التي يدل جمالها وحسن بنيانها على ان الانسان قلدها في احسن ما صنع . ويتساءلون هل هذه النقوش والزخارف الطبيعية الجميلة دليل على منبع الفنون ؟ وهل رسمها مهندس ماهر ؟

مدرسة الفنون والصنائع لا بد من تقدمها فيجب على الشعب المصري ان يميل الى الصناعات الفنية التي تعمل في وطنهِ ويفسح المجال لذوقهِ الفني الذي اشتهر بهِ اهل هذا الوادي من زمان طويل

ابان الاستاذ بيتري في كتابهِ النفيس عن النقوش المصرية القديمة انها اساس كل النقوش في دورها الاول والتلميذ المصري وارث لهذه الملكة ويقول اوليت في كتاب مفيد له « في الحقيقة ليس في الصناعة المصرية شيء يدل على تفوق ومهارة » وقال ذلك عن حرفة الصناع الذين صوروا بالالوان والحفر اشكال ملوك واناس ومصورين ومهندسين وكهنة وعمال اثناء اعمالهم العديدة للفراعنة وايضاً رسموا الحيوانات والطيور والاسماك وجميع حركات الرجال والنساء اثناء الحرب والسلم . وعلموا من آلاف من السنين كيف يرسم الفرس في عدوهِ . فهؤلاء الذين عملوا هذه الاعمال الجيدة باتقان وعناية حتى بقي الشيء الكثير منها على ما هو عليهِ من الجمال بالخط والتظليل كما كان منذ آلاف من السنين لجديرون بان يقال عنهم انهم صناعون مهرة . ثم يتكلم في موضع آخر عن الهندسة المغاربية العربية (وهو بمثابة العصر الحالي بالمقارنة مع تاريخ المصريين الاول) فيوجه اقسى الكلام الى بنائي العرب ومهندسيهم المغاربيين فيذكر انتفاخ المباني التي بالطوب وسقوطها ويندد بكيفية بنائها ضارباً صفحاً عن المباني الحجرية الضخمة والعقود الحادة والكرانيش العظيمة التي في جامع السلطان حسن او المباني التي بنيت بالاجر (الطوب الاحمر) من احد عشر قرناً مضت في جامع ابن طولون . وغرض الكاتب من بحثهِ في الفنون المصرية في

العهد القديم والمتوسط بلا شفقة هو بيان ان الفنون والحرف تظهر حياة الانسان واخلاقهُ وهذا البحث مفيد جدًّا لتلاميذ الفنون الجميلة لحياتهم واخلاقهم تظهر في صنع ايديهم ويمكنهم ان يحسنوا او يفسدوا جمال الأثر الذي سيتركونهُ بعدهم . ويقول الكاتب ان عدم التغيير في شكل حرف المصريين القدماء وعدم مللهم من التكرار سببهُ « ظلم النيل » فهو يظن ان فيضان النيل سنويًّا جعل الفنون المصرية القديمة واقفة لا تتقدم ولست ادري لماذا اثر انتظام الحرث والبذر والري والحصاد والدراس والطحن والخبز تأثيراً سيئًا في الذوق وفي نفس الكاتب ? فانهُ اذا فقد الناس عامة والمصري خاصة نظام الحصول على القوت فماذا يكون مصيرهم . لجمال النيل وعظمتهُ تظهران في وفائهِ بالوعد القديم وكأنهُ قال لابنائهِ جدوا واجتهدوا في فنونكم رقوا الهيروغليفي الجميل انقشوا عظات على الحجر ليقرأها من يعيشون على جانبيَّ والسائحون الذين يؤمون شاطئيَّ بعد آلاف من السنين وانا كفيل لكم باكثر مما تحتاجون اليهِ من الخبز . فهل هذا ظلم من النيل كلا وانما هو حنان الام ورقة قلبها

بنى العرب جامع احمد بن طولون بالآجر المصنوع في موضع قريب ببواكيهِ الجميلة والعقد البديع التناسب محمولًا على عواميد مستطيلة القاعدة ولكن زواياها مستديرة بقاعدة ثلاثة ارباع الدائرة ولا يزال الى يومنا هذا . ومن الغريب ان رباط الطوب المستعمل هو ما يسمى بالرباط الانكليزي (english bond) وهو اقوى الاربطة ولذا لا يوجدوهن ولا اضمحلال في البناء كما قال الكاتب المشار اليهِ فان العقود والعواميد بنيت لتعيش الى الابد . لم يأت بناؤون انكليز ليعلموا العرب هذه الطريقة فممن تعلموها اذا ? الجواب سهل وواضح فانهم تعلموها من الكرنك الذي بني منذ الوف من السنين واستمرت هذه الطريقة التي يحق لنا ان نسميها الطريقة المصرية القديمة بدلاً من الانكليزية مستعملة الى ان استعملت الطريقة الفلمنكية وربما اول من استعملها في مصر الفرنسيس وقد ابتدأت الطريقة الانكليزية تأخذ مركزها الاصلي من الشيوع للتقدم المحسوس المستمر في البناء بالطوب

اني الاحظ البائع في الشوارع يزين عربتهُ بنقوش جميلة وبديعة والنقاش العامي يجتهد ان يحكي حكايتهُ برسوم ملونة على جدران عشتهِ والفخاري المصري يصيغ قللهُ في اشكال بديعة والنساء لم تزل تطرز اشكالاً ونقوشاً جميلة بالابرة (كورشيه) وعندهنَّ ايضاً ذوق سليم في انتقاء حليهنَّ وقد مضى عليَّ هنا نحو الاربع عشرة سنة والعمال المصريون خصوصاً يقدرون رسومي وتصميماتي حق قدرها وسألني بعضهم ان القي عليهم دروساً عن طريقة البناء الجديدة وذلك اني اضطررت مرة ان اهدم جزءًا من حائط بني بدون ملاحظة الاربطة

وكان البناؤون المصريون والاوربيون مشتركين في الغلطة ثم بني ثانية بالرباط الانكليزي فكان سروري عظيماً حينما اتى بناؤون مصريون يطلبون ان القي عليهم دروساً و يقولون «احنا عاوزين درس منك انت» فالقيت عليهم بعض تعليمات وايضاحات عن البناء بالطوب وحذرتهم من الغلطات السهل الوقوع فيها. ولم تكن هذه الرغبة عند البنائين فقط بل التجارين ايضاً حضروا الى مكتبي لسماع دروس في التجارة . وهذه علامات تبشر بالخير وتحيي الامل بالنهوض المصري



تقويم النيل

لواضعهِ صاحب السعادة امين سامي باشا

هذا كتاب الشهر في نظرنا بل كتاب السنة بل كتاب القرن والقرنين لاننا لم نر كتاباً عربيًا انشئ في هذا القرن او الذي قبله يضاهي هذا الكتاب في مقدار ما بذلهُ مؤلفهُ الفاضل من التعب والعناء في جمع موادهِ وتنسيقها وتبويبها واستنتاج النتائج منها فقضى خمساً وعشرين سنة يستقصي ويجمع ويقابل ويلخص ويستنتج ولم يكتفِ بما وجدهُ في خزائن الكتب المصرية بل بحث في خزائن الكتب الاوربية وكلف بعض اصدقائهِ البحث والتنقيب واقام اياماً عديدة في دار الكتب الاهلية بباريس يغدو اليها في الصباح و يعود منها في المساء و يقضي النهار كلهُ باحثاً محققاً ملخصاً . فكانت نتيجة هذه الاعمال الشاقة والبحث المستمر كتاباً كبيراً في ثلاثة مجلدات ظهر المجلد الاول منها الآن وفيهِ مقدمة مسهبة تملأ ١٣٤ صفحة كبيرة جدًّا واكثرها بالحرف الدقيق وفيها كثير من الحقائق التاريخية المتعلقة بالنيل وفيضانهُ من سنة ٢٠ هجرية الى سنة ١٣٠١ منقولة عن كتب شتى للمقابلة بينها . واستنتاج ما يصح التعويل عليهِ من هذه الجداول

مثال ذلك . جدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٢٠ هجرية لغاية سنة ٨٥٥ لجامعهِ كاترمير نقلاً عن كتاب النجوم الزاهرة

وجدول تحاريق النيل وفيضانهِ من سنة ٨٠٦ هجرية الى سنة ٨٧١ عن النجوم الزاهرة رأساً

وجدول تحاريق النيل وفيضانهُ من سنة ٢٠ لغاية سنة ٣٥٣ مصححاً على نسخة بخط مؤلف النجوم الزاهرة

وجدول ما وجد من تحاريق النيل وفيضانهِ من السنة الاولى المجرية لغاية سنة ٧٣٦ من كتابي درر التيجان وكنز الدرر

التحاريق والفيضان سنة ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ من كتاب الافادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي

فيضان سنة ٨٨٩ وتحاريق سنة ٨٩٣ من كتاب كوكب الروضة لشيخ الاسلام جلال الدين السيوطي

التحاريق والفيضان في عدة سنين من سنة ٨٨٣ الى ٩٢٨ هـ من كتاب نشق الازهار لابن اياس

فيضانات سنة ١٠٤٤ و ١٠٥١ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ هـ من كتاب قطف الازهار للشيخ ابي السرور البكري

فيضانات النيل من سنة ١١٥٠ الغاية ١٢١٥ هـ للمسيو لوبير احد رجال البعثة العلمية الفرنسية

فيضانات النيل وتحاريق بعض السنين من سنة ١٢٤١ هـ لغاية ١٣٠١ لجامعهِ محمود باشا الفلكي

جدول تحاريق النيل وفيضانهِ حسب مقياس اسوان من سنة ١٨٦٩ الى سنة ١٩١٤ والنتائج المتعلقة بهِ الخ الخ

وهذه المقابلة والنتائج مذكورة بالاسهاب في المقدمة ويليها فصول عن التحاريق الزائدة وما وقع بسببها من الغلاء والوباء مراراً . ثم كلام مسهب على مقاييس النيل في الازمنة الغابرة والحاضرة ومقدار الفيضان في العصور الغابرة كما ذكرها المؤرخون الاقدمون وتأثير البلاد المجاورة للقطر المصري في فيضان النيل وتحاريقهِ وآراء الذين بحثوا في هذا الموضوع من المتقدمين والمتأخرين ورأي المؤلف في اختيار احسن السبل لمعرفة المتجددات من احوال النيل . ويلي ذلك فصول في ايضاح النتائج التي ترتبت على تكيفات النيل وعلى تأثير تلك الحوادث في ارض القطر المصري وسكانهِ منذ العصور الاولى الى الآن

ومما نقلهُ المؤلف في هذا الصدد ان عمرو بن العاص جبي مصر سنة ٢٥ هجرية (٦٤٦م) اثني عشر مليون دينار وكانت الجباية دينارين على كل ذكر بلغ من العمر ١٢ سنة فاكثر واستنتج ان عدد سكانها كان حينئذٍ ١٨ مليوناً من النفوس وان عبدالله ابن ابي سرح الذي خلف عمرو بن العاص سنة ٢٥ للهجرة جباها ١٤ مليون دينار اي كان سكانها قد بلغوا ٢١

مليوناً من النفوس في سنة واحدة او بضع سنوات وهذا مما لا يعقل وقد بيّن المؤلف بعيد ذلك ان مساحة اراضي مصر الزراعية كان في زمن الخليفة المأمون اي سنة ٢١٧ للهجرة ٢١٢٨٥٠٠ فدان ولا يعقل ان مليوني فدان تكفي لمعيشة عشرين مليوناً من النفوس فلا بدّ ان الذين ذكروا جباية مصر في عهد عمرو بن العاص وعبد الله ابن ابي سرح اخطأوا في ما ذكروهُ او اخطأ الذين نقل عنهم. ومما ذكرهُ المؤلف انهُ لما تولى محمد علي باشا الديار المصرية سنة ١٢٢٠ هـ (١٨٠٥ م) اقام ابنهُ ابرهيم باشا سنة ١٢٢٨ على مساحة القطر المصري ومعهُ المعلم غالي رئيساً للماسحين فبلغت مساحة اطيان القطر المصري وضرائبها كما ترى في هذا الجدول

	الضرائب بالجنيه المصري	المساحة بالفدان
الوجه البحري	٢٩٦٥٨٤	٩١٧٩٦٦
الوجه القبلي	٣٦٣١٢٣	١١٣٨٦٧٤
المجموع	٦٥٩٧٠٧	٢٠٥٦٦٤٠

اي مرّت ١٢٠٠ سنة على القطر المصري من حين الفتح الى زمن محمد علي باشا واطيانهُ الزراعية تنقص وضرائبها تقل

وفي هذه المقدمة خرائط ملونة تمثل حركات الرياح وضغط الجو ووقوع الامطار في قارتي افريقية واميركا ورسم انهر المنطقة الاستوائية والبحيرات والانهر التي تسبب الفيضان وبحيرة تسانا في الحبشة

ويلي المقدمة الجزء الاول من الكتاب وفيهِ ٢٥١ صفحة كبيرة حافلة بالفوائد التاريخية مع قياس النيل في كل سنة من السنين من اول الهجرة الى سنة ٩٢٢ هجرية

وغاية المؤلف من كتابهِ الاستدلال على حالة النيل في كل سنة من السنين المقبلة بقواعد استنبطها من درس احوالهِ في السنين الماضية. فان كان قد وفق الى استنباط القواعد الموصلة الى ذلك فيكون قد خدم هذا القطر خدمة لا مثيل لها. خدمة لو كوفئ عليها بمئات الالوف من الجنيهات وباسمي الرتب والنياشين لكان ذلك قليلاً في جنب النفع الذي يجنيهِ القطر من استنباطهِ هذا. وقد وعد بنشر هذه القاعدة او القواعد في الجزء الثالث من كتابهِ

فنقدم الى سعادتهِ جزيل الشكر على هذا الكتاب النفيس الذي يحتاج اليهِ ويستفيد منهُ كل من يريد ان يعرف شيئاً عن تاريخ القطر المصري واحوال نيلهِ وكل ما يتعلق بهِ. ونرجو ان يوفق الى نشر الجزئين التاليين قريباً

ديوان عبد الرحمن شكري

الجزء الرابع

اهدى الينا حضرة صاحب الديوان الجزء الرابع من ديوانهِ فاذا هو كما سبقهُ من الاجزاء في جزالتهِ وسلاستهِ وجدة مواضيعهِ وحسن اختيارها . فقد نظم في سمو النفس ومصارع النجباء وابناء الشمال واحلام الصيف وعشيق القمر وغير ذلك — ٤٣ موضوعاً في ٦٢ صفحة وصدَّر هذا الجزء بمقدمة طويلة نفيسة في الشعر جاء فيها :

« كل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله والشاعر ابلغ قصائدهِ . الشاعر هو الذي لا يعيش مثل اكثر الناس مقبوراً في الاحوال التي تحوطهُ . هو الذي اذا عاش كان لهُ من شاعريتهِ وقاء من عداء قتلى المظاهر فاذا مات كانت الشهرة زهرة على قبرهِ فاذا لم تسعدهُ الشهرة هبطت روح الطبيعة على قبرهِ تظللهُ بجناحها وتفرخ فوقهُ ابناءها الشعراء تلك الارواح التي تستمد الوحي من عظامهِ وتسقيهِ من دموع الرحمة والحب والحنان

« وليس الشاعر الكبير من يُعنى بصغيرات الامور ولكنهُ الذي يحلّق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيهِ ثم ينظر في اعماق الزمن آخذاً باطراف ما مضى وما يستقبل فيحيى شعرهُ ابديًّا مثل نظرتهِ وهو الذي يلج الى صميم النفس فينزع عنها غطاءها وهو الذي اذا قذف باشعارهِ في حلق الابد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد كان بالامس نديم الملوك وحلية في بيوت الامراء ولكنهُ اليوم رسول الطبيعة ترسلهُ مزوداً بالنغمات العذاب كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً فعظم الشاعر في عظم احساسهِ بالحياة وفي صدق السريرة الذي هو سبب احساسهِ بالحياة . واذا رأيت شاعراً يأخذ الحقير .أخذ الجليل من الامور ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة فاعلم انهُ ضئيل الشعر يغتر بضجة الحوادث ولا يعلم ان حوادث النفس على صمتها اجل الحوادث

« سئل وردزورث الشاعر الانكليزي عن شعر شاعر فقال انهُ ليس من الحتم في شيء فكأنهُ يقول ان اجل الشعر ما يخالهُ المرء قطعة من القضاء لا بد من حدوثها فاذا اردت ان تميز بين جلالة الشعر وحقارتهِ فخذ ديوانًا واقرأهُ فاذا رأيت ان شعرهُ جزء من الطبيعة مثل النجم او السماء او البحر فاعلم انهُ خير الشعر واما اذا رأيتهُ واكثرهُ صنعة كاذبة فاعلم انهُ شر الشعر فالشعر هو ما اتفق على نسجهِ الخيال والفكر ايضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها » انتهى.

وحبذا لو تأنى الشاعر في نشر ديوانه فاصدرهُ جزءًا او جزءين بدل اصدارهِ اجزاء

صغيرة كما يصنع الآن — اذاً لكان ديوانهُ املأ للعين واوقع في النفس . ثم ان اصطبارهُ في اصدارهِ الى ما بعد الحرب يساعدهُ على اتقان الطبع وانتقاء ورق احسن من الورق الحالي وترويج بضاعتهِ . فان سوق الادب كاسدة في مصر و بضاعتهُ مزجاة في ايام السلم فما بالك بها في ايام الحرب وليس للناس شغل الأ انباؤُها وتقلبها من حال الى حال

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) ماضي الانسان ومستقبلهُ

ميت ابو خالد . محمد افندي بيومي . اين نحن واين كنا والى اين نذهب

ج . لا نعلم من هذه الابيات الثلاثة الأ الاول فاننا نعلم بكل وسائل العلم التي فينا اننا قائمون على وجه هذه الكرة ونعلم مقرها في الكون ونسبتها الى غيرها من اجرام السماء . اما اين كنا قبلما ولدنا اي اين كانت عناصر اجسامنا والى اين تذهب قوانا المدركة بعد ما نموت فالعلم الطبيعي عاجز حتى الآن عن الاجابة . فان اجسامنا مركبة من عناصر معلومة وقد كانت كلها في الارض قبلما تكونت منها اجسامنا وستعود الى الارض بعدما نموت وتنحل هذه الاجسام . وفينا غير العناصر المادية قوى طبيعية مرجعها الى الحركة وهي مستمدة من حرارة الشمس ونورها وكهربائيتها . وقد تكون العناصر المادية كلها هي والقوة التي فيها دقائق كهربائية . ولكن فينا شيئاً آخر مدركاً غير المادة وغير الحركة اوغير الكهربائية وعلومنا الطبيعية قاصرة عن معرفة ماهية هذا الشيء والمكان الذي كان فيهِ قبلما وصل الينا والمكان الذي يذهب اليهِ بعد ما يفارق اجسامنا . ومن المحتمل ان ما عجزت علومنا عن معرفتهِ حتى الآن تتيسر لها معرفتهُ بعد حين . ويقول البعض ان لديهم ادلة عملية مقنعة على ان قوانا المدركة تبقى في هذه الارض زماناً طويلاً بعد مغادرتها لاجسامنا . وقد اطلعنا على ادلتهم فلم تقنعنا لاننا وجدناها ممزوجة بالوهم والاستهواء الداخلي ولكن ذلك لا يمنع ان تقوم غداً ادلة اخرى اقوى منها

(٢) بعض الكتب

مصر . مدرسة الهندسة السلطانية .

و . ح . من اين يمكن ابتياع كتابي تحرير المرأة والمرأة الجديدة وكتاب عباس الثاني للورد كرومر

ج . الكتابان الاولان موجودان في المكاتب المصرية . والثالث يسهل على كل كتبي اوربي في مصر جلبهُ من انكلترا

(٣) التلفون اللاسلكي

ومنهُ . ما الذي تمَّ في مسألة التلفون اللاسلكي

ج . لا يزال استعمالهُ يتقدَّم حيث يعسر مد الاسلاك لهُ

(٤) الكاوتشوك

ومنهُ . هل يمكن صنع الكاوتشوك في مصر ومجاراة الممالك الاوربية في ذلك

ج . اذا اردتم الكاوتشوك الصناعي فهذا عملهُ مقيَّد بامتياز للذين اكتشفوا كيفية عملهِ فلا يستطيع احد عملهُ الا باتفاق خاص معهم . والظاهر ان عملهُ لم يبلغ حتى الآن الدرجة التجارية . واذا اردتم الكاوتشوك الطبيعي اي تنقية الكاوتشوك وعجنهُ وكبرتتهُ وسبكهُ فلا نرى ما يمنع صناعتهُ في القطر المصري الا قلة مقطوعيتهِ في جنب النفقات اللازمة لاقامة معمل لهُ . فاذا زادت مقطوعيتهُ بزيادة استعمال الاتوموبيل فمن المحتمل ان ينشأ لهُ معمل هنا كما انشئ في اسبانيا

(٥) الوراقة

ومنهُ . كيف يصنع الورق وهل المواد اللازمة لهُ متوفرة في مصر

ج . لقد وصفنا عمل الورق بالاسهاب في المجلد السادس من المقتطف فلا داعي لاعادة الكلام في ذلك لانهُ اذا انشئ معمل للورق وجب ان يؤْتى اليهِ باحدث الآلات واكثرها توفيراً وبصناع ماهرين متدربين على عملهِ . اما المواد اللازمة فاولها القوَّة البخارية او المائية ولا وجود لها في هذا القطر . ويتلو ذلك المواد التي يصنع منها الورق ثم المواد التي يبيَّض بها فاذا اريد عمل الورق الجيد الغالي الثمن الذي يصنع اكثرهُ من الخرق (الكهنة) فلا يتعذر عملهُ هنا من باب صناعي تجاري والمعمل اللازم لهُ يكفيهِ ثلاثون الف جنيه او اربعون الف جنيه ومن المحتمل ان يباع ورقهُ كما يباع الورق الاوربي المماثل لهُ ويبقى منهُ ربح كافٍ لراس المال ولاسيما اذا اخذت الحكومة المصرية كل ورقها منهُ . واذا اريد عمل الورق الرخيص الذي يستعمل لطبع الجرائد فهذا اكثر مادتهِ من رب الخشب ولا وجود لهُ هنا . والانكليز انفسهم يجلبونهُ الى بلادهم من اسوج ونروج . ولقد كان اكبرهم اللورد نورثكلف صاحب الديلي ميل كيفية عمل الورق لجريدتهِ حتى اشترى غابات واسعة جدًّا من الاشجار في بلاد كندا باميركا واقام

فيها معامل تصنع الورق لجريدته ثم يأتي بهِ الى انكلترا . ومعلوم ان هذا الورق كان رخيصاً جدًّا قبل الحرب وسيعود الى رخصهِ بعدها فلا يمكن ان يصنع الأ حيث توجد القوة الرخيصة مائية كانت او بخارية وحيث توجد الاشجار بكثرة لسحق خشبها وعمل الورق منهُ او حيث يسهل جلب ربهِ بنفقة قليلة . وهذه الشروط كلها غير موجودة في القطر المصري فاذا حاولنا عمل ورق مثل هذا كان ثمنهُ علينا اغلى من ثمن الورق الذي نجلبهُ من اوربا . ويحتمل ان ينوب بوص الذرة وحطب القطن مناب الخشب في عمل الورق ولكن لا يستغنى عنهما وقوداً وقد تبلغ نفقة نقلها الى المعمل مبلغاً يمنع استعمالها

(٦) جمعية للملحدين

الاسكندرية . ي غ . سمعنا بوجود جمعية للملحدين برمل الاسكندرية فهل تتكرمون علينا بالافادة عن اسمها ومحلها وباي محطة هي

ج . لا نعرف شيئاً عن جمعيةٍ بالوصف الذي وصفتموهُ ولكن ما دمتم مصدقين ما سمعتم وراغبين في الوصول الى هذه الجمعية فلا يصعب عليكم الوصول اليها ان كانت موجودة حقيقة كما سمعتم ومَن جدَّ وجد

(٧) عاقر قرحا والمليون

ومنهُ . عثرنا على الكلمات التالية في كتاب طب عربي قديم وهي عاقر قرحا واشتيوان وهليون فما هي ترجمتها بالانكليزية وما هو معناها

ج . عاقر قرحا النبات الذي يستعمل مسحوقهُ دواء للبراغيث ويسمى بالمسحوق الفارسي واسمهُ العلمي Pyrethrum والهليون نبات معروف وينادى عليهِ في مصر والاسكندرية باسم اسبراجي وهو تلك الاغصان البيضاء التي يؤْتى بها من اوربا في علب او تزرع في مصر وتباع وتكون في الغالب ادق مما يأتي من اوربا وقد يكون لونها مخضرًّا واما الاشتيوان فلم نقف لهُ على اثر في كتب اللغة وابن البيطار وابن سينا

(٨) الزراعة في استراليا

مصر . احد المشتركين . سمعنا ان فلاح استراليا يزرع نحو خمسين فداناً منفرداً مع ان فلاحي مصر لا يزرع الواحد منهم اكثر من فدانين ونصف فهل الفدان الاسترالي كالفدان المصري مساحة وهل يزرع هناك محاصيل كالتي تزرع هنا مثل القمح والفول والبرسيم والذرة والقطن وهل طرق الري هناك مثلها

ج . الفدان الاسترالي كالفدان المصري تقريباً من حيث المساحة والاطيان الزراعية في استراليا كثيرة جدًّا تبلغ مساحة ما يزرع منها في السنة اكثر من ١٤ مليون فدان ولكن ثمن محاصيلها في السنة نحو ٤٥ مليون جنيه فقط اي مثل محصول ثلاثة

ملايين فدان في القطر المصري · وعدد السكان هناك قليل جداً في جنب مساحة الارض الزراعية فانهم نحو خمسة ملايين نفس ومع ذلك لا ينتظر ان الواحد منهم يزرع خمسين فداناً وحدهُ الأ اذا كان المراد انهُ يترك نصفها مراعي للمواشي · وقد كانت مساحة الاراضي المزروعة سنة ١٩١٤ هكذا

قمح	٩٢٩٥٠٠٠ فدان
هرطمان	٠٨٦٠٠٠٠ «
شعير	٠٢٢٣٠٠٠ «
ذرة	٠٣٣٧٠٠٠ «
عشب وحشيش	٢٧٥٦٠٠٠ «
بطاطس	٠١٧٠٠٠٠ «
قصب السكر	٠١٦١٠٠٠ «
كروم عنب	٠٠٦١٠٠٠ «

والمرجح ان عدد الرجال المشتغلين بالزراعة لا يزيد على مليون واربع مئة الف نفس فمتوسط ما يزرعهُ الواحد منهم في سنتهِ نحو عشرة افدنة ولكن الزراعة هناك بسيطة كما ترون فاكثر الاطيان يزرع قمحاً والغالب ان يكون الحرث والضم والدرس والتذرية بآلات بخارية والعشب ينبت من نفسهِ · ولا يحتاج الى الخدمة الأ الذرة والبطاطس وقصب السكر ومساحتها كلها نحو ٦٦٠ الف فدان لا غير والري بماء المطر من غير عناء وقد شرعوا في الري الصناعي للمحصولات الصيفية

(٩) مصلحة العموم ومصلحة الفرد

ومنهُ · هل يصحّ دائماً القول بان مصلحة العموم لا تنافي مصلحة الفرد وهل يصح عكس هذا القول

ج · يصحّ ذلك عند التعميم لا عند التخصيص · مثال ذلك ان مصلحة العموم في هذا القطر تقوم بتوسيع السكك وتمهيدها واصلاحها ولكن قد يتفق ان توسيع سكة من السكك يأخذ جانباً من ملك زيد اومن بيتهِ فيضرُّ من تلك الجهة ولكنهُ يستفيد من عموم المشروع من جهات اخرى فيسهل المشي عليهِ وعلى اولادهِ ودوابهم ومواشيهم في البلاد كلها فيقتصد في قوتهِ وقوة دوابهِ ومواشيهِ في بضع سنوات اكثر مما خسر بما اخذتهُ السكة من ارضهِ · ومثالهُ ايضاً ان مصلحة انكلترا العامة تقوم بان تخرج من هذه الحرب ظافرة ولكن هذا الظفر يستلزم ان يقتل كثير من رجالها فالمرأة التي يقتل زوجها والولد الذي يقتل ابوهُ والشريك الذي يقتل شريكهُ وصاحب المعمل الذي يقتل عمالهُ كل هؤلاء يخسرون خسارة فاحشة ولكن فوز الامة الاخير يعود عليهم وعلى اولادهم واولاد اولادهم بربح كبير يوازي هذه الخسارة او يزيد عليها · هذا بنوع عام · ولكل قاعدة شذوذ فقد يخسر واحد في مصلحة الامة ولا يستفيد هو ولا ذووهُ شيئاً يذكر في جنب ما خسر

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٨	١	٥٥	مساء
البدر	١٥	٦	٤٠	صباحاً
الربع الاخير	٢٢	١	٣٣	«
الهلال	٣٠	٤	١٥	«
القمر في الاوج	١	٦	١٢	«
« « الحضيض	١٥	٢	١٨	«
« « الاوج	٢٨	٦	٣٠	«

السيارات

عطارد كوكب الصباح في اول الشهر ثم يشاهد في آخره

الزهرة لا تشاهد في اول الشهر ثم تصير كوكب الصباح في آخره

زحل لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب الصباح في آخره

المريخ يكون كوكب المساء

المشتري يشرق نحو نصف الليل

من اجل اللغة العربية

قرأنا انهُ عقد في اوائل مايو الماضي اجتماع في نادي الجمعية الاسيوية الملكية بلندن للبحث في انشاء جمعية هناك لترويج آداب اللغة العربية · وكان الاجتماع برآسة الاستاذ مرجليوث استاذ اللغة العربية في جامعة اكسفورد فخطب بالانكليزية مادحاً هذا المشروع واقترح ان يكون في مبتدإِ امرهِ تحت رعاية الجمعية المذكورة تسهيلاً لانفاذهِ · وتلاهُ حضرة الدكتور احمد ابو شادي نجل الاستاذ ابو شادي بك المحامي المشهور فخطب في بيان غرض المشروع

ومن الذين خطبوا في هذا الاجتماع حضرة قرياقص افندي ميخائيل وحسن افندي البكري وبنيامين افندي · ثم انتخبت لجنة تنفيذية وانتخب حضرة الدكتور احمد ابو شادي وقرياقص افندي سكرتيرين لها · وسيكون عملها اعداد بيان للعمل وقانون للجمعية ومنشور يوزع في جميع البلاد العربية لبسط هذه الفكرة على جميع محبي اللغة العربية ومريدي خيرها · وسيعقد اجتماع آخر في اول سبتمبر القادم تعرض فيهِ اللجنة نتيجة عملها فاذا كانت وافية بالمرام بدأ انفاذ المشروع حالاً والأَ اجل الى فرصة اخرى · فعسى ان يوفقوا الى نيل الغرض الشريف الذي يسعون اليهِ

مصل يشفي من الاختناق

جاء في السينتفك اميركان ان جماعة من اطباء مستشفى جونس هبكنس باميركا اكتشفوا مصلاً يقال انهُ يردُّ الحياة الى الحيوان بعد ما يغرق ويختنق . وانهُ اذا غرق حيوان ودلَّت الدلائل كلها على انهُ اختنق ومات ثم حقن بهذا المصل بعدما اختنق باربع ساعات عادت اليهِ حياتهُ ولكن قد يشتد ضغط الدم حينئذٍ حتى يميتهُ ثانية . و يظن انهُ يمكن استعمال هذا المصل لرد الحياة الى الغرقى من البشر ولو بعد غرقهم ببضع ساعات

ندرة الاصباغ

كانت معامل اوربا واميركا تعتمد قبل الحرب على المانيا في الحصول على الاصباغ اللازمة لصبغ ما ينسج فيها من الانسجة . فلما نشبت الحرب وضيق الحلفاء نطاق الحصر البحري على المانيا فقلَّت وارداتها وصادراتها قلَّت الاصباغ في هذه المعامل ثم بانت نادرة حتى انقطع العمل في بعضها وغلت اثمان بعض الاصباغ فبلغت اضعافاً مضاعفة . ومما انقطع من الاصباغ بوجه خاص صباغ الانيلين وما يصبغ بهِ من الالوان الزرقاء على اختلاف درجاتها من فاتح وقاتم وذلك لان المانيا احتكرتهُ فلم يكد يخرج الا منها مع ان مكتشفهُ رجل انكليزي . على ان الحلفاء انتفعوا بهذه الازمة فقام كيماويوهم يشحذون القرائح للحصول على الاصباغ اللازمة لمعاملهم باكتشاف مواد جديدة ومزج مواد قديمة بعضها ببعض . وآخر ما قرأناهُ بهذا الصدد ان كيماويين ايطاليين استخرجا من لحاء بعض الاشجار مادة للتلوين باللون الاصفر . فاذا مزجت بالشب خرج من مزجها لون اصفر ثابت . او بمركبات القصدير خرج لون برتقالي جميل . او بالكروم خرج لون اصفر قاتم . او بالنحاس فلون اصفر مكمد . او بالحديد فلون اصفر زيتوني

بعثة شكلتون

في خريف سنة ١٩١٤ شخص السر ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف في جماعة من رجالهِ لاجتياز البلاد المسماة قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف . وكان يرجو عند سفرهِ ان يكمل رحلتهُ في بضعة اشهر ولكنهُ حسب حساباً للتأخر سنة فوق الاشهر القليلة التي قدرها فلا يعود الى انكلترا حتى ربيع هذه السنة . على ان الطبيعة عاندتهُ فاخطأ حسابهُ فيما قدرلرحلتهِ من المدة الاصلية والعلاوة . فانهُ خرج في ٦ دسمبر سنة ١٩١٤ في سفينة اسمها « انديورنس » من جزيرة جورجيا الجنوبية في جنوب الاتلانتيك وشرق جزر فوكلاند

المشهورة . فسار جنوباً بشرق ثم بغرب حتى اكتشف مكاناً على ساحل القارة المذكورة سماه ساحل كايرد طوله مئتا ميل ثم انقلب شمالاً لما لم يعد يستطيع السفر جنوباً وكانت نقطة انقلابه تبعد ٦٥٠ ميلاً عن القطب الجنوبي . وانكسرت السفينة في اثناء الطريق فنزل شكلتون ورجاله في جزيرة الفيل في منتصف ابريل وهناك ترك ٢٢ من رجاله وترك لهم زاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً من قوارب السفينة عائداً الى جزيرة جورجيا التي سافروا منها فبلغوها سالمين في ١٠ مايو الماضي ثم قصدوا بونس ايرس في اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو . ولما بلغ شكلتون الجزيرة المذكورة ارسل قسماً من الزاد الى رجاله الذين تركهم في جزيرة الفيل . وقد وعدت الحكومة الانكليزية بتقديم المال اللازم لمساعدتهم واعادتهم الى بلادهم

صادرات الورق من اوربا

بلغت قيمة صادرات الورق من المانيا الى الخارج نحو ٢٦٠٠٠٠٠ جنيه سنة ١٩١٣ ومن النمسا نحو مليوني جنيه . ومن انكلترا نحو ثلاثة ملايين جنيه ونصف . اما في سنة ١٩١٥ فانقطع صادر الورق من المانيا والنمسا الى الخارج بسبب الحصر البحري وهبط الصادر الانكليزي الى نحو ٣ ملايين جنيه والصادر الفرنسوي الى نصفه اي من نحو ٤ $\frac{1}{2}$ مليون الى نحو ٢ $\frac{1}{4}$ مليون

ضرر زيوت الشعر

ثبت لرجال الحكومة الاميركية المنوطين بمراقبة الصيدليات ومخازن الادوية ان ما يباع فيها باسم « كوزماتيك » لانماء الشعر وتقويته مضر بالصحة لاحتوائه على الكحول المستخرج من الخشب وخلات الرصاص ونترات الفضة وغيرها من العقاقير الجديدة مثل البارافنيلين والديامين والرسورسين . وثبت لهم ايضاً ان الغسول والمساحيق التي تستعملها السيدات لوجوههن تحتوي على كربونات الرصاص ومركب آخر من مركبات الرصاص والسليماني وتحت نترات البزموث وغير ذلك . وهناك ادلة عديدة على ان امتصاص الجلد لمركبات الرصاص هو سبب كثير من الامراض المختلفة والاضطرابات العصبية . ثم ان الكوزماتيك يسد مسام الجلد ويهيجه فتختل وظيفته الطبيعية

وعلى ذكر الكحول المستخرج من الخشب قرأنا في « السينتفك اميركان » ان الجمعية الوطنية للصيدلة في اميركا وافقت على قرار فحواه منع استعمال الكحول الخشبي في جميع الادوية التي توصف للناس . وان ولايتين من الولايات المتحدة سنتا القوانين

لمنع ادخاله في الاطعمة والمشروبات والادوية التي يستعملها الناس من الداخل والخارج · وسن بعض المدن الكبرى مثل نيويورك وشيكاغو قوانين بمعنى ما تقدم

خداع البصر

في ليلة ١٣ فبراير الماضي اقترن السياران المشتري والزهرة فظنهما الجمهور في بعض مدن فرنسا بالونين من بالونات تسبلن الالمانية فدبَّ الرعب في بعض القلوب وخصوصاً في مدينة روان واتخذت التحوطات المعتادة لمقاومة الطيارات ولكن ما عتمت الحقيقة ان ظهرت فزال الرعب من القلوب بعد زوال السيارين تحت الافق

مواقف الغربان

تكثر الغربان في بعض جهات اميركا وتختار بعض الاماكن الكثيرة الاشجار المتناسقة لتبيت عليها ولاسيما اذا كانت مما لا يعرى من ورقهِ كالصنوبر · ويقال انهُ قد يجتمع في الموقف الواحد ١٥٠٠٠٠ غراب الى ٢٠٠٠٠٠ غراب · وذكر بعضهم انهُ قدَّر عدد الغربان في موقف من هذه المواقف بمليون غراب لكن هذه الغربان تتفرق في النهار وتطلب رزقها في اماكن مختلفة ولو اجتمعت في حقل واحد لما ابقت فيهِ زرعاً

خسارة الجرمان في البالونات والطيارات

قدرت احدى الصحف الايطالية منذ شهرين ان المانيا خسرت من اول الحرب الى ذلك الحين ٤٧ بالوناً من بالونات تسبلن و ٣٦٨ طيارة · وان عدد الذين فقدوا من الطيارين ١٤٠٠ من قتيل واسير · وقالت ان المانيا شرعت في بناء ٤٠ بالوناً جديداً فاتمت ٣٠ منها والباقي يوشك ان يتم · اما النمسا ففقدت جميع بالوناتها و ١٨٤ طيارة

الغازولين والبترول

يقدرون ان في ولاية كولورادو احدى ولايات اميركا الشمالية من الاقنيت ما يكفي لان يستخرج منهُ ٢٠ الف مليون (٢٠٠٠٠٠٠٠٠٠٠) برميل من البترول الخام او الفا مليون برميل من الغازولين بعد تكريرهِ ولكن الحكومة الاميركية لم تعتنِ بهذه المناجم حتى الآن لكثرة ما يستخرج من البترول فيها من آبارهِ العديدة

قوة الطيارات الحربية

لما نشبت الحرب الاوربية كانت الطيارة الحربية التي فيها آلة قوتها تسعون حصاناً تعد من الطيارات القوية اما الآن فصنعت طيارات قوة آلة الواحدة منها ١٦٠ حصاناً او اكثر وسرعتها نحو مئة ميل في الساعة

الغواصات الالمانية

روى تاجر اميركي كبير ساح في بلاد الدول المحاربة واستقصى انباءها ان الحلفاء اصطادوا بالمصايد التي اخترعوها لمقاومة الغواصات الالمانية ١٣٠ من هذه الغواصات حتى الآن

تطهير التربة من الحشرات

اكتشفوا في اميركا آلة لتطهير التربة من الحشرات المؤذية للزراعة والنباتات الطفيلية وهي مؤلفة من جهاز لتوليد البخار الحار ومن دولاب ذي مناخس حادة مثقوبة فاذا اديرت الآلة اندفع البخار الحار الى المناخس وهذه تغرز في الارض فيقتل البخار الذي يخرج منها كل ما في التربة من الحشرات ودودها والاعشاب التي تضر الزراعة ولا تفيدها

النار من السجاير

جاء في احصاء انهُ شبَّ في مدينة نيو يورك وحدها ١٣٠٦ حرائق سنة ١٩١٥ كانت السجاير سببها. وقد حسبوا ان متوسط ما تتلفهُ النار في كل حريقة يبلغ نحو ٥٧٠ ريالاً فالمجموع يبلغ نحو ٧٤٠ الف ريال او نحو ١٥٠ الف جنيه. وبلغ مجموع الحرائق في تلك السنة من عيدان الكبريت ١٣١٤ حريقة

الغربلة بالكهربائية

استنبط بعضهم غربالاً تحركهُ الكهربائية بسرعة فائقة فيغربل الحبوب ونحوها باسرع من لمح البصر حتى يقال انهُ يغربل باسرع مما يستطيع رجل ان يلقي الحبوب فيهِ

بين طيارة وغواصة

راقب بعضهم معركة وقعت بين طيارة وغواصة وذلك ان غواصة عثمانية رأت طيارة بحرية روسية راسية على وجه الماء في البحر الاسود فدنت منها خلسة ورمتها بطربيد فمرَّ الطربيد لصق جناح من جناحيها ولكنهُ لم يلحق بها اذى فنهضت الطيارة حالاً وحلقت فوق الغواصة والقت عليها القنابل فاغرقتها

قتل الجرذان بالكهربائية

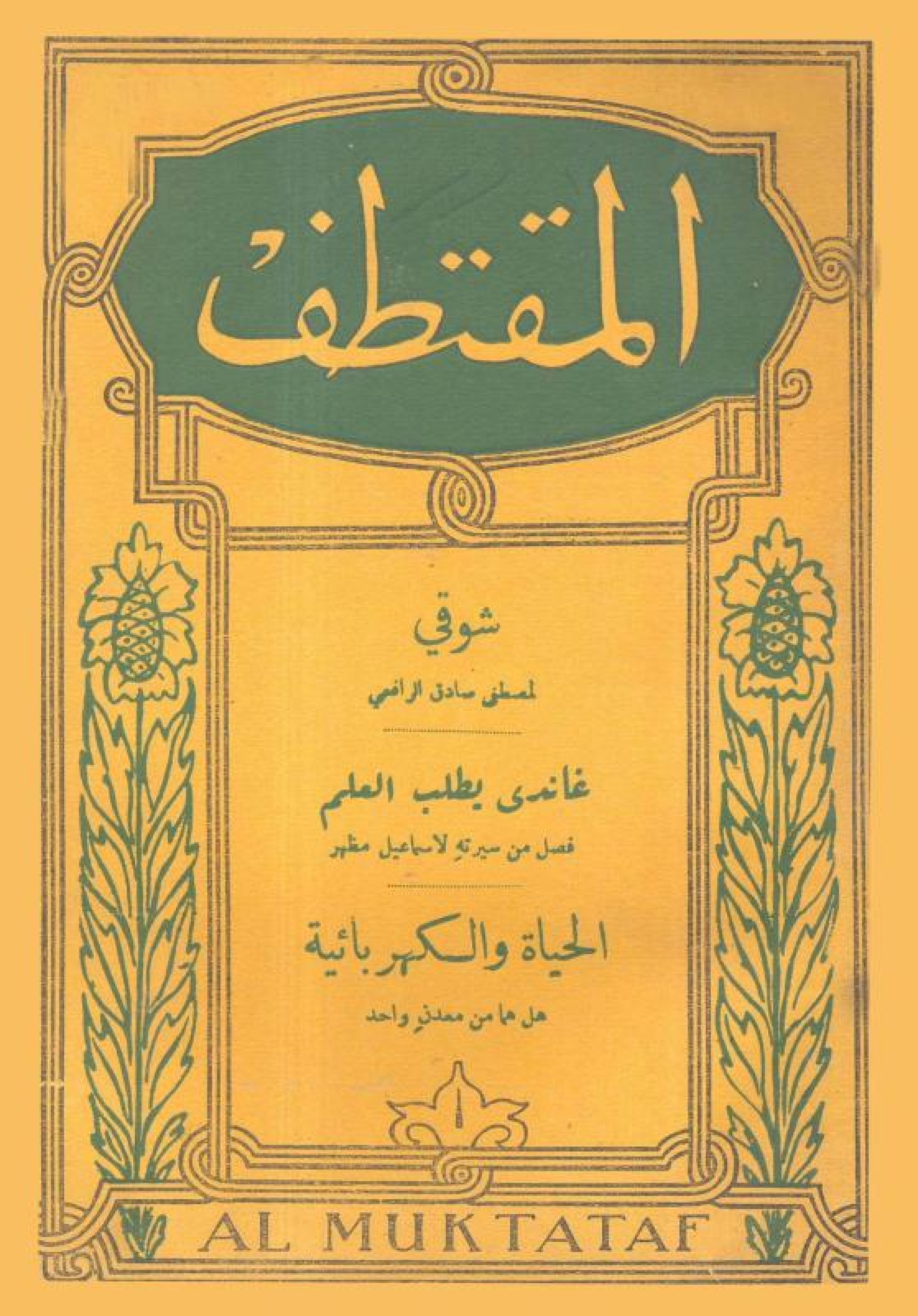
كثرت الجرذان في الخنادق حيث يقيم الجنود الفرنسويون فاستنبطوا طرقاً مختلفة لقتلها اتكها الكهربائية وذلك انهم حفروا حفرة كبيرة في طريقها ونصبوا فوقها اسلاكاً كهربائية متوازية فاذا ارادت المرور فوق الحفرة اضطرت ان تدوس على هذه الاسلاك فتقع للحال ميتة

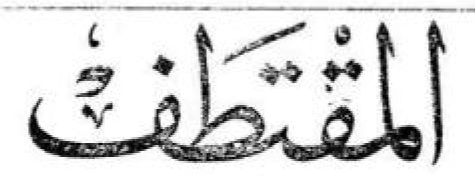
نيزك كبير

سقط نيزك كبير في بعض انحاء البرازيل وقد وزنوهُ فبلغ ثقلهُ ٢٠ طناً

فهرس الجزء الاول من المجلد التاسع والاربعين

صفحة


المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرته لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدنٍ واحد
AL MUKTATAF



الجزء الثاني من المجلد التاسع والاربعين

١ اغسطس (آب) سنة ١٩١٦ — الموافق ٢ شوال سنة ١٣٣٤

تذكار لورد كتشنر

حديث سلطاني عظيم الشان

تشرفت برفع فريضة التبريك لمولانا السلطان المعظم بحلول شهر الصوم المبارك فتفضل عظمتهُ وحادثني في مواضيع شتى وبالطبع ابتدأ الحديث عن حر القاهرة بالنسبة الى الاسكندرية في هذه الايام واشتداد الحر في القطر كلهِ فوق المعتاد · فقال عظمتهُ انهُ رأى بعينيهِ فائدة هذا الحر في نمو القطن فقد وجدهُ نما في الثلاثة الاسابيع الماضية نمواً لم يعهد لهُ مثيلاً · ومن المحتمل ان يكون هذا الحر قد اتلف جانباً كبيراً من دود القطن او منعهُ من الخروج من بيضهِ واماتهُ فيهِ الأ ان ذلك لا يعفي البلاد من الاهتمام باستئصال هذه الآفة وكل الآفات التي تصيب موسم القطن لان عليهِ اعتماد القطر المصري معاشياً

ثم قال عظمتهُ « واني اشكر الله لان الحرب الطاحنة الناشبة الآن لم تمنعنا من اصدار قطننا وبيعهِ بثمن جيد يقوم بالنفقات المتزايدة » · واستطرد الكلام الى الخسارة الفادحة التي حلت بالامم المحاربة في المال والرجال — والى الخسارة الكبرى التي خسرتها بريطانيا العظمى وتشاركها مصر فيها وهي غرق لورد كتشنر القائد المعظم والاداري الحكيم الى ان قال « وقد سرني ان اهل بلادي يقدرون قدر الرجال حتى اهتم اهالي الاسكندرية باقامة تذكار للورد كتشنر اهتماماً يذكر فيشكر ولكن لو كان لورد كتشنر حياً الآن واستشرناهُ فيما يريد ان يكون هذا التذكار الذي نقيمهُ لهُ اكنت تظن يا دكتور انهُ يشير باقامة تمثال لهُ · كلاَّ بل لاشار بما هو اهم من ذلك اي بما تحتاج اليهِ البلاد التي كان يحبها حباً جماً · فاني اعرف لورد كتشنر تمام المعرفة · عرفتهُ وهو ضابط صغير وعرفتهُ في كل درجات ارتقائهِ الى ان بلغ اسماها وعرفت ما كان يتمناهُ لهذا القطر · فانهُ كان يعرف ان القطر المصري محتاج الى

الضروريات قبل الكماليات محتاج الى ما يصلح شؤون الجمهور الاكبر من سكانه الى ما يزيد ثروتهم ويحسن صحتهم و يوفر راحتهم و يثقف عقولهم . انظر الى ما اشار هو بهِ وبذل اقصى جهدهِ في انشائهِ تذكاراً للبطل غوردون باشا وهو مدرسة غوردون الكلية في الخرطوم التي قصد ان تكون مصدر علم ونور في بلاد السودان وواسطة ترقية السودانيين علماً وصناعة

« ثم لو كان لورد كتشنر بيننا الآن واستشرناه فيما يريد ان نقيمهُ تذكاراً لهُ او لرجل مثلهِ خدم هذا القطر كما خدمهُ هو لوقف في مجلس الاسكندرية البلدي ورفع صوتهُ جهرة وقال انظروا ما هي المنشآت العمومية النافعة التي تحتاج اليها مدينتكم و بلادكم وليكن هذا التذكار من نوعها

« وما اكثر المنشآت العمومية النافعة بل الضرورية التي نحن في حاجة ماسة اليها فليس عندنا مثلاً مستشفى خاص بالنساء ولا سيما بالفقيرات المعوزات منهنَّ حيث ينفسن ويطببن و يعتنى بهنَّ الاعتناء الواجب . ومستشفى مثل هذا لا تكون فائدتهُ مقصورة على تطبيب النساء فقيرات كنَّ فيطببن مجاناً او غنيات فيدفعن اجور تطبيبهنَّ بل يكون بمثابة مدرسة تتعلم فيهِ الطبيبات امراض النساء و يتمرنَّ على معالجتهنَّ وتمريضهنَّ . ولا شبهة ان تعليم فن الطب للنساء امر مهم جدًّا وقد تأخَّر الاوربيون في فتح مدارسهم الطبية لتعليم النساء هذا الفن الجليل ولكنهم رأوا غلطهم اخيراً وجعلوا يعلمونهنَّ فن الطب كما يعلمونهُ للرجال فقام منهنَّ طبيبات مشهورات وقد برعنَ في بعض الممالك الاوربية حتى جارين مشاهير الاطباء . ونحن في هذه البلاد الشرقية احوج من اهالي اوربا الى الطبيبات كما لا يخفى ولو لتطبيب النساء فقط ونحتاج الى مئات منهنَّ . ولا افضل من مستشفى مثل هذا لتخريج الطبيبات الماهرات اللواتي يقرنَّ العلم بالعمل قبلما يخرجن لممارسة صناعة الطب . ولا شبهة عندي ان بناتنا قادرات على تعلم فن الطب وممارستهِ والنبوغ فيهِ فقد رأيت اللواتي تعلمن فن التعليم ومارسنهُ في المدارس التي زرتها فوجدتهنَّ قائمات بما يطلب منهنَّ احسن قيام فلماذا لم يفكر رجال المجلس البلدي الفضلاء في انشاء مستشفى مثل هذا تذكاراً للورد كتشنر مهما بلغت نفقات انشائهِ . اما ما يقتضيهِ نظام الدروس اللازمة لطالبات الطب فهو موضوع اهتمامي وسيدبر على احسن سبيل

« ثم ان الاسكندرية محرومة من مستشفى للمصابين بالامراض العقلية . والآن يرسل الذين يصابون بهذه الامراض الى مستشفى العباسية . وقد بلغني ان مدير ذلك المستشفى طالما شكا من وجودهِ في مكان حارّ جافّ الهواء كالعباسية او الخانقا وود لو كان في مكان

من ابرد الامكنة هواء في القطر المصري كضواحي الاسكندرية لان نوبات الجنون تشتد غالباً وقت اشتداد الحر فلا يكون من الحكمة ولا من الشفقة ان يرسل المصابون بالامراض العقلية من الاسكندرية الى العباسية بل واجب الشفقة يقضي ان ينشأ لهم مستشفى في ضواحي الاسكندرية مهما قلَّ عددهم . وغنيٌّ عن البيان ان كل بلاد عدد سكانها مثل عدد سكان القطر المصري تحتاج الى مستشفيين او ثلاثة او اكثر للذين يبتليهم الله بالامراض العقلية من سكانها . فهذا ملجأ خيري آخر تحتاج اليهِ البلاد وفائدتهُ كبيرة جداً في شفاء الامراض العقلية سواء كان المصابون بها من سكان الاسكندرية او غيرها

« ومما يجري هذا المجرى واستغرب جداً كيف لم يحلهُ فضلاء الاسكندرية المحل الذي يستحقهُ من الاهمية اقتداء باخوانهم اهالي العاصمة هو انشاء ملجإ للاسعاف في الحوادث الفجائية فان من يرى رجال جمعية الاسعاف في القاهرة يبادرون حالاً الى كل مكان يدعون اليهِ حيث يصاب احد باصابة ما لا يسعهُ الا شكرهم والاعجاب بهمتهم والتنويه بفضلهم وفضل الذين انشأوا هذه الجمعية وملجأها . فلماذا لا يكون في الاسكندرية وهي العاصمة الثانية لبلادي ملجأ مثل هذا و يسمى ملجأ لورد كتشنر للاسعاف

« هذه مشروعات ثلاثة خطرت على بالي الآن واذا شاء اهالي الاسكندرية بل اهالي القطر المصري عموماً ان يكتتبوا لانشاء اثنين منها او ثلاثة فانا مستعد ان افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه ولي الامل الوطيد ان ارى من غيرة اهالي بلادي ما يحقق ولو امنية واحدة من هذه الاماني . و يحسن ان يمتد زمن الاكتتاب لغاية شهر نوفمبر المقبل »

وكان عظمتهُ يتدفق في الكلام تدفقاً كمن يشعر في اعماق نفسهِ ان منفعة بلادهِ يجب ان تكون الغاية العظمى التي اليها يسعى وبها يهتم ولاسيما اذا امكن الجمع بينها وبين غاية اخرى ادبية وهي تكريم جندي باسل واداري حازم ورجل فاضل كان يقول ان اقصى ما يتمناه هو نفع هذا القطر

ولما اتم عظمتهُ هذا الكلام الذي هو عين الصواب استأذنتهُ في كتابة ما وعتهُ الذاكرة منهُ ونشرهِ فقال

« ان كنت يا دكتور قد ادركت غايتي تماماً فانا اسمح لك بنشرهِ و بان تقول عن لساني انني افتتح قائمة الاكتتاب بخمس مئة جنيه »

فكررت الشكر لعظمتهِ وخرجت من الحضرة وانا ادعو بطول عمرهِ واغبط مصر لان الله منَّ عليها بسلطان حكيم كريم متفان في خدمتها ورفع منارها

حديث مع فخامة نائب الملك

وبعد اثني عشر يوماً قابلت فخامة نائب الملك ووقفت على رأيهِ في هذا الشأن . فبعد المذاكرة في مواضيع عمومية مختلفة قال انهُ هو والشعب الانكليزي عموماً شاعرون في اعماق نفوسهم بما ابداهُ لهم الشعب المصري من العواطف الكريمة في الخسارة الفادحة التي المت بانكلترا حديثاً وبما اظهرهُ المصريون من تلقاء انفسهم من الرغبة في اقامة تذكار لذلك الرجل العظيم الذي اشتغل بينهم زماناً طويلاً . ولقد اثر ذلك في نفسهِ تأثيراً عميقاً لا ينساهُ ابداً . قال « ومما يدعو الى السرور والارتياح التام اتفاق الجميع على الغرض الذي يرمون اليهِ فلم يبقَ على بساط البحث الاَّ الاسلوب الذي يحقق بهِ هذا الغرض

« وعند الاعتراف بالاعمال الجليلة التي عملها ذلك المرشال العظيم وهو في منصبهِ الاداري يحسن ان لا يبرح من البال نوع تلك الاعمال فان اكثرها كان من النوع الذي منهُ نفع عملي اي مما يدعو الى اصلاح احوال الحياة . والذين يعرفون لورد كتشنر تمام المعرفة لا يرتابون انهُ لو كان حاضراً بيننا الآن وابدى رأيهُ في المشروعات المختلفة التي اشير بها تذكاراً لهُ لاختار منها ما ينفع المصريين وتزيد بهِ راحتهم ورفاهتهم ولذلك فكل مشروع ادبي مثل اقامة تمثال يجب ان يعتبر على نوع ما من قبيل الكماليات التي تضاف الى مشروع عملي لهُ نفع عام ولو كان التمثال من المفاخر التي تطلب لذاتها . وهذا ما فعلتهُ بعض مدن الاقاليم التي اطلقت اسم لورد كتشنر على بعض السكك والشوارع والاسبلة

« والمشروع الذي اتجهت اليهِ الانظار الآن وكان الفضل في اقتراحهِ لصاحب العظمة السلطان هو انشاء مستشفى كبير للنساء في القاهرة يسمى مستشفى كتشنر ويكون محتوياً على مدرسة وقاعات لالقاء الدروس الطبية وعمل العمليات الجراحية لاجل تعليم الطبيبات وتمرينهن حتى يصرن اهلاً للتطبيب في هذا القطر ويكون منهن طبيبات لمستشفيات النساء التي تنشأ في المديريات في المستقبل . والادلة كثيرة على لزوم مستشفى مثل هذا فانهُ ليس في القطر المصري الآن مستشفى للنساء . ولقد كان معدل وفيات الاطفال اكثر مما هو الآن كما هو معلوم بسبب جهل نساء الارياف وقلة وسائطهن الصحية وظلت الحال كذلك حتى وجه لورد كتشنر عنايتهُ الى هذا الموضوع فاشار باقامة القوابل في قرى الارياف ودل بهذا على اهتمامهِ بامور العامة واحوالهم الصحية . وهذا الاهتمام من المزايا التي امتاز بها

الرجل الذي نريد الآن اكرام ذكراهُ فالاستمرار على المبدأ الذي عني بهِ هو وتوسيع نطاقهِ حقيقان بان تتجه اليها الانظار في هذه الآونة »

ثم قال نخامتهُ « ان تذكار لورد كتشنر لا يلزم ان يكون مقيداً بهذا المشروع الذي بسطتهُ فاذا خطر على بال احد مشروع انفع منهُ قوبل بالترحيب وبما يستحق من البحث والتروي . واذا اتفق لمدينة او جماعة ان تجد اسباباً خصوصية لاقامة تذكار محلي عندها فليس ما يمنع النظر في ما تريد النظر فيهِ بالطرق المعتادة »

وافاض في الحديث بعد ذلك عن كيفية انشاء هذا المستشفى وادارتهِ في المستقبل . ويظهر لي ان نخامتهُ مقتنع تمام الاقتناع بشدة الحاجة اليهِ وواثق ان اهالي القطر يلبون نداء سلطانهم ويقبلون على الاكتتاب في مشروع تعود فائدتهُ عليهم لان الطبيبات اللواتي يتخرجن في هذا المستشفى تنشأ لهن مستشفيات في سائر انحاء القطر لكي تستفيد البلاد كلها منهن »

شكسبير

كيفية وصولهِ الى الشهرة

اشرنا في الجزئين الماضيين الى الدلائل التي تدل على ما لشكسبير من الشهرة الواسعة واسبابها ووعدنا ان نشير الى كيفية وصولهِ اليها عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى اصلاح التمثيل العربي

والشهرة اثمن المقتنيات فلا تنال عفواً ولا يشتهر احد في مطلب من المطالب الا وفي طبعهِ واحوالهِ ووسائلهِ ما ينيلهُ هذه الشهرة . والشعراء ارباب الخيال الذين يجردون الصور البديعة من الطبيعة والحكم البالغة من التاريخ والمعاني الرشيقة من القرائح يجب ان يكونوا في بلاد كثرت نجادها ووهادها وانهارها وغدرانها وسهولها ووعورها ورياضها وغياضها كالشام وسويسرا وفرنسا وانكلترا وبعض جهات اليمن ونجد وان يقفوا على التواريخ القديمة والحديثة واخبار الامم ومواقع الحروب وسياسات الدول واساليب الاحكام . ويتضلعوا مما انشأهُ ارباب الكلام وناظمو جواهر المعاني من نحو العبرانيين والمصريين والاشوريين واليونانيين والرومانيين والفرس والعرب والهنود وغيرهم من امم المشرق والمغرب . اذا اجتمعت للشاعر هذه الوسائل وكان بالفطرة الموروثة ميالاً الى ابتكار المعاني ونظم القريض سهل عليهِ التبريز على الاقران والاستيلاء على العقول . وكان شكسبير من

هذا القبيل كما سنبينهُ في هذه العجالة معتمدين على ما جاء في ترجمتهِ في الطبعة التاسعة من الانسكلوبيذيا البريطانية بقلم الدكتور بينس استاذ المنطق والبيان في جامعة سنت اندرو وعلى بعض ما جاء في الطبعة الحادية عشرة بقلم العالم هيو كريشلم

ولد شكسبير بمدينة ستراتفورد في اواخر شهر ابريل سنة ١٥٦٤ وهي مدينة قديمة على نهر افون عُرفت هي وما يحيط بها من قبل عهد الرومان الذين اجتاحوا البلاد الانكليزية واضافوها الى ممالكهم وانشأوا فيها القصور والمعاقل . واشتهرت في الحروب الاهلية التي توالت بعد ذلك وتقام فيها سوق للمواشي من اشهر الاسواق في تلك البلاد

ولا يعرف جمال البلاد الانكليزية الاَّ من زارها وتنقل في ربوعها فصعَّد في جبالها وصوَّب في وهادها واوغل في حراجها وادغالها وراقب تحدُّر شلالاتها واجال طرفهُ في ما حولهُ من البلاد فرأى مشارفها بين كاسٍ تجللهُ الحراج والادغال وعارٍ علاهُ الثلج والغمام وقد قامت بينها القصور والابراج معاقل امرائها الاقدمين واغنيائها المحدثين وكل شرفة من شرفاتها تنبئك بتاريخ فارس مغوار او غادة حسناء واخبار تداولها الخلف عن السلف وبنوا عليها اشعارهم واغانيهم . هذه حال البلاد التي لم يفتح شكسبير طرفهُ الاَّ وقع عليها فاعادت اليهِ ذكرى سكانها السالفين . واهالي البلدان الجبلية يكثر تحدثهم باخبار اسلافهم فلا بدَّ من ان يكون شكسبير قد سمع الكثير منها ووعاهُ في ذاكرتهِ واستعادهُ حينما الَّف رواياتهِ بعد ان وقف على التواريخ المكتتبة واستخرج منها ما نظم منهُ تلك القلائد

وكان من بيت لهُ شان في ستراتفرد فان جدَّهُ رتشرد كان يسكن بيتاً كبيراً على نحو ثلاثة اميال او اربعة من تلك المدينة ولهُ مزرعة واسعة هناك وكان لهُ ولدان جون وهنري فانتقل جون الى ستراتفورد واقام فيها تاجراً وهو ابو صاحب الترجمة وكان يبيع الجلود وما يصنع منها واشتغل ايضاً ببيع الصوف والخشب والحبوب ويقال انهُ كان لحاماً ايضاً ولا غرابة في ذلك لان ستراتفورد مركز بلاد زراعية وهي سوق لها ومن كان عملهُ الزراعة وانتقل اليها يغلب ان يتاجر بالسلع الزراعية . والظاهر انهُ كان عالي الهمة ذكيَّ الفؤَاد مقداماً فلم يمضِ عليهِ خمس سنوات حتى جُعل من اعيان المدينة وتدرَّج الى ان صار عمدة لها ورئيساً لمجلسها البلدي ومحكمتها المحلية وكان ذلك سنة ١٥٦٨ . وتدلُّ الدلائل على انهُ كان قد صار من ذوي السعة فانهُ اشترى بيتين في المدينة سنة ١٥٥٦ واقترن في السنة التالية بسيدة من بيت وجيه اسمها ماري اردن ورثت من ابيها جانباً من المال ومزرعة فيها نحو ستين فداناً وبيتان او ثلاثة فاتسعت ثروتهُ بذلك ثم اشترى بيتين آخرين ويقال ان

ابنهُ صاحب الترجمة ولد في احدهما . ثم قلب لهُ الدهر ظهر المجن فخسر اكثر ثروتهِ لانهُ كان كريماً متلافاً قليل التدبير سريع التأثر لا يعنى بالطفائف ولا يدقق في اعمالهِ وكان فوق ذلك محباً للجاه والتأنق فلما كان عمدة للمدينة اتى بجماعات من الممثلين وجعلهم يمثلون في دار المجلس البلدي احتفالاً بارتقائهِ الى هذا المنصب فغرس في نفس ابنهِ محبة التمثيل لان ما يشاهدهُ الفتى في حداثتهِ يؤثر فيهِ تأثيراً شديداً وقد يغير مجرى حياتهِ . وطلب من نقيب الاشراف حينئذٍ ان يحسبهُ بينهم ويعطيهُ سمة الشرف اي ان نفسهُ كانت جانحة الى المعالي وحب الشهرة مع انهُ كان لا يزال تاجراً من عامة التجار في بلد صغير . فهذه الاخلاق كلها آلت الى فقدانهِ ما جمع من الثروة فرهن املاكهُ واستغرق في الدين واضطرت زوجتهُ ان تبيع املاكها لايفاء جانب من دينهِ وظل في حالة ضيق شديد الى ان افلح ابنهُ وساعدهُ على ايفاء ديونهِ واسترداد بعض الاملاك التي باعها . ولكن فقرهُ لم يحط منزلتهُ في عيون قومهِ لاسيما وانهُ بقي ينفق كاغنيائهم

اما زوجتهُ ماري اردن فكانت من عائلة قديمة وجيهة كما تقدم ومن اسلافها رجل اسمهُ الدن صاهر بيت الملك المعروف ببيت اثلستين ولذلك فدمها ممزوج بدم اشراف النورمنديين وقام من اسلافها رجال اشتهروا بمناصرة الملوك في حروبهم . ووجهاء الانكليز ممتازون عن عامة الشعب بآدابهم واخلاقهم امتيازاً كبيراً رجالاً ونساء وقد كانت ام شكسبير من الطبقة العليا ولا بدَّ من انها اثرت فيهِ تأثيراً كبيراً بآدابها واخلاقها وبما يعرف من تاريخ اهلها ووجاهتهم لاسيما وانهُ بكرها والامهات يعنين خاصة بتربية البكر من اولادهن . فلما كان والداهُ في سعة تعلَّم وتهذب ورأى من بشاشة امهِ وطلاقة وجهها ما ساعدهُ على وصف النساء وهن في اوج مجدهن ولما ضاقت الاحوال وجاءت ايام البؤس رأى من صبرها وطول اناتها ما ساعدهُ على وصف النساء وهن في حالة البؤس والشدة . فاليسر والعسر اللذان اصابا والديهِ اثرا في نفسهِ تأثيراً شديداً كما اثرت اخلاقهما فيهِ . ثم ان ما حلَّ بهما من الضيق حملهُ على بذل اقصى جهدهِ لكي يكتسب مالاً يساعدهما بهِ ويردهما الى الحالة التي كانا فيها ففعل عن طيب نفس وزاد بذلك ليناً ودعة

ولا شبهة في ان شكسبير ورث اخلاقهُ كلها من ابيهِ وامهِ واسلافهما فورث السعي والاقدام من والدهِ والذكاء والشمم من والدتهِ وورث منها ايضاً الدعة والعطف على الاهل والتدقيق في الامور المالية

ولا يُعلم بالتدقيق يوم ميلادهِ ولكن وجد في سجلات كنسية ستراتفورد انهُ عُمِّد في ٢٦ ابريل سنة ١٥٦٤ والمرجح انهُ ولد في ٢٣ ابريل حسب المتواتر . وفي شهر يوليو

تلك السنة فشا الطاعون في ستراتفورد فامات سدس سكانها وهو بكر والديهِ من الصبيان وكان ابوهُ في يسر تام لما ولد فنشأ كما ينشأ الاولاد في المدن الصغيرة المجاورة لبلاد الفلاحين والذين اقاربهم من كبار الفلاحين اي نشأ وهو يقضي اكثر ايامهِ في الشوارع والمزارع والحراج يرى الشوارع غاصة بالمواشي وباعة الحبوب والاثمار والمزارع والحراج تربض فيها القطعان ويتولى الناس اعمال الزراعة على انواعها وضفاف نهر افون يرتادها الصيادون يوماً بعد يوم. وكان يحضر الاسواق والمآتم والافراح ويزور بيت جدهِ لامهِ ويجول في حديقتهِ الغناء فيقابلهُ الخدم والحشم بما يستحقهُ من الاكرام وارث الوارثة لذلك البيت. ولما شبَّ صار يشترك في الاعياد المختلفة وحفلاتها الباهرة

وكان في البلاد الانكليزية كثير من اجواق التمثيل وكانت هذه الاجواق تزور مدن الارياف وتمثل فيها الروايات الدينية ومن المرجح انها زارت ستراتفورد لهذه الغاية مراراً او على الاقل لما دعاها ابوهُ وسمح لها ان تمثل في دار المجلس البلدي. ومن المؤكد انها كانت تزور كوفنتري وهي على مقربة من ستراتفورد ويبعد عن الظن ان لا يكون شكسبير من الذين ذهبوا لمشاهدة تلك الروايات وتتبعوا فصولها فصلاً فصلاً

وكان في ستراتفورد مدرسة كبيرة من القرن الخامس عشر تعلم اللغة اللاتينية وشيئاً من اليونانية مع الانكليزية ولكن اكثر الاعتماد كان على تعليم اللاتينية وآدابها فيتعلمها التلميذ قراءة وكتابة وتكلماً. ويُعلم الآن ماذا كان التلامذة يدرسون في كل سنة مدة اقامتهم في تلك المدرسة وما هي الكتب التي كانوا يدرسونها ومن هم اساتذتهم وما هي مؤلفاتهم وما هي شهرتها. ويظهر من رواياته انهُ اتقن درس اللاتينية واستخدامها اي انهُ جعلها وسيلة لا غاية. والظاهر انهُ اقام في تلك المدرسة ست سنوات فلا بدَّ من ان يكون قد قرأ كثيراً من تواريخها ودواوينها ورواياتها واستظهر من درر العبارات وجوامع الكلم ما كان لهُ اكبر عون في انشاء رواياتهِ التمثيلية واشعارهِ الحكمية. وكان يعرف ايضاً شيئاً من اليونانية وقد اشار الى ذلك صديقهُ الشاعر بن جنصن لما رثاهُ ولولم ينسب اليهِ التضلع من اللغة اللاتينية ولا غضاضة على شكسبير في ذلك لان المتضلعين من العلوم قلما يفلحون في تعاطي الاعمال وهذا بن جنصن لا يذكر اسمهُ الآن مرة حتى يذكر اسم شكسبير الف مرة واساتذة شكسبير في اللاتينية لم تعلم اسماؤهم الا بعد البحث الطويل. وقبل ان اتم شكسبير دروس تلك المدرسة ساءت احوال ابيهِ المالية فاضطرَّ ان يتركها سنة ١٥٧٨ وعمرهُ ١٤ سنة فقط ومن ثمَّ صار اعتمادهُ على العمل وهو مدرسة التعلم كما سيجيء

حبائل الحب

وضع المستر كونان دو يل رواية بديعة خلاصتها ان ضابطاً من ضباط الجيش البريطاني قتل فتاة اسمها اناغارنير واعترف بجريمتهِ في نقطة البوليس ولكنهُ قال انهُ لا يدافع عن نفسهِ و يبيّن الحامل لهُ على فعلتهِ الاَّ امام محكمة الجنايات . وشاع حينئذٍ انهُ قتلها غيرةً فلم ينفِ هذه الاشاعة ولا اثبتها بل قال انهُ سيثبت جلية امرهِ امام المحكمة

ولما عقدت محكمة الجنايات وجيء بهِ اليها لم يرضَ ان يدافع عنهُ احد بل تولَّى الدفاع بنفسهِ فسمع القاضي والمحلفون اقوال النائب العمومي وشهادات الشهود التي تثبت الجريمة على القاتل وهو لا يبدي اعتراضاً ولما جاء دورهُ للدفاع نهض واخرج ورقة من جيبهِ وتلاها بصوت رزين قال ما خلاصتهُ

لقد كان في الامكان ايها السادة المحلفون ان آتي بامهر المحامين للدفاع عني لا لانني غنيٌّ استطيع ان ادفع اجورهم بل لان اخواني الضباط عرضوا عليَّ ان يدفعوا هم اجورهم كرماً منهم . ولقد فضلت ان ادافع عن نفسي بنفسي لا لانني مغترٌّ بقدرتي حاسب اني كفوءٌ لذلك بل لانني معتقد ان قضيتي واضحة جدًّا وانني اذا بسطتها لديكم بالبساطة التامَّة اقنعتكم ببراءتي اكثر ممَّا لو تولَّى الدفاع عني امهر المحامين . ولقد سمحت لي المحكمة كرماً منها ان اكتب دفاعي واتلوهُ على مسامعكم لكي اتمكن من ايراد الحقيقة بلا زيادة ولا نقصان

تتذكرون انني لم اشأ ان ادافع عن نفسي وقت التحقيق امام البوليس منذ شهرين بل قلت انني لا استطيع ان افعل ذلك الاَّ بعد ايام وقد مضت هذه الايام وصرت قادراً على الدفاع وساوضح ذلك الآن بالتفصيل واخبركم ماذا فعلت ولماذا فعلتهُ فاذا رأيتم بعد ذلك انني مذنب ويجب عقابي احتملت العقاب الذي تحكمون بهِ عليَّ صامتاً

مضى عليَّ في سلك الجيش ١٥ سنة وانا الآن في رتبة كبتن (يوز باشي) وقد حاربت في جنوب افريقية وذكرني رؤَسائي بالمدح . ولما نشبت الحرب الحاضرة عُينت لتعليم اورطة نظمت حديثاً في ردنشرش فنزلت في بيت المستر مربفيلد والتقيت هناك بمس اناغارنير

وليس من اللياقة ان اتولى وصف هذه الفتاة في هذا الوقت وفي هذه الاحوال ولكن لا بد لي من ذكر بعض اوصافها لارتباط ذلك بقضيتي اشدَّ الارتباط فاقول انها كانت في الخامسة والعشرين من عمرها طويلة القامة جميلة المنظر جدًّا فاحببتها حالما رأيتها وصار همي الوحيد ان اقترن بها ولم يكن امر الزواج يخطر ببالي قبلاً ولكن رؤْية هذه الفتاة غيَّرت كل

انكاري وصرت احسب ان سعادتي متوقفة على قبولها الاقتران بي . ولكنني اقول انصافاً لنفسي انني بقيت احسب شرفي كجندي ورجل اعلى واسمى من حقوق المحبة . وسترون انني فعلت فعلة تنقض هذا القول ولكن كل ما فعلتهُ بعدئذٍ كان لاجل التكفير عن تلك الفعلة

واتضح لي ان الفتاة تميل اليَّ كما ملت اليها وكانت قد جاءت الى ذلك البيت من مونبليه في جنوب فرنسا منذ سنة من الزمان لانها قرأت في الجرائد اعلاناً يطلب بهِ صاحبهُ معلمة فرنسوية لاولادهِ فجاءت ولم تطلب اجرة بل رضيت بالاقامة في البيت ضيفةً فيهِ . وفهمت منها انها تحب الانكليز و بلادهم وتودُّ ان تكون كل اقامتها فيها ثم لما نشبت الحرب زاد كرهها للالمان وحبها للانكليز حلفاء بلادها فرنسا . واخبرتني ان جدها قتل في حرب السبعين وان لها اخوين وهما في الجيش الفرنسوي . ولما كانت تتكلَّم عن الفظائع التي ارتكبها الالمان في البلجيك كان صوتها يرتجف من شدَّة الغيظ . وكثيراً ما رأيتها تقبل سيفي ومسدسي لانها كانت ترجو ان استعملها في قتل العدوّ . ومن هنا ترون انهُ كان لتعلقي بها اكبر مسوغ وكنت اود ان اقترن بها حالاً اما هي فكانت تقول ان ذلك لا يمكن ان يتم الاَّ بعد الحرب والوقوف على ارادة اهلها حسبما تقتضيهِ شروط اللياقة في فرنسا

وكانت من امهر النساء في ركوب الموترسيكل وقد جرت عادتها ان تركب هذه الآلة وتخرج وحدها وتغيب ساعات متوالية ولا تأذن لي في مرافقتها . وكنت اراها في بعض الاحيان كانهامفرغة في قالب اللطف والدعة وفي احيان اخرى تتجنبني لغير سبب واذا لججت عليها طالباً ان تفصح لي عن السبب تنظر اليَّ شزراً ثم تفعل شيئاً يسرني فيزول ما خامر نفسي من الغيظ

وكانت اشغالي لا تسمح لي بمشاهدتها الاَّ في المساء لكنها كانت تقيم احياناً في الغرفة التي تعلم فيها الاولاد وتقول لي صريحاً انها مشغولة ولا تستطيع ان تراني واذا رأت بعد ذلك اني اغتظت منها تضحك وتعتذر عما فعلت مبدية الغنج والدلال فيزيد افتتاني بها

ولا انكر اني كنت غيوراً عليها بل شديد الغيرة . ثم وجدت انها تعرف كثيرين من الضباط وقد تقدم انها كانت تركب الموترسيكل وتغيب ساعات متوالية فداخلتني الظنون واشتدت الغيرة بي ولاسيما حينما كنت اسألها عن ماضي حياتها فاجدها سرّاً غامضاً وكثيراً ما كان عقلي يحذرني منها فيقوم قلبي و يتغلَّب عليهِ ولاسيما وانها كانت فتانة تبتسم في وجهي فتنسيني كل الشكوك والظنون او تعتذر عما فرط منها اعذاراً محكمة مقبولة

ورأيت مرةً على مكتبها صورة شاب وتحتها اسم " ڤاردين " فحسبتهُ اسم صاحب الصورة ويظهر من تجعُّد زواياها انها تحملها في جيبها فسألتها عن صاحب الصورة فقالت انها لا تعرفهُ

ولا رأيتهُ مطلقاً فاغتظت منها ورفعت صوتي لجاءت صاحبة البيت ولامتني على ما بدا مني من الغيرة والحدة . وكانت الفتاة فتانة في منظرها ودلها ففارقتني سورة الغيظ حالاً لكن بقي اسم هذا الرجل في ذهني واجتهدت لاعرف من هو بكل الوسائل فلم استطع

ثم عينت في وزارة الحربية فاضطررت ان اقيم في لندن وكانت اشغالي هناك فوق رأسي تستغرق كل وقتي واخيراً نلت اجازة بضعة ايام فاسرعت الى ردتشرش حيث فاتنتي لاراها وكانت ردتشرش على خمسة اميال من المحطة فوجدتها في المحطة واقفة في انتظاري . ولا استطيع ان اصف لكم ايها السادة كيف يضلُّ الانسان وتظلم بصيرتهُ في الحالة التي كنت فيها فان استطعتم ان تتصوروا ذلك من تلقاء انفسكم فبهِ والاَّ فلا يمكنني ان اجعلكم ترون غير ما ساذكرهُ لكم من واقعة الحال فاني ارتكبت اعظم ذنب ارتكبتهُ في حياتي وانا سائر مع تلك الفتاة من المحطة الى البيت الذي كانت فيهِ وذلك اني اطلعتها على سر مهم جداً كان يمكن ان يغير مجرى هذه الحرب ونخسر بسبب افشائهِ الوفاً كثيرة من الرجال . وقد فعلت ذلك على غير انتباه وقبل ان اعرف انها ادركت المراد . فاني رأيتها متألمة متنغصة تكاد تبكي لان الالمان كانوا واقفين امام جنود الحلفاء كسد من حديد يمنعونهم من الحركة . فقلت لها ان الالمان مهاجمون ونحن الواقفون امامهم كسد من حديد يمنعهم من التقدم . فقالت « ولكن ابيقون في فرنسا وفي بلجكا ولا نستطيع ان نطردهم منها بل نكتفي بالوقوف امامهم راضين بامتلاكهم عشر ولايات من فرنسا . اواه يا حبيبي اواه بالله عليك قل لي كلمة تزيل كآبتي وتنعش فؤادي قل لي كلمة تلقي في قلبي شعاعة من الامل ما اقسى قلوب الانكليز وما اطول روحهم واكثر جلدهم اما نحن الفرنسو بين فلسنا مثلكم نحن شديدو التأثر وهذه الحالة موت اليم . قل لي بحقك انهُ لم ينقطع الامل ولم يزل في جعبة الرجاء منزع . ولكن كيف اسألك هذا السؤال وانت موظف صغير لا تعرف اسرار القواد العظام »

فقلت لها اني اعرف اكثر مما تظنين فلا تقلقي لانهُ لا بدَّ لنا من اتخاذ خطة الهجوم قريباً

فقالت قريباً يعني بعد سنة او سنتين

فقلت كلاَّ ليس بعد سنتين ولا بعد سنة

فقالت ايمكننا ان ننتظر شهراً ونحن على هذه الحال . فقلت ولا شهراً

فشدت يديها على يدي وقالت اواه يا حبيبي لقد انعشت فؤادي ولكن ما اصعب الانتظار . ان انتظار اسبوع واحد يقتلني

فقلت وقد لا يكون اسبوعاً

فقالت قل لي شيئاً واحداً هل يكون الهجوم من جنودنا البواسل ام من جنودكم الاشاوس. مَن ينال مجد الهجوم

فقلت الفريقان

فقالت لا فضَّ فوك اذن يهجم الفريقان معاً حيث يتصل احدهما بالآخر

فقلت كلاَّ لا يهجمان معاً

فقالت ولكنني فهمت منك ان الهجوم يكون مزدوجاً ولكن النساء لا يفهمن هذه الامور

فقلت لنفرض ان الفرنسويين يهجمون عند ڤردون والانكليز عند ايبر فيكون هجومهما معاً ولو كان بينهما مئات من الاميال

فصفَّقت بيديها وقالت الآن فهمت انهم يهجمون من طرفي الخط في وقت واحد حتى لا يعرف الاعداء الى اي جهة يرسلون المدد

فقلت لها اصبتِ هذا هو المراد وهو هجوم فعلي في ڤردون وتظاهر بالهجوم عند ايبر

ولم اكد اتلفظ بهذه الكلمات حتى اعترتني قشعريرة ولا ازال اتذكر كيف تنحَّيت عنها حينئذٍ ونظرت في وجهها وقلت لها لقد بحت لك بما لا يجوز لي ان ابوح بهِ لاحد فهل تعدينني بالكتمان التام

فاستاءت من ارتيابي بها وقالت «اني اقطع لساني ولا افوه بكلمة لمخلوق مما قلتهُ لي» فاطمأَنَّ بالي وحسبت ان لا داعي للخوف مطلقاً ثم نسيت ذلك بما وجدتهُ من دواعي السرور

وكنتُ مكلفاً اداء رسالة الى الكولونل ورول فذهبت اليهِ وغبت ساعتين. ولما رجعت سألت عنها فقالت لي الخادم انها دخلت غرفتها بعد ان قالت للسائس ان يعدَّ لها الموترسيكل ويضعهُ امام الباب. فاستغربت كيف تفارقني وزيارتي لها قصيرة جدًّا ودخلت الغرفة التي تعلم فيها الاولاد وجلست امام مكتبها الذي تكتب عليهِ فوقع نظري على الورق النشاف الذي امامها فاذا عليهِ بحروف مقلوبة اسم ڤاردين وهو نفس الاسم الذي على الصورة الفوتوغرافية وكان جزءًا من عنوان ورأيت في اسفل العنوان حروفاً تدلُّ على فرع من فروع البوسطة بلندن فعلمت انها تكاتب ذلك الرجل وانها كتبت اليهِ في ذلك اليوم مع انها قالت لي انها لا تعرفهُ ولا رأتهُ. فثار ثائر الغيظ في رأسي حتى فقدت صوابي وامسكت بدرج مكتبها وكان مقفلاً فكسرتهُ ولو كان من الحديد لكسرتهُ واذا بالمكتوب الذي كتبتهُ هو الى هذا الرجل لانهُ مبدوء باسمهِ فجالت نظري فيهِ من اولهِ الى آخرهِ قبل ان اقرأهُ فوجدت فيهِ كلمة ايبر فاعترتني رعشة وقرأت الكتاب كلهُ وهذه ترجمتهُ

عزيزي المسيو ڤاردين

اخبرني ستربحر انهُ اطلعك على اخبار تشلمسفورد وكلشستر فلم اهتم بالكتابة اليك عنها. وقد نقلوا لواء الجيش المتطوع والمدافع الكبيرة الى الساحل عند كروس لكي يمرنوهُ على كيفية النزول الى السفن

اما اهم اخباري فمستقاة من وزارة الحربية رأساً فانهُ في اقل من اسبوع سيأخذ الفرنسويون خطة الهجوم الشديد في ڤردون و يتظاهر الانكليز بالهجوم الكبير في ايبر فيجب ان ترسل رسولاً هولندياً مخصوصاً الى فون ستريس باول سفينة وارجو ان اقف الليلة على يوم الهجوم بالضبط التام وسائر التفاصيل ولكن يجب ان لا تؤخر ارسال الخبر الذي اخبرتك بهِ

ولم اجسر ان ارسل هذا الكتاب بالبريد من هنا ولذلك سآخذهُ بنفسي الى كلوشستر فيضعهُ ستربحر مع تقاريرهِ التي تسلَّم اليك يداً ليد صوفيا هفنر

لم اكد اتم قراءة هذا المكتوب حتى شعرت كأنَّ صاعقة نزلت على رأسي . فبهتُّ ودهشت وتولاني غيظ شديد لا استطيع التعبير عنهُ اذ رأيت ان هذه الفتاة التي يحت لها باعظم سر هي جاسوسة المانية . بحت لها بسر من وراء الاباحة بهِ قتل الوف ومئات الالوف من اهل وطني وحلفائهم . وبينما انا جالس مذهول سمعت صوت وقع قدميها فدخلت ونظرت اليَّ ومكتوبها في يدي ودرج مكتبتها مكسور فقالت كيف تجاسرت ان تكسر مكتبتي وتسرق مكتوبي

فلم اجبها بل احدقتُ بنظري اليها وانا افكر في ما يجب ان افعل . ثم هجمت عليَّ كاللبوة وحاولت خطف المكتوب من يدي فامسكت يدها ودفعتها الى مقعد امامي وقرعت الجرس وطلبت من الخادم ان تنادي صاحب البيت . وكان رجلاً فاضلاً عامل هذه الفتاة كأنها ابنتهُ فاخبرتهُ انها من جواسيس الالمان ولم استطع ان اريهُ المكتوب فذهل من هذا الخبر وقال لي ماذا تشير علينا ان نفعل فقلت لا بدَّ من القبض عليها حالاً ومنع اتصالها بغيرها قبل القبض عليها لان لها اعواناً في هذه القرية فهل تستطيع ان تتولى حفظها الى ان اخبر قائد الجيش هنا وتحضر الامر بالقبض عليها

فقال نعم يمكننا ان نضعها في غرفتها ونقفل بابها

فقالت هي ابقوني هنا وانا اعدكم باني لا ابرح مكاني ولكن لا تنس يا كبتن فوكر انك كثيراً ما تتعجل وتندم فاذا قبضتم عليَّ واعتقلتموني وشاع في طول البلاد وعرضها انك

اطلعتني على اسرار الحكومة التي اوتمنتَ عليها خسرت يا صاح خسارة لا تعوَّض

فقلت لصاحب البيت ان يضعها في غرفتها و يقفل الباب فقالت لا مانع ومشت معنا ولم نكد نخرج حتى افلتت منا وركضت الى الموترسيكل فادركناها وقبضنا عليها فجعلت تعض وتخمش كالقطة ولقينا صعوبة شديدة في جرها الى غرفتها فادخلناها اليها واقفلنا بابها ·
وقال لي صاحب البيت حينئذٍ ان غرفتها عالية تعلو عن ارض الحديقة التي تحتها ٤٢ قدماً وانهُ سيبقى امام بابها الى ان ارجع

فقلت لهُ خذ هذا المسدس وكن على حذر لاننا لا نعلم مَن لها من الاعوان في هذا المكان ووضعت رصاصتين في المسدس فقال ان عصاهُ كافية والبستاني قريب · فاسرعت انا لجلب الامر بالقبض عليها فوجدت ان لا بدَّ من معاملات قانونية كثيرة يقتضي العمل بها كابسا ساعات فعملت بعضها وعدت الى المنزل مسرعاً وكانت الشمس قد غابت وكاد الليل يرخي سدولهُ فلا يرى المرء امامهُ الى اكثر من ثلاثين خطوةً ولم اكد اسير طويلاً حتى سمعت صوت موترسيكل مقبلاً نحوي بسرعة فائقة فحدت من الطريق قليلاً كي لا يصدمني واذا انا بهذه الفتاة وهي حاسرة الراس وشعرها يحاول تعبث بهِ الريح فمرت امامي كالسهم فرأيت في لحظة كل ما يمكن ان يحدث من نجاتها ونظرت الخطر الذي يحدق بنا وبحلفائنا من معرفة الالمان للسر الذي افشيتهُ لها · وفي اللحظة الثانية كان المسدس في يدي ورصاصتان خارجتان منهُ فسمعت صرخة وصوت آلة وقعت ثم سكوت تام · ولما وصلت الى الآلة وجدتها في الخندق الى جانب الطريق وتلك الجاسوسة الخائنة مطروحة لا حراك بها ·
وبينما انا واقف مذهولاً وصل صاحب المنزل يلهث واخبرني انها نزلت من شباك غرفتها متمسكة باغصان اللبلاب المتعرش عليها واسرعت الى الموترسيكل وركبتهُ قبلما استطاع ان يلحق بها · ووصل حينئذٍ الجنود الذين كانوا آتين للقبض عليها فقبضوا عليَّ

وقد طُلب مني وقت التحقيق ان اشرح واقعة الحال فلم استطع لئلاَّ افشي سر الهجوم قبل وقوعهِ والآن عرفتم قصتي كما هي وانا معترف بذنبي الاكبر وهو افشائي سرَّا كان الواجب عليَّ ان لا افشيهُ لاحد ولكنكم لا تحاكمونني الآن على هذا الجرم بل على جرم آخر وهو قتلي لهذه الجاسوسة اما انا فكنت اعد نفسي مجرماً اكبر جرم لو لم اقتلها

والآن اترك امري في يدكم فاذا برأتموني فاني ارجو ان اكفر عن ذنبي الاكبر حيث يصح التكفير عنهُ وعسى ان القى منيتي هناك فاستريح من ترنيب ضميري واذا لم تبرئوني فاني ارحب بالعقاب الذي تعاقبونني بهِ مهما كان

حياة الامم بالعلم

اطلعنا على خطبة بليغة لاحد رؤساء مجمع تقدم العلوم الاميركي تلاها في اجتماع ذلك المجمع الاخير جعل موضوعها لزوم البحث العلمي لحفظ كيان الامة وقال فيها ما خلاصته

اذا شاءت الامة الاميركية ان لا تموت وتتلاشى وجب عليها ان تزيد قوة وكفاءة اجتماعيًا وصناعيًا وسياسيًا واذا شاءت ان لا يعتدي عليها غيرها ولا تغل يدها بتعرض الاجانب لها او تسلطهم عليها فالواجب ان لا تتوكل ولا تترك امورها لتصاريف الزمن ولهذا السلم الذي ليس له سياج منيع من القوة

فقد رأينا امم اوربا ماسكاً بعضها بخناق بعض تتجالد وتتفانى كانها الوحوش الضارية لا تحجم عن قتل ولا عن تخريب ولا تأخذها رأفة ولا شفقة . حرب ضروس ونار آكلة وقودها الرجال والاموال ورمادها شقاء تعجز عن تصوره العقول

ديست العهود ومزقت المواثيق وامتهنت شرائع الله وشرائع الناس ولم تبقَ الا شريعة السيف . افلا يحتمل ان توجه بعض هذه القوى يومًا ما نحو اميركا فتفوق اليها سهام الغزاة الطامعين في الاستعمار واذا حدث ذلك فهل نحن من المنعة في حرز حريز

كثيرون من قومنا لا يرون رأي القائلين بالتأهب للحرب حاسبين ان في الضعف قوة . ولا يكسر الا الصلب وان علينا ان ندعو الناس الى التآخي لا ان نلبس عدة الحرب ونبرز الى ميدان القتال

لا شبهة ان الحرب مكروهة لذاتها ولا رغبة لنا فيها ولكن لا شبهة ايضًا ان الامة التي لا تستطيع ان تمنع اعتداء الغير عليها في هذا الزمن يزول شأنها ولا يبقى لها مقام بين امم الارض

ومن لا يذد عن حوضهِ بسلاحهِ يهدم ومن لا يتق الشتم يُشتمِ

فاول ما يُطلب منا لانفسنا ونوع البشر عامةً ان نقي انفسنا ونجعل ابناءنا قادرين على وقاية انفسهم والاحتفاظ بما لهم من الحقوق والشرائع والقوانين

وعلى صحة افراد الامة وقوتهم تتوقف سلامتها ويتوقف استمرارها على السير في سبل الارتقاء . فلننظر الآن الى بعض الشواهد الدالة على ان قوتنا آخذة في الانحطاط عسى ان ذلك يلجئنا الى ان نطلب من حكومتنا تعيين لجنة مؤلفة من خمسة عشر رجلاً من اكبر رجال العلم واشهرهم تبحث في اسباب ضعفنا وتشير بما يزيل هذه الاسباب وينيلنا القوة التي نحتاج اليها

ان التقدُّم في العلوم والفنون والاختراعات قد اراحنا من كثير من المشاغل العقلية والمتاعب الجسدية فاعطانا الصحة والراحة والرفاهة وسهَّل علينا اكتساب العلوم والفنون الى حدٍّ لم يخطر على بال اسلافنا. وازال من سبيلنا كثيراً من المخاطر واطال اعمارنا وذلك كلهُ من الفوائد التي نعترف بها شاكرين

ولكن المشاغل والمتاعب نقصت من بعض الوجوه وزادت من غيرها وعمراننا لم يقتصر على جلب المنافع بل جلب ايضاً بعض المضار لانهُ عوَّدنا عادات تفضي الى المخاطرة والمجازفة وضعف الاجسام

الاَّ ان البعض ينظرون الى المنافع ولا ينتبهون للمضار فاذا رأَوا قلَّة الوفيات وزيادة متوسط العمر حسبوا ان الامة آخذة في النمو عدداً وقوةً ولكن لو انعموا نظرهم لوجدوا ان قلَّة الوفيات ناتجة كلها تقريباً من قلة وفيات الصغار وهؤُلاء كانوا يموتون بامراض عارضة تعرض لهم فقلَّت وفياتهم بمقاومة هذه الامراض لا بزيادة في قوة بنيتهم فكأننا قللنا وفياتنا لا بتقوية اجسامنا بل بتجنب بعض اسباب الموت

اننا نباهي بما نلناهُ من الغنى الوافر واسباب الراحة الناتجة عن تسهيل الانتقال والاعتماد على الآلات في عمل الاعمال . ولكننا افرطنا في ذلك فنتج عن افراطنا ان زادت مشاغلنا وصرنا نحاول ان نعمل كل اعمال الحياة ونجمع كل مسراتها في سنين قليلة فنفرط في الاكل والشرب واللعب كما نفرط في العمل فزاد ضعاف الابدان منا وزيادتهم مطردة

ثم ان شدة اعتماد افرادنا على انفسهم قوَّت فيهم الاثرة والانانية فصار الواحد منهم لا ينظر الى الامور الاَّ حيث تأول الى راحتهِ ورفاهتهِ فداس القيود والقوانين التي تقيد حريتهُ الشخصية ولو كانت من قوانين الصحة . ومن استقلَّ بنفسهِ ولم يهمَّ الاَّ بها ابطل الاهتمام بامتهِ وحسب انهُ غير مديون لاحد بشيء فيخشى ان تطلبهُ بلادهُ في ساعة الشدة ليدافع عنها فلا تجد منهُ معيناً لانهُ فقد عاطفة الاجتماع والنعرة القوميَّة وصار همهُ كلهُ موجهاً الى راحتهِ ورفاهتهِ فما فائدة الامة من رجل مثل هذا

والناس الذين هذا شأنهم هم الذين يكثر فيهم الانتحار او قتل الغير لان قيمة الحياة زهيدة في عيونهم

ومماَّ يجب ان لا نغفي عنهُ ان تفانينا في عدم اضاعة الوقت جعلنا شديدي الاهتمام ضعيفي الاجسام لان الذي يخاف ان يضيع دقيقة من وقتهِ يبطل المشي والحركة فصرنا كلنا

نُسرع في سيرنا ونعجل في اعمالنا واقوالنا وابطلنا اساليب المعاشرة والمفاكهة القديمة وابطلنا معها التبصر واعمال الفكر وصرنا نوجز في كل شيء ونبدي احكامنا باسرع ما يمكن وتملكتنا ملكة الضجر والحدة فاثرت في موازنتنا العقلية وهذا سبب ما نراهُ من ازدياد التهيج العصبي· ولا بدَّ من ان يؤثر هذا التهيج في اعضاء الجسم الرئيسة كالقلب والشرايين والكليتين ولاسيما في المجموع العصبي كلهِ فكيف يقوى اناس اصيبوا بهذه الافات على دفع اعدائهم والذود عن حوضهم

وقد كان لتقليل الاعمال الجسدية اثر سيء في حياة الامة فان الملايين منا ولدوا من آباء عاشوا عيشة خلوية صحية لكنهم لم يقتفوا خطوات والديهم بل اقاموا في المكاتب والمخازن والمعامل حيث لا سبيل لاجهاد اجسامهم ولا لترويضها ولا لتشغيل عقولهم · وقد قلَّ العمل البدني حتى في الارياف فكانت نتيجة ذلك كلهِ ضعف الابدان وتعرضها للامراض وسيزداد هذا الضعف رويداً رويداً بازدياد المكتشفات والمخترعات التي يختصر بها الوقت ويُغنى بها عن التعب

اذا دُعي الناس ليحاربوا ويدافعوا عن وطنهم فاول ما يُطلَب منهم ان يكونوا اصحاء اقوياء ولذلك يُنتقَون انتقاء ويرفض كل من كان ضعيفاً منهم ويطلب من القوي ان يتولى الدفاع عن الضعيف ولكن نظامنا الصناعي آل الى اضعاف ابداننا كلنا· ففي الولايات المتحدة ٢٨ مليوناً سنهم بين ١٨ و ٦٠ وثمانية ملايين ونصف مليون منهم مصابون بامراض في اعضائهم الرئيسة فعلاً او ظهرت فيهم بعض اعراضها ولا يحتمل ان تتوقف هذه الامراض او تشفى الا اذا جروا على قوانين الصحة في معيشتهم · ومعلوم اننا اذا نظمنا جيشاً كبيراً للدفاع عن الوطن وجب ان ننظمهُ من هذه الطائفة طائفة العمال ومن اقويائهم لا من ضعفائهم واساليب الحرب الحالية تستلزم ان يكون الجندي على تمام القوة البدنية والعصبية فكيف يصلح لها رجال الفوا القعود والسكون ولم يتمرنوا قط على تجشم المشاق

أُختبر في الصيف الماضي جماعة من اهالي بتسبرج ليسيروا سير الجنود فوصف بعضهم ذلك السير قال

« سرنا سيراً حثيثاً مسافة اميال ودبينا على الارض كما يفعل الجنود في ميدان القتال الى ان أُصبنا بالدوار من شدَّة الاعياء · فان مَن يزحف على بطنهِ مسافة ميل او يعدو حاملاً ٣٨ رطلاً وهو يطلق بندقية ثقلها ثمانية ارطال بعد ان يكون قد قطع مسافة طويلة لا يكون عملهُ الا شاقاً ولو لم تنفجر القنابل فوق رأسهِ

« والاعتماد هنا على القوة البدنية وقد ثبت لنا حينئذٍ ان هذه القوة تنقصنا كامَّة فان جماعتنا كانت منتقاة من المصارعين ولاعبي الكرة والصولجان وكرة القدم والاساورة؟ صيادي الوحوش الضارية وامثالهم وقد مُرّنت على الحركات العسكرية شهراً كاملاً ومع ذلك لم نستطع ان نسير كلنا اكثر من عشرة اميال ولكن الفرقة الثلاثين من الجيش النظامي سارت حينئذٍ ٣٢ ميلاً ووصلت وموسيقاها تعزف ولسان حالها يقول هكذا يكون الرجال »

فان كان الرجال الاشداء الذين تطوَّعوا وتمرنوا شهراً كاملاً لم يستطيعوا ان يجاروا الجيش النظامي بوجه من الوجوه فكم من الزمن يلزم لتمرين عامَّة السكان الضعاف الابدان على مجاراة الجيوش النظامية ومحاربتها

واساليب المعيشة الحالية قد اضعفت اعضاءنا الرئيسة القلب والشرايين والكليتين واعضاء الهضم . فكثرت الوفيات الناتجة من ضعف هذه الاعضاء وهذا يدل على ان الضعف اخذ يستولي على الامة كلها ولا بدَّ من المبادرة الى مقاومتهِ

وقد قلَّ عدد المواليد ولكن ما كسبناهُ بتقليل موت الاطفال لا يوازي ما خسرناهُ بقلة المواليد . واقوى اسباب هذه القلة الاحجام عن الزواج فقد ظهر بالاحصاء الاخير ان عندنا ١٧ مليوناً في سن الزواج من الرجال والنساء وهم غير متزوجين فيجب الاهتمام بذلك وبكل ما يصلح النسل

ثم لخص الخطيب ما ذكرهُ في هذه الخطبة وما لم يذكرهُ فيها من الدلائل الدالة على ضعف الامة الاميركية ناظراً الى غرض واحد وهو المبادرة الى تلافي هذا الضعف وتقوية الامة لا لكي تعيش عيشة هادئة مطمئنة ولا لكي تزيد راحتها ورفاهتها ولا لكي تكون قدوة لام الارض في إجراء العدل والانصاف بل لكي تستطيع ان تقهر غيرها اذا حاول الاعتداء عليها

بلاد يزيد سكانها الآن على مئة مليون من النفوس وهم من اغنى الناس واعلمهم وامهرهم يقف رئيس جمعية علمية فيهم ويخطب خطبة طويلة مفادها التأهب للحرب

لا حول ولا قوة الاَّ بالله اين خطب رؤَساء المجامع العلمية التي لم تكن تشير الى الحرب بكلمة بل كانت تدور حول ابعاد النجوم وتسلسل الحيوانات وتولُّد قوى العقل وتحوُّل قوى الطبيعة ونشوء الاديان وتواريخ الامم وعادات الشعوب وعوادي الادواء واساليب الشفاء ووسائل الانتقال وجواهر المادة ونظام الكون

اين خطب مؤتمرات السلام التي كانت تمنينا بيوم تزول فيهِ الحروب وتنقطع الخصومات ويفصل في كل خلاف بين الامم بالتحكيم الى ان يستولي الاخاء العام على نوع الانسان

اين مواعظ الكنائس والمعابد التي كانت تعلّم الانسان ان يحب قريبهُ كنفسهِ وان الناس كلهم اخوة من دم واحد ويجب ان يعامل كل احد غيرهُ كما يريد غيرهُ ان يعاملهُ

اين تعاليم الحكماء والفلاسفة ومشترعي الاديان . ماذا اصاب نوع الانسان في هذا العام والذي قبلهُ . ماذا فعلت المانيا بعقول الناس . أكان كل الفضلاء في العصر الماضي والعصور الغابرة منافقين مخاتلين يبسطون طلاءً كاذباً على نفوس وحشية ويلبسون ثياب الحملان وبواطنهم ذئاب خاطفة . معاذ الله . ولكنَّ وباءً معدياً تولّد في المانيا وجنوناً مطبقاً نشأ فيها وترعرع وانتشر منها الى كل اقطار المسكونة كما ينتشر الطاعون او كما تنتشر بعض انواع الجنون . ولا بدَّ من ان يفيق الناس من سكرتهم ويروا ما فعلوا بعضهم ببعض فيجدوا انهم يتقاتلون على عرَض فانٍ وان غاية ما يصلون اليهِ ويبقى لهم اشبار من الارض يضطجعون فيها

الانسان ازاء المدنية [1]

ايها السادة

عندما وقفت هذا الموقف منذ خمس سنوات ما كنت اظن انني ساعود اليهِ اليوم ولكن الجمعية الكريمة رضيت عني على ما يظهر فلم تنسَ دعوتي الى حفلاتها التالية عاماً بعد عام ولم تبرح حتى اضطرتني الى الخضوع ايضاً هذه المرة فعدت اليها شاكياً منها شاكراً لها . بل كيف اشكو منها وقد هزني الشوق اليها واليكم يا كرام طنطا لجئت اشهد عن كثب فلاحها واظهر اعجابي بثباتها ومع الاسف العظيم ان آمالي لم تحقق تلك الآمال التي عقدتها في خطابي السابق ان تكون هذه الجمعية مدرسة للشرقي يتعلم فيها قيمة الاتحاد فيتشبه بها . فقد مرَّت السنون كالحلم وليس لهذه الجمعية اخوات في القطر المصري تنشأ مثلها للاحسان فتجمع تحت لوائها من كل عقيدة ويمشي فيها الناس جنباً الى جنب على اختلاف المذاهب والاديان ولم ارَ حتى الساعة في غير طنطا من تجرأ ان يظهر في هذا المظهر كأنهُ كُتب على الشرقي ان يظل في انقسام الى آخر الايام

(١) خطبة القاها حضرة الدكتور نقولا فياض في الحفلة السنوية لجمعية الاتحاد والاحسان السورية في طنطا في ١٤ مايو سنة ١٩١٦

وما اخص بالرجال شكري واعجابي بعد ان رأيت في هذا الاجتماع من همة السيدات وانضمامهنّ الى هذا العمل المبرور ما يشدد الامل في النفس ويمهّد للفكر سبيلاً الى الرضى والتعزية فانتِ يا سيدتي رفيق هذا الجاهد وكل خدمةٍ منك في هذا الجهاد هي درع من العفاف تنسجهُ يدك الجميلة لاختك البائسة . وما احراك ان تكوني رسول التساهل والاتحاد والوئام انتِ التي اتهموها ظلماً من خلال العصور بكلّ تعصّب وخصام . وما عساي ان اقول فيكِ من جديدٍ لم يقلهُ من قبلي كاتب او خطيب حسبي يا سيداتي ان النور الذي اشرق في هذا النادي قد وصل الى قلبي شعاعٌ منهُ . وهـذه الرؤُس الجميلة الساطعة الاقمار الضاحكة كالازهار قد تركت في رأس هذا العاجز نشوة سرور وامتنان ، فالسلام عليكنّ وعلى ما تحملنهُ من الاحسان ، هنا وفي كل مكان

وما اكتم عنكم العناء الذي لقيتهُ في اختيار موضوعٍ أطرف بهِ جمعكم هذا المساء فقد ترددت طويلاً بين السياسة والطب والشعر . اما السياسة فلم آنس من النفس ارتياحاً اليها ولم اظفر من الذهن بجومة عليها . واما الطب فلم يخلق للمنابر كما تعلمون واني اربأ بنفسي ان اكون ساقياً يدور عليكم بجرعة من المنومات في ساعة هي وايم الحق للّهو والادب لا للنوم والغطيط . واما الشعر فقد مضى العهد بهِ . ايام كان القلب شديد الخفوق والفكر محلقاً في سماء الخيال ولم يبقَ اليوم بعد ان همدت جذوة الشباب وتبددت احلام الصبى الاّ ان يطرح الكاتب سلاحهُ ويطوي هزار الادب جناحهُ

حينئذٍ تمثل امام عيني المشهد الهائل الذي يقيم العالم المتمدن ويقعدهُ منذ عامين . اعظم حرب خاض غمارها اعظم البشر عدة وعديداً . فقلت في نفسي ماذا جرى لابن آدم فهذه الملايين التي تتفانى هي زهرة ارتقاء العصور وهذه الآلات الفتاكة هي بنت التقدم والاختراع والسعادة بالعلم وهذا الرجل الذي يطلق النار على اخيهِ ويعمل فيهِ السيف وينفث حولهُ السم كان بالامس في مكتبهِ يدعو الناس الى الرحمة والحب او في معملهِ يسعى الى اختراع ما يخفف الالم ويزيل الشقاء ويطيل الحياة على الارض . فما هذا التناقض وكيف اختلّ ذلك النظام ؟ ألمْ يكن التقدم الاّ وهماً والرقيُّ الاّ حلماً وذلك البناء الشاهق الذي شيدهُ العقل البشري على مدى العصور الا بيتاً من العنكبوت . هل افلس العلم وضاعت آمال البشرية الراقية . هذه التأملات شغلتني حيناً عن موضوعي ثم ساقتني اليهِ من حيث لا ادري فقلت أحدثهم عن العلم ازاء التمدن عما عمل العلم وما سيعمل صفحة من تاريخ البشرية

امر فيها بسرعة البرق على الاطوار التي تقلب فيها هذا الموجود والمظاهر التي تعددت عليه منذ اتيح له الوجود — مثبتاً ما اردت استنتاجه ان العلم لم يفلس قط وهذه الزوبعة العاصفة في العصر العشرين ستزول كما زال غيرها في سالف العصور . والانسانية لا تزال قائمة . تقدمها دائم . ورقيها في اضطراد . الى ان يقطع الانسان المسافة الباقية له على الارض . فيعود الى الظلمة التي خرج منها

لو أعطي لنا ان نخرق حجب الزمان الغابر . ونطل على لجة الماضي العميق . لبدا لنا دبيب الانسانية في حال الطفولة وسمعنا صياحها في معترك الجهل والشقاء . لا اذكر لكم الارض من يوم كانت كتلة من السديم المائر . او جذوة نار سائلة . الى قشرة باردة . تغمرها سيول الامطار . ولا الحياة من اضطراب الخلية الاولى في ظلمات البحار الى اسمى مظاهرها الحاضرة . بل نتبع الانسان منذ ظهر على الارض . عاري البدن عاري العقل خمسون الفاً من السنين على حساب البعض ومئة الف او مئتان على رأي البعض الآخر قضاها هذا المسكين في تلك الحالة الفطرية بين اشجار غريبة باسقة . وحيوانات ضخمة هائلة سلاحهُ الحجر . ومأواه الغابات والكهوف . ليل طويل مدلهم الظلام . مملوء من الفقر والآلام . لم يؤتَ فيه الا القليل من الخبرة والقليل من الصناعة والقليل من النظام . ثم اخذ الموج البشري يتدفق على الارض متعاظماً عصراً بعد عصر هادماً بالصبر الطويل كل حاجز في طريقه حتى ضاقت الارض بالسلائل البشرية فمشى الانسان شمالاً ومشى جنوباً قاطعاً القفار المحرقة والثلوج الخالدة الى ان قامت الممالك فوق الممالك وامتزجت الامم بالامم فتحضر الانسان وغلت مراجل الحياة في الشعوب وتبدل وجه الارض بتأثير الايدي العاملة وانتشرت فوقها مظاهر العمران فقامت من كل جانب الابنية والهياكل . والمدن والمعاقل . بينما كان الفاتحون الغزاة يمرون على مسرح الاجتماع . سكارى بخمرة الفوز والاطماع . تاركين وراءهم شعاعاً من المجد وسيلاً من الدماء

هكذا درج الانسان من مهد الطفولة . وقد ارتقى شعوراً واكتسى بالتدريج عقلهُ خبرة وفؤادهُ نوراً . كان فقيراً فصار غنيًّا وجاهلاً فاصبح عالماً وضعيفاً فصار قويًّا . ولو اردنا في هذه النظرة القصيرة التي القيناها على الماضي الطويل ان نعرف اين تجلت مظاهر تلك القوة وذلك العلم والغنى . لبدت لنا صفحات التاريخ كمشاهد الصور المتحركة فمرت من امامنا الامم والاجيال تباعاً تتناوب حمل مصباح التمدين يسرجهُ كلٌّ بدوره . ثم يدخل في ظلمات الماضي ويبقى المصباح وهاجاً منيراً

هذه مصر في طليعة تلك الامم · مصر وطن الآلهة · مصر واهرامها وتماثيلها وعمدها وازدحام الشعوب في ساحاتها · هياكل ضخمة · شرائع قاسية · تقاليد راسخة · عقول غارقة في سبات عميق

وهذه صور وصيداء · مهد الفينيقيين · تجار البر والبحر · طلاب المال والفخر · ثم اشور ومدنها الضخمة · وملوكها الطغاة · تخمهم الولائم · وتنفخهم الكبرياء · في قصور مذهبة · تحميها الثيران ذات الاجنحة · ثم الهند مهد الاحلام · ومطار الخيال قاتلة الارادة والالم والشعور · ثم الصين وراء سورها المنيع · عاملة بالصبر والحكمة محتقرة كل غريب · مسرعة في سيرها · مسرعة في نومها

في تلك الايام يا سادة بلغ العلم في بعض فروعه درجة يكاد يحسده عليها العصر الحاضر · وهذه آثار المصريين في التحنيط والبناء شاهدة على ما كان عليه علم الكيمياء والهندسة لذلك العهد · حسبكم هرم الجيزة فانهُ حير عقول العلماء بما فيهِ من دقة الوضع واحكام البناء. فان سطوحهُ متجهة الى جهة الخوافق الاربع بضبط لا مثيل لهُ · وقاعدتهُ الصخرية مشيدة باتقان يحملنا على التساؤل ما هي العدد التي استعملها مهندسو تلك العصور· وزوايا الانحناء في الجهات الاربع بالغة من الكمال في الصنعة ما يتعذر على مهندسي اليوم وعلمائهِ الوصول اليهِ

والى جانب هذا العلم الراقي كانت الحرب اتونًا دائم الضرم اذا خبت نارهُ من جانب شبّت من جانب · وآثار مصر ونينوى و بابل تقصُّ علينا اهوال تلك الغارات الدموية وفظائع ذلك الحكم المستبد الظالم · ولولا الهند لم يسمع العالم القديم كلمة رحمة ولم يسطع في ارجائهِ شعاع للمحبة · قيل ان بوذا خرج يومًا للنزهة فصادف في طريقهِ فقيرًا ومريضًا وميتًا ولم يكن قبلاً قد رأى مثل هـذا المشهد المحزن فعاد ادراجهُ الى القصر وسأل اباهُ الملك ألم يكن في طاقتهِ منع الفقر والمرض والموت فاجابهُ ابوهُ إنك تطلب مني المستحيل يا بنيَّ · وكان هذا الجواب كافيًا للامير ان يتبين بطلان تعاليم البراهمة · فاعتزل لساعتهِ العالم وانقطع للتأمل والبحث عن الحقيقة · ومن هذه العزلة خرجت تلك الديانة القاتلة لشهوات الانسان واحساسهِ · ومن هذه العزلة ارتفع صوت يقول بغرور الحياة · و بين مفاسد العصر القديم قام رجل يدعو الناس الى تجافي مضاجع السرور واللذة قائلاً الرغبة بالتأمل والتأمل بالغيبوبة والغيبوبة بالفناء حتى يصل الى الغاية القصوى من الخير وهي « السذفانا » اي العدم · رسم بوذا للعالم القديم طريق الخلاص كما رآها وقال لهُ : لا تسرْ في هذه الطريق

ان تمدَّ للانسانية يد الاسعاد فترحم كل حيّ وتعفو عن كل مذنب وتنسى كل اهانة وتعامل بالحب والرأفة والجود اخوانك في هذا الوجود

هكذا كانت الامم تمثل ادوارها على ملعب الحياة . عند ما انبثق فجر المدنيّة اليونانية من ضفاف المتوسط فامتدت شعلة الفكر الى كل صوب وسطع نور الجمال في كل افق وتجلت الحرية على عرشها الكريم فشعر الانسان لاول مرة بما في الحياة من جمال . والوجود من عظمة وجلال

وجاءت رومة مليكة العالم . ممدنة البرابرة . فاقامت الابنية الواسعة وخطت الطرق التي لا تمحى رسومها . ووضعت ذلك النظام الاجتماعي العظيم وتلك الشرائع التي لا تزال تهتدي بنورها حكومات العصر الحاضر . وجمعت تحت لوائها الامم أحلافاً متضافرة كأنها أسرة واحدة من ضفاف الاتلنتيك الى شواطئ الفرات ومن مجاهل الشمال الباردة الى صحارى افريقيا المحرقة وهكذا انتشر السلم الروماني مخيماً برواقهِ فوق غنى العالم القديم

الى هنا انتهى الشوط الاول من الرقي وكان الانسان تعب من فرط ما عمل فاتخذ لنفسهِ فترة سكون ونام . فلما استيقظ كان ذلك البناء الشامق قد تداعى بعد ثلاثة قرون طواها في البذخ والبسط والفساد . فجاء البربر واكتسحوا رومه العظمى وبددوا شمل تلك الشعوب الرائعة في بحبوحة العز . ولكنهم لم يقووا على هدم شرائعها ومحو لغتها بل سرت فيهم روحها الى مدة فابتلع المغلوبُ الغالبَ وبقيت تلك الاحكام تدير دفة الرقي واخذ الانسان من غير ان يشعر ينتقل من حال الى حال قاطعاً بالتدريج الشوط الثاني وهو ما يسمونهُ بالعصور الوسطى . وكلكم يعلم ما كانت عليهِ تلك العصور

ثم اشرق فجر جديد للفكر البشري لم تقوَ المشانق على اخفاء نورهِ ولم تتمكن النار التي التهمت ضحاياهُ الكثيرة من حجب ضيائهِ بل كان صوت الحقيقة يعلو كل صوت من افواه شلها الالم . فطار العقل في فضاء الحرية والابداع وارتقت الانسانية بين الحكمة والجنون والعدل والشقاء والسياسة والطمع فاهتدى الانسان الى دورة الارض ودورة الدم واستكشف ناموس التجاذب وعدَّ النجوم وقاس الابعاد واستخدم البخار وكان كل خطوة منهُ فتحاً مبيناً . كأن العصر الثامن عشر قام قومة واحدة ليدفع الانسانية في طريق الارتقاء . وما زالت العلماء تبحث والفلاسفة تنقب والادباء تكتب والعالم كلهُ يتمخض حتى ولدت الثورة الفرنسوية ولم تكن فقط ثورة في السياسة بل في الافكار فجاء القرن التاسع عشر تاجاً على هامة القرون . واذا رجعنا اليوم قليلاً الى الوراء لا نكاد نصدق انهم آباء

هذا الجيل اولئك الذين كانوا من قرن ونصف قرن يسترقون الانسان ويذيقونهُ الذل ضروبًا . ويعذبون من خالفهم في العقيدة تعذيبًا . ولا يرون في الجور والاعتساف والقتل امرًا غريبًا

ايها السادة هذه المسافة التي وصفتها لكم في بضعة اسطر جازها الانسان في بضعة آلاف من السنين . وهي مدة قصيرة بالنسبة الى الزمن الذي طواهُ جهل الفطرة . واما الخطوة الكبرى التي يحق لنا ان نسميها خطوة الجبابرة فقد كانت في الخمسين سنة الاخيرة . فقد فتح العلم فيها مغالق الارض والسماء فعرف الانسان عمر هذه الكرة والكائنات التي عاشت عليها وشهد مولد العوالم من السديم المائر الى النجم الساطع ورسم مكان الكواكب والافلاك التي تدور فيها وحلل نور الشمس وغيرها من ملايين السرُج المستطيرة في الفضاء حتى تلك التي تحتاج اشعتها الى مئات من السنين في اللانهاية قبل ان تصل الى مرصده على الرغم من سرعتها الهائلة

وخضعت لهُ قوى الوجود فصرَّفها كيف شاء من حرارة الى نور الى كهربائية . فحوَّل الشلالات الى قوى تحمل الخصب والحياة الى الاراضي المقفرة وامتطى قبة الفلك وخاض في احشاء البحار قاطعًا اوربا بثلاثة ايام والعالم بثلاثة اسابيع كانهُ من آلهة هوميروس تطوف السماء بثلاث خطوات

وجعل للاجسام الكثيفة شفوفًا تخرقهُ الابصار وحول الليل الى نهار واحيا الميت بالتمثيل صوتًا وحركةً ولباسًا وقبض على عنان البرق فجعلهُ رسول افكاره يسيرهُ حيث شاء . واذاب الحجر الصلد وبخرهُ واسال الهواء وجمدهُ . وبعد ان كانت الكيمياء سبيلاً الى فضاء طمعهِ لا يعرف ان يسألها غير الذهب وهي تضنُّ به عليهِ فضَّ اسرارها فعدَّ ملايين الجواهر الفردة التي تتألف منها نقطة الماء وحبَّة الملح وقرَّب بين الاجسام المتباعدة وقلد الطبيعة وفاقها احيانًا في اختراع الروائح وتصوير الالوان

ولم يلههِ ذلك عن النظر في شؤُون نفسهِ الخاصة فقرأ آيات الدم الجاري والقلب الخفاق والدماغ الآمر والعضل المنقبض والرئة التي تتنفس والمعدة التي تهضم. وتغلغل في اعماق المادة بما اخترعهُ من المناظير والمكبرات فاشرف على تلك الكائنات المتناهية في الصغر التي تشهر عليهِ في الخفاء حربًا دائمة وادرك اي سلاح قلدتهُ الطبيعة للدفاع عن نفسهِ في صدر هذا العدو الجرار واذا حق للطب اليوم ان يفتخر بما وصل اليهِ من الارتقاء فرجع الفخر الى الكيمياء التي شقت لهُ الحجاب عن هذا العالم الجديد بما كشفتهُ من اسرار

الاختبار . واذا قلت الطب فلا اقصد بهِ وسائل التشخيص والعلاج فقط بل الجراحة ايضاً . فقد كان الجرّاح فيما مضى لا يقوم على اجراء ادنى عملية تخوفاً من عواقبها الوخيمة واقلها الغنغرينا والموت ولم يكن من فرق يذكر بين المزيّن والجراح وكثيراً ما قام الاول بعمل الثاني . اما اليوم فقد صار الجراح بفضل التطهير والتعقيم يفتح البطن والجمجمة والصدر ويطل على المخ والرئة والقلب ويستأصل العظم والرحم والاحشاء ولا يخطئهُ مشراطهُ الشفاء وعلى علم المكروب هذا موقوف امل الاطباء بدفع اذى الامراض كلها كما سأبينهُ لكم فيما يلي

قلت في بدء خطابي انني لا احب ان اسقيكم منوماً فلا تحسبوني ناسياً ما قلت . ولكنني طبيب قبل كل شيء وشرف الصناعة لا يسمح لي ان امرّ على الديار ولا اسلّم . وان هي الاَّ وقفة قصيرة اشهد فيها معكم حرباً عواناً لا نقل هولاً عن الحرب الحاضرة الاَّ انها خفية لا تراها العين ولا تسمع فيها الاذن لعلعة المدافع ودوي القنابل المتفجرة وهذه الحرب ليست في الخنادق تحت الارض ولا بين المحلقات في الجو او الحراقات في البحر ولكنها في جسم الانسان

الجسم الانساني ميدان واسع يخترقهُ كثير من المجاري وكثير من الخيوط . اما المجاري فهي الاوعية من شرايين واوردة تنقل الى جميع نواحيهِ الغذاء والدواء بفضل الدم الجاري فيها . واما الخيوط فهي الاعصاب ممتدة كاسلاك الكهربائية تنقل الشعور الى المركز النخاعي الشوكي مقرّ القيادة العامة وترجع عنهُ بالاوامر الى سائر الجهات . ويحيط بهذا الميدان عدو عنيد شديد الخطر اسمهُ المكروب يحاول اخذهُ على غرّة حيناً عن طريق الجلد وحيناً عن طريق الاغشية بالغذاء نتناولهُ او الهواء نستنشقهُ

فاذا عرفتم ان كمية الدم الدائر في الجسم لا تربي على خمسة لترات وان دورتهُ تتم في بضع ثوان فيمر بالرئتين في اليوم الواحد عشرون الف لتر من الدم تبين لكم السرعة الهائلة التي يغزو بها المكروبُ الجسم اذا أتيح لهُ الدخول اليهِ . ولكن هذا السائل الاحمر يحتوي على كريات بيضاء وظيفتها الدفاع عن الجسم وهي في نسبتها الى الكريات الحمراء عدداً على حد قول الشاعر

تعيرنا انّا قليل عديدنا فقلت لها ان الكرام قليلُ

هذه الكريات مستقلة في عملها . اي ان الدم لا يستطيع حملها في تيارهِ اذا هي أبت ذلك فتتشبَّث بجدار الاوعية وتغير شكلها بما لها من خاصية التمدد فتصير متطاولة بعد

ان كانت مستديرة وتنفذ الى الخارج لتصد العدو الغازي ولا تقتصر مهمتها على صد العدو فهي تتلقف في طريقها كل جسم غريب· ومنها ما يسطو على خلايا الجسم التي يصيبها الهرم فتبتلعها وتنظف منها ذلك البناء

ولهذه الكريات مستودعات ومصانع تذخر فيها· منها العقد اللمفاوية والغدد والكبد وغيرها· فهذه المصانع هي اشبه شيء بالقلاع والحصون منتشرة في اكناف الجسم يرابط فيها جيش عظيم من الكريات ليدفع في صدر العدو المهاجم ويقطع عليهِ خط الرجعة · واهم هذه القلاع الكبد فهي من المناعة بمكان لا يستخف بهِ ويحق لنا ان نسميها «فردون» الجسم· فكم زحف المكروب بجيشهِ الجرار وضيق عليها نطاق الحصار فلم يغزُ منها بطائل وحاق بهِ الدمار

فلنفرض الآن ان المكروب جاز الحدود ودخل الجسم عن جرح في اليد مثلاً وشهرت الحرب بينهُ وبين الكريات والخلايا فكيف يكون الهجوم وكيف يكون الدفاع

يتأثر بادئ بدء عصب الجلد الحاس فينقل اثرهُ حالاً الى المركز الدماغي الشوكي وعنهُ يصدر الامر الى الشرايين بواسطة العصب ايضاً ان تمدد وتتسع ليتكاثر الدم فيها وهذا ما يعلل لكم الالتهاب الموضعي واحمرار مكان الجرح · ثم تقترب الكريات البيضاء وتنفذ الى خارج الاوعية وتمدّ نحو المكروب ما يشبه الايدي فتقبض عليهِ وتجذبهُ نحوها وتبتلعهُ وتسرع في هضمهِ حتى لا يبقى لهُ اثر مستعينةً على ذلك الهضم بمادة خاصة بمصل الدم

وعلى هذا الوجه تنحصر المعركة في نقطة معينة وينقضي الامر· وقد يكون المكروب قويًّا فلا يُغلب على امرهِ تماماً بل يلبث في حال الجمود الى ان يتوالد ويشتد فيعيد الكرة عند سنوح الفرصة ولكنَّ للكريات البيضاء فرقاً من الحرس تتنقل في خلال الانسجة وترود اطراف الجسم ساهرةً على ما وكل اليها قاعدة للعدو كل مرصد فاذا آنست منهُ ادنى غدر هجمت عليهِ وبطشت بهِ

وهذا الالتهاب الموضعي الذي ذكرتهُ لكم الناتج عن تمدد الشرايين وورود الدم بكثرة الى موضع الالم لا يحدث الاَّ اذا كان المكروب في حال متوسطة من القوة وفي خلاف ذلك فاما ان يكون ضعيفاً فتميتهُ الخلايا الثابتة بسهولة بدون حاجة الى معونة الكريات المتنقلة واما ان يكون قويًّا جدًّا فيفرز من السموم ما يمنع تمدد الشرايين فينتشر الداء في الجسم بدون حدوث التهاب موضعي · فالالتهاب الموضعي هو عمل نافع يحق لنا ان نفرح بهِ لانهُ حاجز دون انتشار المكروب ولكنهُ قد يضرُّ احياناً لان الجسم يعبِّئ من الجيش على غير هدى اكثر مما يلزم فتضيق بهِ الارض على فسحتها وينجم عن ذلك خطر الازدحام اي الاختناق

كما يحدث في امراض الحلق اذ تتورم الحنجرة من عظيم الدفاع وشدة التهيج فيضيق بها التنفس

قلنا ان المكروب اذا كان قويًا جدًا لم يحدث التهابًا موضعيًا لان الكريات البيضاء تعجز عن الدفاع فكما حاولت الدونو منهُ ردَّها بافراز سم خاص كانهُ الغازات الخانقة فتنهزم من وجهه ويخلو لهُ الجو للتقدم لكن القلاع التي ذكرتها لكم لم تسقط بعد ولم تسلم وعليه ان يخترقها ليسهل عليه احتلال الارض الجديدة التي افتتحها. ولنا برهان على قيام هذه الحصون بحق الدفاع فيما نراهُ من تورمها واحتقان الدم والسائل اللمفاوي فيها فجرح اليد مثلاً يحدث ورمًا في العقد تحت الابط . وجرح الرجل يحدث مثل ذلك في العقد الاربية وقس عليه . فاذا رجحت كفة المكروب في هجومهِ وتم لهُ اختراق تلك الحصون العديدة اخذ سبيلهُ نحو الاوعية الكبرى حيث الدم في اعظم جيشانهِ فلا يطيب لهُ البقاء في هذا التيار الشديد الأ دقائق معدودة ينساب من بعدها الى الشرايين الصغيرة المتشعبة في الاعضاء ويخندق فيها

وهناك تكون الوقعة الاخيرة الفاصلة يبتدئ المكروب بالاستعداد فيتوالد ويتكاثر تكاثرًا هائلاً و يعدّ ذخيرتهُ التي يتكل عليها في احراز النصر الاخير وهي سمهُ الذي يعرقل عمل الكريات و يفتك بها . ولا تقف الخلايا مكتوفة الايدي بل تستعد هي ايضًا مثل ذلك الاستعداد من التكاثر وافراز سم يشلّ بهِ المكروب . وفي هذه الاثناء تكون الخلايا القريبة من خط القتال قد احتملت الهجمة الاولى و بادت سموم المكروب فاخذت هذه السموم تسري في الدم لتضعفهُ الأ انها توقظ الخلايا من سباتها وتنبه قواها الحيوية الى افراز سم جديد يجتمع بهِ للجسم في زمن قصير سلاحان لا مثيل لها : سم ضد المكروب وسم ضد سموم المكروب . وعلى هذين السلاحين يتوقف سير المعركة اي المرض ونتيجتها من انتصار فيهِ الشفاء او انكسار من ورائهِ الموت ولا يتمكن الجسم من صنع هذه الذخيرة من السلاح بالكمية الوافية والسرعة اللازمة الأ اذا كان نشيطًا مستريحًا وهذا ما يبين لكم منافع الحياة المعتدلة التي لا تنفق القوى فيها سدًى ووجوب الغذاء الكافي الملائم والعلاج الموافق عند الحاجة الى العلاج

ستأتي البقية

النقود العربية القديمة

(٣) نقود الايوبيين في ميافارقين

لما كان الغرض من بحثنا تحرّي نقود الملك صلاح الدين الايوبي وخلفائهِ وضعنا هنا شكلاً خصوصيًا — نقلناهُ عن كتاب غالب ادهم بك المطبوع في القسطنطينية وفيهِ صور نقود ملوك الايوبيين في ميافارقين — يتضح من وصفها الذي سنأتي عليهِ ان هذه النقود تختلف في نقشها عن مسكوكات الدولة الايوبية المضروبة في الممالك المصرية والحلبية والشامية كما ترى فيما يلي

رقم ١٨٨ : من نقود الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب (ضُرب سنة ٥٨٦ هـ)

وهو يشابه ما نقل بالفوتوغراف عن كتاب ستانلي لين بول واشرنا اليهِ في بداية هذا البحث ورسمناهُ في الصفحة ٥٧ في مقتطف يوليو الماضي ومنهُ قطعتان في دار الآثار بالقسطنطينية

ووصف غالب ادهم بك نقداً غيرهُ من نحاس عليهِ اسم صلاح الدين يوسف بن ايوب وتمثال رجل ماسك بيدهِ الهلال (اشبه بالصورة رقم ١٣ في الجزء الماضي) واسم ناصر الدين محمود بن مسعود قال وقطرهُ ٢٣ مليمتراً ولم يرسمهُ في كتابهِ بل ذكر انهُ مكتوب في قفاهُ ما يأتي :

. . . . . .

	الملك الناصر	
	صلاح الدين	
	يوسف بن ايوب	

رقم ١٩١ — من نقود الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب (ضُرب سنة ٥٩١ في ميافارقين)

على وجههِ : صورة رجل لابس التاج وشعرهُ مسدول على كتفيهِ متوشّح بثوب على كتفيهِ — وقد كتب حول رأسهِ : «ضرب سنة احد تسعين»

وعلى دائرهِ : الملك العادل سيف الدين ابو بكر بن ايوب

وعلى قفاهُ داخل دائرتين

الفلس

لا الـــه الأ الله

وحـدهُ لا شر

يكله الامـــــام

النـاصر لدين

الله امـير المؤ

منين

رقم ١٩٢ — من نقود الملك المذكور (ضرب سنة ٥٩١ في ميافارقين)

على وجههِ : صورة نظير ما تقدم — وكتب حول الراس « وتسعين وخمسمائة »

وعلى الدائر : « ضُرب هذا الدرهم بميافارقين سنة احد »

وعلى قفاهُ : سيف الدين

الملك العادل — ابو بكر بن ايوب

لا الـــه الأ الله

محمـد رسولـــ

الله الامــــام

النـاصر لدين

الله امـير

المؤمنـين

رقم ١٩٣ — من نقود الملك المذكور (ضرب سنة ٥٩٨ بحرّان)

وعلى وجههِ : وتسعين

الملك العادلـــ

:: — ::

وخمسمائة

وعلى قفاهُ : ضرب بحران

ابو بكر بن ايوب

سنة ثمان

رقم ١٩٤ — من نقود الملك الاوحد نجم الدين ايوب بن العادل (ضُرب سنة ٦٠٥)

على وجههِ : صورة انسان لابس التاج وعلى كتفهِ فرجية ذات ثلاث طيّات وحول راسهِ « سنة خمسة وسة مائة »

وعلى دائرهِ : الملك الاوحد نجم الدنيا والدين شاه ارمن ايوب بن الملك العا (دل)

وعلى قفاهُ : نجم مسدس في وسطهِ : « لا اله الاَّ الله محمد رسول الله » وفي زواياهُ

الاما | النا | لد | الله | امير | المؤ

الملك | العادل | سيف | الدين | ابو بكر

بن ايوب

رقم ١٩٦ — من نقود الاشرف مظفر الدين موسى بن العادل (ضرب سنة ٦١٢ هـ)

على وجههِ : صورة انسان جالس وركبتهُ الواحدة فوق الاخرى وعلى صدرهِ كرة بيدهِ اليمنى وكتب حول راسهِ : « سنة ثنا عشر وستمائة » وعلى الدائر : « الملك الاشرف مظفر الدين شاه ارمن ابو الفتح موسى »

وعلى قفاهُ : ضمن دائرة

منين

الامام الناصر

لدين الله

امير

المؤ

وحولها : « الملك العاد | ل سيف الدين | ابو بكر بن ايوب

رقم ٢٠٠ — من نقود الملك المذكور (ضرب في سنجار سنة ٦١٧)

على وجههِ : صورة انسان متربع ويدهُ اليمنى على ركبتهِ وعلى رأسهِ هالة وقد كتب حولهُ : « سنجار سبع عشر وستمائة » وعلى الدائر : « الملك الاشرف وشاه ارمن موسى بن ابي بكر »

وعلى قفاهُ :

الامام الناصر

لدين الله

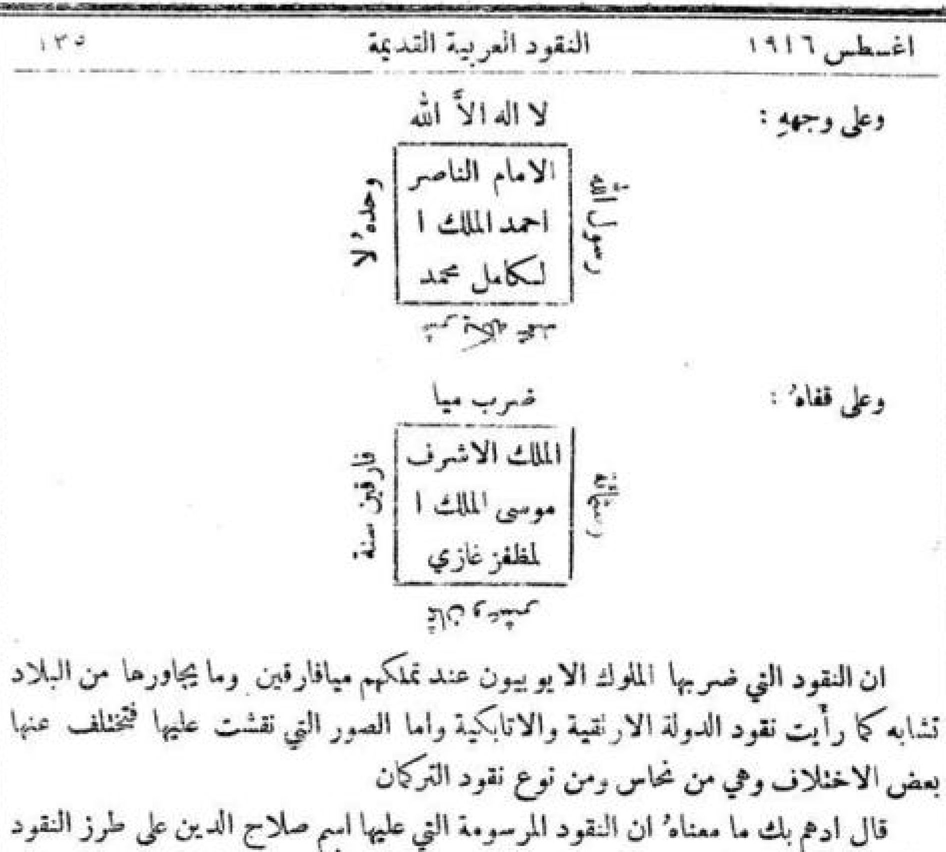
امير المؤمنين

الملك الكامل

محمد رسو

رقم ٢٠١ — من نقود الملك المظفر شهاب الدين غازي (ضربت سنة ٦١٨ بميافارقين)

وعلى وجهه :



وعلى قفاه :

ان النقود التي ضربها الملوك الايوبيون عند تملكهم ميافارقين وما يجاورها من البلاد تشابه كما رأيت نقود الدولة الارتقية والاتابكية واما الصور التي نقشت عليها فتختلف عنها بعض الاختلاف وهي من نحاس ومن نوع نقود التركمان

قال ادهم بك ما معناه ان النقود المرسومة التي عليها اسم صلاح الدين على طرز النقود المذكورة لم ينقش عليها اسم المدينة التي ضُربت فيها لكنها أُرخت تقريباً في الزمن الذي فيه فتح صلاح الدين بلاد ميافارقين ولهذا وضعناها في باب النقود التركمانية ولاسيما ان الملوك الذين خلفوه في تلك البلاد ضربوا اكثر نقودهم في ميافارقين على طرز السكة المتداولة في تلك المملكة ومنذ ما ملكها الملك العادل صارت تعرف بالدولة الايوبية في ميافارقين انتهى

اما الاسباب التي لاجلها كان بنو ارتق والاتابكة ينقشون الصور على نقودهم وتبعهم في ذلك الايوبيون اصحاب ميافارقين فكثيرة منها انهم كانوا مجاورين للامم التي اعتادت من قديم الزمان صك النقود المصورة فاحبوا الاقتداء بهم ولا يخفى انهم كانوا في حالة همجية عند تأسيس ممالكهم ولم يكن لهم قاعدة ملك معروفة وكانت الحروب قائمة على قدم وساق بينهم وبين مجاوريهم من الامراء والملوك فلم يتيسر لهم الاهتمام بالمسائل الاقتصادية ولا بجمع الاموال التي تسمح لهم بضرب الدراهم والدنانير من الفضة والذهب . فضربوا النقود النحاسية وقلدوا بها نقود جيرانهم لتسهيل المعاملات التجارية .

والظاهر ان قيمة القطعة النحاسية عندهم كانت توازي قيمة الدرهم الفضة المستعمل في

سائر الممالك الاسلامية بدليل انهم نقشوا على كثير منها « ضرب هذا الدرهم » بدلاً من قولهم ضرب هذا « الفلس » كما كان يكتب على النقود النحاسية المستعملة في الشام وحلب ومصر

نعم ان احوالهم تحسنت فيما بعد وكان في استطاعتهم تغيير النقود المصورة ولكن الشعوب التي كانت خاضعة لسلطتهم اعتادت استعمال النقود المصورة من القديم فاقروها على حالها

ومما ذكرنا من وصف مسكوكات بني ارتق رقم ٣ واصحاب ماردين رقم ٨ يُرى ان هؤلاء الملوك اخذوا يذكرون اسم السلطان صلاح الدين الايوبي في نقودهم وذلك حبًّا بالتزلف اليهِ ولكي ينالوا منهُ المعاضدة عند الاقتضاء لما حدث لهُ من الملك والقوة . بل انهُ جرت بينهُ وبينهم شروط ومعاهدات كما جاء في تاريخ ابي الفداء في حوادث سنة ٥٨١ هـ [١] حيث قال :

« لما رحل السلطان عن الموصل الى اخلاط جعل طريقهُ على ميافارقين وكانت لصاحب ماردين الذي توفي وفيها من يحفظها من جهة شاه ارمن صاحب اخلاط المتوفى فحاصرها السلطان وملكها في سلخ جمادي الاولى — ثم ان السلطان رجع عن قصد اخلاط الى الموصل فجاءتهُ رسل عز الدين مسعود يسألونهُ الصلح . واتفق حينئذٍ ان السلطان صلاح الدين مرض وسار من كفر زمار عائداً الى حران فلحقتهُ رسل صاحب الموصل بالاجابة الى ما طلب وهو ان يسلم صاحب الموصل الى السلطان صلاح الدين شهرزور واعمالها وولاية القرابلي [٢] وجميع ما رواء الزاب وان يخطب للسلطان صلاح الدين على جميع منابر الموصل وما يبدو وان يضرب اسمهُ على الدراهم والدنانير وتسلم السلطان ذلك واستقر الصلح وامنت البلاد »

هذا ما حمل الامراء والملوك فيما بين النهرين على ان يضربوا السكة باسم الملك صلاح الدين او يذكروا اسمهُ على مسكوكاتهم مع ذكر اسمائهم — ولكن لا يسوغ لنا ان نستنتج من ذلك انهم نقشوا تمثالهُ على تلك النقود — واليك اهم الاسباب التي تجعلنا نرتأي غير ذلك

اولاً ان الصور والتماثيل التي كانت تنقش على نقود الدولة الارتقية والاتابكية والايوبية في ميافارقين لم يظهر قط انها كانت شبه الملوك والامراء المكتوبة اسماؤهم فيها بدليل ما رأيناهُ من صور ملوك اليونان والروم والبيزنطيين على كثير منها . ولا نعلم ان احداً من المؤرخين او من ارباب فن النقود قال ان الصور المنقوشة عليها هي صور ملوكها [٣]

ثانياً ان النقود التي نُقش عليها اسم ملوك بني ارتق واصحاب ماردين مع ذكر اسم

(١) الجزء ٣ - ٦٩ طبعة مصر سنة ١٣٢٥ (٢) وكتبها ابن خلكان : ولاية قالي قلا

(٣) ورب معترض يذكرنا برواية المقريزي الذي قال : « ان معاوية (الخليفة الاموي) ضرب دنانير عليها تمثالهُ متقلداً سيفاً » . فسنبين خطأ هذه الرواية في القسم الثاني عند بحثنا في النقود الاموية والعباسية

السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب كان على كثير منها صور مختلفة مع انها قد تكون لملك واحد فهل يمكن ان نقول ان للملك صوراً مختلفة او ان لصلاح الدين صوراً مختلفة

ثالثاً لا شبهة في ان النقود المصوَّرة التي نقش عليها اسم صلاح الدين هي من طرز نقود الارتقيين والاتابكيين ومضروبة في ممالك بين النهرين ولاسيما انهُ ضُرب على هذا المنوال نقود غيرها باسم صلاح الدين وحدهُ منها قطعة في دار الآثار بالقسطنطينية وعليها صورة تختلف عن الصور التي وصفناها في رقم ١٨٨ فهل يسوغ لنا ان نقول ان لصلاح الدين صورتين مختلفتين — ومنها نقد مرسوم في كتاب ستانلي لن بول في سيرة صلاح الدين المطبوعة سنة ١٨٩٨ صفحة ٣٢٣ لم يصفهُ بل قال انهُ من نحاس باسم صلاح الدين الايوبي ولما كانت الكتابة ممحاة لم اتمكن من قراءتها بل رأيت منقوشاً على الوجه الواحد شكل نسر حول النسر ما يشبهُ صورة رأسين » — فهذه النقود وما يماثلها كلها مضروبة في تلك البلاد ولا اثر فيها لصورة صلاح الدين

رابعاً وان قال قائل ان السبحة التي تشاهد في يد السلطان صلاح الدين على النقود المرسومة في الرقم ١٨٨ او التي نُقلت بالفوتوغراف عن كتاب ستانلي لن بول هي برهان يرجح كون الصورة لصلاح الدين نظراً لما نعهدهُ من تقواه ومواظبتهِ على القواعد الدينية وملاحظتهِ للامور الشرعية كما وصفهُ ابن شداد فاجيب على ذلك ان لا اثر للسبحة في تلك النقود لان الاختصاصيين في علم النقود الذين رأوها رأي العين ووصفوها كادهم غالب بك وستانلي لن بول وغيرهما لم يذكروا قط ان هناك سبحة — واذا تأملنا اشكال نقود تماثلها وعليها نقشٌ يشابه شكل السبحة كالتي صورناها في رقم ١٨٨ لم نرَ انها سبحة

خامساً واخيراً ان الديار المصرية والبلاد الشامية والحلبية التي كانت خاضعة رأساً للسلطان صلاح الدين ضُربت فيها نقود كثيرة مختلفة من الذهب والفضة والنحاس منها في ايامهِ ومنها في عهد خلفائهِ ومع ذلك لم نجد قط واحداً منها نُقش عليهِ صورتهُ او صورة من اي شكل كان — ولهذا لا يصلح ان تدرج النقود المصورة والمنقوش عليها اسم صلاح الدين او اسم اخيهِ الملك العادل سيف الدين ومن تبعهُ في مملكة ميافارقين بين نقود الدولة الايوبية كما اوردها الاستاذ ستانلي لن بول . وقد اصلح هذا الخلل من جاء بعدهُ من الاختصاصيين في علم النقود فضمها الى مسكوكات بني ارتق واتابك كما رأيت . وفي العدد الآتي نبحث في نقود الدولة الايوبية التي ضربت في الديار المصرية وفي الممالك الشامية والحلبية

ستأتي البقية يوسف اليان سركيس

الشيخ ابراهيم الحوراني

(١) آثارهُ في التعليم

قلت في المقالة التي لخَّصتُ فيها ترجمة الفقيد ونشرها المقتطف في الجزء الاسبق انهُ برح دمشق واستوطن بيروت حيث تعيَّن استاذاً في المدرسة الكلية الاميركية لتعليم فنون اللغة العربية • وفاتني القول انهُ بعد ما ترك التعليم في المدرسة الكلية وتولى رئاسة كتابة « النشرة الاسبوعية » وترجمة وتصحيح الكتب الدينية والعلمية والادبية ناط بهِ المرسلون الاميركيون — علاوةً على هذه الاعمال — تعليم آداب اللغة العربية في المدرسة الاميركية للبنات • فقضى في هذه الخدمة عدة سنوات كان فيها خير معوانٍ لتلك المدرسة الشهيرة على تهذيب الفتيات وتثقيف عقولهنَّ وإعدادهنَّ لان يكنَّ في طليعة الواضعات لاساس نهضة المرأة الشرقية والرافعات لنبراس الفضائل والآداب في الهيئة الاجتماعية • وكثيرات من تلميذاتهِ هنَّ الآن من فضليات الزوجات والامهات القائمات بتدبير منازلهنَّ وتربية اولادهنَّ على سنن الحكمة والفضيلة وبينهنَّ عدد ليس بقليل من المعلمات والكاتبات والشاعرات وكلهنَّ يذكرنَ فضلهُ ويأسفن على فقدهِ اشدَّ الاسف

وسنة ١٨٩٤ انتدبهُ رئيس المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك في بيروت لتعليم فنون اللغة العربية فيها ساعتين في اليوم • فاجاب طلبهُ وظلَّ تسع سنوات يتوفر على تعليم الطلاَّب وتغذية عقولهم بلبان المعارف والآداب • وبين خريجي تلك المدرسة الشهيرة في هذه السنين التسع كثيرون هم الآن من نوابغ الشعراء والكتَّاب وكبار الاساتذة والمعلمين • وكان لفقيدنا معظم الفضل في تثقيف أذهانهم وترويض افكارهم وتذكية قرائحهم وتشحيذ أقلامهم وتوسيع دائرة معارفهم وتمليكهم اعنَّة البراعة في الانشاء نثراً وشعراً وتعويدهم احتذاءهُ والنسج على منوالهِ في اطّراح الركيك السخيف والعويص الغريب واختيار افصح الالفاظ وأبلغ التراكيب

وفي صيف سنة ١٩٠٢ استقال رئيس تلك المدرسة التعليم وألحف في الطلب فلم يرَ الرئيس بدًّا من إقالتهِ • لكنَّ تركهُ التعليم في المدرسة البطريركية لم يخفف عنهُ شيئاً من عبء اعمالهِ التي سبقت الاشارة اليها لان المرسلين الاميركيين زادوا عليها أن فوَّضوا اليهِ تفسير الكتاب المقدس مبتدأً من اسفار العهد القديم • وما أبطأُوا أن اضافوا الى هذا كلهِ انتدابهُ لتعليم البيان والانشاء والمنطق في مدرسة اللاهوت

وظلَّ قائماً باعباء الكتابة والترجمة والتصحيح وتفسير الكتاب المقدس والتعليم في مدرسة اللاهوت الى خريف سنة ١٩١٣ حين أصابهُ داء ذات الرئة وشدَّ وطأتهُ عليهِ حتى كاد يودي بهِ لولا قوَّة بنيتهِ وما بذلهُ الاطباء وكريمتهُ نجلاء من العناية بهِ والسهر عليهِ

ولما زرتهُ في بيروت في صيف سنة ١٩١٤ وجدتهُ قد أبلَّ من دائهِ لكنهُ لم ينصل من برحائهِ . فكان ناحل الجسم خائر القوة وعلى محيَّاهُ آثار ما عاناهُ من شدة السقم والالم . وبعد شهرين زرتهُ مودعاً فشاهدتُ تحسناً بيناً في حالتهِ ورأيت وجههُ مشرقاً بنور الصحة والعافية . فودعتهُ آسفاً على فراقهِ ومسروراً من تحقق شفائهِ وسلامتهِ . ولم يدر قطُّ في خلدي انهُ لن يعيش سوى بضعة عشر شهراً تدركهُ بعدها الوفاة وأنَّ اجتماعي بهِ حينئذٍ كان آخر عهدنا باللقاء في هذه الحياة

هذه خلاصة آثار الفقيد في التعليم وستبقيهِ حياً في تلاميذهِ وتلميذاتهِ المتفرقين في سورية ومصر واميركا وكثيرٌ ما هم

(٢) آثارهُ العلمية والادبية

امَّا آثارهُ العلمية والادبية ففي مجلدات النشرة الاسبوعية مدة اربع وثلثين سنة وفي عشرات من الكتب والرسائل الدينية والعلمية والادبية التي ترجمها او صحح ترجمتها وفي كتابهِ «الآيات البيّنات في غرائب الارض والسموات» و«مناهج الحكماء» و«الحق اليقين» و«جلاء الدياجي» وفي مجلة «الرئيس» التي اصدرها ثلث سنوات بالاشتراك مع الدكتور لويس الخازن واودعها ادقَّ المباحث العلمية واهم الفوائد اللغوية . وفي ديوانهِ الكبير الذي سأُعنى بجمعهِ وطبعهِ عندما تسمح الاحوال

وكان مع شدَّة تضلعهِ من العلوم اللغوية ضارباً بسهم كبير من العلوم العقليَّة والطبيعيَّة والرياضيَّة . ونظم في صباهُ ارجوزة سمَّاها «البديعة في علم الطبيعة» . وكان راسخ القدم في علم الهندسة واسع الاطلاع في علم الفلك شديد الشغف بكواكب القبة الزرقاء كثير التحدُّث بجمال شموسها واقمارها . فاذا جنَّ الليل خرج بزائريهِ الى شرفة منزلهِ ووقف بينهم كالفلكيِّ في مرصدهِ يريهم كيف ترقب الكواكب وتقدَّر منازل الشهب الثواقب في جنح الغياهب . واذا خلا بنفسهِ وطاب لهُ النظم استلَّ يراعهُ ونشر طرسهُ واستقلَّ مطيَّة التصوُّر وحلَّق بها في جوّ الخيال ناشباً في الفضاء نشوب النيازك في عنان السماء . حتى إذا جاز بها مطار النسر وجاس مدار السماك استقرَّ على ضفاف المجرَّة ينظم دراريَّ الافلاك نظم الدرر في الاسلاك . وقلَّما نظم قصيدةً او مقطوعة لم يرقَ فيها الى النجوم — الثوابت والسيَّارة

ليأخذ منها فرائد تلك القصارة على سبيل التورية او التوجيه او الاستخدام او الاستعارة

(٣) أسلوب كتابتهِ

وكان لهُ في الكتابة — نظماً ونثراً — اسلوب خاص امتاز بصحة اللفظ وسلامة التركيب ووضوح المعنى . فلم يتكلف الاسجاع في نثرهِ ولا المحسنات البديعية في شعرهِ الأ اذا جاءتهُ عفواً وعنت لهُ طوعاً بلا تعمل ولا التزام . وكان في كليهما غزير المادة سريع الخاطر قليل الترسُّل . يجلس للكتابة في اي موضوع عرض لهُ فيرصف الكلام كما شاءت الرقة واراد الانسجام ويرسل النثر كمن ينثر الزهر . ثم تأتيهِ القوافي منقادة فتشقُّ صفوف الجمل والتراكيب وتحلُّ المرابط والمواقف وتحوّل الفصائل الى فواصل والنثر المرسل الى نثر مسجع او درّ مرصع . وكثيراً ما كان الوزن يتسرَّب في اسجاعهِ ويحوّلها الى مقاطيع شعرية مختلفة الاوزان كما في الرُقم التي انشأها في اواخر حياتهِ وأدرجها في النشرة الاسبوعية وبلغ فيها غاية الإبداع ونهاية الافتنان

وجملة القول ان اسلوبهُ في الشعر والنثر كان اوضح مثال لما يسهل على القارىء فهمهُ ويصعب على الشاعر والناثر تقليدهُ وهذا هو السهل الممتنع . طالع كلَّ ما خطّهُ يراعهُ تجدهُ نسيج وحدهِ في وشي بردهِ ونظم عقدهِ . اذ ترى المعنى في اللفظ من حيث الجلاء والصفاء كالصهباء في الاناء يشرق في الطرس إشراقها في الكأس و يفعل بالنفس فعلها بالرأس

هذا وفي قولي انهُ كان نسيج وحدهِ في إجادة الانشاء لا ابني حكمي على ما طالعتهُ من آثار يراعهِ المطبوعة والمنشورة على صفحات الكتب والصحف . فانها على كثرتها وصدق دلالتها على صحة هذا الحكم قد يبعث على الغض من قيمتها مظنة الاتئاد في كتابتها والترسُّل في تنقيحها وتهذيبها قبل طبعها ونشرها . ولكنني اقول هذا بناء على ما تحققتهُ بنفسي عن غزارة مادتهِ وسرعة خاطرهِ في عدة مواقف واستناداً الى ما عرفتهُ عنهُ من هذا القبيل بعد استقرائي الطويل لاسلوب إنشائهِ في كتبهِ الخصوصية

ولا يخفى ان الكاتب المتعمل مهما يكن من شدة حرصهِ على الترسُّل في ما يكتبهُ للطبع والنشر فانهُ في كتبهِ الخصوصية الى الاهل والاقرباء يترك التكلف ولا يعنى بهِ فيجري كلامهُ فيها مجراهُ الطبيعي مفرغاً في قالبهِ الحقيقي بالغاً في جودة إنشائهِ الدرجة التي تمكّنهُ منها بداهتهُ بلا تعنٍ ولا إعنات

وعندي من كتب الفقيد الخصوصية ما ينيف على الثلثين كتاباً كتب بعضها اليَّ

وبعضها الى غيري من انسبائهِ في اوقات مختلفة ومواضيع متنوعة وبين اقدمها تاريخاً واحدثها عهداً مدة لا تقل عن ثلثين سنة . وهي كلها على اختلافها في التاريخ والموضوع وتفاوت منزلة الذين كُتبت اليهم في العلم والمعرفة تراها اذا طالعتها متفقة اتفاقاً تاماً في جمال الاسلوب وحسن انتقاء اللفظ وشدة متانة التركيب والتناهي في جودة السبك ورشاقة التعبير . ولا يخامرك اقل ريب في كونها مكتوبة على البديهة من غير توقف ولا تفكر . ولو أردت نشرها وعرضتها قبل طبعها على ابرع الناقدين لما وجدتها أقل حاجة الى التنقيح والتصحيح . وسأنشر بعضها في ذيل ديوانهِ

وللفقيد معي ومع غيري من معارفهِ وأصدقائهِ كثير من لطائف الحوادث الشاهدة على توقد قريحتهِ واستعدادها لتلبيتهِ كلما أراد الابتداء والارتجال . ولضيق المقام أكتفي بذكر واحدة منها وهي

زرتهُ يوم احد في اوائل شهر يوليو سنة ١٩٠١ فرأيتهُ يتأهب للذهاب الى المدرسة البطريركية لالقاء خطبةٍ في احتفالها السنوي فصحبتهُ في طريقهِ اليها . وفيما نحن في المركبة لاح لي انهُ منقبض فسألتهُ : — مم تشكو ? قال من ضعف شديد في ذاكرتي فأشعر كأنها ماتت اوكادت . قلت وكيف القريحة ? قال على ما تعهدها من شدة المضاء قلت أجزْ إذاً « أسفاً عليها ذاكرهْ » قال لبيك يا عديل وانشد « سكنت ديار الآخرهْ » قلت « كانت تدور على النهى » فاجاب على الفور « دارت عليها الدائرهْ » . وقد علمت منهُ بعد ذلك انهُ استهل خطبتهُ بهذين البيتين

وكان من ابرع قالة المعنّى (١) واشهر الذين حازوا قصب السبق في ميدانهِ . ولهُ فيهِ مطالع (٢) روائع سأقتطف شيئاً من بعضها للدلالة على علو كعبهِ ورسوخ قدمهِ في هذا الفن

ولقد شهدتهُ غير مرة يجول في هذا المضمار فكنت اراهُ يتدفق في القول تدفق السيل مبادهاً سامعيهِ بمرتجلاتهِ الشائقة ومبتكراتهِ الرائقة ويرتقي بالفاظهِ شيئاً فشيئاً من هضم العامي وحضيض المبتذل الى قنة الفصيح البليغ ويتدرج في مراعاة الإعراب والمحافظة على الوزن

---

(١) المعنّى شعر العامة في جبل لبنان وما حولهُ كالزجل في مصر . ولهُ اوزان مخصوصة يقرب بعضها من اوزان البحر الوافر والكامل والمدارك في الشعر . ويراعى في نظمهِ القافية ومحافظة يسيرة على الوزن بلا التفات الى صحة اللغة والاعراب . وأكثر ما يقولهُ اربابهُ ارتجالاً فينظمونهُ في مواضيع مختلفة ويلتزمون فيهِ أكثر ما يلتزم في الشعر من البديع اللفظي والمعنوي والالغاز والمعميات ويأتون في ذلك كلهِ بالعجب المطرب . ومنهُ ضرب يعرف بالعدبات او القراديات (٢) جمع مطلع وهو في المعنّى كالحمل في الزجل

فما يشعر سامعوهُ الأ وقد انتقل بهم فجأة — وهم لا يدرون — من قول المعنى الى قرض الشعر بل من نثر الزهر الى نظم الدرّ. كما كان ينتقل في انشاء الرُّقُم من النثر المرسل الى النثر المقفى الى الشعر الموزون

وكان فكِهاً جدّ فكهٍ وطروباً ايّ طروبٍ شديد التصابي كثير المطايبة والموآنسة حتى لاصغر الاولاد رقيق الحاشية ليّن العريكة. اذا غنّاك شعراً او انشدك معنًى رأيتهُ يتصابى و يتمايل من شدّة طربهِ. ودام على ذلك الى آخر حياتهِ كانهُ هو الناطق بلسان البهاء زهير: —

"اني كبرت وانما تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفيَّ انفا س الشباب كما هيه
عندي من الوجد القديم بقية في الزاويه"

وكثيراً ما اشار الى ذلك في قصائدهِ الغزلية

وكان شديد الشغف بسماع الغناء فيطرب لكل صوت رخيم سواء كان افرنجيًّا اوعربيًّا— مصريًّا او شاميًّا او عراقيًّا. يدلُّك على ذلك كثرة منظوماتهِ في كتاب الترانيم الروحية للطائفة الانجيلية في بيروت والاناشيد الادبية في احتفالات المدارس والمواليات المربَّعة والمسبَّعة والاغاني الموافقة « للعتابا » ولكثير من الادوار المصرية

(٤) آثار قلمهِ

(١) في المعنَّى والعتابات

قال من عديَّة في ذات حسناء شاهدها تبكي:

خلّي لي اللولو منظومْ في عينين بتسبي الرومْ
منثور عاورد الخدّين شهدنالو بالحسن نجومْ

ومنها

لولو عاياقوت الخدّ وقطرات الندى عا الوردْ
دمعك وحدو جوهر فردْ مثلو من العالم معدومْ

وقال في ختامها

نحن عرف جبينك كلّل وردك تا يزينك
من بدربو عاعينك توهمنا دمعك مسجومْ

وقال من عدّ ية يصف فيها حسان دمشق الشام في مجلس انس

شبَّانِك يا شام اقمار وصباياكِ البيض شموس
ما في مثلن في الاقطار بحسن الخلقه والملبوس
ما في مثلن اقمارك في كل بلاد الافرنج
بخدودن لمعت نارك وحول النار تلالا الثلج
وشموسك علو مزارك عا اهل التقديس والحج
تكثر غزلان ديارك ويبقى منزلها مأنوس

وهي طويلة قال في ختامها: —

قولوا لي يا صبايا واحكوا الدغري بالتمام
كيف شفتوا ها القضايا فيها شي كله حرام
لولا ربّ البرايا ما كان عابد الأ هام
ولولا خوف المنايا ما دقّ الراهب ناقوس

ومما قاله في مطلع غرامي التزم فيه الجناس التام: —

حتّى على المحبوس في سجن الهوى ضاقت عليَّ الارض من اربع اقطار
سهرت عيوني وطال ليلي في النوى من طول ليلي نسيت شو شكل النهار
سهرت عيوني وطال ليلي في النوى يا من شفافك تمر خالي من النوى
غنّيت لحن حجاز وعراق ونوى حتى بكوا طيور السما ولانوا الحجار

ومنه

حتى بكوا طيور السما ولان الصفا وزاد نهر الدمع عانهر الصفا
يا حسرتي حلّ الكدر بعد الصفا وصار الني وصاحبي وحش القفار

وله من مطلع غزل في لبنانية حسناء مهذبة: —

ريح الصبا بحياة غصن البان والورد والنسرين والريحان
من اين جبتِ المسك في جيوبك تخمين مرّيتِ على الخلان
من اين جبتِ المسك في جيوبك وطابت الاقطار بطيوبك
كان الحبيب بمفرق دروبك حتى نشرتِ العطر في البلدان

ومنهُ

ريح الصبا يا راحة الارواحْ ملّي بتذكار الهوى الاقداحْ
ذكرى حبيبي لا مصفّى الراحْ منها على طول المدى سكرانْ

ومما قالهُ مطلع مخمّس مذهّب مرصّع مردوف . وهو من مبتكراتهِ وقد اودعهُ ما شاء من سحر البلاغة والبيان وبلغ فيهِ حدَّ الاعجاز وغاية الاجادة والاتقان

الرَّدة

يا من تركني وصار في الاسحارْ يا مخجل الانوارْ والاقمارْ
سرُّكْ مصونْ بمهجة المفتونْ ما يتدركوا الانظارْ والافكارْ

(الثلثة من الخمسة من المخمّس)

سرك مصونْ بمهجة المفتونْ لولا دموعي والعيونْ عيونْ
يا عينْ سيفكْ دائماً مسنونْ

(التذهيب)

قطّع اكباد الغزلانْ وجندلْ آساد الفرسانْ واستعبدْ ميّ وغيلانْ
وليلى وعاشقها المجنونْ

(الترصيع)

ولحظكْ صابْ اسود الغابْ برشقْ حرابْ وشقّ كبودْ
ودار الراحْ بغير اقداحْ وبلبل صاحْ بلحن العودْ
ومال البانْ وسرّي بانْ وكان الكانْ بكاف ونونْ

(الردف)

سر الهوى مدفوقْ مع دمعة العاشقْ يا فتنة المخلوقْ يا آية الخالقْ
قلب الفتى مسروقْ ولحاظك السارقْ

(تكملة التخميس)

سحر العيونْ يسرق الارواحْ ويظهر الاخفى من الاسرارْ

ولهُ من مطلع آخر :—

آمنت انا برهانْ ما يلزمْ انك نبي الزهرة وبدر التمّ
من طور خدّك ماقربْ مومنى من اين جبت المنّ للمبسمْ

(٢) في المواليات

ولهُ من المواليات المربعة : —

اهل المحاسن على اهل الهوى حكّام والعشق جاير على العشّاق في الاحكام
سلوى اسير المحبة جنّة الاوهام يصيد طيف الحبيب بشبكة الاحلام

ولهُ منها : —

يا مفرد الحب مالي في الهوى ثاني ومهجتي عن جمالك ما لها ثاني
اسقي بدمعي ورودك والسوى جاني عليَّ تجني وقلبي يعشق الجاني

ولهُ منها : —

يا ناعس الطرف حبّك ناظرو ساهر ما جن في الحب لولا لحظك الساحر
يا كاشف السر مالي في الهوى ساتر خلّيت خلّك مثل في العاشقين ساير

وكان قد انشدني غير مرّة بعض موالياتهِ المسبّعة المعروفة « بالبغدادي » ولكن لم يبق منها شيءٌ في محفوظي

(٣) الاغاني والاناشيد

حضر الفقيد في ايام صباه مجلس انسٍ وغناء في دمشق الشام فاقترح عليهِ بعض الحضور ان ينظم شيئاً على اغنيةٍ مصريةٍ قديمة كان المغني آخذاً في إنشادها ومطلعها « يابو الخديد الوردي ارحم شجيك ومولّع » فقال

هبّت نسيماتُ الرندِ من بان سلمى والأجرع
وهيجت نار الوجدِ لما سنى سلمى لمع

ومنها

بالاعين السود النجلِ قد حلّلت سلمى قتلي
يا حاملاً سيف العذلِ أسيافُ جفنيها اقطع

ومنها

دع عنك عذل المشتاقِ وانهج سبيل الاشواقِ
وان تكن سلمى الساقي فاسجد لباريها واركع

واقترح عليهِ في مجلس آخر ان ينظم على اغنية « عاليانا يانا من غرامو يانا » فقال

لازمة

بالقد سلمى تخجل الاغصانا واللحظ يسبي الغيد والغزلانا

دور

دارتْ علينا من لماها الراحْ وفي هواها راحت الارواحْ
وكم بدا من لحظها اقداحُ اصبحت منها والها سكرانا

دور

يا عاذلي دمعي سلافُ الحانِ والحبُّ ديني والهوى ايماني
نحن النصارى ربُّنا ذو الشانِ بالحبِّ في انجيله اوصانا

ونظم انشودة وداعية لاحدى المدارس قال فيها :—

سلامٌ سلامٌ على ذي الربوعْ سلامُ وداعٍ أذابَ الفؤادْ
وليس عجيباً فقيه ولوعْ يذيبُ لقاهُ فؤادَ الجمادْ
ننوح ونبكي لفقد النعيمْ بمغنى الدراري ومجلى الشموسْ
وحين نسير بدمعٍ سجيمْ تسير الجسومُ وتبقى النفوسْ

وهي طويلة قال في ختامها :—

سلامُ وداعٍ لمغنى الصباه وارواح روض تُبرد الجراحْ
وازمان رغدٍ مضت بالصفاء ومرّت سريعاً كمرّ الرياحْ
فنستودع الله كلَّ الصحابْ بشكرٍ يقصر عنهُ الكلامْ
ولكلٍّ نرجو عظيم الثوابْ وطول بقاءٍ وحسن الختامْ

ونظم سنة ١٨٨٤ لمدرسة البنات الاميركية في صيداء نشيدة طويلة تقع في عشرين دوراً مطلعها :—

بنتَ امِّ المجد صيدا أمّ صورٍ في العظمْ
طيبة الاذهار صيدا عِشتِ آساد القدمْ

ومنها

مشهدَ العهد القديمِ جارةَ البحر الكبيرْ
انتِ جنّاتُ النعيمِ ربعكِ الروض النضيرْ

ومنها في الختام

وليدم اهلك طرّاً في امانٍ وسلامْ
وليكن بحراً وبرّاً حفظهم حسن الختامْ

سيأتي البقية اسعد داغر

سكان غربي آسيا

او تركيا آسيا

(١٢) الطهطجية

في شبه جزيرة ليكية (ويسميها الترك ايضاً ليقا وهي تابعة لولايتي قونيه وايدين) نحو خمسة آلاف نسمة يسمون انفسهم طهطجية اي نشارين لاتخاذ جمهورهم النشارة حرفة لهم. وفي ليكيه الغربية قوم اسمهم اللاوية وربما كانت هذه الكلمة مشتقة من علي الله او ما سماهم المؤرخ ليارد « علي الهية » اي عبدة علي . وهم يقطنون اعالي الجبال ينزلون في مضارب مسقوفة باللباد ولا يخالطون جيرانهم من اهل ليكية . ولسانهم التركية وكانوا يحسبون في مبدإ امرهم مسلمين ولهم اسماء اسلامية ولكنهم في واقع الامر لا يدينون بالاسلام . بل يعتقدون بتناسخ الارواح بعد الموت وبوجود الملائكة والشياطين او رسل الخير والشر . ويعدون الارانب والديوك الرومية نجسة ويقولون ان الشيطان متجسد في الطاووس

اما ملامحهم فمتجانسة كل التجانس فهم سمر الالوان كثيرو شعر الوجه وشعرهم سبط مسترسل وعيونهم سوداء ضيقة وانوفهم قنو ورؤسهم قصيرة عالية والدليل الجمجمي فيهم يتراوح بين ٨٢ و ٩١ (شكل ١)

(١٣) البكتاش

هذه طائفة تقطن مدن ليكية وخصوصاً بلدة « المالي » ولا يعرف مذهبهم ولاسيما انهم يبالغون كل المبالغة في كتمانه وهم يدعون الاسلام كالطهطجية ولكنهم لا يزاوجون المسلمين بتاتاً . ودليلهم الجمجمي يتراوح بين ٨٤ و ٨٩

(١٤) الانصارية

يقابل الطهطجية والبكتاش من سكان جنوب الاناضول الانصارية او النصيرية من سكان شمال سورية . وهم يسمون في بعض البلاد كانطاكية مثلاً فلاحين لان الفلاحة حرفتهم . ولا نعلم عن معتقدهم اكثر مما نعلم عن معتقد الطهطجية[١] وكثيرون منهم يشبهون الطهطجية في ملامحهم . ودليلهم الجمجمي يتراوح بين ٨٠ و ٩٤

---

(١) [المقتطف] في العربية رسالة حسنة في مذاهب النصيرية وضعها نصيري تنصر وقد اقمنا في بلاد النصيرية شهرين وعاشرناهم يا كلناهم ونرجح صحة اكثر ما جاء في تلك الرسالة

(١٥) القزل باش

يقطن اعالي العراق حتى جبال طورس غرباً قرب مرعش طائفة من الناس غريب امرها . واسم هذه الطائفة قزل باش ومعناها الراس الاحمر . ولا يعرف سبب هذه التسمية فان ذوي الشعور الحمراء فيهم ليسوا اكثر منهم في جيرانهم وطرابيشهم ليست اشدّ حمرة من طرابيش غيرهم من العثمانيين

وفي غربي كردستان قوم يشبهون القزل باش في بلادهم ويسمون هناك يزيدية ولكنهم يتبرأون من القزل باش و يقولون ان ليس ثمة جامعة تجمعهم بهم . وقد قيل لي ان يزيدي وقزل باش اسمان لمسمى واحد وان الاول عربيّ والثاني تركيّ . ولا أعلم ما في هذا القول من الصحة . وكل ما أعلم ان معتقد الفريقين واحد ومعيشتهم واحدة تقريباً . وقد قست رؤوس ١٨١ رجلاً منهم وكانوا كلهم ما عدا ثلاثة منهم سود العيون والشعور سمر الالوان فوجدت الدليل الجمجمي فيهم يتراوح بين ٨٣ و ٩٢ وعندي انهم هم واليزيدية بقايا شعب قديم وقد حافظوا على دياناتهم اتم محافظة . ثم ان امتناعهم عن مزاوجة جيرانهم مكنهم من الاحتفاظ بصفاتهم الطبيعية القديمة

(١٦) الدروز

ان الباحث في اوصاف الدروز والموازنة من اهل لبنان يرى ما للعزلة الدينية من الاثر الواضح في المحافظة على الصفات الطبيعية القديمة كما هو الحال في القزل باش واليزيدية

الدروز قوم يقطنون جنوبي بيروت وقسماً كبيراً من لبنان الغربي والشرقي . عددهم نحو ١٥٠ الف نسمة وعقيدتهم الدينية مكتومة كل الكتمان ولكن الكاتب الفرنسوي دي ساسي تمكن سنة ٨٣٨ من درسها فحكم بانها مزيج من اليهودية والمسيحية والاسلام تحتوي على افكار كثيرة غريبة في الشرك والتناسخ وتجسد الله مراراً وعبادة الطبيعة . اما لغتهم فالعربية وهم معروفون رسمياً بانهم مسلمون ولهم اسماء اسلامية ولكن ليست لهم صلة باطنة بالاسلام . ومن رأي ماكس فون اوبنهيم انهم نسل العرب الذين هاجروا الى سورية في اول القرن الثامن للميلاد . وهذا الرأي يطابق تقاليد الدروز فيما يرجع ولكنهُ يناقض الصورة المجملة التي نستخلصها من البحث في صفات الدروز والعرب من طبيعية ومعنوية .

فقد قست ٥٩ رجلاً منهم فلم أر الدليل الجمجمي في احدهم مطابقاً لما هو معروف في العرب الخلّص

وجميع الدروز من ذوي الرؤس المستديرة او الفاطحة جدًّا والدليل فيهم يتراوح بين ٨٤ و ٨٩ ولم يشذّ عن ذلك بين الذين قست رؤوسهم سوى رجل ممرور قال لي انهُ كان من موظفي المطبخ السلطاني في الاستانة وان عليًّا متجسدٌ فيهِ وقد قست رأسهُ فوجدت الدليل فيهِ ٧٦ فقط ولكن شهل عينيهِ واختلاف بعض اوصافهِ الاخرى عن اوصاف الدروز حملاني على اغفال امرهِ وعدم حسبانهِ منهم

(١٧) الموارنة

يجاور الدروز في الشمال الموارنة وهم طائفة مسيحية يقال انها سلالة احدى الطوائف المسيحية القديمة التي كانت تذهب الى ان للمسيح طبيعة واحدة . ومعلوم ان اصحاب هذا المذهب انشقوا عن كنيسة رومية بعد المجمع الخلكيدوني الذي عقد سنة ٤٥١ للمسيح وقد سموا بهذا الاسم نسبة الى يوحنا مارون الذي اختاروهُ اسقفاً عليهم بعد انفصالهم عن كنيسة رومية ولكن صفاتهم الطبيعية اقدم من انشقاقهم الديني بكثير . وقد حافظوا عليها اتم محافظة وذلك لسكنهم الجبال منعزلين عن الناس ولعدم مزاوجتهم لجيرانهم من المسلمين والدروز . واعظم ما يميزهم عن غيرهم كثرة من فيهم من ذوي الجماجم العالية والمسطحة من القفا . فهم حسن شاهد على ما سماهُ طولد الالماني بالقفا المسطح . وشدة تسطح اقفيتهم حملتني على الظن انهُ لا يبعد ان يكون ذلك نتيجة تشويه صناعي فبذلت اقصى جهدي في تحقق هذا الامر وفحصت جماجم نحو مئة طفل في اسرتهم لاعلم هل لاضجاع الطفل على ناحية من نواحي رأسهِ تأثير في شكل جمجمتهِ فلم اجد ما يؤيد ذلك . وعليهِ لا نرى مناصاً من حسبان تسطح القفا في الموارنة واشباههم صفة طبيعية لم تجلبها صناعة (شكل ٢)

وقد قست جماجم ٢٠ رجلاً معظمهم من بعلبك وطرابلس فوجدت الدليل فيها بين ٧٩ و ٩١ وكانوا جميعهم شديدي السمرة

(١٨) الايرانيون

يبلغ سكان ايران نحو عشرة ملايين نسمة ومع ذلك لم يقس سوى جماجم ٣٠ رجلاً منهم ولم تدرس واحدة منها درساً يعود بفائدة على علم الانسان

وفي ايران طائفتان كبيرتان من السكان الواحدة الشيعية وهم على الغالب مخضرون

والسنية ومعظمهم اهل بادية وقبائل رحل · اما الاولون فسلالة القدماء من اهل فارس ومادي · واما الثانون فهم تركمان ومنهم دولة كاجار الحاكمة وهم اهل همة وعزم وفي ايديهم معظم الاراضي · وهناك ما عدا هاتين الطائفتين نحو مليون من الكرد والعرب والارمن والنساطرة والغجر

وقد أتيح لي قياس جماجم ١٥ رجلاً من الايرانيين الذين لقيتهم في الاستانة وازمير ورودس واضاليا وكانوا كلهم شديدي السمرة فوجدت دليلهم يتراوح بين ٧٣ و ٩٠ اي ان معظمهم من اهل الرؤُس المفلطحة المستديرة وثلاثة فقط من اهل الرؤُس المسطحة الطويلة ولا يبعد ان يكون بين الايرانيين كثيرون من ذوي الجماجم الطويلة وربما لا اكون مخطئاً اذا قدرتهم بسدس المجموع · ولم أرَ ايرانيًّا واحداً بشعر اشقر وعينين زرقاوين ولكن قيل لي ان في بعض الاسر الشريفة عدداً ليس بقليل من ذوي الشعر الاشقر والعيون الزرقاء

ولسنا نعلم شيئاً عن الصفات الطبيعية في الذين ينتمون الى السلالة الآرية (البيضاء التي منها اهل اوربا) والذين جاؤُوا بلهجة آرية الى ايران · ولا يبعد انهم كانوا صهباً ورؤُسهم طويلة كاسلاف الاكراد المعاصرين لنا ولكنهم كانوا قلالاً فلم تؤَثر ملامحهم في ملامح الايرانيين

(١٩) العرب

سمى فردريك ملر الالماني سكان غربي اسيا عرباً سواء في ذلك اهل شبه جزيرة العرب وفلسطين وسورية والعراق وذلك لانهم كلهم يتكلمون العربية · ولا ريب ان هذه التسمية خطأ لما بينهم من الاختلاف البيّن في صفاتهم الطبيعية والمعنوية

اما بلاد العرب فاننا نعرف عنها اقل مما نعرف عن سائر بقاع الارض المأهولة فالحكم على طبيعة اهلها بناء على نفر عرفناهم منهم عرضة للخطإِ الكثير · فقد قست جماجم ٣٨ رجلا من عرب عنزه (شكل ٣) لقيتهم في حلب سنة ١٨٨٣ · وكذلك جماجم ١٨ بدويًّا من عرب شمّر النازلين بين الموصل والاسكندرونة و ٢٠ مسلماً من اهل مدينة حماه · و ١٥ آخرين من المسلمين في سائر مدن سورية · و ٦ من رجال الدين في الجزيرة · و ٥ من عرب مدينة حايل في بلاد العرب · فالمجموع ١٠٢ منهم ٦١ من البدو الصراح و ٤١ من اهل المدن · وهاك جدولاً يبين نتيجة قياسي لجماجمهم

بدو	عددهم	الدليل الجمجمي
من عرب عنزه	٣٨	٦٨ — ٧٨
من غيرهم	١٨	٧١ — ٨١
من حايل	٥	٧٠ — ٧٤
حَضَر		
من حماه	٢٠	٨٥ — ٨٩
من سائر مدن سورية	١٥	٧٦ — ٨٩
رجال دين من الجزيرة	٦	٨٣ — ٨٦

وكان شكل الانف فيهم مختلفاً كلّ الاختلاف · فانوف البدو قصيرة عريضة وانوف سائر الذين يسمون عرباً شماء دقيقة

(٢٠) الترك

جرت العادة في معظم اللغات الاوربية بان يسمّى المسلمون من رعايا سلاطين عثمان تركاً · ولكنها تسمية غامضة مبهمة تفضي الى كثير من الخطإ والخطل · فان العثمانيين وهم قبيلة تركمانية في الاصل بدأوا فتوحاتهم منذ سنة ١٢٨٩ ، واضطروا كثيرين من اهل البلاد التي فتحوها الى التكلم بالتركية وانتحال الاسلام ديناً فكان من جراء ذلك تقريب مسافة الخلف بين الغالبين والمغلوبين وتزاوجهم · ولكن لما كان الغالبون قلالاً في جنب المغلوبين بقي معظم سكان السلطنة العثمانية الذين يسمون تركاً محافظين على ملامحهم التي كانت لاسلافهم قبل غزو الترك لهم

وقد قست رؤس ٥٦٩ تركيًا من اهل جنوب الاناضول وشمال سورية غير الذين اشرت اليهم في كلامي على الطحطجية وعددهم ١٨٧ فالمجموع ٧٥٦ يتراوح دليلهم الجمجمي بين ٦٩ و ٩٦ منهم ١٧٢ من ذوي الجماجم المصفحة · و ٤٣٣ من ذوي الجماجم المفلطحة · و ١٥١ بين بين (شكل ٤)

(٢١) الروم

ما قيل عن الترك يصحّ ان يقال عن الروم من سكان الاناضول وسورية · فان بعضهم من نسل الايونيين والدوريين والايوليين القدماء بلا جدال ولكن اكثرهم متسلسلون من بطون وافخاذ اخرى كانت اليونانية لسانها والارثوذكسية مذهبها

قست رؤُس ١٧٩ رجلاً يقولون انهم ومذهبهم الارثوذكسية فوجدت ٧٩ بينهم من ذوي الرؤُس المصفحة و ٨٤ من ذوي الرؤُس المنطحة و ١٦ بين بين ومتوسط الدليل الجمجمي نحو ٨٠ وهو يقارب الدليل الجمجمي في ٩٥ جمجمة من جماجم اليونان القدماء من اهل اسيا واوربا قاسها فيسباخ فوجد متوسط دليلها ٨٢ر١ . ويقارب ايضاً الدليل الجمجمي في الجماجم التي قاسها كاون ستيفانوس فوجده ٨٠٫٨ في يونان اوربا و ٨٠٫٧ في يونان اسيا

اما الرؤُس القصيرة (المفلطحة المستديرة) في روم الاناطول فتشبه رؤُس الترك مساكنيهم . واما الرؤُس الطويلة فعلى نوعين فمنها رؤُس طويلة عالية كرؤُس الانكليز ورؤُس الاكراد ومنها رؤُس طويلة واطئة كرؤُس البدو وربما كان اصل اصحابها ساميًا اذ معظمهم يسكنون مدنًا وقرى كانت مستعمرات سامية زاهرة منذ القدم ومنظرهم يشبه منظر الساميين اجمالاً (شكل ٥)

(٢٢) الارمن

يختلف الارمن عن الترك والروم في كون الارمن اكثر تجانسًا منهم في ملامحهم لان الترك والروم مزيج من عنصرين مختلفين كل الاختلاف في صفاتهم الطبيعية وربما كان هناك اكثر من عنصرين . ولست اقول ان دم الارمن صرف غير مشوب بدم غيرهم من الامم ولكن يقال بوجه عام ان جمهورهم كثير التجانس والتشابه في صفاتهِ الطبيعية ولاسيما اهل شمال سورية منهم فان افرادهم متشابهون في بعض الاماكن تشابه بيض الدجاج في منظرهِ الخارجي . ثم ان عزلة الارمن الدينية وعزلتهم الطبيعية اي سكنهم قرى الجبال النائية ساعدتا على احتفاظهم بصفاتهم الطبيعية القديمة حتى يصح القول انهم نموذج صادق لما كان عليهِ اسلافهم من قبل

اما رؤُسهم فاكثر تسطحًا في قفاها من رؤُس سائر الاقوام الساكنين في غرب اسيا فهي من الصنف المفلطح العالي . وانوفهم ضيقة بارزة (شكل ٦) وهم سمر في الغالب ودليلهم الجمجمي يختلف من ٨٣ الى ٩٦ (شكل ٧)

علم الانسان

(٤) النظام الاجتماعي

اذا شئت درس حال امة من الامم للوقوف على دخيلة امرها وحقيقة مركزها الاجتماعي وجب من مبتدإ الامر ان تلمَّ تمام الالمام بنظامها الاجتماعي في جميع صورهِ واشكالهِ اذ يستحيل العلم باخلاق امة او بواطنها قبل العلم بظواهرها . فسبيل الباحث والحالة هذه هو السعي الى معرفة الاخلاق الباطنة بطريق النظامات الظاهرة

ربَّ سائل يسأل كيف وجدت صور النظام الاجتماعي . هل اخترعها احد . وهل تنطوي فكرة النظام على منظم سابق لهُ ام تنمو تلك الصور نموَّ البلورات بالاضافة اليها من الخارج . والرأي ان الضرورة الطبيعية والحرية العقلية عاملان متداخلان في حياتنا وان لكل منهما يداً في ابلاغنا هذه النتيجة او تلك . ونسمّي الضرورة الطبيعية قوة الظروف القاهرة والحرية العقلية قوة الارادة او القصد العاقل

قال الباحثون في الحياة الانسانية ان العوامل الرئيسة التي تتسلط عليها وتكيفها هي التربية والنظام الاجتماعي وعدد الشعب والطعام والاختراع وكل منها معتمد على ما يليهِ . وترى في هذه السلسلة ان طرفيها اي التربية والاختراع عاملان معنويان والحلقات التي بينهما اثنتان منها ماديتان وهما العدد والطعام والثالثة اي النظام الاجتماعي بين بين . والذين جعلوا الاختراع الركن الاكبر في هذه السلسلة واسّ نظام المعيشة الانسانية خالفوا مذهب القائلين بان النشوء الانساني عمل طبيعيٌّ صرف . وعندهم ان الحياة الانسانية اصطناعية وبعبارة اخرى ان يد الصناعة ظاهرة كل الظهور فيها وان اعظم ما يميز الانسان عن غيرهِ من الحيوانات هو تأثرهُ بالصناعة

لا يخفى ان اختراع الآلات في اواسط القرن الثامن عشر افضى الى ثورة صناعية لا يزال اثرها في السياسة والاجتماع باقياً الى يومنا هذا وهو كلَّ يوم على ازدياد . والحق يقال ان التاريخ الانساني ليس الأ تاريخ الاختراعات العظيمة . ولكن طبيعة البلاد تساعد على تعيين نوع الطعام ومقدارهِ بوجه الاجمال حتى انهُ لا يمكن انبات القمح مثلاً في البلاد المتجمدة مهما اتسعت حيلة الانسان في الزراعة فلا يقصدها الأ طلباً للصيد

ولنفرض ان مخترعات امة من الامم كافية لاخراج مقدار معلوم من الطعام وحينئذٍ

يمكن الانسان على ما قال ملثوس وداروين ان يتوالد وينتج من النسل ما يتكافأ مع ذلك المقدار وبعبارة اخرى يمكنهُ تكثير ولده الى حدٍّ يكون بينهُ وبين الطعام نسبة ثابتة

قلنا فيما مرَّ ان النظام الاجتماعي يعتمد على العدد فلننظر الآن في وجه ذلك الاعتماد . فقد حاول بعض العلماء ان يبين انهُ يمكن التوفيق بين مقدار معلوم من السكان وبين كل درجة من درجات ارتقائهم في السلَّم الانساني حتى يبلغوا ارقى درجة من الحضارة . مثال ذلك ان بعض القبائل الواطئة في سلَّم الارتقاء كالاقزام مؤَلفة من جماعات صغيرة جداً كل منها تشتمل على عشرة اشخاص الى اربعين . والجماعات التي ارقى منها قليلاً كالاستراليين الاصليين مؤَلفون من قبائل في كلٍّ منها ٥٠ شخصاً الى ٢٠٠ . ومعظم قبائل اميركا الشمالية وهم ارقى من الاستراليين مؤَلفون من جماعات عدد كلٍّ منها ١٠٠ الى ٥٠٠ . وقد سمّي هذه القبائل كلّها متوحشة واهمّ خواصها ومميزاتها من الجهة الاقتصادية انها قبائل رحَّل تعيش بالصيد والقنص

واستطرد في قسمتهِ هذه فقسم الامم التي هي ارقى قليلاً من المتوحشة الى ثلاثة اقسام سماها كلها برابرة . اما القسم الاول فيشمل القبائل التي تستقرُّ في مكان من الارض لاحتراف الزراعة او ترحل من مكان الى مكان انتجاعاً للكلاء كقبائل الهنود الاميركيين المسماة اريكويز وقبائل الموري في زيلندا الجديدة . والقبيلة منهم تتألف من ١٠٠٠ الى ٥٠٠٠ . والثاني يشمل القبائل التي لها بعض النظام كقبائل الداهومي والاشنتي في غرب افريقية . وقد يبلغ عدد القبيلة منها مئة الف . والثالث القبائل التي هي ارقى نظاماً كالحبشان واهل مدغسكر وعدد كلٍّ منهم نحو نصف مليون

هذه هي زبدة تقسيمهِ . ويقال اجمالاً ان اختلاط النظام الاجتماعي وتلاؤُم اجزائهِ في اوائل عهد الارتقاء الانساني تابعان لحجم الجماعة . ولما كان حجمها تابعاً لطريق معيشتها الاقتصادية فلا بدع اذا سميت جماعة الطعام اي الجماعة التي يتوقف مقدارها على مقدار ما تجدهُ من الطعام

وهناك حالة اولية غير الطعام تؤَثر في النوع الانساني تأثيراً جوهريَّاً وهي الميل الى الزواج واخلاف النسل . فبذلك يكون نظام الاجتماع ذا وجهين الواحد وهو الاهم وجه طلب الطعام . والثاني وجه طلب الزواج . فقد كان الناس في حال فطرتهم الاولى يطلبون الصيد جماعات كسائر الحيوانات الاجتماعية ويعيشون جماعات ايضاً وينحصر تزاوجهم فيهم ولكن لما جعل كل بيت منهم يتزوج من غيره بات امر التزاوج اعظم شأناً من امر الطعام لان

الحصول على الطعام سهل تستطيعهُ القبيلة نفسها في حين ان تزوج غريبة انما هو من المسائل الصعبة التي يقتضي حلُّها اخذاً وعطاء من الطرفين

وعلى ذكر نظام الزيجة الخارجية نقول ان العلماء مختلفون في هل كان الناس في حال فطرتهم الاولى يتزوجون اقاربهم الاقربين ام يتزوجون الاباعد عنهم · وبعبارة اخرى اية العادتين كانت السابقة عادة التزوج الخارجي ام عادة التزوج الداخلي · فقد وجد بعض الباحثين في عادات قبيلة الفيدا من سكان غابات سيلان ان فئة منها تتزوج من الفئات الاخرى بحكم عادة قديمة وان فئة اخرى لا تتزوج من الغير · ومن رأيهم ان الفئة التي يتزاوج رجالها ونساؤها كانت فيما مضى تتزوج من الخارج ثم طرأ عليها ما حال دون ذلك فوقعت بين شرّين فاما ان تتزوج من الداخل واما ان تمتنع عن التزوج بتاتاً فاختارت الاول وهو الاصغر · و يقول البعض انها عادة الانسان الاول ولكن ليس ثمة دليل بين على صحة هذا القول

ومن اكثر العوامل تأثيراً في النظام الاجتماعي وتكييفهِ مبدأ ملكية الافراد وخصوصاً الملكية العقارية · فان قسمة الناس الى غنيّ وفقير هي اعظم ما يميز طبقاتهم المختلفة بعضها عن بعض · وقد يقسمون في بعض البلاد الى احرار وعبيد · او الى اصحاب حرف شريفة وحرف دنيئة ولكن اساس هذه التقاسيم كلها ملكية الفرد كما تقدم اذ قد جرت العادة بان يسمى من الحرف شريفاً ما عاد على صاحبهِ بربح حسن وما قلّ ربحهُ فهو الخسيس الدنيء

قلنا ان نظام الاجتماع يتوقف على العدد وهذا على المهارة التي تبذل في طلب الطعام · ولكن هذا القول يصحّ الى حدّ محدود اذ لا مشاحة في ان تركيب الجمعية البشرية وتنظيمها يتوقفان على الفهم والادراك · فانهُ ان كان نظام الاجتماع نتيجة طبيعية لنمو السكان فهو كذلك من صنعة العقل الانساني الذي شحذ غرارهُ لاختراع طرق واساليب شتى في جمع الناس جماعات كبيرة للتعاون على العمل معاً

لذلك اذا نظرنا الى الجمعية الانسانية نظراً خارجيًّا صرفاً خيل الينا انها لا تخرج عن كونها آلة مسخرة لقضاء غاية اي انها نتيجة الادراك لا الادراك نفسهُ · ولكننا سنرى فيما يلي ان هذه الآلة الاجتماعية تتحرك من نفسها ومتى اطلعنا على تركيبها الداخلي والممنا بقوتها المحركة لما اضطررنا اذ ذاك الى العدول عن رأينا الاول فيها وحكمنا بانها ليست مجرد آلة صماء عمياء بل جسم حيّ بل اكثر من ذلك — اي انها مجموعة نفوس وعقول مستقلة ولكنها متداخلة بعضها في بعض تسعى معاً في طلب استقلال الفرد والحرية

معركتا كورونل وفوكلند

لا يستطيع احد ان يصف الحروب البرية والبحرية مالم يشاهدها بعينهِ أو ينقل اخبارها عن الذين شاهدوها . والذين يشاهدون معركة من المعارك لا يحيط الواحد منهم بتفاصيل كل ما يقع فيها لسعة نطاقها فلا بدَّ من جمع اقوال كثيرين من الذين شاهدوها في جهات مختلفة ومقابلتها بعضها ببعض ونقدها وتمحيصها حتى يقلّ الخطأُ ما امكن وتكون الخلاصة اقرب ما يكون الى الحقيقة ولهذا لا ينتظر ان يكتب تاريخ صحيح مدقق للحرب الاوربية الحاضرة الاَّ بعد بحث دقيق مدى سنوات عديدة لكنَّ الروايات عن بعض المعارك لا يخلو ذكرها من فائدة ولا سيما اذا كتبها اناس شهدوها واشتركوا فيها ودلَّت الدلائل على انهم وضعوا الغرض جانباً حينما كتبوا وانصفوا واتصفوا في ما رووهُ عن خصومهم . ومن ذلك رواية كتبها رجل اسمهُ ستفنصن كان في الطراد الانكليزي الصغير المسمى غلاسكو [1] حينما وقعت المعركة البحرية في كورونل [2] التي تغلب فيها اسطول امير البحر سبي الالماني على السفن الانكليزية ثم دارت عليهِ الدائرة في المعركة التي تلتها في فوكلند [3] لاسيما وان هذا الطراد نجا من المعركة الاولى وحضر المعركة الثانية ثم قطع نحو سبعين الف ميل وهو يفتش عن فلولها كما سيجيء . قال ما خلاصتهُ

كنا في جنوب اميركا حينما نشبت الحرب الاوربية وكانت مهمتنا هناك قد انتهت وأُمرنا بالرجوع الى انكلترا فجعلنا نشتري الهدايا لاقاربنا واصدقائنا من اسواق ريوجنارو عاصمة البرازيل فلما طيَّر الينا البرق خبر نشوب الحرب لم نغتظ ولا أُسقط في يدنا لان الجندي لا عمل لهُ الاَّ الحرب ولا يسرُّ الاَّ بها والحال اطلقنا ما كنا اشتريناهُ من الطيور وطرحنا كل ما ظننا انهُ يعيق حركاتنا وقت الحرب من الامتعة وجعلنا نفتش عن سفن العدو . ومضى علينا شهران كأنهما دهران ونحن نفتش في البحار والمرافىء من غير ان نهتدي الى سفينة المانية . ثم غنمنا سفينة فيها ما يساوي ٢٥٠ الف جنيه فطابت نفوسنا لان الغنيمة

---

(١) غلاسكو Glargow طراد خفيف تفريغهُ ٥٠٠٠ طن وسرعتهُ ٢٥ ميلاً بحرياً في الساعة وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍّ منهما ٦ بوصات و ٦ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات

(٢) كورونل Coronel مينا في بلاد شيلي

(٣) فوكلند Falkland جزائر في الاتلنتك الجنوبي الى الشرق من راس مجلان وهو الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية وهي من الاملاك الانكليزية

للذين غنموها. وبلغنا حينئذ ان الطراد درسدن [١] الالماني اغرق سفينة انكليزية تجارية واتجه نحو ساحل اميركا الجنوبي الشرقي فاسرعنا وراءه والتقينا في طريقنا بالطراد منموث [٢] من طراداتنا فسررنا برؤيتهِ لانهُ اول سفينة من اسطولنا وقع علينا نظرنا بعد نشوب الحرب فسرنا معهُ ٦٠٠ ميل الى سنت كاترينا بالبرازيل حيث بلغنا باشارة لاسلكية ان الطراد درسدن كان واقفاً هناك ليتناول الفحم لكننا لم نجد لهُ اثراً واتضح لنا حينئذ ان الاشارة التي بلغتنا كانت خداعاً من الالمان. والتقينا في طريقنا بالطراد غودهوب [٣] فصرنا ثلاثة طرادات فاتجهنا نحو الجنوب نفتش عن العدو الى ان وصلنا الى بورت ادغار في جزائر فوكلند فاقمنا هناك اياماً

وشاع ونحن هناك ان الطراد درسدن اتجه الى اميركا الجنوبية وسار الى طرفها الجنوبي فتبعناهُ ولكننا لم نعثر عليهِ ودرنا حول الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبية الى ساحلها الغربي وبلغنا حينئذ ان الطرادين الالمانيين المدرعين شارنهرست [٤] وغنسنو [٥] هربا من وجه اليابانيين من المياه الصينية وهما آتيان الى اميركا الجنوبية وانهُ ستأتينا نجدة من بوارجنا لكي نستطيع مقابلة هذه الطرادات الكبيرة لان طراداتنا الثلاثة كانت صغيرة في جنبها. وذهبنا الى فلباريزو في بلاد شيلي لكي نبتاع ما نحتاج اليهِ من المؤونة ونستلم ما يحتمل ان يكون قد اتانا من البريد بعد ان انقطع عنا شهرين كاملين وسرنا من هناك جنوباً الى كورونل حيث وجدنا كثيراً من السفن الالمانية المعتقلة ولما دخلنا المرفأ نزل قارب من احداها واسرع نحو الشاطىء كالسهم. وبعد نصف ساعة رأينا ناراً مشبوبة على رأس اكمة فقال واحد من البحارة ان هذه النار اضرمت اشارة لبوارج الاعداء تنبئها بمجيئنا فكان كما قال ولم يخطر ببالنا حينئذ ما خبأ لنا القدر من الدواهي السود

---

(١) درسدن Dresden طراد محمي تفريغة ٣٦٠٠ طن اعلاهُ مدرَّع وفيهِ ١٢ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة

(٢) منموث Monmouth طراد انكليزي تفريغة ٩٨٠٠ طن واعلاهُ مدرَّع بدرع سمكهُ ٤ بوصات وفيهِ ١٤ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٣ ميلاً بحريًّا

(٣) غود هوب Good Hope طراد كبير قديم تفريغة ١٤١٠٠ طن اعلاهُ مدرع بدرع سمكهُ ٦ بوصات وفيهِ مدفعان قطر فوهة كلٍّ منها ٩ بوصات و١٦ مدفعاً قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحريًّا في الساعة

(٤) شارنهرست Scharnhorst طراد مدرع حديث تفريغة ١١٥٠٠ طن وسمك درعهِ ٦ بوصات وفيهِ ٨ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٨ بوصات وعشرة ٦ مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٦ بوصات واربعة انابيب للتربيد وسرعتهُ ٢٥ ميلاً بحريًّا في الساعة

(٥) غنسنو Gneisenau مثل شارنهرست تماماً واحدث منهُ بسنة

وخرجنا من مرفإِ كورونل الساعة العاشرة صباحاً و بعد نحو ساعتين التقينا بالغودهوب والمنموث و بالطراد الصغير أترنتو وكان البحر هائجاً جداً حتى تعذر علينا انزال القوارب لمخابرة الاميرال في الغودهوب وكنا نعلم ان بوارج العدو على مقربة منا فابعد طرادنا لكي يتيسر لنا الاستطلاع . ونحو الساعة الرابعة بعد الظهر شاهدنا ثلاثاً من بوارج العدو فطيرنا الخبر الى رفاقنا وكان البحر لا يزال مضطرباً جداً لكن الشمس كانت مشرقة في اشد لمعانها فتقدم الاميرال كرادوك بطراده الغودهوب وامر الطرادات الثلاثة الباقية ان تتبعهُ وخلع المدفعية ارديتهم كلها ما عدا قمصانهم استعداداً للقتال وكانت بوارج الالمان اربعاً وظهر لنا ان غرضها الاول ان تبقى الى الغرب منا لكي تكون الشمس وراءها وفي وجهنا فتعمي ابصارنا وسهل عليها ذلك لانها اسرع منا في سيرها فبقيت بعيدة عنا لا تصل اليها قنابل مدافعنا الى ان تمكنت من الوقوف الى الغرب منا ولما ابتدأ القتال كنت واقفاً على الظهر الاعلى ارقب بوارج الاعداء حتى اذا صارت الى الغرب منا تماماً جعلت تطلق قنابلها على الاترنتو وكان غير مدرع فرأى الاميرال انهُ يستحيل عليهِ ان يثبت طويلاً امام تلك القنابل فامرهُ ان يلوذ بالفرار . فسدد الشارنهرست والغنسنو مدافعهما الى الغودهوب والمنموث والطرادان الآخران سددا مدافعهما الى الغلاسكو

ولم يكن لنا اقل امل بالفوز او بالنجاة لان سفن العدو اقوى من سفننا جداً وكان فيها امهر مدفعيتهِ وكانت مدافعها اكبر من مدافعنا واطول مدى فكانت قادرة ان تقف بعيداً عنا حيث تصيبنا مدافعها ولا تصيبها مدافعنا وزد على ذلك ان اضطراب البحر الشديد كان يقاقل سفننا لصغرها وخفتها ولا يقلقل سفنهُ لكبرها وثقلها ولذلك كانت الامواج تعلو فوق مدافعنا غالباً اي ان عناصر الطبيعة كانت ضدنا وكان علينا ان ننازل عدواً عنيداً تقصر قنابلنا عن الوصول اليهِ . وكم كنا نتمنى ان تغيب الشمس ويرخي الليل سدولهُ حتى نتمكن من الدنو من العدو ومنازلتهِ عن قرب . وانهالت القنابل على الغلاسكو كالمطر ولكنها وقعت في الغالب حولهُ فلم ينلنا منها ضرر لاسيما وانها كانت صغيرة ومن طرادين صغيرين وأما الغودهوب طراد الاميرال فكانت القنابل الكبيرة من اكبر طرادات الالمان تنهال عليهِ وهو لا يستطيع ان يكيل لها صاعاً بصاع . وبعد قليل انفجر مخزن البارود فيهِ فنسف مداخنهُ وما حولها واطارها في الهواء وابتلعتهُ لجة البحر . ولما رأت مدفعيتنا ذلك اشتد بها الحنق فاستبسلت في رمي القنابل على الطراد الخفيف الذي كان ينازلنا حتى عطبتهُ فاضطر ان يتنحى عن ميدان القتال وجاءنا طراد آخر حلَّ محلهُ وبعد قليل أصلح الطراد الاول شأنهُ

وعاد الينا فاجتمع علينا ثلاثة طرادات خفيفة تحاول تمزيقنا . ولما غرق الغودهوب صب الطرادان المدرعان نارهما على الطراد منموث حاسبين ان الطرادات الثلاثة الباقية كافية للقضاء على طرادنا فاصابنا منها ضرر غير قليل ولكنها لم تتمكن من القضاء علينا وقد مرّت قنبلة من قنابلها قرب انبوب البخار على خمسة اصابع منهُ ولو اصابتهُ لغرقنا كلنا ولم يبقَ منا من يكتب وصف هذه المعركة . ودخلت قنبلتان مخزن الفحم ولكن الفحم كان كثيراً فيهِ فاضاع فعل انفجارهما ودخلت قنبلة غرفة الربان وانفجرت فيها فلم تبقِ ولم تذر . وثقبت قنبلة جانب الطراد ثقباً كبيراً لكننا سددناهُ حالاً بما تيسر واضطررنا ان نسند السطح فوقهُ باخشاب كبيرة لئلاً يقع . وجرح بعض رجالنا ولكن لم تخر عزيمة احد فواظبنا على مواصلة العدو بنار حامية كل مدة القتال . وقلنا حينئذ لربان المنموث ان يتحول الى جهة الشمال الشرقي لعلهُ ينجو فاجابنا انهُ لم يبقَ لهُ امل بالنجاة لكثرة ما دخل طرادهُ من الماء ولكنهُ سيحاول نطح احد طرادي العدو او رميهُ بالطربيد قبلما يغرق ودنا من الطرادين لهذه الغاية . أما نحن فكنا ننازل ثلاثة طرادات في وقت واحد ولم يكن لنا اقل امل بالتغلب عليها او النجاة منها اذا بقينا امامها ورأينا ان البقاء في ذلك المأزق ضرب من الانتحار لان سرعة طرادنا قد تمكننا من النجاة اذا حاولنا الفرار فادرنا دفتنا ولذنا بالفرار وعددنا نحو سبعين طلقة اطلقت على المنموث ثم غاب عن ابصارنا

واقتفت طرادات العدو اثرنا لكننا سبقناها كلها وادرنا آلاتنا البخارية بسرعة ٢٧ ميلاً بحرياً في الساعة لكننا لم نكن نسير الا ٢٤ ميلاً لشدة اضطراب البحر ووجود ثقب كبير في جانب طرادنا فسرنا الليل كلهُ على هذه الصورة والتفتنا في الصباح فوجدنا ان العدو عدل عن مطاردتنا لكن حزننا على رفاقنا الذين غرقوا انسانا الفرح بنجاتنا فقد مضت علينا مدة طويلة ونحن مرافقون للغودهوب والمنموث وصرنا مع بحارتهما من اعز الاصدقاء فشق علينا ان نُحرَم من مشاهدتهم بعد الآن

وبعد ثلاثة ايام وصلنا الى مضيق مجلان من غير ان نرى سفينة في طريقنا ثم وصلنا الى بورت ستانلي بعد خمسة ايام اخرى ومن هناك ارسلنا خبر هذه المعركة الى وزارة البحرية وكنا قد ابعدنا عن محلها ٣٥٠٠ ميل . وكان لا بدَّ لنا من الوصول الى ريو جنارو مسافة الف ميل اخرى قبلما نتمكن من اصلاح ما اصاب طرادنا . وكنا نظن دائماً ان طرادين من طرادات العدو يجدان السير وراءنا ولكننا علمنا بعد ذلك انهما تبعانا اولاً ثم اضطرا ان يدخلا مرفأ فلباريزو لكي يصلحا ما اصابهما

وبعد ما اصلحنا طرادنا التقينا بالسفن كورنول [١] وكارنارفون [٢] وكنت [٣] وبرستل [٤] ثم بالطرادين المدرعين الكبيرين الانفنسبل [٥] والانفلكسبل [٦] ولواؤُها معقود للاميرال ستردي فسار هذا الاسطول الكبير لكي يأخذ بثار الغودهوب والمنموث وظللنا عشرة ايام نفتش البحار عن سفن الاعداء الى ان وصلنا الى بورت ستنلي في جزائر فوكلاند واخذنا منها ما نحتاج اليهِ من الفحم وعدنا نفتش عن الاسطول الالماني وفي صباح الثامن من دسمبر سنة ١٩١٤ رأينا دخاناً في الافق وبعد قليل بانت لناسفن العدو وكانت طراداتنا الكبيرة لا تزال تأخذ الفحم أما الطرادات الصغيرة فكانت قد اتمت اخذ فحمها واستعدت لمقابلة العدو وكان طرادنا الغلاسكو في مقدمتها فاطلقنا بخارنا وقلنا جاءت ساعة الاخذ بالثار · وكان غرض الاميرال سبي من المجيء الى جزائر فوكلند تخريب مكان التلغراف اللاسلكي ولذلك دنا من الشاطئ ولكن بارجتنا كنوبس [٧] بادرتهُ بمدافعها التي قطر فوهتها ١٢ بوصة فاندهش من هذه المفاجأة ورأى حينئذ انهُ صادف خصماً عنيداً لا كالخصم الذي لقيهُ في النوبة الاولى فادار دفتهُ وحاول الفرار فجددنا وراءهُ ونحن نطلق المدافع ونكثر من اطلاق الدخان حتى لا يرى طرادينا الكبيرين يتناولان الفحم وبعد قليل اتما تناول فحمهما وتبعانا باشد سرعتهما ومدافعهما تقصف كالرعد القاصف وكانت بوارج الالمان كلها قد لاذت بالفرار ولكن اين المفر وذانك الاسدان وراءها كالقضاء المبرم يزأران ويبرقان ويرعدان فسبقا كنت وكارنرفون وكورنول وأما طرادنا الغلاسكو فبقي مجارياً لها لسرعة سيرهِ وكنتُ واقفاً على ظهرهِ مع كثيرين من البحارة ارقب سير القتال واطلاق القنابل

(١) كورنول Cornwall طراد مدرع تفريغه ٩٨٠٠ طن وسمك درعهِ ٤ بوصات وفيه ١٤ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعته ٢٤ ميلاً بحرياً

(٢) كارنارفون Carnarvon طراد تفريغه ١٨٥٠٠ طناً وسمك درعهِ ٦ بوصات وفيهِ ٦ مدافع قطر كلٍ منها سبع بوصات ونصف و٦ مدافع قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعته ٢٢ ميلاً بحرياً ونصف ميل

(٣) كنت Kent طراد تفريغه ٩٨٠٠ طن وسمك درعهِ ٤ بوصات وفيهِ ١٤ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات وسرعته ٢٤ ميلاً بحرياً

(٤) برستل Bristol طراد خفيف تفريغه ٥٠٠٠ طن فيهِ مدفعان قطر كلٍ منها ٦ بوصات و ٦ مدافع قطر كلٍ منها ٤ بوصات وسرعته ٢٥ ميلاً بحرياً

(٥) الانفنسبل Invincible طراد كبير مدرع من نوع الدردنوط تفريغه ١٧٢٥٠ طناً وسمك درعهِ من ٧ بوصات الى ١٠ وفيهِ ثمانية مدافع قطر كلٍ منها ١٢ بوصة وسرعته ٢٧ ميلاً بحرياً في الساعة

(٦) الانفلكسبل Inflexible مثل الانفنسبل تماماً

(٧) كنوبس Canopus بارجة قديمة تفريغها ١٢٩٥٠ طناً وسمك درعها ٦ بوصات الى ١٢ وفيها اربع مدافع قطر كلٍ منها ١٢ بوصة و١٢ مدفعاً قطر كلٍ منها ٦ بوصات ولكن سرعتها ١٢ ميلاً ونصف ميل فقط

ولما رأى العدو ان الفرار متعذر امر طراداته الخفيفة ان تنجو بنفسها ووقف الطرادان الكبيران شرنهرست وغنسنو ليشاغلانا عنها . فامر الاميرال ستردي طرادنا ان يجد في اثر الطرادات الالمانية الخفيفة ويمنعها من النجاة ولم يمضِ علينا وقت طويل حتى ادركنا الطرادين نورنبرج[1] وليبتسك[2] فحاولا منازلتنا معاً لكن مدافعنا كانت اقوى من مدافعهما فنعناهما من الاجتماع فاضطر الطراد نورنبرج ان يفترق عن رفيقهِ فطارده الطراد كنت واغرقهُ وبقينا نحن على مطاردة ليبزك الذي قال قبطانهُ انهُ يستطيع ان يغرق سفينة انكليزية كل يوم فاصليناهُ ناراً حامية حتى صار شعلة نار ثم جاء الكورنول وعاوننا عليهِ حتى اغرقناهُ وانقذنا بعض ضباطهِ وبحارتهِ وسمعنا منهم اخباراً سداها ولحمتها الكذب فقد قيل لهم ان اسطولنا هو كل ما بقي من الاساطيل الانكليزية ولم يدر في خلدهم ان طرادنا هو الغلاسكو لاعتقادهم ان الغلاسكو غرق في المعركة الاولى . ومما قيل لهم ايضاً ان المانيا استولت على فرنسا كلها واحتلت مدينة لندن . وقد راعهم ما لقوهُ من حربنا وقالوا ان قنبلة من قنابلنا اصابت ضابطاً من ضباطهم وهو يلبس منطقة النجاة فوسطتهُ وان جماعة منهم كانوا في غرفة التبريد فاقفلت عليهم وشووا بها شيًّا

وحالما قضينا على الطراد ليبزك بعث الينا الاميرال ستردي يقول قد اغرقنا الطرادات الكبيرة فاين البقية فاجبناهُ ان الطراد درسدن نجا من ايدينا لعظم سرعتهِ ونحن مشغولون باخيه ليبزك وقتل من طرادنا رجل واحد وجرح آخر جرحاً بالغاً مات منهُ وجرح ثمانية او تسعة غيرهُ جروحاً غير بالغة وعدنا الى بورت ستانلي حيث انزلنا الجرحى والاسرى وفي اليوم التالي تليت علينا رسالة الملك تهنئنا بالظفر

ولم يبقَ من الاسطول الالماني الا الطراد درسدن[3] وكنا نتوق الى منازلتهِ ولكننا بقينا ثلاثة اشهر نفتش عنهُ حتى التقينا بهِ وكان البرد شديداً جدًّا في تلك الاقطار وكثيراً ما كنا نمر بين جبال الجليد الطافية في البحر واخيراً التقينا بهِ عند جزيرة روبنصن كروزو وفي اقل من دقيقة اضرمنا النار فيهِ فنشر الذين فيهِ الراية البيضاء علامة التسليم فرضينا بذلك وابطلنا اطلاق المدافع عليهِ وارسلنا اليهِ قارباً فيهِ طبيب ليعتني بالجرحى وكنت انا

---

(١) نورنبرج Nurnburg طراد محمي تفريغهُ ٢٤٥٠ طناً وفيهِ عشرة مدافع قطر فوهة كلٍّ منها ٤ بوصات وانبوبان للتربيد وسرعتهُ ٢٣ ميلاً بحرياً ونصف ميل (٢) ليبسك Leifzeg مثل نورنبرج

(٣) درسدن Dresden طراد محمي تفريغهُ ٣٦٠٠ طن وفيهِ ١٢ مدفعاً قطر كلٍّ منها ٤ بوصات وسرعتهُ ٢٤ ميلاً بحرياً في الساعة

في القارب فوجدنا ان الجرحى انزلوا كلهم الى البر وهم نحو اربعين جريحاً فجدفنا الى البر ولما بلغناه سمعنا صوت انفجارين عظيمين فالتفتنا واذا الدرسدن اخذ يغرق اما لان النار وصلت الى مخازنهِ فانفجر بارودها او ان رجالهُ نسفوهُ لكي لا يقع في يدنا وهو آخر الاسطول الالماني في تلك البحار

مصر منذ تسعين سنة

الترجمانة

خرجت مع زينب الى مكتبة مدام بونوم وكنت لم ارها بعد ليلة التمثيل اذ كانت الممثلة الاولى فتلطفت في استقبالنا وجعلت تترجم بيني وبين جاريتي. وكان لها دكان ملاصق للمكتبة تبيع فيهِ بعض الاقمشة والتحف والالبسة الاوربية للسيدات فوقفت زينب امام هذا الدكان مبهوتة بمنظر تلك البضائع والتحف والاقمشة المطرزة

فاوضحت لمدام بونوم ما جرى لي بعد ان اشتريت الجارية وما اعانيهِ من الصعوبات في الحديث والتفاهم معها وذكرت امتناعها عن الاكل وطلبها لبس الحبرة واستشرتها فيما يجب ان افعل وطلبت منها ان تسألها اولاً هل هي راضية من السكنى معي. وهل ترغب أن اردها الى النخاس. فكلمتها السيدة طويلاً لتعلم خائل افكارها واخيراً قالت لي يظهر ان جاريتك هذه ساذجة جاهلة ولكنها طيبة القلب وتقول انها مسرورة جداً من امتلاكك اياها ولا تريد ان ترجع الى النخاس. وانما تأبى ان تخرج معك بالملاءة كنساء العامة وترغب ان تلبس حبرة «كالهوانم» او ان تلبس البرنيطة على زي النساء الاوربيات. فقلت لها اني لا اجعل نفسي هزءاً وسخرية كيف اخرج وذراعي في ذراع هذه الجارية الصفراء الجنس وهي على الزي الاوربي. فقالت اترك الامر فانا ارضيها ثم نهضت واخذت من الرف قبعة بيضاء من التيل المخرم كقبعات الممرضات والخادمات عندنا ووضعتها على رأسها فرأت انها لا تليق بلونها الاصفر وظهرت فيها كمريضة خرجت من المستشفى. ثم عمدت الى طاقية حمراء رومية مطرزة بشريط القصب كطواقي الروميات والالبانيات فرأيتها اكثر مناسبة ولباقة لهيئتها ولما وقفت امام المرآة ورأت نفسها بهذه الطاقية المزركشة اللامعة اظهرت السرور والارتياح واستغرقت في الضحك وبدأت تصفق بيديها فرحاً فاشتركت معها في التصفيق والسرور

ثم طلبتُ من مدام بونوم ان تسألها عن بلادها وماضي حياتها فقالت انها لا تعلم اسم

البلاد التي نشأت فيها غير انها تذكر انها ولدت في بلاد بعيدة يحيطها البحر وان اباها واهلها اغنياء ومن اعيان المدينة وقد خطفها وهي صغيرة القرصان العرب الذين كانوا يجولون بمراكبهم حول شواطىء بلادها لاقتناص الجواري . فلم اشك حينئذ من لون بشرتها انها من جاوى او من جزائر المحيط الهندي المأهولة بالجنس الاصفر . وقالت انها بيعت اولاً لاحد امراء مسقط في عمان ثم اشتراها احد مشايخ القبائل في بلاد الحجاز وعرضت للبيع على النخاس عبد الكريم في موسم الحجاج فاشتراها واحضرها الى مصر مع الجلابة . وقالت لي مدام بونوم ان سنها لا تجاوز الثانية عشرة واني دفعت في ثمنها مبلغاً كبيراً فلو لم اشترها لكانت بقيت عند النخاس زمناً طويلاً لان الاتراك والاعيان في مصر يفضلون الجواري الحبشيات والسودانيات والروميات على الجواري الصفر . ثم قلت لها ان تسألها لماذا امتنعت عن الاكل وهل تتدين بالبرهمية الهندية فاجابت لا بل هي مسلمة ولا تعرف معنى الديانة البرهمية وانها لم تتعلم سوى لغة بلادها « الجاوية » وانما تفهم قليلاً اللغة العربية تعلمتها مدة اقامتها في الحجاز ولكنها لا تحسن النطق بها كالمصريين . واما امتناعها عن الاكل فلكونها كانت صائمة حتى مغرب الشمس . فقلت لها — ولكن انقضى رمضان شهر الصوم اجابت انها امتنعت عن الصيام في يوم من ايام رمضان وتصوم الآن بدلاً منهُ

النزهة في الروضة

كان قنصل جنرال فرنسا وعدني عند ما زرتهُ في المرة الاخيرة أن يدعوني يوماً ما يختارهُ لنزهة في ضواحي القاهرة وكنت بانتظار هذا الموعد اذ اركب العربة القنصلية تحت حراسة القواسة والخدم . والعربات في القاهرة نادرة ولا وجود لها الاَّ عند الباشا الحاكم ومعتمدي الدول ولا يجوز لاحد غيرهم ان يقتني عربةً الأَباذن خاص . وطرق القاهرة ضيقة متربة غير مستوية لا تصلح لمرور العربات وخصوصاً لكونها مزدحمة بالمارّة والكلاب . وفي صباح اليوم التالي جاءني قواص القنصل وقرع باب منزلي برأس عصاهُ الفضية قرعاً عنيفاً متواصلاً لينبه الجيران و يظهر لهم منزلتي وحقيقةً ان كثيرين من السكان نساء ورجالاً اطلوا من ابواب بيوتهم ونوافذها ونظروا اليَّ بعين التجلة والاحترام . وقال لي القواص على مسمع منهم « ان سعادة القنصل ينتظرك غداً للنزهة في الروضة كما وعد حضرتك »

ولما ذهب القواص بدأت افكر فيما يجب ان اصنعهُ مع الجارية هل اتركها وحدها مع الطباخ والبواب والخدم وليس من اللياقة والادب ان اصحبها معي في عربة القنصل وهو لا يعلم بعد اني اقتنيت جارية . فهذا الامر جعلني في حيرة وعزمت ان اتخلص من هذه

الورطة باستشارة مواطني جان فذهبت اليهِ وذكرت لهُ حيرتي واوضحت لهُ حرج موقفي ورجوتهُ ان يدلني على اسرة قبطية معروفة بحسن السمعة والاداب لاودع الجارية عندهم مدة تغيبي فدلني على رجل كهل قبطي متقدم في السن يدعى منصور ومن حسن الحظ انهُ يتكلم قليلاً اللغة الفرنسوية وقال لي انهُ من الاقباط الذين كانوا في خدمة الحملة الفرنسوية وانهُ بعد خروجها من مصر خاف على نفسهِ فاتبع الجنود الفرنسويين مع من لحقهم من الاقباط ومكث في فرنسا مدة طويلة . ولما نفي بونابرت الى جزيرة البا وتبوأ آل بوربون عرش فرنسا اضطهد حاكم مرسيليا البوربوني كل الاقباط الموجودين في هذه المدينة لكونهم على زعمهِ من رجال الحملة ومن الحزب البونابرتي ونفاهم من فرنسا فرجعوا الى مصر وبعضهم القي في البحر وكان منصور هذا بينهم فنجا سباحة الى شاطىء آخر في ضواحي مرسيليا والتجأ الى كوخ صياد ثم ركب من هناك سفينة ورجع الى مصر[1] فاخذني جان الى بيت هذا الرجل في حي الاقباط ولم يكن عندهُ سوى امرأة كهلة مثلهِ وكان منزلهُ كبيراً واسعاً الأَ ان سقوفهُ متداعية للسقوط وجدرانهُ آيلة للخراب وفرشهُ حقير قذر والاوساخ متراكمة فيهِ فلم أَرَ هذا البيت صالحاً لسكنى الفتاة ودعوت الرجل وزوجتهُ لان يأتيا الى منزلي ويسكنا عندي ويقوما بخدمتي مدة اقامتي بمصر مقابل اجرة معينة وهي غرش ونصف في اليوم فقبلا هذه الدعوة بسرور وهكذا اطمأَن بالي بعد ان رتبت حالة داخليتي ومعيشتي

وفي صباح اليوم التالي خرجت من منزلي وقصدت دار القنصل فرأيت العربة عند الباب وحولها فارسان من القواصة لحراستنا في هذه النزهة ورأيت داخل العربة القنصل وقونشلير القنصلية وشيخاً معمماً طويل اللحية مهيب الطلعة عرفني بهِ القنصل . وقال لي هذا

(١) ذكر لي حضرة وهبي بك الناظر السابق للمدارس القبطية نقلاً عن بعض الرواة الثقات ان عدد الاقباط الذين رافقوا الحملة الى فرنسا نحو بضعة آلاف رجل بين جنود وتراجمة وخدمة وكان بينهم لياس بقطر صاحب القاموس الكبير المشهور باسمهِ الذي طبع في فرنسا تحت نظارة برسيفال المستشرق الفرنسوي . وذكر لي نقلاً عن سعادة باسيلي باشا تادرس المستشار السابق في الاستئناف انهُ في عهد اسماعيل باشا حضرت جوقة من الممثلين والممثلات الفرنسويات وكانت الممثلة الاولى بينهن سيدة تدعى مدام منصور كان ابوها قبطياً يدعى المعلم منصور من بقايا الحملة التي خرجت من مصر وتزوج في مرسيليا بفتاة فرنسوية وولدت لهُ هذه الابنة ولما شبت مالت الى فن التمثيل ونبغت فيهِ وكانت لم تزل تذكر اسم ابيها . ومن نوادر ذلك العهد ايضاً ان احد اغنياء الاقباط المدعو ابراهيم طاقية استدان منهُ الجنرال بونابرت خمسين الف ريال بصك رسمي ممهور باسمهِ وبعد اربعين سنة وجد ورثتهُ هذا الصك فذهب احدهم الى فرنسا يطالب الحكومة بالدين وكانت الامبراطورية الاولى قد سقطت فرفضت ايفاء هذا الدين القديم لمرور الزمن الاَ انها وهبت الرعوية الفرنسوية لابناء هذه الاسرة

هو الشيخ ابو خالد من العلماء المدققين وهو متضلع من العلوم العربية والادبية والدينية وميال الى العلوم والاداب العصرية ويحسن التكلم باللغة الايطالية ومحسوب من الشعراء المجيدين في مصر · وقد دعاهُ القنصل لمرافقتنا في هذه النزهة للاستفادة من معلوماتهِ · فخرجنا من القاهرة وسرنا في الشارع المؤدي الى بولاق ومن هناك انعطفنا جنوباً الى جزيرة الروضة · وفي الطريق تبادلنا الحديث وقال لي القنصل ان هذا الشيخ من محبي الاصلاح العصري الراغبين في الانحلال من قيود التقاليد القديمة فهو بين علماء العرب كفولتر بين علماء العهد السابق · يميل الى اصلاح الاحكام المطابقة للتمدن العصري وكان من اصدقاء قواد الحملة الفرنسوية · فسألتهُ هل في مصر نوابغ من الشعراء فاجاب · نعم انهم كثيرون ولكننا لسنا في عصر هارون الرشيد والمأمون وغيرهما من ملوك الاسلام الذين كانوا يملأُون فم الشاعر درًّا لبيتين من الشعر يرتجلها او يهبونهُ بدراً من المال لقصيدة ينشدها · فنحن الشعراء الآن فقراء صعاليك اذا نظم احدنا قصيدة غراء مديحاً في امير فلاجل غداء او طعام يقتات بهِ وحكامنا اتراك لا يعرفون الشعر والامة جاهلة فقيرة لا تسر الاَّ بسماع اشعار عنترة او ابي زيد الحماسية في المنتديات والقهاوي واكثرهم اميون [1]. وفي اثناء الحديث قال لي اني

(١) لم يصدق هذا الشيخ فيا زعم عن حكام مصر وقتئذٍ لان محمد علي باشا وابنهُ ابرهيم كانا يقدران العلماء والشعراء حق قدرهم وكان لمحمد علي باشا شاعر معروف يدعى شهاب الدين وقد قرأت سياحة اخرى لاحد علماء فرنسا المدعو تيودور نافيل وهو من رجال الادب والصحافة زار مصر قبل جيرار دي نرفال وقابل محمد علي باشا وقال انهُ كان يجل العلماء كثيراً وكان لابرهيم باشا شاعر يدعى ابن الصراف او ابن اشراف Ebu Esraf لهُ كتاب في الشعر والادب دعاهُ « حياة النفوس » وهو آية في البلاغة والنظم وسمو المعاني ولو قوبلت منظومات الشاعر لامارتين بها لكانت هي بالمقابلة بها كنثر مدرسي · وقال هذا الصحافي ان محمد علي باشا ابى اولاً ان يقابلهُ وهو يحسبهُ جاسوساً او جزويتياً وكلاهما مكروهان عندهُ ولكنهُ لما تأكد انهُ صحافي من رجال الادب سمح لهُ بمقابلتهِ مراراً وفتح لهُ صدرهُ وكلمهُ في السياسة والعلم والاصلاحات العصرية وقال عنهُ انهُ شيخ جليل ذو طلعة مهيبة ومن نوابغ الزمن في الذكاء والفهم ومن ذوي العزائم الشماء فسألهُ الصحافي في الزيارة الثالثة عند الكلام عن السياسة · لماذا لا تعلن سموك استقلال مصر المطلق عن تركيا · اجابهُ اني اخشى حملات جرائد الاحرار عندكم فربما لا تؤيدني في الاستقلال · وقال عنهُ ايضاً انهُ كان واسع الاطلاع ملماً باحوال السياسة الاوربية وبدخائل الاحزاب الفرنسوية وانهُ مشترك في اكثر جرائد فرنسا وانكلترا والتراجمة يقرأُون لهُ ملخصها · وقال انهُ كثير الاعجاب بنابوليون ومواقعهِ الحربية وكان يدعوهُ « بونابارديو » القائد العظيم وقال عن ابرهيم باشا انهُ رجل حربي غزا بلاد اليونان وايد فيها سلطة الباب العالي وانهُ اسر كثيرين من غلمان الاروام ونسائهم حتى ملأَ مصر منهم · وقال انهُ قبل رحيلهِ من مصر ودع محمد علي باشا واهدى اليهِ مجموعة كاملة من رسوم ملابس جنود الحرس الامبراطوري من عمل شارليت الرسام الشهير فاعطاهُ عوضاً عنها خنجراً مرصعاً ورمحاً من رماح المماليك كان للامير مراد بك

معجب باثنين من علمائكم الفرنسو يبن نبغا في علوم اللغة العربية الفصحى وعرفا اسرارها ودرسا شواردها واشعارها ومعجماتها اللغوية درساً مدققاً « فقال القنصل انهُ يعني الدكتور بيرون المستشرق الشهير والمسيو فرسنل قنصل فرنسا في جدة . واستأنف الشيخ الكلام فقال « ان علماءنا يقضون حياتهم في درس العلوم الدينية وكتب اللغة وحواشيها وهم متربعون على الابسطة يدخنون بالنارجيلة ويأبون الخروج من تقاليدهم القديمة ويستنكفون اقتباس علوم الافرنج مع ان هؤلاء اخذوها منا حينما كان الشرق زاهراً في العلوم عند العرب في الاندلس »

وبعد مسير ساعة في طريق متسعة مغروسة على جانبيها الاشجار وصلنا الى مروج خضراء وحقول مزروعة فيها اشجار التوت والنخل والتين ومسيجة بنبات الصبير (التين الشوكي) وهي من اراضي ابراهيم باشا كانت قبلاً بوراً قاحلة فجعلها جناناً عامرة ورياضاً زاهرة وبنى فيها القصور الفخمة (وهي اراضي القصر العالي)

وواصلنا السير جنوباً الى ان وصلنا الى قناطر شاهقة حيث ترعة الخليج وكانت اقنية يجري الماء بها الى القلعة ومن هناك عبرنا الى جزيرة الروضة . وهذه الترعة فرع من النيل على ضفتيها المقاصف البديعة والبساتين النضرة وعلى حسب التقاليد القديمة ان ابنة فرعون التقطت موسى الطفل هناك اذ كان ملقىً بين البردي فانتشلتهُ وربتهُ عندها في قصر ابيها الملك كما جاء في التوراة

الروضة والمقياس

والروضة جزيرة صغيرة زاهرة بين النيل وترعة الخليج وهي من املاك ابرهيم باشا جعلها جنة فيحاء وبنى فيها القصور والمقاصف وخصوصاً مقصف المقياس وارضهُ واعمدتهُ من المرمر وبالقرب منهُ جامع بديع الصنع حولهُ الحدائق الغناء وقد غرس فيها كل الاشجار المثمرة التي اتى بها من جميع انحاء الشرق وجلب اليها من الهند كل الاشجار الغريبة كالباوباب والبامبو والغاب والنارجيل والغوافا والمانجا . وطرق هذه البساتين مظللة بالنباتات المتعرشة ودوالي العنب وعلى جانبيها الزهور والرياحين فاصبحت هذه البقعة الجميلة كمعرض نباتي حاوٍ كل الاشجار الشرقية والهندية . وان كثيراً من المعارض النباتية الاوربية اتت بهذه المغروسات من الهند فلم تنمُ فيها مع شدة المحافظة عليها والوسائط التي استعملت لانمائها والفضل كلهُ في عمران الروضة يرجع خصوصاً الى ابرهيم باشا

قضينا نزهة جميلة تحت قباب الباوباب وظلال اشجار التمر الهندي والنارجيل وحولنا

مروج نضرة يعطر الارجاء شذا ازهارها ورياحينها العطرية · وعند مجاري السواقي اشجار الصفصاف الباسقة · وجلسنا على ضفاف النيل تحت ظلال الصفصاف الباكي (المستحي) تسبح اغصانه مع مجرى الماء كاننا تحت فسطاط زمردي · وتلطف ناظر الروضة ففتح لنا باب ايوان المقصف عند المقياس وكله من المرمر وجلسنا لتناول الطعام · ثم انتقلنا الى كشك الحديقة وهناك «جبلاية» اصطناعية يصعد اليها بسلالم بديعة من اغصان الشجر حولها الزهور والرياحين وفي اعلاها كشك بنوافذ زجاجية تطل على مناظر بديعة تأخذ بمجامع القلوب

وكانت الشمس قد مالت الى الغروب فظهرت امامنا من جهة مصر ومنائرها وجوامعها وقبابها الشاهقة ومن جهة اخرى مصر القديمة وجامع عمرو ومن الغرب الاهرام الكبرى الثلاثة وراء الجيزة كأنها تناطح السحاب تلك الاهرام التي بنيت منذ اربعة آلاف سنة والتي وقف بونابرت عندها يخاطب جنوده بقوله «ان اربعين قرناً تنظر الى انتصاراتكم المجيدة» واني لست من رأي استاذي فولتير الذي قال «ان اهرام مصر لا توازي قن دجاجي» بدعوى ان هذا البناء العظيم شيد بدماء الملايين من البشر لاجل دفن جثة انسان واحد

ثم جلسنا في الكشك نتحدث وبدأ الشيخ ابو خالد يروي لنا عن بناء الاهرام روايات غريبة وقال ان بانيها جيان بن جيان قبل الطوفان بثلاثمائة سنة تبعاً لوحي احد الكهنة المصريين المدعو اقليمان وقد تنبأ بحدوث طوفان عام يعم المسكونة كلها فامر ببناء الاهرام لتكون منجاة لاهل مصر وملوكها من الغرق وقال ان في داخلها كتابات علوم السحر والفلك وهي ملأى بالكنوز والطلاسم الى آخر ما هناك · وبعد ان تفرجنا على المقياس وقصر الباشا وكان وقتئذٍ خالياً ذهبنا الى الناحية الشمالية من الروضة ورأينا مدافن اسرة ابرهيم باشا وحرمه واولاده وعددها نحو ستين قبراً وكلها مبنية بالرخام الابيض والاعمدة المرمرية وعلى شواهدها الاقمشة الثمينة من الكشمير الفاخر والدمقس وحول هذه القبور الاشجار الباسقة وقصاري الزهور · ومن غرائب الاقدار انه رغماً عن كثرة نسائه لم يعش له ولد واحد من ذريته · ثم وصف لنا الشيخ معيشة حرم الباشا ونساء الحكام والامراء في داخل قصورهن · وعند المساء رجعنا الى المدينة

(وفي المقالة التالية وصف الاهرام وما جرى لهذا السائح من الحوادث الغريبة والنوادر الفكاهية مع جاريته ومنصور القبطي · واحد العلماء الالمان من اعضاء البعثة العلمية البروسية

ديمتري نقولا

باب الزراعة

استغلال الارض

(٧)

لا يمكن ان ترقى حالُ مزرعةٍ ما الى المثل الاعلى ربحاً ووجاهة مهما كانت وسائلها المادية وافية الاَّ اذا راعى ذوو الشأن في ادارتها ملاَّكاً كانوا او موظفين او فلاحين افضل المبادئ في تصرفاتهم ولكن منهم من ينحرف عن الطريقة المثلى في سياسة عملهِ عن جهل او سوء تقدير او إيثاراً للهوى ومن اثر ذلك ان نجد الملاك ساخطين على الموظفين انهم قليلو العناية والنزاهة وعلى الفلاحين انهم اغبياء خطافون ونجد الموظفين شاكين من الملاك اسرافهم في تقدير ما لهم من الحقوق وانقباضهم عن آداء ما عليهم من الواجبات ونرى الفلاحين باكين من ارهاق الملاك وموظفيهم لهم وفتك الآفات بزرعهم

وقد ذكرت فيما مضى وسأذكر فيما يأتي امثلة من الخطأ الشائع في الفلاحة وادارتها وسوء اثرهِ في اهلها وعندي انهُ لو تحرى ذوو الشأن فيها مع تحامي هذا الخطأ — المبادئ الحسنة في معاملة بعضهم بعضاً لقضوا على هذا التظالم والتنافر الذي يتجرعهُ بعضهم من بعض

فمن جهة نجد من الملاك ورؤَساء مزارعهم من يشوب معاملتهُ من دونهُ من جمهور اهل المزرعة وعمالها بالتحكم وسوء الظن والاستهانة والقسوة والقضاء على من لا يستكين منهم لذلك

ومن جهة اخرى نجد من الموظفين من يخلو عملهُ من مزايا الاخلاص والغيرة والجهد في تحري الاصوب والانفع فيأتي عملهُ في صورة جافة فاترة ولا قصد لهُ منهُ الاَّ تبريره اخذ مرتبهِ واكل ما يمكنهُ اكلهُ بالباطل وسواء عندهُ بعد ذلك خصبت المزرعة او اجدبت ربح مالكها او خسر

ومن جهة ثالثة نجد من الفلاحين من يجمع بين التواني وعدم التبصر واضمار السوء فان اخصبت سنة اضاع ربحهُ منها فيما لا يفيد ولا يعيد وان كسدت اخرى تحيل ولو بالسلب على اخذ ما يُقيت بهِ نفسهُ وماشيتهُ وليس للمالك الاَّ ما يبقى بعد ذلك وهو دون اجرة ارضهِ حتماً

ان ما ذكرتهُ آنفاً ليس من المبالغات بل هو بيان للواقع وقد يجتمع كلهُ في بعض المزارع وهي التي تغلَّب فيها سوء الادارة تغلباً عظيماً وقد لا يكون في مزارع اخرى الاَّ بعضهُ على قلة او كثرة حسبما يكون في ادارتها من وسائل الاتقان والانصاف

هذا وسآتي في مقالات تالية على تفصيل ما اجملتهُ في مقالاتي السابقة تفصيلاً يشرح موجزهُ ويكشف مبهمهُ بقدر ما يتيسر لي الالمام بهِ من هذه الموضوعات التي لم يعالجها باحث غيري فيما اعلم

احمد الالفي

زراعة القطن ومحصولهُ

معما عظم اهتمام سكان هذا القطر بالحرب وحوادثها في هذا الصيف فانها لا تلهيهم عن التفكير في زراعة القطن والاهتمام بمحصولهِ فالسواد الاعظم من سكان مصر يصبحون ويمسون وهم ينظرون الى الحقول المزروعة قطناً ويقولون في نفوسهم ترى هل تحقق الآمال في هذا العام فنستعيض فيهِ مما ضاع منا في العامين الماضيين عام الحرب وعام تضييق مساحة مناطق القطن

ولا يلام الزارع الذي قضى الاشهر في العمل الشاق مع اهل بيتهِ اذا كان اهتمامهُ يحصر في شجيرات زراعتهِ ولا يعذل المالك الذي يعلم ان وراءهُ البنك يطالبهُ بالاقساط والفوائد والصرَّاف يتقاضاهُ الاموال الاميرية ومصاريف التعليم لاولادهِ ونفقات العائلة اذا دعا الله وسألهُ ان يمن على القطر المصري بمحصول كبير يجني منهُ ما يسد حاجاتهِ ويقيل عثرة المشتغلين بالزراعة من سكانهِ

نشرت وزارة الزراعة تقريرها الشهري عن حالة الزراعة المصرية في شهر يونيو وهي بالاجمال تبعث على الرضى والارتياح فان المزروعات كانت في ذلك الشهر فوق المتوسط بقليل او دونهُ بقليل وما دامت اسعار المحاصيل الزراعية على ما هي عليهِ من الارتفاع فالنقص القليل في معظمها تعوضهُ الزيادة في السعر كما لا يخفى

ولكن في كلام الوزارة عن زراعة القطن اموراً تشف عن الشعور بالخطر الذي يهدد هذه الزراعة الثمينة كل عام في مثل هــذا الاوان فقد جد الزرَّاع في تحسين اساليب زرع القطن والعناية بهِ حتى بلغوا في ذلك مبلغاً لا يستهان بهِ وتبارى اذكياؤهم في تحسين التقاوي وتجنيسها وساعدت مصالح الحكومة في ذلك فصار لنا من القطن اصناف جيدة جدًّا وبذلت الهمة في اصلاح الري فصارت مصر في مقدمة البلدان التي تروى ارضها ارواء صناعياً وبلغ

من اهتمام الحكومة بهذا الامر انها صارت تتحكم في ماء النيل وترعهِ ومصارفهِ تحكماً عجيباً ولكنها مع ذلك تطلب المزيد لتكفل لمصر الكفاية من الماء لجميع زراعاتها

ولكن الزراعات المصرية ولاسيما زراعة القطن معرضة لآفات واخطار لا يهون تلافيها ولم يفتح على الناس بعد طرق درئها مع شدة ما تبذلهُ الحكومة والجمهور من العناية والهمة والاجتهاد بابادة الدودة المعروفة بدودة القطن والدودة المعروفة بدودة اللوز والدودة القرنفلية التي تهدد القطن كل سنة وتلحق بهِ خسارة مالية عظيمة تقدر بملايين الجنيهات وهذه الملايين تنقص من ثروتهِ وتقلل قيمة اطيانهِ بنقص ايرادها لانهُ لا يخفى ان ايراد الفدان المزروع قطناً اذا سلم من فتك الديدان يزيد زيادة تذكر من غير ان يكلف زارعهُ قرشاً واحداً من المال او درهماً واحداً من التعب زيادة على ما ينفق عليهِ منهما بل ان سلامة الزراعة من الديدان توفر على الزارع مبلغاً طائلاً يصرفهُ كل سنة في تنقية اللطع والدود واقتلاع الحطب وحرقهِ الى آخر الاعمال التي قضت بها الرغبة في تلافي شر الدودة

وقد انقضى لحسن الحظ الزمان الذي كان جمهور الزراع يعتقد فيهِ ان الدودة تفتك بالقطن بامر الله وقضائهِ فلها رزقها ولا يجوز حرمانها منهُ كما ان للناس رزقهم وصار الزراع اشد الناس اهتماماً بابادة الدودة ومكافحتها لا يحتاجون الى من يحثهم على مقاومتها ولا ينتظرون من يعاقبهم على الاهمال في اداء هذا الواجب . وانقضى مع ذلك الزمان زمان الاختراعات العجيبة والادوية الغريبة التي كنا نسمع بها منذ بضع سنوات والتي كان «مخترعوها» و«مكتشفوها» يقلقون راحة وزارة الزراعة وادارات الصحف بها واتجهت الافكار الى مكافحة الآفات والتخلص منها بالطرق العلمية المعقولة بتسليط الآفات على الآفات والبحث عن اصلح الاوقات للزرع والتبكير فيهِ حتى تنمو الشجيرات وتزهر قبل ميعاد ظهور دودة اللوز وتجنيس القطن حتى يتوصل الزراع الى الحصول على اصلح بزور تقوى على مكافحة الآفات الطبيعية والاحوال الجوية التي لا تلائم زراعة القطن في شهر سبتمبر

وقد ظهرت نتائج هذه المساعي بعض الظهور في محصول هذا العام فاخبار الجهات متفقة على ان التبكير في زرع القطن افاد فائدة تذكر كما افاد توسيع نطاق زرع صنف السكلاريدس

على ان بين العوامل التي ساعدت زراعة القطن على النمو والسلامة من دودة القطن عاملين لا يد للبشر فيهما الاول اشتداد حرارة الجو والثاني تكاثر الحشرات التي تفتك بهذه الدودة

اما حرارة الجو فلا سبيل الى التحكم فيها ولا يستطاع التنبوء بما تكون عليهِ في فصل من الفصول غير متوسطها الشهري واما الحشرات فيمكن الانتفاع بها بالطرق العلمية وذلك

بدرس طبائعها و بذل الهمة في تربيتها وتكثيرها حتى تكون منها آفة على الدودة تبيدها وتنجي القطن من شرها . وهذا هو الاسلوب الذي اشار به رجال العلم من اول الامر فانهم ثبطوا عزائم الذين وجهوا افكارهم الى صنع السوائل السامة والمساحيق التي ترش الشجيرات بها واشاروا بالبحث عن حشرات تسطو على الديدان وتفتك بها . وقد كان للمقتطف والمقطم يد في هذه المباحث يذكرها قراؤهما ولكن الصحف والمجلات قلما تستطيع التفرغ لمثل هذه الابحاث التي تعنى بها دور العلم الطبيعي ولذلك قال بعض افاضل الكتاب الذين تناولوا الموضوع في مقالاتهم المنشورة في المقطم كحضرة يوسف بك نحاس وغيره انهُ يجب على الحكومة ان لا تدخر وسعاً ولا تضن بالمال في هذا السبيل وان تستقدم العلماء الاختصاصيين ليساعدوا رجالها الزراعيين في البحث عن هذه الحشرات وتربيتها طلباً لسلامة المحصول

وما دام اعتماد البلاد الاكبر في ايرادها على القطن فالواجب ان تضاعف المساعي لصون زراعتهِ من الآفات والاكثار من التجارب حتى نختار اصلح الاوقات لزرعهِ وافضل التقاوي ونكتشف انفع الطرق في تعطيشهِ واروائهِ وتسميدهِ ونجدّ في مكافحة الآفات التي تسطو عليهِ فان النجاح في هذه الامور يزيد في ايراد القطر بضعة ملايين من الجنيهات كل عام وفي ثروتهِ الاصلية اكثر من مئة مليون جنيه فوق ما يقتصدهُ سكانهُ ولاسيما الزراع منهم في القوة التي يمكن صرفها في سبل أُخرى تعود عليهم بالربح الكثير

دودة لوز القطن

قانون بالاحتياطات التي تتخذ لابادتها

المادة الاولى — تقلع جذور شجيرات القطن والتيل والبامية او تقطع الى ما تحت سطح الارض بحيث لا تخلف نبتاً وذلك في كل عام قبل اليوم الخامس عشر من شهر دبسمبر في مديريات بني سويف والفيوم والمنيا واسيوط وجرجا وقنا واصوان وقبل اليوم الحادي والثلاثين من شهر دسمبر في مديريات الجيزة والقليوبية والشرقية والغربية والدقهلية والمنوفية والبحيرة

يستثنى من ذلك المراكز الآتية التي يكون الميعاد بالنسبة لها لغاية الخامس عشر من شهر يناير وهي مراكز فوه ودسوق وكفر الشيخ وشربين (بالغربية) ومراكز رشيد وكفر الدوار وابو حمص (بالبحيرة) ومراكز دكرنس وفارسكور (بالدقهلية)

المادة الثانية — جميع اللوزات التي تبقى ملتصقة بشجيرات القطن يجب نزعها والتي

توجد منثورة على الارض يجب جمعها وذلك في كل عام بعد جني المحصول مباشرة وعلى اي حال قبل التواريخ التي تحدد سنويًا لكل مركز او منطقة بقرار يصدرهُ وزير الزراعة بعد استشارة مجالس المديريات

واللوزات التي تنزع وتجمع على وجه ما تقدم يجب اعدامها في الحال باحدى الوسائل التي تعين لذلك في قرار يصدرهُ وزير الزراعة

ويجب ان يحصل نزع اللوزات واعدامها على كل حال قبل الشروع في تقليع او قطع جذور شجيرات القطن المنصوص عليهِ في المادة السابقة

المادة الثالثة — على صاحب الارض او مستأجرها العمل بالاحكام الواردة في المادتين السابقتين فاذا كان للمالك او المستأجر وكيل يتولى شؤُون الزراعة فيها او يلاحظ تلك الارض فعلى ذلك الوكيل العمل بتلك الاحكام

وكل مخالفة لاحكام المادتين السابقتين يترتب عليها العقوبة بالحبس مدة لا تجاوز اسبوعًا و بغرامة لا تزيد على جنيه مصري واحد او باحدى هاتين العقوبتين فقط

المادة الرابعة — فضلاً عن كل محاكمة جنائية تقوم السلطة المحلية او عمال وزارة الزراعة الذين ينتدبون لهذا الغرض بما يأتي:

(١) عند مخالفة احكام المادة الاولى اجراء تقليع الشجيرات تحت مراقبتهم وان اقتضت الحال فبواسطتهم مباشرة

(٢) عند مخالفة احكام الفقرة الاولى من المادة الثانية اجراء نزع اللوزات وجمعها واعدامها تحت مراقبتهم وان اقتضت الحال فبواسطتهم مباشرة

(٣) عند مخالفة احكام الفقرة الثانية من المادة الثانية ضبط اللوزات واعدامها

(٤) عند مخالفة احكام الفقرة الثالثة من المادة الثانية ضبط الشجيرات واعدامها

وتحصل نفقات العمليات المتقدم ذكرها بالطرق الادارية طبقًا لاحكام الامر العالي الصادر في ٢٥ مارس سنة ١٨٨٠ على ان لا يطلب ويحصل على نفقات العملية المبينة في الفقرة الثانية من هذه المادة ما يزيد على خمسين قرشًا عن الفدان الواحد في اي حال

المادة الخامسة — كل من ينقل او يبقي عندهُ او يعرض للبيع او يبيع او يشتري اولاً احطاب القطن التي نزعت من الارض ولكنها لم تجرد من اللوزات وثانيًا اللوزات التي كان يجب اعدامها بمقتضى الاحكام المتقدمة يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في المادة الثالثة المتقدم ذكرها

وفضلاً عن كل محاكمة جنائية تضبط الاحطاب واللوزات وتعدم في الحال بواسطة السلطة المحلية او العمال الذين تندبهم وزارة الزراعة لهذا الغرض

المادة السادسة — يراقب العمد والمشايخ تنفيذ احكام هذا القانون بمساعدة الخفراء تحت ملاحظة مفتشي وزارة الزراعة ووكلاء مفتشيها ومعاونيها والمديرين ومأموري المراكز والعمال الآخرين الذي يعينون لهذا الغرض

المادة السابعة — رجال الضبطية القضائية او عمال وزارة الزراعة الذين يندبون لذلك هم الذين يجوز لهم اثبات كل مخالفة لاحكام هذا القانون

محصول القطن المصري

شاع منذ مدة ان الاطيان المزروعة قطناً هذا العام في القطر المصري تزيد على اطيان كل عام من الاعوام السالفة حتى اوصلها بعضهم الى مليوني فدان · والظاهر ان الذين قالوا ذلك رأوا ازدياد المساحة المزروعة قطناً في بعض جهات الوجه القبلي فحسبوا ان القطر كلهُ جرى هذا المجرى مع اننا نعرف اكثر من مزارع في الوجه البحري قللوا زرع القطن هذا العام او ابطلوهُ تماماً لكثرة ما عانوهُ من الدودة القرنفلية التي اتلفت محصولهم في العام الماضي · وقد جاء احصاء وزراة المالية الذي نشرتهُ في اواسط يوليو فصل الخطاب في هذا الباب فانها قالت ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً في الوجه البحري والقبلي تبلغ ١٦٥٥٥١٢ فداناً فقط وعليهِ فمجموع المساحة قلَّ عما كان في بعض السنين الماضية ولو زاد قليلاً في بعض جهات الوجه القبلي

هذا من جهة المساحة اما المحصول اي متوسط محصول الفدان فقد يأتي اربعة قناطير ونصف قنطار كما كان في بعض سني الخصب الخالية من الآفات وقد يأتي ثلاثة قناطير ونصف او اقل كما كان في السنين الكثيرة الآفات · فانهُ بلغ سنة ١٩٠٩ ثلاثة قنطار و ١٣ في المئة من القنطار لا غير

وحتى كتابة هذه السطور لم يصب الا القليل منهُ بدودة القطن واقل من ذلك بدودة اللوز ولكن الاختبار في العامين السالفين يدل على ان دودة اللوز ولاسيما الدودة القرنفلية تتأخر الى اغسطس وسبتمبر واكتوبر فتكثر في الزراعات الخصبة التي يبلغ محصول الفدان منها ستة قناطير فاكثر وتقل في الاطيان الضعيفة التي يبلغ محصول الفدان منها عادة اقل من

اربعة قناطير . وقد رأينا قطناً في العام الماضي قدّر متوسط محصولهِ بثمانية قناطير الى عشرة فلم يبلغ وقت الجني الاَّ قنطارين وثلاثة ارباع القنطار لكثرة ما اصابهُ من الدودة القرنفلية . ومنظر القطن هذا العام في اكثر الغيطان يدل انهُ سيكون مما يقصدهُ فراش الدودة القرنفلية لما يظهر عليهِ من دلائل الخصب. فاذا كان فراش هذه الدودة لا يزال كثيراً في القطر المصري كما كان في العام الماضي فالمرجح ان الاصابة بهِ ستكون هذا العام اشد مما كانت في العام الماضي ولكن ان كان هذا الفراش قد تلف بسبب من الاسباب لم يبقَ محل للخوف منهُ . غير ان وجود بعض الدود في الطرح الباكر يدلُّ على ان الفراش لا يزال موجوداً ولكن لا يعلم حتى الآن هل هو كثير كما كان في العام الماضي او قليل كما كان في الاعوام السابقة وان كان كثيراً فلا سبيل الآن لانقائهِ مطلقاً ولا ينتظر ان يعلم ذلك قبل اغسطس وسبتمبر

فاذا فرضنا ان الدودة القرنفلية تلاشت من القطر المصري لسبب من الاسباب وكذلك تلاشت دودة اللوز الرمادية ودودة نبات القطن وجرى الموسم مجراهُ الطبيعي وبلغ متوسط محصول الفدان اربعة قناطير ونصف قنطار مثل افضل السنين الماضية فالمحصول الحالي سيبلغ سبعة ملايين ونصف مليون قنطار . ولكن اذا كانت الدودة القرنفلية باقية في القطر وفتكت باللوز فالمرجح ان فعلها يكون هذا العام اشد من فعلها في العام الماضي لما يظهر فيهِ من خصب القطن وحينئذٍ يقل المحصول جداً حتى اذا كان متوسطهُ ثلاثة قناطير و ١٣ في المئة من القنطار كما كان سنة ١٩٠٩-١٠ فالمحصول لا يبلغ سوى خمسة ملايين و ١٨١ الف قنطار

محصول القطن الماضي

يؤْخذ من النشرة الشهرية التي اصدرتها مصلحة الاحصاء العام عن شهر يونيو الماضي ان مديريات الوجه البحري اصدرت الى الاسكندرية من القطن من اول سبتمبر في العام الماضي الى شهر يونيو المنصرم ثلاثة ملايين و ٣٤٨ الف قنطار مقابل اربعة ملايين و٨٣٦ الف قنطار في المحصول السابق فنقصت في المحصول الماضي مليونًا و ٤٨٨ الف قنطار

وأصدرت مديريات الوجه القبلي في هذه المدة مليونًا و ١٨١ الف قنطار مقابل مليون و ٤٧٥ الف قنطار فنقصت في المحصول الماضي ٢٩٤ الف قنطار

وهذا بيان لصادرات القطن من كل مديرية من المحصول الماضي حتى آخر شهر يونيو وما يقابلها في مثل هذه المدة من المحصول السابق

المديرية	محصول ١٩١٥ — ١٩١٦ بالقنطار	محصول ١٩١٤ — ١٩١٥ بالقنطار
المحافظات	٦٥٠٠٠	٢٧٠٠٠
البحيرة	٦٨٩٠٠٠	٧٦٠٠٠٠
الدقهلية	٣٧٩٠٠٠	٠٦٥٠٠٠
الغربية	١٥٤٤٠٠٠	٢٢١٣٠٠٠
المنوفية	٩٦٠٠٠	١٤٩٠٠٠
القليوبية	٢٠١٠٠٠	٤٧١٠٠٠
الشرقية	٤٢٩٠٠٠	٥٩٣٠٠٠
اسيوط	١٠٣٠٠٠	١٩٩٠٠٠
بني سويف	٤٤٧٠٠٠	٥١٥٠٠٠
المنيا	٣٩١٠٠٠	٥٥٢٠٠٠
الفيوم	٢٢٦٠٠٠	٢٠٦٠٠٠
الجيزة	١٤٠٠٠	٣٠٠٠
والجملة	٤٥٨٥٠٠٠	٦٣٣٨٠٠٠

وبلغت الواردات من القطن على الاسكندرية من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى ٣٠ يونيو الماضي اربعة ملايين و٧٧٣ ٥٦٧ قنطاراً قدرت قيمتها بسبعة عشر مليوناً و٨٣١ ٥٤٢ جنيهاً اي ان متوسط سعر القنطار ١٩ ريالاً وعشرا الريال يقابل ذلك في المحصول السابق ستة ملايين و٣٠٤٤٠١ قنطار قدرت قيمتها بخمسة عشر مليوناً و١١٦٠٩٠ قنطاراً اي بمتوسط سعر القنطار ١٢ ريالاً فتكون واردات المحصول الماضي قد نقصت عن واردات المحصول السابق مليوناً و٧٣٦٦٢٨ قنطاراً ولكن قيمتها زادت مليونين و٤٢٦٧٠٠ جنيهاً مصرياً

وبلغت واردات البزرة في هذه المدة مليونين و١٤٣ ٤٨٧ اردباً قدرت قيمتها بمليونين و٦٣٧ ٦٣٢ جنيهاً اي بمتوسط سعر الاردب مئة وخمسة غروش وثمانية مليمات يقابل ذلك في المحصول السابق ثلاثة ملايين و١٣١ ٧٠٣ اردباً قدرت قيمتها بمليونين و٨٨٧ ٤٨١ جنيهاً اي ان متوسط سعر الاردب سبعة وستون غرشاً فتكون واردات البزرة من المحصول الماضي قد نقصت عن مثلها من المحصول السابق مليوناً و٩٨٨ ٢١٥ اردباً ومع ذلك زادت قيمتها ٧٥٠ ١٥٠ جنيهاً

وقد بلغت قيمة محصول القطن الماضي حتى ٣٠ يونيو المنصرم عشرين مليونًا و٤٦٨ ١٧٥ جنيهاً يقابلها في المحصول السابق سبعة عشر مليونًا و ٩٧٨ ٥٩٧ جنيهاً فيكون المحصول الماضي قد زادت قيمتهُ عن المحصول السابق مليونين و٤٩٠ ٥٧٧ جنيهاً مصريًّا مع عظم النقص الذي وقع في كمية المحصول الماضي

وزادت الصادرات من المحصول الماضي عن مثلها من المحصول السابق ١٩٣٨٨٧ قنطاراً الى اميركا و ١٥٠ ١٥٠ قنطاراً الى فرنسا و٤٦٦ ٧٣ قنطاراً الى اليابان و٣٢٣ ٢٩ قنطاراً الى روسيا

ونقصت ٦٣٣ ١١ قنطاراً الى اليونان و٢٢٣٣ قنطاراً الى الهند و ٩١١ ١٤٢ قنطاراً الى ايطاليا و ١٧٣ قنطاراً الى البرتغال و٢٧٩١٨ قنطاراً الى اسبانيا و٥٩١ ٧٤٣قنطاراً الى سويسره و١٠٢ ١٩ الى بريطانيا العظمى

دودة لوز القطن

انشأ المستر ددجن المستشار الزراعي لوزارة الزراعة رسالة في هذا الموضوع نشرت اولاً في اعمال المؤتمر الزراعي الدولي الذي عُقد في لندن سنة ١٩١٤ قال فيها ما خلاصتهُ

كان اسم دودة اللوز خاصًّا في مصر بالنوع المعنى (*Earias insulana*) وذلك قبل سنة ١٩١١ ولكن ظهر تلك السنة دودة جديدة تصيب لوز القطن سميت دودة لوز القطن القرنفلية للونها الاحمر القرنفلي . والدودتان من نوعين مختلفين وهذه الرسالة خاصّة بالنوع الاول منهما اما النوع الثاني فاسمهُ العلمي *Gelechia gossypiella*

ولم يظهر ان القطن المصري اصيب بالحشرات الأ بعدما شاع زرعهُ في البلاد بار بعين سنة وحينئذٍ ظهر نقص في المحصول ولدى البحث عن سبب النقص اكتشفت دودة اللوز وكان يعلم قبل ذلك انها موجودة في بلاد الهند فيحتمل انها اتت القطر المصري من هناك[1] . ومن المعلوم ان الدودة القرنفلية اتت حديثًا من هناك . ودودة لوز القطن المصرية هي نفس الدودة التي يصاب بها لوز القطن في بلاد الهند وهي تختلف عن دودة لوز القطن الاميركية لان هذه لا تقيم داخل اللوزة دائمًا كالدودة المصرية والهندية ولذلك يختلف علاج الواحدة

---

(١) [المقتطف] وجدنا في البندق الاخضر الذي يرد الى القطر المصري من بر الاناضول و بلاد اليونان دودة مثل دودة لوز القطن المشار اليها آنفاً فلا يحتمل ان يكون هذا الدود جاء في البندق الاخضر

عن علاج الثانية · ودودة لوز القطن الاميركية توجد في القطر المصري ايضاً ولكنها قليلة نادرة ولم يحصل منها ضرر كبير حتى الآن

وفراش دودة اللوز من النوع الليلي وقطر البيضة من بيضه نصف مليمتر ويختلف لونها حينما تبيضها الفراشة من الازرق الفيروزي الفاتح الى الاخضر المزرق ثم يصير لونها اخضر وفي اعلاها حلقة سمراء · والبيضة كروية على نوع ما عليها شبه تاج · واذا وضعت الفراشة بيضتها على شيء شعري كوبر نبات البامياء بقيت كروية ولكنها اذا وضعتها على شيء مسطح وضغطتها صار اسفلها مسطحاً ويكاد شكلها يشبه شكل رأس الخشخاش

ويوضع البيض غالباً على لوز القطن واطراف الاغصان وقد يوضع على الازهار والاوراق · والغالب ان الفراشة تبيض بيضة واحدة على كل لوزة وقد تبيض بيضتين او اكثر وقد تجيء فراشات كثيرة الى اللوزة الواحدة في اوقات مختلفة وتبيض عليها فينقف بعضها قبل بعض ويغلب ذلك في اواخر مدة القطن · وتفضل الفراشة ان تضع بيضها في احد الحزوز الغائرة قرب رأس اللوزة · واذا وضعت بيضها على التيل والبامياء اختارت القرون وقد شاهد الكاتب على قرن بامياء عشرين بيضة

والفراش يضع بيضهُ ليلاً او في بداءة الليل لانهُ لا يطير في النهار الاَّ اذا ازعج وحينئذٍ يطير قليلاً ثم يقع

ولا يعلم كم تبيض الفراشة الواحدة في الغيط ولكن فراشة حفظت في المعمل في شهر سبتمبر فباضت في الليلة الاولى ٩٦ بيضة وفي الثانية ٥٨ بيضة وفي الثالثة ٤٩ بيضة وفي الرابعة ١٩ بيضة وفي الخامسة والاخيرة ١١ بيضة والمجموع ٢٣٣ بيضة

وينقف الدود من البيض في ثلاثة ايام او اربعة صيفاً ولكن في الشتاء واواخر الخريف تطول المدة الى ١١ يوماً او ١٢ يوماً · وقد يظهر البيض اسود قبيل خروج الدودة منهُ · والدودة تخرق غلاف البيضة وتخرج منها وقد تفعل ذلك في ثلث ساعة وقدلا تستطيع خرق الغلاف في اقل من خمسين دقيقة وقشرة البيضة الباقية بعد خروج الدودة منها تكون بيضاء شفافة

ويكون طول الدودة عند خروجها من البيضة مليمتراً واربعة اعشار المليمتر ويكون لونها ضارباً الى الصفرة وعليها خطوط خضراء مزرقة ثم تزول هذه الخطوط ويكون رأسها اسود او اسمر ضارباً الى السواد لماعاً فيهِ شعر طويل دقيق وعلى بدنها شعر كثير دقيق مصفر

وبعد خروجها من البيضة تدب على ظهر اللوزة ثم تخرقها وتدخل قلبها

ومتى بلغت اشدها صار طولها سنتمتراً ونصف سنتمتر او اكثر قليلاً ومقدمها اثخن من

موَّخرها ويختلف لونها من الاسمر المحمر المنقط بنقط مصفرة او برتقالية الى الاخضر المزرق المنقط وفي جلدها بروزات لحمية فيها شعر وهو مما تمتاز بهِ ورأسها لمّاع اسود او اسمر فيهِ شعر دقيق قصير (واسهب في سائر الاوصاف التي يستغنى عنها لان مَن رأى هذه الدودة مرة لم يخفَ عليهِ منظرها) ومدة حياة الدودة في الصيف اسبوعان وفي الخريف والشتاء اكثر من ذلك كثيراً

ومتى بلغت اشدها تخرج من اللوزة وتصنع لنفسها شرنقة شبه القارب في غلاف الجوزة او بين فصوصها او بين الوريقات التي في اسفلها او في مكان آخر يصلح لها ولا يلزم ان تصنع الدودة شرنقتها على اللوزة التي كانت فيها بل قد تنتقل الى لوزة اخرى وتصنع شرنقتها فيها وكثيراً ما تنفصل الشرنقة وتقع على الارض . وقد تلصق بشجرة القطن نفسها او بورقة منها وقد تدب الدودة على ساق الشجرة وتغور في الارض وتصنع شرنقتها فيها ولكن المرجح ان اكثر الشرانق يبقى لاصقاً بنبات القطن . وقد تلصق الشرنقة بنبات التيل او البامياء

وغلاف الشرنقة حريري صفيق يختلف لونهُ من الابيض الى التبني الى الاسمر وهو غلافان الواحد داخل الآخر والخارجي هو الاسمر واما الداخلي فالغالب ان يكون ابيض برَّاقاً وتصعب روَّية الشرنقة السمراء ولاسيما اذا كانت لاصقة بغلاف لوزة القطن او بنبات التيل

ويكون طول الزيز داخل الشرنقة ٩ مليمترات الى ١١ مليمتراً ونصف ولون رأسهِ وجناحيهِ وغلاف ارجلهِ اسمر مصفر وعنقهُ مسود او قرمزي قاتم . ومدة الزيز في الصيف ١٠ ايام الى ١٤ يوماً وفي الخريف والشتاء اطول من ذلك كثيراً واذا تكونت الشرنقة في دسمبر او يناير فقد يبقى الزيز فيها شهرين او اكثر قليلاً

وتتكون الفراشة من الزيز ولها اربعة اجنحة السفليان منها ابيضان فيهما زرقة او صفرة ولون العلويين اخضر فستقي في الصيف واوائل الخريف وقد يكون في كلٍ منها مشحة سمراء واما بعد ذلك فيصير لون الجناحين العلويين اصفر في الغالب او مخلوطاً من الاصفر والاخضر مع مشحات سمراء . وطول جسم الفراشة ٩ مليمترات وطولها باسطة جناحيها العلويين من طرف الجناح الواحد الى طرف الآخر ٢٢ مليمتراً

ومن رأي الباحثين في موضوع حشرات القطن ان ضرر هذه الدودة اشد من ضرر دودة القطن اي التي تأكل ورق القطن

واول من راقب هذه الدودة في القطر المصري ودرس طبائعها نيوفتش بك وذلك من سنة ١٨٦٥ الى سنة ١٨٧٢ ونشر خلاصة بحثهِ عنها سنة ١٨٧٣

ستأتي البقية

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

آداب الاعراس عند الانكليز

ما يطلب من والدي العروس

يطلب من والدي العروس ان يرسلا اوراق الدعوة قبل العرس باسبوعين او ثلاثة وتكون من والد العروس ووالدتها وتكون الدعوة الى الكنيسة ثم الى المكان الذي يستقبل فيهِ العريس والعروس الذين دعوا الى عرسهما

ويوم العرس تذهب العروس الى الكنيسة في مركبة مع ابيها وتذهب امها في مركبة اخرى مع سائر بناتها و يكنَّ شبائن العروس واذا كانت العروس وحيدة سبقها ابوها الى الكنيسة وذهبت هي مع امها

وتتقدم العروس الى الهيكل ماسكة بذراع ابيها اليمنى واذا كان ابوها ميتاً تقدمت مع اخيها الاكبر او عمها او اكبر اقاربها واذا لم يوجد احد من هؤلاء كلهم فمع اكبر صديق لعائلة ابيها من الحضور . وتسير شبائن العروس وراءها ووراءهنَّ امها مع ابنها الاكبر او احد اقاربها ويقف والد العروس عن يسار ابنتهِ الى ان تبدأ صلاة الاكليل فيتركها ويقف الى جانب زوجتهِ . وبعد الاكليل يتقدم العريس والعروس الى حيث السجل ويكتبان اسميهما و يكتب ابو العروس اسمهُ ايضاً ويحسن ان تكتب امها اسمها . واذا كان بين الحضور رجل ذو مقام رفيع فالغالب انهُ يدعى ليكتب اسمهُ كشاهد واذا كان بينهم امرأة ذات مقام رفيع فالغالب ان ابا العروس يدعوها لتكتب اسمها ايضاً

ويخرج العريس والعروس من الكنيسة اولاً و يتبعهما والدا العريس والعروس ويذهب الجميع الى مكان الاستقبال فاذا اعدَّ والدا العروس مائدة للمدعوين ليأكلوا جلوساً سار اليها العريس والعروس اولاً ثم والد العروس مع والدة العريس ووالد العريس مع والدة العروس ثم الشبائن والاشبنة ثم سائر المدعوين من غير ترتيب مخصوص ويجلس العريس الى جانب العروس على رأس المائدة ويجلس ابو العروس على يسار ابنتهِ وام العريس على

يمين ابنها و يجلس الشبان والاشبنة على الجانبين ثم بقية المدعوين والمدعوات · واذا جلس العريس والعروس في وسط المائدة جلس الشبان والاشبنة امامهما على الجانب الآخر · واذا كان الطعام من نوع البوفه التي يأكل منها المدعوون وقوفاً فليس لوقوفهم حولها ترتيب مخصوص

الارز

الارز اكثر الحبوب استعمالاً في طعام الناس لكثرة ما يؤْكل منهُ في الهند والصين واليابان · وكلمة ارز العربية مأخوذة من اليونانية أُرُز دلالة على ان اليونان عرفوهُ من قديم الزمان لكن الصينيين زرعوهُ قبل ذلك بقرون كثيرة فقد نقل بعضهم ان احد ملوك الصين واسمهُ تشنغ تنغ الذي كان قبل المسيح بالفين وثمانمائة سنة زرع حبوب الارز بيدهِ وامر ان يقتدي بهِ خلفاؤُهُ ولذلك يظن ان الصينيين هم اول من زرع الارز ولكن ظن البعض ان الهنود سبقوهم الى ذلك لان الارز ينبت برياً في بلاد الهند

والبروتيين في الارز كالبروتيين في الذرة الشامية ولكن الدهن في الارز اقل من الدهن في الذرة كما ترى في هذا الجدول

	الذرة	الارز المقشور	الارز المبيض
رطوبة	١٠,٧	١١,٨٨ في المئة	١٢,٣٤ في المئة
بروتيين	١٠,٠	٠٨,٠٣ «	٠٧,١٨ «
دهن	٠٤,٣	٠١,٩٦ «	٠٠,٣٦ «
الياف	٠١,٧	٠٠,٩٣ «	٠٠,٤٠ «
كربوهيدرات	٧١,٨	٧٦,٠٥ «	٧٩,٣٦ «
رماد	٠١,٥	٠١,١٥ «	٠٠,٤٦ «
فصفات	٠٠,٧	٠٠,٦٥ «	٠٠,٢٠ «

وواضح من ذلك ان الارز قليل المادة الدهنية اي قليل الدسم ولهذا جرت العادة ان يطبخ باللحم المدهن او بالسمن · ومما يجب الانتباه لهُ ان المواد المغذية اقل في الارز المبيض منها في الارز غير المبيض · فلا موجب لتفضيل الارز المبيض على غير المبيض بل يجب ان يفضَّل غير المبيض على المبيض لان فيهِ من البروتيين والدهن والفصفور اكثر جداً مما في الارز المبيض

وقد عرف منذ عهد بعيد ان الذين يعتمدون في طعامهم على الارز المبيض من اهالي اليابان وجزائر فيلبين يصابون احياناً بمرض البري بري واذا اكلوا الارز غير المبيض لم يصابوا بهذا الداء وذلك لان الارز المبيض يفقد شيئاً من البروتيين يسمَّى ڤيتامين . ولا يظهر عندنا هذا الداء مع اننا نأكل الارز المبيض لان الناس هنا لا يعتمدون في طعامهم على الارز بل على خبز القمح والذرة ولكن ذلك لا ينفي ان يكون الارز غير المبيض اكثر غذاء من المبيض ويجب ان يفضَّل على المبيض

تنظيف مغطس الحمام

ينظَّف بفركهِ بالبترول ثم يفتح الشباك لتزول رائحة البترول ويحسن ان يفرك بعد ذلك بليمونة حامضة مغطوطة بالملح

غسل جلد الشماوى

انفضهُ جيداً حتى ينظف من التراب والغبار ثم اغسلهُ بماء فاتر وصابون بعد ان تضيف الى الماء نقطاً من الامونيا ثم اغسلهُ بالماء والصابون من غير فرك ولا قرص وامغطهُ جيداً قبلما ينشف لئلاَّ ينكمش

شراب مبرد

اغلِ رطلاً من السكر في رطلين من الماء نحو ربع ساعة وامرث رطلين من الفريز (الشليخ اوكبوش القش) وصبهما فوق مذوب السكر وهو سخن وصفهِ واضف اليهِ فنجان شاي من الشراب الذي يكون في علب الاناناس ورطلين من الماء المثلج فيكون من ذلك شراب مبرَّد

تليين لحم الفراخ

العادة ان تذبح الفرخة او الدجاجة او الديك قبل طبخها بيوم او يومين حتى يلين لحمها ولكنها قد تتعرض للفساد حينئذٍ ولاسيما في ايام الصيف وخير من ذلك ان تذبحها حينما تريد طبخها وتضعها في ماءٍ غالٍ وانت تنتف ريشها فيلين لحمها كأَنها ذبحت منذ يوم

نزع لطخ الحبر

اجبل قليلاً من الخردل المدقوق الناعم بالماء وابسطهُ على لطخ الحبر واتركهُ عليها ٢٤ ساعة ثم انزعهُ باسفنجة مبلولة بالماء البارد فينزع معهُ اثر الحبر

هضم الاطعمة

المدة التي تهضم فيها الاطعمة تختلف باختلاف انواعها وطريقة طبخها وتحضيرها وقد حقق بعضهم ذلك بالامتحان ووضع الجدول التالي

دقيقة	ساعة	
٠٠	١	ارز
٣٠	٣	بطاطس مسلوق
٣٠	٢	• مشوي
٣٠	٣	بيض مسلوق جامد
٠٠	٣	• • برشت
٣٠	٣	• مقلو
٠٠	٢	تبيوكا
٣٠	١	تفاح ناضج حلو
٤٥	٣	• حامض
٣٠	٣	جبن
١٥	٣	خبز ذرة
٣٠	٣	خبز قمح
٠٠	٢	ديك رومي روستو
٣٠	٣	زبدة
٤٥	١	ساغو
٠٠	٤	سمك ممون
٠٠	٤	شوربا لحم بقر
٠٠	٣	• • فراخ
٣٠	٢	فول اخضر

دقيقة	ساعة	
٠٠	٣	فول يابس
٠٠	٢	كبد بقر مسلوق
٠٠	١	كرش
٠٠	٢	كرنب اخضر
٣٠	٣	كرنب مسلوق
٠٠	٣	لحم بقر روستو
٠٠	٤	• • مسلوق
٠٠	٤	• بط اهلي
٣٠	٤	• • بري
٣٠	٢	• حمل مسلوق
١٥	٣	• غنم روستو
٠٠	٣	• • مسلوق
١٥	٥	• خنزير روستو
١٥	٣	• • مسلوق
٣٠	٤	• عجل مقلو
١٥	٢	لبن غير مغلي
٠٠	٢	• مغلي
٠٠	٢	لحم وز روستو
٣٠	٣	لفت مسلوق

ومن الاطعمة السهلة الهضم جداً الاروروط والمليون والقنبيط والتفاح المشوي والبرتقال والعنب والشليك والخوخ. ومن الاطعمة السهلة الهضم نوعاً التفاح والخبز والشكولاتا والقهوة ومطبوخ الاثمار. ومن الاطعمة العسرة الهضم الجوز واللوز والاجاص والبرقوق اولكرز والخيار والقثاء والبصل والمكابيس والكعك والجزر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ٠ ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براء منهُ كلهِ ٠ ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق ٠ فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ ٠ فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

السبيرتسم

سيدي المحترم العلامة مدير وصاحب المقتطف الاغر

سلام ٠ وبعد يستنتج من المقالات الثلاث التي دبجها يراع جناب الفاضل الدكتور امين ابو خاطر عن السبيرتسم ونشرها المقتطف الزاهر بالتتابع ومما نقلهُ جنابهُ من اقوال الثقات وايدهُ اختبارهُ الطويل ان السبيرتسم مرض يختلف ظهورهُ باختلاف مزاج المصاب وطبعهِ وميلهِ واعتقادهِ وسعة عقلهِ الخ ٠ غير اني قرأت مقالاً في هذا الموضوع احلتهُ مجلة لندن الانجليزية محلاً رفيعاً بين اعمدتها وقدم لهُ رئيس تحريرها مقدمة ذكر فيها ان مظاهر السبيرتسم الواردة في تلك المقالة المشار اليها لا يمكن انكار صحتها مطلقاً

ومما جاء في هذه المقالة :—

(١) ان مخاطبة ارواح الاموات لاصحابهم او اقاربهم على الارض مسألة قابلة التمحيص وفي وسع من يشك ان يحضر الى معاهدة سبيرتية وان يتحدث مع روح صديق لهُ متوفى وان يسألهُ اسئلة خاصة بهِ ولا بد ان يحظى باجوبتها ولهُ بعد ذلك ان يحكم بصحتها من فسادها

(٢) ان في اعتقاد طائفة عظيمة الشان من اقطاب العلم بصحة السبيرتسم واقتناعهم بامكان وقوع مخاطبة ارواح الاموات لمن على الارض لبرهان قوي على صحة هذه النظرية ٠ وذكر من بين هؤلاء العلماء السر اولفر لودج والمرحوم المستر ستد والكونت مياتوفتش سفير السرب في لندن ٠ والماجور جنرال السر ترنر والمرحوم الدكتور الفرد رسل ولس وغيرهم

(٣) في حدوث المشاهدات السبيريتية علانية امام شهود عين دليل واضح على نيل غرض القائمين بها وعدم تضليل العامة في شيء ورغبتهم التامة في تقدم هذا العلم على اساس وطيد

(٤) كثيراً ما سُمعت ارواح الاموات تتكلم بلغات متعددة كالعربية والسريانية والهولندية والفرنساوية والجرمانية والعبرية والهندستانية والتليانية والنوروجية والاسبانولية وغيرها من اللغات التي لا يمكن لوسيط ان يعرفها ويخدع اصحابها

(٥) وقوع مشاهدات سبيريتية علانية . فمن ذلك حديث روح المستر ستيد مع ابنته ستيلا فقد شوهد مرة انهُ لبث اكثر من ساعة يتحدث معها عن اوراقهِ الخصوصية . وكذا ظهور روح ابن متوفي لوالديهِ في منزل مسز ريد فقد كتبت والدتهُ تقول :—

ولما ان ظهر ولدنا العزيز هرولد سألتهُ هل تتذكر سيريل اسم قطٍ لهم . وقد اخترت هذا السوءال لانهُ ما كان يخطر على بال احد الحاضرين هل كان هذا اسم قط او ولد او كلب او اي شيء آخر . فاجاب نعم وكنت اغيظهُ . الم يتألم من ذلك يا ماما . ومن ثم اخذ يقلدهُ فضحك الحاضرون . وكان عندي هذا اعظم برهان بان التي خاطبتني هي روح ابني بلا شك

فهل بعد هذا يقال ان سدى السبيرتسم الوهم ولحمتهُ الخداع . نرجو المقتطف الزاهر ان يتكرم بافادتنا عن حقيقة الحال فهو مرجعنا في كل حال ولهُ الفضل سلفاً

بني سويف خله غبرانيوس

لو طالعتم كل ما نشرناهُ في المقتطف في هذا الموضوع منذ عشرين سنة الى الآن لوجدتم ان لا صحة لشيء من الدعاوي المتقدمة او انهُ لم يقم حتى الآن دليل قاطع على صحتها. وتصديق رجال من العلماء لها مثل لدج وستد وامثالها لا يقوم دليلاً على صحتها لان العالم في الكيمياء مثلاً لا يلزم ان يكون من اعلم الناس في كل الامور بل ان اختصاص الانسان ببعض العلوم يصرفهُ غالباً عن النظر في غيرها ويضيق دائرة ادراكهِ . ونحن نعرف المرحوم المستر ستد جيداً وكنا نجلس معهُ على الطعام ساعتين متواليتين ولسانهُ لا يقف عن الكلام فاذا تكلم في السياسة وما وقع لهُ مع الملوك والوزراء والعظماء وما ابدى لهم من الآراء وجدتهُ فيلسوفاً سياسيًا واذا عرضت المسائل النفسية تكلم فيها كالعجائز والاطفال . وامامنا الآن كتاب السر اوليفر لدج في بعث الانسان وهو يتكلم في بعض فصولهِ مثل اسذج المصدقين

بالخرافات . فما نشرهُ الدكتور ابوخاطر في هذا الموضوع صحيح حسبما اثبتهُ العلم الى يومنا هذا فاذا اثبت العلم غداً ان نفوس الناس تعود الى الارض وتتقمص في اجسام الضفادع وتتكلم بكل اللغات وجب ان نصدق ما اثبتهُ ولكنهُ لم يثبت شيئاً من ذلك حتى الآن . وقد تقولون كيف يكون الاثبات العلمي فنجيب : لنفرض ما فرضناهُ اخيراً وهو انهُ جاء رجل وقال ان ضفدعاً تكلمت امامهُ بالعربية والانكليزية والفرنسوية وقالت ان فيها نفس فلان المتوفى الذي كان يجيد التكلم بهذه اللغات الثلاث . فاثبات ذلك يكون على هذه الصورة . يستدعي نفر من العلماء المشهود لهم بدقة البحث العلمي والصدق والاستقامة والبعد عن تصديق الاوهام والخرافات والسبيرتسم فيجلسون في غرفة كبيرة فارغة من كل شيء غير الكراسي التي يجلسون عليها و يؤْتى بالضفدع و يقفل الباب وتستنطق وتسأَل عن سيرة الرجل الذي تدعي ان نفسهُ حلَّت فيها فاذا لم تخطئْ في شيء يعيد هذا الامتحان اناس غير الاولين من المشهود لهم بالذكاء وصحَّة النظر وهلمَّ جرًّا الى ان يثبت ثبوتاً ينفي كل ريب ان دعوى هذه الضفدع صحيحة

ثم يعاد الامتحان في كثير من الضفادع فاذا ثبت ان في كل ضفدع منها نفس انسان فالدعوى صحيحة والاَّ فلا

وان كانت الارواح تُجلي وتخبر عن الماضيات والمستقبلات فلماذا لا تجعل اخبارها ممَّا يفيد فتدل مثلاً على القتلة والسرقة وامثالهم من الذين يرتكبون الجنايات ولا يعلم مَن هم وتخبر بما يقع من الحروب والمجاعات وما اشبه

كتاب السرب

حضرة محرر المقتطف المحترم

بعد الاحترام بين كتبي التي عثرت عليها بالبحث كتاب في الطبيعيات مترجم عن اليونانية في اوائل الدولة العباسية لم يسمع بهِ احد ولا وجد في مكتبة من المكاتب العمومية ولا الخصوصية فيما اعلم وهذا ما كتب في ديباجتهِ

كتاب السرب

المسمَّى كتاب العلل الجامع للاشياء للحكيم ابلينوس الاول ترجمهُ عن اليونانية سرجيوس المتطبب احد النقلة الذي ترجم كتب جالينوس الستة عشر ورد ذكرهُ في عيون الانبا بلفظ سرجس

محتويات الكتاب

تكلم فيهِ اولاً على علة الخلق والايجاد · ثم على علة الحركة والطبائع · ثم على علل الافلاك السبعة · ثم على علل الكواكب السبعة · ثم على علل البروج الاثني عشر · ثم على الرياح · ثم على اشراق الكواكب السبعة وعلل طبائعها · ثم على علة كون الملائكة والارواح التي في الافلاك · ثم على علل العناصر فالامطار والغيوم والاصوات في العالم ثم على دوران الافلاك وتقلب الليل والنهار · ثم على علل المواليد الثلاثة وتكونها بتأثير الاجرام السماوية العلوية · ثم على الكباريت والزرانيخ والاملاح والاحجار الكريمة · وكميات المعادن واجناس النبات والثمار وعللها · وختمهُ بالكلام على اصل الاصول

وهذه النسخة بخط دقيق في ١٠٠ صحيفة كتب سنة ١٠٣٢ وهي الوحيدة فما رأيكم في درجة اهمية هذا الكتاب القاهرة جميل العظم

[المقتطف] لا بلينيوس الاول او الاكبر كتاب مشهور في التاريخ الطبيعي Historia Naturalis في ١٦٠ مجلداً وهو حاوٍ لكل ما وجدهُ في كتب الذين تقدموهُ في النبات والحيوان والجماد والجغرافيا والاحداث الجوية والفلك والشرائع والمخترعات والمكتشفات · ويحتمل ان الكتاب الذي تشيرون اليهِ مقتطف من كتابهِ هذا ولكن لا يعلم ذلك بالتحقيق الأ بعد المقابلة بين الكتابين · وتسهل المقابلة لان ليتره ترجم كتاب ابلينيوس وطبعت الترجمة مع الاصل اللاتيني · ويحتمل ايضاً ان سرجيوس لفق هذا الكتاب او لخصهُ تلخيصاً وقال انهُ ترجمهُ عن اليونانية ليأخذ اجرة عملهِ

غلام بست اصابع

حضرات العلماء الاعلام اصحاب مجلة المقتطف

بمناسبة جوابكم لسؤال عزيز افندي سوريال في احد اجزاء مقتطف ١٩١٦ ارسلت طيهُ صورة فوتغرافية لغلام اسمهُ شاكر مقيم في عزبتنا بمركز الفيوم وكما يرى من الصورة لهُ ست اصابع في كل من يديهِ ورجليهِ والجملة اربع وعشرون اصبعاً والاصبع السادسة ليست اثرية بل متكاملة النمو النسبي كما هو واضح فنرجو نشرها كما هو واضح في الصورة لاطلاع العموم عليها وابداء رأيكم في ذلك الفيوم الدكتور

يوسف غبريل

[المقتطف] ان وجود ست اصابع في كلٍ من اليدين والرجلين نادر جداً ولكنهُ امر واقع على ندرتهِ ولهذا وُجد لهُ اسم في العربية وهو العنش فقد جاء في القاموس نقلاً عن الصاغاني الاعنش من لهُ ست اصابع ولم يذكرهُ صاحب لسان العرب · وسبب الزوائد في الجسم ان الجرثومة الاولى لكل عضوٍ من الاعضاء قد يزيد اغتذاؤُها لسبب من الاسباب فيتولد منها عضوان بدلاً من عضوٍ واحد



فتوح البلدان للبلاذري بالانكليزية

عني حضرة الدكتور فيليب خوري حتّي احد اساتذة المدرسة الكلية الاميركية في بيروت سابقاً واحد مدرسي جامعة كولمبيا باميركا حالاً بترجمة كتاب فتوح البلدان للبلاذري الى اللغة الانكليزية · ولم يكتفِ باتقان الترجمة على ما في لغة الكتاب من التعقيد بل افتتح كل فقرة منهُ بكلمات تدلُّ على موضوعها وعلق عليها من الحواشي ما يوضح غامضها ويؤيد سندها ويدلُّ على سعة اطلاعهِ وبحثهِ · وقد اهدى الينا الآن المجلد الاول من هذه الترجمة وهو نحو نصف كتاب فتوح البلدان ولذلك ينتظر ان يتم الكتاب كلهُ في الجزء الثاني

وقد عثرنا على هفوات قليلة فيما قرأناهُ من الترجمة · ففي الصفحة الاولى ترجم قول البلاذري « رددتُ من بعضهِ على بعض » في قولهِ « سقت حديثهم (اي حديث اهل العلم) واختصرتهُ ورددت من بعضهِ على بعض » بما معناهُ لحمتُ بعضهُ ببعض » · مع ان المراد انهُ قابل بينهُ او نقد بعضهُ ببعض من ردَّ فلاناً خطأهُ كأن البلاذري لم يكتفِ بالنقل بل محَّص ما نقلهُ بان عارض بعضهُ ببعض للوصول الى الحقيقة · وترجم الضفائر في الصفحة ٨٣ بما معناهُ انها جدران بلا طين فيحتمل ان تكون من اللبن او الآجر ومعناها في كتب اللغة ما بني بحجارة بلا طين · وابقى الهجرة الى المدينة في الصفحة التالية بلفظها العربي محرَّفاً مع انها هنا مصدر وكان حقها ان تترجم · وفسَّر العقاب في الصفحة ١٧٢ بكلمة volture والعقاب هو eagle · نعم اننا نتساهل احياناً في المقالات الادبية فنترجم كلمة eagle نسراً

كما فعلنا في الجزء الاخير من المقتطف ولكننا نشير الى تساهلنا هذا ولا نفعل ذلك عند التحقيق العلمي . وترجم الطوامير في الصفحة ٣٨٣ بكلمة fabrics وهي القراطيس اي صحف البردي ويظهر لنا انها يونانية وقد تكون محرفة من طامياس ويراد بها الالواح او القوائم التي يكتب فيها ما تحت يد الحاسب فان الطامياس حافظ الكنوز المقدسة في حصن اثينا . الا ان هذه الهفوات الطفيفة لا تحط من قيمة الترجمة وما اضيف اليها من الحواشي المفيدة فنهنئ حضرة المترجم بنجاحهِ في اخراج هذا الكتاب النفيس الى اللغة الانكليزية على هذه الصورة . ويا حبذا لو اعاد طبعهُ بالعربية واضاف اليهِ الحواشي التي اضافها الى الترجمة الانكليزية

ديوان العقاد

لا يحسب الناظم شاعراً الا اذا جمع بين امرين دقة المعنى ورقة اللفظ وهذه الاخيرة هي ما يسمى بالديباجة وها هما قد اجتمعتا لعباس افندي محمود العقاد في ديوان اهداهُ الينا وسماهُ « ديوان العقاد » وهو واقع في ١٢٧ صفحة جمع بين دفتيهِ اشتات المواضيع من فرضة البحر الى الخريف فانس الوجود فالشاعر الاعمى فمحمود فرعون فالحب الاول (وهو مساجلة شعرية) فسباق الشياطين فالكروان فالبدر في الصحراء فكثير من المقطعات

من جميل نظمهِ ابيات في « الوردة » للشاعر الانكليزي وليام كوبر وحكايتها ان صديقة للشاعر قطفت وردة وقدمتها الى صديقة اخرى فعرضتها هذه عليهِ تستندي قريحتهُ فتناولها من يدها ثم هزها فتناثرت اوراقها فندم واستعبر ونظم الابيات المشار اليها فعربها العقاد بما يلي واجاد

اتتني بها من خدها مثل لونها	مبللة الاوراق باكية السن
جنتها فزفتها اليها خليلة	حصان وقد يجني على الورد من يجني
كأن نديَّ الطل دمع أطله	فراق وُريدات صغار على الغصن
فأمسكتها خجلى الحيا أهزها	لتنشط من خوف وتبسم من حزن
فما كان افساني لقد فاض روحها	وطارت بداداً في التراب الى الدفن
ولو لطفت كفي لفاحت وازهرت	كما شئت من عطر وما شئت من حسن
كذاك يكون اللوم طعناً وربما	حوى بلسماً يشفي الجريح من الطعن
وكم راح تعنيف الشجي بروحهِ	ألا ان بعض العذل يضني ولا يثني
ولو لمتَ في رفق رأيت ابتسامة	تجول مكان الدمع من جانب العين

وختم ديوانهُ بقصيدة بديعة يلوم كتبهُ ويشكو ظلمها وهي بعنوان « يا كتبي » قال منها

يا كتبي اشكو ولا أغضبُ ما أنت من يسمع او يعتبُ
يا كتبي أورثتني حسرة هيهات لا تُنسى ولا تذهب
يا كتبي ألبست جلدي الضنى لم يغنِ عني جلدك المُذهب
أنفقت مني ما يضن الورى بهِ على الله ولم يذنبوا
من ضوء عينيَّ ومن صحتي سدًى ومن وقتي وما أكسب
ومن شباب فيك ضيعتهُ فما انا الاّ الفتى الأشيب
في ذمة الطرس وفي حفظهِ عمر تقضى شطرهُ الاطيب
لا رحم الرحمن فيمن مضى من علم العالم ان يكتبوا

والديوان كلهُ يشهد للعقاد بانهُ شاعر عصري مطبوع يعدّ اذا عدّ الشعراء

دودة لوز القطن

وضع جناب المستر ددجن المستشار الزراعي لوزارة الزراعة رسالة مسهبة في الدودة التي تصيب لوز القطن المصري وهي غير الدودة القرنفلية التي تتلف بزرة القطن وقد لخصنا هذه الرسالة في باب الزراعة من هذا الجزء

كتاب المواساة

او عزاء النفوس

كتاب ادبي الفهُ حضرة احمد افندي عطيه مهندس الزراعة بطاي واهداه الى حضرة شقيقهِ الفاضل محمد بك لبيب عطيه سكرتير النيابة العمومية

لغة الكتاب من السهل الممتنع وفصولهُ ادبية كلها في نعيم الحياة والسلامة من المرض والسعادة والفقر والحاجة وثورة الغضب والندم والانتحار والخوف والانتقام والحسد ونحو ذلك. وقد ساق المؤلف كلامهُ فيها بالترغيب والترهيب والنصيحة والمثل الصالح ولا بدَّ من ان يؤثر ذلك في القراء. نعم ان الاخلاق قلما يرجى تغييرها وتأبى الطباع على الناقل ولكن قد يكون المرء في مفترق الطرق فيدفعهُ نصح زيد الى اليمين حيث يجد الراحة والهناء او يدفعهُ تغرير عمرو الى الشمال حيث يجد التعب والشقاء وفي هذه الاحوال وهي كثيرة يفيد النصح

والمثل الصالح ويغر التغرير والمثل الطالح · والمرجح ان الفائدة الكبرى تكون والمرء طفل اذا ربي تربية صالحة ثم اذا عني بتهذيبهِ مدرسون يعرفون قوى النفس وكيف تدرّب · وحبذا لو سلّم هذا الكتاب لطلبة المدارس ليستفيدوا منهُ لغة وادبًا

لغة الفؤاد

او صور الشعر في روضة البحرين

بقلم امين افندي حمدي مؤلف الحياة القومية قال في ديباجتها

لغة الفؤاد عواطف منظومة	خفقت بها بين الرياض جوانحي
ومدامع منثورة غصّت بها	عين تفيض على حبيب نازح
في روضة البحرين قد دبجتها	ديوان اشواق لهُ ومدائح

وقال انهُ جمعها من بين متفرق الجرائد والمجلات التي كانت تنشر فيها ولم يغير منها حرفًا. وحبذا لو ذكر مع ما اعاد طبعهُ نظمًا ونثرًا تاريخ نشرهِ اولاً فقد يكون في ذلك فائدة للذين يبحثون في تنوّع القرائح واختلاف مظاهرها باختلاف السن والزمان

ونثر هذه الصور عالٍ بليغ واكثر شعرها كذلك وقد اهدى الكتاب الى صاحب السعادة محمد بك حدايه محافظ القنال

سوانح الفراغ

نظمها حضرة مرمي افندي شاكر الطنطاوي وقدم لها مقدمة وجيزة نودّ لو كانت كتابًا كبيرًا · وهي ابيات حكمية في كثير من المواضيع الادبية كقولهِ في النعم

ثلاثة ليس لحي في الورى	من دونها في عيشهِ اغتباطُ
يهون قدر المال دون بعضها	العلم والصحة والنشاطُ

وقولهِ في اباء الضيم

حرية الامم العزيز جنابها	تأبى على الافراد ذلّ المرتعِ
وكفاك شاهد امة اليابان اذ	صحت عزائمها بطاقة مدفعِ

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف · ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعيّن حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) تفسير حكمة

مصر · ممدوح افندي فكري · لم استطع ان افهم فهماً معقولاً الحكمة الآتية وهي «واما الافكار فلا ترتع الا في البحر المزبد» فما غرض الحكيم من هذا القول

ج · يظهر لنا ان العبارة مترجمة ولو عرفنا اصلها لسهل علينا ايضاح معناها ومع ذلك يحتمل ان يكون المعنى ان قولاً يسمعهُ الانسان ودماغهُ متهيج يؤَثر في نفسهِ اكثر مما لو سمعهُ ودماغهُ ساكن

(٢) الحامض اليوريك

مغاغه · محمد افندي حنفي · ما هو الحامض اليوريك الذي يوجد في البول وكيف يوجد وما اسبابهُ وعلاجهُ

ج · الحامض اليوريك Uric acid مادة بلورية تذوب قليلاً في الماء مركبة من الكربون والنتروجين والهيدروجين والاكسجين هكذا ك٥ ن٤ هـ٤ ا٣ اذا كان نقياً فهو ابيض ولكن اذا رسب من البول فلونهُ اصفر ومعنى اليوريك البولي فوُصف كذلك لانهُ يوجد في البول ولا يخلو البول منهُ · وفي حال الصحة يخرج مع بول الانسان في اليوم نحو ١٠ قمحات من الحامض اليوريك وهو يتكون في الكبد او في الجسم كلهِ من التمثيل ويجري مع الدم الى الكليتين فتفرز الزائد منهُ فيخرج مع البول الذي يتحلّب من الكليتين ويزيد مقدارهُ اذا افرط الانسان من اكل اللحم وكان قليل الحركة واذا اصيب بمرض النقرس او اصيب بمرض تكثر فيهِ الكريات البيضاء في الدم ولما كان الحامض اليوريك قليل الذوبان في الماء فقد يرسب منهُ ومن مركباتهِ رواسب في الاقنية البولية فيكون منها رمل او حصى

فاذا كان سببهُ كثرة اكل الاطعمة اللحمية وقلة الحركة فيعالج بتقليل اللحم وتكثير الحركة واذا كان سببهُ النقرس او كان هو سبباً لهُ فيعالج بمعالجة النقرس واذا كان سببهُ كثرة الكريات البيضاء في الدم فيعالج بمعالجتها · اما النقرس فنادر في هذه البلاد ويُعتمد في معالجتهِ على تقليل الاطعمة

الحيوانية واستعمال المسهلات كالكلومل مع بي كربونات البوتاسا-٦ اوخلات البوتاسا واكثر الاعتماد في معالجتهِ على الحنظل . فانهُ يساعد على افراز الحامض اليوريك من الجسم والمستعمل منهُ غالبًا خمر الحنظل او خلاصة الحنظل ولا بد من ان يراقب الطبيب استعمالهُ

والامراض التي تكثر فيها الكريات البيضاء من امثلتها الليوكيميا اي الدم الابيض وهو مرض خبيث مستعصٍ عسر العلاج ويعتمد في معالجتهِ على تحسين المعيشة واستنشاق الهواء النقي والراحة وقد افادت فيهِ اشعة رنتجن تطلق على المعدة فانها اصلحت الدم وقللت حجم الطحال بعدما كبر كثيرًا

(٤) الحامض اليوريك والبول السكري

ومنهُ . هل الحامض اليوريك جزء من البول السكري او هو حامض مخصوص وهل اعراضهُ كاعراض البول السكري

ج . هو حامض مخصوص كما تقدم ولا علاقة بينهُ وبين البول السكري

(٤) علاجهُ

ومنهُ . ما هي المستلزمات العلاجية الواقية منهُ

ج . لقد اتضح لكم مما تقدم ان الحامض اليوريك عرض لمرض آخر او لحالة مرضية في الجسم فيقل بمعالجة المرض الذي سببهُ وبالاقلال من اكل اللحوم ولاسيما اللحوم الحمراء وبالاعتدال في الاكل عمومًا

(٥) اليوريك واكل الفواكه

ومنهُ . هل يستحب اكل الفواكه لمن كان مصابًا بالحامض اليوريك

ج . نعم يحسن اكل الناضج منها السهل الهضم

(٦) الطيران وجاذبية الارض

البلدية . رزق الله افندي جرجس . اذا طار انسان بطيارة هوائية من مكان معلوم في خط عمودي رأسي واستمرَّ في الهواء ثلاث ساعات ثم نزل كما صعد في خط عمودي فهل يصل الى المكان الذي صعد منهُ تمامًا

ج . اذا رأيناهُ صاعدًا في خط عمودي فقد كان بالطبع مائلاً في صعودهِ الى جهة المشرق مع الارض في حركتها شرقًا

ولنفرض انهُ صعد حيث محيط الارض ٢٤٠٠٠ ميل فهي تدور دورة كاملة الى الشرق في ٢٤ ساعة فتقطع ١٠٠٠ ميل في الساعة اونحو ١٦,٦ الميل في الدقيقة ولنفرض انهُ استمرَّ دقيقتين في صعودهِ وارتفع الى علو ميلين فيكون قد سار مع الارض شرقًا ٣٣ ميلاً وارتفع في الجو ميلين اي سار في وتر شكل قاعدتهُ ٣٣ ميلاً وارتفاعهُ العمودي ميلان وهذا الخط يكاد يكون افقيًا ولو رأيناهُ عموديًا وشعر هو انهُ عمودي ولا يبقى فوق رأسنا دائمًا اذا كنا واقفين في النقطة التي طار منها الا اذا مال قليلاً الى الشرق لانهُ يصل الى مكان اسرع قليلاً

الى الشرق من المكان الذي طار منهُ . واذا وقف هناك في الهواء بلا حركة فالنقطة التي تحتهُ تماماً تبق تحتهُ لانهُ يكون مرتبطاً بالارض بالجاذبية ودائراً معها الى الشرق في دورانها على محورها فاذا وجَّه نظرهُ الى هذه النقطة وهو نازل وصل اليها ولكنهُ لا يكون نازلاً في خط عمودي بل في خط مائل غرباً ولو رأيناهُ نحن نازلاً في خط عمودي ورأى هو نفسهُ نازلاً في خط عمودي ولكنهُ اذا رمى حجراً من النقطة التي وصل اليها وفرضنا انهُ لا يوجد هواء يقاوم هذا الحجر في حركتهِ فانهُ يصل الى الارض في ٢٧ ثانية اي في نحو نصف دقيقة ويكون في الاصل متحركاً نحو الشرق بسرعة اشد من سرعة النقطة التي نحن فيها بمعدل واحد من الفين . وقد قلنا ان الارض تقطع ١٦ ميلاً في الدقيقة فهي تقطع ٨ اميال في نصف الدقيقة او نحو ٤٢٠٠٠ قدم وعليهِ فالحجر يقع بعيداً عنا الى الشرق نحو عشرين قدماً . ولا ندري ما فائدتكم او فائدة كل قراء المقتطف من سؤال مثل هذا

(٧) الطيران ورؤية الشمس

ومنهُ . اذا طار طيار الى اقصى مكان في الجو واستمر هناك اربعاً وعشرين ساعة فهل في كل ساعة منها يرى الشمس بالنسبة لثبوتها

ج . لم نفهم مرادكم ولا معنى لقولكم الى اقصى مكان في الجو فان غاية ما استطاع الطيارون ان يصلوا اليهِ نحو ستة اميال فوق سطح الارض واما اقصى مكان في الجو فيبعد عن الارض مسافة لو سارت اليها كرة مدفع بسرعتها العادية لما وصلت اليها الأ بعد اكثر من مليون مليون مليون مليون سنة . وحسبكم ان تفهموا ان الارض تجذب كل ما على سطحها حتى يدور معها وتجذب ايضاً كل طائر وطيار يطير فوقها فيدور معها في دورانها على محورها

(٨) الكابوس

مصر . حامد افندي احمد مصطفى بمدرسة القضاء الشرعي . من اي شيء يكون الكابوس حتى نتقيهُ

ج . من كثرة الطعام وما احسن ما قالهُ الدكتور فان ديك في باثولوجيتهِ في وصف الكابوس . قال بتصرُّف : تأخر زيد في عشائهِ ثم اكل كبيبة وكفتة وسمكاً وارزاً ومحشياً مع بعض الحوامض والمخللات ثم اكل كنافة وبقلاوة وبعض المربيات وشرب كاس خمر ثم اكل صحن فواكه مشكلة متنوعة وحاول النوم فركبهُ الكابوس وشاهد الابالسة والشياطين واستيقظ مرعوباً مغموماً . صادفتهُ وهو نازل الى عملهِ فسألتهُ عن سلامتهِ فقال اذا صبر عليَّ اصحاب الديون هذا النهار ابيع املاكي واوفي ما عليَّ واقفل محل تجارتي لانني على حافة الافلاس ولا بد لي من ان اذهب

بعائلتي الى الخارج لان صحتها معتلة واخاف ان يموت احد اولادي . ولما سألتهُ عما اكل البارحة واخبرني سكت وقلت في نفسي الكابوس من الكبيبة . ومشاهدة الابالسة والشياطين من السمك والحوامض . والافلاس من الخمور واعتلال صحة العائلة من الحلوى والفواكه . ثم رأيتهُ بعد ما اخرجت معدتهُ ما فيها فوجدت محلهُ التجاري ناجحاً ولا دين عليهِ وصحة عائلتهِ على ما يرام ولا يخطر على بالهِ الافلاس وقد عدل عن بيع املاكهِ والذهاب الى الخارج . هذا والمعدة بيت الداء والاعتدال في الطعام والشراب رأس الادوية

(٩) ماء الترع والشرب

ومنهُ . تعرفون ان ماء الترع في هذه الايام وخصوصاً اذا لم يكن جارياً آسن وغير مقبول فبماذا تشيرون على اهل القرى . أيشربون من تلك المياه ام من طلمبات الآبار

ج . لا شبهة في ان مياه طلمبات الآبار انقى واسلم ويحسن باهالي القرى ان لا يشربوا الآ منها او من ماء الترع الجاري اذا رشحوهُ بزير

(١٠) ضرر تأخير الزواج

ومنهُ . اذا مكث الرجل لم يتزوج حتى بلغ الثلاثين من عمرهِ ولم يلتجئ الى الزنا افلا يصيبهُ من وراء ذلك ضرر بصحتهِ

ج . كلاَّ ولكن الضرر من تأخير الزواج قومي فان الامة التي يتأخر رجالها عن الزواج لا يزيد عددها زيادة كافية فتبقى صغيرة مستضعفة . وانتم ترون ان الامم القوية المستعزَّة هي الامم الكبيرة كالامة الاميركية والامة الروسية والامة الالمانية والامة الانكليزية والامة الفرنسوية والامة اليابانية . هذا واذا تساوت بقية الاحوال ولذلك فالرجل الذي يتأخر عن الزواج وإخلاف النسل يضرُّ امتهُ او لا يساعدها المساعدة الواجبة

(١١) طيران الحدأة

ومنهُ . كثيراً ما نرى الحدأة محلقة في الجو تجري بدون ان تحرك جناحيها فكيف يتم لها ذلك

ج انها تجد مجرًى في الهواء فتجري معهُ او تقاومهُ على زاوية منحرفة حتى يدفعها معهُ كما يفعل الملاحون اذا ساروا مع التيار في النيل او ساروا بشيء من الانحراف فانهم يجرون من غير ان يجدفوا وكذا اذا ساروا مع الريح تماماً او على انحراف

(١٢) ماء فيشي

دمنهورة . احمد افندي الالفي ما رأيكم في المعالجة بماء فيشي على انواعهِ

ج . ان الذين يزورون اماكن المياه المعدنية للاستشفاء بشربها يقيمون في اماكن طلقة الهواء وتقدم لهم اطعمة خفيفة مغذية وينقطعون عن الاشغال وعن كل ما كان يتعبهم ويضطرهم الى الاستشفاء فهذه كلها

وامثالها تؤثر فيهم فيستفيدون منها أكثر مما يستفيدون بما في المياه نفسها من العناصر الدوائية المفيدة · وزد على ذلك فعل الوهم فان اعتقاد الانسان بان العلاج الذي يستعملهُ مفيد لهُ يؤثر فيهِ تأثيراً فعليًّا

اما مياه ڤيشي فكانت معروفة مشهورة في زمن الرومانيين ثم بطلت شهرتهما ونسي امرها الى اواخر القرن السابع عشر حينما زارتها مدام ده سڤنيه ووصفتها · وفيها شيء من بي كربونات الصودا وطعمها قلوي فتفيد في حموضة المعدة وتكثير العصارة المعدية ولكن القليل من كربونات الصودا يغني عنها · ويقال انها تفيد في مرض البول السكري والحصاة والنقرس ولكن المرجح ان فعلها هذا قليل جدًّا او هو من قبيل الوهم وفيها ايضاً كثير من الحامض الكربونيك فتفعل فعل الغازوز · وقد حللت فوجد فيها المواد التالية

بي كربونات الصودا	٤٫٨٨٣
« « البوتاسا	٠٫٣٥٢
« « المغنيسيا	٠٫٣٠٣
« « الكلسيوم	٠٫٤٣٤
سلفات الصودا	٠٫٢٩٢
كلوريد الصوديوم	٠٫٥٣٤
حامض كربونيك	٢٫٦٠٠

فهي قلوية من جهة مضادة للحموضة وغازية من جهة اخرى تحرك بها مواد الطعام في المعدة ويزيد ادرار البول

(١٣) نقود النكل المخرومة

مصر · احد المشتركين · هل من داعٍ يدعو لعمل النقود المصرية الجديدة المصنوعة من النكل مخرومة من الوسط

ج · الظاهر ان الغرض من عملها كذلك هو الاقتصاد وصعوبة التقليد فتقل مادتها من النكل ويصعب سبك مثلها

(١٤) سبب اختلاف الجو

ومنهُ · ما سبب اختلاف جو مصر في هذا الشهر فقد كان معتدلاً ثم صار حارًّا جدًّا ثم اعتدل جدًّا ثم زادت حرارتهُ قليلاً

ج · لا يعلم السبب المباشر لاختلاف الحرارة والبرودة في الشهر الواحد من سنة الى أخرى ولا لتعاقبهما في شهر واحد ولكن يقال بنوع عام ان الحرارة تصل الى الارض من الشمس وسطح الشمس مضطرب وتنتأ منهُ مشاعيل تمتد الى ابعاد شاسعة في اوقات مختلفة لا ضابط لها فتؤثر في جو الارض تأثيراً لا ضابط لهُ هذا عدا ما يكاد يكون مضبوطاً من تغير الفصول الجاري على سنن واحد تقريباً · فيحتمل ان يمتد مشعل نحو الارض وقتما يكون نصفها الشرقي متجهاً نحو الشمس ويحتمل ان يمتد وقتما يكون نصفها الغربي متجهاً نحو الشمس او غير ذلك مما لا يقع تحت حصر ولذلك يقع هذا الاختلاف في جو المكان الواحد من شهر الى شهر ومن يوم الى آخر

(٥) سكنى القمر

ومنهُ . هل القمر مسكون وما شكل سكانهِ وهل هم على علم كسكان الارض

ج . لا يحتمل ان يكون مسكوناً بمخلوقات حية مثل المخلوقات الارضية لانهُ يكاد يكون خالياً من الماء

(١٦) كتاب في علم الانسان

احمد افندي عبد العال سلامه . ما هو الكتاب الانكليزي الذين تعولون عليهِ في علم الانسان

ج . الكتب في علم الانسان كثيرة مختلفة ولعلَّ اوفاها بالغرض كتاب الاستاذ تيلر E. B. Tylor's Anthropology

(١٧) اعظم عمل هندسي

ومنهُ . ما اعظم عمل هندسي قام بهِ الانسان

ج . ترعة بناما

(١٨) مدارس تعلم بالمكاتبة

مصر . فؤَاد افندي كنعان . ما هي الجامعات او المدارس التي تعلم بالمكاتبات وتعطي شهادات في انكلترا وفرنسا واميركا

ج . في الزيتون رجل اسمهُ المستر جورج جردم يعلن عن مدارس مثل هذه في المقطم فخاطبوهُ في هذا الموضوع

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر اوغسطس

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٦	١١	٦	مساء
البدر	١٣	٢	٠	•
الربع الاخير	٢٠	٢	٥٣	•
الهلال	٢٨	٧	٢٥	•
القمر في الحضيض	١٢	١١	١٨	صباحاً
• الاوج	٢٤	٧	٠	مساء

السيارات فيهِ

يكون عطارد والمريخ كوكبي مساء . والزهرة وزحل كوكبي صباح

ويشرق المشتري نحو الساعة ١٠ مساء

وفاة العالم متشنيكوف

فجع العلم والطب برجل من اعظم رجالهما بوفاة الاستاذ ايلي متشنيكوف المشهور . استأثرت رحمة الله بهِ بالغاً واحداً وسبعين عاماً قضاها في الدرس والبحث والتنقيب فيما يفيد البشر ويرد عنهم مضض الاوجاع والاسقام ويزيد حياتهم راحة وهناء فهو من العلماء الذين نفعوا بني الانسان نفعاً لو قدرت لهُ قيمة مالية لوازنت الجبال ذهباً

وفضة نفعاً يشترك فيهِ اهل المشارق والمغارب على اختلاف اجناسهم وطبقاتهم ودرجاتهم

وقد كان في نية علماء الارض ان يحتفلوا ببلوغهِ السبعين في شهر سبتمبر الماضي احتفالاً فخماً كالذي اقاموهُ لبستور ولستر زميليهِ ولكن الحرب حالت دون ذلك فاقتصر الاحتفال على اجتماع وفود الجمعيات العلمية من بلدان الحلفاء والمحايدين والقاء الخطب في تبيان فضل المحتفل بهِ على العلم والبشرية

ذاع صيت متشنيكوف في الآفاق منذ ٢٥ سنة ببحثهِ في خلايا الدم البيضاء فانهُ اثبت ان هذه الخلايا الصغيرة تقتل المكروبات المرضية فتعين الانسان على حفظ صحتهِ فمهد بذلك السبيل لكل ما تم في الطب الواقي وضمن نتيجة ابحاثهِ من هذا القبيل كتاباً ضخماً نشرهُ في سنة ١٩٠٦ بعنوان «المناعة في الامراض المعدية»

واستطرد الى البحث في امور اخرى تتعلق بحياة اعضاء الجسم وموتها ووضع في ذلك كتاباً نشرهُ سنة ١٩٠٣ في «طبيعة الانسان»

واخيراً اتجه بحثهُ الى منع الشيخوخة واطالة الحياة وكان قد انتبه لذلك منذ سنوات لما رأى ان الفلاحين في بلاد البلغار يعمرون طويلاً ووجد انهم يكثرون من اكل اللبن الرائب فظن ان بين تعميرهم واكلهم لهذا اللبن علاقة سببية وجعل يبحث عن هذه العلاقة فوجدان اللبن الرائب يحمض طعمهُ بسبب مكروب يسمى مكروب الحامض اللبنيك ولذلك يكون فيهِ مقدار كبير من هذا المكروب. ثم وجد بالبحث ان هذا المكروب يدخل المعدة مع اللبن و يصل الى المعى الغليظ و يتكاثر فيهِ و يلطف بعض السموم التي تكون فيهِ وتضر بالانسان اذا انتشرت في بدنهِ

لما رأى ذلك اشار باستعمال اللبن الرائب علاجاً فشاع هذا العلاج واستعملهُ كثيرون من الاطباء ولكن بقي فريق كبير منهم لا يعتقد بنفعهِ

وظن متشنيكوف ان نفع هذا المكروب يقل اذا لم يجد في الامعاء ما يكفيهِ من الغذاء الصالح لهُ فاهتمَّ بالبحث عما يزيد هذا الغذاء في الامعاء واخيراً اكتشف المسيو ولمن مساعدهُ في معهد بستور مكروباً يولد السكر فسمي غليكو بكتيريوم اي بكتيريوم السكر او مكروب السكر. وقد وجد هذا المكروب اولاً في امعاء الكلاب ولكن يمكن استنباتهُ وتربيتهُ في المعامل واذا دخل جسم الانسان نما فيهِ فيفيد في توليد السكر طعاماً لمكروب الحامض اللبنيك فيقوى هذا المكروب على القيام بعملهِ المفيد وهو ابطال فعل السموم التي تكون في الامعاء

ولا يخفى انهُ اذا نجح اكتشاف متشنيكوف فلا يظهر نجاحهُ جليًّا واضحاً كما ظهر فضل قتل مكروبات الامراض السريعة الفتك

ولكن النتيجة البعيدة التي يؤدي اليها هذا الاكتشاف لا تقدر لها قيمة ولا تكون اقل شأناً من منع الامراض

وكان متشنيكوف استاذاً في دار مباحث باستور في باريس وعضواً في اكاديمية الطب الفرنسوية وفي جمعية الطب الملكية الانكليزية وسائر الجمعيات الطبية المعروفة في العالم. ونال جائزة نوبل سنة ١٩٠٨ مكافأة له على ابحاثهِ المفيدة في الطب

وفي المقتطف مقالات عديدة سابقة الاذيال عن ابحاثهِ المفيدة نشر آخرها في شهر فبراير الماضي

وآخر الاوسمة التي نالها قبل وفاتهِ « مدالية البرت » التي تمنحها جمعية الفنون الملكية الانكليزية للنابغين. وقد قالت انها منحتها له « اعترافاً بقيمة مباحثهِ في اسباب المناعة في الامراض المعدية مما افضى الى تغيير عظيم في صناعة الطب والى تأييد مبادئ لا بدَّ ان تكون ذات نفع كثير في تحسين الصحة العامة »

وآخر ما نشرناه من قلمهِ مقالة اقتطفناها من مقتطف فبراير الماضي بعنوان « مكروب اطالة العمر »

وفاة السر وليم رمزي

نعت التلغرافات في اواخر الشهر الماضي السر وليم رمزي العالم الكيماوي الشهير. وهو من اشهر علماء الارض في الكيمياء ولا سيما الكيمياء الطبيعية وقد اعترف بفضلهِ ملوك الممالك العظيمة فقلدوهُ النياشين مكافأة له على خدمتهِ للعلم والصناعة وأحرز جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ وعين عضواً في الجمعيات الكيماوية في انحاء العالم

وهو في الاصل طبيب ولكنهُ انقطع الى درس الكيمياء والمباحث الكيماوية فاجاد فيها وأفاد وله رسائل وتآليف اكسبتهُ شهرة فائقة وقد نقلنا كثيراً من آرائهِ الى المقتطف وبسطناها فيهِ وسنأتي على ترجمتهِ في العدد القادم

ادواء الامم

ظهر في الشهر الماضي كتاب بالانكليزية عنوانهُ « إلاهة الخضوع — درس في اخلاق الالمان » . وقد حلل فيهِ كاتبهُ هذا الخضوع فقال انهُ مركَّب « من طاعة حبًّا للطاعة وشره في اصدار الاوامر والنواهي وإباء لتحمل المسأولية والابتداء بالاعمال وعجز عن مقاومة السلطة الاستبدادية » . وقال ان هذه العيوب هي عيوب الامة الالمانية فان الاغلبية خاضعة للاقلية خضوع الرَّقيق وهي في يدها ألين من الشمع . وبعد ما صيَّر الالمان انفسهم بروسيين أرادوا ان يتسلوا عن ذلك باكراه غيرهم على قبول سلطة بروسيا وانشاء سلطنة كبيرة في العالمين

وظهر كرّاس آخر بقلم استاذ برتغالي عنوانهُ «الحرب والطب» وهو يتضمن خلاصة خطاب القاه الاستاذ ريكاردو جورج على جمعية لشبونة الطبية قال فيهِ ان الذين بأيديهم مقاليد الامور في المانيا مصابون بفنٍّ من الجنون اسمهُ «بارانويا» ومعهُ اخلاط شديدة من عقلية ونفسية وهي تزداد كل يوم حدَّةً وقد سماها «بنتوتوتانيا» ومن رأيهِ ان جميع الامم تصاب بامثال هذا الداء من آن الى آن ولكن داء الامة الالمانية الحالي أعظم داء عقلي من نوعه بدليل تطرقهِ الى جمهور العلماء الاعلام

ملجأ لاهل الادب

توفيت في انكلترا ابنة السر جورج أفرست الذي سميت أعلى قمم حملايا باسمهِ. وقد اوصت بجعل منزلها ملجأ للذين أدركهم الاعياء من المشتغلين بعقولهم وخصوصاً الكتاب والمصورين. وبجعل حديقة المنزل عمومية وحرماً للطير تربى فيهِ الطيور على أصنافها فلا يمسها احد باذى. وتركت لهذه الغاية ثمانية الاف جنيه

تلسكوب عاكس كبير

أوصت حكومة كندا احد المعامل الاميركية بصنع تلسكوب عاكس كبير قطر مرآتهِ ٧٢ بوصة فأتم المعمل صنعهُ وركبهُ على سبيل التجربة وقد بلغ ثقلهُ جملة ١٢٠ الف رطل منها ٨٠ الفاً ثقل اجزائهِ المتحركة. وهو سهل الحركة الى الدرجة القصوى حتى ان العجل الذي يحرك التلسكوب يمكن ادارتهُ بالاصبع وثقلهُ اربعة الاف رطل

الزراعة في الهند

بلغت مساحة الارض التي زرعت رزاً في الهند سنة ١٩١٣ — ١٩١٤ ثمانين مليون فدان أي عشرة أضعاف الارض التي زرعت رزاً في اليابان. والتي زرعت قمحاً ٢٩ مليوناً وهي أعظم مساحة منها في أي البلاد ما عدا الولايات المتحدة الاميركية. والتي زرعت قطناً ٢٥ مليوناً وهي ثلثا مساحة الارض التي زرعت قطناً في الولايات المذكورة

بعض الاوهام الجنسية

ألف احد الكتاب الانكليز كتاباً أدحض فيهِ بعض الاوهام الشائعة عن تفاضل الامم في هذه الخلة أو تلك فقال ان كلمة «آرية» الكثيرة الاستعمال لا معنى لها اذا أريد بها الجنس فقولنا شعوب آرية خطأ لقصور علمنا في هذا الموضوع وكل ما نعلم ان بعض الشعوب يتكلمون لغات آرية لا غير اذ ليس هناك دليل على ان الشعوب التي تقطن أوربا الآن هي نسل الغزاة الذين ادخلوا اللغة الآرية الاولى اليها

ومن هذه الاوهام ذهاب كثيرين من الكتّاب الى ان أهل الرؤوس الطويلة انبغ من أهل الرؤوس المستديرة ويستدلون على صحة هذا الزعم بالاسوجيين فانهم من ذوي الرؤوس المستديرة وليسوا من الفروع المتفوقة بين فروع الجنس الابيض . وقد ظهر بالاستقراء ان النابغين منهم ذوو رؤوس أقل استدارة من غيرهم

ومنها دعوى الالمان ان اسلافهم فاقوا غيرهم في احترام المرأة وبالغوا في ذلك كثيراً فان فلوطرخس اثبت ان الليغوريين فاقوهم في ذلك كما فاقهم الهنود الاميركيون أيضاً .

وقد جرى الالمان اخيراً على خطة ،آلها تمجيد كل ما في المانيا ونسبة فضائل الى الالمان ليست لغيرهم والمعروف عند المؤرخين ان قسماً من المانيا الشرقية سلافي الاصل وان اهل البلجيك وشمال فرنسا اعرق في الجرمانية من اهل بافاريا

العلم والحق

نظم شاعر انكليزي بيتين يخاطب بهما العلم والحق فيقول له :

« انت لي كاليابسة للبحر فان أصالك ثابت وعلى قدميك التطم على الدوام . لكن من رؤوس شواهقك العالية القائمة تنحات الرمال وتتساقط فيلتقط مدّي منها التبر كل يوم»

حديقة الحيوانات في برلين

كان الالمان يطعمون الحيوانات آكلة اللحوم في حديقة الحيوانات ببرلين قبل الحرب لحم الخيل كما يفعلون في حديقة الجيزة ولكنهم استبدلوهُ الآن بالسقط الذي يطرح في السلخانات وبفضلات المعامل التي تصنع اللحوم المقددة والمحفوظة في علب . وكانت الحيوانات آكلة البقول تطعم الشوفان فصارت تطعم الآن الجذور وتفضلها اذا قدمت اليها مسلوقة

تجربة في السل

تبرعت احدى جمعيات التأمين على الحياة في اميركا بمبلغ ٢٠ الف جنيه لجمعية درس السل ومنعهِ على ان تجرب تجارب تثبت انهُ يمكن كبح جماح التدرن الرئوي وايقافهُ عند حدهِ . وقد اشترطت ان تجرب هذه التجارب في جماعة او مدينة تمثل الامة الاميركية اقرب تمثيل فيعين بينها نفر من الاخصائيين يدرسون حالة كل رجل فيها اصيب بالسل او تعرض لهُ وتدوم التجربة ثلاث سنوات . وغرضها من ذلك مالي كما هو اجتماعي لانهُ اذا قلت وفيات المسلولين زاد ربحها من التأمين على الحياة

رماد الدخان

كتب بعض طوال الروح والوقت مقالة

في احدى المجلات الكيماوية قدَّر فيها ما يمكن جمعهُ من رماد التبغ الذي يشرب في انكلترا كل عام وقال ان ذلك القدر اذا اجتمع عاد بالنفع العظيم على الامة لان في هذا ٢٠ في المئة من البوتاس . وهاك كيفية تقديرهِ قال :

في السيجار العادي ٥,١٠٦ القمحة من التبغ وفي السيجارة ٢٧ قمحة وفي «البيب» ٥,٢٥ القمحة . فيخرج من الاول ٥,٦ القمحة رماداً ومن الثانية ٧٥,١ ومن الثالث ٦,١ . ويمكن ان يجمع من غرفة التدخين في كل نادٍ من الاندية العادية الحجم ٩ ¾ الاوقية من الرماد والدخان غير المحروق في كل ثمانية ايام . ومن غرفة التدخين في الفندق الكبير ٣٦ اوقية في الوقت عينهِ . ومن المطعم الكبير ٢ ½ رطل في ١٠ ايام . ومن قاعة الموسيقى ٤ اواقٍ بعد كل جلسة . وقد ظهر لهُ بعد الحساب عن سنة آخرها ٣١ مارس سنة ١٩١٤ ان زنة الرماد الذي كان يمكن جمعهُ فيها تبلغ ١٣٣٥٩ طنًّا فيها ٢٦٧٢ طنًّا من البوتاس وثمنها ٥١ الف جنيه على حساب الثمن قبل الحرب . فما ينفق على جمعها يا ترى

الموصلات للكهربائية

اذا كانت قوة سلك النحاس لايصال الكهربائيـة ١٠٠ فقوة سلك الالومينيوم المماثل لهُ لايصالها ٤,٥٨ وقوة سلك الزنك ٥,٢٨ وقوة سلك الحديد ٥,١٢ فقط . ولما قلَّ النحاس في المانيا بسبب الحرب امرت الحكومة بابدالهِ بالزنك لايصال الكهربائية على ضعفهِ في جنب النحاس

النور الكهربائي في الخنادق

لما رأَى الفرنسويون ان الخنادق العميقة يكون الظلام فيها شديداً دامساً فلا يرى جنودهم بعضهم بعضاً بل يلتبس عليهم الصديق بالعدو اعطوا كل جندي في فردون قنديلاً كهربائيًّا صغيراً توضع بطريتهُ في جيبهِ فيعرف كلٌّ منهم صديقهُ بهِ مهما اشتدَّ الظلام وهذه القناديل تجعلهم هدفاً لرصاص الالمان ولكن نفعها اعظم من ضررها

الكهربائية في الزراعة

جربت سيدة اسكتلندية اسمها مس ددجن تجارب كثيرة في الكهربائية وفعلها بزراعة البطاطس والشوفان فزاد محصول فدان البطاطس بها ١٢٠٤ ارطال سنة ١٩١٢ و ١٤٥٦ رطلاً سنة ١٩١٣ و ٢٥٧٦ رطلاً سنة ١٩١٤ وزاد محصول الشوفان ٣١ في المئة في السنة الاولى ومحصول تبنهِ ٣١ في المئة ايضاً . وظهر ان الكهربائية تجعل مواد التربة سهلة الذوبان وتسهل على جذور النبات امتصاص الغذاء منها وتزيد تكوُّن السكر والنشا

الدقيق الابيض

ذكرنا في الكلام على الارز في باب تدبير المنزل ان الارز المبيض يفقد مادة اسمها فيتامين فيتعرض الذين يعتمدون عليهِ في طعامهم لمرض البري بري . وقد قام الآن ثلاثة من العلماء ونشروا رسالة ادعوا فيها ان الفيتامين يكون في نخالة القمح والذرة والمادة الجرثومية فيهما فاذا طحنا وتخلا بحيث لا يبقى في دقيقهما شيء من النخالة خسر دقيقهما هذه المادة النافعة جدًّا

قتل الجراد بغاز الكلور

لما استعمل الالمان غاز الكلور لقتل خصومهم انتبه احد العلماء الى استعمالهِ في جزائر فيلبين لقتل الجراد الذي يكثر فيها فيطلق هذا الغاز على ارجال الجراد فيميتها حالاً ويمكن استعمالهُ لقتل الجنادب ايضاً (النطاط) لكن اهالي فيلبين يستعملون لقتل الجراد طريقة اقل نفقة واكثر ربحاً وهي انهم يمسكون الجراد ويشوونهُ ويأكلونهُ ويستطيبونهُ جدًّا وعرب البادية يفعلون ذلك ايضاً والذين ذاقوا الجراد المشوي يقولون انهُ لذيذ الطعم كالسراطين المشوية

ضماخ روماني

وجد خنجر قديم من عهد الرومان في بلد تشينو بسو بسرا فيهِ ضماخ احمر مصفر حُلل كيماويا فظهر انهُ مركب من شمع العسل والدهن والميعة وزيت التربنتينا وقليل من الطرطير او الخمر الذي بقي منهُ الطرطير

حرير الرتيلاء

رأينا هذا الحرير وما ينسج منهُ في معرض باريس منذ ١٦ سنة وكان قد اتي بهِ من مدغسكر ووصفناهُ في المقتطف حينئذٍ . وقد اتضح الآن من البحث فيهِ كيماويًّا ان تركيبهُ الكيماوي يشبه تركيب الحرير العادي وانهُ اذا غطس في الماء ثخن وقصر وهو دقيق جدًّا قطر الخيط من خيوطهِ نحو سبعة اجزاء من الف جزء من المليمتر

مساعدة اميركا لفرنسا

في اميركا جمعية اسمها «جمعية اصدار المصنوعات الاميركية» بين اعضائها مئات من اكبر اصحاب المعامل والمتاجر الاميركية وقد شكلت نقابة صناعية زارت فرنسا في شهري يونيو ويوليو الماضيين لدرس احوالها الاقتصادية درساً مستفيضاً واعادة تنظيم اعمالها التجارية والصناعية بعد الذي نالها من هذه الحرب وترميم معاملها ومصانعها وتجهيزها باحدث الآلات لتمكينها من النهوض والجري في حلبة السباق التجاري الهائل الذي ينتظر بعد الحرب فتكون من المجليات فيها

الفلاح والتعليم

تألفت في الولايات المتحدة الاميركية جمعية غرضها تجربة التجارب لمعرفة تأثير التربية والتعليم في الفلاحين . وقد قابلت بين ٥٠٤ فلاحاً تعلموا علوماً بسيطة في المدارس الابتدائية . و١٠٢ تعلموا سنتين في المدارس الثانوية فوجدت ان دخل الفلاح من النوع الثاني يزيد ٧١،٦ في المئة على دخل الفلاح من النوع الاول

النحل والثمر

بحثت احدى الجمعيات الزراعية الايطالية فيما يقال عن اضرار النحل بالاثمار فرأت ان التهمة باطلة لان النحلة لا تستطيع خرق قشرة الثمرة وهي لا تمص عصارة الاثمار المعطوبة الا نادراً . اما الضرر الذي يعزى اليها من هذا القبيل احياناً فسببهُ الطيور الداجنة والبرية والرياح والبرد وبعض الحشرات كالزنابير وفراش الكرم وغيرها . على ان النحلة تنفع الكروم والبساتين ولا تضرها بنقل اللقاح بين الازهار لحصول على اجود الاثمار وبامتصاص العصارة واللب من الاثمار المعطوبة وخصوصاً العنب فتمنع انتقال العطب منها الى السليمة . وظهر لتلك الجمعية ايضاً ان البساتين والكروم التي يتردد النحل اليها اكثر جنى من غيرها

المدافع لمقاومة الطيارات

يستعمل الالمان الآن لمقاومة الطيارات مدفعاً قطر فوهتهِ ١٠٤ مليمترات وطولهُ ٤ امتار و٦٨ سنتمتراً وهو يقذف قنبلة ثقلها ١٥ ½ كيلو الى علو اربعة كيلو مترات ويمكن اطلاق ١٥ طلقاً منهُ كل دقيقة اي طلقاً في كل اربع ثوانٍ . ويقال ان قنبلة الشرابنل التي يطلقها تتطاير شعاعاً ويخرج من انفجارها ٦٢٥ شظية

عمل القلب في الاماكن العالية

راقب طيار فرنسوي عمل القلب في اثناء الطيران فظهر لهُ ان النبض يزداد سرعة في الطيران من الارض الى علو ٧٥٠ متراً . ومن هذه المسافة الى علو ١٢٥٠ متراً يبقى على ازدياد ولكن بسرعة اقل من الاول . ثم بعد ذلك اي فوق ١٢٥٠ متراً يعود الى سرعتهِ الاولى . وسبب بطء سرعتهِ بين ٧٥٠ و ١٢٥٠ متراً هو ان الهواء يكون عند هذا الحد اهدأ مما يكون تحتهُ والريح اكثر انتظاماً في هبوبها . وفوق هذا الحد يشتد البرد فتزداد سرعة النبض باشتدادهِ . وكلما عصفت بالطيارة ريح زاد نبض راكبها اسراعاً . واذا هم الراكب بالهبوط اسرع نبضهُ قليلاً ثم ابطأ . وسبب ذلك الاسراع تهيبهُ وشعورهُ ببعض الخوف لوقوف حركة آلتهِ وقتياً

السيجار والاتحاد الالماني

ألف لورد ردسدبل كتاباً عما رآهُ ووقع لهُ في العواصم الاوربية ذكر فيهِ القصة التالية قال . كان نواب الممالك الجرمانية الكبيرة والصغيرة يجتمعون كل سنة في مدينة فرنكفورت ينظرون في امورهم ويختمون اجتماعهم بوليمة يشتركون فيها وكان نائب النمسا يرأس الاجتماع والوليمة لان النمسا باتفاق الجميع الوارثة للامبراطورية الجرمانية الرومانية ويقول للنواب في ختام الوليمة انهُ صار يجوز لهم ان يشعلوا سيجاراتهم . وفي منتصف القرن الماضي كانت بروسيا قد قويت واستعزّت فشق عليها ان تبقى السيادة للنمسا في التحالف الجرماني لا سيما وان جانباً كبيراً من سكان النمسا لم يكونوا من الجرمان . ورأى بسمارك ان بروسيا لا تستطيع ان تنال هذه السيادة الاَّ بالسيف فاعدَّ عدَّتهُ لذلك حتى اذا اجتمع النواب واكلوا وشربوا تناول بسمارك سيجاراً وأشعلهُ قبل الكونت بول نائب النمسا ثم قدم عود الكبريت الذي اشعل سيجارهُ الى الكونت بول ففهم النواب من هذا العمل البسيط ان بروسيا عزمت ان تتولى سيادة الممالك الجرمانية . وبعد قليل تحينت فرصة لمحاربة النمسا فحاربتها وقهرتها فتمت لها السيادة فعلاً . ثم حاربت فرنسا وانتزعت منها الالزاس واللورين بدعوى انهما من ممالك الجرمان اصلاً واضرمت في العام الماضي نار الحروب الاوربية لكي تكون لها السيادة على اوربا كلها

الجامعة المصرية

نشر مجلس ادارة الجامعة المصرية تقريرهُ عن السنة المكتبية ١٩١٥—١٩١٦ فاذا دخلها في السنة التي انتهت في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩١٥ بلغ ٦٧٥٥ جنيهاً وهذه مواردهُ

مليم	جنيه	
٠٠	٢٧٠٠	اعانة وزارة الاوقاف
٠٠	١٩٩٦	« المعارف
٩٠٠	٠٠٠٣	اعانة شركة التلفون
٠٧٠	٠١٣٩	رسوم تعلم وامتحان
٢٠٥	١٠٦٦	تشغيل النقود
٢٤٧	٠٧٥٣	ايراد الوقفيات
٨٥٤	٠٠٨٦	ايرادات مختلفة
٤٧٦	٦٧٥٥	المجموع

فهل يمكن ان تقوم جامعة وطنية ودخلها من اوقافها لا يبلغ الف جنيه . ولا نرى لصيرورة هذه الجامعة في الدرجة التي يريدها لها محبوها الاَّ سبيلاً من سبيلين اما ان يوقف عليها اغنياء القطر ما يزيد ريعهُ على عشرة آلاف جنيه او عشرين الف جنيه واما ان تعطى للحكومة لتنفق عليها كما تنفق على سائر مدارسها . وعسى ان تتجه عناية مولانا السلطان الى هذه الجامعة حتى لا تبقى في حالتها الحاضرة من حيث قلة دخلها

نيويورك عاصمة الامم .

مدينة نيويورك باميركا اكبر مدينة يهودية لان فيها مليوناً من اليهود . واكبر مدينة ارلندية لان فيها اكثر من ٦٧٥ الفاً من الارلنديين . وفيها ٧٢٣ الفاً من الالمان و ٧٣٥ الفاً من الروسيين و ٣٠٦ آلاف من النمسويين . وقد بلغت نفقات مجلسها البلدي في العام الماضي اكثر من ٤٢٤ مليون ريال . وفيها من رجال البوليس ١٠٦٧٤ وتبلغ نفقاتهم في السنة اكثر من ١٦ مليون ريال . ويدخل هذه المدينة كل يوم او يخرج منها بسكة الحديد ٢٦٠ الف نفس . ويولد فيها مولود كل اربع دقائق . وفيها ٣٨٠٠٠ معمل رأس مالها ١٨٠٠ مليون ريال تصنع في السنة مصنوعات ثمنها ٢٩٠٠ مليون ريال . ورأس مال بنوكها ٢١٦ مليون ريال وفيها من الودائع ما يساوي ٥٣٧٧ مليون ريال . وعدد فنادقها ١٥٠٠ وتياتراتها ٢٥٠ وكنائسها ١٥٣٥ . ورياضها ١٩٨ . وفي مدارسها ٨٠٢٥٧٣ تلميذاً وتلميذة و ٢٠٠٦٣ معلماً ومعلمة وفيها ١٠٢ من المستشفيات تكفي لنحو ٢٢ الف مريض

برد كبير

وقع برد كبير في ماريلند باميركا في العام الماضي قيس بعضهُ فكان قطر البردة اربع بوصات الى ثلاث بوصات ونصف اي انهُ كان مثل البرتقال وكان وزن بعضهِ سبع اواقي وكانت كل بردة مؤلفة من طبقات مظلمة فشفافة وقد عدَّ في بعضها ٢٥ طبقة متراكزة . ولا يعلم كيف تبقى حبوب كبيرة مثل هذه في الهواء حتى تتكوَّن عليها هذه الطبقات كلها ولكننا نظن انها تكون متحركة بعاصف يصعدها ويخفضها دواماً

ريع احدى هبات كارنجي

ظهر التقرير السنوي العاشر عن هبة كارنجي لتقدم التعليم فاذا ريع هذه الهبة في السنة الماضية بلغ ٦٩٧٨٦٢ ريالاً اي نحو مئة واربعين الف جنيه مصري . وقد بلغت النفقات على تقدم التعليم تلك السنة ٧١٢٨٥٢ ريالاً او اكثر من ١٤٢ الف جنيه فلينظر مجلس ادارة الجامعة المصرية الى ذلك ويستندوا اكف مثل هذا الكريم

الاقتصاد دواء عسر الحال

انفق الانكليز على هذه الحرب الى الآن الفين وثمانمئة مليون جنيه اي نحو سبع كل ثروتهم وهم يقولون انهم لا يستطيعون ان يستردوا الاموال التي انفقوها الا اذا اقتصد السكان كلهم في نفقاتهم البيتية في المأكل والمشرب والملبس . وهذا ما يقولهُ الالمان والفرنسويون

والروسيون والنمسويون والايطاليون. وهذا ما يجب ان نقولهُ نحن في هذا القطر ولو لم نشترك في الحرب فعلاً لان القطر المصري خسر لقلة موسم القطن السابق ورخص الموسم الذي قبلهُ من عشرين الى ثلاثين مليونًا من الجنيهات فوق ما خسرهُ بارتفاع اسعار الحاجيات والكماليات التي يؤْتى بها من الخارج كالفحم الحجري والبترول والمنسوجات على انواعها. وقد اختلف ثمن الواردات في العام من سبعة وعشرين مليونًا من الجنيهات الى اقل من عشرين مليونًا كما ترى في هذا الجدول وهو عن السنوات العشر الاخيرة

السنة	قيمة الواردات
١٩٠٦	٢٤ ٠١٠ ٧٩٥
١٩٠٧	٢٦ ١٣٠ ٧٨٣
١٩٠٨	٢٥ ١٠٠ ٣٩٧
١٩٠٩	٢٢ ٢٣٠ ٤٩٩
١٩١٠	٢٣ ٥٥٢ ٨٣٦
١٩١١	٢٧ ٢٣٧ ١١٨
١٩١٢	٢٥ ٩٠٧ ٧٥١
١٩١٣	٢٧ ٨٦٥ ١٩٥
١٩١٤	٢١ ٧٢٤ ٦٠٦
١٩١٥	١٩ ٣٢٨ ٩٩٣

فاذا اعتدل اهل القطر كلهم اغنياؤُهم قبل فقرائهم في نفقاتهم حتى لا يزيد ثمن الواردات على عشرين مليونًا من الجنيهات استطاع القطر ان يسترد في اربع سنوات ما خسرهُ في هاتين السنتين والاَّ زاد تراكم الديون عليهِ وفقد جانبًا كبيرًا من اطيانهِ التي هي ثروتهُ الحقيقية

اقتباس انكلترا للنظام العشري

اصدرت الجمعية العشرية الانكليزية تقريرًا قالت فيهِ ان الحرب الحاضرة اظهرت لانكلترا خطأها تمسكها بنظام المقاييس المتبع فيها وحدها دون غيرها. وان وجود عدد كبير من الجنود الانكليزية في فرنسا والبلجيك ساعد كثيرًا على تقريب النظام العشري من افهام الجمهور الانكليزي . ثم ابدت املها ان الحكومة تغتنم هذه الفرصة السانحة لاقتباس النظام العشري اسوة بسائر امم اوربا فلا يغبن التاجر الانكليزي وتكسد تجارتهُ بسبب اصرارهِ على نظام المقاييس الحالي المتبع في بلادهِ

مجموعة بيانوات قديمة

اهدى احد الاميركيين الى متحف وشنطن مجموعة من البيانوات القديمة عددها ٧٠ اقدمها بيانو صنع في اواخر القرن الثامن عشر . ومع هذه المجموعة مئات من الصور الفوتغرافية لبيان ادوار ارتقاء هذه الصناعة من اول عهد الناس بها الى اواسط القرن الماضي

عالم الماني يعتذر

يذكر القراء المنشور الذي كتبهُ ٩٣ عالمًا من كبار علماء المانيا في اوائل الحرب ونشروهُ في جميع انحاء المسكونة يبرئون فيهِ حكومتهم من وصمة هذه الحرب ويلقون كل اللوم على الحلفاء . على ان احدهم وهو الاستاذ بلانك استاذ الطبيعيات الرياضية في جامعة برلين ارسل اخيرًا كتابًا الى صديق لهُ من علماء انكلترا اعترف فيهِ بان لهجة المنشور كانت شديدة الى حدٍ افضى الى سوء فهم العواطف الحقيقية التي كانت تدبُّ في صدور كاتبيهِ وهذا مما يبعث على الاسف . قال « اما رأيي الذي يشاركني فيهِ اربعة من زملائي (وقد ذكر اسماءهم) فهو ان المنشور كتب وامضي في اسابيع الحرب الاولى والعواطف الوطنية في اوج حدتها وشدتها . ولا يمكن احدًا الآن ان يبدي رأيًا معقولًا مبنيًا على الحقائق العلمية في المسائل التاريخية العظيمة المتعلقة بهذه الحرب . ولكن الذي اريد ان اوجه انظاركم اليهِ هو انهُ بالرغم من الحوادث الهائلة التي تجري حولنا بتُّ اعتقد ان وراء حدود حرب الامم هذه بقاعًا ادبية وعقلية وان التعاون الشريف وتنمية العلاقات الثمينة بين الامم المختلفة واحترام رعايا الاعداء احترامًا شخصيًا — هذه كلها لا تناقض البتة حبَّ المرء لبلدهِ حبًّا جمًّا وخدمتهُ اياهُ بجميع جوارحهِ »

ترشيح ماء الشرب

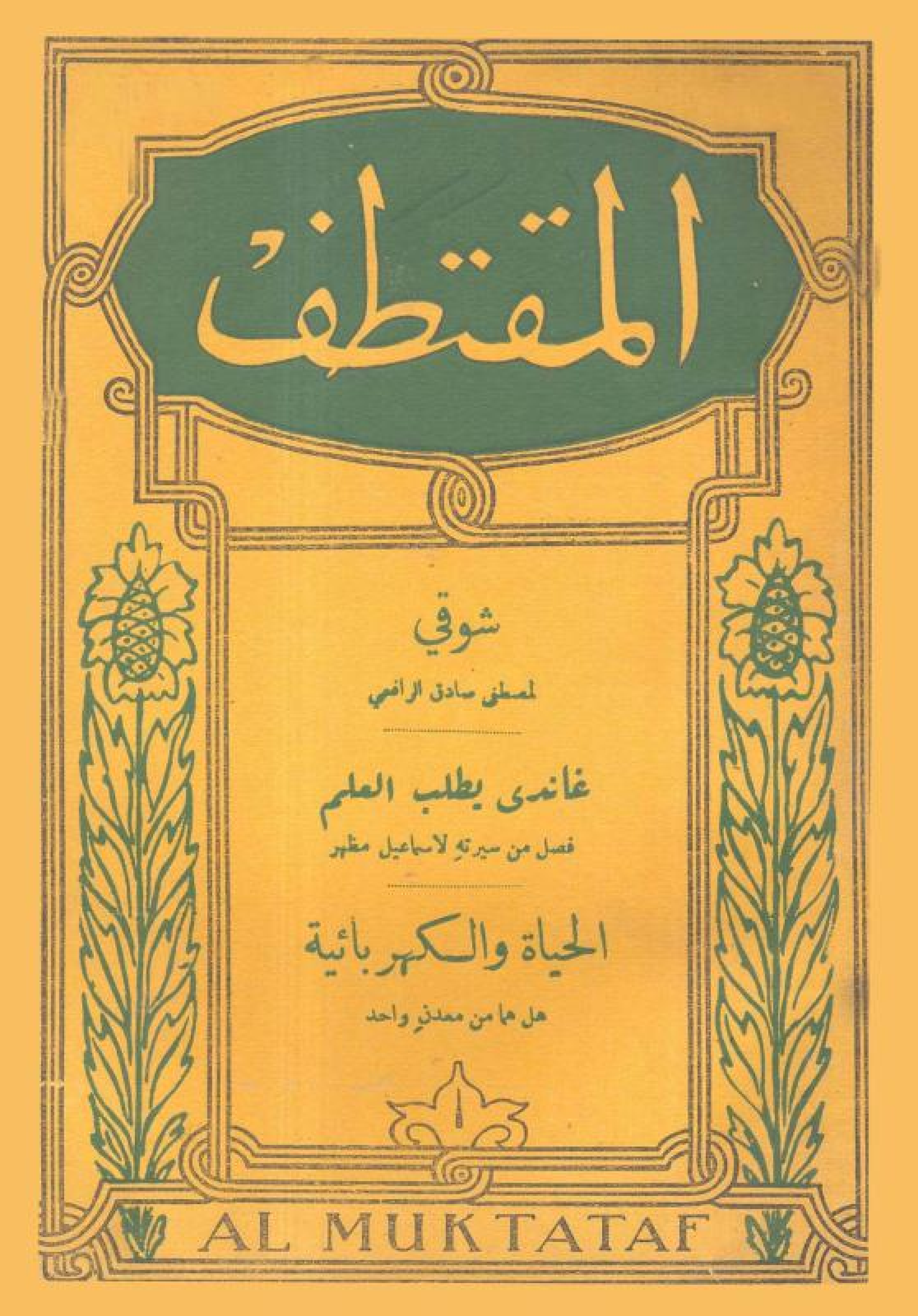
من رأي احد علماء الانكليز ان طريقة ترشيح الماء التي اخترعها بويش وشابال هي خير الطرق لتصفية الماء اقتصاديًا وصحيًا . ونحواها امرار الماء في مصفاة مملوءة بمواد مختلفة الحجم من الحصى الكبيرة في اعلى المصفاة الى الرمل الدقيق في ادناها فان معظم الشوائب التي في الماء ترسب على الحصى وما تحتها فاذا بلغ الماء الرمل كان خاليًا من الشوائب . اما تطهير الماء مما فيهِ من المواد الآلية فيتمُّ بواسطة حييويناث تكون في الرمل ويكون عملها تحويل الامونيا الى حامض نتروس ونتريك . وعندهُ ان هذه الطريقة البطيئة افضل من طريقة المرشحات المعروفة التي تعتمد على ضغط الماء وامرارهِ بقوة ذلك الضغط وسط مسام المرشحات

السر غستون مسبرو

نعت المجلات العلمية السر غستون مسبرو اكبر علماء الآثار المصرية ومدير دار الآثار المصرية سابقًا توفي فجأة بباريس في ٣٠ يونيو الماضي وسنأتي على ترجمتهِ في المقتطف التالي

فهرس الجزء الثاني من المجلد التاسع والاربعين

صفحة


المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرته لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدنٍ واحد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين

١ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣ ذي القعدة سنة ١٣٣٤

شكسبير

كيفية وصوله الى الشهرة

ذكرنا في الجزء السابق ان شكسبير اضطرَّ ان يترك المدرسة وعمره اربع عشرة سنة لان اباهُ احتاج اليهِ لكي يساعدهُ بعد ما اصيب بضيق مالي · وقد ذكر بعض معاصريهِ انهُ ساعدهُ فعلاً في بعض الاعمال التي اكتفى بها بعد ان ضاقت دائرة عملهِ لضيق ذات يدهِ اي ذبح الغنم والبقر وبيع الجلود والصوف· وروي انهُ علَّم ايضاً في مدرسة صغيرة لانهُ كان عارفاً باللاتينية ودخل مكتب احد المحامين مساعداً لهُ · وسواءٌ صحَّت هذه الروايات اولم تصح فلا شبهة في انهُ اقام بضع سنوات بعد خروجهِ من المدرسة يتوخَّى مختلف الاعمال لكي يكتسب ما يعين بهِ اباهُ كما يفعل كثيرون من الشبان لدى خروجهم من المدرسة · والحاجة تفتق الحيلة ولاسيما اذا عاش المرء في نعمة ثم حُرِمها · والظاهر ان الالعاب التي شاهدها في صباهُ كانت تخطر على بالهِ وهو ميال اليها بالطبع ومجالها واسع في ستراتفورد في النهر والحقل والغاب فشارك الشبان فيها الى ان صار يدخل حرم الاغنياء ويصطاد ما فيهِ من الغزلان وهو امر محرَّم عندهم لكن الذي يقدم عليهِ تقوى فيهِ ملكة اقتحام المخاطر لانهُ ليس سرقة تعاب على اصحابها بل هو نوع من التسلي فيهِ شيء من الكسب· ومن هؤلاء الاغنياء رجل اسمهُ السر توماس لوسي· ويقال ان هذا الرجل قاضاهُ لاعتدائهِ على الصيد في حرمهِ فنظم شكسبير قصيدةً في هجائهِ فزاد غيظاً وخاف شكسبير تبعة عملهِ فهجر ستراتفورد وجاء لندن· ويقال ان السر توماس لوسي كان من المتحمسين في مذهب البروتستانت وكانت ام شكسبير من الكاثوليك وقد قصد واحد من اقاربها ان يغتال الملكة اليصابات فحوكم وحكم عليهِ بالقتل وان ذلك حمل السر توماس لوسي على الانتقام من شكسبير لما دخل حرمهُ

للصيد فيهِ فزاد شكسبير غيظاً منهُ لانهُ جعل التعصب وسيلة للانتقام وحفظ الصيد واشار الى هذه الحادثة في بعض رواياتهِ مورّياً عنها

وفي تلك الاثناء اقترن بفتاة اسمها حنة هاثواي وكان عمرهُ تسع عشرة سنة لاغير وعمرها سبعاً وعشرين سنة وكانت الصداقة محكمة بين بيت ابيها وبيت ابيهِ وتدلُّ الدلائل كلها على ان زواجهُ الباكر جعلهُ «يركز» ويقلع عن سخافات الصبا ويوجه كل قواهُ الى ما يصلح شؤُونهُ ويرفع مقامهُ بين قومهِ وكانت زوجتهُ من فضليات النساء فعاونتهُ وادارت بيتهُ بالحكمة والسداد حتى اغنتهُ عن الاهتمام بهِ ومكّنتهُ من الانصراف الى عملهِ فانهُ من حين تزوج غيّر سيرهُ السابق وعكف على العمل المنتج. ورزق منها ابنة في السنة الاولى وتوأمين بعد سنتين ابناً وابنة فصار لهُ زوجة وثلاثة اولاد وهو في الحادية والعشرين من عمرهِ فثقل الحمل عليهِ. والحازم الندب لا يرزح تحت الحمل الثقيل بل يزيد همةً ونشاطاً فنظر الى ما حولهُ ورأى ان لا سبيل لهُ للكسب الكافي الاَّ في العاصمة وفي ملاعبها وكان قد مارس التمثيل في بلدهِ ورأى بعض بوادر الفلاح فيهِ

ولا يُعلَم تماماً في اية سنة قصد مدينة لندن لهذه الغاية ولكن يعلم ان ثلاثة «اجواق» من اجواق التمثيل جاءت ستراتفورد سنة ١٥٨٧ وكان في احدها ثلاثة من ابناء بلدهِ فلا يبعد ان يكون قد رافق واحداً منها حينئذٍ الى لندن ومن المحتمل ان يكون قد ذهب الى لندن قبل ذلك وعاد الى بلدهِ مع احد الاجواق التي جاءتها سنة ١٥٨٧. ويروى انهُ لما ذهب الى لندن اولاً لم يكن يباح لهُ ان يشترك في التمثيل بل كان يقف امام باب الملعب يمسك خيول الذين يأْتونهُ من جلّة القوم راكبين واستخدم لذلك بعض الاولاد فكانوا يسمون اولاد شكسبير. وليس في هذه الرواية ما يحط من قدرهِ ان صحت بل هي تدلُّ على حبهِ للعمل ومقدرتهِ على تنظيمهِ

والمرجح انهُ عُني حينئذٍ بتعلم الفرنسوية والايطالية لكي يقرأَ ما فيهما من التواريخ والقصص التي تساعدهُ في صناعة التمثيل وتأليف الروايات. وكان استاذهُ في هاتين اللغتين رجل اسمهُ جون فلوريو وقد وُجدت قصيدة في مدح فلوريو هـذا والمرجح انها من نظم شكسبير اي انهُ مدح فلوريو لعلمهِ وفضلهِ كم ذمَّ السر توماس لومي لبخلهِ وتعصبهِ فاستخدم قريحتهُ في الحالين للتعبير عما في نفسهِ. وقد وجدت نسخة من مقالات مونتانيه الكاتب الفرنسوي المشهور وثبت بالادلة القاطعة انها كانت تخص شكسبير وعليها اسمهُ بخطهِ وهي التي حررها وطبعها فلوريو. وكان فلوريو وشكسبير صديقين للورد سوثهمبتون وكان

هذا الشريف يجلُّ قدرها لانهُ كان كريماً جواداً ومن انصار الآداب والمعارف واليهِ اهدى شكسبير قصيدتهُ البليغة التي سماها تموز والزهرة (ادونس وڤينس)وقصيدتهُ الاخرى المسماة لوكريس

وتعلَّم شكسبير للايطالية والفرنسوية لمطالعة كتبها ورواياتها لا ينفي ان يكون قد قرأ بالانكليزية ما تُرجم اليها منهما في ذلك العهد وبنى عليهِ كثيراً من رواياتهِ . وقد كان كثيرون من شركائهِ في التمثيل عارفين باللغة الايطالية ومن الذين ساحوا في ايطاليا وشاهدوا التمثيل فيها

وواظب على ممارسة التمثيل والاستعداد لهُ بدرس اللغات والمؤلفات الى ان بلغ سنة ١٥٩٢ درجة يُحسَد عليها . والمرجح انهُ كان حينئذٍ قد انشأ ثلاثاً من رواياتهِ التمثيلية ونجح في اختيار المواضيع التاريخية لها ففاق بذلك معاصريهِ وجمع بين التمثيل وانشاء الروايات كما يظهر من طعن احد معاصريهِ عليهِ وهو عالم اسمهُ غرين فانهُ انف من ان قرويًّا مثل شكسبير يخرج في مدرسة عالية يزاحمهُ في صناعتهِ ويفوقهُ فيها . لكن غرين هذا لم يسعهُ الاَّ ان شهد لشكسبير بالاجتهاد والمقدرة والنجاح كممثل وكمنشىءٍ . وزاد شكسبير همَّة ونشاطاً بعد ذلك فنظم في ست سنوات قصيدتيهِ تموز والزهرة ولوكريس وخمس عشرة رواية من رواياتهِ وبعضها من نوع التراجيديا وبعضها من الكوميديا وبعضها من الروايات التاريخية وعُرف حينئذٍ انهُ من نوابغ الشعراء واكابر المؤلفين والممثلين

واتفق ان العصر الذي قام فيهِ كان عصراً تزهو فيهِ القرائح ولا تخمل وتموت . عصر الملكة اليصابات المشهور في تاريخ البلاد الانكليزية بارتقاء كل شيءٍ وطني وبكسر قيود التقاليد والاوهام وحسبانها الد اعداء الانسان وانصراف الناس الى ما يعلي شأن وطنهم ويعيد لهم ذكرى ملوكهم السالفين . فتهيأت للتمثيل الوطني افضل المعدات في الافكار والآراء كما كادت تتهيأ للتمثيل العربي في هذا العصر اذا عرف الممثلون كيف ينتهزون هذه الفرصة التي يراد بها اعادة مجد العرب . وكما تهيأت في اثينا على عهد بركليس

وكانت دور التمثيل قد انشئت في ضواحي لندن واجيز لها رسميًّا ونسبت الى عظماء المملكة وتعددت الاجواق التي تمثل فيها . والجوق الذي انتظم شكسبير فيهِ كان اسم رئيسهِ برباج وهو رجل همام اقام داراً خصوصية للتمثيل في لندن نفسها سميت بالتياترو وهي اول مشهد تمثيلي اقيم في لندن ثم اقام داراً ثانية مسقوفة وعليهِ فلما اتى شكسبير لندن كانت دور التمثيل منتشرة فيها وفي ضواحيها وهي مكشوفة كلها الاَّ الدار الاخيرة التي

اقامها برباج في بلاكفريز فانها كانت مسقوفة يُمثَّل فيها زمن المطر · وكان حاكم المدينة وشيوخها و بعض القسوس غير راضين عن التمثيل لكن اذا وضع الشيء في محلهِ فالمقاومة تزيده رسوخاً كما تفعل الرياح بالاشجار فان بيت الملك واشراف المملكة وجمهور الشعب كانوا راضين عن التمثيل راغبين فيهِ · ثم اشتركت الاجواق كلها واختير منها اثنا عشر ممثلاً سموا بممثلي المملكة وكان اكثرهم من جوق امير لستر فكانوا يمثلون امام الملكة اليصابات وحاشيتها ·

وتوفي برباج وخلفهُ ابنهُ رتشرد برباج وكان اعلى منهُ همة فاعاد بناء التياترو المسقوف ووسعهُ واشترك مع شكسبير لانهُ رأى براعتهُ في التمثيل وفي انشاء الروايات التمثيلية فنال جانباً كبيراً من الربح · وبني حينئذٍ التياترو الكبير المعروف بتياترو الكرة ودامت روايات شكسبير تمثَّل فيهِ خمس عشرة سنة في فصلي الصيف والخريف وفي التياترو المسقوف في الشتاء والربيع

ولما آل الملك الى الملك جمس الاول اغدق نعمهُ على ممثلي المملكة فسموا ممثلي الملك

وقد حقق كتَّاب الانكليز اي الروايات مثِّل في هذا التياترو اولاً وايها مُثِل في ذاك وكيف توسَّع شكسبير في تأليفها من وقت الى آخر فزاد فيها ونقص منها و كيف انهُ كان يكتفي بالتأليف او بكتابة رؤوس الاقلام وغيرهُ ينسخ ويحرر وينقح مما لا حاجة بنا الى الاطالة فيهِ لان ليس غرضنا ان نبين ما انشأهُ هو وما يقال ان غيرهُ انشأهُ ونسب اليهِ وانما غرضنا ان نبين اسباب نجاحهِ

والظاهر ان التمثيل نفسهُ كان قد ارتقى في عهد شكسبير من حيث انشاء الروايات ومن حيث تمثيلها وكان قد انقسم فرعين كبيرين واختار طريقين مختلفين الواحد اعتمد على ما يسمَّى باللغة الفصحى والامور القديمة كما لو انشأ عندنا منشئ رواية باللغة التي كانت مستعملة في عصر امرئ القيس واكثر فيها من الالفاظ المفخمة والتعابير المقعرة والامثال القديمة لكي يعلو عن مدارك الجمهور والف آخر رواية على اسلوب عصري واكثر فيها من التعابير المألوفة والامثال المأنوسة ولو عامية · وقد اختار بعضهم اسلوباً متوسطاً بين هذين الاسلوبين كما يختار المؤلف منا في انشائهِ ما يسمَّى بالسهل الممتنع فلا تقعروا كالمتفاصحين ولا ابتذلوا كالمتهتكين بل جمعوا بين قصص القدماء ومعانيهم واساليب المحدثين في التعبير الصحيح عنها وطبقوها على عصرهم ورصعوا رواياتهم بالشعر النفيس والغناء المطرب وكل ما يلذ للخاصة والعامة و يهذب اخلاقهم و يثقف عقولهم ويزيد حبهم لوطنهم · وظهر شكسبير في تلك الاونة فحقق كل ما ينتظر من ذلك الاسلوب بعد ان وطد اركانهُ واعلى منارهُ وربما توسعنا في هذا الموضوع في فرصة أُخرى

غستون مسبرو

نعى البرق الينا المرحوم المسيو غستون مسبرو المدير السابق لدار الآثار المصرية واكبر علماء الآثار المصرية في هذا العصر · توفي فجأة في ٣٠ يونيو الماضي بباريس وهو يشهد جلسة لمجمع الكتابات القديمة والآداب · وقد جاءتنا مقالة عنهُ لحضرة صاحب الامضاء قال فيها ما خلاصتهُ :

مثل مسبرو من نظهرهُ اعمالهُ وامثالهُ قليلون · وهو ايطالي الاصل ولكنهُ ولد في باريس في ٢٣ يونيو سنة ١٨٤٦ فيكون قد عاش ٧٠ سنة واسبوعاً واحداً

اسس المتحف المصري ماريت باشا في عهد سعيد باشا والي مصر ولا يزال لهُ في سقارة منزل معروف باسمهِ · وقد مات في مصر ودفن في حديقة المتحف الذي أسس اولاً في بولاق واقيم لهُ تمثال في المتحف الجديد بقصر النيل وسمي اكبر شارع تجاه المتحف باسمهِ . وتولَّى ادارة المتحف من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٨١ · وخلفهُ مسبرو لاول مرة حتى سنة ١٨٨٦ ثم جريبو الى سنة ١٨٩٢ · ثم دي مورجان الى سنة ١٨٩٧ · ثم لوريه الى ١٨٩٩ · ثم صاحب الترجمة من ١٨٩٩ الى ١٩١٤ حينما استقال في اوائل هذه الحرب وعاد الى باريس · وكان لهُ نجلان هنري وجان · فانتظم جان في الجيش الفرنسوي وقتل في اوائل سنة ١٩١٥ · فلما وافى اباهُ نعيهُ أُصيب بداء عضالٍ ما زال بهِ حتى قضى عليهِ · وكان ابنهُ جان كاتباً لهُ ثلاثة موءلفات في النظامات الحربية المصرية في عهد الدولة البيزنطية · واشتغل بالفهرس العام لدار الآثار المصرية وهو ثلاثة اجزاء صحح الاخير قبلما قُتل موتهِ · فانهُ كان قد أُصيب بجرح ومنح اجازة قضاها في تصحيح هذا الجزء · وقد طبعهُ والدهُ بعد وفاتهِ وصدَّرهُ بمقدمة بليغة شرح فيها عظم مصابهِ بابنهِ وختمها ببيان موءلفاتهِ ومقالاتهِ العديدة المطبوعة في المجلات العلمية

كتب المترجم كثيراً وخطب كثيراً في الاندية والمجتمعات العلمية · وكان شاعراً يظهر اثر شعرهِ وخيالهِ السامي في وصف آثار مصر المدهشة فاذا وصف حقائق المدنية المصرية القديمة لم يترك مجالاً لقائل · وكان غاية في التواضع حتى لم يكن يرضى الوقوف امام المصوّر لاخذ صورتهِ فلذلك نرى صورهُ الفتوغرافية قليلة لا نعرف منها غير صورة اخذت يوم رأس المعهد العلمي المصري في القاهرة ووجدت لهُ صورة اخرى صورت سنة ١٩١٢ . وهي تمثلهُ واقفاً بجانب آثار دير المدينة او الدير البحري في طيبة بعد اكتشافاتهِ المشهورة · وقد بلغني ان حضرة احمد بك كمال الامين المصري لدار التحف السابق مشتغل بوضع ترجمة وافية للفقيد يذكر فيها اعمالهُ وآثارهُ ونم العمل

والى القراء اسماء مؤلفاتهِ نقلاً عما هو محفوظ في دار الكتب السلطانية

الكتابة المنقوشة في هيكل ايدوس (العرابة المدفونة في البلينا) . نقلها وترجمها الى الفرنسوية وعلق عليها واتبعها بنبذة في شباب سيزوسترس . طبع في باريس سنة ١٨٦٧ طبعة حجر في ٨١ صفحة

مديح النيل . نقلهُ عن النصوص المحفوظة في دار التحف البريطانية . طبع في باريس طبعة حجر سنة ١٨٦٨ في ٣٢ صفحة . وقد ترجمهُ احمد بك كمال ونشرهُ في كتاب العقد الثمين في محاسن اخبار وبدائع آثار الاقدمين من المصريين وهو مذكور في تاريخ المشرق الذي ترجمهُ سعادة احمد زكي باشا

مؤلف في اصول اللغة المصرية القديمة باشكالها الثلاثة — الهيروغليفية والديموتيقية والهيراتيقية . طبع على حجر في باريس سنة ١٨٧١ . وكان عارفاً باللغة القبطية نطبع شذرات من العهد القديم بالقبطية الصعيدية وجدت في الدير الابيض باخميم . واشتغل بالاوراق البردية واطال البحث فيها بعد ان اكثرت متاحف اوربا من اقتنائها وتهافت العلماء على الفلاحين لمشتراها منهم . وكان الفلاحون يجدونها في اكوام السباخ

تاريخ امم المشرق القديمة . وهو في ثلاثة اجزاء طبع في باريس من سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ وترجم الى الانكليزية بقلم الاستاذ سايس وماك كلور وبرابورت في ١٢ جزءا

تحقيق قضائي في طيبة في عهد العائلة العشرين . طبع في باريس سنة ١٨٧١ ، في ٨٦ صفحة

وقد ترجم من اللغات الاوربية الى الفرنسوية ما رآهُ نافعاً في موضوعهِ كما ترجمت مؤلفاتهُ الى تلك اللغات . وكان يوافي الجرائد والمجلات بمقالات ونبذ ورسائل نافعة كما سنحت لهُ الفرصة وببيانات اعمال مجمع الكتابات والآداب في باريس من سنة ٨٨' وكان سكرتيرهُ الدائم . وفي قاعة محاضراتهِ قبض الى ربهِ كما تقدمت الاشارة اليهِ . وكان يتحف اعضاءهُ كلما أم باريس لقضاء اجازتهِ السنوية فيها بمقالات لها المقام الاول او يراسل بها الرئيس فتقرأ بين اعجاب الاعضاء وثقتهم بعلم صاحبها . وكان عضواً في معهد فرنسا العلمي (الانستتو) وفي لجنة تحرير مجلة العلماء التي تصدر في باريس منذ قرن من الزمان وفي جمعيات علمية كثيرة اجنبية كالجمعية الاسيوية الملكية في انكلترا وفي ايطاليا

وكان عالماً باللاتينية وقد وضع رسالة بها سنة ١٨٧٢ في مكان كركميش وعلاقتها بالتاريخ القديم . وعلى بحثهِ في التاريخ القديم صنعت الاطالس والخرائط القديمة . ولم يعقد مؤتمر دولي للمستشرقين الاَّ ولصاحب الترجمة المقام الاول فيهِ . وكان يختار لرآسة القسم

الشرقي فيه عامة او القسم المصري خاصة · وكان يكتب بعض المقالات او مقدمات الكتب بالانكليزية والايطالية والالمانية واليونانية القديمة مما دل على تضلعهِ منها

واشتغل بوضع مؤلف خاص بالحكايات المصرية القديمة وجمع المواويل وما ينشد نظماً في مصر باللغة العربية العامية وترجمهُ الى الفرنسوية وطبعهُ بها · وكان يكتب في المجلة المعروفة باسم مجلة اللغة المصرية ولهُ فيها مؤلفات عديدة في القضاء المصري في عهد الفراعنة · وكانت الحكومات الاجنبية التي اقتنت آثاراً مصرية تنتدبهُ لايضاحها وبيان مكانها من تاريخ مصر · ومن اعظم آثارهِ فهرست المتحف المصري اتمهُ في مدينة مرسيليا سنة ١٨٨٩ · وقد جمع شتات ابحاثهِ في مجلدين طبعهما معاً · وصدر بادارتهِ ٣٥ مجلداً من مقالات المشتغلين باللغة المصرية القديمة من الفرنسويين وعلق عليها ما عنَّ لهُ من الآراء

وكانت الحكومة الفرنسوية قد اوفدت الى مصر جماعة من العلماء عرفت باسم البعثة الفرنسوية الاثرية فبدأت عملها سنة ١٨٨٠ واصدرت نحو ٣٠ مجلداً في آثار مصر من فرعونية واسلامية عربية فشاركها صاحب الترجمة في اعمالها واختص بالعهد الفرعوني · ثم غير اسمها الى المعهد الفرنسوي العلمي ومقرهُ الآن في المنيرة حيث مدرسة الحقوق الفرنسوية · وقد عهدت الحكومة المصرية اليهِ في الاشراف على اعمال الحفر والنقب عن العاديات بعد ما ثبت لها انهما عملان متلازمان · فعين في كل مديرية مفتشاً للآثار واقام الخفراء للمحافظة على الآثار خوف تلاعب الطامعين بها بعد ان نهبوا منها ما نهبوا ولكنهُ لم يكن يمنع البعثات العلمية الاوربية من الحفر على نفقاتها وسنَّ لها قانوناً نقح مراراً

وآخر ما اشتغل بهِ في هذا القطر المعابد المصرية التي غمرها ماء النيل بعد بناء خزان اسوان من جزيرة انس الوجود الى النوبة · وسعى جهدهُ فرممها لتقوى على صروف الحدثان · وسرعان ما تولى ادارة المتحف المصري حتى طبع سنة ١٨٨٣ الدليل المشهور · وقد تكرر طبعهُ بزيادة ما اكتشف من الآثار سنة فسنة · وآخر طبعة لهُ كانت سنة ١٩١٤ وفيهِ مقدمة من انفس ما كتب عن انشاء المتحف وسبب تأسيسهِ والادوار التي تقلب عليها حتى بلغ دورهُ الحاضر

واما انفك يكتب في المجلات المصرية ويخطب في الاندية المصرية · ولطالما شنف اسماع اعضاء نادي المدارس العليا في القاهرة والجمعية الاثرية في الاسكندرية ونادي رمسيس في القاهرة · وخطبتهُ الاخيرة في نادي رمسيس مشهورة فانها طبعت على حدة وعربت بعد موافقتهِ على تعريبها وطبعها وقد القاها في ١٩ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وموضعها الروابط التي تربط سكان مصر الحاليين بسكانها القدماء (وقد نشرت في مقتطف يناير سنة ١٩٠٩)

ومما يدلُّ على شدة حبهِ لمصر وآثارها وغيرتهِ على مصلحتها الحادثة الآتية . وخلاصتها ان المدعو محمد احمد عبد الرسول من اهل القرنة عثر على كنز ثمين للملكة هاتاسو من العائلة الثامنة عشرة في معبد الدير البحري غربي لقصر فسلب منها مع افراد عائلتهِ شيئاً كثيراً وباعوهُ للسياح . وما عتم ان طار صيت هذه الكنوز في اوربا فسمع مسبرو بذلك وقدم مصر واخبر داود باشا مديرقنا يومئذٍ بالامر . فبالغ في ارهابهم وسجنهم شهرين ليعترفوا بخبيئتهم فما ازدادوا الاَّ انكاراً فاطلق سراحهم . ولكن وقع نزاع بين السارقين فارسل محمد المذكور تلغرافاً الى مصلحة الآثار في يوليو سنة ١٨٨١ يخبرها فيهِ بحقيقة الحال ويرشدها الى مكان الكنز فباشرت مصلحة الآثار الحفر في اطلال المعبد اسبوعين فوجدت نواويس وجثثاً للعائلة الثامنة عشرة الى الحادية والعشرين بينها جثة رمسيس الكبير من العائلة التاسعة عشرة فنقلت كلها الى المتحف المصري وهي من انفس الآثار

اما العمل الاكبر الذي اقدم عليهِ فهو الفهرس العام للآثار المصرية المحفوظة في متحف القاهرة . ولم يبدأ بهِ الاَّ بعد ترتيب الآثار وتغيرها في مكانها الحالي . وقد عرفت الحكومة قيمة هذا العمل النافع فطبعت هذا الفهرس الوافي على نفقتها وعينت المكافآت للعلماء الاختصاصيين من فرنسويين وانكليز والمان وغيرهم وندبت لكل قسم من يشتغل بهِ و يصف محتوياتهِ . وقد طبع بعض هذا الفهرس ولا يزال يطبع الى الآن ومما يذكر انهُ لما وفد اعضاء المؤتمر الدولي الثاني للآثار اليونانية على هذا القطر لعقد مؤتمرهم في القاهرة باعتبار ان مصر كانت يونانية من عهد اسكندر المقدوني موسس الاسكندرية والبطالسة خلفائهِ كان المترجم اول من رحَّب بهم باسم علماء مصر وانتخب رئيساً للمؤتمر وخصوصاً القسم الاثري فيهِ

واشترك في المعارض الاوربية والاميركية منظماً للمعروضات المصرية كما فعل ماريت باشا اذ نظم القسم المصري في معرض باريس العام الذي عقد سنة ١٨٦٧ فباهت مصر بآثارها . ولا يخفى انها كانت في ذلك العهد عهد اسمعيل باشا في طور التكوين ولم تكن آثارها المكشوفة قد بلغت عشر معشار ما بلغتهُ الآن بفضل ما بذل مسبرو وعلماء من السهر والعناية . فلا بدع اذا اقيم لهُ اثر وسمي احد الشوارع باسمهِ اسوة باهل الفضل على مصر من قومهِ مثل ماريت باشا وكلوت بك وسواهما

توفيق اسكاروس
بدار الكتب السلطانية

الشيخ ابراهيم الحوراني

(٤) في الشعر

مما ارويهِ من اوائل شعرهِ بيتان نظمهما ليكتبا تحت رسمهِ وهما :—

يا معشرَ الاهل ذا رسمٌ يذكركم ... أوفى محبٍّ بقي بالعهد للابدِ
اودعتُ روحي حماكم بعد فرقتكم ... فبشروا الروحَ هذي صورةُ الجسدِ

وبيتان آخران بهذا المعنى وهما :—

رسمي يمثلني لمقلةِ من بهِ ... ولَهي وروحي في حماهُ تُقيمُ
يعقوبُ أشواقِ اليكم مهجتي ... وانا بدينِ الحبِّ ابرهيمُ

وصاغ ابياتاً في السواك قال فيها :—

شاهدتها وسواكها في لؤلؤ ... بين العقيق فكان دمع الباكي
قالت بكى حسداً فقلتُ يغيرني ... تقبيل عود بشامةٍ وأراكِ
قالت وهبتُ لك السواك فقلت لا ... ولماكِ مالي حاجة بسواكِ

ونظم تقريظاً لديوان المولى عثمان الضرير العراقي قال في مطلعهِ :—

نشر العراق على المقيم بشامهِ ... أرجاً نحنُّ لوردهِ وبشامهِ

ومنهُ

يا ناظمَ الشهبِ الثواقب في الدجى ... اتركتَ للشعراء غير ظلامهِ
ما انت عثمانُ الضرير حقيقة ... بل انت ذو النورين في ايامهِ
لكنما اغمضتَ عن هذا الورى ... كي لا ترى ذا الجهل فوق مقامهِ

وقال متغزلاً في قصيدة يمدح بها احد السلاطين :—

اعلمتِ ايَّ جوى وايَّ ولوعِ ... بين الجوانح ساعة التوديعِ
حملتكِ جاريةُ المحيط كأنها ... برق سرى ليلَ النوى بهجوعي
جرت السفينة بالبخار ونارها ... جمر الحشى والماء لجُّ دموعي
ما انسَ لا انس التفاتها وقد ... عبث الفراق بشملنا المجموعِ
ونأت تلوِّح للعميد تحيةً ... بمدبجٍ بهجٍ كزهرِ ربيعِ
منديل كفٍّ طيبهُ من جبهةٍ ... تندى بلمحةِ عاشقٍ ممنوعِ

يعلو ويخفق في الهواء كأنهُ علمٌ على حصنٍ اشمَّ منيعِ
ما كان اشبههُ ببهجةِ صبها لولا سلامتهُ من التقطيعِ

ومنها في المدح :—

ظلّ الاله على الرعية سيفهُ قطع الذئاب فصان كلَّ قطيعِ
محمولُ امّ المجد موضوعُ العلى روحي فدى المحمولِ والموضوعِ

والقى في احد المحافل خطبة صدَّرها بقصيدة مطلعها :—

قدم الزمانُ وصبوتي تتجدَّدُ فكأنني في كلّ عصرٍ أولدُ

ومنها

قالت مشيبك أسودٌ في ناظري قلت الحقيقة ان لحظكِ أسودُ

وخطب في محفل آخر مفتتحًا خطبتهُ بقصيدة حسب عادتهِ قال في مطلعها :—

يا ميُّ لستُ أخا الصبابةِ فاسألي عمَّن يهيم بغير هذا المنزلِ

ومنها

ذهب الشبابُ على جناح نعامةٍ واتى المشيبُ على اغرَّ محجَّلِ
قالت مشيبك عند ارباب الحجى لعب الهوى بظباء دارة جلجلِ
تحت المشيب جواهرٌ لو قلّدوا جيدي بها مشت النجوم بمحملي
فاجبتها ولقد رقصت لقولها رقصَ الغصون على غناء البلبلِ
لم يبقَ من تلك الجواهر غيرُ ما خبّأتهُ لرجالِ هذا المحفلِ

ونظم قصيدة عنوانها « العالم في الشرق » وهي من غرر قصائدهِ ومعجز شعرهِ مطلعها :—

ذو العلم بين الطرس والمرقمِ كالثَّبْت بين العَضْبِ واللهذمِ
كلاهما يبغي علاءً ولا يناله الأ بسفك الدمِ
والاوَّل الاولى بغنمٍ لما في سعيهِ من شامل المغنمِ
فكم جرى ذو العلم في مجهلٍ حتى جرى ذو الجهل في معلمِ
وكم رعى في مهمهٍ كوكبًا حتى اهتدى السارون بالانجمِ
يجتاب ارجاء العلى رغبةً في كشف ما في الاطلس المظلمِ
طوراً تراهُ في جوار السهى وتارةً في جيرة المرزمِ
يرسم من كيوانَ خطّاً الى يوحى بلا نقسٍ ولا مرسمِ

ومنها

يا ويل من يعلم في بلدةٍ فيها كثير الوفر لم يعلمِ
يسقي الروى الظمآى ولكنهُ اظمأُ من وملٍ ومن غيلمِ
يكسو عراة الحيّ من نسجهِ لكنهُ اعرى من المبرمِ

وقال في ختامها

ذي حالة العالم في موطنٍ يكوى بهِ ذو الفضلِ بالميسمِ
يركبهُ الجاهل من حمقهِ والممتطي صنوٌ لذي المحزمِ
لو انصف الدهر امتطى كلُّ ذي علمٍ اخا جهلٍ فلم يظلمِ

وقال في زوال الدنيا وقصر الحياة : —

يا غافلين تنبّهوا ازف السرى وحدت مطيّ رحيلها الركبانُ
وحيًّا الى دار البقاء فليس في دار الفناء لعاقل او طانُ
غبراؤُها سوق الوغى وسماؤُها فلك النحوس نجومهُ الاحزانُ
لا يسلم الجبار في حوماتها والمشتري في افقها كيوانُ
حكت العبادُ بها الهشيم وأُصليت نار المصائب فالحياةُ دخانُ

وقال مقرظاً المقتطف في سنتهِ السادسة : —

هذي ثمار العلم ذُقها تعترف من لم يذق ثمر المعارف ما عرف
قطفت تخذها دون اتعاب الجنى فجميع اثمار النهى في المقتطف

ونظم موشحاً دينيًّا مطلعهُ : —

لا يزيلُ الحزن او يروي الظما غيرُ صهباء الحبيبِ المؤنسِ
ربّ جود طهرت منهُ الدما كلّ مختارٍ لهُ من دنسِ

دور

سيد الاكوان ان العبد لك بالذي ترضى لهُ كل الرضى
لا لقدّيس شهيدٍ او ملك قلبهُ بل للذي عنهُ قضى
ذاك شمس البرّ في اعلى فلك لاح فيهِ كلُّ مفديّ مضى
اشرق الابرار فيهِ انجما نيراتٍ في سماء الاطلسِ
رنمت بالشكر حتى رنما كلُّ شادٍ بالمقام الاقدسِ

وهو طويل قال في ختامهِ : —

ايها الهادي غوى قلبي ولم يسأل الرشد فعمَّهُ السَّنَن
طالما حادت بهِ هوج الظلم عن سبيل القصد لم يهدَ السُّنَن
فاتخذهُ اليوم من بعض الخدم واثقاً بالنشر لا يخشى الكفَن
واكسُهُ التبريرَ ثوباً معْلَما بالسنى يزري ببرد السندسِ
واختم التقديس حتى يختما بالتبني قبل ختم المرمسِ

وقال في وجوب التيمُّن وترك التشاؤم : —

توسَّمِ الخيرَ في كلِّ الامور ولو شاهدتَ نارَ الرزايا في بوارقها
واستنجد الصبرَ في حرب الخطوب وخذْ رجاءك النصرَ سيفاً في مفارقها
ولا يسوْءك غروب الشمسِ في غسقٍ فانها كلَّ صبحٍ في مشارقها

وقال بعنوان « صوت الحق » : —

سِرْ في سبيل الحقِّ لا تخشَ الردى ابداً ولو زأرتْ قساورةُ الرَّدى
واشهد بانَّ اللهَ ربَّكَ قادرٌ يحيي الرفاتَ غداً ولو طال المدى
ما كانت الاكوانُ من قدم ولم يخلقْ حكيم الكون دنيانا سدى
فغداً يحاسب كلَّ نفسٍ بالذي فعلت ويرفل بالسنى اهلُ الهدى

وقال في ختام تأبينهِ للعلامة المرحوم بطرس البستاني الشهير : —

يا غرسَ فضلٍ لم يزلْ بستانهُ تجني بهِ ثمرَ العلوم الانفسُ
غادرتَ اثمارَ الجنانِ بارضنا وغدوتَ في فردوس ربك تغرَسُ
وملكتَ مفتاحَ السماء على الثرى فدخلتَ ابواب العلى يا بطرسُ

ثم شفع التأبين بمرثاة عصماء مطلعها : —

وطن الصفا نضبت عيون جنانهِ تجرى من الاجفان ذوب جنانهِ
وذوت حدائقهُ فناحت ورقهُ اسفاً فلبَّتها بلابلُ بانهِ
عبثت بهِ هوجُ الردى فاستأصلت غرساً فنونُ العصر من افنانهِ
لولا فروعُ الفضلِ في جنَّاتهِ نضدتْ ثمارُ العلمِ من بستانهِ

وفي سنة ١٨٨٤ كتب في النشرة الاسبوعية مقالة وجيزة موضوعها المغفور لهُ الخديوي محمد توفيق باشا فزانها برسمهِ الكريم وختمها بقصيدة في مدحهِ مطلعها : —

ما لاح من صوب العُذَيب بريقهُ الاَّ ودمعُ الصبِّ سال عقيقهُ

ربع اليهِ برى الركابَ يقودهُ شوقٌ يبرّح والغرامُ يسوقهُ
اجرى بهِ عبراتِ قيسٍ عندما سُدَّت الى ليلى عليهِ طريقهُ
اذ بات يلقى من نوى سكانهِ ما صات في الاسكندرية بوقهُ
ايامَ دلالُ النوازلِ والردى راجت بضاعتهُ وقامت سوقهُ
فرأيت قطرَ الانس يرهب وحشةً من ان يبينَ قبيلهُ وفريقهُ
بغتِ الاعادي حفضهُ فوقاهُ من رفع السماء وصانهُ «توفيقهُ»

وفي سنة ١٨٩٦ فجع بابنهِ المرحوم نسيب وهو في السابعة عشرة من عمرهِ فنظم فيهِ ثلث مراثٍ قال في مطلع الاولى : —

ما للمرابع اصبحت اطلالاَ وتحوّل الروض الاريضُ رمالا
تجري الرياح فلا تصادف في الوى وادي الحدائق بانةً او ضالا
وغدا المرنّم في المغاني نائحاً يجد المجيرَ ولا يُصيبُ ظلالا
اترى عدت باليفهِ عيس النوى سحراً فحوّل عدوُها الاحوالا

ومنها مشيراً الى والدة المرثي

كانت خلالاً لاشتمالك بالضنى ففدت وقد نزلت شعوب خيالا
وقفَتْ على ذاك السرير كانها قلقُ الشراعِ يجاذبُ الادقالا

وقال في مطلع الثانية : —

صيَّرتُ دمعي شرابي والاسى قوتا حتى جرى من جفوني الدرُّ ياقوتا
وواصلتني عذارى لوعتي بنوى مَن بات حبل اقترابي منهُ مبتوتا
وسامرتني وأُمُّ النجم راقدةٌ بناتُ نعشٍ وبات النجم مسبوتا
كانهنَّ بواكٍ فوقهُ قمراً يحكي نسيباً فأنساها المواقيتا

وقال في الثالثة مخاطباً والدة فقيدهِ : —

قلب الغريب على مصاب نسيبكِ رهن البليّةِ مثل قلب قريبكِ
اشبهت اخيلةَ الفقيد من الضنى لحضوركِ الموهومُ مثل مغيبكِ
ما وقّفتْ ورقٌ على عيدانها لحنَ النوى الأ بصوتِ نحيبكِ
تبكين يوسفكِ العشيةَ والضحى والحزنُ يلهب في حشى يعقوبكِ

وتوفي حينئذٍ المرحوم فؤاد نجل خليل افندي سركيس فقال يرثيهِ ولم يخرج عن رثاء ولدهِ لكثرة العلاقات والمناسبات بينهما : —

أَلا يا ساجعات الورق نوحي على الغصن المسجّى في الضريح
خذي بدل الغضا والبان مروا سقته كل دامية الجروح
هنالك نادب غصناً كسيراً بعملك النواح على الصحيح
هنالك موجع يبكي «فؤاداً» وذو الم ينوح «نسيب» روح
خليلي محنة باتا وكل بكى نجلا كاسحق الذبيح

ومنها

حملنا يا شريك الحزن وقراً به الجبار كالنضو الطليح
فكم عزيتني وأساك نام كسيل دمي من الجفن القريح
وكم عزيتكم والجرح دام وذا عطف الجريح على الجريح

ونظم في المرحوم الشيخ عبد الباسط الفاخوري الشهير مرثاة مطلعها: —

بني الحزن من تنعون فاز بقربه بديع البرايا ناظراً وجه ربه
فما مات عبد الباسط البرّ بل مضى الى جنة اقطابها بعض صحبه
وأطعم فيها ما أشتهى من اطايب وأورد تسنيماً فلذّ بشربه

وفي سنة ١٩٠٦ توفي المأسوف عليه المرحوم شاهين شقير فرثاه وعزى اخاه سعيد باشا شقير بقصيدة مطلعها: —

من اعظم الأرزاء عمر مديد ما زدت عيشاً فالبلايا تزيد
هذا اختباري بعد ما مرّ بي ما عشرة شيب رأس الوليد
تنغيص دنيانا قديم فما على اديم الارض شيء جديد
مدرسة الدهر التي هذبت ايوب شيدت منذ عهد بعيد

ومنها

ما كوننا يا ليتنا لم نكن انفاسنا نار ونحن الوقيد
كون شقي كل احداثه نوازل لم ينج منها «سعيد»
ذو الجاه رب الفضل مولى النهى والعلم والآداب بيت القصيد
سهم الردى أصمى على غرة شاهينه نسر النجوم المجيد

ومنها يا ايها الشهم الذي رأيه في معرك الارزاء سهم سديد
ما رمت ارشاداً بما قلته بل رمت ذكري للخبير الرشيد
ذكّرتكم حرصاً على مهجة إحسانها عقد على كل جيد

وفي هذا القدر كفاية للدلالة على منزلتهِ الرفيعة بين الشعراء والمنشئين وارباب الحجى وما لهُ من الفضل على تلاميذهِ ومريديهِ . واختم مقالتي هذه بالقصيدة التي نظمتها رثاء لهُ وإكباراً لمصاب الشرق فيهِ رحمهُ الله عداد ما نفع وافاد وعزّى عن فقدهِ كل ناطق بالضاد .

قلت بعنوان « النفس الحزينة »

حنانك وناراً في فؤادي قادحه ودعني وشأني فالرزيئة فادحه
ولا ترجُ لي صبراً فنفسي حزينة وليست الى غير التفجع جانحه
تروح وتغدو والرزايا تسابق الـ رزايا اليها غاديات ورائحه
اقامت على قلبي الغموم منيخة بكلكلها طول المدى غير بارحه
احاول بالسلوى التئاماً لجرحي الـ قديم فتدميهِ الحوادث جارحه
ففي كل يوم لي الى الحزن والبكا دواع واسبابٌ جفوني قارحه
وفي كلها ابكي فتروي الطيور عن شجوني وتغدو متن حزني شارحه

***

اكتّم ما بي والسواجم لانني تنمّ على رغمي بسري بائحه
أسحّ وبما يستزيد انهمارها دوام شداد للخلائق جائحه
دهتهم واصداء الدمار امامها زواقٍ وغربان المنية صائحه
صلتهم لظى حرب ضروس دماءهم اطلّت فثجّت في الصحاصح سائحه
دماء الملايين التي طمّ سيلها فاضحت بهِ الانجاد كالغور طافحه
دماءٌ احلّتها زبانية الشقا فكانت لها في هذه الحرب سافحه
بحرب محيا الشام غشّت خطوبها لهُ بسموم الضيم والضنك لافحه

***

بلاد كجنات النعيم وطيبها غواليهِ في اقصى البسيطة نافحه
ولكن هذي الحرب ردّت نعيمها جحيماً والقاها البلاء مطارحه
وعاثت بها ايدي الرزايا لسعدها بصمصام نحس مرهف الحدّ ذابحه
وشدّت عليها ضغطة الحصر فاغتدت تقاسي تحت البهظ والخسف رازحه
وسدّت على الاهلين حتى منافذ الـ هواء اليهم للردى الباب فاتحه
فان لم يموتوا فيهِ جوعاً فمن جرى تباريح كرب سانحات وبارحه
وكم من عزيز بينهم قد قضى وما سمعنا عليهِ بيننا صوت نائحه

يشق عليه الاهل ثم جيوبهم ونحن هنا نغشى المنا ومسارحه

⁂

كذا غاب ابرهيم عنا ونحن في توقع انوار بلقياه لائحه
تناقلت الافواه همساً نعيهُ وظلت توري عنهُ غير مصارحه
الى ان تجلّى الامر فيهِ واصبحت حقيقته لا تقبل الشكّ واضحه
اجل دار ابرهيم شيخ العلوم والـ ـمعارف شطت عن محبيهِ نازحه
مضى تاركاً في الشرق آثار فضلهِ نوابغها تبقى مدى الدهر فائحه
وشق على قلب اليراع فراقهُ فثلّم شقّيهِ ودقّ جوانحه
وفقدانهُ هال القريض وآلم الا مصاب بهِ اقطابه وجحاجحه
وهل بعد ابرهيم للناس مطمع بساجعة في روضة الشعر صادحه
ومن بعدهُ ان انشد الشعر شنفت قصائدهُ الاسماع بالدرّ نافحه
وهل بعدهُ في سامر الحي تشتهي مساجلة زند القرائح قادحه
ومن بعده للكيج والحل ان عصت علينا عويصاتُ المسائل جامحه
وهل بعدهُ من صالح لامارة الـ بيانِ فيحميهِ ويرعى مصالحه
وهل تسمح الايام للناس يا ترى بثانٍ لهُ هيهات ليست بسامحه

⁂

عليك أبا سلمى العزيز حشاشتي تفيض جوى والعين بالدم ناضحه
قف انظر فتلق ابنيك وابنتك الالى نعيك فيهم كان اكبر فادحه
فنجلاك في مصر يذوبان لوعةً و « نجلاك » في بيروت تنحب نائحه
فقدناك فقد البدر سار بجنبهِ تعدّته آثار المدى عنهُ ماصحه
وليس عجيباً ان يجرّعنا الاسى عليك كؤوساً بالتفجع طافحه
فقد كنت ريحان النفوس وطيبها وكانت ترى جذلانة بك فارحه
ولما افترقنا منذ عامين كان بال تلاقي تأسّيهنا فترتاح صافحه
وما كان في حسباننا ان فرصة الـ لقا واجتماع الشمل ليست بسانحه
تغمدك الرحمن بالعفو والرضى وعمّتك منهُ رحمة عنك صافحه
ختمت بتقواهُ الحياة هنا ففي الـ حياة هناك انعم بأيمن فاتحه

اسعد داغر

المعرّي وفلسفتهُ

(١) مذهب النشوء

ان كان مذهب دارون حديثاً فتنازع البقاء قديم شعر بهِ الناس منذ وجدوا وصرح بهِ حكماؤُهم وشعراؤُهم في الامثال والاشعار كلٌّ على طريقتهِ ومنوالهِ . فمنهم من وصفهُ ولم يفطن اليهِ ومنهم من فطن اليهِ ولم يعممهُ ومنهم من شعر بهِ شعور المتألم منهُ المنكر عليهِ. ولعلَّ اشد شعراء الامم نقمة على تنازع البقاء وذكراً لهُ في نظمهِ ونثرهِ ابو العلاء المعري . ولا عجب في ذلك فان المعري نزل الى معترك هذه الحياة العصيب عزلاً من الاسلحة المنجحة فيهِ . نزل اليهِ يتيماً فقيراً سوداوي المزاج مفرطاً في الحس وكان ارفع خلقاً من ان يُسف الى منافسة امثالهِ الشعراء على ما يتكسَّبون بهِ . وكان رحيماً رحمة كادت تكون مرضاً وناهيك بمن يشفق على البرغوث أن يُقتَل وعلى النحل ان يشتار عسلهُ . وليس بواحدة من هذه الخلال يحمد المرء غب تنازع البقاء أو يكون ممن يغفلون عن وطأتهِ و ينظرون اليهِ بعين الرضى والارتياح وهو ما هو عنفاً وقسوة واثرة وخداعاً وانتهاكاً في معظم الاحيان لحرمات الاخلاق الفاضلة والمبادئ الرفيعة . فلذلك شعر بهِ المعري شعور المقاتل الاعزل بالهزيمة واوحى الالم والاشفاق الى وجدانهِ قبل تسعة قرون ما اوحاهُ الاطلاع والاستقصاء والتنقيب الى فكر دارون في الزمن الاخير

ولو كانت اشارة المعري الى تنازع البقاء كلمة بنت لحظة ابتعثها الالم فسطَّرها القلم لما كان في هذه الاشارة ما يجيز لنا قرن اسمهِ بتنازع البقاء ولكان الأحرى بتلك الاشارة ان تُردد في معرض الاستشهاد كغيرها من الخواطر الشعرية . ولكن اشارات المعري في هذا المعنى كانت اشبه بالتدقيق العلمي منها بالملحة الشعرية واقرب الى التأمل الدائم المتسلسل منها الى النظرة العارضة التي لا تبدأ في الخلد حتى تنتهي و ينطوي اثرها . فانك لا تقلب صفحة من اللزوميات او غيرها الأسمعت منها انة او انات يتغير موضوعها ومبناها ولا يختلف مضمونها ونحواها وكلها نعي وتبكيت للعالمين على ظلمهم وتنافرهم ومكر بعضهم ببعض . وكأن الآلام المبرحة التي يعرفها المخذول في كل حرب و يجهلها الظافر قد جسمت هذه الحالة لهُ وغلظتها فاحاط بدقائقها البعيدة ولم تخفَ عنهُ خافية من وجوهها المختلفة بين انواع المخلوقات لحظ التنازع بين الناس على حقيقتهِ وهو اقرب الاشياء الى اذهان الناس لو التفتوا اليهِ

ولكنك على كثرة الشعراء لا تقرأهُ ممثلاً في شعر احد كما هو ممثَّل في شعر المعري . فمن قوله في ذلك :—

أما لكمو بني الدنيا عقولٌ تصد عن التنافس والتعادي
اذاة من صديق او عدوٍ فبؤساً للاصادق والاعادي

واوضح منهُ في هذا المعنى قولهُ :—

تنازع في الدنيا سواك وما لهُ ولا لك شيءٌ في الحقيقة فيها
ولم تحظَ في ذاك النزاع بطائل فتنفقوها مثل مختلفيها

واوضح من قوليهِ هذين قولهُ :—

تناهبت العيشَ النفوس بغرة فان كنت تسطيع النهاب فناهبِ

وزاد على ذلك فبين ضرورة هذا الخلاف فقال :—

لولا التخالف لم تركض لغارتها خيل ولم تُقن ارماح وأسيافُ

واحسبهُ استطرد من النظر في اطوار الانسان الى النظر في اطوار المخلوقات كافة فاجمل الحكم عليها في هذا البيت الجامع :—

ولا يُرى حيوان لا يكون لهُ فوق البسيطة اعداءٌ وحسادُ

وفصَّل هذا القانون العام في عدة مواضع من لزومياتهِ فقال :—

يهاجر غابهُ الضرغام كيما ينازع ظبيَ رمل في كناسِ
سجايا كلها غدر وخبث توارثها اناسٌ عن اناسِ

وقال :—

تدري الحمامة حين تهتف بالضحى ان الاجادل لا تطيل جدالها

وقال وفيهِ الماع الى توارث الخوف بين الحيوانات :—

تتبع آثار الرياض حمامة ويعجبها فيما تزاولهُ النقرُ
تهم بنهض ثم تثني برغبة فما شعرت حتى اتيح لها صقرُ
وقد عرَّفتها امها امس شرهُ وان الردى يقرو المكان الذي تقرو

وهو لا يفرق بين الاقوياء والضعفاء في هذا النزاع بل يشملهم بهِ جميعاً فيقول :—

ظلم الحمامة في الدنيا وان حسبت في الصالحات كظلم الصقر والبازي

ومن كلامهِ ما يصح ان يعد تلميحاً الى غاية هذا النزاع وهي بقاء الاصلح وانتفاع الغالب برجحانهِ على المغلوب كما يؤخذ من قولهِ :—

ولو علمتم بداء الذئب من سغب اذن لسامحتمُ بالشاة للذيبِ

ومثلهُ قولهُ : —

ولولا حاجة بالذئب تدعو لصيد الوحش ما اقتُنص الغزالُ

ومثلهُ ايضاً : —

وسخط الظباء بما نالها تولد منهُ رضى الحابلِ

واحياناً يتجاوز القول بتنازع البقاء وبقاء الاصلح الى تقرير هذا الرأي الذي قررهُ النشوئيون حديثاً وهو ان لكل حي على الارض سلاحاً خاصاً يتقي بهِ عدوهُ ويكدح بهِ لنفسهِ . وليس أصرح في هذا الرأي من هذا البيت : —

وما جُعلت لاسود العرين اظافيرُ الاَّ ابتغاء الظَفَرْ

واقل منهُ صراحة في ذلك البيتان : —

اذا كُف صلٌ افعوان فما لهُ سوى بيته يقتات ما عمر الترَبا

ولو ذهبت عينا هزبر مساور لما راع ضأناً في المراتع او سربا

فاذا راجعت الابيات المتقدمة مع كثير من امثالها التي اكتظَّت بها دواوين المعري امكنك ان تجزم بان الرجل سبق أسبق المتأخرين الى ادراك تنازع البقاء وما يلابسهُ من الافكار . ادركهُ متكرراً جامعاً لا متفرقاً طارئاً . فاذا قيل ان دارون واضع المذهب في عالم العلم ساغ لنا ان نقول : والمعري واضعهُ في عالم الادب والشعر

ويظهر ان فرط الشعور بتنازع البقاء لا ينفك عن فرط الشعور بالمحافظة على الذات وهذا امر طبيعي معقول اذ لا يعرف قيمة الشيء كمن يعرف مقدار التزاحم عليهِ . ولذا كثر كلام المعري في حب الحياة والافتتان بالدنيا كما كثر كلامهُ في التنافس والتباغض فهو يردده في قصائدهِ ولا يبرئ منهُ نفسهُ ويتهم من يظهر خلاف ذلك بالكذب والمراء كما قال في لزومياتهِ : —

شقينا بدنيانا على طول ودها فدونك مارسها حياتك واشقها

ولا تظهرنَّ الزهد فيها فكلنا شهيد بان القلب يضمر عشقها

وكما قال ايضاً

ومن العجائب ان كلاً راغبٌ في ام دفر وهو من عيابها

الى كثير غير ذلك . وهو لا يكتفي هنا ايضاً بالحكم على الانسان فحسبُ بل يشمل بحكمهِ الاحياء جميعاً فيقول : —

أرى حيوان الارض يرهب حتفهُ ويفزعهُ رعدٌ ويطمعهُ برقُ

ويقول كذلك :—

تسريح كفك برغوثاً ظفرتَ بهِ أبرُّ من درهم تعطيهِ محتاجا

كلاهما يتوقى والحياة لهُ حبيبة ويروم العيش مهتاجا

وتعميم المعري الحكم على الانسان والحيوان معاً كما نسب الى الانسان خلقاً من الاخلاق طريقة ذهنية عجيبة لا نستطيع تأويلها الاَّ اذا قلنا بان الرجل كان يعتقد ان الانسان والحيوان من عنصر واحد وانهُ كان في صميم نفسهِ نشوئيًّا بالغريزة وان لم يعلم بذلك فكرهُ علماً يصح الاستدلال بهِ

(٣) مذهب التشاؤم

على ان هذا الارتباط بين الشعور بتنازع البقاء والشعور بحب البقاء يفسر لنا سر فلسفة المغالين في التشاؤم المبالغين في النقمة على الوجود فليسوا هم باشد الناس كرهاً للحياة كما قد يتبادر الى الذهن للوهلة الاولى ولكنهم اشد الناس حبًّا لها وضنابها · وهم لا يسبون الحياة سبَّ المحتقر المزدري بل سب الرجلِ المرأةَ التي يتولَّه بها و يعبدها ثم لا يحظى بطائل منها ولا يجد عندها صدى غرامهِ بها

وقد انتهى بالمعري النظر في هذا المعترك الضروس كما انتهى بعدهُ بامام المتشائمين ارثر شوبنهور فكلاهما يقول : — ما دامت الدنيا كفاحاً لا راحة فيها وما دام الغالب اليوم يغلب غداً والموت يهلك الغالب والمغلوب على السواء فالحياة وقر فادح والعيش عبث والعدم افضل من الوجود » · الى آخر ما اتفق عليهِ مزاجهما من ايثار العزلة والاستئناس بالحيوان والقول بارادة الحياة مع التنفير منها واحتقار النساء وتحريم الزواج · ومن هنا يظهر خطأ الاثنين بل خطأ المتشائمين جميعاً في التعقيب على تنازع البقاء · فلا شك انهُ لو وقعت هذه الخواطر لاناس ذوي مزاج مخالف عن مزاجهم لما استخلصوا منها هذه النتيجة ولرأوا ان الاولى بهم ان يقولوا : ما دامت الدنيا غلاباً فكن انت الغالب وما دام الموت قضاء لا مفرَّ منهُ فلا يهمك امرهُ وليهمك ان تنال من الحياة اقصى ما يُنال فلأن يدركك الموت سيداً خيرٌ من ان يدركك مسوداً » · وليس العجيب ان يتفاوت حكم الناس في المسألة الواحدة من النقيض الى النقيض ولكن العجيب ان نعلم بما للدنيا من الوان لاعداد لها و بما للناس من حالات واميال لا يحصرها الفكر ثم نطالبهم بالاتفاق على الكبائر والصغائر او نقدح مثلاً في فلسفة المتشائمين لانهم يرون الحياة من جانبها المظلم ونحن لا نراها الاَّ من الجانب الابيض المنير · ومن الخطا

ان يرفض النقّاد فلسفة التشاؤم جملة لبعد اصحابها عن حياة الأعمال الدنيوية ولا يذكروا ان هذه الدنيا غاصة بالنقائص وان هناك جبلات أسرع الى استكناه هذه النقائص من سواها وليست هي جبلات اهل الاعمال لان هؤلاء مصروفون باعمالهم عن مشاهدة ما يقع حولهم — ومن اين للمقاتل المنهمك في المعركة ان يحيط بما يجري في غضونها ؟

وانما قلنا اتفق مزاج المعري وشوبنهور ولم نقل اتفق عقلهما لاننا نعتقد ان المتشائمين كلهم من مزاج واحد وهذا علة اتفاقهم في الاقيسة التي يذهب فيها الناس مذاهب شتى وادراكهم المسائل على وتيرة واحدة وان كانت مما تتشعب فيهِ الافكار. فقد اتفق المعري وشوبنهور على كل رأي اشتركا في الالمام بهِ ولو لم يكن من اصول فلسفة التشاؤم. خذ مثلاً ادراكهما للزمان فان المعري يتصورهُ كأنهُ نفس طائر في اثر نفس وكأنهُ اجزاء متفرقة يجمعها كلٌّ واحد فيراقبهُ مراقبة من لا يسهو عنهُ ويتبع كل نفس يمر بحسرة المشيع الآسف ومن هذا النحو قولهُ : —

نَفَس بعد مثلهِ يتقضى فتمر الدهور والاحيانُ

وقولهُ

لهفي على ليلة ويوم تألَّفتْ منهما الشهورُ

وقولهُ

اما المكان فثابت لا ينطوي لكن زمانك ذاهب لا يثبتُ

ويلحق بهِ قولهُ

قدم الزمان وعمرهُ ان قسته فلديهِ اعمار النسور قصارُ

وكذلك يقول شوبنهور مع الفرق بين الاسلوبين الشعري والفلسفي : « الزمن هو ذلك الذي يفتأ يجعل الاشياء لا شيء في ايدينا فتفقد بذلك قيمتها » و يقول « نحن نسلب يوماً كل مغرب شمس » و يقول : « ان وجودنا مستقر على الحاضر الذي ما يني ابداً متسرباً طائراً فلا بدَّ لهُ اي لوجودنا من ان يتلبس بالحركة الدائمة الدائبة بلا امل في الوصول الى الراحة التي ننشدها . مثلنا في ذلك مثل المنحدر من جبل عالٍ فهو يسقط اذا حاول الوقوف »

ولا يشعر بالزمن هذا الشعور الا الذي يحصي كل لحظة تمر بهِ سآمة والماً كالسائر المتعب الذي يلتفت بعد كل خطوة يخطوها الى المسافة التي خلَّفها وراءهُ والمسافة التي لا تزال امامهُ . ولا تخطر فكرة استقرار الوجود على الزمن الا لمن يرى ان الحياة إن هي الا زمن يمر لا تكوين يستتم قواهُ وجزءٌ من الطبيعة يأخذ منها وتأخذ منهُ . ولسنا نقول ان الزمن

ثابت والمتشائمون يتصورونهُ غير ذلك وانما نقول ان تصورهم هذا خاص بمزاجهم · فكم من الناس حتى الفلاسفة والمفكرين والعلماء لا يشعرون بالوقت منعزلاً عن الحياة لانهم يقيسون الحياة بحركاتهم التي هم مستغرقون فيها لا بحركات الافلاك والسيارات · وكم من الناس في قرار وجدانهم لا يتصورون للوقت وجوداً فضلاً عن تصورهم ان الوجود مستقر عليهِ

وهما اي المعري وشوبنهور سيان في الرأفة بالحيوان واستطلاع اطوارهِ وعاداتهِ · وقد رأيت كيف كان المعري يستعرض اخلاق الانسان في طبائع الحيوان فانظر ماذا يقول شوبنهور · يقول : « اي لذة تداخلنا عند ما نرى حيواناً مطلقاً يدبر شؤُونهُ بنفسهِ غير معترض ولا مسوق · تراهُ إما يتلمس طعامهُ او يتعهد صغارهُ او يخالط الحيوانات من جنسهِ الى نحو ذلك · ان هذا لهو الذي ينبغي ان يكون وهو الذي لا يمكن ان يكون سواهُ · فان كان ذلك الحيوان طائراً متعت نفسي بالنظر اليهِ برهة من الزمن · لا بل فليكن فأراً مائياً او ضفدعاً فذلك لا ينقص من سروري بالنظر اليهِ · ويعظم سروري بهِ ان كان قنفذاً او عظاة او إيَّلا او غزالاً · وما كان التأمل في احوال الحيوانات ليسرنا لولا اننا نأنس فيها حياتنا مصغرة بسيطة »

ولم يعدُ شوبنهور الصواب في هذا التعليل الاَّ اننا لا نجد الناس كلهم يسرون بالتأمل في احوال الحيوانات كما يسر بذلك المتشائمون · ولا نظن هذا السرور آتياً الاَّ من فرط احساسهم بالحياة فهم يعطفون على كل حي ويبحثون عن مظاهر الحياة في جميع طبقاتها · وسيطول بنا الشرح لو تمادينا في المقارنة بين المعري وشوبنهور على هذا النمط فانما المقارنة بينهما بمثابة تحليل لمزاج واحد · ولكن لعل اعجب ما اتفقا عليهِ وفاؤُهما لوالديهما وفاء لم نعهدهُ في الفلاسفة الذين يغتبطون بالحياة ولا يشكون غصصها · فشوبنهور اهدى كتابهُ (الدنيا كارادة وفكرة) الى والدهِ واثنى عليهِ اطيب الثناء في كلمة الاهداء · والمعري رثى اباهُ ابلغ رثاء وهو القائل

على الولد يجني والد ولو انهم ملوك على امصارهم خطباء

فما اعجب هذا الوفاء ممن يعد الولادة جناية من الآباء على الابناء !

عباس محمود العقاد

الانكليز وسياسة التوفير

قدّر ما انفقتهُ انكلترا على الحرب في سنتها الاولى بمبلغ ١١٠٠ مليون جنيه · وتقدر ثروة الامة الانكليزية في انكلترا بمبلغ ١٦ الف مليون جنيه وفي خارجها بمبلغ ٤ آلاف مليون فالمجموع ٢٠ الف مليون جنيه · ولا يخفى ان دخل الحكومة الانكليزية في السنة لا يتجاوز ٢٠٠ مليون جنيه وخرجها اقل من ذلك قليلاً فالوفر لا يكاد يذكر في جنب النفقات غير الاعتيادية التي جرتها الحرب فلا بدَّ اذاً من ضرب الضرائب او عقد القروض او الامرين معاً · ومن رأي بعض العارفين انهُ سواء سدَّت النفقات بالضرائب او بالقروض فان ذلك لا يؤثر في مقدار ما يجب على الامة توفيرهُ لايفاء ديونها · والفرق بين الطريقتين ان الاقتراض يحمل الاجيال القادمة حملاً لا تحملهم اياهُ الضرائب

ومعلوم ان انكلترا تستمد من الولايات المتحدة الاميركية معظم ما تحتاج اليهِ من السلاح والذخيرة في الخارج وقد حسب بعضهم انها تستطيع الحصول من اميركا على مبلغ ٢٥٠ مليون جنيه لدفع ثمن السلاح والذخيرة وذلك ببيع بعض ما لها من الاسهم والسندات في الاسواق الاميركية وبعقد القروض فيها ايضاً فيبقى عليها ٨٥٠ مليون جنيه ثمن سلاح وذخيرة وغيرهما مما يلزم الجيش · ودخل الامة الانكليزية في السنين العادية ٢٢٠٠ مليون جنيه توفر منها ٥٣٠ مليوناً · وليس معنى ذلك انها تخزنها في البنوك كما يفعل الافراد بل تنفقها على بناء معامل ومصانع ومد سكك حديد واستنباط مناجم وبناء مبانٍ وحرث مزارع وعمل غيرها من الاعمال المنتجة ذات الدخل · اما في هذه السنين سني الحرب فلا تكاد تفعل شيئاً من ذلك اي انها تنفق ذلك الوفر على اخراج مواد حربية للاستهلاك لا للانتاج · ولكنهُ لا يكفيها بل لا بدَّ لها ايضاً من ٥٠٠ مليون اخرى لسد نفقاتها الحربية السنوية · ومعنى ذلك ان الامة مضطرة ان تضاعف هذه السنين ما توفرهُ في السنين العادية لتستطيع ايفاء ديونها · وهذا يقتضي احداث ثورة في طريقة عيشتها

والذي يقابل بين عقد القروض وفرض الضرائب يجد ان الطريقة الاولى اسهل واسرع ولكنها اكثر نفقة واضعف مفعولاً · وقد اعتمدت الحكومة الانكليزية حتى الآن عليها اذ لم تبلغ زيادة الضرائب التي قررتها في السنة الاولى من الحرب سوى ٦٣ مليون جنيه · ويرى الخبيرون ان معظم الضرر الناشئ من عقد القروض ليس تحميل الاجيال

المقبلة عبء نفقات الحرب الحاضرة بل تأجيل اقتصاد الافراد الذي يعدّ لباب المالية الصحيحة. والفرق الاكبر بين طريقة قروض الحرب الاختيارية وضرائب الحرب الالزامية ان الاولى تأتي بالمال اللازم من غير ان توجب على الامة الاقتصاد المروم اما الثانية فتجبر الناس على الاقتصاد. ولما كانت زبدة المسئلة كلها مضاعفة ما توفرهُ الامة بتقليل ما تنفق على الكماليات وكان عقد القروض لا يؤدي الى هذه الغاية لم يرَ اهل الرأي مندوحة من زيادة الضرائب. نعم ان معظم الاواسط اخذوا في الاقتصاد والتوفير مما ينفقون في منازلهم وعلى اشخاصهم واعيادهم وولائمهم ولكنهم مهما بالغوا في التوفير من هذا الباب لم يزد ما يوفرونهُ على ١٠ في المئة وهي لا تذكر في جنب الدين الهائل. ومعظم الذين شرعوا في التوفير يعتقدون انهم يعملون اكثر مما يجب عليهم ان يعملوا وان ليس ثمة ضرورة وطنية تقضي بذلك الاقتصاد. ومع كثرة ما خطب الخطباء وكتب الكتَّاب من الوزراء والزعماء المسئولين في وجوب الاقتصاد ومدحهِ وذمّ الاسراف لم يخفض الجمهور نفقاتهِ الى الحدّ الذي تقتضيهِ الحالة المالية لا لانهُ يأبى التضحية في سبيل الخدمة الوطنية بل لانهُ لا يقدر المحنة الحاضرة حق قدرها

ولذلك سببان الواحد اطمئنان الحكومة للحالة المالية وعدم قلقها منها. والثاني اعتقاد الجمهور بان نشاط البلاد الصناعي والتجاري ورفاهها العامّ يمكنانها من حمل الاعباء التي اضيفت الى مواردها من غير اضطرار الى الاقتصاد البالغ حدّ الشح والتقتير. وزاد هذا الاعتقاد فيهم زيادة الحركة الصناعية في بعض مراكز الصناعة الكبرى وارتفاع اجور العمال وارباح الشركات. وتناقص اهل البطالة شيئاً فشيئاً ثم اختفاؤهم اذ وجد كلّ منهم عملاً. وزيادة ساعات العمل الى حدّها الاقصى. وانضمام كثير من النساء والاولاد الى صفوف العمال. وهذا كلهُ خفف وطأة اخراج ثلاثة ملايين من الشبان الاشداء من حرفهم ومهنهم المختلفة ووطأة الشعور بالخسارة التي خسرتها الصناعة والتجارة وسائر مرافق العيشة العادية بخروجهم من اعمالهم وانضمامهم الى المحاربين والمشتغلين بالحرب وشؤُونها. ومما يجب ذكرهُ بهذا الصدد ان انضمام كثيرين من تلاميذ المدارس والاطباء والمحامين ومن شاكلهم الى الثلاثة الملايين المذكورين لم يفضِ الى خسارة مادية مباشرة ولكن انضمام عدد كبير من الصناع اليهم وما عقب ذلك من الاضطراب والخلل في الحركة الصناعية افضى الى قلة دخل البلاد في حين ان الحاجة تدعو الى التوفير منهُ لسدّ نفقات الحرب

وهذا يبين لنا كيف ان عقد القروض لا يجدي نفعاً ولا يحسب اداة خير للتوفير المروم.

فان سهولة الحصول على مقادير كبيرة من الاموال بالقروض الحربية وبيع سندات الخزينة افضيا الى اغتباط ذي خطر لا يزول من الاذهان الاَّ اذا أُدركت حقيقة هذه الطرق المالية وحقيقتها ان بناءها على فساد

الحرب وموارد الرجال

متى تنتهي هذه الحرب الطاحنة ولمن يكون الفوز فيها اخيراً . هاتان مسألتان تخطران على بال كل احد . لا عجب اذا خطرتا كل يوم على بال كل مَن يقرأ الجرائد اليومية . وكثيراً ما يستنتج المرء اليوم استنتاجاً ينقضهُ غداً ولو كان من كبار رجال السياسة لكثرة العوامل التي تعمل في الممالك الواسعة المشتركة في هذه الحرب . ولقد كان المظنون في اول الامر ان الحرب لا تطول الاَّ بضعة اشهر او اقل من ذلك . والمرجح ان هذا كان اعتقاد الالمان والاَّ ما اقدموا عليها واعتقاد الروس ايضاً والاَّ ما خاطروا بكل قوتهم حتى استنزفوا ما عندهم من الذخيرة في الاشهر الاولى من الحرب . اما قوَّاد الانكليز فلم يكن هذا رأيهم ولا يزال قول لورد كتشنر ينٌّ في الآذان وهو انهُ يستلم وزارة الحربية مدة السنوات الثلاث الاولى من سنوات الحرب ثم يتركها لمن يخلفهُ فيها . والمرجح ان قواد الانكليز لم يغيروا رأيهم هذا اي انهم لا ينتظرون ان تضع الحرب اوزارها قبل انتهاء السنة الثالثة حتى لقد قال لنا قائد من قوادهم بالامس انهُ مستعد ان يراهن كل احد على ان الحرب لا تنتهي قبل اواخر سنة ١٩١٧

هذا من حيث مدة الحرب اما الفوز فيها فالحلفاء قالوا من اول الامر انهم لا يغمدون سيوفهم ما لم يتحقق لهم الفوز التام ولم يزالوا على قولهم . وقد قال خصومهم هذا القول ايضاً في اول الحرب وزادوا فيهِ تأ كيداً رويداً رويداً باتساع البلدان التي احتلوها في اوربا ثم اخذت سورتهم تخمد رويداً رويداً والظاهر انهم صاروا يودون الآن ان يعقدوا الصلح لا عليهم ولا لهم

كتب الجنرال تشتندن الاميركي في المجلة العلمية الشهرية يقول ان الحرب الحاضرة قد مرَّ عليها الآن من الشهور ما استنزف الاستعداد السابق لها وجعل مصيرها متوقفاً على مقدار ما تستطيعهُ الامم المتحاربة من الصبر عليها اي على مقدار ما عندها من الرجال والمال . ثم بيَّن مقدار ما عند كل دولة من الدول المتحاربة من الرجال الذين تستطيع ان تسلحهم وتسوقهم الى ميدان القتال . فان كان الجنود يجندون من الذين سنهم بين ١٨ و ٤٥ او بين ١٧ و ٥٠ بلغ عددهم من كل مئة الف من السكان ما تراهُ في الجدول التالي

	في انكلترا وويلس	في المانيا	في فرنسا	في اميركا
من سن ١٨ الى ٤٥	٤٢٤٠٦	٣٩٧٢٧	٤٠١٩٠	٤٣١٠٠
« « ١٧ الى ٥٠	٤٧٧٥٦	٤٦٧٠٠	٤٧٩٠١	٤٩٩٠٠

واذا عُرف عدد سكان بلاد فاضربهُ في العدد المذكور هنا واقسم الحاصل على مئة الف فيكون لك عدد الذين في السن المطلوب. ونصفهم من الذكور والنصف الآخر من الاناث تقريباً ولكن لا بدَّ من ان يطرح من هؤُلاء كل الذين لا يصلحون للخدمة العسكرية والذين يجب ابقاؤُهم لتعاطي الاعمال الضرورية . وقد قدَّروا عدد الصالحين فعلاً للخدمة العسكرية ١٦ في المئة من السكان اذا كان سنهم بين ١٨ و ٤٥ و ١٨ وثمانية اعشار في المئة اذا كان سنهم بين ١٧ و ٥٠ وعليهِ فالذين يصلحون للخدمة العسكرية ويمكن تجنيدهم في كل البلدان المتحاربة هم كما في الجدول التالي

	عدد السكان	بين ١٨ و ٤٥	بين ١٧ و ٥٠
المانيا (احصاء ١٩١٦)	٦٧ ٨٠٠ ٠٠٠	١٠ ٨٥٠ ٠٠٠	١٢ ٧٤٠ ٠٠٠
النمسا والمجر « (١٩١٠)	٥١ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٨ ٢٩٠ ٠٠٠	٠٩ ٧٤٠ ٠٠٠
تركيا « (١٩١٠)	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٢٠٠ ٠٠٠	٠٣ ٧٦٠ ٠٠٠
بلغاريا (١٩١٤)	٠٤ ٨٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٧٦٠ ٠٠٠	٠٠ ٨٧٣ ٠٠٠
المجموع	١٤٤ ٤٠٠ ٠٠٠	٢٣ ١٠٠ ٠٠٠	٢٧ ٢١٣ ٠٠٠
روسيا (١٩١٢)	١٧٣ ٣٥٦ ٠٠٠	٢٧ ٧٣٧ ٠٠٠	٣٢ ٥٩١ ٠٠٠
بريطانيا (١٩١٣)	٠٤٦ ١٨٥ ٠٠٠	٠٧ ٣٩٠ ٠٠٠	٠٨ ٦٨٣ ٠٠٠
فرنسا (١٩١١)	٣٩ ٦٠٢ ٠٠٠	٠٦ ٣٣٦ ٠٠٠	٠٧ ٤٤٥ ٠٠٠
ايطاليا (١٩١١)	٣٥ ٢٣٩ ٠٠٠	٠٥ ٦٣٨ ٠٠٠	٠٦ ٦٢٥ ٠٠٠
بلجكا (١٩١٢)	٠٧ ٥٧١ ٠٠٠	٠١ ٢١١ ٠٠٠	٠١ ٤٢٣ ٠٠٠
سربيا (١٩١٤)	٠٤ ٥٤٧ ٠٠٠	٠٠ ٧٣٢ ٠٠٠	٠٠ ٨٥٥ ٠٠٠
الجبل الاسود (١٩١٤)	٠٠ ٥١٦ ٠٠٠	٠٠ ٠٨٣ ٠٠٠	٠٠ ٠٩٧ ٠٠٠
المستعمرات	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤ ٠٠٠ ٠٠٠	٠٤ ٧٠٠ ٠٠٠
المجموع	٣٢٢ ٠١٦ ٠٠٠	٥٢ ١٢٧ ٠٠٠	٦٢ ٤١٩ ٠٠٠

ولا يخفى انهُ لا يمكن الاعتماد الأَ على قليلين من رجال البلجيك والسرب والجبل

الاسود وان عدد سكان المستعمرات تقريبي ومع ذلك يبقى عدد الحلفاء اكثر من مضاعف عدد الجرمان مع تركيا و بلغاريا

قال الجنرال تشتندن اننا اذا حسبنا ان جنود الحلفاء المشتركين فعلاً في الحرب يجب ان لا يقلوا عن ٨ ملايين وجنود الالمان يجب ان لا يقلوا عن ٦ ملايين لحفظ الموازنة وان الحلفاء يخسرون في السنة بين قتيل وجريح واسير ثلاثة ملايين وخصومهم يخسرون مليونين ونصف مليون فالحلفاء استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١٤ مليوناً ثمانية ملايين منها بقيت في ميدان القتال وستة فقدت بين جرحى وقتلى واسرى · وخصومهم استخدموا حتى نهاية السنة الثانية ١١ مليوناً خمسة ملايين منها فقدت بين جرحى وقتلى واسرى وستة بقيت في ميدان القتال · وسيبلغ ما استخدمهُ ويستخدمهُ الحلفاء حتى نهاية السنة الثالثة ١٧ مليوناً وخصومهم ١٣ مليوناً ونصف مليون

فلا مجال اذاً للقول ان قلة الرجال تستلزم ان تنتهي الحرب بعد سنة او سنتين او ثلاثة لاننا اذا جرينا على الحساب السابق بلغ عدد من يكون قد استخدم من رجال الفريقين كل سنة كما ترى في الجدول التالي

	الحلفاء	خصومهم
في نهاية السنة الاولى	١١٠٠٠٠٠٠	٨٥٠٠٠٠٠
« « « الثانية	١٤٠٠٠٠٠٠	١١٠٠٠٠٠٠
« « « الثالثة	١٧٠٠٠٠٠٠	١٣٥٠٠٠٠٠
« « « الرابعة	٢٠٠٠٠٠٠٠	١٦٠٠٠٠٠٠
« « « الخامسة	٢٣٠٠٠٠٠٠	١٨٥٠٠٠٠٠
« « « السادسة	٢٦٠٠٠٠٠٠	٢١٠٠٠٠٠٠
« « « السابعة	٢٩٠٠٠٠٠٠	٢٣٥٠٠٠٠٠

ففي السنة السابعة يبقى عند الحلفاء اكثر من عشرين مليوناً يمكن تجنيدهم ولا يبقى عند خصومهم غير الجنود المجندة ولا عبرة بالذين يبلغون من الفتيان في غضون هذه المدة لانهُ يموت من الكهول او يشيخ رجال يساوونهم عدداً · ولكن لا ينتظر ان تدوم الحرب سبع سنوات لانها ليست متوقفة على عدد الرجال فقط بل هي متوقفة ايضاً على درجة تأهبهم للحرب وعلى سهولة نقلهم من مكان الى آخر وعلى ما يمكن ان يقدَّم لهم من الذخيرة · وهذه الشروط تغير منهاج الحرب لانهُ اذا استطاع احد الخصمين ان يسلح في سنة من ينتظر تسليحهم في سنتين او اكثر ويضرب بهم خصمهُ فلا يبعد ان تنتهي الحرب حالاً · انتهى

التنقيب العلمي

وتقويم قيمتهِ المالية [1]

لا ريب ان الاوربي او الاميركي ينظر الى العالِم الباحث نظر احترام واعجاب ولكنها احترام واعجاب مبهما الحدود كمن ينظر الى شيءٍ من خلال سحابة . وليس ذلك بالغريب اذ قلَّ من رأى من اهل اوربا واميركا عالماً او اجتمع بهِ . واقلّ من ذلك من دخل داراً تقام فيها الابحاث العلمية وشهد العلماء وهم يبحثون و ينقبون

فلا بدع والامر على ما وصفنا ان لا يكون في ذهن الاوربي او الاميركي العادي صورة لما نسميهِ بالعالِم وان لا يفقه معنى البحث العلمي ويقال اجمالاً ان الجميع يسلّمون بان العالِم رجل واسع العلم (وليس ذلك صحيحاً في الغالب) يعيش عيشة غير راضية ورأسهُ مدفون في كتاب او عينهُ متصلة بالتلسكوب او المكرسكوب كأنما الصقت بهما بالغراء وريح المواد الكيماوية الكريهة تهبّ من ثيابهِ

وكثيرون منا يعلمون اننا مديونون بما نعرف عن اشعة اكس مثلاً والتلغراف اللاسلكي او الطيارة لهذا العالم او ذاك ولكن قليلين منّا يعلمون اننا مديونون بجميع هذا المحيط المادي الذي يحيط بنا و بجزءٍ كبير من المحيط الاجتماعي والادبي للسوقة العلماء

لو سأل سائل ما قيمة العلم للانسان لاجبناه بأن قيمتهُ هي جميع قيمة العالم الذي نعيش فيهِ الآن او الفرق بين قيمة هذا العالم والعالم في عهد الانسان قبل التاريخ . ولزيادة الايضاح نقول

حدثت في سنة ١٨١٣ حوادث جمة . فان قوة نابليون اخذت تتضعضع فقام بعدهُ عدد لا يحصى من المؤرخين فكتبوا صحائف لا تحصى في وصف الحوادث الكبيرة والصغيرة التي افضى اليها سقوطهُ ولكن حادثة واحدة من حوادث تلك السنة لم يذكرها المؤرخون فيما كتبوا وسطروا وهي اكتشاف السر همفري دافي للرجل الذي سيبقى على مرّ العصور المثل الاعلى للعلم الصحيح الا وهو ميكائيل فارادي . اما كيفية اكتشافهِ فبينة في حديث دار بين السر همفري وصديق لهُ اسمهُ بيبز

همفري — لست ادري ما انا صانع يا بيبز . فقد اتاني كتاب من شاب اسمهُ فارادي شهد خطبي في المعهد الملكي وهو يطلب الاستخدام في المعهد . فما العمل

بيبز — خذهُ يغسل الزجاجات فاذا رفض لم يصلح لشيءٍ

(١) من قلم الاستاذ روبرتسن احد اساتذة جامعة كليفورنيا الاميركية

همفري — «كلاَّ ثم كلاَّ — لا بدَّ لنا من تجربتهِ في عمل احسن من هذا» . فاستخدمهُ في المعمل الكيماوي بأجرة اسبوعية . وقد كان لهمفري مكتشفات جمة ولكن ليس فيها ما هو اهم من اكتشافهِ لفارادي . ولعمر الحق ان دخول فارادي للمعهد الملكي سنة ١٨١٣ ليس اقلَّ عائدة على بني الانسان من جميع الحوادث التي حدثت في تلك السنة . ففي صباح عيد الميلاد من سنة ١٨٢١ دعا فارادي امرأتهُ الى المعمل لمشاهدة دوران المغنطيس حول المجرى الكهربائي لاول مرة في تاريخ الانسان . وبذلك وضع اساس الكهربائية المغنطيسية وعليهِ بنى ذلك البناء المعلى في الاربع عشرة سنة التالية . وانتجت الاعمال التي عملت فيها المحرك الكهربائي والمولّد الكهربائي واستخدام قوة انحدار الماء في توليد الكهربائية والمركبة الكهربائية والنور الكهربائي والتلفون والتلغراف وسائر ما ينتسب الى الكهربائية . وقد كان المغنطيس الدائر الصغير الذي اراهُ فارادي لامرأتهِ اول محرّك كهربائي

اما قيمة هذا الاكتشاف المالية فتظهر مما يلي :

قدرت سنة ١٩٠٧ قيمة النور الكهربائي ومحطات توليد التيار الكهربائي في اميركا وحدها بمبلغ ١٠٩٧ مليون ريال . وقيمة ما فيها من التلفونات تبلغ ٨٢٠ مليون ريال . ومجموع الدخل السنوي منها كلها يبلغ ٣٦٠ مليون ريال او نحو ٧٢ مليون جنيه . وفي اميركا شلالات يمكن الانتفاع منها بما تعادل قوتهُ قوة ١٥٠ مليون حصان واستخدام هذه القوة انما يكون باستخدام المحرك الكهربائي المنسوب الى فارادي . ولو قدرنا قيمة قوة الحصان الواحد في السنة بعشرين ريالاً — وهو تقدير معتدل — لبلغ مجموع الدخل ٣٠٠٠ مليون ريال وهو فائدة رأس مال قدرهُ قدرهُ ٧٥٠٠٠ مليون ريال على حساب ٤ في المئة

وقد مات فارادي سنة ١٨٦٧ فقيراً معدماً لا لأن فرص الغنى قليلة ولا لعجز فيهِ عن اغتنام هذه الفرص بل لانهُ لم يرَ محيصاً من احد امرين فاما طلب العلم واما طلب المال اذ حسب ان طالب علم وطالب مال لا يجتمعان فاختار الاول كما قال تلميذهُ تندل الشهير ونعم ما فعل لانهُ انما فعل ما يجب ان يفعل وما فعل جمهور العلماء قبلهُ . ولكن الامر الذي يسوء ذكرهُ هو انهُ من الغنى الوافر الذي جلبهُ فارادي للعالمين لم يردَّ جزء من مليون بل اقل من ذلك على العلم لترويج غاياتهِ ولمداومة البحث والتنقيب فيهِ . فان المعاهد التي خصت بالبحث العلمي في العالم كلهِ تعدُّ على الاصابع . فهي معهد سولفاي في بروكسل . ونوبل في ستوكهلم . وباستور في فرنسا . وواحد في فرنكفورت . وآخر في برلين . وواحد في كلٍ من بتروغراد وفينا ونابلي ولندن والخرطوم . واربعة معاهد في الولايات المتحدة الاميركية .

على ان اثنين منها اي معهدي بروكسل وفرنكفورت انشئا بمساعي عالمين هما سولفاي في الاولى وارليخ في الثانية . وقد بذلا جهدهما في الجمع بين طالب المال والعلم فوقفا المال الذي جمعاهُ على ترويج العلم الذي كان سبب الحصول على المال

حسبت سنة ١٩٠٠ قيمة الاعمال الصناعية التي انشئت في اميركا بناء على اختراعات علمية مسجلة فكان دخلها السنوي نحو ٤٠٠ مليون ريال وهو ريع مال قدرهُ ١٠٠٠٠ مليون ريال . ولا يمكننا ان نقدر ولو بالتقريب ما يعود من هذا المال على العلم مساعدة للباحث الذي ينشئ الثروة المستقبلة . ولكننا نعلم ان راس مال معهدي روكفلر وكارنجي — وهما اغنى المعاهد العلمية في الدنيا — لا يزيد على ٢٩ مليون ريال . وحُسب دخل معاهد العلم العليا في اميركا سنة ١٩١٣ فكان ٩٠ مليون ريال لم ينفق فيها على البحث العلمي سوى النزر اليسير

فان كان العلم الطبيعي يعود على الناس بمثل هذه الثروة الطائلة أفما من سبيل الى ردّ عشر معشار هذه الثروة عليهِ لاستئناف البحث والتنقيب ولاسيما ان القليل من المال الموقوف على العلم ينتج اكثر من الكثير . فان المال المقطوع لمعهد الكيمياء الطبيعية في برلين بلغ ٤ آلاف جنيه فقط سنة ١٩١١ . ولمعهد فرنكفورت حيث اكتشف علاج « ٦٠٦ » لم يزد على هذا القدر سنة ١٩١٣ . ولمعهد المباحث الطبية في بتروغراد بلغ ١٩ الف جنيه . ولمعهد التجارب الطبيعية في انكلترا ٨ آلاف جنيه . وهذه المعاهد من اشهر معاهد البحث العلمي في الدنيا وقد عادت على الناس بمنافع لا تقدر من الوجهات المالية والادبية

وفي سنة ١٨٥٦ اكتشف كيماوي انكليزي اسمهُ بركن صبغاً من اصباغ قطران الفحم الحجري . وكانت نفقة هذا الاكتشاف قليلة لا تذكر ومع ذلك استوردت اميركا من هذه الاصباغ ما قيمتهُ ١٦٤ ٦٣٥ ٥ ريالاً سنة ١٩٠٥ . وباعت المانيا منها في تلك السنة ما بلغ ثمنهُ ٥٠٠ ٠٦٥ ٢٤ ريال

وحسنت شركة الكهربائية العامة في اميركا الاسلاك التي توضع في المصابيح الكهربائية فنتج عن هذا التحسين اقتصاد فيما ينفق من الكهربائية بلغ ٢٤ مليون ريال للبائع والمشتري في خلال عشر سنين مع ان المعمل الكهربائي العلمي الذي تم هذا التحسين على يدهِ لم ينفق على مباحثهِ في خلال المدة المذكورة سوى ١٠٠ الف ريال

وكان هكسلي يقول ان اكتشاف باستور لعلاج البثرة الخبيثة (الانثركس) وامراض دود الحرير وكوليرا الدجاج اضافت الى ثروة فرنسا كل سنة قدراً يساوي الغرامة التي دفعتها فرنسا الى المانيا بعد حرب سنة ١٨٧٠

ان الانسان لم يفرغ من مصارعة الطبيعة حتى الآن بل لم يكد يبدأ . وامامهُ الزمان يعدُّ لا بعشرات السنين ولا بالمئات ولا بالالوف بل بالملايين على الراجح كما يخبرنا علم الفلك. وقد مضى عليهِ الى الآن ثلاثة آلاف سنة وهو يبحث ويستقصي فادنى اليهِ اطراف الارض حتى كأنها على ابوابهِ . واقام معالم الحضارة وأزال معالم الهمجية . ولم يأتِ عليهِ مئتا عام منذ كان عبداً لعناصر الطبيعة فاصبح سيداً لها — من بخار وهواء وماء. وعرف ما يكنهُ بطن الارض . وكبح جماح كثير من الامراض والآلام . بل لم تأتِ عليهِ اربعون سنة منذ استعمل مضادات الفساد في طبهِ وستون سنة منذ استعمل المخدرات في جراحتهِ . فما بالك بما تذخرهُ لهُ ملايين السنين من اسباب الحول والقوة . ومهما يخبئهُ المقدور لهُ فهو سيبقى انساناً وبقاؤهُ انساناً يجعلهُ يستقبل المستقبل غير هياب علماً منهُ بانهُ سوف يكون افضل من الحاضر

وليس زمام المستقبل في ايدينا فنعجل مجيئهُ الينا ولكن قد لا يعيينا ان نتصدى لهُ ونستحث مسيرهُ ولو بعض الشيء . صحيح اننا لا نستطيع خلق النوابغ ولا تبينهم في غالب الاحيان ولكننا اذا تبيناهم فليس ثمة ما يمنعنا من استخدامهم للنفع العام . ولا ينكر ان الاكتشاف والاختراع توقفا في الماضي على الافراد وسيبقيان كذلك في المستقبل . فان نوابغ القرن السابع عشر هم غليليو ونيوتن وافراد اقلال من معاصريهما . ونوابغ القرن الثامن عشر يكادون يعدون على الاصابع . ونوابغ القرن التاسع عشر لم يكونوا كثاراً . ونوابغ القرن العشرين قد لا يزيدون عليهم . واول ما يجب علينا عملهُ البحث عنهم وتعرفهم من آثارهم ثم تشجيعهم ادبياً ومادياً لا كما كنا نصنع فيما مضى . فقد كتب كبلر المشهور بمذهبهِ الفلكي كتاباً الى صديق لهُ يقول : « التمس منك ان وجدت منصباً خالياً لي في توبنجن ان تبذل جهدك في تعييني فيهِ . واخبرني بسعر الخبز وسائر الحاجيات هناك لان قرينتي لم تتعود المعيشة على الفول »

بين معاصرينا الآن فابير مؤسس الفلسفة العقلية النسبية وقد لقبهُ دارون في زمانهِ « بالمراقب الذي لا يبارى » وهو الآن مجاوز التسعين وكان الى عهد قريب يعاني مضض الفقر . ووقف الفقر عقبة كؤوداً في سبيل بحثهِ طول عمرهِ . والوف من المسائل التي هو اجدر الناس بالبحث فيها لا تزال الى الآن مهملة اذ لم يكن عندهُ من المال ما يشتري بهِ الادوات اللازمة للبحث

فلا مناص لنا من ان نقف المال خصيصاً على البحث العلمي واهلهِ والاَّ تساقطت اثمارهُ قبل الاوان وهصر غصنهُ في الاطروان

الانسان ازاء المدنية

(تابع ما قبله)

من منكم ايها السادة يشعر بهذه الحرب التي هو ميدانها حرب دائمة لا صلح فيها ولا سلام فاما غالب واما مغلوب . اجل اننا نشعر بها عند ما نرزح تحت ثقل الداء كالحمى او الالم كالصداع ولكن كم من المناوشات تنشب بين المكروب والدم دون ان نحس بها وكرياتنا البيضاء وحدها تحمل عبأها الثقيل والله يعلم كم يموت منها في هذا السبيل كل يوم وكل ساعة وكل دقيقة . من منكم لم تصبهُ وخزة ابرة أو لم يتألم من حرقٍ او غيرهِ من الآفات الصغيرة التي يتكون من جرائها مدةٌ صديدية ؟ افتعلمون من اين اتت تلك المدة وما هو ذلك الصديد ؟ هذه جثث الكريات البيضاء والخلايا القارَّة التي ماتت دفاعاً عن الجسم عند ما تطرَّق اليهِ المكروب تخفَّت الى قتالهِ — فالسلام عليك يا ابطال الدم شهداء الصحة والحياة . تموتين من اجل الانسان وهو عقوق لا يحزن لك وجاهل لا يعتبر بك تموتين ولا تحتاجين الى من يزور لك مقاماً او يقلد صدركِ وساماً او يهدي اليك على الاقل سلاماً

اذا سألتم أين تذهب جثث الموتى من المتحاربين وكيف لا تفسد الهواء رائحتها الكريهة قلت لكم ان لها مدافن عديدة يحملها اليها الدم واهمها الطحال . الطحال الذي يأ كلهُ بعضكم ساعة الطرب عند ما تدار الكؤوس هو المقبرة الكبرى التي تضمُّ هذه الرفات من صديق وعدو فما اغرب اطوارك يا انسان

رب معترض يقول كيف يضم الطحال هذه البقايا ولا يتصدَّع ؟ أين يضع تلك الجثث التي ترد اليهِ تباعاً بلا انقطاع وهو على ما نعلم لا كبر ولا اتساع . ألا فاعلموا ان الخليَّة كالجسم فكما ينحل الجسم تحت التراب وتعود عناصرهِ الى تجديد الحياة تندثر الكريات في الطحال لتجدد خلق الكريات

هذه هي اسرار التنازع الحيوي في الجسم الانساني أطلعنا عليها علم البكتيريا فعرفنا سر الداء وكُنهَ الدواء وادركنا كيف يحصلُ الجسم المناعة على المرض . ومعرفة هذه المناعة هدت الباحثين الى اكتشاف علاج وافٍ شافٍ لامراض هائلة كالدفثيريا مثلاً وبها سيتوصلون الى الانتصار على سائر الامراض باذن الله . ولم يكف الانسان ما فعل بل تعدى من صحة الفرد الى الجماعة فاقام سنناً صحية يحفظ بها نظام الاجتماع وتكفل للفقير والضعيف والمريض القوت والقوة والشفاء . بل ذهب الى ابعد من ذلك فاراد محاربة الوراثة

المرضية بالاهتمام بصحة الخاطبين حفظاً لجمال النسل وإشفاقاً على قوته ان تتبدد جيلاً بعد جيل . ولكن هذا المبدأ لا يزال قليل الانتشار لان نزع العادات اصعب من نزع الاسنة والطامع بالزواج لا يوافقهُ اعلان ما بهِ من ضعف . ولا بدَّ من مرور الزمن على هذه الفكرة لتختمر وتدخلها الحكومات في نظامها فلا يكون زواج بدون فحص طبي او شهادة طبيب يحلل ذلك ويتحمل تبعتهُ البعيدة من الوجهة الصحية

وحسبكم ان تلقوا نظرة على الطرق التي يختطونها اليوم في بناء البيوت وتوزيع الحرارة والكنس والتطهير وما يقيمونهُ من الملاجئ لرحة الحبالى اهتماماً بالطفل من قبل ان يولد والمعاهد لتوليد الفقيرات وتوزيع اللبن المعقم على الاطفال الى غير ذلك — لتتأكدوا مبلغ الرقي الذي نالهُ انسانُ اليوم بفضل العلم . فالبقاء يا سادة حقٌّ مقدس جهلهُ الاقدمون وعرفناهُ نحن دون ان نستطيع المحافظة عليهِ ولكن الزمان الآتي كفيل بهِ فالرحمة ديانة المستقبل وهيكلها العظيم سيشيد في ضمير كل انسان على اساس احترام هذا الحق

ولست ارى في الحرب الحاضرة ما يناقض قولي فالحرب ليست بنت التمدن وان استمدت سلاحها منهُ وما قصدي ان اشرح لكم فلسفة الحروب واسبابها ونتائجها انما اردت ان اقول ان جسم المجتمع كجسم الفرد يعتورهُ الضعف والمرض وهذه الحرب ان هي الاَّ حمى شديدة اصابت دماغ البشرية الراقية فارتفعت درجة الحرارة الى الاربعين وزادت سرعة النبض الى المئة والخمسين وضاق مجال النفس وغاب الرشد ووقف الاطباء دونها حيارى عزَّلاً ولكنها ستزول و يتغلب جسم الاجتماع عليها بما فيهِ من ذخيرة الارتقاء وقوة التعقل فيخمد ذلك السعير و يعود ذهن التمدن الى الصفاء وقلب الانسانية الى خفوقهِ الطبيعي وتتبدد اعراض الداء واحداً بعد آخر بل ربما فعل كبعض الامراض فكان لقاحاً للمجتمع يعطيهِ مناعةً على الحرب الى اجل بعيد

والمتشائمون الذين يرون في هذه الحرب وقوفاً بالانسان عن اطراد الرقي مخطئون فكثيراً ما تخرج الاختراعات من بين الحديد والنار . وما هاج الفكر البشري بشيء كهذه الحرب فانها بعثت فيهِ حياة لم تكن من قبل فولّد ما لم يحلم بهِ في ايام مسلمهِ فاذا صح ان الانسان هو الذي يخلق الشدة لنفسهِ فقد صحَّ ايضاً انهُ هو الذي يعرف ان يزيلها فيفني ما اوجد و يوجد ما افنى . والذي ارى ان هذه الحرب ستكون وافرة العظات والعبر كما هي وافرة المصائب ومذ اليوم نرى الدول المتحاربة او بعضها تجتهد ان تستفيد منها للمستقبل فتنشئ الجمعيات وتنشر الخطب فيما يجب ان يكون عليهِ نظام المعيشة بعد الحرب في البيت والمدرسة والنادي

ليجتمع للجيل الآتي الصفات اللازمة من قوة وصحة وصبر على المشاق ولباقة في العمل وتفنن في الاختراع

لا انكر ان الحرب من الدّ اعداء الانتخاب الطبيعي وآكاد العقبات التي تعترض اصلاح النسل بما تذهب بهِ من اهل القوة والشباب وهم زهرة الامم وغاية آمالها ولكنها لا تذهب بهم جميعاً ولا يزال في البقية الباقية مع يعتاض بهِ مع الوقت

ايها السادة لما اخذت بتحبير هذا الخطاب ما ظننت قط انني قادر على نظم بيت من الشعر فيهِ فلما وصلت الى الكلام عن الحرب شعرت بنزوة في الرأس وظهرت لي إلاهة الشعر تومئ بلحظها فغرّني ابتسامها فاطلقت الخاطر بين يديها واذا بهِ عائد بهذه الابيات استميحكم ان لا اقرأها الآن بل امضي في خطابي الى النهاية ثم اسمعكم اياها على حدة

وصلنا بالانسان الى قمة مجدهِ الحاضر وهي قمة عالية كما ترون لو تطلَّعنا منها الى الوراء لاصابنا دوار من بعد المسافة وانحدارها . عجباً لهذا الكائن المسكين الجاهل الغشوم الذي كان يسعى ليل نهار وراء ما يقتات بهِ ولا يناله الاَّ بشق النفس ولا يكاد يستطيع الدفاع عن نفسهِ بين عواصف القدم هو نفسهُ يقيس الكون و يزن النجوم ويُخضع قوى المادة . هو الذي فاز على الدهر واحيا بالعلم العصور الغابرة فمرّت من امامهِ بمشهد لم ترهُ عين ولم يحلم بهِ ضمير . ما اغرب هذا التاريخ تاريخ البشر على الارض قصيدة من قصائد الادهار ابياتها الاولى منقوشة في بطون الارض لا بطون الكتب رويُّها آلام وقوافيها دموع . وبعدها كم من عقبة ففتوح . ومعضلة فاكتشاف . وحيرة فيقين . وضلال فهدي . وحلم فحقيقة . وكل ذلك من بدع تلك الكتلة الصغيرة المضطربة في رأس الانسان

فيا للرقيّ السامي الشريف . قدر لهذا القرن ان يكون سيد القرون وان يفهم الناموس الاكبر الذي تخضع لهُ الاحياء وغيرها وان الانسان لا يبقى الاَّ اذا مشي ولا يثبت الاَّ اذا تحول وان الكون ينمو ويرقى ولا يشابه يومهُ امسهُ ولا غدهُ يومهُ . قدرلهُ ان يفهم هذا الناموس العجيب — التقدم الدائم وان الزمان كالشلال لا يقف في سيرهِ ولا يرجع الى الوراء وان كل دقيقة تصلنا منهُ هي خلق جديد وصورة جديدة وان الكرة الارضية لم تكن بالامس كما هي اليوم وكما ستصير في الغد فلا حال تدوم ولا صورة تبقى سنة الله في البقاء نشوء وارتقاء

ماذا تكون فتوحات الجيل الآتي وما هي المفاجآت التي يتوقعها ؟ ماذا تخبئ لهُ خاصية الاشعاع في المادة ؟ هل يتوصل الى اطلاق القوى الهائلة المضغوطة في الجوهر الفرد ؟ هل يهتدي الى تحويل المعادن ؟ هل يستطيع اخماد ثورات العناصر الطبيعية ؟ هل يتمكن من

الشعور بالظواهر الجوية كالشعور بأزيز المحلقات؟ هل يخرق اسرار الكهربائية والمغناطيسية؟ هل يحل مسألة الحياة؟ كيف اجلنا الطرف لا نرى الأ معميات والغازاً واذا قابلنا بين ما نعرف وما نجهل بين ما تستطيع وما نعجز عنهُ فكل كبرياء تزول ولا يبقى لنا الأ ان نطأطئ الرأس صغاراً امام عظمة المجهول

هذا هو تاريخ الارتقاء على قدر ما يسعهُ الرمز والايماء ذكرت فيهِ النزر القليل من الجهد البشري العظيم وما لم اذكرهُ لكم هو عمل الافراد الخفيّ وحياة الجموع المظلمة والاطماع الطائفة وسط المعمعة والاهواء الذاتية والعزائم المنفردة — كل ما يخرج من قوة الفرد وينحدر الى قوة المجموع ليؤلف ذلك البحر العجاج . تلك هي مظاهر القلب البشري تتغير وهو واحد لا يتغير في ثياب الحرير والصوف او تحت دروع الفولاذ والحديد : رواية آلامهِ الخالدة من جرائم وجنون ودموع ودماء واعياد مجيدة وشجاعة لامعة واخلاص عظيم . هدير امواج البحر البشري يستفزهُ المد الصاعد تحت السماء الصافية او الغيوم المتلبدة تخترقهُ اشعة المجد الظافر أو لهيب النار الآكلة وفوق هذا القطيع المضطرب الحائر جيئة وذهاباً ينزل الموت بليلهِ الابدي ويم السكون . والفكر من فوق هذا السكون يرف بجناحيهِ مدركاً شريعة البقاء الهائلة وهي التنازع وبقاء الانسب التنازع الدائم في الانسان وحول الانسان . الحق للقوة فالمنتصر يبقى والبائد تنسج عليهِ عناكب النسيان

وبعد ذلك كله فاين المصير؟ يخال مما تقدم ان القوة العظيمة التي رفعت الانسان من حضيض البهيمية ستظل ذاهبة بهِ صعداً حتى يتسنى لهُ العروج الى اعلى مراتب الكمال . ولكن مع الاسف لا نرى حولنا ما يؤيد هذا الظن فالرقي لا ينجم عن اشتراك النوع الانساني كلهِ في العمل ليكون كل عصر ارقى مما قبلهُ بل هو رواية تتوالى فصولها دون ان تتشابه وتتغير ابطالها في كل مشهد . كل امة تبدو لنا من خلال القرون مستقلة في ارتقائها من يوم تنشأ الى يوم تزول . تتعاقب الاجيال في حمل مصباح التمدن فيفرغ كل جيل ما عندهُ من القوى في سبيل تسريجهِ ويذهب كما أتى وكل تغير او شعاع جديد يرافقهُ سقوط ملك وقيام آخر

هذه مصر لم يُغنها طول اشراقها عن ان تدخل في ظلمات الخمول وكذا الهند والصين على وجودهما في مأمن من غزوات الفاتحين . وما ضرَّ اليونان قيام رومة كما ضرها انبساط مجدها عند ما وقف بها حيث هي فنامت في ظلالهِ مكتفية بذكرى الماضي . وما كان هرم رومة نفسها الأ بانحلالها الطبيعي لا بقيام البربر عليها . هكذا سيبلغ تمدن هذا الزمن غايتهُ

فيقف عند حد محدود ولا يقيهِ دم الشباب والقوة الجاري في عروقهِ فقد جرى مثلهُ في عروق مصر عند ما نشطت لنفسها من ظلمات العصور الاولى وقد جرى مثلهُ في عروق اليونان عند ما افاضت على العالم حكمتها وعلومها وفنونها . كل امة في الوجود ذاقت بدورها هذه الساعة المجيدة من القوة والابداع والغنى ثم ذهبت كأن لم تكن وكل واحد منا يمثل في حياتنا القصيرة ما يجرى في حياة الشعوب والممالك . ألا ترى كيف يلمع كوكبهُ حيناً في زمن الشباب ثم تغشاهُ غيمة الخمول فيأتف متى بلغ الغاية التي اعتزت لها جوانحهُ فتسكن عواصف نفسهِ الثائرة على ما فيها من خصب وابداع وتزرح قواه بأحمالها فيعود الى القناعة بالتدريج ولا يبقى سبيل للتوليد والاختراع . فلان يأخذ هذا العصر الغرور بشبابهِ فستبدد همتهُ وتخمد نارهُ وتستقر علومهُ كأنها اشخاص متحجرة يستلمها الخلف و يقيم عليها

ولنا في تاريخ الكائنات الف برهان على ذلك وكل نوع يرتقي الى ان يستكمل عدتهُ للتنازع فيقف عند حدهِ وتغلب الغريزة الذكاء ولا يزال الانسان يرقى من قمة الى قمة و يطير في فضاء المدنية من افق الى افق الى ان يأتي اليوم البعيد الذي لا يعود فيهِ قادراً على البقاء لان الشمس مصدر الحياة تمشي ايضاً الى الهرم فيخف نورها على مرّ الازمنة ومع النور الحرارة التي تستمد الارض حياتها منها

في ذلك اليوم ايها السادة يوم لا تعود حرارة الشمس كافية للارض يأخذ الانسان بالتقهقر كغيرهِ من الاحياء الارضية والرجوع الى حال الفطرة ايام كان برد الجليد يعض عليهِ بنابهِ وزمهرير الليالي يبعث الرعدة في مفاصلهِ فاذا استيقظ كاد الخدر الساري في اعضائهِ يمنعهُ من النهوض وراء حاجاتهِ القليلة . في ذلك اليوم يعود الى الكهوف والغيران يطلب الدفء من ورائها مقتنعاً من القوت بما تقدمهُ لهُ الطبيعة الخائرة وقد اصبح فاتر الهمة متثاقل الحركة خامد الذهن فلا نار تتقد في عينيهِ ولا ابتسامة تلمع بين شفتيهِ . وتحت تلك الجمجمة التي اظلت فيها مضي عقلهُ الكبير ينتشر ظلام اليأس ويخبو شعاع الذكاء . في ذلك اليوم بين المدن الفخمة والهياكل الصامتة والمصانع الخرساء والجبال السابحة فوق الماء والقضبان الممتدة بين الارض والسماء يمر ذلك السيد الفاني كالغريب لا يكاد يفهم ولا يتذكر ولا يحس . انسانية بلا الم عالم اشباح يخيف لو بقي من يفهم معنى الخوف وهكذا يثقل النعاس عينيهِ وينحدر شيئاً فشيئاً الى هاوية نومهِ الابدي ومن اعماق الظلام المخيم على مسرح الانسانية الخالي لا يبقى من صوت يصعد نحو اللانهاية . لا حسّ ولا حركة لا صلاة ولا انين . الاعمال العظيمة احلام الابطال همة الجبابرة جهاد العقول غليان الشباب الحب

كلهُ يدرج في الكفن ويطوى تاريخ الانسان بكلمات ثلاث : عاش وتألم ومات

والارض الشاهد الوحيد لهذه المأساة رفيقهُ الازلي امهُ التي احتضنتهُ تبقى بعدهُ زماناً طويلاً جثةً باردة تسبح في ظلمة اللانهاية

***

«لاهاي» هل صوت بجوك يُسمعُ   هيهات ما لاهاي الا بلقعُ

لم ينفع القصر الذي شيدتهِ   وكذاك أحلامُ الورى لا تنفعُ

جمعتهمُ الاطماع فيكِ فدنأوا   قالت لهم اطماعهم لن تجمعوا

ما ابدعَ السلم الذي حلموا لو   وقفوا على تحقيقهِ ما أبدعوا

زرعوا الكلام فاحصدت واصبحوا   السيف يحصد فيهم والمدفعُ

هي يقظة طاحت بها اعمارهم   فكأنهم فتحوا العيون ليهجعوا

علقت بهم نار الجحيم فاصبحوا   سُجّارها لا يشبعون وتشبعُ

***

في ذمة الرحمن كل سميذع   يمشي اليهِ من العدو سميذعُ

جهلوا القتال فعلّموهُ ولم يكن   من طبعهم سفك الدماء فطبّعوا

النازلون من الخنادق حيث لا   نسم يهب ولا شعاع يسطعُ

يحمي حماها كل اروع باسلٍ   ويظل من بغتاتها يتفزعُ

رجم وألغام وسيل لاهبٌ   وأشعة تعمي وغاز يصرعُ

الماخرون الجو فوق سوابحٍ   تجري بامرتها الرياحُ الاربعُ

من كل ثابتة الجناح أزيزها   متواصل وبريقها متقطعُ

تسري وتنحدر القنابل حولها   شهباً بها ثوب الفضاء يُرصّعُ

الراكبون على البحار صواعقاً   كم ضيعت منهم ولم يتضعضعوا

النافضون جبالها وثلوجها   لا يطمئن بهم عليها مضجعُ

الذاهبون ولا رجاء العائدو   نَ ولا شفاء السابقون التبّعُ

***

يا للهجوم وقد دعا داعي الردى   فمشوا اليهِ والأسنّةُ شُرّعُ

بجحافلٍ تُزجَى وراء جحافل   وفيالق إثرَ الفيالق تدفعُ

مادت بهم انجادُها فكأنهم   سِربٌ من العقبان سودٌ جوّعُ

صدتهم فُلكُ السعير تصبها … قللُ الحديد فلا تقيهم أدرعُ
بغتتهم من خلفهم وامامهم … نيرانها فتفرقوا وتجمعوا
متسابقين وليس منهم سابقٌ … متراجعين وليس عنها مرجعُ
في مأزقٍ للموت اسكرهم بهِ … رهج الخميس وأرؤسٌ تتقطعُ
حتى اذا انقشع العجاج ولم يعد … الاصدى ذاك الضجيج يرجعُ
طلع الهلال عليهم فاذا هم … عدم فظيع أو وجود أفظعُ
الارض نافضة البطون تزاحم الـ … ـموتى بها فهمُ وقوف رُكّعُ
فكأنهُ يوم القيامة فيهم … أو انهم قبل القيامة قد دُعوا

***

يا ارضُ اي رواية مثلتها … عملت فيها الناس ان يتوجعوا
هذي كنوزك اصبحت حمماً بها … بركان صدرك ثائر يتصدعُ
أمللت حمل الساكنين فقلت أفـ … ـنيهم كفى ما بالوجود تمتعوا
أم شاقكِ الثوب القديم جررتهِ … لهباً فقلتِ الى قديمي ارجعُ
ناراً يسيل بي الفضاء وليس لي … مهج تسيل ولا عيون تدمعُ

***

هل تبعثين مع الربيع معزياً … للناس ينسي ما بهِ قد رُوّعوا
فيعود وجهك ضاحكاً متهللاً … ويعود زهرك في الربى يتضوعُ
ويعود للأغصان طيرك آمناً … يتلو مراحمهُ عليك ويسجعُ
ام تبعثين قذائفاً وقنابلاً … لا تقنعين بها ولا هي تقنعُ
فيظل صدرك بالنجيع مخضباً … ويظل وجهك بالحداد يقنعُ
انا سقيناكِ الدماء زكيةً … فاذا الربيع اتى سقتك الأدمعُ

***

يا ايها الانسان ماذا تصنعُ … قدكَ اتئدْ أرأيتَ فيما تطمعُ
هدمت يداك اعز ما شيدتهُ … ماذا الذي من هدمهِ تتوقعُ
عالجتَ بالعلم الحياةَ وانهُ … سيفٌ على الحدين ماضٍ يقطعُ
أعطاك ما اعطى سواك فصارعٌ … يوماً ويوماً مثل غيرك تُصرعُ
انا لا اصدق ان مجدك زائل … انا لا اصدق ان ملكك يخلعُ

ان كنت ذا جهل فعلمك واسع — او كنت ذا بغض فحبك اوسع
الحب نورك في الوجود فان نأى — عن مطلع ادناك منهُ مطلعُ
كم ضيعتكَ الحادثاتُ بليلها — ثم اهتديت بهِ فلستَ تُضيَّعُ
ارفعْ حجابَ البغضِ عنك و بعدهُ — عَلَمَ السلام على ربوعك يُرفعُ
ان تمنع الاخلاق عنك دوامهُ — فشرائع العمران ليست تمنعُ
الحب حق للوجود مقدس — تتزعزع الدنيا ولا يتزعزعُ

الدكتور نقولا فياض

مصر منذ تسعين سنة

(٨)

قصر محمد علي باشا في شبرا

رجعت من جزيرة الروضة الى منزلي فرأيت منصور القبطي وزوجتهُ قد عنيا بترتيب الامتعة والغرف وتنظيفها . اما الجارية فكانت مستلقية على الديوان والخادم البربري يدخن في صحن الدار والدجاج تسرح حولهُ وهي تلتقط الحبوب . واما مصطفى الطباخ فخرج في غيابي ولم يعد وقد توهم اني احضرت القبطي بدلاً منهُ فانسحب من تلقاء نفسهِ وهي عادة جارية هنا متبعة بين الخدم ولذلك يتناولون اجورهم يوماً فيوماً فاضطررت ان اكلف القبطي وزوجتهُ الاهتمام بالطبخ ولكني علمت في المرة الاولى انهما يجهلان هذه المهنة جهلاً تامًا ولا يعرفان منها سوى سلق الخضار والحبوب وطبخها بالماء والزيت حتى ان الجارية نفسها لما ذاقت الطعام الذي طبخاهُ اشمأزت نفسها وامتنعت عن الاكل واشتد بها الغيظ واوسعتهما سبًّا وشتمًا . فاستأت جدًّا من عملها هذا واهانتها للعجوزين المسكينين اللذين توليا امر الخدمة واراحاها من عناء العمل في كل الشؤُون المنزلية فقلت لمنصور ان يفهمها ان دورها جاء لتتولى بنفسها امر الطبخ فكان هذا الطلب غير المنتظر كصاعقة سقطت عليها فثار سخطها واشتد غيظها واوسعتنا كلنا لوماً وتقريعاً والتفتت نحو منصور وقالت لهُ

قل لسيدي اني لستُ « أُودالك » بل « قادن » وفسر لي منصور معنى كلامها اي انها ليست خادمة بل سيدة وقالت ايضاً انها ستشكوني للباشا . فصرختُ مغضباً

التهددني . وما دخل الباشا في اموري البيتية . اشتريت جارية لتقوم بخدمتي المنزلية وهذا الامر غير ممنوع في قوانين البلاد

فقالت انها مسلمة ولها الحق ان تطلب من الباشا ان يطلق لها الحرية اذا كان مَن اشتراها يرهقها ظلماً و يقسرها على عمل اعمال حقيرة . وقال منصور لي ارى انها مصيبة في زعمها واسمح لي يا سيدي ان اقدم لك مشورة صالحة — لا تجرح عواطفها والاَّ فلا يتسنى لك ان تعيش معها براحة وهناء ووفاق

فرأَيت ان مشورتهُ هذه لا تخلو من الفطنة والصواب فقلت لهُ قل لها اذاً اني لم اقصد سوى المباسطة والمزاح . ولكنها اخطأَت كثيراً في اظهارها الحدة والغيظ وتوجيهها لك ولزوجتك الاهانة والفاظ السباب وانهُ يجب ان تعتذر عما بدر منها نحوكما وتظهر الاسف على ما فرط منها من الخفة والطيش

فترجم لها كلامي كما لا اشك ترجمة يؤْخذ منها عكس المراد اي انهُ هو نفسهُ يترضاها و يطلب منها الاعتذار . لاني رأَيتها تبسمت سروراً وطفح وجهها بشراً

فعلمت بعد فوات الوقت وحيث العلم لا يفيد شيئاً والندم لا يجدي نفعاً اني اخطأْت كثيراً في مشترى هذه الجارية الغريبة عني وطناً ولغة وجنساً وآداباً . ورأَيت رغماً عني انهُ يجب ان ارضخ لحكم القدر كما يقولون واتحمل نفقات باهظة ربما ارزح تحت ثقلها . عجباً من احوال مصر الغريبة تركت الفندق واستأْجرت منزلاً خصوصياً رغبة في الاقتصاد وراحة المعيشة وحتى يتسنى لي الاختلاط بالقوم . فلم يسمح لي بالاقامة فيهِ الاَّ اذا كان عندي امرأَة مهما كانت حالتها . فقصدت الزواج فقيل لي يجب ان ترتبط بهِ ارتباطاً دينياً ومدنياً كل ايام حياتك وتدفع مهراً فوق طاقتك . ثم اضطررت ان اشتري جارية غريبة عني وبيني وبينها فرق شاسع في العوائد والاداب لا اعلم كيف اكلمها او ماذا اطعمها او اي زي أُلبسها او اي طريقة اسلك معها . واضطررت لاجلها ان انفق نفقات باهظة لفرش البيت واستئجار طباخ وخادم وبربري وكل ذلك لكي اقتصد في نفقات الفندق مع ان نفقاتي الحاضرة بلغت حدًّا عظيماً زعزع ماليتي . واخيراً قلت لمنصور ان يهتم بامر اعداد الطعام الى ان نجد طباخاً موافقاً وان يقول لزينب انها لما كانت « قادن » اي سيدة رفيعة المقام تأْنف عمل اعمال حقيرة فيجب عليها ان تتعلم لغتي الفرنسوية وتأْخذ كل يوم درساً حتى يمكننا التفاهم معاً

فاظهرت الارتياح والسرور من هذا الطلب وفي الحال بدأْت اعلمها الحروف الهجائية

والقنها بعض اسماء وجمل كثيرة الاستعمال فاظهرت الرغبة في الدرس الأ انها لم تكن تحسن النطق ببعض الحروف فكانت تلفظ الجيم زاياً . وكم كنت اضحك منها حينما كانت تقول « زي سوي سوفاز » بدلاً من « جي سوي سوفاج je suis sauvage » اي انا همجية متوحشة . علمتها هذه الجملة بقصد المزاح ولما فهمت معناها لم تظهر الغيظ بل بالعكس كانت تصفق بيديها فرحاً وتنادي منصور وتقول له وهي تضحك مسرورة « زي سوي سوفاز »

ولما اردت ان اعلمها كتابة الحروف رأيت صعوبة كبيرة في ذلك ومرةً اخذت القلم وبدأت تخربش على الورق خطوطاً ودوائر غير منتظمة وقالت لمنصور : قل لسيدي اني تعلمت الكتابة فظننت بسذاجتها ان قد يمكن استخراج معانٍ من تلك الخطوط المخربشة

ولما رأيت حسن انقيادها ونشاطها في الدرس اردت ان اكافئها بقضاء بعض رغائبها ولكنها كانت كثيرة فطلبت اولاً حبرَة من الحرير حتى تظهر « كهانم » لا كفلاحة وخادمة وطلبت ان تلبس حذاء اصفر « بابوج » ولكني رأيت هذا النوع من الحذاء يجعل منظر المرأة قبيحاً اذ تظهر رجلاها كبيرتين ضخمتين . ثم طلبت ثوباً من حرير اخضر « يلك » وغير ذلك من المطالب على عادة النساء فوعدتها باني لا اغفل عن قضاء رغائبها هذه اذا رأيت منها طاعة وانقياداً فاظهرت الرضاء والارتياح

وفي اليوم التالي ذهبت الى مكتبة مدام بونوم وقضيت بضع ساعات في المطالعة . ولما رجعت الى منزلي وصعدت الى الدور الاعلى نهضت زينب لاستقبالي وبدأت ترقص وهي تدور حول الفسحة وتصفق بيديها وتصرخ « الفيل الفيل . الفيل . يا عيني الفيل » . فدهشت كثيراً وظننت ان قد مسها عارض جنون واختل عقلها فدعوت منصوراً وسألته عن هذا الامر المستغرب وماذا جرى للجارية فاجابني بعد ان سألها : ان ستي تريد ان تتفرج على الفيل . قلت واين هذا الفيل . قال في قصر الباشا بشبرا . قلت ومن اين علمت به . قال من الجارات . قلت وكيف اتصلت بهن . قال من السطوح والشبابيك . فلم ارَ من الفطنة ان احرمها من هذه الرغبة وقلت لمنصور ان يقول لها اني مستعد لاتمام رغبتها مكافأة لها على ما رأيته من اهتمامها واجتهادها في الدرس

وقصدت من جهة اخرى اغتنام هذه الفرصة للتفرج على قصر محمد علي وحدائقه

المشهورة وفي الحال استدعيت بعض الحمارة وركبنا وخرجنا من القاهرة واجتزنا بوابة كبيرة مصفحة بالحديد ومدعومة بجدران عالية وابراج شاهقة من عهد سلاطين مصر (باب الحديد) وعلى مقربة من هناك جسر فوق ترعة الخليج الناصري المحيط بالمدينة غرباً فاجتزنا فيهِ الى مروج خضراء في طريق تتخللها البحيرات والبرك حولها الرياض والحقول الخصبة والغياض وطريق شبرا من احسن منتزهات القاهرة وهي طويلة تمتد الى مسافة بضعة اميال غرباً الى مجرى النيل الاعظم وعلى جانبيها اشجار الجميز الضخمة تظلل اغصانها الكثيفة تلك الطريق وتلطف حرارة الشمس المحرقة وبين كل مسافة واخرى قهوات ومنتزهات على الجانبين في وسط حدائق غناء ومروج خضراء وبساتين فيحاء · وفي مساء ايام الاحاد ترى هذه الطريق غاصة بالمتنزهين والمتنزهات واكثرهم من الافرنج والارمن والاروام والسوريين · والنساء منهنَّ لا يرفعن الحجاب عن وجوههن الا متى عرجن على الحدائق فيجتمعنَ فيها زرافات تحت ظلال الشجر · ورأيت منتزهات شبرا من احسن منتزهات العالم · فاشجار الجميز والابنوس والصفصاف والكافور متصلة بعضها ببعض على الجانبين حتى الترعة الشبراوية (شبرا البلد) والمروج من الجانبين خضراء زمردية مزروعة قصب سكر وذرة · ومن اليسار على مسافة ميل حدائق وبساتين زاهرة تتصل بضفة النيل الشرقية

وعند منتصف الطريق «كازينو» في داخل بستان مغروس بالاشجار المثمرة وفيهِ بركة وفساقي جميلة تفيض منها المياه بشكل بديع وخرير مطرب ينعش النفوس ويشرح الصدور · وحول هذا البستان حقول الرز والذرة وقصب السكر · ويؤم هذا المنتزه البديع كثيرون من اهالي القاهرة وبينهم ضباط وباشاوات مشاةً وركباناً · والنساء يجلسن تحت ظلال الشجر زمراً زمراً مع اولادهن

وعلى مسافة قريبة من هناك سور عالٍ يمتد مسافة ميل داخلهُ قصر عظيم جميل البناء وحولهُ حدائق غناء تزري بحدائق قصر اللوفر في باريس · وهذا القصر لمحمد علي باشا حاكم مصر الآن · فاذن لنا الحاجب في الدخول الى الحديقة ورأينا داخلها فيلاً ابيض معروضاً للفرجة · وهذا الفيل النادر الوجود اهدتهُ الحكومة الانكليزية الى محمد علي باشا مقابل اثر تاريخي او مسلة قديمة اهداه لها · فاظهرت زينب السرور والفرح عند ما رأت هذا الفيل الابيض حتى انها لم تتمالك ان تصفق بيديها جذلاً كأنهُ يذكرها بفيلة بلادها · وكان حول نابيهِ حلقات من الفضة وحارسهُ الهندي يروضهُ على حركات والعاب مختلفة

فاني بحركات معيبة لم ارَ من اللياقة ان تمثل امام النساء واشرت الى زينب ان قد انتهت الفرجة فلتتبعني · وكان بين المتفرجين احد الضباط او الحرس فصرخ بلغة ايطالية سقيمة آسبتاتي سنيوري «انتظر يا خواجا» هنيهة اخرى فان هذه الالعاب تنبسط لها قلوب النساء · فاجبتهُ باللغة الفرنسوية وتكون شركاً لاخلاقهنَّ الساذجة ومفسدة لآدابهنَّ · ويظهر انهُ لم يفهم مغزى كلامي وما فيهِ من التعنيف فضحك مقهقهاً وضحكت النساء لضحكهِ

ثم خرجنا من هناك واستأذنا في التفرج على القصر ولما كان وفتئذٍ خالياً والباشا مقيم في قصر القلعة سمح لنا بالدخول

وهذا القصر بمثابة مقصف بديع الشكل ليس فيهِ شيء من ضخامة البناء وفخامة المنظر وهو من طبقتين ارضية وعلوية فالارضية «سلاملك» والعلوية لسكنى حرم الباشا وهو قائم على ضفة النيل مقابل سهول امبابه المشهورة بنكبة المماليك · فالطبقة الارضية بهيئة كشك بديع جميل المنظر باعمدة من رخام وداخلهُ مخادع وغرف وقاعات كثيرة فسيحة مزخرفة فاخرة الرياش منها ما هو مأوى للطيور والعصافير النادرة كالحجل والببغاء والدرة والكناري والطاووس · ومنها مخادع للغسيل والحمامات · ومنها قاعات للالعاب الرياضية والبلياردو · اما مخادع الاستقبال والنوم والاستراحة فمفروشة بافخر الرياش والمقاعد الحريرية والاسرة والكرامي المذهبة وفيها من الفخفخة والابهة ما هو خليق بسكنى الامراء والملوك · وجدرانها مزخرفة بالنقوش والمرايات الكبيرة وصور الغياض والبحيرات والرياض والغابات من ريشة امهر المصورين الاوربيين · وبالاجمال فكل الجدران والسقوف مزخرفة بمناظر طبيعية بديعة من انهار ونخيل واشجار وبحيرات ومراكب ناشرة شراعها في الفضاء الأ انهُ ليس بين تلك الصور صورة انسان واحد · وبين تلك الصور رسم بحر يعجُّ بالسفن الحربية وعليها الاعلام العثمانية واليونانية تمثل المعركة البحرية التي قام بها الاسطول المصري في المورة بقيادة ابرهيم باشا · ومن الغريب ان ليس في تلك المعركة صورة آدمي واحد كأن المراكب والمدافع كانت تتحرك وتطلق القنابل من نفسها

وبين هذه المخادع قاعة كبيرة للاستقبال مفروشة بافخر الرياش جعلها الباشا مقراً للاحكام فيجلس فيها للحكم في ايام مخصوصة ولسماع شكاوي الناس · وفي صدرها لوحة كبيرة مكتوبة فيها آية حكمية بحروف عربية جميلة مذهبة

ثم جلنا في تلك الحدائق النضرة والبساتين الزاهرة وهي على اقسام مختلفة بديعة الترتيب والوضع والتنسيق غرست على الطرز الايطالي يعنى بحفظها وغرسها وتنسيقها بستانيون ايطاليون . فدخلنا اولاً الى بستان الورد وفيهِ كل اصناف الورد في العالم . وفي الفيوم ايضاً بساتين كثيرة للورد العطري الرائحة يستخرج منهُ مقادير عظيمة من عطر الورد ومن ورد شبرا تعمل المربيات والمشروبات الوردية . وقد تلطف بستانيُّ وقدم لنا صحفاً من الورد بديعة التنسيق

ثم دخلنا الى بستان البرتقان والليمون والاترج وقد امر الباشا ان يترك قسم كبير من هذا الثمر على الشجر بدون قطف حتى يتمتع الزائرون والمتنزهون بمنظر هذا التفاح الذهبي وهو على اغصانهِ . ويباح لكل انسان ان يلتقط ما يتساقط منهُ تحت الشجر . وهناك شجر الموز كغابات كثيفة واقراطها الكبيرة دانية القطوف . ثم اشجار المشمش والتفاح والرمان والخوخ والبرقوق وغيرها من الاشجار المثمرة ومماشي الحدائق مسقوفة بالعرائش ودوالي العنب تتدلى منها عناقيدها المختلفة الاجناس والالوان

واما حدائق الزهور ففيها كل انواع الزهور ذات الرائحة الذكية كالنرجس والفل والريحان وفيها كثير من الازهار الاوربية النادرة داخل كشكات ومقاصف ومقاعد حولها الفساقي والبرك الرخامية ونافورات المياه مظللة بالاشجار والنباتات المتعرشة عليها الرياحين والياسمين

وفي آخر هذه الحدائق وراء القصر كشك من المرمر بديع الصنع حولهُ قصارى النباتات مرتبة بعضها فوق بعض ترتيباً بديع الشكل كأنها هرم من الرياحين والزهور . ولا اظن ان قصر هارون الرشيد في بغداد وبساتينهُ الموصوفة في كتاب الف ليلة وليلة احسن واجمل من هذا القصر ومقاصفهِ وحدائقهِ الغناء . وعند الجناح الغربي على ضفاف النيل كشك آخر مخصص لنزهة الباشا وحرمهِ لا احد يقترب منهُ . وفيهِ بركة عظيمة من الرخام الابيض للاستحمام والسباحة على دائرها اعمدة من المرمر وفوق كل عمود تاج منقوش بابدع النقوش والزخرفة على النسق البيزنطي . وفي وسط هذه البركة العظيمة تماثيل تماسيح مرمرية تخرج نافورات المياه من افواهها والبركة مسقوفة برخام منقوش تتدلى من وسطهِ وجوانبهِ كربات ومصابيح غازية ضمن زجاج مختلف الالوان تنعكس اشعتها على مياه النوفرة ليلاً فيأخذ بمجامع القلوب . وفي البركة قارب صغير بديع الصنع مموَّه بالذهب مع مجاذيفهِ لنزهة الباشا وسراريهِ

— العفاريت وعلاجها —

يصعب على الاجنبي ان يحكم على آداب المرأة الشرقية واخلاقها من معاشرة امرأة واحدة ومع ذلك فان ما حدث لي مع جاريتي وجاراتها اللواتي تعرفت بهن من السطوح والنوافذ جعلني ان احكم حكماً عمومياً على اخلاق المرأة المصرية وعوائدها الداخلية

ففي احد الايام رجعت الى منزلي وصعدت الى غرفة زينب فرأيت فيها ما جعلني في اشد الدهشة والاستغراب . رأيت مجادل البصل الاخضر معلقة بكثرة على الجدران والاركان وفوق الباب والنوافذ حتى فوق سرير النوم فاستغربت هذا الامر ولا اعلم اذا كان هذا البصل الكريه الرائحة يقوم عند جاريتي مقام طاقات الزهور والورد وهو ليس بحسن الشكل حتى يوضع في المخادع للزينة . فظننت في بادىء الامر انها فعلت ذلك من قبيل تلاهي الصغار . ففي الحال نزعت كل هذه الجدائل والقيتها من النافذة الى حوش الدار وحينئذٍ استفاقت زينب من القيلولة ولما رأتني انزع البصل والقيه من النافذة باحتقار نهضت وقد اشتدَّ بها الغيظ والحنق كلبوةٍ فقدت اشبالها واوسعتني شتماً وسباً ثم تحوَّل غيظها الى بكاء ونحيب ونزلت الى صحن الدار تلتقط البصل المتناثر ودموعها تهطل على خديها ثم صعدت وعلقت البصل كما كان ولسانها لا يكف عن شتمي ولكنني لم افهم ما هي انواع السباب سوى كلمة واحدة طرقت سمعي وقد كررتها مراراً وهي « فرعون » فما معنى فرعون في قاموس السباب ? فاستدعيت في الحال منصوراً وقلت له ان يسأل زينب عن سبب تزيين غرفتها بمجادل البصل وما قصدها من ذلك . فاجابت وهي لا تزال تنتحب ان البصل الاخضر يجلب السعد ويطرد العفاريت من البيت ويبعد المصائب عن اهله واني بعملي هذا طردت الخير والسعد وجلبت عليها وعليَّ انواع الشرور والشؤم . وقال لي منصور ان تعليق البصل في البيوت عادة شائعة في كل بلاد مصر جلباً للسعد ووقاية من الشرور والمصائب . فقلت له حقيقةً ان البصل كان منذ القدم من آلهة المصريين الاولين فاذا كنت اهنت هذا الاله فاني مستعد لترضيتهِ وطلب السماح منهُ . ولكن ذلك لم يقنع جاريتي والحت عليَّ ان لا امس البصل بسوء . فسألت منصور عن معنى كلمة « فرعون » التي كررتها في ابان غيظها فقال لي انها بمعنى ظالم او كافر . فلم اتمالك حينئذٍ من الضحك والقهقهة . واعجباهُ لم اكن اعلم قبل الآن ان اسم الملوك المصريين القدماء اضحى في هذا الزمن مسبة وعاراً

وتم الاتفاق بيني وبين الجارية على ان لا تكثر من وضع البصل في غرفة النوم غير ان الاوهام تسلطت على عقلها منذ نزعتُ البصل واعتقدت ان ذلك كان شؤماً عليها وانهُ لا بد ان يصيبها مكروه وفعلاً فانها اصيبت مساء بحمى شديدة جعلتها طريحة الفراش وعبثاً حاولت ان اقنعها باتباع مشورة الطبيب وشرب الادوية التي وصفها لها ولم يزدها الحاحي عليها الاّ عناداً حتى اشتدت عليها وطأة الحمّى وصار يخشى على حياتها

وفي اليوم الثالث صعدت الى غرفتها ورأيتها هادئة وقد تركتها الحمى · وعند رأسها امرأتان تتمتمان بكلام غير مفهوم وتقرعان طبلاً امامها ولما سألت منصوراً عنهما قال لي ان جارةً استدعتهما لزينب لكي تخرجا العفاريت منها · فقلت وما هي هذه العفاريت قال هي ارواح الشر ومصدر المصائب ثارت غضباً وسخطاً على زينب لاني اهنت البصل ونزعتهُ باحتقار من غرفتها وقال ان العفاريت نوعان الاخضر والاصفر والاخير اشد شرّاً وضرراً

ولما رأيت ان مرض الجارية عقلي وهميّ لم ار بأساً من ان تعمل لها وسائط وهمية لشفائها حسب اعتقادها · وكانت احدى المرأتين كما قال لي منصور ذات شهرة واسعة بين النساء المصريات في اخراج الارواح الشريرة وطرد العفاريت وشفاء الامراض العضالة بطريقة تعرف عندهنَّ بالزار · فاخذت المرأة كانوناً واشعلت فيهِ الفحم وذرّت على النار بعض قطع من الشبّ حتى امتلأت الغرفة من الدخان وقال منصور ان العفاريت لا يمكنها ان تلبث في المنزل وفيهِ هذا الدخان الكثيف ثم اخذت المرأتان الجارية ووضعتا وجهها فوق النار وكانت احداهما تقرع على ظهرها وتنشد نشيد طرد العفاريت والاخرى تضرب طبلاً · ولما انتهت الحفلة اضطررت ان ادفع للمرأتين اجرة العيادة او بالحري اجرة طرد العفاريت

ولما كان مرض زينب وهمياً فهذه الواسطة الوهمية جعلتها تعتقد بالشفاء وفعلاً فانها في صباح اليوم التالي نهضت من فراشها معافاةً ومشددة القوى غير انها طلبت مني ان اسمح لجارتيها خاتون وزبيدة ان يأتيا لزيارتها في كل يوم بقصد التسلية فلم ترق في نظري هذه العشرة المفسدة الاخلاق فصرفتها بالحسنى واوصيتها ان لا تشرفا بعد الآن الاّ متى دعوتهما عند عودة العفاريت مرةً اخرى

وبعد مضي شهرين رأيت ان هذه المعيشة الشرقية بين جارية كثيرة التطلب والرغائب وبين خدم يخدعونني في مشترى الحاجيات الضرورية زادت نفقاتي زيادة شعرت فيها

بنقصان ماليتي نقصاناً كبيراً وخشيت ان لا تعود دراهمي كافية لاتمام سياحتي في سوريا ولبنان فعزمت ان اقصر مدة اقامتي في القاهرة . وبعد بضعة ايام قلت لزينب اني عزمت على السفر وذكرت لها الاسباب التي دعتني لذلك . وفي الختام قلت لها واما انت فان شئت الاقامة بمصر فاني اهبك الحرية . فاجابتني جواباً لم اكن انتظره من جارية اسيرة وقالت لي بحدة وغضب . تهبني الحرية ؟ وما تفيدني هذه الحرية ارجعني الى وكالة « الجلابة » وبعني كما اشتريتني . قلت ولكن الا تعلمين يا عزيزتي انهُ من العار ان يبيع اوربي امرأة ويقبض ثمنها . فبدأت تبكي وتنتحب وقالت وانا ماذا اصنع والى اين اذهب . فقلت لها ادخلي الى القصور بصفة خادمة عند احدى السيدات فاظهرت الغيظ والانفة وصرخت . امثلي تكون خادمة في البيوت للكنس والغسيل في المطابخ ؟ كلاَّ والف كلاَّ ارجعني الى السيد عبدالكريم وبعني لهُ فربما يسعدني الحظ فيشتريني احد الضباط او الحكام واكون عندهُ بصفة « قادن » لا خادمة

أليس من الغرابة ان الجواري في مصر يفضلن الاسر على الحرية ؟ ورأيت بعد انعام النظر انها مصيبة في قولها فماذا تفيدها الحرية ؟ هل القيها في الشارع ؟ وعدا ذلك فهي تجهل امور الطبخ والخدمة البيتية ولا تعرف ان تعمل عملاً فاذا اطلقتها الا تكون عرضة لفساد الخلق والآداب . وألا اكون انا بنفسي سبباً لسقوطها في بؤرة الشرور وقيادتها الى اماكن الفساد ؟ ومن جهة اخرى تمنعني ادابي ان ابيعها فقلت لها

اذا كنت لا تودين البقاء في مصر فيجب ان تتبعيني الى بلادي . فاظهرت السرور وصفقت بيديها فرحاً وصرخت . « أيوا انتَ وانا سوا سوا » . فسألت منصوراً عما اجابت فقال . تقول انها ستتبعك الى حيث تريد ولا تفارقك

ولما رأيت ان لا مفر من اخذها معي الى سوريا ذهبت في اليوم التالي لزيارة قنصلي واعلمتهُ بعزمي على السفر ورجوت منهُ ان يسهل لي الوسائط فارسل معي احد القواصة الى مينا بولاق وهناك استأجر لي مركباً نيلياً يقلني في النيل الى دمياط وهي اقرب مرفإٍ بين مصر وسوريا

ديمتري نقولا

معركة جتلند البحرية

سميت المعركة البحرية التي جرت بين الاساطيل الانكليزية والالمانية في آخر مايو الماضي معركة جتلند او جيلند وهو اسم المقاطعة الشمالية من بلاد الدنمرك التي جرت المعركة بازاء ساحلها الغربي. وقد سميت باسماء اخرى لا حاجة الى ذكرها. ووصفها بعضهم بانها اعظم معركة بحرية ذكرت في التاريخ . ولكننا لا نرى في هذا الوصف تعظيماً لها فان اعمال الاقدمين في السلم والحرب ليست شيئاً مذكوراً في جنب اعمال المتأخرين الأ ما كان منها كالاهرام والجنائن المعلقة وصنم رودس مما اضاعوا عليه جهدهم ووقتهم سدى وبما لا يعيي انسان هذا الزمان امرؤ لو رام الاتيان بمثله . هذه معركة ترافلغار او طرف الغار التي تغلّب بها الاميرال نلسون على الاسطول الفرنسوي في اوائل القرن الماضي . فانها اعظم معركة بحرية عرفها الناس حتى ذلك العهد ولكنها لا تذكر بازاء المعركة التي نحن بصدد الكلام عنها . وسفنها وسلاحها بالنسبة الى البوارج الحديثة والسلاح الحديث كالمخاريق التي يلهو بها الصبيان

ادق وصف لمعركة جتلند او لمعركة البحر الشمالي الكبرى كما سمتها احدى الصحف الانكليزية ما نشرتهُ مجلة غلاسجوهرالد الانكليزية . ويستدل من قراءته على انهُ مكتوب بقلم غير واحد من الخبيرين بالشؤُون البحرية . وهو مبيّن بالرسوم الواضحة كما يرى فيما يلي . وقد قسمت فيهِ المعركة الى خمسة ادوار سميت اوجهاً تشبيهاً لها باوجه القمر وهاك بيانها

الوجه الاول

الساعة ٣ والدقيقة ٤٥ من مساء ٣١ مايو

كانت طرادات القتال في اسطول الاميرال بيتي الانكليزي مؤلفة من الطرادات ليون والبرنسس رويال وكوين ماري وتيجر وانفلكسبل واندومتابل وانفتبل واندفتيجابل ونيوزيلند . والاربعة الاولى منها من طرز سوبر در يدنوط اي اعظم من طرز در يدنوط . والخمسة الباقية من طرز در يدنوط . وكانت تمخر جنوباً بشرق (انظر شكل ١) تتبعها اربع بوارج من طرز كوين اليزابث وهي سوبر دريدنوط كما هو معلوم واسماؤُها برهم وفليانت وورسبيط وملايا

لم يكن الا القليل حتى رأت هذه المدرعات طلائع الاسطول الالماني وكانت مؤلفة من الطرادات الخفيفة تتبعها خمسة من طرادات القتال هي مندنبرج وسدلتس ودرفلنجر ولتزوف ومولتكي وهي تجري جنوباً بغرب · وربما كان معها طراد سادس هو الطراد سلاميس

فبدأ الاميرال يتي اطلاق النار على بعد ٢٠ الف يرد (١٢ ميلاً) ثم قصر مجال النار الى ١٦ الف يرد (٩ اميال) بتداني الاسطولين · وكان الالمان يرون الاسطول الانكليزي بجلاء على ديباجة الجوّ الصفراء · اما هم فلم يُرَوا بوضوح اذ كانت تغشاهم سحابة من الضباب · وكانت البوارج الانكليزية (التي من طرز كوين اليزابث) تطلق نارها واحدة بعد اخرى على الاسطول الالماني كلما بات ضمن مرماها · فلما صارت المسافة بين طرادات القتال من الاسطولين ١٦ الف يرد انقلبت الطرادات الالمانية من السير جنوباً بغرب الى الشرق حتى صار البعد بينها وبين الطرادات الانكليزية ٢٠ الف يرد

الوجه الثاني

الساعة ٤ والدقيقة ٤٠ مساء

وفي هذه الساعة لاحت سحابة دخان خلف الطرادات الالمانية · ذلك ان الاسطول الالماني الاكبر الملقب بالانكليزية « هاي سيزفليت » اي اسطول عرض البحار اقبل لنجدة اسطول الطرادات وارسل امامهُ اسطولاً من النسافات حجاباً بينهُ وبين اعدائهِ · وكان يرى معترضاً الافق الشمالي الشرقي وزاحفاً في ثلاثة صفوف · وحينئذٍ دار اسطول الطرادات الالمانية وسار شمالاً بغرب ووقف بين الاسطول الانكليزي والاسطول الالماني الاكبر · وبذلك وقف الاسطول الالماني كلهُ امام اسطول الاميرال يتي · وكان اسطول الاميرال جليكو لا يزال بعيداً عن ساحة القتال (شكل ٢)

وكان الاسطولان المتعاديان يمخران الآن متوازيين ولكن في جهتين مختلفتين فالالماني يجري شمالاً بغرب والانكليزي جنوباً بشرق · ولولا حركة بديعة اقدم عليها الاميرال يتي لقطع الالمان خط الرجوع على اسطولهِ وفصلوهُ عن اسطول جليكو الاكبر · اما حركتهُ فهي انهُ حذا حذو الالمان فدار باسطولهِ مثلهم ولكن الى جهة مقابلة وبذلك بقي موازياً لهم ومتجهاً اتجاههم اي سائراً في جهة واحدة معهم لا عكسهم كما كان اولاً · فمنع بحركتهِ هذه الالمان من فصلهِ عن جليكو واعدّ لجليكو السبيل الى الالتفاف حولهم

وحالما اتمَّ حركتهُ الانقلابية وقطع « الدوران » سار باسرع ما يمكنهُ ليلحق الالمان ويتخذ لهُ مركزاً في نقطة يتقدم فيها عليهم . فتمكن من ذلك بفضل تفوق طراداتهِ على طراداتهم في سرعتها . ولكنهُ قبل بلوغ نقطة الانقلاب فقد الطراد « اندفتيجابل » اذ مسَّ لغماً على ما يرجح . وكذلك فقد « كوين ماري » و« انفنسبل » عند نقطة الانقلاب حيث جمع اسطول الالمان الاكبر نارهُ . وكانت بوارج الانكليز التي من طرز كوين اليزابث قد فعلت بطرادات الالمان قبيل ذلك ما فعل اسطول الالمان الاكبر بطراداتهم . فانها جمعت نارها في نقطة انقلاب الطرادات الالمانية فدمرت طراداً حديث الطرز يظن انهُ الطراد هندنبرج . ولما اجتاز الاميرال بيتي نقطة الانقلاب اخذ يسير حذاء الاسطول الالماني والبوارج الاربع الكبرى تسير خلفهُ وهي تقاتل الاسطول الالماني الاكبر

الوجه الثالث

الساعة ٥ مساء

ثم دارت هذه البوارج الكبرى للحاق باسطول الطرادات ولكن دورتها كانت في الجهة المقابلة لهُ . وفيما هي تفعل ذلك تعطلت دفة البارجة « وورسبيط » احداها فلم تدر فاصلتها ست من بوارج الالمان نارهنَّ واطبقن عليها (شكل ٣) . وقد ادعى الالمان انها فقدت وواقع الامر ان القنابل التي اصابتها كانت كثيرة ولكنها لم تصب اصابة تعطل سيرها بل تمكنت في آخر الامر من اللحاق باخواتها بعد ان اغرقت بارجة المانية

وفي خلال ذلك دارت البوارج الثلاث الباقية فجأة لاجتناب نقطة الخطر حيث فقد الطرادان كوين ماري وانفنسبل وبقيت تقاتل الاسطول الالماني الاكبر « وتشاغلهُ » ساعة حتى وصل الاميرال جليكو الى ساحة المعركة . وانضمت البارجة ورسبيط اليهنَّ نحو الساعة ٥ والدقيقة ١٥ ولم تصبن اصابات تمنعهنَّ القتال وتمكنَّ بتفوقهنَّ على الالمان في سرعتهنَّ من الابتعاد عن جانب من صف الالمان الطويل الذي كاد الافق ان يغص بهِ . وكنَّ يطلقن نارهنَّ على مدى ١٢ الف يرد الى ١٥ الفاً . فلم تأتِ الساعة ٥ والدقيقة ٤٥ حتى كنَّ قد ابعدن عن مرمى نصف الاسطول الالماني الاكبر وهنَّ مسرعات للانضمام الى اسطول الاميرال جليكو

وكان اسطول الطرادات الانكليزية قد بات محاذياً لاسطول الطرادات الالمانية

وسابقاً اياهُ فلما رأى الالمان ذلك تجنبوهُ بان داروا يميناً في زاوية قائمة لحذا الانكليز حذوهم · وتجدد القتال بين الاسطولين واخذ يشتد ففقد الالمان حينئذٍ الطراد درفلنجر · ونحو الساعة السادسة خفت نار الالمان كثيراً فاستدلَّ من ذلك على حسن بلاء اسطول بيتي باسطول الطرادات الالمانية

الوجه الرابع

الساعة ٦ مساءً

وكان الاسطول الانكليزي الاكبر قد لاح في الافق يجري في ثلاثة صفوف (شكل ٤) فغيرت بوارج الاميرال بيتي الثلاث جهة سيرها ومالت نحو الاسطول الالماني لتفسح المجال للاميرال جليكو وتمكنهُ من صف بوارجهِ صفاً واحداً · فتم ذلك لهُ بسرعة على صعوبتهِ ووقف بين طرادات بيتي من الشمال وبوارج ايفان توماس الثلاث من الجنوب وكان هذه البوارج لا تزال قاوية على القتال رغم ما اصابها من قنابل الالمان · ثم قصد جليكو ببوارجهِ طليعة الاسطول الالماني ليقطع السبيل عليهِ وكانت البارجتان رفندج وروبال اوك اول البوارج التي بادأتهُ القتال بمدافعها من عيار ١٥ بوصة ثم البارجة اجنكور وهي مثلها قوة

وكان الاسطول الانكليزي كلهُ يتحرك الآن في جهة الاسطول الالماني وعلى زاوية قائمة ليقطع السبيل عليهِ · ولكن النور كان قد اخذ يتضاءل ومع ذلك تمكن جليكو قبل سطو الظلام واستيلاء الضباب من القضاء على الطرادات الالمانية الثلاثة التي في المقدمة

الوجه الخامس

في الظلام

وطارد الانكليز الاسطول الالماني وهم يكتنفونهُ — جليكو من الغرب وبيتي من الشمال وايفان توماس ببوارجهِ الثلاث (التي من طرز كوين اليزابث) من الجنوب (شكل ٥) · اما البارجة الرابعة ورسبيط فكانت قد اعيدت الى قاعدتها · وفي اثناء الليل هاجمت النسافات الانكليزية الاسطول الالماني فخسرت خسارة عظيمة ولكن بعد ان اغرقت سفينتين من سفن الالمان ثم اتضح للانكليز ان تلاؤم حركات اساطيلهم

الثلاثة بات متعذراً تحت جنح الظلام ولاسيما ان الالمان رأوا بانوارهم الكشافة اسطول الاميرال توماس على بعد اربعة آلاف يرد منهم جنوباً فاغتنموا هذه الفرصة وانسلّوا بينهُ وبين اسطول جليكو ولم يتمكن جليكو من اطلاق النار عليهم لحيلولة النسافات الانكليزية بينهُ وبينهم

⁂

وكتب الاميرال ديوي الاميركي المشهور مقالة في جريدة «سي بوَر» اي القوة البحرية بعنوان «عِبَر معركة سكاجراك — اهمية بوارج دريدنوط — ضعف طرادات القتال — نفع النسافات» قال فيها ما خلاصتهُ :

تلاقى اسطول عصري من الطبقة الاولى واسطول مثلهُ في ساحة القتال وكلٌّ منهما مجهز باحدث المخترعات والمكتشفات البحرية الحربية مما بني على النظريات دون العمليات. وقد كان يوم ٣١ مايو يوم التجربة والامتحان وستكون نتائجهُ ذات علاقة كبيرة باساطيل المستقبل في جميع البلاد. اما ما حدث في هذه المعركة فلا يزال مبهماً غير واضح حتى الآن ولكن يظهر لنا انهُ يمكن تلخيصهُ فيما يأتي

خرج الاسطول الالماني الى عرض البحر يتلمس فرصة ليضرب ضربة تكون على ما يروم ويشتهي. وكان الاسطول الانكليزي منتشراً على مسافة ثلاث مئة ميل في البحر الشمالي والنهار كثير الضباب لا ترى السفينة ما حولها الى ابعد من ستة اميال. وكان قصر المدى هذا في مصلحة الالمان لان اسطولهم كان مجموعاً عاقد العزم على القتال

وارسل الانكليز امام اسطولهم طليعة من النسافات وسفن الصيد للاستطلاع. وكان خلفها الطرادات السريعة وخلف هذه اسطول البوارج ليدعى اذا اقتضت الحال دعوتهُ. فاخبر الكشافة بوجود اسطول الماني في البحر امامهم فهبَّ اسطول الطرادات السريعة للقائهِ. ومعلوم ان هذه الطرادات لا تصلح لقتال بوارج دريدنوط وكان الانكليز يحسبون ان بوارج دريدنوط الالمانية لا بد ان تكون مهيأة للنزال ومع ذلك عقد الاميرال بيتي العزم على الوقوف في وجه الالمان ريثما يصل اسطول جليكو وفيهِ بوارج دريدنوط

والظاهر ان ثلاثة من طراداتهِ ضاعت في بدء القتال وهو يحاول الوقوف في وجه الالمان. وهذه الطرادات الثلاثة هي كوين ماري (طراد قتال من طرز سوبر دريدنوط)

والدر يدنوطان اندفتيجابل وانفسبل · ولكن يظهر ايضاً انها قبل ضياعها حملت الالمان خسارة لم يذهب بها ذلك الضياع سدًى

ومغزى ذلك ان طرادات القتال وهي رقيقة الدروع اكي تبقى خفيفة لان السرعة مطلبها الاول ومدافعها الضخمة اصغر واقل من مدافع البوارج — لا يمكنها الاخذ والعطاء مع البوارج · وقد كان هذا الرأي رأي الخبراء البحريين من اولهم الى آخرهم حتى ايدتهُ معارك سكاجراك · فان كوين ماري وهي طراد حمولتهُ ٢٥ الف طن لم يصبر على نار قنابل الالمان بل غرق في اقل من لمح البصر

***

هذا هو الوجه الاول من المعركة · وبعد غرق الطرادات المذكورة وصل اسطول البوارج الانكليزية يتقدمهُ البارجة ورسبيط وكان مؤلفاً من اربع بوارج · فانهالت عليهِ قنابل الالمان انهيال المطر واصيبت كلٌّ من بوارجهِ الاربع مراراً عديدة · وكانت اصابات ورسبيط ومارلبورو[1] اشدها خطراً واصيبت هذه الاخيرة بتوربيد الالمان · ومع ذلك كلهِ لم تغرق احداها بل عادتا كلتاهما الى حيث ترممان · وقد قص ربان البارجة ورسبيط حكاية بارجتهِ فقال ان دفتها تصدعت في اثناء القتال فباتت تخبط على غير هدى ولكنها خاضت المعمعان واجتمعت عليها قنابل الالمان فردت عليهم بنار حامية اطلقتها من مدافعها كلها · ومع كلّ ما اصابها لم تغرق بل خرجت من ساحة القتال مثخنة بعد ان قامت بالمهمة التي صنعت البوارج لقضائها وبرهنت على صحة نظرية القائلين ببذل السرعة في سبيل الدروع الثخينة والمدافع الضخمة (خلافاً لما هو الحال في طرادات القتال)

ومما يستحق الذكر بوجه خاص عدم اغراق التوربيد للبارجة مارلبورو · واهمية ذلك قائمة بان الجمهور كانوا يذهبون الى ان التوربيد آفة بوارج الدرِدنوط فلا يصيب توربيد بارجة الاَّ اودى بها ولكن سلامة البارجة مارلبورو من التوربيد من شأنها ان تزعزع هذا المذهب

***

هذا هو الوجه الثاني من المعركة · اما وجهها الثالث فهو نزول نسافات الفريقين الى

(١) اختلف هذا الكاتب عن كاتب المقالة السابقة في هوية البوارج الاربع فقد عدَّ هذا البارجة مارلبورو بينها ولم يعدها الاول · والمعروف ان مارلبورو ليست من اخوات كوين اليزابث بل اقدم منهن بسنة على انها ذكرت في بيان الاميرال جليكو وعرف منه انها اصيبت بتوربيد الالمان

الميدان . فان النسافات تراد لتكون حجاباً امام السفن الكبيرة ولتستطلع لها وكان الرأي حتى الآن انها لا تقوى على مهاجمة البوارج العظيمة في النهار بل تقضي مهمتها في جنح الليل او تحت الضباب . ولكن الالمان حلّوا عقال نسافاتهم في هذه المعركة نهاراً واطلقوها على سفن الاسطول الانكليزي . والمظنون ان نحو عشرين منها أغرقت والمرجح انها لم تفز باغراق سفينة من سفن الانكليز التي من الطبقة الاولى . ولكن لا جدال في انها اوشكت ان تقضي على البارجة مارلبورو كما تقدم القول ولم يقل احد ان هجومها على البوارج الكبرى ليس مستصوباً من الوجهة الفنية

والمظنون ان الاسطول الانكليزي ردَّ على الالمان باطلاق نسافاته وارسالها الى المزدحم لتعثو بين سفنهم . والثابت ان نحو ١٢ نسافة منها فقدت ولا نعلم حتى الآن مبلغ ضررها بالاسطول الالماني فلذلك لا نبدي رأياً في صحة ذلك الهجوم او عدمها . على ان ذلك يجب ان لا يعمينا عن هذه الحقيقة وهي ان النسافات فعلت فعلاً كبيراً في القتال من اولهِ الى آخرهِ حتى يصحّ القول انها برهنت على نفعها في معركة عظيمة كالتي نحن بصدد الكلام عليها

وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ ان هذه المعركة جاءت مصداقاً لرأي الخبيرين في دوائر اميركا البحرية من وجوب الاعتماد في بناء الاسطول الاميركي على البوارج الكبرى . ثم ان وجود امثال هذه البوارج في الاسطول الانكليزي هو الذي مكّن انكلترا من حصر المانيا وحلفائها بحراً من غير ان تطلق رصاصة

على ان هذه المعركة لا تعلمنا شيئاً عن قيمة المدافع على اختلاف مراتبها من صغيرة الى كبيرة . فان معظم القتال دار والسفن متقاربة فلا يقتضي ذلك جهداً في احكام الرماية . فان كلَّ مدفع وكل رامٍ يصيب تقريباً على بعد ستة اميال . فلذلك لم تسنح للاسطول الانكليزي فرصة لاثبات ما يعزى الى مدافعهِ ورماتهِ من مزية التفوق على الغير . وكذلك نجهل عدد السفن التي اغرقها الاسطول الانكليزي من الاسطول الالماني ونجهل شدة فتك مدافعهِ التي من عيار ١٥ بوصة فلا يصح القول ان هذه المعركة كشفت لنا النقاب عن حقيقة امرها . انتهى

هذا وقد اثبت الاميرال جليكو القائد العام للاساطيل الانكليزية ان خسارة الانكليز كانت دون خسارة الالمان كثيراً لا كما خيّل لهُ في اول الامر اذ ظن ان خسارتهم تقل عن خسارة الانكليز . ويؤخذ من تقريرهِ ان الفريقين خسرا من البوارج والطرادات والنسافات ما هو مذكور في البيان التالي

ما خسره الانكليز

الاسم	التفريغ	سمك الدرع	قطر المدفع الكبير بوصة	القوة بالحصان	السرعة بالميل البحري
كوين مادي	٢٨٨٥٠ حصاناً	٩ بوصات	١٣ ١/٢	٧٨٠٠٠ حصان	٣٨
اندفتيجابل	١٧٢٥٠ «	٧ «	١٢	٤٣٠٠٠ «	٢٧
انفنسبل	١٧٢٥٠ «	٧ «	١٢	٤٣٠٠٠ «	٢٧
ديفنس	١٤٥٠٠ «	٦ «	٩,٢ «	٢٧٠٠٠ «	٢٢,٥
بلاك برنس	١٣٥٥٠ «	٦ «	٩,٢ «	٢٣٥٠٠ «	٢٢,٥
وريور	١٣٥٥٠ «	٦ «	٩,٢ «	٢٣٥٠٠ «	٢٢,٥
	١٠٤٩٥٠			٢٣٨٠٠٠	

وخسروا ايضاً تسع نسافات

ما خسره الالمان

اما خسارة الالمان فكانت ثلاث بوارج من طرز دريدنوط التي يختلف تفريغها بين ١٨٥٠٠ طن و ٣٠٠٠٠ طن وسمك درعها بين ٦ بوصات و١٤ بوصة وقوة آلاتها البخارية بين ٢٠٠٠٠ حصان و ١٠٠٠٠٠ حصان وسرعتها بين ٢٠ ميلاً و٢٨ ميلاً وقطر مدافعها من ١١ بوصة الى ١٥ بوصة فيكون متوسط تفريغها نحو ٢٥٠٠٠ طن ومتوسط سمك درعها ١٠ بوصات ومتوسط قوة آلاتها البخارية ٦٠٠٠٠ حصان ومتوسط سرعتها ٢٤ ميلاً ٠ وعليهِ فتفريغ هذه البوارج الثلاث ٧٥٠٠٠ طن وقوة آلاتهما البخارية ١٨٠٠٠٠ طن

وخسروا ايضاً بارجة من طرز ديتشلند التي تفريغها ١٣٢٠٠ طن وسمك درعها ١٠ بوصات وقطر المدفع من مدافعها ١١ بوصة وقوة آلاتها البخارية ١٦٠٠٠ طن

وخمسة طرادات خفيفة مما تفريغهُ بين ٢٦٧٠ طنًا و ٦٣٠٠ طن وقوة آلاتهِ البخارية بين ثمانية آلاف حصان و ٤٥ الف حصان فتوسط التفريغ نحو ٤٥٠٠ طن ومتوسط قوة آلاتهِ البخارية ٢٦ الف حصان ٠وعليهِ فتفريغ هذه الطرادات الخمسة نحو ٢٢٥٠٠ طن وقوة آلاتها البخارية ١٣٠٠٠٠ حصان ومجموع تفريغ هذه السفن كلها ١١٠٧٠٠ ومجموع قوة آلاتها البخارية ٣٢٦٧٠٠

وخسروا ايضاً تسع نسافات ومدمرات

في جحيم الصحراء

كان عند الانكليز سفينة تجارية اسمها هيبرنيا فاخذتها حكومتهم واقامتها بين السفن الكشافة وسمتها نارا وجعلت مقرها في الانحاء الشرقية من بحر الروم. وفي الخامس من شهر نوفمبر الماضي التقت بها غواصة المانية على ثمانية اميال من السلوم وضربتها بالتربيد فنسفت آلتها البخارية وقتلت ١٢ من بحارتها واغرقتها في سبع دقائق . فنزل بقية ركابها في القوارب او رموا بانفسهم الى البحر . وظهرت الغواصة حينئذٍ فوق الماء ولكنها لم تحاول انتشال احد من الذين كانوا يحاولون السباحة بل امر ربانها الذي في القوارب ان يصعدوا اليها فصعدوا وقطرت القوارب وراءها الى ان وصلت الى ميناء السلوم فامرتهم ان ينزلوا هناك فنزلوا وانزلوا الذين اتوا بهم من القتلى والجرحى وكان على البر جماعة من الجنود الاتراك ومعهم ضباط من الالمان فسلّم اليهم هؤلاء الرجال كاسرى حرب . وقد وصف اثنان منهم ما لقوهُ مدة اسرهم الى ان اتقذهم دوق وستمنستر فلخصنا وصفهما بما يأتي قالا

كان نوري بك اخو انور باشا بين الضباط وكأنهُ اكبرهم مقاماً على ما يظهر فقال لنا اننا نستطيع ان نكتب الى اهلنا ونخبرهم اننا احياءٌ وهو يرسل المكاتيب اليهم فكتبنا وسلمناهُ المكاتيب ثم وجدنا في اليوم التالي انهُ مزقها ورماها . واعطونا في الليلة الاولى عنزتين لنأ كل لحمها ولكنهم لم يعطونا آنية نطبخهُ فيها فجمعنا حطباً وقشّاً واضرمنا النار وشوينا العنزتين واكلناهما

ويشتدُّ الحرُّ نهاراً والبرد ليلاً في تلك الانحاء وكانت ثياب اكثرنا مبللة فليتصوَّر القارئ ما حلَّ بنا ذلك الليل ببرده القارس لاننا كنا في العراء السماء غطاؤُنا والارض فراشنا . وأمرنا في الصباح ان نسحب قواربنا الى البر ونبعدها عن البحر مئة متر لكي يتعذر علينا الهرب بها . ثم أُعطي كلُّ واحد منا بقسماطتين وهما جرايتهُ في اليوم وأُمرنا ان نمشي في وادٍ كلهُ حجارة صوان حادة فتجرحت اقدام الحفاة منا

وفي السابع من نوفمبر وصلنا الى مكان فيهِ نحو مئة من جنود الاتراك فاقيموا على حراستنا وجاءنا طبيب ليهتم بنا فتحسَّن طعامنا نوعاً بان زيد بقسماطة في اليوم لكل واحد وقليل من الارز وعنزة لنا كلنا ولكننا بقينا نبيت في العراء لا غطاء ولا وطاء

وفي الثاني عشر من نوفمبر أُرسلنا الى درنة وكنا نسير خمس ساعات سيراً حثيثاً ثم

نستريح قليلاً ونعود الى السير وفي الساعة الرابعة بعد الظهر نعطى جرايتنا وهي حفنة من الارز لكلٍ منا ونعاود السير سبع ساعات متوالية بما نحن فيهِ من الجوع والتعب وحراب البنادق تخس ظهورنا . وكان المظنون اولاً ان المكان الذي ارسلنا اليهِ لا يتجاوز بعده ٢٥ ميلاً فتجاوز ثمانين ولم نصل اليهِ

وفي السابع عشر من الشهر هرب واحد منا فأُخذنا بجريرتهِ والتزمنا ان نسير ٤٨ ساعة بلا طعام مطلقاً وبما لا يبل السنتنا من الماء . وهنا فرغ صبرنا ولم يبق فينا رمق وجعلنا نقع في الطريق اعياءً فامرنا الحراس ان نقف واعطوا كلاً منا كوبة من الماء ولكن لم يعطونا شيئاً من الطعام . ولما انتصف الليل انهضونا وامرونا بالسرى

وكل مدة سيرنا في القفر مسافة ٢٨٠ ميلاً لم تزد جراية الواحد منا في اليوم على بقسماطة وست ملاعق من الارز وكان متوسط سيرنا ١١ ساعة كل يوم وقائد الحرس راكب فيستحثنا حتى نجاري فرسهُ ونُضرَب اذا تأخرنا عنهُ

وكان اكثرنا حفاة و يكادون يكونون عراة ايضاً فحرقتنا الشمس وورمت السنتنا واسودَّت من العطش واحمرَّت عيوننا وبهرت من نور الشمس وصرنا نجر انفسنا جرّاً من شدَّة التعب والسغب فوصلنا الى بئر الحاكم ونحن في حالة يرثي لها قلب الجماد وصرنا حينئذٍ في اسر السنوسي . ولم تنتهِ مشاقنا هناك . والرياح في الليل شديدة قارسة وكنا ننام في العراء فاقمنا سوراً من التراب حولنا يمنع عنا عصفها . وابتدأ فصل الشتاء حينئذٍ فاعطانا العرب بعض الخيام القديمة لننام فيها وهي قذرة مملوءة بالهوام . وزاد الطين بلة ان أُصبنا بالدوسنطاريا لكن الضابط العثماني الذي كان يتولَّى قيادة رجال السنوسي قال ان لا بدَّ من تشغيلنا ولو كنَّا موتى وامرنا ان نسير كل يوم خمسة اميال في القفر وننزح بعض الآبار ولكن اشتدَّ المرض على المرضى منا حتى رأى هذا الرجل ان اجبارهم على السير الى تلك الآبار صار ضرباً من المحال

وفي اول دسمبر اخذوا كل ما كان معنا من فضة وذهب من نقود وساعات وخواتم وما اشبه وجعل النساء والاولاد يرشقوننا بالحجارة اينما رأَونا

وكان معنا كلب تبعنا من السفينة فرافقنا واشترك معنا في الضرَّاء وكان الحامي الوحيد لنا وهو اشفق على الانسان من الانسان

وكنا نعطى قليلاً من الدقيق من وقت الى آخر فنجبلهُ بالماء ونبسطهُ على قطعة محماة من الصفيح حتى يخبز ونسر بهِ كاطيب المآكل . وهنا صارت جرايتنا تعطى لنا كل اسبوع

وهي ثلاثة اكياس من الارز زنة كل منها نحو ثلاثين اقة فسررنا اولاً لاننا ظنناها ارزاً كلها ولكن لما فتحناها وجدنا في كلٍّ منها كثيراً من الحجارة الكبيرة · وفي نحو الخامس عشر من دسمبر امرنا السنوسي ان لا نأكل الاَّ مرة واحدة في اليوم وان نحفر خنادق تجري فيها مياه المطر الى الآبار · ومات واحد منا في ١٨ دسمبر وحينئذٍ استرحم طبيبنا ان يزاد طعامنا فجعلوا يعطوننا قليلاً من اللحم كل يوم على خمسة ايام ثم ابطلوا ذلك كانهم ندموا على ما فعلوا

اما نحن فرأينا ان لا بدَّ لنا من السعي والجد لعلنا نجد شيئاً نقتات بهِ فوجدنا في القفر كثيراً من الحلزون فجعلنا نجمعهُ ونأكلهُ وقضينا اربعة عشر يوماً وطعامنا الحلزون ثم أُعطينا قطيعاً من المعزى لنأكل منهُ عنزتين كل يوم ففعلنا الى ان اكلنا القطيع كلهُ فجعلوا يعطوننا شيئاً من التمر نحو عشرين تمرة لكلٍّ منا في اليوم · ووصلنا حينئذٍ الى اشد درجات الهزال وكان اكثرنا مصاباً بالدوسنطاريا وكدنا نقطع الرجاء من كل نجاة ورأينا ان لا بدَّ من ان نموت جوعاً اذا لم نجد منقذاً فعزم الكبتن ويمس ان يهرب عساهُ ان يصل الى السلوم ويسعى في نجاتنا فتربص الى ان ارخى الليل سدولهُ وكان قد اعدَّ قربة ملأَها ماء وحملها وكنا قد خبأْنا لهُ قليلاً من التمر فوضعهُ في جيبهِ ليتقوت بهِ وتسلَّل خفية ولاذ بالفرار وبعد ايام قليلة سمعنا صوت البنادق فالتفتنا واذا فرسان من السنوسية قادمون وهم يسوقون هذا المسكين امامهم ولما وصلوا بهِ جلدوهُ بالسياط ورشقهُ النساء بالحجارة وجعلوا مبيتهُ في حظيرة المعزى

وفي ٢٣ يناير مات منا واحد آخر جوعاً فعمدنا الى التفتيش عن الحلزون واكلهِ الى ان لم تبقَ حلزونة في تلك القفار وصرنا نضطر ان نبعد كثيراً في التفتيش عنها ووجدنا نباتاً يشبه الفصة فجعلنا نجمع جذورهُ ونسلقها ونأكلها واخيراً اتصلنا الى دق نوى التمر بالحجارة واكلها فتقوتنا كذلك الى العاشر من فبراير وحينئذٍ امر السنوسي لكلٍّ منا بقطعة صغيرة من لحم المعزى حتى اذا انتصف شهر مارس ولم يبقَ بيننا وبين الموت جوعاً واعياء قيد شبر وقد ايقنا بالهلاك قال واحد منا انظروا فاني ارى الحرَّاس في قلق فالتفتنا واذا بعض السنوسيين قد صعدوا على المرقب وجعلوا يتطلعون نحو المشرق ثم نزلوا وهرعوا الى خيامهم وجمعوا اسلحتهم ونساءهم واولادهم وما عندهم من زاد واركنوا الى الفرار · وبينما نحن مستغربون ما نرى لا نفقهُ لهُ معنى رأينا نقطة صغيرة في الافق ثم اخرى واخرى وبعد قليل تبينَّا هذه النقط واذا هي اوتوموبيلات مدرعة ولم يكن الاَّ دقائق قليلة حتى

وصلت الينا فطفح علينا السرور حتى لم تعد ارجلنا تحملنا . والاتوموبيل الاول كان فيهِ المستر غرغس الفارس الشهير والثاني كان فيهِ دوق وستمنستر

واول شيء فعلهُ الدوق ورجالهُ انهم اطعمونا طعاماً لم نذقهُ منذ خمسة اشهر حتى امتلأت ضلوعنا ثم وضعوا مرضانا في اتوموبيل خاص بحمل المرضى والبسوا كلاً منا رداء كبيراً ووضعونا في الاتوموبيلات وعادوا بنا مسرعين . وسبقنا الدوق باتوموبيلهِ السريع ليعدَّ لنا مكاناً ننزل فيهِ فوصلنا اليهِ في الصباح التالي بعد نصف الليل بساعتين ورأينا اللبن والوسكي في انتظارنا فاسترحنا بضع ساعات ثم جيء بنا الى السلوم ومنها الى السفينة رشيدة التي نقلتنا الى الاسكندرية . انتهى

فليقابل القارىء بين المعاملة التي عامل بها العثمانيون والسنوسيون هؤلاء الاسرى وبين المعاملة التي يُعامل بها اسراهم في القطر المصري وليرَ الفرق بين الام . ولا عبرة بما يعامل بهِ الالمان اسراهم لانهم شذوا عن الامم المتمدنة باختيارهم حاسبين الارهاب وسيلة لقهر الاعداء كالبندقية والمدفع

اذا عاد التمدن القهقرى الى هذه الحالة الشوُمى فخير لنوع الانسان ان ينقرض عن وجه البسيطة

ويخطئ من يظن ان الاقدمين كانوا ارحم من المتأخرين من هذا القبيل فان في تواريخ كل الامم القديمة من ضروب القسوة ما تقشعر منهُ الابدان . كانوا ينشرون الاسرى بالمناشير ويبقرون بطون الحوامل ويدوسون الاطفال بسنابك الخيل ويسملون العيون ويجدعون الانوف ويصلمون الآذان ويقطعون الايدي ويسلخون الجلود ولم يتركوا وسيلة من وسائل التعذيب الا اتوها . لكن القرن الماضي ابطل كل ذلك تقريباً وكنا نرجو ان تزول آثار الهمجية في هذا العصر فاذا هي قد نمت وقويت

ألَّفت سيدة اميركية رواية وصفت فيها ما كان الارقاء يلاقونهُ عند اسيادهم من ضروب العذاب فكانت تلك الرواية باعثاً على الحرب الاميركية الاهلية التي ابطلت الرق . فهل من كاتب بليغ يصف ما لاقاهُ الاسرى في هذه الحرب كما وصف كاتب المقالة المتقدمة عسى ان يكون في ذلك ما يدعو الى تبادل الاسرى حالاً والاتفاق على خضد شوكة التوحش

كباري الحديد

استعمل العرب كلمة جسر لما يعبر بهِ فوق الانهر كما هي مستعملة في بلاد الشام واما في مصر فشاعت كلمة كبري التركية وخصَّت كلمة جسر بالسد الذي يرفع على جانبي النيل او الترع لكي لا تطغو مياهها على ما حولها من الارض اذا علت

وهذا البحث اللغوي لا محل لهُ هنا لولا استثقالنا كلمة كبري ولا محل للبحث في الكباري ايضاً لولا رؤيتنا ما ادهشنا قُبَيل كتابة هذه السطور فان الاعمال التي تعتمد على الحديد وقفت كلها تقريباً في هذا القطر فالذي كان يبني بيتاً اوقف بناءهُ لانهُ لا يستطيع ان يشتري لهُ كمرات الحديد بعد ان غلا ثمنهُ ثلاثة اضعاف والذي كان يحفر الترع والمصارف في اطيانهِ و ينشىء فيها السكك الزراعية ويحتاج فيها كلها الى مواسير الحديد اوقف العمل لغلائها الفاحش. فما كان اعظم دهشتنا حينما رأينا كبري امبابه ذلك البناء الحديدي الضخم تُوصل اجزاؤهُ بعضها ببعض وينصب في مكانهِ كأن الحديد باقٍ على سعرهِ وكأن الحاجة ماسَّة اليهِ فلا كبري آخر الى جانبهِ والناس يعبرون النيل على القوارب كما كانوا يفعلون في العصور الغابرة. ولكن كبري امبابه قائم في مكانهِ وقطرات سكك الحديد تمرُّ عليهِ ذهاباً واياباً مراراً كل يوم وهو جامد لا يستغيث ولا يتحرك. نعم قد تنفصم عراهُ في لحظة من الزمان اذ قد قال المهندسون انهُ على غير ما يجب ان يكون من المتانة ولكن لا دليل على انهُ ضعيف الى حد يوجب المبادرة الى انشاء غيرهِ في هذا الوقت العصيب مع غلاء ثمن الحديد الآ اذا كان المقاولون قد اشتروا الحديد كلهُ واوصلوهُ الى مكانهِ قبل نشوب الحرب. ولعلَّ هذا هو الواقع

والقطر المصري والسوداني في مقدمة الاقطار التي استعملت كباري الحديد الكبيرة لان النيل من اكبر انهار العالم واوسعها وعندنا كبري الخرطوم و كبري نجع حمادي و كبري الروضة و كبري قصر النيل و كبري بولاق و كبري امبابه و كبري بنها و كبري كفر الزيات وكلها من اعظم كباري الدنيا لكنها ليست اعظمها ولا اصعبها بناء ولا اغلاها انشاء

ولعلَّ انشاء الكباري الكبيرة مثل كبري قصر النيل وكبري بولاق وكبري امبابه من اصعب الاعمال الهندسية اذ يضطر المهندسون ان يصنعوا في المعمل كل قطعة منها وكل مسمار ويحكموا صنعها حتى لا يضطروا وقت تركيب اجزائهِ الى قطع او وصل ناهيك ما في حفر الاساسات

للعضائد (البغلات) من المشقة اذ قد يبلغ عمق بعضها مئة قدم الى ١٨٠ قدماً ولا بدَّ من حفرها تحت الماء ولو حوّل الماء عنها . واهمّ من ذلك ان الاجزاء المختلفة يجب ان تكون من المتانة بحيث تحتمل كل ضغط وشد ومقاومة واختلاف في التمدُّد والتقلُّص والاَّ انقصمت . وللحديد طبائع فقد تتبلور اجزاؤُهُ ويصير قصماً كالزجاج . كان العمال يعملون في كبري نهر سنت لورنس بكندا في صيف سنة ١٩٠٧ وعددهم ٨٦ فخسف الكبري بهم دفعة واحدة وسقط في النهر وكان ثقلهُ اكثر من ١٥٠٠٠ طن فقتل من العمال ٧٤ وتلوَّت اجزاؤُهُ بعضها على بعض حتى لم تخرج من النهر الاَّ في سنة ونصف سنة وبعد اشد المشاق . وقد خسر المقاولون بسقوطهِ اكثر من مليون جنيه واقاموا شهرين يفتشون عن نقطة يستطيعون ان يبتدئوا بها لتفكيكهِ وانتشالهِ من قاع النهر واخيراً لجأوا الى قطع اجزائهِ الظاهرة فوق الماء بصهرها بالبودي الاستيليني ونسف الاجزاء الغائصة في الماء بالديناميت

وقد وضع رسم هذا الكبري مهندس من امهر المهندسين ولكنهُ اخطأ في حساب الفرشات التي توضع على العضائد فانهُ جعل طول كل فرشة منها خمس اقدام وعرضها كذلك فلم تحتمل الثقل العظيم الذي وضع عليها مع انها من الحديد ولما صنع هذا الكبري ثانية جعل طول كل فرشة سبع اقدام وعرضها كذلك وعلوها ١٠ اقدام وثقلها ٤٠٠ طن . وسيكون طول هذا الكبري ٣٠٠٠ قدم وتبلغ نفقات انشائهِ مليوني جنيه

واكبر من هذا كبري التاي في اسكتلندا فان طولهُ ميلان وفيهِ ٨٦ عيناً او قنطرة وقد جعل من المتانة بحيث لا تؤثر فيهِ العواصف مهما اشتدَّت لان الكبري الذي كان قبلهُ هناك عبثت بهِ العاصفة فطرحتهُ هو وقطراً كان ماراً عليهِ سنة ١٨٧٩ وقتل بهِ حينئذٍ ٦٧ نفساً وقد وصفنا ذلك حينئذٍ في مقتطف مارس سنة ١٨٨٠

ومن الكباري البديعة في بابها كبري الفورث في بلاد الانكليز ايضاً وهو اول كبري استعملت فيهِ الكوابيل والكابول عضادة بارزة من بناء يستند اليها شيء يبنى عليها كالشرفات ونحوها وطول هذا الكبري ٨٢٩٥ قدماً وفيهِ ٥٠٩٠٨ طناً من الصلب وثلاثة ابراج كبيرة من الصلب ايضاً ارتفاع كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وقد تتألف الكوابيل منها وهي ستة يمتد كلٌّ منها ٦٨٠ قدماً . قال السر بنيامين باكر مهندس هذا الكبري انهُ لو علق بطرف كل كابول منها بارجة حربية من اكبر البوارج لما اثر ثقلها اقل تأثير بالاربطة التي تربط ذلك الكابول براس البرج

ويتلو هذا الكبري في السلطنة البريطانية كبري هردنج الذي تمَّ انشاؤُهُ حديثاً على

نهر الكنك في بلاد الهند فقد بلغت نفقاتهُ ٢٦٦٦٥٠٠ جنيه و بلغت نفقات كبري الفورث ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه . ونهر الكنك يفيض بعد ما يذوب الثلج على جبال حملايا و يغمر البلاد حول ضفتيهِ فلا يبقى سبيل لعبور المارة عليهِ فاضطر المهندس الذي اقامهُ ان يقيم لهُ سدوداً على جانبيهِ الى بعد ٣٠٠٠ قدم فوقهُ و ١٠٠٠ قدم تحتهُ . وبطنت السدود بحجارة ضخمة ثقل الحجر منها من طنين الى سبعة اطنان . وللكبري ١٦ عضادة (بغلة) بلغ عمق اساسها من ١٥٠ الى ١٦٠ قدماً وما وضع في الاساس اساطين كبيرة من الحديد طول كل اسطوانة منها ١٦ قدماً وثقلها ١٦٠ طنًّا كانت تركَّب على الشاطئ و يؤْتى بها الى حفرة الاساس وتنزل هناك . وفي الكبري ١٦ قنطرة من الصلب سعة كلٍّ منها ٣٤٥ قدماً وثقلها ١٢٥٠ طناً وستة قناطير على الضفتين وثقل الكبري كلهِ ٣٠٠٠٠ طن من الصلب وقد صنعت كل اجزائهِ في بلاد الانكليز ونقلت الى الهند

ومن اعجب الكباري الكبري الذي اقيم فوق شلال فكتوريا لاجل السكة التي يراد ان تصل القاهرة برأس الرجاء الصالح فانهُ كان ارفع كبري في الدنيا اذ يبلغ ارتفاعهُ ٤٢٠ قدماً ولكن الفرنسويين بنوا قناطر الفاد منذ سنتين وارتفاعها ٤٤٠ قدماً فصارت ارفع الكباري كلها

وقد بني هذا الكبري فوق شلال فكتوريا من الجانبين في وقت واحد واحتال المهندس لذلك بأن حفر في كل جانب بئرين في الصخر الاصم عمق كلٍّ منهما ثلاثون قدماً والبعد بينهما ٣٠ قدماً وحفر سرباً يصل بين قاعيهما واجاز فيهما حبلاً ثخيناً جداً من اسلاك الحديد المفتولة وربط ذلك الجانب من الكبري بهِ حتى يثبت في مكانهِ ولا يهوي و يقع في الهوَّة التي تحتهُ اي ربط كل جانب برزة في الارض وهذه الرزة جبل من الصخر الصلد ثخن حلقتها عشرة امتار

وخيف ان يقع احد العمال او يقع شيءٌ من ادواتهم في الهوة التي تحتهم فمدت شبكة من الحديد تحت الكبري حتى تتلقى ما يقع . وكانت اجزاء الكبري قد صنعت كلها على تمام الدقة ولما تمَّ بناؤهُ اي لم يبقَ الاَّ القطعة الاخيرة التي تصل بين الطرفين وُجد انها اطول مما يلزم نحو ثلاث بوصات لان الحر الشديد الذي اتفق حدوثهُ ذلك اليوم اطال كل اجزاء الكبري فبلغ مجموع طولها ثلاث بوصات لكن ما حدث في النهار زال في الليل فلما قام العمال في الصباح وجدوا البعد بين الطرفين مساوياً للقطعة الاخيرة فوضعوها في مكانها فجاءت محكمة الوضع

وقد بنى الاميركيون حديثاً كبرياً فيهِ من الصلب ما زنتهُ ٨٠٠٠٠ طن وفيهِ قنطرة سعتها ١٠٠٠ قدم . وعندهم ثلاثة كباري معلقة وهي اكبر الكباري المعلقة وتعد من اعظم عجائب الهندسة ويختلف طولها من ٦٠٠٠ الى ٧٠٠٠ قدم وسعة فرجتها من ١٤٠٠ الى ١٥٠٠ قدم ويمر على كلٍ منها اربع سكك حديدية وسكتان للترمواي عدا طرق المركبات والسابلة . ومن هذه الكباري كبري بروكلين وقد بني في ١٣ سنة وبلغت نفقات بنائهِ ٣٢٠٠٠٠٠ جنيه وفيهِ اربعة حبال من اسلاك الصلب قطر كل حبل منها اربعون سنتمتراً وطولهُ ١٢٠٠ متر

اما الكباري المصرية والسودانية فعلى كبرها تقصر عن الكباري المذكورة آنفاً في حجمها ومبلغ نفقاتها اقدمها كبري كفر الزيات . فكبري الخرطوم مثلاً طولهُ ١٨٣٥ قدماً فقط وهو مؤلف من سبع قناطر (فتحات) كبيرة من الصلب قائمة على بغلات (اساطين) من الفولاذ ايضاً ولهُ في احد طرفيهِ غلق طولهُ ١١٠ اقدام وثقلهُ الف طن يرتفع بآلتين كهربائيتين وثقل كل قنطرة من القناطر السبع ٥٣٣ طنًا وثقلها مع فرشها ٨٠٠ طن وقطر كل بغلة من بغلاتهِ ١١ قدماً من اعلاها و ١٦ من اسفلها وثقلها ١٢٠٠ طن ويغور بعضها في الارض الى عمق ٨٣ قدماً وهي مجوفة ومملوءة بالخرسانة وعليهِ فثقل الكبري كلهِ مع كتفيهِ نحو ٣٥ الف طن

وكبري بولاق يبلغ طولهُ ٢٧٥ متراً (اي نحو ٩٠٥ اقدام) وعرضهُ عشرون متراً وهو مؤلف من اربع فتحات ثابتة طول كل فتحة منها ٥٠ متراً وفتحة متحركة في وسطهِ وهي مجاز للمراكب سعتها سبعة وعشرون متراً . وقد بلغ وزن الصلب في عتب كل فتحة اكثر من ٥٠٠ طن والجزء المتحرك الذي يفتح لمرور المراكب لهُ كفتان في كل كفة صندوق كبير محشو بالحديد والخرسانة ثقلهُ ٦٠٠ طن . ولم يذكر كم ثقل الكبري كلهِ ولكنهُ يقل عن ثقل كبري الخرطوم

وحبذا لو وضعت وزارة الاشغال العمومية رسالة مسهبة في كباري السلطنة المصرية كلها

سكان غربي آسيا

خلاصة البحث

اذا اردنا تلخيص ما تقدم لنا من البحث في هذا الموضوع واستنتاج النتائج منهُ لا نرى بدًّا من ترك بعض الشعوب القاطنة غربي اسيا وشأنهم كالسود والنجر والجركس والالبان والبلغار والبوسنيين والافرنج الذين قطنوا الشرق منذ طويل (الفرنك والليفنتين) . فان البحث في اصلهم وفصلهم خارج عن موضوعنا هذا

اما الشعوب الباقية فاهمها لدى كاتب هذه المقالات الاكراد . وغاية ما يقال عنهم ان كثرة الشقر فيهم تدلُّ على ان موطنهم الاصلي بعض البلاد الشمالية . ويرجح بناء على لغتهم الآرية انهم ينتسبون الى قبائل الميتاني التي كانت لها آلهة آرية في القرن الثالث عشر قبل المسيح . واني اعلم تمام العلم ان ليس عندنا دليل واضح على صحة هذا القول ولكنني ارى ان الاكراد والاموريين المذكورين في التوراة وقبائل الميتاني المشار اليهم آنفاً والذين ذكروا في احافير بوغاز كوي وقبائل تاميهو الذين ذكروا في الكتابات المصرية القديمة هم منتسبون بعضهم الى بعض ان لم يكونوا شعباً واحداً . والظاهر ان بعض قبائل الشمال جعلت تهاجر الى بلاد الاناضول وسورية وايران ومصر والهند في القرن الخامس عشر قبل المسيح او نحو ذلك . واذا صحَّ ان الكتابات القديمة تقول ان الاموريين والتاميهو كانوا شقر الالوان امكننا بذلك ان نعلل كثرة ما يرى من الشقر الآن في الاناضول وسورية وبين اليهود معاصرينا

اما الشعوب الاخرى المنتشرة في غرب اسيا كالطهطجية والألأوية والانصارية والقزل باش واليزيدية والبكطاش ممن يتكلمون التركية والعربية والكردية مع تجانسهم تجانساً تاماً في الصفات الطبيعية — يضاف اليهم الدروز والموارنة — فقد تقدم القول انهم ذوو رؤُوس عالية ومستديرة ومسطحة كل التسطح من القفا وذوو انوف شماء . ومثلهم كثيرون بين الايرانين والترك والاروام والارمن . ويظهر من القرائن ان استدارة الرؤُوس فيهم قديمة اصلية وطولها حديث مجلوب بالمهاجرة . وهذا الرأي مؤَيد بالاعتبارات التاريخية وبالاحافير الحديثة . منها انهُ في اواخر القرن الثالث عشر قبل المسيح عقد

الطبيعية فلا بدع اذا قلنا هنا ان اسلاف الاكراد الاقدمين وهم من الجنس الاشقر الاصهب اعاروا لغتهم الآرية للارمن والفرس القدماء من غير ان يؤثروا في صفاتهم الطبيعية . ولا ننس ان اوربا ليست في الحقيقة سوى شبه جزيرة ملحق باسيا وان الشعوب التي تمثل الحثيين اكثر كثيراً في اسيا منها في اوربا . فالاوجه لذلك ان يقال ان مهد الحثيين في اسيا حيث نجد ذوي الرؤوس المستديرة منتشرين شرقاً حتى برما وسيام والارخبيل الملقي

وخلاصة ما تقدم انهُ كان يقطن غرب اسيا في الزمان الاول شعب متجانس اسمر البشرة برؤوس مفلطحة وانوف شماء ضيقة . وفي نحو سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح اخذ يهاجر الى تلك البلاد شعب سامي من الجنوب الشرقي . والمرجح انهُ هاجر من بلاد العرب وان المهاجرين كانوا يشبهون في ملامحهم البدو المعاصرين لنا . وبعد ذلك بالفي سنة بدأت مهاجرة ثانية ولكنها جاءت من الشمال الغربي وكان الشعب المهاجر هذه المرة اصهب اشقر ذا رؤوس طويلة كالاكراد المحدثين ولكنهم كانوا اشبه بالهمج منهم بالمتمدنين وربما كانوا متصلين بالاموريين والفلاطيين في النسب

ويقال بالاجمال ان المحدثين من الترك والاروام واليهود مزيج من هذه العناصر الثلاثة الحثيّ والساميّ والاصهب . اما الارمن والايرانيون والدروز والموارنة وسائر نحل سورية واسيا الصغرى فانهم يمثلون العنصر الحثي القديم ولم يؤثر فيهم سيل الغزاة او كان اثرهُ فيهم ضئيلاً

ومن الاغلاط التي كانت كثيرة الشيوع فيما مضى ان يقال الشعوب الآرية بدلاً من الشعوب التي تتكلم اللغة الآرية اي ان الكتاب كانوا يخلطون بين الجنس واللغة . وذهبوا الى ابعد من ذلك فقالوا جماجم آرية وعيون آرية حتى شدد مكس ملر النكير على علماء اللغة لتطفلهم على موائد علماء علم الانسان وقال « ان قولنا نحوٌ مفلطح الراس ليس باغرب ولا ادعى الى الهزء من قولنا جمجمة آرية »

باب الزراعة

استغلال الارض

(٨)

اذا استثنينا اركان عمارة الارض الاساسية كانشاء الترع والمصارف الكبرى فيها واحياء مواتها وخصصنا النظر باستغلالها بعد استيفائها تلك الاركان وجدنا ان صناعة الفلاحة حينئذٍ تخالف سائر الصناعات التي تربو منتجاتها اكثر بادارتها برؤس اموال عظيمة وآلات ميكانيكية كبيرة تغني عن عديد العمال وانهُ لا يربو ريعها كما ينبغي الاَّ اذا جزئت اجزاء صغيرة لتوقف اتقانها على العناية الشخصية والمهارة اليدوية . ولذلك ولما ذكرناهُ في مقالتنا الاولى كانت الغيطان الصغيرة وما داناها من الغيطان المتوسطة التي يقوم اصحابها باستغلالها بانفسهم واهلهم اوفر غلة من الغيطان الكبيرة غالبًا واقل مصروفًا دائمًا على تفاوتهم في العمل بقواعد الفلاحة مع رسوخها فيهم (لطول الفتهم لها ومزاولتهم اياها منذ نشأتهم) تبعًا لتفاوتهم في القدرة والعناية . ولذلك لا يندر ان نجد غيطين متلاصقين يُدل احدهما ضعف غلة الآخر لا لسبب سوى اتقان الفلاحة في الاول وقصورها في الثاني

وغالبًا يخص الفلاح اسمى عنايتهِ بزراعة الحبوب لقوتهِ والبرسيم لماشيتهِ . ومع علمهِ باهمية زراعة القطن في الدورة الزراعية عملاً ومحصولاً وبذلهِ اقصى المجهود الذي يستطيعهُ في تنميته — لانهُ من ثمنهِ يوفي دينهُ ويسدد ضرائب الحكومة ان كان مالكاً او الايجار ان كان مستأجراً ويقضي لوازمهُ — لا يأبى ان يؤخر زرعهُ عن إبانهِ الانسب نظير حشة برسيم وان يصرف عنايتهُ عنهُ والديدان والعطش تفتك بهِ الى تسميد ارض الذرة واطفاء شراقيهِ

ان معارف الفلاح واحوالهُ الاقتصادية (وشأنهُ في ذلك شأن سائر جمهور الامة على اختلاف مهنها وطبقاتها ايضاً) لا تؤهلهُ الى ترتيب شؤنهِ ترتيباً يمكنهُ دائمًا من ان يفتدي بفوات بعض الفائدة الوقتية وان صغرت ما يتلوها من خسارة تخشى او فائدة ترجى وان عظمت او الى اكتناه حقائق الاشياء اكتناهاً يؤل الى تجنب ما يستبين ضررهُ والعمل بما يحقق نفعهُ . والسبب في ذلك ما توارثهُ من الصفات التي تولدت في عصور الاستبداد الغابرة مع فقد التربية والتعليم الصالحين . هذا من جهة ومن جهة اخرى حرمانهُ من وسائل

التعاون المعروفة في الامم الراقية وعدم اخذ الملاك بيدهِ اذا كان مستأجراً ولو باعتبار انهُ اداة من ادوات استغلال مزارعهم يجب ان تعنيهم قوَّتها وصلاحها بقدر ما تعنيهم فائدتهم الخاصة

فهذه الاحوال واشباهها من اكبر العوائق في عدم بلوغ غلة الارض الشأو الذي يمكن الوصول اليهِ باستعمال الوسائل المعروفة الآن في الفلاحة حق الاستعمال · وليس بصحيح ما يتوهم الذين يكتبون في الاقتصاديات الزراعية عن جهل الفلاح بالفلاحة ونفورهِ من المستحدثات العصرية فيها فان الفلاحة العملية تمثل في عمل هذا الفلاح باكثر مما تمثل في ارقى المعاهد الزراعية وما هي الآن الاَّ عبارة عن قواعد اهتدى اليها الفلاحون بالتجارب ورسخت فيهم بالمزاولة ولم يدوَّن منها في الكتب الاَّ بعض من كلٍّ مما هو معروف في العرف الزراعي على اختلاف بيآتهِ

ان الذين يكتبون في الفلاحة عن خبرة عملية يعترفون بحكمة القواعد التي يعمل بها الفلاح المصري و بانطباعهِ على تنفيذها و يرون ان ترقي الفلاحة لا يكون الاَّ بالبدء من الاساس وهو عمل هذا الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ من جهة بينما نكون آخذين بمعارفنا وتجاربنا للزيادة عليهِ بقدر ما يمكن من جهة اخرى · فهل هناك شيء من ذلك الآن يؤبه لهُ و يعوَّل عليهِ ؟ وهل طريقة معاهدنا الزراعية في خدمة الفلاحة الفنية هي الطريقة المثلى ؟ وهل لنا ان نرمي الفلاح بالجهل ولاسيما اننا لا نعرف الاَّ بعض ما يعرف ولا نعمل مثلما يعمل ؟

ان وزارة الزراعة ذاتها تعترف بان طريقتها في الحقول التي انشأتها لتحسين زراعة القطن انما هي اتقان العمل بالوسائل المعروفة فقط · وقد قال المرحوم برش باشا مدير شركة كوم امبو الزراعية ما معناهُ « اننا لم نفلح في استغلال اطيان الشركة بمعارف مهندسينا الزراعيين بل بالجري على طريقة الفلاح المصري »

وقد نشر المقطم منذ مدة عبارة عن لجنة التجارب الملوكية بانكلترا اعترفت فيها بحكمة الفلاح المصري في تنمية زراعة القطن بعد ان حاولت عمل تجارب تخالف بعض ما يعمل بهِ فلم تفلح فيها

وكل هذا لا ينفي ان الفلاح يكون احياناً قليل التبصر والحزم في بعض المسائل الزراعية ولكن ذلك لا يكون الاَّ الى حدٍّ محدود وشأنهُ فيهِ شأن سائر اهل الصناعات الفقراء والذين لم تنتشر بينهم مبادئ التنور العام · والحق انا نجد الفلاح من حيث هو فلاح اكثر نشاطاً وامانةً لعملهِ من سائر اهل الصناعات الاخرى

التعاون المعروفة في الامم الراقية وعدم اخذ الملاك بيدهِ اذا كان مستأجراً ولو باعتبار انهُ اداة من ادوات استغلال مزارعهم يجب ان تعنيهم قوتها وصلاحها بقدر ما تعنيهم فائدتهم الخاصة

فهذه الاحوال واشباهها من اكبر العوائق في عدم بلوغ غلة الارض الشأو الذي يمكن الوصول اليهِ باستعمال الوسائل المعروفة الآن في الفلاحة حق الاستعمال. وليس بصحيح ما يتوهم الذين يكتبون في الاقتصاديات الزراعية عن جهل الفلاح بالفلاحة ونفوره من المستحدثات المصرية فيها فان الفلاحة العملية تتمثل في عمل هذا الفلاح باكثر مما تتمثل في ارقى المعاهد الزراعية وما هي الآن الا عبارة عن قواعد اهتدى اليها الفلاحون بالتجارب ورسخت فيهم بالمزاولة ولم يدوَّن منها في الكتب الا بعض من كلٍّ مما هو معروف في العرف الزراعي على اختلاف بيآتهِ

ان الذين يكتبون في الفلاحة عن خبرة عملية يعترفون بحكمة القواعد التي يعمل بها الفلاح المصري وبانطباعهِ على تنفيذها ويرون ان ترقي الفلاحة لا يكون الا بالبدء من الاساس وهو عمل هذا الفلاح فنجمعهُ ونهذبهُ من جهة بينما نكون آخذين بمعارفنا وتجاربنا للزيادة عليهِ بقدر ما يمكن من جهة اخرى. فهل هناك شيءٌ من ذلك الآن يؤبه لهُ ويعوَّل عليهِ؟ وهل طريقة معاهدنا الزراعية في خدمة الفلاحة الفنية هي الطريقة المثلى؟ وهل لنا ان نرمي الفلاح بالجهل ولاسيما اننا لا نعرف الا بعض ما يعرف ولا نعمل مثلما يعمل؟

ان وزارة الزراعة ذاتها تعترف بان طريقتها في الحقول — التي انشأتها لتحسين زراعة القطن انما هي اتقان العمل بالوسائل المعروفة فقط. وقد قال المرحوم برش باشا مدير شركة كوم امبو الزراعية ما معناهُ «اننا لم نفلح في استغلال اطيان الشركة بمعارف مهندسينا الزراعيين بل بالجري على طريقة الفلاح المصري»

وقد نشر المقطم منذ مدة عبارة عن لجنة التجارب الملوكية بانكلترا اعترفت فيها بحكمة الفلاح المصري في تنمية زراعة القطن بعد ان حاولت عمل تجارب تخالف بعض ما يعمل بهِ فلم تفلح فيها

وكل هذا لا ينفي ان الفلاح يكون احياناً قليل التبصر والحزم في بعض المسائل الزراعية ولكن ذلك لا يكون الا الى حدٍّ محدود وشأنهُ فيهِ شأن سائر اهل الصناعات الفقراء والذين لم تنتشر بينهم مبادئ التنور العام. والحق انا نجد الفلاح من حيث هو فلاح اكثر نشاطاً وامانةً لعملهِ من سائر اهل الصناعات الاخرى

وعندي ان ازدياد ريع الارض لا يتوقف الآن على شيءٍ بقدر ما يتوقف على اصلاح حال الفلاح · وسيجيءُ في مقالة آتية بحث عن الآلات الزراعية الحديثة وانهُ لم يوافق فلاحتنا وظروفها منها الاَّ بعضها فقط وان الظروف الزراعية لا تسمح بالتوسع في استعمال ما وافق منها الاَّ في المزارع الواسعة والى حدٍ محدود احمد الالفي

مقطوعية القطن في العالم

بقلم الاستاذ طود

نشرت جريدة التيمس في ملحقها التجاري الذي اصدرتهُ في شهر يوليو مقالة في هذا الموضوع بقلم الاستاذ طود وهو من الثقات الذين يعول على علمهم وخبرتهم في كل ما يتعلق بحصول القطن وتجارتهِ في جميع البلدان التي تزرعهُ وكتابهُ في « محصول القطن في العالم » من الكتب التي يشار اليها بالبنان · وهذا ملخص ما ورد في مقالتهِ المذكورة

اجمع العارفون على انهُ ستقع مشاكل اقتصادية عظيمة الشأن بعد ما تضع الحرب اوزارها ولاسيما في صناعاتنا الكبرى ولكن قل من يدري ان بعض هذه المشاكل نشأ الآن وبرز الى حيز الوجود قبل ان تنتهي الحرب

مضى على نشوب الحرب زمان استردت فيهِ صناعاتنا الكبرى قوتها بعد الصدمة الشديدة التي صدمت بها فنهضت من كبوتها الاولى والفنا نحن الحالة الجديدة وطبقنا اعمالنا عليها حتى كدنا نرى الامور تعود موقتاً الى مجراها المعتاد ولكن الحالة الحاضرة ستنقلب رأساً على عقب متى ابرم الصلح فيجدر بنا ان نستعد للنزاع القادم متى أتى

وخير مثال يوضح مرادي تجارة القطن فان تأثير الحرب فيها كان في اول الامر هائلاً ومع انها استردت توازنها بعد مدة من اعلان الحرب فحالها لا تزال حرجة تقضي بالاهتمام بها لمعرفة ما يصيبها بعد الحرب اذ القطن من المحاصيل التي يجب على من يتَّجر بها ان يمد بصرهُ لطول المدة التي تقع بين الشروع في زرعهِ وبيع منسوجاتهِ للجمهور ولبسها

فالقطن الذي زرع في معظم انحاء العالم الآن لا يباع منسوجاً للجمهور قبل صيف سنة ١٩١٧ وجانب كبير منهُ يبقى الى السنة التي تليها فيجب علينا اذاً ان ننظر في ما يحتمل وجودهُ من القطن في العالم بعد عقد الصلح

الطلب العام على القطن

اذا شئنا تقدير حالة القطن المستقبلة وجب علينا ان نتم النظر في حالتهِ الماضية وحسبي

ان اقول في ذلك ان محصول القطن في ما مضى كان يزداد زيادة سريعة ولكن الزيادة في مقطوعيتهِ كانت اعظم جدًّا بل ان الادلة والقرائن تثبت ان المقطوعية كانت تزيد اكثر من ذلك لو توفر القطن اللازم لها ولكن قلتهُ حالت دون اتساع نطاقها الاتساع الطبيعي فان تسعة اعشار الثياب التي يلبسها سكان العالم مصنوعة من القطن علاوة على ان القطن يستعمل لامور واعمال اخرى وقد زاد الطلب اولاً بزيادة سكان الدنيا وسرعة انتشار عادة ارتداء الثياب وثانياً بتحسين انواع المنسوجات التي تصنع من القطن تحسيناً عجيباً فكل منسوج الآن يمكن صنعهُ من القطن . ومعظم المنسوجات تصنع منهُ فعلاً

واذا انعمنا النظر في الاحصاءات التي لدينا ظهر لنا منها حقيقتان لهما اتم علاقة بهذه الزيادة في المقطوعية فالحقيقة الاولى هي ان المقطوعية كانت اكثر من المحصول في خمس سنوات من عشر سنوات سبقت اعلان الحرب والثانية ان ثمن القطن في العشرين السنة الماضية زاد تقريباً مئتين في المئة فقد كان سعر القطن الاميركي (مدلن) في لفربول في سنتي ١٨٩٤ و ١٨٩٨ اقل من ٣ بنسات الرطل فبلغ في شهر مايو الماضي ٣/٤ ٨ بنس

وبعد هذا يجدر بنا ان ننظر في تأثير الحرب في تجارة القطن في ما يختص بالموجود من القطن الخام فانهُ لما اضطرمت نار الحرب تضعضعت اسواق القطن تماماً فاقتضت الحال اقفالها في لفربول ونيو يورك ونيواورليانس وبريمن والهافر وعينت اسعارهُ بواسطة لجان تقوم بهذا العمل في اثناء اقفال البورصات ولكن تلك الاسعار كانت اعلى من الثمن الحقيقي حينئذٍ . ومما يدل على شدة هبوط السعر ان الثمن الذي دفعهُ تجار نيواورليانس للزراع في شهر اكتوبر سنة ١٩١٣ كان ١٤ سنتاً الرطل (٢٨ مليماً) وكان اقل سعر رسمي في لفربول في شهر دسمبر ١/٤ ٤ بنس مع ان متوسط السعر في العام السابق كان ١/٤ ٧ بنس

تقليل مساحة القطن في اميركا

فهذا الهبوط في سعر القطن اثر تأثيراً عظيماً في زراعتهِ فان نفقة زرع القطن واستغلالهِ في اميركا ارتفعت ارتفاعاً كبيراً في السنوات الاخيرة فلما هبط السعر الهبوط الذي تقدم ذكرهُ رأى الزراع الخراب بعيونهم وقد كنا في انكلترا نعتقد ان الولايات الجنوبية من الولايات المتحدة مضطرة الى زرع القطن لانهُ المحصول الوحيد الذي يجود فيها ولكن الحرب اثبتت فساد هذا الزعم فقد خفضت مساحة الارض التي زرعت قطناً هناك ١٥ في المئة سنة ١٩١٥ وبلغ النقص في البلدان الاخرى كالهند ومصر ٣٠ في المئة فنشأ عن ذلك نقص عظيم في محصول سنة ١٩١٥

ولم يطل الزمان حتى ظهر ان الموجود من القطن لا يكفي لسد مقطوعية العالم اذا نشط الطلب بالرغم مما كان يظن من وجود مقادير عظيمة منهُ في شونْ اميركا ولم تكد هذه الحقيقة تذاع حتى بدأ الطلب ينشط فاخذت الاسعار ترتفع حتى بلغت منزلة رفيعة في سبتمبر سنة ١٩١٥ وبعد ما كان السعر الرسمي ٤ ١/٤ بنس في ديسمبر سنة ١٩١٤ ارتفع حتى بلغ ٨ ٣/٨ بنس في ١٩ مايو كما تقدم فتضاعف السعر في اقل من ١٨ شهراً

فماذا يكون مصير الحالة بعد ١٨ شهراً من هذا التاريخ

ان الحالة الحاضرة لا تخلو من البواعث على القلق فمحصول هذا العام لا يكون اكبر مما يحتاج العالم اليهِ حتى ولو اقتصرنا على المقطوعية الحالية لان المحاصيل لا تتجاوز المتوسط مع ان المقطوعية ستتجاوز متوسطها ولو في بعض البلدان فاذا نظرنا الى الموجود اولاً قلنا ان كل شيء يتوقف على المحصول الاميركي لانهُ يبلغ نحو ٦٠ في المئة من محصول العالم كلهِ والمحقق ان مساحة الارض المزروعة قطناً في الولايات المتحدة لا تبلغ القدر الاعظم الذي بلغتهُ سنة ١٩١٤ وهو ٣٧٤٠٠٠٠٠ فدان علاوة على ان اركان اقبال الزراعة في هذا العام كملاءمة الاحوال الجوية واستعمال السباخ اللازم ليست وافية بالمرام وقد بلغ المحصول سنة ١٩١٤ نحو ١٧ مليون بالة . وعندي انهُ اذا بلغ ١٤ مليون بالة في هذا العام فذلك فضل من الله لان هذا النقص الحادث من الفرق بين الرقمين المذكورين لا يحتمل سدهُ من سائر البلدان التي تزرع القطن

كثرة الطلب مع غلاء الاسعار

واذا نظرنا الى المقطوعية كان اهم ما يستدعي النظر في حالتنا الحاضرة كثرة الطلب على القطن مع غلاء سعرهِ فالمقطوعية في داخلية بلادنا عظيمة جداً لم نرَ لها مثيلاً منذ زمان طويل وتجارتنا الخارجية لم تمس بسوء . نعم ان مصانع المانيا والنمسا وفرنسا والبلجيك لا تأخذ مقطوعيتها المعتادة ولكن النقص الناشيء عن ذلك سد بزيادة مقطوعية القطن في اميركا والهند واليابان بل الزيادة في مقطوعية هذه البلدان الثلاث تفوق النقص الناشيء عن امتناع البلدان الاربع المذكورة من اخذ نصيبها من القطن كالمعتاد

فقد كانت مقطوعية اميركا نحو اربعة ملايين بالة او خمسة ملايين ولكنها ستتجاوز سبعة ملايين بالة هذا العام والاحصاءات الواردة من اليابان تدل على ان زيادة المقطوعية فيها في هذه السنة حتى الآن (يوليو) ستبلغ ١٨ في المئة اذا قوبلت بمقطوعية المدة عينها سنة ١٩١٤

ويرى من ذلك ان مقطوعية العالم لم تنقص بقدر نقص غلتهِ فهذا الامر اذا قرن بالحالة التي كانت قبل الحرب سيؤدي الى نتيجة واحدة وهي قلة الموجود عن المطلوب وارتفاع السعر

ولا يبرح من البال ان الاسعار الحالية في لفربول زادت ايضاً لصعوبة نقل القطن وغلاء اجور الشحن وقد كان هبوط سعر القطن في سوقها بعد شهر مايو ناشئاً عن تسهيل هذين الامرين بعض التسهيل ولكن هذا الفرق لا يؤثر في صحة القياس الذي اوردتهُ لان سعر القطن في نيواورليانس لا يزال غالياً وهو نحو ١٣ سنتاً (٢٦ مليماً) الرطل (ولا علاقة لهذا الغلاء بالشحن بالبواخر) ولا يمكن زيادة المساحة المزروعة قطناً الآن فمحصولنا لهذا العام صار معيناً لا يستطيع البشر زيادتهُ فاذا لم تلائم الاحوال الجوية الزراعة كل الملاءمة فيحتمل ان لا يسد المحصول القادم مقطوعية العام كلها فماذا يحدث اذا عقد الصلح قبل موعد الموسم القادم وهو لا يكون قبل اغسطس سنة ١٩١٧ اقول ان الآراء مجمعة على ان القطن ينهض نهضة عظيمة لان الاسواق تطلب سد ما فيها من النقص في المنسوجات القطنية . فمن اين يؤتى بالقطن لها

وجوب زيادة المحصول

والذي يجب علينا الآن الاهتمام بهِ هو حمل الزارع الاميركي على استئناف زرع القطن دون سواهُ حتى تعود صادرات القطن من اميركا الى ما كانت عليهِ قبل الحرب والمرجح ان السعر الحالي لا يكفي لاقناع الزارع الاميركي بذلك فاذا اصرَّ على رأيهِ فسيلقى المشتغلون بتجارة القطن وصناعاتهِ صعوبات تذكر في بضع السنوات القادمة

ان مصانع انكلترا تشكر الله الآن اذا تيسر لها القطن بسعر ٧ بنسات الرطل وكان هذا السعر يعدُّ فاحشاً جدًّا منذ بضع سنوات ولكن ماذا تفعل مصانعنا اذا ارتفع السعر فوق هذا الرقم هل نعود الى سماع ما اعتدنا سماعهُ قبل الحرب عن وجوب توسيع نطاق موارد القطن عندنا والانتفاع بموارد الامبراطورية للتخلص من الاعتماد على المحصول الاميركي

زيادة مليون بالة في السنة

ان الذي نحتاج اليهِ هو زيادة محصول القطن زيادة مطردة لا تقل عن مليون بالة في السنة فمن اين نأتي بهذا القدر الزائد سنة فسنة في بضع السنوات المقبلة . ولا يستطاع

الجواب عن هذا السؤال الا اذا اجلنا الطرف في جميع انحاء المعمور . واول مكان يتجه اليه النظر طبعاً هو قارة افريقية حيث قضت جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية ١٤ سنة تجد وتعمل لترقية زراعة القطن . فالبلاد الوحيدة التي ينتظر ان يزاد محصولها في القريب العاجل هي بلاد مصر ولكن جمعية ترقية زراعة القطن البريطانية لم تدخل مصر في بيان اعمالها لانها لم تكن تابعة للامبراطورية البريطانية على ان مصر مع حسن حالها لا يرجى ان يزداد محصولها زيادة كبيرة في القريب العاجل لان هذه الزيادة تتوقف طبعاً على تسهيل اعمال الري فالمشروعات الكبيرة التي تفكر حكومة مصر في اخراجها الى حيز الفعل تستغرق زمناً . وما يقال عن مصر يقال مثلهُ واكثر منهُ عن السودان حيث تزداد الصعوبات بقلة السكان فلا يرجى اذاً ان يزداد المحصول من هذه الجهة زيادة تذكر قبل انقضاء عشر سنوات او خمس عشرة سنة

ثم بحث الكاتب في سائر بلدان افريقية فقال ان الآمال بالنجاح فيها ايضاً كبيرة ولكن هذا النجاح يقتضي مالاً ووقتاً وتعباً واجتهاداً فلا ينتظر ان تصدر تلك البلدان مقادير عظيمة من القطن في القريب العاجل وما يقال عن بلدان افريقية يقال ايضاً عن البرازيل وبيرو والمكسيك

وختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ ان هنالك ثلاثة بلدان اخرى يرجى منها الخير في المستقبل العاجل وهي روسيا والصين والهند ولا يخفى ان الصين ثالثة بلدان العالم في غلة القطن ويمكن زيادة محصولها زيادة كبيرة ولكن احوالها السياسية الحاضرة لا تلائم توسيع نطاق زرعه فيها بسرعة . اما روسيا فقد فعلت العجائب من هذا القبيل في الزمن الاخير ولكن زيادة محصولها لا تكفي لسد الزيادة في مقطوعيتها فلا يبقى لنا سوى الهند وهي تغل اكبر محصول بعد اميركا ومحصولها يبلغ خمسة ملايين بالة مقابل ١٥ مليوناً في اميركا ولكن قطنها رديء جداً . على ان احوال الهند وكثرة الطلب على القطن تمكن من زيادتهِ حتى يتضاعف في خمس سنوات او عشر وقد كانت مساحة الارض المزروعة قطناً فيها ٢٥ مليون فدان سنة ١٩١٤ وفي حكم الطاقة توسيع هذه المساحة بتحسين طرق الري

وقال الاستاذ طود في الختام ان مسألة القطن من المسائل التي يجب ان نعيرها اعظم جانب من الاهتمام فلا نتوانَ فيها كما هي عادتنا حتى يفوت زمن الاصلاح وتلافي الخلل فان درهم وقاية في وقتهِ خير من قنطار علاج

دود لوز القطن

(تابع ما قبلهُ)

يصعب تقدير الضرر الذي يصيب القطن من دودة اللوز لان ضررها يختلف باختلاف تبكير الموسم وتأخرهِ فيكون قليلاً في الاول وكثيراً في الثاني وسبب ذلك ان دود اللوز يتوالد كثيراً في غضون السنة ويكون توالدهُ على اقلهِ في الشتاء واوائل الربيع ثم يزيد بزيادة نمو القطن حتى شهر اكتوبر حينما يكثر اللوز اللازم لغذائهِ فيزيد هو كثرة

ويظن المزارعون ان برودة الهواء وكثرة الضباب تزيدان دود لوز القطن والحقيقة انهما من الاسباب التي تؤخر بلوغ لوز القطن فيبقى الكثير منهُ اخضر فيكثر غذاء الدود بسبب ذلك ويخف النور بسبب الضباب وخفتهُ توافق الدود لانهُ ينشط في الظلام او في قلة النور

ودود اللوز هذا اذا ظهر قبل ظهور الوسواس سطا على الاغصان الطرية فيأكل اطرافها ويدخل جوفها يأكل فيهِ الى ان يبلغ المادة الخشبية فينتقل الى طرف غصن آخر وهلمَّ جرًّا والغصن الذي تنخرهُ الدودة يذبل ويسود لونهُ واذا قطع تحت المكان الذابل فقد توجد الدود فيهِ

وحينما يظهر الوسواس (او برعم اللوز) ينتقل الدود اليهِ لانهُ يفضلهُ على الاغصان فيسقط والدودة فيهِ الى الارض ولكن الدودة تفارقهُ وتنتقل الى غيرهِ وقد تدخل زهر القطن وتأكل اعضاء التناسل فيهِ فتجعلهُ عقيماً واذا دخلت الدودة لوزة افرزت مادة تسد بها الثقب وراءها لكي لا تدخلهُ حشرة اخرى وتضربها . وقد تقتصر على برج واحد من اللوزة وقد تتلف ابراجها الثلاثة او تتلف اكثر من لوزة واحدة واذا كانت اللوزة صغيرة فالغالب انها تيبس وتبقى مكانها او تسقط . واذا كانت كبيرة قريبة من البلوغ فالغالب انها تفتح قبل ميعادها وتتعرَّض لمادة فطرية تسودّ بها ولا تعود صالحة لشيء

وحينما يبرد الهواء في الخريف تطول المدة التي تبقى فيها هذه الحشرة دودة واذا تمَّ جني القطن حينئذٍ وقلع شجرهُ وحفظ وقوداً بما فيهِ من اللوز الاخير بقي الدود في هذا اللوز يأكل من بزرهِ فاذا لم يكن بالغاً مات بجفاف اللوز ولكن ان كان قد بلغ اشدهُ خرج وصنع شرنقة حريرية سمراء صقيلة واقام فيها زيزاً وبقي هناك الى ان يدفأ الهواء فيستحيل

فراشة تبقى في مكانها او تطير وتبيض على النباتات التي تعيش صغارها عليها من القطن العقر والبامياء والتيل مما تجدهُ في الارض وهي تضع بيضها عند اسفل النبات في مكان خفي وقاية لهُ لان الغذاء الذي تجدهُ قليل قد لا يكفيها فلا يحسن ان تتعرض لمخاطر اخرى

والمرجح ان عشر الدود الذي يتولد من البيض الاول يبلغ اشدهُ ويصير فراشاً ولكن الدود الذي يتولد في النوب التالية يعيش نصفهُ ويصير فراشاً

ويظهر من التجارب التي جربها المستر ولككس ان الفراشة الواحدة تبيض في دسمبر ويناير ١٤٠ بيضة وقد لا تبيض الا ثمانية ايام وقد تبقى تبيض ٤٤ يوماً . وباضت فراشة في سبتمبر مدة خمس ليالٍ ٢٣٣ بيضة

فاذا فرضنا ان الفراشة تبيض في الدور الاول ١٤٠ بيضة وان ١٤ منها تسلم (اي عشرها) وتصير فراشاً ٧ ذكوراً و٧ اناثاً وكل زوج منها يبيض ٢٠٠ بيضة فتبيض كلها ١٤٠٠ بيضة واذا سلم نصفها اي ٧٠٠ او ٣٥٠ زوجاً وباض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة بلغ مجموع بيضها ٧٠٠٠٠ بيضة فيعيش نصفها ويصير فراشاً اي ٣٥٠٠٠ او ١٧٥٠٠ زوجاً يبيض كل زوج منها ٢٠٠ بيضة فيتولد منها ٣٥٠٠٠٠٠ دودة وعليهِ فالفراشة الانثى التي تبيض في يناير يتولد من نسلها في اكتوبر ٣٥٠٠٠٠٠ دودة اي ثلاثة ملايين ونصف مليون

القطن ودودهُ ودود لوزهِ

ظهر الدود الكبير الذي يأكل ورق القطن وكل ما هو اخضر فيهِ فبذلت الهمة في استئصالهِ حتى اذا كادت الاخبار تتفق على انهُ لم يبقَ لهُ اثر في الوجهين القبلي والبحري عاد الى الظهور في الوجه البحري في اواسط اغسطس وانتشر في بعض الاماكن وفتك فتكاً ذريعاً ولكن انتشارهُ خاص بتلك الاماكن على ما يظهر ونحن نكتب هذه السطور وامامنا علبة كبيرة من مركز دسوق فيها من ورق القطن ولوزهِ وفيها كثير من دود القطن وقد اكل الورق ونخر اللوز ودخلهُ واكل ما فيهِ ولا يزال موجوداً في اللوز

اما دودة اللوز الرمادية فكثيرة الانتشار جداً وتختلف كثرةً باختلاف الغيطان فان اللوز المصاب بها لا يزيد على نحو خمسة في المئة في بعض الاماكن ولكن يقال انهُ يبلغ نحو اربعين او خمسين في المئة في اماكن أُخرى . اما نحن فلم نرَ انهُ اكثر من عشرة في المئة

في الاقطان التي فحصنا لوزها ولم نرَ الاَّ قليلاً جدًّا من دودة بزرة القطن القرنفلية ٠ فيحتمل ان تبق ضربة دود اللوزخفيفة ومحصورة في بعض الاماكن ويحتمل ان تزيد شدةً وانتشاراً في شهر سبتمبر

اما نمو القطن فجيد بنوع عام والذين بكروا في زرعهِ كادوا يجنونهُ لان الحر الذي حدث في يونيو و يوليو فاق المعتاد فنما بهِ القطن كثيراً

وقد ثبت الآن ان مساحة الاطيان المزروعة قطناً قلما تزيد على مليون وستمائة الف فدان فاذا لم يشتد فتك الدود بهِ وبلغ متوسط الفدان اربعة قناطير بلغ المحصول ستة ملايين ونصف مليون قنطار واذا كان متوسط ثمن القنطار و بزرتهِ ٥٤٠ غرشاً بلغ ثمن محصول هذه السنة ٣٥ مليوناً من الجنيهات

ويظهر من مقالة الاستاذ طود المنشورة هنا انهُ اذا استطاعت الحكومة المصرية ان تستأصل شأفة دودة القطن ودودة لوزهِ فلا خوف من ان ازدياد مساحة ما يزرع من القطن في هذا القطر ترخص ثمنهُ ولو بلغت مليوني فدان او اكثر

الصادرات الزراعية

زادت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو نحو ثلاثة ملايين جنيه عن مثلها في العام الماضي والزيادة كلها من الذرة والسكر والبيض والقطن ولولا النقص في قيمة بعض الصادرات كسبائك الذهب والفضة لكانت الزيادة اكثر من ذلك لكن الزيادة في الواردات اكثر كثيراً من الزيادة في الصادرات فانها بلغت سبعة ملايين وثلث مليون من الجنيهات و بعضها في ما يمكن الاستغناء عنهُ كالامتعة الخشبية والآنية الزجاجية والمنسوجات القطنية والكتابة و بعضها فيما لا غنى عنهُ كالفحم الحجري والحديد والبترول او فيما دعا اليهِ وجود الجيوش البريطانية كالبيرا و بعض الاطعمة والاشربة

وعسى ان يقف تجار الوارد عند هذا الحد ٠ واما الصادرات فستزيد قيمتها بارتفاع سعر القطن وقد بلغت قيمة الصادرات حتى آخر يوليو ١٧٣١٤٥٠٣ جنيهات اي نحو ١٧ مليوناً وثلث مليون من الجنيهات ولا يبعد ان يصدر الى آخر السنة اكثر من ثلاثة ملايين قنطار مع بزرتها واكثرها من السكلاريدي تباع لاوربا واميركا بنحو ١٨ مليون جنيه فتبلغ قيمة الصادرات في آخر السنة ٣٥ مليون جنيه

مؤتمر القطن
واقتراح على الحكومة

جاءنا العدد الاخير من مجلة الزراعة في جزائر الهند الغربية واذا كلهُ في وصف مؤتمر زراعي عقد هناك في اواسط شهر مارس الماضي موضوعهُ زرع القطن في تلك الجزائر · وقد استمرَّ المؤتمر ستة ايام وتليت فيهِ خطب ومذاكرات كثيرة لم تخرج عن موضوع القطن من حيث زرعهُ ومحصولهُ والسماد الصالح لهُ واختيار تقاويهِ وطول شعرتهِ وتخنها ومتانتها واسعارهُ الى غير ذلك مما تهمُّ معرفتهُ كل المشتغلين بزرع القطن وتصديرهِ والاتجار بهِ

وقد يظن لاول وهلة ان محصول هذه الجزائر يبلغ ملايين من القناطير والحقيقة ان محصولها بلغ في السنوات الخمس الماضية ١٠٣٢٠٧ قناطير فالمحصول السنوي نحو عشرين الف قنطار اي مثل محصول ابعدية واحدة في هذا القطر · افلا يحق والحالة هذه لكل مديرية في هذا القطر ان تؤلف مؤتمراً زراعياً ينظر في زراعة القطن وغيرهِ من المزروعات بل يحق لكل مركز ان يفعل ذلك · ولكن لما كان الري اهم ما ينظر فيهِ فمن الحكمة ان يؤلف مؤتمر لكل منطقة من مناطق الري في القطر المصري يجتمع فيهِ كبار المزارعين في تلك المنطقة مرة في السنة و يتبادلون الآراء و يشيرون على الحكومة بما يجب عملهُ لاصلاح الري في منطقتهم

وقد اهتمَّ البعض بانشاء مؤتمر زراعي لمديرية الفيوم فعسى ان تنشطهم الحكومة في ذلك لاسيما وان مديرية الفيوم منطقة قائمة برأسها من حيث الري · واطيانها الزراعية غير آخذة حقها من الماء الصيفي فلا يروى قطنها الا مرة كل عشرين يوماً واذا تمكن مزارع من الحصول على الماء لري قطنهِ كل عشرة ايام جاء محصولهُ مضاعف محصول قطن جارهِ الذي لا يروى الا كل عشرين يوماً · والناس يشكون ومجلس المديرية طلب ان تجعل مدة المناوبة ثمانية وثمانية حتى يروى القطن مرة كل ١٦ يوماً ولكن مصلحة الري لم تلبِّ طلبهُ فاذا عقد مؤتمر رسمي برضى الحكومة وحضرهُ بعض رجال وزارة الزراعة ومصلحة الري واقرَّ على شيءٍ بعد بحث مدقق فمن المحتمل ان تعمل الحكومة بقرارهِ

ويستخلص من اعمال المؤتمر المشار اليهِ آنفاً

اولاً ان القطن ليس اهم حاصلات جزائر الهند الغربية فغاية ما بلغهُ في بعضها ان ثمن الصادر منهُ بلغ ٣٦ في المئة من قيمة الصادر كلهِ وقد لا يزيد في البعض الآخر على ٢ في المئة

ثانياً ان متوسط محصول الفدان قليل جداً لا يقاس بمحصولهِ في القطر المصري فقد كان متوسط محصول الفدان مدة ١٢ سنة ١٤٤ رطلاً من القطن الشعر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

الدوسنطاريا

الدوسنطاريا او السحج التهاب فتقرح يصيبان اسفل المعى الغليظ . وهو اما محلي غير معدٍ ولا وبائي واما وبائي معدٍ سببهُ مكروب حيواني لا نباتي اسمهُ الاميبا . واعراضهُ اسهال متواتر ومغص وزحير وظهور مواد مخاطية دامية في البراز فتكون قليلة او كثيرة . وهو من امراض الاقاليم الحارة كمصر في الغالب ولكنهُ قد يظهر في الاقاليم الباردة . يسميهِ اهل سورية زنطاري او زنطارية ويشتقون منهُ فعلاً فيقولون في الدعاء على عدوّ «زنطاري تزنطرك» مما يدلُّ على شدة خوفهم من هذا المرض وتبرمهم بهِ منذ زمن طويل

وهو من الامراض الدقيقة كالتيفوئيد لانهما كليهما يصيبان الامعاء الاول الدقيقة والثاني الغليظة وهي ذات نسيج دقيق نحيف

وانواعهُ السحج الملاري والاسكربوطي والمزمن والمشتبك والحاد ولكل منها علاج خاصٌّ بها . فان كان من النوع الخفيف الوطأة عولج بالمسهلات كزيت الخروع والملح الانكليزي وملح الطرطير تؤْخذ جرعات صغيرة متكررة مدة يوم او اكثر اذا اقتضى الامر . وتوضع اللزق الحارة على البطن . ويجوز شرب الماء المثلج لارواء العطش بشرط المحافظة على نقاوة الماء . اما الطعام فاللبن والمرق والمواد النشائية وماء الشعير بعد اغلائهِ حتى ينضج

وان كان من النوع الحاد المعدي عولج بالايبكاك (خلاصة جوزة القيء) شربًا او بالحقن تحت الجلد بمادة تسمَّى «امتين» وهي مادة مستحضرة من الايبكاك واقوى منهُ فعلاً لانها خلاصتهُ . اما المزمن فيعالج بالقوابض كمسحوق دوفر وغيرهِ مع شدة الانتباه الى طعام المريض والوسائل الصحية التي تستعمل لهُ

وعلى ذكر «الامتين» نقول ان المقطم اشار غير مرة الى علاج اكتشفهُ حضرة

الدكتور بجري لمعالجة المصابين بالاسهال البسيط والدوسنطاريا · وقد اخبرنا حضرة الدكتور فيتالي طبيب مستشفى الحميات الاميري في العباسية انهُ جربهُ في نحو خمسين اصابة بالدوسنطاريا في المستشفى فجاء بنتائج قال في وصفها انها بديعة · على ان الحكم البات في فائدة هذا العلاج او ذاك يستلزم عملاً كثيراً ووقتاً طويلاً · والعادة في مثل هذه الاحوال اي عند اكتشاف علاج جديد ان يؤْخذ عدد معلوم من المصابين بالمرض الذي اكتشف العلاج لهُ ويعالجون بهِ · ويؤْخذ عدد مثلهم ويعالجون بالوسائط الاخرى المعروفة · ويكرر ذلك مراراً في مدة طويلة · فاذا اسفرت النتيجة عن شفاء عدد اكبر من المصابين باستعمال العلاج المشار اليهِ في معالجتهم حكم بافضليتهِ على غيرهِ

وقوام علاج الدكتور بجري الاكسجين ومبدأهُ ما هو معروف عن الاكسجين من تنبيه الجسم وتقويتهِ بتنقية الدم وتطهيرهِ من الشوائب · فاذا حقن الجسم بهِ قوي كريات الدم البيضاء او خلاياهُ على اتمام وظيفتها الخاصة بها وهي ابادة المكروبات او الخلايا الضارة التي تدخل الجسم بالاحاطة بها وابتلاعها

فعسى ان يمتحن هذا العلاج امتحاناً رسميًّا انصافاً لصاحبهِ وتشجيعاً لغيرهِ من المشتغلين بالعلم وعسى ان تسفر التجربة عن نفع علاجهِ جزاء اجتهادهِ

اعداد القهوة

القهوة مشروب شرقي عربيٌّ كما ان الشاي مشروب شرقي صينيٌّ · وقد اقتبسها الغربيون عنَّا فلم يحسنوا الاقتباس او احسنوا ولكنهم لم يزيدوا تفنناً علينا خلافاً للمعروف عنهم في سائر ما يقتبسون او يستعيرون · فحكاية اقتباس الانكليز للشاي من الصين مشهورة · ولغرابتها نشروها في الكتب المدرسية التي يدرسها اولادهم على ما فيها من دواعي سوء الظن بفطنتهم ولكنهم لا يبالون لانهم لا يكرهون ان ينتقدوا اذا كان وجه النقد صحيحاً ويكرهون ان يمدحوا ولو مدحاً في محلهِ · وخلاصة تلك الحكاية انهم كانوا في مبدإ اقتباسهم للشاي يغلون اوراقهُ وينشرونها على قطعة من الروستو ويأْكلون الصنفين جملة · اما السائل فيلقونهُ القاء النفاية !!

هذا عن الشاي · اما القهوة فقد اقتبستها اوربا كلها وكان الفرنسويون اشدهم شغفاً بها ومع ذلك يستطيبون القهوة الشرقية ويفضلونها على قهوتهم · والشرقيون يختلفون في اعداد القهوة ومقدار حلاوتها او مرارتها ما بين حلوة كثيراً ومرة « سادا » · ولكن العرب

احسن الشرقيين تعليلاً لها واتقانًا لطبخها . وقد رأينا بعض عرب البادية يهيئونها على الطريقة الآتية

يأتون بقدر من البن لا يزيد على حاجة اضيافهم فيحمصونهُ في مقلى من الحديد او الفخار وهم يحركونهُ بملعقة من الحديد حتى ينضج ثم يدقونهُ في هاون من الخشب ويتفننون في دقهِ حتى ان الذي يسمع ولا يرى يخيل اليهِ ان ليس في الامر دق قهوة بل حفلة طرب ونقر دربكة . ثم توضع الغلاية على النار حتى تغلي فترفع وتلقم بنًّا كثيراً وسكراً قليلاً وتعاد الى النار حتى تأخذ في الفوران فتدار على الضيوف . وبعد ربع ساعة او نحو ذلك يأتون بقهوة مرة

ويشترط في القهوة ان لا تغلى على النار لان اغلاءها يطير ما بها من المادة العطرية فتفقد كثيراً من لذة طعمها . على انهُ اذا اريد بها التنبيه اولاً واللذة ثانيًا وجب اغلاؤُها لانهُ افعل في استخراج العنصر المنبه الذي فيها وهو المسمى « كافايين »

وقلما يشرب الانكليز والاميركيون والالمان القهوة صرفة وانما يمزجون بها اللبن في طعام الفطور فيسحقونها لذلك سحقًا معتدلاً تبقى بهِ خشنة . ولكنهم اخذوا يشربونها في الزمان الاخير صرفة وقد قرأنا وصفًا لطريقة اعدادها جاء فيهِ ان احسن القهوة تصنع من مزيج ثلثاهُ بن جاوي والثلث الآخر بن عدني (واردمخا) فيحمص ويسحق ويشرب جديداً . ويوضع في كل رطل ماء ملعقة كبيرة من القهوة او ملعقتان او ثلاث حسب الاستحسان . وتطبخ القهوة في ماء مغلى . وكلما بولغ في سحقها حتى تخرج ناعمة كان ذلك خيراً

نفع الشطة

ظهرت الكولرا في مدينة نيويورك منذ سنين كثيرة فنشرت جريدة الصن (اي الشمس) صورة وصفة ادعت انها تشفي من الكولرا فسميت بعد ذلك باسمها وقيل The Sun cholera cure. اي دواء الكولرا الناجع لجريدة الصن . وقد اتضح فيما بعد ان الوصفة قديمة كان الاطباء يستعملونها في الهند لعلاج اعتقال الامعاء والهيضة والاسهال الحاد وما شاكل من الامراض لا لعلاج الكولرا . وهي مؤلفة من صبغة الفلفل الاحمر وصبغة الافيون وصبغة الراوند وروح النعنع وروح الكافور في اجزاء متساوية

وعلى ذكر صبغة الفلفل الاحمر المعروفة طبيًّا باسم Capsicum نقول اننا سمعنا بعضهم يقولون ان عامة المصريين في بعض البلاد يداوون الدوسنطاريا والاسهال وغيرهما من امراض الامعاء الحادة باطعام المريض شيئًا من الفلفل الاحمر الحرّيف الطعم وهو المعروف باسم « الشطّة » فيشفى. ولا نعلم مكان هذا القول من الصحة ولكنَّ الصبغة المذكورة تستعمل طبيًّا للغرغرة في التهاب الزور والدفتيريا وللشرب في بعض العوارض والامراض كالمغص والدسبيسيا والملاريا وغيرها وانها مضادة للفساد ومقوية للجسم



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيبًا في المعارف وإنهاضًا للهمم وتشحيذًا للاذهان. ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيمًا كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تُختار على المطوَّلة

جمعية آداب اللغة العربية بلندن

سيدي محرر المقتطف

لم اعجبْ لمبادرتكم الى التنويه بمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » في صدر « باب الاخبار العلمية » من مجلتكم الغراء، فقد عرفتُ « المقتطف » كما عرفهُ غيري « شيخ » المجلات العربية الراقية التي يُقتدى بهديها في خدمة العلم والأدب، فلم يكن بمستغربٍ على صحيفتكم الجليلة التي هي عقدة الأمل في انشاء « المجمع اللغوي العربي » بالقاهرة ان تعنى هذه العناية بعملٍ يُقصد بهِ ترويج آداب العربية ورفع كرامتها في ديار الغرب وفي مقدّمتها بريطانيا العظمى، وانما وجه العجب هو انَّ معظم المساعدة الحقيقية التي نالها المشروع من القطر المصري المعتَبر مركز النهضة العربية جاءت من غير ابنائهِ. وهذه المساعدة الفعلية لا تزال مع ذلك ضئيلة لا تستحق الاعتبار

عُرِفَ اخواننا السوريون الاماجد على تباين مذاهبهم بخدمة اللغة العربية والغيرة على رفع علمها في اي مكانٍ نزلوا بهِ حتى صار يُضرَب بهم المثل في القدرة على هذا التبشير

الادبي المشكور، وعدَّت من معجزاتهم اصدار صحف عربية يومية في العواصم الامريكية. وقد شهد بفضلهم هذا كلُّ عالمٍ واديبٍ منصفٍ، وزكَّى هذه الشهادة الشاعر الكبير حافظ بك ابراهيم. ويقيني انهُ لو كانت المواصلة بين لندن والقطر السوري غير مقطوعة لاغنانا فضلاء الشاميين مستقلّين عن الليرات القليلة التي نجمعها بمشقة من بقية الاقطار العربية. ولكن أليست اللغة العربية هي لسان الامة المصرية ايضاً، واي فخر لمثلي في عملٍ كهذا اذا كان لا مثي في نجاحهِ اقلّ نصيب؟ اشاهد من صديقي السوري مسيحياً كان او مسلماً ومن اخي المصري المسيحي غيرةً فائقةً على تكريم العربية باعتبارها اللسان القومي لكلٍ منهما، ولكنني اذا سألتُ اخي المصري المسلم الذي يعتبر «الضاد» لغة كتابهِ المقدَّس بَذْلَ مثل هذه العناية اكتفى باظهار «رغبتهِ الاكيدة» في ذلك او عرَضَ قائمة أسئلتهِ ثم ولّى بوجههِ وملؤهُ الريبة والتهيُّب والجزع! وهناك فريقٌ آخر وجد انَّ اسلم طريقٍ لهُ ان يصف عاجزاً مثلي وبقية زملائي الافاضل اعضاء «اللجنة التحضيرية» بالنبوغ والألمعية وما شاكل ذلك من ألقاب المدح الذي يُكال جزافاً، ولم ينل العمل ذاتهُ شيئاً من تعضيدهِ! وليس معنى هذا أني اصدر حكماً مطلقاً لا شواذ لهُ، ولكن الحقيقة التي لا جدال فيها هي انَّ ابناء وطني الاذكياء السخيين لا يعرفون الانفاق فيما يستحق الانفاق من اجلهِ، وكثيراً ما تتناهبهم الشكوك بعضهم ببعض والخوف من فشل الاعمال، ولهذا قلما تقوم لنا قائمة، فبات بكاؤُنا اطول من سرورنا بل اضعاف اضعاف

> وانى على عجزي تُقرّعُ امتي ... على فرط تقصيرٍ وطولِ عويلِ
>
> سجيَّةُ قلبٍ مخلصٍ في ودادهِ ... وما عيبُ قلبٍ مخلصٍ بقليلِ

وما كنتُ مَنْ يتولاَّهُ اليأس الذي طالما تغلَّب على قلوب مَنْ ساقتهم الظروف للدعوة الى الاعمال العمومية النافعة فلم يصادفوا آذاناً واعية، فاني لا زلتُ واثقاً من انَّ املي سيتحقق باشتراك مواطنيَّ الاعزَّاء الفضلاء اشتراكاً فعلياً وجيهاً في انفاذ هذا المشروع على الوجه الاكمل يتقدمهم في ذلك ذوو الحيثية والمكانة العلمية والادبية منهم. وهيهات ان يخطر ببالي او ببال احد زملائي الغيورين طرح هذا العمل الجليل ظهريًّا، وانما اخشى ان يطول اجل الانتظار، اذ لا فائدة تجنى من البناء على غير اساس، وما لم تضمن «اللجنة التحضيرية» من اهل اليسار الحاتميين وعظماء العرب ومحبي العربية تبرُّعاً سنويًّا دائماً لا يقل عن ثلاثمائة جنيه (وهو قدر زهيد بالنسبة الى مراتبهم وفائدة هذا العمل) فلا سبيل امامها غير التمهُّل ومواصلة الدعوة، فليس القصد مجرد انشاء جمعية ذات اعمال صورية عديمة

الاثر ، بل الغرض اعظم من ذلك . ويهمنا كما حال حول على الجمعية بعد تأسيسها ان تبدو شيئاً فشيئاً ثمار غرسها من معرَّبات ومترجمات ومخطوطات منشورة ، ومن محاضرات ومقالات ودروس نافعة متواصلة في شتّى المباحث الادبية والعلمية مما يعود على العربية واهلها بالصيت الحسن والذكر العاطر ، فانما المنزلة الادبية للامم بسيرتها وحسن سمعتها ولا كرامة لشعوب يُظن انها في عداد الاموات لا علم ولا ادب لها

ربما كان من الفائدة ان اذكر في هذا المقام ان جميع التبرعات التي تلقتها اللجنة مودعة في « المصرف الاهلي المصري » بلندن (The National Bank of Egypt, London.) وان امين صندوق اللجنة هو حضرة احسان افندي البكري وان قوائم التبرعات ستُنشر تباعاً في الصحف . وقد منعت الشواغل الخاصة حضرة قرياقص افندي ميخائيل عن مواصلة الاشتراك معي بوظيفة « كاتم سر اللجنة » فاضطر الى الاعتزال واصبحتُ وحدي متحملاً تبعة أعمال هذه الوظيفة

ولعلَّهُ من المفيد ايضاً ان أشير الى انتقاد وجههُ اليَّ أحد الادباء وقد اطلع على خطابي الذي أَلقيتهُ في دار « الجمعية الاسيوية الملكية » بلندن في غرة مايو الفائت فانهُ اخذ عليَّ قولي : « اللغة العربية هي لغة الامة المصرية سواء في ذلك مسلمها ومسيحيها وموسويها . وما اللغة الهيروغليفية او اللغة القبطية او اللغة العبرانية في مصر الأ من آثار التاريخ تُدرس لفائدتهِ ولمعرفة مآثر اجدادنا العظام» مستنتجاً اني بصورة تعبيري هذا اشجع اهمال اللغة المصرية القديمة . وهو استنتاج خطأ فان سياق الكلام لا يؤدي الى ذلك . وأما عن رأيي في هذا الصدد فحسبي ان اقول اني طالما لاحظتُ وبنفسي شيء من الدهشة والاسف عدم عناية « الجامعة المصرية » بتدريس اللغة الهيروغليفية واللغة القبطية مع وجود مثل صاحب العزة العالم الأثري الفاضل احمد بك كمال مناراً لمصر . ومثلهُ لن يضن بما فيهِ نفع امتهِ . أليس من العيب الفاضح ان يكون الاجانب اعلم منا بتاريخنا . وان يضطر ابناؤنا الى السفر لباريس ولندن لدرس علم الآثار المصرية بدل ان يحج الطلاب من جميع الامم لهذا القصد الى مصر كعبتها ومهدها ؟ فحاشا ان احث على غير ما يشرف بلدي . فليهدأ بال حضرة الاديب المنتقد ولهُ الشكر وان اخطأ على شعورهِ الحي

احمد زكي ابو شادي
(طبيب)

الصناعة الوطنية

حضرة منشئي المقتطف الفاضلين

اراكم في ما تكتبونهُ عن الصناعة الوطنية لا تميلون الى تنشيط الصناعات الكبيرة كغزل القطن ونسجهِ مع ان القطن الخام اهم حاصلات القطر المصري . واهالي اوربا واميركا والهند واليابان يشترون القطن منا ويغزلونهُ وينسجونهُ ويبيعوننا اياهُ منسوجاً بثمن غالٍ فيضيفون اليهِ اجرة الشحن ذهاباً واياباً واجور الصناع وارباب التجار ولو غزل ونسج عندنا لتوفر علينا جانب كبير من ذلك

ومن هذا القبيل صناعة الورق فان الورق يصنع من الخرق ويمكن عملهُ من نبات البردي ويسهل الحصول عليها في هذا القطر

ومن هذا القبيل ايضاً عمل الزجاج فان موادهُ الاصلية الرمل والقلي كثيرة في هذا القطر فلماذا لا نصنع كل الزجاج الذي نحتاج اليهِ ونصدر منهُ الى السودان وبعض البلدان الشرقية

ومن ذلك زرع التوت وتربية دود الحرير كي يصير عندنا مقدار كبير من الحرير فنحلهُ ونسجهُ ونتاجر بهِ

وقد ذكرتم غير مرة ان تراب الخزف الصيني موجود في اصوان فلماذا لا نصنع انواع الخزف الصيني منهُ

ثم انكم تذكرون هذه الصنائع كلها وتشرحونها ولكنكم لا ترغبون ابناء الوطن في الاقدام عليها فهل ذلك لانكم تظنونها غير رابحة او لانكم تظنون انهُ لا يمكن اتقان هذه الصناعات هنا

مصر احد القراء

[المقتطف] لقد اصبتم في اننا غير واثقين تماماً بربح هذه الصناعات اذا أُنشئت لها المعامل الكبيرة هنا كما انشئت في اوربا واميركا

مثال ذلك معامل الغزل والنسج فالمعمل الذي أُنشئ في العاصمة للغزل والنسج منذ بضع سنوات خرب وخسر مشترو اسهمهِ اموالهم وذلك اولاً لان اكثر المنسوجات القطنية التي تستعمل في القطر المصري والسوداني لا تنسج من القطن المصري الغالي الثمن بل من قطن اميركي او هندي رخيص الثمن . واذا نسجنا القطن المصري الجيد الغالي الثمن لم نستطع

ان تناظر المنسوجات الاوربية الرخيصة المنسوجة من قطن رخيص · وهب ان سكان هذا القطر استناروا كلهم وعرفوا ان الغالي هو الرخيص وانهم اذا اشتروا المنسوجات التي من قطن مصري جيد فذلك اربح لهم ولو كانت اغلى من المنسوجات الاوربية فمقطوعية القطر المصري من المنسوجات القطنية قليلة جدًّا بالنسبة الى محصول القطن المصري فان مقطوعية القطر المصري في السنة من هذه المنسوجات اقل من نصف مليون قنطار واذا كانت من القطن الجيد بلغت ربع مليون قنطار ولا يخفى عليكم ان محصول القطن المصري يبلغ نحو سبعة ملايين قنطار فربع مليون قنطار او نصف مليون قنطار لا تؤثر تأثيراً كبيراً في استهلاك المحصول

ثم انهُ وجد بالاختبار ان هواء القطر المصري لا يناسب لانشاء معامل الغزل والنسج لانهُ يتولد كهربائية كثيرة في معامل القطن بسبب جفاف الهواء فيتباعد شعر القطن بعضهُ عن بعض ويعسر غزلهُ · ولما كان معمل العاصمة دائراً اضطرَّ مديروهُ ان يدخلوا فيهِ حنفيات تذرُّ بخار الماء فيهِ دواماً ليبقى هواؤُهُ رطباً ويقل تولد الكهربائية وهذه نفقة كبيرة ضائعة سدًى

وفوق ذلك فان اعمال الغزل والنسج في المعامل الكبيرة تقوم كلها الآن بالآلات التي يحركها البخار ولا بدَّ لذلك من احراق كثير من الفحم الحجري وليس في القطر المصري فحم حجري فنلتزم ان نجلبهُ من بلاد الانكليز وندفع ثمنهُ واجرة شحنهِ · واجرة شحنهِ من هناك الى هنا لا تقل عن اجرة شحن القطن الذي يغزل وينسج بهِ · ولا بدَّ من ان تضاف اجرة شحن الفحم الى ثمن ما يغزل وينسج من القطن

وكل ما تقدَّم عن صعوبة انشاء المعامل الكبيرة للغزل والنسج لا يصدق ضرورة على المعامل الصغيرة للغزل والمعامل التي فيها انوال كافية لمقطوعية البلاد من الاصناف الغالية ولاسيما اذا كانت المنسوجات ممزوجة من القطن والصوف او القطن والكتان او القطن والحرير · وهذه المعامل آخذة في الانتشار رويداً رويداً ولا تحتاج الى رأس مال كبير ولا تستلزم ان يكون منها ربح يوزع على اصحاب رأس المال بل يكتفي الصانع منها ان يكتسب منها ما يقوم بمعيشتهِ

اما صناعة الورق فجُرّبت في سورية وكنا نطبع المقتطف في سنتهِ العاشرة وما بعدها على الورق السوري وكان جيداً ولكن صاحب المعمل خسر واضطرَّ ان يبطلهُ لان القوة المائية التي كان يعتمد عليها لا تدوم كل السنة فيضطر ان يوقد حطباً وفحماً لادارة الآلات

فزادت نفقاتهُ ناهيك انهُ كان مضطرًّا ان يجلب اكثر المواد التي يصنع منها الورق و بقصرهِ من اوربا فتعذر عليهِ ان يناظر المعامل الاوربية في رخص الورق · والغرض من الاعمال الصناعية الكسب في هذه الدنيا لا الثواب في الآخرة

وقد شاهدنا في معرض الاسكندرية الصناعي ورقًا يقال انهُ صنع في القطر المصري من البردي · فاستغربنا كيف يغفل الانسان عن المبدإِ التجاري اذا غوي بامرٍ من الامور · قلنا للذي ارانا ذلك الورق هل يمكنكم ان تصنعوا لنا ورقًا للمقتطف والمقطم وتبيعوا الكيلو منهُ بالثمن الذي يباع بهِ في السوق فقال كلا فقلنا فما الفائدة اذًا من عمل هذا الورق · وقد كان الورق يصنع في القطر المصري من قديم الزمان وكانت مصر مشهورة بورقها وكان يصدر ورق البردي منها الى بلاد اليونان والرومان وهو لا يصلح للكتابة الآن ولما جاء العرب صنعوا ورقًا يصلح للكتابة وكتبوا كل كتبهم عليهِ ويستطيع كل احد ان يصنع ورقًا مثلهُ ولكن ما يشترى بعشرة غروش من ورق اوربا لا يمكن عمل مثلهِ على تلك الطريقة باقل من اربعين او خمسين غرشًا · وقد لا يصعب علينا ان نبتاع الآلات لعمل الورق وننشئ معملاً للوراقة بنفقة معتدلة لا تزيد على ثلاثين الف جنيه او اربعين الف جنيه ولكن هل نستطيع ان نبيع ورق هذا المعمل بالسعر الذي يباع بهِ ما يماثلهُ من الورق الاوربي · فان كان ذلك ممكنًا وجب المبادرة الى انشاء هذا المعمل والاَّ فانشاؤهُ خطأٌ من باب تجاري لا يقدم عليهِ الاَّ من يظن ان انشاء معمل مثل هذا من المبرات التي ينال صاحبها الثواب في الآخرة

وعمل الزجاج قد يكون منهُ ربح تجاري وقد لا يكون لكثرة ما يحتاج اليهِ من الوقود وكذلك عمل الخزف الصيني · ولو كان من هذين العملين ربح اكيد لاقدم عليهما غير واحد · وقد رأينا جنصن باشا باذلاً اقصى جهدهِ في عمل الخزف المدهون ولكنهُ فشل اخيرًا ولا يوجد على مائدة احد من اغنياء مصر صحفة واحدة او كوبة واحدة من خزف مصري او زجاج مصري لا لقلة الغيرة الوطنية بل لان ما يصنع من ذلك لا يستحق ان يوضع على مائدة

وزرع التوت لتربية الحرير جُرب غير مرة والذين جربوهُ كانوا من اشد الناس تحمسًا وثقة بالنجاح ولكنهم فشلوا وقلعوا التوت وهم يزرعون اطيانهم قطنًا الآن

ومع ذلك لا نرى ما يمنع كل صاحب فدان ان يزرع قيراطًا منهُ توتًا ويربي قليلاً من دود الحرير فان زوجتهُ تستطيع ان تربي هذا الدود وتطعمهُ ثم تحل الحرير وتنسجهُ كما تفعل اليابانيات وبعض السوريات او تبيعهُ بما يوفي تعبها لولا ان تربية دود الحرير تأتي في زمن خدمة القطن والقطن اربح من الحرير

وقد ظن البعض انهُ يوجد فحم حجري في طبقات الارض السفلى في هذا القطر فيرخص استعمال الآلات البخارية ولم نكن نرى ما يؤيد ذلك من باب علمي جيولوجي بل لو وجد الفحم لكان مقدارهُ قليلاً ليس من استخراجهِ ربح تجاري فتحقق رأينا ونشرت وزارة المالية بالامس المنشور التالي وهو

« كانت مسألة احتمال وجود الفحم الحجري في بعض اراضي القطر المصري موضوعاً للبحث والنظر في الثمانين السنة الماضية وادت في احوال عديدة وخصوصاً في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا الى مباشرة البحث والاستكشاف

« وكان من رأي العلماء الباحثين في طبقات الارض (الجيولوجيين) ان من المشكوك فيهِ العثور على كميات من الفحم الحجري يصح ان تكون موضوعاً للاتجار فيها فتراءى لاولياء الامر ان انفاق اموال اخرى في سبيل العمل لاستكشاف الفحم لا مسوغ لهُ على انهُ لما ارتفعت اسعار الفحم الحجري في القطر المصري بسبب الحرب ذلك الارتفاع الفاحش عادوا فرأوا ان من الواجب لمصلحة هذا القطر استئناف البحث للتحقق من صحة ما اقرَّ عليهِ اولئك العلماء الخبيرون وهل هو مما يصح الوقوف عليهِ والركون نهائياً اليهِ

« وتحقيقاً لهذا الغرض اختيرت منطقة من المناطق المجاورة لبندر ادفو بالوجه القبلي لمباشرة البحث فيها ومعرفة ما اذا كانت ارضها تكنُّ الفحم في باطنها وقد اجريت اخيراً في ثلاثة اماكن منها عمليات مهمة للتحقق من ذلك فافضى البحث والاستكشاف الى النتيجة الآتية وهي انهُ وان وجدت كميات قليلة من المواد الفحمية في متسع عظيم من ارض تلك المنطقة الأ انهُ لا امل في العثور فيها على عرق من الفحم يكون لهُ من تواصل امتدادهِ وعظم اتساعهِ اهمية اقتصادية جديرة بالعناية والذكر »

فقطعت جهيزة قول كل خطيب في هذا الباب من حيث وجود الفحم الحجري وقوداً ولكن في القطر مناطق واسعة من الصحاري الواطئة القريبة من النيل التي يمكن زرع الشجر فيها وقوداً ويسهل نقلهُ من جهة الى اخرى بعد ذلك بالنيل فيكثر الوقود ويرخص . ولا تقلُّ اهمية الغابات في البلدان المتمدنة عن اهمية مناجم الفحم الحجري لان فيها الوقود وفيها ايضاً الخشب للبناء والنجارة وقد يكون فيها شيءٌ من اصلاح الاقليم وهذا موضوع آخر سنشبع الكلام عليهِ في فرصة اخرى



معرض الصناعات المصرية

أُقيم بالاسكندرية في خلال شهر اغسطس الماضي معرض للمصنوعات المصرية على منوال معارض البقول والاثمار والازهار التي كانت تقام في القاهرة

واحتفل يوم السبت ٥ اغسطس بافتتاحهِ فأمهُ عظمة السلطان وحضرات الامراء والوزراء وسائر الكبراء وشاهدوا جميع معروضاتهِ واعجبوا بها ايما اعجاب

وقد قُسم المعرض الى اقسام خص كل قسم منها بعرض اصناف من نوع واحد الأ القسم الاول فقد شمل الصناعات الكبيرة والمراد بها بعض ما تصنعهُ المعامل الكبرى فشركة النسج المصرية عرضت هناك انواعاً من الاقمشة وفتلة القطن البيضاء والمصبوغة في شكل هرم يجري النيل تحتهُ في الغياض ممثلاً بالقطن المندوف . وفي هذا العرض اشتركت مصبغة ثابت في عرض المصبوغات من مصنوعات الشركة المذكورة . ثم معروضات شركة كونسيكا وقد عرضت تفل قصب السكر وتبن البرسيم والقمح والكحول النقي على انواعهِ في زجاجات وبراميل . ومعروضات شركة الملح والصودا وهي انواع الزيوت والصابون والملح والصودا الكاوية وقوالب مضغوطة من كسب بزر القطن تستعمل علفاً للمواشي . ومعروضات شركة السكر والتكرير المصرية وهي انواع السكر وطرق استخراجهِ . وعرضت شركة الطرابيش الوطنية المصرية في قها انواع طرابيشها وطرق ندف الصوف وغزلهِ وحياكتهِ طرابيش . وشركات الاسرة المعدنية انواعاً من الاسرة المعدنية من الحديد والنحاس . وشركة كامبتون انواعاً مختلفة من الثياب . وماتوسيان اصناف الدخان والسجاير . وبولانا كي الكنياك والروم . وشركة التاج البلجيكية البيرا . وشركة معامل الكاوتشوك المصرية اصناف الكاوتشوك

اما القسم الثاني فقد خص بالاثاث والرياش والعارضون فيهِ الخواجات صيدناوي والمستر ستورس سكرتير دار الحماية والخواجا يوسف فخر والسادات ماوردي وشركاؤهم ومدرستا طنطا ودمنهور الصناعيتان والسيد احمد حسن البقري وقد عرض مصنوعات من الارابسك المطعَّم

وخص قسم في ساحة المعرض بالآلات العامة الزراعية وقسم بمصنوعات الطوب والقرميد والاسمنت والجبس والبرانج والادوات الصحية من الاسمنت المسلح والفخار

وتظهر ساحة المعرض العامة عظمة الصناعة الفردية اليدوية فهناك قسم النجارة العمومية والمباني وقسم الدباغة واشغال الجلود وقسم السلال والخوص وقسم التطعيم وشغل العاج وقسم الصناعات المعدنية وقسم الصناعات الحقيرة المحلية وقسم خياطة الملابس وقسم الصناعات الصغيرة المختلفة وقسم الصناعات الكيماوية وقسم واسع للغزل والنسج وقسم المواد الغذائية وقسم الحبال والشباك وقسم صناعة الفخار وقسم زخرفة المعادن

وقد غطيت جدران هذه الساحة بالسجاجيد والحصر والابسطة من صنع البلاد واقيم في وسطها كشك جميل لهُ قبة تسترعي الانظار وجلل من الداخل والخارج بقطع قماش الخيام موشاة برسوم ورموز مصرية جميلة تدل على ذوق سليم وهي من صنع الخيام الشهير اسماعيل عمر

ووضع في صدر الساحة المذكورة نول لحياكة القطن ونول آخر لحياكة الحرير من معمل السادات سليم عبده سلبق وشركائهم . ونول جاكار للمدرسة الصناعية ونول لعمل السجاد ومع كل نول عمالهُ يحوكون اصناف الاقمشة والمصنوعات والى جانبهم المواد الخام

ومما استوقف انظار زائري المعرض «المنظرة» الشرقية البديعة التي صنعها المستر ستورس السكرتير الشرقي لدار الحماية وهي مفروشة بالرياش الشرقية تمثل ما كان يرى في المناظر الشرقية القديمة من ابسطة ودواوين ودكك ودواليب (خزانات) وكراسي وخشب معرق وستاير وطشوت واباريق نحاس وصواني وشمعدانات و براويز وشبش ومراوح وما اشبه

ومما شاهدناهُ ويظهر لنا انهُ بلغ حد الاتقان وصار في الطاقة ان نستغني بهِ عن مصنوعات اوربا التي من نوعه كل المصنوعات من الخشب الساذج والمطعم فان الخزائن والموائد والكراسي المعروضة تغني عن مصنوعات اوربا التي من نوعها وقد لا تزيد عليها ثمناً مع ان موادها الاصلية من خشب وزجاج ورخام ومسامير وغراء وورنيش كل ذلك يؤتى بهِ من الخارج

وكذلك جانب كبير من المنسوجات الحريرية والممزوجة من الحرير والقطن . والطرابيش والسجاد . والثياب . والسمنت وما يصنع منهُ . واكثر ما يصنع من النحاس . ومن الجلد . و بعض ما يصنع من الحديد . والصابون على انواعهِ . والمربيات على انواعها . وكثير من

الاشربة الروحيَّة · كل ذلك يمكن الاستغناءُ بهِ عما يرد من اوربا · وحبذا لو عدل صانعو السجاد عن الاكتفاء بلون الصوف الطبيعي الابيض والاسود والاسمر واكثروا من صبغهِ بالالوان التي تكون عادة في السجاد الازميرلي والعجمي والبخاري واختاروا لها الاصباغ النباتية الثابتة والرسوم الشرقية المألوفة

وينبغي ان لا يبرح من البال ان البلاد تقصد من الصناعة امرين الاستعمال المحلي والاصدار الى الخارج فيجب اولاً ان نصنع المصنوعات التي تُطلَب في البلاد حتى تناظر ما يجلب من الخارج متانةً ورخصاً · وثانياً ان نصنع المصنوعات التي تروج في اسواق اوربا كالسجاد على انواعهِ واشغال المشربية والآنية النحاسية وانواع الانسجة والمطرزات الشرقية والارواح التي تستخرج من الورد والفل والياسمين والنعناع والفتنة وما اشبه · ومربيات الفاكهة ومكبوسات الخضر · فانهُ يسهل على القطر المصري ان يزاحم سائر البلدان في ذلك كلهِ اما لان موادهُ الاصلية موجودة في البلاد او لانهُ يقتضي عملاً يدوياً كثيراً ولا يزال العمل اليدوي رخيصاً عندنا

ترعة بناما

ترعة بناما اكبر الاعمال الصناعية واعظمها واصعبها وقد بلغ ما انفق عليها مئة مليون جنيه وقد ظهر الآن ان الذين انشأوها اخطأوا في اختيار المكان الذي انشأوها فيهِ لان جانباً منهُ تراب متصل بتراب عالٍ فكانهُ معهُ نوع من السائل ومهما اخرجت من هذا التراب من قلب الترعة صعد غيرهُ من جوف الارض وقام مقامهُ كأنهُ الماء ينبع من الارض اذا كان متصلاً بماء اعلى منهُ · فان الكراكات التي تنزع الاتربة من هذه الترعة لم يصنع الصناع اقوى منها ولما انهار جرف كبير بالامس وسدَّ الترعة جعلت هذه الكراكات تنزحهُ فنزحت اكثر مما انهار ولكنها لم تنظف الترعة حتى الآن · فان كان الامر كذلك فلا بدَّ من العدول عن استعمال هذه الترعة او تحفر حفرة حول الجزء الذي مادتهُ ترابية ولو طالت الترعة بذلك كثيراً · والظاهر ان الاميركيين نظروا الى مصائب اوربا فهانت عليهم مصيبتهم بهذه الترعة ولذلك لم يكثروا من الشكوى منها حتى الآن

باب التقريظ والانتقاد

تصحيح لسان العرب

اتحفنا حضرة الكاتب المحقق احمد بك تيمور بالقسم الاول من كتاب تصحيح لسان العرب . وهو حاوٍ لتنبيهات على اغلاط وقعت في نسخة لسان العرب للامام ابن منظور المطبوعة ببولاق سنة ١٣٠٠ — ١٣٠٨ . قال « وكنا عثرنا عليها اثناء المراجعة ونشرنا عليها فصولاً في صحيفة المؤيد ومجلة الضياء والآثار ثم بدا لنا ان نجمع شتاتها وننظم شملها في هذه الاوراق بعد ان نضم عليها ما لم يسبق لنا نشره من قبل . ولسنا في ذلك بمدعين عصمة اومتبجحين بفضل وانما هو جهد المقل دعانا لعرضه على الانظار حرصنا على رد الكتاب الى نصابهِ من الصحة . فان لم نكن وُفقنا فيهِ الى الاصابة فحسبنا منهُ ارشاد المطالع الى مواضع فيهِ حرية بالبحث والنظر »

وقد عني بنشر هذا التصحيح حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي ووعد بنشر ما وصلت اليهِ يدهُ من التصحيحات الاخرى التي استدركها نفر من افاضل الباحثين مثل الشيخ محمد محمود الشنقيطي والشيخ حمزه فتح الله والشيخ ابرهيم اليازجي والشيخ محمود مصطفى والشيخ محمد البلبيسي وغير ذلك من التصحيحات التي يمكنهُ العثور عليها

وحبذا لو جمع هذه التصحيحات كلها ومزجها بعضها ببعض ونشرها في كتاب واحد واختار حروفاً يضعها الى جانب كل تصحيح اشارة الى صاحبهِ كحرف ت مثلاً اشارة الى تصحيح احمد بك تيمور هذا وحرف ش الى تصحيح الشنقيطي وحرف ي اليازجي وهلمَّ جرًّا فيسهل على كل من عندهُ نسخة ان يضم هذا الكتاب اليها

كتاب الفاخر

اهدي الينا كتاب الفاخر تأليف ابي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي . اعتنى باستخراجهِ وتصحيحهِ المستر ستوري استاذ اللغة العربية في المدرسة الاسلامية بعليكده (الهند) وطبع في مطبعة بريل بمدينة ليدن . واخذت نفقات طبعهِ ونشرهِ من المال المرصود تذكاراً للمستشرق المشهور دغويه . وهو يشتمل على ٥٢٦ من الامثال والاقوال المأثورة عن العرب

وشرحها . ومن الغريب ان بعضها لا يزال مستعملاً حتى الآن وان اكثرها مذكور في مقامات الحريري ومقامات اليازجي مع ان مؤلف الكتاب من اهل القرن الثالث فمضى عليها اكثر من الف سنة ولم تزل على استعمالها . وقد احسن ناشر الكتاب فيما الحقهُ بهِ من الفهارس التي يرتشد بها الطالب الى مكان كل مثل او قول ارادهُ

تصحيح كتاب الاغاني

كتاب الاغاني عمدة في آداب العربية وقد قيض الله للنسخة المطبوعة منهُ ان وقف عليها اللغوي الحجة الثقة المرحوم محمد محمود الشنقيطي وصحح ما فيها من خطإ النسخ والطبع وما في فهارسها من النقص واضاف اليها حواشي كثيرة . وعني بجمع ذلك كلهِ حضرة محمد افندي عبد الجواد الاصمعي وطبعهُ . انتدبهُ الى ذلك حضرة صاحب السعادة الاستاذ احمد زكي باشا . وقد اشار الى الصفحة والسطر في طبعة بولاق وطبعة الساسي في الاجزاء العشرين الاولى وفي طبعة ليدن وطبعة الساسي في الجزء الحادي والعشرين . فجاء هذا التصحيح والزيادات في ٧٠ صفحة كبيرة تشهد للمصحح والجامع والناشر والمنتدب بالفضل وتوخي النفع للذين يرجعون الى هذا الكتاب النفيس الذي هو اكبر خزانة للآداب العربية

وكنا نظن ان طبعة بولاق اصح من طبعة الساسي حتى اننا ابتعنا الاولى دون الثانية واذا هذا التصحيح يدل على ان طبعة الساسي اقل خطأً من طبعة بولاق وصار من السهل تصحيح الطبعتين الآن

النتيجة السنوية

اهديت الينا النتيجة السنوية التي تصدرها جمعية النشأة القبطية الارثوذكسية وهي العشرون في بابها وقد صُدِرت برسمي عظمة السلطان وغبطة الانبا كيرلس الخامس بابا الكرازة المرقسية . وجاء فيها ان مفتتح السنة ١٦٣٣ للشهداء سيكون في ١١ سبتمبر القادم وهو يوم النيروز او راس السنة المصرية وفصلت فيها الاعياد القبطية بوجه خاص وهذا حسن . اما ما ليس بالحسن وكنا نود لو ان النتيجة تخلو منهُ في اعدادها المقبلة فهو امثال قولها انهُ في يوم الاحد ٧ توت يزرع الكرنب شتلاً . وفي ١٩ منهُ يكثر السفرجل وفي ٩ بابه يجنى القطن ثانية وفي ١٨ منهُ تكثر الاسماك الصغيرة (البسارية) الى غير ذلك . فان هذا التدقيق في التعيين والتخصيص يفقد النتيجة كثيراً من قدرها في العيون لمخالفتهِ للواقع كما لا يخفى

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائله باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائله فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناه لسبب كافٍ

(١) السناتوجين

نوى . الخواجه عزيز متري . اعلنتم في اعداد المقتطف عن فوائد السناتوجين وقد اشتريناهُ فهل يجوز للحامل ان تتناول منهُ من غير ضرر

ج . ان اصحاب المجلات والجرائد غير مسؤولين عن صحة الاعلانات التي ينشرونها ولاسيما اذا كانت عن مواد دوائية . والسناتوجين من الادوية الخصوصية التي صنعها الالمان واكثروا من الاعلان عنها . وقد سمعنا من بعض الذين يوثق بكلامهم وعلمهم انهم استعملوهُ وافادهم ولكن لا يثبت من ذلك ان لهُ كل المنافع التي تنسب اليهِ ونرجح انهُ لا يضر الحامل ان لم يفدها

(٢) زرع النخل

ومنهُ . كيف يزرع النخل وهل يسمَّد واي انواع السماد تصلح لهُ وهل يجوز ذلك في بدء زراعتهِ

ج . تقطع الفسيلة من امها ويحفر لها حفرة صغيرة تزرع فيها ولا تسمد حينئذٍ عادة بل يكتفى بما يوضع في الارض التي تزرع فيها من السماد لاجل المزروعات الاخرى . ومتى نمت واستغني عن زرع الارض ولم تعد تسمد لان ليس فيها زراعة اخرى يحسن تسميد النخل حينئذٍ والسباخ البلدي يصلح لهُ

(٣) سماد القمح

ومنهُ . اي سماد كيماوي افضل للقمح والذرة نترات الصودا او سلفات النشادر

ج . لا يمكن الحكم في هذه المسألة الاَّ بعد تجارب عديدة متكررة في ارض واحدة وقد يحتمل انكم تجدون النترات افضل من السلفات في بعض الاراضي والسلفات افضل من النترات في غيرها . وقد جربنا نحن النترات في السنوات الماضية ومرادنا ان نجرب السلفات هذه السنة لنرى ايهما اصلح لاطياننا

(٤) سكان مصر الاولين

رمل الاسكندرية . احد القراء . من كان يسكن مصر قبل قدماء المصريين

ج · يقول الباحثون في هذا الموضوع ان سكان مصر الاولين كانوا من السود او الاحباش ثم جاءها اناس بيض من ساحل افريقية الشمالي ومن سورية وبلاد العرب فامتزجوا بالسكان الاصليين وتكوَّن منهم الشعب المصري القديم وكان الاختلاط على اكثره في الجهات البحرية (الشمالية) ولذلك فالسكان هناك يشبهون سكان غربي اسيا لوناً وشكلاً · وعلى اقلهِ في الجهات القبلية (الجنوبية) فالسكان هناك يقرب شبههم من الاحباش لوناً وشكلاً

(٥) اول امة اشتغلت بالكيمياء

ومنهُ · مَن اول امة اشتغلت بعلم الكيمياء

ج · مبادىء بعض المعارف الكيماوية متوغل في القوم فالناس الذين تركوا عصير العنب او نقيع الحبوب حتى اختمر كان عملهم هذا من قبيل الشغل بالكيمياء والناس الذين اشعلوا النار وطبخوا الطعام كان عملهم من قبيل الشغل بالكيمياء ايضاً والناس الذين سبكوا الذهب والفضة والنحاس والحديد كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء · والناس الذين ركبوا الادوية المختلفة كان عملهم من قبيل الاشتغال بالكيمياء · فكل الامم اشتغلت بالكيمياء في سالف عهدها ولكن المعارف الكيماوية لم تصر علماً باصول الا في القرن الماضي وكان اكثر الناس اشتغالاً بها حينئذٍ الفرنسيس والانكليز والالمان

(٦) طوابي راس البر

مصر · محمد كامل الغمراوي · الى عهد مَن من الولاة في مصر يرجع تاريخ بناء الطوابي القديمة على ساحل بحر الروم التي منها الطابيتان المتهدمتان عند رأس البر

ج · جاء في الخطط التوفيقية ان قلعة البوغاز الكبرى في رأس البر انشأها الفرنسويون حينما احتلوا القطر المصري في القرية القديمة المسماة بقرية البرج ولم يبقَ من آثارها الا الجامع · ثم ان عباس باشا الاول انشأ القشلاق الكبير الذي هناك على شاطىء النيل وجملة مخازن للبارود والمهمات العسكرية وصهريجاً لشرب العساكر المرابطين بتلك القلعة مع اهل عزب البرج · واما القلعتان اللتان في جهتي البوغاز شرقاً وغرباً فانشئتا في زمن الفرنسوية · وقلعة الدبية بنيت في زمنهم ايضاً وكذلك قلعة بوغاز البرلس

ثم ان عباس باشا انشأ اربعة ابراج غربي بوغاز دمياط وبرجاً فوق اشتوم الجميل شرقي قلعة الدبية ورممت مباني الفرنسويين في عهد محمد علي باشا وقويت ورمم اسمعيل باشا قلعة العزبة الكبيرة وعليهِ فتلك الطوابي والابراج بني بعضها في عهد الفرنسويين وبعضها في عهد محمد علي باشا وعهد عباس باشا ورممت في عهد محمد علي باشا واسمعيل باشا

(٧) تقريظ الكتب قبل قراءتها

مصر . احمد افندي عبد العال سلامه . لا يقرظ الانسان كتاباً او ينتقده الا بعد قراءته ولكن نجد في كثير من المؤلفات المصرية تقاريظ تلحق بها قبلما تنشر تلك الكتب فكيف ذلك

ج . يحتمل ان الذين يقرظون تلك الكتب يطلعون على مسوداتها وهي تطبع وذلك ليس بالامر الصعب

(٨) اعظم عمل هندسي

ومنه . ما اعظم عمل هندسي قام به الانسان حتى الآن

ج . ترعة بناما فانها اعظم الاعمال الهندسية واكثرها نفقات اذ قد بلغ ما أُنفق عليها مئة مليون جنيه وسور الصين اكبر من ترعة بناما ولكنهُ ليس من الاعمال الهندسية العظيمة

(٩) مقر الخلافة

ومنهُ . ما هي المدن التي جعلها الخلفاء مقرًّا لهم

ج . مكة ودمشق وبغداد والقاهرة وكانوا ينتقلون احياناً الى مدن اخرى ولكنها لم تكن مقرًّا لهم وانتقل آخر خليفة عباسي الى القسطنطينية ولكنها كانت منفًى لهُ لا مقرًّا لخلافته

(١٠) معنى بعض الكلمات

ومنهُ . ما معنى هذه الكلمات بروتستانت وكاثوليك وارثوذكس

ج . معنى بروتستانت محتجون ومنهُ كلمة بروتستو لانهم احتجوا على بعض اعمال كنيسة رومية . ومعنى كاثوليك جامعة فالكنيسة الكاثوليكية معناها الكنيسة الجامعة . ومعنى ارثوذكس مستقيم الرأي فالكنيسة الارثوذكسية معناها الكنيسة المستقيمة الرأي

(١١) خواص الحيوان

ومنهُ . هل يعتمد على ما في كتاب حياة الحيوان ونحوهِ من الكتب في خواص الحيوان

ج . كلا

(١٢) كتاب كخوتي

يونس ايرس بالبرازيل . الخواجه فوَّاد انطون الحداد . ما رأيكم في ترجمة كتاب دون كيخوتي لميغيل سرفانتي الاسباني الى اللغة العربية وهو كتاب ليس لاسبانيا فقط بل للعالم اجمع وقد ترجم الى كل اللغات الحية منذ سنين عديدة وطبع لا اقل من ١٥٠٠ طبعة فطبع في الاسبانية اكثر من ٧٠٠ طبعة وفي الانكليزية ٢٢٠ طبعة وفي الفرنسوية ١٩٠ طبعة وفي الايطالية اكثر من ١٠٠ طبعة وكذلك في البرتغالية . وفي الالمانية اكثر من ٨٠ طبعة الخ وذلك في مدة ٣٠٠ سنة وهل ينال من يترجمهُ الى العربية ويطبعهُ فيها ربحاً ماليًّا او لا يكون لهُ الاَّ تقريظ الجرائد

ج . كتاب Don quixote كبير ونظن انهُ ممل فاذا ترجم مختصرهُ وزين بالصور واهتم بنشرهِ بعض باعة الكتب فالمرجح ان مترجمهُ يكتسب منهُ بعض المال ولكن لا بدَّ من الانتظار الى ما بعد رخص الورق

(١٣) كتب سبنسر

ومنهُ . هل ترجم الى العربية بعض كتب سبنسر غير المقالات التي نشرتموها في مجلدات المقتطف الماضية

ج . ترجم منها كتابهُ في التعليم وطبع وكان فارس افندي الخوري قد شرع في ترجمة كتاب المبادئ الاولى كما اخبرنا ولكننا لم نسمع انهُ اتمهُ

(١٤) كتب ليبون وغيره

ومنهُ . هل ترجم شيء من كتب ليبون وربو وباجت وغيرهم من فلاسفة فرنسا في نشوء القوة ونشوء الاجتماع ونشوء المادة وتهذيب الارادة ونحو ذلك من اجل المواضيع التي بها تحيا الامم لا بالروايات الغرامية

ج . ترجم كتاب نشوء الاجتماع ولم يبلغنا انهُ ترجم غيرهُ من الكتب التي ذكرتموها . وعذر الناس في عدم ترجمتها ما اشرتم اليهِ انتم وهو طلب الكسب لا طلب الخسارة

(١٥) علاج البول السكري

البصرة . جميل افندي سركيس . ذكرتم في الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين للمقتطف ان معهد روكفلر الخاص بالمباحث الطبية اكتشف دواء شافياً للبول السكري فما اسم هذا الدواء بالانكليزية ومن اين يشترى

ج . لا نعرف اسم الدواء وكل ما نعرفهُ انهُ مركب من بيكربونات الصودا وملح الطعام وغيرهما كما جاء في الجزء المذكور وقد نقلنا هذا الخبر عن مجلة العلوم الطبية الاميركية

(١٦) تحليل البول

مغاغه . محمد افندي حنفي . كيف يحلل البول

ج . لفحص البول غرضان الاول معرفة حال الجهاز البولي والثاني حالة انسجة الجسم المدلول عليها باليوريا . وهذه تعرف بان يؤخذ جزء من محلول الباريتا اي ٢٠ سنتمتراً مكعباً مثلاً ويضاف اليها جزآن من البول ثم ترشح ويؤخذ ١٥ سنتمتراً منها ويقطر عليها محلول نترات الزئبق ويحرك المزيج على الدوام حتى لا يبقى راسب ثم يقطر على لوح زجاج بعض نقط من مذوب كربونات الصودا ويضاف اليها نقطة من المزيج فان بقيت بيضاء وجب ان يضاف كمية اخرى من نترات الزئبق الى المزيج حتى يصفر . ثم ينظر كم أُضيف من النترات اليهِ فتعرف كمية اليوريا في ١٥ سنتمتراً من المزيج الاصلي وفيها ١٠ سنتمترات من البول . وبذلك

تعرف الكمية المفرزة في ٢٤ ساعة . وهذه الطريقة تستعمل ايضاً لمعرفة كمية الكلور في البول وقد اخترعها البارون ليبغ

ولمعرفة كمية الحامض اليوريك في البول يؤخذ ١٠ سنتمترات مكعبة منهُ و يضاف اليها ٥٠ س ٠ م من الماء و ٥ — ١٠ س ٠ م من مذوب النشاء ثم اقطر في المزيج محلول قيود وحرك المزيج وانتظر زوال اللون الازرق فاذا لم يزل بل بقي ساعة يكون العمل قد تم . فاضرب كمية اليود التي اضفتها في ٢١، فيكون الحاصل كمية الحامض اليوريك في اللتر

ولمعرفة وجود الزلال في البول ثلاث طرق مشهورة احداها ان يغلى البول بعد ان يضاف اليهِ نقط من احد الحوامض فان كان فيهِ زلال ظهرت فيهِ سحابة بيضاء مختثرة . والثانية — وتسمى طريقة هلر — ان يوضع شيء من الحامض النتريك في قعر انبوبة و يصب البول فوقها شيئاً فشيئاً فان كان فيهِ زلال تكوَّن خط ابيض كثيف عند ملتقى السائلين . والثالثة مثل الثانية ولكن يستعمل الحامض البكريك فيها مكان النتريك

ولمعرفة وجود السكر فيهِ خمس طرق منها طريقة مور وهي ان يوضع بعض البول الذي يراد تحليلهُ في انبوبة ويضاف اليهِ بعض ماء الصودا ليصير قلوياً و يغلى مدة فاذا كان فيهِ سكر تكونت من الاغلاء مادة سمراء ذات رائحة طيبة وهي المعروفة باسم كرَملاً . ومنها طريقة تروس وهي ان يوضع البول في انبوبة ويضاف اليهِ ثمنهُ حجماً من ماء البوتاس ونقطة او نقطتان من محلول سلفات النحاس فيزرق المزيج وحينئذٍ يوضع على النار فاذا كان فيهِ سكر تحول اللون الازرق احمر واصفر . ومنها طريقة فهلن وهي ان يؤخذ محلول مزرق مؤلف من سلفات النحاس واسمهُ ملح روشل وشيء من البوتاس الكاوي و يوضعان في انبوبة و يغليان ثم ترفع الانبوبة عن النار و يضاف اليها بعض نقط من البول المراد فحصهُ فاذا كان فيهِ سكر صار لونهُ احمر واصفر من تكون املاح النحاس

و يطول بنا الكلام اذا شرحنا ذلك كلهُ بالتفصيل واضفنا اليهِ الطرق التي تستعمل لمعرفة مقدار ازدياد بعض الحوامض في حال المرض كالحامض الكبريتيك والفصفوريك وغيرها

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر سبتمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٥	٦	٢٦	صباحاً
البدر	١١	١٠	٣١	مساء
الربع الاخير	١٩	٧	٣٥	صباحاً
الهلال	٢٧	٩	٣٤	«
القمر في الحضيض	٩	٣	٢٤	مساء
« « الاوج	٢١	١١	٣٦	صباحاً

السيارات

عطارد والمريخ يكونان كوكبي مساء
الزهرة وزحل يكونان كوكبي صباح
المشتري يشرق نحو الساعة الثامنة مساء

الدكتور دانيال بلس

جاءنا من بيروت نعي استاذنا المرحوم الدكتور دانيال بلس الرئيس الاول للمدرسة الكلية السورية الانجيلية في بيروت. كانت وفاتهُ في اواخر شهر يوليو الماضي بعد مضي ٥٠ عاماً على افتتاح الكلية. وقد تولى رآستها من حين افتتاحها الى سنة ١٩٠٢ ثم خلفهُ نجلهُ الاكبر الدكتور هوَرد بلس رئيسها الحالي. وقد نشرنا ترجمتهُ وتاريخ رآستهِ في المجلد السابع والعشرين من المقتطف. ونكتفي في هذا المقام بالقول انهُ بقي بعد استعفائهِ يلاحظ سير الكلية ملاحظة غير رسمية. ومن فرط ولعهِ بها وغيرتهِ عليها طلب ان لا تكف يدهُ عن العمل بتاتاً فاجيب الى طلبهِ فكان يجتمع ببعض الطلبة بضع ساعات في الاسبوع ويشرح لهم بعض المسائل الادبية. كان مرة يتمشى في ارض المدرسة حيث الطريق المعروف باسم السركل وهو يطل على بحر الروم غرباً وترى منهُ قمم لبنان العالية المكسوة بالثلج وسفوحهُ المكسوة بالغابات والقرى المنضدة والضياع العامرة فلقي بعض الطلبة فوقف واستوقف وقال «زرت بلاداً كثيرة من هذه المعمورة ولكنني لم ارَ بقعة اصفى سماء وانقى هواء واملأ للعين وانضر للقلب من هذه البقعة الطيبة». وكان يتمنى ان يموت ويدفن فيها فتم لهُ ما تمنى. توفي ولهُ من العمر ٩٣ سنة وسيتحسر المئات من تلاميذهِ حينما يبلغهم نعيهُ لانهم لم يستطيعوا ان يصلوا الى بيروت لتوديع رفاتهِ الوداع الاخير ولانهُ توفي قبلما يشهد يوبيل الكلية الذي كنا نرجو ان يحتفل بهِ في الشهر القادم

نفع الاثمار

نشرت احدى المجلات الانكليزية المشهورة مقالة ادعى كاتبها فيها ان اكل الاثمار يقوي الصحة و يزيد القوة و يطيل العمر. ومما جاء فيها ان عصير البرتقال والليمون يفعل فعل السحر في الفضلات الكلسية التي تجمع في الجسم وتقسي الشرايين وتسهل انفجارها . و بعبارة اخرى انهُ الدواء الشافي للداء المعروف باسم تصلب الشرايين الذي يفضي الى السكتة . وان اكل السمك ولحم الخنزير يجلب السرطان والخنازيري والاورام والدمامل على انواعها. وان اكل بعض المواد النشوية السهلة الهضم يفضي الى كسل الجهاز الهضمي وقبض الامعاء وكثرة استعمال المسهلات . وقد انتقدت مجلة نانشر العلمية هذه المقالة وقالت ان كثيراً مما اوردهُ صاحبها فيها بصورة حقائق ثابتة لم يثبتهُ الامتحان حتى الآن مثل قولهِ ان عصير البرتقال يمنع السكتة ولحم الخنزير يجلب السرطان وما شاكل ذلك

بعض اطوار الغراب

يسطو على الغراب بعض انواع العقاب فيحاول الغراب اتقاءهُ بالطيران من وجههِ فاذا ادركهُ انطرح الغراب على الارض مستلقياً وجعل يقاوم مطاردهُ بمنقارهِ ومخالبهِ فينجو منهُ على الغالب . ومتى بلغت فراخ الغراب دور الطيران جعل ابوها وامها يدربانها على الافلات من العقاب فيمثل ابوها دور العقاب و يطارد فراخهُ و يعلمها الاستلقاء على ظهورها فلا تلبث الا القليل حتى تتعلم درسها وتتقنهُ

البلاغرا واكل اللحم

ثبت الآن ان للطعام فعلاً كبيراً في سبب البلاغرا وشفائها ومنعها وان البلاغرا تنتشر في البلاد التي يقلُّ فيها اكل اللحم . وعليهِ رأى العارفون وجوب الاكثار من اكل اللحم في البلاد التي تنتابها البلاغرا واقترح الدكتور ستيلس الاميركي المشهور باختباراتهِ في هذا المرض ان تختار تربية الارانب البرية والاهلية لسهولة تربيتها وكثرة انتاجها ورخص علفها فيأكل الفقراء لحمها اذا تعذر عليهم ابتياع لحم البقر والغنم

حيلة تجارية

عمد احد معامل الملبوسات الاميركية الى تقديم طعام الغداء الى عمالهِ بثمنهِ الاصلي من غير ربح فكانت النتيجة ان العمال زادوا رغبة في العمل فزاد ربح المعمل . وان المعمل تمكن بهذه الخطة من الحصول على الايدي العاملة في اي وقت شاء ولو في وقت قلة العمال وازدحام الاعمال

النظام العشري

عقد احد المجالس التجارية المشهورة في لندن جلسة وافق فيها على القرار الآتي :

(١) انهُ نظراً الى النفع الكثير الذي يعود على التجارة الانكليزية الخارجية من استعمال النظام العشري في النقود والاوزان والمقاييس يرى هذا المجلس وجوب اتخاذ التدابير اللازمة لاقتباس النظام المذكور حالاً ليكون معمولاً بهِ قبل انتهاء الحرب

(٢) لما كانت انكلترا وحليفاتها تتفاوض للتعاون على الاعمال التجارية يداً واحدة في المستقبل فمن الامور العظيمة النفع حسبان لغة واحدة اللغة التجارية المعترف بها والمصطلح عليها تتعلم في المدارس الانكليزية وفي مدارس الحلفاء ولا فرق بين ان تكون هذه اللغة هي الانكليزية او الفرنسوية او الروسية او الاسبرانتو او غيرها من اللغات التي تجتمع كلمة الحلفاء عليها

بقايا الانسان

عثروا حديثاً في انكلترا على هيكل عظمي ظهر بعد البحث انهُ هيكل غلام من العصر الحجري الحديث. وهو اصغر كثيراً من هيكل غلام من سنهِ في هذا العصر . وعثروا ايضاً على جمجمة انسان قبل العهد الروماني او عهد التاريخ . ومن رأي الاستاذ كيث انهُ ليس بين الجماجم الانكليزية التي وجدت من بقايا هذا العهد جمجمة واحدة ذات انف بارز العظم

آفة التوربيد

لما رأى المهندسون الميكانيكيون ان الشبكة التي تحاط بها السفن البحرية لاتقاء التوربيد غير وافية بالمرام اخترع بعضهم واسطة اخرى وهي ان تحاط السفينة بمنطقة تكون على بعد بضع اقدام من بدنها ويكون الماء بينهما . فاذا ضربت السفينة بالتوربيد اصاب هذه المنطقة اولاً فانفجر ولم يؤثر في السفينة نفسها. وقد جهز الانكليز بها سفنهم الجديدة من الطرز المعروف باسم مونيتور

المدافع الضخمة

الفرق بين المدافع الضخمة من برية وبحرية ان المدفع البري الذي من عيار ٤٢ سنتمتراً مثلاً (وهو اضخم المدافع البرية) سرعة القنبلة فيهِ الف قدم في الثانية الى ١٥٠٠ وقوة ضغط البارود في خزنة المدفع ١٤ طناً على كل بوصة مربعة . اما اضخم المدافع البحرية وهو من عيار $\frac{1}{2}$ ٣٧ بوصة فسرعة القنبلة فيهِ ٢٥٠٠ قدم الى ٣٠٠٠ في الثانية وقوة ضغط البارود في خزنتهِ ١٨ الى ٢٠ طناً على البوصة المربعة . ومن رأي احد الخبيرين انهُ يمكن سبك مدفع يحتمل ضغط ٣٠ طناً على كل بوصة مربعة

الذهب في العام الماضي

استخرج من مناجم الذهب في العام الماضي ما يساوي ٩٦٩١٥٠٠٠ جنيهاً كما ترى في هذا الجدول

من فكتوريا باستراليا	٠١٣٩٨٠٠٠
« غرب استراليا	٠٥١٣٠٠٠٠
« كوينسلند	٠١٠٧٩٠٠٠
« نيوسوث ويلس	٠٠٥٥٩٠٠٠
« تسمانيا	٠٠١٠٠٠٠٠
« جنوب استراليا	٠٠٠٣٦٠٠٠
« زيلندا الجديدة	٠٠٩٠٠٠٠٠
« الولايات المتحدة	٢٠٣٠٠٠٠٠
« كندا	٠٣٩٠٠٠٠٠
« الهند	٠٢٣٦٦٠٠٠
« غرب افريقية	٠١٧٠٧٠٠٠
« الترنسفال	٣٨٦١٧٠٠٠
« روديسيا	٠٣٨٢٣٠٠٠
« سائر البلدان	١٧٠٠٠٠٠٠
والجملة	٩٦٩١٥٠٠٠

الفضة في العام الماضي

بلغ ما استخرج من مناجم الفضة في العام الماضي ١٩٥٩٨٥٦٠٠ اوقية وهي تساوي ١٩٧٠٩٠٠٠ جنيه وكان في العام الذي قبلهُ ٢١١١٠٣٣٧٧ اوقية تساوي ٢٢٢٦٤٨٠٩ جنيهات

الحرير في العام الماضي

بلغ محصول الحرير في اوربا في العام الماضي ٣٢٢٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ٤٨٤٠٠٠٠ وهو من فرنسا وايطاليا واسبانيا والنمسا وقد نقص فيها كلها. وبلغ في الشرق الادنى اي تركيا والقوقاس والبلقان واليونان وايران ١٠١٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٧٨٥٠٠٠ وقد نقص في هذه البلدان كلها. وبلغ في الشرق الاقصى ١٨٨٤٥٠٠٠ كيلو وكان في العام الذي قبلهُ ١٥٥٩٥٠٠٠ واكثر الزيادة في اليابان والصين. وجملة محصول العام الماضي ٢٣٠٨٥٠٠٠ كيلو والعام الذي قبلهُ ٢٢٢٢٠٠٠٠ كيلو اما الزيادة في محصول اليابان فنحو ثلاثة ملايين كيلو او نحو ثلاثين في المئة من محصولها

اعظم مدى للتلغراف اللاسلكي

خرجت باخرة اسمها سييرا من ميناء سان فرنسسكو فلما صارت على بعد ٤٨٧٠ ميلاً منهُ في طريقها الى استراليا ارسلت رسالة لاسلكية الى محطة التلغراف اللاسلكي في سان فرنسسكو وهي على ذلك البعد فشعرت المحطة بها وعلمت منها مكان السفينة في عرض البحر. وهذه المسافة هي ابعد مدى للتلغراف اللاسلكي حتى الآن

قصاص العلماء الادبي

اجتمعت الجمعية الكيماوية في بلاد الانكليز واقرّت على حذف اسماء العلماء الالمان من بين اسماء اعضائها سواء كانوا اعضاء مراسلين او اكراميين لانهم من امة معادية ولانهم مالأُوا امتهم على معاداة الانكليز وهم العلماء بير وكورتيوس وفشر وغريبي وفون غروت ونرنست واوسولد ووخ وفلستاتر وكانوا قد انتخبوا اعضاء في تلك الجمعية لما افادوا بهِ علم الكيمياء . وقرّرت ان حذف اسمائهم لا ينفي احترامها لمعارفهم والاعجاب بها

ارتفاع الطيارات

ارتفع طيار انكليزي اسمهُ هوكر في ابريل الماضي الى علو ٢٤٤٠٨ اقدام بطيارتهِ بحسب نادي الطيران الملكي ذلك اعظم ارتفاع بلغهُ طيار حتى الآن وسجلهُ لهُ . وكان احد الطيارين الالمان قد قال انهُ بلغ علو ٢٥٧٥٦ قدماً سنة ١٩١٤ ولكن النادي لم يعترف بذلك رسميًّا

تركيب دم الحيوانات

فحصت المس بيوكنان الانكليزية المقيمة في استراليا دم بعض ذوات الثدي للمقابلة بينها فوجدت ان الخلايا الحمراء تنقص حجماً وتزداد عدداً في ذوات الثدي بالارتقاء من ادناها الى اعلاها . اما الخلايا البيضاء فتقل عدداً وتزداد حجماً

ما بني من السفن وغلاء الشحن

ذكرنا في الجدول التالي محمول ما بُني من السفن في البلاد الانكليزية وفي سائر البلدان في السنوات الخمس الاخيرة بالطن ليظهر تأثير الحرب في هذه الصناعة

السنة	في انكلترا	في سائر البلدان
١٩١١	١٨٠٣٨٤٤	٨٤٦٢٩٦
١٩١٢	١٧٣٨٥١٤	١١٦٣٢٥٥
١٩١٣	١٩٣٢١٥٣	١٤٠٠٧٢٩
١٩١٤	١٦٨٣٥٥٣	١١٦٩٢٠٠
١٩١٥	٠٦٥٠٩١٩	٠٥٥٠٧١٩

وهذا النقص في سنة ١٩١٤ و ١٩١٥ ناتج من انصراف همة انكلترا والمانيا وفرنسا وايطاليا وروسيا واميركا الى بناء السفن الحربية بدل السفن التجارية . فقد كان محمول ما بني من السفن التجارية والحربية معاً في بلاد الانكليز سنة ١٩١٣ نحو مليوني طن فهبط سنة ١٩١٥ الى ٦٥٠ الف طن وكذا في سائر البلدان على ما ترى في الجدول المتقدم . فاذا اضفنا الى ذلك ما غرق من السفن التجارية زمن الحرب رأينا ان لا بدَّ من بقاء اجرة الشحن غالية بعد الحرب الى ان يبنى من السفن ما يقوم مقام ما غرق منها وما منع بناؤهُ بسبب الحرب

المصريون الاقدمون

بحث بعضهم في اثار سكان هذا القطر في العصر الحجري الجديد ونشر بحثهُ في مجلة الانسان (Man) وخلاصتهُ ان سكان هذا القطر كانوا قبل عصر التاريخ من الاحباش ثم جعلت الاقوام الشمالية تأتيهم من سورية وشبه جزيرة سينا والشاطئ الشمالي الغربي من افريقية وتمتزج بهم

النحاس في العام الماضي

قدِّر ما استخرج من النحاس في العام الماضي ١٠٦١٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٩٢٤٠٠٠ طن واكثر من نصفها في الحالين من الولايات المتحدة الاميركية

القمح في العام الماضي

بلغت غلة الدنيا من القمح في العام الماضي والذي قبلهُ ما تراهُ في هذا الجدول وهي بالكوارتر وهو نحو اردب ونصف

	١٩١٥	١٩١٤
اوربا	٢٨٥٤٤٠٠٠٠	٢٤٦٣٨٣٠٠٠
اميركا	١٩٦٦٧٠٠٠٠	١٥٧٧٢٨٠٠٠
اسيا	٠٥٣٥٧٢٠٠٠	٠٤٣٤١٣٠٠٠
افريقية	٠١٠٩٠٠٠٠٠	٠٠٩٠٩٣٠٠٠
استراليا	٠٣٤٣٠٠٠٠٠	٠٠٤١١٠٠٠٠
والجملة	٥٦٩٧٨٣٠٠٠	٤٦٠٧٣٧٠٠٠

سوبر تسبلن

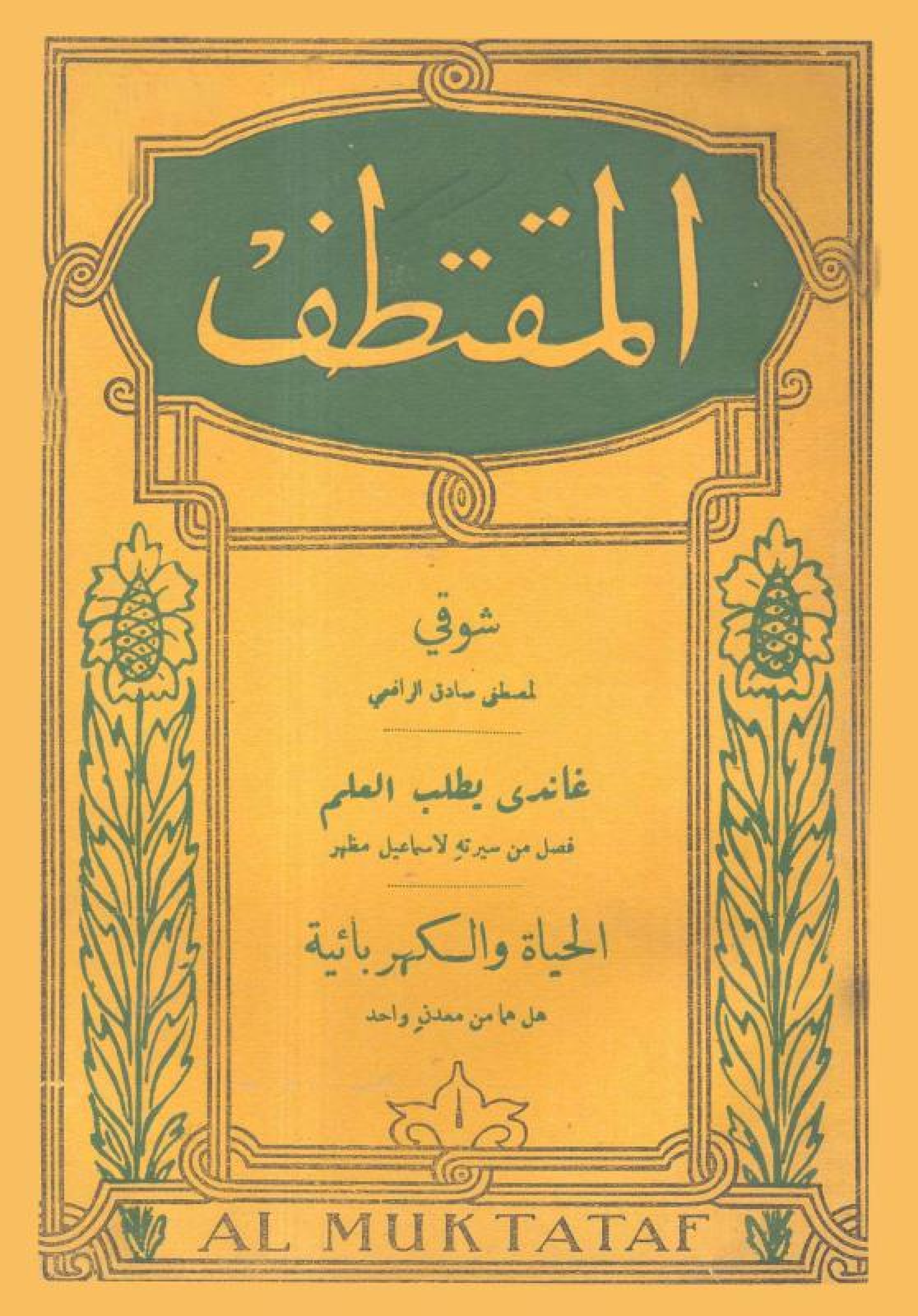
سميت السفن الحربية الحديثة التي هي اكبر من الطرز المعروف بطرز در يدنوط سوبر در يدنوطاي فوق الدريدنوط. وقد بنى الالمان بالونات اعظم من طرز تسبلن سموها سوبر تسبلن وجعلوا يجربونها فوق بحيرة كونستانس في سويسرا. طول الواحد منها ٧٥٠ قدماً وسعتهُ ٥٤ الف متر مكعب على ما يظن اي ضعفا تسبلن المعروف وثقلهُ نحو ٤٠ طناً وفيهِ اربع آلات محركة واربعة قوارب مدرعة لركوب رجالهِ وعدد من البنادق المتعددة الطلقات والآلات الخاصة بقذف القنابل والتوربيد

السكر في العام الماضي

قدِّر محصول سكر البنجر في العام الماضي ٦٣٢٠٠٠٠ طن وكان في العام الذي قبلهُ ٨٢٥٤٠٠٠ طن واكثر النقص في المانيا فقد كان محصول سكرها في العام الماضي ١٧٢٠٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٢٥٠٠٠٠٠ طن وفي النمسا فقد كان في العام الماضي ١٠٣٣٠٠٠ طن وفي الذي قبلهُ ١٦٠٢٠٠٠ طن

وقدِّر محصول سكر القصب في العام الماضي ٧٧٥٦٠٠٠ طن وفي العام الذي قبلهُ ٧٣٥٣٠٠٠ والزيادة كلها في جزيرة كوبا

فهرس الجزء الثالث من المجلد التاسع والاربعين



المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرته لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدن واحد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع والاربعين

١ اكتوبر (تشرين اول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٣ ذي الحجة سنة ١٣٣٤

المعادن في جسم الانسان

جسم الانسان مركَّب من عناصر كثيرة مثل اجسام كل الحيوانات لحمهُ وعظمهُ ودمهُ واعصابهُ وغضاريفهُ في ذلك سواءٌ اكثرها من العنصرين الغازيين الاكسجين والهيدروجين اللذين يتركَّب منهما الماءُ واقلها من العناصر المعدنية كالحديد والفصفور والكلسيوم والصوديوم . واذا حُرق اللحم والعظم احترقا وطار منهما كل المواد غير المعدنية وبقيت المواد المعدنية في ما يبقى منهما من الرماد . وهذه المواد المعدنية قليلة ولاسيما في غير العظم ولكنها من اهم عناصر الجسم فلا تخلو منها دقيقة من دقائقهِ او خلية من خلاياهُ مهما كانت صغيرة وعليها يتوقف انتقال الافعال العصبية واتمام كل الاعمال الحيوية كالهضم والتنفس . فلا يقوم جسم الانسان ولا تتم افعالهُ الحيوية ما لم توجد هذه العناصر فيهِ ويجهز بها دواماً ولو لم ينتبه الى كيف تدخلهُ بالمقادير اللازمة . فمقدار الحديد في الجسم قليل جدًّا ولكن لا بد منهُ ولو لم يرَ احد كيفية دخولهِ جسمهُ ولا مع اي الاطعمة والاشربة يتناولهُ . وقس على ذلك سائر العناصر المعدنية

ولكنَّ جريان الشيء في مجراهُ الطبيعي لا يستلزم ان يكون هذا المجرى اصلح المجاري لهُ دائماً ولا يمنع زيادة النفع من تدبرهِ والتحكم فيهِ . فالارض تخرج نباتها متى رويت ولكن اخراجها للنبات لا يغني عن حرثها وتسميدها واختيار اصلح المزروعات لها . ولا الحالة الطبيعية اصلح من الحالة الصناعية فالفدان الذي يساوي نباتهُ الطبيعي ديناراً او دينارين تزيد قيمة ما ينبت منهُ اذا حرث وسمد وروي وزرع قمحاً او فولاً او قطناً حتى لقد تساوي غلتهُ حينئذٍ عشرة دنانير او عشرين ديناراً او اكثر

ثم ان الاسلوب الطبيعي معرَّض للآفات مثل كل الاساليب التي تفعل بها الفواعل الطبيعيَّة الكثيرة وكذلك جسم الانسان من حين يولد الى ان يموت فيقل تناولهُ لهذه العناصر او يزيد عن الحد الصالح لهُ فاذا لم ينتبه لذلك ولا أُصلح الخلل اذا وقع فلا بدَّ من ضرر يحل بالجسم كما ان الارض التي لا تُصلَح بالحرث والتسبيخ تضعف و يقلُّ ريعها

ولا يحتمل ان نتحكَّم في الطعام والشراب في كل الحالات كما نتحكم في خدمة الاراضي الزراعية ولكن ما لا يدرك كلهُ لا يترك كلهُ ومعرفة الشيء خيرٌ من جهلهِ على كل حال · وقد لخصنا في السطور التالية بعض ما عرف عن فائدة العناصر المعدنية التي في جسم الانسان

اشهر المواد المعدنية ملح الطعام وهو مركب من الكلور عنصر غير معدني يكون غازاً على درجة الحرارة العادية والصوديوم وهو عنصر معدني ويكون ليناً كالشمع على درجة الحرارة العادية · والملح يدخل اكثر الاطعمة و يتناول منهُ الانسان مقادير مختلفة كل يوم فاذا اقتصر على الخبز واللبن و بعض الاثمار والخضر فمقدار الملح في طعامهِ هذا قليل جدًّا واذا اكل السمك المقدَّد واللحم المملح وما اشبهُ دخل جسمهُ كثير من الملح · والكليتان دائبتان في اخراج الملح من الدم وافرازهِ مع البول · والظاهر ان الميل الى تمليح الطعام قديم جدًّا في نوع الانسان خاصةً ونوع الحيوان عامةً يردُّهُ بعضهم الى حين كانت الحيوانات كلها بحرية · والمرجح ان الفائدة الكبرى للملح في الجسم هي تعديل المواد المعدنية الاخرى اللازمة لبنائهِ واعمالهِ المختلفة كالكلسيوم والمغنيسيوم اذ ان وجود بعض المعادن يستلزم وجود البعض الآخر بمقدار محدود · والملح كثير عادة في اكثر الاطعمة فيتناول منهُ الجسم كفافهُ وان زاد عن كفافهِ افرزتهُ الكليتان فلا ضرر من زيادتهِ او ان الضرر قليل وخاص ببعض الاحوال المرضية

والكلس والفصفور والحديد قد تقل في الطعام مع شدة الحاجة اليها ولذلك يحسن ان نعرف ما هي الاطعمة التي تتناولها بها · فالكلس كثير في اللبن والبيض والخضر والاثمار · والفصفور كثير في اللبن والبيض والجوز والفول واللوبياء والحبوب ذوات القشور فاذا قشرت قل فيها كما في الارز المبيض والدقيق الابيض · واذا قلت المواد المعدنية في هذه الاطعمة قلَّت معها الاملاح المعدنية فيصاب آكلوها بالقبض · والمغنيسيوم كثير في الحبوب واملاحهُ في قشور الحبوب تجعلها مسهلة · والبوتاسيوم كثير في اكثر الاطعمة العادية والكبريت في الاطعمة النتروجينية · والمنغنيس والبور والسليكون واليود قليلة جدًّا في جسم الانسان ولكنها ضرورية لهُ · وتقل حاجة الجسم الى المواد المعدنية من الولادة الى

سن البلوغ اي انها تكون شديدة في سن الطفولية ثم تقل رويداً رويداً الى سن البلوغ ثم تزيد في النساء في سن المراهقة والحبل والارضاع وفيما سوى ذلك يقل طلب الجسم البالغ لهذه المواد فيجد كفافهُ منها في الطعام العادي · ولا يشتد الطلب عليها الأ حينما يكون النمو سريعاً اي في سن الطفولية والصبا وحينما تنمي المرأة جسم جنينها وطفلها ففي هاتين السنين يحتمل ان تقل المواد المعدنية عما يلزم وتنتج عن قلتها نتائج وخيمة جداً

فاذا اغتذى الطفل من لبن امهِ وجد جسمهُ فيهِ كل ما يحتاج اليهِ من المواد المعدنية واذا لم ترضعهُ امهُ او مرضع اخرى فالغالب انهُ يغذى بلبن البقر · ولبن البقر اكثر سمناً وجبناً من لبن المرأة فيمزج بكثير من الماء · لكن مزجهُ بالماء يقلل نسبة المواد المعدنية فيهِ اليها في لبن المرأة · فتخفيف لبن البقر بالماء ضارٌ وخير منهُ تخفيفهُ بمصل مقدار آخر من اللبن اي بما يبقى من اللبن بعد نزع قشدتهِ وتجبينهِ ونزع الجبن منهُ · ولا بدَّ من تسخين المصل الى الدرجة ٦٨ بميزان سنتغراد لاماتة ما فيهِ من جراثيم الخمير واضافة قليل من سكر اللبن اليهِ · وتعليل لبن البقر حتى يماثل لبن المرضع ليس بالامر السهل على مَن لم يمارسهُ وبدونهِ لا يصير لبن البقر صالحاً لتغذية الاطفال التغذية الواجبة

واكثر ما يصيب الاطفال سوء الهضم في معدهم وامعائهم مسبباً عن ضعف اعضاء الهضم فيهم وكثرة الدهن في طعامهم فيتكوَّن من الدهن والمواد القلوية مادة كالصابون تخرج مع المبرزات غير مهضومة فيخسر الجسم المواد القلوية وتكثر فيهِ الحوامض · وعلاج ذلك تقليل الدهن في الطعام واضافة شترات الصودا اليهِ لتزيد قوة التأكسد فيهِ فان هذه القوة ضعيفة في الاطفال ولذلك فكثيراً ما تحمض معدهم لاقل سبب · وفراغ المعدة يسبب الحموضة ايضاً والحمَّى تسببها · ومصل اللبن علاج ناجع في ذلك كلهِ · ويحسن ان يضاف الى مصل اللبن زلال البيض وعصير الاثمار ولاسيما عصير البرتقال فان فيها شيئاً من الغذاء والمواد القلوية التي تعدّل الحوامض

يولد الطفل وفي بدنهِ ما يكفيهِ من الحديد لكن نسبة هذا الحديد تقل في بدنهِ مدة الارضاع لقلتهِ في اللبن · وحينما يفطم يكون الحديد قد صار قليلاً في جسمهِ بالنسبة الى كبرهِ فيحسن ان يطعم من صفار البيض وعصير لحم البقر والبرقوق وخبز القمح الاسمر · ويشير بعض الاطباء باطعامهِ من الاسبانخ لانهُ كثير الحديد · وصفار البيض اصلح من غيرهِ لان فيهِ حديداً وكلساً وفصفوراً · لكنهُ كثير الغذاء جداً فيجب ان يطعم منهُ الطفل بالاحتراس التام لسببين الاول لانهُ قد يفعل بالاطفال فعل السم والثاني لانهُ اذا

عافتهُ نفس الطفل ولو مرةً واحدة صعب عليها ان تستطيبهُ الاَّ بعد زمن طويل وهو من اصلح الاطعمة للصغار فلا يحسن ان يكرهوهُ وصفار البيض الذي سلق وجمد اسهل هضماً من الصغار النيء وليس كذلك زلال البيض فانهُ اصعب هضماً وهو جامد منهُ وهو نيء

وقد ظن البعض ان ما يصيب الصغار من الضعف في اسنانهم سببهُ قلة المواد المعدنية في طعامهم ولكن المرجح ان سبب هذا الضعف هو قلة استعمال الاسنان بالاقتصار على الاطعمة التي لا تحتاج الى مضغ كثير وكذلك كثرة استعمال السكر والاثمار والحوامض انواعها لانها تلين مينا الاسنان

ومتى اجتاز الولد سن الطفولية صارت المواد المعدنية في طعامهِ العادي كافية لهُ ماعدا الكلس والفصفور والحديد . واصلح الاطعمة للنمو من حيث وجود المواد المعدنية اللبن والبيض لكن اللبن ينقصهُ الحديد والبيض ينقصهُ الكلس

وتحتاج المرأة في سن ولادة الاولاد الى الاكثار من الاطعمة التي فيها حديد كلحم البقر والبيض والاثمار والخضر ولاسيما الاسباناخ والفول الاخضر والكرنب . ومتى جعلت ترضع اطفالها زادت حاجتها الى المواد المعدنية في طعامها

ويقال بنوع عام ان الطعام الذي يبقى منهُ رماد كثير اذا حُرق هو اكثر موادّ معدنية من غيرهِ . ولا ضرر من زيادة هذه المواد في الجسم بل الضرر من قلتها ولذلك لا يحسن طرح الماء الذي تسلق فيهِ الحبوب والبقول ونحوها لان كثيراً من المواد المعدنية يذوب فيهِ فيجب ان تعاد الى الطعام واذا كثرت الاملاح المعدنية في الطعام قلَّ التعرُّض للقبض واذا قلت زاد التعرُّض لهُ

ولا يحسن ان تزيد المواد الحامضة في الطعام على المواد القلوية . ومعلوم ان رماد اللحم والبيض والحبوب حامض ورماد الخضر واللبن والاثمار قلوي فيجب الاكثار من هذهِ مع تلك لكي يعدّل بعضها بعضاً

هذا وقد يعيش الانسان السنين الطوال وهو غير عارف بشيءٍ من هذه الحقائق ولا محتاج الى معرفتها لانهُ يكون جارياً في طعامهِ على ما يقتضيهِ جسمهُ ولكن ما كل الناس كذلك والاصحاء لا يحتاجون الى طبيب بل المرضى وحسبنا ما نراهُ من كثرة موت الاطفال دليلاً على خلل في تغذيتهم وتغذية امهاتهم

السر وليم رمزي

ابو الكيمياء الطبيعية

كُنّي السر وليم رمزي العالم الانكليزي الذي توفي حديثاً بابي الكيمياء الطبيعية الحديثة كما كُني نيوتن بابي الفلسفة الطبيعية وهيرودتس بابي التاريخ . ولعلَّ تعلقهُ بهذا الفرع الذي برز فيهِ على اقرانهِ مكتسب بالوراثة طبقاً لناموسي الوراثة اللذين اكتشفهما مندل ودي ڤريس وللقضية التي اثبتها غلتون بناء عليهما . وخلاصتهما ان كلَّ انسان منَّا عبارة عن مجموع الصفات التي انتقلت اليهِ من طرف الاب وطرف الام . واما القضية فهي ان تفوّق بعض الافراد على متوسط الناس تفوقاً لا يبلغهم حدَّ النبوغ ولا يعدون عندهُ في مصاف النابغين انما هو موروث في بعض العائلات مدة اجيال كثيرة

قلنا ان انكبابهُ على الكيمياء الطبيعية موروث فيهِ على ما يظنّ بشهادتهِ هو نفسهِ فقد قال ان اسلافهُ من جهة ابيهِ كانوا صباغين على مرّ سبعة اجيال فاورثوهُ ميلاً الى الكيمياء وسهولة في طَرْق المسائل الكيماوية . واسلافهُ من جهة امهِ كانوا اطباء فاورثوهُ استعداداً للاكتشاف العلمي . ولكن اشتغالهُ بفرعهِ لم يقف بهِ دون حدّ النبوغ والعبقرية كما قرّر غلتون في قضيتهِ المذكورة بل فاق الاقران وبلغ حدّ النبوغ « ونال من العلياءِ كل مرام »

وقد كان انصرافهُ الى الفنّ الذي خلق لهُ نتيجة مصيبة المّت بهِ . ذلك ان رجلهُ انكسرت وهو يلعب يوماً بالفوت بول فاعطاهُ ابوهُ كتاباً في الكيمياء ليتسلّى بقراءتهِ وهو ملازم فراشهُ ثم جاءهُ ببعض العقاقير الكيماوية ليجرّب بها التجارب طبقاً لما في الكتاب . واول ما كان يشغل بالهُ تركيب السهام النارية وكيفية عملها ثم ارتقى شيئاً فشيئاً من هذا المستوى الى مستوى ارفع منهُ وجعل يهتمّ بالمسائل الكيماوية اهتماماً علمياً ثم بالعلوم كلها عامة

ولما بلغ الرابعة عشرة من سنهِ دخل جامعة غلاسكو فاعطاهُ استاذ الكيمياء عرمة كبيرة من اسلاك النحاس القديمة وطلب منهُ ان يسلّكها ويحل ما أُبرم وتعقّد منها ففعل ذلك على منوال اقنع استاذهُ باقتدارهِ على حلّ العقد الكبرى . فاقام في الجامعة اربع سنوات ثم عقد النية على الانصراف الى الكيمياء ودرسها في المانيا وكان ذلك سنة ١٨٧٠ والحرب مستعرة بين فرنسا والمانيا . فتردد في السفر الى المانيا في بادىء الامر ثم لما انتقلت المعارك من الحدود الى داخل فرنسا ورأى ان لم يبقَ ثمة خطر عليهِ قصد جامعة هيدلبرج حيث اقام بعض سنة ثم جامعة توبنجن . وبعد رجوعهِ الى انكلترا عيّن مساعداً للكيمياء في جامعة غلاسكو

وبقي بضع سنوات ملك فيها ناصية الكيمياء بجميع فروعها وخصوصاً الكيمياء غير الآلية او الكيمياء الطبيعية التي كُنّي بها . وكان علماء الكيمياء قد انصرفوا في ذلك الزمان الى الكيمياء الآلية فافترق عنهم وطرق باب بحثهِ الخاص وكان اول ما اشتغل بهِ منهُ معرفة كثافة انواع البخار فاستعان على ذلك بصوتها في الانابيب ذات الحجوم المحدودة فنجح وحاول اتباع هذه الطريقة في قياس قوة الايصال الكهربائي في السوائل الكيماوية باستخدام التلفون فلم ينجح

وسنة ١٨٨٠ عين استاذاً للكيمياء في جامعة بريستول وبلغ من انكارهِ لنفسهِ ونبذ الدعوى الفارغة ان نسب اختيارهُ لهذا المنصب دون غيرهِ الى معرفتهِ للغة الهولندية . وبيان ذلك ان رجلاً من عمدة الجامعة كان قد كلفهُ ترجمة شيء من الهولندية الى الانكليزية ففعل واجاد . فلما رشح للمنصب المذكور صوّت هذا الرجل لهُ . ولم تمضِ سنة حتى عين رئيساً لاحدى كليات الجامعة

وكانت مسألة كثافة البخار التي طرق بها باب الكيمياء الطبيعية قد افضت الى مباحث اخرى ظهر لهُ فيها نفع التعبير عن نتائج الامتحانات الكيماوية بعبارات رياضية وهي طريقة كان قد تعلمها من السر وليم طمسن (لورد كلفن فيما بعد) وهو في جامعة غلاسكو . وكان هذا مبدأ اعمالهِ الاساسية في التبخّر وانحلال المركبات الكيماوية انحلالاً جزئيًّا بالحرارة وهي الاعمال التي قام بها مع مساعدهِ سدني يونغ والتي كانت اول ما فتح عيون العلماء عامة عليهِ . وكان على اثر مباحثهِ في هذا الباب ان عين استاذاً في جامعة لندن (وقد توفي وهو في هذا المنصب)

ثم جعلت اكتشافاتهُ تتوالى آخذاً بعضها برقاب البعض . واولها بعد الذي تقدم ذكرهُ قياس امتداد سطوح الاجسام الى ان تبلغ الحد الاقصى مما افضى الى وضع ناموس يمكننا من معرفة ثقل دقائق السوائل . واشتغل هو ولورد رايلي بمسألة قياس الفرق في الكثافة بين النتروجين الذي يستخلص من الهواء والنتروجين المستخلص بالحل وما زالا يجربان ويبحثان حتى اكتشفا عنصر الارغون وهو الاول من سلسلة عناصر من نوع جديد اكتشفت فيما بعد

ولما اكتشفاهُ اشتبها في وجود عناصر اخرى من نوعهِ وكان اشتباههما هذا مبنياً على ناموس يعرف في الكيمياء باسم « الناموس الدوري » periodic law وهو ناموس تعرف بهِ علاقة العناصر بعضها ببعض طبقاً لثقلها الجوهري . فلم يمضِ الا القليل حتى اكتشف رمزي عنصر الهليوم . وبعد ذلك ببرهة وجيزة كان يمخن شيئاً من الهواء السائل

الذي كان همسن قد سيَّلهُ حديثًا في لندن فاكتشف ثلاثة عناصر اخرى هي النيون والكربتون والزينون

وفي سنة ١٨٩٦ قصد بكريل الكيماوي الفرنسوي باريس حيث اظهر وجود الاشعة السوداء التي كان قد اكتشفها في الاورانيوم والتي عقبها اكتشاف الراديوم فاهتمَّ رمزي بذلك مزيد الاهتمام وما زال يجرب التجارب في مختبره حتى اكتشف اكتشافهُ الاكبر وهو استحالة العناصر بعضها الى بعض استحالة حقيقية · فان الغازات المتولدة من الراديوم ظهرت في بادىء الامر كأنها شيء جديد مستقلٌ بنفسهِ وبعد مدة وجيزة ظهرت فيها خطوط الهليوم ثم ثبت بالبرهان ان الراديوم في اثناء انحلالهِ الذاتي يولِّد الهليوم على الدوام · ولو لم يكن رمزي قد عرف من قبل ان الهليوم يخرج من الراديوم او لولم يكن قد مهر كل المهارة في الاشتغال بكميات صغيرة جدًّا من هذه العناصر ما فاز بهذا الاكتشاف الذي رفعهُ الى مستوى اعظم الكيماويين

ولما خطب خطبة الرآسة على المجمع العلمي البريطاني سنة ١٩١١ قال في وصف هذه العناصر ما خلاصتهُ :

« ان اكتشاف بكريل لاشعة الراديوم ومدام كري وقرينها للراديوم ورذرفورد وسودي لمذهب انحلال هذه العناصر — كلهُ دلنا على وجود نحو ٢٦ عنصراً كنا نجهلها · فما هو مقامها · وما هو دليل كونها عناصر بسيطة غير مركبة · لنأخذها بالترتيب ولنبدأ بالراديوم فنقول : ان مدام كري كانت اول من درس املاحهُ وهي تشبه املاح الباريوم كل الشبه · اما المعدن الذي استحضرتهُ مدام كري حديثًا فابيض اللون يتأثر بالماء وهو من فصيلة الباريوم على ما يظهر · وثقلهُ الجوهري اعلى من ثقل الباريوم بمقدار ٨٩٫٥ اي انهُ ٢٢٦٫٥ وهو عنصر بلا جدال ولكنهُ عنصر غريب الاطوار لانهُ غير مستقرّ على حال وغير ثابت · وقد كان يظن ان ثبوت العناصر خاصة جوهرية لازمة لها · ولكن الراديوم قابل للانحلال اي انهُ يستحيل الى اشياء اخرى على درجة ثابتة · مثال ذلك اذا اخذنا جراماً من الراديوم وذخرناهُ ١٧٦٠ سنة طار نصفهُ وبقي النصف بعد انقضاء هذه المدة · والنصف الذي طار استحال الى اشياء اخرى هي اولاً غاز قابل التكاثف سميناهُ غاز الراديوم (نتون) وثانيًا الهليوم وهو غاز غير عامل كغاز الارغون · ولا ريب ان الهليوم هذا عنصر ذو طيف واضح الشكل والحدود ينتمي الى سلسلة محدودة · وتركيب النتون من الراديوم يعبر عنهُ بالمعادلة الآتية : الراديوم (٢٢٦٫٤) = الهليوم (٤) + النتون (٢٢٢٫٤) »

وخلاصة ما ثبت بالتجارب في هذه العناصر استحالتها بعضها الى بعض طبقاً لناموس محدود يمكن ان يعبر عنهُ بمعادلة معينة . وهذا ما جعل شهرة رمزي تطبق الآفاق وخصوصاً عند الجماهير التي ما زال همها منذ القدم تحويل المعادن الخسيسة كالرصاص والحديد الى معادن كريمة كالذهب والفضة . على انهُ اذا امكن ذلك مبدئيًّا الآن لم يمكن تجاريًّا اي ان نفقات هذا التحويل عظيمة بحيث يورث صاحبهُ الخسارة بدل الربح . وعظم النفقات ناشيءٌ عن ندرة هذه العناصر وبالتالي عن ارتفاع ثمنها ارتفاعاً فاحشاً . فكلُّ ما نستفيد الآن من هذه العناصر استخدام القوة المذخورة فيها والانتفاع بها . وقد قال السر وليم رمزي في هذا الصدد ما خلاصتهُ:

توجهت الانظار حديثاً الى القوة الهائلة المذخورة في الراديوم العناصر المتولدة منهُ . فان القوة المذخورة في النتون هي بحيث انهُ اذا امكن استخدام الحرارة المتصاعدة من مقدار معين منهُ عند انحلالهِ كانت مساوية لثلاثة ملايين ونصف ضعف القوة الناشئة عن انفجار مقدار مثلهِ من الغاز المنفجر . واذا امكن استخدام القوم المذخورة في طنٍّ من الراديوم مدة ثلاثين سنة بدلاً من تركها تتصاعد ببطء حتى تفقد نصف قوتها في ١٧٦٠ سنة فان هذه القوة تكفي لتسيير سفينة محمولها ١٥ الف طنٍّ بسرعة ١٥ ميلاً في الساعة مدة ثلاثين سنة . لذلك اذا استطعنا التحكم في السرعة التي يشعُّ بها الراديوم قوتهُ المذخورة فيهِ كان لنا مصدر للقوة نافع وكبير . ولكن الموجود من هذا العنصر قليل جدًّا . على انهُ اذا كانت العناصر التي اعتدنا ان نحسبها ثابتة تقبل التغير بخروج القوة منها واذا امكن الاهتداء الى شيءٍ يزيد سرعة تغيرها على عظم بطئها الآن بحيث يمكن الانتفاع بذلك فليس بدعاً ان يقال ان مستقبل نوعنا يتغير كلهُ »

وقد اطلعنا على تأبين في السينتفك اميركان للسر وليم رمزي افتتحهُ بمقابلة بينهُ وبين متشنيكوف الذي توفي قبلهُ ببضعة ايام فقالت فيهِ ما معناهُ ان كلاًّ منهما كان مالكاً لقياد الفرع الذي برَّز فيهِ على اقرانهِ لا تخفى عليهِ خافية منـهُ . ولكنهما اشتهرا في العالمين باكتشافين متشابهين في انهما من الاكتشافات التي تحرك خواطر الجماهير لانها تصادف منها هوى . فقد قالوا عن متشنيكوف انهُ هو الرجل الذي يطيل اعمار الناس الى حدٍّ لم يسبق لهُ مثيل باطعامهم اللبن الرائب كما قالوا عن رمزي انهُ هو الرجل الذي حقق احلام الاولين فاكتشف حجر الفلاسفة الذي يحوّل رصاصنا وحديدنا ذهباً

ولد السر وليم رمزي في ١٢ اكتوبر سنة ١٨٥٢ وتوفي في ٢٤ يوليو الماضي فيكون قد عاش ٦٤ سنة غير كاملة

اليزيدية او عبدة ابليس

لما بعث الينا المؤرخ المحقق احمد بك تيمور بمقالتهِ النفيسة عن اليزيدية التي نشرناها في مقتطف يناير الماضي قلنا لهُ اننا لسنا على رأيهِ من حيث منشأ هذه الطائفة واننا بحثنا في هذا الموضوع قبلاً فتبيّن لنا ان معتقد اليزيدية يشبه ان يكون قديماً اقدم من زمن عدي بن مسافر وستحين فرصة لاعادة البحث والتحقيق . ولقد صدق من قال ويأتيك بالاخبار من لم تزود . فقد رأينا الآن في الجزء الاخير من اعمال الجمعية الاسيوية الملكية الانكليزية الذي صدر في يوليو الماضي مقالة في اليزيدية للعالم المحقق الفونس منغانا ازاح فيها اللثام عن بعض الاغاليط التي شاعت حديثاً وصدّقها الكتّاب وبنوا احكامهم عليها كما سيجيءُ فرأينا ان نقتطف منها ما يأتي . قال الكاتب

تنطوي هذه المقالة على شيئين الاول البحث في كتب اليزيدية والثاني احوال اليزيدية كما هم الآن وما كشف من امرهم حديثاً

كتب اليزيدية

(١) كتاب عربي بحروف سريانية ترجمهُ الاستاذ برون ونشرهُ سنة ١٨٩٥ وقد كان ملحقاً لكتاب المستر بري الذي موضوعهُ ستة اشهر في دير سرياني . وهو اصلاً من كتب الاستاذ روبرتصن سمث ويقال ان ناسخهُ رجل من اهالي الموصل وهو يتضمن كتاب الجلوة وخبرين آخرين أدخل اكثرهما بعد ذلك في كتاب اليزيدية الثاني المسمَّى بالكتاب الاسود

(٢) كتاب سرياني نشرهُ المسيو شابو في المجلة الاسيوية (Journal Asiatique) سنة ١٨٩٦ يوافق الخبر الثاني الذي ذكرهُ المستر برون كأنهُ مترجم عنهُ

(٣) كتاب سرياني عن اليزيدية وجد في دير القوش وطبع في رومية سنة ١٩٠٠ يقال ان كاتبهُ كاهن سرياني اسمهُ اسحق ساكن اليزيدية لكي يتعرف امورهم واكثرهُ موضوع على طريقة السؤال والجواب ويبحث عن اعمال الله ومقرهِ وخلقهِ لادم وحواء وعجائب الاله يزيد واولياء اليزيدية والسنة الجديدة والزواج والموت والدفن والحج الى مقام الشيخ عدي وملوك اليزيدية

(٤) كتاب عربي نشرهُ الدكتور عيسى يوسف في شيكاغو في مجلة اللغات السامية في يناير ١٩٠٩ وهو يحوي كتاب الجلوة ومصحف رش ويتلوهما وصف مسهب لعادات اليزيدية من قلم رجل اسمهُ ارميا

وعندي ان الذين نشروا هذه الكتب نشروها وهم معتقدون صحتها لكنها موضوعة حديثاً كلها والمرجح ان الذي وضعها شماس اسمهُ ارميا شامر توفي منذ عشر سنوات وهو شيخ طاعن في السن . وكان المستر بري يعرفهُ جيداً وقال انهُ كان راهباً سريانيًّا في دير هرمزد وهو شيخ يعرفهُ كل الانكليز الذين زاروا الموصل . وقد كان جهينة اخبار فاذا جاء خبر من الاستانة فالشماس ارميا اول من يعرف بهِ ويرويهِ مدعياً ان زوجتهُ نسيبة لاحد الكتبة في دار التلغراف واذا حدث حادث في بيت القاضي او المفتي فهو اول من يعلم بهِ ويشيعهُ . وتراهُ يتاجر بالخيل والكتب القديمة الفارسية والعربية والسريانية . اراني بعض الكتب فوجدت بينها كتاباً ادَّعى انهُ قديم وحقيقتهُ تنقض ذلك لكنهُ لم يخفِ عليَّ امرهُ قائلاً ان حبهُ للمال مهما اشتد لا يحملهُ على غشي . حقًّا ان مقياس الصدق والاستقامة عند هؤلاء الناس افسد مما يُظن

وهذا الكلام مقول على كتب اليزيدية كلها وهو مؤيد بادلة من الكتب نفسها فانهُ ما من كتاب منها وُجد قبل عهد هذا الشماس فالنسخة السريانية التي وجدت في دير القوش لا يتجاوز تاريخها سنة ١٨٦٥ كما ثبت لي بعد البحث المدقق . ونسخة المستر بري العربية المعروفة بكتاب الجلوة والكتاب الاسود كاتبها رجل سمَّى نفسهُ عبد العزيز وقد كتبها سنة ١٨٨٩ للشماس ارميا . وانا اعرف عبد العزيز هذا وقد سيم بعد ذلك كاهناً لليعاقبة في الموصل واسمهُ الآن القس عزيز

والكتاب الرابع الذي نشرهُ الدكتور عيسى يوسف في شيكاغو باميركا احدث من الذي سبقهُ وقد قال الدكتور عيسى يوسف ان صديقهُ داود الصائغ اهداهُ اليهِ تذكاراً لصداقتهِ قبلما غادر الموصل . وعليهِ فاقدم كتاب من كتب اليزيدية لا يتجاوز تاريخهُ سنة ١٨٦٥ والمرجح ان هذه الكتب كلها من اوضاع الشماس ارميا

ان كل الذين كتبوا عن اليزيدية اجمعوا على انهم ممنوعون ديناً من تعلُّم القراءة والكتابة . وهذا الامر اي منعهم من تعلُّم القراءة والكتابة قد تحققتهُ انا نفسي . ولا يجوز تعلُّم القراءة والكتابة الا لبيت واحد منهم فان كان عندهم كتب دينية

فهي في هذا البيت وان كانت هذه الكتب في قرية قصر عز الدين فهذا البيت هناك ولكنهُ ليس هناك . واذا كانت هذه الكتب موجودة عند اليزيدية حقيقة وجب ان تقرأ في مجتمعاتهم السنوية ولكن كثيرين من المسيحيين والمسلمين حضروا هذه الاجتماعات وقالوا انهم لم يسمعوا شيئاً قرئ فيها. ثم ان القرى التي يسكنها اليزيدية يسكنها ايضاً المسيحيون والمسلمون او يسكنون على مقربة منها فكيف تيسر لليزيدية ان يكتموا امر كتبهم ١٤٠٠ سنة ولا يعلم جيرانهم بها

هذا من حيث الادلة الخارجة على ان هذه الكتب موضوعة حديثاً . والادلة الداخلية على انها كذلك كثيرة وهي تدل على ان واضعها هو الشماس ارميا نفسهُ . من ذلك ان عبارات الكتاب العربي تدل على ان كاتبها اعتاد الكتابة بالسريانية كقولهِ « لكي يفهم ويعلم لشعبهِ » فان اللام في لشعبهِ لازمة هنا في السريانية وممنوعة في العربية . وكقولهِ « يجب الصدقة عند انفس الموتى » فكلمة عند لا ترد هنا في العربية ولكنها ترد كذلك في السريانية . وكقولهِ « نخبلك وولدت لالهنا » . فتعدية ولدت باللام اصطلاح سرياني . وكذلك اللام في قولهِ « ستجذب امة واحدة وراءك وتلقب لامتي » . وتدل ايضاً على انهُ مسيحي ألِف التعابير الدينية المسيحية كقولهِ « رئيس هذا العالم » وكقولهِ « العلمانيين » . وكأن غرضهُ من كتابهِ ان يعرّف الاجانب ما هي اليزيدية لا ان يعلّم اليزيدية كيف يمارسون شعائر دينهم

ثم ان الشماس ارميا الحق بالكتب التي نسبها الى اليزيدية اشياء من عقائد عبدة ابليس وعاداتهم وجرى في كتابتها مجرى السريان ايضاً فالحق الفعل بضمير الجمع مع ذكر فاعلهِ بعدهُ كما يفعل السريان كقولهِ في كتاب الجلوة « التي يسمونها الخارجين شرور » . وقولهِ « لانكم لستم تدرون ما يفعلون الاجانب » . وعرّف الصفة بال التعريف مع تنكير الموصوف كقولهِ « واحرك امور اللازمة » . وكقولهِ « دعي اسمهُ ابريق الاصفر »

وفي الكتاب الاسود امور حديثة جدًّا لا يمتد تاريخها الى ابعد من اواسط القرن التاسع عشر فقد ذكر فيهِ بلاداً قال انها روسية وهي لم تدخل في حوزة روسيا الأ في الربع الاول من القرن التاسع عشر

وليس المراد ان كل ما جاء في هذه الكتب غير صحيح كلاً بل ان كثيراً مما فيها ينطبق على عقائد اليزيدية وشعائرهم الدينية التي يمارسونها وانما مرادنا ان الشماس ارميا الفها وجمع فيها عقائد اليزيدية التي يتناقلونها خلفاً عن سلف لانهُ عاشرهم زمناً طويلاً

احوال اليزيدية

هذا من حيث الكتب التي يقال انها كتب اليزيدية اما اليزيدية انفسهم فمن الغريب ان ذكرهم لم يرد في كتب السريان مع ان مؤرخي السريان والنساطرة واليعاقبة كانوا بينهم دائماً . ففي الكتاب الحادي عشر من تفسير ثيودورس بن كيواني كلام عن كل الفرق الوثنية والمسيحية واللادرية فعدم ذكره لليزيدية يدل على انهُ حسبهم مع فرقة اخرى . وفي الفصل التاسع من كتاب يوحنا بن بنكايه اخبار عن كل المعبودات الوثنية من شرقية وغربية ولكنهُ لم يشر بكلمة الى اليزيدية مع انهم جيرانهُ

وتسميتهم يزيدية نسبة الى يزيد لا ترد كذلك الا في كلام المسلمين المتكلمين بالعربية اما المسيحيون الذين يتكلمون بالسريانية الدارجة في القرى التي قرب الموصل فيسمونهم ديصانية اودسانية وهم اتباع ابن ديصان . وابن ديصان هذا منجم من اهل الرها من رجال القرن الثاني المسيحي . ولعلهم سموا كذلك لعبادتهم الشمس والقمر والنجوم . وليس لدينا ما يدل دلالة قاطعة على سبب تسميتهم يزيدية فقد ظن البعض انهم سموا كذلك نسبة الى يزيد او يزد مدينة في ايران وطن الفرس والمزدكية او نسبة الى يزدان بالفارسية مبدإ الخير ويقابلهُ اهرمن مبدأ الشر وعليهِ فاصلهم من ايران ويؤيد ذلك كون لغتهم الكردية وهي من اللسان المادي الفارسي ولكن ما ذكرهُ الشهرستاني في كتاب الملل والنحل يناقض ذلك فقد قال « اليزيدية اصحاب يزيد بن انيسة الذي قال (كذا) انهُ يتولى المحكمة الاولى قبل الازارقة وتبرأ ممن بعدهم الا الاباضية فانهُ يتولاهم وزعم ان الله تعالى سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليهِ كتاباً قد كتب في السماء وينزل عليهِ جملة واحدة ويترك شريعة المصطفى محمد صلى الله عليهِ وسلم ويكون على ملة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحران وواسط . وتولى يزيد من شهد للمصطفى عليهِ السلام من اهل الكتاب بالنبوة وان لم يدخل في دينهِ وقال ان اصحاب الحدود من موافقيهِ وغيرهم كفار مشركون وكل ذنب صغير او كبير فهو شرك » انتهى

ولا كبير شأن لكلام الشهرستاني ولو اشار بكلامهِ هذا الى يزيدية عصرنا لان الكتّاب امثالهُ ردُّوا كثيراً من الفرق الدينية الى الاسلام والاسلام بريء منها لاسيما وانهُ قال ان زعيم اليزيدية خرج من العجم وينقضهُ قول ثيودورس بن الكيواني حيث قال ما ترجمتهُ

« كان لاتباع هذا المذهب زعيم اسمهُ بابا عائلة الكليلايا من غوكي وكان لهذا البابا عبد

اسمهُ بطاي بلغ من الكسل ان أبق تماصاً من العبودية واختبأ بين اليهود · ومن ثمَّ لاذ بتلاميذ ماني فجمع بعض خطبهم و بعض قطع من محرم · وفي عهد الملك فيروز صدر امر عالٍ بتحريم عبادة الاصنام ومناهضة كهنتها وتأييد دين المجوس · فلما رأى بطاي ان مذهبهُ بات مقضيًا عليهِ تملق المجوس وصار من الصابئة · وغير اسمهُ وسمى نفسهُ يزداني ومعناهُ « رسول الآلهة » فاقتبس من اليهود تحريم لحم الخنزير ومن اسفار موسى اسم الرب الاله ومن المسيحيين رسم الصليب فوضعهُ على كتفهِ الايسر وحذا اتباعهُ حذوهُ وهم يقولون ان الصليب سر الحد بين ابي العظمة والارض السفلى »

ويحمل اليزيدية ديكاً من المعدن يسمى طاووساً يحترمونهُ احترامًا دينيًا قصد ايهام العامة وقت جمع العشور منهم · وقد كثر البحث في سبب تسميتهِ طاووساً وعندي ان ما ذهب اليهِ الدكتور لدزبرسكي اقرب الآراء الى الصحة فقد قال ان كلمة طاووس محرفة من كلمة تموز · وقد قال الدكتور يوسف ان الميم لا تقلب في الكردية واواً وهذا غير صحيح بل هناك كلمات كثيرة قلبت فيها الميم واواً مثل ناو لنام (اسم) وجاو لجام (عين) و نيو لنيم (نصف) و كوان لكمان (قوس) الخ

ويظهر لنا ان ديانة اليزيدية مزيج من اليهودية والمسيحية والوثنية والاسلام او هي بقية من المزدكية مازجها شيء من تعاليم اللاادريين الذين قاموا في القرن الثاني المسيحي

فقد جاء في بعض التواريخ انهُ كان في عهد بني ساسان اناس يعبدون الهاً يسمونهُ تموز وقد اثبت ذلك يوحنا بن بنكايه في القرن الثامن في الفصل التاسع من كتابهِ وابان تيودورس بن كيواني في القرن السادس ان عبادة تموز كانت شائعة في وادي دجلة وفي ما يحيط بجبل سنجار حتى نصيبين · وكان اسم تموز شائعاً عند المسيحيين في زمن بني ساسان مثال ذلك ان بطريرك سلوقية في القرن الرابع كان يسمى تموز ورأيت رجلاً مسيحيًا في كردستان اسمهُ مرقس بن تموز وآخر من قرية قربتسيس اسمهُ تموز يعدا · وهاك ما قالهُ المسيو بونيون في كتابهِ عن الكتابات السامية المطبوع بباريس سنة ١٩٠٧

« يقال ان تموزهذا كان راعياً وعشق امرأة مشهورة بجمالها وغاوية بهِ وهي من جزيرة قبرس واسمها بلتي واسم ابيها هركليس وامها ارنيس وبعلها هفايستوس ففرت مع تموز حبيبها الى جبال لبنان · وهي التي دعيت ايضاً باسم الزهرة (فينوس) فان اباها سماها بهذا الاسم بسبب تهتكها · وبعد فرارها بكاها ابوها سبعة ايام في شهر طيبة وهو شهر يناير · وكانا يخبزان الخبز على الارض ثم يأكلانهِ · وهذا الخبز هو ما يسميهِ الوثنيون حتى اليوم

كمك بيت طيبة . فتبعها قرينها هفايستوس الى لبنان فلقيهُ تموز وقتلهُ ولكن تموز مات ايضاً اذ قتلهُ خنزير بري ثم ماتت بلتي جزعاً عليهِ . ولما علم ابوها بموتها اقام عليها الحداد في شهر تموز وكذلك فعل ابو تموز . وهذا البكاء هو الذي اقتبسهُ اليهود مقلدين بهِ الوثنيين ونضيف الى ذلك ان هركليس ابا بلتي عمل لها صورة زينها بالذهب الكثير واكره جميع قومهِ على عبادتها لانهُ كان رئيس البلاد . واخيراً اكره حامور ملك بلاد العرب على عمل صورة للزهرة ثم ارسلها اليهِ ليعبدها . فاخذها حامور واعطاها لخادم لهُ اسمهُ مونا ليسهر عليها فسرقت منهُ فخاف خوفاً شديداً وقال لسيدهِ ان صورة المرأة غضبت لامر ما فطارت واستقرت في الزهرة . وعند الفجر نهض حامور من سريرهِ ونصب خيمة ومسح كاهناً للزهرة واقام الاعياد والافراح العظيمة . وهذا هو العيد الذي يقيمهُ سكان بلاد العرب كل سنة . اما الخادم فخشي ان لا يصدق سيدهُ ان الصورة صعدت الى الزهرة فهرب الى دجلة واقام في غابة سنديان هناك »

ولماذا يرمز الى تموز هذا بصورة طائر . ان الذين نقبوا خرائب اشور وجدوا فيها تماثيل كثيرة لمعبودات في شكل طائر وفي ذلك يقول السر هنري ليرد

ان الطيور المقدسة من خصائص ديانة البابليين وقد تكون من خصائص ديانة الاشوريين ايضاً وكانت عندهم بمثابة ارواح ذات سلطة على اعمال الناس مثل الفردهر في مذهب زروستر وكان لها في قصر ملك بابل صور من الذهب على ما قالهُ فيلوستراتس

ووصلت عبادة الطيور من اشور الى الاسرائيليين فقد جاء في سفر تثنية الاشتراع (٤ : ١٦ و ١٧) « لئلاً تفسدوا وتعملوا لانفسكم تمثالاً منحوتاً شبه طير ما ذي جناح مما يطير في السماء » . افلا يحتمل ان تكون صورة الطاووس من بقايا الديانة البابلية

ولنأتِ الآن الى القسم الثالث من موضوعنا وهو ادعاء الاب انستاس ماري الكرملي انهُ اكتشف في جبل سنجار النسخة الاصلية من كتب اليزيدية (كما جاء في الانثروبوس سنة ١٩١١ صفحة ١ — ٣٩)

فقد قال الشماس ارميا ان كتب اليزيدية كتبت بالعربية واما النسخة التي اكتشفها الاب انستاس فكتوبة بالكردية . ولم يدَّع احد قبل الآن انهُ كُتب بالكردية شيء غير بعض الاغاني ومرادنا ان نبين الوجوه التي تلقي الشك في صحة هذا الاكتشاف

فاولاً نجد في ما نقلهُ الاب انستاس من هذه النسخة اشياء يظهر انها مقتبسة من

مصادر اوربية كسؤالهِ صاحب هذه الحكاية : « ما الذي دفعك الى انتحال المسيحية » فاجاب بقولهِ « كنت خادماً للزعيم الديني في عشيرتي سبع سنوات واميناً على كتبهِ » . أفيعقل ان المنصب الذي كان اليزيدية شديدي الحرص على كتمانهِ يعطى لخادم قد يكون عندي في صباح يوم وعند عدوّي في مسائهِ ؟ وقد جرت هذه الحادثة سنة ١٨٩٨ . وعلى الوجه الثامن نجد هذه السطور : « وفي اواخر يونيو سنة ١٩٠٤ (وكان صاحب الرواية قد مات) خرجت من الموصل قاصداً رومية بطريق الصحراء فمررت بسنجار ودير الزور وحلب وبيروت ولما بلغت سنجار توجهت لزيارة الشيخ وهو شيطان رجيم ورجوت من امين الكتب ان يأتي لزيارتي مساء ووعدته بهدية »

فهذه الرواية لا تساعدنا لنجاوب عن مسألتين جوهريتين (١) كيف استطاع الاب انستاس معرفة امين الكتب بسهولة وهو لم يرهُ قبلاً فضلاً عن ان منصبهُ محجب بحجب الخفاء والكتمان (٢) هل لليزيدية امينان للكتب واحد في بوزي قرية الرجل الذي قبل المسيحية على يد الاب انستاس وثان في جبل سنجار وهو يبعد مسيرة ثلاثة ايام عنها . فهذان الامران متناقضان كل التناقض . ولكن من هو هذا الزعيم الديني اليزيدي الذي كان يقطن قرية بوزي والذي كان صاحب الرواية حافظاً لكتبهِ . أكان شيخاً ام قوالاً ام كوتشاكاً ام سيداً شريفاً . وهذا الامر على جانب عظيم من الاهمية اذ لا يكاد يصدق ان رجلاً خاملاً من اليزيدية يكون لهُ امين كتب . والمعروف ان زعيم اليزيدية الديني والدنيوي لهُ سلطان الحياة والموت على اتباعهِ ويقوم بالوراثة من عائلة علي بك (الذي قتلهُ اغا مسلم اسمهُ صفر منذ ثلاث سنوات فخلفهُ ابنهُ) ويقيم بقرية باعدري من قضاء شيخان التابع للموصل

ويقول لنا الاب انستاس ان السعد خدمهُ اذ وجد هذه الكتب على يد يزيدي تنصر بارشاد رؤيا الهية رآها . وقد جاء في مبتدإِ هذه الرؤيا قولهُ : « كنت يوماً مستغرقاً في نومي على اثر الجهاد الهائل الذي اقتهُ في السهرة ضد نفسي واذا بي أرى بستاناً بديعاً اثقلت اشجارهُ الاثمار وفيهِ من الازهار كل صنف ولون . فاردت تامل جمال الطبيعة على مهل فتفيأت شجرة غبياء قديمة العهد امتلأت اغصانها عصافير صغاراً تغرد وكأنها تتنافس على جائزة السبق في اجادة الالحان »

وليس من غرضنا البحث في الوحي الالهي الذي يهبطهُ روح القدس على خدامهِ ولكن

لا يسعنا الاَّ الدهش من براعة هذا الكردي في تنميق عباراتهِ وحسن ديباجتهِ مما يوقظ فينا الشبهة ويحملنا على الظنّ ان لابيهِ الروحاني يداً في هذه الديباجة المحققة

وفي اثناء سياحتي في تركيا من ٧ يناير الى ١٧ مارس سنة ١٩١٣ مررت بقرب سنجار وسألت كثيرين من اصدقائي يزيدية سنجار عن هذا الاكتشاف فلم يجيبوا جواباً على مسائلي ولا فهموها . ولما بلغت ماردين فاتحت المستر اندروس بهذا الامر وبما يخالج صدري من الريب والشكوك . وهو مرسل اميركي قضى اربعين سنة يساعد هؤلاء اليزيدية عبدة الشيطان ويتوسط لهم مع السفارة الانكليزية في الاستانة لتخفيف ما اصابهم من الحيف على ايدي ولاة الموصل حتى لقد وزع عليهم وعلى المسيحيين ما يزيد على ٤٠٠٠ ليرة عثمانية بين سنة ١٩٠٨ و ١٩١٢ لازالة بعض شقائهم . فرجل هذه حالهُ لا بدَّ ان ينظر اليزيدية اليهِ بعض الاحترام وقد وجدت ان اكتشاف الاب انستاس الغريب ادهشهُ كما ادهشني فتجشم مشقة سفر طويل من ٥ ابريل الى ١٧ مايو سنة ١٩١٢ لتحقيق هذه الحكاية فمرَّ اولاً بقرية باعدري واستخبر زعيم اليزيدية الروحي والزمني عنها ثم استأنف السير الى سنجار وسأل خودار الياس شيخ هذه البلاد الصغيرة فلم يقابَل الاَّ بالدهشة في كل مكان وباجوبة سلبية فعاد من سفرهِ على غير جدوى

(٢) ان الكتابين اللذين اكتشفهما الاب انستاس ماري سنة ١٩٠٤ ونشرهما سنة ١٩١١ في مجلة « انثروبوس » هما بعينهما « كتاب الرؤيا » و « الكتاب الاسود » اللذان زعم ان يزيدياً ترجمها من الكردية الى العربية . ولنا على ذلك اعتراضان : الاول انهُ لم يقل لنا ما نفع اليزيدية من ترجمتهما في حين انهم كلهم يتكلمون الكردية . وزد على هذا انهُ قيل في « الكتاب الاسود » ان الله كلَّم اليزيدية بالكردية فلِمَ يستبدلون هذه اللغة بلغة مضطهديهم . والثاني يجب علينا تهنئة هذا العلاَّمة اليزيدي الذي استطاع ان يترجم بسهولة الى العربية نسخة يحار فيها ابرع علماء اللغات السامية

ثم ان حروف هذين الكتابين ليست باقل غرابة من لغتها . فهي ليست هيروغليفية ولا اشورية ولا سريانية ولا ارامية ولا عبرانية ولا كوفية ولا مغولية ولا صابئية ولا قبرسية ولا عربية ولا تترية . فمن اين جاءت ؟ فان المؤلف الاول لهذين الكتابين لم يشأ اطلاع احد على ما فيهما . وما دامت النقوش على الحجر وصحف البردي والرقوق لا تدلنا على ماهية هذه الكتابة واصلها افيعقل ان كتاباً اكتشف حديثاً في جبل سنجار يميط اللثام عن وجودها

اما جبل سنجار هذا فمقرّ اسقفية نسطورية تابعة لكرمي بيت عرباية وقد مرّ عليهِ زمن طويل وهو مقرّ كرسي لليعقوبية تحت مقر بان تغريت · والمرجح ان اسقفاً نسطوريا اقام هناك حتى ايام غزوات المغول · وقد حاول القائلون بان للمسيح طبيعة واحدة بمساعدة حلفائهم اتباع حنانيا من القرن السابع الى التاسع ان يحلوا محل النسطوريين ففازوا بذلك فوزاً وقتيا في عهد جبرائيل الدرسبدي ولكن النسطوريين عادوا فاستردوا سيادتهم الاولى · واتفق في القرن الرابع عشر ان خانات التتر اعملوا السيف في المسيحيين سكان هذا الجبل · وكان كثيرون من الوثنيين اهل القرى المجاورة لهُ قد لجأوا اليهِ هرباً من غارات هؤلاء الغزاة · وجميع الآثار القديمة التي وجدت فيهِ هي اما اشورية واما مسيحية ولا شيء — على ما اعلم — يستدل منهُ ان اليزيدية سكنوهُ قبل غزو التتر لهُ وعليهِ لا يكاد نزولهم فيهِ يكون قبل القرن الخامس عشر · وليس في تاريخ الجبل ولا في اثر من الآثار الموجودة ما يدلُّ على انهم سكنوا الجبل قبل ذلك التاريخ

واهمّ اعمال اليزيدية من سكان القرى النهب والسلب وليس لهم مقرّ دينيّ يرجعون اليهِ ولا ما يشبههُ بل ترى القوالين يتناوبونهم من القرى التي الى الشمال الشرقي من الموصل · فما شأن الكتب في قرى متوغلة في البدوية مثل هذه وفي قوم لا ينتمون الى طبقة من الطبقات الممتازة · ولمَ يجهل زعيم اليزيدية الديني والزمني وهو يقيم بقصره في بعادري قرب الموصل ان لديانتهِ كتباً سرية · وان كان عالماً بهذه الكتب فكيف يتركها في عهدة لصوص يقطنون جبل سنجار · ولمَ لا يزين بها غرفتهُ فيزيد بذلك نفوذهُ بين قومهِ

(٣) ان الكتابين اللذين اكتشفهما الاب انستاس حديثاً هما الكتابان اللذان اكتشفهما الشماس ارميا قبل ذلك بثلاثين سنة كما تقدم القول · فايّ الرجلين نصدّق · ان الاب انستاس ختم كتابهُ « الاسود » بهذه العبارة « وتحوّل السادس هواء » · ولكن ارميا وضع بعد هذه العبارة ست صفحات بالكتابة العربية الدقيقة خاتمة لكتابهِ · فمن منهما انتهك حرمة هذه الآثار اليزيدية بالعبث فيها · ثم ان نسخة انستاس اكثر اعتدالاً في تفاصيلها وادقُّ تعبيراً في مواضع قد ينبو منها سمع الاديب · وهل من يشرح لنا كيف ان نسخة قديمة سرية أُطيلت هنا وقصرت هناك وبدلت هنالك كما يظهر جليًّا من مقابلة نسخة انستاس بنسخة الدكتور يوسف · فهل حذفت النبذة الآتية مثلاً من الكتاب الاسود في نسخة انستاس لانها وقرٌ في آذان رجال الدين وهي :

« وكان بعد خلق حواء وجميع الحيوانات ان آدم وحواء اختصما في هل يتسلسل النوع الانساني منهُ او منها اذ كلٌّ منهما اراد ان يكون مختصاً بذلك دون الآخر . وكان منشأ هذا الخصام رؤْيتهما ان الذكر والانثى في الحيوانات يشتركان معاً في انتاج النسل . وبعد جدال طويل اتفقا على الامر الآتي وهو ان يلقي كلٌّ منهما بذرتهُ في اناء ويسدَّهُ ويختمهُ بخاتمهِ وينتظر تسعة اشهر . وبعد انقضاء هذا الاجل فتحا الاناءين فوجدا في اناء آدم ولدين ذكراً وانثى ومنهما تسلسل اليزيدية قومنا . اما اناء حواء فلم يوجد فيهِ شيء سوى دود بالٍ تتصاعد منهُ ريح كريهة . وخلق الله حلمتين لآدم يرضع منهما ولديهِ . وهذا هو السبب في كون الرجل لهُ ثندوتان »

وقد حذف من نسخة انستاس حكايات كثيرة غريبة نذكر منها واحدة

« واعلم انهُ اتى على الارض طوفان غير طوفان نوح . ذلك ان طائفتنا اليزيدية متناسلة من نعمي وهو رجل كريم وملك السلام ونحن نسميهِ ملك ميران . اما الطوائف والقبائل الاخرى فمشتقة من حام الذي سخر بابيهِ . واستقرت الفلك في قرية اسمها عين سفني تبعد عن الموصل خمسة فراسخ . وكان سبب الطوفان الاول سخرية الذين كانوا خارج الفلك اي اليهود والمسيحيين والمسلمين وغيرهم من نسل آدم وحواء . وكان بعد ذلك بزمان ان الله ارسل العقارب على معاوية فلدغتهُ حتى انتفخ وجههُ من السم فاشار عليهِ الاطباء ان يتزوج لئلاَّ يموت فرضي بذلك فجاؤوهُ بعجوز عمرها ثمانون سنة لكيلا يلد لهُ ولد . فعرف معاوية امرأتهُ وفي صباح اليوم التالي قلبت صبية بنت ٢٥ سنة بقوة الاله العظيم »

ومما يقضي على كتابي ارميا وانستاس غرابة تبديل الحكايات المتماثلة . فارميا مثلاً يضع فصلاً عن استئناف الله لعمل الخلق بعد حكاية الخلق . ولكن الكاتب الذي نسخ نسخة انستاس لحظ ان هذا الترتيب ليس طبيعياً معقولاً فوضع استئناف عمل الخلق قبل حكاية الخلق . وهاك اول الفصل :

« لا يجوز لاحد منا ان يتلفظ باسمهِ او بما يشبههُ كشيطان وحبل وشر ونهر وغيرها من الالفاظ التي لها مثل صوتها . هذه كلها محظورة علينا احتراماً لهُ . فالخس مثلاً محرَّم علينا اكلهُ لان صوت اسمهِ كصوت اسم نبيتنا خسيَّة . والنون (السمك) محرَّم اكراماً ليونان النبي . وهكذا الغزال لان الغزلان خراف احد انبيائنا »

اما فيما يخص البقعة المباركة التي وجدت فيها هذه الكتب فقد تناقض المكتشفان كل التناقض فارميا يقول ان الكتاب الاسود وجد في سمال او في قرية قربها وكتاب الرؤْيا

في بيت الملا حيدر . اما الاب انستاس فيقول ان كتابيهِ وجدا كلاهما في جبل سنجار وان السماح لاحد بالوصول الى هذه الكتب المقدسة تعقبهُ عواقب وخيمة . قال :

« وقد اكد لنا الزعيم الديني نفسهُ غير مرة انهُ اذا سرقت الكتب وجب ان تخرب حالاً الناحية التي يوجد الصندوق فيها . واذا بقي الصندوق مكانهُ بعد سرقة الكتب التي يحتويها وجب حالاً حرقهُ وتخريب المكان المقدس الذي كان فيهِ . واذا نسخت الصفحات الالهية او نشرت بطريقة من الطرق على رؤوس الملاءِ وجب القاء كل ما يعثر عليهِ منها في النار المقدسة حالاً . فهم يحرقونها لتكذيب كل ما يشاع عن محتوياتها »

ونختم الآن هذه المقالة بالملاحظة الآتية :

ثبت ان اللغة العربية لم تحل محلّ السريانية وغيرها من لغات وادي دجلة قبل القرن التاسع بدليل ان الخليفة الوليد امر سنة ٧١٤ مسيحية في دمشق عاصمة الخلفاء الامويين بان تكتب كتابات الحكومة الرسمية بالعربية بعد ما كانت تكتب باليونانية . ولما كانت الكتب المشار اليها تحتوي على كثير من العبارات العربية فلا يمكن ردّها الى القرن العاشر لميلاد . افيعقل ان يقوم في ذلك القرن رجل مجهول ويكتب بهذه الحروف الغريبة التي ترجعنا الى العصور السابقة للتاريخ في حين ان جميع الحروف الشرقية والغربية كانت معينة معروفة . او ليس من البعيد غير المحتمل ان توضع قواعد النحو والتهجئة الصحيحة دفعةً واحدة للغة عامية خسيسة

رب قائل يقول انك جرت كثيراً على هذه الكتب اليزيدية . فاجيب انها ليست في اعتقادي سوى كتب مزورة . فان كنت مخطئاً في هذا الاعتقاد ففخري اني مهدت السبيل بهذه المناقشة لزيادة التثبت من صحتها ان كانت صحيحة

وبينا كانت هذه المقالة مهيأة للطبع اطّلعت على ما كتبهُ الاستاذ بتنر من جامعة فينا عن الاكتشافات الاخيرة في كتب اليزيدية فرأيتهُ قد عمل عملاً يستحق المدح وهو انهُ نشر الاصل الكردي مقابل نسخة عربية جديدة تختلف كلّ الاختلاف عن النسخ المعروفة قبلها . وقد حلّت رموز الجزء الكردي بواسطة الحروف الهجائية التي نشرها الاب انستاس نفسهُ في العدد المشار اليهِ من مجلة انثروبوس . وكنت قد شرعت في مثل هذا منذ ثلاث سنوات ولكني عدت فعدلت عن اتمام هذا البحث لكثرة ما قام من الاعتراضات على صحة الكتب ورجاؤنا ان هذا العالم المستشرق يخدم اليزيدية بازالة جميع الشكوك التي ثبطت عزائم الباحثين عن كتبهم »

بعض الامثال والاقوال

قديماً وحديثاً

(١)

جاء في تعريف كتاب الفاخر الذي قرظهُ المقتطف في العدد الماضي للمفضل بن سلمه صاحب الفراء والكسائي انهُ «كتاب معاني ما يجري على ألسن العامة في امثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب وهم لا يدرون معنى ما يتكلمون بهِ من ذلك» · والمفضل هذا من رجال اواخر القرن الثالث واوائل الرابع للهجرة او القرن التاسع واوائل العاشر للمسيح· وقد رأيت في هذا المقال ان اذكر ما يطابق هذه الامثال والمحاورات من امثال العامة ومحاوراتهم في بعض بلاد الشام فيرى القارئ منهُ الى اي حدٍ تحفظ الاقوال المتداولة على الالسنة ومبلغ التغيير الذي طرأ عليها في نحو الف من السنين · وان كان في بقاء الكلام الف سنة شيءٌ من العجب فاعجب منهُ بقاء بعض العادات الوفاً من السنين · فقد ذكر في التوراة انهُ لما دعا ايليا النبي على اخاب احد ملوك اسرائيل قال في دعوتهِ «ويقطع الله لآخاب كل بائل بحائط» وهي استعارة قبيحة ينبو منها السمع وربما كانت مستحبة في الادب العبراني القديم · وقد كان ايليا واخاب من اهل القرن التاسع قبل المسيح ولا نزال نرى هذه العادة الشنيعة منتشرة في جميع بلاد الشرق حتى يومنا هذا

وفي اختيار الامثال والاقوال الواردة في كتاب الفاخر لمقابلتها بما يدور على السن بعض اهل الشام لزمت المشابهة الحرفية ولم اخرج عنها الأ مرة او مرتين والأ لو تناولت المشابهة المعنوية ايضاً لاتسع لي المجال وخرجت عن الغرض الاصلي من هذا المقال · وسأذكر اولاً المثل او القول القديم واوجه تفسيرهِ ثم اتبعهُ بالمثل او القول المشهور بين عامة هذا العصر

⁂

(١) بينهم ممالحة · اي رضاع والملح اللبن ومنهُ قولهم لم يحفظ الملح معناهُ الرضاع · والملح في كلام العرب الصحبة (ايضاً) · وكان خراش يحلفون بالملح والرماد والنار (ولم يبين الشارح تماماً المراد بالملح هنا)

وفي الشام يقولون بيننا وبينكم خبز وملح اي اننا اكلنا معاً فلذلك يجب علينا حفظ ذمامكم والوفاء لكم · وقد اشتقوا من ذلك فعل مالح وهم يقولون في دعوة زائر الى الطعام «مالحنا» اي كل معنا خبزاً وملحاً

(٢) ملحهُ على رُكبتهِ . يقال للرجل اذا كان سيئ الخلق يغضب من كل شيء ملحهُ على ركبتهِ اي ادنى شيء يبددهُ يريد انهُ ادنى شيء يغضبهُ

وفي الشام ملحهُ على ذيله ويضربونهُ لناكر الجميل وعديم الوفاء . والصورة القائمة في ذهنهم من ذلك انهم يشبهون رجلاً هذه صفتهُ بحيوان ذي ذنب اكل الملح مع اصحابهِ فلم يتخالل بدنهُ او تخللهُ ولكنهُ لم يبق في دمهِ ومفاصلهِ بل تسرب الى ذيله وتجمع هناك بلورات كما كان قبل ذوبانهِ ثم نفض ذيلهُ فسقطت كل حبات الملح منهُ . ولا يخفى ان المثلين مختلفان في مغزاهما الاول يضرب للغاضب والثاني لجاحد الجميل

(٣) النقد عند الحافرة قال الفراء معناهُ اذا قال بعتك رجع عليهِ بالثمن . وبعضهم يقول النقد عند الحافر وسألت عنهُ بعض العرب فقال عند حافر الفرس

وفي الشام النقد عالحافر اي دفع الثمن حالاً حقيقة ومجازاً فاستعمالها واحد

(٤) شيخ كأنهُ قفةٌ . القفة ما يبس من الشجر فالمعنى قد بلي ونخر

ويوصف الشيخ البالي في الشام بمثل القفة يريدون القفة المعروفة اي انهُ يكاد يكون مجتمعاً بعضهُ على بعض مثلها لفرط تقلصهِ وانكماشهِ ضعفاً وكبراً . ويشتقون من ذلك فعلاً واسم فاعل فيقولون قفقف ومقفقف

(٥) جاؤوا على بكرة ابيهم اي كلهم

ويقولون في الشام «اجوا عن بكرة ابوهم» هذا بلفظهِ فيجعلون عن مكان على والمعنى واحد

(٦) فلان يتشطر وهو شاطر قال الاصمعي الشاطر الذي شطر عن الخير اي بعد عنهُ . (فهو لذلك ذمٌ لا مدح)

والشاطر في عرف عامة الشام البارع فهو مدح لا ذمٌ . لكنهم يقولون ايضاً فلان يتشطر اي يظهر الشطارة . وبلاش شطارة علينا . وهذان يشعران بانهم يريدون بالشطارة هنا الذم وهو المعنى الذي وضعت لهُ وهذا هو المتداول ايضاً على السن العامة في مصر . وفي بعض امثال الانجيل مثل الابن الشاطر اي الذي اعيا اهلهُ خبثاً وهو العاق ضدُّ البار . وقد ترجم في الانكليزية The prodigal son اي الابن المسرف او المتلاف وهو السفيه في اصطلاح القانون . وربما قابل الشاطر المكار او اللعبي في اصطلاح عامة المصريين

(٧) هو ابن عمهِ لحاً اي الملتصق بهِ والخالص

وفي الشام هو ابن عمهِ اللحّ

(٨) سمن كلبك يا كلك . اول ما قيل لرجل من طسم وكان لهُ كلب وكان يسقيهِ

اللبن و يطعمهُ اللحم ويسمنهُ يرجو ان يصيب بهِ خيراً و يحرسهُ فاتاهُ ذات يوم وهو جائع فوثب عليهِ فاكلهُ فقيل سمن كلبك ياكلك فذهبت مثلاً

والمثل العامي في الشام ربِّ كلبك يعقر جنبك والمغزى واحد وهذا اقرب الى العقل من الاول اذ لم يسمع عن كلب اكل صاحبهُ غير الكلب المذكور في هذه الحكاية وانما سمع عن اناس اكلوا كلابهم . وكل ما يفعل الكلب اذا كَلِبَ او أستثير انهُ يعضّ الناس او يعقرهم . واصل الرجل الطسمي المشار اليهِ هو نفسهُ مجيرام عامر في الحكاية المشهورة . وفحواها ان رجلاً اجار ضبعاً خائفة جائعة فامنها من خوف واشبعها من جوع حتى اذا انس بها قامت عليهِ وبقرت بطنهُ . فتناول الناس حكاية الضبع ونسبوا فعلتها الى الكلب خطأً وساعدهم على هذا الخطإِ توغل قبيلة طسم في القدم وصعوبة التحقيق في كل قديم

(٩) جاء برأس خاقان . هو ملك من ملوك الترك كان فيما يلي ارمينية وكان قتل الجرّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك على ارمينية واذربيجان فوجه اليهِ هشام سعيد بن عمرو الجرشي فاوقع سعيد بهِ فهزم اصحابهُ وقتلهُ واحتزّ رأسهُ ووجه بهِ الى هشام فسرّ بذلك المسلمون وضربوا بهِ المثل

يقولون في الشام « جايب راس كليب ؟ » استفهاماً انكارياً كانهم يستعظمون ذلك لما عرف عن كليب من العزة حتى ضرب المثل بهِ فقيل « اعزّ من كليب وائل »

(١٠) ب . من اشبه اباهُ فما ظلم . قال الاصمعي معناهُ ما وضع الشبه في غير موضعهِ وانشد الطوسي . اقول كما قد قال قبلي عالم بهنّ ومن اشبه اباهُ فما ظلمْ

ت . قال الاصمعي اصل الظلم كلهِ وضع الشيء في غير موضعهِ فالمعنى لم يضع الشبه في غير موضعهِ وانشد لكعب بن زهير

اقول شبيهات بما قال عالماً بهنّ ومن اشبه اباهُ فما ظلم .[1]

(١) تكرر هذا المثل في كتاب الفاخر مرتين ففي المرة الاولى (ب) نسب البيت الى الطوسي وهو من اهل القرن الرابع للهجرة وفي الثانية (ت) نسب الى كعب بن زهير من اهل صدر الاسلام والاختلاف قليل بين صدر البيتين حتى لا حسبهما بيتاً واحداً متكرراً . وقد ارتكب ناظمهما او ناظماها خطأً واحداً من تسكين آخر الفعل الماضي « اشبه » فقال الشارح « جزم الهاء من اشبه لكثرة الحركات » ولا حركات . وقد قال الراجز

باِبو اقتدى عديٌّ في الكرم ومن يشابه ابه فما ظالم

فاصلح هذا الخطأ بانكر منهُ اي باعراب « اب » بالحركات والنحاة يستشهدون بهذا البيت على جواز اعراب الاسماء الخمسة بالحركات . وحبذا لو عرفنا قائلهُ لنعرف هل المثل اسبق ام هذا البيت . والغالب ان تسبق الامثال ولكن كثيراً من الامثال مقتبس من الشعر وخصوصاً الجاهلي منهُ

وفي الشام يقولون « من اجا لاهله ما تعدّى » والمعنى واحد

(١١) ضرب عليهِ ساية . والساية الطريق اي جعل لما يريد ان يفعلهُ بهِ طريقاً

وفي الشام يقال « ضارب علينا ساية » اي آمرٌ نامٍ شامخ بانفهِ . ومن ذلك يقولون لا اريد ان اكون تحت ساية فلان اي امرتهِ وحكمهِ ويفخمون السين كانها صاد فيقولون صاية ويسمون بها نوعاً من الملابس . وفي القاموس « السوية من مراكب الاماء والمحتاجين او كساء محشوٌ بثمام ج سوايا . وكذلك الكساء الذي يجعل على ظهر الابل » . ومعنى المثلين واحد تقريباً

(١٢) صاحت عصافير بطنهِ . اذا جاع قال الاصمعي العصافير الامعاء وقال ابو عمرو العصافير ما اضطرب عند الجوع والنزع مثل الامعاء

ليس في امثال العامة ما يطابق هذا البيت تماماً . فمنهم من يعبّر عن الجوع بقولهِ « الجوع كافر » ومنهم بقولهِ « خربت جونه » وجونه او جونيه في الصحيح فرضة لبنانية والاشارة في خرابها الى طغيان البحر عليها . وغنيٌ عن البيان مايسبق هذا الطغيان من هبوب الرياح واضطراب البحر وتلاطم امواجهِ

(١٣) نام نومة عبّود . قال ابو مسلم محمد الحراني انهُ عبد اسود وكان من حديثهِ ان رسول الله (صلعم) قال ان اول الناس دخولاً الجنةَ لعبد اسود يعني عبوداً وذلك ان الله بعث نبيًّا الى اهل قرية فلم يؤْمن بهِ احدٌ الاَّ ذلك الاسود وان قومهُ (قوم النبي) احتفروا لهُ بئراً فصيروهُ فيها واطبقوا عليهِ صخرة فكان ذلك الاسود يخرج فيحتطب و يبيع الحطب و يشتري بهِ طعاماً وشراباً ثم يأْتي تلك الحفرة فيعينهُ الله على تلك الصخرة فيرفعها و يدلّي اليهِ ذلك الطعام والشراب . وان ذلك الاسود احتطب يوماً ثم جلس يستريح فضرب بنفسهِ الارض بشقهِ الايسر فنام سبع سنين ثم هب من نومهِ وهو لا يرى انهُ نام الاَّ ساعة من نهار فاحتمل حزمتهُ فاتى القرية فباع حطبهُ ثم اتى الحفرة فلم يجدِ النبيَّ فيها وقد كان بدا لقومهِ فيهِ فاخرجوهُ فكان يسئل (يسأل) عن الاسود فيقولون لا ندري اين هو فضرب بهِ المثل لكل من نام نوماً طويلاً »

لم اورد هذا المثل لان لهُ في امثال العامة شبيهاً بل لمشابهتهِ لحكايتين واحدة منهما حكاية اصحاب الكهف وقد يستشهد بها العامة فيقولون نام نوم اهل الكهف . ولو سألتهم عن اهل الكهف وحكاية نومهم ما عرفوها . والثانية حكاية لفقها كاتب اميركي مشهور

اسمهُ « وشنطن ارفنغ » وساذكرها . اما حكاية اصحاب الكهف فهذا ملخصها منقولة عن تاريخ الكامل لابن الاثير . قال

كان اصحاب الكهف ايام ملك اسمهُ دقيوس ويقال دقيانوس وكانوا بمدينة للروم اسمها افسوس وملكهم يعبد الاصنام وكانوا فتية آمنوا بربهم كما ذكر الله تعالى فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا . والرقيم خبرهم كتب في لوح وجعل على باب الكهف الذي اووا اليهِ وقيل كتبهُ بعض اهل زمانهم وجعلهُ في البناء وفيهِ اسماؤهم وفي ايام من كانوا وسبب وصولهم الى الكهف . وقيل كتبهُ الملك الذي ظهر عليهم وبنى الكنيسة وكانت عدتهم فيما ذكر ابن عباس سبعة وثامنهم كلبهم وقال انا من القليل الذين يعلمونهم . وقال ابن اسحق كانوا ثمانية فعلى قولهِ يكون تاسعهم كلبهم وكانوا من الروم وكانوا يعبدون الاوثان فهداهم الله وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليهِ السلام . وزعم بعضهم انهم كانوا قبل المسيح وان المسيح اعلم قومهُ بهم وان الله بعثهم من رقدتهم بعد رفع المسيح والاول اصح . وكان سبب ايمانهم انهُ جاء حواريٌّ من اصحاب عيسى الى مدينتهم فاراد ان يدخلها فقيل لهُ ان على بابها صنماً لا يدخلها احد حتى يسجد لهُ فلم يدخلها واتى حماماً قريباً من المدينة فكان يعمل فيهِ فرأى صاحب الحمام البركة وعلقهُ الفتية فجعل يخبرهم خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا بهِ وصدقوهُ . فكان على ذلك حتى جاء ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فعيرهُ الحواري فاستحيا ثم رجع مرة اخرى فعيرهُ فسبهُ وانتهرهُ ودخل الحمام ومعهُ المرأة فماتا في الحمام فقيل للملك ان الذي بالحمام قتلها فطلب فلم يوجد فقيل من كان يصحبهُ فذكر الفتية فطلبوا فهربوا فمروا بصاحب لهم على حالهم في زرع لهُ فذكروا لهُ امرهم فسار معهم وتبعهم الكلب الذي لهُ حتى آواهم الليل الى الكهف . فقالوا نبيت ههنا حتى نصبح ثم نرى رأينا فدخلوهُ فرأوا عندهُ عين ماء وثماراً فاكلوا من الثمار وشربوا من الماء فلما جنهم الليل ضرب الله على آذانهم ووكل بهم ملائكة يقلبونهم ذات اليمين وذات الشمال لئلاَّ تأكل الارض اجسادهم . وكانت الشمس تطلع عليهم وسمع الملك دقيانوس خبرهم فخرج في اصحابهِ يتبعون اثرهم حتى وجدهم قد دخلوا الكهف وامر اصحابهُ بالدخول اليهم واخراجهم . فكلما اراد رجل ان يدخل ارعب فعاد فقال بعضهم أليس لو كنت ظفرت بهم قتلتهم قال بلى قال فابنِ عليهم باب الكهف ودعهم يموتوا جوعاً وعطشاً ففعل فبقوا زماناً بعد زمان . ثم ان راعياً ادركهُ المطر فقال لو فتحت باب هذا الكهف فادخلت غنمي فيهِ ففتحهُ فرد الله اليهم ارواحهم

من الغد حين اصبحوا فبعثوا احدهم بورق ليشتري لهم طعاماً واسمهُ تمليخا · فلما اتى باب المدينة رأى ما انكرهُ حتى دخل على رجل فقال بعني بهذه الدراهم طعاماً فقال فمن اين لك هذه الدراهم · قال خرجت انا واصحاب لي امس فلما اصبحنا ارسلوني لاشتري لهم طعاماً فقال هذه الدراهم كانت على عهد الملك الفلاني فرفعهُ الى الملك وكان ملكاً صالحاً فسألهُ عنها فاعاد عليهِ حالهم فقال الملك واين اصحابك قال انطلقوا معي فانطلقوا معهُ حتى اتوا باب الكهف · فقال دعوني ادخل الى اصحابي قبلكم لئلاَّ يسمعوا اصواتكم فيخافوا ظنّاً منهم ان دقيانوس قد علم بهم · فدخل عليهم واخبرهم الخبر فسجدوا شكراً لله وسألوهُ ان يتوفاهم فاستجاب لهم فضرب على اذنهِ وآذانهم واراد الملك الدخول عليهم فكانوا كلما دخل عليهم رجل ارعب فلم يقدروا ان يدخلوا عليهم فعاد عنهم فبنوا عليهم كنيسة يصلون فيها · قال عكرمة لما بعثهم الله كان الملك حينئذٍ مؤْمناً وكان قد اختلف اهل مملكتهِ في الروح والجسد وبعثهما فقال قائل يبعث الله الروح دون الجسد وقال قائل يبعثان جميعاً · فشق ذلك على الملك فلبس المسوح وسأل الله ان يبين لهُ الحق فبعث الله اصحاب الكهف بكرة فلما بزغت الشمس قال بعضهم لبعض قد اغفلنا هذه الليلة عن العبادة فقاموا الى الماء · وكان عند الكهف عين وشجرة فاذا العين قد غارت والاشجار قد يبست فقال بعضهم لبعض ان امرنا لعجب هـذه العين غارت وهذه الاشجار يبست في ليلة واحدة · والقى الله عليهم الجوع فقالوا ايكم يذهب الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاماً فليأتكم برزق منهُ وليتلطف ولا يشعرنَّ بكم احدا · فدخل احدهم يشتري الطعام فلما رأى السوق عرف طرقها وانكر الوجوه ورأى الايمان ظاهراً بها فاتى رجلاً يشتري منهُ فانكر الدراهم فرفعهُ الى الملك فقال الفتى أليس ملككم فلان فقال الرجل لا بل فلان فعجب لذلك · فلما احضر عند الملك اخبرهُ بخبر اصحابهِ فجمع الملك الناس وقال لهم انكم قد اختلفتم في الروح والجسد وان الله قد بعث لكم آية هذا الرجل من قوم فلان يعني الملك الذي مضى · فقال الفتى انطلقوا بي الى اصحابي فركب الملك والناس معهُ فلما انتهى الى الكهف قال الفتى للملك ذروني اسبقكم الى اصحابي اعرفهم خبركم لئلا يخافوا اذا سمعوا وقع حوافر دوابكم واصواتكم فيظنوكم دقيانوس فقال افعل · فسبقهم الى اصحابهِ ودخل على اصحابهِ فاخبرهم الخبر فعلموا حينئذٍ مقدار لبثهم في الكهف وبكوا فرحاً ودعوا الله ان يميتهم ولا يراهم احد ممن جاءهم فماتوا لساعتهم · فضرب الله على اذنهِ وآذانهم معهُ فلما استبطؤوهُ دخلوا الى الفتية فاذا اجسادهم لا ينكرون منها شيئاً غير انها لا ارواح فيها فقال الملك هذه

آية لكم . ورأى الملك تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم ففتحهُ فرأى فيهِ لوحاً من رصاص مكتوباً فيهِ اسماء الفتية وانهم هربوا من دقيانوس الملك مخافة على نفوسهم ودينهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم دقيانوس بمكانهم بالكهف سده عليهم فليعلم من يقرأ كتابنا هذا شأنهم . فلما قرؤوهُ عجبوا وحمدوا الله تعالى الذي اراهم هذه الآية للبعث ورفعوا اصواتهم بالتحميد والتسبيح . وقيل ان الملك ومن معهُ دخلوا على الفتية فرأوهم احياء مشرقة وجوههم والوانهم لم تبل ثيابهم واخبرهم الفتية بما لقوا من ملكهم دقيانوس واعتنقهم الملك وقعدوا معهُ يسبحون الله ويذكرونهُ ثم قالوا لهُ نستودعك الله ورجعوا الى مضاجعهم كما كانوا . فعمل الملك لكل رجل منهم تابوتاً من الذهب فلما نام رآهم في منامهِ وقالوا اننا لم نخلق من الذهب انما خلقنا من التراب واليهِ نصير فعمل لهم حينئذٍ توابيت من خشب فحجبهم الله بالرعب وبنى الملك على باب الكهف مسجداً وجعل لهم عيداً عظيماً واسماء الفتية مكسلمينا وتمليخا ومرطوس ونيرونيس وكسطومس وديموس وريطوفس وقالوس ومخسيلمينيا . وهذه تسعة اسماء وهي اتم الروايات والله اعلم . وكلبهم قطمير . انتهى

واما حكاية الكاتب الاميركي فخلاصتها ان رجلاً سماهُ الكاتب « ربفان ونكل » عاش في اميركا ايام كانت تابعة لانكلترا وكان ملك الانكليز في ذلك الزمان جورج الثالث (١٧٣٨—١٨٢٠) وفي عهدهِ تحررت اميركا وفازت باستقلالها فخرج بطل الحكاية يوماً للصيد في الجبل ومعهُ بندقيتهُ وكلبهُ فلما تعب لجأ الى كهف هناك ونام فيهِ سبع عشرة سنة متوالية . وكانت اميركا في خلال تلك المدة قد شقت عصا الطاعة على الملك جورج وحاربتهُ واستقلت عنهُ . وفي صبيحة اليوم الاول من السنة الثامنة عشرة استفاق صاحبنا من نومهِ فوجد بندقيتهُ قد علاها الصدأ وكلبهُ هيكلاً من العظام بالياً فدهش لذلك ونهض من مرقدهِ يروم العودة الى قومهِ . فلما دخل القرية انكر الناس منظرهُ واطمارهُ البالية فتألبوا عليهِ يستطلعون امرهُ فظن بهم سوءا فصاح « ليحيَ الملك جورج » فانهالوا عليهِ ضرباً ولكماً حتى خلصهُ الشرطة من ايديهم وهو لا يعلم ذنبهُ . فلما قصَّ قصتهُ وعلم الناس امرهُ وعلم هو امر نفسهِ زالت دهشتهم ودهشتهُ

نجيب شاهين

السر رونلد روس والحمى الملاريَّة

في العاشر من دسمبر سنة ١٩٠٢ مُنح السر رونلد روس جائزة نوبل الطبيَّة لانهُ اثبت بالامتحان ان الحمى الملاريَّة تنتقل بواسطة البعوض. والاربعة عشر الذين نالوا جوائز نوبل الطبيَّة ثلاثة منهم نالوها لاجل البحث في سبب الحمَّى الملاريَّة وهم روس وغولجي ولافران ولا غرابة في ذلك لان هذه الحمى من الد اعداء العمران كما سيجيءُ

والحمَّى الملاريَّة او البرداء على انواعها معروفة من قديم الزمان وقد وصفها الاطباء الاقدمون من اليونان والهنود وصفاً حسناً فابان بقراط الفرق بين حمَّى اليوم التي تأتي يوماً وتغيب يوماً والحمى المثلثة التي تأتي يوماً وتغيب يومين وحمى الربع التي تأتي يوماً وتغيب ثلاثة ايام وبيَّن علاقتها كلها بتضخم الطحال والاقامة في الاماكن الاجمية حيث يستنقع الماء وقال ان سببها شرب ذلك الماء

وكانت بلاد اليونان خالية من الحمى في القرن الخامس قبل المسيح مع انها كانت كثيرة البعوض والظاهر انها كانت خالية من مكروب [1] الحمى فأُدخل اليها بعد ذلك من بلاد اخرى كما أُدخل الى جزائر موريتيوس سنة ١٨٦٦ . ثم كثرت الاشارة اليها بعد عهد بركليس وكانت هي السبب في انقراض جانب كبير من السكان وانحطاط بلاد اليونان . وقد ألَّه سكان سلينوس الفيلسوف امبيدقليس لانهُ طهَّر مدينتهم من الحمى الملاريَّة بنزح المستنقعات من ضواحيها

وكان عند الرومان إلاهة للحمى اسمها مفيتس يدل اسمها على الآجام ومتصعداتها . واشار هوراس و يوفينال الى مضار الاقامة في بطاح رومية في الصيف والخريف وذكر فائدة الكلَّة Conopeum اي الناموسية . واشار كثيرون من كتَّاب الرومان الى الحميات ونسبوها الى الآجام وما يصعد منها من الابخرة وما يكون فيها من الهوام

قال ڤرو (الذي توفي سنة ٢٧ قبل المسيح) في ما كتبهُ في الزراعة « يجب ان يعلم هل المكان اجمي لانهُ اذا كانت فيهِ آجام وجفَّ ماؤُها تولَّدت فيها حيوانات صغيرة لا تراها العين لصغرها تدخل جسم الانسان مع الهواء من الفم والانف وتسبب امراضاً مزعجة »

وقال كولوملا العالم الزراعي في القرن الاول المسيحي « يجب ان لا تبنى المنازل قرب

(١) اطلقنا عليهِ اسم المكروب لانهُ حي صغير لا يرى الاَّ بالمكروسكوب

المستنقعات ولا تمدُّ السكك الحربية الى جانبها لانهُ يتولَّد منها بالحرارة سموم قتَّالة وحيوانات ذات حمات لذَّاعة» .

وقال بلاديوم في شعرهِ الزراعي في القرن الرابع «تجنَّب الآجام حتماً ولاسيما الشرقي منها والغربي لانها تجف في الصيف غالباً ويتولَّد منها وباء وحيوانات مؤْذية»

ويظهر من هذه الاقوال ان الرومان كانوا يعلمون ما بين حشرات الآجام والحمى الملاريَّة من الارتباط وذلك من القرن الثاني المسيحي الى الرابع وما بعدهُ . وفاقهم الهنود في ذلك فقد جاء في السدونا وهو كتاب سنسكريتي كُتب منذ ١٤٠٠ سنة على الاقل وصف اعراض الحمى الملاريَّة بالدقة ونسبتها الى لسع بعض الحشرات . والاشارات الى علاقة الآجام بالحميات كثيرة جدًّا في كتب المتقدمين والمتأخرين

وسنة ١٦١٨ عولجت زوجة كونت شنكونا حاكم بيرو بخشب الكينا من حمَّى اصيبت بها فشفيت فادخل طبيبها هذا الخشب الى اوربا ومن ثم صارت الكينا تستعمل في علاج الحمى وجعل الاطباء يبحثون في حقيقة الحميات واسبابها . وسنة ١٧١٧ نشر الطبيب لنشيسي كتابًا كبيرًا في اهوية الآجام ذكر فيهِ آراء الكتَّاب الرومانيين القدماء عن الحشرات التي تتولد من المستنقعات ولاسيما البعوض ووصف البعوض واشار الى انهُ قد يكون السبب في تولُّد الحمى ولم يترك القول القديم بالمتصعدات الاجمية وانها تدخل الجسم مع الهواء والماء ولكنهُ حسبها مواد حيَّة . وهاك بعض ما قالهُ في هذا الصدد في الفصل السابع عشر

«ذكرت في فصل سابق ان البعوض وحشرات اخرى تبيض على وجهِ الماء في الصيف فيشرب السكان المقيمون هناك هذا الماء ويستنشقون ما يصعد منهُ من الابخرة الحاوية لانواع كثيرة من هذه الاحياء فيعدون بها . وقد ابان هذا الطبيب ان تجفيف المستنقعات يزيل الحميات . ثم ان القنوات والمصارف التي انشأها الرومانيون قديمًا كان الغرض الاكبر منها ازالة الحميات . وجرى باباوات رومية هذا المجرى في نزح الاجام وتجفيفها . ولما ادخل استعمال الكينا فرق الدكتور تورتي بين الحميات التي تشفى بها والحميات التي لا تشفى بها ووضع اسم الملاريا من كلمتين ايطاليتين معناهما الهواء الردي او الفاسد

وتوالى الباحثون بعد ذلك ووجهتهم اكتشاف المسبب للحمَّى الملاريَّة الى ان قام الدكتور الفونس لافران سنة ١٨٨٠ واكتشف الاحياء التي تسبب الحمَّى الملاريَّة في دم المصابين بها وكان ذلك في بلاد الجزائر . وفي السنة التالية اثبت الدكتور كارلوس فنلي ان

الحمى الصفراء تنتقل من انسان الى آخر بواسطة نوع مخصوص من البعوض · وكان السر بترك منسون قد اثبت سنة ١٨٧٩ ان البعوض ينقل المرض المسبب عن الفلاريا من شخص الى آخر · وذكر الدكتور كنج الاميركي سنة ١٨٨٣ ثلاثة عشر دليلاً على كون البعوض هو العلة في نقل عدوى الحمى الملارية من شخص الى آخر · وسنة ١٨٨٤ اثبت الدكتور كارل جرهرت انهُ يمكن نقل العدوى من المصاب الى السليم بتطعيم السليم من دم المصاب اي ان الحمّى ليست مسببة عن استنشاق المتصعدات بل عن دخول مادة سامة حيَّة في الدم · وسنة ١٨٨٥ — ١٨٨٦ ابان كاميليو كلوجي في بافيا ان المكروب الذي اكتشفهُ لافران يولد بزوراً وان نوبة الحمى تبتدئ حينما يلقي هذه البزور · وان انواع المكروب تختلف باختلاف الحميات المتقطعة بين كونها ثنائية او ثلاثية او رباعية وان في الطيور مكروباً يشبهها · وسنة ١٨٨٤ ارتأى لافران وكوخ ان البعوض قد يفعل في نقل الحمى الملارية ما يفعلهُ في نقل الفلاريا على ما اثبتهُ السر بترك منسون · وارتأى منسون نفسهُ تلك السنة ان البعوض الذي يمتص الفلاريا من دم المصاب بها يفعل مثل ذلك بمكروب الملاريا هو او بعوض آخر شبيه بهِ وهنا جاء رونلد روس

السر رونلد روس هو ابن الجنرال روس احد قواد الانكليز المشهورين ولد في ١٣ مايو سنة ١٨٥٧ ودرس الطب في لندن ودخل الخدمة الطبية في بلاد الهند سنة ١٨٨١ وشرع يبحث في الحمى الملارية سنة ١٨٨٩ وارتاب في صحة اكتشاف الدكتور لافران حاسباً ان الحمى مسببة عن مادة سامَّة تتولد في الامعاء · وجاء لندن سنة ١٨٩٤ فاطَّلع على ما ارتآهُ الدكتور منسون من حيث علاقة البعوض بالحمى وعاد الى الهند في العام التالي فاهتم بامتحان ذلك وألَّف تلك السنة رسالة في الحميات الملارية وسببها والوقاية منها في مسابقة ينال الفائز فيها ٧٥ جنيهاً ونشاناً ذهبياً فنال الجائزة والنشان وكان لنسيني وخلفاؤهُ قد ارتأوا ان مكروب الملاريا او سمها ينقلهُ البعوض من الآجام · وكان منسون قد اكتشف ان البعوض يمتص الفلاريا من دم الانسان فظن ان البعوض يفعل مثل ذلك فيمتص مكروب الملاريا من دم المصاب بها وينقلهُ الى ماء المستنقعات حينما يبيض فيها فاذا شرب الناس من ذلك الماء دخل مكروب الملاريا معهُ ولكن ثلاثة من اطباء ايطاليا كانوا قد اثبتوا ان العدوى لا تأتي من شرب ماء المستنقعات · واثبت روس ذلك بالامتحان · وفي بلاد الهند مكان كثير الحمى الملارية اسمهُ اسكندر اباد فجعلهُ مقر بحثهِ وجمع من انواع البعوض التي فيهِ وجعل يربيها ويشرحها ويبحث فيها فوجد انها على ثلاثة اشكال

الشكل المخطط والرمادي والمرقط فرباها وجعل البعوضات المتولدة منها تلسع اناساً مصابين بالحمى الملارية وبحث عن مكروب الحمى في اجسامها بعد ان وثق انها كانت خالية من هذا المكروب وغيره وبقي سنتين يبحث ويمتحن ويصلح آلات البحث والامتحان حتى تزيد دقةً ويثبت ان البعوض نقل مكروب الملاريا من المصاب الى السليم فلم يفلح حتى ظن ان انواع البعوض التي كان يجرب فيها ليست هي الانواع التي تنتقل بها العدوى او ان التلقيح في الملاريا لا يكون بواسطة اللدغ ٠ وكان مرة في آكام تعلو ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر حيث يزرع الشاي والبن وفي سفحها مخفض تكثر فيهِ الملاريا ووجد هناك البعوض المرقط الاجنحة (الانوفيل) الذي ثبت بعدئذٍ انهُ الناقل للعدوى ٠ ثم عاد في يوليو سنة ١٨٩٧ الى اسكندراباد واعاد التجارب في البعوض المخطط والرمادي على غير جدوى ولم يجد البعوض المرقط الأ في ١٥ اغسطس ووجد في معدة بعوضة منهُ خلية صغيرة مستديرة فيها حبوب سوداء مثل المادة التي قال فرخو وفريرخ انها المادة المرضية في الحمَّى الملارية وانها توجد في مكروب الملاريا ٠ ثم وجد هذه الحبوب في بعوضة اخرى من البعوض المرقط وكان قد جعل هاتين البعوضتين تلسعان انساناً مصاباً بالملاريا فثبت لهُ حينئذٍ ان هذه الحبوب السوداء آتية مع الدم من المصاب بالملاريا وانها نفس المادة المعدية في مكروب الملاريا لانهُ لم يرَها في غير هاتين البعوضتين من كل البعوض الذي فحصهُ وان هذا البعوض المرقط هو الذي ينقل العدوى دون سواهُ

وكان روس من اطباء الجيش كما تقدم فأُمر بالذهاب الى مكان خالٍ من الملاريا ويبعد الف ميل عن المكان الذي كان فيهِ فاضطر ان ينقطع عن البحث حتى فبراير سنة ١٨٩٨ وحينئذٍ سُمح لهُ ان ينقطع للبحث في الملاريا ومرض الكلازار مدة ستة اشهر ٠ وكان لافران قد اكتشف خيوطاً متحركة مثل اصابع الاخطبوط تخرج من مكروب الملاريا عند استخراجهِ من الدم ٠ ولما اكتشف روس مكروب الملاريا في معد البعوض المرقط على ما تقدم اكتشف الدكتور مكلوم ان مكروباً آخر يصيب الطيور تخرج منهُ خيوط مثل هذه وقت المزاوجة ثم اثبت هو والدكتور اوبي ان خيوط مكروب الملاريا من هذا القبيل اي انها خيوط المزاوجة فاثبت روس ان البعوض الرمادي ينقل مكروب الطيور من طائر الى آخر ثم وجد ان بزور مكروب الملاريا تجتمع في غدد البعوض اللعابية . وقد قال في هذا الصدد «ان هذا المرض الذي يميت ملايين من الناس كل سنة ويمنع الوصول الى بلدان واسعة قد عرفت الآن الطريق التي تنتقل بها عدده» فان هذه البزور الدقيقة تدخل غدد البعوض اللعابيَّة

وتنتقل منها مع لعابه السام الى دم الانسان الذي يلسعهُ ذلك البعوض » . واثباتاً لذلك طعَّم كثيراً من العصافير بمكروب الطيور المتقدم ذكرهُ مستخرجاً اياهُ من البعوض الذي امتصهُ وبعث بنتيجة عمله الى الدكتور منسون فابلغها مجمع الطب البريطاني سنة ١٨٩٨ فاهتم بها العلماء جزيل الاهتمام واما رجال الحكومة فاغفلوا امرها . وكان روس قد انفق كل ما معهُ على تجاربه فعزم على ترك الهند فتركها وعاد الى بلاد الانكليز سنة ١٨٩٩ ثم عيّن مدرساً في مدرسة لفربول التي انشئت حديثاً لامراض البلدان الحارة . وفي تلك السنة عينها اثبت الدكتور غراسي والدكتور بجنامي الايطاليان ان عدوى الملاريا لا تنتقل الا بالبعوض المرقط فلم يبقَ الا ان تعرف الطرق الواقية من الملاريا

وارسل روس تلك السنة الى سيراليون في ساحل افريقية الغربي لكي يبحث عن اسلوب يقي السكان من الملاريا فوجد فيها البعوض المرقط ووجد انهُ يتولد في بعض المستنقعات فنزحها ووضع شبابيك السلك في البيوت لمنع دخول البعوض اليها وفصل المرضى عن الاصحاء وامر باستعمال الكلات (الناموسيات) وفعل مثل ذلك في اماكن اخرى الى ان دعي الى الاسمعيلية سنة ١٩٠٢ . وقد مصّرت الاسمعيلية سنة ١٨٧٧ في عهد اسمعيل باشا فمرض فيها تلك السنة ٣٠٠ بالحمى الملارية من اغسطس الى دسمبر ولم يكن سكانها اكثر من ١٠٠٠٠ نفس . ومرض فيها ٢٥٠٠ سنة ١٨٩١ حتى كاد سكانها يهجرونها فلما وصل روس اليها ردم كل البرك وازال آبار الكنف من تحت البيوت او صب فيها البترول ونزح المياه من المستنقعات حتى جفّت كلها ومنع ركود الماء في الآنية ونحوها واقيم اناس لمراقبة ذلك دائماً ومنع ركود الماء فزال البعوض المرقط وزالت معهُ الملاريا وجرى مثل ذلك في بورت سعيد والخرطوم

وجملة القول ان روس استنبط طرقاً خاصة لجمع البعوض وتقسيمهِ الى انواع وتغذيتهِ وتوليدهِ وتشريحهِ والبحث فيهِ واستدلَّ على ان البعوض المرقط Anopheles هو الذي ينقل مكروب الملاريا لانهُ وجد هذا المكروب في جسمهِ وان بزورهُ لا تكون في امعاء البعوض بل في غدتهِ اللعابية وان مكروباً مثلهُ ينقلهُ البعوض من طائر الى طائر فسهل لغراسي وبجنامي ان يثبتا ان ميكروب الملاريا ينمو في البعوض المرقط فقط وبهِ ينتقل المرض من انسان الى انسان ولما ثبت لهُ ذلك بالاستدلال عاد الى اثباتهِ بالامتحان وذلك باستعمال الوسائل التي تمنع تولد هذا البعوض ومنع وصولهُ الى الناس فامتنعت الحمى الملارية

لخصنا ما تقدَّم من مقالة للجنرال جورجاس الاميركي نشرت في المجلة العلمية الشهرية

وظيفتان للبن

يرى احد الاطباء الاميركيين ان للبن وظيفة اخرى غير تغذية ابدان الصغار من الانسان والحيوان وهي اعداد معدها في دور الرضاع للطعام الذي تأكلهُ بعد ذلك الدور . وقد لخصنا رأيهُ في هذه العجالة :

قال غيتي الشاعر الالماني الشهير ان الدم عصير شديد الغرابة . ومثل هذا القول يصح على اللبن . فقد ظهر من المباحث الفسيولوجية الحديثة ان لبعض غدد الجسم ومفرزاته وظائف اعظم مما كان العلماء يحسبون و يقدّرون . فان بعض المفرزات الداخلية التي تفرزها الغدد المختلفة تؤثر تأثيراً عجيباً في حياتنا الطبيعية وفي ارتقاء قوانا العقلية ولم تكن تلك المفرزات معروفة قبلاً

فهذه الامور حملت العلماء على البحث في اللبن وخواصهِ وفي غيرهِ من سوائل الجسم المعروفة فثبت لهم ان اللبن طعام تامٌ اي انهُ حاوٍ لجميع العناصر اللازمة لحفظ الحياة وهي البروتيين لنموّ الجسم والتعويض عما يندثر منهُ والاملاح المعدنية لمساعدة البروتيين على اتمام هذه الوظيفة . والكربوهيدرات والدهن لتجهيز الجسم بالحرارة والقوة . والماء لانجاز جميع الوظائف الحيوية . فهو لذلك غذاء كامل وجميع الالبان سواء من هذا القبيل

ومن خواص اللبن ان كل نوع منهُ يحتوي على العناصر اللازمة للتغذية على نسبة تختلف باختلاف انواع الحيوانات التي ترضعهُ . ومن خواصهِ انهُ عند حلبهِ من الاثداء يكون سائلاً على الدوام فاذا دخل معد الحيوانات التي ترضعهُ جمد كثيراً او قليلاً . وهذا الجمود ناشئٌ عن تخثر البروتيين (اي المادة الجبنية) دون غيرهِ من عناصر اللبن. ومما يجب ذكرهُ هنا ان الكربوهيدرات والادهان متشابهة كل التشابه في تركيبها وانفعالها بالعصارات المضمية مهما يكن نوع اللبن الذي يحويها اما البروتيين فيختلف باختلاف الالبان وكذلك يختلف تخثرهُ اي انهُ يكون على درجات مختلفة باختلاف تلك الالبان

وربَّ سائل يسأل (١) ما غرض الطبيعة من تقديمها الى صغار الحيوان سائلاً يتخثر في معدها على الدوام . و (٢) لماذا يختلف تخثر الالبان باختلاف الحيوانات التي تفرزها . والجواب على هذين السؤالين يجب فحص العلاقة التي بين اللبن والجهاز المضمي الذي يدخلهُ فنقول

يتخثر اللبن في معد الحيوانات التي ترضعهُ على ثلاثة اشكال · ففي معد الحيوانات آكلة العشب المجترة يتحول بروتينهُ كتلاً جامدة عاسية لا تستطيع الخروج من المعدة بسهولة كما في البقر والغنم والمعزى · ومعلوم ان الهضم في هذه الحيوانات يتمّ اكثرهُ في المعدة وحجم المعدة ٧٠ في المئة من حجم الجهاز الهضمي او القناة الهضمية · ومتى كبرت هذه الحيوانات وانقطعت عن الرضاع وشرعت تأكل العلف كالفول والتبن وما اشبههما من المواد العاسية كانت معدها مستعدة لهذا العمل الشاق بما تمرنت عليهِ من هضم اللبن العاسي كما تقدم

وفي معد الحيوانات آكلة العشب غير المجترة كالفرس والحمار يتخثر بروتين اللبن على هيئة كتل جلاتينية تستطيع الخروج من المعدة بسهولة · ذلك لان عمل الهضم في هذه الحيوانات معوي في الاكثر لا معديّ وحجم الامعاء ٩٠ في المئة من حجم القناة الهضمية كلها · ومتى كبرت وانقطعت عن الرضاع وجعلت تأكل الاعشاب والحبوب تمّ معظم عمل الهضم في امعائها بعد ان تكون الطبيعة قد اعدتها لذلك في الصغر

اما لبن المرأة فيتخثر في معدة طفلها كتلاً بين الجامدة العاسية والجلاتينية · ذلك لان الهضم في الناس يبدأ في المعدة ولكن معظمهُ يتمّ في الامعاء والمعدة تساوي ٢٠ في المئة من القناة الهضمية · فلذلك يتخثر اللبن في معدة الطفل على هيئة كتل صغيرة متفرقة ليوافق عمل الهضم في امعائهِ · ومتى كبر وشرع يتناول الطعام الجامد وجب عليهِ مضغهُ جيداً باسنانهِ لتفريق اجزائهِ بعضها عن بعض وتسهيل عمل الهضم في معدتهِ ثم في امعائهِ

فعمل الهضم الانساني والحالة هذه متوسط بين هضم الحيوانات المجترة كالبقر و بين غير المجترة كالفرس · والبروتيين يتخثر على طريقة يعدّ بها القناة الهضمية لعملها المستقبل في هضم الطعام الجامد بعد اللبن السائل

والذي يدرس تاريخ الحيوانات من تصورها في الارحام الى ولادتها يرى انها جميعاً تدخل الحياة بصورة بسيطة وتكون متشابهة كلّ التشابه وهي اجنة حتى ليعسر تمييزها بعضها عن بعض في اوائل تكونها ثم تأخذ تفترق في شكلها وتركيبها ولا تزال تفترق حتى اذا بلغت دور الولادة لم يبقَ ادنى صعوبة في تمييزها بعضها عن بعض وارجاع كلّ منها الى نوعهِ · ولكن اختلاف وظيفة التغذية في هذا الدور ليس كبيراً ولاسيما في ذوات الثدي

بدليل ان صغار بعض انواعها تعيش على لبن بعض الانواع الاخرى وتنمو كانها ترضع لبن أمّاتها . ألا ترى ان اطفال الانسان ترضع لبن البقرة او الجاموسة او النعجة وتُقصر عليهِ دون غيرهِ فتنمو نموَّ الاطفال التي ترضع لبن امهاتها وتثري اثراءها . ولكن عند انتهاء دور الرضاع الطبيعي في ذوات الثدي يبدو الفرق على صغارها من حيث الطعام والغذاء ويتجسم ذلك الفرق حتى يستحيل اطعام بعضها ما يأكلهُ البعض الآخر

ولادراك هذا الفرق خذ طفلاً وجرواً وعجلاً وغذِّها في السنة الاولى من عمرها بلبن بقرة فلا تجد عليها فرقاً لان عمل الهضم فيها كلها يكاد يكون واحداً في مبتدإِ عمرها . ولكن بعد انقضاء السنة الاولى يشرع الطفل في تناول الطعام اللين والجرو في اكل اللحم والعظام والعجل في اكل الحشيش والفول والتبن اي انهُ في سنة واحدة تغير طعامها الى حدٍّ ان صار طعام العجل الطبيعي من نوع لا يلائم معدة الطفل ولا الجرو . ولكن الكيماوي يحلل طعامها ثلاثتها فيخبرك انهُ يحتوي في جوهرهِ على العناصر الغذائية عينها التي يحتوي عليها اللبن

فبناء على ما تقدم يمكن القول ان لبروتيين اللبن وظيفة نشوئية غير وظيفتهِ الغذائية المعروفة

ونستخلص من هذا البحث مسألة حقيقة بالتدبر والاهتمام وهي وجوب ارضاع كلّ امّ لاطفالها وهذا ما يجري بين الحيوانات طبعاً ما عدا النوع الانساني ارقى انواعها . ولكنهُ واجب في الانسان ايضاً لان البروتيين في البان انواع الحيوانات المختلفة خلق لاجهزة هضمية مختلفة فلا غرابة اذا لم يلائم بروتيين هذا الحيوان معدة ذلك الحيوان كلّ الملاءمة . فمن الوجهة الغذائية لا تختلف الالبان بعضها عن بعض كثيراً وانما اختلافها الاكبر من الوجهة النشوئية . وهذا سبب فرعي يضاف الى الاسباب الاخرى التي توجب على الام ارضاع طفلها حيث يمكنها ذلك . وليست زيادة الوفيات بين الاطفال الذين يرضعون بالصناعة هي السبب الوحيد الذي يوجب على الامهات ارضاع اطفالهنَّ اذا استطعن ذلك . ففي ارضاع الطفل لبن بقرة نضع لبناً يتحول كتلاً عاسية في معد خلقت لتحتوي لبناً يتحول كتلاً لينة متفرقة . ونتيجة ذلك عسر في الهضم وايقاف وظيفة من وظائف اللبن عن عملها وهي اعداد بعض اجزاء القناة الهضمية لعملها المستقبل

الغواصة التجارية

ديتشلند

كثر حديث الناس هذه الايام بالغواصة التجارية الالمانية « ديتشلند » التي سافرت الى اميركا من مدينة بريمن الالمانية وعادت اليها سالمة دون ان يمسها اذى فرأينا ان نجمل حكايتها بما يلي

خطر لبعض دوائر الملاحة الالمانية منذ بضعة اشهر ان تبني غواصات تجارية كبيرة تنقل بعض البضاعة الخفيفة الحمل الغالية الثمن بين المانيا والخارج بعد ما سدّت اساطيل الحلفاء مسالك البحر في وجه المانيا . فتألفت شركة في مدينة بريمن لهذا الغرض وشرعت في بناء بضع غواصات فكانت الغواصة « ديتشلند » اول ما كمل منها . فخرجت من بريمن في ١٤ يونيو الماضي تحمل حملاً خفيفاً غالي الثمن من الاصباغ وسائر المواد الكيماوية وامّت اولاً جزيرة هليجولند المناوحة للساحل الالماني في البحر الشمالي . فبقيت فيها تسعة ايام وغرضها من ذلك كما قال ربانها تضليل الحلفاء فيما لو كانوا قدروا بسفرها وزمانهِ والمكان الذي تقصدهُ . وكان فيها ثمانية ضباط و ٢١ بحريًّا واسم ربانها كونيج

وكان امامها طريقان للسفر طريق بحر المانش الفاصل بين انكلترا وفرنسا وطريق اطول منهُ وهو ان تسير حذاء ساحل انكلترا واسكتلندا الشرقي ثم تعطف غرباً دائرةً حول شمال اسكتلندا فاختارت الثاني دون الاول لكثرة الشراك المنصوبة في بحر المانش لاقتناص الغواصات ولان سفن خفر السواحل مبثوثة في جوانبهِ رصداً للاعداء

خرجت من جزيرة هليجولند في اليوم الموعود وكان معظم سيرها في مياه البحر الشمالي تحت الماء اي انها قطعت تسعين ميلاً وهي غائصة في الماء لكثرة العيون والرقباء هناك . وكانت اذا رأت سفينة واشتبهت فيها غاصت ولم يبقَ منها فوق الماء غير عينيها . او غاصت بعينيها اذا رأت ان بقاءهما فوق الماء يرشد اعداءها الى مكانها . واتفق لها مرة ان غاصت الى قعر اليمّ حيث بقيت بضع ساعات لاشتداد الخطر حولها

ولما خرجت من حدود البحر الشمالي قلَّ الخطر كثيراً فاجتازت الاتلانتيكي على الماء ولم تغص فيهِ مطلقاً . ولكنها لما بلغت رؤُوس فرجينيا غاصت في الماء بضع ساعات اذ رأت سفينتين ارتابت فيهما حتى اذا غابتا عن الابصار عادت فطفت على سطح البحر وبلغت ميناء بلطيمور باميركا سالمة في ٩ يوليو اي بعد ١٦ يوماً على خروجها من هليجولند قطعت فيها

٣٨٠٠ ميل . وقد جاء بعد ذلك انها اقامت في مياه اميركا مدة قصيرة لا تجاوز اسبوعين و بعد ان انزلت « شحنها » واخذت غيرهُ عادت من حيث اتت وسفن الحلفاء التي تبعتها من اوربا ترتدّ على آثارها قَصَصاً فلم تهتدِ اليها ولا وقفت لها على خبر حتى جاءت الانباء بانها بلغت بريمن آمنة

ولنبحث في تركيبها فنقول : ان باطنها يشبه في شكلهِ السيجار اي انهُ اسطواني طول قطرهِ في وسطهِ ٣٠ قدماً وهو مغاف بغلاف خارجي خفيف كثير الثقوب لدخول ماء البحر وخروجهِ ومقسوم الى خمسة اقسام او خمس غرف مستقلة بينها حواجز لا ينفذها الماء . فالغرفة الاولى في المقدم وفيها سلاسل المرساة والروافع الكهربائية لرفع المرساة وانزالها ومؤُونة البحرية وبعض الشحن . والثانية تليها وهي تملأُ شحناً . والثالثة اكبر الغرف وفيها يقيم الضباط والبحرية وعند طرفها الخلفي برج الغواصة ومنهُ يصعد الى ظهرها . والرابعة تملأُ شحناً . والخامسة تحوي الآلات المحركة التي تسيِّر الغواصة والبطريات الكهربائية موضوعة في قعر الغواصة تحت الغرفة الثالثة . ويوصل الغرف بعضها ببعض دهليز عرضهُ ٢ ½ قدم وعلوهُ ٦ اقدام

اما طول الغواصة فنحو ٣١٥ قدماً وعرضها ٣٠ قدماً وارتفاع غاطسها ١٧ قدماً . وسرعتها على سطح الماء من ١٢ الى ١٣ ميلاً بحريًّا وتحت الماء ٧ اميال وتفريغها الف طن وتحمل ما زنتهُ ٧٠٠ طن

ولها عينان (برسكوب) واحدة في مقدم البرج وثانية اكبر منها في مقدمهِ ايضاً الى يمينها . ومن غريب ما تحويهِ ساريان من الفولاذ يطويان و ينشران حسب المرام وعلو الواحد منهما ٥٠ قدماً وهما خاصّان بارسال الرسائل اللاسلكية وقبولها . على ان في الامامي منهما شرفة للرصد والاستكشاف

ويظهر باقل نظر ان لا فائدة تجارية من هذه الغواصة في زمن الحرب يتهددها الخطر من كل ناحية فاذا سلمت مرة لا تسلم اخرى . ولو كان عدد الغواصات التي من نوعها عشراً لما سلم منها خمس في السفرة الواحدة ولفقدت كلها في سفرتين او ثلاث وغاية ما يستفاد منها في زمن الحرب انها قد تجلب ما تمسُّ الحاجة اليهِ من بعض المواد ولو بثمن فاحش لكثرة ما يغرق منها . واما في زمن السلم فلا فائدة منها مطلقاً لان المسافة بين اوربا واميركا تقطع في خمسة ايام او ستة واجرة السفر والنقل رخيصة جدًّا فلا يحتمل ان يسافر الناس في غواصة كثيرة التعرض للغرق ولا ان يرسلوا بضائعهم فيها فيكاد صنعها يكون من قبيل العبث

صحف الخنادق

من طبع الفرنسوي بل الامة اللاتينية التي هو اعرق فروعها وازهر غصونها الميل الى الظرف وتغليب السراء على الضراء حتى ليستخفهُ الطرب و ينسيهِ هموم العيش وكروب العمر مهما اشتدت وطأتها عليهِ. ففي خنادق البلجيك وشمال فرنسا الممتدة صفوفاً من البحر الشمالي الى جبال الفوج والمتعرجة تعرج الافاعي لم يزعزع جدّ الحرب ما طبع عليهِ من حبّ المزح ولا اخمد طربهُ القديم بدليل ما ينشر من الصحف في تلك الخنادق بين صليل السيوف وقصف المدافع

واول هذه الصحف على ما يظن «لكودي لارجون» ظهرت في ٢٦ اكتوبر سنة ١٩١٤ وكتب العدد الاول والثاني منها بالآلة الكتابية على ورق سخيف ولكن العدد الثالث طبع طبعاً عاديًا وما زالت اعداد هذه الجريدة تظهر حتى الآن وفيها آخر اخبار الحرب وكثير من الملح والطُرَف والنكات والشعر الرقيق وغير ذلك من آثار الظَرف الفرنسوي

اما حيث لم يوفق الجنود الى الحصول على مطبعة فقد كتبوا صحفهم وطبعوها بالصمغ. فان جاويشاً في الاورطة ١٥٤ من الجنود التريتور يال استأذن قائد اورطتهِ في اصدار جريدة لرفاقهِ فاذن لهُ في ذلك ومدّهُ بالورق والحبر اللازمين ولكن بقي الصمغ لنسخ بضعة نسخ ففتش الجاويش في انقاض بعض القرى خلف الخط فوجد ضالتهُ على ما خيل اليهِ ولكن ظهر لهُ فيما بعد ان هذا الصمغ ليس للطبع فارسل من اشترى صمغ الطبع من مدينة تبعد بضعة اميال عن خط القتال. وبينا كان هو ورفاقهُ ينسخون احد الاعداد اذا بقنبلة المانية اصابت مطبعتهم فهدمتها فذهب تعبهم سدًى ولكنهم عادوا فاستأنفوا العمل واصدروا العدد الاول من جريدة سمّوها «له فانيون» اي الراية واصدروا منها مئة نسخة

وليست قنابل الالمان هي العثرة الوحيدة في سبيل الجنود الصحافيين اذ كثيراً ما يتفق انهم يخرجون للقتال عند ما يدعون اليهِ فاذا عادوا الى خنادقهم وجدوا الجرذان قد عبثت بمطبعتهم وعاثت فساداً في اوراقهم وملازمهم ومسوداتهم والتهمتها هي والصمغ المهيأ للنسخ. وقد اهتمت الحكومة الفرنسوية مزيد الاهتمام بصحف الخنادق حتى انتدبت من يجمع نسخاً منها قصد حفظها في مكتبة باريس الاهلية. ويقال ان اسماء هذه الصحف تملأ

صفحة كاملة . ومن اشهرها غير الصحيفتين المذكورتين جريدة اورطة المشاة الثامنة عشرة عهد في رآسة تحريرها الى احد الجاويشية وهي تصدر كل مرة بلون من الحبر . ومنها جريدة اسمها « لكودي ترانشيه » اي صدى الخنادق يحررها الكاتب الفرنسوي المعروف بول ربو وفيها مقالات وقصائد من قلم اكبر اكابر الفرنسويين من رجال السياسة والادب مثل بوانكاره وروستان وتيودور بوتريل وهنري دي رنييه

ومنها « لكو دو كارفور » و « لكودو رافن » وغيرهما مما يتقدم اسمهُ كلمة « لكو » اي الصدى . ومن غريب ما يذكر عنها انها قلما تشير الى امور الحرب بل اهمُّ ما فيها باب الفكاهات والنكات والرسوم الهزلية مما يحوّل خواطر قرائها من الجند عن اهوال الحرب ولو الى حين

ومن هذه الصحف صحيفة تصدر كل احد على شرط ان لا يقوم الالمان بحركة عدائية كبيرة تمنع الجنود الصحافيين من العمل . فقد صدرت اعدادها الثلاثة الاولى في مواعيدها ولما حان موعد الرابع جرت بين الفريقين المتحاربين وقائع حالت دون صدوره بضعة اسابيع

واشهر اسماء هذه الصحف بعد كلمة « لكو » كلمة « بوالو » . فهناك « بوالو ديشينه » و« بوالو جرونيار» و« لي بوالو » وهذه الاخيرة تطبع في شالون وهي من اهم صحف الخنادق يصدر منها كل مرة ١٣ الف نسخة

ومثلها شهرة جريدة « مارميتا » ظهرت على ضفاف نهر آين في اوائل سنة ١٩١٥ . وبين محرريها نفر من الضباط كان احدهم استاذاً في احدى الجامعات الفرنسوية وهي تطبع في باريس

وهناك جريدة خاصة بالشعر الهزلي واحمال الزجل الفرنسوي يكتب فيها احياناً بعض مشاهير الكتاب والشعراء مثل اميل فاجيه وهنري دي رنييه

واغرب هذه الصحف الجريدة المسماة « لكودي مارميت » ووجه الغرابة فيها انها مكتوبة كلها بلهجة جديدة لم تستعمل قبل الخنادق وفيها مقالات تضحك الثكلى لما حوت من المزاح الخفيف الذي يكاد الفرنسويون يكونون محتكرين بهِ فضلاً عن افراغهِ في قوالب من الالفاظ والعبارات الجديدة الغريبة التي كان جنود الخنادق اول من استخدمها كما تقدم القول

الخرافات في بلاد الحضارة

ان التي سماها ابو تمام في ايامهِ اي منذ نحو الف سنة « تخرصاً واحاديثاً ملفقة » وحكم عليها في ذلك العهد الذي بلغت فيهِ اشدَّها بانها « ليست بنبع اذا عدّت ولا غرَب » هي ما نسميهِ نحن الآن بالخرافات ظاهراً في حين اننا نكبر امرها باطناً ونعاملها معاملة الحقائق لا الاوهام وعصرنا عصر النور والحضارة والعرفان

سر اينما كان من اوربا تجد ما يدهشك من آثار تشبث اهلها بالخرافات واعتقادهم بالجن وظهور ارواح الموتى للاحياء وشفاء الامراض بقوة خارقة سرية وأذى العين واتقائها بالتعاويذ والرقى والتمائم والسحر والشعوذة الى آخر ما هناك · وقد جاوزت هذه السخائف البلاد الحديثة العهد بالحضارة كروسيا والبلقان الى القديمة العهد بها كفرنسا وانكلترا وانتقلت بمثل العدوى من رؤوس الجهلاء الى رؤوس العقلاء · ففي فرنسا مزارات لا تحصى وفي انكلترا حديث « البيوت المسكونة » حتى افردت احدى مجلاتها الكبرى لها باباً خاصاً بها وروت عن تلك البيوت المسكونة كل عجيب وغريب

وبالامس كنّا نطالع « السينتفك اميركان » وهي اكبر مجلات اميركا العلمية كما يدلُّ اسمها فرأينا فيها فصلاً افتتاحيًّا بعنوان « اميركا الموسوسة » قالت فيهِ

لو ان صينيًّا او هنديًّا تربى تربية عصرية وزار الولايات المتحدة الاميركية ثم عاد الى وطنهِ وشاء ان يكتب رحلتهُ ويضمنها ما رأى وسمع عندنا لكتب ما يأتي :

ان الاميركيين شعب كثير الخرافات والوساوس · فجميعهم تقريباً يعتقدون بصنوف عديدة من علامات الفأل والشؤم او السعد والنحس ومن اشهر تلك العلامات واكثرها شيوعاً بينهم ان الرقم ١٣ رقم نحس · فالسياح منهم لا ينزلون في غرفة عددها ١٣ في الفنادق او البواخر فلذلك يحذف اصحاب الفنادق والبواخر هذا الرقم في تمير غرفهم · والمتعلمون رجالاً ونساء لا يجلسون على مائدة عدد الآكلين حولها ١٣

وترى المنجمين وقرَّاء الكف والجمجمة والعائفين والقافة زاهين زاهرين في كل بلدة اميركية · وقد بلغ التنجيم غايتهُ في بلد اكبَّ علماؤُهُ على درس علم الفلك حتى صاروا اخصائيين فيهِ بين علماء الارض · ولعلَّ المتعلمين منَّا الذين طالما سمعوا بمراصد يركس ولك ومونت ولسن يدهشون اذ اقول لهم ان كثيراً من صحف اميركا الكبرى تنشر جدولاً يوميًّا للطوالع تزعم انهُ مبنيٌّ على حسابات فلكية وكثيراً ما تنشئ مقالات طويلة في تكهنات ما انزل الله بها

من سلطان · وكل سنة تصدر في اميركا كتب في التنجيم يتصرف كاتبوها في هذا البحث كأنهُ من مباحث العلوم القانونية وفروعها الرسمية

نعم واكثر من ذلك · فمنذ بضعة اشهر اصدر محلٌّ من اشهر المحال التي تنشر الكتب في نيو يورك كتاباً في التنجيم قرظتهُ مجلة من اعظم مجلاتنا بقولها «كتاب عن تأثير الكواكب في الناس واعمالم وحركاتهم وسكناتهم · وهو مقدمة للتنجيم قوية البنيان متينة الاركان · وفيهِ اخبار عملية عن وضع جداول للطوالع» · ولو كان كتاباً في التنجيم لهان اذ معرفة التنجيم نافعة حتى في هذا العصر لا للانباء بالمستقبل ولا للتكهن بالغيب بل للاستعانة على فهم الماضي · ولكنهُ ليس من ذلك في شيء فقد كتب في القرن العشرين لاهل القرون الوسطى قرون الجهل والظلمة · وانكى من ذلك ظهورهُ لا في بكين ولا في بغداد ولا في ممرنجاباتام بل في مدينة نيو يورك

وفي مدينة بورتلند بولاية اوريجون مدرسة «كلية» للتنجيم وقد مضى عليها بضع سنوات وهي في نمو وازدياد ولها «اساتذة» خاصون بها · واذا رجع الواحد منَّا الى الموسوعات العلمية ككتب الانسيكلوبيذيا رآها تقول ان التنجيم فنٌّ قديم لا اثر لهُ الآن · ولكن اذا قلَّب المذكرات او التقاويم السنوية التي توصف بانها طبيَّة والتي يطبع منها عدد عظيم من الطبعات في السنة الواحدة رأى فيها اشارات واضحة الى تأثير الطوالع والابراج في اعمال الناس واحكاماً باتة بانها مصدر ما يرى من الخير والشر والقيّمة المسيطرة على كل عضو من اعضاء الجسم الانساني · وهذا كلهُ مبين بالرسوم الجميلة والخرائط المتقنة

ومن اضحك ما يروى انهُ في خلال جلسات المؤتمر العلمي الاميركي الذي عقد في مدينة وشنطن في الشتاء الماضي خصَّت احدى الصحف عمودين من اعمدتها كل يوم بوقائع المؤتمر · وفي احد الايام صدرت وبين هذين العمودين مقالة تملأُ نصف عمود وفيها خلاصة ما تكهن بهِ احد العرافين عن الحرب الاوربية القائمة الآن · فقد جمعت المعرفة والعرافة في صفحة واحدة من صفحاتها بل في صدر واحد وجعل لهما كليهما عنوانان حروفهما متساوية في الضخامة ولم يفرق بينهما بشيء من الاشياء» انتهى

نقول ولو كان ذلك عندنا ما كان في الامر غرابة لان المعرفة والعرافة في اللغة العربية من اصل واحد واشتقاقهما واحد اما وذلك في اميركا واميركا بلد المدنية الحديثة الراقية التي يجب ان تفرق بين الوهم والحقيقة و «تخلّص بين الماء واللبن» كما يقول الشاعر فتعليلهُ ان تصديق الخرافات صفة قديمة رسخت في النفوس بمرور القرون الكثيرة عليها فلا تزول منها

بعلم مضى عليهِ قرن او قرنان وقد لا تزول ابداً . ونحن نعرف جماعة من اكبر العلماء وارسخهم في العلوم الطبيعية كعباً وهم لا يستطيعون ان يحرروا انفسهم من قيد الخرافات مع محاولتهم ذلك فما قولك بجماهير العامة السريعة التصديق . وفي كل بلاد تجد فئة من الاذكياء الذين يرون موضع الضعف هذا من الجماهير فيتخذونهُ آلة للكسب وجرّ الربح . وهي فرصة سانحة لهم وهم اقدر الناس على اقتناصها فلا يتركونها تفلت من ايديهم

اخبرنا صديق صادق انهُ كان في باريس طبيب تعلم وتخرج في مدرستها الطبيَّة ونال الدبلوما المؤذنة لهُ بتعاطي صناعة الطب فاقام في منزل وكتب اسمهُ على بابهِ واستعان ببعض الاصدقاء على تعريف الناس بهِ ومضت عليهِ الايام والشهور وهو لا يكتسب من صناعتهِ ما يفي باجرة منزلهِ واخيراً اقنعهُ بعضهم ان يلجأ الى التدجيل ويدعي انهُ يشفي بالتنويم المغنطيسي وكتابة الحجب ففعل واقبل عليهِ المرضى والموسوسون واشتهر امرهُ وتبعهُ البوليس ورفعوا امرهُ الى المحكمة فابرز الشهادة التي تجيز لهُ التطبيب واستمرَّ على صناعتهِ . ونحن نعرف طبيباً نال الشهادة الطبيَّة من باريس ومن لندن ايضاً ولكنَّ كسبهُ المالي جاء من طريق المعالجة بالاستهواء . وهذه الحال لا تصلح الاَّ بعد القرون الكثيرة

مصر منذ تسعين سنة

(٩)

— اسرار الاهرام —

عزمت على زيارة الاهرام قبل ان ابرح مصر فذهبت الى قنصل دولتي وعرضت عليهِ عزمي فتلطف بمصاحبتي رغماً عما بهِ من المرض ونحول الجسم . ولما وصلنا الى فم الخليج اشتد بهِ السعال فاضطر ان يعود وترك احد القواصة لحراستي ولما ودعني قال لي لقد اشتد بي الضعف يادي نرفال واراني مضطرًا ان اتركك وحدك فاذهب مصحوبًا بالسلامة وقد هيأت لك مركباً عند مرفإ مصر القديمة فاركب بحراسة الله واجتز البحر الاعظم وها ان عيني تتبعك الى ان تصل الى الجيزة وهناك تستأجر الحمير فتوصلك الى الاهرام . واذا صعدت الى قمة الهرم الاكبر اوصيك ان تحصي بدقة درجاتهِ وتعد « مداميكهُ » من اسفلهِ الى قمتهِ لان العلماء على خلاف في ذلك . واذا زرت اهرام سقارة ودخلت مغاور المومياء ارجوك ان تأتيني بمومياء ابيس Ibis (طائر اللقلق) لاني اريد ان اقابل شكل هذا الطائر القديم بشكلهِ الجديد كما نراهُ الآن على ضفاف النيل

فودعتهُ عند جزيرة الروضة ووعدتهُ باحضار ما طلب . ثم اجتزت النيل الى الجيزة وانا افكر في قنصلي المريض الذي وهو على شفا قبره يهتمُّ بهذه المسألة العلمية التي شغلت افكارهُ وهو محسوب من علمائنا المجتهدين ولهُ موءلفات كثيرة في العلوم الطبيعية

وصلت الى الجيزة مع القواس وهناك استأجرنا الحمير لتوصلنا الى الاهرام . وفي الجيزة مدرسة حربية واصطبلات لتربية الخيول ومعامل لصنع البارود تحت نظارة ابرهيم باشا . وهناك ايضاً معامل لتفريخ الدجاج اصطناعيًّا . وكنا كلما تقدمنا في الطريق نرى الاهرام تصغر في اعيننا وذلك دليل على ان علوها يساوي عرضها عند قاعدتها . ولما وصلنا استقبلنا بعض فرسان العرب وهم يطلقون البنادق والغدارات في الهواء كأنهم يرحبون بنا تمهيداً لاخذهم ادلاء لنا . وقد عهد محمد علي باشا الى قبيلة من قبائل العربان في حفظ الامن على خط الاهرام وحماية السياح غير انهم يمثلون احيانًا امام بعض السياح الذين يتوسمون فيهم الخوف والسذاجة معركةً وهمية فيتآمرون على سلبهم وذلك بان يهجم نفر منهم بغتةً على السياح وهم مدججون بالاسلحة كأنهم يقصدون سلبهم والفتك بهم فيظهر حينئذٍ ادلاوءهم وحراسهم بمظهر الشجاعة والاستبسال ويخلصونهم من قطاع الطريق بعد معركة وهمية يمثلونها فيما بينهم وبهذه الوسيلة يخدعون السياح ويأخذون منهم مبلغاً طائلاً على سبيل المكافأة . وعين لي شيخ العرب المسأول عن سلامة السياح اربعة ادلاء يقومون بحراستي واصعادي الى قمة الهرم مقابل اجرة معينة غير انها تضاعفت بما يبتزون من ثمن المشاعل والبارود واجرة الحماية

ولما وصلتُ الى سفح الهرم الاكبر وقفت عند الدرجة الاولى حائراً وعلوها يقارب قامتي فكيف يمكنني ارتقاوءها . وفي اقل من لمح البصر قفز اثنان من ادلائي فوق الحجر الاول وجذباني من تحت ابطيَّ بينما الاثنان الاخران حملاني من وسطي وعلى هذه الحالة صعدنا من درجة الى اخرى حتى وصلنا الى باب مدخل الهرم وهناك مصطبة متسعة جلسنا عليها للاستراحة . وما اشد دهشتي حينما رأيت بعض الفتيات الصغيرات من بنات العرب تسلقنَ بخفة كالقردة من غير ان يستعنَّ باحد وفي ايديهنَّ القلل مملوءة من ماء النيل المبرد ثم وقفن امامنا وهنَّ حفاة وقدمن لنا الماء وطلبنَ « البقشيش » فدفعناهُ عن طيبة خطر ونحن معجبون بخفتهنَّ . ثم صعدنا الى قمة الهرم وعلى ظاهر حجارتهِ العليا بقايا طبقة كلسية حمراء اللون وذلك دليل على ان واجهاتهِ كانت قديمًا مكلسة من الاسفل الى الاعلى كالهرم الاخر مقابلهُ . وقد رأى هيرودتس هذه الطبقة الكلسية محفوظة حينما زار الهرم سنة

٤٦٠ ق٠م فالهرم الأكبر منسوب لخيوبس والثاني لشفرن والثالث لمسرين٠ ومن قمة هذا الجبل الاصطناعي تظهر مناظر مدهشة بديعة على مدى بعيد فمجرى النيل يظهر للعين من وراء اهرام سقارة الى الدلتا وهناك احد عشر هرماً صغيراً ومن الغرب تظهر جبال ليبيا الجرداء ومن الجنوب غابات النخيل الخضراء حول ممفيس مدينة الالهة وعاصمة الفراعنة٠ واما القاهرة فتمتد من سفح المقطم في سهل متسع بقبابها العالية وجوامعها الفخمة ومآذنها التي تناطح السحاب٠ وعلى حجارة الهرم الضخمة نقرت اسماء السياح الذين صعدوا فوقهُ٠ على اني لم اجد بين اسمائهم اسم نابوليون بونابرت وفي ظني انهُ وقف عند سفحهِ ولم يصعد الى قمتهِ٠ وربما انفت نفسهُ الابية وهو القائد الفاتح العظيم ان يحمل بايدي العربان ويتداولوهُ كالكرة يتلقفها الصغار

وبينما كنت على اهبة النزول واذا بعربان يحملون رجلاً اشقر اللون في يديهِ قفازان كأنهُ آتٍ لحفلة رقصٍ ولما وطئت قدماهُ مصطبة الهرم العليا ورآني حنى رأسهُ قليلاً محيياً فظننتهُ في بدء الامر انكليزيًّا٠ وقال لي بلغةٍ فرنسوية تشوبها نغمة جرمانية « نحن الآن على اعلى قمةٍ صنعتها ايدي الانسان ولا شك اننا من قارة واحدة فيجب ان نتعارف٠ فانا احد ضباط الحرس لجلالة ملك بروسيا وقد سمح لي جلالتهُ ان التحق بالبعثة العلمية البروسية التي وصلت منذ امدٍ قريب الى مصر وهي تحت ادارة العالم الشهير لبسيوس للتنقيب عن الآثار التاريخية والعلمية »٠ ثم اخذ من محفظتهِ رقعة مطبوعة باسمهِ وقدمها لي فاضطررت ان اعرفهُ بنفسي لما بدا من لطفهِ وادبهِ٠ ولما عرف انني سائح دعاني لزيارتهِ في قصر ملك بروسيا اذا مررت في سياحتي بمدينة بوتسدام وقال لي ايضاً « عجباً كيف تنزل من هنا من غير ان نتناول الشاي او شيئاً من الطعام على عادة كل السياح الذين يصعدون الى هذه القمة وكما يفعلون ايضاً عند ما يصعدون الى عمود بومباي في الاسكندرية٠ واني ادعوك الى الاكل معي٠ فرأيت نفسي مضطراً لقبول دعوتهِ٠ سائحان اوربيان فوق قمة الهرم الاكبر وفي وسط افريقيا يجب ان يحسبا نفسيهما كمواطنين ولو كانا من بلاد مختلفة٠ ثم اشار الى احد العربان من ادلائهِ فوضع امامهُ سلاً مملوءًا بالوان الطعام وادوات الشاي فجلسنا نأكل ونحن نتبادل الحديث وقد اوضح لي هذا الضابط الالماني مهمة البعثة البروسية العلمية وما اكتشفتهُ من الآثار الثمينة٠ وقال انها الآن في الفيوم عند بحيرة موريس (قارون) تبحث عن مدن التيه القديمة المدفونة التي طغت عليها مياه البحيرة كما ورد في التاريخ القديم٠ وقال لي ان هذه البعثة توصلت بحثها الى اكتشاف مدن مبنية

بالطوب الاحمر منذ آلاف من السنين وقد طمرتها الرمال وفي عهد غير معلوم طغت عليها المياه فصارت مكانها بحيرة هي الآن بحيرة موريس . وعلى ما ارى ان هذه البعثة تتبعت ابحاث المجمع العلمي الفرنسوي المصري الذي انشئ منذ وصول الحملة الفرنسوية . ورأيت رفيقي هذا بحاثة عالماً واسع الاطلاع فسررت جداً من التقائي بهِ وعند ما فرغنا من الاكل اخرج من سلتهِ زجاجة « عرقي » المانيّ فشربنا نخب تعارفنا وذكرى التقائنا فوق قمة الهرم

ثم نزلنا من القمة وجلسنا عند مدخل الهرم وهناك مصطبة واسعة وحجر كبير من الرخام عرضه ست عشرة قدماً نقش عليهِ تاريخ الحملة الفرنسوية واسماء قوادها واعضاء بعثتها العلمية بحروف هيروغليفية كتبت على طريقة شمبوليون يقابلها ترجمة الكتابة باللغة الفرنسوية . وبينما كنت اقرأ هذه الكتابة وقد هزتني الاريحية والفخر الوطني واذا برفيقي البروسي وجه نظري الى كتابة اخرى على حجر ضخم وهذا مآلها « ان البعثة العلمية البروسية المرسلة من جلالة فريدريك غليوم الثالث ملك بروسيا وتحت رآسة المرلبسيوس العالم الشهير قد زارت اهرام الجيزة الثلاثة »

وبينما نحن في الحديث اذ اقبل بعض العرب وهم ذوو لحى كثيفة واوساطهم مدججة بالاسلحة والغدارات والخناجر وقد جلسوا على مقربة منا ينظرون الينا خلسة . ولما سألنا ادلاءنا العرب عنهم اجابوا انهم من عرب الصحراء . قلت وما شأنهم هل يقصدون النهب والسرقة والاضرار بنا ؟ قالوا كلا انهم آتون لحمايتكم من البدو وقد رأوا نفراً منهم عند سفح الهرم يترصدون نزولكم . قلت ولكن قناصلنا قالوا لنا ان لا خوف علينا من العرب وان محمد علي باشا طهر البلاد من شرورهم وجعل الاهرام والسياح تحت حمايتكم . قالوا نعم ولكن لاقبل لنا بمهاجمة البدو وهم اكثر منا عدداً ولذلك دعونا هؤلاء لحمايتكم وهم من رجال قبيلتنا . فلم يعبأ رفيقي الضابط بهذا الحديث الكاذب واخذ غداراتهِ ووضعها بجانبهِ بعد ان تعهدها واعدها . واخيراً ارتضينا ان ندفع الاتاوة المطلوبة منا لهؤلاء العربان الذين تظاهروا بحمايتنا وكان نصيبي من هذه الضريبة خمسة فرنكات ونصيب رفيقي كولونادا ونصف (اي ريال ابو عامود وكان متداولاً في ذلك الوقت) وقلنا لهم اننا لا نصدق رواياتكم المختلقة ولكننا ندفع هذه النقود كبقشيش لكم

ثم دخلنا الى باطن الهرم وطرقنا مسالك ضيقة معوجة صعوداً وهبوطاً مرة نطأطئ رؤوسنا وآونة نزحف على ركبنا الى ان وصلنا الى شق متسع بين صخرين قيل لنا انهُ هوة عميقة لا قرار لها وكان بعض العربان يتقدموننا وبيدهم المشاعل الى ان نزلنا نحو مائة

وخمسين قدماً . ثم صعدنا في درج متعرج مسافة مئتي قدم ووصلنا الى مغارة متسعة في وسطها بئر عميقة مظلمة . وهناك باب منقور في الصخر يتصل بمغارة او مخدع واسع هو النقطة الوسطى من الهرم ويقال لهُ ايضاً « قاعة الملك » . ولما وصلنا الى هناك اطلق العربان بنادقهم وغداراتهم في الهواء ولما سألناهم عن السبب اجابوا انهم يفعلون ذلك لطرد الثعابين والافاعي والخفافيش المعشّشة هناك لئلاً تؤذينا والحقيقة انهم يريدون قبض الكولونادا المعهود ثمن البارود . ثم خرجنا من هناك ورجعنا الى مدخل الهرم وجلسنا على المصطبة وكان رفيقي البروسي يشرح لي كيفية بناء الاهرام والغرض من انشائها ويروي لي عن اسرار الكهنة المصريين القدماء وحفلاتهم واجتماعاتهم السرية داخل هذا الهرم والمسالك الخفية الارضية الممتدة بينهُ وبين معبد الالهة ايزيس في منفيس (البدرشين) روايات غريبة مدهشة وعلى ما اظن ليس بين علماء الدنيا من يهتم باظهار مكونات التاريخ وخفايا اسرار العاديات ورموز المعبودات والاديان القديمة غير العلماء الالمان

فقد قال لي هذا العالم البروسي ان الكهنة المصريين الاقدمين جعلوا مداخل الهرم واقبيتهُ ومغاورهُ وهوّاتهِ ومسالكهُ الضيقة المتعرجة محفلاً او نادياً سريّاً لاجتماعاتهم الخفيّة وحفلاتهم الكهنوتية وللمداولة في شؤون مصر السياسية والقضائية والدينية . وهنا يجتمعون لاختبار المترشحين وامتحان طالبي الدخول في سلك الكهنوت المصري . فبعد ان يتعلم الطالب الحكمة والاصول الدينية واسرار الالهة يعدونهُ لاختبارات عديدة بدنية وادبية (على مثال الامتحانات الماسونية الآن) فيستقبل الكهنة المترشح عند مدخل الهرم ويضعونهُ في عربة صغيرة قصيرة يتربع فيها كعجلة المقعد ثم يدفعونها بقوة في المسلك المنحدر فتهوي بسرعة الى الغرفة الوسطى عند البئر او الهاوية العميقة كما يفعل في بعض العاب لونابارك . فاذا جاز هذا الامتحان غير هيّاب ولا وجل يعدونهُ للامتحان الثاني وهو انهم يضعون على رأسهِ خوذة علّق عليها مصباح صغير ليستنير بهِ عند انحدارهِ في الهاوية العميقة مسنداً رجليهِ الى حافتيها وممسكاً بمسامير حديدية بين الواحد والآخر ذراع الى ان يصل الى قعر البئر وهناك يجد باباً حديديّاً يفتحهُ ثلاثة رجال على وجوههم صفائح نحاسية تمثل وجه الكلب وهو هيئة المعبود انوبيس عندهم . ويجب على المترشح ان لا يظهر خوفاً ولا وجلاً ولا يبالي بتهديدهم ونباحهم ويجتاز الممشى الطويل او السرداب الضيق زاحفاً على يديهِ ورجليهِ الى ان يصل الى شبه غابةٍ كثيفة مظلمة . وفي الامتحان الثالث تظهر امامهُ تلك الغابة مستعرة بلهيب النيران وحينئذٍ يشير اليهِ اولئك الرجال ان يجتاز تلك الغابة الملتهبة بلا تردد ولا خوف

وما هي سوى نار اصطناعية فاذا اجتازها بجراءة يصل الى نهر او بحيرة كبيرة عميقة تتلاطم امواجها بقوة بواسطة رفاصات وعجلات ميكانيكية . وعلى المترشح ان يجتازها سباحة من ضفة الى اخرى ولا يخشى الغرق والامواج تدفعهُ الى الوراء حتى يتغلب عليها بعدان تخور قواه من التعب . وعند الضفة سلم عالٍ دقيق يتمسك بهِ . وحينئذٍ يبتدئ الامتحان الرابع وذلك ان عاصفة قوية تثور فكلما وضع المترشح رجلهُ على درجة السلم يهتز اهتزازاً عنيفاً قوياً ويتمايل بهِ يمنةً ويسرةً حتى يكاد يسقط في الماء فيجب عليهِ ان يتغلب على تلك العواصف والرياح الى ان يصل الى اعلى درجة من السلم بعد ان تنهك قواه فيلقى حلقتين من الحديد يتمسك بهما ويبقى ساعة معلقاً في الفضاء الى ان يفتح امامهُ باب على قيد عدة اذرع منهُ فيجب عليهِ ان يترجح وهو متمسك بالحلق الى ان تصل رجلاه الى عتبة الباب فيقفز الى الداخل فاذا تمكن من ذلك اجتاز هذا الامتحان والأ هوى من ذلك العلو الشاهق الى البحيرة وطرد مهاناً خائباً . فاذا دخل وجد نفسهُ في صحن هيكل للمعبودة ايزيس في وسطهِ تمثالها البديع العاري فيستقبلهُ كهنتها بالتجلة ويهنئونهُ باجتيازهِ الامتحانات السابقة

ان الذين يجتازون هذه الامتحانات الاربعة من المترشحين للكهنوت المصري لقليلون ويندر جداً من يقدر ان يجتاز الامتحانات الباقية وذلك ان في داخل الهرم سرداباً طويلاً ضيقاً سرياً تحت الارض يصل الى هياكل الالهة العظمى في ممفيس عاصمة مصر (البدرشين) فيجب على المترشح للامتحان الخامس ان يجتازهُ مشياً وزحفاً وصعوداً وهبوطاً حتى يصل الى مدخل هيكل الالهة ايزيس وهناك يستقبلهُ كهنتها وكاهناتها باحتفال والموسيقات تعزف والاناشيد تنشد فيجب عليهِ في هذا الامتحان ان يطهر نفسهُ وجسمهُ بصوم مدتهُ واحد واربعون يوماً قبل ان يشاهد مجد المعبودة ايزيس ارملة اوزيرس وجلالها العظيم وجمالها الفتان . فيصوم الطالب من مشرق الشمس الى مغربها وعند المساء يعطى قطعة صغيرة من خبز الالهة وجرعة من ماء النيل المقدس ويسمح لهُ في مدة هذا الصوم ان يجالس الكهنة ويحضر مجتمعاتهم ويتلقى دروس الحكمة وبعض الاسرار الدينية وانساب الالهة وتواريخهم ولهُ الحق في البحث والاستقصاء والاستفتاء والسؤال عن بعض الدروس العويصة والاختلاط مع هؤلاء القوم المنقطعين عن العالم تحت اقبية الهياكل حتى ان سميراميس الاشورية التي ملكت بابل قبل المسيح بثلاثة آلاف سنة لما اتت لمصر وارادت ان تضع اساسات مدينة بابل الجديدة (مصر القديمة الآن) ذعرت وارتاعت لما رأت جيشاً من الكهنة تحت سراديب الهياكل القديمة منقطعين عن العالم الخارجي

فقلت لرفيقي دعنا من هذه الاقاصيص اليونانية الخرافية وتمم حديثك عن الامتحانات الاخرى فقال

بعد ان يطهر الطالب نفسهُ بهذا الصوم الطويل يجب عليهِ ان يختلي برياضة روحية دينية مدة ثمانية عشر يوماً يسمح لهُ في اثنائها بمطالعة كتب الكهنة ويعطى ورقاً وحبراً وقلماً ليكتب تقريراً صحيحاً عن سيرة حياتهِ الماضية يكون اعترافاً مدققاً . ويتلى هذا التقرير في مجتمع سري من الكهنة ثم يؤتى بالمترشح الى هذا الاجتماع ويختبر شفاهيًّا باسئلة وامتحانات دقيقة مدة اثني عشر يوماً واخيراً اذا تحققت اهليتهُ يسمح لهُ ان يرقد مدة تسعة ايام تحت قدمي تمثال ايزيس بعد ان يتلو امامها صلوات وتضرعات يطلب فيها ان تظهر لهُ في نومهِ وتلهمهُ الحكمة وتنير ذهنهُ في العلوم والاسرار الدينية

وبعد ثلاثة اشهر يقضيها الطالب في ممفيس يتمرن فيها على الحكمة ومعرفة الاسرار والتغزل بجمال الالهة ايزيس حتى يصبو الى مرآها حية تظهر لهُ بجمالها الفتان وتبتسم لهُ وتمد لهُ ذراعها فيطير قلبهِ فرحاً فاذا كتم عشقهُ وسجدلها خاشعاًفانهُ يجتاز الامتحان السادس والاَّ فاذا مد يدهُ ليلمسها او ليقبل ذراعها احاطت بها غيوم من البخور والروائح العطرية وغابت عن بصرهِ وطرد من الهيكل

ثم تصنع للمترشح الذي يجتاز هذا الامتحان وليمة حافلة ويجلس بين الكهنة ويسقى من خمر الالهة المصنوع من عصير اللوتس فيغلب عليهِ النعاس وينام نوماً عميقاً وينقل وهو على تلك الحالة الى ضفاف بحيرة قارون وهناك حدائق غناء وجنان سرية في مرج تحيطهُ الاودية الخصيبة تجري من حولها الجداول والسواقي وهذه الجنان حرم للكهنة ايزيس لا تطأها اقدام غريبة وهي محاطة بتلال واودية ووهاد عميقة وغابات كثيفة وقد غرس فيها كل ما على وجه البسيطة من انواع الاشجار المثمرة والرياحين والازهار وسرحت فيها الحيوانات الداجنة والايائل والغزلان وحامت عليها الطيور الجميلة وهي تسبح الالهة وتغرد بكرة وعشية . ولهذه الجنان باب واحد يدعى باب الفردوس . واذا استيقظ المترشح من رقادهِ العميق يرى نفسهِ وحيداً في غياض الورد والازهار فيسير في تلك الرياض جذلاً نشوان يتمتع بنعيم الجنان . الاَّ انهُ يمل من تلك الوحدة والعزلة فتذكو فيهِ عاطفة الحب وتصبو نفسهُ الى الالفة مع شخص مثلهِ او امرأة تؤنسهُ في وحدتهِ وحيئذٍ تظهر امامهُ فتاة بديعة الحسن والجمال وهي حورية من الجنان تظهر على مثال المعبودة ايزيس تكتنفها غمامة بيضاء وتشير اليهِ بالدنو منها وتسمح لهُ ان يتمتع بمرأى جمالها ومحاسنها البديعة الفاتنة مكافأة لهُ على اجتيازهِ الامتحانات السابقة

وحينئذٍ يبتدئ الامتحان السابع والاخير فتقدم لهُ تلك الحورية ثمراً حرم عليهِ الاكل منهُ او تغويهِ لان يتمتع بملذات طبيعية يجب عليهِ ان يعف عنها فاذا تناول الثمر منها او اظهر ميلاً اليها اختفت الحورية من امامهِ في الحال وطرد من نعيم الفردوس الى الأبد فيرجع الى نعاسهِ و يُخرَج من النعيم واذا استيقظ يجد نفسهُ ملقى عند سفح الهرم مطروداً مهاناً »

فلم اتمالك حينئذٍ من ان اقول لرفيقي البروسي انك لتروي لي قصة آدم وحواء التي ذكرها موسى في بدء سفر التكوين · فقال نعم ولكن هذه القصة كانت معروفة عند الكهنة المصريين الاقدمين قبل موسى بآلاف من السنين وكذلك ذكرت في كتب الفرس والهنود الاولين فرواية آدم وحواء او بالحري بدء الخليقة شائعة ومعروفة عند كل الشعوب الاقدمين تحت صور مختلفة الأ ان الموضوع فيها كلها واحد · وقد اكتشف اخيراً احد علمائنا في بلاد الصعيد الاعلى حجراً نقش عليهِ منذ اربعة آلاف سنة صورة رجل واقف مع امرأة عارية تحت شجرة تحمل ثمراً وتلتف حولها حية رأسها على شكل المعبود تيفون اله الشر والمرأة تقدم للرجل ثمرة من الشجرة المحرمة · فلا يداخلك شك ان رواية الفردوس والحية والشجرة كانت معروفة عند الكهنة المصريين قبل ان يكتب موسى سفرهُ بآلاف من السنين · ومما لا ريب فيهِ ايضاً ان موسى نفسهُ الذي تربى في قصر ابنة فرعون قد درس علوم المصريين وعرف اسرارهم وطلب الدخول في طغمة الكهنة وجاز الامتحانات الستة الاولى ولكنهُ سقط في الامتحان السابع الاخير وطرد ولذلك عمد الى مناصبة الكهنة المصريين العداء جهاراً الى ان خلص شعبهُ من عبوديتهم وكتب لهم التوراة اي الاسفار الخمسة ومعظم رواياتها التاريخية وطقوسها الدينية واحكامها الشرعية مقتبسة من المصريين الاقدمين

فقلت لرفيقي يظهر لي ان افكارك مشبعة بتعاليم فولتر المخالفة للدين وآراء تلميذهِ فريدريك الثاني ملككم السابق · فاجابني بحدةٍ نحن الالمان اكثر منكم تديناً ايها الفرنسويون ولكن دأبنا ان لا نسلم بقضية ما الأ بعد البحث والتدقيق وتحليل المسائل التاريخية تحليلاً علمياً اثرياً وتمحيصها تمحيصاً دقيقاً حتى نصل الى الحقيقة · فرواية آدم وحواء ولو كان الهنود والفرس والمصريون ذكروها قبل موسى لا تخلو من الحقيقة فسواء نقلها موسى عن المصريين بعد ان درس فلسفتهم واطلع على علومهم واسرارهم او نقلها عن غيرهم فهي حقيقة · ثم انهُ ليس موسى وحدهُ هو الذي سقط في الامتحان الاخير بل ان كثيرين غيرهُ من العلماء والفلاسفة اليونان والرومان الذين زاروا مصر وطلبوا الدخول في سلك

الكهنة المصريين واخذوا عنهم علومهم الدينية سقطوا في تلك الامتحانات كتربتولين واورفي وفيثاغورس وهيرودتس كما تقدم وغيرهم [1]

فالاول اسس جمعية افلافيس السرية في اتيكا والثاني انشأ الجمعية الشهيرة عند اليونان بجمعية الكابير ونشرها في لمنوس وساموثراكي وغرضها عبادة الالاهات عبادة مادية جسمية والثالث كتب عن ديانة المصريين وانشأ جمعية خفية معروفة بجمعية لبنان السرية وضع فيها لليونان عبادة عشتروت الاهة الزهرة عند الفينيقيين

وما انتهى رفيقي من مباحثهِ الخرافية حتى غربت الشمس ولم يعد في وسعنا الرجوع الى القاهرة في تلك الليلة فبتنا في فندق صغير اومنزل خلوي في سكة الهرم لاحد الطليان·

وفي صباح اليوم التالي ذهبنا الى البدرشين وتفرجنا على آثار ممفيس القديمة وزرنا اهرام سقارة ورأينا هناك الهرم المبني بالطوب الاحمر الذي بناهُ العبرانيون لملوك الفراعنة على عهد عبوديتهم في مصر ودخلنا الى مدافن الحيوانات المقدسة وفيها الوف بل ملايين من الهررة والكلاب والطيور والاسماك والتماسيح والحشرات المحنطة · ولم انس وعدي لقنصل فرنسا فاخذت مومياء الطير ايبس وجدتها ضمن قارورة من خزف طيبة ثم ودعت رفيقي الضابط البروسي ورجعت الى القاهرة

وعلى اثر وصولي ذهبت الى القنصل لاودعهُ قبل سفري واعطيهُ المومياء فقيل لي ان المرض اشتد بهِ فسافر الى الاسكندرية للاستشفاء وعلمت بعد ذلك انه ذهب الى اسبانيا وتوفي هناك فاسفت كثيراً على موتهِ · وفي اليوم التالي تهيأت للسفر الى دمياط بطريق النيل في المركب الذي كنت قد استأجرتهُ بواسطة القنصل وكان راسياً في مرفإ بولاق

ديمتري نقولا

---

(١) تربتولين ملك افلافيس في اليونان اخترع ادوات الحراثة وزار مصر ورجع الى بلادهِ وعلم اهل اتيكا الفلاحة والزراعة · واورفي ملك تراقية كان بارعاً في الموسيقى وزار مصر وفقد زوجته افريدس فطاف اقطار الارض وهو يفتش عليها حاملاً قيثارهُ الى ان وجدها · وفيثاغورس عالم وفيلسوف يوناني عاش في القرن الرابع ق · م · ولد في ساموس وساح في سورية ومصر وهناك تعلم حكمة المصريين ورجع الى بلادهِ وانشأ جمعية سرية معروفة ظاهراً بالزهد عن العالم وله مؤلفات واختراعات عديدة واليهِ ينسب اكتشاف القياس المنطقي والعناصر الاربعة وجدول الضرب · واما هيرودتس فمؤرخ يوناني عاش في القرن الثالث ق · م · ومشهور بلقب ابي التاريخ طاف في كل بلاد الشرق وزار مصر وفينيقية ودرس علوم المصريين وله مؤلفات تاريخية مدققة يعتمد على صحتها وكتب باستيفاء واسهاب عن ديانة المصريين وعلومهم واسرار كهنتهم

النجاة من مخالب الموت

لخصنا في مقتطف سبتمبر وصف معركة جتلند البحرية كما كانت تبين لمن حلّق فوقها ورأى السفن التي اشتركت فيها تجيء وتروح وتكر وتفر . وقد وقفنا الآن على ما كتبهُ بعض الرجال الذين اشتركوا فيها ونجوا من مخالب الموت فرأينا ان نلخصهُ عبرةً للذين لا يعلمون قيمة الحرية التي يدافع عنها الحلفاء او قيمة التفوُّق البحري الذين يبغون الاحتفاظ بهِ

قال رجل اسمهُ شو من بحارة الطراد الانكليزي ور يورا (الذي تفريغهُ ٢٧٥٠٠ طنّ وسرعتهُ ٢٢٫٥ ميلاً بحريًّا في الساعة وفيهِ ستة مدافع مما قطرهُ ٩٫٢ بوصة) اخذنا خطة الهجوم في اول القتال وذقنا الامرَّين ولكننا سلمنا مع كل ما اصابنا من قنابل العدو . ثم بلغنا ان طراداتنا الكبرى (طرادات القتال) وصلت واشتبكت في القتال ايضاً لكننا لم نتحقق صدق الخبر وفي الساعة الثالثة بعد الظهر أُمرنا ان نكون على تمام الاستعداد ثم قيل لنا ان الخبر صحيح ولا بدَّ من الاسراع الى المعمعة فابرقت اسرَّتنا وتهللت وجوهنا . وكنا قد تذاكرنا كثيراً فيما نستطيع فعلهُ وما نعجز عنهُ والآن حانت الفرصة لاظهار مقدرتنا وهذا سبب سرورنا ولكننا لم نطش بل لزمنا جانب الرزانة وجرى كل واحد منا في عملهِ كأنهُ من الاعمال العادية التي نعملها كل يوم . ودمنا على مثل ذلك كل مدة القتال حتى لما ضاقت حلقاتهُ علينا واشرفنا على الهلاك لم ارَ احداً منا تولاَّهُ الجزع . وهذه فائدة التمرين والتدريب فانهما يسهّلان على صاحبهما خوض المعارك غير هيَّاب ولا وجل

ثم قيل لنا هبوا الى سلاحكم فاديرت الابراج وحشيت المدافع وكانت سفن العدو لا تزال بعيدة عنا حينما وقع نظرنا عليها . ولما ابتدأ طرادنا يطلق مدافعهُ شغلت حتى لم اعد ارى الأ ما انا فيهِ وما يحدث على مقربة مني لان ميدان القتال كان واسعاً جدًّا يعسر الالمام بهِ . فهجمنا على العدو والطرَّاد دفنس في طليعتنا وأُمرنا حينئذٍ ان نطلق المدافع على طراد خفيف من طرادات الالمان كان على نحو ١٦٠٠٠ يرد منا ولم يكن الأ قليل حتى اضرمنا النار فيهِ ولكن انبرى لنا اربعة طرادات كبيرة من طرادات القتال الالمانية واصلتنا ناراً حامية وكانت دروعها اسمك من دروعنا ومدافعها اكبر من مدافعنا فلم تمضِ ثمان دقائق حتى اصابت الطراد دفنس في مؤَخرهِ ثم اصابتهُ في مقدمهِ وهو لا ينفك عن الدنو منها واطلاق مدافعهِ عليها الى ان اصابت قنبلة مخازنهُ ونسفتهُ فوارتهُ اليمُّ بعد ان حارب رجالهُ حرب الابطال

وحينئذٍ سدّدت هذه الطرادات الاربعة كل مدافعها الى طرادنا فعطّلت اولاً آلاتنا البخارية التي الى اليمين والطلمبات المائية فصرنا مضطرين ان نحرك كل مدافعنا بايدينا . ثم سدّدنا مدافع المؤخر الى الطراد الخفيف الذي اضرمنا فيهِ النار اولاً وكانت المسافة بيننا وبينهُ قد صارت اقل من ستة آلاف يرد فاغرقناهُ حالاً ولم نُغرق نحن غيرهُ لان الطرادات الكبيرة كانت اكبر واقوى من ان نستطيع اغراقها بمدافعنا . ولما درنا لضرب الطراد الصغير تعرَّضنا لنار حامية من خمس بوارج المانية من طرز الكونغ فسدَّدت الينا مدافعها التي قطر فوهة كلٍ منها ١١ بوصة و ١٤ بوصة . وقد التقطتُ قطعة من قنبلة انفجرت على ظهر طرادنا وقطر دائرها ١٤ بوصة وحينئذٍ دخلت قنبلة كبيرة غرفة الدينامو فلم تبقِ فيها ولم تذر فانطفأت كل الانوار الكهربائية وتعطلت كل اسلاك التلفون في مخازن الذخيرة والآلات فصرنا مضطرين ان نتلمس تلمساً في الظلام وصار يصعب علينا نقل الاوامر من جهة الى اخرى . ودخلت قنبلة غرفة المهندسين وحطمت جانباً من العضائد القائم عليها برج مدفعي ولكنها لم تنفجر لحسن البخت ولو انفجرت لما بقي من يكتب هذه السطور . ثم جاءت قنبلة ثانية ونزلت على ثماني اقدام من مقدم برج مدفعي وثالثة على سبع اقدام وراءهُ ثم وقعت قنبلة في البحر على نحو ٢٠ قدماً من فوهة مدفعي وانفجرت هناك وكان لانفجارها هزَّة شديدة رمتني الى الوراء وكادت تصرعني ولكنني لم اغب عن الصواب الاَّ بضع ثوانٍ ثم انتبهت وسررت لانني لم ازل في قيد الحياة . وتخرَّق طرادنا في اماكن كثيرة وقتل من رجالنا ٦٦ وجرح ٢٥ واكثرهم من الذين كانوا موكلين باطفاء النيران لانهم كانوا مضطرين ان يجتمعوا جماعات . وقد تمزقت اعضاء البعض منهم تمزقاً وقتل بعضهم بالغازات الخانقة لان الالمان اطلقوا علينا كثيراً من القنابل الغازية لكن هذه الغازات لم تفعل الاَّ في الاماكن المحصورة الهواء بين طبقات السفينة . ولو لم يبادر البحارة الى رفع الحواجز المدرعة التي تفصل غرف الطعام عن ظهر السفينة حتى يدخلها الهواء النقي لكثر الذين خنقتهم الغازات . ولم يكن رفع هذه الحواجز بالامر السهل لكثرة ما تلوَّت بما اصابها من القنابل لكن تعبنا في رفعها لم يذهب سدًى لانهُ نجَّى كثيرين من اخواننا من الموت اختناقاً . اما الذين قُتلوا على ظهر الطراد فقليلون جدًّا مع كثرة ما اصيب بهِ من القنابل . ووقعت قنبلة صغيرة في بيت المؤونة فاطارت اللحم وسائر الاطعمة منهُ وبعثرتها في كل جهة . ووقعت قنبلة اخرى في الظهر المقدم فاضرمت النار فيهِ وتعبنا جدًّا في اخمادها قبلما تغلبنا علينا

واتضح لنا حينئذٍ انهُ لا بدَّ من غرق طرادنا بعد بضع دقائق وبينما نحن نفكر في ذلك

واذا بالبارجة ورسبيط قد دنت منا فاشتغل بها العدو عنا وهي علة نجاتنا فان الالمان وجدوا فيها عدوًّا لدوداً لاسيما وان مدافعها من عيار ١٥ بوصة فكالت لهم بالكيل الذي كالوا وازيد ولكن لم يكن الاَّ قليل حتى وقع خلل في الآلة التي توجهها فصارت تدور في دائرة كلما حاولت التقدم اما نحن فهربنا في ظلها معتمدين على الآلة البخارية في موَّخر طرادنا لانهُ لم يبقَ لنا سواها ولم نبعد كثيراً حتى بطل عمل هذه الآلة ايضاً فاضطررنا ان نقف مكاننا . ومن ثم يظهر انهُ لولا مبادرة الورسبيط الينا للقينا حتفنا في تلك اللحظة . وبعد قليل وصلت بوارجنا الكبرى فاركنت بوارج العدو الى الفرار

وكانت قواربنا قد تعطلت كلها فجعلنا نصنع الارماث (الاطواف) لنجو عليها حينما يغرق طرادنا ودنت منا حينئذٍ سفينة الطيارات المائية فجعلنا نمد الاسلاك اليها لكي تقطر طرادنا ما دام عائماً على وجه الماء وكان معنا ١٥ نجاراً فقتل منهم ١١ وبقي اربعة فقاموا بعمل الارماث بهمة لا تجارى تحت اشد المخاطر وهم باذلون جهدهم في منع الطراد من الغرق . وقطرتنا سفينة الطيارات الساعة الثامنة مساء وسارت بنا تحت جنح الظلام وقد زادت المياه التي دخلت طرادنا رغماً عمَّا بذلنا من الهمة في اخراجها منهُ وكنا نحسب في كل لحظة انهُ سيغرق بنا لكننا لم نغادرهُ ولا ابطلنا اخراج الماء منهُ ولا بدا اقل شيء من التذمُّر على وجه احد . ومضى الليل كلهُ ونحن على هذه الصورة وطلع الفجر وكان الماء قد زاد في الطراد واما لهُ على احد جانبيهِ وجعلت الامواج تمرُّ على ظهرهِ ولم يبقَ لنا الاَّ ان نغادرهُ فطلبنا من سفينة الطيارات ان تعود الى جنبهِ ونقلنا اليها جرحانا ثم انتقلنا نحن اليها ايضاً وودعنا طرادنا الوداع الاخير وهتفنا لهُ ثلاثاً وانشدنا انشودة فيها اسمهُ ثم ابعدنا عنهُ فلم نرهُ حينما غاص في ذلك الخضم

وكتب ضابط صغير كان في المدمرة المسماة فورتشن قال ما خلاصتهُ

كانت مدمراتنا خمساً تسير امام البوارج الكبرى (الاسطول الانكليزي الاكبر) كستار لها وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والاربعين اتانا من الاميرال بيتي اشارة يقول فيها « اننا مطاردون طرادات العدو ومدمراتهِ شمالاً » ثم جاءتنا اشارة اخرى يقال فيها انهُ يجب ان نسرع باقصى جهدنا . فصدعنا بالامر وبعد قليل جاءنا منهُ انهُ اشتبك مع اسطول العدو . ولما بلغ هذا الخبر الاميرال جليكو بادر باسطولهِ تتقدمهُ مدمراتنا

وكنا كلنا جارين باشد سرعتنا ونكاد نطير فرحاً لاننا كنا متوقعين ان تسنح لنا

الفرصة للايقاع بالعدو · ونحو الساعة السادسة مساء وصلنا الى ميدان القتال وظهر لنا ان اسطول الاميرال بيتي يحاول ان يخرج من بين بوارج العدو ويجرُّها الى حيث كان اسطول البوارج الكبرى وكنا قد بلغنا منطقة النار ونحن جارون نحو العدو باشد سرعتنا فجعلت القنابل تنهال علينا وتتساقط حولنا وقد سقط بعضها على بضع اقدام منا وبعد قليل اصيبت مدمرة من مدمراتنا بقنبلة عطَّلت آلاتها البخارية فقفت عليها وكانت القنابل التي تسقط في البحر تدفع منهُ اعمدة من الماء تعلو في الجو ثم تقع علينا ولكننا لم نبالِ بها · وكانت قنابل الاميرال جليكو تمر فوق رؤوسنا قاصدة بوارج العدو فتصيبها وتنفجر ولم يتبيَّن فعلها بها لبعد المسافة لكنني اعلم فعل القنبلة التي قطرها ١٥ بوصة اذا اصابت غرضاً وانفجرت ولذلك لا يصعب عليَّ ان اتصور ما لاقيهُ الالمان منها وان كانت السفن التي أُصيبت قد نجت من الغرق كلها وذلك بعيد جدًّا فلا بدَّ من انها تحتاج الى ترميم كثير قبلما تصلح للحرب ثانيةً

وبينما نحن كذلك رأينا اسطولاً من طراداتنا المدرعة من طرز الانفنسبل اقبل من جهة اخرى ودنا من بوارج العدو واشتبك معها فسدَّد العدو مدافعهُ كلها الى الطراد انفنسبل واغرقهُ فرأيت لهيباً كبيراً انبثق منهُ فجأةً ومعهُ دخان كثيف ولما انقشع الدخان كان الطراد قد غاص في اليمّ ولم يبقَ منهُ الأ مقدمهُ بارزاً وبعد دقائق قليلة غاص هذا ايضاً ولم يبقَ شيءٌ منهُ فوق الماء

سمعت مرةً ان الجحيم تأجج على اليمّ فلم ادرك معنى هذا القول حتى رأيتهُ بعيني· كانت القنابل التي قطرها ١١ بوصة او ١٢ بوصة تصفر حولنا بالالوف وصوتها يصمُّ الآذان ثم تنهال على البحر كانها المطر وقد تصيب سطح الماء ثم تثب عنهُ مراراً لشدة زخمها حتى لقد يظنها المرء ابالسة ترقص على وجه الماء ونحن بينها كريشة بمهب الريح لا ندري في اية لحظة تصيبنا واحدة منها فتوردنا حتفنا· وكان الماء يرتفع من البحر اعمدةً شاهقة كلما وقعت قنبلة فيهِ ثم يهبط كالاعاصير الكبيرة · وكيفما التفتنا لا نرى الأ القنابل تتساقط والماء يرتفع وينخفض كأنهُ قدر تغلي· منظر بديع مدهش ولكن ما من احد يود ان يراهُ مرةً اخرى في الاحوال التي كنا فيها

ورأينا ونحن سائرون البوارج الثلاث ليون وتيغر وبرنسس رويال تحف العدو بقنابلها الكبيرة التي قطر كل منها ١٣ ½ بوصة وتمزق سفنهُ تمزيقاً وكنت ارى كأنَّ عزائم الالمان قد خارت ورضوا من الغنيمة بالفرار لان الاميرال جليكو صرفهم عن غرضهم وهو

الخروج الى الاوقيانوس الاتلنتيكي وادَّب كل سفينة وصلت اليها قنابلهُ بينما كان الاميرال يبقي بدور نحو الجنوب ويثخن في العدو جهدهُ · ودامت الحال على هذا المنوال الى ان خيم الظلام · وبقيت مدمراتنا امام الاسطول الاكبر تهاجم العدو بالقنبلة والتربيد حتى اذا لاذ بالفرار صارت قنابلهُ تقصر عن الوصول الينا · وحوالي الساعة التاسعة ليلاً بعث الالمان الينا غواصة من غواصاتهم كأنهم ارادوا ان يودعونا بها فاطلقنا عليها قنبلةً قضت عليها في لحظة من الزمان ولولا ذلك لقضت هي علينا فنجونا من خروب الشبك الأ ان نجاتنا منها لم تُنجنا من مخاطر تلك الساعة فاننا أُمرنا حينئذٍ ان نجري وراء العدو ونشاغلهُ الى الصباح حتى يراهُ الاميرال جليكو حينئذٍ ويوقع بهِ ويتخلص من اساطيل الالمان دفعةً واحدة · ولقد كان ذلك ممكناً لهُ لولم يلذ الالمان بالفرار

اما نحن فاسرعنا كما امرنا وادركنا بوارج العدو بُعيد نصف الليل وغصنا بينها قبل ان تراتا لاننا نوقد البترول فلا دخان لنا ولا لهب · ولما رآنا الالمان بينهم دهشوا واسقط في يدهم كما يظهر من اضطرابهم في اطلاق مدافعهم فانهم جعلوا يطلقونها جزافاً ثم وجَّهوا الينا انوارهم الكشافة وكلما رأوا مدمرة من مدمراتنا اطلقوا عليها كل مدافعهم سواءٌ سددوها او لم يسددوها · وكان الظلام حالكاً جداً فلم نتبيَّن سفن العدو الأ من لمعان البارود حين اطلاق المدافع او من رؤية مصدر الانوار الكشافة لكننا رأينا ما يكفي للاستدلال على اضطراب العدو وارتباكهِ في امرهِ ورأينا بانوارهِ الكشافة صفين من البوارج الكبيرة على جانبينا وللحال جعلنا نطلق مدافعنا الصغيرة على مصدر هذه الانوار لكي نتلفهُ واصحابها يطلقون علينا مدافعهم الكبيرة لكي يغرقونا · ودنونا حينئذٍ من بارجة كبيرة فاتحفناها بتربيدين اصابها احدهما حتماً لانني رأيت نور انفجارهِ حينما اصابها وسمعت صوت الانفجار اما التربيد الثاني فلم انتبه لهُ لانني شغلت عنهُ حينئذٍ · وكنا نعلم اننا سائرون الى حتفنا بظلفنا لانهُ لا ينتظر من سفن صغيرة مثل مدمراتنا ان تواقع البوارج الكبيرة وتسلم ولكن لم تكن السلامة غرضنا وانما غرضنا كان تدمير بوارج العدو ولهذا صنعت المدمرات · وكان عملنا اسهل علينا من عمل الالمان عليهم لاننا نحن كنا مصممين على عملنا متهيئين لهُ واما هم فجاءهم العمل فجأةً على غير انتظار · على ان فعل مدافعهم بنا كان ذريعاً لان القنبلة التي تخرق درع الفولاذ الثخين لا تبقي ولا تذر من مدمرة صغيرة لا واقي لها فلم يسلم من مدمراتنا الأ مدمرة واحدة والعجب العجاب انها خاضت تلك المعركة وخرجت سالمة

اما مدمرتنا نحن الفورتشن فمزقتها القنابل ارباً فاول قنبلة اصابتها حطَّمت مقدمها

وقتلت كل الرجال الذين كانوا عليهِ والثانية ذهبت بمدفعنا المقدم ورجالهِ الاّ رجلاً واحداً واصابت قنبلة ثالثة الازان المقدم فاطارتهُ واصابت اخرى المدفع المتوسط فرمتهُ في البحر وقتلت كل رجالهِ . ولما تعطلت آلاتنا البخارية اضطررت مدمرتنا ان تقف مكانها وجعلت القنابل تخرقها من جهة الى اخرى والمياه تدخلها وتغرقها رويداً رويداً وبقي مدفعنا المؤخر سليماً وظل رجالهُ حولهُ يطلقونهُ تباعاً دراكاً وحينئذٍ وقعت قنبلة الى جانبهِ واطارت منطقة من مناطق النجاة وادخلتها في فيهِ فعطلتهُ فاسرعتُ مع الرجال الذين بقوا منا احياء الى انبوب التربيد الذى وراء غرفة الآلات البخارية وكان لا يزال سليماً واطلقنا تربيداً منهُ ولم نكد نطلقهُ حتى اصابت الانبوب قنبلة واطارتهُ لكن التربيد مرَّ كالسهم نحو الغرض الذي صوبناهُ اليهِ

وكان معنا عوَّامتان كبيرتان كل واحدة منها كالحلقة الكبيرة فرميناها في البحر وكانت مدمرتنا قد اخذت تغرق والنار مضطرمة فيها فان لم تغرق حالاً فلا بدَّ من انفجار مخازن البارود التي فيها فقلَّ املنا بالنجاة ولو نزلنا الى البحر لكننا نزلنا وابعدنا بالعوامتين عن المدمرة وعن المعمعة ايضاً وكانت رحاها لا تزال دائرة . ورأيت المدمرة اردنت والمدمرة تبرارسيه والنار تضطرم فيها ثم أُطفئت بغتةً فاستنتجت انهما غرقتا حينئذٍ

والعوامة حلقة كبيرة مستديرة تطفو على وجهِ الماء ويجلس الرجال عليها وفيها حبال في طرف كل حبل دواسة يضع الرجل قدميهِ عليها . وكانت العوامة التي صعدت اليها مصنوعة لثمانية عشر رجلاً فصعد اليها ثلاثة وعشرون فغاصت بناقدمين تحت الماء والماء بارد كالثلج والليل حالك الظلام وكان معنا الملازم بترصن فلما رأى اننا اكثر من ان تحملنا العوامة لم يشأ ان يصعد اليها بل بقي يسبح الى جانبنا الى ان اخذ منهُ الاعياء كل مأخذ فاقنعناهُ ان يمسك بحبل ويصعد الينا والاَّ هلك وكان في المدمرة كلبة قتل صاحبها وسلمت هي فتبعتنا وامسكت بي بمخالبها ولم تنفك عن الهرير لشدَّة ما اعتراها من برد الماء وقبلما تمكن من النجاة افلتت وغاصت في الماء ثم صعدت وجعلت تسبح ولكنها ذهبت في جهة اخرى ولم نستطع ان نسير وراءها و بعد قليل غاصت في الماء وغرقت فاسفنا عليها كلنا اسفاً شديداً

ومرَّت ساعتان منذ نزولنا الى العوامة ونار الحرب متأججة حولنا وفوق رؤوسنا ولم نكن نسمع بعضنا بعضاً من شدَّة قصف المدافع ولا كان فينا خاصية للكلام حينئذٍ لشدَّة ما حلَّ بنا من البرد مع اننا كنا نسير في بحر من النار . وكانت الانوار الكشافة تمر فوق رؤوسنا والقنابل الرشاشة تتساقط حولنا وبقينا نرى البوارج الكبيرة بالبرق الذي يومض من افواه

مدافعها فتظهر بغتةً كأنها نبتت من قاع البحر ثم تختفي كما ظهرت . ورأينا بارجة المانية من طرز الدردنوط وهي من اولها الى آخرها شعلة نار وأحد مدافعها لا يزال يطلق لكنها صارت غرضاً لمدافع اسطولنا فانصبت عليها قنابلهُ الى ان اغرقتها امام عيوننا

وجُنَّ احد رجالنا من شدة ما عاناهُ ووثب الى الماء فغرق ثم هرأ البرد غيرهُ فناموا وماتوا وهم لا يفوهون بكلمة واردنا القاءهم في البحر لكي نخفف عن العوامة فقلبت بنا ولم نستطع تعويمها الاَّ بعد عناء شديد . ووجدنا حينئذٍ ان عشرة منا غرقوا ونحن نحاول تعويمها ولم يتمكن الباقون من الصعود اليها الاَّ بشق الانفس . ثم زاد اضطراب البحر لكي يزيد في طنبور بؤسنا نغمة فتقاذفتنا الامواج ولكن كان البرد قد خدَّر اعصابنا حتى لم نعد نشعر بشيء . ولما صرنا على آخر رمق مرَّت بنا مدمرة من مدمراتنا الساعة السادسة صباحاً وحاولت انقاذنا فلم نستطع ان نمسك بالحبال التي طرحتها الينا لشدة خدَر ايدينا ولم تستطع هي ان تقف قريبة منا لان غواصات الالمان كانت تطوف حولها لترميها بالتربيد حالما تقف . ثم مرَّت بنا المدمرة مورسلي بعد ان تبعت بارجة المانية من طرز البومرن Pommern ورمتها بالتربيد واغرقتها ورأينا بعض طراداتنا الخفيفة وكان يفتش عن البحارة الذين لا يزالون احياء فطارد الغواصات الالمانية وطردها وحينئذٍ عادت المدمرة مورسلي وانزلت الينا قارباً كبيراً فنزلنا فيهِ واصعدتنا اليها وكنا سبعة عشر فقط وهم كل الذين نجوا من الخمسة والثلاثين الذين ركبوا العوامتين . واني اترك الى القارىء تصوُّر ما شعرت بهِ حينئذٍ . انتهى

هذا ولو كتب كل الذين شهدوا هذه المعركة ما رأوهُ فيها سواء كانوا من الانكليز او الالمان لكان وصفهم لها لا يقلُّ عن الوصف المتقدم على الراجح . والذين شهدوا المعارك البرية يقولون في وصفها ما يقولهُ الذين شهدوا المعارك البحرية . وقد قيل ان النظام الفاسد لا يغسل الاَّ بالدم او كما قال المتنبي

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبهِ الدمُ

ولكن ألا يمكن ان يكبح جماح النفوس بغير هذه الشكيمة أوَ لا تغسل مطامع الناس بغير الدم البريء . لقد كنا نرى ان ذلك ميسور وقريب الحصول ولكن جاءت الحرب الحاضرة فافسدت الاراء وخيبت الآمال ولا نرى متى تثوب الامم الى رشدها وتتغلب على الخُلق الحربي المفطورة عليهِ

كيف قامت اليابان

لما قامت جمعية الاتحاد والترقي العثمانية واعادت مجلس المبعوثان من غير سفك دم خُيِّل الينا اننا نلنا ما نتمنّى وانهُ قامت في الشرق الادنى دولة كدولة اليابان في الشرق الاقصى · وبقي هذا الاعتقاد راسخاً في نفوسنا الى ان محتهُ اعمال تلك الجمعيَّة بما ابدت من الاثرة والغطرسة وما ارتكبتهُ من المنكرات

ومن الحقائق المقررة ان كل ما يحدث في الكون انما هو نتائج لمقدمات سابقة ومعلولاً لعلل متقدمة فلو كان في الشرق الادنى ما يعدُّ سكانهُ لبلوغ الغاية التي بلغتها اليابان لبلغوها حتماً فعدم بلوغهم اياها يدلُّ على ان تلك المقدمات والعلل غير موجودة او ان في احوالهم الاجتماعية ما يقاومها

وقد قام العرب الآن وغرضهم ان يستردوا مجدهم السالف و ينشئوا دولة عربية عزيزة الجانب فرأينا ان نعيد بعض ما ذكرناهُ قبلاً عن اليابان لعلَّ فيهِ مرشداً لهم في سبيل اقامة هذه الدولة واسترجاع ذلك المجد

بلاد اليابان جزائر كثيرة مساحتها نحو ١٧٦ الف ميل مربع عدا مملكة كوريا التي اضيفت اليها منذ ست سنوات ومساحتها ٨٤ الف ميل مربع · وعدد سكان اليابان وحدها نحو ٥٧ مليوناً وعدد سكان كوريا نحو ١٣ مليوناً فمجموع الامبراطورية اليابانية نحو ٦٨ مليوناً · فهي من حيث كونها جزائر تشبه جزيرة العرب في انفصالها عن غيرها ولكنها تخالفها في كثرة سكانها فليس في جزيرة العرب عشر ما في بلاد اليابان من السكان

وتاريخ البلاد القديم غامض جدًّا كتواريخ كل الامم القديمة لان صناعة الكتابة لم تدخلها الأ في القرن الثالث المسيحي ولم يشرع اهاليها يدونون اخبارهم الأ في القرن الخامس ثم احترق كل ما دونوهُ في الثلاثة القرون الاولى · وكل ما يعلم علم اليقين من تاريخهم لا يمتدُّ الى ابعد من القرن الثامن اي انهُ قلما يتجاوز في قدمهِ اقدم التواريخ العربية المحفوظة

والمتداوَل عند اليابانيين ان مملكتهم ابتدأَت سنة ٦٦٠ قبل المسيح على يد امير جاء بلادهم من ملقا واخضع سكانها واقام نفسهُ ملكاً عليهم · وليس في تواريخهم ما يؤَيد ذلك سوى انهم يعيّدون لهذا الملك عيدين كل سنة فهم في قدَم المُلك كاهل اليمن وحضرموت

وكانت مدينة كيوتو عاصمة المملكة ثم اشتدَّ ساعد رجال الحرب فصار لهم شيءٌ من

الاستقلال حتى اصبحت امور المملكة في يدهم . وقامت في القرن التاسع اسرة منهم تولت نيابة الملك بالتوارث الى ان قُضي عليها في اواسط القرن الثاني عشر. ونشبت حينئذٍ الحروب الاهلية ودامت خمسين سنة الى ان تمكن الملك من اخماد الثورة ثم منح واحداً من اشراف المملكة لقب شوغن ومعناهُ القائد العام وتوارث خلفاؤهُ هذا اللقب وصاروا هم الملوك فعلاً واما الملوك فصاروا مثل الرؤساء الدينيين . اي اصابهم ما اصاب خلفاء بني العباس في عهد ملوك الترك والتتر والمغول فان الميكادو صار مثل الخليفة والشوغن مثل الملك او السلطان

وكان الناس درجات اعلاها قواد الجيش فولاة الاقاليم فالجنود فالتجار فالصناع فالفلاحون . ودامت الحال على هذا المنوال الى اواسط القرن التاسع عشر

وامتازت سلطة القواد بفصل البلاد فصلاً تامًّا عمّا حولها فانهم منعوا كل احد من دخولها او الخروج منها من بداءة القرن السابع عشر ولم تكن الحال كذلك قبلاً بل كانت البلاد مفتوحة للاجانب وكان الاتصال تامًّا بينها وبين الصين وكوريا والممالك الاوربية وسبب الفصل ديني وسياسي على اثر دخول الاوربيين اليها

ففي سنة ١٥٤٢ كان مندز بنتو البرتغالي ذاهباً من سيام الى مكاو (وهي مستعمرة برتغالية في الصين) فالقت الرياح سفينتهُ على جزيرة صغيرة من جزائر اليابان فرحَّب اهلها بهِ وبرجالهِ واكرموا مثواهم وكان معهُ بعض البنادق فباعها لرئيس القوم وهي اول الاسلحة النارية التي دخلت بلادهم . وذاع خبر ذلك عند البرتغاليين فتقاطروا الى اليابان من مكاو وغوى في الهند وتبعهم الاسبانيون للاتجار في البلاد وجاء بعدهم فرنسيس زفير زعيم الطغمة اليسوعية لتنصير السكان فنصَّر اكثر من الف نفس في سنتين . وواظب اتباعهُ على عملهِ ويقال انهُ لم تمضِ ثلاثون سنة حتى صار في اليابان مئتا كنيسة وبلغ عدد المتنصرين خمسين الفاً . وارسل ملك اليابان سنة ١٥٨٢ وفداً الى اوربا فيهِ ثلاثة من الاشراف المتنصرين لتقديم الاحترام الواجب لقداسة البابا فقوبل هذا الوفد بالاكرام التام في اسبانيا والبرتغال وغيرهما من الممالك الكاثوليكية . وظُنَّ حينئذٍ ان اهالي اليابان سيتنصرون كلهم ويكونون عضداً للمذهب الكاثوليكي في الشرق الاقصى . وعاد هذا الوفد بعد ثماني سنوات فاحسن الشوغن مقابلتهُ . ولكن الكهنة البوذيين كانوا قد اوجسوا خيفة من انتشار النصرانية وجعلوا يثيرون الشعب عليها مدعين ان اتباعها يهدمون الهياكل ويحتقرون كهنتها . فامر الشوغن ان يخرج كهنة المسيحيين كلهم من اليابان في عشرين يوماً ومَن يبقَ منهم فيها بعد ذلك فدمهُ على رأسهِ . ولكن هذا الامر لم ينفذ بالدقة . ثم ثارت نار الاضطهاد على المسيحيين

وقتل منهم سنة ١٥٩١ عشرون الفاً غير ان التجار الاوربيين لم يبطلوا المجيء الى اليابان وجاء معهم اناس من هولندا وانكلترا في اوائل القرن السابع عشر وانشأوا المعامل في نغاساكي واوساكا و يدو من امهات مدنها

وسنة ١٦١٣ صدر امر جديد بخروج كل كهنة المسيحيين من بلاد اليابان وتخريب كنائسهم والزام المتنصرين بجحد النصرانية وهذا الامر لم ينفذ تماماً الأَّ سنة ١٦٣٧ حينما حدثت ثورة في البلاد قيل ان المسيحيين اشتركوا فيها فامر الشوغن بطرد كل المرسلين وكل الاجانب ايضاً. وحظر على الاجانب دخول بلاد اليابان وعلى اليابانيين الخروج منها . ونفذ هذا الامر حرفياً فاقفلت بلاد اليابان لا احد يدخلها ولا احد يخرج منها . ولم يبقَ فيها احد من الاسبانيين او البرتغاليين او الانكليز لا من التجار ولا من المرسلين . والذين تنصروا ارتدوا او قتلوا ولكن يقال انهُ بقي بعضهم محتفظين بالدين المسيحي سراً . ولم يبقَ مكان من كل بلاد اليابان متصلاً بالاجانب الاَّ جزيرة نغاساكي المجاورة لبلاد الصين فان التجار الصينيين لم ينفكوا عن التردد اليها وبقي فيها بعض التجار الهولنديين لكنهم حُصروا في بقعة صغيرة واجيز لهم ان يأتوا بسفينتين هولنديتين كل سنة . ومُنع بناء السفن الكبيرة لكي يتعذر على اليابانيين الخروج من بلادهم

والظاهر ان اقفال باب اليابان في وجه الاجانب كان سببهُ طمع الاجانب وغطرستهم لكن جمهور اليابانيين نسبوهُ الى فعل الرسالات الدينية في محاولتها تنصير الاهالي فصاروا يقصدون بالاجانب المسيحيين ودعاتهم

الأَّ ان هذا الاعتزال لم يضر اليابان لأنها اضطرت ان تعتمد على نفسها فاتقنت زراعتها وصناعتها ووسعت نطاق تجارتها الداخلية اي انها بنت على ما استفادتهُ من الاوربيين فزادت ثروةً وزاد سكانها همةً ونشاطاً وحفظت استقلالها ولو بقيت متصلة باسبانيا والبرتغال ما كانت الآن احسن منها بل المرجح ان اتصالها باوربا كان اوقعها في مشاكل كثيرة تقضي عليها بمحاربة دولة او اكثر من دول اوربا قبلما اشتد ساعدها فتدور الدائرة عليها وتصير مثل ممالك الهند وسيام وانام . وانفصالها هذا لم يمنع نوابغ رجالها من تعرُّف حال الاوربيين والرغبة في الحوك على منوالهم لاسيما وان احب شيء الى الانسان ما مُنع . وحبك للشيء يزيد متى ذقتهُ مرة ثم مُنعت عنهُ . وكان قيد المنع يتكرر كلما حاولت دولة من دول اوربا فتح باب اليابان بالترغيب او بالترهيب فتزيد الرغبة في كسر ذلك القيد

وسنة ١٨٤٠ الى ١٨٤٢ حاربت انكلترا الصين في مسألة الافيون المشهورة فاوجست

اليابان من ذلك شرًّا وخافت ان يصيبها ما اصاب جارتها . ووصلت سفينة فرنسوية الى جزيرة صغيرة من جزائرها سنة ١٨٤٦ وحاول مَن فيها ان يقنعوا سكانها ليطلبوا حماية فرنسا وقاية لهم من انكلترا وفعل الهولنديون مثل ذلك في مكان آخر فزاد تيقُّظ الحكام اليابانيين اذ رأوا دول اوربا تتسابق الى خطب ودهم وكل واحدة تحذرهم من غيرها

وكانت السفن الاميركية تصطاد الحيتان في البحار المجاورة لليابان وتعبث بها الرياح احياناً فتكسرها ويقع بحارتها على جزائر يابانية فيحسن السكان معاملتهم او يسيئونها واتفق غير مرة ان السفن الاميركية انقذت بحارة بعض السفن اليابانية وردتهم الى بلادهم آملة ان يفتح الباب لها بسبب ذلك فلم يفتح. وسنة ١٨٤٦ ارسلت الحكومة الاميركية سفينة حربية الى بلاد اليابان فيها تسعون مدفعاً فدخلت خليج يدُّو وطلبت من ولاة الامور اليابانيين ان يعقدوا معاهدة تجارية مع اميركا فرفضوا ذلك وقالوا انهم لا يودون ان يعقدوا معاهدات تجارية ولا ان تدخل بلادهم سفن اجنبيَّة

وشكا الصياديون الاميركيون انهم يضطرون احياناً كثيرة ان يلجأوا الى المرافىء اليابانية هرباً من النوء او طلباً للزاد فيعاملون شر معاملة. فاقرت الحكومة الاميركية على ان ترسل اسطولاً الى اليابان وتطلب منها ان لا تسيء معاملة البحارة الاميركيين وتظهر لها من الشدَّة ما يجعلها تجيب طلبها فارسلت مثيو بري في هذه البعثة بعد ان استمدت لها بجمع كل ما كُتب عن اليابان وكل الخرائط التي رُسمت لها . ويقال انها اشترت تلك الخرائط بثلاثين الف ريال وارسلت مع بري امثلة من كل المصنوعات الاميركية لكي يعرضها في بلاد اليابان

فاقلع الاسطول في ٤ نوفمبر سنة ١٨٥٢ وكان مؤلفاً من اربع سفن حربية فبلغ خليج يدو في ٨ يوليو سنة ١٨٥٣ وللحال ارسل الشوغن يستشير الميكادو فيما يحسن عمله في تلك الحال . وهي اول مرة استشار الشوغن الميكادو فيها . وطلب من وجوه البلاد من كل الطبقات ان يجتمعوا ويبدوا رأيهم فيما يجب التعويل عليهِ ونودي باقامة الصلوات في كل البلاد لحفظها واهلاك الاجانب . وطُلب من بري ان يرجع الى نغاسا كي لتكون المذاكرة معهُ هناك فرفض واصرَّ على ان يأتيهُ رجل منصبهُ من الدرجة الاولى للمذاكرة معهُ . فاجيب طلبهُ ولما اتاهُ هذا الرجل سلمهُ كتاباً من رئيس الولايات المتحدة الى الميكادو فيهِ المطالب التي تطلبها اميركا ولكنهُ لم يطلب عقد معاهدة تجارية وقال انهُ راجع حينئذٍ الى بلادهِ وسيعود في الربيع المقبل لاخذ الجواب عن كتاب الرئيس . ولم يكد يقلع حتى جعل د

اليابان يتبصرون في امرهم و يستعدون لمقابلة القوة بالقوة ولكن ضعفت حماستهم كأنهم شعروا ان استعدادهم لا يجديهم نفعاً والمطالب التي طلبتها اميركا لا تثقل عليهم فالرأي في هذه الحال فوق شجاعة الشجعان

وعاد بري في الربيع التالي ومعهُ عشر سفن حربيَّة فقوبل بالترحاب واستمرَّ الاحتفال بهِ ستة اسابيع وفي ختامها وقّعت اليابان معاهدة تقضي عليها بان تسمح للسفن الاميركية ان ترسو في بعض مرافئها وتبتاع المؤونة منها وان تحسن معاملة البحارة الذين تتكسر سفنهم · مطالب سهلة جدًّا ولكنها فتحت باب اليابان بعد ان أُوصد زمانا طويلاً وقد ادرك اليابانيون ذلك فقالوا في السنة التالية ان اسم بري سيبقى خالداً في تاريخ اليابان ثم اقاموا لهُ تذكاراً بديعاً سنة ١٩٠١ في المكان الذي نزل فيهِ اول مرة جمعوا المال اللازم لهُ من كل طبقات الامَّة اليابانية دلالة على انها اشتركت كلها في الشكر لهُ واحياء ذكرهِ في بلادها

وسنة ١٨٥٥ ارسل رئيس الولايات المتحدة تاجراً من تجار نيو يورك اسمهُ هرس ليكون قنصلاً جنرالاً في بلاد اليابان واوصاهُ ان يبذل جهدهُ في عقد معاهدة تجارية فتمكن بسعيهِ وحسن دربتهِ من عقد معاهدتين الاولى توسع للاميركيين الاقامة في المرافئ اليابانية والثانية تبيح المتاجرة بين اميركا واليابان في مينا يوكاهاما بعد ٤ يوليو سنة ١٨٥٩ وطلب هرس ان توقع هذه المعاهدة الاخيرة في وشنطون ويحضر توقيعها وفد من اليابانيين · فذهب هذا الوفد الى اميركا على سفينة حربية اميركية وكان فيهِ ٧١ نفساً من رجال الحكومة اليابانية وخدمهم فاحتفل بهم الاميركيون اعظم احتفال في كل المدن الاميركية التي دخلوها في طريقهم الى ان بلغوا وشنطون · ولما وُقعت هذه المعاهدة جُعل هرس سفيراً لاميركا في اليابان

وعقدت معاهدات تجارية بين اليابان وبريطانيا وفرنسا وروسيا فاضطربت حال البلاد على اثر ذلك لانهُ كان فيها حزب كبير غير راضٍ عن ذلك واضطر الشوغن ان يأمر باخراج الاجانب كلهم من البلاد لكن نواب الدول الاجنبية اكدوا لرجالهِ ان دولهم تحارب اليابان اذا اصرَّت على العمل بهذا الامر فأُلغي

والذي وقَّع كل هذه المعاهدات هو الشوغن لا الميكادو فاشار سفير انكلترا على سائر السفراء ان يطلبوا توقيعها من الميكادو ايضاً ففعلوا ولما وقع الميكادو المعاهدات بطل الاعتراض عليها والغت حكومة اليابان امرها بمنع اليابانيين من الخروج من بلادهم

لما ارتقى الميكادو السابق الى سرير الملك سنة ١٨٦٨ طلب ان تضيق سلطة الشوغن

فتنازل الشوغن عن سلطتهِ كلها من تلقاء نفسهِ وأُلغي منصبهُ وعادت السلطة كلها الى يد الميكادو فنقل كرسي ملكهِ الى يدُّو التي كانت كرسي الشوغن وسميت طوكيو اي العاصمة الشرقية وضرب على يد الحزب المقاوم لهُ وبعد قليل قام اشراف البلاد وتنازلوا من تلقاء انفسهم عمَّا لهم من الالقاب والرتب والاملاك وطلبوا ان يعاد تنظيم البلاد على اسلوب جديد . اي زال الحكم الاقطاعي دفعةً واحدة بعد ان استمرَّ في البلاد ثمانمئة سنة . وتنازل الفريق الحربي وعددهُ اربع مئة الف نفس عن امتيازاتهِ ورضي ان يكون مثل عامة السكان

ومن مزايا اليابانيين انهم يفكرون طويلاً ثم يعملون سريعاً فلما فكَّروا وامعنوا نظرهم في احوالهم وما اتصل بهم علمهُ من احوال الممالك الاوربية رأوا ان لا بدَّ لهم من مجاراة الاوربيين والجري على المبادىء الدستورية ففعلوا ثم انشأُوا مجلساً للنواب ومجلساً للاعيان وجعلوا حكومتهم دستورية بعد ان وضعوا دستوراً لها مقتبساً من قوانين الحكومات الاوربية وجعلوا التعليم الابتدائي اجبارياً للصبيان والبنات فوق سن السادسة وانشأُوا مدارس كثيرة لتعليم المعلمين والمعلمات . وجعلوا الخدمة العسكرية اجبارية ايضاً كما هي في فرنسا والمانيا . ومرَّت الاعوام والبلاد تزيد ارتقاء باقتباس افضل ما في العمران الاوربي والاميركي . وظهرت نتيجة ذلك في حربها مع الصين سنة ١٨٩٤ ثم مع روسيا سنة ١٩٠٤ . وكانت قبل حربها مع روسيا قد عقدت معاهدة حربية مع انكلترا من مقتضاها ان كل دولة منهما تعاون الاخرى اذا اضطرت هذه ان تحارب اكثر من دولة واحدة واخيراً اشتركت في الحرب الحالية واخرجت الالمان من كياوتشاو عنوةً ثم مكنت ارتباطها بروسيا . وحسبها فخراً ان دول اوربا الكبرى ينظرن اليها الآن كواحدة منهنَّ فوزراؤُها وقوادها براً وبحراً لا يقلون عن وزراء الاوربيين وقوادهم دربةً وحنكةً وبنوكها ومعاملها الصناعية وشركاتها التجارية وعلماؤُها وادباؤُها وكل من يقوم بهِ شان البلاد لا يقل عن مثلهِ في اوربا واميركا وكل ذلك نتيجة السعي والاجتهاد في نصف قرن لا غير

قلنا في صدر هذه المقالة ان الاتراك اخلفوا ظننا فيهم مع اننا كنا نحسبهم اقرب من اليابانيين الى السير في خطط الدول الدستورية فهل يفلح العرب اكثر منهم اذا استتبَّ لهم الاستقلال التام اي هل نقوم في جزيرة العرب والشام والعراق دولة عربية دستورية عزيزة الجانب وهل تشمل هذه الدولة الديار المصرية فيسترد بها مجد العرب او دون ذلك موانع سياسية واجتماعية لا نقوى على تذليلها

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الانكليزية والحرب

من قلم سيدة انكليزية

ان للنساء فضلاً غير قليل في نجاح الهجوم العظيم بالميدان الغربي فان في معامل الميرة والذخيرة بانكلترا ست مئة الف امرأة عاملة ولا تزال هذه المعامل في حاجة الى عشرات الالوف منهنَّ . والتمرين على قصد الانتظام في سلك العاملات حرٌّ مجانيٌّ ومدتهُ ستة اسابيع واوقات التمرين فيها اربع ساعات كلَّ يوم ما عدا الاحد

كتب ضابط انكليزي جرح في كونتالميزون الى قومهِ يقول : « اتركوا كلَّ شيء وارسلوا الينا كثيراً من الميرة وعلينا الباقي » ولكن بعض الوالدين يترددون في ارسال بناتهم الى المعامل لا لانهم لا يدركون الحاجة اليهنَّ ولا لانهم ليسوا غيورين على مصلحة وطنهم بل مخافة ان يثقل العمل كواهلهنَّ وخصوصاً اللواتي لم يدخلن معملاً في عمرهنَّ ولا اضطررن الى العمل بالاجرة

وقد اذنت لي وزارة الميرة والذخيرة في زيارة بعض المعامل حيث تعمل النساء والبنات وسؤالهنَّ ما شئت من المسائل والكلام مع المديرين والمفتشين ورؤية كل شيء بعيني فان « الرؤية هي الاقتناع » كما يقول المثل

وقبل وصف ما رأيت وسمعت لا ارى لي بدًّا من القول ان لا شيء في هذه الحرب الذريعة ادعى الى الاسف من قلة الميرة عندنا في السنة الاولى منها . فان الوفاً من النفوس كانت تكون سليمة الآن واجل الحرب كان يكون اقصر لو كانت الميرة موفورة لجنود الذين انتظروها بذاهب الصبر فلم تأتهم . اما الآن والجيش الانكليزي اضخم كثيراً مما كان فالحاجة الى القنابل على ازدياد لان لواء من الطوبجية قد ينفق في يوم واحد ما يصنع معمل كبير في اسبوع كامل . فالحاجة الى الميرة لا تزال شديدة اذا أُريد ان يكون عند رجالنا ما يكفيهم منها . وغنيٌّ عن البيان ان حلفاءنا يحتاجون الى مقدار عظيم منها ايضاً

لا يخفى ان عمل القنابل حرفة ذات فروع مختلفة منها ما هو يسير لا يقتضي حذقاً او مهارة خاصة ومنها ما هو عسير يستلزم عمّالاً وعاملات صُنْع الايدي ولكن ظهر بالتجربة والامتحان ان المرأة تقوم بما يطلب منها لما فطرت عليهِ من الصبر والميل الى الاشتغال بدقائق المسائل والتباهي باتقان عملها والمواظبة على العمل. يضاف الى ذلك علمها بانها انما تساعد بذلك اخوتها وابناءها واصحابها ممن قصد ميادين القتال وخاطر بنفسهِ دفاعاً عن الذين تركوا في موطنهِ وهم متمتعون بالراحة

ان اللواتي يقصدن المعامل للعمل فيها لعلى طبقات في الهيئة الاجتماعية كما هي الحال في الجيش والجامعات والمدارس فهناك اللادي ولكنها تتنازل عن لقبها وقتياً ثم تلميذة المدرسة الثانوية فالخياطة فصانعة البرانيط فالخادم كلهن يعملن جنباً الى جنب. ذلك بان الحرب تساوي بين الجميع ونعمت هذه المساواة

وقد سألت ناظر احد المعامل الكبرى هل انت قانع بعمل المرأة في معملك. فاجاب «اني قانع راضٍ كل الرضى لما ارى من رغبتهن في العمل وسرعة فهمهن في التعلم ومواظبتهن على الحضور في المواعيد المضروبة وطاعتهن وسلاسة قيادهن»

وتلبس العاملة في قسم المفرقعات «جونلاً» قصيرة «وبلوزاً» فوقها برنس من الخاكي وعلى رأسها قبعة لوقاية شعرها وفي قدميها حذاءان من اللستك. وقد يلبس بعضهن احذية وكفوفاً من الجلد المتين

ولا يسمح لامرأة بدخول المعامل قبل فحصها طبياً وصدور قرار الطبيب بلياقتها للعمل. اما وقت العمل فطويل من الساعة ٧ صباحاً الى الساعة ٧ مساء ما عدا نصف ساعة منها لطعام الصباح وساعة للغداء ونصف ساعة للشاي. وتتناول العاملات المرطبات صباحاً قبل الشروع في العمل

ومعظم العاملات يستخدمن لعمل الاعمال الخفيفة كعمل الخرطوش من تحضير كبسوله ودكهِ وما حاكى ذلك. وبعضهن يستخدمن لقياس قطع القنبلة المختلفة وامتحانها قبل تركيبها وهو من اهم الاعمال اذ لا شيء يؤخذ بالظن والتقدير لاسيما انهُ كثيراً ما يتفق ان تصنع اجزاء القنبلة الواحدة في معامل مختلفة وفي بلاد مختلفة. فقد رأيت مرة اجزاء قنبلة صنعت في بلاد بعيدة موالية لنا ولكنها صنعت بعد القياس الدقيق فلا تتنافر عند تركيبها وضمها بعضها الى بعض. ومن اهم الامور ان تكون على دقة تامة في حجمها لأن اقل خلل في الطول او العرض او الارتفاع قد يفضي الى عواقب وخيمة في ساحات القتال. وكل قنبلة

نقاس نحو ٠٠ قياس مختلفة والمرأة تقوم بهذا العمل فاذا ظهر لها ان الطول مثلاً اكثر من المطلوب واقل منهُ نبذت القنبلة جانباً ثم ارسلتها الى حيث تصلح فتجيء طبق المقاس

وتسمع العاملات يغنين في اثناء العمل وفي بعض الغرف بيانوات للضرب عليها في ساعات الفراغ

اما الاجرة فوافرة فقد رأيت عاملة بسيطة اقتصدت ٣٤ شلناً في اسبوع واحد فما بالك بالناظرات والمفتشات اللواتي ينقدن اجوراً اكثر من العاملات · وفي كثير من المعامل امرأة تشرف على الصحة العمومية كتهوية المعامل وانارتها وطعام العاملات ونظافتهنَّ ولهوهنَّ واجازاتهن المرضية · كذلك تنظر في ظلاماتهنَّ من حيث العمل والاجرة والمعاملة العامة · وهذه المرأة تحل جميع المسائل التي من هذا القبيل بروح الوداد والانصاف

فلا بدع اذا شكرت الامة للعاملات في معامل الذخيرة غيرتهنَّ ووطنيتهنَّ · ومتى وضعت الحرب اوزارها واعيد السلام الى نصابهِ كان اغتباطهنَّ عظيماً اذ يعلمن انهُ كان لهنَّ يدٌ في حرب الحرية العظمى

الذباب والتخلص منهُ

لم يبتلَ ابن آدم بحشرة شرٍ من الذبابة العادية . فان ذبابة مرض النوم على عظم ضررها محصورة في بقعة صغيرة من الارض فمهما اشتد ضررها فهو صغير في الحقيقة وان ظهر كبيراً بالنسبة · والقملة والبقة على كراهتهما وما عرف من خطرهما في نقل بعض الامراض من السقماء الى الاصحاء هما دون الذبابة درجات في ضررهما لانهما بطيئتا الانتقال خلافاً للذبابة المجنحة · فربما قضت القملة عمرها ضيفة على شخص واحد من غير ان يشعر بتطفلها اما الذبابة ففي اليوم الواحد قد تنزل ضيفة على عشرات من الناس والبهائم متطفلة مؤذية مزعجة ما شاءت وشاء الاذى والازعاج

فوجود الذبان في منزل خطر على سكانهِ · لان وقوعها على الاقذار وتركها اثراً على كل شيء تلمسهُ وقدرتها على حمل مكروبات الامراض وازعاجها للناس بالطنين في آذانهم ومشيها مرحاً على وجوههم — هذا كلهُ مما يجعل الناس ينفرون منها وينتقمون كلما عرضت فرصة للانتقام · على انهُ ربما كان لها مزية نافعة بعض النفع وان كانت لا توازي اضرارها المذكورة وهي انها تأكل فضلات بعض المواد الآلية المطروحة فتحول بذلك دون فسادها

وللتخلص من الذباب طرق شيء من اقدمها وضع الورق المصمغ في الغرف التي يكثر تزداد الذباب اليها وهذا الصمغ يصنع من مواد مختلفة اشهرها البيرة والسكر . ومنها بل الورق بمحلول من الزرنيخ ووضعهُ على آنية قريبة الفم فيها ماء محلّى . ولكنك في الحالين تضطر الى دفن جثث الذباب الميت ويتكاثر الذباب الحي حول مصائده عليك تكاثراً يزيد ازعاجك

ولا يعلم حتى الآن هل تسترشد الذبابة بحاسة النظر او الشم او بهما كلتيهما في اعمالها ولكن مما لامراء فيهِ ان خبر وجود السكر على الورق المصمغ او الماء المحلّى حول الورق المبلول بالزرنيخ يسري بين الذباب سريان النار في الهشيم فتقصدهما زرافات وتقع في المصيدة بالعشرات

ومن طرق صيد الذبان ان تملأ الغرفة برائحة زهر البسلّة فان رائحتهُ تؤذي الذبان وتضرها « كما تضرُّ رياح الورد بالجعل » . وقد جرب بعضهم امامنا المسحوق المنسوب الى « كيتنج » فرأينا فتكهُ عجيباً بالذبان والنمل

على ان عالمين فرنسويين وجدا الآن بالاختبار انهُ اذا جُعل زجاج الغرف من الزجاج الاحمر او البنفسجي او النيلي فان هذه الالوان تؤثر في الذباب تأثيراً غريباً اذ تبهر بصرهُ فلا يعود يرى شيئاً او لا تؤثر فيهِ مطلقاً كانما هو في ظلام دامس ويبقى في مكانهِ لا يتحرك . فاذا جعلت زجاج غرفة احمر او بنفسجيًّا او نيليًّا وتركت فيها فتحة بغير زجاج يدخلها النور العادي فان الذباب يقصدها افواجاً ويخرج من الغرفة . ومن رأي العالمين المشار اليهما ان الذباب لا يرى جيداً في اللون الازرق او الاخضر وانهما اقل ازعاجاً للناس من الاحمر فالافضل ان يكون الزجاج منهما او ان يكون من جميع الالوان فان التأثير واحد تقريباً

وباءُ شلل الاطفال

نكبت مدينة نيو يورك في هذا الصيف بوباء شلل الاطفال فاصيب بهِ فيها ٢٥٠٠ طفل مات منهم ٦٠٠ فاستعانت اميركا بجميع كبار اطبائها لمقاومة هذا الوباء وفي جملتهم الدكتور فلكسنر رئيس معهد روكفلر والدكتور نوجوشي الياباني . والغريب ان الوباء كاد ينحصر في مدينة نيو يورك وما حولها اذ لم يصب بهِ سوى عدد قليل من الاطفال في بعض الولايات الاخرى . ومن الوسائل التي عمدوا اليها في محاربة الداء اقفال الملاهي والمتنزهات

العمومية دون الاطفال خشية العدوى · وغسل الشوارع كل ليلة في الاحياء المصابة · ومنع الكلاب والهررة وغيرها من الحيوانات البيتية ان تدخل غرف النوم·· ومقاومة الذباب · والمبالغة في النظافة · والمظنون ان هذا الوباء دخل اميركا هذه السنة من جنوب ايطاليا بواسطة المهاجرين الفارّين من منطقة الحرب بدليل ان الاصابات الاولى بهِ ظهرت في حيّ ايطالي · وفي هذا الحيّ عينهِ ظهرت الاصابات الاولى من وباء سنة ١٩٠٧ · ومتوسط الوفيات في الوباء الحالي نحو ٢٠ في المئة وفي الماضي ٥ في المئة وبلغ عدد الاصابات في الماضي ٢٥٠٠٠

وهذا الوباء عرف من نحو ٢٥ سنة ولم يهتدِ الاطباء حتى الآن الى دواء شافٍ لهُ ولاسيما انهم يجهلون طريقة انتقالهِ من شخص الى شخص حتى انهم لم يحققوا ذلك في اكثر من ١ في ٨٠٠ اصابة · ومنذ سنوات اشيع ان ذبابة الاصطبلات هي سبب العدوى ولكن ظهر بطلان هذه الاشاعة لما تفشى شلل الاطفال في مدينة بفلو الاميركية فاشتدّ حيث لا ذباب وخف حيث الذباب كثير · وكان يظنّ ان الحرارة والجفاف من اسبابهِ ولكن وباء بفلو ظهر في الصيف والامطار غزيرة غزارة فاقت المعتاد · والراي الآن ان سببهُ مكروبات تطير مع الغبار وقد شرع معهد روكفلر بعمل التجارب لتحقيق هذا الراي وعين ٥٥ الف ريال جائزة لمن يكشف النقاب عن سر العدوى بهذا الوباء · وقد تمكن الدكتور فلكسنر من فصل مكروبهِ وهو يقول انهُ يسطو على اعضاء الجهاز العصبي المركزية اي النخاع الشوكي والدماغ وانهُ موجود على الدوام في النخاع الشوكي والدماغ والغشاء المخاطي في انف المصاب بهِ وحلقهِ وامعائهِ وهو اقلّ وجوداً في الاعضاء الداخلية الاخرى ولم يكتشف في الدم

الزكام وسببهُ

اشتهر ان سبب الزكام مكروب خاص بهِ ينتقل من المصاب الى السليم فيعديهِ وان هذا المكروب انواع كمكروب الانف ومكروب العين ومكروب الحلق ولكن ظهر من مباحث الدكتور فوستر في الجيش الاميركي ان سبب الزكام مكروب معدٍ موجود في دموع المزكوم ومخاطهِ لا يرى باعظم المكبرات وهذا المكروب يرشح من مرشحات الفخار التي تمنع مكروبات معظم الامراض المعدية ما عدا الكلَب والحصبة والحمى الصفراوية والحمى القلاعية وشلل الاطفال · وعليهِ لم تمكن معرفة طبيعة هذا المكروب تماماً ولكن ثبت بالتجربة ان الماء الملوث بهِ

يعدي الصحيح ولو صفي بالمرشحات المعروفة وان هذا المكروب لا يفقد قوتهُ وفعلهُ ولو مزج بتسعين الف ضعف من الماء وقد جرب هذا المزيج في ١١ جنديًّا بان ادخل في منخري كل منهم ١٠ نقط منهُ فزكموا كلهم في مدة تتراوح بين ثماني ساعات و يومين ولكن بعضهم شفي من الزكام في بضع ساعات

احذية عجيبة

يلبس الناس في بعض انحاء اسبانيا والبرتوغال وفرنسا احذية بطيئة البلى مصنوعة من قش نبات الشيح (الوزال) . وكثيراً ما يسمع الناس في اسبانيا والبرتوغال يتباهون بانهم لبسوا احذيتهم منذ ٢٥ سنة ولم تبلَ . والسرُّ في ذلك ان الحصى الدقيقة تعلق بالنعل وتتخللهُ فتقويهِ كالمسامير ثم اذا بلي النعل قام مقامهُ طبقة اخرى جديدة تحتهُ وهكذا الى ان يبلى كلهُ ولكن بعد زمان طويل كما تقدم . وقد قدروا ان هذا الحذاء يحتمل سير ستة آلاف ميل من غير ان يتحات منهُ شيء يذكر . ومنذ بضع سنوات تألفت شركة في اميركا تعمل احذية من هذا القش ولكنها افلست بعد مدة وجيزة عن نصف مليون ريال لان القش الذي جاءت بهِ لصنع الاحذية لم يكن من النوع المتين وهذا القش يستعمل كثيراً في المعامل الاوربية التي تصنع الورق . والورق الذي يصنع منهُ مشهور بمتانتهِ

الزرنيخ في الشعر

وجد بالامتحان ان شعر الاحياء دون الاموات يمتصُّ مركبات الزرنيخ وذلك بعد امتصاص اعضاء الجسم لهُ وخصوصاً الكبد والكليتين . واذا فحص الشعر في حوادث التسمم السريع الحاد لم يوجد فيهِ زرنيخ ولكن اذا اشتبه في كون التسمم بطيئاً وفحص الشعر وجد السم فيهِ ولم يوجد في الكبد او الكليتين وحينئذٍ يحكم بان التسمم من النوع البطيء لا الحاد السريع . ولا يخفى ما لهذه النتيجة من الفائدة من الوجهة القانونية

اختراع مفيد

تبيع احدى الشركات الاميركية ادوات منزلية مدهونة بمادة فصفورية تنير ليلاً فترى في الظلام من غير تعب في التفتيش عليها كعلب الكبريت والساعات الكبيرة وما اشبه ذلك



استغلال الارض

(٩)

قلما يحتاج اصاغر الفلاحين الى الاستعانة بانفار بالاجرة على فلاحة غيطانهم وانما يعاون بعضهم بعضاً اثناء العمل في مواسمهِ المهمة كعزيق القطن وجنيهِ

واشتهر فلاحو الجهات الجنوبية حيث الارض اخصب والعمال اكثر ولاسيما فلاحي المنوفية ومن حاكاهم باتقان خدمة الغيطان وتسميدها فتغل ارضهم اوفر غلة دائماً واغزرها غالباً وتفرّد فلاحو مناطق الارز بالمهارة في تربيتهِ لطول اعتيادهم اياها واختصاصهم بها حتى انهُ عند التوسع في مناطق الارز يضطر الراغبون في اتقان زراعتهِ في المناطق المستجدة الى احضار عمال من هناك لمباشرة تربيتهِ وخدمتهِ

ولا يزال فلاحو الوجه القبلي دون فلاحي الوجه البحري في حسن القيام على خدمة الارض وتسميدها ولاسيما زراعة القطن وتنميتهِ · ولا يقتصر تكسب الفلاحين على فلاحة الغيطان وحدها بل يزاول جمهورهم على قلةٍ وبلا مهارة فروعاً من الفلاحة الصغرى كتربية الماشية وصناعة اللبن وزراعة الخضر

ففي تربية المواشي يربي الفلاح نتاج بقرتهِ و يأخذ الفلاح الصغير المعسر نتاجاً من بقر الفلاح الموسر او المتوسط ليربيها بالمشاركة بينهما و بذلك يسد البعض حاجتهُ للمواشي و يربح البعض الآخر من بيعها · وقد اشتهر بعض جهات في المنوفية والغربية في ذلك حيث يساعدهم عليهِ توفر الطعام صيفاً خلافاً للجهات البحرية حيث يقل الطعام في الصيف

وفي صناعة اللبن يفيض منها عن حاجاتهم جانب من المسلي البلدي واشتهر اهل الجهات البحرية بصناعة الجبنة

وفي فلاحة الخضر يوجد في ضواحي كل بندر من البنادر المهمة مساحات تزرع باصنافهِ الشهيرة لاسيما في ضواحي مصر والاسكندرية وما شابهها من العواصم المهمة وقد اشتهر بعض الفلاحين باتقان زراعة صنف من اصنافهِ فمثلاً اشتهر فلاحو جهة كفر الدوار بزراعة الخرشوف وهم يوردون كميات عظيمة منهُ الى الاسكندرية خصوصاً

وما يلاحظ على هؤلاء الفلاحين في مزاولتهم هذه الفروع هو ما يلاحظ على اهل كل صناعة يقعد بجمهورهم الرضاء بالحاضر عن قلة ذات يد وقلة حيلة عن الاستزادة في اتقانهِ والتفنن في ترقيتهِ فضلاً عن العلل الاخرى التي اشرنا اليها فيما مضى وستأتي الاشارة الى بعضها فيما يلي

ومما يُنتقد على جمهور الفلاحين تقصيرهم في انتقاء التقاوي وصناعة السماد ومقاومة الحشرات والاعتناء بالمصارف. والعلة الاولى في ذلك خلوهم من المعارف النظرية التي تمكنهم من ادراك الحقائق وارجاع المسببات الى اسبابها الصحيحة واخذهم الفلاحة بالقدرة العملية البحتة بدون تحقق في حكمة قواعدها. والفلاحون لا يقابلون النصح والارشاد بالثقة الواجبة واذا قبلوها فببطء وبعد جهد. وقد دققت البحث في اسباب ذلك فوجدت ان منها (ما عدا الجهل الذي لا ينشئ في النفس حسن الاستعداد لفهم الحقائق عن اهلها) الامور الآتية:

(١) توارثهم الريبة والظنة في حكامهم وزعمائهم بسبب ما كانوا يعانونهُ منهم من الظلم في عصور الاستبداد والى عهد قريب

(٢) بقاء اثر التحكم وعدم احترام الحرية في نفوس اولئك الحكام والزعماء حينما يعاملون هؤلاء الفلاحين حتى ان لفظ (فلاح) في عرفهم من الفاظ التحقير

(٣) خلو هذا النصح والارشاد غالباً من دلائل العطف والاقناع الجلية التي يمكن ان يدركها الفلاح ادراكاً تامًّا وسلوك طريق التعميم والاجمال فيهِ وصدور بعضهِ عن غير خبرة عملية تامة وقبل ذلك ان القائمين بهِ نظريون اكثر مما هم عمليون وقوالون اكثر مما هم فعالون فليس من الغريب ان لا يبلغ نصحهم من النفوس المبلغ الذي يبلغهُ نصح من توفرت دواعي الثقة في نصحهم

أليس من العجيب ان يقوم بعض الزراعيين بين اهل الجهات البحرية الواطية منوهاً بينهم بفائدة الاقتصار في زراعة القطن على الثلث والتوسع في زراعة الحبوب وبفائدة تشميس الارض طويلاً بكلام كالذي يقولهُ آخر بين اهل الجهات الجنوبية في الدلتا والصعيد كأن ليس في نظر اولئك الناصحين اختلاف في احوال الزراعة باختلاف مراتب الارض وبيآتها

ألم يكن في سواقي الابادة لاول عهد الفلاحين بهم من كان اعتقادهُ بها كاعتقاد العامة حينذاك؟ بل أليس جمهور رجال معاهدنا الزراعية الآن ممن احرى بهم ان يسترشدوا من

الفلاحين العمليين عن كيفيات تطبيق قواعد الفلاحة العملية ومراعاة وقائعها تحت مختلف الاحوال والبيآت

(٤) ان الفلاحين كسائر اهل الصناعات العملية لا يغيرون مألوفهم الأ بعد الاطمئنان على تحقق الفائدة من وراء هذا التغيير بل بعد ان تشتد الحاجة اليهِ اشتداداً وليس الحال كذلك في مصر وحدها بل في غيرها ايضاً

واخيراً فان الفلاح في حاجة الى من يأخذ بيدهِ ماليًا وادبيًا والى مرشدين جديرين بمراكزهم من وجهة عملية واخلاقية معاً

احمد الالفي

فيضان هذا العام

بلغ فيضان هذا العام مبلغاً لم يكن منتظراً في الربيع الماضي فدلَّ على ان كل المعلومات التي لدى وزارة الاشغال العمومية لم تكف لجعلها تعلم ان فيضان هذا العام سيكون غزيراً جدًّا . ولو علمت ذلك لاحتاطت لهُ واشارت على الاهالي الذين يزرعون القطن في بعض الحياض التي يغمرها ماء الفيضان العالي ان لا يزرعوا القطن فيها ولأشارت ايضاً على اصحاب السواحل ان يقيموا لها الحوَش التي تقيها ولكنها لم تفعل شيئاً من ذلك لانها تجهل المقدمات التي ينتج منها نوع الفيضان . والظاهر ان سعادة امين باشا سامي لا يعلم هذه المقدمات ايضاً لانهُ لو كان يعلمها لملأ القطر المصري نداءهُ منذ الشتاء الماضي بان الفيضان هذه السنة سيكون فوق اربع وعشرين ذراعاً بمقياس الروضة . ولو فعل ذلك لكان نداؤهُ هذا ادل دليل على ان بحثهُ الطويل جاء بنتيجة فعلية ولو كان صدق الانباء مرةً لا يؤخذ حجة قاطعة على صدقهِ دائماً

وقد اقتطفنا من كتابهِ جدول السنين التي بلغ فيها الفيضان ٢٤ ذراعاً او اكثر بمقياس الروضة وذلك من سنة ١٨٤٨ الى الآن

السنة	اصبع	ذراع	السنة	اصبع	ذراع
١٨٤٨	٠٦	٢٤	١٨٨٣	٠١	٢٤
١٨٧٤	١٣	٢٦	١٨٨٧	٠٢	٢٥
١٨٧٨	٠٦	٢٦	١٨٩٢	٠٢	٢٥
١٨٧٩	١١	٢٤	١٨٩٤	٢١	٢٤
١٨٨١	٠١	٢٤	١٩٠٨	٠٤	٢٤

ففضيان سنة ١٨٤٨ بلغ اعلاهُ ٢٤ ذراعاً و ٦ اصابع ولم يذكر انهُ نتج عنهُ اقل ضرر
وفيضان سنة ١٨٧٤ بلغ اعلاهُ ٢٦ ذراعاً ١٢ اصبعاً وهو اعلى فيضان ذكر بالتحقيق فكسر قنطرة الشرقاوية وقطع السكة الحديدية التي بين بولاق الدكرور والمنيا واستمرَّ الماءُ ١١٥ يوماً عالياً ويقال انهُ لولا اهتمام الحكومة لنتج عن هذا الفيضان ضرر كثير • واعترف الاجانب سكان القطر المصري بذلك فجمعوا مالاً لكي يعملوا بهِ تمثالاً لاسمعيل باشا اعترافاً منهم بما بذلهُ من العناية اما هو ففضل ان ينشأ بهذا المال مدرسة مجانية بدلاً من اقامة التمثال فانشئت في الاسكندرية

وفيضان سنة ١٨٧٨ بلغ ٢٦ ذراعاً و ٦ اصابع ومكث الماء مرتفعاً ١٠٤ ايام ولم يذكر ما نتج عنهُ من الضرر • والفيضانات العالية التي تلت ذلك لم تضر ضرراً يذكر على ما يظهر وكان اعلاها ٢٥ ذراعاً واصبعين

تجارة القطر من حيث الزراعة

كانت قيمة الصادرات في العام الماضي الى آخر اغسطس ١٥٥٩٨٣٢٥ جنيهاً وقيمة الواردات ١١٤٤٩٣٩٦ جنيهاً اي ان قيمة الصادرات زادت حينئذٍ على قيمة الواردات اكثر من اربعة ملايين من الجنيهات • فانقلبت الحال هذه السنة وزادت قيمة الواردات على قيمة الصادرات فان قيمة الصادرات بلغت حتى آخر اغسطس ١٨٤٣٣٨٤٦ جنيهاً اي انها زادت على قيمة صادرات العام الماضي نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهي زيادة حسنة جدًّا ولكن قيمة الواردات زادت اكثر من ذلك كثيراً فانها بلغت ١٩٦٦٥٧٣٣ جنيهاً فزادت على قيمة واردات العام الماضي اكثر من ثمانية ملايين من الجنيهات وزادت على قيمة الصادرات اكثر من مليون ومئتي الف جنيه • وبعض هذه الزيادة ناتج من ارتفاع اسعار البضائع المجلوبة وبعضها ناتج من زيادة مقدارها وهو في الغالب من قبيل الافراط الذي كان في الامكان الاستغناء عنهُ فثمن الوارد من السمك المقدد زاد ١١٨ الف جنيه ومن الجلد وما يصنع منه ١٠٤ آلاف جنيه وثمن المسكرات ونحوها زاد ١٩٥ الف جنيه وثمن الكعك زاد ٥٠ الف جنيه وثمن الشكولاتا والكاكاو زاد ٧٠ الف جنيه وثمن البيرة زاد ٢٩٨ الف جنيه وثمن الاشربة الروحية زاد ٢٠٠ الف جنيه وثمن المنسوجات القطنية زاد مليوناً و ٤٣٢ الف جنيه والمنسوجات الكتانية ٢٠٠ الف جنيه والمنسوجات الحريرية ٩٨ الف جنيه والبرانيط ونحوها ١٧٩ الف جنيه • فهذه الزيادات بلغ مجموعها ثلاثة ملايين من

الجنيهات وكان في الامكان ان يستغني القطر عنها هذا العام كما استغنى في العام السابق

والعادة ان يصدر نحو اربعة اعشار موسم القطن من سبتمبر الى آخر دسمبر فاذا فرضنا ان موسم هذا العام بلغ ستة ملايين قنطار فقط وصدر منهُ الى آخر السنة مليونان ونصف وبيعت بالاسعار الحالية قطناً وبزرة واضيف اليها اجرة الشحن والحلج بلغ ثمنها نحو ١٥ مليون جنيه فتصير قيمة الصادر الى آخر السنة اكثر من ٣٣ مليون جنيه واذا لم تزد قيمة الوارد الى آخر السنة على ستة ملايين جنيه خرج القطر في آخر السنة وقيمة صادراتهِ تزيد على قيمة وارداتهِ ثمانية ملايين من الجنيهات وهي كافية لايفاء فائدة دين الحكومة واقساط ديون الاهالي للبنوك. ولكن يخشى ان لا تقف قيمة الوارد عند هذا الحد بل تزيد فتستغرق جانباً كبيراً من ربح القطر

بقي ان الاموال التي انفقها الجيش البريطاني في القطر هي دخل للقطر لم يذكر في ثمن الصادرات وهي سبب الغلاء الذي نراهُ الآن ولكنها اموال باقية في البلاد وبها تزاد ثروتهُ ولا يبعد ان يكون جانب كبير منها الآن مودعاً في البنوك

تفتيح لوز القطن بالصناعة

لما التأم موءتمر القطن في جزائر الهند الغربية في الربيع الماضي قال رئيسهُ ان شعرة القطن لا تبتدئ متانتها قبل اليوم الحادي والعشرين من تكوُّنها ثم تزيد رويداً رويداً الى اليوم الثاني والاربعين فاذا جُمع القطن قبل ذلك لم تكن شعرتهُ قد استكملت متانتها ولذلك لا يحسن جمع لوز القطن قبل مضي ٤٥ يوماً من حين ظهور النوار

واثبت بعضهم في ذلك الموءتمر انهُ اذا جمع لوز القطن حينما يبلغ وقبلما يفتح وغطس بمحلول كيماوي فانهُ يفتح حالاً ويكون قطنهُ انظف وامتن واجود مما لو ترك اللوز على الشجر حتى يفتح من نفسهِ اما المحلول الكيماوي فصاحبهُ قد اخذ حق الامتياز بهِ فلا يخبر احداً بتركيبهِ. والظاهر انهُ مادة تجفف مصاريع اللوزة فتنكمش وتفتح

القطن امتن من الحديد

يراد بذلك اننا اذا اخذنا شعرة واحدة من القطن وشعرة تماثلها ثخناً من الحديد وجدنا شعرة القطن امتن من شعرة الحديد. ولكننا اذا شددنا بخيط من القطن وسلك مثلهُ من الحديد وجدنا سلك الحديد امتن جداً من خيط القطن وسبب ذلك ان خيط القطن موءلف

من الياف دقيقة فينفصل بعضها عن بعض اذا زيد شد الخيط و يظهر كأن الخيط انقطع حينئذٍ والحال انهُ تمزق اي انفصلت اليافهُ بعضها عن بعض واما سلك الحديد فغير مؤلف من الياف دقيقة بل هو قطعة واحدة متماسكة الدقائق مهما كان ثخيناً فيعسر فصل دقائقهِ بعضها عن بعض . فاذا قيل ان القطن الواحد امتن من القطن الآخر فالمراد ان الخيط المغزول من القطن الاول امتن من خيط يماثلهُ مغزول من القطن الثاني وهذه المتانة تتوقف على قوة تماسك الالياف (الشعر) بعضها ببعض متى غزلت

تسميد القطن وريهُ

اذا زُرع القطن في مئة فدان او مئتي فدان مختلفة التربة وكان الزراع كثاراً يبلغون مئة او اكثر وجروا في خدمة زراعتهم على اساليب مختلفة بعضهم سمَّد الارض كثيراً و بعضهم سمدها قليلاً و بعضهم لم يسمدها مطلقاً و بعضهم وسَّع الخطوط و بعضهم ضيقها و بعضهم اعتدل فيها . و بعضهم اعتنى بالعزق وتنقية الحشائش و بعضهم لم يعتنِ بهما . و بعضهم اكثر ماء الري و بعضهم قللهُ و بعضهم طبَّق القطن و بعضهم لم يطبقهُ . و بعضهم بكَّر في الزرع و بعضهم أخَّرهُ . و بعضهم زرع القطن بعد البرسيم و بعضهم زرعهُ بعد الفول و بعضهم زرعهُ في ارض مبوَّرة . وكانت التقاوي واحدة في كل حال . فهناك تجارب من اوسع التجارب الزراعية . وهذا نراهُ الآن عياناً واختلاف نتائجهِ باختلاف الخدمة مدهش فانهُ لا يقل عن مئة في المئة

مزارع مشهور باتقان خدمة القطن سبَّخ جانباً من الطين الجيد بسباخ بلدي وضعَ في الفدان ٥٠٠ غبيط واعتنى بالحرث والتخطيط والعزق وتنقية الحشائش ولم يتمكن من ري القطن الأ مرة كل عشرين يوماً ولكنهُ رواهُ ريّاً غزيراً فنما القطن كثيراً بسوق خشبيَّة كالأشجار الصغيرة وكثر ورقهُ ولكن قلَّ لوزهُ جداً ولا ينتظر ان يجنى من الفدان منهُ ستة قناطير صغيرة (نحو قنطارين) وهذا المزارع نفسهُ زرع ارضاً اخرى جيدة ولكنها غير مستريحة لانها كانت مزروعة فولاً ولم يكثر تسميدها و ينتظر ان يجني منها ١٢ قنطاراً صغيرة (نحو اربعة قناطير) لانهُ استطاع ان يرويها ريتين زيادة عن ريات الارض الاولى

متانة القمح المصري

وضع المستر فرنك هيوز كيماوي وزارة الزراعة المصرية رسالة في هذا الموضوع نشرها بالانكليزية وقال فيها ما خلاصتهُ

ان القمح الذي يصنع منهُ خبز يرتفع كلهُ بالانتظام يسمّى متيناً والقمح الذي لا يرتفع خبزهُ جيداً ولا يكون ارتفاعهُ منتظماً يسمّى سخيفاً . وكان المظنون ان المتانة تتوقف على كثرة المواد النتروجينية في الدقيق ثم ظهر ان مقدار المتانة يتوقف على مقدار غاز الحامض الكربونيك الذي يتولَّد في العجين وقت اختماره . فامتحن ذلك في القمح المصري الصعيدي والفيومي والهندي فظهر لهُ ان القمح الصعيدي هو الامتن و يتلوهُ الفيومي وان الهندي الذي يزرع في هذا القطر سخيف بالنسبة اليهما . وفي بلاد الانكليز نوع متين ونوع سخيف من القمح وامتن منهما كليهما القمح البلغاري ولكن القمح الصعيدي امتن منهُ من حيث مقدار الغاز الذي يتكون فيهِ . ومن الغريب ان مقدار الغاز في الدقيق الخشن اقل منهُ في الدقيق الناعم . فاذا كان مقدار الغاز في الدقيق كما يشترى قبل نخلهِ ٤٥١ فاذا نخل بمنخل خروبهُ ضيقة ٩٠ في البوصة فالذي ينزل من المنخل لنعومتهِ يتولد منهُ ٤٨٣ من الغاز والذي لا ينزل من المنخل لخشونتهِ يتولد منهُ ٣٥٢ فقط من الغاز

ثم ان الغاز في دقيق القمح الاحمر اكثر منهُ في دقيق القمح الابيض

وقد امتحن عينات مختلفة من دقيق القمح المصري وحسب ما فيها من الرطوبة المائية والنخالة والنتروجين وما يتولد من عجينها من الغاز من ٢٠ غراماً من الدقيق فكانت النتيجة كما ترى في هذا الجدول

	رطوبة	نتروجين	نخالة	غاز
هندي من تقاوي مصرية	١١,٤٢	١,٦٥	١٠,٥	٢٥٩
. . . هندية	١٠,٤٦	١,٥٢	٠٩,٨	٣٦
بلدي احمر	١١,٠٤	١,٤٨	٠٨,٩	٣٦٥
بلدي ابيض	١٠,٣٤	١,٩٨	١٠,٨	٤٥١
جاوي من اسيوط	٠٩,٣٦	٢,١٤	٠٩,٣	٥٠٤
هندي	١١,١٤	١,٦٢	١٠,٣	٢٨٠
صعيدي ابيض	١٠,٠٢	١,٦٠	١٠,٦	٥٢٠
صعيدي احمر	٠٩,٨٦	١,٦٤	١٠,٦	٥٧٠
فيومي	١٠,٠٦	١,٥٥	٠٩,٤	٤٧٠
بحيري	١٠,٧٤	١,٥٠	٠٩,٦	٤٩٥
هندي من بني سويف	٠٩,٦٦	١,٥٠	٠٩,٦	٢٥٠

وعليهِ فالقمح الهندي الذي امتحن سخيف كلهُ والقمح المصري الاحمر امتن من المصري الابيض والنتروجين فيهِ اكثر منهُ في الابيض · والصعيدي الاحمر افضل من الجميع

خنفساء القطن

يصاب لوز القطن الاميركي بنوع من الخنافس الصغيرة تضرُّ بهِ ضرراً كبيراً يبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات في السنة · ظهرت هذه الحشرة في ولاية تكساس من ولايات اميركا سنة ١٨٩٣ وانتشرت منها رويداً رويداً حتى تفشَّت في سنة واحدة وهي سنة ١٩٠٤ في تسعماية الف فدان · ومن رأي المستر بلو العالم بالحشرات انهُ لا تأتي سنة ١٩٢٢ حتى تصل الى الاماكن التي يزرع فيها قطن السي ايلند وتتلفهُ كلهُ فتبطل زراعتهُ وينقرض · وعليهِ لا يبقى قطن يماثلهُ الأ في القطر المصري

موسم القطن المصري

١٩١٥ — ١٩١٦

نشرت شركة المحاصيل العمومية بالاسكندرية احصاءاتها الختامية لموسم القطن في سنة ١٩١٥ — ١٩١٦ الذي انتهى في ٣١ اغسطس الماضي

ويؤْخذ من هذه الاحصاءات ان محصول ١٩١٥ بلغ بعد كل تصحيح ٣٣١ ٨٠٦ ٤ قنطاراً مقابل ٢٢١ ٤٩٠ ٦ قنطاراً محصول ١٩١٤

فاذا اضيف الى محصول سنة ١٩١٥ المخزون الذي كان باقياً في الاسكندرية في ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهو ٣٣٠ ٨٩٠ قنطاراً — مقابل ٣٠٠ ٧٦٦ قنطاراً في ٣١ اغسطس ١٩١٤ — فيكون المجموع ٦٦١ ٦٩٦ ٥ قنطاراً في موسم ١٩١٥ — مقابل ٥٢١ ٢٥٦ ٧ قنطاراً في موسم ١٩١٤

اما مجموع الصادرات في ١٩١٥—١٩١٦ فبلغ ١٦١ ٠٣٣ ٥ قنطاراً مقابل ٦٣١٨٩٩٠ قنطاراً في ١٩١٤ — ١٩١٥

واستهلكت المقطوعية المحلية بالاسكندرية ٥٦٥٠٠ قنطار في ١٩١٥ — ١٩١٦ مقابل ٤٦٨٩٠ قنطاراً في ١٩١٤ — ١٩١٥

واتلفت الحرائق من القطن ١٤٠٠٠ قنطار في ١٩١٥ — ١٦ مقابل ٣١١ قنطاراً فقط في ١٩١٤ — ١٩١٥

فاذا اسقطنا من المجموع وهو ٥٦٩٦٦٦١ قنطاراً مجموع الصادر وما استهلكتهُ المقطوعية المحلية وما اتلفتهُ النار وهو ٥٦٠٣٦٦١ قنطاراً فيكون الباقي ٩٣,٠٠٠ قنطار وهو كمية المخزون في ٣١ اغسطس ١٩١٦ مقابل ٨٩٠٣٣٠ قنطاراً في ٣١ اغسطس سنة ١٩١٥ ومن هذا ترى قلة المخزون في هذه السنة بالنسبة الى السنة الماضية

اما محصول بذرة القطن في ١٩١٥ — ١٩١٦ فقد بلغ ٢٦٢٤٨١٣ اردباً . فاذا اضفنا اليها مقدار المخزون في ٣١ اغسطس ١٩١٥ وهو ١٣٦٠٠ اردب فيكون المجموع ٢٦٣٨٤١١ اردباً صدر منها ١٩٦٠٩١٦ اردباً مقابل ٣٢٧٥٣٥٩ اردباً في ١٩١٤ — ١٩١٥ وبلغ ما استهلكتهُ المقطوعية المحلية بالاسكندرية ٦٥٢٠٠٠ اردب مقابل ٦٠٠٠٠٠ ١٩١٤ — ١٩١٦

فاذا اسقطنا من المجموع البالغ ٢٦٣٨٤١١ اردباً مجموع الصادر وما استهلكتهُ المقطوعية المحلية وهو ٢٦١٢٩١٢ اردباً فيكون الباقي في ٣١ اغسطس ٢٥٥٠٠ اردب

القطن التسعيني

في هذا القطر رجل يجرب تجارب زراعية لتوليد اصناف جديدة من القطن وقد مضى عليهِ الآن عشرون سنة وهو جارٍ على خطة واحدة قارناً العلم بالامتحان والاستقراء وهو الذي ولَّد القطن النوباري وكان ابوهُ جارياً في هذه الخطة قبلهُ فولَّد القطن العباسي . ونظن ان كثيرين من ارباب الزراعة يعرفونهُ وهو الخواجه نيقولا باراشيموناس

دعانا في اول سبتمبر لمشاهدة التجارب التي اجراها هذه السنة في جهة منيا القمح في اربعين فداناً من اطيان الخواجه بولس علم فذهبنا معهُ في الصباح باول قطر الى بنها ومنها الى محطة منيا القمح وركبنا مركبة من هناك الى الاطيان في بلدة العرايس

والاطيان التي زرع قطنهُ فيها معتدلة الجودة ولو كان لها اتصال بمصرف كبير لصارت من اجود الاطيان

رأى الخواجه باراشيموناس ان التنوع كثير في القطن فلا يندر ان يوجد في كل غيط اشجار اكثر طرحاً من غيرها واجود قطناً واسرع نضجاً واشد مقاومة للحشرات . وانهُ اذا اخذ التقاوي من هذه الاشجار فقط وزرعها وحدها فقد تظهر هذه الصفات كلها في بعض الاشجار المتولدة منها . فإذا اقتصر على اخذ التقاوي من هذه وزرعها واختار منها ماقويت فيهِ هذه الصفات واستمر على ذلك سنة بعد سنة تولد معهُ اخيراً صنف تكون هذه الصفات

ثابتة في كل ما ينمو منهُ وقد تبقى هذه الصفات ثابتة فيما يزرع منهُ سنة بعد سنة عشر سنوات او اكثر ثم تنحط كما انحطت الاصناف القديمة

والاصناف التي زرعها في هذه الاربعين فداناً كثيرة جداً منها ما هو قصير لا يبلغ ارتفاعهُ عن الارض اكثر من نصف متر وطرحهُ كثير جداً . ومنها ما هو قصير وطرحهُ معتدل او قليل . ومن هذه الاصناف الثلاثة ما يمكن جنيهُ الآن ومنها ما لا يجنى إلاَّ بعد اسبوعين او اكثر . ومنها ما هو طويل جداً يبلغ ارتفاعهُ متراً او متراً ونصف متر وبعضهُ كثير اللوز جداً وبعضهُ قليل اللوز او معتدلهُ

واللوز في اكثر هذه الاصناف كبير بعضهُ طويل وبعضهُ مستدير واكثرهُ من ذي الابراج الثلاثة ولكن بعضهُ من ذي الابراج الاربعة او الخمسة

واكثر القطن الذي فتح ابيض ولكن بعضهُ اسمر على درجات مختلفة من السمرة . والاصناف الجيدة شعرها طويل متين لماع فيهِ شيء من التجعد ويقول الخواجه باراشيموناس انهُ لا يقل عن شعر القطن الاميركي المعروف بالسي ايلند طولاً ودقةً ومتانة

وقد اخبرنا ان الغرض الذي يرمي اليهِ هو ان يجد صنفاً لا يقل عن السي ايلند جودة ويزيد على العفيفي والسكلاريدس محصولاً ويكون سريع النضج حتى ينضج لوزهُ ويفتح قبل ظهور دودة اللوز والدودة القرنفلية . وعندهُ انهُ قد وجد الآن هذا الصنف فانهُ اضطرَّ لاسباب خصوصية ان يتأخر في زرعهِ هذه السنة الى اواخر ابريل واوائل مايو ثم قلَّت المياه جداً حتى قطع املهُ منهُ وكاد يقلعهُ وبعد ذلك جاءَت المياه فانتعش ولكن العطش اخرهُ نحو شهر ومع ذلك فقد فتح اكثر لوزهِ الآن وليس فيهِ لوزة مصابة بالدودة ومرادهُ ان يسمي هذا الصنف بالقطن التسعيني لاعتقادهِ انهُ ينمو وينضج في تسعين يوماً

وعندهُ دفاتر يدوّن فيها تاريخ كل صنف من الاصناف وما يعرض لهُ من العوارض وما ينتج منهُ من النتائج فيدوّن فيها تاريخ زرعهِ وتواريخ ريهِ وزمن جنيهِ وما يجنى منهُ ثم يحفظ بزور الاصناف التي يراها اجود من غيرها ويزرعها في العام التالي وهلم جرا

وقد بقينا اكثر من ساعتين نجول في هذه الاربعين فداناً نتفقد ما فيها من اصناف القطن المختلفة وهو يشرح لنا تاريخ كل صنف منها وما يريد اهمالهُ وما يريد حفظهُ

فعسى حضرة صاحب المعالي وزير الزراعة وجناب وكيلها وكبار مزارعي القطر ان يهتموا بهذه التجارب الاهتمام الواجب . وحبذا لو ارسلت وزارة الزراعة لجنة من قبلها الآن لمشاهدة هذه التجارب ووقفت على بحث رجل قضى سنوات كثيرة وهو يعمل لفائدة هذا القطر



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناه ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان · ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ · ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق · فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ · فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

كتب السحر والحجب

حضرات العالمين الفاضلين منشئي مجلة المقتطف الزاهر

لا يخفى تصديق البسطاء والعوام بالخرافات واعتقادهم باعمال السحر وان هؤلاء البسطاء يعظمون السحرة ظنًّا منهم ان في قدرتهم فعل الخير والشر لكل انسان ولهم قوة تفوق الطبيعة كما يزعمون وانهُ يمكنهم فتح ابواب كنوز القدماء واستخراج الجواهر منها لنفع غيرهم من الطالبين وذلك على يد اشخاص ممَّن تتوفر فيهم علامات مخصوصة لإبطال رصد الكنوز .

ويدعون ان لهم اليد الطولى في التفريق بين المتحابين وبالعكس ويزعمون ان من يكتب لهُ حجاب ويحملهُ لا يصاب بمقذوفات الرصاص ولو كانت موجهة اليهِ : حضر اليَّ احدهم واراني حجاباً قال ان احد كبار السحرة عملهُ لهُ لوقاية حاملهِ (سواء كان انساناً او حيواناً) من مقذوفات الرصاص على انواعهِ لان الخادم الموكل يحفظ حامل هذا الحجاب (وهو من الجن) يمكنهُ ملاشاة قوة الرصاص عند قذفها وجعلها تصيب حامل هذا الحجاب إصابة خفيفة جداً كأنهُ اصيب بحصاة او نواة واما ضرب النبابيت فلا قدرة للخادم المذكور على ملاشاة قوتها حيث هو موكل بملاشاة قوة الرصاص المقذوفة فقط

فاخذت منهُ هذا الحجاب ووضعتهُ في اعناق جملة من الطيور والحيوانات واطلقت عليها الرصاص فقتلت جميعها لساعتها فعلم حامل هذا الحجاب أنهُ خدع بمكر احد السحرة

وكتب السحر كثيرة ومتداولة ويزعمون ان ما كتب بخط اليد وكان قديماً منها ففوائدهُ عجيبة مثل كتاب شمس المعارف الكبرى وكتاب شرح الجلجلوتية الكبرى وكتب الجفر والزيرجة والرمل واما ما نشر من هذه الكتب بواسطة الطبع فالبركة زالت منهُ واغلب

فوائده غير مجيبة وهذا ما دعا امناء مكتبة مصر السلطانية ومكتبة اسكندرية البلدية الى تحذير الزائرين من مطالعة كتب خط اليد الموضوعة في العلم الروحاني (السحر) والزيرجة والرمل لانها تفسد اخلاق الزائرين وتعلّمهم النصب والتحايل على الغير بالغش والتدليس

احمد السيد

اسئلة الامتحان

حضرات الافاضل اصحاب المقتطف

اقتضت حكمة الباري تعالى ان يكون الانسان اشرف ما يدب على ارضهِ فتجلى عليهِ بروح من عندهِ الا وهو العقل ليكون ميزة لهُ بها يبين عن بقية الحيوان فكان مصباحاً لهُ يُبصرهُ النافع والضار فيقبل على الاول وينأى عن الثاني وبذلك كان لهُ المركز الاول في هذه الحياة يسخر ما شاء متى شاء والى شاء ما دام مستعملاً ميزتهُ فيما خلقت لهُ والاَّ تساوى بيني جنسهِ وفقد نوعيتهُ فكان كالببغاء يقول ما لا يفقه او كالحمار يحمل اسفاراً وهنالك تكون الطامة الكبرى اذ فقد سلاحهُ على حين ان بقية الحيوانات لم تفقد سلاحها هكذا يكون حال الانسان وهكذا يصاب ان لم يضع الشيء موضعهُ حتى يصيب الغرض موقعهُ لينجح ويفوز

فهاك التعليم الحالي فانا نراهُ مبنيًّا على الشهادات فترى الطالب يجدُّ في حفظ القواعد حفظاً مقيدا عن ظهر قلبهِ كفقهاء الريف مع حفظ مثال لكل قاعدة نحوجاء زيد· يا زيد· زيد اليعملات· خاتم حديد· او حفظ العشرات من شروط الابواب والفصول كشروط السلم · والتولية · والمرابحة · والصحة في الصيغة · والمقابلة للفساد والبطلان في البيع · والاقتداء · والاجازة · وشروط افعلة · والتصغير وغير ذلك مما لا يحصى عددهُ وتملُّ حفظهُ النفوس الروحانية

كل ذلك وسائل لا حاجة اليها متى قدرنا ان نصل الى المتوسل اليهِ بالقليل من المبادىء ومساعدة القوة الدرّاكة

ويا ليت تلك المحفوظات تبقى رصينة في الذهن جزءًا كبيراً من الزمن فانها كالنقش على الرمال ساعة الزوابع وان بقيت فما هي الاَّ الفاظ في فم ببغاء يقولها وقتاً ثم تنسى

وما ذلك الاَّ لان النفوس الراقية تملّ الحفظ الاعمى ولا يمكنها ان تقوم بهِ اما النفوس المتأخرة فانها تقابل ذلك بصدر رحب وما اقواها على طيهِ متى ارادت

يجدُّ الطالب في حفظ القواعد والابواب والفصول والامثال والحواشي وغير ذلك حرصاً على الشهادات حتى اذا قدم الامتحان وضع المدرسون الاسئلة قواعد ومحفوظاتٌ بيد ان متأنقهم يضعها مضطربة تشويشاً للذهن جزء السوءال الواحد من واد والجزء الثاني من آخر والثالث من ثالث . . . وهكذا السوءال الثاني والثالث الخ . كل ذلك في علم واحد . وبهذا يضطرب فكر بعض المسئولين فيزل القلم وعلى ذاك ينجح اولئك الذين انهكوا قواهم في الحفظ البيغائي

اما الطالب الذي لا يعرف هذا الحفظ بل كل ما عندهُ فقه المسائل اللاتي تمر عليهِ بدون ان يشغل نفسهُ بتلك المحفوظات العميانية بحيث اذا سئل عن حكم في مسألة اجاب فوراً لم يكن نصيبهُ من هذا الامتحان الاعمى الا الرسوب فيحرم نفسهُ وامتهُ من آثارهِ قلمية كانت او عملية

يأفل نجم هذا بما نالهُ من الحيف ويظهر نجم ذاك أعني صاحب المحفوظات طالب الشهادات وما تجرهُ من الجنيهات فيمر على الامتحانات ويتجاوزها وقد تسلّم شهادة تعبّر للعامة ومن في حكمهم ان صاحبها من النوابغ وهو كذلك في اعين معلميهِ ومعارفهِ فان اسعدهُ الحظ توكل اليهِ ادارة من الادارات ويجعل عملهُ ارضاء للروءساء ولو كان في ذلك هلاك من تحت يدهِ وضياع حقوقهم

ولنضرب مثلاً لما نرمي اليهِ لكي تبدو الحقيقة ناصعة فنقول ان اللغة العربية الآن تُعلّم بديار التعليم بواسطة القواعد التي بدىء تأليفها في عصر الامام علي كرم الله وجههُ وجعلت تلك القواعد علماً من العلوم بها ينجح الطالب او يرسب

وكلنا متفق على ان الغرض من هذه القواعد الوصول الى فهم كلام الله تعالى وكلام رسولهِ والعرب والتكلم بها والكتابة فاذا امكن الطالب الوصول الى ذلك بواسطة المبادىء الاولى وكثرة المذاكرة والكتابة حتى كانت اللغة لسانهُ الذي ينطق بهِ و يعبر عما في ضميرهِ فاستغنى عن القواعد التي تلقى عليهِ حتى اذا جاء الامتحان وموضوعهُ تلك القواعد فلم يكتب عنها شيئاً فهلاً يعدُّ ساقطاً

انا اعتقد انهُ ما من احد يجب ان يعد من كان هذا حالهُ ساقطاً ومثل ذلك يقال في بقية العلوم فالاحرى بل الواجب على المعلمين ان يضعوا اسئلة الامتحان عقلية مطبقة على القواعد ولا يطلب من المسوءول الا الحكم فيها فقط لان الانسان ليس فونغرافاً ولان هذه الطريقة هي بعينها التي تعرض عليهم وهم عاملون في الادارة او قائمون في اي مقام حتى ينبغ

ذوو العقول و ينكبّ الكل على التعليم العملي و يطلبوا العلم لذاتهِ فلا يحرم كبار العقول من التقول في المعقولات والغوص في بحارها والتقاط جواهرها فيظهر الفلاسفة والحكماء ويداوون امراض الامم و يقودونهم الى ما بهِ يسعدون والاَّ اذا تمادى المعلمون في طريقتهم هذه ولم يجعلوا تعليمهم عمليًّا ووضعهم الاسئلة عمليًّا لا يحتاج الاَّ الى الحكم محتجين بالطريقة التي لاقوها من معلميهم ايام ان كانوا طالبين اماتوا العلم الحق وحالوا بينهُ وبين من يبغيهِ من عشاقهِ ودام العلم في بلادهم اعمى فلا رجال نابغون ولا حكماء مصلحون . فما رأي حضرات العلماء في ذلك

عبد الحفيظ عوض عوض

بمدرسة القضاء الشرعي



صبح الاعشى

الجزء التاسع

اهدت الينا دار الكتب السلطانية الجزء التاسع من كتاب صبح الاعشى الذي عنيت بطبعهِ . وهو جامع لكثير مما قالهُ الاقدمون والمتأخرون في التهانيء والتعازي والتهادي والاستعطاف والاعتذار والشكر والعتاب وغير ذلك وفي مخاطبة اصحاب الولايات من الخليفة والسلطان فمن دون وسائر ما يتعلق بذلك من بيعات الخلفاء وعهودهم وما اشبه

وربما كان باب « التهادي والملاطفة » ألطف ابواب الكتاب . فقد جاء فيهِ ما يكتب مع الهدية عند بعثها سواء كان جواداً ادهم اغرَّ محجلاً او اكديشاً او بازيًا او كوهية او عقعقًا او اوزًّا صينيًّا او مشمشًا لؤلؤيًا او بطيخًا حلبيًّا او قصب سكر او قلقاسًا او خياراً او ملوخية . وكلُّ ما قيل في ذلك من انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة عدا ما قيل في الجواد فانهُ من انشاء علي بن خلف . قال ابن نباتة من رسالة في هدية اهديت اليهِ من باكورة خيار وملوخية :

« لا زالتْ تشرح بمكارمها الصُّدور ، وتفتح بركات الاعوام والشهور ، وتمنحُ من لطائف مننها كلَّ جماعةِ السرور ، وتلح في هداياها المستبقة الى الاولياء خيار الامور ،

تقبيلَ محبٍ لا تغيِّر ولاءهُ الدهور ، ماشٍ من طريق المصافاة والموافاة في نورٍ على نور

« و ينهي ورود مشرّفة مولانا على يد فلانٍ تتضمن المعهودَ من ولائهِ وآلائهِ ، والمشهودَ المشهورَ من إحسانٍ نداهُ قبل ندائهِ ، فقابلها المملوك مقابلةَ الشيِّق الى قرب الديار ، الممضي في المحبة قلبهُ لمولاهُ قبل شرط الخيار ، ووصلت لطائفُ هديتهِ الخضرة النضرة ، وطرائفُ الفضل الباكرةُ كمعاني اللفظ المبتكرة ، فتنجزَ المملوك الفاكهة قبل اوانها البديع ، ورصد من افلاك العلب في ذي الحجة غرّةَ ربيع ، وتفاءل بالهدية المجمّعة الاحباب في ان يعود الشملُ وهو جميع ، وقد عاد فلانٌ حاملاً من رسائل الشوق والشكر ما يؤديهِ بين ايدي مولانا الكريمة ، ويجدد بذكراهُ عهود الانس القديمة ، لا برح مولانا سابق الكرم ، مخضرَّ المرابع ببيض النعم »

وتدلُّ هذه الرسائل على ان كتَّابها كانوا في سعة من العيش وامن من طوارق الزمن وان بضاعتهم كانت رائجة ومنزلتهم عند حكامهم مرتفعة

وثمن النسخة من هذا الجزء ١٢ غرشاً صاغاً

اصول علم الاقتصاد السياسي

عني حضرة الفاضل محمد حمدي بك السيد القاضي في المحاكم الاهلية بتعريب كتاب الاقتصاد السياسي للاستاذ ووكر الاقتصادي الاميركي المشهور فاصدر الجزء الاول والثاني منهُ في مجلد واحد واقع فيما يزيد على ٤٠٠ صفحة ووعد باصدار الجزء الثالث فيما بعد

اما الاول فحاوٍ لثلاثة ابواب الاول طبيعة علم الاقتصاد واسلوبهُ . والثاني ايجاد المال وانتاجهُ وفيهِ اربعة فصول والثالث التداول وفيهِ سبعة فصول

واما الثاني ففيهِ بابان الرابع في توزيع المال وتحتهُ ثمانية فصول والخامس في الاستهلاك وتحتهُ اربعة فصول

واما الثالث الموعود فسيحوي مباحث في تطبيق الاصول الاقتصادية مثل الاشتراك في الاعمال واتفاق العمال واعتصابهم واتحاد جمعياتهم واعمال البنوك والمبادلات الدولية والضرائب والاشتراكية وامثالها من المباحث . والكتاب حسن العبارة واضح المعاني كما ترى في الفصل التالي المنقول عنهُ . فقد جاء في تعريف السوق قولهُ :

« وضع الكتاب للسوق تعاريف كثيرة ، واظن انهُ يدل على شيئين : الاول نوع من جنس . والثاني طائفة من المبادلين

فبمقتضى المعنى الاول لا يوجد سوق واحدة لجميع الاشياء او لطائفة منها تختلف انواعها — كسوق للشاي والحديد والقطن والقمح ، بل يوجد لكل منها سوق على حدتهِ ، اي سوق للشاي يباع فيهِ ويشترى ، وسوق للحديد يباع فيهِ ويشترى ، وبذلك تتعدد الاسواق بتعدد الاصناف

« وبمقتضى المعنى الثاني يشمل السوق جميع الذين يعرضون صنفاً معيناً او يطلبونهُ في اي مكان كانوا ، وعلى ذلك ينتسب جميع المستعدين للبيع او الشراء بعضهم من بعض الى سوق واحدة ولو اختلفت محلات اقامتهم

« ولا يستلزم المعنى الاخير انتساب جميع البائعين والمشترين لصنف واحد في مكان واحد الى سوق واحدة ، فلو فرضنا ان في نيويورك خمسةً من تجار وارد الشاي و ١٥ ممن يتجرون فيهِ بالجملة و ٥٠٠ ممن يتجرون فيهِ بالتجزئة ونصف مليون ممن يستهلكونهُ — فان هؤلاء لا ينتسبون جميعاً الى سوق واحدة وانما يكوّن تجار الوارد وتجار الجملة سوقاً من اسواق الشاي ، ويكوّن تجار الجملة وتجار التجزئة سوقاً اخرى ، ويكون تجار التجزئة والمستهلكين سوقاً اخرى ، فالاسواق بقدر طوائف المبادلين سواء بسواء ، وهي في حالتنا هذه ثلاث لكل منها جماعة من المشترين والبائعين ، ويختلف ثمن الشاي في كل منها في اي وقت عن ثمنهِ في الاخرى . وعلى ذلك قد يكون ثمن الصنف نفسهُ في السوق الاولى ريالاً ، وفي الثانية ١ر١ ريالاً وفي الثالثة ٣٥ر١ ريالاً

« فتعريف السوق بغير ما عرفناها بهِ لا يستقيم مع القول بان ليس للاشياء المثلية الا ثمن واحد اذا اتحدت في السوق والزمن . وعلى ذلك نرى ان الشاي والصوف والحديد والقمح وغيرها يباع كل منها باثمان مختلفة متعددة ولو كانت كلها موجودة في شارع واحد من شوارع المدينة التي تسمى اسواقاً

« يتضمن مكان السوق عدة اسواق في الحقيقة ، ويجوز ان يمتد كل سوق منها خارج حدود ذلك المكان ، فلا يقتصر تجار الوارد الخمسة المقيمون في نيو يورك على البيع الى تجار الجملة الخمسة عشر المقيمين فيها ، بل يتعدونهم الى عشرين آخرين في اماكن اخرى تبعد اميالاً عنها ، فيتكوّن السوق من خمسة من تجار الوارد وخمسة وثلاثين من تجار الجملة ، ويشترك فيهِ المقيمون فيها والخارجون عنها سواء بسواء ، لاشتراكهم في طلب هذا الصنف في هذه السوق ، ويجوز ايضاً ان لا يقتصر هذا العدد من تجار الجملة على معاملة مئة التاجر من تجار التجزئة ، بل يتعداهُ الى الف من المنتشرين منهم في هذا الاقليم ، فتتكون السوق

من هذا الجمع ، لا من الخمسة عشر والمائة المقيمين في المدينة المذكورة ، و يبيع الف التاجر المذكورون الى مليون ونصف ممن يشربون الشاي ، لا الى نصف مليون فقط

« فجميع الاشخاص الذين يتكوّن من طلبهم او عرضهم لصنف معين مجموع طلب ذلك الصنف او عرضهُ في اي مكان يؤثرون في ثمنهِ و ينتسبون الى سوق واحدة

« يجوز ان يقال اذاً : ان هذا يجعل البسيطة سوقا واحدة ، و يجرد كلمة السوق من مدلولها . فردا على ذلك نقول : ان ثمن الشاي لا يختلف كثيراً في السوق المكونة من تجار الوارد الخمسة المقيمين في (نيو يورك) وتجار الجملة الخمسة والثلاثين المنتشرين حولها عن ثمنهِ في السوق المكونة من اربعة من تجار الوارد في (بسطن) وخمسة وعشرين ممن يعاملهم من تجار الجملة . لاننا لو فرضنا نقص الثمن في (نيويورك) عنهُ في (بسطن) لشرع تجار الوارد في (نيو يورك) في عرض متاجرهم في (بسطن) ليحصلوا على فرق الثمن . و بذلك ينتسبون الى هذه السوق

ولكن قد يكون الثمن في (نيويوك) وما حولها في سوق تجار الجملة وتجار التجزئة اقل منهُ بجزء من الريال او جزئين في السوق المماثلة لها في بسطن ، بدون ان يؤثر ذلك في تجار الجملة بنيويورك ليحملوا بضاعتهم الى انجلترة الجديدة ، او يغري احد تجار التجزئة في انجلترة الجديدة بالسفر الى نيويورك للاستفادة من قلة الاثمان وتجد مسافة الفرق اوسع في سوق تجار التجزئة والمستهلكين ، لجواز ان يكون في حوانيت نيو يورك اعلى منهُ في (وُورستر) او (ناشوا) بخمسة اجزاء او عشرة ، بدون ان يتحرك احد تجار التجزئة من انجلترة الجديدة الى نيو يورك ليبيع ما عندهُ للمستهلكين او يتحرك احدهم لشراء ما يحتاج اليهِ سنويًا من (وورستر) او (ناشو)

« وعلى ذلك اكرر ما قلتهُ من ان جميع الاشخاص الذين يشتركون في الطلب العام لاي صنف من الاصناف في اي مكان من الامكنة ، او في عرضهِ للبيع ، و يكون لهم بهذا الاشتراك في العرض او الطلب تأثير في الثمن في ذلك المكان — جميع اولئك ينتسبون الى سوق واحدة »

والكتاب كلهُ على هذا النسق فنشكر لحضرة مترجمهِ الفاضل ونود ان يتفق المؤلفون والمترجمون على كلمات واحدة اصطلاحية تكون اقرب ما يمكن للدلالة على المعاني التي قصدها علماء الاقتصاد السياسي

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوَّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المندل

مصر . احمد افندي زكي الرافعي .

ارجو التكرُّم بابداء رأيكم في المندل الشائع في مصر وهل فيهِ شيءٌ من الصحة

ج . كلاَّ ولو كان صحيحاً اي لو كان يكشف المخبآت و ينبيءُ بالمستقبلات لشاع استعمالهُ في كل مكان واعتمدت عليهِ الحكومات والمحاكم والتجار وكل مَن يريد ان يكتشف امراً يجهلهُ او يعرف شيئاً يتوقعهُ ولصار اصحاب المندل من كبار الاغنياء .

اما ما يراهُ الولد الذي ينظر فيما امامهُ فسببهُ ان صاحب المندل يستهويهِ فيصير كالنائم الذي يحلم في اول نومهِ احلاماً مطابقة لما يسمعهُ او يشعر بهِ . وان صدق في شيءٍ فيكون لان صاحب المندل يعلم ذلك الشيء فيرشدهُ اليهِ بسؤالهِ فاذا كان المطلوب اكتشاف سارق سرق بعض الاساور واستدل صاحب المندل من الكلام مع اصحاب السرقة انهم يتهمون خادماً بربرياً عندهم فقد يقول للغلام اترى السارق امامك فيقول نعم اراهُ فيقول لهُ هل هو اسود او ابيض فان قال اسود اكتفى بقولهِ وان قال ابيض قال لهُ دقق النظر جيداً فيقول اسود . ثم يقول لهُ اين وضع الاساور التي سرقها فيقول خبأها حيث ينام او باعها في السوق . واذا صدق قولٌ واحد من اقوالهِ تمسك اصحاب السرقة بهِ واغضوا عن كل ما سواهُ

(٢) الفسيفساء

شبراخيت . احمد افندي الصراف .

ما هي الفسيفساء وما هو ضبط النطق بها وهل هذا اللفظ عربي او اعجمي

ج . هي قطع صغيرة ملونة من الحجارة او الزجاج تلصق بعضها ببعض حتى تتكون منها صور واشكال منتظمة . رأينا في كنيسة مار مرقس بالبندقية صور قديسين وملائكة مصنوعة كلها من قطع صغيرة كأنها مصورة بالقلم تصويراً . والخريطة القديمة التي وجدت في فلسطين هي ارض غرفة مصنوعة من قطع صغيرة من الحجارة الملونة . وتضبط الكلمة هكذا فُسَيفِساء قال ابن

منظور في لسان العرب « الفُسَيْفساء والفسيفساء الوان تؤلف من الخرز فتوضع في الحيطان يؤلف بعضهُ على بعض وتركب في حيطان البيوت من داخل كأنهُ نقش مصور والفسيفس البيت المصور بالفسيفساء · قال ابن منصور وليس الفسيفساء عربية » ويظهر لنا ان الكلمة يونانية وهي في اليونانية مُسِّيس او مُسيقس بالميم في اولها والظاهر انها كتبت في العربية كذلك قبل ضبط الحروف بالنقط فلما ضبطت اخطأ من ضبطها فحسب الميم فاء والقاف فاء اخرى فصارت الاولى فُسيس والثانية فُسَيفِس ولا يصعب تعليل الحاق الكلمتين بالالف والهمزة

(٣) واقعة حال

ومنهُ · اقرأ احياناً في الجرائد قولها « ان هذا الامر مبني على واقعة حال لا محل لذكرها » فما المراد بقولها واقعة حال

ج · نظن انها ترجمة حرفية لعبارة افرنجية معناها حادثة موصوفة او معلومة

(٤) الجامعة الطورانية

ومنهُ · قال مراسل السنترال نيوز انهُ تألفت « الجامعة الطورانية » فاين توجد طورانيا وما هي هذه البلاد

ج · سننشر عنها وعن الجامعة الطورانية مقالة مسهبة في الجزء التالي من المقتطف

(٥) الشهب والنيازك

مصر · مدرسة القضاء الشرعي · حامد افندي احمد مصطفى · ما هي تلك الشهب التي نراها تتساقط ليلاً ولا نرى من اين تأتي ولا الى اين تذهب

ج · هي اجسام صغيرة جدًّا منتشرة في الفضاء قد تدنو من الارض فتجذبها اليها فتحمى من سرعة سيرها في الهواء وتحترق واذا كانت كبيرة وصل بعضها الى الارض · وقد سقط بعضها في مديرية البحيرة منذ اربع سنوات ووصفناها وصورناها في مقتطف يونيو سنة ١٩١٢ ثم كتبنا فصلاً مسهباً عن اصل النيازك في مقتطف سبتمبر تلك السنة

(٦) تضخم الطحال

ومنهُ · هل يمكن تخفيف تضخم الطحال وما افضل طريقة يتبعها من اصيب بهِ

ج · ان تضخم الطحال عَرَض ناتج عن مرض آخر فقد يحدث من الحمَّى الملاريَّة والحمَّى التيفويدية والانثركس والطاعون والدم الابيض · فان كان حديثاً يعالج بالمصرفات والمحمرات والمساهل ونقل العليل الى مكان صحيح الهواء وان كان مزمناً يعوَّل على المحمرات وافضلها صبغة اليود اومرهم بي يوديد الزيبق بكميات كافية لتحمير القسم الطحالي تحميراً مستمرًّا ويتناول العليل مستحضرات الحديد ولاسيما صبغة مريات الحديد ويستمر مدة عليها وعلى هيدروكلورات الامونيا ويمنع قبض الامعاء بالمساهل الملحية

(٧) بصر الخفاش

ومنهُ . لماذا لا يبصر الخفاش الأ ليلاً ولا يرى الدجاج الأ نهاراً

ج . النور والظلمة متعاقبان يقيم كلٌّ منها بنحو ١٢ ساعة من اليوم فصار بعض المخلوقات يتأثر بنور النهار الساطع فينشط ويسعى في طلب رزقهِ فيهِ وبعضها يتأثر بالنور القليل الذي يكون في الليل او بحاسة اخرى تضعف نهاراً وتقوى ليلاً فيسعى في طلب رزقهِ ليلاً ومن قبيل ذلك دود القطن وفراشهُ وكثير من الحشرات والطيور الليليَّة . والخفاش من هذا القبيل . واما الدجاج فمن الطيور التي تتأثر بنور النهار ولا ترى في غيرهِ

(٨) دواء فقر الدم

ومنهُ . ما خير دواءٍ لمن اصيب بفقر الدم

ج . ان فقر الدم ينتج عن احوال مرضية مضعفة تعم الجسم كلهُ كالسل والسرطان والانزفة المختلفة ومرض بريط وقلة التغذية والاشغال العقلية الشاقة والانفعالات النفسية والسم الغيلي والعلل الطحالية والانسمام المعدني او الزهري . ويعالج اولاً بازالة السبب ثم بتناول الاطعمة الجيدة السهلة الهضم ثم المقويات

والانيميا (فقر الدم) المصرية يسببها نوع من الديدان الحلمية يقيم في المعا الدقيق وترون طريقة علاجها في الصفحة ٢٧٤ من مقتطف مارس سنة ١٩١٢

(٩) مدرسة للطب واللغات

دكار بالسنغال . الخواجات طراف . هل يوجد في مصر مدرسة تعلم الطب واداب اللغات العربية والافرنسية والانكليزية كالمدرسة الكلية في بيروت وهي قليلة النفقة مثلها

ج . لا يوجد مدرسة واحدة لذلك بل المدرسة الطبية المصرية منفصلة عن المدارس التي تعلم سائر العلوم واللغات ونفقات التعليم في مصر اغلى منها في مدرسة بيروت الكلية

(١٠) دواء الكلب

ومنهُ . هل وجد دواءٌ لداء الكَلَب . ويقال ان في سورية عشباً يستعملهُ العامة فيشفي من الكَلَب فهل ذلك صحيح

ج . لا يعلم انهُ يوجد عشب يشفي من الكلب وقد اكتشف الشهير بستور دواء للكلب وهو مصل يطعَّم بهِ مَن يعقرهُ كلب كَلِب فلا يظهر الكَلَب فيهِ

(١١) كنه اللانهاية

مصر . احمد افندي عبد العال سلامه . ايدرك عقل الانسان كنه اللانهاية

ج . يدركهُ في بعض الامور ادراكاً نسبيًّا ولا يدركهُ في غيرها فيدرك مثلاً ان النقط الهندسية وهي صغيرة الى غير نهاية

يتكوَّن من صفها الواحدة ملاصقة للاخرى خط هندسي لهُ طول محدود . وان الخطوط الهندسية التي لها طول وليس لها عرض او عرضها صغير الى ما لا نهاية لهُ يتكون من صفها الواحد ملاصقاً للاخر في سطح واحد سطح لهُ عرض متناهٍ . ويدرك ان الكسر الحسابي الذي لا يتناهى يبقى اكبر من الصفر مهما صغر . فاللانهاية في النقط هي شيءٌ يتكون من مجموعهِ خط هندسي واللانهاية في الخط الهندسي شيءٌ يتكون من مجموعهِ سطح هندسي واللانهاية في الكسر شيءٌ اكبر من الصفر واصغر من كل كسر يمكن تصوُّرهُ . اما اذا لم تتصل اللانهاية بشيءٍ نسبي فلا يمكن ادراكها اي ان العقل المحدود لا يدرك شيئاً غير محدود

وقد زعم ليبنتز الفيلسوف الشهير ان للكسر غير المتناهي قيمةً متناهية فقال انهُ اذا قسم ١ على ١ − ك وكانت ك = − ١ فالخارج ١ − ١ + ١ − ١ + ١ − ١ الى مالانهاية لهُ فاذا وقفنا عند عدد سلبي فقيمة السرد صفر واذا وقفنا عند عدد ايجابي فقيمتهُ واحد ومتوسط السردين ١/٢ وعليهِ فقيمة ٠ + ٠ + ٠ + ٠ الى ما لانهاية = ١/٢ وقال ان ذلك يوضح كيف ان الله خلق العالم من العدم . والبحث في هذا الموضوع مثل البحث في كل المواضيع التي وراء الطبيعة كلام كثير على قلة جدوى

(١٣) عضوية الجمعيات

ومنهُ . كيف تنال عضويات الجمعيات العلمية

ج . اذا اشتهر عالم في موضوع من المواضيع وبزَّ فيهِ الاقران وكتب فيهِ او الَّف وقرىءَ ما كتبهُ فالغالب ان الجمعيات العلمية التي تستفيد من علمهِ تمنحهُ عضويتها عفواً ولكن هذا قليل والغالب ان يكون لهُ صديق في الجمعية التي تختارهُ لعضويتها فيطلب منها ان تجعلهُ من اعضائها وقلما تردُّ طالباً اذا توفَّرت فيهِ شروط العضوية لانها تستفيد من علمهِ ومن مالهِ ايضاً اذ الاشتراك في الجمعيات العلمية يقتضي دفع مرتبات سنوية . والعلماء مختلفون في ميلهم الى الاشتراك في الجمعيات العلمية فرجل مثل الفيلسوف سبنسر لم يشأ ان ينتظم في جمعية علمية وغيرهُ من الذين لا يقاسون بهِ لا يضعون اسمهم على ورقة يطبعونها الاَّ ويلحقونهُ باسماء الجمعيات التي هم اعضاءٌ فيها

(١٤) حجاب المسيحيات

ومنهُ . قرأت في رواية صلاح الدين تأليفكم ما يدلُّ على وجود الحجاب عند المسيحيات ابان الحروب الصليبية فهل هذا صحيح

ج . رواية صلاح الدين لم نؤَلفها تأليفاً بل لخصناها تلخيصاً من رواية انكليزية مشهورة لولتر سكوت اسمها الطلسم كما ابنا في ديباجتها والحجاب كان مستعملاً عند المسيحيات ولا يزلن يستعملنهُ احياناً وهو برقع

استر الوجه من الشمس او من الهواء او من عيون الناظرين ولكن لا قيود لهُ ولا روابط

(١٤) حقيقة الظل

ومنهُ . نرى ظل الانسان تارةً طويلاً واخرى قصيراً ومرة امامهُ وطوراً وراءهُ فلم ذلك

ج . ينتج ظل الانسان من قيامهِ بين الشمس وما يقع عليهِ نورها فيحجب عنهُ جزءا من النور فاذا كانت الشمس في كبد السماء مائلة قليلاً الى الجنوب كما تكون هنا وقت الظهر في شهور الصيف كان ظل الانسان قصيراً جدًّا لانكم اذا رسمتم خطاً مستقيماً من الشمس الى رأسهِ ومنهُ الى الارض وخطاً آخر من الشمس الى قدميهِ رأيتم البعد على الارض بين طرفي هذين الخطين قصيراً جدًّا واذا كانت الشمس قريبة من الافق الشرقي في الصباح او الافق الغربي في المساء ورسمتم منها خطين مثل الخطين الاولين وجدتم البعد بين طرفيها على الارض طويلاً وظلهُ بينهما . والظل يكون في كل حالٍ الى الجهة المقابلة اي ان الشبح يكون بين الشمس وظلهِ وما يقال عن ظل ضوء الشمس يقال عن ظل نور القمر والمصابيح على انواعها

(١٥) الفلاحة المصرية القديمة

المرابعين . احمد افندي الالفي . هل يوجد مؤلف عربي في الفلاحة المصرية القديمة

ج . لا نعلم ولكن كتاب الفلاحة الرومية الذي ترجمهُ قسطا بن لوقا البعلبكي حسن في بابهِ وهو لم يوضع للقطر المصري ولكنهُ يحسن لهُ فيما يزرع فيهِ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر اكتوبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٤	١	٠	مساء
البدر	١١	٩	١	صباحاً
الربع الاخير	١٩	٣	٩	«
الهلال	٢٦	١٠	٣٧	مساء
القمر في الحضيض	٧	٠	٣٠	صباحاً
« « الاوج	١٩	٧	١٢	«
القمر في الحضيض	٣١	٨	٤٨	مساء

السيارات

عطارد لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب صباح في آخرهِ

الزهرة كوكب صباح

المريخ كوكب مساء

المشتري يرى اثناء الليل

زحل يشرق نحو نصف الليل

مجمع ترقية العلوم البريطاني

عقد مجمع ترقية العلوم البريطاني هذه السنة في مدينة نيوكاسل وافتتح جلساته يوم الثلاثاء في ٥ سبتمبر الماضي فدامت حتى يوم السبت في ٩ منهُ . وفي مساء الثلاثاء خطب السر ارثر ايفانس رئيسهُ خطبة موضوعها « مهد الحضارة الاوربية » وسنلخصها في العدد القادم . وخص يوم الاربعاء بالمباحث الرياضية والعلوم الطبيعية فخطب الاستاذ هو يتهد في تنظيم الفكر والقيت خطب اخرى في الجاذبية واخرى في الضغط الازمومي (الذي تختلط السوائل بهِ بعضها ببعض من خلال غشاء او حجاب ذي مسام) . واخرى في قسمة الارقام واخرى في قياس الوقت للاستاذ ترنر واخرى في طيف العناصر باشعة اكس للسر ارنست رذرفورد

اما المواضيع التي عالجها المجمع في جلساتهِ التالية فهي في الاكثر رياضية وطبيعية صرفة ونظرية اكثر منها عملية لانها تتعلق بمبادىء العلوم لا بتطبيقها على العمل . اما ما اختص منها بتطبيق العلم على العمل فكلهُ في باب الكيمياء مثل « مستقبل صناعة الكيمياء الآلية » و « صناعة اصباغ الانيلين في السلم والحرب » . و « اعداد العقاقير الكيماوية لاستعمالها في المختبرات »

وبحث في الجيولوجيا (علم طبقات الارض) والحيوان والنبات والجغرافية والاقتصاد والاحصاء والهندسة العملية وعلم الانسان والفسيولوجيا والتربية والزراعة بجميع فروع هذه العلوم وما استحدث فيها بين المجمع الماضي وهذا المجمع

السر ارنست شكلتون ورفاقهُ

ذكرنا في جزء يوليو الماضي ان السر ارنست شكلتون الرحالة الانكليزي المعروف شخص في جماعة من رجالهِ في خريف سنة ١٩١٤ لاجتياز قارة القطب الجنوبي من طرف الى طرف فانكسرت بهِ السفينة في اثناء الطريق فنزل هو ورجالهُ الى جزيرة الفيل ثم غادرها تاركاً فيها ٢٢ منهم وزاداً يكفيهم الى آخر مايو وركب هو واربعة آخرون قارباً عاد بهم الى جزيرة جيورجيا سالمين ثم سافروا الى اميركا الجنوبية فبلغوها في ٣١ مايو . وكان اول ما فعل بعد وصولهِ اليها انهُ سعى في تخليص رفاقهِ من جزيرة الفيل وساعدتهُ الحكومة الانكليزية على ذلك فقصد هذه الجزيرة بنفسهِ ولكنهُ لم يستطع بلوغها لتكاثف الجمد فاشتد القلق في انكلترا على رجالهِ الذين تركهم فيها ولكنهُ لم ييأس بل ما زال يحاول الوصول الى الجزيرة المرة اثر المرة حتى فاز باربهِ في المرة الرابعة فبلغها في ٣ سبتمبر الماضي فاستعلم عن رفاقهِ فعلم انهم سالمون فارسل تلغرافاً مقتضباً الى جريدة

لدايلي كرونكل يقول فيهِ ما ترجمتهُ «الجميع سالمون . الجميع بعافية» . ثم عاد برجالهِ الى انكلترا . وقد ارسل تلغرافاً الى الملك يخبره بنجاة رجالهِ فاجابهُ الملك بتلغراف قال فيهِ: يسرني من صميم الفؤاد انك انجيت رفاقك الاثنين والعشرين فاهنئك بنتيجة مساعيك الحسان في انقاذهم و بان النجاح كلل محاولتك الثالثة . اني اعجب كل الاعجاب بسلوك قائدهم فرنك و يلد الذي تمكن بهِ من احياء شجاعتهم ورجائهم واومل ان تعود بهم سالمين الى منازلهم عن قريب»

السرطان وانتقالهُ بالوراثة

الشائع عند الجمهور ان السرطان من الادواء التي تنتقل بالوراثة فاذا اصيب بهِ رجل او امرأة فالمرجح ان يصاب بهِ اولادهما ايضاً كأن الجرثومة التي تولَّدوا منها كان فيها جرثومة السرطان ايضاً فظهر فيهم اوكان فيهم استعداد لهُ فظهر حينما وافقتهُ الاحوال . والذين يقولون هذا القول يستدلون على صحتهِ بالاستقراء اي بذكر الشواهد التي يقال ان السرطان ظهر فيها في الوالدين ثم في اولادهم . اما العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع فلم يروا قبلاً ما يؤيد قول القائلين بانتقال السرطان بالوراثة ولكن قام الآن الدكتور لتل من اعضاء اللجنة التي تبحث في حقيقة السرطان في جامعة هارفرد باميركا وقال ان التجارب التي جُرّبت حديثاً في بعض الحيوانات الصغيرة كالفيران ثبت منها ان سرطانها ينتقل بالوراثة ولذلك يترجح ان ما حدث فيها يحدث في الانسان ايضاً اي ان من يولد من والدين احدهما او كلاهما مصاب بالسرطان قد يكون في جسمهِ ميل او استعداد لظهور هذا الداء فيهِ اذا توفرت الاسباب التي تظهرهُ . وهاك خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأن قال

« ان جمهور الناس والاطباء ايضاً لا يزالون على رأيين مختلفين في امكان انتقال السرطان بالوراثة اي وجود الاستعداد لهُ في اجسام المولودين من آباءٍ مصابين بهِ . وقد اخذت المعاهد الطبيَّة تبحث في هذا الموضوع بحثاً مدققاً من جهتين الواحدة تاريخ العائلات التي ظهر السرطان فيها والثانية امتحان السرطان في الحيوانات الدنيا

اما البحث في تاريخ العائلات فالاعتماد فيهِ على السماع والتواتر ولذلك لا ينتظر ان يكون وافياً من حيث التدقيق العلمي واما البحث الامتحاني فالتدقيق العلمي مستوفى فيهِ . وليس بين الحيوانات الدنيا ما هو اصلح للامتحان من الفيران فان قصر عمرها وصغر جسمها و كثرة توالدها تجعلها اصلح لهُ من غيرها . وقد ثبت بالامتحان ان السرطان ينتقل فيها بالوراثة ولكن لم يعلم كيف ينتقل لاسيما وان نسل الفيران المصابة بالسرطان لا يصاب كلهُ بهِ ولا يسلم منهُ كل نسل الفيران

السليمة ولذلك فالمسألة اعقد مما يظن لاول وهلة .

« ثم ان ما يثبت حدوثهُ في اجسام الحيوانات الدنيا كالفيران لا يلزم ضرورة ان يحدث في جسم الانسان ولكنهُ يدلُّ على امكان حدوثهِ في جسمهِ قياساً على غيرهِ مما اذا حدث في جسم حيوان حدث في جسم الانسان ايضاً مثل انتقال البرص والترقط وشكل الشعر ولون العينين وما اشبه »

ولا تزال المسألة مطروحة على بساط البحث ولكن لو كان السرطان ينتقل بالوراثة لوجب تعدُّد الحوادث التي ينتقل فيها حتى تزيد على المتوسط زيادة واضحة اي اذا أُصيب بهِ واحد في الالف من المولودين من والدين سليمين منهُ وجب ان يصاب بهِ اثنان او ثلاثة او اكثر في الالف ولكن هذا النوع من الاحصاء صعب جدًّا اذ يحتمل ان يكون الانسان مصاباً بالسرطان ولا يظهر السرطان فيهِ ويموت بمرض آخر او يموت بسرطان المعدة مثلاً ولا يعلم انهُ مصاب بهِ ولا تفتح جثتهُ بعد موتهِ . ومتى علمت حقيقة السرطان تماماً تعلم سائر ملابساتهِ

مساحة الاطيان الزراعية وما زرع منها

ان مساحة الاطيان الزراعية في القطر المصري نحو $5\frac{1}{2}$ مليون فدان ولكن مساحة الاطيان التي تزرع كل سنة اكثر من ذلك لان كثيراً منها يزرع مرتين في السنة الواحدة . ففي السنة الزراعية الاخيرة والتي قبلها بلغت مساحات الزراعات المختلفة ما في هذا الجدول

	١٩١٥ - ١٩١٦	١٩١٤ - ١٩١٥
الذرة الشامية	١ ٧٨٢ ٥٥٤	١ ٨٣٧ ٥١٦
القطن	١ ٦٥٥ ٥١٢	١ ١٨٦ ٠٠٤
القمح	١ ٣٩٤ ١٨٤	١ ٥٣٣ ٨٠١
البرسيم	١ ١٨٧ ٠١٣	١ ٣١٨ ٣٣٧
الفول	٠ ٥٠٣ ٨١٢	٠ ٦٣٣ ٣٣١
الشعير	٠ ٤٢٣ ٧٦٥	٠ ٤٤٥ ٦٤٣
الذرة البلدية	٠ ٢٣٣ ٧٢٥	٠ ٢٧٦ ١٩٤
الرز	٠ ١٤٤ ٨٠٧	٠ ٣١٨ ٨٠٨
العدس	٠ ٠٦٢ ٢٣٦	٠ ٠٦٣ ٤٠٧
الحلبة	٠ ٠٥٧ ٣٧٨	٠ ٠٤٨ ٤٥٩
قصب السكر	٠ ٠٥٩ ٢٢٤	٠ ٠٥٢ ١٨١
البصل	٠ ٠٢٩ ٦٨٩	٠ ٠٢٣ ٣٦٠
بقية الاصناف	٠ ١٧٨ ٣٢٠	٠ ١٦٤ ٥٤١
المجموع	٠ ٧١٥ ١٦٨	٧ ٨٩١ ٥٧٢

وعليهِ فما زرع مرتين من اطيان القطر لا يزيد على ثلاثة اخماسها لان اكثر الصعيد لا يزرع الاَّ مرة واحدة في السنة وكذلك اكثر الاطيان التي تزرع قطناً لا تزرع زراعة اخرى في سنة القطن

نفق تحت المانش

بحث الانكليز والفرنسويون غير مرة قبل هذه الحرب في فتح نفق تحت الخليج

الانكليزي الذي يسميهِ الفرنسو بون خليج المانش تمدّ فيهِ سكة الحديد فتتصل انكلترا وفرنسا برًّا وباتصالها تسهل حركة الاخذ والعطاء بينهما. ولكن كثيرين من ساسة الانكليز وعلمائهم قاوموا هذا المشروع بدعوى انهُ اذا انتفعت انكلترا بالنفق تجاريًّا في زمن السلم عاد عليها بالضرر اذا طرأ طارئ افضى الى نشوب الحرب بين الانكليز والفرنسويين. على ان هذه الحرب التي رأت انكلترا وفرنسا حليفتين اعادت الى الاذهان مسألة حفر النفق ولاسيما ان الآراء فيهما تكاد تجمع على ان محالفتهما ستبقى ما بقيتا لدرء الخطر الجرماني عنهما. ولو ان النفق كان موجوداً لمّا شهرت الحرب لسهل نقل الجنود والمهمات من انكلترا الى فرنسا. وقد اطلعنا في السينتفك اميركان على فقرة وجيزة قالت فيها :

« تدلّ الدلائل على ان من اوائل الاعمال الهندسية التي ستعمل بعد الحرب حفر نفق بين دوفر وكاليه في طبقة الارض الكلسية التي بينهما تحت الماء. فقد ادب رئيس لجنة النفق في مجلس النواب الانكليزي مأدبة قال فيها ان كل رجل في فرنسا يميل الى حفر هذه النفق وان الحكومتين الانكليزية والفرنسوية اتفقتا سنة ١٨٧٤ على حفرهِ وكادتا توقعان على معاهدة بينهما. وسبرغور البحر في الوف من الاماكن وحفر نفق طولهُ الفا يرد على سبيل التجربة ثم عدل عن العمل لاسباب كثيرة

وتلاهُ السر فرنسيس فوكس فقال ان الاعتراض الحربي على حفر هذا النفق مبنيٌّ على الخوف من غزوة انكلترا بطريقهِ. ولكن يمكن تسكين هذا الخوف بحفر النفق على شكل يمكّن الانكليز من اطلاق البحر عليهِ عند توقع الخطر

اكبر الطرادات واسرعها

عزمت الحكومة الاميركية ان تبني طرادات كبيرة من طرادات القتال تكون اكبر جدًّا من كل ما بني من نوعها حتى الآن وتجمع فيها كل ما دلّت الحرب الحاضرة على انهُ ضروري للفوز في الحروب البحرية فتجعل سرعتها ٣٥ ميلاً بحريًّا في الساعة اي ٤٠ ميلاً ارضيًّا فتكون اسرع من اسرع طراد من طرادات القتال بخمسة اميال بحرية في الساعة ويكون طول الطراد منها ٨٠٠ الى ٩٠٠ قدم (واطول طراد الآن طولهُ ٦٧٥ قدماً) وتفريغهُ ٤٠٠٠٠ طن وتكون قوة آلاتهِ البخارية ١٧٥ الف حصان (واكبر طراد من طرادات القتال لا تزيد قوة آلاتهِ البخارية على ٨٠ الف حصان) . ويكون الطراد مسلحًا بثمانية مدافع من عيار ١٦ بوصة وطول كلٍّ منها ٧٢ قدمًا فيكون اقوى المدافع التي صنعها الناس حتى الآن

فان ثقل قنبلتهِ ٢٤٠٠ رطل وسرعتها ٢٦٠٠ قدم في الثانية ويمكن ان تصل الى بعد ١٧ ميلاً ويؤكد الذي رسم هذا المدفع انهُ اذا كانت بارجة العدو على ١٤ ميلاً سهلت اصابتها بكل قنبلة تطلق عليها بعد ما يعلم بعدها تماماً.

والاسطول من هذه الطرادات يستطيع ان يختار البعد الذي يريدهُ عن بوارج العدو ويطلق عليها من هذه المدافع التي لا تبقي منها ولا تذر

قمح عجيب

شاع في اميركا وذاع خبر قمح عجيب يغلّ اضعاف اضعافهِ واغتنم المحتالون فرصة شيوع هذه الاكذوبة فسطوا على عقول السذج والبسطاء وباعوهم من هذا القمح باثمان فاحشة. وعلى اثر ذلك اصدرت وزارة الزراعة الاميركية نشرة وصفت فيها صنفين من هذا القمح. اولهما صنف سماهُ بانعوهُ قمح الاسكا. والمرجح انهُ أتي بهِ منها في اوائل وصول البيض اليها وكان سمي حينئذٍ اي حوالي سنة ١٨٠٧ قمح اورشليم ولهُ سنبلة مشعّبة فقال بائعوهُ ان هذا التشعب علامة على انهُ يأتي بغلة كبيرة من عشرين اردبًا الى اربعين في كل فدان. وسماهُ غيرهم القمح المصري او قمح العجائب او قمح الموميا. ووصفهُ آخرون بان عمرهُ ثلاثة آلاف سنة وقالوا انهُ خرج من بعض حبوب وجدت في ناووس مصري عمرهُ بين ٣ و٤ آلاف سنة. وكثر الاعلان عنهُ سنة ١٩٠٨ ايام تناقل الناس اشاعة نحواها ان فلاحًا من ولاية ايداهو اخرج بعد تجارب طويلة صنفًا من القمح يرى السنبلة فيهِ وحولها سنابل اخرى ومعنى ذلك انهُ يخرج عشرة اضعاف ما يخرجهُ القمح عادة. وما كاد هذا الاعلان ينشر حتى حاكمت الحكومة صاحبهُ على الغش والتدليس ولكن ذلك لم يثن الناس عنهُ فعرض جهاراً في معرض بناما والباسيفيك

اما الصنف الآخر فقمح احمر لين من الاصناف الشتوية. وقد ادخل الى اميركا منذ عشر سنوات باسم قمح العجيبة فجربتهُ وزارة الزراعة لتحقق ما نسب اليهِ مما ليس لغيرهِ فظهر لها بطلان هذه النسبة وافك مروّجيها

الف باء جديدة للغة الصينية

اللغة الصينية اصعب لغات الناس تعلماً حتى لقد نقل عن بعض علماء الفرنجة قولهُ لو كان لي قلب من حديد ورئتان من نحاس فلا يبلى ولا تبليان ما اتقنت اللغة الصينية الاتقان الذي يعصمني من الخطإِ في مواطنهِ وكثير ما هي. وقد عنّ لبعضهم ان يخترع حروفًا هجائية جديدة لقراءة هذه اللغة

وتعلمها لبعض الطلبة في مدرسة انشئت منذ بضعة اشهر في مدينة شنغاي الصينية لهذه الغاية . وقد جاء في بعض الانباء ان الطلبة المشار اليهم اعطوا شهادات باتقانهم قراءة اللغة الصينية بالحروف الجديدة وكان اعطاؤهم اياها بحضور وزير المعارف ووكيله فاعطي كل تلميذ قرطاساً كتب عليهِ بعض المسائل بالحروف الجديدة وناولهُ لآخر ليجاوب عليها وجلس كلٌّ منهم في مكان بعيد عن صاحبهِ . ولما تم امتحانهم هذا املى الوزير بعض مسائل باللغة الصينية فاجابوا عليها بسرعة وحذق ادهشا الحضور . وقال ناظر المدرسة في ختام الحفلة ان الطلبة يمكنهم ان يتراسلوا بهذه الحروف الجديدة بعد درسها اربعة اشهر فقط

رؤْية النجوم نهاراً

من الخرافات الشائعة امكان رؤْية النجوم في رائعة النهار بالنزول الى قعر بئر عميقة . ويقول العامة في بعض جهات الشام ما معناهُ ضربهُ كفاً فأراهُ النجوم وقت الظهر . وهذه الخرافة كثيرة الشيوع ولعل سبب شيوعها ذكر ارسطو لها في بعض كتبهِ وقد كان المرجع الاخير في هذه المسائل واشباهها قروناً عديدة . على ان العلماء المحدثين بحثوا في هذه النظرية لتحقق صحتها واول الباحثين فيها همبلت العالم الالماني المشهور فانهُ اقام مدة طويلة في اعماق المناجم وسأل كثيرين من المعدنين في جميع انحاء الارض فلم يرَ كوكباً في النهار ولا سمع ان احداً رآهُ . وكتب كاتب انكليزي مقالة في جورنال الجمعية الفلكية الانكليزية حديثاً اثبت فيها بطلان هذه الرؤْية بقولهِ ان عدم رؤْية النجوم نهاراً ناشئٌ عن شدة لمعان الشمس وليس هناك ما يحمل على الظنّ ان الوقوف في قعر مكان عميق يخفف كثيراً من ذلك اللمعان . الاَّ الزهرة فانها ترى كثيراً في النهار وقد رأَيناها كذلك مراراً

عمر الارض

يقدر العلماء عمر الارض بطريقتين الواحدة مبنيَّة على اشعاع القوة منها والثانية على الحوادث الجيولوجية التي حدثت فيها فالطريقة الاولى تدل على انهُ مضى على الارض من حين تكوَّنت صخورها النارية الاولى المتبلورة الى الآن ١٥٠٠ مليون سنة ولكن هذه الصخور تدلُّ على انها تكونت من صخور رسوبية او بركانية كانت قبلها ولذلك فعمر الارض اكثر جداً من ١٥٠٠ مليون سنة . والطريقة الثانية مبنيَّة على رسوب الصخور وتجمع الملح في البحر وهي تدل على ان الارض احدث من ذلك كثيراً لا يتجاوز عمرها ٤٠٠ مليون سنة . ولكن اشعاع القوة متوقف على سرعة انحلال عنصر الاورانيوم

فاذا ثبت ان سرعة انحلاله تتوقف على الزمن والضغط والحرارة فلا تؤخذ سرعته الآن مقياساً لما حدث في الزمن الغابر . وسواء ثبت المقياس الطبيعي او الجيولوجي فالارض قديمة جداً يقاس عمرها بمئات الملايين من السنين ولعلها من احدث كواكب السماء عمراً

مدينة نيويورك

نيويورك اعظم مدينة اسرائيلية واعظم مدينة ارلندية وفيها ٧٢٣٣٣٣ المانياً و ٣٠٦٤٢٢ نمسوياً و ٧٣٥٤٧٧ روسياً ويبلغ عدد الاسرائيليين فيها مليوناً

ويبلغ طول الانابيب الممدودة تحتها ٣٠٨٧ ميلاً وسعة خزاناتها ١٧٠ الف مليون غالون

وفي كل يوم يأتيها ويغادرها ٢٩٠ الف نفس بطريق سكة الحديد . وطول سكك الحديد التي تنتهي اليها ٤٥٣٢٣ ميلاً او هي ١٨ في المئة من مجموع طول سكك الحديد في الولايات المتحدة كلها

وفي كل نصف ساعة تتألف فيها شركة جديدة وفي كل ثلاثة ارباع الساعة تنحل شركة

وفي كل اربع دقائق يولد فيها طفل وقد بلغ عدد مواليدها ١٥٠ الفاً في السنة الماضية

وفيها ٣٨ الف معمل رأس مالها ١٨٠٠ مليون ريال وتخرج من البضاعة كل سنة ما قيمته ٢٩٠٠ مليون ريال .

ويركب مركبات الترام والمركبات العادية والاوتوموبيلات فيها كل يوم نحو خمسة ملايين نسمة

وفيها ١٩٨ حديقة عمومية مساحتها ٨٦١٥ فداناً و ١٥٠٠ فندق و ٣١ مكتباً للبريد

الملح بدل مضادات الفساد

ليس من يجهل اسم اللورد لستر والانقلاب العظيم الذي احدثهُ في فن الجراحة فانهُ اول من استعمل (سنة ١٨٦٥) مضادات الفساد كالحامض الكربوليك لغسل الجروح الناشئة عن العوارض التي يتعرض لها كل انسان وعن العمليات الجراحية فمنع بذلك تطرق الفساد اليها او اوقفهُ عند حدهِ ان كانت مكروباتهُ قد اتصلت بها . وقد نشرت مجلة اللانست الطبية المشهورة مقالة عن معالجة الجرحى في معركة جتلند البحرية اطرت فيها السر المروث ريط على معالجة الجروح لا بمضادات الفساد بل بغسلها بماء ملحي . فان هذا الماء يطهر ثنايا الجروح بغسل ما فيها من اسباب الفساد ويساعد على خروج اللنفا من الدم فتحمل من الجرح اسباب الفساد هذه

قالت مجلة نانتشر في ذلك « وهذا

الاكتشاف نتيجة بحث علمي طويل وقد جاء بنتائج عجيبة في هذه الحرب فاصبح للسر المروث ريط به دَين على امتهِ اعظم من ديونها الماضية . ولكننا ونحن بطري عملهُ هذا لا نحقر عمل اللورد لستر فان لستر مكننا من منع فساد الجروح باكتشافهِ العظيم الذي اكتشفه فحق لهُ على العالم دين من الشكر يدوم ابد الدهر »

البكتيريا في الشكولاتا

اراد احد الكيماويين ان يعلم هل الشكولاتا تربة صالحة لنمو بعض الجراثيم المرضية فعقم مزيجاً منها ومن السكر واللبن ثم لقحهُ بمكروبات التيفويد والسل وشهقة الاطفال وتركهُ في مكان حرارتهُ ٦٨ بميزان فارنهيت (٢٠ سنتغراد) ثم فحص اجزاء منهُ في مدد معلومة فوجد ان الذي لقح بمكروبات الشهقة زالت منهُ هذه المكروبات بعد التلقيح ببضع ساعات فاستنتج من هذا ان لا خوف من انتقال عدوى الشهقة بواسطة الشكولاتا اذا كانت مكروباتها موجودة في المعمل الذي صنعت الشكولاتا فيهِ . اما قطع الشكولاتا التي لقحت بمكروبات السل فكانت محلاً للشك ولكن يظهر ان المكروب لا يعيش فيها مدة طويلة . واما القطع التي لقحت بمكروبات التيفويد فبقيت المكروبات حية فيها مدة طويلة . وعليهِ حكم بان مكروب الحمى التيفويدية ينتقل بالشكولاتا اذا كان المعمل الذي صنعت فيهِ ملوثاً بهِ . وهذه هي الحال ايضاً في المكروبات التي تصيب القولون كمكروبات الدوسنطاريا مثلاً

المنفحة

قلّت المنفحة في كندا بسبب الحرب وذلك انهم كانوا يستخرجونها قبل الحرب من معد العجول الواردة من اوربا فانقطع هذا الوارد بعد الحرب فقامت مصلحة الزراعة في كندا تهتم بالامر واصدرت المنشورات بوجوب الاقتصاد في معد العجول (كروشها) واقلال بيعها في الاسواق حرصاً على صناعة الجبن ان تفقد من البلاد . ولم تكتف بذلك بل جربت التجارب في بعض معامل الجبن قصد الاهتداء الى مادة تقوم مقام هذه المنفحة فوجدت ان الببسين يقوم مقامها وان ما كان منهُ بشكل قشور خير من المسحوق . وكيفية التجبين بهِ ان يحلّ جزء منهُ بماء دون درجة الغليان او فوقها بقليل . واربع اواقي تكفي لتجبين الف رطل من اللبن . وقد ظهر من هذه التجارب ان المنفحة افضل من الببسين بقليل ولكن ثمن المنفحة ضعفا ثمن الببسين

خوذة الجيش الانكليزي

وصف الدكتور صليبي هذه الخوذة في جريدة الديلي كرونكل فقال انها طبقتان

الداخلة منها من اللبد اللين المبطن والخارجة من الصلب (الفولاذ) وبينهما ازرار من الكاوتشوك ليبقى مجال لمرور الهواء. والصلب المستعمل هو الصلب المنغنيسي الذي اكتشفهُ السر روبرت هدفيلد منذ نحو عشرين سنة وثقل الخوذة كلها رطلان ويقال ان الرصاص لا يخرقها اذا اطلق عليها من مسدَّس على خمسة امتار وكذلك الرصاص الرشاش لا يخرقها ابداً ولو وصل اليها بسرعة ٧٥٠ قدماً في الثانية ولها زناق تمكّن بهِ تحت الذقن وحرفها مدملك لكي لا تؤذي احداً. ومن رأي الدكتور صليبي انهُ يحسن ان توضع صفائح الصلب على ثياب الجنود فوق كل الاعضاء الرئيسة من الجسم وقاية لها فيعود الناس الى لبس الدروع كما كانوا في الزمن القديم

بلونات فوق تسبلن

وصف اللورد مونتاغو اوف بوليو البلونات الجديدة التي بنتها المانيا وهي من طرز يفوق طرز تسبلن المعروف فقال ان سعة الواحد منها مليونا قدم مكعبة وهو على ما يقال يحمل نحو ٦٠ طنًّا وطولهُ ٧٨٠ قدماً وسرعتهُ ٦٥ ميلاً في الساعة وقوة آلتهِ البخارية ١٥٠٠ حصان. قال والظاهر ان هذه البلونات مرادة للهجوم لا للاستطلاع وهذا ما يحدونا على جعل وسائل مقاومتها اعظم ما نستطيع. فان بلوناً يرتفع الى علو عشرة آلاف قدم ويسير بسرعة ٦٠ ميلاً في الساعة تصعب اصابتهُ جدًّا في الليالي الحالكة فلا عجب اذا لم يصب من هذه البلونات الأعدد قليل حتى الآن». وقد ورد بعد ذلك ان الالمان حملوا ببلوناتهم على انكلترا فاصيب منها اثنان احترق احدهما وقتل ركابهُ وتلف الآخر ووقع على الارض

سائل لمقاومة النار

صنع في جامعة ايوى في اميركا سائل اذا طلي بهِ الخشب والثياب والورق وسائر المواد السريعة الاشتعال لم تؤثر النار فيها. ولما ارادوا امتحانهُ اخذوا قطعة خشب وبلّوها بهِ ونشفوها ثم حوَّلوا عليها النار الحامية المعروفة بنار بنصن (وهي اعظم من النار العادية بمقدار ٧٠٠ الى ١٠٠٠ درجة فارنهيت) مدة ساعة فتحول قليل منها فحماً حيث مسته النار واكلت النار ما سمكهُ $\frac{5}{16}$ من البوصة في حين ان قطعة خشب عادية حرقتها هذه النار في تسع دقائق فقط وحولتها رماداً. وظهر من التجارب انهُ لا ماء المطر ولا الماء الجاري ولا الحرّ ولا البرد ولا ظاهرة اخرى من الظواهر الجوية تؤثر اقل تأثير في المواد المطلية بهذا السائل او في السائل الذي عليها. ولكن حرارة النار تشتد في الحرائق الكبيرة الى اكثر من الف درجة بميزان سنتغراد

قطن سنة ١٩١٤ و ١٩١٥

بلغ وزن القطن المصري الذي حلج ووضع في بالات من اول سبتمبر سنة ١٩١٤ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٥ ٦٣١١٦١٨ قنطاراً ووزن القطن الذي حلج ووضع في بالات من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٦ ٥٢٩٢٧٤٠ قنطاراً وبلغ القطن الذي صدر من القطر المصري من اول سبتمبر سنة ١٩١٤ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٥ ٦٣٢٠٠٣٨ قنطاراً والقطن الذي صدر من اول سبتمبر سنة ١٩١٥ الى آخر اغسطس سنة ١٩١٦ ٥٤٧٦٥٣٤ قنطاراً

وبلغ ثمن المحصول الاول من القطن والبزرة ١٧٨١٨١٩٤ جنيهاً وثمن المحصول الثاني من القطن والبزرة ٢٠٤٣٣٧٢٣ جنيهاً

مقاومة الجرذان

ظهر من البحث والاستقراء الطويل ان الطاعون كثيراً ما انتقل الى اوربا من الشرق بواسطة البواخر الماخرة بينهما . فانها تقلّ مع الركاب والبضاعة جرذاناً ملوثة بالطاعون فاذا رست في المرافئ الاوربية نزلت الجرذان منها الى البر ونقلت مكروب الطاعون اليهِ . وقد احتاطوا لذلك في ميناء نيو اورليانس باميركا بان اصدرت الحكومة امراً الى جميع البواخر القادمة من البلاد الحارة بان ترسو على بعد ٢٠ قدماً من الرصيف وبان تدخل في حبال المرامي دوائر من الحديد المصقول قطر الواحدة منها ١٨ بوصة فاذا بلغتها الجرذان وهي تقصد البرّ من الباخرة وقفت عندها ولم تستطع مجاوزتها

النار اليونانية

يقال ان اول مَن ركَّب النار اليونانية رجل من اهالي بعلبك وقد ركَّبها من النفط والزفت والقلفونة والكبريت ثم اهمل استعمالها بعد استنباط البنادق ولكن الالمان عادوا الى استعمالها الآن في سوائلهم النارية لا لانها افتك من قنابل المدافع بل لانها ترهب من يراها آتية اليهِ ولانهُ يسهل استعمالها في حرب الخنادق لا في غيرها اذ لا يستطاع رميها الى اكثر من خمسين متراً ولكن متى أُخرج الالمان من خنادقهم تعذر عليهم استعمالها بعد . ولو رأى الاقدمون منها فائدة تذكر لما اهملوها

نور الحباحب

لا يزال العلماء يجهلون ماهية المادة المنيرة في الحباحب وكلُّ ما يعلمونهُ عنها بالتحليل انها مركبة من ماء واكسجين وحبوب منيرة ويقولون ان لا بدَّ ان يكون هناك

شيء رابع يجهلونهُ . اما العامة فيقولون ان هذا المجهول جنيٌّ ينير مصباح الحباحب بمثل كن فيكون . وقد استخرج بعضهم هذه الحبوب المنيرة من الحباحب وجففها وسحقها واضاف اليها ماء يحتوي اكسجيناً فظهرت صفراء لامعة كالذهب من غير مشيئة الحباحب او سحر الجن

مناجم جديدة للماس

شاع انهُ اكتشفت في الترنسفال مناجم جديدة للماس على بعد ١٦ ميلاً من المنجم الذي وجدت فيهِ ماسة « برمبير » المشهورة فاقبل الحفارون افواجاً على ذلك المكان يستأجرون بقعاً للحفر . وقد قسم احد الملاك ارضهُ الى قطع طول الواحدة ٢٠ قدماً وعرضها ١٥ واجرها بجنيهين في الشهر . وجاء في احدى الصحف التي تطبع في بريتوريا ان رجلاً استخرج ٣١ ماسة في تصويلتين للتراب وان مساحة ما أُجّر من الارض حتى الآن ٤٠ فداناً

مدى صوت المدافع

قال احد الباحثين ان صوت المدافع في معركة وترلو (التي جرت بين بونابرت والجيوش المتحالفة) سمع في مقاطعة كنت بانكلترا والمسافة بينهما ١٤٠ ميلاً . وان صوتها في الاستعراض البحري الكبير الذي اقيم احتفالاً بيوبيل الملكة فكتوريا الماضي سمع الى بعد ١٣٥ ميلاً وصوتها في جنازتها سمع الى مدى ١٣٩ ميلاً . والظاهر ان صوت المدافع الآن لا يسمع الى ابعد من ١٤٠ ميلاً

المدافع المقاومة للطيارات

ثبت الآن ان الطيارات والبلونات صارت من آلات القتال التي لا يستغنى عنها كالمدافع والبوارج والغواصات . ولذلك عزم الاميركيون ان ينصبوا في كل بارجة من بوارجهم مدفعين من المدافع التي تطلق على الطيارات وسينصبون هذه المدافع فوق ابراج المدافع الكبرى . وهي صغيرة قطر فوهة كلٍّ منها ثلاث بوصات فقط ولكنها سريعة جداً وترسل قنابلها الى مدى بعيد

بناء السفن في اليابان

ليس بين مصنوعات البشر ما هو اعظم واعجب من البوارج والسفن التجارية الكبيرة لكثرة ما تقتضيهِ من الدقة العلمية والصناعية وكثرة المواد التي تدخل في بنائها وكبرها ومع ذلك فقد برَّز اليابانيون في هذا المضمار وبنوا اكثر سفنهم الحربية والتجارية ويقدر محمول ما يبنونهُ منها هذه السنة بمئة وستين الف طن وعندهم الآن طلبات لا يستطيعون اتمامها في اقل من سنتين

الثلج في المريخ

ظهر للمسيو انطونيادي الفلكي المشهور ان الثلج في قطبي المريخ يذوب ببطءٍ في السنين التي تقلُّ فيها كلف الشمس ويذوب بسرعة في السنين التي تكثر الكلف فيها · وهذا يؤيد رأي ابوت وغيرهِ من علماء الفلك من ان اشعاع الشمس لحرارتها يكون على اشدهِ والكلف على اعظمها · والمريخ اشد تأثراً بذلك من الارض للطافة جوّهِ بالنسبة الى جوّها

آلات حفر الخنادق

استنبط البلجيكيون آلة لحفر الترع والمصارف فاخذها الالمان واستعملوها لحفر الخنادق وهي تحفر في الساعة ستين متراً مكعباً من التراب · واذا كانت الارض سهلة حفرت فيها ما طولهُ مئة متر كل ساعة او ما لا يستطيع حفرهُ في الساعة الأ مئتا رجل · فعسى ان يهتم احد بجلبها الى هذا القطر بعد انقضاء الحرب لحفر الترع والمصارف

اقتران المشتري بالزهرة

شاهد كثيرون من اهل هذه العاصمة في الربيع الماضي كوكبين لامعين يتلألآن في الافق عند الغسق و يتدانيان حتى باتا على قيد فتر في الظاهر ثم اخذا يتباعدان حتى صار بينهما بعد ما بين المشرق والمغرب · فهذان الكوكبان هما السياران المشتري والزهرة · والفلكيون يسمون هذا التداني بينهما اقتراناً · واقترانهما هذا يتمُّ كل خمس عشرة سنة الى عشرين سنة على التعديل

سنتغراد وفارنهيت في اميركا

كان مجمع العلوم الوطني في اميركا قد انتدب لجنة لابداء رأيها في مشروع قانون معروض على مجلس الامة وفحواهُ وجوب اتخاذ مقياس الحرارة الذي لسنتغراد مكان مقياس فارنهيت والاستغناء عن الثاني تمام الاستغناء في دوائر الحكومة · فوافقت اللجنة المشار اليها على هذا المشروع بعد تعديل طفيف

الزهرة هلالاً

بحث احد الفلكيين في هل رئيت الزهرة هلالاً بالعين المجردة في العصور الماضية فذهب الى ان اهل بابل واشور لا بدَّ ان يكونوا قد رأوها هلالاً بدليل اشارة فلكييهم في كتبهم الى «قرني الزهرة» · وعندنا ان الانسان لا يستطيع ان يرى الزهرة هلالاً من غير نظارة وان قرني الزهرة يشيران الى ظهور الزهرة مرة في وسط هلال القمر فتبين كأن طرفيهِ قرنان لها

ظاهرة فلكية نادرة

في فجر ٢٥ اغسطس الماضي وقع القمر وهو في المحاق بين الارض وزحل فحجبهُ عن الابصار مدة قصيرة ولم تُرَ هذه الظاهرة التي هي احق ان تسمَّى بالكسوف او الخسوف السياري الاَّ في بعض انحاء الولايات المتحدة الاميركية وكان زحل قد كسف فيها قبل هذه المرة في صيف سنة ١٩٠٠ والمريخ في اوائل سنة ١٩١٢

الهنود الاميركيون

كان عدد الهنود الاميركيين في الولايات المتحدة الاميركية وشمالها لاول عهد البيض بها اي منذ اواخر القرن الخامس عشر او اوائل السادس عشر نحو ١١٤٠٠٠٠ نفس منهم ٨٦٠ الفاً في الولايات المتحدة وحدها فهبط عددهم الآن الى ثلثهِ بسبب الامراض والمجاعات والحروب على اثر دخول البيض الى اميركا

غرائب الاعلانات

من اغرب طرق التجار في الاعلان عن بضاعتهم ما فعلت ولاية تنيسي الاميركية في الاعلان عن الفحم الحجري الذي يخرج منها فانها بنت منذ بضع سنوات بيتاً كبيراً حجارتهُ من فحمها ولا يزال قائماً الى هذا اليوم لم ينقض فيهِ حجر ولا ازالت تقلب الفصول عليهِ شيئاً من رونقهِ

العمل والتعب

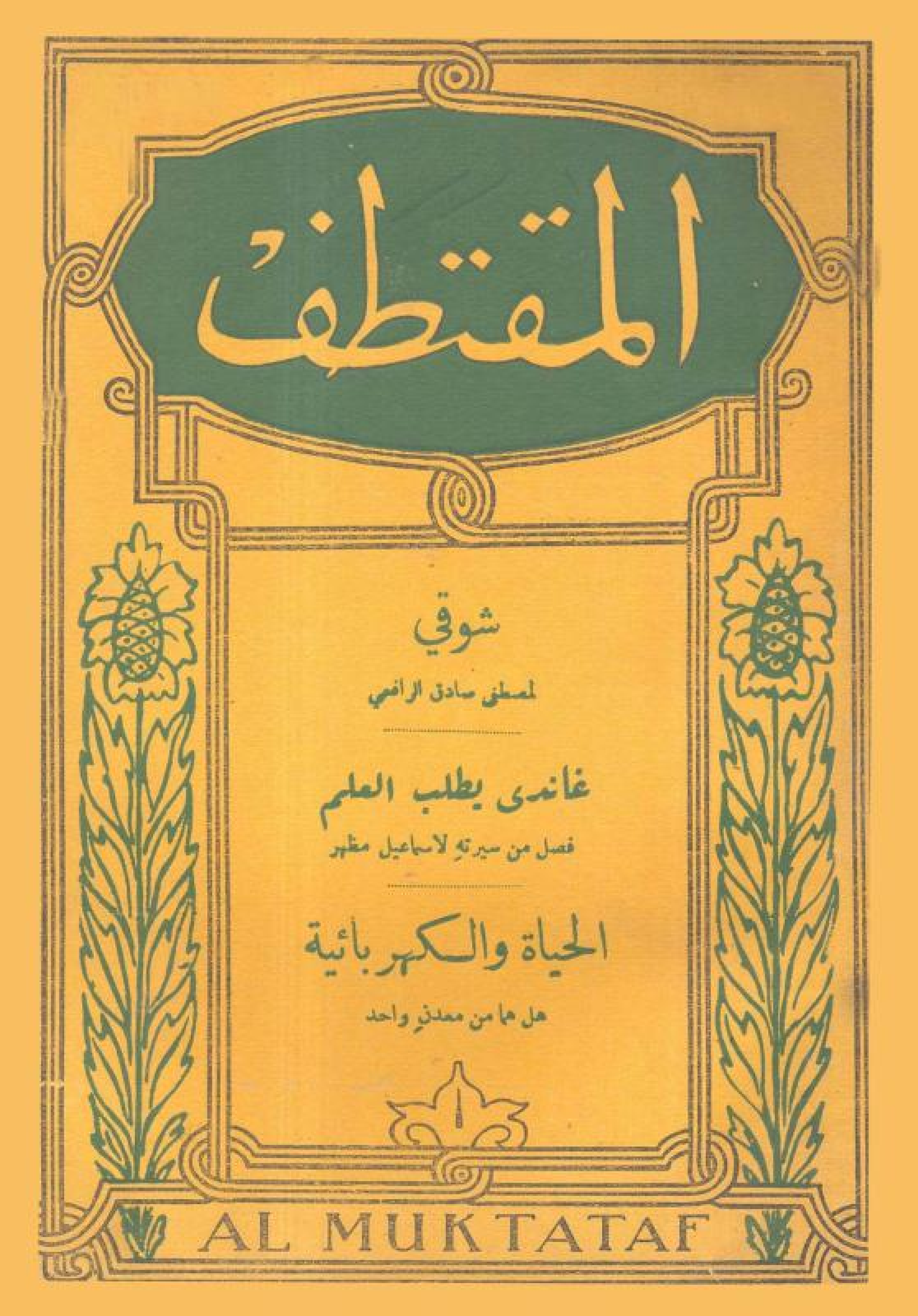
بعث السر لودر برنتن الطبيب الانكليزي الشهير بكتاب الى مجلة «اللانست» الطبية اشار فيهِ الى بعض تجارب جُرِبت منذ سنين لبيان علاقة التعب بطول العمل وخلاصتها ان بعض العمال في كندا شغِلوا بضعة اسابيع بلا راحة وعادوا فشغلوا ستة ايام في الاسبوع ثم أُريحوا في اليوم السابع فظهر ان مقدار العمل الذي كان الواحد منهم يعملهُ في سبعة من ايام العمل التي بلا راحة مساوٍ لما كان يعمل في الستة الايام التي كان يعقبها يوم راحة

الورق في اميركا

جاء في احصاء ان معامل الورق في الولايات المتحدة الاميركية تصنع كل يوم منهُ ما وزنهُ ١٥ الف طن منها ٧,٨ في المئة تصنع من الخرق و ٢١,٤ في المئة من ورق الصحف والمجلات والكتب القديمة والباقي من الخشب . وقد قامت صحف اميركا تنصح للجمهور بعدم اتلاف الخرق والورق القديم وبالمحافظة عليها لعمل الورق منها فان في ذلك توفيراً لخشب الغابات في هذا الزمان الذي تناولت ازمة الورق فيهِ البلاد الاميركية فغلا ثمنهُ واشتد طلبهُ

فهرس الجزء الرابع من المجلد التاسع والاربعين

صفحة



المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرتهِ لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدنٍ واحد
AL MUKTATAF

المقتطف

الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

١ نوفمبر (تشرين ثانٍ) سنة ١٩١٦ — الموافق ٥ محرم سنة ١٣٣٥

اصل العمران الاوربي

من خطبة الرياسة للسر آرثر افانس استاذ علم العاديات (الاركيولوجيا) في جامعة اكسفرد وهي الخطبة التي القاها في مجمع ترقية العلوم البريطاني الذي عقد في نيوكسل في شهر اغسطس الماضي

علم العاديات (الاركيولوجيا) يتوقف على ما يُكتشَف من آثار الانسان وهو من حيث المبادئ التي يستند اليها مثل علم الجيولوجيا (اي علم طبقات الارض) حتى لا يكاد يمتاز عنهُ . ففي علم الجيولوجيا يرى الجيولوجي ما في هذه الطبقات من آثار الحيوان والنبات ويبني عليها احكامهُ من حيث اقليم الارض واحوالها الطبيعية في العصور الغابرة ويتتبع تغيراتها وتقلباتها . وهذا شأن الباحث في علم العاديات او آثار الانسان قبلما صار يكتب تاريخهُ

ففي مصر وبابل وايران القديمة وصحاري اواسط اسيا والبلاد المجاورة لبحر سفيد (ايجه) كشف اهل النقب في طبقات الآكام وما بقي من انقاض المدن والمدافن ما استفتحوا منهُ مقوّمات عمران قديم لم يكن احد يعلم عنهُ شيئًا فضلاً عن آثار باقية من العصر الرباعي الحديث التي سابسط الكلام عليها . وزاد علم العاديات على ذلك ان قام مقام الشهود العدول في تزكية التاريخ المكتتب او تصحيحهِ والاضافة اليهِ وردّ علينا ما فقدناهُ في دياجي العصور الغابرة

وقد تمكن علماء العاديات بمساعدة رصفائهم علماء الجيولوجيا والبليئتولوجيا (علم المتحجرات) من اكتشاف الشيء الكثير من المواد التي بيَّنت كيف نشأت الصناعات والادوات وتدرَّجت في سلَّم الارتقاء واثبتت ان نشأتها قديمة جدًّا اقدم مما كان يُظَن

فقد زيد على ما اكتُشف قبلاً من منحوتات الانسان في عصر الرنة[1] تماثيل من الصلصال تمثل حيوان البَيسون[1] في حجمهِ الطبيعي وجدت في كهف توك دودو بَر ونقوش بارزة تمثل ستة افراس منقوشة في الصخر الكلسي المطِف على راس بلانك وصور كثيرة على جدران الكهوف والمغاور

وقد دهش الناس باكتشاف العالِم الاسباني السنيور ده سوتولا او بالحري اكتشاف ابنتهِ لصور قديمة في جبال البرنيس وذلك منذ سنة ١٨٧٨ حتى انهم لم يثقوا بصحتها لغرابتها الاَّ بعد ما كُشف ما يماثلها في الجانب الفرنسوي من تلك الجبال في بداءة هذا القرن · وهذه الصور كلها تدلُّ على مهارة فائقة في رسم الاشكال الطبيعية والتصرُّف في اوضاعها · ومدادها المغرة الحمراء والصفراء و بعض حدودها مرسوم بالفحم وقد وجدت الهواوين التي سحقت فيها تلك الاصباغ والصحاف التي ليقت عليها · وتجد في صورة الحيوان الواحد ان لونهُ يتدرج من الاسود الى الرمادي فالاسمر الى البرتقالي اللامع و يفتح اللون احياناً بحكهِ او بغسلهِ وتُظهَر الحدود والتفاصيل بخطوط بيضاء تضاف الى الصورة الاصلية · واذا وجد المصور بروزاً في الصخر استخدمهُ لاظهار بروز في الصورة على درجة فائقة من المهارة · واغرب ما في ذلك ان بعض هذه الصور الملونة التي تمثل البيسون واقفاً او رابضاً على اوضاع مختلفة وجدت مرسومة على سقوف الكهوف الداخلية حيث لا يصل نور النهار مطلقاً وليس هناك اثر للدخان ليقال ان الذين صوروا تلك الصور كانوا يستضيئون بالمشاعيل فلا شبهة في ان صناعة عمَل الاضواء كانت قد اتقنت كثيراً · ونعلم الآن انهم كانوا في ذلك العصر يصنعون سرجاً متقنة من الحجر و يزينونها بحفر رؤُوس الثياتل[2] فيها

هكذا كانت حالة ما وصل اليهِ الانسان من صناعة النقش والتصوير في الجنوب الغربي من اوربا قبل كل ما كُشف حتى الآن من اقدم آثار مصر و بابل بعشرة آلاف سنة على اقل تقدير · وهذا ليس كل ما كُشف من آثار ذلك العمران القديم فان الامور التي كان يُظَن انها من مميزات العصور الحديثة نجد الآن انها كانت في ذلك العصر القديم سواء كانت مادية او ادبيَّة · ونرى الادلة متوالية ومتوفرة في المكتشفات الحديثة على وجود عمران قديم بلغ اوجهُ في نحو نهاية الزمن المعروف بالعصر المجدلي

وتدلُّ هذه النقوش ايضاً على ان الناس كانوا قد اخذوا يبنون الاكواخ و يقيمون فيها

(١) الرنة حيوان من نوع الايل يوجد الآن في اقصى الشمال من اوربا واميركا والبيسون حيوان كالجاموس يوجد الآن في بعض روسيا وشمال اميركا الشمالية (٢) الغنم البرية

و يدرأون اسلحة اعدائهم بانواع من الاتراس · واغرب ما كُشف من هذا القبيل دلالة على ارتقاء ذلك العمران صور مرسومة على الصخور في اسبانيا في اماكن كثيرة منها · فالتي في كوغول تمثل حلقة رقص وفيها نساء لابسات تنانير من اوساطهن الى اقدامهن · والتي في البيرا فيها نساء لابسات التنانير وعلى اكتافهن اوشحة عبثت بها الرياح · والتي في كوفادلافيجا تصل التنانير فيها من عند الثديين الى القدمين · وفي هذه الصور امور مدهشة ففيها مناظر الصيد بالقسي والسهام وهي مما لم نرَ لهُ اثراً من قبل في العاديات الباقية من العصر الظراني الاقدم · وفيها صور اناس يرقصون كما يرقص سكان استراليا الاصليون وبعضهم يلبس على رأسهِ شيئاً فيهِ ريش ومع بعضهم حيوانات من نوع الكلب او ابن آوى ترافقهم في الصيد دلالة على انهم كانوا قد جعلوا يذللون الحيوان · ومع بعضهم فؤوس و بعضهم يصيدون بحذف العصي · وهناك صورة فريقين متقابلين من الرماة كانهم يحاربون حرب المصاف

ولا شبهة في قدم هذه الصور والنقوش لان فيها صور حيوانات قديمة من نوع الالك[1] والبيسون اللذين كانا هناك في الدور الرباعي ولا اثر لهما في بقايا العصر الظراني الجديد

والظاهر ان هذا العمران القديم كان واسع النطاق في اوربا يمتدُّ من بولونيا او من روسيا الى بوهيميا و يشمل منابع الدانيوب والرين والجنوب الغربي من بريطانيا والجنوب الشرقي من اسبانيا و يعبر بحر الروم الى شمال افريقية حيث وُجدت صور حيوانات منقوشة في الصخر من نوع الجاموس الطويل القرون وغيرهِ من الحيوانات التي بادت من تلك الاماكن · ومن المحتمل ان يكون هذا الفرع الجنوبي واسع النطاق ايضاً لاسيما وان الصور التي وجدت في اسبانيا وجد ما يماثلها في بلاد البشمن بجنوب افريقية

والظاهر ان المعاملات التجارية كانت واسعة بين اهالي ذلك العصر كما يستدل من انتشار الحلى الصدفية المصنوعة من اصداف البحر المتوسط والحلى الحجرية المصنوعة من متحجرات منقوبة من بعض الطبقات الجيولوجيَّة

وعليهِ فمصباح العمران اتَّقد قبل ذلك العصر القديم · وتدلُّ العاديات التي كشفت حتى الآن على ان نورهُ كان على اسطعهِ في الجنوب الغربي من اوربا على جانبي جبال البرنيس · فماذا جرى حتى وقف عمران اوربا بعد ان خطا تلك الخطى الواسعة ولم يرتقِ عن الدرجة التي بلغها بل انتظر الوفاً من السنين · فان ليل الجهل خيَّم على تلك الربوع وعلى كل بلاد كان فيها انسان عصر الرنة ولكن ألم يكن في المسكونة اناس يتناولون مصباح العمران و ينقلونهُ الى بلاد اخرى

(١) حيوان كبير ضخم من نوع الغزال يوجد الآن في الاصقاع الشمالية من اسيا واوربا واميركا

بلى فقد وجد حديثاً ما يتخطى الهوة التي تفصل العصر الظراني الاقدم عن العصر الظراني الحديث ويصل بينهما اي يصل بين عالمين من عصرين بعيدين من عصور الانسان

ان عمراننا الحديث مبنيٌّ على عمران العصر الظراني الحديث الذي استقى من معين وادي النيل ووادي الفرات. ولقد كان العلماء يحسبون ان العمران اليوناني نشأ دفعة واحدة كما كان القدماء يزعمون ان اثينا ولدت من رأس المشتري وكانوا يقولون ان ما اقتبسهُ العمران اليوناني من المشرق حديث او مقصور على شيء استعارهُ كالحروف الهجائية وبعض العبارات والمقاييس وكانوا يستثنون مصر الى عصر الاسكندر. الا ان المكتشفات الحديثة اوضحت ان نشوء العمران اليوناني لم يكن شيئاً قائماً برأسهِ اذ قد ثبت ان بلاد اليونان اتصلت بمراكز العمران القديمة شرقاً وجنوباً باقتباسها لعمران كريت السابق لعصر التاريخ وبالدرجة السامية التي بلغتها في كل الصناعات والفنون فان جزيرة كريت وهي حلقة متوسطة بين ثلاث قارات كانت بحكم الوضع الجغرافي مهد العمران الاوربي الحديث. والعمران الذي دخلها من هذه القارات وجد فيها عمراناً قديماً جداً كما يستدل من بعض الدلائل الجيولوجية فان تل غنوصس الذي وجدت فيهِ آثار العمران المينوي[1] يشبه تلال العراق ومصر في كونهِ مؤلفاً من طبقات من انقاض المباني . وآثار العمران المينوي فيهِ لا تشغل اكثر مما ارتفاعهُ ١٩ قدماً ويمتد تاريخها الى سنة ٣٤٠٠ قبل المسيح على الاقرب. وسمك الانقاض في التل كلهِ اكثر من ٤٥ قدماً. ولم تكن تتراكم بكثرة في العصر الظراني الحديث كما كانت تتراكم بعدهُ ولكن لو فرضنا سرعة تراكمها بقي ابتداء عهدها بعيداً عنا نحو ٩٠٠٠ سنة . فليس في اوربا آثار من العصر الظراني الحديث اقدم من آثار هذا التل وهي تقسم الى ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة والطبقات السفلى تدل على عمران قديم راقٍ بما وُجد فيها من فؤوس الصوان المخروتة والخزف المصقول . فعصر كريت الظراني الحديث متوغل في القدم وآثارهُ اقدم من آثار العصر الظراني التي وجدت في بلاد اليونان وبر الاناضول ولكن بين هذهِ وتلك مشابهات كثيرة تدل على ان عمران كريت كان جزءا من عمران قديم واسع النطاق شاملٍ للقسم الجنوبي من بلاد اليونان وجزائر بحر سفيد وجانب كبير من اسيا الصغرى

ومما يستحق الالتفات في العاديات الغنوسية[2] تماثيل نساء مصنوعة من الخزف كبيرات الارداف وايديهنَّ على صدورهنَّ وهنَّ ممثلات في بلاد الساميين وفي الآثار المصرية

(١) نسبة الى الملك مينوس الذي يقال انهُ ملك كريت وسن شرائعها
(٢) نسبة الى مدينة غنوصس التي كانت قصبة كريت

السابقة لعصر التاريخ وبلاد اليونان . وحيث توجد هذه التماثيل في كريت والاناضول كان الناس يعبدون الالهة التي يحسبونها امًّا للبشر و يقرنونها بتمثال طفل . وقد بقيت آثار هذه العبادة في الاديان الحديثة . وهناك دليل اخر يدلّ على الاتصال القديم بين كريت واسيا الصغرى وهو الفأس المزدوجة التي صارت شعاراً لمعبد قصر غنوسس

ومن المحقق ان سكان كريت الاصليين اقتبسوا كثيراً من عمران غيرهم ولكن عمرانهم بقي راسخاً في نفوسهم وكانوا يكتفون بما يحتاجون اليهِ مما يجدونهُ عند غيرهم كما يفعل سكان الجزائر عادة ولذلك كانوا يستفيدون مما يرونهُ عند الغير ولا يتقيدون بهِ كما فعل الفينيقيون فاقتبسوا كثيراً ولكنهم لم يفقدوا استقلالهم

واول مؤثر اثّر فيهم كان من مصر اما المؤثرات الشرقية فجاءت متأخرة . وقد دلّني البحث والتنقيب على ان المؤثرات العمرانية وصلت كريت من شمال افريقية قبل ان قامت في مصر دولــــ الفراعنة كما يستدلّ من شكل الانية الحجرية واختيار المواد لها حسب اختلاف الوانها وانواع الرموز المنقوشة عليها وشكل الختوم المشابهة لما كان يصنعهُ سكان وادي النيل الاقدمون . والمشابهات كثيرة جداً تحمل على القول بان بعض المصريين الاقدمين هاجروا الى كريت حينما تغلّب على مصر الشعب الذي منهُ الفراعنة

ثم بقي الاتصال بين مصر وكريت في عهد الفراعنة كما يستدل من وجود المصنوعات المصرية في كريت ومن اهتمام الكريتيين بتقليدها . وقد وُجد نَصَبٌ مصري في دار قصر غنوسس من عهد الدول المصرية الوسطى . واغرب من ذلك ما كان لعمران كريت من الاثر البيّن في عمران مصر كما تدلّ الدلائل الكثيرة كالكؤوس المينوية الكثيرة الالوان البديعة المنظر . واهم منها تأثير الصناعة الكريتية في الصناعة المصرية حتى في القسم الديني منها وتأثير الديانة المصرية في الديانة الكريتية فان إلاهة الكريتيين تشبه إلاهة العالم السفلي المصرية

وقد اثبتت لي مكتشفاتي وابحاثي الحديثة ان الاتصال كان تامًّا بين كريت ومصر في العصر المينوي واذا عرفنا ما اقتبسهُ العمران اليوناني من العمران المينوي السابق لهُ اتضحت اهمية هذا الاتصال بمصر ولذلك لم تكن الديار المصرية منفصلة عن غيرها بل كان لها اكبر اثر في العمران الاوربي

والعمران الراقي الذي نشأ في كريت قبل التاريخ المسيحي باربعة آلاف سنة وضارع عمران بابل استمرّ الفي سنة وهو زاهٍ زاهر وتسلط على كل جزائر بحر سفيد وعلى جانب

كبير من البلاد المحيطة ببحر الروم · وقد تجاسرت على تسميتهِ بالعمران المينوي نسبة الى الملك مينوس ملك كريت ومشترعها على ما في الاخبار المأثورة ووافقني العلماء على هذه التسمية. ويمكننا ان نقسم زمن هذا العمران الى ثلاثة عصور قديم ومتوسط وحديث وهذا التقسيم يقابل تقسيم الدول المصرية الى ثلاثة اقسام قديمة ومتوسطة وحديثة

ويضيق بي المقام عن وصف هذا العمران الاوربي الاقدم لكثرة مناحيهِ فقصور الملوك المينويين في ايام عزهم تفوق ما يماثلها من المباني المصرية والبابلية في هندستها وشمولها لما هو نافع مع ما هو جميل عظيم وفيما تحويهِ من التدابير الصحية · وما يرى في هذه القصور الرحبة الكثيرة الطبقات من المزايا يرى في سائر المساكن القديمة في الجزيرة كلها فقد كان فيها مدن كثيرة غير مدينة غنوسس وكان في هذه المدن صناعات بلغت غاية الاتقان اخصها صناعة ترصيع المعادن التي اتقنها الكريتيون فلم يفقهم فيها احد في عصر من العصور ولا في بلد من البلدان · وظهرت بدائع صناعتهم في القصور بنوع خاص فان سراديبها وممashيها واروقتها مزدانة جدرانها بالصور والنقوش البارزة التي تمثل الحيوانات اصدق تمثيل وفي اوضاعها ونصباتها من حسن التنسيق ما لم يشهد العالم مثلهُ من قبل كما يُرى في صور موقف الثيران الكبير عند باب غنوس البحري وفي المناظر الممثلة في قاعة القصر المظيم

والذي يرى هذه المناظر يندهش من مشابهتها لما هو جارٍ الآن فترتيب اماكن الخدم وقيام السلالم بعضها فوق بعض واختيار الاماكن الامامية في المشاهد العمومية للنساء وصور ثيابهنَّ المكشكشة وكنوفهنَّ وقد لبسنها بايديهنَّ او علقنها على كراسيهنَّ واساليبهنَّ وقت الكلام وما يظهر عليهنَّ من الغنج والدلال كل ذلك مما لو وجد في صورة من صورنا القديمة لاعجبنا بهِ اشد الاعجاب · وما من مكان وُجدت فيهِ صور تمثل احوال الناس في العصور الغابرة تمثيلاً اكثر انطباقاً على الحقيقة من تمثيل قصر مينوس ولا تستثنى خرائب بمباي · ولا يقتصر الاتقان على الاشياء الكبيرة المهمة بل يتناول ايضاً الاشياء الصغيرة الطفيفة كالحمَّام الصغير الملاصق لغرفة الملكة ومغطسهِ المدهون ورقعة الداما المطروحة في الدار وقوارير الزيت الذي يدهن بهِ والخوابي التي كانت تملأ منهُ على مقربة من عرش الملك الكاهن والمقاعد التي يجلس عليها مشيروهُ والعفاريت المقدسة على جانبيهِ وكان للشعائر الدينية دخل في كل شيء وكانت القصور هياكل للعبادة والقبور مقامات للزيارة · ولعلَّ التديُّن منع المصورين والنقاشين من رسم شيءٍ مخلّ بالآداب

وهنا امرٌ آخر في العمران المينوي لا يصحُّ اغفالهُ فانهُ لما اجتمع هذا المجمع في لفربول سنة ١٨٩٦ قبلما عُرفت نتائج النقب في كريت اشار فيهِ عالم مشهور بعلم العاديات في خطبة لهُ موضوعها « الانسان قبل الكتابة » الى الدرجة العليا من الحضارة التي بلغتها بلاد مسينا قبل استنباط الكتابة . اما انا فارى ان عمران مسينا مقتبس من عمران كريت وان الناس كانوا قبل ذلك يعبّرون عن افكارهم باشارات يرسمونها . ثم اننا قد رأينا في آثار كريت القديمة نوعاً من الكتابة وعرفنا درجات نشوئهِ وارتقائهِ ووجدنا كثيراً من الختوم المنقوشة والفي قطعة من الخزف المكتوب اكثرها عقود لم نقرأ كتابتها حتى الآن ولكن فيها صور تدل على معنى الكتابة وفيها ما يظهر انهُ ارقام تدل على الاعداد حتى عشرة آلاف وبعض هذه العقود مختوم وترى تحت التوقيع توقيعات اخرى كأنها تزكية لهُ وهي تدل على انهُ كان في البلاد حكام ونظام مدقق وتؤيد ما رواهُ الرواة عن الملك مينوس الذي يقال انهُ تناول الشريعة من الله على الجبل المقدس مثل همورابي وموسى . واما القطع الخزفية التي وجدت في كريت في العصر المينوي الحديث فمقتبسة اصلاً من الشرق ولعلها مما اقتبسهُ الكريتيون من قبرس لما احتلوها ومن ثم كثر اتصال الشرق بكريت وجلب الكريتيون منهُ المركبات واقتدوا بهِ في استعمال الختوم الاسطوانية

ولما اتسع نطاق العمران المينوي حتى بلغ سواحل فينيقية وفلسطين كما بلغ قبرس كان قد تمكن من بلاد اليونان وبلغ صقلية واسبانيا والجزائر المجاورة لها والظاهر انهُ تناول شيئاً مما استمدهُ من بر الاناضول . وبعض اليونان الآريين اتصلوا بالعمران المينوي وهو في اوج مجدهِ كما يستدلُّ من اشعار هوميروس فان الاسلحة التي وصفها مينوية وترس اكلس بما عليهِ من الصور البديعة كان مثالاً للصناعة المينوية المتقنة والقيثار الذي كان الشاعر يغني عليهِ من اختراع اهل كريت . واذا التفتنا الى الشعائر الدينية وجدنا الهياكل اليونانية مشتقة من المباني المينوية ورسوم واجهاتها القديمة مقتبسة من واجهات المباني المينوية . واقدم الالهات اليونانية مثل اورثا الاسبرطية توصف باوصاف مثل اوصاف الام المينوية

وبعض اصول هذه الحضارة القديمة بقي في بلاد اليونان وبعضها دُفن في مهدهِ ثم اينع في السواحل والجزائر الشرقية حيث كان العمران المينوي ثم اعادهُ الفينيقيون واليونانيون الى مواطنهِ . وبقي جانب كبير منهُ رغماً عما حاق بالمملكة المينوية من الخراب قبل التاريخ المسيحي باثني عشر قرناً ورغماً عما فعلهُ الغزاة الذين هاجموها من الشمال فبني

عليهِ العمران اليوناني واضاء مصباحهُ مرةً أخرى بالنور الذي انبعث منهُ في زمن سكان الكهوف الذين كانوا في العصر الظراني الاقدم

وجاء الرومان بعد ذلك فاستلموا الميراث الذي ورثهُ اليونان من كريت و بنوا عمرانهم على اسس واسعة بجملهِ عامًّا شاملاً

فان كانت الحضارة الاولى التي وجدت في عصر الرنة قد شملت اكثر من شعب واحد واستجمعت اصولاً مختلفة من جهات شتى فاحرِ بعمراننا الذي نشأ من العمران اليوناني الروماني ان يبلغ درجة سامية من الاتساع والارتقاء ولا ينحصر في بقاع ضيقة او يكون ملكاً خاصًّا بشعب دون آخر . ومهما تعددت الشعوب والالسنة فلسان اهل العمران واحد ومصالحهم مشتركة

ونحن الذين اجتمعنا هنا اليوم لكي نعمل على ما يقدّم المعارف و يؤيد الحقائق لم تكن مهمتنا في وقت من الاوقات اصعب ممّا هي الآن . فقد قلَّ عددنا اذ اضطر كثيرون منا ان يذهبوا لخدمة بلادهم وكم منهم مَن ذهب ولن يعود مع شدة حاجتنا اليهِ وانقطع الاتصال العلمي بهذه الحرب الضروس التي شملت و يلاتها الممالك واضطرت الحكومة والشعب الى اهمال المصالح التي سبَّب اهمالها في الماضي ما نراهُ من المصاعب التي نحاول التغلُّب عليها الآن

ومما يذكر بالاسف الشديد ان جمهور امتنا لا يزال غائصاً في بحار الجهل بل في الخمول العقلي الذي هو اصعب علاجاً من الجهل وجهل الوالدين يظهر في الاولاد . والرغبة في تحصيل المعارف في مدارسنا اقل منها في سائر البلدان وقس على ذلك الرغبة في العلم لذاتهِ والتعطش لتحصيلهِ . ولكن هل نيأس من استيقاظ امة فيها ما ظهر الآن من الهمة والنشاط لما دعاها داعي الوطنية لخوض غمار الحرب . وهل يشك احد في ان الامة التي دخلت هذا الاتون المتقد ستخرج منهُ امة جديدة خالية من كل زغل . فعلينا ان نتدرَّع بالصبر ونستعد لمحاربة عدو أعدى من العدو الذي يحاربنا الآن وهو الجهل والخمول والرغبة عن العلم واضاعة الوقت في اللهو واللعب

علينا ان لا نكف عن العمل بل نحرص على مصباح المعارف الذي وصل الينا من العصور الغابرة ونسلمهُ الى خلفائنا ونورهُ اسطع ممَّا كان حينما استلمناهُ . وعلينا ان نكون من حماة المعارف ومؤيدي التعليم وان نواظب على السعي في تأييد الحق واثقين ان نظام الكون يقتضي ان يكون كل جيل اقرب من الجيل الذي قبلهُ الى الغرض السامي الذي نسعى اليهِ

الحركة التورانية الجديدة

في تركيا

لاحد ادباء الانكليز

كان اول ظهور هذه الحركة العظيمة الشان في الاستانة سنة ١٩١٣ ويسميها الترك «بني توران[١]» اي التوران الجديد . والآن تسمع الناس يتحدثون بها في كل مكان . ويمكن تعريفها بانها حركة يراد بها السير في جهة القومية التركية والابتعاد عن الاسلام . ويقال ان اغراضها ما يأتي :

(١) جعل روح القومية التركية مستقلة عن الاسلام (وهذه العبارة هي عبارة الدكتور الفرد نوسيج من حديث دار بينهُ وبين زعماء الاتحاديين ونشر في جريدة درتاج الالمانية) . (٢) ترقية الروح العسكرية بين الترك . (٣) انشاء علاقات تجارية وغير تجارية مع مسلمي شمال ايران (اذربيجان) وروسيا الاسيوية وجنوب روسيا . (٤) تحرير اللغة التركية من الالفاظ العربية والفارسية . على ان لها غرضاً آخر لا يعترف بهِ بمثل هذه الصراحة وهو حرمان العرب من الحقوق القومية

اما ما يرمي اليهِ اصحاب هذه الحركة فهو جعل التركي العثماني تركيًّا اولاً ومسلماً ثانياً . وزمام الحركة في يد جمعية تمدُّها الحكومة بالاعانات المالية واسمها «ترك اوجاقي» اسي «الموقد التركي» او الوطن التركي وهي تبذل المجهود في ترويجها بجميع المساعي . ومما توسلت بهِ لاستجلاب النشء التركي انشاء مدارس تورانية واصلاح الطريقة المتبعة في المدارس العليا لتعليم تاريخ القبائل العثمانية وغيرها من القبائل التورانية . وقد انشئ جيش كبير من الغلمان الكشافة برعاية انور باشا فيمرن هؤُلاء الغلمان تمريناً عسكريًّا يؤَهلهم لدخول الجيش عند الاقتضاء . ومعظم شاراتهم وجميع القابهم تركية صرفة سابقة لعهد الاسلام بين الترك . ومن كان اسمهُ عربيًّا أُبدل باسم تركي

وللحركة وجهة ادبية ايضاً فان كثيراً من الكتب العلمية والتاريخية يترجم الآن بلغة تركية بسيطة . وكان في النية ايضاً ترجمة القرآن ولكن عُدل عنها لمعارضة العلماء . وقد نشرت كتب كثيرة تدعو الى هذه الحركة منها رواية «يني توران» من قلم خالده هانم وهي تمدح

(١) المقتطف معنى التورانية غير الايرانية اطلقت على الشعوب القاطنين خارج بلاد ايران اي الى الشمال والشرق منها او في تركستان

فيها هذه الحركة وتدافع عن حقوق المرأة . فالجمع بين حقوق المرأة والحركة التورانية يظهر غريباً في عيون الذين يعلمون ان القبائل التورانية بخست المرأة حقوقها في العهود الماضية اكثر من سائر امم الارض مجتمعةً

والمقول ان اسباب هذه الحركة متعددة احدها مسألة اللغة فان اللغة التركية المركبة من عدة لغات والمكتوبة بحروف عربية تزداد كل يوم عسراً واستغلاقاً على التركي غير المتعلم . وليس البحث في ذلك من شأننا هنا . ومن تلك الاسباب ان مسلمي روسيا والقوقاس حضّوا الحزب القوي الداعي الى الجامعة الاسلامية بين الاتراك الاحرار على استجلاب مسلمي اسيا الوسطى وشمال ايران والقوقاس اليهم ولاسيما ان فريقاً منهم تتركوا والفريق الآخر قابلٌ لهذا التترك والاَّ لابتلع العرب الترك العثمانيين في آخر الامر ولو فاز هؤلاء باستخدام الجامعة الاسلامية لبلوغ غاياتهم

وهناك سبب ثالث وهو ظهور الكتاب الآتي ذكرهُ فان ولادة هذه الفكرة عند حلول زمانها نشأت على ما يظهر من قراءة ناظم بك (السكرتير العام لجمعية الاتحاد والترقي واقوى زعمائها على ما يقال) لكتاب ليون كاهون وهو كتاب تاريخ الترك والمغول في اسيا من مبدإ نشأتهم الى سنة ١٤٠٥ . وقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٩٦ واسمهُ بالفرنسوية :

"Iutroduction a l'histoire de l'Asie; Turcs et Mongo's; des origines á 1405"

وقد اعتمد المجمع العلمي الفرنسوي هذا الكتاب وهو على غاية ما يكون من البحث العلمي وصحة السند وحسن الديباجة . اما كون بعض ما فيه من الاحكام صحيحاً او غير صحيح فهذا ما لا نتعرَّض لهُ

وظاهر ان الحركة التي ترمي الى « جعل روح التركي القومية مستقلة عن الاسلام » لا بدَّ ان تكون عظيمة الشان عند الطوائف الاسلامية الكبرى وعند الدول التي بين رعاياها كثيرون من المسلمين كفرنسا وروسيا وايطاليا وانكلترا . فلا بدع اذا اتجهت اليها الانظار في الشرق والغرب معاً . ويقال ان احرار الترك يميلون اليها بوجه خاص بناء على القاعدة القديمة التي وضعها فمبيري اليهودي المجري المعروف وهي ان « لاوطن في الاسلام » . وحجتهم انهُ كان من مآل الاسلام تحت تأثير العوامل والتقاليد العربية والفارسية واليونانية والبيزنطية جعل الترك امة شرقية ليس لها عمران خاص بها . وفي هذا القول ما فيهِ من قلب الحقائق ووقائع الحال فلا بدع اذا بحثنا في ناحية هذه الحقائق والوقائع وفيما تفضي اليهِ . فما هي النعرة القومية التركية وما هي علاقتها بالاسلام

كانت القبائل التركية في اوائل عهد المسيحية تقطن بلاد اسيا من حدود الصين الى نهر جيحون (اوكسوس او امودار يا كما يسميهِ التتر) . وكانت ديانتها — ان كانت لها ديانة — ما يسمى « بالشامانية » اي عبادة قوى الطبيعة بالشعوذة والسحر . وكانت حضارتها حضارة سائر القبائل الرحّل الذين في اسيا الوسطى وهي حضارة ذات قواعد بسيطة تبعاً للبقعة واحوال المعيشة . واخص خواصها المميزة لها ميلها الى الحرب واتسامها بسماتها . فكانت تستأجر للقتال وعليهِ كان شرفها شرف الشاكرية والمسترزقة اي الولاء لكل من قادها واطعمها . وفيما خلا ذلك لم يأتِ التركي امراً ذا شأن من تلقاء نفسهِ فلم يضع اساس دين خاص بهِ ولا انشأ مدنية ممتازة . ولم يحاول احد من الترك توحيد الامة التركية كلها وجهد ما في الامر ان جنكيزخان المغولي فكّر في ذلك ولم يفعلهُ . ولم يخرج التركي عن كونهِ مقتبساً او مستعيراً اي انهُ كان يلبس لبوس كل بيئة كان ينزل فيها من الصين الى فارس فالعربية فرومية الشرقية فجرمانيا . وليس بصحيح ما يقال من ان عواريهُ (اي الاشياء التي استعارها) واعظمها الاسلام حالت دون انشائهِ مدنية خاصة بهِ . فالواقع انهُ لم يشف عن ميل الى ابداع المدنيات بل الى اقتباسها

والتركي العثماني اقل القبائل التركية تمثيلاً لاصلهِ . فهو ليس الآن شعباً محدوداً يحكم اممًا و بلاداً بحق الفتح . وربما صح هذا القول فيما مضى على العثماني الذي نزل اوربا وارمينية ولكنهُ لا يصدق على الذين نزلوا بلاد الاناضول التي كانت ولا تزال مجمع القوة العثمانية . واذا ضربنا صفحاً عن قبائل اليوروق والتركمان الرحل لم نجد في ترك الاناضول الآن سوى اثر ضئيل من التركية . فان قوميتهُ تعبير سياسي ودمهُ مزيج من قطرة تركية متضائلة وقطرات من دماء شعوب كثيرة كانت قد أسنَّت وشاخت يوم بنيت الاستانة كالروم والفريجيين والغلاطيين والايسوريين والكاريين والحثيين . وهذا الدم هو الذي مال بهم الى حرث الارض وزرعها . واذا البسوا ملابس الاوربيين ظهروا مثلهم . وكان قوام قوتهم البحرية القصيرة العمر في القرن السادس عشر امراء من دم اوربي

والفضل في احتفاظ التركي بوحدتهِ كأمة عائد الى امرين الاسلام وطاعتهِ العسكرية . وهو لا يهتم بما اقتبس حكامهُ من الفلسفة الفارسية والقواعد البيزنطية لمعاملة امراء البيت المالك . اما الاسلام فيهتم بهِ من بعض الوجوه حتى بات عنوان الحضارة التركية وشعارها مهما يكن الاختلاف الذي طرأ عليهِ بعد اقتباسهِ لهُ كثيراً . وهو الذي حفظ بنيان الدولة . وان كان التركي يعنى بالاسلام فذلك لانهُ ينطوي على مزيتهِ العسكرية التي هي اقوى

العواطف فيهِ . فقد انتحل الاسلام منصاعاً للامر فلم يجادل فيهِ ولا جُذب بشعائرهِ ولكنهُ طول عهدهِ بهِ ما زال يدافع عن الدين انتحلوهُ عن رضى واقتناع . فكان للاسلام سيفهُ . خذ الاسلام من القومية التركية وانظر ماذا بقي منها

يقول التوراني انك اذا اخذت الاسلام من القومية التركية بقي فيها المبدأ التوراني اما الاسلام فيظهر بمظهر جديد ويكون ديناً قومياً . ولكن التورانية لم تبدع شيئاً خاصاً بها لتعرضهُ على الانظار فقد كان تاريخها تاريخ تدمير . فالرِيتشي دمروا المستعمرة اليونانية في بلخ . والهن (قوم القائد اتلا المشهور) حاولوا استنزاف دم الرومانيين في الشرق والغرب . والاوار حاولوا قتل الامة الصقلبية وهي في المهد . وهولاكو خرّب قنوات العراق وترعهُ وجعل اخصب بلاد الله قفراً بلقعاً كما ترى الآن . والعثمانيون ابادوا المدنية البيزنطية التي كانوا يعيشون عليها — هؤلاء هم التورانيون . ثم ان اتلا « نقمة الله » وجنكيز خان الذي لقب نفسهُ في بخارى « غضب الله وعصا سخطهِ » — هذان تورانيان ايضاً . ولم يكن الالماني وهو يستاق سبايا البلجيك امامهُ الى ميدان القتال سوى مقلد لما كان المغول والاوار والهن يفعلون كل يوم . والفرق ان هؤلاء كانوا يعطون اسارام سيوفاً يحاربون بها . وهذا ما يحمل الواحد منّا على انكار بعض الاحكام والاستدلالات التي ابداها كاهون في كتابهِ . فان الناس لا يصدقون ان تيمورلنك كان شهماً او جنكيزخان سياسياً . وبينا ترى كاهون يشدّد بحق في بيان فضائل التركي العسكرية لا تراهُ يبين لنا نقائصهم العسكرية بمثل تلك الشدة وذلك الافصاح

على ان ما فات كاهون بيانهُ لم يفت كاتباً آخر جاء بعدهُ وهو الدكتور يسكر فانهُ صوّر الترك والمغول باشنع مما عرفوا بهِ من عهد المؤرخ جِبّن (الانكليزي) حتى اننا قلما رأينا كاتباً فاقهُ في ذمّ الفظائع والمنكرات التي كان هؤلاء الاقوام يأتونها على الدوام لاذلال الامم التي خضعت لهم ولابادتها . وليس هذا الزمان زمان تمجيد المدمر والمخرب فان بروسيا ودمها التوراني مشهور تزعم انها ستبني حيث تخرّب الآن . وجميع الادلة تدلُّ ان العود الى عهد التركية انما هو عود الى عهود الغزو والنهب . ولما خطب امبراطور الالمان في جنودهِ وقال لهم اذا امرتم فاقتلوا كلّ احد حتى آباءكم فقد كان يشمّ من هذه العبارة ريح التركية الوثنية الحقيقية التي زهت منذ الف سنة للميلاد

ان التركي خلو من قوة الاستنباط الديني فيستحيل علينا ان نتصورهُ ساعياً في ابداع دين قومي يتطلب شعوراً قوياً حقيقياً . ولو لزم التركي حدود الاناضول موطنهِ ما بالينـا

كثيراً في نوع حكومته على شرط ان لا يضر جيرانهُ ولا يبقى ذيلاً لالمانيا. ولكن واقع الامر ان هذه ليست تركيا التي يحدث التوراني نفسهُ بها بل هو يريد السلطنة العثمانية كلها وربما اراد شيئاً آخر مضافاً اليها اذ لا يكاد يعقل ان العلاقات التي أُشير بتوثيقها مع ممثلي روسيا تقتصر على الشؤون التجارية كما جاء في صدر المقال بل لا بد ان تتناول اشياء اخرى غير التجارة

ومهما يكن من الامر فلا مشاحة ان تلك العلاقات ترمي الى حرمان العرب حقوقهم القومية. فان التركي يخاف العربي لعظم مطالبهِ ويقول جهاراً اني ان لم « افعل اللازم » بالعربي فلا بدَّ « ان يفعل اللازم » بي قريباً. لذلك لا مندوحة من تتريك العربي على احسن النماذج البروسية اي كما فعلت بروسيا في ولايتي شلزويج وهولشتين (اللتين اخذتهما من الدنمرك منذ نحو ٥٠ سنة) حيث حظرت على الاولاد الصلاة باللغة الدنمركية. وقد باح بعض كتّاب الترك بسرّ هذه السياسة فقال جلال نوري بك في كتاب ألَّفهُ حديثاً « لا بدَّ من تصيير البلاد العربية ولاسيما العراق واليمن مستعمرات تركية ننشر فيها لغتنا لتصير هذه اللغة لغة الدين متى آن اوان ذلك. فان تتريك البلاد العربية من الزم لوازم وجودنا لان فكرة القومية اخذت تستيقظ في صدور النشء العربي وهي تهدد بنيان دولتنا فلا بدَّ لنا من اعداد العدد لمقاومتها ». وقال احمد شريف بك في جريدة طنين «ان العرب يتكلمون بلغتهم ويجهلون التركية كلَّ الجهل كأَن بلادهم ليست تابعة لتركيا. فالواجب على الحكومة ان تجعلهم ينسون لسانهم ويستبدلوهُ بلسان الامة التي تحكمهم. واذا تناست الحكومة هذا الواجب كان مثلها مثل الذي يحفر قبرهُ بيديهِ. لانهُ ان لم ينسَ العرب لسانهم وتاريخهم وعاداتهم سعوا في اعادة مملكتهم القديمة على انقاض العثمانية ». وقال كاتب آخر في منشور وزع على نفقة الحكومة العثمانية في القوقاس « لقد كان العرب مصيبة علينا فان جواد غازٍ تركي افضل من انبياء الامم الاخرى »

هذا بيان وضع عمداً لاستئصال قومية امة من الامم. والدول المحالفة تدافع عن مبدإ القومية اشد دفاع وتقول انهُ لا يجوز لامة من الامم ان تمنع امة اخرى من ان تعيش عيشة خاصة بها منفصلة عن غيرها. وعليهِ فانها تميل بكليتها الى نصرة العرب في هذه المسألة. اما الامم المسلمة العظيمة التي تحكمها فرنسا وانكلترا فلا محلَّ للريب في اميالها — فانها مع العرب ايضاً. والسبب الاكبر في ذلك كون الاسلام نشأ فيهم. وبعض السبب وخصوصاً في الاملاك الفرنسوية بشمال افريقية علم اهلها ان بينهم وبين العرب صلة نسب. ومع ان المسلمين الذين هم خارج تركيا لم يرقهم عبث الترك بالاسلام فانهم سلموا بالخلافة

التركية اعتقاداً بان سلاطين آل عثمان اقوياء قادرون على رفع شأن الاسلام في عيون الاجانب . وقد آن الاوان الذي يتمكنون فيهِ من الرجوع عما سلوا بهِ قبلاً

ان مصاب حلفاء المانيا بها مصاب عظيم اذ الظاهر ان الالماني يعتقد ان الشيء يمكن ان يكون وان لا يكون في وقت واحد معاً . فهو يستغيث بكل قانون دولي او غير دولي من جهة في حين انهُ يخرق القوانين من الجهة الاخرى . وتراهُ يبني للاسلام بيد ويهدم باليد الاخرى . ففي الشرق نادى امبراطور الالمان بنفسهِ انهُ صديق المسلمين الصدوق حتى ادعى بعض المسلمين انهُ اتحل الاسلام . ونودي بالجهاد لحمل المسلمين على القتال في جانب المانيا فاخفق ذلك النداء . وبُذلت المساعي الكثيرة لحمل الاسرى المسلمين من رعايا فرنسا وانكلترا على نبذ ولائهم لدولتيهم بدعوى ان الواجب يقضي عليهم بمقاتلة الكفار دفاعاً عن الترك والاسلام ففشلت هذه المساعي ايضاً

هذا هو الوجه الاول من هذه الصورة . اما الوجه الثاني فكلهُ عِبَر . فان اول ما شاهد الناس من آثار مقاومة المانيا للاسلام والعمل ضدهُ كان يوم وقع في يد الجنرال سمطس في موشي نسخة من ذلك المنشور المشهور الذي وزعتهُ الحكومة الالمانية على حكام مستعمراتها الافريقية في اكتوبر سنة ١٩١٣ تسألهم فيهِ ما هي افضل الوسائل لتقليص ظل الاسلام في المستعمرات الالمانية وهل يمكنها سن القوانين لالغاء الاسلام من تلك المستعمرات ومنع الناس فيها من الجري على اوامره ونواهيهِ

وعلى هذا الاثر قامت الحركة التورانية . واذا رأى الناس اثراً من المانيا في كل وادٍ فلا تلم الأ نفسها . ولكن لا جدال في ان زعماء الاتحاديين هم ظهيرو هذه الحركة التي يراد منها فصل القومية التركية عن الاسلام وجعلها مستقلة عنهُ وغنيٌّ عن البيان ان حركة مثل هذه لا تقوم لها قائمة ولا تزهو جهرة لو كانت المانيا منكرة لها والمانيا هي كل شيء في تركيا

كتب قمبيري المجري منذ ثلاثين سنة يقول انهُ يجب على تركيا اما ان تُغرب (تصير غربية) واما ان تهلك . ولما كانت لا تستطيع الاول فلا مناص لها من الثاني . نعم ان احرار الترك اقتبسوا بعض الشيء من الغرب ولكنهم اقتبسوهُ من النظام البروسي المقضي عليهِ بالفناء . وقد انتهى سلطانهم ودنت آخرة ملكهم يوم رفضوا ضمان الحلفاء لاملاكهم . وستبدي لنا الايام هل يستطيع العثماني انشاء دولة في الاناضول من غير ان يتبع الاساليب الغربية بصدق واخلاص . ولكن لا حاجة بنا الى الزمان لنرى ان ابادة القومية العربية على المنوال البروسي التركي فكرة مقضي عليها بالفشل بعد ان قامت قائمة العرب في مكة والمدينة

الشيخوخة واماني حيوية

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(١) لمحة من تاريخ حياة متشنيكوف

ولد متشنيكوف في روسيا سنة ١٨٤٥ ومات في باريس في ١٥ يوليو سنة ١٩١٦ . تلقى دروسهُ الاولية في كاركوفا مسقط رأسهِ واتمها في جيسين وغوتنغ ومونيخ . وسنة ١٨٧٠ عين استاذاً للجيولوجيا في اودسا وسنة ١٨٨٢ غادر روسيا وسافر الى ماديرا ثم الى تناناريف ومنها استدعاهُ باستور الى باريس فتتلمذ لهُ وتابعهُ في البحث والتنقيب الى ان قُبض فتولى بعدهُ ادارة المعهد وبقي في كرسي الرياسة بدون معارض الى آخر ساعة من حياتهِ

وقد بلغ مقاماً عالياً من العلم واشتهر اسمهُ في جميع الاقطار والامصار وكان حجة في الفلسفة الوضعية والمعارف البيولوجية ولاسيما في علم اجنة الحيوان . وفتحت مباحثهُ سبيلاً الى الاكتشافات العلمية التي يرجّى منها خير كبير للانسانية فكان عوناً كبيراً لشفاء الحمى القلاعية ومرشداً للبحث الدائب في شفاء الزهري والسرطان والهواء الاصفر والالتهاب السحائي الشوكي وهو الذي اكتشف مكروب الخمير اللبني واثبت فائدتهُ في الالتهابات المعوية واظهر ان اللبن الرائب من افضل الاغذية الصحية للانسان وانهُ من اهم اسباب طول الحياة في الشعوب التي تعتمد في غذائها عليهِ

واهم اكتشافٍ لهُ ثبتت صحتهُ وسلّم بهِ العلماء حتى خصومهُ ويرجى منهُ خير للانسانية في المستقبل هو الفاغوسيت الذي سيقف القراء على وصفهِ وفعلهِ فيما سيأتي

وقد ترك مؤلفات جليلة كانت في حياتهِ موضوع المناظرة بين العلماء ومنها كتاب البحث في الشيخوخة الذي نقلنا عنهُ المقالات التالية لما فيها من الفائدة ولذة البحث ليقف قراء المقتطف على آراء ذلك العالم الكبير الذي نقلت كتاباتهُ الى كل لغات العالم المتمدن ولهُ ما عدا هذا مؤلفات كثيرة وهي « دروس في باثولوجية المقابلة» و« المناعة في الامراض العفنية » و« دروس في الطبيعة البشرية » و « امتحان في فلسفة التيمّن »و « ملاحظات على مولدات الامعاء» وجمع اراءهُ في كتابهِ « المناعة » ولهُ كثير من الرسائل في المجلات العلمية واخصها مجلة معهد باستور

وقد استحق بجهاده جائزة نوبل ونال اوسمة الشرف من فرنسا وانكلترا وروسيا وكان عضواً في اكاديمية الطب في باريس

(٢) في الشيخوخة واختلاف نظر الامم فيها

وجه متشنيكوف الالتفات الى الشيخوخة في كتابه « دروس في الطبيعة الانسانية » وكان لهُ فيها نظريات خاصة قام عليها الجدل في سوق العلم فاضطرتهُ المناظرة الى درس المسئلة درساً خاصًا لان لها في نظره اهمية عملية خلا اهميتها النظرية فتوسع في درسها ووصل بعد صبر طويل وجهد كبير الى اكتشاف جليل سيكون لهُ في المستقبل شأن كبير في حياة الانسان وهو الفاغوسيت (Fagocyte)

***

والشيخوخة كما يعلم الجمهور هي دور الانحطاط من ادوار الحياة وهي في الانسان شاغلة لباله وموجبة لاهتمامه يهلع قلبهُ كلما قرب خطوة منها واذا بلغت الحد الذي تحسر الوظائف فيه قوتها الطبيعية قال متحسراً

فيا ليت الشباب يعود يوماً   فاخبرهُ بما فعل المشيبُ

واذا رأينا هرماً احدودب ظهرهُ وانطفأ بصرهُ وذهب عقلهُ وارتجفت اطرافهُ تمنينا لهُ الموت تخلصاً من حياة عذاب لا فائدة لهُ منها ولهذا فالشيخوخة مسئلة فيها نظر تستوجب حلاً مرضياً اما بتخفيف شقائها بالوسائل العلمية حتى تصبح دوراً من ادوار الحياة قليل الشقاء او لا شقاء فيه او بالوسائل الاجتماعية حتى يجد الشيخ ملجأً يلجأ اليه في عاهته التي اقعدتهُ عن القيام بمعيشته ويجد فيه بعض السلوى عن شقاء لا محيص لهُ منهُ . وهذا ما دعا متشنيكوف الى التعمق في درس هذا الموضوع

***

يختلف حل هذه المسئلة في نظر الامم باختلاف رقيهم ومدنيتهم فهي بسيطة عند الشعوب المنحطة يحلونها بقتل شيوخهم . ومعقدة عند الامم المتمدنة اذ يدخل فيها عندهم الشعور الراقي والنظام الاجتماعي العام . فاهالي ميلانيزيا يدفنون شيوخهم الذين لا يستطيعون القيام بعمل ما احياءً واهالي ارض النار اذا هددتهم المجاعة قتلوا عجائزهم واكلوهن وابقوا على الكلاب واذا سئلوا عن ذلك اجابوا ببساطة وبدون تكلف ان الكلاب تصطاد الفقمة واما النساء فلا . اما اهالي البلدان المتمدنة وان كانوا لا يقتلون شيوخهم فهم يحسبونهم عبئاً ثقيلاً عليهم ويتمنون لهم الموت العاجل واذا طالت حياتهم تافغوا منهم وتبرموا . ويزعم

بعض الناس ان للنساء سبع ارواح و يقول آخرون ان للعجوز روحاً صلدة لا تطحنها الرحى .
ولهذه المزاعم القومية تأثير في موت الشيوخ الجنائي حتى في ارقى البلدان مدنيةً لان
حوادث الجرائم التي تقع على الشيوخ وخصوصاً على العجائز كثيرة وسببها ما تقدم وهو
ينطبق على ما قاله احد المنفيين الى جزيرة سخالين لطبيب السجن وكان قد حكم عليهِ بالنفي
اليها لانهُ قتل بعض الشيوخ فقد قال لهُ « ما الذي يدعوكم الى الشفقة عليهم فهم عجائز
لا نفع منهم فان لم يقتلوا فموتهم ليس ببعيد »

فحالة الشيوخ السيئة تعرضهم لخطر الموت قتلاً وتزيد خطورة بميلهم الى الانتحار تخلصاً
من شقائهم لان حرمانهم من وسائل الحياة واصابتهم بالامراض الثقيلة العديمة الشفاء تجعلهم
ان يفضلوا الموت على الحياة بذلة . وفي اخبار الجرائد شواهد كثيرة على انتحارهم بعضهم ينتحر
بغاز الفحم وهو ثابت من الاحصاءات الرسمية المستندة الى وقائع حقيقية من زمن بعيد الى
الآن من ذلك ان في سنة ١٨٧٨ كانت نسبة الانتحار في بروسيا لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة
١٥٤ من سن ٢٠ — ٥٠ و ٢٩٥ من سن ٥٠ — ٨٠ ومنها ان النسبة في الدنمارك لهذا
العدد في مدة عشر سنين اي من سنة ١٨٨٦ — ١٨٩٥ كانت في كوبنهاغن ٣٩٤ من سن
٣٠ — ٥٠ و ٦٨٦ من سن ٥٠ — ٧٠ فيكون معدل الانتحار ٣٦ ½ في الكهول و ٦٣ ½
في الشيوخ

فلا غرو اذاً اذا عُني رجال السياسة ومحبو الانسانية بتخفيف عناء الشيخوخة في الفقراء
وسنُّوا القوانين لهذه الغاية . فقد سنوا قانوناً في الدنمارك سنة ١٨٩١ يقضي بمساعدة الشيوخ
مساعدة اجبارية ويحق المساعدة لابن ٦٠ سنة اذا كان معوزاً فنتج من ذلك دخول ٢٤٦
من العجزة و ٣٦ شخصاً الى ملجإ العجزة في سنة واحدة (وفي سنة ١٨٩٦) انفق عليهم نحو
خمسة ملايين ونصف من الفرنكات

وقانون البلجيك يقضي بمساعدة العجزة من سن ٦٥ فصاعداً

واما في فرنسا فجروا على معاقبة العجزة بالعقاب المفروض على الشحاذين ليتمكنوا من
القبض عليهم وارسالهم الى الملجإ العام ثم سنوا قانوناً سنة ١٩٠٥ يقضي بمساعدة كل فرنساوي
بالغ السبعين لا معين له ولا استطاعة لهُ على كسب معاشهِ او مصاب بعاهة او بمرض عديم الشفاء

غير ان هذه القوانين الدالة على رقي الشعور الانساني ونمو عاطفة الشفقة في الجماعات لم
تفد الشيخوخة فائدة عملية اذ ليس فيها ما يوجه النظر الى تأخير الشيخوخة وابقاء الشيوخ في
حالة من القوة يستطيعون بها ان يكسبوا معاشهم من عملهم مع ان الشيخوخة ظاهرة من ظواهر

الحياة توجب على رجال العلم ان يدرسوها بالطرق العلمية لعلهم يتوصلون الى وضع القواعد الصحية التي تمكن الانسان من الوصول اليها وهو حافظ من قوتهِ ونشاطهِ ما يكفل لهُ معاشهُ بدون ان يضطر الى الاستعانة باحسان المحسنين ولذلك يجب ان تدرس الشيخوخة في ملاجئ العجزة درساً منظماً للتمكن من وضع نظام موافق وشروط حسنة لحفظ القوة في هذا السن . على ان اقصى حدّ الشيخوخة اي المئة وما فوقها لا يشاهد الاَّ نادراً جدًّا في الملاجئ او لا وجود لهُ فيها. ومع ان النساء اطول عمراً من الرجال ويبلغ منهنَّ سن المئة اكثر من الرجال فالبالغات هذا السن لا يشاهدن الاَّ نادراً او صدفة في ملاجئهن واما في بيوت العيال فالذين بلغوا المئة ليسوا بنادرين وعليهم المعول في هذا الدرس

نرى في اغلب الشيوخ البالغي المئة انحطاطاً عظيماً في العقل بحيث لا يبقى مجال للبحث الاَّ في حالتهم المادية اي في تركيب ابنيتهم العضوية . وقد وقفنا على حالة عجوز في سن المئة كانت في ملجإ السالبتربير من بضع سنين وكان ذلك الملجأ يفتخر بوجودها فيهِ وهي درديس ملازمة السرير ضعيفة القوة البدنية ومنحطة العقل كثيراً تجاوب باختصار على ما تُسأل عنهُ بدون ان تفهم معنى السؤال

وكان من مدة قريبة في ضواحي روان عجوز مئوية تكلمت عليها الجرائد المحلية كثيراً وافاضت في وصف قوتها البدنية وحالتها العقلية فقصدناها لدرس حالتها درساً دقيقاً فوجدنا ان وصف الجرائد لها كان في غير محلهِ لان عقلها كان منحطاً كثيراً فلم نجد سبيلاً للبحث فيها ولو بقليل من الاهمية اما قوتها البدنية فكانت على نوع ما محفوظة

واهم مَن وقع تحت مشاهدتنا من الذين بلغوا المئة مدام روبينو وهي عجوز قاطنة في ضواحي باريس و بالغة من العمر مئة وسبعاً وهي قصيرة القامة نحيلة الجسم محدودبة الظهر تتوكأ في مشيها على عصا وحالتها البدنية حالة انحلال . لم يبقَ لها سوى سنٍ واحدة واذا مشت بضع خطوات اضطرت الى الجلوس واذا جلست جلوساً مريحاً استطاعت ان تبقى على وضعها مدة طويلة وهي تنام باكراً وترقد في السرير وقتاً طويلاً . وتقاطيع وجهها توافق عمرها الاَّ ان جلدها ليس بكثير التجعد واما جلد يديها فرقَّ الى ان اصبح شفافاً تبين من تحتهِ العظام والاوردة والاوتار

وجدنا حواسها ضعيفة جدًّا فهي لا تبصر الاَّ بعين واحدة وشمها وذوقها اصبحا اثريين ولم يبقَ الاَّ السمع سليماً على نوع ما وفحص اذنها الدكتور لوبنبرغ المشهور بامراض الاذن فوجد ضعف السمع الخاص بالشيوخ بدرجة متقدمة فيها اي الصمم المطلق للاصوات الحادة

كثيراً والصمم الخفيف للاصوات الثقيلة · ويعلل لو بنبرغ ذلك بكون حؤول الاذن يزيد بزيادة عمر الشيخ ويتجه تأثيره بنوع خصوصي الى عضو السمع ولكنهُ لا يصيب الجهاز الموصل للصوت

ورغماً عن ضعف بنيتها لم يشتد ضعف عقلها فهي على جانب كبير من اللطف وشديدة العطف والحنان وحسنة المراعاة لنظائرها عكس ما هو مشهور عن الشيوخ بحبهم للذات وحديثها معقول واستدلالها حسن

وظهر لنا من فحص وظائف جسمها امور كبيرة الاهمية فوجد الدكتورامبارد باستقصاء صدرها ان ضربات قلبها طبيعية وعدد نبضها من ٧٠ — ٨٤ في الدقيقة وان رئتيها سليمتان وهي حالات تدل على صحة جيدة الاَّ ان اهم ما اجتذب نظرنا في فحصها هذا هو عدم وجود اليبوسة في الاوعية عكس ما هو شائع ومعروف من ان يبوسة الاوعية هي حالة ملازمة للشيخوخة

ودلَّ فحص بولها على انها كانت مصابة بعلة كلوية مزمنة ولكنها خفيفة الوطأة

ورغماً عن ضعف الذوق الزائد كانت قابليتها جيدة الاَّ انها كانت تأكل قليلاً وتشرب قليلاً وكان غذاؤُها منوعاً لا يدخل اللحم فيهِ الاَّ قليلاً وتغذى غالباً بالبيض والسمك والبقول والنشويات والاثمار المطبوخة وتسقى الماء المحلى بالسكر ممزوجاً بقليل من الخمر البيضاء واذا قدم لها قدح من الخمر الحارة بعد الطعام فلا ترفضهُ ويقال بالاجمال ان الهضم ووظيفة الامعاء فيها كانا على العموم قانونيين

غلب على ظن العموم ان طول الحياة صفة وراثية تنتقل من الآباء الى الابناء وهو ما لا ينطبق على هذه العجوز لان والديها لم يعمرا ولم يعرف احد من عائلتها بلغ المئة فهي اكتسبت العمر الطويل بنظام معيشتها الذي سارت عليهِ كل حياتها وهو الاعتدال والقناعة · فقد اقترنت بتاجر خشب وسكنت مدة طويلة في ضواحي باريس وعاشت بسعة وكان طبعها لطيفاً وهادئاً وعاشت عيشة عائلية مؤْثرة الانفراد في بيتها لا تخالط الناس الاَّ ما قلَّ · وبعد ان بلغت المئة وستاً فقدت ذاكرتها تقريباً بتمامها وصارت تهذي كثيراً الاَّ انها بقيت رضية الخلق

***

هيئة الشيوخ معروفة لا تحتاج الى شرح طويل . يجف جلد الوجه ويتجعد وكثيراً ما يصفرُّ ويشيب الشعر وينحني الظهر ويبطؤُ المشي وتخف الحركة وتضعف الذاكرة ويزعم كثيرون ان الصلع صفة خاصة بالشيوخ الاَّ انهُ زعم لا نصيب لهُ من الصحة لان الصلع يبتدئ باكراً ويسير سيرهُ بتقدم العمر واذا لم يصلع الشاب فلا يزيد صلعهُ في الشيخوخة

هذه اوضح الظواهر في الشيوخ وهي تدل على الضمور العام وخسارة العناصر المادية من كافة الابنية . وقد دلّت القياسات الكثيرة على ان الانسان يخسر من طول قامته اكثر من ثلاثة سنتيمترات (٣٦٦١) بين الخمسين والخمس والثمانين من عمره والمرأة ٤ سنتيمترات و٣ مليمترات وقد تبلغ الخسارة ٦ او ٧ سنتيمترات . و يأخذ الوزن يتناقص من الستين فما بعدها و يبلغ معدله ٦ كيلو غرامات في الثمانين . وهذا النقص في الطول والوزن دليل على الضمور العام لانهُ لا يقتصر على الاجزاء الرخوة كالمضلات والاحشاء بل يشمل الهيكل العظمي الذي تنقص منهُ المواد المعدنية وينتج من نقصان المادة الكلسية سهولة كسر العظام في الشيوخ الذي يكون داعياً لموتهم في كثير من الاحيان

وضمور العضلات كثير الوقوع في الشيخوخة بل يكاد يكون عاماً فتخسر كثيراً من حجمها ويصغر نسيجها و يقل الدهن الذي يتخللها او يفقد فتبطئ الحركة وتضعف القوة . وقد دلت قياسات القوة العضلية بقياس الدينامومتر على النقص المتواصل في الشيوخ وهو اظهر في الرجل منهُ في المرأة . واما الاحشاء فينقص حجمها وثقلها نقصاً اقل منهُ في بقية الاعضاء

***

وظواهر الشيخوخة في ذوات الثدي كظواهرها في الانسان وقد ورد في وصف شيخوخة الفيل ان منظرهُ اجماليًّا زريّ ورأسهُ هزيل يظهر كأن الجلد لا يكسوه وتظهر ثقوب غائرة فوق عينيهِ وعلى خديهِ وتتخلخل جلد جبهتهِ وتبدو عليهِ ثآليل وتكمد عيناهُ ويسيل منهما ماءٌ غير طبيعي وتتهدل اذناهُ وتتشرم حوافيها السفلى ويخشن جلد خرطومهِ و يقسو وتبدو عليهِ الثآليل ويخسر كثيراً من ليونتهِ ويتشقق جلد بدنهِ و يتقلص وتدق ساقاهُ وتختفي كتلة العضل الغليظة التي كانت تكسوهما ويهزل دائر قائمتيهِ وخصوصاً ما فوق الخافقتين و يقسو ذنبهُ ويصير صوفيًّا و يتعرى طرفهُ من الشعر على الغالب

وتظهر مثل هذه الظواهر في الخيل التي تهرم قبل الفيل بمدة طويلة فيظهر جلد الحصان الهرم عاريًا من الشعر في بعض اقسامهِ ويغطى بشعر طويل في اقسام اخرى و ينكس رأسهُ بعد ان كان في الشباب شامخاً عاليًا دلالة على الضمور والضعف العامين

اما الطيور فقد لا تبدو عليها علامات الشيخوخة وان عمرت وكثير منها يبقى منظرهُ طبيعيًّا وقد شاهدنا بطة عند الدكتور جان شاركو بلغت خمساً وعشرين سنة بدون ان تظهر عليها ظواهر الكبر ولكن اذا بلغت الشيخوخة مداها في الطير ظهرت بضعفهِ وانتثار ريشهِ وورم مفاصلهِ

واما الزحافات فتختلف اختلافاً كبيراً في شيخوختها عن بقية ذوات الفقرات وما امكن مراقبتهُ منها لم يختلف منظرهُ عن منظر الافراد البالغة التي من نوعهِ وعندنا غيلم (ذكر السلحفاة) لا يقل عمرهُ عن ٨٦ سنة لا دليل عليهِ من دلائل الشيخوخة وهو يعيش كما يعيش كل فرد بالغ من نوعهِ وقد اصابتهُ من اكثر من ٣٧ سنة ضربة معول على درقتهِ فخدشتهُ خدشاً كبيراً لا يزال ظاهراً وواضحاً الى الآن وفي الثلاث السنين الاخيرة خالط في حديقة مونتوبان اثنيين فباضتا بيضاً نافقاً

وفي جزيرة موريس سلحفاة عمرها ١٥٠ سنة وليس عليها ما يدل على العمر الطويل

يستدل من هذه الامثلة على ان بين ذوات الفقرات انواعاً تقوى على التعمير اكثر كثيراً من الانسان وان الشيخوخة المبكرة في الانسان وهي من اكبر مصائبهِ ليست متأصلة في الحيوانات العليا · وقد سبق لنا البحث في هذا الموضوع في كتابنا « دروس في الطبيعة الانسانية » واظهرنا الفرق بين حوول الشيخوخة في الانسان وبين ظواهر الهرم في النقاعيات التي شرحها موباس وقال انها بعد ان تظهر يعقبها تجدد الشباب · وقد دلت الابحاث الحديثة على ان هذا الفرق هو اكبر مما ذكر لان بعض العلماء ربَّى سلسلة ٧٠٠ من مواليد النقاعيات بدون ان يظهر عليها العجز اي انحطاط الشيخوخة وهذا كما نرى يبعد كثيراً عن حالة النوع الانساني

وقد حاول هارتويغ وهو اوسع علماء المانيا علماً في الحيوانات الدنيا ان يبرهن ان الحيوانات الصغرى Actinosphoerium تصاب بحوول فسيولوجي حقيقي وقال انهُ رأى مزروعات الريزوبود تفنى بموت كل افرادها رغماً عن غزارة غذائها وعلل ذلك بان بنية الاكتينوسفيريوم تضعف بنفاد القوة الحيوية على اننا نخالفهُ في ذلك ونرى ان سبب موتها تفشي مرض معدٍ يفتك غالباً بمواليد الحيوانات والنباتات الصغرى · وقد فات هارتويغ ان ينظر في بحثهِ الى الحبيبات الكثيرة في الاكتينوسفيريوم الذي هو موضوع بحثهِ · ويستحيل بكل الاحوال التسليم بما اتخذهُ برهاناً ثابتاً على حوول الشيخوخة في الحيوانات الدنيا

يستنتج من كل ما سبق بيانهُ ان الانسان يستطيع في الشيخوخة ان يحفظ قوتهُ العقلية ولو خسر خسارة كبيرة من قوتهِ المادية وان ذوات الفقرات تستطيع ان تقوى على التعمير مدة اطول كثيراً مما يستطيعهُ الانسان في احوال حياتهِ الحالية

وفي المقالة التالية يتسع المجال للبحث في هذا الموضوع

الدكتور
امين ابو خاطر

بعض الامثال والاقوال

قديمًا وحديثًا

(٢)

عطفًا على ما ورد تحت البند العاشر من المقالة السابقة اقول اني عثرت على رواية اخرى للبيت الذي نسبهُ الاصمعي الى كعب بن زهير وهو

اقول شبيهات بما قال عالمًا بهنَّ ومن اشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

والرواية التي عثرت عليها هي

واني الذي لم يخزني في حياتهِ قديمًا ومن يشبهْ اباهُ فما ظلَمْ

ففي وَضع « يشبه » مكان « اشبه » الساكنة الآخر تخلّص من التعليل السخيف الذي عللوا بهِ تسكين الهاء وهو قولهم « جزم الهاء من اشبه لكثرة الحركات » ولا حركات كما قلنا. وقد نقل اليَّ عن لسان بعض العارفين ان البيت

بأَبهِ اقتدى عديٌّ في الكرمْ ومن يشابه أَبهُ فما ظلَمْ

هو لرؤبة ابن العجاج الراجز المشهور فان صحَّ ذلك فالمثل سابق لهذا البيت لان رؤبة من رجال القرن الثاني للهجرة والمثل وارد في نظم كعب بن زهير وهو متقدم على رؤبة كما هو معروف

(١٤) مكرهٌ اخوك لا بطلٌ . ورد هذا المثل في كتاب الفاخر برفع اخوك على انها مبتدأ مؤخرٌ . والمتداول على السن كتاب العصر انها اخاك لا اخوك . وجاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ قولهُ في الكلام على البلاغة « فمن زعم ان البلاغة ان يكون السامع يفهم معنى القائل جعل الفصاحة واللكنة والخطأ والصواب والاغلاق والابانة والملحون والمعرب كلهُ سواء وكلهُ بيانًا . واصحاب هذه اللغة وهذا البيان لا يفقهون قول القائل منّا « مكرهٌ اخاك لا بطل » و « اذا عزَّ اخاك فهُنْ » . ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم « ذهبت الى ابو زيد » و « رأيت ابي عمرو » ومتى وجد النحويون اعرابيًّا يفهم هذا واشباههُ بهرجوهُ (اي شهروا بهِ) ولم يسمعوا منهُ لان ذلك يدلُّ على طول اقامتهِ في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان »

فكلام الجاحظ يدلُّ على ان هذا المثل كان معروفاً في عصرهِ وهو سابق لعصر المفضل بقليل وانهم كانوا يلفظون اخاك بالالف و ينكرونهُ لانهُ خطأ كما كانوا يقولون « ذهبت الى ابو زيد » وكما نقولهُ نحن الآن - ويفهم من قولهِ « ومتى وجد النحويون » الخ ان الاعراب لم يكونوا يفهمون الكلام الملحون وهو يؤيد ما نقلهُ عنهم الاصمعي وغيرهُ ممن عاش دهراً طويلاً بينهم . ومدلول هذا القول ان الإعراب كان عند الأعراب جزءًا من الكلام لا يتصور فصلهُ عنهُ فاذا وقع اللحن في الإعراب لم يدركوا المعنى مع دلالة القرينة عليهِ اما في عصرنا فلا يجهل معنى قول القائل منّا « رأيت ابي عمرو » الاّ جاهل او متحذلق

على ان عدم فهم الاعرابي للكلام الملحون ربما لم يكن غريباً لانهُ اعتاد سماع الكلام معرباً منذ ولادتهِ والنطق بهِ منذ اوان النطق . وانما الغريب تحذلق النحويين الى حدّ انهم يشهرون باعرابي يفهم كلاماً ملحوناً . فهم ملكيون اكثر من الملك كما يقول المثل الفرنسوي . وكنا نظن هذا التحذلق خلقاً فيهم حديثاً فاذا هو خلق قديم

(١٥) اذا عزَّ اخوك فهن . كذا ورد في الفاخر وفي مواضع اخرى . ويرى من النبذة المتقدمة ان الجاحظ رواهُ بلفظ اخاك مكان اخوك . وربما كان بين العرب قوم ينكرون الاسماء الخمسة واعرابها بالحروف و يلتزمون الالف فيها على كل حال مهما اختلفت اوجه الكلام والاعراب . ولكنني لم اجد نصًّا صريحاً على وجود هذه اللغة . ولو وجدت لذكرت كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات

(١٦) تسمعُ بالمعيدي خير من أن تراهُ . وفي رواية اخرى تسمعَ على نصب الفعل المضارع بان المقدرة فيكون التأويل سماعك بالمعيدي ..... وفي رواية غيرها « تسمعُ بالمعيدي لا ان تراهُ » . وليس لهذا المثل ما يقابلهُ بلفظهِ بين اقوال العامة بل ان عندهم اقوالاً كثيرة بمعناهُ يخرج ايرادها عن غرض هذه المقالة منها قولهم « الشوف مش مثل السمع »

(١٧) الدالُّ على الخير كفاعلهِ . قالهُ سعد بن خشرم درجل اسود اعمى في وقتين مختلفين بينهما فترة قصيرة فعدَّ قولهما من توارد الخواطر . ولهُ حكاية طويلة لا محل لذكرها

وفي اقوال بعض العامة ناوي الخير كفاعلهِ

(١٨) انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . أذكر هذا المثل هنا مع خروجهِ عن قصد هذه المقالة للردّ على قول بعض من قال ان معناهُ وجوب مساعدة المسلم لاخيهِ المسلم سواءٌ كان محقًّا او مبطلاً . وليس هذا معناهُ كما يرى مما يلي :

قال الفاخر ان اول من قال المثل جندب بن العنبر التميمي جلس وسعد بن مناة وهو تميمي ايضاً يشربان فتغاضبا في القول ورمى جندب سعداً بالجبن وتفرقا على ذلك . وكان سعد قد قال لجندب لتأسرنك ظعينة (اي امرأة راكبة بعير) فلا يغيثك غيري فكان كذلك واستغاث جندب بسعد ولم يكن يعرفهُ فقال سعد ان الجبان لا يغيث فقال جندب

يا ايها المرءُ الكريم المشكوم انصر اخاك ظالماً او مظلوم

فاقبل اليهِ فاطلقهُ . قال صاحب الفاخر « ويروى عن النبي (صلعم) انهُ قال انصر اخاك ظالماً او مظلوماً . قيل يا رسول الله هذا ننصرهُ مظلوماً فكيف ننصرهُ ظالماً . فقال تردّهُ عن الظلم » . وفي هذا قطع لالسنة القائلين ان نصرة الظالم هي معاونتهُ على ظلمهِ . وجندب وسعد المذكوران آنفاً من اهل اواخر الجاهلية

(١٩) إياكِ اعني واسمعي يا جاره . اول من قال ذلك سهل الفزاري فانهُ نزل في بعض اسفارهِ على حارثة بن لام وكان غائباً فأكرمتهُ اختهُ وكانت اجمل اهل دهرها واكملهم وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها فوقع في نفسهِ منها شيءٌ فانشد ذات يوم على مسمع منها

يا أُخت خير البدو والحضارهْ كيف ترين في فتى فزارهْ

اصبح يهوى حرةً معطارهْ إياكِ اعني واسمعي يا جارهْ

فلما سمعت قولهُ قالت ما هذا بقول ذي عقل اريب ولا رأي مصيب ولا انف نجيب فاقم ما اقمت مكرماً ثم ارتحل اذا شئت مسلماً . فاستحيا وقال ما اردت منكراً واسوءتاهُ قالت صدقتَ وكأنها استحيت من تسرُّعها الى تهمتهِ فارتحل . وفيما هو عائد عاج بالمنزل وكان فيهِ اخوها فتطلعت اليهِ نفسها وكان جميلاً فارسلت اليهِ ان اخطبني ان كانت لك فيَّ يوماً من الدهر حاجة فاني سريعة الى ذلك فخطبها وتزوجها وسار بها الى قومهِ

وفي الشام يقولون « بقول لكِ يا كنه تسمعي يا جاره » وهو لسان حال الحماة تقول اكلمك يا كنتي لتسمعي يا جارتي اي ان الحماة — وعداوتها للكنة وعداوة الكنة لها قديمتان مشهورتان — تخاطب كنتها بصوت عالٍ ارادة التشهير بها اذ لو كانت تريد نصحها لكلمتها بصوت منخفض . وعندي ان المثل يكون اوجه لو كان « بقول لكِ يا جاره تسمعي يا كنه » . فان الحماة تكون عادة اضعف مراساً من كنتها فلا تستطيع مقابلة عداءها — وما يصحبهُ من الشتم والصخب والنكاية — بمثلهِ فتلجأ الى جارتها وترفع عقيرتها امامها بقوارص الكلام والفاظ السباب توجهها اليها ظاهراً وهي انما تعني كنتها باطناً لعلها بذلك تتخلص من نقمتها

(٢٠) اقتلوني ومالكاً · اول من قال ذلك عبد الله بن الزبير · وذلك انهُ عانق الاشتر النخعي فسقطا الى الارض واسم الاشتر مالك فنادى عبد الله بن الزبير اقتلوني ومالكاً فضرب بهِ المثل لكل من اراد بصاحبهِ مكروهاً وان نالهُ منهُ ضرر · ومن ذلك البيت المشهور

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي

فالعجز تأكيد للصدر من غير زيادة عليهِ في المعنى

وفي الشام يقولون بهذا المعنى « عليَّ وعلى اعدائك يا ربّ » وهي عبارة ينسبونها الى شمشون والحقيقة انها تلخص حكاية موتهِ مع الفلسطينيين اعدائهِ · فانهم بعد ان اغروا دليلة خليلتهُ بحلق شعرهِ وكان سرّ قوتهِ فقأوا عينيهِ وجاؤوا بهِ الى هيكل اوثانهم ليلعب امامهم واوقفوهُ بين اعمدة الهيكل · وكان شعرهُ قد نبت وعادت اليهِ قوتهُ فقبض على عمودي الهيكل المتوسطين واستند اليهما الواحد بيمينهِ والآخر بيسارهِ ودعا الربّ فقال « يا سيدي الرب اذكرني وشددني هذه المرة فانتقم نقمة واحدة عن عينيَّ من الفلسطينيين » · ثم انحنى قائلاً « لتمت نفسي مع الفلسطينيين » فكان الذين اماتهم في موتهِ اكثر من الذين اماتهم في حياتهِ ومات هو معهم

(٢١) لا تعلّم اليتيم البكا · اول من قالهُ زهير الكلبي فان علقمة بن كنانة اغار على بطن من قبيلتهِ فقتل واسر منهم وافلت من افلت فاقبلت الجواري على زهير يسألنهُ عن آبائهنَّ فبشّر منهنَّ بنجاتهم ونعى على واحدة اباها فبكت فقال رجل ما اسوأ بكاها فقال زهير لا تعلّم اليتيم البكا

وفي الشام يقولون « بتعلّم الارامل النواح ؟ » استفهاماً انكارياً · يريدون ان الارامل يُجِدن النواح فلا حاجة بهنَّ الى من يعلمهنَّ اياهُ

(٢٢) يا حبذا الامارة ولو على الحجارة · قال ابو عبيدة اول ما قيل ذلك للحجاج الثقفي وكان زياد ولاهُ بناء دار الامارة بالبصرة والمسجد الجامع بها فظهرت لهُ اموال وحال لم تكن فقيل المثل المتقدم · وقال مصعب الزبيري انما قال ذلك عبدالله بن خالد بن امية وقال لابنهِ ابن لي داراً بمكة واتخذ فيها منزلاً لنفسك ففعل فدخل عبدالله الدار فاذا فيها منزل قد اجادهُ وحسنهُ بالحجارة المنقوشة فقال لمن هذا المنزل فقال هذا المنزل الذي اعطيتني فقال عبدالله المثل

ويقال في الشام « اماره عالفارغ » ويقابلهُ بمعناهُ قولهم « يحبّ الرفعه ولو على الخازوق »

(٢٣) بكى الصبيُّ حتى فَحَمَ . قال ابن الاعرابي معناهُ حتى انقطع بكاؤُهُ من كثرة ما بكى . ويقال معنى فحم اكمدَّ واسودَّ وجههُ من كثرة البكاء

وفي الشام يقولون بكى حتى فحّم بتشديد الحاء وفحّمت من العطش (او ثحّم وثحّمت في بعض البلاد بابدال الفاء ثاء) وفي القاموس فَحَمَ شرب في فحمة الليل والفحمة اول الليل او اشدُّهُ سواداً خاص بالصيف وفحّمهُ سوّدهُ بالفحم

(٢٤) خالف تُذْكر . اول من قالهُ الحطيئة وكان ورد الكوفة فلقي رجلاً فقال لهُ دلني على فتى المصر نائلاً (اي اكثرهم عطاء) فقال عليك بعُتَيْبة العجلي فمضى نحو دارهِ فصادفهُ فقال لهُ انت عتْبة قال لا قال افأنت عتاب . قال لا قال اسمك لشبيهٌ بذلك . قال انا عتيبة فمن انت . قال انا جرول . قال ومن جرول قال ابو مُلَيكة قال والله ما ازددتُ الاّ جهلاً . قال انا الحطيئة . قال مرحباً بك . قال الحطيئة فحدثني عن اشعر الناس من هو . قال انت . قال الحطيئة خالف تذكر . اشعر مني الذي يقول « ومن يجعل المعروف من دون عرضهِ » (الخ يريد زهيراً) قال صدقت فما حاجتك . فطلب الحطيئة ثيابهُ وكانت من خزّ وميرة اهلهِ وكسوتهم فاعطاهُ جميع ما طلب

وفي الشام يقولون « خالف تعرَفْ »

(٢٥) هو آية . الآية العلامة التي تدلُّ على الشيء فيراد انهُ علامةٌ فيما يوصف بهِ يستدلُّ بها عليهِ . والآية ايضاً المثل فيراد بهِ انهُ يتمثل بهِ في الشيء الذي ينسب اليهِ من خير او شرّ

ويقول بعض عامة الشآميين في خطاب المتعجب منهُ « أَمَا انك آية » يريدون انك انك غريب الاطوار نادر الاخلاق كالآية اي الاعجوبة

(٢٦) هذا الشيء فتنة من الفتن . الفتنة في هذا الموضع النعمة واللذة . ومنهُ الآية « انما اموالكم واولادكم فتنة » . ويكون ايضاً معنى الفتنة المحنة والبلوى اي تمتحنون بذلك ليعلم شكركم

وتستعمل الفتنة في الشام لوصف الجمال البارع فيقال هذه الفتاة فتنة اي تفتن الالباب بجمالها . ولعل هذا هو مراد الشاعر الحديث من قولهِ

خلقتَ الجمالَ لنا فتنة ... وقلت لنا يا عبادي اتقونْ

وانت جميل تحب الجمال ... فكيف عبادك لا يعشقون

(٢٧) ويلٌ للشجيّ من الخليّ · اول من قال ذلك فيما ذكر بعضهم اكثم بن صيفي التميمي وكان من حديث ذلك انهُ لما ظهر النبي بمكة ودعا الى الاسلام بعث اكثم ابنهُ حُبَيشاً فاتاهُ بخبرهِ فجمع بني تميم وخطب فيهم خطبة وجيزة كلها نصح وارشاد ثم قال ان ابني شافه هذا الرجل (يريد النبيّ) مشافهة واتاني بخبرهِ وكتابهِ يأمرُ فيهِ بالمعروف وينهى عن المنكر الى آخر خطبة طويلة دعاهم فيها الى الاسلام طائعين قبل ان يأتوا كارهين · فقال احدهم قد خَرِفَ شيخكم فقال اكثم المثل · وقال غيرهُ غير ذلك

وفي الشام يقال « ويلٌ للحزانى من النائحات او من المتفرجات » اشارة الى النادبات اللواتي يُستأجرن للبكاء او الى اللواتي يشهدن المآتم للفرجة لا للمؤاساة · ومن هذا قول الشاعر « وليس كمن بكى من قد تباكى »

(٢٨) ليس الخبر كالمعاينة · روي ان النبي اول من قال ذلك

ويقال في مصر والشام « وليس الخبر كالعيان » واكثر ما يرى هذا القول هنا في الاعلانات التي توزع على القهوات كما هو معروف

(٢٩) صمت الفاً ونطق خلفاً · معنى قولهم صمت الفا اي صمت في موضع الف كلمة كان ينبغي ان يتكلم بها ويقال الف يوم · والخلف الرديء من القول

والمثل المشهور بين العامة في هذا الزمان « سكت شهراً ونطق كفراً »

(٣٠) كل شاة برجلها معلقة · اي كلّ احد مأخوذ بجريرتهِ لا بجريرة غيرهِ كما ان الشاة لا تعلق برجل غيرها · يقال ان اول من قالهُ وكيع بن إياد وكان ولي امر البيت بعد جُرْهم فلما حضرتهُ الوفاة جمع إياداً فقال لهم اسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوهُ ومن غوى فارفضوهُ وكلّ شاة معلقة برجلها فارسلها مثلاً

ويقول عامة الشام « كل عنزة معلقة بكرعوبها » اي عرقوبها وهو بمعنى ما قبلهُ

(٣١) ما عدا مما بدا · اي ما عداك عني مما بدا لك مني ومعنى عداك صرفك وبدا ظهر · واول من قال ذلك علي بن ابي طالب لما قدم البصرة قال لعبد الله بن العباس صِرْ الى الزبير ولا تأتِ طلحة فقل يقرأُ عليك السلام ويقول اعرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق ما عدا مما بدا · فلما ابلغهُ قال ابلغهُ سلامي وقل لهُ عهد خليفة ودمُ خليفة واجتماع

ثلثة وانفراد واحد وامّ مبرورة ومشاورة العشيرة · هذه هي رواية المفضل ورواية الجاحظ تخالف بعض الشيء عنها وها كها :

« عبدالله بن مصعب قال ارسل عليٌّ بن ابي طالب عبد الله بن عباس لما قدم البصرة فقال ائت الزبير ولا تأت طلحة فان الزبير الين وانك تجد طلحة كالثور عاقصاً قرنهُ يركب الصعوبة و يقول هي اسهل · فاقرأ عليهِ السلام وقل لهُ يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا لك · قال فاتيت الزبير فقال مرحباً يا ابن لبابة ازائراً جئت ام سفيراً قلت كل ذلك وابلغتهُ ما قال عليٌّ · فقال الزبير ابلغهُ السلام وقل بيننا و بينك عهد خليفة ودم خليفة واجتماع ثلاثة وانفراد واحد وام مبرورة ومشاورة العشيرة ونشر المصاحف فنحلّ ما احلّت ونحرم ما حرمت · فلما كان من الغد حرّش بين الناس غوغاؤُهم فقال الزبير ما كنت ارى ان مثل ما جئنا لهُ يكون فيهِ قتال »

وفي الشام يقولون « شوعدا ما بدا » بالمعنى نفسهِ اي عند ارادة العتاب · ولم اسمع هذا المثل الا في بلاد الشيعة (المتاولة) إما منهم واما من النصارى النازلين بين ظهرانيهم · والذي يعلم تعلق الشيعة بعليّ وحرصهم على كلّ ما يعزى اليهِ لا يعجب من تداول السنتهم لقول من اقوالهِ قد لا تجد لهُ ذكراً الا في كتاب او كتابين

(٣٢) ما اشبه الليلة بالبارحة · يقال ذلك لكلّ اثنين اتفقا على خلق · واول من قالهُ طرفة بن العبد يذمُّ اخاهُ :

كلّ خليلٍ كنت خاللتهُ   لا يترك اللهُ لهُ واضحه
كلهمُ اروغُ من ثعلبٍ   ما اشبه الليلة بالبارحه

وفي الشام يقولون « قالت العنزه وهي سارحه هالليله مش مثل البارحة » ويستعملونهُ في معنى يختلف عن معنى المثل المذكور فيضربونهُ حيث يريدون مقابلة حاضر منحوس بماضٍ مسعود

(٣٣) قولهم في الدعاء على الانسان ياليتها كانت القاضية اي الموتة التي لا حياة معها وفي الشام يدعون مثل هذا الدعاء

نجيب شاهين

المزاح واختلاف مقاييسه

الصور المزلية

المزاح خلّة عامة لجميع طوائف الناس وان اختلفت درجاتهم فيها فمنك المكثر والمقلّ او المتطرف والمعتدل شأنهم في سائر المزايا والطباع . والملحة او النكتة او الفكاهة قد تكون عامة بمعنى ان كلّ امة تفهمها وتقدرها قدرها وقد تكون خاصة يفهمها فريق دون فريق . فبينا ترى زيداً يضحك حتى يسيل لعابهُ او يستلقي على ظهرهِ لنكتة تطرق أُذنيهِ ترى عمراً جامداً بازائها لا يبدي ولا يعيد كأنها ليست من النكات في شيء

وقد اشتهر الفرنسويون والارلنديون في اوربا بميلهم الى الهزل واحكامهم اياهُ حتى ليعترف الانكليزي لاخيهِ الارلندي بالنكتة ويضحك لها ولو كانت عليهِ ولا ينكر اتهام الارلندي اياهُ بالبلادة وتوليتهِ وجههُ شطر الجانب المظلم من هذه الحياة الدنيا دون الجانب المنير كما يقولون . على ان الانكليزي نفسهُ على جمودهِ اذا خرج من الجدّ الى الهزل اسمعك مزاحاً يضحك الثكالى والذين يعرفونهُ حق معرفة ويقرأُون كتبهُ وصحفهُ المزلية يشهدون لهُ بذلك . وقد اشتهر المصري في الشرق بميلهِ الى المزاح واجادتهِ فيهِ واتقانهِ لهُ وسرعة بداهتهِ حتى ضرب بهِ المثل

وما يقال عن الملح الكلامية يقال عن الصور المزلية . ولكن كثرة استرسال المرء في المجون قد يفقدهُ قوة التمييز بين جيّد النكات ورديئها سمينها وهزيلها حتى لقد نقل عن بعض اهل المجون قولهم انهم لا يعرفون هل نكتتهم نكتة حقيقية ام لا حتى يروا اثرها في سامعيهم . وعلى ذلك قال شكسبير « ان نجاح النكتة يتوقف على اذن الذي يسمعها » . وقال احد المصورين المزليين مرة بلغ من امري واختلافي انا واصحابي على الصور الهزلية التي كنت اصورها انني كنت اقهقه حيث لا يتبسمون وكانوا يقهقهون حيث لا ابتسم

خطر لاحدى المجلاَّت الانكليزية الكبرى منذ بضع سنوات ان تستفتي الصحف الاوربية المزلية في افكه الصور التي نشرت في صحفهم فاجابتها كلٌّ منها بما عنَّ لها . مثال ذلك ان مدير جريدة بنتش الهزلية المشهورة اختار صورتين اولاها صورة خاصة اي ان معناها غير واضح لكل احد وكذلك معنى ما كتب تحتها فلا بدّ من تفسيرهِ وقد لا تجد فيهِ مزاحاً بعد التفسير وان يكن غلادستون على بعدهِ عن المزح قد ضحك لهذه الصورة مقهقهاً

على ما قيل . وثانيتهما صورة عامة يفهمها كل احد وهي تمثّل رجلاً يصيد السمك بصنارتهِ وقد اطلَّ عليهِ من خلف جدار بمارستان مجنونٌ منفوش الشعر يشير باحدى أصابعهِ ان ينضمَّ اليهِ وتحت الصورة هذه الكتابة :

المجنون — ماذا انت صانع هنا

الصياد — اتصيد

المجنون — هل امسكت شيئًا

الصياد — لا

المجنون — كم مضى عليك من الوقت هنا

الصياد — ست ساعات

المجنون — تفضّل اذاً لعندنا (مشيراً بسبّابتهِ)

ومما هو جدير بالذكر ان كل صور بنتش هزلية في الظاهر سياسية في الباطن اي انها تشير الى مسائل سياسية خفية يدركها المرادون منها وهذا شأن الصحف الهزلية الاخرى في الاكثر . فان لم يكن غرضها سياسيًّا فهو اجتماعي

ومن الصحف الانكليزية الهزلية جريدة « جودي » اجاب مديرها عن الاستفتاء المذكور آنفاً بارسال الصورة التي يحسبها افكه ما نشر في جريدتهِ . وهي تمثّل فاعلاً ارلنديًّا استؤجر لتخريب بيت وقد وقف على رأس حائط متداعٍ الى السقوط وجعل يُعمل معولهُ فيهِ فبات على شفا التدهور وكأنهُ لا يدري . واذا بصوت من تحت يناديهِ « الى الطعام » فاجاب بلهجتهِ الارلندية المشهورة « سأكون عندكم في تكّتين » (التكّة صوت الساعة او ضربة المعول) وفي هذا تورية ظاهرة وان لم يقصدها . فانهُ يريد انهُ سينزل اليهم حالاً بطريق الفعلة وهو المعنى القريب ولكن حرج موقفهِ واشرافهُ على الخطر يشيران الى المعنى البعيد وهو نزولهُ اليهم ساقطاً من اعلى الجدار لا بطريق الفعلة المطروق

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية المسماة « لافي باريزيان » بارسال الصورة التي يفضلها على غيرها فقال صاحب المجلة الانكليزية في وصفها انها ليست في حاجة الى ترجمان يترجم معناها . وهي تمثل اله الحب عند الرومان بصورة غلام عارٍ ذي جناحين اعمى مسلّح بقوس وجعبة ملئت سهاماً وقد خرج للسياحة فاستقبلهُ ترجمان وقال لهُ وهو رافع قبعتهُ « هل انت في حاجة الى من يترجم لك » فاجابهُ الالٰه « كلاَّ فان الناس يفهمونني حيثما اتوجه » . وفي هذا اشارة لطيفة الى كون الحب ملكاً مشاعاً ليس خاصًّا بقوم دون قوم

واجاب مدير الجريدة الفرنسوية « لرير » المشهورة بارسال الصورة التي يعدها افكه ما نشر في جريدتهِ فقال صاحب المجلة الانكليزية يصفها :

« كثيراً ما تنشر جريدة « لرير » صوراً هزلية قد لا يدرك الانكليزي مغزاها فلا تضحكهُ كما هو المراد منها . ولكن الصورة التي ارسلت الينا مفعمة بالمزاح الخفيف المفهوم. فهي تمثل شيخاً بديناً ماهراً في السباحة وحولهُ نفر من اصحابهِ يريد ان يبهرهم بمهارتهِ ولو كان الماء قليلاً قريب الغور »

اما الصورة فذات ثلاثة اشكال : ففي الشكل الاول ترى صاحبنا وقد وقف على ضفة بركة صغيرة قليلة الماء يتحفز للوثوب اليهِ ووقف اصحابهُ بازائهِ من رجال ونساء واولاد يشاهدون عجائبهُ وقد كتب تحت الشكل الاول قول ولد صغير لهُ : انت يا سيدي اكبر من البركة فكيف تغوص فيها »

والشكل الثاني يمثلهُ وقد القى نفسهُ فيها فطار رشاش الماء منها وبلَّل ملابس اصحابهِ المعجبين بهِ واعمى ابصارهم . وتحت الشكل قول السابح : ألا ترون كيف دخلتها »

والشكل الثالث يمثلهُ جالساً في قعر البركة مادًّا رجليهِ واحد الواقفين يقول لهُ جواباً على سؤالهِ في الشكل الثاني : لم تدخل البركة ولكنَّ البركة خرجت يا مغفَّل »

ومن اعظم الصحف الهزلية في اوربا على ما تقول المجلة الانكليزية صحيفة المانية تصدر في مونخ . هذه ارسلت الى المجلة الانكليزية صورتها الهزلية الاولى في عرفها وهي صورة ذات سبعة اشكال تمثل اسداً من « الدندرمة » في قصعة . ففي الشكل الاول ترى ملك الوحوش واقفاً بابهتهِ وجلالهِ ينظر الى ما امامهُ بعينين وقَّادتين . وفي الثاني تراهُ وقد اقعنسس صدرهُ وهبط بطنهُ لانخساف ظهرهِ . وفي الثالث تراهُ مقعياً وقد ذاب الجزء الخلفي منهُ وجحظت عيناهُ ولاحت عليهِ علامات المستضعف المستغيث وهو الذي اذا ألمَّ فلا مغيث . وفي الرابع ذابت رجلاهُ وانفصل بدنهُ عن يديهِ فسقط وهما لا تزالان واقفتين كانهما تحرسانهِ من غيَر الذوبان وطوارق الحدثان . وفي الخامس سقطت يداهُ الواقفتان حارستين لهُ وزاد هو هبوطاً في القصعة وغوصاً في الماء ولكن انفهُ ما زال في السماء . وفي السادس تراهُ مفكك الاعضاء وهي ركام بعضها على بعض وانفهُ مستقرٌّ فوقها وشعر شاربيهِ مستشزر الى العلى . وفي السابع تراهُ وقد ذاب كلهُ وبات سائلاً يتدفق من جوانب الاناء

ومن الصحف الالمانية الهزلية جريدة اسمها « استج بلاتر » ارسلت عدة صور احسنها ثلاث . فالاولى تمثل ملعباً للمصارعين تنافس فيهِ اثنان فغلب احدهما الآخر فحنق المغلوب لذلك ورام استعادة شهرتهِ السابقة فامسك فيلاً بخرطومهِ ثم قذف بهِ الى الهواء فبات الفيل ورجلاهُ الى فوق وخرطومهُ الى تحت وهو ثابت في الهواء مستقرٌّ على خرطومهِ وخرطومهُ في يد المصارع الجبار . قالت المجلة الانكليزية في التعليق على ذلك « ولا ندري ايهما ادعى الى العجب أَالرجل الذي رفع الفيل بخرطومهِ وثبتهُ في الهواء ام الفيل الذي بلغ من لطفهِ وادبهِ ان مكّن المصارع من خرطومهِ لمثل هذه الحركة الغريبة »

والثانية تمثل شارلوك هومز البوليس الانكليزي السري في مظهر من ادعى المظاهر الى الضحك كما قالت المجلة الانكليزية . فانك تراهُ متكتفاً شاخصاً بعينيهِ الى الافق يعنت قريحتهُ ويستكدّ فكرهُ املاً في الاهتداء الى الجاني من آثار الجريمة التي امامهُ وهي برنيطة وحذاء ويد مبتورة . اما هو فقد صُوِّر بساقين دقيقتين تنتهيان الى حذاءين ضخمين ووجه طويل وعينين جاحظتين يتدلّى من « جيبهِ » متر كالامتار التي يستعملها النجارون

والثالثة صورة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ الالماني جلس حول مائدة الطعام هو وامرأتهُ وطفلان لهُ وقد لبس ملابس النوم وامسك بيديهِ جريدة الاخبار البرلمانية يقرأها ويفند آراء الاعضاء زملائهِ لعائلتهِ وامرأتهُ تشرب الشاي وطفلاهُ يلعبان بالملاعق وكلبهُ نائم الى جانبهِ

ومن الطف الصور واعظمها مغزى صورة ارسلتها جريدة « بَك » الاميركية وهي تمثل صياداً واقفاً هو وصديق لهُ في غرفة صيدهِ وهو يشير بيدهِ الى صور معلقة في الغرفة وهي صور الحيوانات التي صادها في زمانهِ وتحت الصورة هذه العبارة « نعم اني اصطدتها كلها ببندقيتي » اما هذه الحيوانات فكلها رجال كتب تحت احدهم « ظنَّ غزالاً » وتحت آخر « ظن تيساً » وتحت غيرهِ « ظنَّ ثوراً برياً » وتحت اثنين في صورة واحدة « قتلا بطلقة واحدة — سنة كذا وكذا » وليس بين هؤلاء الرجال الذين حرّم صيدهم الأ حيوان واحد حلّ صيدهُ وهو غزال كتب تحتهُ « قتل خطأ » ! ! . ولا ريب ان مغزى الصورة كبير فان الجريدة ارادت ان تبين للناس ما بات عليهِ الصيد في اميركا من الفوضى لعدم العناية بسنّ القوانين اللازمة لهُ فصوّرت هذه الصورة فكانت وهي الصامتة افصح من كل بيان واذلق من كل لسان

المواد الحيوية

المواد الحيوية (ڤيتامين Vitamins) اسم جديد وضعهُ العالم فنك لمواد كيماوية قليلة المقدار جدًّا تكون في الاطعمة المختلفة فتجعلها مفيدة لآكلها واذا زالت من الاطعمة قلَّت فائدتها. وقد لخص الاستاذ كارل ڤوغتلين ما عُرِف حتى الآن من امر هذه المواد بمقالة نشرتها مجلة العلم الشهرية فاقتطفنا منها ما يأتي قال

لقد عُرِف منذ عهد قديم ان مرض الاسكربوط يصيب الانسان والحيوان اذا لم يكن في طعامهما خُضَر ولحوم طرية وان من يصيبهُ هذا المرض يشفى منهُ حالاً اذا شرب اللبن الذي لم يغلَ او اكل الخضر الطرية ولاسيما اذا اكل الليمون الحامض. ولذلك ففي اللبن والخضر الطرية والليمون الحامض مواد ضرورية لمنع مرض الاسكربوط. فان كان الطعام الذي فيهِ ما يكفي من اللحم والدهن والمواد الهيدروكربونية يجلب مرض الاسكربوط والخضر الطرية تزيلهُ ففيها مادة لازمة للصحة ولو لم تكن من مواد الطعام المعروفة

ويحدث احيانًا مرض عصبي اسمهُ بري بري يكثر في البلدان الشرقية كاليابان والفيلبين من قلة اكل الخضر واللحم الطري. ويصيب هذا المرض ايضًا الذين يقتصرون على اكل الرز المبيض والدقيق الابيض تسعين يومًا او نحوها ولكن لو اكلوا رزًّا غير مبيض وخبزًا اسمر لما اصابهم هذا المرض. وعليهِ ففي قشر الرز الذي يزول بالتبييض وقشر القمح التي ينزع كلهُ نخالةً في اسلوب الطحن الجديد موادُّ لو اضيفت الى الطعام لامتنع تولّد هذا المرض في آكلهِ وقد ثبت بالامتحان ان مرض الاسكربوط ومرض البري بري لا يتولدان من قلة الطعام العادي ولا من قلة مواد الغذاء فيهِ بل من نقص مواد اخرى لم تعرف قبلاً وهي التي أطلق عليها فنك اسم الفيتامين اي المواد الحيوية

والطعام الذي يعتمد عليهِ اكثر الناس حاوٍ لهذه المواد على ما يظهر ولذلك يندر حدوث الاسكربوط ومرض البري بري فيهم ولكنها قد تكون قليلة في اطعمة البعض فتؤثر قلتها في صحتهم ولو لم يصابوا بمرض ظاهر

وواضح مما تقدم ان البحث عن هذه المواد لمعرفة حقيقتها مفيد جدًّا. ومعرفة فعلها بالتغذية من اهم ما يبحث فيهِ العلم الآن

واول شيءٍ ثبت او كاد ان المواد التي تمنع مرض البري بري تكون في الاطعمة الطبيعية مركبة وتذوب في الماء او الكحول واذا وجدت في الطعام بمقدار كافٍ منعت حدوث

مرض البري بري واذا استُخرجت واستعملت علاجاً فلها فعل شديد في شفاء هذا المرض فتشفي النوع المعروف منهُ بالبري بري الرطب في بضعة ايام . وان الاطعمة الشبيهة بالدهن كثيرة المادة الحيوية ايضاً والجرثومة التي في حبوب الحنطة وهي التي تنمو و يتولد منها النبات كثيرة المادة الحيوية . وان المادة الحيوية يبطل فعلها اذا عرضت لحرارة غليان الماء مدة طويلة . وقد استخلص فنك هذه المادة ووجد فعلها شديداً جداً فان مليغرامات قليلة منها شفت الحمام الذي طُعّم بهذا المرض في بضع ساعات

اما المادة الحيوية التي تشفي من الاسكربوط فلم تستخلص حتى الآن وكل ما نعلمهُ من خواصها الكيماوية ان الحوامض لا تؤثر فيها ولذلك تبقى في عصير الليمون الحامض سليمة على ما يرجح . واذا اغلي اللبن الى درجة فوق درجة غليان الماء زالت قوتهُ على مقاومة الاسكربوط ولعل اغلاء اللبن للاطفال هو سبب كثرة اصابتهم باسكربوط الاطفال

وقد ظهر بالامتحان ان المادة الحيوية المقاومة لمرض البري بري كثيرة في بعض الاطعمة وقليلة في غيرها وكذلك المادة الحيوية المقاومة لمرض الاسكربوط كما ترى في هذا الجدول وقد رتبت الاطعمة فيهِ حسب قوتها

الاطعمة المقاومة للبري بري	التي لا تقاومهُ	الاطعمة المقاومة للاسكربوط	التي لا تقاومهُ
خميرة البيرا	اللبن المعقم	الخضر الطرية	الخضر المقددة
صفار البيض	اللحم المعقم	الاثمار الطرية	الاثمار المقددة
قلب البقر	الكرنب	اللبن بلا اغلاء	اللبن المعقم
اللحم الطري	اللفت	اللحم النيء	لحم العلب
السمك	الجزر ونحوهُ		الحبوب الجافة
الفول	الدقيق الابيض		دهن الخنزير
اللوبياء	النشا		
الشعير	لحم الخنزير		
القمح			
الذرة			

يتضح من هذا الجدول ان الطعام الممزوج من اللبن الذي لم يغلَ والبيض واللحم والخضر الطرية هو اجود الاطعمة لمقاومة مرض البري بري ومرض الاسكربوط وانهُ ليس من

الحكمة الاعتماد على الخبز المصنوع من الدقيق الابيض الذي فقد كل نخالتهِ ومادتهِ الجرثومية ايضاً ولا على الرز المبيض

والكلمة بري بري (beri-beri) سنغالية والمرض التهاب في الاعصاب معدٍ خاص ببعض البلدان يكثر حدوثهُ في اليابان والهند وسيلان وهو مميت في الغالب ومن علاماتهِ تشنج الطرفين الاسفلين تشنجاً دورياً وضمور في العضلات والشلل والانيميا والآلام العصبية

والاسكربوط مرض يبتدئ بضعف وغم ورائحة كريهة في النفس وورم لين في اللثة حتى تشبه الاسفنج فتتدلى فوق الاسنان على هيئة اسنة المنشار وتظهر بقع زرق على سطح الجلد لاسيما عند اصول الشعر وعلى الاطراف السفلى وقد يحدث نزف ذاتي في الاغشية المخاطية وتقلص بعض العضلات والاوتار وتقرح في سطح الجلد

والمرضان مؤلمان خطران وسببهما نقص المادة الحيوية في الطعام بتعليل الانسان لهُ وباقتصارهِ على انواع منهُ دون غيرها كما تقدم

الجهد في سبيل الاكتشاف

من غرائب طبائع الانسان حبهُ للاكتشاف فيضرب في مجاهل الارض ويركب متون البحار ويتجشم اشد المشاق لكي يكتشف بلاداً جديدة . ولقد كان هذا دأبهُ من قديم الزمان اما حينئذٍ فكان مدفوعاً بطلب الرزق وانتجاع المراعي واما الآن فيندفع اليهِ بالملكة التي تملكت اسلافهُ قروناً كثيرة ولولا ذلك ما عمرت الارض بالسكان ولا انتشر فيها نوع الانسان . ومن هذا القبيل سعي الاوربيين الى اكتشاف القطبين حيث لا امل ان يجدوا باباً للكسب ولا سبيلاً للرزق

وقد اشرنا في مقتطف اكتوبر الماضي الى ان السر ارنست شكلتون الرحالة تمكن من انقاذ رفاقهِ الذين تركهم في جزيرة الفيل . فان السفينة التي سافر فيها قاصداً القطب الجنوبي انكسرت هناك فنزل برجالهِ الى هذه الجزيرة ثم ركب قارباً من قوارب السفينة مع خمسة منهم وعاد قاصداً جورجيا الجنوبية عساهُ ان يجد فيها سفينة تأتي لانقاذهم وترك معهم من الزاد الذي انقذوهُ من السفينة ما يكفيهم الى آخر مايو الماضي وهو يحسب انهُ يتمكن من الرجوع اليهم في ذلك الحين على الابعد فلم يتمكن من العود اليهم وانقاذهم الا في اول سبتمبر الماضي . وقد قابلهُ مراسل جريدة الدبلي كرونكل الانكليزية وقابل ايضاً المستر وَيلد الذي

كان زعيم الباقين على الجزيرة فوصفا لهُ ما لقي اولئك الرجال من المشاق قبلما عاد اليهم السر ارنست فرأينا ان نلخص ذلك لما فيهِ من الدلالة على الجهد في سبيل الاكتشاف والصبر وسعة الحيلة في الملمات

والجزيرة صخر شاهق يبلغ ارتفاع قنتهِ ٢٠٠٠ قدم تتلاطم امواج البحر عليهِ ويغطيهِ الضباب دواماً ولما اقلع منها شكلتون ورجالهُ الخمسة بقارب قاصدين جورجيا الجنوبية كانت ثياب وَيْلد ورفاقهِ مغرَّقة بالماء وقد جلد الماء فيها من شدَّة البرد ومضى اسبوعان قبلما نشفت. وهرأ البرد اطراف بعضهم في الاسابيع الثلاثة الاولى ومرضوا من التعرُّض للبرد القارس. وكانوا قد حفروا حفرةً في الثلج اووا اليها فلما رأى وَيْلد انها لا تقيهم من الزمهرير رفع هو ورجالهُ القاربين الباقيين من سفينتهم وقلبوها فوق الحفرة كسقف لها بعد ان اقاموا حولها صخوراً عالية وسدوا ما بين الصخور بما معهم من الخيش فصارا في شبه خيمة او كوخ. وكان بعض الرجال ينامون على عوارض القاربين المقلوبين وبعضهم في ارض الحفرة فوق حصىً جمعوها من الشاطىء. وصنعوا من صفيحة فارغة من صفائح البترول موقدة يطبخون طعامهم عليها. وكان معهم طعام يكفيهم ستة اسابيع لكنهم حسبوا انهم قد لا ينقذون في هذه المدة وقد تطول اقامتهم هناك فرأوا ان لا بد من الاقتصاد التام في ما معهم من الزاد

وكانت الجزيرة مباءَة للفقم يقصدها اذا ذاب الثلج عن ساحلها فيستطيع الصعود اليها ولكن اذا علا عليها الثلج كثيراً ابعد عنها لانهُ لا يستطيع الصعود اليها حينئذٍ فجعلوا يجرفون الثلج من بعض الاماكن ليسهل على الفقم الصعود اليها فيصطادوهُ ويقتاتوا بلحمهِ ويشعلوا دهنهُ لنورهم ووقودهم

ومضت ايام الشتاء والزوابع متوالية والضباب مخيم على الجزيرة وكانوا يقضون تلك الايام على الصورة التالية بعد ما صار عندهم من الدهن ما يكفيهم: — ينهضون في الصباح الساعة الثامنة ويشرع الطبَّاخ يهيئ الفطور فلا يحضرهُ قبل الساعة العاشرة وهو قطع من لحم طائر البنغوين مقلوَّة بدهن الفقم وثلج اذيب على النار حتى صار ماء. ويقوم الرجال بعد الفطور الى اعمالهم اليومية وهي جرف الثلج عن كوخهم وصيد طير البنغوين. ولا بدَّ من ديدبان يقوم دائماً رقيباً يرقب البحر وقت الصحو على امل ان يرى السفينة مقبلة لانقاذهم. وكان واحد منهم يحزم امتعتهُ كل يوم معتقداً ان السفينة تصل ذلك اليوم وعند الساعة الاولى بعد الظهر يجلسون لتناول الغداء وهو من البقسماط ودهن الفقم. ويقومون بعد الطعام للرياضة البدنية حفظاً لصحتهم وعند الساعة الخامسة يكون الظلام قد خيم

فيجلسون للعشاء وهو من لحم البنغوين ومشروب سخن · ولما نفد ما كان معهم من التبغ صاروا يدخنون الاعشاب التي حُشيت بها احذيتهم· واتفقوا على ان يقرأ واحد منهم للباقين بالتعاقب مما انقذوهُ من كتبهم وهي التوراة والانسكلوبيذيا البريطانية وشعر برونغ وتاريخ الثورة الفرنسوية تأليف كارليل ومقالات باكون ·واذا جاءت ليلة الاحد قضوها بالغناء واللعب على القيثارة · وكان السر ارنست قد انقذ هذه القيثارة من السفينة لكي تكون مسلياً لهم

ولما جاء عيد ميلاد الملك احتفلوا بهِ ورفعوا الراية التي سلَّمهم اياها لما سافروا

واتفق مرةً ان اصطادوا فقمة ووجدوا في جوفها سمكةً كبيرة غير مهضومة فطبخوها واكلوها كأنها من افخر المآكل وهي السمكة الوحيدة التي اكلوها

وفي اوائل اغسطس اخذ الجليد يذوب فظهرت الصخور ووجدوا عليها كثيراً من المحار والاعشاب البحرية فاكلوا منها وطابت نفوسهم · وكان معهم طبيبان اعتنيا بهم كل مدة الشتاء فلم يظهر فيهم اثر لداء الاسكربوط

وكان وَيلد قد عزم على انهُ اذا جاء اكتوبر ولم يأتِ احد لانقاذهم يركب القارب الذي بقي معهم ويحاول الوصول الى جزيرة دسبشن التي يؤمها صيادو الحيتان في الصيف ولذلك اذخروا ما بقي معهم من البقسماط والسكر

وقبلما وصل شكلتون اليهم بيومين هبت ريح جنوبيَّة شديدة واذابت ما بقي من الجليد الطافي على وجه البحر وفي الثلاثين من اغسطس كان الرجال جلوساً يتغدون من المحار وعشب البحر واذا باثنين منهم كانا واقفين خارجاً يرقبان البحر قد صرخا قائلين انهما يريان سفينة عند الافق · فهرع الجميع الى خارج الكوخ ورأوا السفينة واذا هي جارية وكأنها غير قاصدة اليهم فجمعوا ما لديهم من العشب والهشيم واوقدوا فيهِ النار لكي يرى مَن في السفينة الدخان فرأوهُ ودارت السفينة واتجهت نحوهم ولما دنت من الجزيرة نزل السر ارنست اليهم بقارب فاخبروهُ انهم كلهم سالمون وعلى تمام الصحة ثم سألوهُ متى انتهت الحرب لان الاخبار انقطعت عنهم منذ اكتوبر سنة ١٩١٤ اي حينما اقلعوا من بونس ايرس · فعاد بهم ولم يفقد منهم واحد

ثم جاءت الاخبار التلغرافية ان ملك الانكليز ارسل يهنىء شكلتون بنجاتهِ وتحيتهِ لرجالهِ كلهم مع الثناء على علو همتهِ

تجارب في الكحول

الكحول هو المادة المسكرة في المسكرات على انواعها وقد قرأ الدكتور برل الاميركي على الجمعية الفلسفية الاميركية مقالة وصف فيها سلسلة تجارب جربها حديثاً في الدجاج ليعلم تأثير الكحول فيهِ وفي نسلهِ . ولما شرع في تجاربهِ كان ينتظر ان يحصل من الدجاج المكحول (الذي جرّع الكحول) على فراريج (كتاكيت) تختلف عنهُ في امرٍ او اكثر وانهُ يمكن استخدامها في تجارب متعددة لحلّ مسألة الوراثة . فكانت النتائج التي توصل اليها بتجاربهِ موجبة للدهشة .

وبيان ذلك انهُ جاء بتسع عشرة دجاجة في ربيع ١٩١٥ وجعل يجرّعها الكحول استنشاقاً ساعة كل يوم وبقي على ذلك بضعة شهور . وبعد سنة ونصف من بدء هذه التجارب ظهر ان الدجاجات المكحولة صارت اثقل من اخواتها التي لم تكحل وزناً واقلّ حركة . وفيما سوى ذلك لم يكن بين الفريقين فرق ظاهر . وكان متوسط الوفيات بين المكحولة قليلاً جداً بالنسبة الى ما كان بين الاخرى . ولكن لما كانت الدجاجات التي جُرّبت التجارب فيها قليلة العدد حسب الدكتور برل انهُ يستحيل الحكم في هل كان للكحول يد في هذا الفرق

ولما فقس بيض هذا الدجاج خرج نسلهُ اعتيادياً لا يختلف عن غيرهِ في شيء خلافاً لما كان ينتظر ولم يبدُ على فروج واحد عارض يمتاز بهِ عن الفراريج المعتادة . ولكنهُ رأى بعد البحث الدقيق وجمع المعلومات والاسانيد الصحيحة من هنا وهناك ان الدجاج المكحول يبيض من البيض العقيم اكثر مما يبيض الدجاج غير المكحول . ورأى من جهة اخرى ان بيض المكحول تنفق عن أفراخ افضل من أفراخ الآخر . فانها جميعها ربيت بعد التفريخ تربية واحدة من حيث الطعام والمسكن ولكن نسل المكحولة الذي بلغ دور البلوغ كان اكثر من نسل غير المكحولة . وقد كانت كلها وهي صغيرة متساوية في الوزن ولكن بعد بلوغها ثلاثة اشهر من عمرها او اربعة جعلت أفراخ المكحولة ترجح على الاخرى

ويقول الدكتور برل في تعليل هذا الفرق « ان الكحول بمثابة عامل انتخابي في الخلايا الجرثومية التي في الدجاج المكحول » . فمن المعروف عند العلماء ان الخلايا الجرثومية تختلف اختلافاً كبيراً في الحيوان الواحد من حيث النشاط والحيوية . فاذا جرعت الدجاجة كحولاً

فانهُ يزيد الخلايا الضعيفة ضعفاً اما القوية النشيطة فتقاوم فعلهُ وتكون النتيجة عقم الضعيفة وبقاء القوية وبذلك يظهر نسل الدجاج المكحول احسن من نسل غيره

هذه خلاصة تعليل الدكتور برل . على انهُ ظهر من تجارب الدكتور ستوكارد في خنازير غينيا المكحولة ان بعض نسلها كان يخرج معيوباً شاذاً عن الاصل خلافاً لما اثبتتهُ تجارب الدكتور برل . ولكن الدكتور برل يعلل هذا الاختلاف وهذا الانحطاط بقولهِ ان العاهات كانت في الجراثيم الاصلية الضعيفة التي لم تقوَ على مقاومة فعل الكحول

احلام الحشاشين

لو كان شاربو المخدرات يصفون لنا ما يسمعون ويرون لسمعنا طرباً ورأينا عجباً . نقول هذا القول مستدلين عليهِ بحركاتهم واعمالهم فما شئت من ضحك وقهقهة وما شئت من سجع ونظم و« بيع كلام » كما يقولون . والظاهر انهُ خطر لبعض ادباء المغرب ان يخبروا بانفسهم ما يسمعون عن احلام الحشاشين وما يرون باعينهم من دلائل بسطهم وانشراحهم وخلوّهم من الهمّ فشرب دي كو ينسي الكاتب الانكليزي المشهور الافيون وأولع بهِ فلم يطق صبراً على فراقهِ فلزمهُ حتى آخر عمرهِ وكتب فيهِ كتاباً عنوانهُ « اعترافات آكل للافيون » . وحذا حذوهُ غير واحد منهم بارد تايلر فانهُ اخرج كتاباً اسمهُ « ارض المشارقة » Lands of the Saracen وصف فيهِ ما خامرهُ هو وصديقاً لهُ اسمهُ هريسون على اثر شرب ملعقة صغيرة من عقار صنع من اوراق القنب الهندي والافاويه والسكر . فلم تمضِ على شربهم اياهُ اربع ساعات حتى عرت هريسون نوبة من الضحك ثم صاح بملء شدقيهِ « الله الله لقد اصبحت وابوراً » ثم بقي ساعتين يخطر في الغرفة التي كان فيها ذهاباً واياباً ويخطو خطوات متساوية ويزفر زفرات نجائية متقطعة كما يفعل وابور سكة الحديد . واذا تكلم قطع كلماتهِ الى مقاطع لفظ كلاً منها بنبرة وهو يحرك يديهِ عن جنبيهِ كانهُ يدير عجلات

اما تايلر فرأى ما هو اغرب من ذلك — رأى نفسهُ واقفاً عند هرم الجيزة الاكبر يحاول الصعود عليهِ واذا هو على قنتهِ . ثم تطلع الى اسفل فخيل اليهِ ان الهرم مبنيٌّ من قطع من الدخان الانكليزي المعروف باسم دخان كڤندش . وانتقل بغتة الى الصحراء فرأى نفسهُ يجتازها في قارب مصنوع من عرق اللؤلؤ ومرصّع بجواهر نادرة في حجمها وسنائها . ولم يكن

الأَّ القليل حتى نزل مرجاً غضاً صفت فيهِ الاباريق بعضها الى جانب البعض والعسلُ يقطر منها

ولما اشتدَّ فعل العقار عليهِ ازدادت رؤاهُ غرابة وشناعة . فرأى جسمهُ متلوياً على اشكال شتى ومع ذلك لم يسعهُ الاَّ الضحك وشعر بجفاف شديد في فيهِ وحنجرتهِ كانهما ليسا منهُ او كانهما صنعا من نحاس وخيل اليهِ ان لسانهُ مبردٌ زجَّ في فيهِ . وكان صوت دورتهِ الدموية يدوي في اذنيهِ دويَّ السيل الجارف واندفع الدم الى عينيهِ حتى عاد لا يرى بهما شيئاً . واحسَّ بان قلبهُ يكاد يتصدَّع فشق صدرتهُ وحاول عدَّ نبضاتهِ فشعر كأن لهُ قلبين قلباً يضرب الف ضربة في الدقيقة وقلباً يضرب متئداً بصوت خافت . ثم نام ثلاثين ساعة متوالية

وروى جوتييه ان سائحاً كبيراً لم يذكر اسمهُ ساح في الشرق وتناول جرعة كبيرة من الحشيش فكان يرى كلَّ شيءٍ مزدوجاً . ومرت على مخيلتهِ صور اشباح غريبة من الطيور الخرافية التي زعموا انها تمتصّ دماء المعزى الى الاوز المخطط فالاسود المجنحة فالغول فالعنقاء فطارت امامهُ او وثبت او انسابت في ارض الغرفة كالافاعي . ورأى قروناً مورقة مزهرة وايدي آدميين متصلة اصابعها بنسيج لحمي كايدي البطّ واناساً بارجل كارجل الكراسي ومقل كوجوه الساعات وانوف كالابراج وسوق كسوق الدجاج وهم يرقصون رقصاً غريباً. وتوهم انهُ يبغاء ملكة سبا (بلقيس) فجعل يقلّد اصوات الطيور جهد ما استطاع . وكان في خلال ذلك كلهِ حاضر الذهن فتناول ما وصلت اليهِ يدهُ من ظروف المكاتيب وقطع الورق الملقاة على مكتبهِ ورسم عليها صور الطيور والحيوانات الغريبة التي كان يراها . ولما خفت سورة الحشيش رأى انهُ كتب تحت احد هذه الحيوانات « هذا من حيوانات المستقبل » وهو حيوان شكلهُ كشكل وابور سكة الحديد بعنق كعنق الاوزة تنتهي الى فكين كفكي الافعى يقذفان دخاناً . ولهُ فم آخر ضخم مؤلف من عجلات وبكرات . وايدٍ كثيرة كلّ زوجين منها لهُ زوجان من الاجنحة . وعلى رأس ذنبهِ جلس عطارد احد آلهة الرومان القدماء

وتناول آخر غيرهُ عشر قمحات من الحشيش بحضور صاحب لهُ فصاح بهِ « احذر لئلاَّ تكبّني » فقال لهُ « ماذا جرى بك » . قال « ألا ترى اني دواة فاذا كبيتني اندلق الحبر مني واتلف غطاء المكتب الابيض » . وبقي ساعة يتصرف في اعمالهِ كأنهُ دواة فيرفع رأسهُ ويخفضهُ كأنهُ يفتح الدواة ويغلقها ثم ينتفض فيشعر بالحبر في جوانبهِ ويراهُ

ومن اشهر ما يشعر بهِ الحشاشون رؤية الاشياء القريبة عظيمة البعد ورؤية الثواني القصيرة ساعات او اسابيع طوالاً . وهذا الشعور من نوع شعور الحالمين . قال آخر ممن جرَّب الحشيش « رأيت غرفتي عظيمة الاتساع وما فيها من جماجم الحيوانات المعلقة على جدرانها ضخمة كأنها جماجم الحيوانات البائدة التي عاشت في العصور الخالية . وخيّل اليَّ انني انظر اليها منذ سنين فتناولت ساعتي فعلمت انهُ لم يمرَّ عليَّ منذ شربت الحشيش سوى ٢٠ دقيقة وعلى اثر هذا العلم زال ذلك الوهم مني الى حين . ثم رأيت ساعتي تتسع وكأن صوت دقاتها صوت العالم كلهِ مجتمعاً فتناولت قلماً لعلّي اخطُّ بهِ بعض ما جال في خاطري فخانتني يدي وشعرت بان اصابعي كارجل الرتيلاء في دقتها فسقط القلم الى ارض الغرفة وسمعت لسقوطهِ صوتاً كقصف الرعد . وحانت مني التفاتة الى الشباك فرأيت الافق عظيم البعد مفعماً بدوائر من نور ونار وهي متشابكة يدور بعضها على بعض وما لبثت ان قذفت الى كبد السماء كأنها سهام نارية ثم هبطت في غابة من الاشجار فجعلت الاشجار تسمق واغصانها تلتفُّ حتى ملأت الافق . فاجهدت نفسي لاعلم الوقت فرأيت انهُ مضى عليَّ ٢٥ دقيقة منذ شربت الحشيش فصحت — ٢٥ دقيقة لا بل ٢٥ يوماً بل ٢٥ شهراً بل ٢٥ سنة بل ٢٥ قرناً بل ٢٥ دهراً . الآن اعرف ذلك كلهُ . لقد اكتشفت اكسير الحياة وسأعيش ابد الدهر . وكان قلبي يدقُّ مسرعاً ودقاتهُ كانتفاض الجبال فحاولت عدَّها حتى اذا عددت واحداً اثنين ثلاثة توهمت انها قرن وقرنان وثلاثة فصحت صيحة شديدة من تصوري اني عشت من الازل وسأعيش الى الابد في قصر اعمدتهُ وسقفهُ من عقيق و ياقوت وزمرد والاعمدة ثابتة على بحر من الذهب

ثم جاءتني الخادم بالقهوة فرأيت كأن الفنجان مرجل كبير نقشت عليهِ صور التنانين اجمل نقش واخذ يتسع حتى احاط بالعالمين . ولاحت الخادم كأنها واقفة منذ ساعة وهي تبتسم حائرة لا تدري اين تضع القهوة لان الاوراق كانت متناثرة تملأُ وجه المكتب . فازحت بعضها وشهقت شهقة بددت التنانين فامتلأ البيت روائح تساقطت كأنها رشُّ مطر فوضعت الخادم القهوة فكان لصوت وقعها على المكتب رنة في كل عظم من عظامي كأنما عشرة آلاف مطرقة تعمل فيَّ معاً . وظهر وجه الخادم متسعاً حتى بلغ حجم بلون ثم توارت كالبرق الخاطف فجعلت اصفق واصيح وسط الوف من مصابيح تبينتها فاذا هي نار حباحب فشربت القهوة فشعرت بحرارة لا تحتمل ثم نظرت الى ساعتي فوجدت انهُ مضى عليَّ ٤٠

دقيقة منذ مضغت الحشيش. فنهضت الى سريري بعد الجهد الشديد لطول ساقيَّ ولما اخذت انزع ثيابي طارت الى الفضاء فاضطجعت في سريري فاذا بهِ يمتدُّ حتى ملأ هو و بدني رحاب الارض كلها . وشعرت بعد ذلك بالم مبرّح لا يوصف و بأنَّ جلدي يخطر ذهاباً واياباً على لحمي ورأسي ورم وانتفخ حتى بلغ حجماً كبيراً ثم انقدَّ جسمي شطرين من فوق الى اسفل. ولم يأتِ صباح اليوم التالي حتى عدت الى حالتي الطبيعية »

ومضغ طبيب الحشيش فقال انهُ رأى في جوفهِ الحشيش الذي مضغهُ فاذا هو شبه زمردة يخرج منها الوف من الشرر . ونمت اهدابهُ بسرعة فلما بلغ طولها قدمين انفتلت كخيوط ذهب حول عجلات صغيرة من العاج كانت تدور مسرعة . ولاح اصحابهُ حولهُ كأنهم حيوانات نصفها نباتات . فانتصب من بينها كركيٌّ على ساق واحدة وخطب خطبة بالايطالية في الموسيقى فنقلها الحشيش بالاسبانية . وبعد هنيهة اشتدَّ سمعهُ حتى كان يسمع اصوات الالوان الاخضر والاحمر والازرق والاصفر. وخاف ان يتكلم لئلاً تنهدم الجدران وتنفجر انفجار القنابل. وسمع خمس مئة ساعة او اكثر تدقّ معلنة الوقت في حين ان لم يكن في الغرفة غير ساعة واحدة . وسبح في بحرٍ من الصوت عامت عليهِ قطع موسيقى الاوبرا كأنها جزر من نور . وشعر وهو في البحر كأنهُ اسفنجة وكانت امواج البسط والانشراح تندفع عليهِ في كلّ لحظة فتدخلهُ وتخرج منهُ بطريق مسامهِ . وظهر لهُ انهُ مرَّ عليهِ وهو على هذا الحال ثلاث مئة سنة . ولما فارقتهُ النوبة رأى ان زمانها الحقيقي لم يدم اكثر من ربع ساعة

هذا وقد سألنا بعض الذين دخنوا الحشيش مرة او مرتين في زمانهم فقالوا ان كل ما شعروا بهِ انشراح في الصدروطرب كالذي يشعر بهِ شارب الخمرة لم يلبث ان انقضى باسرع مما اتى . على ان مدمني الحشيش يشعرون بانبساط يزداد بزيادة الادمان حتى لقد يتخيلون انهم ملوك على عروشهم . فمن كان منهم صاحب مزاج عصبي ميالاً الى اللهو والمرح والطرب والصخب ازداد ذلك فيهِ . ومن كان ذا مزاج سوداويّ سكوتاً قليل الحركة غلبتهُ الكآبة واشتد صمتهُ ولزم مكانهُ لا يبرحهُ ولو مكرهاً فكأنهُ ينشد قول الشاعر

فقلتُ يمين الله ابرحُ قاعداً وان قطعوا رجلي لديك واوصالي

اديصن اكبر المخترعين

واسلوبهُ في البحث والتحقيق

لما اكتحلت عيننا بمرأى كنيسة ميلان ورأينا كم مرَّ عليها من الاعوام بل من القرون والمهندسون والصنَّاع دئبون على العمل فيها وافراغ ما بلغوهُ من الحذق والمهارة في نحت تماثيلها وتنسيق نقوشها قلنا قولاً لانزال نردده وهو

ولن ترى عملاً تقضى السنون بهِ الاَّ اذا جاءهُ الانسان عن شغفِ

وهذا شأن اديصن اكبر مخترعي اميركا ان لم يكن اكبر مخترعي المسكونة فانهُ مشغوف باعمالهِ مستعبد لها كما سترى في السطور التالية وهي مبنية على ما كتبهُ عنهُ المستر اوليفر سيمونس في مجلة منسي الاميركية

كان اديصن منذ ٤٤ سنة فقيراً مدقعاً طاف في شوارع نيو يورك في شهر سبتمبر تلك السنة يومين كاملين من غير طعام وهو يفتش عن رجل يقرضهُ ريالاً . وهو الآن يملك الالوف والملايين بفضل مخترعاتهِ الكثيرة وحسبنا ان نعدَّ منها المصباح الكهربائي الذي تنار بهِ اكثر البيوت في المدن الكبيرة . والفونوغراف الذي يسلي كثيرين بما يطرِبهم بهِ من اغاني كبار المغنين والمغنيات . والمركبات الكهربائية التي استعاضت عن البخار بالكهرباء . وآلات الصور المتحركة التي هي اكبر مسلٍ ومدرّس لجمهور الناس هذا عدا كثير من المخترعات الصغيرة

وسر نجاحهِ في الاختراع مواظبتهُ على عملهِ فانهُ يكاد يطلّق النوم والطعام في سبيل الاختراع . فعملهُ لا ارتباط بينهُ وبين شروق الشمس وغيابها ولا بين الجوع والشبع . وما دام عقلهُ مشتغلاً فيستحيل عليهِ ان يجلس على مائدة او ينام في فراش . ولقد اشتغل حتى الآن كأنهُ عاش مئة وخمسين سنة مع انهُ لا يبلغ السبعين الاَّ في شهر فبراير التالي . ولا يظهر عليهِ انهُ ناهز الستين

اذا كان شغلهُ عاديًّا نام خمس ساعات فقط كل يوم من الساعة الثانية بعد نصف الليل الى السابعة صباحاً ولكنهُ اذا التفت الى موضوع غير عادي يستغرق وقتهُ كلهُ طلّق النوم بتاتاً . وهو لا يفتخر بانهُ يستطيع العمل من غير نوم بل لانهُ يعلم ان عملهُ يشغلهُ عن النوم

ولدى المخترع عقبتان الاولى افراغ الخاطر الذي يخطر لهُ في القالب الذي يصلح لهُ . والثانية جعل هذا القالب مما تروج سوقهُ ويكون منهُ ربح لمخترعهِ وصانعهِ ولذلك لا يكتفي اديصن باختراع الآلة بل يتقنها حتى يسهل العمل بها ويكون منها ربح لصانعها

وهو يعلم ان يداً واحدة لا تصفق فيستعين بالمساعدين ويبث فيهم روح الهمة والنشاط فيجارونهُ في اعمالهِ ويعمل كلٌّ منهم مثل نصف ما يعملهُ هو على الاقل . وتراهُ يرشد كلاًّ منهم الى العمل الذي عينهُ لهُ ويتركهُ فيهِ لكي يجرّب ويمتحن وينتبه الى كل امر كليًّا كان او جزئيًّا . وهم يتحيَّنون الفرص تحيناً لتناول شيء من الطعام لئلاَّ تخور قواهم من الجوع وهو مع ذلك لا يضطرهم الى مواصلة العمل اضطراراً وغاية ما هنالك انهُ يوصيهم لكي لا يضيعوا دقيقةً من الوقت سدًى وشعارهُ من هذا القبيل « ان قلت ويحك فافعل ايها الرجلُ » فلا يوصيهم بشيء الاَّ وهو قدوة لهم فيهِ

وعندهُ سبعة من الشبان يساعدونهُ وقد اشتغلوا مرةً نحو ١٥٠ ساعة كل اسبوع مدة خمسة اسابيع وبقيت المصابيح الكهربائية مضيئة في معملهِ كل هذه المدة نهاراً وليلاً

وبقي الى سنة ١٩٠٢ يشتغل ١٩ ساعة ونصف ساعة كل يوم ثم قلل شغلهُ فجعلهُ ١٨ ساعة ولكنهُ كان يتخطى ذلك احياناً فيشتغل عشرين ساعة في اليوم اذا لاح لهُ بارق اختراع جديد. اما مساعدوهُ فضعفت عزائمهم في الاسبوع الاول وثقلت اجفانهم من النعاس واحمرَّت مقلهم من السهر وخدرت ارجلهم من البرد وخارت قواهم من الجوع ثم الفوا ذلك وجعلوا يأكلون مماَّ يأكل ووقتما يأكل فعادت اليهم القوة والبهجة

وهو من المقلين في طعامهم فاذا اكل اللحم اكتفى بقطعة كالبيضة او ابدلها بسردينتين وقليل من الخبز المحمص . ويكتفي بنحو مئة درهم من الطعام كل يوم ويقول ان ذلك يكفي البالغ ما لم يكن عاملاً يتعب كثيراً . ويفضل من الاطعمة البطاطس والبصل والفول مع قليل من اللحم ثم الفاكهة المطبوخة ويقول ان هذا يجب ان يكون طعام العامل

لما صار في بدءِ الرجال سنة ١٨٧٢ على ما تقدم دخل مطعماً وابتاع منهُ من التفاح المطبوخ وشرب فنجانين كبيرين من القهوة فاسترد قوتهُ وثقتهُ بنفسهِ وبعد ساعتين وجد عملاً يعملهُ

قد يقول قائل ان كان اديصن ورجالهُ يكتفون بنوم اربع ساعات او خمس ساعات في يوم فلماذا لا يكتفي بذلك كل احد . والجواب انهُ ما كل احد يجد عملاً يستهوِ يهِ

ويمتلك لبهُ حتى لا يشعر بتعب معها عمل وسهر كما وجد اديصن ورجالهُ فانهم يعملون كمن اضاع شيئاً وهو يفتش عنهُ او كمن عمل آلة وبقي شيءٌ لازم لاتمامها فلا تتم بدونهِ

واسلوبهُ في اجراء اعمالهِ انهُ يضع الخطة التي يجب ان يجري عليها رجالهُ في اعمالهم ويتولّى هو مراقبتهم ومساعدتهم واذا حانت لهُ فرصة ربع ساعة رأى انهُ يسهل استغناؤهم فيها عنهُ استلقى على مقعد او طاولة واغمض عينيهِ . وكان قبلاً يطوي سترتهُ ويضعها تحت رأسهِ ولكنهُ وجد ان طي السترة يستغرق لحظةً من وقتهِ فارسلت اليهِ زوجتهُ وسادة من بيتهِ فصار يضعها تحت رأسهِ . واذا حدث اثناء نومهِ ما يستدعي ايقاظهُ أيقظهُ العمال حالاً وويل لهم اذا لم يوقظوهُ . وهو يستيقظ حالاً اذا مسهُ احد بيدهِ . وكلُّ ما يجدُّ في التجارب التي يجربها رجالهُ يستدعي ايقاظهُ لانهُ حريص على رؤية كل شيءٍ اذا لم يكن قد رآهُ قبلاً

كان مرةً ينتظر امراً ذا شأن من التجارب التي كان يجربها فاستمرَّ مستيقظاً ثلاثة ايام بلياليها لم يغمض لهُ جفن . واتفق مرةً انهُ بقي يومين كاملين يعمل من غير نوم وعلى غير جدوى فقال لهُ صديق على مَ هذا التعب على غير فائدة فقال لهُ اخطأت فاني استفدت كثيراً من هذه التجارب لانني عرفت بها اموراً كثيرة لا تصلح فصرت اجتنبها

لما كان يحاول اتقان الفونوغراف جعلهُ يردد اغنية واحدة الفين وخمسماية واثنتي عشرة مرة الى ان بلغ الغاية التي كان يتوخاها وكان قد اناط هذه التجارب بعمالهِ فنام في غضونها مراراً ولكنهُ كان يستيقظ حالاً كلما انتهى الفونوغراف من ترديد الاغنية مرة اما رئيس عمالهِ فسئم الاغنيةَ وودَّ ان لا يسمعها مرة اخرى في حياتهِ مع انها اغنية مطربة لانهُ لم يسمع غيرها مدة شهر من الزمان فاستكت منها اذناهُ وآذان رفاقهِ قبلما رددها الفونوغراف خمسمائة مرةً ولكنهم اضطروا ان يسمعوها الفي مرة بعد ذلك . ومرَّ على هذا الرجل حينئذٍ عشرة ايام متوالية لم ينم فيها الأ ساعة واحدة كل ليلة وكانت المدة المفروضة لنومهِ خمس ساعات كل يوم مثل اديصن

لكن التجارب لا تكون دائماً على نسق واحد بل هي في الغالب متنوعة تنوعاً يسلي من يراقبها ويلذُّ لهُ قال هذا الرجل انهُ يشعر وهو يراقب هذه التجارب كما يشعر لاعب البوكر الذي يقضي احياناً اربعين ساعة متوالية وهو جالس امام طاولة اللعب لا يكلُّ ولا يملُّ . وما من احد يستطيع ان يواظب على عمل زماناً طويلاً الأ اذا أولع بهِ واستحسنهُ . وكل

مساعدي اديصن من هذا القبيل · ويجب ان يكون ذلك مثالاً للآباء لكي لا يطلبوا من اولادهم ان يواظبوا على عمل الاَّ اذا استحسنوهُ واولعوا بهِ · والشغف بالعمل ضروري للنجاح لان النجاح يقتضي المزاولة الطويلة ولا يصبر المرء على هذه المزاولة الاَّ اذا شغف بعملهِ · ومن رأْي اديصن ان الامتحان هو مقياس النجاح في السياسة والادارة كما في الصناعات ولا يحسن ان يُقبَل رأْي مهما كان الاَّ بعد ان يمتحن ويعمل بهِ

ومن مزاياهُ ان عينيهِ لا تكلان من طول السهر والتحديق وقد تحوَّط لذلك بان علَّق فوق رأْسهِ مصباحاً كهربائيًّا ساطع النور جدًّا يعلو عن الارض مترين ووضعهُ منحرفاً لو مدَّ خط عمودي منهُ الى الارض لوقع على نصف قدم من كتفهِ الايسر · فان نور هذا المصباح وهو في هذا الوضع لا ينعكس عن الورق الذي امامهُ الى عينيهِ · والزجاج في كوى الغرفة التي يكتب فيها مصفر اللون فيحجب الاشعة الحمراء من نور الشمس ومن يقم في نور مثل هذا يستطع ان يشتغل عشرين ساعة متوالية بعد نوم اربع ساعات من غير ان تحمر عيناهُ او تتعبا

وقد وضع القواعد التالية لحفظ الصحة وهي

اجتنب الاشربة الروحية

اذا شربت القهوة كتبه لمنع النعاس فامزجها بكثير من اللبن

لا تأْكل اكثر مما يستدعيهِ عملك لان على جسمك ان يعمل هذا العمل فلا تتعبهُ بما يزيد عن حاجتهِ من الطعام

اجتهد حتى يكون حولك كثير من الهواء النقي دائماً وحتى يكون النور مناسباً لعينيك

اترك الاهتمام باشغالك حالما تستلقي في فراشك لتنام

لا تتعاطَ الاَّ العمل الذي ترضاهُ لنفسك وتفضلهُ على كل عمل آخر واجتهد حتى يكون من الاعمال الكثيرة التنوُّع حتى لا تسأَم من تعاطيهِ · وليكن عملك لذتك وعماد حياتك في حاضرك ومستقبلك · اذا لم يكن لك عمل مثل هذا ففتش عن مثلهِ والاَّ فارضَ بالنوم والكسل

وما قيل عن اديصن يقال عن اكثر الذين ارتقوا بجدهم واجتهادهم وتؤيدهُ اقوال الحكماء والباحثين في طبائع الانسان · وما احسن قولهم « ومن طلب العلى سهر الليالي »

طبقات الناس بعد الحرب

رأينا بالامس شريفاً من اشراف الانكليز جالساً في مجلس السائق يسوق اتوموبيله بضابط لعلَّ اباهُ كان خادماً عند ابي ذلك الشريف . و يقال بنوع عام ان هذه الحرب اغضت عن مراتب الناس القديمة ولم تنظر الاَّ الى تفوقهم في حسن الرماية وسعة الحيلة والصبر في الملمات . ولكن هل تبقى الحال كذلك بعد الحرب

كتبت كونتة وركِ الكاتبة الانكليزية الشهيرة مقالة في هذا الموضوع في مجلة ناش الانكليزية قالت في ديباجتها ان صاحب تلك المجلة سألها هل تساوي هذه الحرب بين طبقات الناس او يخرجون منها وقد زادت الطبقات العليا علواً اما انا فلا شك عندي ان النوابغ متساوون في الطبقة . ومن غرائب الاتفاق انني قبلما اخذت القلم لاكتب هذه السطور وقع نظري عَرَضاً على جريدة مصورة وفيها صورة الملك جورج والملكة ماري وهما يتحدثان مع الجنرال السر وليم روبرتسن رئيس اركان الحرب بل مدير الاسلحة البريطانية الذي يعترف لهُ كل احد بحسن الادارة . ولقد كان هذا الجنرال في اول امره جندياً بسيطاً فارتقى الى ان صار في هذا المنصب الرفيع على ما في نظام الترقية البريطاني من الحوائل العظيمة في سبيل طلاَّب الارتقاء . وقد وقفت هذه الحوائل في طريقهِ ولكنهُ تغلَّب عليها وهو الآن لا شعار لهُ الاَّ الكفاءة فلا يبخس احداً ما يحق لهُ

ولقد كان الاستحقاق في البحرية عندنا مقدماً على النسب فاذا جرت الحربية هذا المجرى وجب ان يكون لعملها اثر كبير في البلاد لان الحربية كانت دائماً مقاومة للمساواة بين طبقات الناس ولم يكن في البلاد سلطة اقوى منها تجبرها على الرضوخ لاحكام الزمان

واني اذكر هنا ما قالهُ لي جنرال مشهور بالامس فانهُ كان يتكلم عن الجنود الذين جُندوا حديثاً من جمهور السكان الذين لم يكونوا يفرقون منذ سنتين بين نوع من المدافع وآخر فقال « انهم برهنوا على انهم مثل افضل الجنود في الشجاعة والاخلاق ولا ينقصهم الاَّ التمرُّن حتى ان العدو شهد لهم انهم لا يفوقهم احد من جنود الارض . والصفات الجوهرية التي هي قوام الشعب الانكليزي هي التي تحتاج البلاد اليها سواءٌ كانت في اولاد الازقة او اولاد القصور »

لو قال هذا الجنرال هذا القول منذ سنتين لحسب رصفاؤهُ انهُ مجنون . ولقد قامت الآن الوف من الادلة على صحة القول المأثور وهو « ان ساحات الرياضة في مدرسة اتن

هي التي احرزت النصر للانكليز في معركة وترلو» · ومهما يكن من امر الجند والتنشئة فانهما لا يغيران الانسان. والشاب الذي تخرج في مدرسة اتن والذي خرج من اصلاحية او من مدرسة صناعية اثبتا انهما متساويان في الرجولية · والذين رأوا حرب الخنادق ايَّدوا هذا القول وكاد الناس كلهم في البلاد الانكليزية يقولون بصحتهِ · وزالت الغطرسة التي كانت تحمل الراغبين في اصلاح الاجتماعية على اليأس · ولا جدال في ان النساء يتمسكنَ بما بين الناس من الفروق اكثر من الرجال وهن السبب في الاحتفاظ بهذه الفروق سواء اكان ذلك عن قصد منهنَّ او عن غير قصد

ولكن النساء رأين الآن خطأهنَّ ولا اعني انهنَّ عرفن ان كل طوائف الناس تتساوى تحت التراب اذ انها هدفاً للبلايا على حدٍ سوى لان ذلك من البديهيات التي لا يختلف فيها اثنان وانما اعني ما اظهرهُ نساء انكلترا في هذا الزمن العصيب من الهمة والاهتمام الحقيقي بمشاركة الجميع في الضراء · ماذا فعلت لادي فيرده فير · كانت قبل الحرب مقتنعة ان الله اختارها لاظهار عظمتهِ وان فيها من التفوُّق على غيرها من البشر ما يتعذَّر عليها تحديدهُ وانها فاقت غيرها بمزايا خاصَّة بها لا بما لديها من الثروة · لكنها مفطورة على الرأفة والحنان وحب الوطن فلبَّت نداء بلادها حالما سمعتهُ فوجدت انها في الادراك والمقدرة والصبر لا تقاس بغيرها من الذين كانت تترفع عنهم · وانها لا تساويهم الأَ في عزمها على العمل جهد طاقتها

والمستشفى هو المكان الذي يساوي بين الناس فهناك رأت هذه السيدة قصورها عن غيرها · وبعد تنقلها من عمل الى آخر شفيت ممَّا كان في نفسها من العُجب والكسل وقلَّة الحيلة وهي الآن شديدة العزيمة محبة للعمل تفتخر بما يحق لها ان تفخر بهِ وتعدُّ سائر النساء اخوات لها وتبذل جهدها في اصلاح شأنهنَّ · وقد ابطلت الدعوى التي كانت تؤَيدها بالفعل ان لم تؤَيدها بالقول وهي ان الناس طبقات يمتاز بعضهم على بعض بالفطرة وتحققت قول كبلنج وهو ان زوجة الامير وزوجة الحقير اختان من دم واحد

وزبدة القول ان الاعتراف بالمساواة جاء لا من قبيل السوقة بل من قبيل السراة · وقد قلتُ «السوقة والسراة» مجاراة للاصطلاح القديم وارجو ان يبطل هذا التفريق بين الناس في المستقبل فيكونوا كلهم طبقة واحدة لان الذين كانوا يعدون انفسهم سراة وحكاماً جعلوا يدركون الآن ان لا اساس لدعواهم وان الذين كنا نعدهم سوقة ولا شأْن لهم في مصالح الامبراطورية البريطانية سفكوا دماءهم في الذود عنها مثل السراة ولم يحجم احد

من كل طبقات الامة بل اقدم الجميع الى حيث احتدمت نار الحرب وحرقت التقاليد القديمة التي كانت تفصل بين هذه الطبقات · ولا اقول ذلك اعتباطاً ولا من باب التكهن بالمستقبل لانهُ قد مرّت سنتان واصدقائي واقاربي يذهبون الى ميدان القتال ويعودون او يعملون في معامل الاسلحة والذخائر وانا اغتنم كل فرصة واسألهم واستفحص عن مجاري الاحوال · وارى الآن اننا اذا رجعنا بعد الحرب الى عاداتنا القديمة وآرائنا العتيقة فيا خيبة المسعى · ولكن ان كان لنا امبراطورية تستحق ان نعيش لها ونموت عنها فسنعلم او سيعلم اولادنا ان الدماء التي سفكت في هذه الحرب لم تذهب هدراً بل جاءت بخير المنافع لانها شددت اواصر الامة بعضها ببعض

ولقد ظن البعض ان كثيرين سيجازون بعد الحرب بترقيتهم الى مصاف الاعيان فيزيد تأييد هذه الطبقة ·ولكن الذين يرقّون على هذه الصورة هم مثل الذين اشتروا رتبهم بالمال او رُقّوا اليها لغرض سياسي وكلهم لا يحتمل ان يدّعوا التفوق على غيرهم او يتشبثوا بهِ

المعري وفلسفته

(٢)

عزلتهُ

زهد المعري في الدنيا واعتزل الناس لانهُ كما اسلفنا لم يكن لهُ في الدنيا حظ ولا بمعاشرة الناس طاقة · والعزلة مضادة لطبع الانسان بل لطبع كل حيوانات أليف لان الحيوانات الاجتماعية تحن بالرغم منها الى رفاقها ولا تطيق الابتعاد عنها حتى لقد تؤثر الوحدة في بنيتها كما تؤثر فيها قلة العلف ومواصلة الاجهاد · وقد روى شارل مرسيه صاحب كتاب العقل والجنون [١] وروايتهُ مشاهدة محققة « ان الجلابين العارفين بعادات الماشية والانعام يذكرون ان البقرة المعزولة لا تدر اللبن ولا تسمن ولا تصلح لشيء مما تصلح لهُ البقرة وسط الصوار » · فالاجتماع ضرورة جسمية في الحيوان الاليف قبل ان يكون حاجة نفسية او ميلاً قلبياً · ولن يلجأ الى العزلة رجل متسق البنية متوازن القوى لان اتساق البنية يبتغي من صاحبهِ استكمال ضروراتهِ ومن اولها كما قدمنا الاجتماع والتآلف · وانما

(1) Sanity and Insanity by Charle Mercier.

يرغب في العزلة الشاذون عن استواء الخلق إما ليتنسكوا ويتبتلوا او ليقطعوا الطريق ويخرجوا على نظام الاجتماع شاهري الحرب عليهِ وعلى اوضاعهِ · ويغلب في اهل التنسك والتبتل ان يكونوا من ذوي المزاج السوداوي الذين ينقبضون عن عشرة الناس وينقبض الناس عن عشرتهم لتباينهم عنهم في المشارب والاطوار ولان اهل النظر واهل العمل قلما يتفقون في الآراء والافكار · ولا شك عندنا في كون المعري من اصحاب المزاج السوداوي لان السوداء معروفة باعراضها وهي الوجوم والحزن الملح المجهول السبب والاكثار من ذكر الموت وسوء الظن بالناس بل بالنفس احياناً في ازمات النوبة التي تحرج الصدر وتغيم على الرأس · اما الاعراض الاولى فقد طفح بها شعر المعري ونثرهُ فلا نستطيع ان نستشهد لها ببيت من ديوان بنوهِ دون بيت · واما سوء الظن بالنفس فقد جهر بهِ المعري مراراً فقال :—

ان مازت الناسَ اخلاقٌ يعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسواه
او كان كل بني حواء يشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواه

وقال :—

رويدك لا تغترر يا أخيَّ م بي فانا الرجل الساقطُ
ولو كنت ملقى بظهر الطريق م لم يلتقط مثلي اللاقطُ

وقال :—

كلاب تعاوت او تغاوت لجيفة واحسبني اصبحت ألأمها كلبا

ويبلغ بهِ اتهام نفسهِ احياناً ان ينكر عليها العلم والعقل ويرى انهُ امرؤٌ لا نفع فيهِ لاحد اذ يقول :—

ماذا تريدون لا مال تيسر لي فيستماح ولا علم فيقتبسُ
انا الشقي بأني لا اطيق لكم معونة وصروف الدهر تحتبسُ

ولو كان ما يعلمهُ المعري من الفقه والفلسفة والادب واللغة والسيَر في صدر رجل آخر مبرإٍ من نوَب السوداء لملأ الارض بعلمهِ غروراً وتطاولاً لان غاية العلم عندهُ ان يسألهُ الناس فيجيبهم وهم لا يسألون عن شيء لا جواب لهُ عندهُ · ولكن المعري القائل :

اذا كان علم الناس ليس بنافع ولا دافع فالخسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتمَّ وضاعت حكمة الحكماء

يرى للعلم احياناً وظيفة اجل من الاجابة على الاسئلة ويرى ان اقصى العلم ينتهي بصاحبهِ

الى باب المجهول الابدي الذي يرد كل طارق ولا يطرقهُ الا كل حائر راعتهُ ألغاز الحياة وبهرتهُ مصاعبها فترك الناس يحيون وذهب يبحث عن مغزى الحياة وأسبابها وغاياتها فما استطاع ان يجيب نفسهُ وعلم انهُ بالسكوت عن اجابة غيرهِ اولى . وقد يمكننا ان نتصور حالة التلاميذ الذين كانوا يسمعون من المعري هذا الاقرار بالجهل وهم لا يتمنون من العلم الا ان يبلغوا فيهِ مبلغهُ فلا بد انهم كانوا يرمونهُ بالبخل بالعلم ولا يصدقونهُ حتى ضاق بهم فقال

اتسألون جهولاً ان يفيدكمُ وتحلبون سفياً ضرعها يبسُ
ما يجيب الناسَ الا قول مخندعٍ كأن قوماً اذا ما شُرّفوا أَبسوا

ولعمري ان كلمة البخل بالعلم التي شاعت في العصور العربية المتوسطة لتدل على جهل الناس يومئذٍ بالعلم الحقيقي ولباب المعرفة لان العلم الصحيح هو الذخيرة الفذة التي لا تقبل لحاملها بالبخل بها كما انها تدل على نوع العلم الذي كانوا يطلبونهُ في ذلك الزمن وعلى غرضهم منهُ . واحسبهم لم يستنبطوا هذه الكلمة الا بعد ان اصبح العلم تجارة يحملها العلماء الى الامراء متوخين فيها مآربهم ومداركهم واصبح البخل بالعلم معنى بخل الصانع الحاذق بسر صنعتهِ . ولعل هذا ايضاً مما حبب العزلة الى المعري واضجرهُ من قاصديهِ الذين كانوا يفدون اليهِ من اقاصي البلاد واولعهُ بذم العلماء والتشهير بالمشعوذين والسفسطائية والمجربزين من المنجمين الذي يشغلون فراغ العلم اذا خلا منهُ مكانهُ

بيد ان السوداء لا تهدي الى العزلة دائماً وقد تهدي الى نقيضها فيكون السوداوي خليعاً ماجناً مستهتراً بالشهوات مغلوباً على عقلهِ بهواهُ لكنهُ على كل حال شبيه المعتزل في الشذوذ عن الخلقة العامة المعتدلة . وكثيراً ما تتقارب العلل وتتباعد المظاهر في تقدير الناس . فاين التصوف والجذب مثلاً من التهافت على المرأة والجنون بغرامها ؟ ولكنهما في نظر الطب متشابهان في مصدرها ان لم يكن مصدرهما واحداً . يقول مريبيه المتقدم ذكرهُ بعد شرح طويل : « ان انكار الذات اساس يلتقي عندهُ الهوى الديني بالهوى الجنسي ولا يزال كل منهما يشبه الآخر حتى بعد تكوينهِ ونضوجهِ فهما متماثلان في طبيعتهما الشاملة المتشعبة وهما يتماثلان قبل هذا التكون والنضوج في غموض الاوصاف والخصال . ولاتفاقهما في الاصل وتقاربهما في الطبيعة يسهل ان ينعدل احدهما من مجراهُ الى مجرى الآخر . ومن ثم نرى ان انكار الذات والمفاداة بالنفس اللذين يحتملها العاشق عن طيب خاطر مرضاة لمعشوقهِ ظاهران في عاشق الكنيسة بمثل تلك الغيرة او باشد منها وان كان

ظهورها في شكل آخر . فكأن الكنيسة قد حلت محل المعشوق في هذه الحالة . وكذلك متى استعصى على العاطفة ان تنحصر في فرد واحد اتسع نطاقها فاعربت عن نفسها في اعمال البر وخدمة البشر ولكن لا بد من دخول عنصر المفاداة بالنفس في هذه الاعمال او تظل العاطفة متطلعة غير مقتنعة ويظل الاعراب عنها ناقصاً . وهذا هو السر فيما نشاهده من ان اعمال البر القائمة الى الهوى الديني والتي تشتق مصدرها البعيد من الهوى الجنسي لا تزال تبدو باساليب شتى كلها ينطوي على المفاداة بالنفس والايثار عليها »

وهذا قول بمنزلة البداءة عند اكثر الاطباء المشتغلين بطبائع العقل ولا نخال سواد القراء يستبعدونهُ لان الوقائع التي تؤيدهُ كثيرة و يندر ألاَّ يرى احدهم اناساً من الغالين في الدين انقلبوا الى الغلو في اللهو او اناساً من الغالين في اللهو انقلبوا الى الغلو في الدين . يرون ذلك فيهم ولا يرونهُ في المعتدلين القاسطين الاَّ في الفرط القليل . فيعجبون لذلك ولكنهم يقولون غلبت عليهِ الشقوة او تاب عليهِ الله . وليس اشهر من رمز المتصوفة والزهاد الى الجمال وكلفهم بهِ اعجاباً بصنع الله فهم بذلك يمزجون بين حب الله وحب الجمال الانساني . ومن الناس من تتعاورهُ الحالتان للغي آونة والتقوى آونة اخرى كأبي نواس الذي نظم في الوعظ ما يزجر المارد ونظم في الغواية ما يفسد العابد . ولم يكن في احدى حالتيهِ مرائياً يعبر عمَّا لا يشعر بهِ ولكنهُ كان لا يندم حتى يأثم ولا يأثم حتى يندم . وكأبي العتاهية الذي قضى شطر عمرهِ الاول منغمساً في لذاتهِ وصبواتهِ ثم قضى شطراً من ايامهِ مبالغاً في التنطس والتقشف ثم حضرتهُ الوفاة فكانت آخر حاجة لهُ في الحياة ان يسمع غناء مخارق . وكان احرص الناس على عرَض الدنيا وهو اكثرهم بباطلها عرفاناً واشدهم للموت اذكاراً

وقد ينبغي لنا هنا ان نقول انهُ قد مضى الوقت الذي كانوا يقارنون فيهِ الاخلاق والعادات باسمائها في اللغة . فالهوى الديني والهوى الجنسي متناقضان ايما تناقض في عرفنا وهما متصلان في المنشإ كما قد رأينا . والسرف ضد الشح في اللغة ولكن احدهما اشبه بالآخر من القصد بالسرف مثلاً او من القصد بالشح والقصد هو الحد الوسط كما يقولون فكان ينبغي على هذا القول ان يكون اقرب الى الطرفين من احدهما الى الآخر . ولكنهُ اذا بحثنا عن اسبابهِ بعيد جداً عن الخلتين المذمومتين . اما هما ففي القرب والمساواة بحيث يكاد احدهما يحل محل الثاني . و يظهر هذا التقارب اوضح ظهور بين العائلات الشاذة في اخلاق افرادها فان شذوذ هؤلاء الافراد لا يبرز لنا في وجهة واحدة بل يجمع فنوناً مختلفة من البدوات والاخلاق فيكون الرجل غاية في التقتير واخوهُ غاية في التبذير و يكون فيهم الزاهد المتحرج

والجشع المتقم وقد يترهب احدهم ولهُ أخ او قريب قد خلع العذار وركب رأسهُ في الفجور والفحشاء . وقد ذكر « نسبت » صاحب كتاب جنون العبقرية[1] عائلات عدة من هذا القبيل منها عائلة (ديجرين) وقال عنها « ان الشره في هذه العائلة عرض من اعراض الخبل العصبي يلوح الى جانب البخل والورع الشديد » . وكذلك الطمع ضد بذل المال ولاسيما البذل في سبيل البر ولكنهما في حكم الطب فرعان من شجرة واحدة او كما يقول نسبت ايضاً « ان الطمع وحب البر حالة جسمانية لا يزال ارتباطها بالاضطراب في النخاع الشوكي بادياً جليًّا » ولاستواء هذه الخلال المتعارضة في الشذوذ تقترن احياناً بشذوذ العبقرية فيقل في العبقريين الاعتدال ويكثر فيهم الطرفان اي التبذير والشح ولا حاجة بنا الى عد العبقريين المبذرين لانهم الفريق الغالب بينهم . اما الاشحاء فعندنا جماعة نذكر منهم جريراً وسهل بن هرون وابا العتاهية والبحتري ومروان ابن ابي حفصة والمتنبي وابا الفرج الاصبهاني وهم من فحول شعرائنا وكتابنا . وقد ذكر نسبت عائلة اقترنت فيها العبقرية في القانون والشعر والموسيقى والادب بالحذق في تدبير المال وهي عائلة نورث الشهيرة . فبعد ان المع الى علاقة الحرص بالعبقرية قال : « كان فرنسيس نورث خازن جيمس الثاني احد اخوة خمسة لهم اخت واحدة وكان ابو هذه العائلة يقرض الشعر ويباشر المسائل المالية فورث عنهُ ابناؤهُ هذه الملكة الاثيرة وظهرت فيهم مظاهرَ شتى فمنهم هذا الخازن وكان اديباً مدبراً وقد وصفهُ ماكولي بالاثرة والجبن وخسة النفس ..... » ومضى يسرد اسماء الاخوة ويصفهم بما لا يخرج عن مفاد هذه الاوصاف واراد بهذا وبما تقدمهُ ان يثبت ان للشذوذ اصلاً واحداً وان تنافرت الوانهُ واختلفت فيهِ آراء الناس فمدحوا بعضاً منهُ وذموا بعضاً

ونحن لم نعرض لهذه الآراء لنبخس آداب المعري ونحط من قدر اخلاقهِ وخصالهِ او نسوي بين ما يمدحهُ الناس وما يشنأونهُ من الاخلاق الشاذة فان تقارب اسباب الشذوذ لا يمنع ان يحب الناس منهُ ما ينفعهم ويحسن عندهم ويكرهوا ما يضرهم ويقبح في نظرهم . ولكننا رأينا فريقاً من الكتَّاب يتلمس المشابهات بين فئات الشعراء من كل طريق الأ من طريق المشابهة في الامزجة فبعضهم يقسم الشعراء حسب اختلاف العصور مع ان اختلاف سني الولادة لا يستلزم في معظم الاحيان الاختلاف في المشرب الشعري وهذا عدي بن يزيد المتوفى قبل مولد المعري بنحو خمسة قرون اقرب اليهِ في تحببهِ على المشرب المالكة ونعيبهِ

(1) The Insanity of Genius by Nisbet.

على الدنيا من الشريف الرضيّ ومهيار الديلمي وهما من شعراء عصره · وبعضهم يقسمهم حسب الاسلوب اللغوي ولا بأس بهذا التقسيم اذا كان الغرض منهُ لغويًّا ولكنهُ لا يغني في نقد الشعر وتقدير الشاعر · وبعضهم يقسمهم حسب الموضوعات التي يتناولونها في اشعارهم وكان الاحرى ان يعنوا بكيفية تناول تلك الموضوعات لا بمجرد تناولها · ومنهم من اذا بحث في الاخلاق اغفل البواعث الباطنة وتمسك منها بعنواناتها المنكشفة ومن هؤلاء من قارن بين المعري وابي العتاهية فابعد البون بينهما لأن ابا العتاهية كان يكنز المال وهو يذم الدنيا ويذكّر الناس بالموت ولم يكن المعري كذلك · ولعمري ان كنز ابي العتاهية للمال لأدل على صحة خوفهِ من الموت وابين لمزاجهِ السوداوي من القصد وتصديق القول بالعمل· والعجيب اننا كنا نناقش بعض الادباء في هذا الصدد فقال ان المعري نفسهُ كان يكره ان يقارن بابي العتاهية واستشهد بقولهِ فيهِ :

ابدى العتاهيُّ نسكاً وتاب من ذكر عتبه
والخوف ألزم سفيا نَ ان يغرّق كتبه

كأن رأي الشاعر في نفسهِ حجة على الناس في النظر اليهِ وكأن المعري كان يحسن الظن بنسك احد غير ابي العتاهية وهو الذي شمل الاتقياء بقولهِ

قد حجب النور والضياء وانما ديننا رياء
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك اتقياء
لا يكذبن امرؤ جهولٌ ما فيك لله اولياء

ولا نخالنا نغضب روح المعري اذا قلنا انهُ لولا عماهُ وتربيتهُ الاولى وبيت العلم الذي نشأ فيهِ والكوارث التي نكبتهُ في صباهُ والقلاقل التي فشت في زمانهِ وشيء من ضعف البنية وما خلفهُ الجدريُّ والحصبة في جسمهِ منذ طفولتهِ لما كان بعيداً ان ينحو بهِ المزاج السوداوي نحواً آخر غير الزهد والعزلة

كراهة البشر

وقد يرتكب بعض نقاد الغرب مثل هذا الخطإ في تقسيم الشعراء الى فئتين : محبي البشر (Philenthrope) وكارهي البشر (Misanthrope) لانهم يعدون من كارهي البشر اولئك الشعراء الذين يسخطون على الناس ويتبرمون بهم ويتجنبون مخالطتهم · وعلى هذا عد المعري أكره الناس للناس لقولهِ على الاقل

هل يغسل الناسَ عن وجه الثرى مطرٌ فما بقوا لم يبارح وجههُ دنسُ
والارضُ ليس يرجوّ طهارتها الاَّ اذا زال عن آفاقها الأنسُ .

والحقيقة ان اكره الناس للناس واضرهم بهم ليسوا بمعزل عنهم بل هم الذين يعيشون معهم حيث يصل اليهم اذاهم. واذا استعملنا المجاز قلنا انهُ لا يقهر الناس الاَّ رجل يخوض معهم غمار هذا المعترك و يقاتلهم بسلاح امضى من سلاحهم . اما المتنائي عنهم فلا يكون الاَّ رجلاً طرح السلاح والتزم موقف الحيدة . والانسان لا ينفر عن الناس لانهُ لم يستطع ان يكرههم وهو عائش بينهم بل لانهُ لا يجد فيهم من يحبونهُ كما يحبهم . وكم كان المعري يعدل عن سوء ظنهِ بالناس و يسترسل اليهم فيردهُ اذاهم الى سوء الظن بهم و يعجب لنفسهِ كيف ذهل عن رأيهِ فيهم فيقول :—

طهارة مثلي في التباعد عنكمُ وقربكمُ يجني همومي وادناسي
واعجب مني كيف اخطئُ دائماً على انني من اعرف الناس بالناسِ

وهو قول رجل لا يتمالك نفسهُ ان ينبسط بالمودة لابناء جنسهِ ثم لا يلبث حتى ينقبض مكرها فيذوق لهذا الانقباض ألماً يجري على لسانهِ سخطاً وتذمراً وما هو بسخط ولا تذمر. وهل ترى في قولهِ :—

اذا كان اكرامي صديقيَ واجباً فاكرامُ نفسي لا محالةَ اوجبُ

او قولهِ :—

إنْ تُرِدْ أن تخصَّ حرًّا من النا سِ بخير فخصَّ نفسكَ قبلَهْ

الاَّ قول رجل يرى ان الانانية خلاف الواجب ولكنها امر تدعو اليهِ الضرورة وإلاَّ مجاهدة منهُ لاقناع نفسهِ بخلق جديد لا ترتاح اليهِ ؟ وهل قال المعري في الحفيظة على الناس اكثر مما قال في الحفيظة على نفسهِ او تمنى هلاكهم اكثر مما تمنى هلاكهُ هو نفسهِ ؟ فهل يقال ان المعري كاره لنفسهِ بالمعنى المفهوم من كراهة الانسان للبشر ؟ ولقد اوصى الإنس بالطير وهو يحذر بعضهم من بعض فقال

تصدقْ على الطير الغوادي بشربةٍ من الماء واعددها احق من الإنسِ
فما جنسها جانٍ عليك اذيةً بحالٍ اذا ما خفت من ذلك الجنسِ

فالرحمة ثابتة في طباعهِ الاَّ انهُ ينتقل بها من موضع الى موضع كما ينتقل المرء بالهدية المردودة

اشتراكيته

على ان للمعري ابياتاً في الرثاء لحال الفقراء كادت تسلكه في عداد شعراء الاشتراكية كقوله :—

لقد جاءنا هذا الشتاء وتحتهُ فقير معرًّى او امير مدوَّجُ
وقد يرزق المجدودُ اقوات امةٍ ويحرم قوتاً واحدٌ وهو احوجُ

وقوله : كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

وقوله : ان شقًّا يلوحُ في باطن البرَّةِ م قسمٌ بيني وبين الضعيفِ

نعم ان الاشتراكية لا تعتمد في حقوقها على الرحمة ولكنها لا تطلب من شعرائها اكثر مما قال المعري

الجبر وتحريم اللحم

وقد خصصنا الكلام الى الآن بدرس مزاج المعري لاننا لا نعود بفلسفة الرجل الأ الى مرجع واحد وراء كل مرجع وهو مزاجهُ وما اضافهُ اليهِ تأثير البيئة . فكل ما يؤثر عنهُ من التقشف والتشاؤم والقول بتنازع البقاء والنهي عن الزواج لم يزده الاطلاع والتحصيل الأ صيغة العبارة واصطلاحات العلم . وما قلناهُ عن هذه الآراء نقولهُ عن رأيهِ في الجبر وتحريم اللحوم . اما الجبر فهو سبيل كل رجل يشعر في نفسهِ بتضارب الاحساسات وتحكم الطبائع ويعلم بعد مكابدتها انهُ لا حيلة لهُ فيما يرضى او فيما يأبى وانهُ لا اختيار لعقلهِ فيما ينوي ولا فيما يصنع . وما كان التضارب في الاحساس والفكر احدٌ مكافحة المعري فانتهى بهِ الامر الى الجزم بان الارادة مغلولة والاهواء مستبدة والعقول مسخرة حيث يقول

وقد غلب الاحياء في كل وجهة هواهم وان كانوا غطارفةً غلبا

وحيث يقول

والعقل زين ولكن فوقهُ قدرٌ فما لهُ في ابتغاء الرزق تقديرُ

فهو مبتكر في مذهب الجبر لا مقلد . اما تحريم اللحوم فليس اعجب من القول بانهُ اتفق فيهِ ومذهب الهند . ولو كان المعري كاهناً هندياً برهمياً متريضاً لما عجبنا للامر لانهُ انما يخضع لسلطان عقيدة دينية ويخشى عقاب قدرة الهية . اما وهو رجل قد شكَّ في الديانات وهزأ بشعائرها وفرائضها فمن العجيب حقًّا ألا يكون لهُ باعث على ترك اللحم اربعين سنة إلاَّ الايمان بمذهب البراهمة . وعندنا ان المعري كان لا يشتهي اللحم بطبعهِ وكان فقيراً مع رحمة

مفرطة فيهِ وكان بهِ ميل الى تعذيب النفس كما هو شأن بعض اصحاب الامراض العصبية في رأي ماكس نوردو وغيرهِ من الاطباء · ولم يفدهُ عرفانهُ بمذهب الهنود البراهمة الاَّ اخراج هذه الاميال في صبغة مذهب فلسفي · ولهذا بدأنا مقالنا ونختمهُ بان مفتاح البحث في فلسفة المعري انما هو درس مزاجهِ ورد افكارهِ وخواطرهِ الى خواص هذا المزاج التي ساعدتها البيئة على الظهور

خاتمة

وقبل ان نختم هذا البحث نستحسن ان ننبه الى بعض مآخذ لاحظناها على احد اشياخنا الكاتبين عن المعري بياناً للفرق بين النقد النظري والنقد الاستقرائي فان الكاتب مع عنايتهِ بتتبع الآثار التاريخية وشرح احوال العصر الذي عاش فيهِ المعري لم يوفق الى انصاف المترجمين للمعري ولم يقدر آراءهم قدرها

فمن ذلك انهُ اشار الى قول من قال ان سبب سخط المعري على الدنيا عسر الهضم فتعجل برفضهِ وقرر استحالتهُ ولا برهان لديهِ ينقضهُ · ولا ندري نحن لماذا يستحيل عسر الهضم على رجل دائم الكآبة سوداوي المزاج مدمن لاكل البقول ملازم دارهُ لا يبرحها

وقارن بين ابي العلاء وابي العتاهية فقال « مرجليوث اجتهد في ان يقارن بين ابي العلاء وابي العتاهية في هذا الشعر الفلسفي فزعم ان بين الرجلين تشابها وتابعهُ على ذلك سلمون · ولقد كنا نحب ان نجتهد في بيان هذا الوهم الذي وقع فيهِ هذان العالمان لولا ان دائرة المعارف الاسلامية التي يكتبها المستشرقون سبقت الى هذا فجعلت قياس ابي العلاء الى ابي العتاهية ظلماً وحيفاً اذ كان ابو العتاهية يستقي من الدين و يتقيد بهِ وكان ابو العلاء يستقي من الفلسفة ولا يتقيد بالدين وهذا الفرق ظاهر الاثر في شعر الرجلين · وخصلة اخرى لم تلتفت اليها دائرة المعارف وهي ان ابا العتاهية على كثرة ما استعان بالدين في زهده الذي ملأ بهِ ديوانهُ كان فاسقاً مستهتراً بالمجون بخلاف ابي العلاء الذي استحلى الفلسفة واتهمهُ الناس بالزندقة والالحاد فانهُ لم يمل الى لهو ولم يذهب مذهب المجون »

فهو وافق دائرة المعارف ليخالف مرجليوث وسلمون ولكنهُ لم يشأ ان يوافق الدائرة كل الموافقة فذكر انهُ التفت الى شيء لم تلتفت اليهِ وهو مجون ابي العتاهية · على انهُ عاد بعد ذلك فاقتدى بالدائرة في مقارنتها المعري بابيقور وقال « ابو العلاء يرى رأي ابيقور هذا كما تدل عليهِ اللزوميات في مواضع كثيرة نجتزئ منها بقولهِ : —

ولم اعرض عن اللذات إلاّ　　لأن خيارها عني خنسنَهْ

فليس من الغريب بعد ذلك ان يشير ابو العلاء بالاشتراكية في النساء الخ » فكيف اذن تكون مجاراة اللذات روح فلسفة المعري الاخلاقية ولا يكون ثمت شبه بين شعرهِ وشعر ابي العتاهية لان هذا ماجن مستهتر باللذات ؟ اما نحن فلا يسعنا الآ ان نعجب برأي دائرة المعارف الاسلامية وان نسوقهُ شاهداً على ما فصلناهُ قبلُ في تحليل اطوار المزاج السوداوي وما ينتاب اصحابهُ من الاطوار المتناقضة ولا نقول كما قال ان المنطق لا يقبل المتناقضات فيلزم من ذلك ان يكون كل عقل منطقيًّا

ومع ان حضرة الكاتب حريص على ان يوصف بالتدقيق في استقصائهِ نراهُ يزعم ان المعري كان على « مذهب الباحثين من علماء الافرنج في هذه الايام » اي انهُ « يمنع ان يكون الناس مشتقين من سنخ واحد » ولا نعلم نحن ان هذا مذهب الباحثين من علماء الافرنج وانما هو خاطر مرجح عند طائفة منهم . ولا نحسب الكاتب كان يقبل ان ينسب الى المعري رأياً كهذا لو انهُ قاس درجة العلم في عصرهِ قياساً دقيقاً (اولاً) لان القائلين بهذا الرأي من علماء اليوم لم يعمدوا اليهِ الآ بعد إنعامهم في درس مسألة الانواع والاجناس درساً علميًّا استقرائيًّا (ثانياً) لان كلام المعري كلهُ خلو من كلمة اخرى تسندهُ . وما اراد المعري بقولهِ :

وما آدم في مذهب العقل واحدٌ　　ولكنهُ عند القياس اوادمُ

الآ ان آدم هذا المذكور في الكتب الدينية ليس باقدم آباء البشر و يفسر هذا المعنى قولهُ في بيت آخر

جائز ان يكون آدم هذا　　قبلهُ آدمٌ على إثر آدم

فليس الخلاف بين المعري والمتدينة على عدد اصول النوع البشري بل على قدم اولها واين هذا من رأي تلك الطائفة من علماء اليوم ؟

ونكتفي بهذا القدر اذ كنا لا نقصد الى نقد الكتاب وانما مررنا بما لهُ مساس بموضوعنا . وللكلام على آداب المعري ومعارفهِ فرصة اخرى　　　عباس محمود العقاد

مصر منذ تسعين سنة

(١٠)

وداع القاهرة

ها انا مغادر القاهرة مدينة الغرائب والعجائب . افارقها على اضطرار واسف بعد ان مكثت فيها ثمانية شهور درست فيها حالة مصر والمصريين وتعودت معيشتهم وخبرت احوال الشرق والشرقيين وعوائدهم . تركت مدينة الآثار وقد كانت زاهية زاهرة حية عامرة والآن قد عبث الدهر بقصورها وجوامعها ومبانيها الفخمة وعفت رسومها فاصبحت خرائب دارسة . كانت القاهرة كغيرها من مدن الشرق لابسة ثوباً قشيباً من الحضارة والنماء وزاهرة في العلوم والفنون والآن اصبح ثوبها هذا بالياً . على انني ارى ان دلائل الحياة والنمو تجددت فيها ولا بد ان يأتي يوم قريب تصبح قاعدة الصلات بين الغرب والشرق او بين اوربا والهند الانكليزية

احصاء سكان القطر المصري

وفي هذا المقام اذكر تعداد اهالي القطر المصري بحسب الاحصاء الاخير الذي عملتهُ الحكومة من عهد قريب . وقد اتبعت فيهِ طريقة غريبة غير وافية ولا مدققة ولكن يمكن بواسطتها معرفة عدد السكان بوجه التقريب . فليس عند الحكومة المصرية قيد ولا سجلات للمواليد والوفيات لمعرفة عدد الاهالي ولم تتبع في التعداد الطريقة المتبعة في اوربا في احصاء سكان كل حي ومسكن مأهول بل اتخذت عدد البيوت والمساكن قاعدة للاحصاء وهذه الطريقة كثيرة الخطاء كما لا يخفى . فحسبت ثمانية نفوس في كل مسكن من مساكن القاهرة . وستة في كل بيت من بيوت الارياف وقراها . وخمسة في كل بيت من مدن الاسكندرية وبولاق ومصر القديمة ورشيد . واما دمياط فلما كانت مدينة عامرة كثيرة السكان افترضت في كل بيت منها ستة نفوس . فبلغ تعداد سكان القطر المصري على هذه الطريقة من الاحصاء ٢٥٠٠٠٠٠ مليونين ونصفاً من النفوس منها مليون ومئتا الف من الذكور والباقي من الاناث . ومن الذكور اربعمائة الف من القادرين على حمل السلاح . وظاهر من هذا الاحصاء ان مليونين من المصريين مسلمون و ٢٥ الفاً قبط . وعشرة آلاف ترك وارناؤد . وخمسة آلاف سوريون مسيحيون . وخمسة آلاف روم . والفين ارمن . وخمسة آلاف يهود . ونحو سبعين الفاً من النوبيين والبرابرة والعبيد . ولا يدخل في هذا الاحصاء

العربان والعرب الرحّل وسكان الواحات والصحاري فليس لهم منازل للاحصاء . واما سكان القاهرة وحدها فبلغوا ثلاثمائة الف نفس

الذهبية او المركب

نقلت كل صناديقي وامتعتي التي جمعتها في مصر حتى رياش بيتي واقفاص الطيور الى الذهبية او المركب الذي استأجرتهُ وكان راسياً في مرفإِ بولاق واخذت جاريتي زينب وامتعتها . وقبل ان ابرح القاهرة قصدت ان اودع اصدقائي ومواطنيَّ . فذهبت الى مدام بونوم ترجمانتي فقادتني الى مخازنها الداخلية وارتني شيئاً كثيراً من امتعة السفر من خيام ومظالّ وادوات الطبخ ومقددات ومأكولات محفوظة ومشروبات فابتعت شيئاً منها يكفيني للوصول الى سوريا . ثم اوقفتني امام مجموعة من الرايات واعلام الدول المختلفة وقالت لي انتقِ ما تشاءُ من هذه الرايات . فقلت لها وما فائدتي منها فهل رتبتي حامل اللواء وهل انا ذاهب للحرب . قالت ان كل السياح والافرنج يحملون معهم رايات الدولة التي ينتمون لها وينصبونها فوق خيامهم او يرفعونها فوق صواري المركب في اسفارهم النيلية لئلا يعتدي احد عليهم . فالرايات الاجنبية لها حرمة ومهابة في قلوب الاهالي وعدا ذلك فلست مضطراً ان ترفع راية دولتك الفرنسوية فان اكثر السيَّاح على اختلاف جنسيتهم يفضلون رفع الراية الانكليزية في هذه البلاد فوق خيامهم ومراكبهم النيلية لانها اكثر امنيةً ومهابةً في عيون الاهالي كما ان الراية الفرنسوية تفضل في سوريا على غيرها من اعلام الدول واما في بلاد فلسطين فاكثر السياح يرفعون راية دولة سردينيا الكاثوليكية (كانت وقتئذٍ تحت حكم آل سافوى ملوك ايطاليا الآن) فانها اكثر قبولاً وحرمة عند ابناء الاراضي المقدسة فقلت لها اذا كان ولا بدَّ من ذلك فلا ارفع الا راية دولتي الفرنسوية

حفلة ختان

وفي صباح اليوم التالي اقلع بنا المركب من مرفإِ بولاق وكان راسياً بجانب قصر عظيم لاحد الامراء المماليك استولى عليهِ الباشا وجعلهُ مدرسة للصنائع والفنون الحربية . ورأيت هناك في فضاء واسع من الارض اكواماً من الفخار والخزف من جرار وازيار وقوارير وقلال وكلها من صنع بلاد الصعيد الاعلى تحمل من هناك على الطواف . وبعد ساعة وصلنا الى جزيرة رملية بين بولاق وامبابه وهناك سكنت الريح وغرز المركب في الرمال فغطس البحرية وكانوا ستة نفوس فدفعوا المركب الى الماء بعد تعب ومشقة وكانت وجوههم تتصبَّب

عرقاً و « الريس » جالس على المقعد فوق ظهر المركب يدخن بنارجيلته كانهُ باشا او اميرال اسطول يلقي الاوامر

كان المركب يسير بنا الهوينا، لسكون الريح الى ان وصلنا عند الظهر الى الضفة اليمنى على بعد ميل من بولاق عند حدائق شبرا بالقرب من قصر محمد علي باشا وهناك يكثر قصب الناب على ضفاف الماء . وقد نبت اسماعنا من نقنقة الضفادع فاين نبات اللوتس الارجواني والبردي واين طيور اللقالق التي كانت كثيرة على ضفاف النيل كما يصف لنا السياح الاقدمون ؟

ولما مالت الشمس للغروب رأينا من بعد انوار مصابيح تنعكس اشعتها الضئيلة عن الماء وسمعت انغام الرباب والناي والمزمار تتخللها النغمة الشرقية الشائقة « يا ليلي يا ليلي » وبلغ الى سمعي نشيد متكرر بدوي « يا ليالي الافراح » ولما قربنا من الشاطئ رأينا جمعاً كبيراً من الناس يموجون في ساحة واسعة وبينهم النساء القرويات والغلمان يمرحون و يرقصون وينشدون و يصفقون طرباً على قرع الطبل والدربكة فظننت انهم في حفلة عرس او مولد ولي كالموالد التي شهدتها في اسواق القاهرة . وبعد هنيهة وقف بنا المركب عند تلك القرية وامر الريس بانزال المراسي وطي الشراع فدهشت من ذلك وتقدمت اليه وسألته بحدة

ماذا تقصد هل تريد ان نبيت هذه الليلة هنا بعد ان قضينا ست ساعات في النيل لم نجتز فيها بعد ميلين . فاجاب بعدم اكتراث نعم لان الريح ساكنة (الهوا بطال) ولا يمكننا ان نقلع من هنا قبل عصاري الغد حينما تهب الرياح الجنوبية الغربية الموافقة لمسيرنا . قلت مر رجالك اذاً ان يجرُّوا المركب بالحبال من الشاطئ . قال يجب حينئذٍ ان ادفع لهم اجرة مضاعفة وعدا ذلك فليس في صك الاتفاق المعقود بيننا ما يضطرني الى جر المركب عند سكون الريح وحقيقة الامر ان قواس القنصلاتو الذي استأجرلي الذهبية من هذا المراكبي المدعو رمضان على اخذ منهُ صكاً مكتوباً باسمي وموقعاً عليهِ امام قاضي القسم . فرضخت لحكم القضاء وقلت للريس لا باس وسأبيت هذه الليلة في غرفة الذهبية . وكان فيها غرفتان مفروشتان ولها منافذ مشبكة مطلة على النيل وعلى ظهرها مقاعد شبه ايوان مفروش حوله قصاري الزهور والرياحين . فاجابني ولكنني ادعوك الى هذه البلدة لتشرف منزلي فعندي حفلة طهور اقيمت منذ امس وهذه هي الليلة الاخيرة . قلت ولكنني لا استطيع ترك جاريتي هنا وحدها . قال فلتأت معنا ولتقم مع حرمي فانها ستسر كثيراً وتشاركنا معنا بالفرح

فاوجست في بدء الامر خيفة ولكنني تأكدت بعد ذلك ان الرجل حسن الطوية كريم

الخلق وهو من اعالي تلك البلدة (شبرا البلد) المبنية على ضفاف الترعة الشبراوية . وانهُ اقام حفلة عائلية لختان ابنهِ اشترك فيها كل اقاربهِ واهل بلدتهِ حسب العادة

ولما وصلنا الى البلد ادخلنا الرجل الى منزلهِ وامامهُ ساحة واسعة ازدحم فيها الاهالي رجالاً ونساءٍ وغلماناً فاستقبلونا بالزغردة والاناشيد كأني اغسطس قيصر يدخل رومية ظافراً. فدخلت زينب الى غرفة حريم العريس ثم اخذ بيدي واجلسني على فراش امام رجل شيخ ذي لحية بيضاء وعرفني بهِ وقال لي انهُ ابوهُ وانهُ يعرف كثيرين من رجال الحملة الفرنسوية ويفهم شيئاً من هذه اللغة . فسررت جداً من هذا التعارف الا اني وجدت ان هذا الشيخ لا يفهم من لغتنا سوى بضع كلمات التقطها من افواه الجنود في الشوارع . وحدثت نفسي بان استأجر حماراً وارجع الى القاهرة عن طريق شبرا فاقضي السهرة في مكتبة مدام بونوم والهو بقراءة الجرائد ومطالعة الكتب دفعاً للملل ولكن التفاف القوم حول حلقة الرقص والاناشيد الوطنية على وقع المزمار والطبل الهاني عن هذا القصد . وطاف اناس يوزعون القهوة والتبغ على الحاضرين ووزعت « البوظة » في قصاع من خشب على النوبيين والبرابرة وكانوا حول حلقة الرقص وحدهم . والبوظة تصنع من نقيع الشعير وكانت معروفة عند المصريين الاقدمين وقد وصفها هيرودتس في كتابهِ عن مصر بانها « خمير الشعير »

ثم التفت نحو رفيقي الشيخ لاغور معهُ بالحديث وقلت لهُ هل رأيت نابوليون لما كان بمصر . فنظر اليَّ ببلاهة وظهر لي انهُ لم يفهم ما اقول وهز رأسهُ مستفهماً . فقلت لهُ عجباً الا تعرف نابوليون بونابرت وانت شيخ . فلما سمع كلمة بونابرت ابرقت اسارير وجههِ وحنى رأسهُ كثيراً الى الامام علامة الاحترام وبدأ ينشد نشيداً عربياً بدؤُهُ « يا سلام بونابارته » بالنغم الفرنسوي فعلمت ان هذا الجنرال لم يكن معروفاً في مصر الا بهذا الاسم . فاغرورقت عيناي بالدموع بينما كان الشيخ ينشد نغماً فرنسوياً وطنياً . ولما ذكرت لهُ اسماء القواد العظام الذين كانوا في الحملة كديزه وكليبر وبرتولوتي مدير الضبط والامن العام في مصر قال انه يعرف هذا الاخير وكان طويل القامة ضخم الجثة مهيب الطلعة والمصريون لا يحسنون النطق باسمهِ فكانوا يدعونهُ « فرخ الرومي » . وبدأ الشيخ ينشد نغماً عربياً كان شائعاً وقت الاحتلال هذه ترجمتهُ « حبيبي لابس برنيطة وعلى حزامه الشريط الاحمر . جيت ابوسه قال لي « آسبتاً » (توقف) الله يحرس لي سواد عيونه . عيونه عيون الغزلان . ياما احلى فرخ الرومي وفي ايده الفرمان بالعفو والامان »

ثم ابتدأت حفلة الختان فاجتمع القوم واركبوا الغلام ابن الريس على جواد وهو بثياب زاهية مقصبة وحوله رفقاؤه الغلمان في المدرسة ينشدون وفي عنق احدهم اللوحة التي كان يقرأ ويكتب فيها وعليها آية قرآنية من خطه وبجانبه العريف معلمه وفي الجانب الآخر الحلاق المطهر ومساعده وبين ايديهما الطشت والموسى وغيرهما من ادوات « التطهير » وسار هذا الموكب في طرقات البلدة بين زغردة النساء ودق الطبول ونغم المزمار ورش القائم بماء الزهور ولما رجع الموكب الى المنزل وقف اربعة من الغلمان وحملوا شالاً حريريًّا من اطرافه ووضعوا في وسطه لوحة الغلام المشار اليها وداروا بين القوم يجمعون النقود او النقطة و يقال لها عندهم « الصرافة » باسم الغلام والحقيقة انها لابيه اعانة له مقابل النفقات التي صرفها على الحفلة

ثم جاء دور الحلاق المطهر فجلس بين الغلام وذويه والطشت وادوات التطهير بين يديه وكان كل من الحضور يتقدم ويضع في الطشت بعض قطع من النقود وهي « نقوط » للمطهر ومساعده

ثم عملت عملية التطهير بين زغردة النساء واغاني القوم وضجيج الطبول ونغم المزمار والناي حتى لا يسمع صراخ الولد المتألم وبكاؤه وعند ختام العملية وضعت الموائد للعشاء فجلس اولاً الحلاق المطهر ومساعده والعريف ثم اهالي البلد في دوائر او حلقات حول المائدة وكان كل من بالصف الاول يأخذ قطعة من اللحم فيقضم منها شيئًا و يناولها لمن كان خلفه في الصف الثاني وهكذا بالتتابع الى ان تصل الى الدائرة الاخيرة ولم يبق منها سوى العظم فيجردونها ويلقونها وراءهم الى دائرة الكلاب . وعند الفلاحين كل الناس يشتركون في الولائم والافراح حتى كلاب الحي . وهذا منتهى الكرم

فجلست اتفرج على هـذه الوليمة بسرور وعند ختامها وزعت القهوة على الحاضرين والبوظة على النوبيين ودار الرقص والغناء على وقع الناي والرباب الى ما بعد نصف الليل وكان ذلك ختام الحفلة

الغابة المتحجرة

استيقظت باكرًا والقوم كلهم نيام فبدأت افكر كيف اقضي ذلك اليوم الى ان تهب الريح الجنوبية عند المساء . فخطر على بالي « الغابة المتحجرة » وهي على بعد ساعة من القاهرة عند صحراء هليوبوليس . وكنت قد التقيت وانا في سيرا احد بلاد اليونان بصديق لي من ضباط البحرية الفرنسوية اهدى الي غدارة بديعة الصنع وطلب مني ان احضر له معي عند

رجوعي بعضٍ فلم متحجرة من هذه الغابة حتى اذا مررت على ازمير عند رجوعي من سوريا احضرها عند مدام كارترن دي فال بشارع الورد · ووعود السياح بعضهم لبعض مقدسة وكم كنت اذوب خجلاً لو انقضي بصديقي هذا مرَّة وقد اخلفت معهُ الوعد · وعدا ذلك فاني اتخذ هذه الفرصة لا تفرج على الغابة المتحجرة العجيبة والمسلَّة الفرعونية القريبة منها ·
فايقظت الريس وذكرت لهُ عزمي هذا فاحضر لي حماراً نشيطاً عارفاً الطريق فخرجت من البلدة وسرت على ضفة الترعة الشرقاوية ورأيت آثار ترعة ادريان القديمة التي حفرت على عهد ادريانوس القيصر الروماني بين النيل والبحر الاحمر ومصبها بالقرب من مدينة السويس غير ان رمال الصحراء طمرتها من قديم الزمان ولم يبقَ سوى آثارها · والاراضي حول شبرا خصبة زاهرة تتخللها غابات النخيل · ومررنا في طريقنا على بساتين ورياض غناء من اشجار الموز والبرتقال · وهناك اراضٍ خصبة تروى من مياه الترعة او من النواعير (السواقي) تديرها الثيران · ولها في دورانها انين محزن كنوح الحمام · ثم اجتزنا ترعة الخليج المصري ووصلنا بعدها الى صحراء رملية قاحلة اشرفنا منها على جبل المقطم وظهرت لنا قباب قبور الخلفاء حيث دفن اكثر ابطال الاسلام وملوكهم كابن طولون وبيبرس والملك العادل ·
وبعد سير ساعة وصلنا الى مفازة هليوبوليس وهناك آثار السدّ القديم وكان قبلاً سدًّا متيناً عالياً اقيم حول هذه المدينة ليقي عاصمة الفراعنة وهيا كل معبوداتها من مياه الفيضان ومن سوافي رمال الصحراء الشرقية · ولم يبقَ الآن من هذه المدينة العظمى حجر على حجر سوى تلال وآكام وحفر واما مسلاَّتها واعمدة هيا كلها التي كانت تعد بالمئات فلم يبقَ منها سوى مسلة واحدة في وسط غابة · فاقبل خفيرها وقدم لي بعض اثمار وازهار ثم جلست استريح على قاعدة المسلَّة افكر فيما كانت عليهِ هذه المدينة من الحضارة والعظمة والهيا كل والابنية الفخمة كما وصفها سترابون وهيرودوتس وغيرهما من مؤَرخي اليونان وقالوا انها مهد العلوم في الشرق · وكان حول هيكل الشمس مئات من المسلات بين كل مسلة واخرى تمثال ابي الهول (سفنكس) لم يبقَ منها الى اواسط القرن الماضي سوى سفنكس واحد وثلاث مسلات نقل منها اثنتان الى الغرب · ورأيت على دهشة في خشرماً من النحل وكرهُ في نقرة عالية من المسلة ملأها عسلاً (وهنا ذكر السائح نقلاً عن الكتب والتقاليد القبطية التجاء العائلة المقدسة الى هذه المدينة عند مجيئها الى مصر وان احد سكانها اضافها عندهُ وهو اللص الذي صلب على اليمين) ·
وعلى بعد قليل من المسلة بلدة المطرية حيث العين والشجرة المنسوبتان للعذراء مريم وهذه

العين تنبع من الارض بين حجرين وقيل انها النبع الوحيد الموجود في البلاد المصرية ٠ واما الشجرة التي قيل ان العذراء جلست تحتها تستريح من وعثاء السفر مع طفلها ورجلها فهي شجرة جميز ولا اظن ان عمرها يبلغ اكثر من خمسماية او ستماية سنة ولكن من الممكن ان تكون فرعاً او فسيلة من الشجرة القديمة التي كانت على عهد المسيح ٠ وهذه الشجرة لها حرمة واكرام عند جميع المسيحيين على اختلاف نحلهم

رجعت من المطرية وسرت على آثار ترعة ادريان في الرمال وهناك طريق العربات بين القاهرة والسويس وبعد ان سرنا مسافة قليلة وصلنا الى ارض رملية حجرية (بين محطة الزيتون والمطرية الآن) تتخللها اشجار البلسم والطحلب والعوسج والنباتات الفطرية والشوكية وارومات غليظة جداً هائلة الكبر هي بقايا نخلات قديمة وهذه هي الغابة المتحجرة ٠ وقد اجتذب نظري رجم كبيرة من الحجارة الرملية المتكلسة اذا فتت واحد منها ترى داخله ممتلئاً من القوقع والمحار والاصداف التي لا توجد عادةً الا على شواطىء البحر الملح ٠ واغرب من ذلك انك تجد على بعض الحجارة او الحصى (الزلط) رسم اثمار واسماك ودويبات وعروق واغصان اشجار متحجرة ٠ فمتى كان هذا التحجر ؟ وهل كانت اراضي بلاد الدلتا مغمورة بمياه البحر المتوسط في العصور الخالية كما يذهب اليهِ بعض العلماء والمؤرخين ثم تغلب عليها طمي النيل شيئاً فشيئاً الى ان رجع البحر الى حدوده المعروفة الآن ؟ وكم من ملايين السنين مضت على هذا النشوء او التحول الحجري ؟ قال العلماء المتقدمون بالوحي ان وجود بعض رواميز الاصداف والاسماك والنباتات المتحجرة في اعالي الجبال وعلى بعد مئات من الاميال من البحر لدليل حسي على حقيقة حدوث الطوفان العام الذي طغى على وجه الارض واغرق المسكونة كلها كما جاء في التوراة ٠ ولكن فاتهم امر جوهري وهو انهم يحددون تاريخ حدوث الطوفان فيجعلونهُ نحو ستة آلاف سنة وهذا التحول الحجري لا يمكن ان يتم باقل من ستة ملايين سنة فما هي الحقيقة ؟

السفر الى دمياط

ركبنا عصاري ذلك اليوم في الذهبية فسارت بريح موافقة حتى وصلنا الى بطن البقرة حيث النقطة السفلى لزاوية الدلتا ٠ ثم غابت عنا رؤوس الاهرام واظلم الافق ٠ وكان مسيرنا في الفرع الشرقي اي على مجرى النيل الاصلي الذي يصب في دمياط وعلى ضفتي هذا الفرع اراضٍ خصبة ومروج زاهرة وبلاد عامرة ٠ فاجتزنا بلدة « شلقانية » المبنية على اثار مدينة سركاسورم القديمة ثم مررنا ببلدة دجوى وكانت منذ عهد قريب مركزاً او وكراً لعصابة لصوص النيل

يترصدون مرور المراكب ليلاً و يتبعونها سباحة ويختطفون ما تصل اليهِ ايديهم من البضائع والاموال ثم يختفون في الجزائر والآجام ٠ ومررنا على خرائب اتريب القديمة (قرب بنها) ٠ وفي اليوم التالي رسونا عند بلدة ميت غمر وهي كثيرة العمران والسكان وجامعها قديم جدًّا مأذنته مربعة الشكل كان قديمًا كنيسة مسيحية قبل الفتح الاسلامي ٠ واجتزنا بلدة ابو صير وهي بوزيرس القديمة ثم سمنود المبنية على آثار مدينة سبانيتوس القديمة ٠ وعلى مقربة من هذه البلدة آثار او خرائب هيكل مصري عظيم كثير القدم كان للمعبودة ايزيس مبني على اعمدة كثيرة فوق كل عمود تاج مزخرف بالنقوش البديعة تمثل رؤوس نساء بارزة ٠ وقد دك الاهالي اكثر هذه الاعمدة وقطعوها وصقلوها حجارة للطواحين

ورسونا في مساء اليوم الثالث امام مدينة المنصورة وقد اسفت جدًّا لاني لم اتمكن من التفرج على معامل تفريخ البيض المشهورة في هذه البلدة وعلى بيت ابن لقمان حيث اسر الملك لويس التاسع ٠ ولما صحونا عند الصباح من النوم فوجئنا بنبإٍ مزعج ذلك اننا رأينا العلم الاصفر مرفوعًا فوق مركز الصحة وقيل لنا ان اكثر بلاد الدلتا الى دمياط موبوءة بالطاعون ٠ فلم نتمكن من الدخول الى البلد لابتياع ما يلزمنا من موؤنة وغذاء وقد فرغ ما كان عندنا منها فواصلنا سيرنا الى بلدة فارسكور وهناك ظهرت امام اعيننا مجالي العمران والخصب و مناظر الطبيعة الجميلة من المروج المخصبة وغابات النخيل الزمردية ٠ ثم دخلنا في خليج مدينة دمياط وظهرت امامنا ابنيتها العامرة كدائرة حول الرصيف وهي على الطرز الايطالي مكللة واجهاتها وسطوحها بقصارى الزهور والرياحين ٠ ومدخل دمياط على هذا الوصف يشبه مدخل البندقية

فرسا بنا المركب في المرفإ الكبير امام بناية عظيمة عالية الجدران يخفق فوقها علم الحكومة الفرنسوية ولم يسمح لنا بالدخول الى المدينة الأصباحًا بعد ان يزورنا طبيب الكرنتينا وكان العلم الاصفر مرفوعًا فوقها دلالةً على ان المدينة موبوءة بالطاعون ٠ فقضينا الليلة في الذهبية وعند الصباح رفعتُ العلم الفرنسوي فوق ساري موءخرتها رقد الجأتني الضرورة لاعلان جنسيتي قبل ان يزورنا رجال الصحة ٠ وبعد ساعة اطل علينا من الشاطيء قواس قنصلية فرنسا وقال لي ان القنصل لما رأى العلم الفرنسوي على المركب ارسلهُ لينظر مَن القادم ويعرض عليهِ ما يريد من الخدمة والمساعدة ٠ فعرفتهُ بنفسي وقلت لهُ اني قادم من مصر ومسافر الى سوريا ومعي كتاب توصية من قنصل جنرال فرنسا الى قنصل دمياط واريد ان اقابلهُ واسلم الكتاب اليهِ بيدي فغاب القواس هنيهة ثم رجع ودعاني ان اذهب معهُ لمقابلة

القنصل · فلم يتيسر احد من رجال الحفظ والصحة على معارضة قواس القنصل · فخرجت من المركب واتبعته واوصاني ان لا المس احداً في الطريق ولا ادع احداً يلمسني وكان يسير امامي وهو بثوبه الالباني وغداراته في وسطه يقرع بعصاه الفضية المتوجة بتفاحة ذهبية على البلاط قرعاً عنيفاً متواصلاً ليبعد عن طريقي الناس والغلمان الذين ازدحموا ليتفرجوا علي · وكانت القنصلية على مقربة من الرصيف فدخلنا فيها واذا هي بناية كبيرة واسعة عالية كثيرة المداخل يقال لها « وكالة » (1) وفي اعلاها مسكن قنصل فرنسا ويدعى م · سرور · وهو سوري الاصل ومن كبار تجار الارز في دمياط فاصعدني القواس الى بهو كبير مفروش بافخر الرياش وفي صدره رجل جالس وهو بثياب شرقية فقال لي القواس هذا هو القنصل · فحنيت رأسي احتراماً واخرجت من جيبي كتاب التوصية وتقدمت لاسلمه اليه فرفع يده نحوي وقال لي بلهجة يشوبها الانتهار « آسبتا » اي توقف فعلمت ان الرجل يأبى ان يمسني لانه من حين ظهور الطاعون في دمياط انزوى في بيته لعدم الاختلاط باحد كانه في محجر صحي ثم خرج من باب ورجع وهو حامل ملقطاً والتقط به الكتاب من يدي ومزق غلافه بسكين واخرج الرسالة بالملقط وقرأها بدون ان يمسها كأنني مصاب بالطاعون مع اني آت من بلاد سليمة · ولما عرف من انا وما هي منزلتي بين قومي خفف شيئاً من حذره وعبوسته الاولى ورحب بي واشار الي ان اغتسل ودعاني للجلوس معه على مائدته للغداء

ثم دعا كاتب سره او ترجمانه (قونشلير) ليكون ترجماناً بيني وبينه لانه لا يحسن كثيراً التكلم باللغة الفرنسوية واظهر لي صريحاً ان دعوته لي للغداء داخلة ضمن حدود الكرنتينا فلا المس شيئاً الا ما يقدم لي الخادم وحينئذٍ تذكرت رفقائي رئيس المركب وبحريته وقد فرغت المؤونة من عندهم وحجر عليهم فلا يقدرون ان يختلطوا باحد فرجوت من القنصل ان يرسل لهم شيئاً من القوت ففعل وامر ان يقدم لهم الخبز والدجاج واللحم بواسطة القواس فشكرت القنصل على لطفه وكرمه والشرقيون معروفون بالكرم وحسن الضيافة ثم ذكرت له جاريتي زينب وطلبت احضارها الى القنصلية فحضرت مع القواس ولما مثلت امامه حدق فيها كثيراً فرأى ما هي عليه من غضاضة الصبا والجمال الجاري فقطب حاجبيه والتفت نحوي وسألني وهل انت مزمع ان تأخذ هذه المرأة معك الى فرنسا · قلت اذا شاءت ان ترافقني الى وطني فلا سبيل لي الى منعها · قال ولكن الا تعلم انها اذا وطئت الاراضي الفرنسوية فتكون حرة · قلت اني اعتبرها حرة منذ الآن · قال اولا تعلم انها اذا

---

(1) لم تزل هذه الوكالة باقية الى الآن الا ان معظمها خرائب متهدمة وهي ملك اسرة سرور

سئمت الاقامة في فرنسا وارادت الرجوع الى مصر فانك مضطر لتسفيرها على نفقتك . قلت اعلم ذلك . قال اني اشير عليك يا مسيو دي نرفال ان تبيعها هنا فانت سائح جوال في البلاد براً وبحراً ويشق عليك ان تصحب امرأة مثل هذه في اسفارك . قلت وكيف ابيعها في بلد موبوء بالطاعون فان ذلك منتهى القساوة . قال انت وشأنك اذاً . وغلب على ظني ان القنصل كان يقصد من ذلك ان يشتريها مني بثمن بخس ويجعلها خادمة في منزله . ثم ذكرت له بواسطة الترجمان ما حدث لي في القاهرة من امر السكنى والزواج وكيف اضطررت لمشترى الجارية فتبسم ضاحكاً

ثم انتقلنا بعد ذلك الى قاعة الاكل وكان في وسطها مائدة كبيرة مستديرة وعليها الاطباق وحولها الكراسي فاشار اليَّ القنصل بالجلوس على كرسي منفرد وجلس بازائي في الطرف الآخر وعلى يمينه القونشلير وعلى يساره ابنهُ وهو غلام صغير في السابعة من عمره . واما القواس فوقف بيننا كحاجز . وكنت اؤمل ان يدعو زينب لمشاركتنا في الغداء . وكانت متربعة على حصير عند مدخل باب الحريم فربما ظنت هذه الساذجة المسكينة اني احضرتها عند القنصل لكي ابيعها . وكان الخادم يقدم لنا الطعام على الطريقة الاوربية الأ انهُ كان يضع امامي صحافاً خصوصية لئلا اشترك مع الباقين في الصحفة العمومية منعاً للاختلاط . ثم بدأ الحديث بيننا فذكرت للقنصل مجمل رحلتي منذ خرجت من فرنسا وسياحتي في سويسرا والمانيا والنمسا وما لاقيتهُ من الحوادث النادرة في فينا والبندقية وبلاد اليونان وانتقالي من سيرا الى الاسكندرية واقامتي في القاهرة . وذكر لي انهُ ولد في سوريا وهو من الطائفة الكاثوليكية وانهُ يتاجر بين دمياط والشواطئ السورية بالارز والحبوب وغيرها [1] . واعتذر مني لعدم اشتراك زوجتهِ معنا في الاكل لان ذلك مخالف

---

(١) علمت بعد البحث الدقيق من بعض الاسر الدمياطية ان قنصل فرنسا الذي ذكرهُ هذا السائح هو ميخائيل بن جرجس سرور . واسرة سرور كانت في دمياط ذات وجاهة نشأت في دمشق الشام وهاجرت الى دمياط قبل عهد محمد علي باشا واكثر اعضائها كانوا قناصل لعدة دول . وقد عثرت على نشرة من ادارة التاريخ العام في الشرق طبعت في جنيف سنة ١٨٧١ جاء فيها تحت عنوان القناصل في الشرق ما يأتي « الكفاليير ميشل سرور . قنصل الولايات المتحدة الاميركية الشمالية في دمياط وعندهُ وسام من ملكة اسبانيا ايزابلا الكاثوليكية ولد سنة ١٧٩٧ وهو ابن حنا سرور المثري الوجيه قنصل انكلترا واسبانيا بدمياط وبعد وفاة ابيهِ سنة ١٨١٤ شغل الوظائف والرتب التي كانت لهُ وهو في السادسة عشرة من عمره وكان متضلعاً من لغات كثيرة . وفي عام ١٨٣٦ اسندت اليهِ وظيفة قنصل بروسيا ومنح الوسام الملوكي من الملكة ايزابلا الكاثوليكية . وفي سنة ١٨٦١ عين قنصلاً للولايات المتحدة الشمالية بأمر ملك بروسيا وهو ذو وجاهة كبيرة وبيتهُ مفتوح للضيوف والغرباء بكرم شرقي ومقرب من سمو محمد علي باشا وصديق حميم لسمو نجله ابرهيم باشا الذي يثق بهِ كثيراً ويكلفهُ قضاء اشغاله كلها »

للعوائد الشرقية ولكنهُ سيدتها لتقابلني وتعرفني بها . ثم لم يمضِ الاّ القليل حتى دخلت سيدة جميلة الطلعة في الثلاثين من عمرها رشيقة القوام كانت تخطو على مهل بخيلاء ودلال فجلست على مقعد عالٍ ذي وسائد من القطيفة (فوتيل) بعد ان حنت رأسها امامي مرحبة بي فوقفت احتراماً لها وكان شعرها الجميل معقوداً على رأسها وعلى كتفيها شال اصفر من الكشمير الحريري الغالي الثمن مشبوك بحلية كبيرة ذهبية مرصعة بالماس وعلى شعرها وزنديها حلى مرصعة بالحجارة الكريمة تسطع بهاء وكانت مكحلة العينين مزججة الحواجب على الطرز الشرقي فكانت على هذا الشكل وهي جالسة على المقعد الحريري المرتفع كأنها ملكة او عذراء رافائيل . وفي اثناء الطعام وجه القنصل نظر زوجته الى الجارية فكلمتها وسألتها بعض اسئلة لم افهم معناها . ثم امرت الخادم ان يأتيها بالطعام فاحضر لها سفرة صغيرة مستديرة ووضعها امامها فاكلت

وبعد الغداء خرجت لاتفرج على المدينة وتكرم القونشلير برافقتي فلم اجد فيها ما يستحق الذكر سوى الابنية المرصوصة حول رصيف المينا وهي على شكل قوس (امفيتياتر) بعضها فوق بعض وكان القواس يسير امامنا ويبعد عنا الناس بعصاه الفضية . ورأينا قبة ولي مشهور لها حرمة عند الاهالي وخصوصاً عند البحارة المسلمين . وزرنا كنيسة شرقية قديمة مبنية على الطرز البيزنطي من عهد الصليبيين . وعند باب المدينة تل اراكة مسوَّرة بباب مقفل على الدوام وربما كانت جزءاً من السور القديم ويقال انها مدفن عظام جنود القديس لويس الذين قتلوا تحت اسوار دمياط

وفي تلك الليلة رجعت الى الذهبية ونمت فيها وفي الصباح حضر اليَّ القواس وقال لي ان مركباً يونانياً يدعى «آجيا بربارة» سيقلع في مساء اليوم التالي من آخر بوغاز دمياط (رأس البر) وهو مسافر الى سوريا وان استعد للسفر فيه . وان مركباً للقنصل مشحوناً ارزاً سينقلني مع جاريتي وامتعتي في البوغاز الى هذا المركب اليوناني الراسي في عرض البحر . فسررت جداً من هذا النبإ غير المنتظر

ديمتري نقولا



قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيه كل ما يهم اهل البيت معرفته من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

المرأة الفرنسوية والحرب

رأينا في السينتفك اميركان فصلاً شائقاً بهذا العنوان من قلم احد مشاهير الكتاب. قال فيه ما فحواهُ :

ان تلبية النساء الاوربيات لداعي الحرب باتت امراً شائعاً عاماً حتى الفته البلاد المحايدة ولم تعد تحفل بهِ كثيراً . وقد تحررت بهِ المرأة من تقاليد القرون الماضية التي كانت تقضي عليها بالوقوف مكتوفة اليدين ترى الحوادث تجري امامها ولا تمد اليها يداً

فقد جاءت الانباء من باريس بوجه خاص ان الامهات والاخوات والحليلات والخليلات اقبلن زرافات الى المعامل واماكن الاعمال الوضيعة وحللن محل الرجال فيها ليتفرغ هؤلاء لحمل السلاح والدفاع عن الوطن تحت راية الجمهورية

وبعد ان اشار الكاتب الى عشر صور نشرت مع مقالتهِ وهي تمثل النساء في الاماكن المختلفة قال ان النساء في معامل الميرة والذخيرة يعملن كل شيء من قوالب القنابل الى الكبسول والذخير . وقد دلت التجارب ان ايديهن التي سودها البارود وخبث المعادن تستطيع معالجة الخل وادارة الادوات المختلفة كما تستطيع معالجة الاعمال الدقيقة التي تقتضي رشاقة ولباقة وانتباهاً . وعجيب ان هذه النساء التي تعمل في المعامل لا تبدي ابتسامة دلالة على الاهتمام بالعمل والجد فيهِ والعلم بان لا وقت هناك للمزاح

ومن الاعمال الوضيعة التي تشتغل نساء باريس بها نظارة الكروم وقرع الطبول اعلاناً للاوقات فيها . ومنها توليهن نظارة محطات سكك الحديد في الاقاليم والاعمال التلغرافية فيها . وفي سكك حديد باريس الممدودة في انفاق تحت الارض ترى النساء واقفات عند المداخل والمخارج يراقبن تذاكر السفر بكفاءة لا تقل عن كفاءة احسن الرجال . وفي معظم المدن الفرنسوية وضعت حركات الترام والاومنيبوس وسائر المركبات العمومية في ايدي النساء فقمن بهذا العمل الشاق خير قيام لان كثيرات منهن جئن من الحقول والمزارع حيث تعودن المشقة منذ الصغر

وتوسع في العادة الفرنسوية القديمة وهي ان تقوم النساء باعمال الرجال في الحقول عند الاقتضاء حتى اصبح معظم الايدي العاملة فيها منهن دون الرجال · فترى المحراث يغرز في التربة تحت ايديهن اللطيفة الى حد ما كان يغرز تحت ايدي الرجال الجاسئة الخشنة · وليست قعقعة المنجل في ايديهن ولا خشخشة المحصد باخف وقعاً في الآذان منهما في ايدي الرجال وتراهن يجمعن الاثمار ويحزمنها حزماً وينقلنها الى المركبات ويعملن سائر ما شابه هذه الاعمال من متعلقات الحقول

وقد حللن محل الرجال كلهم تقريباً في الاشغال الكتابية المتعددة في اماكن التجارة وفي كثير من الدوائر البلدية · فهن يغسلن الشوارع ويخبزن الخبز ويسمّن الخيل ويحفرن في المناجم ويعتنين بالمرضى والجرحى · وليس ثمة عمل يعمله الرجال الا ويعملنه بمثل كفاءتهم ما خلا اعمال الحرب

فهذا المثل العالي منهن يدل على عزم فرنسا عزماً اكيداً ان لا تنكب القتال او تنتهي الحرب على شكل يجعل تجددها في الاستقبال امراً بعيد الاحتمال · فقد ذاعت في فرنسا منذ سنة حكاية لا نخالها الأ صحيحة · ومآلها انه لما قررت انكلترا الانضمام الى الحلفاء عرضت المانيا على فرنسا رد ولايتي الزاس ولورين بشرط ان تتعهد لالمانيا بعدم دخول الحرب وتعطي ضماناً بذلك · وفي هذا العرض ما فيه من تشويق فرنسا واغرائها ولاسيما ان تينك الولايتين اقتطعتا في حرب السبعين من لحمها الحي فجرحهما لم يندمل بل لا يزال نغاراً وان التأم فلينغر ثانية

وان الجرح ينغر بعد حين   اذا كان البناء على فساد

قالوا: وبدت علامات التردد من الحرب على اولي الامر عملاً بما في تلبية طلب المانيا من حقن الدماء واقتصاد الاموال ولكنهم عرضوا الامر على الامة الفرنسوية رسمياً لانهُ من حقها وخصوصاً النساء منها ان تبدي صوتها في المسئلة · فكان الجواب ما يأتي :

« اننا نرفض ما عرضت المانيا · نعم اننا نريد ولايتي الزاس ولورين ولكننا لا نحارب من اجلهما فقط بل نحارب من اجل اولادنا واولاد اولادنا لتبطل الحرب الى الابد · فاذا كان لا بد لنا من فقد ابنائنا وازواجنا وآبائنا واخوتنا واصحابنا فليكن ذلك ولكن لا مناص لنا من الحرب الى النهاية مهما كلفنا ذلك ولو آل الامر الى فنائنا القومي »

فهذه الحكاية قد تكون صحيحة وقد لا تكون ولكن وجود هذه الروح ظاهر كل الظهور فلا بدع اذا رأينا النساء ينضوين الى راية الوطن على مثل ما وصفنا من الغيرة والغيرية والتضحية

وقد صدَّر محرر السينتفك اميركان هذا المقال بتعليق قال فيه : ان لحكاية اشتراك نساء فرنسا وسائر الامم المتحاربة في هذه الحرب وحلولهنَّ محلَّ الرجال في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة وجهاً غير الوجه الذي يمس القلب والعواطف وهو وجه تعديل مسئلة العمل بعد الحرب بعد الذي ظهر من كفاءة النساء في كثير من فروع الاعمال التي استأثر بها الرجل دون المرأة · وهذه المسئلة من الشان بمكان عظيم ولاسيما بعد ما شاع وذاع ان النساء سيبقين بعد انقضاء الحرب في بعض فروع الاعمال التي يتولينها الآن

ابادة البعوض

معلوم من تجارب رس وغيره من المشاهير ان البترول او زيت الكاز خير الطرق لابادة البعوض (الناموس) · ويراعى في هذه الطريقة امران سرعة انتشار الزيت على وجه البركة التي يراد ابادة عوَم البعوض منها وعدم تبخره بسرعة · وقد وجد بالتجربة ان اوقية من الكيروزين (البترول الخام) كافية لتغطية ١٥ قدماً مربعة من سطح الماء · واذا كانت البركة غير معرضة للرياح بقي الزيت يغطي وجهها عشرة ايام · ومزية الكيروزين على الزيت الصرف في بطء تبخره

ويلزم الانتباه الى كل بقعة من الماء الراكد توجد حول المنازل ولاسيما اذا لم تكن في مهب الريح فانها مباءة للبعوض يبيض فيها ويتوالد بسرعة مدهشة · اما البقع المعرضة للريح فلا يستطيع البعوض ان يبيض فيها

وقد اكتشفت الحكومة الاميركية وهي تحارب البعوض في ترعة بناما مزيجاً فعالاً لابادته فاستعملت منهُ مقادير عظيمة · وهو مركب من الحامض الكربوليك والراتينج والصودا الكاوية · وغنيٌّ عن البيان انهُ حيثما يمكن ردم البرك والبحيرات والمستنقعات التي تركد المياه فيها فلا حاجة الى استعمال البترول او غيره

السمن والنحافة

بينما نرى البعض لا همَّ لهم الاَّ معالجة سمنهم قصد ازالته نرى البعض الآخر وهمُّهم الاعظم معالجة نحافتهم للحصول على السمن الذي يفر منهُ غيرهم · وقد يلجأ الفريقان عن سلامة طوية الى الاعلانات الكثيرة التي تنشر لمعالجة هذا وذاك فلا ينتفعون شيئاً غير

انفاق المال اذ لا مشاحة في ان السمن والنحافة يتبعان الامزجة فاصحاب الامزجة العصبية لا يسمنون ولو حقنوا ابدانهم بالدهن واصحاب الامزجة الدموية البلغمية يرون على الغالب سماناً . كذلك من الاجسام ما يكتسب السمن بعد بلوغ حدّ محدود من العمر . وكثيراً ما يسمن الناس في الشرق عند مجاوزة الثلاثين . ثم ان للمعدة دخلاً كبيراً في المسئلة فان كلّ ما يخلّ بالجهاز الهضمي يمنع التغذية التامة وبالتالي تجمُّع الدهن في الجسم . وعليهِ فاصحاب الامراض المعدية قلما يسمنون واذا سمنوا فان سمنهم ورم

على اننا مع هذا كلهِ لا ننسى ان الاقلال من اكل المواد الدهنية والنشوية وتناول الحوامض وكثرة الرياضة وقلة النوم تزيل السمن او تخففهُ كما اننا لا ننسى ان الالتجاء اليها قد يكون سبب ضرر للجسم . فيجب مشاورة الطبيب في ذلك مع العلم بان كثرة شرب المسكر وكثرة الاكل وتعدد اوقات الطعام وغيرها من عادات الهيئة الاجتماعية الحالية تفضي الى السمن وتخريب الصحة في وقت معاً

فضل كستبان المرأة

للكستبان الذي يسمى في الشام كشتباناً وقمعاً فضل في باب الاكتشاف والاختراع فان مردوك مكتشف الانارة بالغاز كان يشعل الغاز ذات يوم من انبوبة فاراد اطفاءهُ فتناول قمع امرأتهِ مسرعاً ووضعهُ على فوهة الانبوبة فانطفأ الضوء ولكن الغرفة امتلأت من رائحة الغاز فادنى لهباً من القمع فاشتعل الغاز لان القمع كان كثير الثقوب . ولكن ظهر لمردوك ان النور المنبثق من الثقوب ألمع من نور الغاز المشتعل على طرف الانبوبة . وبناء على هذا الاكتشاف عمل المصباح المعروف باسم «كوكسبر» وعلى مثالهِ تصنع المصابيح الغازية المتداولة

العصفور الدُّوري

لما حرّم في هذا القطر صيد العصفور السمين المعروف باسم «بكافيجا» جعل الصيادون يكثرون من صيد العصفور الدوري ويبيعونهُ فيلقون اقبالاً كثيراً او قليلاً تبعاً لاختلاف الذوق والعادة . والدوري كثير الهبر (اللحم الاحمر) قليل الدهن وطعم هبرهِ كطعم الهبر في الذ الطيور طعماً وربما فاق البكافيجا في ان لحم هذا اطيب ما يكون مشوياً ولكنهُ اذا شوي ذاب دهنهُ وهو الاكثر فلا يبقى منهُ الأ العظم والهبر وهو الاقل

وفي اوربا واميركا نوع من الدوري يسمى في اميركا الدوري الانكليزي وفي انكلترا دوري البيوت لملازمته اياها كما يسمى عندنا بالدوري لمثل ذلك . وقد سنت وزارة الزراعة الاميركية قانوناً اشارت فيهِ بابادة الدوري الانكليزي بدعوى انهُ « صخّاب قذر كثير الشقاق والخراب » . وقالت احدى الصحف الاميركية فيهِ « ان عصافير الغناء لن تعود الى حدائقنا حتى يبرحها الدوري » وعليهِ قاموا يجدُّون في صيدهِ ويخترعون الشراك لاقتناصهِ . وقالت الجريدة المشار اليها في حض القوم على صيدهِ : وليس ثمة ما يمنع اتخاذنا العصفور الدوري طعاماً لنا كما يصنع اهل اوربا منذ عدة قرون . فان لحمهُ لذيذ المذاق وكثرة عددهِ تعوضنا من صغر جسمهِ . ومنذ مدة صنع احد ولائم ولبعض اصحابهِ وكان افخر الالوان التي قدمت اليهم فطير صنع من الدوري فاكلوا مريئاً وهم يظنون انهم يأكلون لحم زغاليل « البوبولنك » (من افخر الطيور الاميركية) ولم يبح لهم بسر هذه الجفنة الانيقة الاَّ بعد انتهاء المأدبة »

غليسرين الخيار

قد يكون الخيار على شدة ولع الشرقيين بهِ كبير الضرر فانهُ عسر الهضم غالباً جالب للحميات ناقل للعدوى ومع ذلك ترانا نترقَّب ظهورهُ كلَّ عام بذاهب الصبر . ولو حسب بقلة كما هو في الحقيقة لوجب طبخهُ كسائر البقول قبل اكلهِ ولكننا نحسبهُ فاكهة فنأكلهُ بلا طبخ كما نأكل العنب والتفاح . اما الغربيون فقلما يتناولون شيئاً من البقول نيئاً واذا ارادوا عمل سلاطة منها غسلوها بالماء الغالي لقتل المكروبات التي قد تكون عالقة بها . وقد ذهب الغلو ببعضهم ان لا يأكل الفاكهة الاَّ مطبوخة

على ان للخيار حسنة لا تنكر وهي انهم يستخلصون منهُ مرهماً يسمونهُ مرهم الخيار ومنهُ يصنعون دهاناً عطرياً يسمونهُ غليسرين الخيار وهو مركب من احد اصناف الصابون النقي ومرهم الخيار وماء الورد والغليسرين العادي على نسبة ½ اوقية من الاول واوقية من الثاني و ٣٠ اوقية من الثالث واوقيتين من الرابع

ذبح الدجاج بلا ألم

اذا شئت تخفيف ألم الدجاجة عند ذبحها فاربطها برجليها وعلقها بمسمار ثم امسك بيدك اليسرى رأسها حيث يتصل بعنقها فتفتح فاها فمدَّ سكيناً حادة الى داخل حلقها واقطع حبلها الوريدي بوخزة فينزف دمها بلا ألم

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءُ منهُ كلهِ. ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما يأتي: (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق. فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ. فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

عظة الدهر لابناء العصر

لا تظلم الدهر مهما جار او عدلا ... ففي مدار القضا يجري القضا سُبُلا

والحي في ملتقى الاحوال تقذفهُ ... يد الزمان فلا يلقى لهُ حوَلا

من لم يطأطئ لدى الاحوال هامتهُ ... يظلّ في ملتقى الاحوال معتقلا

وللمقادير في مجرى الامور قوًى ... تقوى على ان تدكّ السهل والجبلا

في كفها تحمل الافلاك سائرةً ... فلا تضل السرى مهما سرت عجلا

ان الليالي اذا جنّت تراجع ما ... مضى نهاراً وتروي الحادث الجللا

تؤرّق الطفل في مهد الرضاع فان ... بكى شكا او جرى يستعجل الاجلا

يمسي الوليد وشعر الراس منظرهُ ... يبدو لناظرهِ كالليل مكتحلا

(ما بين غمضة عين وانتباهتها) ... يظل بالشيب شعر الراس مشتعلا

والناس ما بين غرٍّ مسّهُ خبَل ... وبين حرٍّ يرى التمويه مبتذلا

يغالب الدهر بالحسنى فيغلبهُ ... لدى النزال جباناً كان او بطلا

والحر يرجو اذا ما عاش يذكرهُ ... حيٌّ وان مات يبقى الذكر منتقلا

والخلق ما بين مفتون ومعتدل ... يرضى العدالة فيما قال او فعلا

لله ما شاء في تدبيرهِ حكم ... لا يدرك العقل من اسبابها عللا

فللسعود فريق لا يضل ولو ... شاء الضلال لضل القصد واعتدلا

وللنحوس فريق لو يساق الى ... حسن السبيل لما الفى لهُ سبلا

وما السعادة ان تسدى الامور الى ... من ليس يحسنها قولاً ولا عملا

وانما قسمة الارزاق يدركها … موفَّق جدَّ في الاسباب واتكلا
والدهر كالصلّ ان قاومت ثورتهُ … أبدى نيوب الاذى وانقض مقتتلا
دعهُ اذا ما قسا اولان غير شجٍ … ليقضي الله امراً شاءهُ ازلا
والدهر عاجلهُ ماضٍ وآجلهُ … كالظل اطول ما يبدو اذا افلا
فاصبر على ما تلاقي منهُ ان لهُ … حالاً تمرُّ وحالاً تشبه العسلا
وسالم الدهر والايام متقياً … من الاذى ما يسيء الحال والاملا
وارض الضمير وما يوحي اليك بهِ … ان كان قلبك بالاحسان مشتغلا
فمن عيوب الورى ان يستبدَّ فتى … بالامر لا ناقة يرجو ولا جملا
يكفي الاجير من الدنيا نزاهتهُ … وهي الشفيع لدى من يفهم الرجلا
فللقلوب وان دقاتها خفيت … عن العيون فعال تهدم الجبلا
وللتكهرب سر من تواصلهِ … مع الوجود يدوم الجذب متصلا
وللكواكب من حسن الادارة ما … يكون للمرء في اعمالهِ مثلا
كأنما الناس في ملهى الحياة لها … دور فتشهدهُ الاجيال والدولا
فليحسن المرء في التمثيل آيتهُ … كي يُشهد العلم من لم يَشهد العملا
ولا يشد يداً ان طوقت عنقاً … فاللين اولى بمن يقسو اذا عقلا
ومن يولِّ رقاب الناس راق لهُ … ذكر يطيب اذا ما ظلُّهُ رحلا
ومن يراقب صروف الدهر شاهدها … لا يقبل العد تفصيلاً ولا جملا
وشيمة الوغد كالحبلى يحار لدى … محمولها الرأي حتى تنتهي حبلا
تخال ظاهرهُ الحسنى وباطنهُ … كمرجل اججت احشاؤهُ فغلا
ينأى عبوساً ويدنو باسماً ويرى … طي ابتساماتهِ ما لو بدا قتلا
يختال بالناس للايقاع في شرك … من الشباك كمن يستدرج الحجلا
كم غادرٍ يقسم الايمان مدعياً … صدق الاخاء ويحوي قلبهُ دغلا
يرضى عن العيب ان حابى ويغضب ان … جافى كأن اساس العدل ما اعتدلا
ويزدري الفضل جهلاً منهُ اوحسداً … ما لم يكن راضياً عمن لهُ فعلا
وقلَّ عند ذوي الغايات منصف من … يرضي الضمير ولو يستشهد الرسلا
فاستكثر الخير للاخرى ولو كره الحسودُ واشتد يرجو دونهُ بدلا

والخير ان كان تفضيل فاحسنهُ ما يدفع الجوع او ما يدفع العللا
ومن رأى وجهة الاحسان قاصرة على سبيل تعدى الحد وانتقلا
وللحياة تقاليد وفي يدها من معجزات الاماني ما حلا وغلا
تبدو فيعدو لها العاني يمدُّ يداً وحظهُ بالندى حظ السراب جلا
يبني القصور مناماً في الهوا فاذا ما أَمَّها لا يرى قصراً ولا طللا
ومن رزايا الورى يشقى الحياة اب باسم البنين ولا يشكو الشقا خجلا
يواصل الليل سعياً بالنهار وما زار الكرى منهُ جفناً اوهوى مقلا
يقضي الليالي على ضيم وفي ضجر والابن يلهو وعن اشغالهِ غفلا
ومن تجافى رضا الاباء ضلَّ هدى واستغضب الله والاوطان والمللا
والله يرضى عن الابناء ما رضيت آباؤهم عن سلوك طاب واعتدلا
وما مجاهدة الآباء مجدية نفعاً اذا الابن من حسن الخلال خلا
كم والدٍ مرَّ ان يلقى الوليد نما جسماً وظن نمو العقل محتملا
فراعهُ اليأس واستلقى يعضُّ يداً ويصفق الكف حزناً صدَّع الجبلا
يمّ الفخار لمن لا مال في يدهِ يقيهِ مدُّ يدٍ قد تنثني شللا
ومن محت يدهُ عن وجههِ عرقا ينصبُّ من دمهِ كالدر منهملا
لا يبسط الكف تبذيراً ليخدعهُ بالمدح مستغفل ان آب او قفلا
وليس يحلو التحلي بالثياب اذا لم يتخذ دونها ثوب الحيا حللا
وما الرقي تعاليم نكررها لفظاً ونفخر من تسطيرها جملا
وانما ادب في النفس شب على حب الفضائل فاسترعى التقى عملا
وما تغني الفتى بالنفس يطربهُ مثل استماع صدى اعمالهِ نقلا
والفخر بالنسب الموروث منقصة ما لم يكن عمل الانسان متصلا
ومن تلاعب بالايام في صغر لمت بهِ كبراً واستدبرت مللا
ومن رأى ولداً ينأى بجانبهِ عن نصح والدهِ فليهدم السبلا
يلين قلباً ويحلو منطقاً ويفي عهداً ويرعى الوفا طفلاً ومكتهلا
يرعى الوليد صغيراً كي يكون غداً للوالدين يداً تسقيهما العسلا
فمن دم الابوين التفَّ ساعدهُ واشتد ساقاً وربى العظم والعضلا

وما الجهاد لتقويم النفوس بني عند امرئٍ يأنف الاهمال والكسلا

وللنجابة في وجه النجيب حلى تنمُّ عن خلق في خلقهِ كملا

والعقل كالشمس يلقى من اشعتهِ على الوجوه شعار النبل مختزلا

كأنما حدق الابصار آلةُ مر صدٍ ترينا الذكا ان قل او فضلا

والطفل كالزرع قد ينمو ولا ثمر يرجى لمن شاء يجني منهُ ما حملا

فلا يغرنَّك ان تلقاهُ في صغر عليهِ من لمحات الاذكياء طلا

ما احسن الابن يحلو ان نأى خبراً وان دنا طاول الجوزاء والحملا

يرضى الجبان اذا خارت عزائمهُ يوم الرهان يضحي النفس مختبلا

فلا ينال من الدنيا سعادتها ولا يرى نعمة الاخرى اذا وصلا

شتان بين دم يجري النشاط بهِ حيًّا وبين دم عن جريهِ بطلا

كأن للدم من جري النشاط يداً تثير في الجسم ما من حسهِ خدلا

ان الغيور اذا ناديتهُ ذنباً ابى وان يدعُ رأساً قام وارتجلا

ولا ينال المعالي من ينام على لين الفراش ويلقى عيشهُ ذللا

فالبس رداء على قدر الدثار بهِ واجعل زكاة الردا من جسمك البللا

واعمل وانت صغير ما تضيق بهِ ذرعاً اذا جف منك العود او ذبلا

وانبذ مطاوعة الداعي الى لعب فللاهي يشد الرحلَ من عطلا

وكن حليف حنان للدروس فما عهد الدراسة باقٍ لو بقَى اجلا

واقبل بقلبك وعياً واستمع اذناً وارع المعلم مهما اشتد او سهلا

فالمنهل العذب مهما عز موردهُ لا ينثني عنهُ عزم المرتجي املا

سارع اليهِ غلاماً كنت او هرماً واهدِ الزمان من الاعمال ما جملا

وجمِّل العلم بالآداب فهي لهُ كالملح إن يخلُ منهُ الزاد ما أكلا

وما ازدياد الفتى علماً يفيد اذا لم يكتسب ادباً يمحو بهِ الزللا

وحلية العلم تهذيب النفوس فان طاش امرؤٌ وادعاهُ عدَّ منتحلا

والعلم ان قل عند المرء يكسبهُ من الغرور ادعاء يخدع الجهلا

يأبى النصيحة كبراً وهو يجهلها ومن تمادى على فعل الخطا ثقلا

يخطو خطا الزهو والاعجاب من صلف ويرقص الكتف ان نودي وان سئلا

ورب عاتٍ يرى في موقف الشهوات خاشع الطرف من زلاتهِ وجلا

يسائل العفو ممن كان يقتنهُ بالامس كالمتناسي سوء ما فعلا
والدهر من شأنه يقتص واحدة منا بواحدة حالاً ومقتبلا
ومن رأى مصعداً بعد الصعود هوى فانهُ الرمز يتلو من علا نزلا
فليقلل الغرّ من غلوائهِ حذرا من كبوة يتوارى خلفها خجلا
وليس يجدي وقد زلت بهِ قدم يشكو القضا ندماً او يرتجي حيلا
وطيّ مختبأ الايام معضلة حب الحياة وان ضاقت بنا سبلا
إلام يشكو الورى والجيل يتبعهُ جيل على العهد والترتيب قد جبلا
وباطلاً زعموا ان الحياة لها صفو يدوم و يحلو كما صقلا
وليس في الناس من يدري بدايتها ولا نهايتها مهما ادعى الجدلا
وانما آيةٌ والله مودعها في الارض ما دام سرّ الشمس متصلا
ربِّ اهدني للصراط المستقيم ولا تجعل سوى العلم للابناء متكلا

الدكتور
السيد بك رفعت

شكر وايضاح

سيدي محرر المقتطف الزاهر

اشكر لكم اهتمامكم بانتقاد عبارات جاءت في ترجمتي لكتاب « فتوح البلدان » للبلاذري فضلاً عن الاشارة اليهِ وتقريظهِ في « مقتطف » آب (اغسطس) · بيد انهُ لا بدّ لي من الملاحظات الآتية

انهُ وان تبادر الى الذهن لاول وهلة ان المقصود من قول البلاذري في الصفحة الاولى « رددتُ من بعضهِ [الحديث] على بعض المقابلة والنقد — وهو ما فهمتموهُ من التعبير — الآ انهُ لدى مراجعة كتب اللغة تجدون ان المراد انما هو ما ذهبت اليهِ في الترجمة من معنى اللمّ والتركيب · واليكم ما جاء في « الفائق » للزمخشري جزء اول صفحة ٢٣٦ : « وردّ اولاها [الرعيّة] على أخراها ···· اي اذا استقدمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرّق ولكن يزع المستقدمة حتى تصل اليها المستأخرة فتكون مجتمعة متلاصقة » · وفي « النهاية » لابن الاثير جزء ثان صفحة ٧٥ : « تردّد بعض خلقهِ على بعض وتداخلت

اجزاؤهُ » وصفحة ٧٦ : « وردّ اولاها على أخراها اي اذا تقدّمت اوائلها وتباعدت عن الاواخر لم يدعها تتفرّق ولكن يحبس المتقدمة حتى تصل اليها المتأخرة » . والمعنى هذا هو الذي فهمهُ ده غويه على ما ذكر باللاتينية في آخر « فتوح البلدان » صفحة ٤٣

اما لفظة طوامير المرادفة لقراطيس فانهُ وان كان المعنى الشائع صحف البردي المستعملة للكتابة كما ذكرتم وكما نوّهتُ في الحاشية الاولى على الصفحة ٣٨٣ من ترجمتي الأ انهُ يلوح لي ان البلاذري استعملها بمعنى « البُرُد » اي الاقمشة ولذلك ترجمتها ب Fabrics واذا راجعتم « القاموس » « وتاج العروس » تبين لكم انها أُستعمل لذلك المعنى . وهو المعنى الذي فهمهُ زيدان في كتابهِ « تاريخ التمدُّن الاسلامي جزء اول صفحة ١٠٣ حيث قال : « والقراطيس بُرُد مصرية كانوا يحملون بها الانية والثياب » واشار اليهِ Lane في قاموسهِ المعروف تحت قرطاس حيث قال : "A kind of the fabric of Egypt." وربما كانت اللفظة (طومار) يونانية كما ذكرتم او ايثيوبية كما ذكر فرنكل (Frankel) في كتابهِ "Aramäischen Fremdwörter" صفحة ٢٥١

ولا يُفهم من ردّي هذا اني اعتقد في ترجمتي الكمال فاني اشعر اني برغم كوني بذلت المجهود في البحث والتنقيب فالترجمة لم تأتِ خلواً من الضعف في بعض التعابير وما ذلك الأ لصعوبة المسلك وتمقيد لغة الكتاب وبُعْد عهد مؤلّفهِ . واقبل في الختام فائق احترامي

جامعة كولمبيا — نيويورك فيليب حتي

[المقتطف] لو قال البلاذري "رددت بعضهُ على بعض" بغير حرف "من" كما قال الزمخشري « ردّ اولاها على اخراها » لما خامرنا ريب في صحة ما فهمتموهُ ولكن يبعد عن الظن انهُ ادخل هذا الحرف عبثاً . ثم انهُ ينتظر ممن عُني بجمع الاخبار المختلفة واختصارها مع ما فيها من الاختلاف والتناقض ان يعنى ايضاً بمعارضة بعضها ببعض لتمحيصها وابقاء الراجح وترك المرجوح عند اختصارها . ونفضل ان يكون هذا مراد البلاذري على ان يكون مرادهُ مجرّد « اللم والتركيب » لان المعنى الاول احرى بمن كان مثلهُ ولو كان المراد لا يدفع الايراد . ومع ذلك فقد يكون ما فهمتموهُ هو الصواب



استغلال الارض

(١٠)

يعتمد جمهور اصحاب المزارع المتوسطة و بعض اصحاب المزارع الواسعة في فلاحة غيطانهم على عمال من اصاغر الفلاحين يأخذون بدل عملهم جزءًا من محصول الغيط الذي يفلحونهُ بايديهم . وفلاحة الارض بهذه الطريقة (١) تخفف عن اصحاب الاطيان مؤنة دفع اجرة العمل نقدية اذ يتعسر على جمهورهم ذلك في اكثر الاوقات (٢) وفي بعض الاحوال تدعو العمال المزارعين الى الاجتهاد التام في فلاحة الارض التي سيأخذون جزءًا من غلتها . ولم اقل في اغلب الاحوال لاني رأيت في بعض من المزارع ان مزارعيها ليست عندهم هذه العاطفة اما لضعف هممهم و بصيرتهم او لسوء معاملة المالك لهم او للامرين معًا . فان المزارعين في الغالب لا يأخذون نصيبهم كلهُ في وقت تجهيز المحصول مرة واحدة حتى تقل الفرصة لسوء الحساب بينهم و بين المالك بل انهم لفقرهم يأخذون ما يلزم لمعيشتهم قبل حلول وقت المحصول . وكثيرًا ما يكون ذلك بصفة مرتب شهري اكثرهُ من الحبوب واقلهُ من النقود . فالعامل البليد يقنع بما يأخذهُ ولو كان دونًا لا يكاد يسد رمقهُ والمالك الطامع يحسب عليهم ما يأخذونهُ باغلى الاثمان وقلما ينصفهم بعد ذلك و يبني حسابهُ على انهُ اذا جاء المحصول رديئًا فلا يمكنهُ ان يسترد منهم ما كانوا اخذوهُ زيادة عن استحقاقهم . فكذلك اذا جاء المحصول حسنًا لا يعطيهم اكثر مما اخذوهُ و بين هاتين الحالتين وامثالهما تضيع مزية العمل بهذه الطريقة ولم أرها على اتمها الا عند بعض اصحاب المزارع المتوسطة الذين يباشرون اعمالهم بانفسهم فيأبون على مزارعيهم التواني والتكاسل وعلى ذمتهم الاجحاف في محاسبتهم

اما الجزء الذي يأخذهُ المزارعون بدل عملهم فيختلف باختلاف جودة الارض ونوع المحصول فيكون الخمس او الربع في الارض الاجود والزرع الاوفر غلة او الثلث الى النصف

في الارض الاقل جودة والزرع الادنى غلة وكذلك يختلف ايضاً باختلاف بعض الظروف الاخرى كما ترى تفصيلهُ في الامثلة التالية

(مثال اول) تكون خدمة اليد جميعها من حرث وزرع وري وتسميد وعزق وضم ودراس الخ على المزارع ولهُ الخمس في القطن والقمح والربع في الذرة وليس لهُ في البرسيم شيء بل هو للمواشي التي تعمل في الغيط. اما المواشي العاملة في الحرث والدراس والسواقي واجرة آلة الري الخ فتكون على صاحب الاطيان واذا لزم استكراه انفار في بعض مواسم العمل كالعزيق والجني لتشهيلها فتكون الاجرة على حساب المزارع . ولهُ ان يأخذ طلباتهِ في وسط السنة من صاحب الاطيان حبوباً بالاثمان المناسبة ونقدية بدون فايظ . وربما يشترط على المزارع رعي الماشية وتنظيف زرائبها. والمزارع الذي يشتغل بهذه الصفة يسمى في العرف بالمزابع وجمعهُ (مرابعين)

(مثال ثان) المزارع عليهِ جميع الخدمة سواء كانت يدوية او بالمواشي وجميع المصاريف الاخرى من اجرة ري وثمن تقاوي الخ ولهُ خمسان. وللمالك ٣ اخماس نظير الارض وليس عليهِ شيء. ولكن احياناً يكون مثال المحصول ونصف اجرة الخفر عليهِ. واذا اشترك المالك مع المزارع في الخدمة مناصفة يكون للمزارع خمس واحد فقط

(مثال ثالث) في زراعة الذرة خاصة بالجهات الجنوبية العالية على المزارع جميع الخدمة اليدوية من بدء التخفير الى التخزين بما في ذلك تطهير المراوي وتخزين نصيب صاحب الارض . واحياناً يكون على المزارع خدمة مواشي المالك مدة زراعة الذرة وخدمتهُ ايضاً مدة فراغهِ من الاعمال . اما في الجهات البحرية الواطية فيكون للمزارع الثلث ولاسيما اذا كان عليهِ التقاوي فاذا كان عليهِ استحضار السماد يكون لهُ النصف

(مثال رابع) في زراعة الارز خاصة على المزارع جميع الخدمة والمصاريف من اول الزراعة لآخرها بما فيهِ التقاوي والدراس ما عدا التلويط ولهُ في نظير ذلك الخمسان

(مثال خامس) في زراعة الشعير بالجهات البحرية الواطية على المزارع جميع الخدمة والمصاريف بما فيهِ التقاوي ولهُ الثلث اذا كانت الارض المزروعة باقا والا فلهُ الخمسان غالباً او النصف احياناً اذا كانت الارض رديئة

(مثال سادس) في زراعة القطن خاصة بالجهات البحرية على المزارع جميع

تجذير القمح

اكتشاف مهم في الزراعة

كان الدكتور هنري جسب المرسل الاميركي في بيروت يفتخر بانهُ وجد نبتةً من القمح فيها ٢٥ سنبلة و يريها لزوارهِ معجباً بها. اما نحن فرأينا نبتة واحدة فيها اكثر من مضاعف ذلك من السنابل . ولا نعلم ما هي الاسباب التي جعلت حبة القمح تولّد ذلك المقدار وغاية ما نعلمهُ ان الارض التي وجدت فيها جيرية قلما زرعت قبلاً وهي في مرتفع من الارض في ساحل بركة قارون

وقد قرأنا الآن في مجلة المعرفة الانكليزية مقالة وجيزة للقس ادورد سيلي قال فيها ان هذا التجذير او التكنين اي تولّد سنابل كثيرة من اصل واحد ناتج عن خاصة في نبات القمح فهو يجذّر دائماً ولكن اذا حضن اكثرهُ بالتراب عند اول ظهورهِ ثم حضن ثانية وثالثة كلما نما كثرت جذورهُ وفروعهُ وظهر في كل فرع منها سنبلة . وقد استنبط عزاقةً تشق الارض خطوطاً ضيقة عمق الخط منها عشرة سنتمترات فقط وتزرع فيها القمح تلقيطاً كما تزرع الذرة الشامية في هذا القطر . وتطمرهُ بقليل من التراب ثم يترك حتى ينمو و يصير في كل حبة ثلاث اوراق فتمر هذه العزاقة على مساطب الخطوط فتلقي منها تراباً يحضن القمح حتى يكاد يغمرهُ فتكثر جذورهُ و يزيد نموهُ وتتولّد منهُ فروع جديدة وكلما نما اعملت العزاقة حتى يحضن ثانية وثالثة . وفي العزاقة خمسة اسلحة و يجرها حصان او حصانان ولكن يمكن الاستغناء عنها عندنا بالعزق العادي كما يعزق القطن والخضر

وقد امتحن مخترع هذه العزاقة زرع الحنطة وحضنها كذلك فوجد ان الفدان الذي يزرع تلقيطاً على هذه الصورة تكفيهِ كيلتان من تقاوي القمح واما الفدان الذي يزرع بذراً حسب الطريقة المتبعة يلزم لهُ سبع كيلات . وسنابل الفدان الاول تكون اكثر من سنابل الفدان الثاني كثيراً واطول ومحصولهُ اكثر جدًّا

ترى في الصورة المقابلة سنابل حبتين من القمح المجذر او المكنن حسب هذه الطريقة وما فيهما من السنابل الكثيرة الكبيرة و بينهما نبات حبة مما زرع حسب الطريقة العادية وليس فيها الا خمس سنابل صغيرة . وترى في الصورة التي تحتها نبتين قطعت سنابلها وقطعا من الارض حتى ظهرت جذورها وهما من القمح الذي كنن او جذر . فعسى ان يجرّب ذلك بعض محبي التجارب الزراعية و يوافونا بنتيجة تجاربهم

محصول القطن المصري

حارت الافهام فيما اصاب موسم القطن المصري هذا العام فقد نبت قوياً وساعده الحر على النمو السريع وكانت مياه الري وافرة حتى اعتقد اكثر المقدرين انهُ يزيد على سبعة ملايين قنطار وقد يصل الى ثمانية ملايين . ولكن لما ابتدأ لوزهُ يظهر اتضح ان فروعهُ السفلى المسماة بالحرج قليلة جداً او مفقودة تماماً ثم ظهر ان زمام الاطيان المزروعة قطناً قليل اقل مما كان في السنين الاخيرة ما عدا السنة الماضية التي قلّل فيها الزمام قصداً بامر الحكومة . وجاءت ثالثة الاثافي بانتشار دودة اللوز ودودة البزر القرنفلية . وهذه الاخيرة قضت على ربع المحصول او على اكثر من ربعهِ ولا نبالغ اذا قلنا ان ثلث المحصول تلف تماماً قياساً على الاطيان التي رأيناها في القليوبية والغربية والفيوم ونعرف مقدار محصولها في السنوات الماضية . فان الاطيان الخصبة منها جداً التي كان متوسط محصول فدانها ستة قناطير الى ثمانية بلغ محصول الفدان منها الآن ثلاثة قناطير الى اربعة والتي كان متوسط محصول الفدان منها ثلاثة قناطير الى اربعة بلغ محصول الفدان منها الآن قنطارين ونصف قنطار الى ثلاثة . وكل الذين ذاكرناهم في هذا الموضوع من اصحاب الاطيان يقولون هذا القول و يشكون هذه الشكوى ولذلك لا نستغرب اذا بلغ متوسط محصول الفدان في القطر كلهِ اقل من ثلاثة قناطير وبلغ المحصول كلهُ اقل من خمسة ملايين قنطار . وارتفاع الاسعار يقوم مقام قلة المحصول في الغالب عند الذين تأخروا في بيع قطنهم الى حين ارتفاع سعرهِ فان سعر الكنتراتات بالغ عند كتابة هذه السطور ثلاثين ريالاً والقطن العفيفي يباع قنطارهُ في الارياف بستة جنيهات الى سبعة والسكلاريدس بسبعة جنيهات الى ثمانية وهي اسعار لم ترها مصر الأ زمن الحرب الاميركية منذ خمسين سنة

محصول القطن الاميركي

ان ما اصاب القطن المصري فقلل محصولهُ اصاب القطن الاميركي ايضاً فقلل محصولهُ كما قلل محصول القطن المصري وهاك جدول مساحة الاطيان التي زرعت قطناً في اميركا في السنين العشرين الماضية بالفدان واحوال الزراعة شهراً فشهراً ومقدار المحصول الذي نتج منها بالبالات الاميركية وزنة كل بالة خمسة قناطير

سنة	يونيو	يوليو	اغسطس	سبتمبر	اكتوبر	المساحة بالفدان	المحصول بالبالة
١٩١٦	٧٧ ٥	٨١ ١	٧٢ ٣	٦١ ٢	٥٦ ٣	٣٥ ٩٩٤ ٠٠٠	
١٩١٥	٨٠ ٠	٨٠ ٣	٧٥ ٣	٦٩ ٢	٦٠ ٨	٣٢ ١٠٧ ٠٠٠	١٢ ٠١٢ ٥٨٧
١٩١٤	٧٤ ٣	٧٩ ٦	٧٦ ٤	٧٨ ٠	٧٣ ٥	٣٦ ٨٣٢ ٠٠٠	١٦ ٧٣٨ ٢٤١
١٩١٣	٧٩ ١	٨١ ٨	٧٩ ٦	٦٨ ٢	٦٤ ١	٣٧ ٠٨٠ ٠٠٠	١٤ ٦١٣ ٩٦٤
١٩١٢	٧٨ ٩	٨٠ ٤	٧٦ ٥	٧٤ ٨	٦٩ ٦	٣٤ ٢٨٣ ٠٠٠	١٤ ٠٩٠ ٨٦٣
١٩١١	٨٧ ٧	٨٨ ٣	٨٩ ١	٧٣ ٢	٧١ ١	٣٦ ٠٦٥ ٠٠٠	١٦ ١٠٩ ٣٩٤
١٩١٠	٨٢ ٠	٨٠ ٧	٧٥ ٥	٧٢ ١	٦٥ ٩	٣٢ ٤٠٣ ٠٠٠	١٢ ١٢٠ ٠٩٥
١٩٠٩	٨١ ١	٧٤ ٦	٧١ ٩	٦٣ ٧	٥٨ ٥	٣٠ ٩٣٨ ٠٠٠	١٠ ٦٠٩ ٦٦٨
١٩٠٨	٧٩ ٧	٨١ ٢	٨٣ ٠	٧٦ ١	٦٩ ٧	٣٢ ٤٤٤ ٠٠٠	١٣ ٨٢٥ ٤٥٧
١٩٠٧	٧٠ ٥	٧٢ ٠	٧٥ ٠	٧٢ ٧	٦٧ ٧	٣١ ٣١١ ٠٠٠	١١ ٥٧١ ٩٦٦
١٩٠٦	٨٤ ٦	٨٣ ٣	٨٢ ٩	٧٧ ٣	٧١ ٦	٣١ ٣٧٤ ٠٠٠	١٣ ٥٧١ ٩٨٣
١٩٠٥	٧٧ ٢	٧٧ ٠	٧٤ ٩	٧٢ ١	٧١ ٢	٢٦ ١١٧ ١٥٣	١١ ٣٤٥ ٩٨٨
١٩٠٤	٨٣ ٠	٨٨ ٠	٩١ ٦	٨٤ ١	٧٥ ٨	٣٠ ٠٥٣ ٧٠٠	١٣ ٥٦٥ ٨٨٥
١٩٠٣	٧٤ ١	٧٧ ١	٧٩ ٧	٨١ ٢	٦٥ ١	٢٨ ٠١٦ ٨٩٣	١٠ ٠١١ ٠٠٠
١٩٠٢	٩٥ ١	٨٤ ٧	٨١ ٩	٦٤ ٠	٥٨ ٣	٢٧ ١١٤ ١٠٣	١٠ ٧٢٨ ٠٠٠
١٩٠١	٨١ ٥	٨١ ١	٧٧ ٢	٧١ ٤	٦١ ٤	٢٧ ٢٣٠ ٤١٤	١٠ ٦٨١ ٠٠٠
١٩٠٠	٨٢ ٥	٧٥ ٨	٧٦ ٠	٦٨ ٢	٦٧ ٠	٢٥ ٧٥٨ ١٣٩	١٠ ٣٨٣ ٠٠٠
١٨٩٩	٨٥ ٧	٨٧ ٨	٨٤ ٠	٦٨ ٥	٦٢ ٤	٣٤ ٢٧٥ ٠٠٠	٠٩ ٤٣٦ ٠٠٠
١٨٩٨	٨٩ ٠	٩١ ٢	٩١ ٢	٧٩ ٨	٧٥ ٤	٣٤ ٩٦٧ ٠٠٠	١١ ٢٧٥ ٠٠٠
١٨٩٧	٨٣ ٥	٨٦ ٠	٨٦ ٩	٧٨ ٣	٧٠ ٠	٣٤ ٣٢٠ ٠٠٠	١١ ٢٠٠ ٠٠٠

ويتضح من إنعام النظر في هذا الجدول وجود الارتباط بين حالة الزراعة ومقدار المحصول ولكن يجب ان يؤخذ متوسط الحالات في الاشهر الخمسة كلها . وقد كان المظنون في شهر سبتمبر ان محصول القطن الاميركي يبلغ ١١ مليونًا و ٨٠٠ الف بالة وفي شهر اغسطس انهُ يبلغ ١٢ مليونًا و ٨٠٠ الف بالة ولكن لما ظهر التقرير الاخير عن حالة القطن ترجح ان المحصول لا يبلغ ١١ مليون بالة ولذلك ارتفعت الاسعار كثيراً ولا تزال آخذة في الارتفاع

اين يصرّف القطن الاميركي

كانت معامل اميركا قبيل الحرب تأخذ اقل من ستة ملايين بالة من محصولها اما الآن فصارت تأخذ اكثر من سبعة ملايين بالة كما ترى في هذا الجدول

	موسم ١٩١٥	موسم ١٩١٤	موسم ١٩١٣	موسم ١٩١٢
اميركا	٧١٠٧٠٠٠	٦٢٣١٠٠٠	٥٧٧٢٠٠٠	٥٥٨٨٠٠٠
انكلترا	٣٢١٠٠٠٠	٣٢٠٩٠٠٠	٣٢٦١٠٠٠	٣٤٥٠٠٠٠
اوربا	٣٠٤٩٠٠٠	٣٩٢٠٠٠٠	٥١٩٤٠٠٠	٤٩٢٤٠٠٠
اليابان والمكسيك الخ	٠٥٣٧٠٠٠	٠٥٣١٠٠٠	٠٣٨٠٠٠٠	٤٠٧٠٠٠٠
المجموع	١٣٩٠٣٠٠٠	١٣٨٩١٠٠٠	١٤٥٥٣٠٠٠	١٤٣٦٩٠٠٠

مواسم اميركا

يظهر ان هذه السنة سنة محل في الولايات المتحدة الاميركية كما ترى في الجدول التالي من تقدير ديوان الزراعة لها في شهر سبتمبر الماضي

	تقدير المحصول في سبتمبر		ما بلغهُ في العام الماضي	
القمح	٠٦١١٠٠٠٠٠٠	بشل	١٠١٦٠٠٠٠٠٠	بشل
الذرة	٢٧٠١٠٠٠٠٠٠	«	٣٠٥٥٠٠٠٠٠٠	«
الاوت	١٢٣١٠٠٠٠٠٠	«	١٥٤٠٠٠٠٠٠٠	«
الشعير	٠١٨٤٠٠٠٠٠٠	«	٠٢٣٧٠٠٠٠٠٠	«
الراي	٠٠٤٢٩٠٠٠٠٠	«	٠٠٤٩٠٠٠٠٠٠	«
البطاطس	٠٣١٨٠٠٠٠٠٠	«	٠٣٥٩٠٠٠٠٠٠	«
البطاطا	٠٠٦٩٠٠٠٠٠٠	«	٠٠٧٤٠٠٠٠٠٠	«
الرز	٠٠٣٣٠٠٠٠٠٠	«	٠٠٢٩٠٠٠٠٠٠	«

فتقدير كل هذه الحاصلات يدلُّ على النقص الكبير فيها بالنسبة الى العام الماضي الأ الرز فان في محصولهِ زيادة قليلة . ومما يدل تقديرهُ على الزيادة ايضاً البنجر الذي يستخرج منهُ السكر فقدكان محصولهُ في العام الماضي ٦٥١٠٠٠٠ طن وقدر محصولهُ هذه السنة في شهر سبتمبر ٧٦٦٠٠٠٠ طن

باب الصناعة

الطيارات لقتال الغواصات

لا يفلُّ الحديد الأَّ الحديد . فلما تكرر فتك الغواصات حتى ضاق ارباب السفن بها ذرعاً قام المخترعون يحاربونها بالطيارات فقد ظهر لهم ان الطيار يرى الغواصة وهي غائصة في الماء و يقدّر عمقها تقديراً قريباً من الحقيقة فاستنبطوا قنبلة شديدة الانفجار اذا طرحت من الطيارة نزلت الى الماء وغاصت بسرعة وانفجرت حيث يريد الطيار ان تنفجر . وهي مؤلفة من وعاء مملوء بالمادة المتفجرة وفي رأسها انبوب صغير فيهِ قليل من معدن الصوديوم الذي يشتعل اذا مسهُ الماء وفيهِ ايضاً قليل من قطن البارود والمادة المتفرقعة التي توضع في الكبسول . و يتصل بوعاء القنبلة قرص مستدير يتحكم في سرعتها . وفي اعلاها ثقوب يدخل منها الماء فاذا دنت من الغواصة وصل الماء الى الصوديوم واشعلهُ فيشتعل بهِ قطن البارود وتنفجر القنبلة واذا حدث ما عاق الماء عن الدخول لإشعال الصوديوم في القنبلة آلة كهربائيــة متصلة بمخل في طرفهِ اسفنجة فمتى غاصت القنبلة في الماء ابتلَّت الاسفنجة وثقلت في طرف المخل فتحركهُ فيتصل المجرى الكهربائي وتتولَّد منهُ شرارة تشعل المادة المتفجرة التي في القنبلة

وقد نقلنا في الشكل القابل صورة طيار وطيارة وقد رمى قنبلة من هذه القنابل على غواصة في الماء فغاصت فيهِ فوق الغواصة . والى جانب الطيارة صورة هذه القنبلة وقد قطع جانب منها لكي يظهر باطنها

قياس الحرارة الشديدة

اذا كانت الحرارة شديدة جداً كالحرارة التي يصهر بها الحديد والفضة والذهب فالمقاييس العادية لا تصلح لها او لا يسهل استعمالها على الصنّاع في المعامل . وقد وُجد بالاختبار ان النور الذي يشع من معدنٍ حامٍ يكون سطوعهُ على نسبة حرارة ذلك المعدن اي اذا عرفنا مقدار نور الجسم الحامي عرفنا درجة حرارتهِ . فصنعت آلة سميت البيرومتر النظري فيها مصباح كهربائي صغير ينظر بها الصانع الى نور الجسم المحمى و يقابلهُ بنور المصباح الكهربائي و يتحكم بنور هذا المصباح حتى يصير نورهُ مماثلاً في سطوعهِ لنور المعدن

المحمى تماماً والتحكم بنور المصباح الكهربائي يكون بواسطة دائرة مقسومة الى درجات تعرف منها درجة حرارة النور الكهربائي فتعرف درجة حرارة المعدن المحمى لمماثلة نوره حينئذٍ للنور الكهربائي

تلوين النحاس

النحاس الاصفر والاحمر يسهل تلوينهما بما يراد من الالوان وطريقة ذلك ان تمزج اكسيد الحديد والبلمباجين وتجبلها بالسبيرتو او الماء · والسبيرتو افضل لان المزيج يجف بسرعة · ثم ادهن النحاس بهذا المزيج وضعهُ في فرن او احمهِ بقنديل السبيرتو فيتغير لونهُ ويكتسب لوناً جديداً حسب ما في المزيج من اكسيد الحديد وحسب المدة التي تعرض فيها للحرارة · فاذا زاد اكسيد الحديد زاد اللون كمدة · ثم ينزع المزيج عن النحاس بفرشاة او خرقة مبللة بالسبيرتو ومتى نظف يدهن بورنيش يقيهِ من الصدإ ويمكن ان يسخن و يدهن بقليل من الشمع بدل الورنيش

و يمكن تلوين النحاس بلون اسمر بدهنهِ بمزيج من خلاَّت النحاس (الزنجار) وملح النشادر والخل · ويكون مقدار خلات النحاس ثلاثة اضعاف ملح النشادر فيكتسب النحاس لوناً اسمر وتشتدُّ سمرتهُ اذا اضيف الى المزيج قليل من الشب الازرق · واذا أُريد ان يكون النحاس اسمر ضارباً الى الحمرة فادهنهُ بمزيج من خلاَّت النحاس والزنجفر وملح النشادر والشب الابيض · و يكون كل من ملح النشادر والشب الابيض مضاعف خلاَّت النحاس والزنجفر · ثم يحمى النحاس كما تقدم · و يمكن تلوين النحاس بالوان زرقاء مختلفة بتغطيسهِ في مصهور كبد الكبريت ثم مسحهِ وغسلهِ وتكرير ذلك حتى يكتسب اللون المطلوب

المصنوعات الكهربائية

كانت قيمة المصنوعات الكيماوية الكهربائية في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٩٠٩ نحو ١٨ مليوناً ونصف مليون من الريالات فصارت سنة ١٩١٤ اكثر من ٢٩ مليوناً ونصف مليون وذلك عدا الحديد والصلب اللذين يسبكان بالاتاتين الكهربائية · فاذا حول هبوط الماء في شلال اسوان الى كهربائية فلا يبعد ان تستعمل لعمل المواد الكيماوية الكهربائية كالسياناميد ونحوهِ فيكون منها عمل نافع كثير الربح لاسيما وان اكثر ما يلزم لذلك الكهربائية التي تتولد من الشلال والنيتروجين من الهواء

النسيج من القرّاص

الحاجة ام الاختراع · لما قلّ الوارد من القطن والصوف الى بلاد الالمان مدة الحرب التفتوا الى نبات القرّاص وما في عروقهِ من الالياف فاستنبط احد الكيماويين طريقة لاستخراج هذه الالياف سليمة متينة فصارت تغزل وتنسج و يقال ان ما ينسج منها متين صقيل كانهُ منسوج من الحرير

السماد من الجلد الدبيغ

من الاختراعات التي دعت اليها الحاجة في بلاد الالمان مدة هذه الحرب استخراج السماد من قصاصة الجلود المدبوغة فان قصاصة الجلد المدبوغ لا تصلح للسماد لما فيها من التنين (مادة العفص الذي يدبغ بهِ الجلد) فاستنبط بعضهم طريقة لاستخراج التنين من القصاصة وهي ان تنظف اولاً مما هو عالق بها من المواد الدهنية ثم توضع في سائل قلوي على درجة ٥٠ الى ٦٠ بميزان فارنهيت فيخرج التنين منها ثم تعاد معالجتها بالمادة القلوية فتصير سماداً من اصلح الاسمدة للمزروعات · والتنين لا يطرح بل يستخرج كلهُ من السائل القلوي لانهُ ثمين كالسماد

سقوط العتب الاكبر في كبري سنت لورنس

ذكرنا في مقتطف سبتمبر ان كبري سنت لورنس باميركا وهو اكبر كباري الحديد سقط في النهر لخلل فيهِ

وقد اقيم بعدهُ كبري آخر تلافى مهندسوهُ الخطأ الذي وقع في الكبري الاول ولكنهم وقعوا في خطإٍ آخر فان العتب الاوسط ثقلهُ خمسة آلاف طن وطولهُ ٦٤٠ قدماً ويؤلف مع الكابولين اللذين يتصل بهما حينما يوضع في محلهِ باباً سعتهُ ١٨٠٠ قدم · ولما تم عملهُ حمل على القوارب المتينة وجيء بهِ الى ما بين الكابولين ليرفع الى مكانهِ ١٤٥ قدماً وكان ذلك في الحادي عشر من شهر سبتمبر الماضي فربط بالسلاسل من زواياهُ الاربع واخذت الآلات المائية المعدة لرفعهِ ترفعهُ رويداً رويداً وكان المقدَّر ان رفعهُ يتمُّ في ٢٠ ساعة ولكن لم يكد يرتفع بضع اقدام حتى افلتت زاوية من زواياهُ الاربع فالتوى واختلت موازنتهُ فسقط وغاص في الماء حيث العمق مئتا قدم ولا يرجى اخراجهُ من هناك

ولا بدَّ من انفاق مليون من الريالات وانقضاء سنة اخرى من الزمان حتى يصنع عتب آخر بدلاً منهُ



THE INSECT AND RELATED PESTS OE EGYPT.

حشرات مصر

بحث المستر ولككس في الحشرات التي تضرُّ المزروعات والاشجار المثمرة وغير المثمرة والحيوانات الاهلية والحاصلات المخزونة والمباني والامتعة والتي تضرُّ الانسان ايضاً من حيث نقلها مكروبات الامراض اليهِ · ومرادهُ ان يصدر كتباً في ذلك يذكر فيها طبائع هذه الحشرات وكيفية اتقائها · وقد اصدر الآن الجزء الاول من المجلد الاول وموضوعهُ دودة بزر القطن القرنفلية وهو كتاب كبير باللغة الانكليزية مزدان بالصور الجميلة لتوضيحهِ ولكنهُ مطبوع بحروف فرنسوية قلما ترتاح اليها عين من الف مطالعة الكتب الانكليزية · وما اعظم الضرر الذي لحق بالقطر المصري من جراء هذه الدودة الصغيرة فقد قدَّرهُ المؤلف عن موسم سنة ١٩١٣ بنحو تسعة ملايين جنيه اذا فرض ان نقص المحصول بسببها كان قنطاراً ونصف قنطار من كل فدان وكان ثمن القنطار ١٧ ريالاً وعليهِ فضررها في محصولنا الحاضر اكثر من مضاعف ذلك لان ثمن القنطار مع بزرتهِ اكثر من ٣٤ ريالاً · وعلى كل حال لا يقل ضررها السنوي في القطر المصري عن عشرة ملايين من الجنيهات · فعدو مثل هذا يخسِّر القطر كل سنة اكثر من عشرة ملايين من الجنيهات يستحق ان تنفق الوف الجنيهات على درس اطوارهِ وطبائعهِ قصد الوصول الى آفة تهلكهُ او طريقة تخلصنا منهُ · ولكن هيهات فالمستر ولككس واخوانهُ اشتغلوا وتعبوا في السنوات الثلاث الماضية ولم يقل فتك هذه الدودة بل زاد · وسنأتي في الجزء التالي على بعض الفوائد من هذا الكتاب النفيس

ديوان عبد الرحمن شكري

اهدى الينا صاحب هذا الديوان الجزء الخامس منهُ وهو كالاجزاء السابقة في جودة النظم لفظاً ومعنى · وقد صدَّرهُ بمقدمة طويلة في الشعر ومذاهبهِ

المنظومات الدرّية

هو ديوان يحتوي على قصائد شتى من مديح وغزل وفخر وسياسة ورثاء بقلم الياس افندي طربية احد متخرجي مدرسة المحبة الاخوية في عرامون كسروان بجبل لبنان · وقد نظمهُ في بلاد الارجنتين احدى جمهوريات اميركا الجنوبية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف. ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) معنى ملكانية ويعقوبية ومیانية

شبراخيت . احمد افندي الصراف .

كنت اطالع في الجزء الثاني من خطط المقريزي طبعة المليجي سنة ١٣٢٤ هجرية فاذا في السطر الثالث من الصفحة ٥٩ قولهُ «فتحت ارض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية وميانية» فما مرادهُ بلفظة ملكانية ولفظة ميانية . اما يعقوبية فاظن انها الفرقة التي يطلق الفرنسويون عليها اسم Jacobins . ارجو الاجابة في المقتطف

ج . اختلف المسيحيون من قديم الزمان في طبيعة السيد المسيح فقال بعضهم ان فيهِ طبيعة واحدة وكان زعيمهم الاسقف يعقوب البرادعي الذي نشأ في اواخر القرن السادس المسيحي فسموا يعاقبة نسبة اليهِ ويقال ان القبط الارثوذكس في مصر كانوا منهم . وقال بعضهم ان فيهِ طبيعتين وهم الاكثرون وكان منهم اهل القسطنطينية وبيت الملك فسموا ملكانية نسبة الى بيت الملك . ويظهر لنا ان المقريزي يريد بالميانية المانية نسبة الى ماني الفارسي الذي نشأ في اوائل القرن الثالث المسيحي وحاول المزج بين المسيحية والمجوسية وكثر اتباعهُ شرقاً وغرباً حتى كثر انصارهُ في رومية نفسها بين سنة ٢٧٠ و ٤٤٠ واليعقوبية غير الجاكوبيين الفرنسويين فان هؤلاء حزب سياسي نشأ سنة ١٧٨٩ سماهُ خصومهُ كذلك لان زعماءهُ كانوا يجتمعون في شارع سان جاك بباريس

(٢) معنى آلية

ومنهُ . اقرأ في المقتطف لفظة المواد الآليـة فما معنى الآلية وهل ياؤُها مشددة او مخففة

ج . ياؤُها مشدَّدة هكذا آليَّة نسبة الى آلة يراد بها ما كان اصلهُ حيًّا او من مادة حية كاللحم والجلد والشعر والتمر ويقابلهُ المواد الجمادية او المعدنية كالحديد والنحاس والماء. والذين عربوا الكتب العلمية في مصر استعملوا كلمة عضوية بدل آلية اما نحن ففي اول

عهدنا بالترجمة رأينا علماء العرب الاقدمين مثل ابن سينا يستعملون كلمة آلي وآليــة فجرينا مجراهم

(٣) دائرة معارف عربية

المنصورة . اليوزباشي ثابت افندي حسن عضو مجلس قرعة الدقهلية . اي الدائرتين تفضلون البستانية لغزارة مادتها او الوجدية لحداثتها

ج . لا تتذكر اننا رأينا الثانية او طالعنا شيئاً منها ان كنا قد رأيناها واما الاولى فحسنة جدًّا في بابها وحبذا لو تمّت او لو قام جماعة من محبي التقدم وجمعوا مالاً كافياً لانشاء دائرة معارف عربية مثل الدوائر الانكليزية والفرنسوية الكبرى . ولكن المال الذي يقتضيهِ هذا العمل حتى يأتي متقناً لا يقل عن عشرات الالوف من الجنيهات ولا يرجى ان يباع من الكتاب بعد اتمام طبعهِ ما يفي بربا المال الذي ينفق عليهِ

(٤) خضاب الشعر والصحة

ومنهُ . هل خضاب الشعر يضر بالصحة فوق ضررهِ الادبي

ج . اذا كان الخضاب نباتيًّا كالحناء فلا ضرر منه واذا كان معدنيًّا فبعضهُ سام كاملاح الرصاص و بعضهُ غير سام كاملاح الفضة ولكن من المحتمل انهُ يضر الشعر

(٥) صحة الاحلام

ومنهُ . رأيت في دائرة البستاني تأويلاً لرؤيا الذئب فهل في ذلك ما يؤيد الرأي القائل بتفسير الاحلام

ج . تجدون في مقتطف مايو الماضي كلاماً وافياً على الاحلام وعلاقتها بالحالم وهو لاكبر فيلسوف من فلاسفة العصر وفيهِ خلاصة ما يقال في هذا الموضوع وما قامت الادلة على اثباتهِ . اما ما ذكرتهُ دائرة المعارف فمنقول عن الدميري وهو مثل كثير مما ذكرهُ الدميري غفر الله لهُ لا يقوم دليل على صحتهِ

(٦) توارد الخواطر

ملوي . زكي افندي ناشد سركيس . قال امرء القيس في معلقتهِ

وقوفاً بها صحبي عليَّ مطيهم
يقولون لا تهلك اسى وتجمل

وقال طرفة بن العبد البكري مثلهُ ولكنهُ ابدل تجمل بتجلّدِ . فايهما نقل عن الآخر وهل ذلك جائز في الشعر

ج . يقال ان اتفاقهما من باب توارد الخواطر اي ان المعنى الذي طرقاهُ كان شائعاً فاتفق انهما عبرا عنهُ على اسلوب واحد واختلفا في القافية لاختلاف الروي في المعلقتين وذلك ليس مستبعداً او ليس في حد المحال ويجوز ان يكون قول طرفة من قبيل التضمين لقول امرء القيس او الاستعانة

(٧) سبب الشفق

مصر . احد المشتركين . ما سبب ظهور الشفق عند الغروب

ج . سببهُ انعكاس نور الشمس بعد غروبها عن الذرات العائمة في الهواء فان النور ينتشر من الشمس الى كل جهة فاذا هبطت تحت الافق درجة او درجتين او اكثر الى ١٨ درجة فان بعض اشعة النور الصادرة منها تنعكس عنَّا في الهواء من دقائق الهباء والبخار وترتد الينا فنرى بها ما انعكست عنهُ

ومنهُ . ما سبب الالوان الجميلة التي تظهر في السماء عند شروق الشمس وغروبها في اكثر الاحيان

ج . ان نور الشمس الذي يكوّن الشفق والفجر كما تقدم يكون اكثرهُ ناتجاً عن الانعكاس وبعضهُ عن الانكسار وقد يحلّ في الحالين الى الوانهِ او يمتص بعضهُ ويصل الينا البعض الاخر حسب ما يكون في الهواء من الهباء ودقائق البخار وذلك هو سبب الالوان الجميلة التي ترونها وسبب اختلافها

(٨) معنى ديموقراطي وارستقراطي

ومنهُ . ما اصل اشتقاق كلمتي ديموقراطي وارستقراطي اللتين نراهما في الكتب والجرائد

ج . ديموقراط يونانية مركبة من كلمتين ديموس اي شعب (وعندنا ان كلمة ذمة وذمي منها لان المراد بها الشعب المحكوم) وكراتين حكومة او سلطة . اي الحكومة التي من الشعب . وكلمة ارستقراطي مركبة من كلمتين يونانيتين ايضاً ارستوس اي الخاصة وكراتين اي حكومة ومعناها الحكومة التي يتولاها اعيان الشعب ثم صارت تطلق على اعيان الشعب انفسهم

(٩) شهوة الطعام

ومنهُ . اذا اشتهى الانسان نوعاً من الطعام ليكن ملوخياء او بامياء او اي صنف آخر فاي جزء من جسمهِ يطلب ذلك الصنف فيذكر انهُ يشتهيهِ

ج . ان شهوة الطعام فعل عصبي تدعو اليهِ حاجة الجسم الى الغذاء او يدعو اليهِ اعتياد الجسم الاكل في وقت محدود . واشتهاء هذا الطعام او ذاك بالذات نوع من تذكُّر اللذة التي كان الجسم يجدها باكل ذلك الطعام وهو ايضاً فعل عصبي . اما ماهية هذا الفعل العصبي فغير معلومة

(١٠) عفن الثياب

مصر . مصطفى رشيد بك . غسلت ملاءة فراش من تيل قبل استعمالها ثم كويت قبل جفافها وحُفظت بعد ذلك مندّاة بالماء قبل تمام جفافها في الدولاب الخاص بها فتسبب عن ذلك تعفن انتج فيها بقعاً صغيرة سوداء . فاي طريقة يمكن استعمالها لازالة هذه البقع

ج . في الصيدليات سائل يسمى ماء جافل eau de Javelle يزيل هذه البقع اذا كانت سطحيَّة واما اذا تمكن العفن من

الملاءة حتى اتلف خيوطها فهذه الخيوط تخات بسرعة في مكان البقع اي تخرق قبلما تخرّق الملاءة . ويصنع ماء جافل هذا باذابة كربونات البوتاسيوم وكلوريد الجير (مسحوق القصارة) بالماء

(١١) كذب الفراسة

جونديا هي بالبرازيل . الخواجه حسيب ابو خلف . وضع احد التجار خادماً في محله وكان قد قرأ بعض كتب الفراسة فاخذ يقابل اوصاف الخادم وحركاته وسكناته على ما قرأ من كتب الفراسة فوجد انهُ اذا صح علم الفراسة فلا يمكن ان يكون هذا الخادم صادقاً في خدمته . لكن الخادم كان يقوم بكل ما يطلب منهُ حق القيام . فاخذ يتنازع التاجر عاملان عامل الميل الى الخادم لانهُ قائم بما يطلب منهُ وعامل النفور منهُ لانهُ قد يمكن ان لا يكون صادقاً في خدمته كما يدل علم الفراسة . اخيراً تغلب عليه عامل الفراسة واخرجهُ من محله آسفاً على فراقه فهل يصح علم الفراسة وهل يمكن التعويل عليه

ج . ان الصحيح من الفراسة لا يدل على كون الخادم اميناً او غير امين والعلامات التي يقال انها تدل على ذلك لا يعوَّل عليها . راجعوا ما كتبناهُ في المجلدين ٢٦ و ٢٧ من المقتطف مقالات عنوانها الصحيح من الفراسة

(١٢) مشاهير رجال هذه الحرب

ومنهُ . من هم مشاهير رجال الحرب الاوربية الذين امتازوا على غيرهم وسيكون لهم اعظم ذكر في التاريخ سواءٌ كان من رجال السياسة او من رجال الحرب

ج . ان الذين امتازوا كثيرون والظاهر ان اشهرهم كتشنر في انكلترا وجوفر في فرنسا وهندنبرج في المانيا والارشيدوق نقولا في روسيا من رجال الحرب واسكوبث وغراي ولويد جورج في انكلترا وبريان في فرنسا والامبراطور ولهلم ومشيرهُ الدكتور بتمن هلفج في المانيا من رجال السياسة . وقد يشتهر غيرهم مثلهم قبل انتهاء هذه الحرب

(١٣) التزوج بين الاقارب

ومنهُ . ما هي آراء السر جورج داروِن المترجم في المجلد ٤٢ من المقتطف في تزوج اولاد الاعمام بعضهم ببعض

ج . لا نظن ان لهُ رأياً مخصوصاً في ذلك لانهُ كان رياضياً لا طبيعياً والمحقق ان تزوج الاقارب يضرُّ اذا كان فيهم مرض وراثي او استعداد لمرض وراثي وذلك لان الميل الى ذلك المرض يقوى باتصاله الى الاولاد من الاب والام معاً . ولكن اذا لم يكن فيهم مرض وراثي ولا ميل الى مرض وراثي فلم يقم دليل حتى الآن على ان تزوجهم يضرُّ بهم . ومن المرجح انهُ ينفعهم اذا كان فيهم صفة صالحة يحسن اثباتها وتقويتها . راجعوا ما كتبناهُ في هذا الموضوع في الجزء الاخير من المجلد التاسع والجزء الثالث من المجلد العاشر



اوجه القمر في شهر نوفمبر

	يوم	ساعة	دقيقة
الربع الاول	٢	٧	٥١ مساء
البدر	٩	١٠	١٨ ·
الربع الاخير	١٨	٠٠	١ صباحاً
الهلال	٢٥	١٠	٥٠ ·
القمر في الاوج	١٦	٤	٠٠ ·
· الحضيض	٢٧	٩	٤٢ مساء

السيارات

عطارد · يكون كوكب صباح في اول الشهر ثم لا يشاهد في آخره

الزهرة · تكون كوكب صباح

المريخ · يكون كوكب مساء

المشتري · يغرب نحو الساعة ٤ صباحاً

زحل · يشرق نحو الساعة ١٠ مساء

السر لودر برانتون

خسر العلم الطبيعي عموماً والطبي خصوصاً خسارة لا تقدر بوفاة السر لودر برانتون الطبيب الانكليزي المشهور توفي في ١٦ سبتمبر الماضي ولهُ من العمر ٧٣ سنة · ولد سنة ١٨٤٤ ودرس الطب في جامعة ادنبرج وفي باريس وفينا وبرلين وليبتسج · واختار الاقامة في لندن فعين استاذاً لعلم الاقراباذين في مستشفى مدلسكس وطبيباً مساعداً في مستشفى سان برثولوميو المشهور

واعظم ما اشتهر بهِ مباحثهُ في فعل الادوية في الجسم بجرَّب تجارب كثيرة في نفسهِ وفي الحيوانات للوصول الى غرضهِ · وسنة ١٨٨٥ نشر كتاباً في علم الاقراباذين (تركيب الادوية) والمواد الطبية والعلاج فطبع طبعات كثيرة في انكلترا وسائر اوربا

وفي سنة ١٨٨٦ عين عضواً في اللجنة التي انتدبت لفحص طريقة الحقن التي اتبعها باستور في معالجة الكَلَب · وسنة ١٨٨٩ عين عضواً في اللجنة التي انتدبها نظام حيدر اباد للبحث في فعل الكلوروفورم · وامتدت شهرتهُ في انكلترا في تشخيص الامراض حتى كان يستشار من كل حدب وصوب وبلغ في فن العلاج غاية ما بعدها غاية فادخل صنفاً جديداً من الادوية وهو المسمى vasodilator اي موسّع الاوعية الدموية · وهو اول من استعمل نيتريت الاميل في معالجة داء الالم الفؤادي (angina pectoris) فان فعلهُ الفسيولوجي مقاوم لاعظم اسباب هذا المرض اي اشتداد ضغط الدم

رآسة الولايات المتحدة الاميركية

في اوائل الشهر الجاري (نوفمبر) وبعبارة ادق في يوم الثلاثاء الاول بعد يوم الاثنين الاول منهُ ينتخب الاميركيون رئيسهم فاما ان يعاد انتخاب الدكتور ولسن الرئيس الحالي للمرة الثانية فتبقى مقاليد الاحكام في ايدي الديموقراطيين واما ان يفوز المستر هيوز مرشح الجمهوريين فتعود ازمة الاحكام الى يدهم

ومهما يكن من انتخاب هذا او ذاك فان الرئيس الجديد يتولى منصب الرآسة في ٤ مارس المقبل وفي خلال المدة التي تمرّ بين انتخابهِ وتوليهِ منصبهُ قلما يسمع الناس شيئاً عنهُ . اما مرشح الجمهوريين فقاضٍ من قضاة المحكمة العليا فلما رشح للرآسة اعتزل منصبهُ ليتفرغ لحركة الانتخاب وهو انكليزي الاصل من مقاطعة ويلس . والرئيس ولسن انكليزي الاصل ايضاً من اسكتلندا وكلاهما ابنا قسيس وقد كانت حرفتهما التدريس في اوائل عمرهما ثم انتقل الرئيس الى احدى الجامعات الكبرى حيث بقي استاذاً فيها ثم رئيساً لها الى ان انتخب رئيساً للجمهورية اما هيوز فاشتغل بالمحاماة ثم عين حاكماً لولاية نيويورك . واوجه الشبه بين الاثنين كثيرة حتى قال فيهما بعض الظرفاء ان هيوز هو ولسن ملتحٍ

ولما كان المستر هيوز حاكماً لنيويورك ارادت احدى الجامعات ان تدعوهُ لوضع حجر الزاوية في بناء منتداها فطلبوا من صديق لهُ وزميل قديم في المحاماة ان يدعوهُ لذلك فقال « لم تحسنوا الاختيار . انا آخر رجل يصلح لهذه المهمة . فانهُ منذ تولى هيوز منصب حاكم نيويورك اغلق بابهُ دون اخصائهِ واقربائهِ . ارسلوا اليهِ رجلاً غريباً يأتكم مسرعاً ولكن اذا ذهبت انا اليهِ لم يجب دعوتي خشية ان يكون ملبياً لداعي عامل شخصي و بالتالي لداعي عامل ينكرهُ و يكرههُ »

و يعيَّر الرئيس ولسن خصومهُ بعبارة قالها في خلال الحرب الحاضرة وهي « انا اكبر من ان احارب » . وقد فسرها احد اصحابهِ بقولهِ ان المستر ولسن اراد بهذه العبارة ان امتهُ العظيمة فوق كل محاولة يقصد بها استخدام قواها العظيمة للضرب على ايدي الامم الضعيفة (اشارة الى المكسيك) وانها تحتمل من الاذى والاهانة ما هو في طوق البشر قبل خوض المعترك

وعيّر بعضهم المستر هيوز بقولهِ انهُ ان كان ولسن اكبر من ان يحارب فهيوز اكبر من ان يتكلم اشار بذلك الى رفض المستر هيوز ان يبوح بسياستهِ قبل ترشحهِ لمنصب الرياسة . وانما رفض ذلك علماً منهُ انهُ لا يليق بقاضٍ من قضاة المحكمة العليا ان يدخل في المنازعات السياسية وهو في منصبهِ القضائي

علاقة اطلاق المدافع بالمطر

ثبت للعلماء ان لا علاقة البتة لاطلاق المدافع بنزول المطر ومع ذلك لا يزال هذا الوهم مستولياً على العقول في كل مكان حتى قالت مجلة نائشر الانكليزية في عدد اخير لا غنى عن نشر بلاغ علمي رسمي ليبدد الاشاعة التي شاعت عندنا في هذه الايام وهي ان سبب كثرة تهطال الامطار في انكلترا هذا الصيف الفائت كثرة اطلاق المدافع في فرنسا وفلاندر. فقد اقيمت التجارب في اوربا واميركا والاسكا واستراليا لتحقيق هذه العلاقة فظهر بطلانها. ثم انهُ لو استعملت قوة اطلاق المدافع كلها لازالة الحرارة واحداث البرد اللازم لانعقاد البخار مطراً ما كفت لذلك فكيف وهي لا تستعمل كلها لاحداث البرد. وكذلك يجب ان نذكر انهُ مرَّت بنا فترات بين مطر ومطر كان الطقس فيها على اصفى ما يكون في حين ان اطلاق المدافع كان جارياً مجراه المعتاد

الورق من حطب القطن

ذكرنا فيما سبق ان الالمان يسعون في عمل الورق من سوق القطن وليس ذلك بمستغرب فان القطن من الفصيلة الخبازية كالخبازى والملوخية والخطمي وهذه الفصيلة معروفة بكثيرة ما فيها من الالياف. وقد ظهر من تجارب بعض الاميركيين ان هذه الالياف يمكن عمل ورق منها وخيوط وحبال وان الخيوط يمكن ان تنسج ملابس. وقد جاء في قاموس الحاصلات الاقتصادية الذي تصدره حكومة الهند ان حطب القطن يحتوي اليافاً متينة طويلة تفصل عنهُ بالتعطين كما يصنع بالتيل والكتان وقد الم كثيرون من الباحثين الى ذلك منذ اكثر من عشرين سنة واشاروا باستخدام هذه الالياف في التجارة اي بنسج منسوجات منها ففي جزر سندونش مثلاً يصنع الاهالي خيوطاً متينة من الياف نبات يشبه نبات القطن في جميع اوصافهِ. وفي سنة ١٨٨٩ عرض في قسم المنسوجات من معرض باريس الذي اقيم في تلك السنة الياف متينة استخرجت من احد اصناف القطن المزروع في ولاية جورجيا الاميركية. وكان استخراجها من سوق القطن الخضراء بعد زرع القطن بستين يوماً

لحم صغار العجول

شاع في اوربا واميركا منذ عهد بعيد ان لحم العجول قبل بلوغها الاسبوع الثالث من عمرها لا يصلح طعاماً للناس حتى سنَّ بعض الحكومات قوانين يحظرون بها بيع هذا اللحم. ولكن يظهر من المباحث التي بحثها بعض العلماء حديثاً ان هذه الاشاعة ككثير غيرها من الاشاعات التي صدقتها العامة حتى العلماء بالتواتر لا بالمشاهدة والتقرير. فمنذ

بضع سنوات أطعم طبيب اميركي سبع عائلات مؤلفة من ٢٠ نفساً شيئاً من هذا اللحم في جملة طعامهم وبقي على ذلك مدة طويلة فلم يؤثر فيهم تأثيراً ضاراً . وظهر له من تجارب اخرى جربها بعد ذلك ان لحم البقر العادي وهذا اللحم ينهضمان بسرعة واحدة . وجرب آخر تجارب في لحم ار بعين عجلاً عمر اكبرها اسبوع واحد فظهر له بالتحليل الكيماوي ان لحمها لا يختلف اختلافاً فسيولوجياً يعتد به عن لحم البقر العادي وان الصنفين على درجة واحدة من حيث سهولة الانهضام . وأطعم بعض الفيرة لحم العجول الصغيرة ومنع عنها كل طعام آخر من الاطعمة المحتوية للنتروجين فنمت نمواً طبيعياً وسمنت وولدت أجراء تامة الخلق والعافية

تفتيح الازهار بالصناعة

منذ بضع سنوات قصد رجل فرنسوي انكلترا وجرب تجارب زراعية امام جماهير من المشاهدين فدهشوا أشد دهشة اذ لم يدركوا سر هذه التجارب . واهمها انهُ جاء بوردة تحمل ازهاراً لا تزال براعم وقال للشاهدين ان هذه البراعم ستتفتح ازهاراً كاملة في نحو عشر دقائق ثم شرع في تجربته فسقى الوردة وغطاها بغطاء من الزجاج مدة عشر دقائق ثم رفع الغطاء واذا بالمشاهدين يرون تحتهُ ورداً تام الانفتاح والتنوير . واذ رأى في وجوههم دلائل الشبهة والريبة في حقيقة ما يرون سمح لهم بالدنو من الوردة واقتطاف ما شاؤوا من ازهارها ففعلوا وتحققوا ان ليس في الامر تمويه او خداع . ولم يكشف السر الاَّ بعد مضي زمان طويل على هذه التجارب . والسر ان الرجل المشار اليه جاء بوردة توشك ازهارها ان تنفتح . وقبل التجربة بوقت قصير حفر خندقاً قريب الفعر حولها ووضع فيهِ شيئاً من الجير الحي بحيث لا يمس الجذور ثم ملأهُ تراباً كما كان قبل حفره . ولما شرع في تجربتهِ بدأ بصب الماء كما تقدم فتخلل الماء التراب واتصل بالجير فتولد من ذلك حرارة كثيرة وبخار أبقي حول الوردة بالغطاء الزجاجي الذي وضع عليها . فهذه الحرارة وهذا البخار اثرا تأثيراً شديداً في انماء الوردة على عجل وتفتيح ازهارها

وكثيراً ما ترى البستانيين يلجأون الى هذا المبدإ في تفتيح الازهار ولو اختلفت الطريقة . وذلك انهم يغطسون سوق النباتات في ماء شديد الحرارة مدة خمس دقائق فينفتح ما عليها من الزهر

الطبخ بالكهربائية

شاع استعمال حرارة الكهربائية لطبخ الطعام كما شاع استعمالها لتدفئة البيوت وزاد احد المخترعين الاميركيين على ذلك ان

اوصل آلة كالساعة بالموقد الكهربائي حتى تستغني بها ربة البيت عن خادم يلاحظ الطعام ويقطع المجرى الكهربائي حينما ينضج . فاذا كان طبخ الطعام يقتضي ساعتين مثلاً ادارت ربة البيت الساعة حتى تقطع المجرى الكهربائي بعد ساعتين تماماً فتقطعهُ في الميعاد اذ يكون الطعام قد نضج . واذا دعت الحال الى استعمال الغاز مع الكهربائية فالآلة توقد الغاز وتطفئهُ في الميعاد المحدَّد لها . ويقال ان الطبخ بالكهربائية اصلح من الطبخ على نار الفحم او الغاز لانهُ يسهل جعل الحرارة تحيط بالطعام الذي يراد طبخهُ من كل الجهات فينضج كلهُ معاً في وقت واحد . والظاهر ان النفقة اقل من نفقة الطبخ بالفحم او بالغاز

قوانين الصحة في الهند

كاد متولو شؤُون الصحة العامة في الهند يقنطون من اصلاح حال المنازل والشؤُون الصحية بين العامة لفرط ما يلقون من المعارضة بدعوى ان هذا القانون وذاك الامر يخالفان العقائد الدينية والتقاليد الاجتماعية المرعية من قديم الزمان . ومع ذلك كلهُ يجري مع قيام كثيرين من الكتَّاب الهنود يبينون لمواطنيهم خطأهم ويسفّهون معارضتهم . فقد كتب الدكتور « ماها ماهو باضيايا جنجا نات جا » مقالة جمع فيها قوانين السنسكريت القديمة بهذا الصدد وهي تبحث في صحة المنازل وتوصي بقواعد دقيقة جدّاً فيما يخصّ الطعام والشراب . وكثير منها على جانب من الحكمة والصواب تساعد موظفي الصحة العامة في حث الاهالي على العناية بصحتهم . وقد ختم الكاتب مقالتهُ بقولهِ : « ان اهل هذه البلاد القدماء عرفوا ومارسوا من قوانين الصحة ما لا يعرفهُ ابناؤُهم فكان جهل الابناء واهمالهم وخيم العاقبة عليهم »

النخل في اميركا

تستورد اميركا معظم بلحها وتمرها من بلاد جنوب اوربا وشمال افريقية . وقد قرأنا في السينتفك اميركان ان قسم التجارب الزراعية في جامعة اريزونا زرع منذ بضع سنوات مئتي نخلة فنمت احسن نموّ واخرجت في الموسم الماضي ٢٢ الف رطل من التمر الجيد بيع الرطل منهُ بسبعة عشر سنتاً او نحو ٤ ¾ الغرش . قالت الجريدة في التعليق على ذلك وقد اثبتت عمدة جامعة اريزونا ان زرع النخل يمكن ان يصبح تجارة رابحة في وادي نهر سولت وفي سائر الامكنة التي تشبههُ في اقليمهِ . وليس بين الاشجار ما هو اجمل منظراً من النخلة الباسقة واقوم ساقاً فهي احسن ما يزدان بهِ وجه المروج والحدائق وأُكُلها حلو لذيذ المطعم . وفي شمال افريقية يتخذهُ الاهالي طعاماً لهم يأكلونهُ كلّ يوم بين بلح وبُسْر ورُطَب وتمر

المجمع الزراعي الدولي

ذكرنا غير مرة انهُ انشئ مجمع دولي في رومية يبحث اعضاؤُهُ في ما يتعلق بالزراعة وقد اشتركت ٥٥ دولة وحكومة في عضويتهِ ولم توقف هذه الحرب اعضاءهُ عن الاجتماع مدة ما كانت ايطاليا ملازمة الحياد فلما دخلت الحرب مع الحلفاء اضطرَّ اعضاء المانيا والنمسا والمجر وتركيا وبلغاريا ان يغادروا رومية فانتقل المجمع كلهُ الى سويسرا . وهو المجمع العلمي الوحيد الذي لم تفصل الحرب بين اعضائهِ ولكن منشوراتهِ الشهرية التي تصدر بالانكليزية والفرنسوية والايطالية صارت خالية من الاشارة الى ما في المطبوعات الالمانية وغيرها من مطبوعات الدول المشايعة لالمانيا

الملاريا وعلب الصفيح

ظهر من البحث ان علب الصفيح التي تحفظ فيها اللحوم والاسماك المقددة وما اشبهها قد تكون بؤرة للامراض في البلاد التي يكثر فيها المطر . وذلك انها بعد اكل ما فيها تلقى في عرصات المنازل والمعامل فاذا نزل المطر وامتلأَت ماء امست مباءة لعوم البعوض . فلذلك تراهم في بعض البلاد اذا اكلوا ما فيها يثقبونها لكي لا يجتمع ماء المطر فيها

الورق في المانيا

لما اخذت المانيا تشعر بضيق نطاق الحصار الذي ضربهُ الحلفاء عليها جعلت تقتصد في جميع ضروب معيشتها كما هو مشهور وتصدر الاوامر والنواهي وتسن القوانين كلَّ يوم لتطبيق معايش رعيتها على الحالة الحاضرة في البلاد من حيث كثرة الحاجيات او قلتها . ومما اوصت بهِ في بعض منشوراتها جمع الورق القديم حيثما يوجد فعين في برلين وحدها ٤٥٠ مستودعاً لجمعهِ وفي بروسيا كلها الفا مستودع . ولتلاميذ المدارس اليد الطولى في هذا العمل وهم اقدر الفئات على جمع الورق . فاذا جاء الورق الى المستودع ارسل الى المعامل حيث ينظف ويصنع منهُ ورق جديد . ويعطى المكثرون من جمعهِ خواتم حديد جزاء تعبهم

قيمة النفاية

باعت بلدية احدى مدن انكلترا الصغيرة نفاية المنازل والدكاكين بمبلغ ٥٠٠ جنيه في السنة منها نحو ٢٠٠ ثمن خَبَث الحديد . ونحو ٥٠ جنيهاً ثمن بقايا السمنت ونحو ١٠٠ جنيه ثمن صفائح قديمة وغيرها . ونحو ١٤ جنيهاً ثمن ورق قديم والباقي ثمن نفايات اخرى . وقد زاد ثمن نفاية الورق والزجاج بسبب الحرب

سفينة من الخرسانة

بنت وزارة بحرية اسوج سفينة من الحجر والخرسانة اضلاعها من الفولاذ وحمولتها نحو الف طن · وقد بنتها على سبيل التجربة ويقال انها جاءت طبق مرامها فلذلك قررت ان تبني سفناً على مثالها تحمل ١٥ الف طن الى ٢٠ الفاً · وقد ارصت الآن ببناء سفينة تحمل ثلاثة آلاف طن لزيادة الاطمئنان

وليست السفينة المذكورة آنفاً باول سفينة صنعت من الحجر والخرسانة فقد صنع الانكليز سنة ١٩١٢ سفينة منها تمخر في قناة منشستر طولها ١٠٠ قدم وعرضها ٢٨ قدماً وعلوها ½٨ قدم · وفي سنة ١٨٤٩ بنى الفرنسويون سفينة من هذا النوع عرضوها في المعرض العام الذي اقيم سنة ١٨٥٥

نفاية السمك سماداً

يقدرون ان نفاية السمكة من امعائها ورأسها وذنبها وزعانفها تبلغ ربعها وزناً او اكثر من ذلك الى الثلث تبعاً لنوعها · وقد اخذوا يستعملون بعض هذه النفاية سماداً في كندا ولكن معظمها لا يزال يطرح جانباً ولا ينتفع بهِ · والمساعي مبذولة الآن لاستخدام النفاية كلها سماداً

اللبن من الفول

يصنع الصينيون لبناً من الفول والغالب انهم يصنعونهُ من فول الصويا وذلك بان يبلّوا الفول حتى يبتلَّ جيداً ويجرشوهُ بالرحى ثم يصفّوهُ باكياس من الشعر ويضيفوا اليهِ ماء ويغلوهُ ويصفّوهُ ثانية ويفرغوهُ في زجاجات ويبيعوهُ لبناً كلبن البقر · والغالب انهم يفعلون ذلك كلهُ ليلاً ثم يبيعونهُ في الصباح والذين يشترونهُ يعلمون انهُ مصنوع من الفول وهم يستطيبونهُ كلبن البقر وهو مغذٍ وسهل الهضم مثلهُ

البراميل من مصاصة القصب

ان مكرري السكر في جزائر هواي وجدوا مصاعب كبيرة في جلب الاكياس لارسال السكر بها الى اميركا فاستنبطوا طريقة لضغط المصاص وعمل البراميل منهُ وهي متينة يرسلون بها السكر ويجلبون البوتاس سماداً ويقال ان البراميل المصنوعة من المصاص لا يتخللها الماء ولا تحرقها النار ولا تنشق كما تنشق اكياس السكر المصنوعة من الخيش

الطيارات والتربيد

يقال ان ضابطاً اسوجياً اخترع آلة تمكّن الطيار من توجيه التربيد وهو غائص في البحر

قوام السيّار زُحل

قال المعري الشاعر الحكيم في بعض قصائده

زُحل اشرف الكواكب دارًا
من لقاء الردى على ميعادِ

ولا بدّ ما يتم قولهُ يومًا من الايام . اما الآن فزحل لم يزل في بداءة عمره ويظهر من ارصاده الاخيرة انهُ مؤلف من طبقات متراكزة الداخلة منها اسرع دورانًا من الخارجة

قناة جديدة

احتفل الفرنسويون في مايو الماضي بافتتاح قناة احتفروها بين بلدة ارل على نهر رون ومدينة مرسيليا وقد اضطروا الى حفر نفق في التلال الواقعة شمالي مرسيليا طولهُ $4\frac{1}{2}$ ميل وعرضهُ ٧٢ قدمًا وعمق الماء فيهِ ١٠ اقدام بحيث تستطيع القوارب الصغيرة ان تمخر فيهِ بين نهر رون ومرسيليا . وطول القناة نحو ٥٠ ميلاً

تشغيل الذين عموا بالحرب

من المعلوم ان حاستي السمع واللمس في الاعمى اقوى منها في البصير ولذلك رأى الفرنسويون ان يولوا الذين فقدوا بصرهم في الحرب العمل بالتلغراف اللاسلكي لانهُ يقتضي ان يكون العامل بهِ قوي السمع وشديد اللمس

ثمن احسن يد صناعية

تبرع فرنسوي مجهول الاسم بمبلغ الفي جنيه تعطى جائزة لمن يصنع احسن يد صناعية يستخدمها صاحبها برشاقة وخفة قلما تفرقان عمّا في اليد الطبيعية وقد مدّ اجل المسابقة الى ما بعد انتهاء الحرب بسنتين واشترط ان تكون مقتصرة على رعايا الحلفاء والمحايدين

نقل البريد بالبلون

جاء من فينا ان في النية تسيير الطيارات او البلونات بين برلين وفينا وبودابست وصوفيا والقسطنطينية لحمل البريد ويقال ان بعض البنوك عازمة ان تمد هذا المشروع بالمال لتحقيقهِ

الطيارات في هولندا

لم يكن يرى في جو هولندا منذ بضعة اشهر سوى طيارة واحدة حربيَّة اما الآن فيرى فيهِ بضعة طيارات والعمل جارٍ في معامل هولندا في انشاء الطيارات الحربية بكل معدَّاتها

حرارة الشمس

آخر تقدير لحرارة الشمس على سطحها هو تقدير العالم الفلكي بسكو من فرسوفيا عاصمة بولندا . فقد جاء فيهِ ان متوسط حرارة الشمس على سطحها ٧٤٠٠ درجة بمقياس سنتغراد

الخدمة والمصاريف الخ وله الثلث الا اذا كانت الارض رديئة فيكون له الخمسان واحياناً النصف

(مثال سابع) الشركة المحمولة (او فدان يخدم فداناً) استأجر زيد اطياناً بايجار معتدل فالزارع لها عليه عمل اليد جميعهُ والنصف في التقاوي وفي شغل المواشي واجرة الري وعليه نصف الايجار وله نصف المحصول نظير ذلك واذا كان معتاداً دفع جانب من الايجار في الصيف حيث النقود لدى الفلاحين شحيحة فلا يلزم الزارع بدفع شيء

(مثال ثامن) زيد له غيط ملك فزارعوهُ قد يشاركونهُ فيه بالكيفية الآتية

يحسب عليهم نصف ايجار الارض بمراعاة ان تكون قيمة الايجار اقل من قيمة المثل بنحو الربع او الثلث تقريباً ثم يقومون بمصاريف زراعتها وخدمتها بدون ان يكون على المالك شيء مطلقاً ولهم في نظير ذلك صافي نصف المحصول بعد تسديد ما يخصهم من الايجار فكأن المالك في نظير اعطائهم نصيبهم في الارض بايجار اقل من المثل يكون استفاد منهم خدمتهم له في النصف الآخر . وفي هذا المثال قد يلزم المالك بنصف اجرة جني القطن خاصة ونصف اجرة الخفر ايضاً

(مثال تاسع) في زراعة الذرة الغيطي في ارض الملق بالصعيد على المزارع جميع اجراآت الخدمة والري الخ وله الثلثان لان الري كلهُ بالآلات ويستدعي تعباً عظيماً وللمالك الثلث فقط نظير الارض

(مثال عاشر) في زراعة القصب في الصعيد خاصة على المزارع خدمة اليد فقط وله السدس والباقي للمالك نظير الارض والتقاوي والمواشي وماء الري

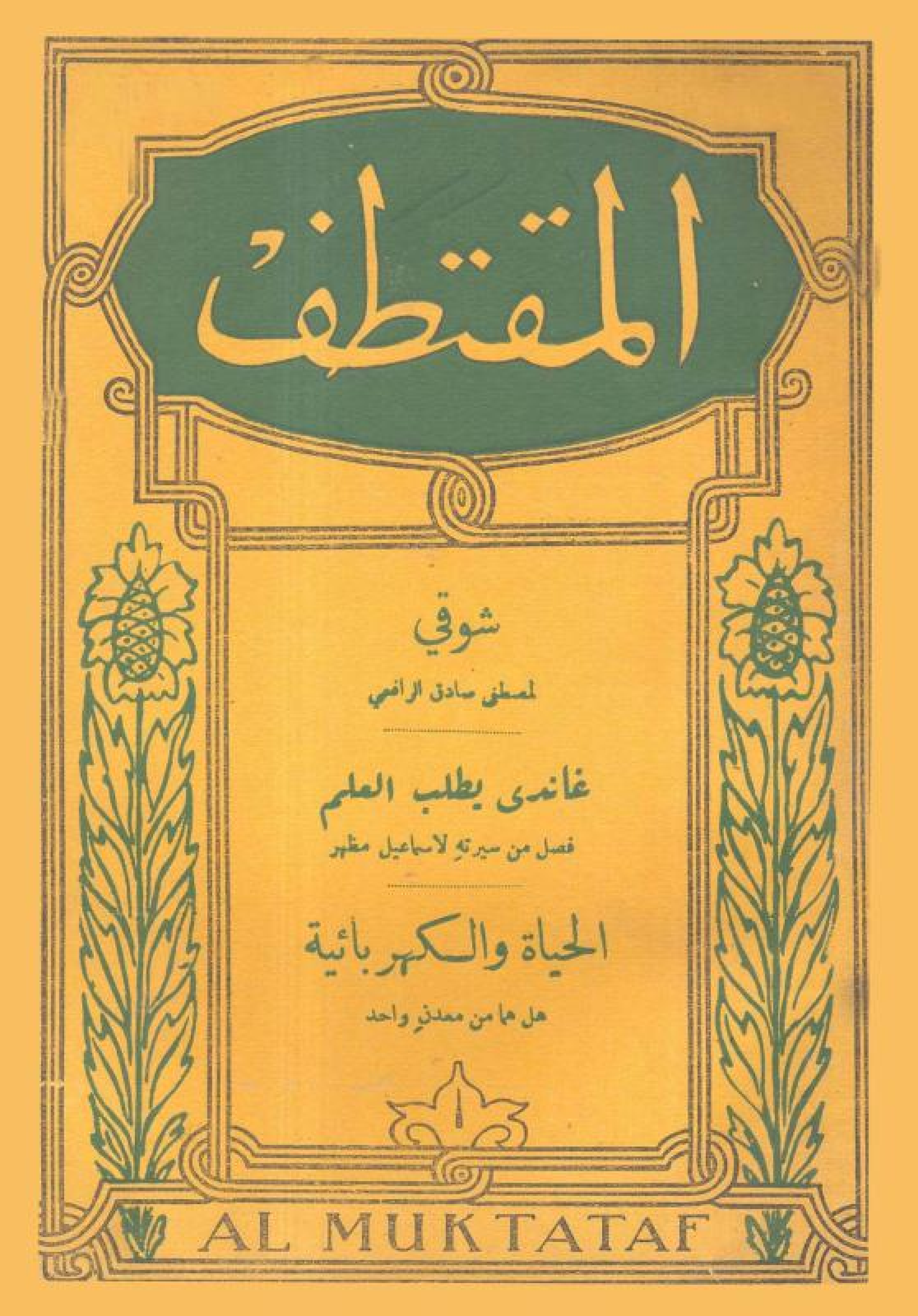
(المثال الحادي عشر) في زراعة الذرة التي تروى بالارتوازي على المزارع خدمة اليد فقط وله الخمس او السدس اذا كانت الارض جيدة جداً والباقي للمالك نظير الارض وماء الري والتقاوي والسماد الخ

وحينما تكون المزارعة او المشاركة في زرعة واحدة تقل الفرصة لصاحب الغيط الذي لا يلتزم الانصاف في معاملة مزارعيه . وان كان ما ذكرناهُ هنا ليس مستوعباً لكل صور المشاركة والمزارعة في جميع الجهات الا ان فيه الكفاية لادراك طريقتها

احمد الالفي
مأمور زراعة

فهرس الجزء الخامس من المجلد التاسع والاربعين

صفحة


المقتطف
شوقي
لمصطفى صادق الرافعي
غاندي يطلب العلم
فصل من سيرته لاسماعيل مظهر
الحياة والكهربائية
هل هما من معدنٍ واحد
AL MUKTATAF



الجزء السادس من المجلد التاسع والاربعين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٦ — الموافق ٥ صفر سنة ١٣٣٥

متى تنتهي هذه الحرب

قال ثيوسيديدس المؤرخ اليوناني الحكيم «ان الحرب ابعد اعمال الناس عن التقدير» . وقال حكيم العرب زهير بن ابي سلمى من معلقتهِ المشهورة

وما الحربُ الأَ ما علمتمْ وذقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً ... وتضرَ اذا ضرَّيتموها فتضرَمِ
فتعرككمْ عركَ الرحى بثفالها ... وتلقحْ كشافاً ثم تحملْ فتتئمِ
فتنتجْ لكم غلمانَ اشأمَ كلهم ... كاحمرِ عادٍ ثم ترضعْ فتفطمِ

ولذلك مدح من يسعى في اصلاح ذات البين بين المتحاربين ولو تحمل الديات بنفسهِ فقال

سعى ساعيا غيظ بن مرةَ بعدما ... تبزَّلَ ما بين العشيرةِ بالدمِ
فاقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ ... رجال بنوهُ من قريش وجرهمِ
يميناً لَنِعمَ السيدانِ وُجِدتما ... على كل حالٍ من سحيلٍ ومُبرَمِ
تداركتما عبساً وذبيان بعدما ... تفانوا ودقُّوا بينهم عطرَ منشمِ
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ من الامر نسلمِ
فاصبحتما منها على خير موطنٍ ... بعيدَين فيها عن عقوقٍ ومأثمِ
عظيمين في عليا معدٍ وغيرها ... ومن يستبحْ كنزاً من المجد يعظمِ

فهل يقوم من الدول الباقية على الحياد دولتان تسعيان كما سعى رجلان من غيظ بن مرة وتتداركان الدول المتحاربة بعدما تفانت وتقولان لها ان ادراك السلم ولو بمال ومعروف هو السلامة والغنم والساعي الى الصلح ينال كنزاً من المجد يعظم بهِ . واذا لم يحدث ذلك وجرت الحال على ما رأينا في هذا العام والذي قبلهُ ولم تنشأ عوامل جديدة ليست في الحسبان فقد

تمرُّ السنة والسنتان والثلاث قبلما تضع الحرب اوزارها · فان العوامل المادية التي ينتظران تطيل هذه الحرب كثيرة متباينة لا تقتصر على العَدَد والعِدَد بل تتناول ما عند الامم المحاربة من المال وما في صدور شعوبها من الصبر على المكاره · فاذا نفد المال او ذهب الصبر من احد الخصمين فلا بدَّ لهُ من الانذحار والاستسلام للقضاء · وقد يحدث ما ليس في الحسبان فتُغمَد السيوف بغتةً كما امتُشقت بغتةً ولكن يستحيل تقدير ذلك وتعيين زمانهِ ومكانهِ من الآن لان الحرب ابعد اعمال الناس عن التقدير كما قال ثيوسيديدس

لما نشبت هذه الحرب سألنا السيامي المحنك لورد كرومر عن المدة التي تقيمها فقال انها لا تدوم اكثر من بضعة اشهر · وقد مضت الآن سنتان و بضعة اشهر ولم نزل حيث كنا · ولما قال لورد كتشنر انها تدوم ثلاث سنوات فاكثر حسب الناس انهُ قال ذلك على سبيل المبالغة · وقد مضت سنتان وجانب من الثالثة وما من دليل قاطع على انها تنتهي هذه السنة وقد لا تنتهي في السنة الرابعة

ولم تنشب حرب في عصر من العصور استعمل فيها الناس من العلم والمهارة ما استعملوهُ في هذه الحرب · فاستعانوا بكل العلوم الرياضية والطبيعية والكيماوية والطبية وبكل ما وصلوا اليهِ من المهارة الصناعية والمالية · فاتقنوا الغواصات والطيارات والاسلحة على انواعها وتقاذفوا بالقنابل الضخمة والسوائل النارية والغازات الخانقة · ودكوا الحصون الضخمة التي يضرب المثل بمناعتها واصاروها هباء منثوراً وابدلوها بالخنادق التي لا تنال الأقنابل تفعل بالارض فعل البراكين او بخنادق تحتها تنسف بها نسفاً · وجادوا بالاموال بسخاء ادهش كبار الماليين حتى ان ما كان ينفق على حرب كبيرة تدوم شهوراً ينفق الآن في يوم واحد

بدأت الحرب والتفوُّق لالمانيا في الاسلحة وتدرُّب الجنود وسرعة نقلهم من ميدان الى آخر حتى خُيّل انها ستقضي على فرنسا في شهر من الزمان ثم تعود وتقهر روسيا قبل الشتاء · ولكن حسابها اختلَّ في معركة المارن وقام رجال الانكليز وتطوعوا للحرب بمئات الالوف ومن ثم صارت الحرب سجالاً واتسع نطاقها رويداً رويداً حتى عمَّت قارة اوربا كلها واشتركت فيها اسيا وافريقية وجزائر البحر واضحت الحروب القديمة امامها كالاعيب الصبيان وانضمت تركيا وبلغاريا وايطاليا ورومانيا الى الدول المتحاربة

اذا انعمت نظرك في الحروب القديمة رأيت في كل حرب منها رجلاً فاق الاقران وامسك عنان تلك الحرب بيدهِ فسيَّرها كما شاء . وقد نشرت مجلة لندن صور خمسة من الرجال العظام الذي كان لهم الشأن الاكبر في الحروب الاوربية السابقة وهم امير البحر

درايك وامير البحر نلسن والقائد ولنتن في انكلترا ونبوليون في فرانسا وملتكي في المانيا . وابقت مكاناً فارغاً لمن يستحق ان يذكر اسمهُ معهم من قواد هذه الحرب كما ترى في الصورة التالية . ولكن زمامها ليس في يد رجل واحد ولا هي خاضعة لمشيئة احد . وكأن القوّاد فيها مسيَّرون لا مخيَّرون وغاية ما يتوخونهُ ان يسيروا مع التيار ولا يغوصوا فيه حتى يبتلعهم وما منهم مَن يتوقع ان يضرب خصمهُ ضربة فاصلة في القريب العاجل

افتبقى الحال على هذا المنوال وتستمرُّ الحرب مجالاً سنين كثيرة . كلاَّ فقد زالت الاحلام التي كانت المانيا تمني نفسها بها وصارت ترضى من الغنيمة بالاياب وتخرج من هذه المعمعة لا عليها ولا لها . وجعلت تنادي باعلى صوتها انها دُفعت الى الحرب مُكرَهة وتود ان يقوم مَن يخرجها منها . والحلفاء رأوا الآن ان الحصر البحري لم يمت الالمان جوعاً ولا حرمهم من مواد الحرب وانهم على كثرة مَن قُتل منهم ومن جرح واسر لم يزل جيشهم كبيراً جداً ولم يزالوا قادرين على الدفاع وعلى الهجوم ايضاً ولم تنفد حيلتهم الواسعة في الاختراع والاستنباط وقد استخدموا المدد العديد من الاسرى في الصناعة والزراعة لكي يتفرغ رجالهم للحرب والصدام . والتفت الى ذلك مكاتب في جريدة التيمس فقال ما خلاصتهُ

« ان الالمان لجأُوا الى الدفاع بعد الهجوم في كل الميادين تقريباً والحلفاء يفوقونهم في كل شيء عدداً ومادةً ما عدا القوة العقلية وفي يدهم زمام البحار فهم يضيقون على الالمان تضييقاً لا يضعفهُ علم ولا تقوى على احتمالهِ حمية وطنية مهما عظمت . وما من دولة محايدة يؤْبهُ لها الاَّ وهي تفضل الانضمام الينا على الانضمام اليهم . وستكون العاقبة لنا حتماً ولكنها قد لا تزال بعيدة فان المانيا لم تقهر حتى الآن . تجنبت بوارجها القتال قبل ان يقضى عليها . نعم أُقفلت اسواق المسكونة في وجهها وأُرصدت ابواب البحار امام سفائنها وقد حدث مثل ذلك لنبوليون بونابرت في معركة الطرف الاغر ولكنهُ بقي في اوج مجدهِ وبقيت ملوك الارض تخطب ودهُ وتتسابق الى نيل رضاهُ

« والانسان يعيش في البر لا في البحر والدولة البرية التي تتسلط على نصف اوربا وتمتد سلطتها من البلطيك الى الاناضول لا يمكن اذلالها بقوة بحرية لانها لا تزال تستورد ما تحتاج اليهِ من البلدان الواسعة التي تحت سطوتها

« ولا مشاحة في ان ايصاد البحار دون المانيا قد اضرَّ بها كثيراً ولكن الضربة القاضية لا تكون الاَّ في البر . هذا ما حدث في الماضي وما سيحدث في المستقبل (وقد مثلت ذلك مجلة لندن بصورة وقف فيها الجنرال جوفر الفرنسوي امام امير البحر جاليكو الانكليزي

وقال نعمّا ما فعلت ولكن الضربة القاضية تكون في البر لا في البحر كما ترى في الصورة التالية)

« ولقد اخطأنا في القاء اعتمادنا كله على قوتنا البحرية واهمالنا لقوتنا البرية فكنا كالخراف امام الذئاب لما ذهبنا لمحاربة المانيا في فرنسا لاننا اعتدنا الراحة والرفاهة فاسأنا الى انفسنا والى اوربا كلها باهمالنا قوتنا البرية

« وسبيلنا الآن ان نعلم ان قوة المانيا الحربية لم تضعف حتى الآن ولا دليل على انها لا تستطيع مواصلة الحرب وامداد جنودها بالرجال والسلاح سنةً اخرى او سنتين

« من المحتمل ان قيادة جيوش الالمان جعلت منذ الربيع الماضي تخفي عدد قتلاهم وجرحاهم ولا تذكر الا القليل منهُ حالما رأت اننا نعنى بذلك ونبني عليهِ احكامنا · ولها غرض آخر اهم وهو ان لا يعلم الشعب الالماني ما حلَّ برجالهِ · ومع ذلك فانها لم ترسل الى ميدان القتال حتى الآن الا القليل من مجندي سنة ١٩١٧ ولم ترسل احداً من مجندي سنة ١٩١٨ · وهي تستطيع ان تجند كل سنة نحو نصف مليون من الشبان · وكثيرون من الجرحى يشفون ويعودون الى ميادين القتال · وقد يكون عندها الآن مليونان من الرجال المستعدين لحمل السلاح واتخاذ الجنود المقاتلة · ولا جدال في انها خسرت هي والنمسا خسارة فادحة في الصيف الماضي ولكن خسارتهما هذه لا تستلزم ان يطرحا سلاحهما حالاً ويطلبا الصلح ناهيك عن ان التزامهما خطة الدفاع تقلل خسارتهما من الرجال وتمد اجل الحرب كثيراً

« فلا ينبغي لنا ان نتوانى بل يجب علينا ان نزيد همةً واقداماً ونوالي الهجوم نحن وحلفاؤُنا ونكثر من سبك المدافع والقنابل واعداد الجنود ونستعين بكل رجال الامبراطورية البريطانية · وما دامت حكومتنا قد اقرَّت التجنيد الجبري ووزعت ادارة الاعمال على الاكفاء من الرجال فلا يهمنا بعد الآن مَن يدخل الوزارة او مَن يخرج منها

« وستنتهي هذه الحرب حينما تتأكد المانيا انها تخسر كثيراً باطالتها ولا تستفيد شيئاً منها · ولكن ما من احد يعلم متى يكون ذلك · من المرجح ان اولي الامر في المانيا علموا الآن هذه الحقيقة ولكن يصعب عليهم ان يجاهروا بها قبلما تدور الدائرة على قوادهم في معركة كبيرة فاصلة لاسيما وان الشعب الالماني قد استُهوي وأُقنع ان الفوز في يدهِ فيصعب عليهِ ان يصدق الآن ما يناقض ذلك »

واستطرد الكاتب الى ما يجب على الامة الانكليزية فعلهُ بعد ان يعقد النصر للحلفاء فقال

« ان الحرب ستنتهي يوماً ما فكيف يكون حالنا حينئذٍ · اذا اعتبرنا قوانا البرية والبحرية وخيرات بلادنا فسنصير اعظم دولة حربية في المسكونة ونكون معتمد حلفائنا ونمتلك ١٠ مساحة

مليون ميل مربع من مستعمرات الالمان و يكون عندنا جيش محنك من الجنود والضباط يعدّ بالملايين و يزيد تفوقنا البحري عمّا كان قبل الحرب وتحقق الامم كلها ان امبراطوريتنا مرتبطة بعضها ببعض ٠ عراها لا تنفصم وشموسها لا تغور وفعالها خليق بماضيها المجيد

« ولقد كان ضعفنا العسكري شوكاً في جنب جنودنا في السنوات الاخيرة وهو من اكبر الاسباب لنشوب هذه الحرب الآ ان ذلك قد مضى وانقضى ٠ لكننا قد نخسر كل ما اكتسبناه الآن اذا قامت فينا وزارة تطلب ان نطبع سيوفنا سككاً ورماحنا مناجل قبل ان يحين الزمان الصالح لذلك ٠ فيجب علينا ان نكون على حذر مدة خمسين سنة الى ان تزول رزايا هذه الحرب وما اثرته في النفوس ويعود الامن والسلام الى نصابهما

« وعلينا ان نحذر الغرور كما نحذر الخمول لئلاّ نضيع ثمار الظفر فقد أعطينا زعامة حلفائنا فصارت زعامة اوربا لنا بحق مكتسب فلا ينبغي لنا ان نحل محل المانيا فنكون قوة حربية مستبدة مثلها لاننا اصحاب البوارج والرجال والاموال ونتوخى التفوق الحربي على غيرنا بل يجب ان يكون غرضنا النفع العام وخدمة نوع الانسان ٠ اما البحر فيجب ان يبقى لنا التفوق فيه واما البر فيجب ان يكون عندنا من القوة ما يكفي لحماية ثغورنا وبلداننا مهما اختلفت تصاريف الزمان ٠ ولا نخدعنّ انفسنا بان القوة البحرية كافية وحدها كما فعلنا فيما مضى

« يجب ان نمرن شباننا كلهم على استعمال السلاح لا لكي يضرموا نار الحرب به بل لكي يمنعوا اضطرامها ويحموا كل املاكنا ومستعمراتنا و يحفظوا تاريخ اسلافهم المجيد

« والفوز في الحروب والتغلب على المكاره مغروسان في نفوسنا حتى ان جنودنا الذين دارت الدائرة عليهم في اول الحرب واضطروا ان يعودوا القهقرى امام العدو لم يكن يخطر لهم ان يفتكروا او يتكلموا الاّ بان الفوز سيكون لهم اخيراً ٠ وقد دامت هذه العزائم كل مدة الحرب وستبقى اشرف ميراث نورثهُ لذريتنا من بعدنا »

هذا ولم نكد ننتهي من كتابة هذه السطور حتى طيَّر الينا البرق ان المانيا عزمت ان تجعل بلادها كلها معملاً للاسلحة والذخائر الحربية او ان تحسب البلاد كلها محلاً تجارياً كبيراً وتستخدم كل ما في بلادها من الايادي العاملة ومعدات العمل لخدمة الجيش وان لا تكتفي باستخدام الرجال والاسرى بل تستخدم النساء ايضاً ويقال انها عزمت على تجنيدهنّ ايضاً ٠ وان انكلترا قررت انشاء ادارة للتموين برآسة رجل مطلق التصرف يحق لهُ ان يرغم الناس على الاقتصاد وانها حظرت على السكان اتلاف المواد الغذائية واستعمال السكر في الكماليات وطحن الدقيق على الاسلوب الذي يزيل منهُ المادة السمراء فتقل تغذيتهُ

علاج الدوسنطاريا الجديد[1]

جربت الانزيم اوزون الذي اخترعهُ حضرة الدكتور بحري بك المدرس في مدرسة الصيدلة بقصر العيني في ثلاثين مريضاً مصابين بالتهابات معوية دوسنطارية بعضها حادٌ والبعض مزمن ومعظمهم في سنّ الكهولة . فكانت نتيجة تجاربي ما يأتي . واني اقتصر هنا على وصف اهمّ المشاهدات

(١) خليل رضوان . حلاق عمرهُ ٥٥ سنة فيهِ ضعف عام ناشئ من دوسنطاريا مزمنة اصيب بها قبل معالجتي اياهُ بثلاثة اشهر وكان يشكو « تعنياً » شديداً ومغصاً والماً عند الضغط على البطن . ويتبرز نحو ٣٠ مرة في اليوم والبراز مؤلف من كمية قليلة من المواد المخاطية يخالطها دم . وقد استعمل جميع الادوية المعتادة بلا فائدة

وعند مشاهدتهِ اشرت عليهِ بالاقتصار على شرب اللبن وحقنتهُ تحت الجلد مرة كل يوم مدة ستة ايام بسنتمترين مكعبين من الانزيم اوزون كل مرة . ولاحظت ان حرارتهُ ارتفعت بعد الحقنة الاولى ببضع ساعات فبلغت ٣٨ درجة سنتغراد والتهب الجلد في موضع الحقنة ولم تتحسن الحالة الدوسنطارية

وفي اليوم الثاني اي بعد الحقنة الثانية هبط عدد التبرزات الى عشرة وخف التعني . وبعد الحقنة الرابعة صار برازهُ طبيعياً وزالت منهُ المواد المخاطية الدموية وشفي تماماً بعد الحقنة السادسة . ولم ينتكس حتى الآن

(٢) فرج حنا . ممرض عمرهُ ٣٠ سنة مصاب بدوسنطاريا مزمنة مستعصية من مدة ستة اشهر قبل رؤيتي اياهُ ولم يتبع نظاماً معيناً في اكلهِ وتعالج بزيت الخروع وسلفات الصودا والسيماروبا وقشر الرمّان والتنين والمصل ضد الدوسنطاريا فلم ينتفع منها . وحقنتهُ انا نفسي اربع مرات بالامتين فتحسنت حالهُ وقتياً ورأيتهُ بعد ذلك بشهر واذا بمرضهِ قد اشتدَّ فحقنتهُ بخمس حقنات من الانزيم اوزون في خمسة ايام متوالية فشفي شفاءً تاماً ولم ينتكس الى الآن

(٣) مريم بقطر . عمرها ٥٠ سنة . مريضة في حال النقه من الحمّى الراجعة ومصابة بتصلب الشرايين والانفزيما . وبلغ منها الضعف ان حالتها اضطرت الطبيب الى حقنها بزيت الكافور

---

(١) ترجمة رسالة تلاها الدكتور فليمون فيتالي الطبيب في مستشفى الامراض المعدية بالعباسية على المجمع العلمي المصري في جلستهِ الاخيرة ذاكراً فيها نتيجة التجارب التي جربها في استعمال الانزيم اوزون الذي استنبطهُ الدكتور بحري بك الكيماوي المعروف للمصابين بالنزلات المعوية الدوسنطارية

تحت الجلد · وكانت قد اصيبت بدوسنطاريا شديدة منذ ١٠ ايام تتبرز من ٣٠ الى ٤٠ مرة في اليوم: فحقنتها خمس مرات بالامتين ازرزون فتحسنت حالتها سريعاً بعد الحقن · ثم اكلت خياراً وطعمية فانتكست فحقنتها ثلاث مرات بالامتين وشددت عليها بشرب اللبن فشفيت تماماً

(٤) محمد مصطفى · عربجي مدمن للخمر والحشيش اصيب بالدوسنطاريا بعد سكرة طافحة يوم شم النسيم · مدة المرض ٦ ايام وعدد التبرزات ١٥ في اليوم تصحبها العوارض الاكلينيكية المعروفة · فعملت له حقنة واحدة وفي اليوم التالي هبطت التبرزات الى مرتين فقط وكانت طبيعية · ولم ينتكس

(٥) احمد متولي · بناء مصاب بدوسنطاريا حادة مدتها عشرة ايام وعدد التبرزات ١٠ في اليوم وقد رأيته يأكل فولاً مدمساً فعملت له حقنة واحدة احدثت له انزعاجاً دام ١٢ ساعة · ولم يتبرز الا مرة واحدة في الاربع والعشرين ساعة التالية للحقنة وشفي تماماً بلا نكسة

(٦) هانم يوسف · ممرضة عمرها ٣٠ سنة اصيبت بالدوسنطاريا قبل المشاهدة بخمسة عشر يوماً وكانت تستر مرضها خوف ملازمة السرير · وكانت تشعر بمغص شديد وزحير قوي وتتبرز ٢٠ مرة في اليوم · فحقنت مرة بالامتين فسبب لها التهاباً موضعياً وضعفاً عاماً وصداعاً وارتفعت حرارتها الى ٣٨ سنتغراد وبقيت مرتفعة ثلاث ساعات ولم تتبرز سوى ثلاث مرات في الاربع والعشرين ساعة التالية · وكان البراز سهلاً وطبيعياً ولم تنتكس · وكانت قبل اصابتها تمرّض امرأة اوربية مصابة بالتيفويد والدوسنطاريا سيأتي الكلام عليها فيما بعد · وقد شفي جميع المرضى الذين عالجتهم سوى اربعة كانت الدوسنطاريا فيهم مضاعفة بامراض اخرى شديدة فتوفوا وواحد شفي بغير الامتين: وهاك ملاحظاتي عنهم

(١) سيدة اوربية مسنة اصيبت بحمى تيفويدية مضاعفة بدوسنطاريا شديدة وضعف عام فحقنت ثلاث مرات بالامتين فلم يجدها نفعاً فتوفيت بعد ايام قليلة · ومما يلاحظ انها اعدت الممرضة هانم يوسف بالدوسنطاريا دون التيفويد مع وجود مكروب الحمى والدوسنطاريا في برازها في وقت واحد

(٢) طفل اصيب بالتهاب رئوي شعبي ودوسنطاريا حقن مرة بالامتين وتوفي في اليوم التالي

(٣) صبية اصيبت بالتيفويد مع شلل نصفي ودوسنطاريا فتوفيت

(٤) غلام نوبي اصيب بالتيفويد مع اسهال شديد فتوفي

(٥) شاب اوربي معتوه في حال النقه من التيفويد اصيب بدوسنطاريا اميبية مستعصية جداً · حقن بالامتين ١٢ مرة وبالمصل المضاد للدوسنطاريا ٤ مرات وبالامتين

٥ مرات وشرب عدة مطهرات وقوابض للامعاء فلم ينفعهُ ذلك كلهُ وانما نفعتهُ الحقن الشرجية بسلفات النحاس مرتين في اليوم

ولم اتمكن من فحص براز جميع المرضى بالمكرسكوب ولكنني فحصت ثمانية منهم فوجدت الاميبا في الشاب الاوربي المعتوه دون غيره

وحصل لاكثر المرضى انزعاج عام (تكسير) وصداع خفيف وارتفاع في الحرارة بعد الحقنة الاولى ببضع ساعات ولكن ارتفاعها لم يدم اكثر من اربع ساعات . وحصل لهم ايضاً التهاب جلدي محل الحقن كانت تبلغ مساحتهُ سنتمترين الى ثلاثة سنتمترات مربعة وكان يزول بالدهن بصبغة اليود . ويظهر لي ان سبب هذا الالتهاب فعل الانزيم بالجلد لانني عقمت الحقنة والجلد بنفسي . ولاحظت ان عدد التبرزات كان يهبط وحالة المريض تحسن بعد اول حقنة . واستنتج من هذه التجارب ما يأتي :

اولاً ان الانزيم اورزون لا يؤثر تأثيراً سيئاً في المريض مهما كانت حالتهُ من الضعف فليس هناك مانع يمنع استعمالهُ

ثانياً ان الانزيم ارزون ينفع في الالتهابات الدوسنطارية الحادة والمزمنة على السواء

ثالثاً ان فعلهُ يضاهي فعل الامتين والمصل المضاد للدوسنطاريا ولكنهُ اعظم نفعاً واسرع مفعولاً من العلاجات الاخرى كالمسهلات والقوابض ومضادات عفونة الامعاء

الدكتور فليمون ڤينالي

وقد كتب الينا حضرة الدكتور ابو خاطر ما يأتي :

ي ق عمرهُ ٣٩ سنة تاجر في السودان منذ سبع عشرة سنة اصيب بالدوسنطاريا منذ ١٨ شهراً وحضر الى الاسكندرية في ٢٠ سبتمبر حيث اخذ بعض الاطباء الذين لا غبار على معارفهم يعالجونهُ واستوفوا فيه كل انواع العلاج . وحقن في السودان والاسكندرية بستين حقنة بالاماتين بلا فائدة . ثم حضر في اكتوبر الى مصر فحقن بشرحتين من مصل الدكتور بحري كل يوم واحدة فظهرت الفائدة جلية بعد الحقنة السادسة وبعد العاشرة كان الشفاء تاماً ثم حقن احتياطاً بواحدة كل يومين وبلغ كل ما حقن بهِ ١٤ حقنة . وهو الآن بصحة تامة يتناول من الغذاء صباحاً فنجان كاكاو وبيضتين والظهر فولاً وماكرونه وارزاً بلبن وفي المساء كاكاو ولبناً

فنجاح مصل الدكتور بحري في هذه الحادثة باهر والآمال بهِ كبيرة

الدكتور امين ابو خاطر

اماليُّ حيوية والشيخوخة

نقلاً عن العلامة متشنيكوف

(٢) اسباب الشيخوخة

ان المصائب التي تبتلي الانسان في الشيخوخة تقضي بالبحث عن الاسباب التي يمكن ان تكون علة لها . والآراء في ذلك كثيرة ومتضاربة نقتصر على ذكر المهم منها فيما يأتي

زعم بعضهم ان حياة الحويصلات تقوم بخمير حيوي خصوصي يضعف شيئاً فشيئاً كلما نمت الحويصلات وتكاثرت الاَّ ان هذا الزعم نظرية فرضية لا يؤيدها برهان لان هذا الخمير لم يشاهدهُ احد ولا يعلم هل يوجد حقيقة او لا

وزعم البعض ان التولد الحويصلي محدود وغير كافٍ لتجديد النقص في الحويصلات التي تتألف منها البنية . وبما ان الشيخوخة تحصل في الانواع والافراد والاعمار المختلفة فعدد المواليد التي تستطيعها الحويصلة يختلف باختلاف هذه الاحوال . وقد تعذر عليهم ان يفسروا كيف يقف تكاثر الحويصلة عند عدد معين في فردٍ ويزيد كثيراً في فرد آخر

وزعم آخرون ان النمو في الحيوان يأخذ بالتباطوء من الولادة فما بعدها وان قوة الحويصلة على التكاثر تضعف رويداً رويداً كل مدة الحياة فيؤدي هذا الضعف ضرورةً الى حالة لا يعود الجسم فيها قادراً على تعويض النقص فيحصل الذبول والضمور . يدحض ذلك ان تكاثر الحويصلات الذي يكون على اشده في الدور الجنيني ويأخذ بالتباطوء بعدهُ يبقى سائراً في كل ادوار الحياة باختلاف في القوة والنشاط

وزعموا ايضاً ان صعوبة شفاء الجروح في الشيوخ عائد الى نقص التولد الحويصلي وان حويصلات المبادلة التي تقوم في الأدمة مقام الحويصلات المندثرة ينقص تولدها نقصاً كبيراً وبما ان جفاف الاقسام السطحية وتقشرها يسيران بدون انقطاع فمن الضرورة ان يؤدي ذلك الى خسارة الادمة وفقدها فقداً تاماً . وطبقوا هذه النظرية على الغدد التناسلية والعضلات وما سواها من الاعضاء . يدحض ذلك ان الشعر والوبر والاظافر وهي فروع من الجلد يبقى نموها سائراً كل مدة الحياة حتى في الهرم وكثيراً ما يزيد نموها فيه ومن الواضح ان هذا النمو لا يحصل الاَّ بتجدد الحويصلات التي تتألف هي منها لان الوبر الذي يكسو بعض اقسام الجسم يزيد كمية وطولاً في الشيخوخة ولان الشعر في بعض السلالات الواطئة كالمغول يكون اقل في الشباب مما هو في الكهول والشيوخ . فشعر الشارب لا ينبت في

الشباب واللحية نادرة او لا وجود لها . ويشبه ذلك ظهور شعر الشاربين في عجائز النسل الابيض لان الزغب الذي يغطي الشفة العليا والذقن والخدين في الفتيات و يكاد يكون غير ظاهر ومحسوس يتحول في شيخوختهن الى شعر حقيقي و يتولد منهُ شنب وعارضان ولحية

ينمو شعر الصدغ في شيخ ابن ٦١ سنة ١١ مليمتراً في الشهر وفي فتى سنهُ ١١ — ١٥ سنة ١١ مليمتراً الى ٨ر١١ . فالنمو يقرب ان يكون متعادلاً بينهما رغماً عن الفرق المظيم بين العمرين وهذا دليل واضح على ان النمو الخويصلي في الشيوخ ليس بضعيف . وقد تحققنا نمو الاظافر حتى الهرم لان ظفر الاصبع الوسطى في يد مدام روبينو التي ذكرت آنفاً طال مليمترين ونصف مليمتر في ثلاثة اسابيع فكان يقضي ذلك بتقليمها من وقت الى آخر . ووجدنا ظفر امرأة عمرها ٣٢ سنة يطول ثلاثة مليمترات في اسبوعين فالفرق بين نمو هذه وتلك لا يقابل الفرق العظيم بين العمرين . على ان شعر الشيوخ وان بقي نموهُ سائراً فانهُ يصاب بحوول الشيخوخة الظاهر بالشيب فهو ينمو طولاً الأ ان مادتهُ الملونة تقل شيئاً فشيئاً الى ان تزول تماماً . وقد عللت ذلك في كل ما سبق لي من الكتابات سواء كان في كتابي « دروس في الطبيعة الانسانية » او في المقالات الكثيرة التي نشرت في المجلات وانا الآن اشد تمسكاً برأيي الذي ارتأيتهُ والذي يجب ان يكون اساساً لتفسير كل ظواهر الشيخوخة

اثبت فيما سبق ان الفاغوسيت(١) يلاشي المادة الملونة للشعر وقياساً عليهِ يكون ضمور

---

(١) في هذه المقالة بعض كلمات مستحدثة في الطب رأينا تفسيرها في هذه الحاشية تسهيلاً لفهم المقالة وهي :

(٢) المكروفاج Macrophages اسم جنس الخويصلات التي تكون بتقدم العمر وتسطو على الخويصلات التي تتألف منها الاعضاء فتتلفها

(٣) الفاغوسيت Fagocytes نوع من المكروفاج يفترس الخويصلات الطرية كخويصلات العضلات والكبد والكليتين

(٤) النيوروفاج Neuoronophages نوع من الفاغوسيت يفترس الخويصلات العصبية

(٥) الاوستيوكلاست Osteoclastes نوع الفاغوسيت الذي يفترس المادة العظمية

(٦) الكروموفاج Cromopahges الفاغوسيت الذي يمص المادة الملونة للشعر

(٧) الميوفاج Myophages الفاغوسيت الذي يتلف الالياف النابضة للعضلات

(٨) الساركوبلاسما Sarcoplasma هي الحبيبات التي تكون ضمن الخويصلات ومنها تتكون المادة العضوية وخصوصاً العضلات وفي الشيخوخة تصبح فاغوسيتاً لاتلاف الميوبلاسما

(٩) الميوبلاسما Myoplasma هي السائل الذي يكون ضمن الخويصلات ومنهُ تنشأ قوة النمو في العضلات

(١٠) الارتيريوسكليروز Arteriosclerose هي العلة المعروفة بتصلب الشرايين وتحصل من رسوب المادة الكلسية على جدرانها

(١١) الاثروما Atherome علة شريانية مسببة عن الارتيريوسكليروز وفيها تضيق فتحة الشريان الاورطي

الاعضاء السائرة الى الشيخوخة ناتجاً من فعل المفترسات التي من طائفة الفاغوسيت وهي المكروفاج . فطائفة الفاغوسيت هذه هي التي تلاشي افضل العناصر في بنيتنا كالحويصلات العصبية والكبدية والكلوية وقد اقام مذهبنا هذا قيامة المعارضين واثاروا علينا حرباً عنيفة ولا سيما فيما يختص بمكروفاج النسيج العصبي في الشيخوخة

وكان اخص المعارضين لنا علماء الاعصاب فحمل مورينسكو من مدة طويلة حملة كبيرة وانكر علينا القول بضمور الحويصلة العصبية فقال ان الفاغوسيت الذي يحيط بحويصلات الدماغ ويفترسها لا يوجد غالباً في الشيوخ ولو بلغوا من العمر طويلاً . واثباتاً لزعمه تلطف فارسل اليَّ انموذجين من تحضيراته المأخوذة من دماغي شخصين طاعنين في السن فراجعتها وانعمت النظر فيها فاقتنعت بخطإ مناظري لاني وجدت في دماغي هذين الشيخين (مات احدهما وعمره ١١٧ سنة) كمية كبيرة من الحويصلات الدماغية محاطة بالفاغوسيت وسائرة الى التلف الا ان تلوين القطع كان ضعيفاً وكانت الصورة اقل وضوحاً من الصور التي نحضرها نحن لابحاثنا

ثم نشر مورينسكو انتقاداً جديداً على مذهبي هذا بدون ان يلتفت الى جوابي وكتب فصلاً طويلاً عنوانهُ «دروس هستولوجية في سير الشيخوخة» وابتكر اسماً حلَّ محل الفاغوسيت وهو النيورونوفاج الا انهُ انكر ان لهُ سلطة على الاجسام الغريبة وزعم ان الحويصلة العصبية تضمر بدون ان يكون لضمورها علاقة بالعناصر التي تحيط بها وان النيورونوفاج لا يعمل فيها عملاً ما بل يضغط عليها ويزحزحها من مكانها ويحل محلها فتضمر بخسارة مكانها وغذائها . وقال ما خلا ذلك ان الحويصلة العصبية لا توجد على الاطلاق ضمن النيورونوفاج ولهذا لا يجوز ان يعد النيورونوفاج فاغوسيتاً اي لا يجوز اعتبارهُ عنصراً من العناصر المفترسة التي تستطيع ان تلتهم الاجسام التي تخالطها . وجاراهُ كثيرون على ذلك وزاد بعضهم ان النيورونوفاج تكون غالباً خالية من البروتوبلاسما اوليس لها منها سوى قشرة رقيقة

لا محل هنا لتفنيد آراء مناظرينا بالتفصيل الا اننا نوجه النظر الى الخطإ الذي سرى الى عملهم فافسد برهانهم . وهو اننا اذا اردنا ان ندرس بنية الجهاز العصبي وجب ان نعالجها بكواشف يصعب معها المحافظة التامة على النسيج العصبي اللطيف ولهذا يجب قبل بت الحكم في نتيجة الفحص ان يراعى ما يطرأ على النسيج العصبي من التغييرات التي يصعب على الغالب اجتنابها . وبياناً لذلك اذا القينا نظرنا على الصور التي صورها اولئك العلماء واستشهدوا

بها على اثبات رأيهم وجدنا ان النيورونوفاج قد عولج بتحضيراتهم معالجة سيئة وتحققنا ان تهتك الحويصلات بالعمل الصناعي هو الذي حملهم على الزعم ان النويات التي تحيط بالحويصلات العصبية لا عمل لها وعلى القول بخلو العناصر من البروتوبلاسما او باحتوائها على قشرة رقيقة منها

ان المعروف والمحقق ان النويات لا تكون حرَّةً على الاطلاق واذا وجدت خالية من البروتوبلاسما كان ذلك ناتجاً بدون شك من خلل في طريقة التحضير . فالنيورونوفاج لا يتألف من نواة وغلاف قشري فقط بل يحتوي كما تحتوي كل حويصلة على بروتوبلاسما الاَّ ان البروتوبلاسما فيهِ تذوب غالباً بالطرق العنيفة التي تستعمل بالتحضير الهستولوجي

يذكرني برهان مناظريَّ بجواب تلميذ في الطب عن سؤال استاذٍ سألهُ ما هو مكروب السل اجاب هو باشيلوس صغير احمر والحقيقة ان باشيلوس السل هو مثل كل المكروبات لا لون لهُ فيلوَّن عادة بلون احمر لكي تستطاع رؤيتهُ فالتلميذ الذي لم يعرف هذا الباشيلوس الاَّ في التحضيرات الملونة رسخت معرفتهُ في ذهنهِ مغلوطة . والنيورونوفاج اذا عولج بالطرق الموافقة ظهر كما تظهر كل الحويصلات غنيًّا بالبروتوبلاسما واذا عولج علاجاً لا يذيب محتوياتهِ ظهرت فيهِ محتويات بهيئة حبيبات شبيهة بالحبيبات التي توجد داخل الحويصلات العصبية

انصرف مانوليان من معهد باستور الى تحسين طرق التحضير ليتمكن من درس النيورونوفاجي وجلاء غامضها فاتضح لهُ ان الحويصلات العصبية التي تتلف في المصابين بالكلب يتسبب تلفها من امتصاص النيورونوفاج المحيط بها لما في باطنها . وثبت لهُ من ابحاثنا في الغدد الدماغية الشوكية في الانسان المصاب بالكَلَب وجود فاغوسيت لا ريب فيهِ . وان اكثر الحويصلات العصبية الغددية يظهر ضمن بروتوبلاسماها عدد كبير من الحويصلات الصبغية بلون اسمر واسود واصفر وتلك الحبيبات تجتمع غالباً على هيئة كتل مندمجة . فاذا لم تكن هذه الظواهر نتيجة افتراس العناصر الماجمة اي نتيجة الفاغوسيتوز بل نتيجة العمل الميكانيكي للعناصر كما يدعي موريتسكو وجب ان تكون الحبيبات منتشرة في النسيج الموصل بين الخلايا وليس ضمن العناصر الماجمة

لاسبيل بعدُ للريب ان النيورونوفاج يحيط بالحويصلات العصبية في حوؤل الشيخوخة ويمتص ما في باطنها فيسبب ضمورها كليًّا او جزئيًّا واما الزعم بان النيورونوفاج لا يعد من نوع الفاغوسيت لانهُ لا يدخل الى باطن الحويصلة ليمتص ما فيهِ فباطل من حيث ان

الفاغوسيت لا يلزمهُ عند امتصاص عنصر حويصلي ان يحيط بالحويصلة كلها او ان يدخل الى باطنها بل يكتفي باخذ جزء من باطنها واحداث عمله فيها

ثم وان يكن تلف الحويصلات العصبية في الهرم امراً عاماً الاَّ ان الشواهد على بقائها سليمة فيهِ ليست معدومة وعليهِ لا غرابة اذا سلمت بعض القوى العقلية في الشيوخ بسلامة الحويصلات الدماغية من فعل النيورونوفاج الاَّ انها شواهد نادرة والقاعدة العامة هي ان يعمل النيورونوفاج عملاً كبيراً في ادمغة الشيوخ فيخسروا بذلك قوام العقلية

***

ان الفاغوسيت ليس العامل الوحيد الذي يؤدي عملهُ الى تلف الانسجة لان الكروموفاج يفعل في الشيب والنيورونوفاج في ضمور الدماغ والى هذين الصفين من الفاغوسيت المختصين برتبة المكروفاج ينضم كثير من العناصر المشابهة لها التي تُساق الى انسجة الشيوخ وتتلف فيهم الحويصلات المختلفة المهمة كالحويصلات الكلوية والحويصلات الكبدية واذا كانت ظواهر الفاغوسيتوز اي ظواهر الافتراس غير واضحة في عمل المكروفاج كوضوحها في كثير من الامراض العفنية فذلك راجع الى خاصة في المكروفاج وهي انهُ لا يمتص ما في باطن الحويصلة دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً وفي اقسام صغيرة منها وتتضح خاصتهُ هذه جيداً في ضمور المبيض لانهُ متى احاط بهِ قبض على الحبيبات التي تملأهُ ونقلها الى مسافة بعيدة و يأخذ الفاغوسيت الذي يجاورهُ بامتصاص اجزائهِ شيئاً فشيئاً الى ان يفنى المبيض ولا يبقى منهُ شيء او يبقى جزء صغير منهُ لا اهمية لهُ او يتحول الى كتلة لا شكل لها وقد تحققت بنفسي اهمية عمل المكروفاج في ضمور العنصر المولد الانثوي ووقف منشسكي على ظواهرهِ في معملي

على ان الظواهر الفاغوسيتية الواضحة والجلية في ضمور الحويصلات العصبية والمبيضية قد تكون خفية وقليلة الوضوح والجلاء في ضمور بعض الانسجة كالعضلات . فالمعروف ان اوضح اعراض الشيخوخة ضعف العضلات وان من يبلغ الستين من العمر لا يكلف عملاً من الاعمال التي تستدعي الجهد العضلي لانهُ لا يستطيع ان يقوم بهِ كما كان يقوم بهِ قبل هذا العمر اذ تكل العضلات بسرعة وتضعف حركتها و يبطؤ المشي و يصبح متعباً . ومن تبقى فيهِ القوى العقلية نشيطة يشكو من الضعف العضلي الشديد . فهذه الحالة هي حالة ضمور حقيقي في النسيج العضلي الذي استلفت انظار العلماء من مدة طويلة دوجهوا اليهِ بحثهم

فثبت لم حصول تغيير في النسيج العضلي المخطط وظهور الضمور الحقيقي في العضلات الكبرى حيث شاهدنا ان حزمها ترق وان نسيجها يمتلئ بالحبيبات الصفراء والمصفرة وبالنويات الحويصلية التي يتألف منها مجاميع متوالية تبدو عليها علامات النشاط الموضعي بالتكاثر الذي يشبه كثيراً تكاثر المجاميع الجنينية

وبما ان لحؤول النسيج العضلي اهمية كبيرة للوقوف على كيفية سير الشيخوخة فقد وجهنا اهتمامنا الى درس عدة حوادث من ضمور العضلات في الحيوانات المسنة فوقفنا بسهولة على ما وقف عليه الذين تقدمونا في هذا البحث ووجدنا ان الحزم العضلية تمتلئ بالنويات التي تتكاثر فيها شيئاً فشيئاً وينتج من تكاثرها فقد المادة الانقباضية جزئياً او كلها والالياف العضلية التي حافظت وقتاً طويلاً على بنيتها المخططة ينتهي حالها بفقد بنيتها فتتحول الى كتلة عديمة الشكل يحيط بها عدد كبير من النويات

والعلماء الذين سبقونا الى مشاهدة هذه الاحوال ذكروها ذكراً بسيطاً ولم يعيروها ما تستحقهُ من الاهمية لان هذا التكاثر الواضح يدل على انهُ عرض للشيخوخة يمكن ان لا ينتج من ضعف قوة الحويصلات على التوليد خلافاً لما يزعمون في نظرياتهم الكثيرة التي يعللون بها سير الشيخوخة بل هو مظهر قوي لتلك القوة . وهذا مثال جديد نضيفهُ الى الامثلة السابقة التي عللنا بها شيب الشعر وضمور الحويصلات العصبية وهو دليل على ان الظواهر التي تظهر في حؤول الانسجة في الشيخوخة هي ظواهر خصوصية مستقلة عن القوة المولدة للحويصلات . فالنويات العضلية تزيد في ضمور العضلات كما تزيد في ضمور الدماغ النويات الدماغية التي يتولد منها النيورونوفاج وما عدا ذلك تزيد كمية المادة البروتوبلاسمية للالياف العضلية وهي الساركوبلاسما التي تعوض عن المادة المخططة للعضلات اي الميوبلاسما بمواد جديدة يجب ان يوضع في صف الظواهر الفاغوسيتية . ففي الليفة العضلية الصحيحة تكون الموازنة تامة بين هاتين المادتين وبين النويات الخاصة بالساركوبلاسما واما في الشيخوخة فالساركوبلاسما ونوياتها تنمو على نفقة المادة الانقباضية فتختل الموازنة وينتج من اختلالها ضعف القوة العضلية وتصبح الساركوبلاسما في هذه الحالة فاغوسيتاً للميوبلاسما والميوفاج فاغوسيتاً خصوصياً لاتلاف المادة الانقباضية للعضلات كما اصبح الكروموفاج فاغوسيتاً للمادة الصبغية للشعر والنيورونوفاج فاغوسيتاً للحويصلة العصبية

ومن غرائب ضمور الشيخوخة التي تستلفت النظر ان اكثر الاعضاء تتصلب وتصاب بما يسمى بالسكليروز . والاعضاء الصلبة اي الهيكل العظمي تصير اقل صلابة فان العظام تدق

وتتسع مسامها وتخسر من وزنها وبهذا تعلل سهولة كسر العظام في الشيوخ · وقد يظن ان المكروفاج الذي يستطيع ان يتلف العناصر الطرية كالعضلات لا يستطيع ان يقضم مادة صلبة كالعظم ملآنة بالاملاح المعدنية وان ضمور العظام لا يمكن ان يكون من قبيل الظواهر الفاغوسيتية التي سبق بيانها · والجواب على ذلك ان الضمور هنا يحصل ايضاً بعمل حويصلات تشبه كثيراً بعض انواع المكروفاج وهي ذات نويات متعددة يطلق عليها اسم الاوستيوكلاست وهي لا تزدرد قطعاً عظيمة وتذيبها في باطنها بل تنمو حول الصفائح العظمية وتذيبها كأن هذه الحويصلات تفرز مادة حامضة تذيب المادة الكلسية فيلين العظم · ويرجح حصول ذلك قياساً على ما يحصل في تسوس العظام

ويعمل هذا النوع من المكروفاج اي الاوستيوكلاست يحل بعض الكلس من العظام ويسير في الدورة الدموية ويرسب في الانسجة المختلفة وخصوصاً في الغضاريف فتتصلب او تتعظم والى هذا السبب يرجع عيب العمود الفقري في الشيوخ اي تصلب الغضاريف بين الفقرات

وينتقل الكلس ايضاً بنوع خصوصي الى الشرايين ويرسب على جدرانها فيجعلها قاسية الى حد انها تصير قابلة للكسر وهذه الحالة هي ما يعرف عادة بالاثروما الكثيرة الحدوث في الشيوخ · وقد اتفق المؤلفون على وجود علاقة بين ضمور العظام والعلل الاثرومية وهذه العلاقة كثيرة الوضوح في الجمجمة لان الشريان النشائي يصير اثرومياً ومتعرجاً والاثلام التي نقيه في باطن الجمجمة تزيد غوراً واتساعاً بسبب ضمور الصفائح الزجاجية وهي الطبقة الباطنة لعظم القحف وتكوّن اسناد على جوانب الاثلام

فمفارقة الاملاح الكلسية للعظام بحيث تصبح اضعف مما كانت واكثر قبولاً للكسر ورسوب هذه الاملاح على جدران الاوعية بحيث تخسر مرونتها وتصبح غير صالحة لتغذية الاعضاء التي تتوزع فيها هما من ظواهر الخلل في نظام الطبيعة في دور الشيخوخة اذ في هذه الحالة يقع فساد غير اعتيادي في قضاء وظيفة الحويصلات التي يتألف منها الجسم · واثروما الشرايين مرتبطة كل الارتباط بالارتريوسكليروز العلة الكثيرة الحدوث في الشيوخ وان تكن غير مطلقة فيهم · وهذا الانحراف الوعائي مسئلة كثيرة التعقيد لم تحلها الابحاث السابقة الى الآن حلاً مقنعاً ويدعو حلها الى ابحاث جديدة لكشف غامضها

ويرجح ان تحت اسم الاثروما والارتريوسكليروز قد جمعت امراض شريانية

من اصل وطبيعة مختلفين لانهما يحصلان احياناً عقيب علل التهابية مسببة من المكروبات وسمومها . ومن امثلتها الارتيريوسكليروز الزهري الذي تخترق فيهِ المكروبات النوعية جدران الاوعية وتحدث فيها عللاً شديداً تكون سبباً من اقوى الاسباب للشيخوخة الباكرة

وقد اظهرت الابحاث الاخيرة حقائق مهمة جداً في هذه المسئلة عرفوا منها اصل بعض انواع اثروما الشرايين فقد توفق بعضهم الى احداث اثروما صناعية في الارانب بحقنها بسم الغدة فوق الكلية اي بالادرنالين وامكن البعض الآخر احداثها بالحقن بسم الدخان اي بالنيكوتين فدل ذلك على انهُ يوجد بين العلل الشريانية التي لها شأن كبير في الشيخوخة علل التهابية مزمنة مسببة عن المكروبات وغيرها مسبب عن سم داخلي كالادرنالين او خارجي كالنيكوتين . وهذه النتيجة تتفق مع الحقيقة التي ذكرناها مراراً وهي ان العلل الشريانية وان تكن كثيرة الحدوث في الشيخوخة فليس من الضرورة ان يكون لها ارتباط بتقدم العمر

وقد استدلوا من عمل سم الادرنالين في توليد بعض العلل الشريانية على ان بعض الغدد الوعائية تعمل عملاً كبيراً في حوؤل الشيخوخة وقال بعضهم ان الشيخوخة هي استطالة مرضية ناجمة عن حوؤل الغدة الدرقية او حوؤل الغدد الاخرى الوعائية الدموية المكلفة بوظائفها على تحقيق ظواهر التغذية وقد لاحظوا من مدة طويلة ان منظر المصابين بالانتفاخ العام Myxœdème عقيب حوؤل الغدة الدرقية يشبه منظر الشيوخ وكل من تسنى لهُ من السياح ان يشاهد البُله في السافوي وسويسرا والتيرول يدهش من هيئة الهرم البادية فيهم حتى في الصغيري العمر منهم لان حوؤل الغدة الدرقية هو الذي يحدث فيهم البله وانحطاط البنية . وبما ان هذه الغدة والغدتين فوق الكلية تصاب بالحوؤل فلا يبعد ان يكون لها دخل في احداث الشيخوخة ومن المحقق ان لهذه الغدد فائدة في اتلاف بعض السموم التي تدخل البنية فاذا اصيبت بعلة اصبحت الانسجة مهددة بالتسمم الأ انهُ لا يحق الجزم في ان عملها هذا يكون الباعث الوحيد او الفاعل العظيم في حوؤل الشيخوخة لان امتحانات وينبرغ في معمل باستور اثبتت سلامة هذه الغدد في الحيوانات المسنة (من نوع القط والكلب والحصان) مع وجود كل دلائل الهرم فيها . ومات شيخ في الثمانين بذات الرئة وكانت غدتهُ الدرقية صحيحة تماماً

ومما لا يجوز اغفالهُ هو ان الشيوخ يموتون غالباً بامراض عفنية كذات الرئة والسل

والحمرة . والغدد الوعائية عموماً والدرقية منها خصوصاً تصاب غالباً في سير هذه الامراض فيقع بذلك الخطأ و ينسب الى الشيخوخة ما يجب ان ينسب الى العلة العفنية

ان منظر الاشخاص الذين تستأصل منهم الغدة الدرقية يشبه منظر الشيوخ الاّ انهُ لا يجوز ان نبالغ في هذه المشابهة اذ توجد فوارق بين الفريقين تميز الواحد منهما عن الآخر بعلامات خصوصية منها تورُّم الجلد (ايذيما) في الذين استؤصلت منهم الغدة الدرقية وعدم تورمهِ في الشيوخ . وسقوط الشعر في المصابين بالانتفاخ العام Myxoedème واستمرار نموهِ في الشيوخ . وغزارة دم الحيض في النساء بعد استئصال الغدة الدرقية وفقده في العجائز . وزيادة نمو الجهاز العضلي بعد استئصالها وضموره في الشيوخ

وزد على هذا ان الابحاث الفيسيولوجية لا تؤيد الرابطة المتينة بين الشيخوخة وامراض الغدة الدرقية اذ تحقق ان استئصالها لا يحدث هزالاً الاّ في صغار العمر وان خطر الهزال يزول بعد سن الثلاثين وهو حد الشباب اي دور النمو الذي تكون وظيفة الغدة الدرقية فيهِ على اقواها و يندر ان يعقب استئصالها هزال من سن ٥٠ الى ٧٠ . ومن ثم فاستئصالها من الحيوانات القارضة (الجرذان والارانب) لا يعقبهُ هزال مع انها من الحيوانات التي تشيخ باكراً ومثلها الطيور . وفي الحيوانات المجترة يعقبهُ هزال بطيء . وفي الانسان والقرود هزال معتدل ولكنهُ ثابت . وفي الضواري هزال شديد . اي ان هذه الحوادث لا تسير كلها على نمط واحد

لم يبقَ محل للريب في ان الامراض العفنية تعمل عملاً كبيراً في حؤول الشيخوخة وفي اتلاف عناصر الانسجة بفعل المكروفاجات المختلفة (النيورونوفاج والميوفاج الخ) فتحل هذه محل تلك وتعوض عنها بنسيج ليفي و يمتد عملها الى اعضاء الافراز كالكليتين والى الاعضاء التناسلية وبصورة متكيفة الى الجلد والاغشية المخاطية والهيكل العظمي . وليس بين الاعضاء ما هو اقوى من الخصيتين على مقاومة هجوم المكروفاج لاننا عرفنا شيخاً عمرهُ ٩٤ سنة وآخر عمرهُ ١٠٣ سنوات كان المفرز المولد كبير الكمية فيهما وهذا ليس بنادر في الانسان وفي الحيوانات المعمرة من ذوات الثدي . وقد درسنا مع و ينبرغ حالة كلب مات وعمرهُ ٢٢ سنة بعد ان عانى الشيخوخة عدة سنوات فحققنا وجود الحؤول في اعضائهِ مع هجوم المكروفاج وكانت خصيتاهُ بحالة نشاط عجيب دلالة على حفظ الغريزة النوعية فيهِ . ودرسنا حالة كلب آخر مات وعمرهُ ١٨ سنة كان مصاباً بالسرطان بحيث لا ينتظر ان يكون عنصر النتاج فيهِ سليماً

تحوُّل الانسجة اذاً في الشيخوخة لا يجوز ان يعتبر قاعدة مطلقة لاشواذ لها وتكيُّف الاعضاء فيها لا يسير كذلك سيراً مطلقاً على ناموس المكروفاج الذي بهِ تتلف الحويصلات ويعوض عنهُ بالنسيج الليفي · والاعضاء التي تولد الفاغوسيت كالطحال والنخاع العظمي والغدد اللمفاوية وان ظهرت فيها بعض اعراض التحوُّل الليفي في الشيخوخة فانهُ يبقى فيها دائماً ما يكفي لتوليد كمية من المكروفاج الذي يتلف العناصر المهمَّة

والعضو الذي تظهر فيهِ تنوعات الشيخوخة بدون دخل المكروفاج هو العين لان الماء الازرق (الكتركتا) وقوس الشيخوخة التي تظهر على هيئة حلقة بيضاء لبنية حول القرنية وهي كثيرة الحدوث في الشيوخ هما تنوعان يحدثان من تخلل المواد الدهنية في البلورية وفي قسم من القرنية فيسبب اكمدادهما وبسبب رسوب الدهن في باطنهما الى خلل في تغذيتهما · واذا وقع التحوُّل الدهني في قسم من انسام الجسم عقبهُ عمل المكروفاج واما في القرنية والبلورية فلا يحصل ذلك لاسباب اخصها تشريحية لان لاكثر الاعضاء ما عدا عناصرها المهمة مكروفاجات خاصة بها مستعدة دائماً للعمل · فللمراكز العصبية النفروغلى (nevroglie) التي هي مصدر النيورونوفاج · وللعضلات المخططة السار كوبلاسما التي تعمل عمل المكروفاج · وللعظام الاوستيوكلاست · واما الكبد والكليتان فتهاجمها المكروفاجات بسهولة وتسوق اليها الدورة الدموية واما البلورية والقرنية فليس لها من العناصر ما يقوم بعمل المكروفاج

ان بعض الامراض العفنية تجلب الشيخوخة الباكرة فالولد المصاب بالزهري هو عجوز صغير ذو وجه مجعد ولون كالح وجلد ناشف مترهل كثير الغضون يبين كأنهُ اوسع مما يلزم لغلاف الجسم الذي يلبسهُ · فهذا الهزال هو بدون ريب من عمل مكروب الزهري الذي سمَّ الولد في جوف امهِ · وهذه المشابهة تحمل على الزعم بأن الشيخوخة قد تكون نتيجة تسمم مزمن وبطيء لان السموم التي لا تقتل او التي تنفرز من الجسم تضعف الانسجة فتختل وظيفتها وتضعف الأ ان الفاغوسيت هو اقوى كل العناصر على احتمال فعل السموم التي تسري الى جسمنا بل تنتبه قوتهُ احياناً بتأثير تلك المواد السمّيّة فيقوم في هذه الحالة نزاع بين العناصر المهمّة والمكروفاج تكون الغلبة فيهِ للمكروفاج

واذا شئنا ان نوضح هل في الامكان تحسين حالة شيخوختنا يجب ان ندرس المسئلة من عدة وجوه · وهذا ما سنجتهد ان نبينهُ في الفصول الآتية

الدكتور
امين ابو خاطر

المتطببون في الصين

في الصين كما في سائر بلاد الدنيا وخصوصاً المشرق رجال اتخذوا التطبيب لهم حرفة من غير ان يدرسوا فن الطب او يجوزوا امتحاناً فيهِ او تكون بايديهم شهادة بانهم اهل لتعاطيهِ . فهم المتطببون لغة والدجالون اصطلاحاً

وكثيراً ما يكون المتطبب في الصين تاجراً كسدت بضاعتهُ فافضى بهِ الحال الى الافلاس فلجأ الى معالجة الناس ولاسيما انهُ في حرفتهِ الجديدة لا يحتاج الى بضاعة كثيرة اذ الادوات الطبية والجراحية تكاد تكون مجهولة في تلك البلاد

ومن اهم طرق العلاج واعمها في الصين غرز الابرة وهو قديم العهد جداً لا يعرف بدؤهُ بالتحقيق . فان على سطح الجلد ٣٣٧ علامة خلقية يجب على كل من شاء احتراف هذا الفن ان يعرفها ويتعلم اسماءها ويدري مواضعها بالتدقيق اذ لكل منها في زعمهم علاقة بجزء من اجزاء الجسم الباطنة . وهم يحذرون مس الشرايين كل الحذر فلذلك يضطرون الى درسها درساً جيداً تفادياً من الخطإ . ودرسهم اياها يكون على تمثال انساني رسمت على سطحهِ الشرايين ودُلَّ فيهِ على المواضع التي لا يجوز غرز الابرة فيها ضرراً . وقد يتفق احياناً كثيرة ان تنكسر الابرة في جسم العليل فتترك مكانها الى ان يستخرجها طبيب من الغربيين

اما الابرة فتشبه في منظرها ابرة الخياطة العادية ولكنها اطول منها واغلظ ومن هؤلاء المتطببين ما يبلغ طول ابرتهِ قدمين . ويقول المعجبون بهم انهم يستطيعون غرزها كلها في جسم العليل من غير اذى . وواقع الامر ان طول الابرة وغلظها يراد بهما بيان نَفَس صاحبها وامتداد شهرتهِ . وهي عندهم على ثمانية اشكال . واذا ارادوا غرزها دقوا على طرفها الآخر بقدوم صغير

وكثيراً ما يحصل المتطبب على كتاب للوصفات الطبية من طبيب اقعدهُ العجز عن العمل . فاذا بات الكتاب في يدهِ كان آلة للموت او الحياة للقتل او الشفاء طبقاً لداعي الجهل او الاتفاق واعظم المتطببين مكانة في العيون ابناء المتطببين وخصوصاً احفادهم . فمن تطبب ابوهُ « قبلهُ ثم قبل ذلك جدهُ » كان صاحب القدح المعلّى في العلاج . وليست هذه المكانة مبنية على مجرد اعتقاد بالوراثة وفعلها بل على اعتقاد بعظم قيمة الوصفات الطبية المتوارثة ابا عن جد

وتختلف اجرة المتطبب باختلاف طبقتهِ وطبقة المرضى الذين يعالجهم . فاذا عادهم وهو راكبٌ المحفَّة الصينيَّة المعروفة اختلفت اجرتهُ من ٣ غروش الى نصف ريال في الكثير . وجزءٌ كبير من هذه الاجرة يدفعهُ اجرة للمحفَّة . واذا كان من اهل الطبقة الدنيا جاءَ على الغالب ماشياً وكانت اجرتهُ اقل مما ذكر

واهمُّ ما يلجأُ اليهِ في تشخيص المرض جسّ النبض في مواضع مختلفة من الجسم . فهو يجسّهُ في الرسغين اولاً . وكلُّ رسغ مقسوم الى ثلاثة اقسام . والجسّ في كل قسم يكون على حالتين اما خفيفاً واما شديداً وكلٌّ من هذه الحالات يدلُّ على عضو من اعضاء الجسم الباطنة وبذلك يعرف الطبيب حالة اثني عشر عضواً منها كما يزعم حتى اذا عرف العلة واستقصى مكانها سأل بعض مسائل يحسبها ثانوية لا حاجة اليها في حقيقة الامر ثم يكتب وصفة تتضمن جرعات كبيرة من مركب تمجّ لهُ نفس الذئب حتى يتقيأ . ويعتقد الصينيون انهُ كلما كبرت الجرعة كان فعلها احسن واضمن

ومن غريب ما يذكر عن قلة فطنة الصينيين على قِدَم عهدهم بالحضارة والفلسفة واشتهارهم بالمواظبة على العمل وكونهم صُنَّع الايدي في كل صنعة يدوية يحترفونها — ان الاطباء الغربيين المقيمين بين ظهرانيهم اذا دعوا لعيادة مريض اضطروا ان يوصوهُ هو واهلهُ اشدّ توصية بان لا يبتلع الورق الذي يُصَرُّ الدواءُ فيهِ . وهذا يذكرنا قصة قرأناها عن اميركي كان مقيماً في الصين فاراد ان يعود الى وطنهِ لزيارة اهلهِ فابتاع لهم هدية طاقماً للشاي من الصيني البديع الصنع الغالي الثمن . فلما فتحت الهدية وجد احد الفناجين مشقوقاً فارسلوا الى المعمل الذي صنعت الفناجين فيهِ يطلبون صنع فنجان كالمشقوق تماماً . فجاءهم فنجان مثلهُ تماماً في كلّ شيءٍ حتى في شقهِ !!

وفي الاقراباذين الصيني بعض الادوية المعروفة عندنا وفيهِ ايضاً كثير من الادوية مثل التي وصفتها الجنيّات الثلاث في رواية مكبث لشكسبير وهنّ جالسات حول قدرهنّ . منها جلد افعى . حيوان متحجر شعر قرن الايل وبر كركدن . كتان حجري (اسبستوس) دود قزّ . سوس . صدف محارة وهلم جرًّا . ويكاد كلُّ شيءٍ يمجهُ الذوق وينفر منهُ الانف يحسب دواءً ناجعاً . وترى دكاكين الادوية كثيرة في كل مكان

واعجب من ذلك كلهِ طريقة معاملة المرضى لاطبائهم وهي تشبه طريقة اهل المشرق كلهِ قاصيهِ ودانيهِ فاذا لم يشفَ المريض سريعاً على يد طبيبهِ الاول دعا ثانياً . فاذا كان حظهُ منهُ حظهُ من الاول دعا ثالثاً . الى ان يدعو سائر اطباء الحيّ ويمتحن مهارتهم في نفسهِ

السفر بين اوربا واميركا

بالبلون

يقال ان الكونت تسبلن الالماني المعروف بالبلونات المنسوبة اليهِ يحاول الآن صنع طرز جديد يجتاز الاوقيانوس الاتلانتيكي الفاصل بين اوربا واميركا . وقد عرف عن هذا البارون ان الغاية التي كان يرمي اليها من عمل بلوناتهِ في بادىء الامر هي اكتشاف القطب الشمالي فلما سبقهُ بيري الاميركي الى ذلك غيَّر خطتهُ فجعل من جملة اغراضهِ اجتياز الاتلانتيكي ببلونهِ . فتألفت لجنة لاخراج هذه الفكرة الى العمل يرأسها الاستاذ هرجسل المتيورولوجي الالماني

ومما هو جدير بالذكر ان الرحَّالة الاميركي « ولمان » كان قد بنى بلوناً لاكتشاف القطب سماهُ « اميركا » فاخفق ولكنهُ سبق كلَّ من سلفهُ بجعل بلونهِ يطير مدة ٧٠ ساعة متوالية من غير ان ينزل بهِ الى الارض وحذا رحالة آخر اميركي اسمهُ « فنيمان » حذوهُ فبنى بلوناً اسمه « أكرون ا » على نية اجتياز الاتلانتيكي من الغرب الى الشرق فضاع البلون بمن فيهِ

وعلى هذا الاثر تألفت شركة المانية اميركية لعبور الاوقيانوس المذكور برئاسة رجل اسمهُ جو بروكر . فصنع بلوناً سماهُ « سوكارد » وعزم على السفر بهِ من جزر كناري غربي افريقية الى جزر الانتيل الصغرى مطاوعةً للرياح التجارية ثم عدل عن هذا العزم كما سيجيء

وقد بحث كاتب في السينتفك اميركان في مسئلة الطيران فوق الاتلانتيكي وما تستلزم من التدابير قبل الاقدام عليها فقال انها تستلزم اختيار طريق يكون اخصر الطرق وتكون الاحداث الجوية فيهِ اكثر ملاءمة للمسافر منها في غيرهِ . وهذه الاحداث هي اولاً دوام الحرارة والضغط الجوي على حال واحدة تقريباً غير عرضة للتقلب الكثير . وثانياً هبوب رياح ثابتة معتدلة لا تزيد شدتها على حدٍّ معين

اما من حيث الامر الاول فيقال اجمالاً ان كل تغيُّر مفاجيء في درجة الحرارة والضغط الجوي يفضي الى تقلص غاز الهدروجين الذي يملأ البلون بهِ او الى تمددهِ فلا بدَّ من التحوط لذلك اذا أُريد ابقاء البلون على علو واحد وهذا ما يسمونهُ بالتوازن العمودي وهو اهمُّ ما يشغل المشتغلين بهذا الفنّ . وقد احتاطوا لتقلص الغاز وما يعقبهُ من تغيُّر شكل البلون بنفخ الهواء فيهِ الى ما يسمونهُ « البالونت » وهي بلونات صغيرة ضمن البلون الكبير يعيضهُ الهواء مما فقدهُ بتقلص الغاز ولكن يزيد ثقلهُ ويقل ارتفاعهُ . ومتى تمدَّد الهدروجين

ضغط على الهواء واخرجة من « البالونت » · ولكن قد يبقى المدروجين آخذاً في التمدد بعد خروج الهواء من البالونت فلا بدّ حينئذٍ من ايقافهِ عند حدهِ خشية ان تفضي زيادة تمددهِ الى انشقاق البلون · وفي معظم البلونات يتداركون ذلك بمصراع يخرج منهُ الغاز متى بلغ حدّاً معيناً من الضغط · وعيب هذه الطريقة فقد بعض الغاز من غير ان تكون هناك واسطة لتعويضهِ عند الاقتضاء

وقد اخترع مشاهير الطيارين عدة طرق لاصلاح هذا العيب فالطيار « ولمان » وصل بلونهِ « اميركا » ذيلاً وتركهُ يغوص في ماء البحر فاذا خفّ البلون بتمدد الغاز اخذ في الارتفاع فيرتفع الذيل معهُ فيزيد ثقلهُ بخروجهِ من الماء و بالتالي يزيد ثقل البلون فيكفّ عن الصعود واذا ثقل البلون بتقلّص الغاز غاص الذيل في الماء فخفّ و بالتالي خفّ البلون فكفّ عن الهبوط · ولكنهُ وجد بالاختبار ان هذا الذيل لا يفي بالمرام لانهُ يعرّض البلون لكثير من الاضطراب لاقل نوء يحدث في البحر

اما الطيار قنيان فاحاط البلون بشبكة من اسلاك الفولاذ تمنع الغاز من التمدد وتبقيهِ على حجم محدود فاذا أحمت الشمس الغاز ازداد الضغط في البلون ولكن حجم الغاز يبقى واحداً و بالتالي تبقى قوة رفع البلون كما هي واذا برد الغاز باقبال الليل او بسبب آخر قلّ ضغط الغاز ولكن حجمهُ يبقى كما كان لان البلون يملأ غازاً تحت اقل درجات الحرارة · اما ارتفاع البلون فيضبط باجربة تملأ هواء اذا ارتفع البلون فيكفّ عن الارتفاع او يأخذ في الهبوط حتى يبطل ارسال الهواء الى الأجربة

واما الطيار بروكر فكان يرمي الى ابقاء ضغط الغاز في بلونهِ متساوياً برشاش من الماء يبقي حرارة الغاز واحدة على الدوام · ولكن شركتهُ توقفت كما تقدم القول

و يقال ان في احدث البلونات التي بنيت على نية اجتياز الاوقيانوس جهازاً مؤلفاً من طلمبة مزدوجة تصل ما بين غلاف البلون الحاوي للغاز وخزان حاوٍ للغاز الاحتياطي فتعطي الطلمبة وتأخذ بينهما على حسب تقلص الغاز في غلاف البلون او تمددهِ · ولهذه الطريقة مزيتان الاولى عدم فقد شيء من الغاز · والثانية ان الخزان يعيض البلون مما يفقد من غازهِ بخروجهِ من مسامهِ

هذا ما يقال في الحرارة وضغط الهواء · اما مسئلة اعتدال الرياح فغاية ما يقال فيها انهُ منذ نحو عشر سنين كانت سرعة اسرع البلونات لا تزيد على اربعين ميلاً في الساعة وعليهِ لم يكن البلون ليستطيع المسير ضد ريح تساوي سرعتها سرعتهُ او تزيد عليها اما الآن

وقد بلغت سرعة احدث البلونات ٧٥ ميلاً في الساعة فقد سهل عليها اجتياز الاتلانتيكي على نسبة ازدياد سرعتها

ومما يساعدها على ذلك ما رسم من الخرائط الكثيرة في بعض مراصد اميركا وانكلترا مدة سنين كثيرة . وفي هذه الخرائط بيان الرياح المتسلطة على جوّ الاتلانتيكي الى علو كثير باعظم ما يكون من الضبط والدقة . ويؤخذ منها ان اسهل الدروب التي يجتاز فيها الاوقيانوس اثنان . الاول طريق يمتدّ بين مدينة سان جون في نيوفوندلند بازاء كندا وبين مدينة فالنشيا في ارلندا والمسافة بينها ١٨٠٠ ميل (انظر الخريطة المرسومة) ولا تزيد سرعة هبوب الرياح فيها على ٢٨ ميلاً . ويمكن البلون الذي سرعتهُ ٧٥ ميلاً في الساعة ان يجتاز هذه المسافة من الغرب الى الشرق في ١٨ ساعة الى ٢٠ ساعة . ومن الشرق الى الغرب في ٣٦ ساعة الى ٤٠ . وهذا الفرق ناشئ عن تسلط الرياح الغربية . وكذلك يمكن البلونات ان تسير على هذا الخط ستة اشهر في السنة على القليل

واما الطريق الثاني فيمتدُّ ما بين لسبون (لشبونة) عاصمة برتوغال واحدى جزر الانتيل الصغرى والمسافة بينها ٣٦٠٠ ميل فهو طويل ولذلك نبذوهُ في جنب الطريق الاول المختصر

على ان وجود طرفي الطريق الاول في ارض انكليزية يحول الآن دون قيام البلونات الالمانية منها فلا بدَّ من قيامها من ارض المانية هي اقرب ما يكون الى الساحل الاميركي . واذا قلنا ان الالمان اتخذوا غنت في البلجيك قاعدة لبلوناتهم هذه فان المسافة بينها وبين فرضة بنغور في ولاية ماين باميركا نحو ٣٢٠٠ ميل . فهل عندهم بلونات تقوى على البقاء طائرة طول هذه المسافة . والمقول ان عندهم ما يشبه هذه البلونات فانهم بنوا بلونات ثقل الواحد منها ٦١ طنًّا منها ٢١ طنًّا حمولةً تقسم هكذا :

١ طن ثقل ١٥ رجلاً (ربان ومساعدان لهُ و٤ للدفة ومهندس و٧ ميكانيكيين)
١٩ » ثقل الوقود مدة ٥٢ ساعة
١ » مؤونة
———
٢١

وغني عن البيان انهُ اذا كانت سرعة البلون في الساعة ٧٥ ميلاً فانهُ يقطع ٣٩٠٠ ميل في ٥٢ ساعة . وهذا يزيد ٧٠٠ ميل على المسافة بين البلجيك واميركا . والمظنون ان هذه الزيادة قد تكفي لحساب الطوارئ التي تطرأ على البلون فتعوق مسيرهُ . على انها قد تكون دون الكفاية بكثير . وهذا ما تبينهُ لنا الايام

الطبُّ الشرعيُّ

الحياة والموت وعلاماتهما

الحياة

الحياة هي الانفعال بالمؤثرات الخارجية والقدرة على تحويل الغذاء الى بروتوبلاسما وعلى النمو والتوليد والافراز . وتشترك كل احشاء الجسم واجزائهِ في هذه الافعال . واهم الظواهر التي يعرف بها الحي من الميت ضربات القلب والتنفس

الموت

الموت هو توقف القلب او الرئتين او الدماغ عن العمل ثم توقف غيرها من الاعضاء . واذا كان السبب الاول للوفاة وقوف القلب سمي ذلك بالسنكوب او السكتة القلبية وتشاهد في امراض القلب والدفثيريا والتسمم بالكلوروفورم والنزف الشديد . واذا كان السبب الاول وقوف التنفس سمي اسفكسيا (الاختناق) ويشاهد في احوال كتم النفس والخنق والشنق والغرق والتتانوس والتسمم بالاستركنين واصابات مركز التنفس في المخ . واذا كان السبب الاول في المخ يعرف ذلك بالسكتة المخية او الكوما كما في احوال التهاب السحايا المخية والتسمم بالافيون والكحول والمواد المخدرة . وفي هذه الحالة تشاهد الاوعية الوريدية ممتلئة بالدم داخل الجمجمة . واما في حالة السكتة القلبية فانك تجد القلب ممتلئاً بالدم والمخ والرئتين خالية منهُ . ما لم يكن السبب النزف الشديد فاننا نجد القلب خالياً من الدم ايضاً ولكن في اغلب حالات الموت يكون السبب غير بسيط الى هذا الحد بل يشترك سببان معاً فلو حصل نزف في قنطرة ڤارول فانهُ علاوة على حدوث الموت بالكوما يؤثر هذا النزف في مركز التنفس العصبي بالمخ و ينشأ عن ذلك علامات الاسفكسيا ايضاً وهلمَّ جرًّا

الاسباب الطبيعية للموت الفجائي

(١) امراض القلب وهي امراض الصمامات وخصوصاً صمامات الاورطى وامراض الشرايين المزدوجة القلبية والاستحالة الدهنية او التحول الدهني لعضلة القلب وتمزق القلب الفجائي وانفجار الاورطى او اي وعاء آخر كبير . والنزف الرئوي نتيجة درن في الرئة و يكثر في الرجال

(٢) الاورام المخية التي لم تعالج والنزف المخي بسبب الوفاة الفجائية في بضع ساعات او حالاً و يشاهد في المتقدمين في السن عادة ولكن هذا لا ينفي حدوثهُ في الاطفال والشبان

(٣) دخول اجسام غريبة في الحنجرة واوزيما المزمار والتهاب الرئة

(٤) انفجار انورزم في البطن او حمل خارج الرحم او ثقب قرحة في المعدة او الاثني عشري او في الامعاء الدقاق من حمى تيفودية او في الزائدة الدودية او سدادة معوية اوجلطة دموية (embolism) في الرئة نتيجة ثرمبوز (thrombosis) تخثر وريدي في اوعية الرحم عقب الوضع او انفجار طحال كبير او كيس ديداني (hydatid) اونزيف في البنكرياس

(٥) بين الوفيات وفاة لا يجد الطبيب بالتشريح سبباً لها مثال ذلك السكتة القلبية في الدفثيريا فانهُ لا يجد في القلب اي تغيير · وفي داء اديسون (المرض النحاسي) وفي الذبحة الصدرية · وفي السعال الديكي احياناً لا يوجد في القلب او الحنجرة اي تغيير وكذلك في الوفاة على اثر رعب او صدمة او الضرب على البطن او العنق او في منطقة القلب او الصفن

وابسط الامراض في مدمني الخمر كثيراً ما يفضي الى وفاة فجائية · ومثل ذلك يقال عن المصابين بالالتهاب الكلوي الحبيبي وكثيري السمن

علامات الموت

(١) وقوف القلب · ويعرف ذلك بالتسمع بالاذن او السماعة (المسماع) او بالشعور باليد بدقاتهِ او بنبض الشرايين التي قرب سطح الجلد او بربط اصبع ربطاً محكماً فاذا ورم الجزء الذي اسفل الرباط يكون القلب لا يزال ينبض وبالعكس اذا لم يرم · او بفتح شريان صغير وملاحظة تيار الدم هل يندفع بشكل رشاش او لا يندفع فاذا اندفع دل ذلك على الحياة

(٢) وقوف التنفس · اطول مدة وقف فيها التنفس ثم اعيدت الحياة ثلاث دقائق ونصف ويعرف وقوف التنفس بملاحظة حركات الصدر وبالتسمع وبوضع مرآة امام الفم فان اكتست بضباب فلا يزال الشخص حيًّا او بوضع ريشة امام الفم فان تحركت دل ذلك على الحياة ايضاً

(٣) برودة الجسم · عند حدوث الوفاة تفقد العوامل التي تولد الحرارة في الجسم

فيبرد تدريجيًّا . وقال بعضهم انهُ يبرد نحو درجة واحدة من مقياس سنتغراد في الساعة حتى تبلغ حرارتهُ حرارة الوسط الذي هو فيهِ. ولا يعول على الحرارة الخارجية بل تؤْخذ الحرارة من المستقيم و يؤَخر زوال حرارة الجسم الحميات والتسمم بالاستركنين والوفاة الفجائية والسنّ المتوسطة والاسفكسيا والسمن والتدثر وعدم وجود هواء كاف في الوسط الذي هو فيهِ وصغر حجم الوسط وليونة المادة الموضوعة عليها الجثة وشدة حرارة الجو والدفن في الارض . و يسرع برودة الجسم الامراض المزمنة وخصوصاً المصحوبة بضعف عام والوفاة التدريجية وكبر السنّ والصغر والنحافة والعري والهواء الكثير وسعة الوسط وصلابة المادة التي وضعت الجثة عليها و برودة الجو والتغطيس في الماء

تبتدئ البرودة في الاطراف اولاً واذا وجدت حرارة الجسم الداخلية كحرارة الوسط يمكنك القول بان الوفاة حصلت من مضي ٨ ساعات الى ١٢ ساعة على الاقل

(٤) تغيير في لون الجلد . اذا توقف الدم عن الدوران شحب لون الجلد عقب الوفاة مباشرة ولا يظهر ذلك جيداً في سود البشرة ولا في المتسممين بأول اكسيد الكربون او المصابين بالبرقان . و يفقد الجلد مرونتهُ و بعض شفوفهِ . واذا فحصنا اليد مثلاً في الحي بالسبكترسكوب نرى طيف الدم خلافاً للميت فان هذا الطيف لا يرى في دمهِ . ويحدث تغيير لونيّ آخر في جلد الميت في الاجزاء المدلاة منهُ يعرف بالكدم الرمي سنتكلم عليهِ فيما بعد

(٥) تأثير الحرارة في الجلد . لا يلجأُون عادة الى هذه التجربة لمعرفة الحي من الميت ولكن لا بأس من ذكرها وهي اذا مسّت النار جلد الحي تكونت مكان مسها فقاعة مملوءة بسائل زلالي واذا ازيل غشاء الفقاعة يشاهد احمرار في الجلد الحقيقي تحتهـا وبعد زمن وجيز يشاهد حول الفقاعة خط احمر اللون . وفي الميت قد تتكون الفقاعة ولكنها تكون ممتلئة هواء او سائلاً غير زلالي والجلد اسفلها غير احمر وليس حولها احمرار . ومن قبيل هذه التجربة قطر نقطة من الاثير في العين فان احمرت الملتحمة دلّ ذلك على وجود الحياة

(٦) فقد الاحساس والحركة . يجب في الوفاة الحقيقية ان يفقد الاحساس والحركة ولكن لا يفوت الطبيب انهما يفقدان ايضاً في الوفاة الظاهرة مثلاً في بعض احوال السبات العميق والغرق والسكتة المخية والامراض العصبية والصرع والتنويم المغنطيسي

(٧) تغييرات في العين وحولها . تفقد القرنية قوتها العاكسة في الموت وفي التخدير العمومي وفي السكتة المخية وفي التسمم البولي والصرع والتسمم بالمخدرات . وتظلم القرنية في الوفاة وفي الضعف العام الشديد وقد تستمر شفافة الى حين بعد الوفاة وتلين كرة العين عقب الوفاة وتتمدد حدقة العين ايضاً ما لم يكن سبب الوفاة التسمم بالافيون فانها تضيق ولا تتأثر بالضوء او العقاقير ولكن اذا وضع في العين اتروبين او ايزرين فقد يستمر تأثيره في الحدقة بعد الوفاة ساعة على الاكثر فالاول يمددها والثاني يقلصها

(٨) تغييرات دموية . الدم لا يتجلط الاَّ اذا كان ميتاً والتجلط لا يحدث في الاوعية الدموية بسرعة حدوثه خارج الجسم بل في الحالة الاخيرة يحدث في بضع دقائق وقد لا يحدث في الجسم الاَّ بعد برودته . وعقب الوفاة تنقبض الشرايين ويركد الدم في الاوردة واذا قطع وريد فقد ينزف منهُ دم ولكن هناك فرقاً بين النزف الحيوي وغير الحيوي

(٩) الكدم الرمي . هو لطع حمراء غامقة او ارجوانية تظهر في الاجزاء المدلاة من الجسم عقب الوفاة ببضع ساعات (من ٣ ساعات الى ١٢ ساعة) وتبتدئ صغيرة ثم تكبر وتتجمع ويتصل بعضها ببعض . وتظهر عادة في الجزء الخلفي من الجسم اذا كانت الجثة ملقاة على ظهرها ولا تظهر في الاجزاء المضغوطة سواء كان ضغطها بثقل الجسم كالكتفين والاليتين والكعبين او برباط . وهذه الظاهرة لا توجد فقط في ظاهر الجثة بل في الاحشاء الداخلية كالرئتين والمعدة والكبد والكليتين والمخ والامعاء ولكن يجب ان نفرق بين الكدم الرمي والاحتقان الحيوي في الاحشاء فاذا كانت الرئة محتقنة يمكن تفتيتها بسهولة بالاصبع ولا يمكن ذلك في حالة الكدم . وفي باقي الاحشاء لا يرى احمرار دائم ولا ورم ولا يتكون صديد في الكدم الرمي بخلاف ما هو الامر في الاحتقانات الحيوية

وفي بعض الاحيان تفيد الكدمات الرمية اذ تدلنا هل نقلت الجثة من موضعها ام لا . فاذا وجدنا الجثة ملقاة على وجهها والكدمات في الظهر دلَّ هذا على تغيير وضعها ولكن اذا نقلت الجثة قبل حصول الكدم او بعدهُ والدم لا يزال سائلاً اي لم يتجلط فيتغير الكدم بتغيير الوضع ولا يفيدنا ذلك شيئاً

وقد يتشابه الكدم الرمي والكدم الحيوي فعند شق الكدم الحيوي يشاهد ايكموز متخللاً الانسجة لا يزول بالغسل بالماء وجلط دموية ولكن في غير الحيوي يشاهد في الاوعية ويزول من الانسجة بالغسل وهو سطحي لا يتخللها كالحيوي ويصحب الكدم الحيوي ورم

ويمجج بعض الاحيان واذا مضى عليهِ بضع ايام يتغير لونهُ بالوان مختلفة . وهذا لا يشاهد في غير الحيوي علاوة على ان الكدم الرمي لهُ حافة منتظمة و يوجد في اجزاء مخصوصة من الجسم واما الحيوي فحافتهُ غير منتظمة و يوجد في اي جزء . ولنلاحظ ان الكدم الرمي لا يتغير لونهُ الاَّ بالتعفن الرمي فيكتسب لوناً نحاسياً او اخضر

(١٠) التغير في العضلات . يحصل في العضلات ثلاثة تغيرات مهمة عقب الوفاة (١) ارتخاء ابتدائي (٢) تيبّس (٣) ارتخاء ثانوي

ففي الارتخاء الابتدائي تتأثر العضلات اذا نبهت بتيار كهربائي وتؤثر تأثيراً قلويًّا في ورق عباد الشمس (اللتموس) . ولا تنقبض العضلات من نفسها ومتوسط بقاء هذه الحالة ثلاث ساعات وقد تمكث اكثر من ذلك . وشوهدت في رجل بعد قطع رأسهِ بمدة ٢٦ ساعة . وفي حالة التيبُّس الرمي يكون تأثيرها على ورق اللتموس حمضيًّا ولا تتأثر العضلات بالتيار الكهربائي و يبتدئ في الفك الاسفل والوجه والعنق ثم يمتدُّ الى الجذع والاطراف العليا فالاطراف السفلى وفيهِ تتقلص جميع العضلات وتيبس الاطراف ويظهر التقلص على الخصوص في القلب في البطين الايسر ويجمد الميوسين وتخرج كمية وافرة من ثاني اكسيد الكربون . ويظهر بالمكرسكوب ان الالياف العضلية فقدت بعض شفوفها واذا فقدت العضلات انقباضها باي وسيلة فانها لا تعود ثانياً الى الانقباض وعليهِ فلا يمكن خلط التيبس الرمي بالتتانوس او الصرع او الهستيريا فان التيبس الرمي يبدأ في الجثة بعد ثلاث ساعات او اربع عقب الوفاة وقد يبتدئ والجسم لم تبلغ حرارتهُ حرارة الوسط الذي هو فيهِ . ومن الاسباب التي تؤجل حدوث التيبس الرمي الوفاة الفجائية كالشنق والخنق وتحدث سريعاً في المولودين حديثاً وفي المنهوكي القوى بالامراض وغيرها كما يشاهد في الجند في الحروب وفي احوال التسمم بالمواد التي تحدث تشنجات كالاستركنين . وكلما اسرع في الظهور اسرع الارتخاء الثانوي وعلى الراجح ينتهي التيبس في ٢٤ ساعة الى ٣٦ ساعة ويتأثر في ذلك بحسب الجو ففي الجو البارد يبقى طويلاً وربما بقي اسبوعاً او عشرة ايام في البلاد الباردة جدًّا وفي الجو الحار يبقى مدة قصيرة . وكذلك يتأثر بحسب سبب الوفاة ففي الامراض المضعفة جدًّا يبقى قليلاً وفي الامراض العفنة كالتسمم العفن قد لا يوجد وفي احوال التسمم بالزرنيخ والزيبق يبقى طويلاً . وقد يرى التيبس في الاطراف في الجو الحار في حين ان التعفن يكون قد ابتدأ في باقي الجثة كما هو الحال في صيف مصر

وهناك حالة يجوز ان نسميها التيبس المعجل وهذه تشاهد في الجثث التي تلقى في سائل

فعال او تحرق فان جميع السوائل الزلالية تجمد ولذلك يظهر التيبس سريعاً · ومن التيبس الرمي نوع يعرف بالتيبس الوقتي وهو الذي لا نشاهد قبلهُ الارتخاء الابتدائي وهذا يظهر في الاشخاص الذين أجهدوا كثيراً قبل الوفاة وفي اقوياء البنية وفي الوفاة الفجائية وفي احوال الوفاة الناشئة عن اضطراب شديد في الجهاز العصبي كما في احوال السكتة المخية او الاصابة بالرصاص في الرأس وفي الغرق او الانتحار او البرد · ومع ذلك فقد يحصل في الوفاة الهادئة و يميز عن التيبس الرمي العادي بانهُ اذا كان الميت قد امسك بيدهِ شيئاً وهو يلفظ روحهُ بقي ذلك الشيء في يدهِ كما كان قبل موتهِ · و يفيد ذلك في احوال الانتحار فربما تشاهد الآلة التي استعملت في اليد كما قد تبقى في اليد اجزاء من شعر او ملابس القاتل فيتميز بها في احوال الموت الجنائي · وفي بعض الاحيان يقلد بعض الجناة هذه الحالة بوضع سكين في يد المجني عليهِ بعد وفاتهِ وتربط برباط حتى يأتي التيبس الرمي العادي و يرفع الرباط ولكن في هذه الحالة يمكن بمشاهدة آثار الرباط واتجاه السكين وملاحظات اخرى على الاصابة نفسها والتحقيق تلافي الوقوع في الخطإ

(١١) التعفن الرمي · بعد ان ينتهي دور التيبس الرمي يمر على الجثة دور الارتخاء الثانوي ومعهُ التعفن الرمي وفي هذا الدور لا تتأثر العضلات بالتيار الكهربائي · والتعفن الرمي هو مجموع اعمال تنحلل بها مركبات الجسم المركبة الى مركبات بسيطة وعناصر اولية كالماء والنشادر والنتروجين وثاني اكسيد الكربون وغيرها · و يؤثر في سرعة حدوث التعفن العوامل الآتية :

عوامل داخلية

(١) السن · ففي الاطفال والشبان يكون التعفن اسرع منهُ في الشيوخ

(٢) الجنس · في النساء السمينات يكون التعفن اسرع منهُ في الرجال وخصوصاً اللاتي في دور النفاس

(٣) حالة البنية · السمين يتعفن باسرع من النحيف

(٤) نوع الوفاة · يتأخر التعفن في صحيح البنية في الوفاة الفجائية واما في حالة الامراض المزمنة والحادة والحميات والتسمم بكبرتوز الهدروجين او الاختناق بالدخان فالجثة تتعفن بسرعة واما في التسمم بحامض الفنيك او الزرنيخ او الانتيمون او كلورور الزنك فالتعفن يتأخر

عوامل خارجية

(١) وجود الهواء يسرع التعفن كما اذا كانت الجثة عارية من الملابس او في ارض ذات مسام او مشققة او وضعت الجثة في صندوق غير محكم الغطاء · وعدم وجود الهواء او قلته يؤخران سرعة التعفن كما اذا كان على الجثة ملابس كثيرة او وضعت في ارض ملساء (طينية مثلاً) او في صندوق محكم الغطاء

(٢) حرارة الوسط · فدرجة الحرارة الملائمة للتعفن هي من ٢٨ سنتغراد الى ٣٨ والدرجات غير الملائمة هي من ٤٥ الى ١٠٠ سنتغراد اذ تجف سوائل الجسم وكذلك البرد لا يلائمهُ

(٣) الرطوبة تساعد التعفن والجفاف يؤخرهُ

(٤) نوع الوسط الذي تدفن فيهِ الجثة · فالجثة تتعفن في الهواء بسرعة تساوي ضعفي السرعة التي تتعفن فيها لو وضعت في الماء وثمانية اضعاف هذه السرعة لو وضعت في الارض في الزمن نفسهِ · او بعبارة اخرى التعفن الذي يشاهد في جثة تركت اسبوعاً في الهواء يشاهد في جثة تركت اسبوعين في الماء وثمانية اسابيع في الارض ولكن هذه نسبة تقريبية تتأثر بجميع العوامل السابق ذكرها

تأثير التعفن في الجثث · يحصل في الجثة تغيرات في اللون والرائحة والقوام فالتغيير في اللون ناشيء عن تحليل الهموجلوبين (المادة الملونة في الدم) والرائحة ناشئة عن غازات التعفن التي تتولد اثناء تحليل الجسم اما التغيير الذي يحدث في القوام فهو لين في جميع اجزاء الجسم حتى تصبح الجثة عجينة واحدة ثم تنحلل الى مركبات بسيطة وعناصر اولية

اول تغيير في اللون يشاهد بعد يوم او اثنين من الوفاة وهو اخضرار حول السرة في الجلد او في الجهة اليمنى من البطن اسفل السرة و يتزايد هذا الاخضرار تدريجاً حتى يغطي الجذع واعضاء التناسل ثم تظهر لطع منهُ على الوجه والأطراف وفي الوقت نفسهِ او في اليوم الثالث تظهر الاوردة على سطح الجسم كخطوط زرقاء محاطة بتغييرات في لون الجلد ناشئة عن تحليل الدم من احمر الى ارجواني الى اخضر الى اسود

ومن اليوم الخامس الى السادس او قبل ذلك ينزل بضغط غازات التعفن سائل غامق اللون من الانف والفم واحياناً رغوة ويبدأ البطن في الانتفاخ وكذلك الوجه واعضاء التناسل الظاهرة وقد يبرز اللسان وكرة العين وفي اليوم الثامن او العاشر تنخفس القرنية وفي بحر الاسبوع الثالث تظهر فقاقيع على الجسم مملوءة بسائل غامق اللون وتسيب الاظافر

والجسم جميعهُ يأخذ لوناً اخضر او اسود وتظهر الديدان في اجزاء مختلفة منهُ وينتفخ انتفاخاً شديداً يجعل معرفة ملامح الوجه مستحيلة

تأثير التعفن في الاحشاء . يظهر الكدم الرمي الاحمر او الاخضر في الحنجرة بعد ٣ او ٥ ايام ويلين مخ الاطفال ويصير عجيني القوام في ٤ او ٥ ايام او اقل ويظهر الاخضرار في غشاء المعدة او الامعاء المخاطي بعد خمسة او ستة ايام ويلين الطحال في نفس هذا الزمن ايضاً ويظهر في سطح الكبد تغير رمي في اللون ولكن قوامها يستمر صلباً بضعة اسابيع وفي اسبوع او اثنين يلين مخ البالغ واما القلب فيمكن تمييزهُ لبضعة اشهر عقب الوفاة وان كان يلين جداً في يومين اذا كان سبب الوفاة تسم عفن . ويبدأ في الرئتين سريعاً ظهور فقاقيع غازات التعفن ولكنهما لا تتعفنان الاَّ بعد اشهر اذ تتحولان الى عجينة خضراء سوداء وكذلك الكليتان والمثانة والمريء والبنكرياس

واما الحجاب الحاجز فيبقى زمناً طويلاً يمكن تمييزهُ فيهِ وهذا الزمن قد يكون ستة اشهر والرحم يمكن تمييزهُ بعد تسعة اشهر او اثني عشر شهراً وكذلك الشريان الاورطي

(١٢) التصبُّن (اديبوسير) . قد تتحول الانسجة الرخوة في الجسم الى صابون يعرف بالاديبوسير وهذا الصابون نتيجة تأثير النشادر وهو احد الغازات الناشئة من التعفن في دهن الجسم . وفي بعض الاحيان يستبدل النشادر بمادة قلوية اخرى كالبوتاسا الكاوية او هيدرات الجير اذا لحق الجثة ماء شُبّع باحدى هاتين المادتين والانسجة الدهنية الموجودة في الجسم هي التي تتحول اولاً الى اديبوسير كالاليتين والثديين وربما تتحول جميع الجثة الى صابون ويساعد هذا التحويل الرطوبة والجو الحار والسمن ويشاهد في الجثث التي تدفن في الآبار او المراحيض وتأخذ الجثة اشهراً حتى تتصبن وقد يتصبن جزء منها في اسابيع

(١٣) تحول الجثة الى موميا . اذا تعرضت الجثة لتيار هواء جاف حار قبل ابتداء التعفن فانها تجف وتتحول الى موميا وتبقى كذلك سنين عديدة ويحصل ذلك طبيعياً في البلاد الحارة عند ما تدفن الجثة في الرمل قرب سطح الارض وشوهدت في الاطفال المولودين حديثاً الذين يرمون على سطوح المنازل وفي هذه الحالة تأخذ الجثة اشهراً عديدة حتى تتحول الى موميا

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

المساواة بين الرجال والنساء

لا مساواة بين الناس لا بين الرجال والنساء كطائفتين ولا بين الرجال وحدهم ولا بين النساء وحدهنَّ . هذا عند التخصيص واما عند التعميم فالرجال والنساء مشتركون في الحقيقة الانسانية متساوون فيها . والرجال وحدهم متساوون في الماهية وكذلك النساء وحدهنَّ . ولكن ما كل ما يُطلَب من الرجل الآن او ينتظر منهُ يُطلَب من المرأة او ينتظرمنها لان بين الرجال والنساء فرقاً اجتماعيًّا واضحاً فهل هو طبيعي ثابت او هو وضعي ناتج عن التربية وحال الاجتماع . اي هل كان النساء كذلك دائماً رجالهم ممتازون على نسائهم في قواهم العقلية والبدنية او كانوا متساوين ثم اختلفوا تبعاً لحال الاجتماع وقد يعودون الى المساواة . وهل المتوحشون مثل المتمدنين من هذا القبيل

اشترك الدكتور روبرت لوي والدكتورة لتا هولنجورث الاميركيان في مقالة كتباها في هذا الموضوع ونشراها في المجلة الشهرية الاميركية وجمعا فيها خلاصة ما حققهُ العلماء فيهِ حتى الآن وها نحن موردون زبدتها فيما يلي قالا : —

ان القائمين بالدعوة التي ترمي الى مساواة النساء بالرجال في الحقوق والاجور والاعمال يطلبون فك القيود التي تمنع النساء من مجاراة الرجال في الاعمال البدنية والاشغال العقلية . اما الذين يخالفونهم في ذلك فيبنون مخالفتهم على امرين الاول ان ازالة هذه القيود توقع في نتائج غير مرضية من حيث الآداب القومية والقواعد الاجتماعية والثاني ان المرأة غيرصالحة طبعاً للقيام باعمال الرجل . اما الامر الاول فالبحث فيهِ خارج عن نطاق العلوم الطبيعية لان كون الشيء مرضيًّا او غير مرضيٍ يتوقف على الرأي والمعتقد ولا دخل فيهِ للحقائق العلمية . وقد يتصل علم الاجتماع الى معرفة النتائج التي تنتج عن ازالة هذه القيود معرفة استقرائية يقينية حتى يصير المرء ينبئ بحدوثها قبلما تحدث كما تنبئ العلوم الطبيعية بحدوث النتائج من مقدماتها لكن علم الاجتماع لم يتصل الى ذلك حتى الآن فلم يبقَ للعلم الطبيعي الأ البحث في الامر الثاني من الامرين المتقدمين وهو كون المرأة غير صالحة طبعاً للقيام باعمال الرجل وعلى ذلك مدار هذه المقالة

ان اكثر ما يلجأُ اليهِ ويعتمد عليهِ القائلون بعدم مقدرة المرأة على مساواة الرجل هو انها لا تعمل ولم تعمل بعض الاعمال التي يعملها الرجل . فاذا مالت اليها الآن فميلها غير طبيعي . الأ ان هذا القياس غير صحيح لان عدم عملها تلك الاعمال لا يستلزم ان يكون سببهُ انها

تأباها بالطبع اذ قد يكون السبب انها مُنعت عنها لدواعٍ خصوصية . فالآن صار الكتّاب على الآلة الكاتبة من النساء ولم يكن الامر كذلك منذ سنوات قليلة بل كان الكتّاب كلهم من الرجال ومع ذلك لا نقول ان طبيعة المرأة تغيرت في عشر سنوات او عشرين سنة . ولو وجدنا المرأة تمتنع عن تعاطي بعض الاعمال في كل البلدان لغير سبب قومي او اجتماعي لكان في ذلك مندوحة للقول انها غير لائقة بها طبعاً

والبحث في هذا الموضوع يجب ان يكون بيولوجيًّا وسيكولوجيًّا اي من حيث جسم المرأة ومن حيث عقلها ولكن لا بدَّ قبل ذلك من ان نعرف حال المرأة بين طوائف الناس المختلفة

ان كثيرين من المطالبين بحقوق النساء ومساواتهنَّ للرجال يدَّعون ان التفوُّق كان للنساء في اول فجر العمران اي ان النساء كنَّ في الدرجة الاولى وكان الرجال في الدرجة الثانية بعدهنَّ ولذلك كان الابناء ينتسبون الى امهاتهم لا الى آبائهم ولم يصر التفوق للرجال الأ منذ عهد غير بعيد في جنب العهد الاول ولذلك فانحطاط المرأة عن الرجل الذي نراهُ الآن ليس متأصلاً في بنيتها بل هو ناتج عن تفوُّق سببهُ الحضارة الحالية

لكن لم يقم دليل على ان التفوق كان للمرأة في عصر من العصور . والحقيقة ان بعض الذين لا يزالون على الفطرة يرجعون في انسابهم الى آبائهم و بعضهم يرجعون الى امهاتهم و بعضهم لا يرجع في نسبهِ الى الاباء ولا الى الامهات . وكذلك لا يصح القول بان الانتساب الى الامهات كان عامًّا في وقت من الاوقات . ولو فرض انهُ كان عامًّا لما كانت عموميتهُ دليلاً على تفوق المرأة فان الانتساب الى الامهات شيء وتفوق النساء على الرجال شيء آخر . فاهالي غينيا البريطانية ينتسب كل واحد منهم الى قبيلة امهِ لا الى قبيلة ابيهِ و يرث املاك خالهِ لا املاك عمهِ ولكن مقام المرأة هناك دون مقام الرجل . وقد توجد قبائل يتفوق نساؤُها على رجالها و يتسلطن عليهم ولكنها قليلة جدًّا ولا يكون الانتساب فيها الى الام بل الى الاب

والامر الذي يستحق النظر هو ماذا كانت اعمال المرأة على اختلاف الامكنة والازمنة . فالاعتناء بالاطفال منوط بها لسبب طبيعي وهذا الاعتناء وضعف جسمها اذا قوبل بجسم الرجل يمنعانها عن الحرب والصيد . فهل فيها علة اخرى تعدُّ من لوازم بنيتها . ان علم الانسان ينفي ذلك او لا يثبتهُ . وفي كل قبيلة تقسم الاعمال بين الرجال والنساء ما عدا الاعتناء بالاطفال ولكن سائر الاعمال التي يتعاطاها الرجال والنساء يختلف اختصاصهم بها باختلاف القبائل فالحياكة خاصة بالرجال في قبيلة الهوبي وبالنساء في قبيلة النافاجو مع ان الثانية

تعلمت الحياكة من الاولى فيما يقال وكلتاهما من قبائل هنود اميركا . وصناعة الخزف خاصة بالنساء عند تلك القبائل وبالرجال عند بعض القبائل الافريقية . وما من سبب لاختصاص النساء بالدباغة عند قبائل الردسكن من قبائل اميركا والرجال بالفلاحة عند البوبلو والنساء بها عند هنود الاركراس ولا لاختصاص الرجال بدهن الثياب عند بعض هنود اميركا واختصاص النساء بدهن الاكياس المصنوعة من الجلد

وقد قام النساء باعمال كثيرة مهمة في كل مكان وزمان ولم تكن اعمالهنَّ مقصورة على الامور البيتية بل كثيراً ما كان لها شأن كبير في الامور المعاشية والصناعات المختلفة . ولكن لم تكن هذه الاعمال لتفصل المرأة عن اعمالها البيتية كالاعمال التي تتعاطاها الآن . فالزنجية تمسك المعول بيدها وطفلها على كتفها والهندية تكشط الجلود وتصنع السلال وتطرز الصداري في خلال اعمالها البيتية . ومفاد ذلك كلهِ ان تعاطي المرأة لبعض الاعمال او منعها من تعاطيها جاريان على مقتضى العادة وليس لها سبب طبيعي . ولا يستثنى من ذلك الأ ما يتعلق بولادة الاولاد . والادلة من علم الانسان لا تبيح لنا القول بان الطبيعة تقضي على المرأة بتعاطي الاشغال السياسية او بالامتناع عن تعاطيها ولا انها اصلح من الرجل لتعاطي صناعة الخزف او الحياكة او الدباغة او الفلاحة او الشعر او التصوير او انها اقل صلاحيةً منهُ وانما تدلنا على ان الامم المختلفة اختلفت كثيراً في تعيين الاعمال لرجالها ونسائها ولا تؤيد قول القائلين ان الاعمال التي اختصَّ بها الرجال والتي اختص بها النساء عند متمدني هذا العصر قد قسمت كذلك بينهم لسبب طبيعي دعا الى هذه القسمة وهذا التخصيص

ولنعُد الآن الى ما بين الرجال والنساء من الفروق الجسمية والعقلية وننظر في هل المرأة احط من الرجل جسداً وعقلاً

ادعى بول البرخنس منذ سنة ١٨٨٤ ان الصفات الوحشية اوضح في المرأة منها في الرجل وحاول اثبات ذلك بتسعة ادلة تشريحية لكن تصدَّى لهُ بول بارتلس ونقض ادلتهُ وبيَّن ان اربعةً منها غير صحيحة او مشكوك فيها وواحداً لا علاقة لهُ بالموضوع والبقية غير مهمة فيهِ وقال انهُ يمكن ان يستدل على ان الرجل اقرب الى الوحشية من المرأة بدليل قوة فكيهِ وكبر وجههِ . وقال غيرهُ ان المرأة اشبه بالطفل من الرجل لطول جذعها وقصر ساقيها وكبر رأسها ولكن طول اطراف الرجل وصغر رأسهِ يجعلانهِ اقرب الى السعدان منها . وقد استنتج سانتز من بحثهِ ان الرجل والمرأة مختلفان بناء ولكن كلاً منهما كامل في بنائهِ البيولوجي

ومن المسائل التي يكثر ذكرها والعود اليها صغر دماغ المرأة اذا قوبل بدماغ الرجل

اذ الراسخ في الاذهان ان العقل الكبير يكون في الدماغ الكبير ولذلك يحسن البحث في هذا الامر بشيء من الاسهاب

لا شبهة ان دماغ الرجل اثقل من دماغ المرأة في كل الشعوب التي وزنت فيها ادمغة الرجال والنساء. فمتوسط ثقل دماغ الرجل من الانكليز ١٣٢٥ غراماً ومتوسط ثقل دماغ المرأة منهم ١١٨٣ غراماً. وقد قيست مساحة جرم الدماغ في مئة باقاري ومئة باقارية فاذا متوسط دماغ الرجل ١٥٠٣ سنتمترات مكعبة ومتوسط دماغ المرأة ١٣٣٥ سنتمتراً مكعباً. واذا قابلنا دماغ الرجل بدماغ المرأة من غير نظر الى جسميهما فدماغ الرجل اكبر واثقل من دماغ المرأة ولكن دماغ الفيل ودماغ الحوت كلٌّ منهما اكبر واثقل من دماغ الرجل فثقل دماغ الفيل ٤١٠٠ الى ٤٨٠٠ غرام وثقل دماغ الحوت من ١٩٠٠ الى ٢٨٠٠ غرام ولذلك فمن الجهل ان نعلّق على ثقل الدماغ المطلق اهمية كبيرة في المقابلة بين الرجل والمرأة من حيث القوى العقلية. ويؤيد ذلك اختلاف ثقل الدماغ في كثيرين من الرجال من غير نسبة الى عقولهم. نعم ان الرجال الذين امتازوا على غيرهم هم في الغالب من كبار الادمغة ولكن ذلك غير مضطرد فان ادمغة بعض العلماء المشهورين وُجدت اخف من المتوسط وادمغة بعض الذين لا شأن لهم وجدت كبيرة جداً وقد احصى ولدير ثقل ادمغة كثيرة فوجد ان اخف دماغ وزنتهُ ٩٠٠ غرام واثقل دماغ وزنتهُ ٢٠٠٠ غرام هما دماغا رجلين غير ممتازين على غيرهما لا في صغر العقل ولا في كبره

واذا نظرنا الى ثقل الدماغ مع اعتبار ثقل الجسم وجدنا ان دماغ المرأة منسوباً الى ثقل جسمها اثقل من دماغ الرجل منسوباً الى ثقل جسمهِ. فان نسبة ثقل جسم المرأة الى ثقل جسم الرجل كنسبة ٨٣ الى ١٠٠ واما نسبة ثقل دماغ المرأة الى ثقل دماغ الرجل فكنسبة ٩٠ الى ١٠٠ او ان كل ١٠٠ درهم من دماغ الرجل يقابلها ٤٧٤٧ درهماً من جسمهِ واما كل ١٠٠ درهم من دماغ المرأة فيقابلها ٤٤١٧ درهماً فقط من جسمها. فهل يصح ان نستنتج من هذه الحقائق تفوُّق المرأة على الرجل عقلاً. كلاَّ ولاسيما اذا قابلنا بين ثقل دماغ الانسان منسوباً الى ثقل جسمهِ وثقل ادمغة بعض الحيوانات منسوباً الى ثقل اجسامها والاَّ فاننا نجد ان الجرذ يجب ان يكون اعقل من الانسان وان الخلد متوسط بين الرجل والمرأة وان الفيل اقل عقلاً من اكثر الحيوانات. لكن نسبة ثقل الدماغ الى ثقل الجسم لا تخلو من دلالة صحيحة لان ادمغة الحيوانات الراقية اثقل من ادمغة الحيوانات التي دونها اذا قيست بثقل اجسامها وكذلك الحيوانات الصغيرة الجسم التي من نوع حيوانات اكبر منها ادمغتها اكبر

من ادمغة الحيوانات الكبيرة منسوبةً الى اجسامها كما في الهر والاسد فان نسبة دماغ الهر الى جسمهِ ثقلاً اكبر من نسبة دماغ الاسد الى جسمهِ ثقلاً · وقد تكون زيادة دماغ المرأة منسوبًا الى جسمها مرتبطة بصغر جسمها · وخلاصة ما تقدم من هذا القبيل ان زيادة ثقل الدماغ لا يلزم ان تدل على زيادة العقل لا في الرجال ولا في النساء مع وجود الارتباط التام بين الدماغ والعقل · ولعلَّ ما استنتجهُ بارتلس بعد البحث المدقق في هذا الموضوع هو عين الصواب وهو ان ثقل دماغ الرجل ودماغ المرأة يدل على انهما متساويان في الاستعداد العقلي

ولننظر الآن ما يستنتج من الابحاث العقلية في هذا الموضوع · فقد كان اعتقاد العلماء وغير العلماء ان المرأة دون الرجل عقلاً اي ان متوسط عقول النساء دون متوسط عقول الرجال · لكن البحث الاستقرائي في المدارس التي يتعلَّم فيها الذكور والاناث جعلت كثيرين من العلماء يعدلون عن هذا الاعتقاد · وقد رأى بول بارتلس ما اقنعهُ ان النساء يماثلن الرجال مهارة في لعب الشطرنج والسياسة والعلوم الطبيعية والمضاربات في البورصة وكل ما يتوقف على إعمال العقل ولكنهنَّ دون الرجال فيما يستلزم سعة الحيلة · فلا تفلح المرأة مثل الرجل اذا قادت جيشًا او تولت ادارة سفينة او تعاطت صناعة الطب او نظمت الشعر او اخذت زعامة الجماهير · وخالفهُ فورل في ذلك فقال ان الرجل يفوق المرأة في قوة الادراك والمرأة تفوقهُ فيما يتوقف على الارادة · والظاهر من اختلاف العلماء انهُ لم تقم حتى الآن ادلة كافية على تقرير منزلة المرأة من حيث نسبة قواها العقلية الى قوى الرجل العقلية

ولا مشاحة في ان الاعمال العقلية التي عملتها النساء في الماضي هي دون اعمال الرجال العقلية · وقد علِّل ذلك قبلاً بالعادة الشهرية التي تنتاب النساء · ولكن لم يقم العلماء دليلاً علميًا على وجود ارتباط بين هذه العادة والعقل · وقد بحث ارتولد سنتين في احوال ١٠٠٠ امرأة عمر كلٍ منهنَّ اكثر من ١٨ سنة فلم يجد ما يؤيد ذلك · وستبقى هذه المسألة عند هذا الحد الى ان يبحث النساء انفسهنَّ فيها ويثبتنَ وجود هذا الارتباط او ينفينهُ

والخلاصة ان منع النساء عن تعاطي بعض الاعمال بناء على انهنَّ غير صالحات لها بطبيعتهنَّ بدليل عدم تعاطيهنَّ لها من قبلُ خطأٌ محض مبني على جهل تاريخ الانسان الذي يدل على ان النساء تعاطين مختلف الاعمال كلها في امكنة وازمنة مختلفة · وان الرجل والمرأة متساويان جسداً وعقلاً وان اختلاف المرأة عن الرجل في العادة الشهرية لم يقم دليل على انهُ يؤثر في اعمالها فيجعلها دون الرجل في تعاطي الاعمال والاشغال ولذلك لا وجه لمنع المرأة عن عمل من اعمال الرجل بدعوى انها منحطة عنهُ

المذنبات المفقودة

ربما كانت ذوات الاذناب اعظم كواكب السماء غرابة وابعدها عن الاستقصاء غوراً واكثرها على الافهام استغلاقاً . فان بعضها لا يرى الاّ بالتلسكوب او يرى نقطاً ضئيلة النور كما ترى الكواكب الضئيلة . وبعضها يُرى متلألئ النور غير منتظم الشكل مما يرعد قلب الجاهل ويطرب لبّ العالم . وسواءكان مظلماً او منيراً فان روءيتهُ لا تدوم الاَّ قليلاً وزيارتهُ لا تكون الاَّ لماماً

وقد حاول الفلكيون بآلاتهم تتبع ذوات الاذناب الى ابعد ما يمكن في ترحالها بعد حلّها ففازوا بعض الفوز بدليل معرفتهم شكل افلاك بعضها وهو الشكل الاهليلجي ولمّا عرفوهُ انبأوا بالزمان والمكان اللذين تظهر فيهما ثانية . واشهر المذنبات التي تشاهد من الارض آناً بعد آن مذنب هلي والفترة بين زيارة وزيارة نحو ٧٥ سنة

ولكن هناك مذنبات تظهر ساطعة الى حين ثم تختفي ولن تعود الينا ابد الدهر . ومذنبات تزورنا في مواعيد منتظمة ثم تقطع زيارتها لسبب مجهول . اما المذنبات التي تفاجئنا بزيارة قصيرة ثم لا تعود الينا فلا نحفل بها ولا يسوءنا وداعها الاَّ بقدر ما يسرّنا تسليمها . واما الثانية اي التي تكررت زياراتها حتى الفناها وانسنا بها فانها توحشنا بفراقها الطويل الذي لا يأذن بلقاء بعدهُ ونفتقدها افتقاد البدر في الليلة الظلماء . وهي ما سميت بالمذنبات المفقودة

في صيف سنة ١٧٧٠ ظهر مذنب هائل الكبر . وكانت مساحتهُ الظاهرة اكبر من مساحة القمر ٢٥ ضعفاً . فاقام بين أظهرنا بضعة اشهر اكثر الفلكيون في خلالها من مراقبتهِ واقتصاص اثرهِ فعسر عليهم ان يعرفوا هل كان مسيرهُ في شكل اهليلجي - اي في دائرة الى الطول او غير اهليلجي اي في دائرة لا يلتقي طرفاها . فان كان الثاني فانهُ لا يرى من الارض مرة ثانية وان كان الاول فانهُ يرى بعد مرور مدة معلومة . واخيراً عرف الفلكي لكسل ان هذا المذنب يدور في فلك اهليلجي وانهُ لا بدَّ ان يرجع الينا بعد خمس سنوات ونصف سنة من زيارتهِ المذكورة . ولكن لم يعرف الفلكيون هل عاد هذا المذنب فظهر . إما لان نورهُ كان شديد الضعف فلم يُرَ وإمّا لانهُ حاد عن جادتهِ الاولى وتاه في عرض هذا الفلك الدوّار

على ان الفلكيين لم يقنطوا منهُ ولاسيما انهم عرفوا كثيراً من حركاتهِ وسكناتهِ مدة

ظهوره فادهشهم عدم ظهوره وبقوا يرجونهُ . ولكن ترجح لهم من البحث انهُ لا بدَّ ان يكون قد غيَّر سيرتهُ الاولى تحت تأثير المشتري . ذلك انهُ في سنة ١٧٦٧ اي قبل ظهوره بثلاث سنوات دخل في اطراف فلك المشتري فوقع تحت تأثيره . وليس ببعيد ان يكون هذا التأثير قد غيَّر خطَّ سيره من اهليلجي الى شلجمي او هذلولي . وكان بعض الفلكيين قد ذهبوا الى ان المذنب انما غيَّر خط سيره من اهليلجي ضيق الى اهليلجي اكبر منهُ يقتضي قطعهُ اياهُ ست عشرة سنة بدلاً من خمس سنوات ونصف . ولكن الواقع لم يطابق مذهبهم هذا فحسب المذنب بين المذنبات المفقودة

وفي سنة ١٧٧٢ وسنة ١٨٠٥ شوهد مذنب آخر . ثم في سنة ١٨٢٦ اكتشف فلكي نمسوي اسمهُ بيالا مذنباً اثبت البحث انهُ هو المذنب الذي ظهر في السنتين المذكورتين . ومما زادهُ شهرة انهُ ظهر من الحساب ان زيارتهُ التالية للارض ستكون سنة ١٨٣٢ فيمرُّ تجاه فلكها وعلى بعد ٢٠ الف ميل عنهُ فقط وربما دنا منهُ اكثر من ذلك . وقال الفلكيون انهُ اذا اتفق وجود الارض حينئذٍ في ذلك الجوار فقد تجذبهُ اليها فيصطدم بها فذعر الناس لذلك . ولكن دلَّ الحساب ان المذنب يمرُّ بجوار نقطة البعد الاقرب من الشمس قبل الارض بشهر . وفي الميعاد المضروب ظهر المذنب من غير ان يلي ظهورهُ حادث من الحوادث التي خافها الناس وحسبوا لها شرَّ حساب

وبعد ذلك باربعين سنة اي سنة ١٨٧٢ مسَّ هذا المذنب الارض في زعم الفلكي كلينكرفوس . وكان قد كتب الى آخر يخبرهُ برأيهِ اي بتماس الارض والمذنب ويطلب اليهِ ان ينقب عن المذنب في مكان من السماء عينهُ لهُ . فرأى هذا الفلكي في المكان المعيَّن وفي الزمان المعيَّن شيئاً يشبه المذنب ولكنهُ لم يستطع مراقبتهُ كثيراً لعدم ملاءمة الاحوال الجوية . ولا يعلم هل هو المذنب الذي اكتشفهُ بيالا ام لا . فان كان هو فان هذا الفلكي هو آخر الذين رأوهُ اذ لم يقل احد بعد هذا التاريخ انهُ رآهُ

على انهُ حدثت بين سنة ١٨٣٢ وسنة ١٨٧٢ حوادث جمة حملت الفلكيين على القول ان مذنب بيالا انقسم قطعاً صغيرة يجري بعضها في اثر بعض . وتفصيل هذا الاجمال انهُ انقدَّ اولاً مذنبين مستقلين الواحد عن الآخر فبقيا يجريان كفرسي رهان عدداً من السنين . واول مشاهدتهما مزدوجين كانت سنة ١٨٤٦ فان الفلكيين رأوهما حينئذٍ اثنين مختلفين في اللمعان ولاًمعها ثلاثة اذناب على زاويتين متساويتين . وامتدَّ احد هاتيك الاذناب الى المذنب الاصغر واتصل بهِ كأَن بين الاثنين جسراً من نور . ثم رئيا مرة اخرى سنة

١٨٥٢ وكانا لا يزالان يجريان معاً . وكانت المسافة بينهما نحو ٢٠٠ الف ميل سنة ١٨٤٦ فاصبحت ١٢٧٠٠٠٠ ميل سنة ١٨٥٢ .

ولم يرَ هذا المذنب بعد ذلك بالتحقيق وانما رئي شبه مطر من الشهب والنيازك متساقط من ناحية النقطة التي تماسّ فيها فلكا الارض والمذنب . وكان تاريخ تساقط الشهب متأخراً نحو ثلاثة اشهر عن الميعاد الذي حسب لمرور المذنب نفسهِ في تلك النقطة . والفلكيون يعللون ذلك بما يأتي بانين تعليلهم هذا على حادثة فلكية اخرى

بعد سنة ١٨٥٢ تفرق المذنبان شعاعاً ولكل من قطعهِ حركة المذنب الداخلية ففعلت بها الشمس او غيرها من السيارات التي اتفق وجود القطع بجوارها وكبحت جماحها وهكذا جرت جملة في الفلك الذي كان المذنب الاول يجري فيهِ فكانت النتيجة سلسلة طويلة من الاجرام السموية الصغيرة . وفي ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٧٢ مرَّ جزء من هذه السلسلة ضمن مدى جاذبية الارض فتساقط قطعاً في جوّها حميت بقوة الاحتكاك الشديد الى حرارة بيضاء فظهرت لنا منيرة كالشهب . وكان قد جرى مثل ذلك سنة ١٧٩٨ وسنة ١٨٣٨ في زمانين ومكانين قدرا للمذنب المذكور ولكن تساقط الشهب فيهما اختلف عن تساقطهِ سنة ١٨٧٢ في حدوثهِ فيهما قبل الميعاد المقدر لظهور المذنب . وهذا كلهُ يدلُّ على انهُ اذا فقد مذنب فلا يبعد ان يكون سبب فقدهِ تفرقهُ بداد بداد . ثم انقضت هذه الشهب في ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٨٥ وقد شاهدنا انقضاضها في مصر ووصفناهُ في مقتطف دسمبر سنة ١٨٨٥ ويناير سنة ١٨٨٦

ومن المذنبات المفقودة مذنب اكتشف اولاً في اغسطس سنة ١٨٤٤ . واول من رآهُ بالتلسكوب الفلكي دي فيكو ثم لم يلبث ان ظهر بالعين المجردة . وظهر بالحساب انهُ يسير في دائرة اهليلجية وانهُ يعود مرة كل ½ ٥ سنة وعليهِ انتظروا ظهورهُ سنة ١٨٥٠ ولكنهم لم يروهُ اما لشدة صغرهِ او لانهُ لم يعد حقيقة . فانتظروهُ سنة ١٨٥٥ فلم يَعُد فيها ولا فيما بعدها

ومن اشهر المذنبات المفقودة مذنب سنة ١٢٦٤ وقد اشار اليهِ فلكيو الصين واوربا معاً . وفي سنة ١٥٥٦ شوهد في جوهما مذنب قال الفلكيون انهُ هو مذنب ١٢٦٤ بعينهِ وظهر لهم بالحساب انهُ يتمُّ دورتهُ حول الشمس في ٣٠٠ سنة وسنتين او في ٣٠٠ سنة وثماني سنوات وعليهِ كان يجب ان يظهر سنة ١٨٥٨ او بعدها ببضع سنين ولكنهُ لم يظهر . وكان قد ظهر مذنب كبير سنة ٩٧٥ فظن بعض الفلكيين الذين رأوا مذنب سنة ١٢٦٤ انهُ هو بعينهِ وخلاصة ما تقدم ان المذنبات في نظامنا تجري حول الشمس في ثلاثة انواع من الطرق

او الافلاك المختلفة اولها الاهليلجي فتعود الينا بعد مدة طالت او قصرت · والثاني والثالث الشلجمي والهذلولي فلا يحتمل ان تعود الينا · فهي تتبع بذلك ناموساً اكتشفهُ السر اسحق نيوتن وهو ان كل جرم فلكي تابع لشمسنا يدور حولها في خط منحنٍ هو بعض جزء من سطح المخروط فاما الاهليلجي واما الشلجمي واما الهذلولي · ولما كان الثاني والثالث مستمرين على الانفراج فكل مذنب يسير عليهما لا يعود · على انهُ كثيراً ما يطرأ على فلك المذنب خلل فيتحول من المنحني المقفل الى المنفرج اي من الشكل الاول الى الشكلين الآخرين · ومن اراد زيادة التفصيل فليراجع ما كتبناهُ عن المذنبات في المجلد التاسع من المقتطف

البورصة واعمالها

كثر في هذه الايام ذكر البورصة واعمال المضاربات وتأثيرها في ثروة البلاد فرأينا ان نورد الفصل الآتي في البورصة واعمالها نقلاً عن كتاب « البورصة وبيع القطن » لمؤلفهِ محمود خاطر بك سكرتير صاحب المعالي وزير الزراعة :

« تنقسم اعمال البورصة الى قسمين كبيرين قسم للبيع بالنقد وآخر للبيع الى اجل

اما اعمال البيع بالنقد فتجري بغير نص على ميعادهِ ولهُ صفة تجارية بالنسبة للسمسار وصفة مدنية او تجارية بالنسبة للعميل

واما البيع الى اجل فيكون بتحديد الثمن بين المتعاملين بمقتضى عقد او كنتراتو وابقاء تسليم المبيع الى زمن مستقبل يتفق عليهِ وهو ما يعبرون عنهُ في بيع القطن بالبيع على الكنتراتات

وعمليات البيع التي تتم بالنقد تنجز في يومين تاليين لتاريخها لا يحسب منها يوم العطلة·

وتسوَّى عمليات البيع الى اجل في مواعيد نصف شهرية تحددها لجنة البورصة في شهر دسمبر من كل عام فيعمل بها المدة سنة كاملة ولا يجوز تغييرها باية حال

وقد خُصصت « بورصة مينا البصل » لبيع الاقطان والبذرة والغلال والحبوب بالنقد فالبيع فيها بيع حقيقي على بضاعة حاضرة وملاحظة الاعمال في هذه البورصة موكولة الى جمعية المحاصيل

واختصت « بورصة الاسكندرية » ببيع الاقطان على الكنتراتات فالبيع فيها لقطن مستقبل ومراقبة اشغالهِ منوطة بجمعية سماسرة البضائع الذين ينفذون اوامر المتعاملين بصفتهم وسطاء

وفي « بورصة الاسكندرية » لكلٍ من بيع النقد والبيع الى اجل مقصورة Corbeille تشمل حلقتين احداهما داخل الاخرى . ففي الحلقة الداخلة تتم جميع الاعمال ولا يدخلها الأ السماسرة المقرّرون او مندوبوهم الرؤساء . وكل عمل يعمل خارج البورصة لا بد من انهائهِ في نفس هذه الحلقة والأ كان لاغياً

والبيع على الكنتراتات يكون عادةً للقطن الشعر ويعتبر صحيحاً ولو كان قصد المتعاقدين منهُ مجرد دفع الفرق في الاثمان

وبيان ذلك ان للبائع والمشتري على الكنتراتو ان ينصا في عقدهما اما على تنفيذ السوق الحقيقية بتسليم البضاعة او ترك الخيار لاحدهما بان يدفع الفرق بين الثمن يوم التسليم والثمن يوم البيع دون تسلُّم البضاعة وهذا يعرف بالمضاربات . ويعبرون عن دفع الفرق بالتغطية

ويضطر المضاربون غالباً الى دفع فروق الاثمان لان مضارباتهم تتناول كميات من الاقطان توازي عشرة امثال المحصول على التقريب مما يتأتى معهُ حصول التسليم والاستلام فيما بينهم على الدوام . وهذا القدر قليل في جنب مضاربات نيويورك فانها تجاوزت في بعض السنين مائة مثل محصول اميركا

وقد اصدرت الحكومة المصرية في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٩ قانوناً للبورصة يحرم على السماسرة ان يشتغلوا لانفسهم في البيع على الكنتراتات فقلّت بذلك المضاربات التي كانت وطأتها قد اشتدت على الناس بعد ازمة سنة ١٩٠٧ بسبب مداخلة السماسرة في المبيعات مما ادى الى خسارة فادحة اثرت في الحالة الاقتصادية المصرية وفي اسواق التجارة تأثيراً عظيماً

والاصل في البيع على الكنتراتات هو المحافظة على مراكز التجار واصحاب الاقطان بضمان الربح لهم . فان التاجر اذا اشترى مثلاً الف قنطار من القطن بمتوسط ثمن القنطار الواحد ٣٦٠ قرشاً ثم صعد السعر في البورصة الى ٣٨٠ قرشاً قبل تجهيز القطن وتعبئتهِ أمكن التاجر في هذه الحالة ان يبيع الالف القنطار على الكنتراتو بهذا السعر الاخير ليضمن ربحهُ منها

وللتاجر ولغيرهِ من المضاربين ان يبيع قطناً لا يملكهُ ويدعون هذا في اصطلاحهم بالبيع على المكشوف فيطلب من احد السماسرة بيع خمسة آلاف قنطار مثلاً وهو لا يملك منها قنطاراً ولكنهُ يدفع نظير ذلك الى السمسار تأميناً يختلف من ١٠ قروش الى ٢٠ قرشاً او اكثر عن القنطار الواحد ضماناً لسداد قيمة الخسارة عند حدوثها . فاذا نزلت السوق فان البائع يشتري بثمن رخيص ما باعهُ بثمن غالٍ ليسلمهُ ويكون الفرق ربحاً لهُ

واذا استمرت الاسعار في صعود واضطر البائع الى التسليم فانهُ يشتري بثمن غالٍ ما باعهُ بثمن رخيص ليسلمهُ ويكون الفرق حينئذٍ خسارة عليهِ

وقد يتيسر للبائع شراء البضاعة ويتعذر على المشتري استلامها فيؤجلان ذلك الى وقتٍ آخر. ولكن المشتري يدفع للبائع في هذه الحال غرامة التأخير في الاستلام Report

وقد يتعذر على البائع شراء البضاعة وتسليمها الى المشتري فيؤجلان ذلك ايضاً الى زمنٍ مستقبلٍ غير أن البائع يدفع حينئذٍ الى المشتري غرامة التأخير في التسليم Deport

وبيع انسان في البورصة قطناً لا يملكهُ امر مشروع لا محظور فيهِ لانهُ يؤدي مهما كثر عدد المتعاملين ومهما تعددت المعاملات بينهم الى حصول تسليم البضاعة بالفعل بين البائع الاول والمشتري الاخير بمعنى انهُ اذا حلَّ الاجل المضروب في الكنترات اصبح التعامل على بضاعةٍ حاضرةٍ يحتم معهُ اجراء التسليم والاستلام

وقد انتشرت المعاملة بالكنترات وشاع استعمالها في المضاربات بطرق مختلفة وضروب متعددة يجريها المضاربون بواسطة السماسرة مع تجار مخصوصين او مضاربين آخرين في البورصة واليك بيان عملياتها على الاجمال :

١ — العملية الثابتة Fix وهي عملية يطلب المشتري ربحهُ منها بصعود الاسعار حيث يكون هبوطها خسارة عليهِ كما يطلبهُ البائع بنزول الاسعار حيث يخسر عند صعودها

ففي حالة طلب الربح من الصعود يشتري المضارب مقداراً من القطن على الكنترات لاجل مسمًّى فاذا صعدت السوق في مدة العملية فانهُ يربح بالبيع زيادة السعر. واذا نزلت السوق واضطر للبيع خسر مقدار النزول

وفي حالة طلب الربح من النزول يبيع المضارب مقداراً من القطن على الكنترات لاجل معلوم فاذا نزلت السوق في مدة العملية ربح بشراء ما باعهُ مقدار النزول. واذا صعدت السوق خسر مبلغ الصعود لاضطرارهِ الى الشراء بثمن أعلى

وهذه العملية اشبه شيء بالتجارة الحقيقية يتبع الربح والخسارة فيها حال السوق بدون تقيد بمبلغ معين

ويدفع البائع والمشتري في هذه العملية تأميناً Marge ضماناً لسداد قيمة الخسارة في حال حدوثها. وقد لا يدفعان هذا التأمين لمكانتهما وشهرتهما في البورصة

٢ — عملية المراهنة Primes وهي عملية يطلب بها المشتري ربحهُ من صعود الاسعار كما يطلبهُ البائع من هبوطها

وتختلف هذه العملية عن العملية الثابتة السابق ذكرها بان الخسارة فيها محدودة والربح منها مطلق . و يدفع المضارب في عملها مبلغاً معيناً عن كل قنطار رهناً عليها غير مرتجع Prime perdue

لنفرض ان فلاناً اشترى قطناً للصعود سعر القنطار ١٨ ريالاً وانهُ دفع رهناً على القنطار الواحد ١٠ قروش فلا بد من تغيير السوق في يوم التصفية بحالة من الاحوال الآتية :

ا — ان ينقص السعر عن ثمن المشترى . وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط سواء في ذلك نزل السعر الى ١٧٫٩٩ او ما دون ذلك بغير تحديد

ب — ان تثبت السوق على سعر المشترى بان يكون ١٨ ريالاً وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط لانهُ كما اسلفنا رهن غير مرتجع

ج — ان يزيد السعر على ثمن المشترى بما لا يبلغ قيمة الرهن بان يكون ١٨٫٢٥ مثلاً وفي هذه الحالة يربح خمسة قروش من علو السعر يقابلها خسارة مبلغ الرهن وهو ١٠ قروش فيكون صافي خسارتهِ خمسة قروش في كل قنطار

د — ان يزيد السعر عن ثمن المشترى بمقدار قيمة الرهن بان يكون ١٨٫٥ وفي هذه الحالة يربح من علو السعر عشرة قروش يقابلها خسارة الرهن فهو لا يربح ولا يخسر

ه — ان يزيد السعر عن ثمن المشترى بما يتجاوز قيمة الرهن بان يكون مثلاً ١٩ ريالاً وفي هذه الحالة يربح من علو السعر ريالاً يقابلهُ خسارة مبلغ الرهن فيكون صافي ربحهِ ١٠ قروش . وكذلك يربح كل قيمة الصعود بعد ذلك بدون تقييد

واذا باع فلان قطناً للنزول سعر القنطار ١٨ ريالاً مثلاً ودفع رهناً على القنطار الواحد ١٠ قروش فلا بدَّ في هذه العملية ايضاً من تغيير السوق في يوم التصفية بحالة من الاحوال الآتية :

ا — ان يزيد السعر عن ثمن البيع . وفي هذه الحالة يخسر المضارب قيمة الرهن فقط سواء في ذلك صعد السعر الى ١٨٫١ او الى ما فوق ذلك بغير تحديد

ب — ان تثبت السوق على سعر البيع بان تكون ١٨ ريالاً وفي هذه الحالة فانهُ يخسر ايضاً قيمة الرهن لانهُ رهن كما عرفنا غير مرتجع

ج — ان ينقص السعر عن ثمن البيع بما لا يبلغ قيمة الرهن بان يكون ١٧٫٩٥ مثلاً وفي هذه الحالة فانهُ يربح خمسة قروش من نزول السعر يقابلها خسارة مبلغ الرهن فهو لا يربح ولا يخسر

ﻫ — ان ينقص السعر عن ثمن البيع ما يجاوز قيمة الرهن بان يكون مثلاً ١٧ ريالاً وفي هذه الحالة فانهُ يربح من نزول السعر ريالاً يقابلهُ خسارة مبلغ الرهن فيكون صافي ربحهِ ١٠ قروش وكذلك يربح كل قيمة النزول بدون تقييد

(نتيجة) لزياد السهولة في احتساب الربح من عملية المراهنة للصعود قد اصطلحوا على اعتبار السعر مكوناً من ثمن المشترى زائداً عليهِ قيمة الرهن وهو في حالة الشراء المتقدمة ١٨,٥٠ فالربح يكون فيما يزيد عن ذلك ١٠.١ في عملية المراهنة للنزول فيحتسبون الربح باعتبار السعر مكوناً من ثمن البيع ناقصاً قيمة الرهن وهو في حالة البيع السالفة ١٧,٥٠ فالربح يكون فيما هو دون ذلك

(ملحوظ مهم) اذا كان عند احدهم الف قنطار من القطن وكان بين امل في صعود السعر وخوف من هبوطهِ امكنهُ ان يبيع على المكشوف الف قنطار بعملية المراهنة . فاذا نزلت السوق كانت قيمة النزول ربحاً لهُ فيما باعهُ على المكشوف يعوّض عليهِ خسارتهُ في قطنهِ . واذا صعدت السوق خسر فيما باعهُ على المكشوف قيمة الرهن وحدهُ وربح في قطنهِ قيمة الزيادة في الاسعار

٣ — العملية المشتركة Stellage وهي عملية مراهنة مزدوجة Double prime تكون للصعود وللنزول معاً اي أن المضارب بواسطتها يشتري كمية من القطن للصعود و يبيع مثلها للنزول في وقت واحد . ولهذا فمبلغ الرهن على هذه العملية يكون ضعفهُ في عملية المراهنة البسيطة Prime simple

فاذا اشترى انسان ٢٥٠ قنطاراً بالعملية المشتركة سعر ٢٠ ريالاً لمدة معلومة فانهُ يدفع عشرين قرشاً مثلاً على كلّ قنطار ليبيع بالسعر نفسهِ وفي الوقت عينهِ وللمدة ذاتها ٢٥٠ قنطاراً فيعامل بذلك عند الصعود على ما اشتراهُ فقط و يعامل عند النزول على ما باعهُ لا غير

فان ثبتت السوق في يوم التصفية على سعر ٢٠ ريالاً فانهُ يخسر مبلغ الرهن

وان صعد السعر او نزل بما لا يبلغ حدّ الرهن بأن كان ٢٠,٥ مثلاً في الصعود و ١٩,٥٠ في النزول فانهُ يخسر الفرق الحاصل بين قيمة الرهن وقيمة صعود السعر او هبوطهِ وهو في هذه الحالة ١٠ قروش

وان صعد السعر او نزل بما يبلغ حدّ الرهن بأن كان ٢١ في الصعود و ١٩ في النزول فانهُ لا يخسر ولا يربح

وان صعد السعر او نزل الى ما يزيد عن حدّ الرهن بأن كان في الصعود ٢١,١ مثلاً

فما فوق وفي الهبوط ١٨٫٩٩ فما دونهُ ربح مبلغ الزيادة او النقص بدون تقييد

٤ — العملية المضاعفة بالاختيار Doublé faculté وهي عملية عن كمية من القطن تعتبر بالاختيار مضاعفة عند الربح . وتكون هذه العملية المضاعفة للصعود كما تكون للنزول

فاذا اشترى فلان للصعود ٢٥٠ قنطاراً من القطن بالعملية المضاعفة سعر القنطار ١٨ ريالاً لاجلٍ مسمّى مع دفع ١٠ قروش عن كل قنطار حيث يحتسب السعر الحقيقي في هذه العملية ١٨٫٥٠ فان المضارب يقفل العملية المذكورة بعملية اخرى ضدها بان يبيع للنزول في الوقت عينهِ وبسعر الشراء نفسهِ وللمدة ذاتها ٢٥٠ قنطاراً فتلغى عملية البيع هذه عملية الشراء السابقة لانهما عمليتان ثابتتان يقابل الربح في عملية الشراء خسارة تعادلهُ في عملية البيع والعكس بالعكس

فان نزلت السوق في يوم التصفية الى ما هو دون السعر الحقيقي وهو ١٨٫٥٠ بأن كانت ١٨٫٤٩ فما دونهُ خسر المضارب مبلغ الرهن وان ثبتت على سعر ١٨٫٥٠ خسر مبلغ الرهن ايضاً

وان صعدت عن الثمن الحقيقي الى ما لا يبلغ الرهن بان كان السعر ١٨٫٧٥ خسر الفرق بين صعود السعر عن الثمن الحقيقي وبين مبلغ الرهن اي انهُ يخسر خمسة قروش في كل قنطار

وتحسب الخسارة في هذه الحالات الثلاث باعتبار ان المضارب يملك ٢٥٠ قنطاراً لاغير

وان صعدت السوق عن الثمن الحقيقي الى ما يبلغ قيمة الرهن بان كان ١٩ ريالاً فان المضارب لا يخسر ولا يربح

وان زاد السعر الى ما يتجاوز حدّ الرهن بأن كان ١٩٫١ فما فوق ربح المضارب مقدار الزيادة بدون تقييد

ويحسب الربح في هذه الحالة باعتبار ان المضارب يملك ٥٠٠ قنطار اي ضعف الكمية المشتراة. وهذه الكمية الاضافية وهي ٢٥٠ قنطاراً يسمونها Aria يعني هوائية

وقد علمنا مما فات ان نصف هذه الخمسمائة قنطار ملغى بعملية بيع سابقة فكأن المضارب لا يملك عند الصعود غير ٢٥٠ قنطاراً وهي الكمية الهوائية

واذا علمت ان الكمية الهوائية لم يدفع عنها فيما مضى رهن عرفت السرّ في احتساب السعر الحقيقي في هذه العملية ١٨٫٥٠ بخلاف ما جرى في العمليات المتقدمة

وتجري عملية المضاعفة للنزول بمثل جريانها للصعود بالكيفية السابقة

ويجوز للضارب في عملية المضاعفة اذا امل الربح ان لا يقفل عملية الشراء ببيعهِ ما يقابلها او عملية البيع بشرائهِ مقدارها فيحسب لهُ الربح حينئذٍ في المثال المتقدم على ٥٠٠ قنطار وتحسب لهُ الخسارة اذا حدثت على ٢٥٠ قنطاراً فقط

(نتيجة) بمقارنة العملية المضاعفة بعملية المراهنة نجد الفرق بينهما

ا . ان الرهن على عملية المضاعفة ضعفهُ في عملية المراهنة

ب . أن ثمن الشراء يعتبر ثمناً حقيقيًا في عملية المراهنة وهو اي الثمن الحقيقي في عملية المضاعفة يكون من ثمن الشراء زائداً مبلغ الرهن

ج . أن للمضارب الحق في عملية المضاربة ان لا يقفل عمليتهِ ليحتسب لهُ الربح على ضعف ما اشتراهُ او باعهُ

٤ — العملية الراحلة Arbitrages وهي عملية يشترى بواسطتها المضارب قطناً مصريًا في الاسكندرية على الكنتراتو ويبيع مثلهُ في ليفربول او العكس طلباً لربح الفرق بين السعرين . وهذه العملية يغلب جريانها بين التجار وكبار المضاربين

ويجوز ايضاً اجراء هذه العملية في الاسكندرية بشراء قطن نوفمبر مثلاً وبيع قطن مارس طلباً لاكتساب فرق السعرين

وكذلك يجوز اجراؤُها بنقل العمليات المتقدمة من شهر الى شهر حيث يدفع المضارب فرق السعر في الشهرين Ecart

(تنبيه) ان مبلغ الرهن الذي يدفع على عمليات المضاربات يختلف باختلاف اسعار السوق وحركة الاعمال وباختلاف حال الزراعة ايضاً وبحسب ما تكون العملية لموعد قريب او بعيد

ويعلّق قوم على هذه العمليات وامثالها في المضاربات اهمّية عظيمة لحفظ اسعار القطن وتوجيه الرغبات اليهِ واعلاء شأنهِ في التعامل بهِ وتداول النقود بين المتمولين بسببهِ واستثمار المال بتعدد انواع الاخذ والعطاء في اصنافهِ ويرون في ابطال هـذه المضاربات وقوف حركة الاقطان التي عليها مدار الثروة العمومية لهذه البلاد

وهذا رأي اذا سلّمنا بهِ جدلاً لا يخالفنا القائلون بهِ في ضرر المضاربات اذ تجاوز في عملياتها حدّ التوسط والاعتدال

وقد اوردت ها هنا اعمال المضاربات على سبيل المثال . غير راغبٍ فيها ولا حاثّ عليها فانها مضيعة للآمال في كل حال »

رومانيا تاريخها واحوالها

كان الشعب الروماني قديماً يقطن البلاد الواقعة بين البحر الاسود والبحر الادرياتيك والبحر المتوسط . وكان مؤلفاً من قبائل شتى منتشرة شمالي نهر الدانوب وشرقيهُ وفي ترانسلفانيا وجبال كرباتيا . وبعد تقسيم مملكة الاسكندر وجهت رومية همها الى فتح هذه البلاد في عهد الامبراطور تراجانوس . ولما اضمحلت سلطة رومية بقي قسم كبير من الرومان في هذه البلاد فاستوطنوها وامتزجوا باهلها الاصليين وكانوا ارقى منهم حضارة فاضطروهم الى اتخاذ اللاتينية لهم لغة والى التخلق باخلاقهم وهكذا اندثرت لغتهم القديمة ونشأ الشعب الروماني الحالي من امتزاج الرومانيين باهل البلاد الاصليين واسمهم الداس

اما رومانيا الحالية فيحدها شمالاً النمسا وشرقاً روسيا والبحر الاسود وجنوباً نهر الدانوب الفاصل بينها وبين بلغاريا وغرباً صربيا . وعدد سكانها ثمانية ملايين منهم سبعة ملايين من الارثوذكس . والباقون منهم نحو النصف من اليهود و ٢٥٠ الفاً من المسلمين و٨٠ الفاً من الانجيليين و ٦٠ الفاً من الكاثوليك و ٥٠ الفاً من اهل المذاهب الباقية . وبقيت هذه البلاد في يد تركيا مدة ستة قرون ولذلك تجد في اللغة الرومانية كثيراً من الالفاظ التركية مثل توتون (تبغ) وآغا و بخشيش وهايدي وغيرها . وكان الرومانيون في حرب دائمة مع الدولة العثمانية حتى عقد مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦ على اثر حرب القريم فاعطيت رومانيا بعض الامتيازات منها اولاً ضم الامارات الرومانية في ايالة واحدة . ثانياً استقلالها الاداري تحت سيادة تركيا . ثالثاً تعيين حاكم مسيحي لها فعين البرنس شارل هوهنزلرن من اسرة امبراطور المانيا . وكان تنصيبهُ فاتحة عصر مجيد لرومانيا فلما بلغ بخارست عاصمتها في ١٠ مايو سنة ١٨٦٦ اقيمت الافراح في طول البلاد وعرضها احتفالاً بقدومهِ . فهب يفتح المدارس ويمد سكك الحديد ويهتم باصلاح العاصمة حتى صارت تضاهي اجمل العواصم الاوربية . ثم جعل همهُ اصلاح الجيش وكان قائد الاي في الجيش الالماني لما وقعت الحرب بين بروسيا والدنمرك . ولعلهُ كان يرمي باصلاح جيشهِ الى محاربة النمسا كما تصنع رومانيا الآن لتخليص ثلاثة ملايين من قومها من نير النمسا والمجر

ورومانيا بلاد زراعية تخرج مقداراً كبيراً من القمح والذرة . وهي غنية بالبترول حتى لتعد الاولى فيهِ بعد اميركا وروسيا . وفيها من الغابات ما مساحتهُ سبعة ملايين ونصف مليون فدان يستخرجون منها الخشب و يصدرونهُ الى الخارج

وفي ١٠ مايو سنة ١٨٧٧ على اثر حرب روسيا وتركيا رقيت رومانيا الى مملكة ونودي بالبرنس شارل ملكاً عليها . وتوفي هذا الملك في اوائل الحرب الحاضرة عن بنت ماتت صغيرة السن فخلفهُ ابن اخيهِ الملك فردينان الحالي وهو متزوج البرنسس ماري بنت دوق ادنبرج عم ملك الانكليز الحالي ووالدتها الغراندوقة ماري بنت اسكندر الثاني قيصر روسيا . وللملك فردينان ابنان وثلاث بنات

وقد زرت هذه المملكة منذ بضع سنوات بطريق الاستانة فرست الباخرة في اول مرفإٍ منها وهو ميناء قسطنجه على البحر الاسود في اقليم دوبريجه . وكان هـذا الاقليم تابعاً لتركيا وبقي في حيازتها حتى سنة ١٨٨٨ ثم ضم الى رومانيا بعد مفاوضات طويلة بين الحكومتين كادت تفضي الى الحرب . وكانت قسطنجه فيما مضى قرية صغيرة اما الآن فمدينة عامرة ذات شوارع واسعة مفروشة بالاسفلت وعلى جانبيها الاشجار الباسقة انفق عليها وعلى مينائها واحواضها نحو ٨٩ مليون فرنك

ومن قسطنجه ركبنا القطار الى بخارست عاصمة رومانيا والمسافة بينهما ٦ ساعات وعدد المحطات ٢٢ . وما زال القطار يستقبل محطة ويودع اخرى حتى بلغنا الجسر العظيم الممتد فوق نهر الدانوب عند مدينة تشرناڤودا . وطولهُ اربعة آلاف متر وبلغت نفقاتهُ ٣٥ مليون فرنك . واقليم دوبريجه واقع في هذه المنطقة وشهرتهُ الآن غنية عن البيان لانهُ احد ميداني القتال في رومانيا

اما بخارست فيسميها الترك بكرش . عدد سكانها ٨٠٠ الف نسمة . والقادم اليها من الشرق تدهشهُ ابنيتها التي لا تقلُّ في جمالها وفخامتها عن ابنية العواصم الاوربية . وقد اكثروا من غرس الاشجار في الميادين وجوانب الشوارع حتى يخيل لمن فيها انهُ في بستان . واعظم شوارعها شارع ڤيكوري . وفيهِ من القهوات والملاهي ما لا يقلُّ عن اعظم شوارع باريس . ومركبات الاجرة فيها احسن منها في سائر العواصم منظراً واتقاناً لانهُ فرض على العربجية ان يلبسوا زياً واحداً مؤلفاً من بالطو قطيفة زرقاء تصل الى القدمين . وفي وسطها منطقة حمراء . وخيل المركبات من الخيل المطهمة يؤتى بها على الغالب من روسيا . والعربجية روسيو الاصل وكانت لهم في روسيا عادة غريبة وهي انهُ اذا تزوج الواحد منهم ورزق ولداً خصى نفسهُ . فلما درت الحكومة الروسية بهذه العادة المضادة لناموس الاجتماع نفتهم من البلاد فلجأوا بخيلهم الى بخارست عاصمة رومانيا

ومن شوارعها الكبرى شارع كولسا يسكنهُ اهل الطبقة العالية وترتيبهُ هكذا : ممشى

على جانب لمرور الناس غرست على محاذاته الاشجار · ثم طريق آخر للمركبات · ثم طريق في الوسط للخيل مفروش بالرمل وعلى حذائه الاشجار · ثم طريق آخر للمركبات على الجانب الآخر ثم ممشى · وليس فيه دكاكين ولا حوانيت فهو بذلك شبيه بشارع قصر الدوبارة

وزرت غبطة المترو بوليت (وهو الرئيس الديني في رومانيا) ثم الكنيسة وهي قديمة العهد فرأيت فيها تابوتاً من الفضة فيه عظام القديس ديمتريوس الذي يكرمه الرومانيون كل الاكرام فاذا انحبس المطر حمل رجال الدين التابوت وطافوا به في المدينة داعين لله ان يجود عليهم بالغيث لانعاش الزرع · والرومانيون كثيرو التعبد ففي عاصمتهم ١١٦ كنيسة ارثوذكسية

وكنت قبل سفري من القاهرة قد قابلت معتمد رومانيا فاشار علي بزيارة جبل سينايا وفيه قصر الملك حيث يقيم هو وبطانته وكذلك تقصده الطبقة العليا للتصييف والبعد بينه وبين العاصمة ٣ ساعات · فركبت القطار اليه وكان فيه كثيرون من الرومانيين وهم لطيفو العشرة لايتطلبون للتعارف شروطاً كثيرة فدلوني انا والذين معي على كل شيء يستحق المشاهدة في طريقنا من ذلك ينابيع البترول المشهورة وحقول الفاصوليا فانها من حاصلات رومانيا الزراعية الكثيرة وللفلاحين طريقة غريبة في زرعها فانهم يعرشونها على ارتاد يبلغ طول الواحد منها ٩ امتار حتى يتخيل من يراها انها اشجار باسقة · والمسافة بين وتد ووتد متران · وقد جعل الرومانيون من هذا الجبل حديقة غناء يعجز القلم عن وصف محاسنها · وفيه فندق يقدم الى الآكلين على موائده بعض الالوان الشرقية كالباذنجان «المحشي» والرز المدفون يقدمون معه اللبن الرائب في «سلاطين» بيضاء كما نراها هنا . ومن انواع الحلوى الشرقية البقلاوه والقطايف

وزرت قصر الملك ومعي توصية من معتمد رومانيا الى السر تشريفاتي · والقصر على بعد ساعة من الفندق فقصدت اليه في طريق كستها غابات الصنوبر عن الجانبين فلما قابلت السر تشريفاتي بالغ في اكرامي وقال ان الملك منحرف المزاج كما لا بد ان تكون قد علمت من الصحف ولكن ولي العهد (الملك الحالي) يقابلك وسأرسل اليك علماً بذلك في الفندق

وفي الغد وردتني رسالة بان اذهب الى القصر الساعة الثالثة بعد الظهر فادخلني احد التشريفاتية قاعة الاستقبال حيث تشرفت بمقابلة سمو ولي العهد وكان بملابسه العسكرية وجرى بيننا حديث على مصر ورومانيا ودعاني لزيارة ديرارجيش حيث اشاهد قبب الاجراس الرخامية المذهبة وقد صفت بطريقة هندسية غريبة مما لا مثيل له في العالم · ولزيارة مناجم الملح وعمقها في بعض الاماكن ١٥٠ متراً وليس هناك حجر او تراب بل الملح

النقي · ومما قال لي ان رومانيا بلد زراعي كالقطر المصري ولكنَّ الحكومة توجه همها الى الصناعة ايضاً · ودامت المقابلة نصف ساعة ثم انصرفت شاكراً

وفي هذا الجبل كنيسة وقد زرتها وصليت فيها مع المصلين · ومع ان الصلاة باللغة الرومانية فان المسيحي الشرقي يسهل عليهِ تتبعها وفهمها من الحانها · وملابس القسيسين عندهم كملابسهم عندنا · والمصلون يبقون وقوفاً مطاطئي الرؤُوس غاضي الابصار ولكن النساء يخررن على الركب سجوداً في القداس ثم عند عرض الكاس · ولا يدار بالصواني لجمع الصدقات من المصلين كما هي الحال عندنا بل عند باب الكنيسة مائدة عليها صينية وامامها الشموع فالداخل للصلاة يأخذ شمعة ويضع في الصينية ما تسمح بهِ نفسهُ

وبعد الصلاة عدنا الى بخارست لنسافر منها الى بلغراد عاصمة السرب

ادوار الياس باشا

حبوب إطالة العمر

ليس لإطالة العمر حبوب كالحبوب التي تؤْخذ لكثير من الادواء وانما ذكرت الحبوب هنا على سبيل الاستعارة وهي استعارة مستحبة · وعندنا انهُ لو اكتشفت حبوب لاطالة العمر لوجدنا الناس ما بين راغب فيها او راغب عنها مقبل عليها او رادّ لها شأنهم في بضاعة الحياة حيثما كانوا · فاننا بينا نرى شاعراً كالمتنبي يقول

وإذا الشيخ قال أُفٍّ فما ملَّ حياة وانما الضعف ملاّ

نرى شاعراً غيرهُ يقول

وحقّ لمن أتت مئتان عاماً عليهِ ان يملّ من الثواء

على انهُ لو قرن طول الحياة بالصحة الدائمة والشباب الدائم ووفرة اسباب الغبطة ما وجدت انساناً يملهُ ولو كان هناك من يقول غير ذلك اي ان الانسان يسأم العمر الطويل ولو صحبتهُ جميع اسباب السرور رغبة في معرفة ما وراءهُ · ومعنى ذلك ان الموت يصبح امنية الاماني بعد ان يكون طول الحياة تلك الامنية كما هو العرف الآن

سئل احد محافظي مدينة لندن وكان قد انتخب محافظاً وهو فوق الثمانين من عمرهِ كيف بلغت هذا الحد من العمر وانت على ما نراك من القوة والعافية وبُعد الهمة فاجاب بما يأتي ونشر جوابهُ في احدى الصحف تحت العنوان المتقدم · قال :

« اعتنِ بشرايينك فان الانسان يشيخ بقدر ما تشيخ شرايينهُ فاذا ضعفت اقتحم الدم اسوار الدماغ وغيره من الاعضاء الجوهرية والعاقبة معروفة

« والعناية بالشرايين تقتضي نومك باكراً وهذا ما الحّ فيهِ شديد الالحاح بوجه خاص.
اما انا فكنت اطيل النوم ليلاً كما استطعت . هذا من جهة النوم واما من جهة الطعام فاني اقلل من اكل اللحم ما امكنني . ولم اجر في زماني على قواعد معينة في الطعام بل اني آكل ما يقدم اليّ باعتدال واشرب كأساً من الخمر وادخن سيجاراً . وعليهِ اقول ان الاعتدال في المعيشة والامتناع عن المسكر يمكنان المرء من التمتع بهذه الحياة

« واما الرياضة فانا من المعتقدين بعظم شأنها ولكن شغلي كان يمنعني ان انال منها قدر ما احب لكن الشغل والعمل لا يضران احداً بل بالضد من ذلك يحفظان للناس صحتهم »

نقول وهذا كلهُ صحيح لا غبار عليهِ الاَّ اذا كانت البنية خربة بالفطرة وحينئذٍ فان هذه الحياة لا تستحق ان تعاش كما يقول الانكليز في بعض تعابيرهم . ولكن هناك رجالاً كديوجنس والمعري وملتون وغيرهم احبوا الحياة وساغ لهم شرابها وهم بين مقعد واعمى ومشوه ومصاب بداء عياء . فهؤلاء وامثالهم انما احبوا الحياة ولو لم يتمتعوا تمتعاً كاملاً بملاذها واطايبها لانهم كانوا يشعرون من انفسهم بمشاركة الغير لهم في ضرائهم على حد قول بعض شعراء الانكليز:

« اذا صافحتك الخيبة في عملك . ورأيت عثرات الآمال تقف في سبيل مشروعاتك . وصديقاً لك كنت تعهدهُ وافياً قد انقلب غداراً وعدوّاً مبيناً وخان عهود صداقتك . واذا رأيت نفسك تتخبط في اسفل السلّم تحاول الصعود فلا تستطيع — فان علمك بوجود من يعطف عليك ويشاطرك تعبك وألمك يكون لك كمنزل في السماء

« رجل يقدر جهدك حق قدرهِ . رجل يفهمك ويدرك موقفك فلذلك يعطف عليك . رجل يشغلهُ امرك ولو كان بعيداً عنك . رجل لن ينساك . رجل يعنى بك حقيقة

« هذا كلهُ يدفع عوامل الانبساط الى قلبك ويحرك جوارحك حتى ليكاد السرور يطفح عليك وتكاد الدموع تترقرق في عينيك . فان هذه الحياة تستحق ان تعاش اذا وجدتَ فيها من يرثي لك ويقاسمك احزانك وعلمت ان هناك من يهتمُّ بك

« ليست ايام هذا العمر بالمنيرة كلها بل فيها ايام كثيرة مظلمة تتلبد السحب في جوها ولكن الشوكة لا تقتل الوردة بل ان السحب السوداء المتلبدة تحفها دارةٌ من نور اذا وجدتَ في هذه الدنيا من يعنى بك ويعطف عليك في مصابك »

مصر منذ تسعين سنة

(١١)

الافندي الارمني

في صباح اليوم التالي خرجنا من مرفإ دمياط في قارب لقنصل فرنسا ورافقنا القواس وقد عهد اليهِ في شحن الرز من العزبة ونقلهِ الى المركب اليوناني الرامي في عرض البحر عند راس البوغاز. فسار بنا القارب بين مروج خصبة وغابات من النخيل. وبينما كنت امتع بصري بتلك المناظر البديعة البهجة والقارب يسير بنا الهوينا ومياه النيل الصافية كالمرآة تتجعد كحلقات الزرد من نسيمات السحر وتتلاطم معانقة مياه البحر المالحة اذ وصل الى سمعي غناء بلغة غريبة وقد تكرر مطلعهُ هكذا: « استنبولدن آه يلير فرمان . علي عثمان بارجندة يلير استنبولدن » فالتفت الى مصدر الصوت فرأيت شاباً بهي الطلعة ولكنهُ زري الهيئة فسألت القواس عنهُ فقال انهُ شاب ارمني صعلوك من اسطنبول يجول في البلاد للاستجداء وهو يغني بالتركية اغنية دارجة شاعت عند صدور الفرمان من السلطان بقتل الانكشارية

ثم وقف بنا القارب عند عزبة بالقرب من بحيرة المنزلة لشحن اكياس الرز فخرجت الى البر وجلست على العشب فاتى ذلك الشاب الارمني وجلس بالقرب مني فتبينتهُ واذا هو جميل الهيئة بملامح شركسية وعينين سوداوين استرسل شعرهُ على جبينهِ وفوديهِ تحت طربوش احمر تركي وهو يلبس « غنبازاً » قصيراً او ساية من الحرير مقلمة بخطوط ملونة الاَّ انها عتيقة فوقها جبة قصيرة من جوخ اسود عريضة الاكمام الاَّ انهـا ممزقة . وفي وسطهِ منطقة ملونة فهو في هيئتهِ هذه وشكلهِ كتركي فقير ولم أرَ في وسطهِ القدارات والخناجر حسب عادة الترك بل وضع بدلاً منها دواة طويلة من نحاس اصفر فتأكدت حينئذٍ انهُ « افندي » من رجال الكتابة ودهشت حينما بادأني بالتحية باللغة الفرنسوية قائلاً : بونجور مسيو

فقلت لهُ أأنت مصري ؟ اجاب كلا انا من اسطنبول هاجرت الى هذه البلاد مع من هاجر من الاتراك والارمن للارتزاق بعد ان استقل محمد علي باشا في حكم ولاية مصر

وكنت كاتباً ومترجماً في سراي طوسون بك نجل سعادته . ثم خرجت من عنده وحضرت الى دمياط ولما علمت انك مسافر الى سوريا عزمت ان اصحبك في السفر الى بيروت ولي هناك شقيق كاتب عند حاكم تلك المدينة ومقرب اليه . فالتفت نحو القواس وقلت له لا أرى بأساً ان يسافر هذا الشاب معنا . فاخذني ناحية وقال لي همساً : اني لا ارى من الفطنة والصواب ان تصحبه معك لئلا تضطر ان تدفع عنه نفقته واجرة السفر في المركب اليوناني لانه فقير معدم لا يملك سوى دواته واقلامه فهو من الجوالين الصعاليك الذين يجولون في البلاد متخذين مهنة الكتابة ونظم الاشعار للاستجداء ولما وصل الى دمياط قصد القنصل فنقده بعض دريهمات وصرفه

فالتفت حينئذٍ نحو الشاب وقلت له اني آسف يا عزيزي لكوني لا اقدر ان اصحبك معي في المركب فليس في وسعي ان ادفع عنك اجرة السفر فقد نفدت دراهمي وما عندي لا يكاد يكفيني للوصول الى بلادي . فاجابني لا بأس سابقى هنا عند الفلاحين الى ان يمر بعض السياح الانكليز الذاهبين الى سوريا ولا بد ان اجد بينهم واحداً ذا حنان وعطف ومروءة فيأخذني معه . فآلمني هذا الكلام وحرك في قلبي عاطفة الغيرة والمنافسة الجنسية فندمت لما ابديته من الجفاء نحو هذا الشاب المسكين

— بوغاز دمياط وبحيرة المنزلة —

وبينما كان الفلاحون يشحنون اكياس الرز في القارب اتخذت هذه الفرصة للتفرج على بحيرة المنزلة القريبة من هناك فسرت مع القواس في تلك المروج والغياض واجتزنا قرية تدعى « العزبة » وكل بيوتها حقيرة من الطوب النيء ما عدا جامعاً قديماً متهدماً واثار برج من الحجر الصلب وكلاهما تهدما في حصار دمياط على عهد الصليبيين تحت قيادة الملك لويس التاسع . وكان هذا البرج من حصون دمياط القديمة ذات الاسوار المنيعة وكانت على شاطئ البحر غير انه على طول الزمن تغلب طمي النيل على المياه فصارت المدينة على بعد بضعة اميال من الشاطئ . وقد قرر العلماء ان تربة الاراضي المصرية تكتسب ميلاً من ارض البحر في كل ستمائة سنة بواسطة الطمي . وان مدينة دمياط الحالية كانت منذ تأسيسها على شاطئ البحر الملح فصارت الآن على مر الزمن وبرسوب طمي النيل على مسافة اميال من البحر

وكانت دمياط محطاً للقوافل والمسافرين بين البرين مصر وسوريا في الزمن السابق

ولم تزل الى الآن آثار مدن وخرابات على شاطئ البحر وضفاف بحيرة المنزلة طمرتها الرمال بعد ان قذفتها الرياح من الصحاري الشرقية . وتتبع العلماء هذه الآثار على شاطئ البحر فوجدوا خرائب مدن مصرية كثيرة بنيت على عهد ملوك طيبة والملوك الرعاة . وبعض تلك المدن كانت على شاطئ البحر فتغلبت عليها الرمال الشرقية والطمي فصارت على مسافات بعيدة عن البحر وقد احصى العلماء الجيولوجيون طبقات الطمي وعلوها عن الماء وحسبوا الزمن الذي ترسب فيهِ كل طبقة من الارض بسبب طمي النيل في كل سنة من السنين فوجدوا ان عمر الاراضي المصرية اربعون الف سنة منذ كانت المياه غامرة بلاد الدلتا كلها

ثم وصلنا الى بحيرة المنزلة وهناك رأينا الوفاً من قوارب الصيادين تمخر في تلك البحيرة وبين جزرها الكثيرة لصيد السمك . ويصطادون منهُ في كل سنة الوفاً من القناطير تكفي مؤونة مصر كلها . وبحيرة المنزلة هي بحيرة ماريوتنيس القديمة وعلى شواطئها كانت مدينة تانيس العاصمة القديمة ومدن كثيرة عفت آثارها ومدينة بيلوزا مفتاح القصر المصري في الحدود الفاصلة بين سوريا ومصر ومن هذه المدينة اجتاز الملوك الفاتحون لاجتياح مصر كملوك اشور وفارس واليونان والرومان . ومنها دخل الاسكندر الى مصر . وحول البحيرة اراضٍ مشبعة من نشع مياه النيل تزرع ارزاً وتتخللها اشجار الطرفاء والجميز والنخل وعلى ضفاف الترع نباتات البردي واللوتس الارجواني والنيلوفر وتحوم حولها الطيور من حمام وبط واوز وغيرها من الطيور المائية الصالحة للصيد

وبينما كانت انظاري متجهة الى حركة قوارب الصيادين والى مدهشات الطبيعة وافكاري منصرفة الى تلك العاديات القديمة سمعت تلك الاغنية التركية التي سمعتها في القارب من ذلك الشاب الارمني الذي رفضت ان اصحبهُ معي تبعاً لمشورة القواس وكان يكرر نشيدهُ فالتفت فرأيتهُ واقفاً على بعد بعض خطوات مني وفي وسطهِ دواتهُ الصفراء النحاسية وتحت ابطهِ صرة ثيابهِ وهي كل ما يملك من حطام الدنيا فحملتني الشفقة عليهِ الى استئناف الحديث معهُ فتركت القواس ودنوت منهُ وقلت لهُ همساً

كنت اود ان آخذك معي الى سوريا لولا الضائقة المالية ولكني ساطلب من ربان المركب ان يأخذك باجرة قليلة وانا اقدم لك الطعام مدة السفر تخفف عنك

وطأة الم . وقد رأيت هذا القواس الانكشاري حاقداً عليك فربما كان ذلك لانك تعرض بهِ في اغنيتك التركية عن صدور الفرمان بقتل الانكشارية . فاجابني لا بل هو نفسهُ باداني بالعداء ولم يدعني اقابل القنصل بدمياط ولولا انهُ جعل نفسهُ تحت حمايتهِ وادعى بانهُ الباني لما بقي الى الآن حيًا فلا يوجد الآن انكشاري واحد في كل السلطنة التركية

فاهتممت باصلاح ذات البين بينهما وعزمت ان اصحبهُ معي فحمل صرة ثيابهِ تحت ابطهِ واتبعنا ولما رجعنا من تطوافنا الى العزبة رأينا القارب امتلأ من اكياس الرز والجارية جالسة بين اقفاص الدجاج تنتظرني بفروغ صبر . فسار بنا القارب في الترعة الدمياطية الى البوغاز (رأس البر) وكنا كلما تقدمنا تتسع امامنا طبقات الرمال من الضفتين وهذا ما جعل الترعة غير صالحة لمسير السفن الكبيرة . فالمراكب التي ترد من سوريا واليونان واسطنبول ترسو في آخر البوغاز . ورأينا على ضفتي الترعة آثار حصنين قديمين متهدمين من عهد الصليبيين . وبعد ساعتين وصل بنا القارب الى البوغاز حيث ملتقى ماء النيل بالماء الملح وتبينا المركب اليوناني فاذا هو سفينة صغيرة بساريتين على احداهما شراع مثلث . فاوجست خيفة من السفر فيها ورأيت ولكن بعد فوات الوقت ان من الخطر السفر في مثل هذا المركب الصغير الذي قد لا يحتمل تلاطم امواج البحر المتوسط وخصوصاً وهو مثقل بمئات من اكياس الرز . ولما لصق القارب بالمركب تدلى منهُ سلم من حبالٍ فصعد القواس اولاً ثم تبعتهُ مع الجارية والشاب الارمني ونقل البحارة كل صناديقي وامتعتي فجلسنا عند موءخر المركب بينما كانوا ينقلون اكياس الرز من القارب الى المركب حتى امتلأ منها وصارت كجبلٍ عالٍ امامنا . وفي هذه الاثناء دنا مني رجل طويل بلباس ازرق وقبعة سوداء من الفرو وحياني بالرومية قائلاً « كاليمرا » وعرفني بهِ القواس فاذا هو ربان السفينة ثم ذهب لملاحظة اتمام الشحن . وضاق بنا المكان واكياس الرز من حولنا ونحن في فرجةٍ ضيقةٍ بينها لا تكاد تكفي لجلوسنا فكيف نقدر ان ننام او نسير . وليس في المركب سوى غرفة واحدة للربان واخرى للطبخ والعفش واقفاص الطيور وفي جانبيهِ قاربان صغيران مربوطان بحبال الساري

وفي المطبخ خادم وهو غلام رومي صغير في الثالثة عشرة من عمرهِ فلما رأى الجارية صاعدة الى المركب صرخ بملء صوتهِ « كاكوما كالا » اي ها هي سيدة حسناء ولا اعلم هل

كان يقصد بذلك السخرية · ولما انتهى القواس من شحن الرز جاء الينا مودعاً فقلت لهُ اين الغرفة التي قلت لي عنها فقد وعدتني انك ستكلم الربان ليضعني مع جاريتي في غرفة مخصوصة فاين هي · فلست ارى في هذا المركب سوى غرفة الربان · فانظر الى ما نحن فيهِ في هذه الفرجة الضيقة اننا لا نقدر ان نمد ارجلنا فيها هل نبقى على هذه الحالة كل مدة السفر ان ذلك امر لا يطاق · فتبسم واجاب ببرودة كن مطمئناً فقد كلمت الربان وسيضعك في مكان احسن من هذا

ثم ودعني وانصرف وركب في القارب ورجع الى دمياط · وكان المركب مع ثقل شحنهِ يتمايل يمنةً ويسرةً من هبوب الريح وتلاطم الامواج فقلت في نفسي ان المركب يرقص بنا ونحن في البوغاز فكيف اذا نخر في البحر العجاج · هل ابقى مسجوناً بين اكياس الرز مدة ثلاثة ايام او اربعة او اكثر حسب ملاءمة الريح لنا · فسلمت امري الى حكم قهري لا مرد لهُ والتفت نحو الارمني وكان جالساً بجانبي وقلت لهُ ان يذهب ويسأل الربان عن الغرفة التي وعدني بها القواس وقل لهُ اني مستعد لان ادفع اجرتها مهما كانت · فذهب وبعد هنيهة رجع مع الربان فقال لي هذا ارجوك المعذرة يا مسيو اذ ليس في مركبي غرفة تصلح لك تعال معي حتى اريك غرفتي التي انام فيها

فقادني بين الاكياس وقد تعذر علينا المسير الى ان وصلنا الى كوة مربعة ينزل فيها ببعض درجات الى غرفة صغيرة ضيقة مظلمة لا تسع شخصين اذا تمددا · وقال لي هذه هي الغرفة ان شئت فاجلس فيها فابيت وما صدقت ان خرجت من هناك وقد ضاق صدري واشتد بي الكدر والغم والندم فلما رآني الربان في تلك الحالة طيب خاطري واخذني الى جانب المركب حيث القارب الكبير وفوقهُ مظلة من القماش وهو مربوط ربطاً وثيقاً في السارية وقال لي هذا اصلح مكان لك عندي ولك فيهِ سعة وراحة في الجلوس والنوم وسافرش بطن القارب بالاحرمة واجعل لك اغطية تقيك من البرد · فها هي غرفتك مع جاريتك فهل انت مسرور ؟ ولما رأيت المكان صالحاً سري عني قليلاً

ربان السفينة

وعند عصارى النهار هبت ريح موافقة واقلع بنا المركب من البوغاز · وكان مسيرنا متعرجاً حسب هبوب الريح وحسب الطريقة القديمة في النهار تسترشد السفينة

بالشمس وفي الليل بالنجوم فقلت للربان لماذا لا تضع في مركبك « البوصلة » فاراني على مقربة من دفة المركب بوصلة قديمة مخربة وقال لي قلما اعتمد عليها لطول خبرتي وحنكتي في الاسفار . وتبينت الرجل لاعلم اخلاقهُ واوصافهُ من ملامحهِ فظهر لي انهُ كثير الادعاء والدهاء يثق بنفسهِ وخبرتهِ البحرية اكثر من ثقتهِ بمركبهِ وشراعهِ القديم و بوصلتهِ المعطلة ودفتهِ الصغيرة

وعند المساء دعاني اول مرة للعشاء معهُ وكان العشاء قصعة كبيرة من الرز فجلسنا كلانا وبحرية المركب الثانية والشاب الارمني حول هذا الهرم الكبير من الرز وكنا نأكل بملاعق صغيرة من الخشب . ثم احضر لنا ابريقاً كبيراً من الخزف ملآً خمراً تدعى عندهم « كومنداري » وهي في الحقيقة خمر قبرصية حرّيفة الطعم واظهر لي كثيراً من التودد واللطف وانطلق لسانهُ في الحديث بعد ان امتلأ جوفهُ من الخمر واظهر لي حقيقة امرهِ فقال انهُ يدعى — بابا نقولا — من اهالي طرابلس الشام وهو من طائفة الروم الكاثوليك . وسألني هل افهم اللغة اللاتينية فاجبتهُ بالايجاب . وحينئذٍ اخذ من جيبهِ علبة من صفيح واخرج منها ورقة كبيرة من الرق النباتي ووضعها امامي وقال لي اقرأ فهذه احدى الشهادات باستقامتي ومتانة سفينتي وحسن سلوكي مع السياح والركاب واماني في تسليم البضائع الى اربابها فاخذت الورقة وفتحتها واذا هي مكتوبة باللغة الطليانية لا اللاتينية موقعة من بعض اباء الاراضي المقدسة الفرنسيسكان ومآلها ان الربان الكسيس كاثوليكي عاملهم احسن معاملة ونقلهم في مركبهِ من بيروت ودمياط الى يافا . وفي اسفل الورقة ختم القبر المقدس بالشمع الاحمر . فقلت لهُ ان هذه الشهادة معطاة لشخص يدعى الكسيس وانت قلت لي ان اسمك بابا نقولا . اجاب لقد اخطأوا في كتابة الاسم

ولا اعلم مبلغ هذا الكلام من الصدق وداخلني ريب في حقيقة اسم هذا الرجل وجنسيتهِ وانتسابهِ للكاثوليك مع ان ظواهرهُ تدل على انهُ رومي صرف ولغتهُ اليونانية . وربما انتحل لنفسهِ هذا الاسم من ربان آخر يدعى الكسيس اشترى منهُ المركب والشهادة معاً

وبعد الغداء رجعت الى موضعي في القارب وهب النسيم المنعش وكان الجو صافياً والبحر رهواً واما الشاب الارمني فجلس بالقرب من الجارية يسليها بقصص وحكايات خرافية

وكنت اسمعهُ يقول لها من حين لآخر «كان يا ستي . قال الملك يا ستي» وهي تصغي اليهِ بانتباه وسرور . وكان الربان يلعب بالشطرنج مع مدير الدفة وفرش البحارة المسلمون ثيابهم على ظهر المركب للقيام بفروض صلاتهم متجهين نحو القبلة حيث بلادهم المقدسة وليس في الدنيا امة اشد تمسكاً بفرائض دينها من الامة الاسلامية

وفي صباح اليوم الثالث نهضنا من النوم فظهرت لنا عن بُعد جبال فلسطين وانتعشت قلوبنا عند دنونا من البر بعد ان لبثنا ثلاثة ايام بين السماء والماء . وكان الربان على مقربة منا يعزف على قيثارةٍ نغماً روميًّا . وخادمهُ الغلام يغني اغنية عربية مطلعها «يا حبيبي يا عيني يا محبوبي يا سيدي» وهو يكررها مراراً . فسألت الارمني عن معنى كلمة «حبيبي» فقال تعني طانش او مجوني

وعند عصارى ذلك اليوم سكنت الريح وكانت السفينة تسير متثاقلة ورأيت على وجه الارمني علائم الكدر والغم فسألتهُ عن السبب فقال اخشى ان يطول سكون الريح ولا نصل الى احد الشواطئ قبل يومين او ثلاثة . قلت وما الضرر في ذلك فنحن في أمنٍ وارتياح . قال نعم ولكن ماء الشرب كاد يفرغ من عندنا

فذعرت من هذا النبإ وقلت لهُ عجباً نحن في خطر الموت عطشاً والربان جالس بغير اكتراث يتلاهى بالشطرنج ويغني ويعزف بالقيثارة هلم بنا نكلمهُ فاخذني واراني برميل الشرب فتطلعت واذا في قعرهِ شبر من الماء لا يكاد يملأ ست زجاجات . ولما سألنا الربان عن ذلك اجاب ليس في اليد حيلة والامل معقود بنواصي الريح فاذا وافقتنا نصل غداً الى حيفا او عكاء فنملأ براميلنا ماء قراحاً . ثم عاد الى موضعهِ يعزف على قيثارتهِ وغلامهُ يكرر اغنيتهُ «يا حبيبي يا عيني» فرجعت الى موضعي اسفاً من برودة طبع هذا الرجل وعدم اكتراثهِ لما نحن فيهِ من الخطر

صحوت عند الفجر في اليوم التالي وتطلعت الى الشرق مؤملاً ان ارى المركب على مقربة من احدى المدن البحرية فظهرت لي جبال فلسطين باجلى وضوح وجبل الكرمل على مسافة بعيدة عنا . وجلت في السفينة فرأيت الناس كلهم لم يزالوا نياماً عدا الغلام الرومي فكان واقفاً عند برميل الماء يغرف منهُ ويغسل وجههُ ورأسهُ كأنهُ عند عين ماء متدفقة . فصعد الدم الى رأسي من هذا العمل نحن في المركب خمسة عشر شخصاً ولم يبقَ عندنا من الماء ما يكفينا للشرب في ذلك اليوم . وهذا الغلام يستنفدهُ في غسل رأسهِ ان ذلك

لمصاب عظيم . فتقدمت منهُ وانتهرتهُ بحدة . ولما لم اعرف بالعربية كلمة اقولها في تأنيبهِ فكرت في كلمة « حبيبي » التي فسرها لي الارمني بمعنى طائش او مجنون فقلت لهُ مظهراً الغضب آه « يا حبيبي يا حبيبي » فضحك وتوارى عني . ولما علمت حقيقة معنى يا حبيبي عاتبت الارمني على ما فعل ولكن ظهر لي انهُ لم يتعمد الخطأ

وقال لنا الربان انهُ اذا ظلت الريح ملائمة لنا ففي صباح اليوم التالي نصل الى جبل الكرمل . وحينئذٍ سمعنا صراخاً مزعجاً من ظهر المركب « الفرخة الفرخة » فخرجنا لنعلم جلية الامر فاذا دجاجة لاحد النوتية فرت من القفص وطارت وسقطت في البحر وصاحبها واقف يندبها بدموع سخينة واخيراً القى نفسهُ في الماء على حين غفلة قاصداً ان يخلص الدجاجة من الغرق . فاضطر الربان ان يصدر الامر بتوقيف المركب عن المسير وكان النوتي يسبح وراء الدجاجة وقد جرها الموج الى مسافة بعيدة عنا ثم قبض عليها ورجع الى المركب منهوك القوى فحمل على آخر رمق . وقد استغرق وقوفنا مدة ساعة فحرقت الارم واشتد بي الغيظ من جراء ذلك وقلت للربان كنت اود ان ادفع ثمن عشر دجاجات ولا نتوقف عن المسير . فقال ان هذا النوتي فقير لا يملك غير هذه الدجاجة و يعتقد كرجل متدين انهُ اذا تركها تغرق يرتكب وزراً . وتداخل الارمني في الحديث فقال ان من فروض الدين عند المسلمين الشفقة على الحيوانات ولا يجوز عندهم الا قتل الوحوش الضارية وذبح الحيوانات الصالحة للاكل التي اجاز الشرع ذبحها وانهم يشفقون على الكلاب ايضاً ويرون من الصلاح تقديم الطعام لها وخصوصاً مسلمي اسطنبول ولذلك ترى شوارعها غاصة بالكلاب تزاحم المارة في سيرها وان لها جراية معينة من المطبخ السلطاني . وذكر لنا نادرة حدثت على عهد احد السلاطين وذلك ان العامة تذمروا من كثرة الكلاب في الشوارع ورفعوا شكواهم الى السلطان فامر بجمعها وابعادها الى جزيرة قفراء قريبة من هناك لانهُ لا يجوز قتلها . وبعد بضعة ايام اشتد بها الجوع وملأت الفضاء نباحاً وعواء ليلاً ونهاراً حتى اقلقت راحة الناس فاجتمع الوف من الصفتاء وذهبوا الى السلطان وطلبوا ارجاع الكلاب لئلاً تموت جوعاً فامر بارجاعها الى المدينة

ديمتري نقولا

باب الزراعة

تحديد اسعار الحبوب ومنع اصدارها

هل يجوز تحديد اسعار الحاصلات في بلاد زراعية

وهل يجوز تحديد اسعار المصنوعات في بلاد صناعية

الجواب عن هذه المسائل كلها يجب ان يكون سلباً للاسباب التالية

اذا ارادت الحكومة ان تحدد سعر صنف من الاصناف فهي انما تقصد ان تخفض سعرهُ او تمنع ارتفاعهُ لتمنع زيادة الكسب منهُ · فان كان الصنف من حاصلات البلاد او من مصنوعاتها فلا يرتفع سعرهُ الأ لسبب من الاسباب التالية وهي اما لان نفقاتهِ زادت عن المعتاد كما زادت نفقات الزراعة عندنا في السنين الاخيرة فيزاد السعر لكي تفي زيادتهُ بزيادة النفقات · او لان المحصول نقص كما نقص محصول الفدان من الفول والقطن هذه السنة · او لزيادة الطلب عليهِ في البلدان الاخرى وارتفاع سعرهِ فيها او لاجتماع سببين من هذه الاسباب الثلاثة او لاجتماعها كلها معاً · واذا لم يكن سبب من هذه الاسباب فيبعد ان ترتفع الاسعار اعتباطاً لانهُ لا يحتمل ان يتفق كل اصحاب الحاصلات والمصنوعات ويعقدوا عهداً بينهم على رفعها · واذا حاول احدهم رفعها فلا يوافقهُ غيرهُ بل الغالب ان يتنافسوا في الرخص لكي يضر بعضهم بعضاً او يزاحمهُ في البيع · والبلاد الزراعية لا بدَّ من ان تصدر جانباً من حاصلاتها والبلاد الصناعية من مصنوعاتها · فاذا تعرضت الحكومة لحاصلات بلادها او مصنوعاتها وخفضت اسعارها فانها تضرُّ بفريق كبيرٍ من شعبها وتوقعهُ في خسارة

وحسبنا دليلاً على ذلك ما حدث في هذا القطر لما حدد سعر القطن منذ سنتين فان البلاد خسرت بذلك خسارة كبيرة جدًّا · ولو حدّد سعر القطن هذا العام لما بلغ نصف ما بلغهُ الآن ولخسرت البلاد ملايين كثيرة من الجنيهات ترد اليها من الذين يشترون قطنها

ويحدث مثل ذلك دائماً اذا تعرضت حكومة البلاد الزراعية لخفض اسعار الحاصلات الزراعية وحكومة البلاد الصناعية لخفض اسعار الادوات الصناعية

ولكن الا يجوز للحكومة ان تتعرض لتحديد الاسعار بوجه من الوجوه

والجواب نعم يجوز لها ذلك ويجب عليها في الاحوال التالية . فاذا كانت صناعية جاز لها بل وجب عليها احياناً ان تتعرض لاسعار الاصناف الزراعية وتحدد سعرها لان هذه الاصناف يؤتى بها من الخارج فيجب عليها ان تحدد سعرها اذا رأت ان التجار احتكروها لكي يزيد ربحهم منها فتفضل ان تقلل ربحهم او تزيله لاجل منفعة الشعب كلهِ . ومن القواعد المقررة انهُ يجب تضحية القليل لنفع الكثير

وكذلك اذا كانت البلاد زراعية واحتكر بعض تجارها المصنوعات الضرورية التي يؤتى بها من الخارج كما اذا احتكروا الادوية او المحاريث او انابيب جر الماء وجب على الحكومة ان تمنع احتكارهم وتخفض الاسعار

وربَّ قائل يقول ألا يحتمل ان التجار يحتكرون الحاصلات الزراعية في البلاد الزراعية فيصير شأنهم شأن التجار في البلاد غير الزراعية ويجب على الحكومة مصادرتهم حينئذٍ

والجواب ان اقل نظر الى البلاد الزراعية يقنع كل احد ان العاملين بالزراعة فيها يكون عندهم دائماً كفافهم من الحاصلات الزراعية كالذرة والفول والقمح واللبن والبيض فلا يكاد القمح يفرك حتى يجعلوا يشوونهُ ويأكلونهُ فريكاً . وحالما يحصد ويوضع في الاجران يأكلون منهُ هم ومواشيهم ثم يحفظون جانباً منهُ في بيوتهم ولو اختلاساً . وقبل ان ينفد ما عندهم منهُ تكون كيزان الذرة قد صلحت للاكل فيأكلون منها الى ان تجمع وتدق ويحفظون مؤونتهم من الذرة الشامية والبلدية الى زمن حصاد القمح . والذين لا يفعلون ذلك منهم قلال وقلما يفيدهم رخص الاسعار لقلة تدبيرهم . وسواءٌ كانوا مدبرين اوغير مدبرين فارتفاع الاسعار يفيدهم كلهم لان ايجار الاطيان التي يزرعونها يدفع نقداً فاذا كان ايجار الفدان ١٠٠٠ غرش وبلغ محصولهُ ستة ارادب من القمح وستة من الذرة وكان سعر اردب القمح جنيهاً وسعر اردب الذرة ٩٠ غرشاً بلغ ثمن المحصول من القمح والذرة معاً ١١٤٠ غرشاً فلا يبقى للفلاح منها الأ ١٤٠ غرشاً مع التبن الحاصل من القمح وهي لا تكفي ثمن التقاوي والسباخ واعمال الزراعة . ولكن ان كان ثمن اردب القمح ٢٠٠ غرش وثمن اردب الذرة ١٨٠ غرشاً كما هما الآن بلغ ثمن محصول القمح والذرة معاً ٢٢٨٠ غرشاً فيبقى لهُ من ثمنهما بعد دفع الايجار ١٢٨٠ غرشاً مقابل خدمته وتعبهِ وثمن التقاوي والسباخ فلا يهمهُ بعد ذلك ولو اضطر في آخر السنة وقبل الحصاد ان يشتري اردباً من القمح لعيالهِ ويدفع ثمنهُ ٢٥٠ غرشاً

هذا حال الفلاحين في البلدان الزراعية كالقطر المصري وهم فيهِ اكثر من تسعة اعشار السكان . واصحاب الاطيان الكثيرة وهم من العشر الباقي حالهم مثل حال الفلاح فاذا كانت

الاسعار منخفضة فلا مطمع لهم ان يحصّلوا كل ايجار اطيانهم ولا بدَّ ما ينكسر لهم عند الفلاح عشرة في المئة الى عشرين في المئة تضيع عليهم واما اذا ارتفعت الاسعار فانهم يحصّلون الايجار كلهُ و يزيدونهُ سنة بعد سنة . وخسارتهم بما يشترونهُ من الخبز الغالي لبيوتهم لا تقاس بربحهم من ارتفاع اسعار الحبوب

لنفرض ان المالك يمتلك مئة فدان فقط وهذا متوسط ما يمتلكهُ اكثر المالكين . وان متوسط ايجارها في السنة ٦٠٠ جنيه . ولنفرض ان سعر اردب القمح كان في سنةٍ ١٠٠ غرش وفي سنة اخرى ٢٠٠ غرش وان المالك يشتري خبزاً لبيتهِ في اليوم باربعة غروش فقط في زمن الرخص و بثمانية غروش في زمن الغلاء فالفرق نحو ١٥ جنيهاً في السنة ولكنهُ لا يستطيع ان يحصل من ايجار اطيانهِ اكثر من ٥٠٠ جنيه في زمن الرخص و يحصل الستمائة الجنيه كلها ويزيد عليها في زمن الغلاء فاين الخمسة عشر جنيهاً التي يخسرها بارتفاع سعر الخبز من المئة الجنيه او اكثر التي يربحها بارتفاع سعر القمح

ولكن ما حال رجل ليس فلاحاً ولا صاحب اطيان . قد يُظَن لاول وهلة انهُ يكسب بهبوط اسعار الحبوب و يخسر بارتفاعها . وهذا وهم في الغالب او لا يقع الاّ اذا كان الانسان عطلاً لا عمل لهُ او خادماً باجرة معينة لا يستطيع رفعها واما الصانع والتاجر وكل اصحاب الاعمال المنتجة فانهم يستفيدون برواج التجارة والمصنوعات متى ارتفعت اسعار الحاصلات وزادت الاموال في ايدي الناس . فبائع الاقمشة وبائع الثياب و بائع التبغ و بائع البسط وبائع الاثاث وبائع الادوات المنزلية والاسكاف والسروجي والحداد والنحّاس والصائغ والجوهري وكل ذي عمل مفيد كل هؤلاء تروج بضائعهم و يربحون من رواجها اضعاف ما يخسرونهُ بارتفاع ثمن الخبز الذي يأكلونهُ

بقيت طائفة المستخدمين والموظفين الذين لا يملكون ارضاً زراعية ولا املاكاً اخرى وهؤلاء عددهم قليل جداً في كل بلاد ولا نظن انهم يزيدون على ٥ في المئة في القطر المصري فلا يجوز ان نضر ٩٥ في المئة من السكان لكي نمنع الضرر عن ٥ في المئة

وارتفاع اسعار الحاصلات الزراعية في البلدان الزراعية قلما يحدث الاّ اذا ارتفعت اسعارها في الخارج وزاد الطلب عليها او اذا قلت جداً وزادت النقود بين ايدي الناس . فلولا زيادة الطلب على القطن المصري لما ارتفع سعرهُ مطلقاً ولولا زيادة الطلب على الحبوب المصرية هنا وفي الخارج لما زاد سعرها فمنع اصدارها وتخفيض سعرها ليسا من الحكمة الاقتصادية في شيء

وقد يظن البعض انهُ اذا لم تمنع الحكومة اصدار الحبوب من القطر صدرت كلها ومات السكان جوعاً ولكن هذا الظن في غير محلهِ · فاولاً ان الفلاحين وهم تسعة اعشار السكان لا يبيعون موُّونتهم باي سعر كان · وثانياً ان السعر الذي يشتري بهِ ابن فرنسا او ابن انكلترا القمح المصري لا يتعذر على المالك المصري ان يشتريهُ بهِ بعد طرح مصاريف الشحن التي تضاف اليهِ · فاذا اشترى ابن لندن اردب القمح بمئتين وخمسين غرشاً لم يستطع التاجر ان يصدرهُ الى انكلترا الا اذا اشتراهُ بمئتي غرش على الاكثر · واردب القمح يمون البيت المتوسط شهرين على الاقل فزيادة مئة غرش في ثمن الاردب هي نحو غرشين في اليوم او مقدار ثمن الدخان الذي يدخنهُ المرء في يومهِ · فهل يصحُّ ان نهتم بهذا المبلغ الطفيف ونحرم البلاد من مئات الالوف من الجنيهات كل سنة · فقد بلغ ثمن ما صدر من القمح والذرة في التسعة الاشهر الاولى من هذه السنة اكثر من مليون جنيه ولو استمرَّ الترخيص باصدارها الى آخر السنة لبلغ ثمن الصادر منها نحو مليوني جنيه · ولو منعت الحكومة اصدار الحبوب من اول السنة واكثرها من الذرة لبقيت في البلاد وسوَّست فيها لان الذرة الجديدة صارت على الابواب بل الصيفي منها ورد الى الاسواق · وهاك جدول الصادر في هذه السنة حتى آخر سبتمبر الماضي مع ثمنها

القمح	٠٦٧٢١٩ اردباً	١٠٦٠٩٤ جنيهاً
الذرة	٨٩٣٠٨٩ «	٩٠١٥٥٥ «
الفول	١٠٢٠١٢ «	١١١٩٦٤ «
العدس	٠١٣٥١٨ «	٠٢١٩٠٢ «
الرز	٠١٧٤١٣ طناً	٢٠٨٨٢٤ «
السمسم	٠٠٤١٧١ «	٠٨٣٦٤٥ «
الفول السوداني	٠٠٠٨٣١ «	٠١٧٧٤١ «
والجملة		١٤٥٠٧٢٥

فثمن هذه الاصناف بتثمين الجمرك نحو مليون ونصف من الجنيهات ولعلَّ التجار الذين اصدروها اخذوا ثمنها مليونين او اكثر · واذا استطاع القطر ان يصدر مقدارها في التسعة الاشهر التالية وبيعها بالاسعار الحالية بلغ ثمنها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات · ولا يحتمل ان يصدر التجار صنفاً الا اذا اشتروهُ بسعر ارخص من سعرهِ في الخارج وكانت البلاد في

غنى عنهُ لانهُ اذا لم تستغنِ البلاد عنهُ فسعرهُ يرتفع حالاً ويزيد على سعرهِ في الخارج فيعدل التجار عن اصدارهِ من تلقاء انفسهم

ولو كان القطر المصري غير زراعي او لو كان اعتماد السواد الاكبر من سكانهِ في طعامهم على الحبوب التي يجلبونها من الخارج لوجب على الحكومة ان تجلب لهُ الحبوب بنفسها او تسيطر على تجار الحبوب حتى يكتفوا باقل ما يمكن من الربح كما تفعل البلاد الانكليزية الآن ولكنهُ قطر زراعي كما لا يخفى واذا ارتفعت اسعار الحبوب في الخارج اهتم بزراعتها حتى تزيد على حاجتهِ كما حدث في هذا العام والذي قبلهُ . واذا رخصت اسعارها جداً في الخارج حتى زال الربح من زرعها اهملها وصار يجلب جانباً كبيراً منها من الخارج كما كان يفعل في السنوات الماضية

محصول القطن المصري

تقدير وزارة الزراعة

نشرت وزارة الزراعة في ٩ نوفمبر الماضي تقديرها لمحصول القطن المصري قالت فيهِ ما نصهُ

« اضطررنا الى تعديل رأْينا في مقدار المحصول المبني على تحقيقات موضعية بالنظر للنقص الذي اشير اليهِ في صوافي الحليج ولاجل ان نستوثق من حقيقة هذا النقص سألنا جميع معامل الحليج المصرية فاجابتنا بما يستنتج منهُ ان اصناف القطن تدل كلها على عجز بالنسبة لمثلها في العام الماضي وهذا العجز مقدر بسبعة في المئة في صنف السكلاريدي و ٥ $\frac{٧}{١٠}$ في المئة في النوباري و ٥ $\frac{٨}{١٠}$ في الاصيل والعفيفي فاذا قسنا هذه النتائج على مقدار ما هو مزروع من هذه الاصناف في الوجه البحري اسفرت النتيجة عن متوسط قدرهُ ٦ $\frac{٨}{١٠}$ في المئة يسقط من احصائنا المبني على المشاهدات الزراعية . اما في الوجه القبلي فيبلغ العجز في الحليج اقل من العجز المذكور وهو يقدر بـ ٤ $\frac{٢}{١٠}$ في المئة

وفي الجدول الآتي تقدير محصولي الوجهين القبلي والبحري مستنتجاً من المشاهدات الموضعية اولاً ثم صافي هذا التقدير بعد اسقاط قيمة عجز تصافي الحليج مع الاشارة الى كلٍ من مساحتي الوجهين المذكورين

	المساحة بالفدان	تقدير المحصول	متوسط محصول الفدان	نقص صافي الحليج المئوي	صافي المحصول النهائي	تصحيح متوسط الفدان
الوجه البحري	١٢٨٩٨٦٩	٤٨٢٤٧٠٧	٣,٧٤	٦ ٨/١٠	٤٩٩٦٦٢٧	٣,٤٨٧
الوجه القبلي	٣٦٥٦٤٣	١٥٨٩٠٨٥	٤,٣٥	٤ ٣/١٠	١٥٢٣٧٥٥	٤,١٦٧
المجموع	١٦٥٥٥١٢	٦٤١٣٧٩٢	٤,٨٧	٦ ١٤/٠٠	٦٠٢٠٣٨٢	٣,٦٣٦

فيكون مقدار محصول القطن لسنة ١٩١٦ — ١٩١٧ استناداً الى تقدير المساحة التي قرتها وزارة المالية ٦٠٢٠٣٨٢ قنطاراً

وتكون النسبة المئوية في محصول الوجه البحري ٨٣ وفي الوجه القبلي ٩٥ ومتوسطها ٨٤ انتهى

تجارب في ري القطن

ان الطريقة المتبعة لمناوبات الري في اكثر مديرية الفيوم هي اجراء الماء الى الاطيان مدة عشرة ايام وقطعها عنها عشرة ايام. ومقدار الماء محدود لانهُ ينصبُ في الغالب من فتحة في الترعة (البحر) لا يمكن توسيعها فيتوقف مقدار الماء المنصب منها على ارتفاعهِ في البحر وهذا الارتفاع يعين في الفيوم حيث تقسم المياه على الابحر المختلفة . والماء الذي ينصب في كل حوض من الفتحة المعينة لريهِ يفرض انهُ يكفي لري كل ما يزرع فيهِ من القطن في عشرة ايام اي لري ثلثهِ في هذه العشرة الايام. فالفدان الذي يروى في اليوم الاول من هذه العشرة الايام لا يروى ثانية الاَّ بعد ان تنقضي العشرة الايام كلها وعشرة ايام النشفة وتأتي العشرة الايام التالية للري. اي ان القطن يروى مرة كل عشرين يوماً ولو كان الحر لا يطاق في يونيو و يوليو

وقد رأينا بعض المزارعين يقللون زمام زراعة القطن عن القدر المعين فيتوفر معهم جانب من الماء يطبقون بهِ بعض قطنهم فيأتي محصولهُ وافراً مثال ذلك ان فلاحاً استأجر تسعة افدنة لكي يزرع ثلاثة منها قطناً فزرع فدانين فقط ولما كان الماء الذي يحق لهُ يكفي لري ثلاثة افدنة اخذ ثلثيهِ في اول دور العمالة فروى الفدانين بهِ وابقى الثلث الثالث الى آخر دور العمالة اي الى اليوم العاشر فروى بهِ ثانيةً فداناً من ذينيك الفدانين وكرر ذلك مرتين او ثلاثاً مدة اشتداد الحر فجاء محصول الفدان الذي رواهُ كذلك اكثر كثيراً من محصول الفدان الذي اكتفى بريهِ مرة كل عشرين يوماً

ولما ثبت لنا ذلك بالامتحان طلبنا من وزارة الزراعة ان تمتحنهُ في اطياننا بسنهور فامتحنتهُ في الموسم الاخير وامتحنهُ بعض المستأجرين ايضاً وهاك خلاصة امتحانها وامتحانهم

تجارب الوزارة عندنا

	محصول الفدان		المحصول كلهُ			
	رطل	قنطار	رطل	قنطار	فدن	
١	٠٣ ½	١٦	٠٧	٣٢	٢	رويا على ١٠ ايام
	٩٠	٠٩	٩٠	٠٩	١	يجاورهما روي على ٢٠ يوماً
٢	٩٠	١٠	٩٠	١٠	١	روي على ١٠ ايام
	١٠	٠٦	٢٠	١٢	٢	يجاورانهِ رويا على ٢٠ يوماً
			تجارب خصوصية			
١	٧٥	١٥	٧٥	١٥	١	روي على ١٠ ايام
	٠٠	١٢	٠٠	٢٤	٢	يجاورانهِ رويا على ١٠ ايام
	٠٣ ½	٠٦	٠٧	١٢	٢	« « ٢٠ يوماً
	٠٠	١٢	٠٠	١٢	١	روي « ١٠ ايام
	٧١	٠٥	٧١	٠٥	١	يجاورانهِ رويا « ٢٠ يوماً

وقد نقص محصول الاطيان كلها هذه السنة ٣٥ في المئة عمَّا كان منذ سنتين ولولا ذلك لبلغ محصول الفدان الجيد الذي روي على عشرة ايام نحو ٢٢ قنطاراً كما بلغ منذ سنتين ومحصول الفدان غير الجيد ١٤ قنطاراً او اكثر . وعلى كل حال فالري على عشرة ايام زاد المحصول من سبعين في المئة الى اكثر من مئة في المئة حتى ان الري مرة واحدة على عشرة ايام لما اشتدَّ الحر زاد المحصول كثيراً كما ترى في الجدول المتقدم

ونرجح انهُ لو كان الري على ١٥ يوماً او ١٦ يوماً اي لو جعلت ايام العمالة ٨ وايام البطالة ٨ لزاد المحصول اكثر من ذلك

وقد بلغنا ان وزارة الزراعة امتحنت ذلك في اطيان اخرى في الفيوم فان كانت قد وصلت الى نتيجة مثل هذه فعسى ان تقنع مصلحة الري بتصليح ري الفيوم

زرع القمح

ورأي نقابة سنتماي الزراعية

اجرت نقابة سنتماي تجارب في الكمية اللازمة من التقاوي لزراعة فدان من القمح وهاك خلاصتها :

اولاً كمية التقاوي — استعملت النقابة لكل فدان ثلاث كيلات

ثانياً طريقة الزرع — هي ان يلقط القمح خلف المحراث كما يصنع في زراعة الذرة

ثالثاً الاقتصاد في التقاوي — ان الاقتصاد الناتج وخصوصاً لكبار المزارعين الذين يزرعون كمية وافرة من القمح عظيم جداً لان اكثر الزراع يضع من سبع كيلات الى عشر في الفدان

وبهذه الطريقة يوفر الزارع من اربع كيلات الى سبع مما لا يقل ثمن متوسطهِ عن مئة قرش صاغ في كل فدان

اما اجرة العامل الذي يلقي البذار خلف المحراث فلا تكلف عشر هذا المبلغ لانهُ يكفي ان يكون العامل ولداً صغيراً

رابعاً المحصولات — لقد عملت النقابة موازنة بين القمح المزروع بالطريقة الاعتيادية وبين المزروع بطريقة النقابة واليك النتائج

طريقة	محصول سنة ١٩١٥	كمية التبن	شكل الحبة
النقابة	٧ ارادب	كثيرة	اكبر واحسن واثقل وزناً
الاعتيادية	٦,٥ ارادب	اقل	أقل حجماً ووزناً

والارض التي حصلت فيها التجربة واحدة من جهة تحليلها الكيماوي والطبيعي وعدد الريات كان واحداً ونوع التقاوي كان واحداً

وهنا يجدر بنا ان ننبه المزارعين الى الاعتناء بانتقاء التقاوي من الحبة السليمة الكبيرة الحجم ذات المنظر الحسن لان ذلك لهُ تأثير كبير في حسن المحصول

خامساً التعليل العلمي — بالاجمال ان عدد الشجيرات في اية ارض كانت اذا زاد زيادة كبيرة أضر لان ضيق المكان بين الشجيرات يقلل من المادة الغذائية اللازمة لكل شجيرة ويقلل كمية النور والهواء اللازمة لان تجعل النبات في حالة صحية جيدة

ونظراً الى هذا الضيق في المعيشة وقلة الاكسجين حول الشجيرات ينمو النبات ضئيلاً

ضعيفاً وتكون الحبة صغيرة · اما اذا زرع النبات خطوطاً فالهواء والشمس يتخللان الخطوط ولاسيما اذا امكن عملها من الشرق الى الغرب وزد على ذلك ان القمح يخلف كثيراً فالحبة تنبت بجانبها عدة شجيرات فلا معنى اذاً لوضع كثير من التقاوي وهذه الحقيقة يعرفها كل زارع يلاحظ نمو النبات

النتيجة

اولاً ان احسن طريقة هي زرع القمح نثراً وراء المحراث لتخرج خطوطاً : وان امكن جعل الخطوط من الشرق الى الغرب كان ذلك افضل

ثانياً ان كمية التقاوي يجب ان لا تزيد على ثلاث كيلات لكل فدان

ثالثاً وجد بعد التجارب ان المحصول بهذه الطريقة احسن

رابعاً ان القمح الذي زرع بطريقة النقابة كان اقل تعرضاً للامراض من غيره

رئيس النقابة

تقييد اصدار البيض

اصدر مجلس الوزراء قراراً بتقييد اصدار البيض من القطر المصري هذا نصهُ

بعد الاطلاع على قرار مجلس الوزراء الصادر في ٣٠ ربيع الثاني سنة ١٣٣٣ (١٦ مارس سنة ١٩١٥) باباحة اصدار البيض بلا شرط ولا قيد

وبما ان الطلبات للخارج زادت زيادة كبرى حتى ان الصادرات في شهر اكتوبر الماضي زادت اضعافاً مضاعفة على مثلها في الشهر نفسهِ من الاعوام الماضية

وبما ان الضرورة تقضي في هذه الاحوال بتقييد الاصدار لتوفير ما تحتاج اليهِ البلاد من البيض لا لاجل الاستهلاك العادي فقط بل لاجل الوفاء ايضاً بحاجة معامل التفريخ حتى تستطيع الاشتغال بصورة منظمة

وبما انهُ مع ذلك ينبغي النظر في المسألة من حيث تموين البلاد بالمقدار اللازم من البيض ومن حيث المحافظة على مصالح الصناعة المصرية الخاصة بهذا الصنف

وبما ان خير وسيلة للتوفيق بين جميع المصالح هي الاقرار منذ الآن على تعيين المقادير التي يجوز اصدارها من البيض في المدة الواقعة بين اول نوفمبر سنة ١٩١٦ وبين آخر ابريل سنة ١٩١٧ بمراعاة حاجة البلاد من جهة ومقدرتها على الانتاج من جهة اخرى وعند انقضاء تلك المدة تعود الحكومة الى النظر في هذه المسألة

وبما ان العمل على هذا الوجه يكون له مزية اخرى وهي ملافاة التقلبات الفجائية في الاسعار المحلية .

وبعد الاطلاع على الرأي الذي ابدته لجنة التموين .

قرر ما هو آت

المادة الاولى — يلغى القرار السابق ذكره الصادر في ١٦ مارس سنة ١٩١٥ باباحة اصدار البيض

المادة الثانية — في خلال المدة الواقعة بين اول نوفمبر سنة ١٩١٦ و بين ٣٠ ابريل سنة ١٩١٧ يجوز اصدار مئتي مليون بيضة بحيث لا يتجاوز ما يصدر في كل شهر المقادير الآتية

١٧,٠٠٠,٠٠٠	في شهر	نوفمبر	سنة ١٩١٦
٤٢,٠٠٠,٠٠٠	«	دبسمبر	« ١٩١٦
٦٤,٠٠٠,٠٠٠	«	يناير	« ١٩١٧
٤٧,٠٠٠,٠٠٠	«	فبراير	« ١٩١٧
٢٦,٠٠٠,٠٠٠	«	مارس	« ١٩١٧
٠٤,٠٠٠,٠٠٠	«	ابريل	« ١٩١٧

المادة الثالثة — اذا نقصت الكمية الصادرة في شهر من الشهور عن النهاية القصوى المحددة له اضيف الفرق الى الشهر التالي له . واذا وجد في الجمرك في آخر اي شهر ارسالية من البيض كان تصديرها موقوفاً نظراً لبلوغ الصادرات في الشهر المذكور غايتها العظمى فان هذه الارسالية تكون لها الاولوية في الحصول على اذن التصدير في الشهر التالي

وزارة الزراعة وتقديرها للقطن

ذكرنا في هذا الباب تقدير وزارة الزراعة الاخير لمحصول القطن ولا يحتمل ان تغيره بعد الآن . ولقد كان جمهور المزارعين يقول ان المحصول اقل من ذلك كثيراً و يقيم الادلة على صحة قوله ولكن ما من احد تكفي ادلته لنقض ادلة وزارة الزراعة لان لديها من الوسائل لمعرفة متوسط محصول الفدان اكثر مما يحتمل ان يكون لدى غيرها . وكان المظنون ان تقديرها للمحصول باكثر مما قدره كل احد من المزارعين يخفض سعر القطن كثيراً لكن السعر لم يخفض بل زاد ارتفاعاً وبلغ سعر نوفمبر في الكنتراتات يوم كتابة هذه السطور في ١٧ نوفمبر ٤٣,٣٠ الريال للقطن المفيفي و ٤٦,٣٠ الريال للسكلاريدي

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

دواءُ كل شيءٍ

اذا كان لكلّ داءٍ دواءٌ فدواءُ جميع الاسقام ان تُبْعَد عن الصدر دواعيهِ

أبعد عن الصدر دواعي الصدرِ وعش قريرَ العين طول العمرِ

ودواعي الصدر هي الهموم النواصب التي تتناوشهُ فترى جمهور الاطباء ينهى عن ذلك ويحذر من عواقبهِ

على ان الهمّ قديم قدم الانسان نفسهِ ولعلهُ اقدم عواطفهِ حتى يقال ان اول عاطفة جالت في صدر آدم بعد طردهِ من الجنة اهتمامهُ بالمعيشة خارجها . وقد حسب ابو الطيب ان الهمّ خلق ملازم للاديب الفاضل فقال مطلعهُ المشهور

افاضلُ الناس اغراضٌ لدى الزمن يخلو من الهمّ اخلاهم من الفطنِ

واشترط خلوّ الراس من الهم خلوهُ من الفطنة . فاذا شاء العليل العمل بالمشورتين وقع في التناقض واذا شاء العمل بمشورة الطبيب دون الشاعر خاف ان يتهم بالبله او شاء الجري على حكم الشاعر خاف ان يخرب صحتهُ . وفي حالة مثل هذه يقدم رأي الطبيب لان الشعراء في كل واد يهيمون فضلاً عن ان الصحة اسّ الفطنة والعقل الصحيح في الجسم الصحيح

وقد هال احد كبار رجال الصحة في انكلترا كثرة الذين ابتلوا بالاسقام العصبية على اثر هموم الحرب وشواغلها فكتب هذه النبذة قال :

« أرأيت كثرة الذين اصيبوا بالامراض العصبية على اختلاف عددها . هؤُلاء هم الذين عصفت الحرب باهليهم فافقدتهم اعزاءهم وذهب ما لهم وضاقت سبل الرزق في وجههم واستسلموا للهم والكآبة

واحسن الادوية لذلك ابسطها وهي الكفاية من الطعام البسيط المغذي ومن الهواء النقي ومن الراحة والنوم وقراءة كتب الظرفاء الذين اشتهروا ببساطة التعبير وسلامة الذوق والاكثار من المزاح اللطيف . واعظم ما اقولهُ بعد ذلك هو هذا : لا تهتمّ ولا تغتمّ بل ولّ وجهك

شطر الجانب المنير من هذه الحياة الدنيا . واختر لنفسك عشراء خير لزمهم البسط وانشراح الصدر . وتنفس الصعداء كما استطعت . ومرّن جسمك بعض التمرين الرياضي الخفيف في منزلك . واغسل جسمك بماء اضيف اليهِ الخردل فانهُ من احسن مقويات الاعصاب

وان كنت تظن ان جميع متاعب العالمين ملقاة على عاتقك ففكر في الذين يشهدون ميادين الحرب تخجل عنك الغباوة وتبت اقدر على اتمام ما يطلب منك

تعلّم الابتسام فانهُ اصح العادات في عرفي واكثرهن عدوى

عش عيشة منتظمة معتدلة وابتعد عن التطرف

وعندي ان كثيراً من الاسقام الشائعة الآن يزول باتباع القواعد المتقدمة »

الكلف والنمش

الكلف والنمش نقط بيض وسود وصفر او بقع تقع في الجلد تخالف لونهُ . منها ما هو خلقي ومنها ما هو مكتسب بتلويح الشمس

ومن الناس من يصيب الكلف وجههُ وعنقهُ حالما يتعرض للشمس وخصوصاً السيدات ثم يزول باسرع مما ظهر . ومنهم من لا يسهل تلويحهُ وظهور الكلف على وجههِ ولكن اذا ظهر تعذرت ازالتهُ

والكلف في معظم الحالات نتيجة فعل الشمس في بعض خلايا الجلد فانهُ يجعل الخلايا تفرز مادة ملونة تبقى فيها مدة طويلة او قصيرة وربما تعذرت ازالتها كما تقدم والعادة ان تحاول النمشاء ستر نمشها بادوات « التوالت » او معالجتهُ بالزيوت والادهان التي تكثر الاعلانات عنها . ولكن خير نصيحة لها ان لا تفعل شيئاً من ذلك كلهِ فان النمش ان كان من الصنف المستعصي كالخلقي وبعض المكتسب فلا يزيلهُ علاج والاَّ فانهُ يزول من نفسهِ على مرّ الايام

على انهُ كثيراً ما يعرو وجه الحسناء بقع سمراء تعزى الى السوداء او الى بعض الوان الطعام كالباذنجان وهذه يسمينها كلفاً لا نمشاً . وقد رأيناها تعالج بمزيج من مذوب السليماني وزلال البيض فتزول بالدهن عند النوم كل يوم ويجب ان يكون مذوب السليماني خفيفاً فيهِ قمحة من السليماني لكل الف قمحة من الماء

تغطية الاطفال ليلاً

من اعظم ما يشغل بال الامهات في تربية اطفالهنّ نبذ الاغطية التي يغطون بها ليلاً سواء كانت لحفاً او حرامات او ملاءات وتعرضهم بذلك لبرد الليل وخصوصاً في فصل

الشتاء . فلذلك تراهن يحرمن لذة النوم لتغطية اطفالهن كما دفعوا الغطاء عنهم ومن كانت منهن غنية وكلت ذلك الى الوصائف والمربيات . وفي المدارس يعين اخدم رجالاً او نساء لتغطية الصغار والصغيرات وحراستهم طول الليل . وقد رأينا في احدى المجلات وصفاً لطريقة يغطى بها الاولاد ليلاً فلا يستطيعون دفع الغطاء . ومع الوصف صورة طفل مستلقٍ في سريرهِ مفتوح العينين والغطاء عليهِ ولو كان مغمضها لرأيت اغطيتهُ مبعثرة ورجليهِ تضربان في الهواء لانهُ انما يدفع الاغطية عنهُ وهو نائم لا وهو مستيقظ

اما الطريقة المشار اليها فخلاصتها ربط الغطاء الفوقاني بجوانب السرير وهي لا تخرج عن حد الطرق التي تستعمل عندنا . وقد اخبرتنا ام انها عمدت الى ربط اغطية طفلها فقطع الربط ومزق جوانب الاغطية . وكان اذا اعياهُ دفع الغطاء عنهُ يعول بالبكاء فيملأ صراخهُ الحي ويقلق الاهل والجيران فلا يسكت حتى يكشف تماماً . فاذا نام غطي ثانية بلا ربط ولا تقييد . فلا سبيل الى تغطية الطفل الا ان يقوم عليهِ حارس او حارسة في الليل ويبقى هذا شأنهُ حتى يربى على الغطاء ويعتادهُ

فوائد منزلية

تحفظ الزبدة جديدة بوضعها في صحاف نظيفة ووضع شيء من فحم الحطب عليها بعد احمائهِ وغسلهِ جيداً

يزال الوسخ عن الصيني والزجاج والمزهريات والزجاجات بغسلها بخل وملح ممزوجين معاً

تزال لطخ الحبر عن الملابس الملونة من غير ان يفقد لونها بالواسطة الآتية : اجبل شيئاً من الخردل ليكون منهُ كتلة كثيفة ثم انشرهُ على مكان اللطخة واتركهُ عليهِ يوماً كاملاً واغسلهُ بعد ذلك بماء بارد فلا يبقى للحبر من اثر . ويزال الحبر عن الكتان الابيض بتنقيط نقط من الشمع الذائب عليهِ ثم بغسلهِ

اذا أُريد غسل السجاد الصغير يذاب ٤ اواقي من الصابون الابيض في ٤ اواقي من الماء المغلي حتى اذا برد الماء اضيف اليهِ ٥ اواقي من ماء النشادر و $\frac{1}{2}$ ٢ من السبيرتو ومثلهُ من الغليسرين و ٢ من الاثير او الكلوروفورم . ثم يؤخذ ملء ملعقة صغيرة من هذا المزيج ويضاف الى جردل من الماء الفاتر وتمسح بهِ السجادة بخرقة من الفلانلا والصابون بالطريقة المعتادة . وتمدُّ السجادة بعد غسلها على مكان منبسط وتثبت زواياها وجوانبها بدبابيس او مسامير لئلا تتكمش



قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فتحناه ترغيباً في المعارف وإنهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيه على اصحابه فنحن براء منه كله . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمه ما يأتي : (١) المناظر والنظير مشتقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيره عظيماً كان المعترف باغلاطه اعظم (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوّلة

استدراك

ذهب الكاتب الفاضل نجيب افندي شاهين في مقالتهِ النفيسة عن (بعض الامثال والاقوال) الى استنكار قولهم في المثل (مكره اخاك لابطل) وقولهم (اذا عزّ اخاك فهُن) ثم قال « وربما كان من العرب قوم ينكرون الاسماء الخمسة وإعرابها بالحروف ويلتزمون الالف فيها على كل حال — مهما اختلفت اوجه الكلام والإعراب . ولكنني لم اجد نصاً صريحاً على وجود هذه اللغة . ولو وجدتهُ لذكرتهُ كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات »

والصحيح انها لغة مشهورة في الاب والاخ والحم تعزى الى بني الحرث وخثعم وزبيد وغيرهم وتسمى بلغة القصر وهي الزامها الالف في الاحوال الثلاث وتقدير حركة الإعراب على الالف كما تقدَّر في المقصور . وهذه اللغة اشهر من لغة إعرابها بالحركات بعد حذف لامها المسماة بلغة النقص وعليها قول الشاعر

إنّ أباها وابا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

فقد كان الوجه على اللغة المعروفة ان يقول (وابا أبيها) ولكنهُ جاء بهِ على لغة القصر . والكلام على (غايتاها) خارج عمَّا نحن فيهِ

وبلغة القصر جاء حديث « ما صنع ابا جهل » ومنهُ يعلم خطأُ مَن لحَّن الامام ابا حنيفة في قولهِ « لا قَوَدَ في مثقل ولو ضربهُ بأبا قُبَيس » ويُخرَّج عليها ايضاً قول العامة في مصر (حماهُ وحماها) فانهم يلزمون هذه الكلمة الألف في جميع الاحوال

اما الأَب والأَخ فللعامة فيهما ثلاث لغات الاولى لغة قصر ولكن على الواو لا الألف ولا وجه لها في العربية تحمل عليهِ في حالتي النصب والجرّ ولكن يفهم من نصوص اللغويين انها جائزة في الكنية اذا اشتهر بها الشخص ولم يكن لهُ اسم معروف · فقد جاء في حديث وائل بن حُجر « من محمد رسول الله الى المهاجر بن ابو امية » قال ابن الاثير في النهاية « حقهُ ان يقول ابن ابي امية ولكنهُ لاشتهارهِ بالكنية ولم يكن لهُ اسم معروف غيرهُ لم يجرّ كما قيل عليّ بن ابو طالب »

والثانية بالقصر ايضاً ولكن على الياء وقد اختصّ بها كتّاب الدواوين فانك لا تكاد ترى من يكتب منهم « حضر فلان وابوهُ او واخوهُ » الاَّ ويجعلهُ « وابيهِ او اخيهِ » ولا وجه لها في حالتي الرفع والنصب · وكانهم رأَبوا باقلامهم عن متابعة العامة في لغة الواو فوقعوا فيما هو ابعد عن الصواب

والثالثة لغة التشديد فيقولون ابّ واخّ بتشديد الباء والخاء وهي لغة عربية صحيحة حكاها ابن مالك في التسهيل وصاحب اللسان في مادة (ابى) · وممّا يروى فيها انّ بعض الرؤساء قال لشهاب الدين القوصيّ انت عندنا مثل الابّ وشدّد الباء فقال لا جرم انكم تأكلوني · قال الصفديّ في شرح لاميّة العجم « لا يخفى ما في هذا التنديد من اللطف لانّ الأَبّ مشدّد الباء هو المرعي · قال بعضهم هو للدوابّ بمثابة الخبز للاناسيّ ومن يشدّد الباء من الاب الذي هو الوالد ما يكون الأَ دابة » · ولا ريب في ان الصفديّ ذهل عن لغة التشديد المحكية في الاب بمعنى الوالد او لم يقف عليها والأَ لما وضع قائلها هذا الموضع · وقد ردّ عليهِ الدمامينيّ في نزول الغيث فقال « قصد بهذا الكلام الردّ على من شدد باء الاب المراد بهِ الوالد وفيهِ دليل على قصورهِ فان الامام جمال الدين بن مالك نصّ في التسهيل على ذلك قال في اوائلهِ وقد تشدّد نونهُ [1] وباء اب وخاء اخ · وحكي في الشرح عن الازهريّ ان ذلك لغة وانهُ يقال استأببت فلاناً بباءين اي اتخذتهُ اباً واذا كان كذلك فلا وجه للانكار على الرئيس الذي شدّد الباء من الاب · قلت ولو قال القوصيّ في جوابهِ لا جرم انكم ترعَوني لكان الطف في التنديد وأحسن موقعاً ممّا قالهُ والله تعالى اعلم » انتهى

احمد تيمور

---

(١) يريد نون هن احد الاسماء الستة

[قصدت بقولي « ويلتزمون الالف فيها على كل حال مها اختلفت اوجه الكلام والاعراب » انهم يعربونها بحرف الالف رفعاً ونصباً وجراً فيقولون في اعراب جاء اباك اباك فاعل مرفوع وعلامة رفعهِ الالف . ويقولون في اعراب رأيت اباك اباك مفعول بهِ منصوب وعلامة نصبهِ الالف الخ . اي انهم يعربونها بحرف الالف دون غيرهِ من حروف الاعراب . وقد سمعت بهذه اللغة في غرف المدرسة ولم ارها في كتاب نحو ولذلك قلت « ولكنني لم اجد نصاً صريحاً على وجود هذه اللغة » . اما اللغة التي يذكرها مناظري الفاضل فليست ما قصدت بدليل قولهِ « وتقدير حركة الاعراب على الالف كما تقدر في المقصور » فالاعراب هنا بالحركات المقدرة على الالف كما في لغة النقص التي اشرت اليها في قولي « كما ذكرت اللغة التي تعرب بها الاسماء الخمسة بالحركات » والتي ذكرها حضرة المناظر

اما استنكار قولهم « مكره اخاك لابطل » و « ذهب الى ابو زيد » فليس مذهبي كما يقول حضرتهُ بل مذهب صاحب البيان والتبيين ومذهب جمهور النحاة السابقين والمعاصرين كما يفهم من قولهِ الوارد في مكانهِ . وغني عن البيان ان القول ما قال ابو عثمان]

ن . ش

ذكرى الاخاء بين معهدين

التعبير عن شعور طلبة المدرسة العباسية نحو اخوانهم طلبة رأس التين بعد الانفصال

يمّ التعلل قد كان الذي كانا	وليس يرحم هذا الحبُّ انسانا
ظلمت قلبي برغمي في محبتكم	والحب اعظم خلق الله طغيانا
يا قلبُ هذا الذي ما كنتُ احذرهُ	وكيف يدفع محذورٌ اذا حانا
في ذمة الله وردٌ جل واردهُ	شربت منهُ وما انفكُّ عطشانا
احبابنا حسبكم هجرانكم وكفى	ما حُمّل العاشق المضنى وما عانى
بُعداً وسحقاً لدهرٍ ظل يضحكنا	حينا فلما ضحكنا اليوم ابكانا
يا راحلين وقد شطّ المزار بهم	وما يزالون في الاكباد سكانا
بالله جودوا بلقياكم لنا كرماً	فذلك الهجر اضناكم واضنانا
جودوا علينا ولا تنسوا مودتنا	فالعهد عهدكمُ باقٍ كما كانا

استغفر الله لا من لوعةٍ قترت ... مذ افترقنا ولا من عاشقٍ خانا
هجرتمونا وقد مِلنا لسحركمُ ... فلا تحوّلنا إلاّ منايانا
يا راحلين وقد اذكوا وما علموا ... بين الضلوعِ غداة البين نيرانا
أليس في الدهر ما يكفي لشقوتنا ... حتى نلاقي من الاحباب هجرانا
هي الكوارث إن اخنت على عشرٍ ... تترى عليهِ زرافاتٍ ووحدانا
يا بلبلاً بعدهم غنّى ليشجينا ... صهِ فان غراب البين أشجانا
ما زال ينعب حتى ما اتاح لنا ... لُبًّا فنفهم منك اليوم الحانا
من سوء حظي اني عشت في زمنٍ ... اصار اسعدنا بالعقل اشقانا
ويلي ويا ويح نفسي كيف لذتها ... فيما اراهُ بعين الحق بهتانا
سقاني الدهر كأساً قد سكرتُ بها ... فمن يلومُ رعاك الله سكرانا
نفس الطموح ذريهِ في سكينتهِ ... فقد ملأتِ فضاء الارض عدوانا
لم تُبقِ يا نفس اجساداً نهب بها ... اذا دعوت وما ابقيتِ اذهانا
يامن أكلت اخاك اليوم عن جشعٍ ... أسرّك الآن أن قد صرت شبعانا
ويح التمدينُ ان كان التمدين ما ... يفترّ يشحذ للانسانِ اسنانا
أمعهد الامس هل راعتك قسوتهم ... حتى غدوت على الانسان حنّانا
آلمتنا بالتنائي ثم صبّرنا ... تخفيفك اليوم من آلام جرحانا
كنا وكان لنا دهرٌ نعزّ بهِ ... وقد تقضى فلا كُنَّا ولا كانا
انندبُ اليوم حظاً لا رجاء لهُ ... أم نندب اليوم اخواناً واقرانا
أهل المودة والاخلاص انّ لنا ... منكم على الدهرِ انصاراً واعوانا
تضامنوا رغم عادي الدهر واجتمعوا ... فبالتضامن لو تدرون محيانا
ياذا الوفاق رعاك الله من امل ... لما دهتنا صروف الدهر عزّانا
كأنني بالجدود الغر ترمقنا ... كأنها رضيت من حالنا الآنا
يا دوحة سُقيت من ماء رفعتها ... لأنت افضل دوح الارض أغصانا
أنّا وربك ما زلنا كما علموا ... في المجد ارفع اهل الارض بنيانا
تيهي افتخاراً أبا اهرام عن جذلٍ ... ان العزيز عزيز كيفما كانا
وحدثي القوم ان الدهر ما عبثت ... فينا يداهُ وما حطت لنا شانا

الى السماك الى عليا منازلنا نعدو وفي صدرنا السلطان مولانا
يا لابس التاج تاج النيل زد شرفاً فسوف يلبس من جرّاك تيجانا
غداً تسالمنا الايام إنَّ غداً هو المروّح مما كان اعيانا

محمد احمد نصر
بالمدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية

القمح ذو السنابل

حضرات الاساتذة اصحاب المقتطف الاغر

قرأت ما جاء في مقتطف نوفمبر الحاضر عن القمح المجذر وكيفية انمائهِ واقول اني رأيت نوعاً من القمح هو اعجب من هذا النوع فقد اراني صديقي الزراعي المجرب حضرة صاحب العزة احمد بك كامل وهبي نوعاً من القمح انبتت منهُ الحبة الواحدة سبع سنابل الى اثنتي عشرة سنبلة في ساق واحدة وقد شاهد هذا النوع كثيرون من اصدقائهِ وفيهم المزارع وغير المزارع فقرروا انهم لم يروا هذا النوع لا في مزارعهم ولا عند غيرهم

اما مقدار التقاوي من هذا النوع فست كيلات في الفدان اي كالمعتاد وطريقة زراعتهِ هي الطريقة المتبعة فلا كلفة فيها ولا مصاريف زائدة كما يلزم لزراعة القمح المجذر او المكثر

فاذا حسبنا ان متوسط ما تنتجهُ الحبة هو تسع سنابل وجب علينا ان نضيف الى هذا القدر مثليهِ ونقول ان متوسط الحبة الواحدة هو ٢٧ سنبلة لان تقاوي الفدان من هذا النوع هو ست كيلات لا كيلتان كتقاوي القمح المجذر واذا اضفنا الى هذا قلة النفقات على الزراعة كان هذا النوع انفع للزارع من سواه

وسنابل هذا النوع ممتلئة ونوع القمح جيد جدًّا وسيكون عند حضرة موجدهِ في هذا العام ما يكفي لزراعة جميع القسم الشتوي من ارضهِ في العام المقبل وفي ذلك العام يكون عند حضرتهِ ما يفيض عن حاجتهِ فيبيع منهُ لمن يريد

اما كيفية انماء هذا النوع او ايجادهِ فلم يقل لي حضرتهُ شيئاً عنها ولا اعتقد انهُ يضن ببيان الكيفية على بني وطنهِ متى تم لهُ ما يريدهُ من نمو هذا النوع

يوسف حمدي يكن

دعوة اللجنة التحضيرية

لمشروع جمعية آداب اللغة العربية بلندن

The Organising Committee,
The Arabic Literary Association,
35, Fulwood House,
Holborn, London, W. C.

تتشرف اللجنة التحضيرية لمشروع « جمعية آداب اللغة العربية » بلندن بتوجيه نظركم الى منافع هذا العمل المسطورة بايجاز في اسفل هذا الكتاب آملةً من غيرتكم التعضيد المادي والادبي قدرَ جهدكم حتى اذا اجتمعتْ الاعانات الضامنة للنجاح منكم ومن امثالكم أُبرز المشروع الى حيز الوجود في القريب العاجل تحت رعاية « الجمعية الملوكية الاسيوية » التي هي من اعظم الهيئات العلمية الباحثة في آداب الشرق . ولا يخفى على حضرتكم المظهر الجليل والفائدة الكبرى من تحقيق هذه الامنية في اكبر عواصم العالم

وقد لاحظنا ان للمضدين ميولاً مختلفةً ما بين عاملٍ ادبي او علمي او وطني او ديني فلعلكم مدفوعون بعاملٍ او اكثر من هذه العوامل لخدمة آداب اللغة الفصيحة العربية والسعي في نشرها بواسطة هذه الجمعية الدولية التي تعمل اللجنة على تأسيسها وتوطيد دعائمها

هذا ولو ان الظروف الحاضرة الاستثنائية ربما عُدَّت غير ملائمة الاَّ ان فلاح مثل هذا العمل كما تبيَّن لنا بعد درسهِ يستدعي بذل مجهودات كثيرة تستغرق زمناً غير وجيز فمن الصواب اذن عدم التأجيل . فحبذا لو ظفرنا بمؤازرتكم لنا فجلائلُ الاعمال انما تقوم بمساعي الجماعة وتساند الافراد

كاتم سرّ اللجنة	رئيس اللجنة التحضيرية
احمد زكي ابو شادي	د . س . مرجليوث

(مقاصد الجمعية)

(١) ان تخدم آداب اللغة العربية بجميع الوسائل التي تسمح بها مالية الجمعية

(٢) ان تشجع تعلّم العربية السليمة في بريطانيا العظمى وان تنمي في اعضاء الجمعية ملكة الترجمة من و الى العربية وسواها من اللغات حبًّا في الفائدة العامة

(٣) ان تكون واسطة تعارف بين الناطقين بالضاد في بريطانيا العظمى والمستعربين بها وكذلك بينهم وبين علماء العربية في جميع اقطارها وبين المستعربين في الممالك الاخرى لتبادل المنفعة · انتهى

[المقتطف] نوهنا في مقتطف يوليو بعزم جماعة من الفضلاء والادباء على انشاء هذه الجمعية ثم دارت المكاتبة بيننا وبين حضرة كاتم سر لجنتها الدكتور احمد زكي ابو شادي نزيل لندن فبعث الينا برسالة مسهبة في هذا الموضوع نشرناها في مقتطف سبتمبر الماضي واخيراً جاءنا منهُ البيان الذي نشرناهُ الآن وكتاب مسهب وهذا بعض ما جاء فيهِ

« لو كان المقصود بهذا العمل الذي هو نتيجة تفكيري في مركزنا من عدة وجوه منذ سنة ١٩١٢ قاصراً على شؤُون الادب لآثرتُ قصف قلمي على انفاق وقتي الثمين في مراسلات ودعوات لتعضيدهِ · وكنتُ ولا زلتُ ذا املٍ واسع في نصرة « المقتطف » لوثوقي بان نظرتكم الى الحوادث عميقة ولكن اتضح لي من كتابكم الكريم انكم لم تطلعوا اطلاعاً كافياً على مرامي العمل · فاوجه نظركم اولاً الى خطابي المنشور بعدد مايو من مجلة « رعمسيس » ثم الى رسالة ظهرت فيها بعدد سبتمبر وقد بعثتُ اليها برسالة اخرى اظنها نشرت في عدد اكتوبر · كذلك حررتُ « للمنار » كتاباً آخر لعلهُ سيظهر او ظهر في عدد اكتوبر · وبما ان ما كتبتهُ في هذا الباب لا يدور حول فكرة واحدة فحبذا لو عُنيتم بالاطلاع عليهِ كلهِ · وكان في الوسع اطالة الكتابة ولكني آثرتُ التكرار لما في ذلك من اعداد الافكار للاختمار بهذا الموضوع ودوام تنبيهها اليهِ حتى اذا ازف الوقت الصالح للانفاذ قريباً او بعيداً لم يفتنا النجاح · فلا عبرة بطول الدور التحضيري واستبعد ان يطول اذا آزرتنا الصحافة العربية

« يُعاب علينا الاقدام منذ الآن على هذا العمل الكبير وتُنسى الاسباب الخطيرة التي الجأتنا اليهِ الجاء حتى اني لما حاولتُ اقناع المجتمعين في حفلة نادي الجمعية الاسيوية بأصوبية التأجيل عورضتُ معارضة شديدة واحتدَّ من تُعرف فيهِ الرزانة والعلم فقال لن تكون لنا ولا لاهلنا كرامة اذا لم تكفنا وتكفهم الحوادث للنظر الى مزايا مثل هذا العمل المحتم انفاذهُ · وحسبي ان اقول ان العمل وان لم تكن لهُ صبغة سياسية الآ انهُ منتظر منهُ ان يخدمنا خدمة قومية كبيرة زيادة على فائدتهِ التهذيبية التي لستم بحاجةٍ الى بيانها · والحكمة والمصلحة تقضي بتكرار الكتابة ورعاية العمل حتى يتيسر تحقيقهُ لان الافكار متى اقتنعت بصواب مشروع

لم تعصها الايدي في مساعدتهِ · واري في الصحافة الانجليزية هذه الروح الطيبة روح الثبات وتجنب خلق الاعذار في عدم المساعدة للرأي العام · فلا تزال تعلن عن ايّ عمل صالح يخدم انجلترا مهما كان نوعهُ بكل وسائل الاعلان الادبي حتى يبلغ اشدّهُ · وهذه هي عين الخطة الحكيمة التي يجب ان تتبعها صحافتنا · واذا كنتُ قد كتبتُ اكثر من مرة اليكم في هذا الموضوع فذلك لانّ المسألة هامة وليس هذا التعبير من مبتدعاتي بل انهُ ترجمان عواطف الكثيرين من اهل العربية هنا الشاعرين بحرج مركزنا · والمقتطف في وسعهِ اذا أراد ان يقصر الدور التحضيري شهوراً · ولا شك عندي في انّ بقية المجلات العربية لن تدخر وسعاً حينئذٍ في الاقتداء بهِ » انتهى

ونحن لم نطلّع على ما نشر في المجلات العربيّة ولا وصول لنا اليها الآن ولكن لا يسعنا الاّ الإعجاب بهمة الدكتور ابي شادي وهمة اخوانهِ واصدقائهِ القائمين بهذا العمل الجليل واقدامهم عليهِ في احرج الاوقات · ولا شبهة عندنا في فائدة هذه الجمعية وفائدة اتصالها بالجمعية الاسوية الملكية · وقد لا يكون الزمان مساعداً لانشائهـا الآن ولكننا نثق ان القائمين بهذا العمل دققوا البحث والتنقيب فوجدوا ما يشجعهم على الاقدام عليهِ فليتحفوا المقتطف وسائر المجلات والصحف العربية ببعض ادلتهم وبما يطلبونهُ من الذين ينتظر منهم الاشتراك المادي في هذه الجمعية فلا ندّخر وسعاً في نشر الدعوة اليهـا وتأييدها بكل ما في امكاننا

ولا يخفى ان الذين يسهل عليهم مساعدتها بالمال الكثير لان ثروتهم واسعة هم في الغالب من غير طلاب العلم ومن الذين لا تقبل الجمعيات العلمية ان تدمجهم بين اعضائها · والذين ينتظر ان تنظمهم الجمعيات العلمية بين اعضائها هم في الغالب من الذين يعسر عليهم مساعدتها بالمال · فهل قسم منشئو هذه الجمعية الناس قسمين مثلاً قسم الحامين او المؤيدين Patrons وقسم الاعضاء العاملين فيدخل في القسم الاول كثيرون من الامراء والوزراء والاغنياء ويساعدون الجمعية اما بهبات كبيرة يهبونها اياها دفعة واحدة او يكتتبون بمالٍ سنوي · ويدخل في القسم الثاني رجال العلم والادب الذين ينتظر منهم ان يشتغلوا بمواضيع الجمعية وهؤلاء يفرض عليهم اشتراك سنوي طفيف · او نحو ذلك من التدابير التي يجب الاقرار عليها للعمل بها



فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم يدرج السؤَال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكرّرهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) المغنطيسية الارضية

الزقازيق . فهيم افندي حلمي . هل قوة المغنطيسية الارضية واحدة على سطح الارض باجمعهِ ام تختلف باختلاف البعد عن قطبي المغنطيس

ج . تختلف واختلافها يكاد ينطبق على البعد عن الاقطاب المغنطيسية . وتعلم مواقع هذه الاقطاب من انحراف الابرة المغنطيسية وتعلم قوتها من مقدار هبوط احد قطبي الابرة الى اسفل . ففي مصر مثلاً تكاد الابرة الآن تتجه الى الشمال والجنوب تماماً فان قطبها الشمالي مائل الى الغرب درجة و ٥٧ دقيقة فقط وقد كان ميلها اكثر من ذلك منذ ثلاثين سنة . وهبوط الابرة هنا نحو ٤١ درجة واذا تقدمنا شمالاً بشرق الى بحر الخزر صار ميل الابرة شرقاً ٥ درجات وهبوطها ٦٠ درجة واذا سرنا من هناك شمالاً حتى بلغنا الدرجة ٧٠ من الطول الشرقي و ٧٠ من العرض الشمالي صار هبوط الابرة ٨٠ درجة اي نكون قد دنونا من قطب مغنطيسي . ونجد قطباً مغنطيسياً مثل هذا في شمالي اميركا الشمالية وقرب قطب الارض الجنوبي مما يلي استراليا

(٢) النوم على الجانب الايسر

ومنهُ . هل يفيد النوم صحياً على الجانب الايسر مثل النوم على الجانب الايمن

ج . المرجح ان النوم على الجانب الايمن انفع وقد ابنا ذلك في نبذة نشرناها في الصفحة ٣٦٧ من المجلد السادس من المقتطف الصادر منذ ٣٥ سنة حيث قلنا « ان الاوضاع الغالبة في النوم ان ينام الانسان على ظهرهِ او على جانبهِ الايسر او على جانبهِ الايمن وخيرها الاخير وشرها الاول لانهُ اذا نام على ظهرهِ بعد ان اكل كثيراً ثقلت معدتهُ وامعاؤُهُ على الشريان الكبير الذي يتوزع منهُ الدم على الجسد فضيقت مجراهُ قليلاً او كثيراً .... واذا نام على جانبهِ الايسر كان فم معدتهِ الى الاعلى فلا يسهل خروج الطعام منها الى الامعاء كما اذا نام على جانبهِ الايمن » . ولكن العادة تجعل الجسم يألف ما يعتادهُ

وتعدله فيقل ضرره او يزول فاننا نعرف شخصاً لا ينام الا على ظهره وهو لا يشكو من سوء الهضم ولا من تعب في المعدة ولا من احلام وكابوس

(٣) معرفة العرض بواسطة الشمس

ومنهُ ما كيفية معرفة عرض مكان بواسطة الشمس

ج . يلزم لذلك ان نعرف ميل الشمس اي بعدها عن خط الاستواء السماوي مقيساً على الهاجرة المارة بها ونعرف وقت طلوعها او غروبها

ولنفرض زاوية متم العرض تعدل ا والميل يعدل ب ووقت طلوع الشمس ت فاذاً

$$\text{نم ا} = \frac{\text{لم ق} \times \text{جت}}{\text{مم ب}}$$

اي نظير مماس العرض يعدل نصف القطر مضروباً في جيب وقت طلوع الشمس مقسوماً على مماس ميل الشمس

(٤) ثدي الرجل

الاسكندرية . ابرهيم افندي راشد . ما فائدة وجود الثدي في صدر الرجل

ج . لا فائدة لهُ الآن . ويقال انهُ عضو اثري اي انهُ كان كبيراً يفرز لبناً قبلما اتسع الفرق بين الرجل والمرأة او بين الذكر والانثى ثم صغر على توالي الزمن بقلة استعماله وقلة الحاجة اليهِ حتى صار اثرياً كما صغرت اعضاء اخرى لقلة استعمالها وصارت اثرية

(٥) الغاية من الاهرام

ومنهُ . ما الفائدة التي بني لاجلها الاهرام على هذه المتانة

ج . بنيت الاهرام ليكون كل هرم منها مدفناً للملك الذي بناهُ او لهُ ولزوجتهِ . وكان قدماء المصريين يحرصون الحرص الشديد على جثثهم بعد موتهم فبعضهم بنى لها هذه المباني العظيمة لكي تحفظ فيها وبعضهم حفر لها قبوراً عميقة في الصخر واحتال في تعميقها وتشبها حتى يتعذر الوصول الى الجثة اما لانهم كانوا يعتقدون ان النفس تتردد اليها بعد الموت او انها تعود اليها بعد زمن قصر او طال

(٦) النجوم والنمل

ومنهُ . ما هو ادق صنعاً النجوم والكواكب ام النملة وما يشابهها من الهوام

ج . يظهر من النظر في الموجودات انها ترتقي من البسيط الى المركب ومن الجماد الى الحي والكواكب على عظمها يكاد تركيبها يكون بسيطاً جداً كالصخور والاتربة والمياه والاهوية واما الحيوانات فمركبة تركيباً كثير التعقيد وفي بنائها من الدقة والاحكام ما لا مثيل لهُ في كل عالم الجماد

(٧) ازالة اثر الجدري

مصر . ادوار افندي جورجي . هل من طريقة لازالة اثر الجدري او بعضهِ

ج . اذا كان الاثر صغيراً قليل الغور

فيحتمل ان يزول مع الزمن . والاكثار من فرك الجلد حولهُ يسهل زوالهُ واما اذا كان كبيراً غائراً فلا يزول الاَّ بعملية جراحية ولكن قد تبقى منهُ ندب اوضح من اثر الجدري

(٨) تنقيط الياء المتطرفة

ومنهُ . لما كنت طالباً في سورية كان المدرسون يشددون علينا في تنقيط الياء المتطرفة ولما قدمت مصر والتحقت بمدارسها الفيت المدرسين ينهون الطلاب عن تنقيطها . وفي بدء دخولي المدارس المصرية كنت انقطها تبعاً لما تعودتهُ في سورية ولكن حضرات الاساتذة كانوا يعدون ذلك خطأ فاحشاً . وقد لاحظت ايضاً ان الياء المتطرفة منقطة في جميع كتب السوريين سواء في ذلك المطبوعة في سورية او في مصر وعلى نقيض ذلك كتب المصريين فما هو سبب هذا الاختلاف واللغة واحدة واي الامرين اصح

ج . اقدم ما عندنا من الكتب العربية المعروف تاريخ خطهِ بالدقة كتاب لباب الآداب للامير اسامة بن منقذ فانهُ خطَّ سنة ٥٧٧ للهجرة والياء المتطرفة فيهِ منقوطة غالباً —ولوكانت الفاً مقصورة—وغير منقوطة نادراً وها كم بعض ابيات منهُ وقد نقطنا المنقوط من ياءاتهِ

وما زلت تقصيني وتغرى بي الردي
وتهجرني حتى مرنت على الهجرِ
وتقطع اسبابي وتنسى مودتي
فكيف تري يا مالكي بالهوي صبري
فاصبحت لا ادرى ايأساً تصبري
على الهجر ام حد التصبر لا ادري

فترون ان أكثر الياءات منقوط وأكثر الالفات المقصورة غير منقوط وخط الكتاب من اجمل خطوط عصره . وكتاب المصابيح للبغوي وتاريخ كتابتهِ سنة ٦٩٤ للهجرة واكثر ياءاتهِ غير منقوط مثال ذلك :

« قال النبي صلَّى الله عليهِ وسلم فوَالذي نفس محمد بيدهِ لو يرون مكانهُ ويسمعون كلامهُ لذهلوا عن ميتهم وبكوا على انفسهم حتى اذا حمل الميت على نعشهِ رفرفت روحهُ فوق النعش وهو ينادى يا اهلى ويا ولدي لا تلعبنَّ بكم الدنيا كما لعبت بى » . وقد توضع نقطتا الياء في حجرها

وعندنا نسخة من عهد الامام علي الى مالك بن الاشتر وقد كتبت الى السلطان بايزيد العثماني سنة ٨٥٨ للهجرة بخط من اجمل الخطوط التي وقع عليها نظرنا و ياءاتها كلها مهملة الاَّ ما ندر مع انها مضبوطة بالشكل الكامل ولكن الياء المعجمة توضع تحتها شرطة صغيرة مائلة قليلاً الى اليمين والياء المعقوفة الى الوراء تنقط دائماً ولوكانت الفاً مقصورة بصورة الياء وهذا وجدناهُ ايضاً في ورقة بخط فارسي قديم لا نعلم تاريخها

وكتاب الاطوار الاربعينية وهو بخط اسلامبولي جميل جداً وتاريخ كتابهِ ١٠٤٥ وياءاتهُ كلها مهملة

ونسخة قديمة جداً من شرح فصول ابقراط لابن ابي صادق من اطباء القرن الخامس دخلت في ملك ابن الهمام الحنفي سنة ٨٥٩ ولعلها كتبت قبل ذلك وياءاتها تنقط تارة وتهمل اخرى كقولهِ « قال ابقراط اوجاع العين يحلها شرب الشراب الصرف او الحمام والتكميد او فصد العرق او شرب الدواء. التفسير هذه التدابير ليست تتبع وجعاً بعينهِ للعين ولا في وقت بعينهِ حتى ان للمعالج ان اشتهى ان يفصد العليل فصدهُ وان اشتهى ان يدخلهُ الحمام او يسقيهُ شراباً يفعل ذلك بل انما ينفع اوجاعاً مختلفة في اوقات مختلفة ... قال ابقراط اذا اصاب المحموم اختلاف دم فطال بهِ حدث بهِ استسقاء او زلق الامعاء. التفسير المحموم هو الذي في طحالهِ صلابة مزمنة ومتى حدث بهِ اختلاف الدم فذلك محمود حسب ما حكم بهِ ابقراط »

واذا مدت ياء في الى الامام لم تنقط واذا مدت الى الوراء نقطت والغالب ان الياء المعجمة تنقط والمهملة لا تنقط كاصطلاح مطابع بيروت

وفي دار الكتب السلطانية مصاحف كثيرة قديمة تنقط ياءاتها تارة ولا تنقط اخرى ومنها مصحف كتب سنة ٧٧٦ ياءاتهُ منقوطة غالباً وسنبحث في هذه المصاحف بحثاً مدققاً ونبين ما هو الغالب فيها بالاستقراء

نأتي الآن الى اقدم المطبوعات العربية ففي قانون ابن سينا المطبوع برومية سنة ١٥٩٣ تنقط الياء دائماً

وفي تحرير اصول اقليدس لنصير الدين الطوسي الذي طبع ذلك الوقت او قبلهُ ببضع سنوات كل الياءات منقوطة

وقاموس الفيروزبادي المطبوع طبع حجر في مدينة بمبي سنة ١٢٥٩ بالشكل الكامل ياءاتهُ كلها غير منقوطة ولكن الياء اللينة يوضع تحتها شرطة واقفة والمرتدة الى الوراء تنقط غالباً والمقصورة فوقها فتحة واقفة غالباً

وفي كتاب الحيوان الذي ترجمهُ فارس الشدياق عن الانكليزية وطبع في مالطة سنة ١٨٤١ الياءات كلها مهملة

وكتاب الاغاني الذي تم طبعهُ في مطبعة بولاق سنة ١٢٨٥ هجرية الياءات كلها مهملة

والخلاصة ان الكتَّاب اختلفوا من قديم الزمان في تنقيط هذا الحرف وبعضهم حاول امن اللبس بين الياء والالف المقصورة بوضع شرطة تحت الياء وشرطة فوق الالف المقصورة والظاهر انهُ لما نقلت المطبعة الاميركية الى بيروت ووُضعت لها حروف جديدة اعتمد الذين تولوا امرها على ان

يفرقوا بين الياء والالف المقصورة فرقاداءٌ فاختاروا تنقيط الاولى واهمال الثانية ولو استشارونا لاشرنا بذلك

(٩) ترجمة كلمات زراعية

د كرنس . م . ف مهندس زراعي . بماذا تترجم الالفاظ الانكليزية التالية :

Sterilisation of the Soil. Exhaustion of the Soil. Deterioration of the Soil. Texture of the Soil.

ج . يحسن ان تترجم الاولى تعقيم التربة . والثانية انهاك التربة . والثالثة فساد التربة اوانحطاطها . والرابعة قوام التربة او تماسك اجزائها

(١٠) معنى هذه الكلمات

ومنهُ . نرجو افادتنا عما تدل عليهِ هذه الالفاظ

ج . يراد بتعقيم التربة معالجة التربة بما يميت ما يضرها من المكروبات وانواع الفطر كالحرارة وغاز بي كبريتيد الكربون . وبانهاك التربة تكرار زرعها من غير تسبيخ حتى تضعف ويقل محصولها . وبفساد التربة زوال خصبها لاسباب أُخرى غير الزرع كما اذا دخلتها الاملاح او بطل صرفها . وبقوام التربة كون دقائقها شديدة التماسك لكثرة الطفال فيها أو قليلة التماسك لكثرة الرمل فيها او نحو ذلك

(١١) البرفير

شبراخيت . احمد افندي الصراف . ما معنى البرفير وما ضبط التلفظ بها

ج . البِرْفير بياء وفاء مكسورتين أو الفِرْفير كلمة معربة يونانيتها بُرْفورا معناها اللون الارجواني اي الاحمر الضارب الى الزرقة وتطلق على الثياب التي تصبغ بهِ . وكان الفينيقيون من أهالي صور وصيداء يستخرجون صبغ البرفير او الارجوان من حلازين كبيرة تكثر في البحر هناك . وكان امام الباب الجنوبي من مدينة صيداء تلة كبيرة موءلفة كلها من اصداف هذه الحلازين رأيناها منذ ٤٦ سنة ثم جمعنا بعض الحلازين من البحر واستخرجنا الصبغ منها

(١٢) الدومنيون

ومنهُ . قرأت في جريدة محلية تحت عنوان الدومينيون والحرب انهُ اصبح تأليف وزارة جامعة في غاليا الجديدة الجنوبية امراً مفعولاً . فمن هم الدومينيون وما هي غاليا الجديدة الجنوبية

ج . معنى الدومنيون المُلْك أي ما يُتملك ومنهُ كلمة الدومين أي املاك الميري ويراد بها هنا بلاد استراليا . وغاليا الجديدة الجنوبية قسم منها واسمها بالانكليزية نيو سوث ويلس . وويلس اسم لجانب من انكلترا ويسمى بالفرنسوية غال ومنهُ لقب ولي عهد الانكليز برنس أوف ويلس بالانكليزية وبرنس دي غال بالفرنسوية . ومعنى نيو جديد ومعنى سوث جنوب . فترجم المترجم هاتين الكلمتين الاخيرتين بكلمتين عربيتين والكلمة الثالثة

بلفظة فرنسوية ولعل النص الذي ترجم عنهُ كان فرنسوياً

وتقسم البلاد التابعة لانكلترا الآن الى اقسام وهي اولاً امبراطورية الهند . ثانياً الدومنيون مثل كندا واستراليا . ثالثاً المستعمرات مثل مالطة وعدن . رابعاً البلدان التي وضعت عليها الحماية الانكليزية مثل مصر

(١٣) كتب في حال المرأة

مصر . محمود افندي احمد . ما هي الكتب الانكليزية التي يستطيع الطالب ان يدرس فيها تاريخ المرأة ومنشأ الزواج واصل الطلاق ونحو ذلك مما يختص بالمرأة في حالتها الاجتماعية

ج . ليس عندنا من هذه الكتب الانكليزية الأ كتاب الفيلسوف هربرت سبنسر في علم الاجتماع Principles of Sociology وهو ثلاثة مجلدات كبيرة تحوي نحو ٢٢٠٠ صفحة . وكتاب لورد افبري (السر جون لبوك) اصل العمران Origin of Civilisation وفيهما كليهما كلام وافر في هذا الموضوع

(١٤) بطرية مصباح الجيب

الاسكندرية . محمود افندي زيد . توجد فوانيس للجيب مكوَّنة من بطاريتين صغيرتين داخل علبة صفيح مكسوة قماشاً ولها بلورة محدبة في غطائها . فمند فقدان قوة البطارية اذبنا ملح الامونياك ووضعنا في البطريتين بعض نقط منهُ فلم تفد وبحثنا عن شكل هذه البطاريات لابدالها بغيرها فلم نجد فنرجو ان تخبرونا عن تركيبها وسبيل اصلاحها

يظهر لنا ان هذه البطرية من النوع الجاف . والبطريات الجافَّة على انواع فمنها ما يصنع من الجبس واكسيد الزنك وكلوريد الزنك الذي في قوام العجين . وهذه البطرية كثيرة الاستعمال في الاعمال الطبية . ومنها ما يصنع من فحم الحطب والبلمباجين واكسيد المنغنيس الاول والجير المطفي والزرنيخ ومزيج من الغلوكس والدكسترين . تمزج هذه المواد معاً وترطب بمذوب كلوريد الامونيوم وكلوريد الصوديوم وبي كلوريد الزيبق والحامض الهيدروكلوريك . فترون من ذلك ان عمل هذه البطريات صعب جداً فاذا بطل فعلها فلا تستطيعون اصلاحها . والعادة ان يشتري صاحبها غيرها اذا بطل فعلها

(١٥) متى وجدت الكتابة العربية

الفيوم . جرجي افندي خلف . في اي عهد وجدت الكتابة العربية عند العرب

ج . اقدم كتابة عربية رأيناها تاريخها سنة ٨٧ للهجرة ولا نظن انهُ توجد الآن كتابة بحروف عربية اقدم منها ولا نعلم نوع الحروف العربية التي كتب بها العرب قبل ذلك



اوجه القمر في شهر ديسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٢	٣	٥٥	صباحاً
البدر	٩	٢	٤٤	مساء
الربع الاخير	١٧	٨	٦	«
الهلال	٢٤	١٠	٣١	«
الربع الاول	٣١	٢	٧	«
القمر في الاوج	١٣	١٠	٣٨	«
« الحضيض	٢٦	٢	٣٠	صباحاً

السيارات

عطارد . لا يشاهد في اول الشهر ثم يصير كوكب مساء في آخره

الزهرة . تكون كوكب صباح الشهر كله

المريخ . يكون كوكب مساء . .

المشتري . يشرق نحو الساعة ٢ صباحاً

زحل . يغرب نحو الساعة ٨ مساء

العلم والحرب

ان الحرب على اشتداد اوارها وتفاقم امرها لم تشغل الناس عن العلم وشؤونه . فكل يوم لنا اختراع وكل يوم لنا اكتشاف وكل يوم نشاهد اثراً علمياً جديداً او نسمع بعزمة في سبيل العلم . فقد جاء من اركانجل الثغر الروسي المشهور ان جمعيتها المنوطة بدرس اقاليم روسيا الشمالية قامت تفتش عن بعثتين علميتين قصدتا الاصقاع القطبية للاكتشاف ثم لم يسمع عنها شيء . الواحدة بعثة برآسة رجل اسمهُ روسانوف خرجت منذ بضع سنوات للاكتشاف وكان آخر ما سمع عنها سنة ١٩١٢ وكانت في طريقها الى بحر كارا . والثانية مرّت في بوغاز يوغور سنة ١٩١٢ وآخر ما سمع عنها انها تركت سفينتها سنة ١٩١٤ في الدرجة ٨٣ من العرض الشمالي و ٦٣ من الطول الشرقي . وقد قامت الجمعية المذكورة بجمع ٢٥٠٠ جنيه تعطى جوائز للذين يخبرونها بما جرى للبعثتين . والمظنون انهُ لا بدَّ ان تكونا قد هلكتا

هذا في روسيا . اما في انكلترا فان الرجل الذي لهُ من الحرب اعظم شاغل وهو لويد جورج وزير الحربية خطب بالامس خطبة نعى فيها على سامعيهِ خلوَّ غياض وابلس بلادهِ من المزار المشهور بغنائهِ فقامت الصحف تتناقش في هذا الموضوع العلمي

وتكثر من اللغط والصخب فيهِ فاسفرت مناقشتها عن ان هذا الطائر جعل في الثلاثين سنة الاخيرة يهاجر الى انحاء البلاد الغربية حتى لم يُرَ في انحائها الشرقية مدة طويلة

وربما كان اعجب من هذا وذاك اشتغال رجال الميادين بالشؤُون العلمية وسط المعمعان « بين طعن القنا وخفق البنود » فقد كتب ضابط انكليزي من فرنسا الى احدى الصحف العلمية يقول في ١٧ اكتوبر يقول « رأَينا قوس قزح قمريًّا في اتابل عرضهُ عرض قوس قزح شمسي ولكننا لم نتبيَّن فيهِ أَلوانًا بل كان لونهُ اغبر فاتحًا » . ولا نكاد نتصفح مجلة علمية الأَ قرأنا فيها ان هذا الضابط او ذاك الجندي يبحث مع اعمال الميدان الحربية في طبيعة تربتهِ وجوّهِ ونباتهِ وحيوانهِ ومائهِ وآثارهِ وما شاكل ذلك . ولا عجب فكثيرون بين الجنود والضباط من رجال العلم وقد انتظموا في سلك الجيش لخدمة بلادهم . وان انشاء الصحف في الخنادق وقد كتبنا فيهِ مطولاً في عدد ماضٍ لمن اعظم الشواهد على ما نحن بصددهِ

قيمة اكتشاف اميركا

حسب بعضهم قيمة اكتشاف كولمبس لاميركا الشمالية وبالتالي لاميركا الجنوبية فقدروهُ بست مئة الف جنيه كل يوم من سنة اكتشافهِ اولاً اي سنة ١٤٩٢ الى هذا اليوم فالمجموع نحو ٩٣ الف مليون جنيه . فاذا حسبنا ان متوسط ما تنفقهُ الدول المتحاربة في هذه الحرب ٣٠ مليون جنيه في اليوم فانها تنفق هذا المبلغ الهائل في ٨ ½ سنة . هذا اذا فرضنا ان الحرب تدوم تلك المدة كلها واغضينا عن ابواب الخسارة الاخرى التي تجرها الحرب كخسارة السفن وشحنها والكساد الذي يصيب الاعمال والاشغال المختلفة من صناعية وتجارية . وخسارة النفوس وهذا مما لا يقدر بمال ولكن اذا قدرناهُ كما تقدرهُ المحاكم عادة وقدرنا ابواب الخسارة الاخرى رجح المجموع في نحو ثماني سنوات على جميع ما كسبهُ الناس من اكتشاف اميركا مدة نحو اربعة قرون . وهذا غاية الاسراف ان ينفق الانسان في يوم ما كسبهُ في ٥٠ يومًا

علة الشيب الفجائي

من اغرب المظاهر التي حار الانسان في تعليلها صيرورة الشعر الاسود ابيض فجأة اجابة لداعي الخوف او الغضب او الحزن او غيرها من الشهوات القوية . فقد زعموا ان رأس ماري انتوانت ملكة فرنسا اشتعل شيبًا في ليلة واحدة اي الليلة التي سبقت مقتلها . والمحققون ينكرون هذا الزعم ولكن هناك حوادث محققة لا يمكن انكارها شاهدها الاطباء وشهدوا بصحتها . منها حادثة

جندي كان مقيمًا في بعض خنادق الارجون بفرنسا فنسف خندقهُ بلغم طوَّح بهِ في الهواء ثم دفن تحت الانقاض . فلما انتشل وجد اصمّ فنقل الى المستشفى وبينا كان فيهِ رأى نفسهُ في مرآة واذا بفودهِ الايسر تعلوهُ بقع من الشعر الابيض لا شعرة سوداء بينها . وظهر من التحقيق ان الجانب الايسر من رأسهِ ترضض كثيرًا بالانفجار وانهيال التراب عليهِ . ولما كان شعرهُ قد ابيض في بعض هذا الجانب فقط استنتج الاطباء ان رضوضهُ كانت علة شيبهِ الفجائي ولكنهم لم يستطيعوا البتّ في هذه المسئلة

نقول ومن المحتمل ان الجروح التي تصيب الراس تترك الشعر النابت في موضع التئامها ابيض بدليل ان الدَبَر او العقور التي تصيب ظهور الدواب تترك الشعر مكانها ابيض غالبًا بعد اندمالها . هذا سبب من اسباب الشيب الباكر ولكن اسباب الشيب الفجائي لا تزال مجهولة

علماء الانكليز وعلماء الالمان

الشائع الراسخ في الاذهان ان اكثر العلماء من الالمان لكن الاستاذ فريزر هرس كتب الآن في مجلة ناتشر مبينًا فساد هذا الزعم ومثبتًا ان اكثر العلماء هم من الانكليز وحلفائهم لا من الالمان وعدَّد منهم الفيلسوف اسحق نيوتن مكتشف الجاذبية العامة ووليم هارفي مكتشف دورة الدم وبريستلي مكتشف الاكسجين ورذرفورد مكتشف غاز النيتروجين ودلتون واضع اصول علم الكيمياء وفراداي واضع اساس المغنطيسية الكهربائية ودافي مثبت كون المعادن القلوية عناصر . ومنهم ايضًا بويل وكفنديش ووط وستفنسن ولسلي وهنن وليل وكلهم من كبار المكتشفين . ومنهم نبير وهرتشل وادمس وكلارك مكسول وكلفن وهم من كبار الرياضيين . وقال ان ابناء الانكليزية هم الذين اخترعوا الآلة البخارية والتلغراف الكهربائي والتلفون والفونوغراف والبيسكل والاروبلان . ولحلفائهم من الايطاليين والفرنسويين النصيب الوافر من الاختراع والاكتشاف فان منهم استاشيوس وملبيجيوس وبيوزلي وسبلنزاني وغلفني وفولطا وافوغادرو ولافوازيه ولابلاس ولاغرانج ومونغلفيه وكيفيه ولامارك وكلود برنار وشفرل وباستور . وكل هؤلاء من الذين يجب ان تكتب اسماؤهم على جبين الدهر بحروف ذهبية كبيرة . ونحن لا نبخس ما لعلماء الالمان من الفضل مثل مَيّر وهلمهلتز وارلخ ولكن الالمان يجحدون فضل علمائنا تعمدًا ولا يذكرونهم في كتبهم وبلغ من اغماطهم لفضل الفضلاء ان قال احد اساتذتهم بالامس انهُ يجب على طيّاريهم ان يطرحوا قنابلهم على قبر نيوتن وفراداي وشكسبير مع انهم كانوا يدعون قبل ذلك ان شكسبير الماني لا انكليزي

الآلة البخارية الشمسية

لقد خطر لكثيرين استخدام حرارة الشمس لتسخين الماء وادارة الآلات البخارية بهِ ورأى كثيرون من اهالي القاهرة منذ بضع سنوات آلات بخارية في المعادي تدار بحرارة الشمس وترفع الماء من النيل . لكن السطوح الزجاجية التي تجمع حرارة الشمس لتسخين الماء كانت واسعة جدًّا لا يحتمل ان احداً يقيم مثلها في اطيانهِ لاستخدامها في رفع ماء الري بدل الفحم او البترول . وقد حسب بعضهم ان حرارة الشمس التي تنصبُّ يوميًّا على صحراء طولها ثمانية آلاف ميل وعرضها ميل واحد تكفي لادارة ٢٢ مليونًا وثلثمائة الف آلة بخارية شمسية قوة كل آلة منها مئة حصان . ولكن كيف توقى سطوح هذه الآلات من الغبار في تلك الصحاري ومن الرمال التي تسفيها الرياح . ثم ان الحصان الواحد البخاري يلزم لهُ سطح من الزجاج سعتهُ مئة قدم مربعة فآلة قوتها عشرون حصانًا يلزم لها سطح طولهُ مئة قدم وعرضهُ عشرون قدماً على الاقل وهي لا تدور الأَّ وقت اشتداد حرارة الشمس من الساعة العاشرة صباحاً الى الثالثة او الرابعة بعد الظهر . والآلات البخارية يجب ان تكون مهيأة للادارة كل ساعة من ساعات النهار ومن ساعات الليل ايضاً

بنيامين كد

توفي في اكتوبر الماضي بنيامين كد الكاتب الانكليزي الاجتماعي المشهور وهو في الثامنة والخمسين من عمرهِ . فقد كتب كتباً معروفة وانشأ مقالات جمة في الفلسفة الاجتماعية على نظام مبتكر لم يسبق اليهِ واول كتبهِ واشهرها كتاب « النشوء الاجتماعي » صدر سنة ١٨٩٤ والاساس الذي بناهُ عليهِ هو ان الدين ليس عدوّ العلم وتنوير الاذهان بل هو بالضد من ذلك فان مبادئهُ الادبية كانت من اعظم عوامل الارتقاء الاجتماعي وهو مرتبط كلَّ الارتباط بذلك الجزء من فطرتنا الذي ينسب اليهِ كلُّ ارتقاء اجتماعي حديث والذي يرسم لنا خطة تقدمنا المستقبلة . ولذلك ذهب الى ان ارتقاء المجتمع والمدنية الحديثة ليس سببهُ ارتقاء المدارك وتقدم العلم بل استمرار عمل المعتقدات الدينية . ومن اشهر مقالاتهِ مقالة في الطبعة العاشرة من الانسيكلوبيديا البريطانية موضوعها تطبيق مذهب النشوء على المذهب الاجتماعي . ومقالة في الطبعة الحادية عشرة (الاخيرة) منها في الاجتماع . وفي سنة ١٩٠٨ القى في جامعة اكسفرد الخطبة السنوية التي تخطب تذكاراً لسبنسر وموضوعها « الفردية وما بعدها »

تعقيم الجروح

احدث الطرق لتعقيم الجروح طريقة الدكتور كرل الاميركي وخلاصتها فتح الجرح الى اعمق مكان منهُ ووضع انابيب من اللستك فيهِ وربطها بنسيج سلكي ثم يغسل الجرح بمحلول من مضادات الفساد كل ساعتين بواسطة الانابيب وتغيير اربطة الجرح مرة في اليوم. وقد خطب الدكتور شرمان الاميركي في الجمعية الطبية الملكية بلندن شارحاً هذه الطريقة ومما قال ان نتيجة تعقيم الجروح بها مدهشة وان الجرح يصبح خالياً من كل فساد في ايام قليلة. اما المحلول الذي يستعملهُ الدكتور كرل فهو محلول داكنس وقد اختبر دون مئتي محلول اخرى جربت تمام التجربة وهو مؤلف من كلوريد الجير وكربونات الصودا وبيكربونات الصودا ممزوجة معاً بالماء العادي على نسب مخصوصة. ويقال ان معالجة الجروح بهذه الطريقة تعجل شفاءها كثيراً

آثار اسوج

وجد في بعض بلاد اسوج نقوش قديمة على الصخور تمثل رجالاً ونساء واولاداً وجنوداً حاملين تروساً وخيلاً وحيوانين من ذوات الاربع مزخرفي الرأسين ولكن لا يبين ما هو نوعهما

فناء الحيتان

كتب عالم في احدى الصحف العلمية الانكليزية مقالة بعنوان «الاوقيانوس مراعينا المستقبلة» يحتجُّ فيها على كثرة صيد الحيتان الكبيرة في جميع بحور العالم ويقول لا بدَّ ان يجيء يوم يصبح فيهِ اعتماد الانسان فيما يأكل من اللحم على الحيتان الكبيرة وذلك حينما تتعذَّر تربية الماشية لتعذُّر المراعي على اثر اكتظاظ الارض بالسكان

وقد علقت مجلة نانشر على ذلك قولها: ونحن وان كنا نخالف الكاتب في رأيهِ هذا نوافقهُ على وجوب الاقلال من صيد الحوت لاسباب اخرى كثيرة لا تقل شأناً عن السبب الذي قدمهُ. فلا بد من التعجيل في سن القوانين التي تقيد صيد الحوت والأعد في بعض البحور بين الحيوانات البائدة

المدافع والحيوانات

ظهر بالبحث ان الارانب وهي موصوفة بشدة الخوف لزمت اوجرتها في ميادين الحرب دون سائر الحيوانات البرية كالدب والخنزير البرّي وكلب الماء والغزال على انواعهِ. وان الطيور التي لم يرعها شبوب نار الحرب فبقيت حيث كانت هي البومة والصقر والغراب وغيرها من الحيوانات آكلة اللحوم

فولاذ لا يصدأ

اخترع في انكلترا نوع من الفولاذ (الصلب) لا يصدأ ولا يتغير لونهُ بمس الحوامض لهُ او أي صنف من اصناف الطعام ويعزى ذلك فيهِ الى مزج الحديد الذي يصنع منهُ بمعدن الكروم على نسبة ١٢ او ١٣ في المئة. اما الكربون فيهِ فلا يزيد متوسطهُ على ربع الى ثلث في المئة اي ان نسبتهُ واطئة فلا يمكن ان يكون سبب هذه الخاصة. وهذا الفولاذ اغلى من الاصناف المعروفة ولكن بقاء لونهِ لامعاً غير متغير يوازن هذا الغلاء ويرجح عليهِ

السمك المنير

بين معروضات المتحف الاميركي نموذج لسمكة منيرة تقطن اعماق البحار حيث الظلام حالك فتهتدي بالنور المنبثق منها. والناظر الى النموذج المصنوع لتمثيلها يرى على جانبي السمكة نقطاً منتظمة الابعاد وعلى قمة رأسها بقعة كبيرة فهذه النقط وهذه البقعة ترى منيرة في السمكة الحيَّة. وقد صنعوا النقط في النموذج من ازرار زجاجية وبقعة الراس من جلاتين مصبوغ والازرار تتصل بجوف السمكة بانابيب. فاذا ارادوا تمثيل السمكة حية اوصلوا بها مجرى كهربائيًّا فترى منيرة من جانبيها ومن رأسها

شفاء صمم الحرب

يعود كثيرون من الجنود وقد فقدوا سمعهم لشدَّة الاصوات التي دخلت آذانهم. وقد عهدت الحكومة الفرنسوية الى الدكتور ماراج في معالجة هؤلاء الصم فجعل يعالجهم باسماعهم بعض الحروف باصوات قوية حادة من آلة تنطق بها كذلك فلا يمضي اسبوعان على من اعتراهُ الصمم الحربي حتى يعود سمعهُ اليهِ. ويقال ان ٦٨ في المئة من الذين يعالجون كذلك يشفون ويعودون الى ميادين القتال

معادن نروج

اكتشف حديثًا في بعض انحاء نروج منجم كبير فيهِ كثير من المعادن منها الفضة والبزموت ويقال ان فيهِ ذهبًا ايضاً. وفي الصيف الماضي اكتشف بعضهم معدن فحم حجري في احدى جزر نروج وظهر لهم بعد البحث انهُ اوسع كثيراً مما كانوا يظنون

بلون تسبلن الجديد

انزل الانكليز بلونًا من بلونات تسبلن الجديدة سالماً فوجدوا ان طولهُ ٦٨٠ قدماً وقوة آلاتهِ ١٥٠٠ حصان وسعتهُ مليونا قدم مكعبة ويستطيع رجل واحد ان يتحكم في ادارة كل آلاتهِ وفيهِ تسع بنادق آلية

اكبر المدافع البحرية

كانت المدافع الكبرى التي صنعها الانكليز حديثاً وسلحوا بها بوارجهم الكبرى قطر فوهة المدفع منها ١٥ بوصة · وقد ثبت الآن انهم صنعوا مدافع اكبر منها جداً قطر فوهة المدفع منها ١٨ بوصة (نحو ٤٥ سنتمتراً) وثقلهُ ١٥٠ طنًّا وثقل قنبلتهِ ٣٠٠٠ ليبرة وسلحوا بوارجهم الجديدة بهذه المدافع الضخمة والمرجح ان هذه المدافع تصيب البوارج التي تسدَّد اليها وتخرقها ولو كانت على ١٥ ميلاً منها

تذكار الاستاذ رمزي

تألفت لجنة في لندن برآسة لورد ربلي لاقامة تذكار للاستاذ السر وليم رمزي وقد اجتمعت في ٣١ اكتوبر الماضي فاقترح المستر بيز مدير البريد العام ان يجمع مال يستخدم في ترقية تعليم الكيمياء والبحث الكيماوي تذكاراً للسر وليم رمزي وان تشترك كل الامم في ذلك فوافق الحضور على هذا الاقتراح

اطول الكباري

عزمت مدينة سان فرنسسكو باميركا على بناء كبري (جسر) يكون اطول ما بني من نوعهِ حتى الآن فان طولهُ سيبلغ خمسة اميال ونصف ميل ونفقات بنائهِ ستبلغ ٢٢ مليون ريال ويكون في قسمهِ الاوسط ست عشرة قنطرة او فتحة سعة كلٍّ منها ٢٥٠ قدماً ويكون في سطحهِ طبقتان في العليا منهما ثلاث سكك للمارة وفي السفلى اربع طرق اسكك الحديد

ميتة غريبة

كان رجل اميركي يصيد السمك بصنارتهِ من احدى السواقي والصنارة معلقة بقضيب حديد كما هي العادة هناك وهو خائض في الماء · وفيما هو يرفع القضيب علق طرفهُ باسلاك التلغراف فوقهُ فصعق ومات لساعتهِ · وليست غرابة هذه الميتة في اختفاء سببها فانهُ معروف وهو مرور تيار كهربائي قوتهُ ٢٠ الف فلط في جسمهِ وساعد على تتميم الدائرة وجود الرجل في الماء والماء موصل جيد للكهربائية كما هو معروف · وانما غرابتها في كونها مفردة في بابها اذ لم يسمع قبلها بحادثة مثلها

مناطق النجاة

احدث التحسينات في المناطق التي يلبسها ركاب السفن عند اصابة سفنهم بسوء انهم يعلقون بها مصباحاً كهربائياً موضوعاً في صندوق شفاف لا ينفذهُ الماء فتسهل بذلك رؤية لابسي المناطق ليلاً ويسهل انقاذهم من الغرق

سبب زرقة البحر

الغالب ان يقال ان لون البحر ازرق وان بعض السبب في زرقتهِ انعكاس وجه السماء الصافي عنهُ . اما البعض الآخر فهو شدة ملوحتهِ . ففي البحار الاستوائية حيث يشتدُّ الحرُّ وبالتالي يكثر التبخر وتشتدُّ ملوحة الماء تجد البحر ازرق او ضارباً الى الزرقة . واما في البحار الباردة فتجدهُ ضارباً الى الخضرة

جيولوجية الصين

استدعت الحكومة الصينية عالماً من علماء الجيولوجيا الاسوجيين لكي يبحث في بلادها بحثاً جيولوجيًّا وضمت اليهِ شاباًّ صينياً درس علم الجيولوجيا وغرضها معرفة ما في بلادها من المعادن المختلفة وكل ما يمكن التوسُّل بهِ الى استخراجها

التطعيم الواقي من التيفويد

ظهرت الحمى التيفويدية في الجيش البريطاني في فرنسا فاصيب بها ١٤١٢ نفساً فتوفي ٥ في المئة من الذين كانوا مطعمين بالطعم الواقي من التيفويد و٢٣ في المئة من الذين لم يكونوا مطعمين بهِ وتوفي بالباراتيفويد واحد وثمن في المئة من المطعمين واربعة وثلثين في المئة من غير المطعمين

الاقتصاد في الورق

بلغ من اقتصاد احدى شركات سكك الحديد الاميركية في الورق على اثر غلائهِ انها صنعت «ظروفاً» خصوصية للكتب والرسائل التي تتداولها دوائرها المختلفة . ووجه هذه الظروف مقسوم بخطوط متقاطعة الى اثني عشر مربعاً تكتب فيها العناوين المختلفة كلما انتقلت المراسلات من دائرة الى دائرة . وقد اقتصدت الشركة بهذه الطريقة في السنتين الماضيتين ٣٢٥٣٠٠٠ ظرف ثمنها ٣٧٠ جنيهاً . وهو اقتصاد قليل ولكنهُ دليل على مبلغ ما عند القوم من الحيلة التجارية التي هي اساس النجاح في العمل

صناعة الاوتوموبيل

يؤْخذ من بعض الاحصاءات ان عدد مركبات الاوتوموبيل في اميركا كان ٤٨٠٠٠ سنة ١٩٠٦ فاصبح ٢٢٤٥٦٦٤ في آخر سنة ١٩١٥ اي زاد نحو ٤٧ ضعفاً في اقل من عشر سنوات

خطوط جديدة في المريخ

لما كان المريخ في الاستقبال الاخير شاهد راصدوهُ في مرصد لول الاميركي خطوطاً جديدة فيهِ اصغر حجماً من ترعهِ المشهورة

وفاة بكتريولوجي شهير

توفي في مدينة بريسلو بالمانيا الاستاذ البرت نيسر المشهور بمباحثهِ العلمية في الامراض الزهرية . على ان اشهر ما اشتهر بهِ اكتشافهُ سنة ١٨٧٩ لمكروبات الداء المعروف باسم الزنقة او التعقيبة . وقد سهل اكتشافهُ معالجة الداء كثيراً وتشخيصهُ ومنعهُ . وهو اول من استعمل البروتارجول في معالجتهِ . ونيسر يهودي مثل ارليخ ومتشنيكوف

قتل الخيل بالغاز

العادة انهُ اذا هرم الفرس او كسر عظم من عظامهِ او جرح جرحاً بالغاً كثير الالم حتى امست حياتهُ عبئاً ثقيلاً عليهِ ان يرمى بالرصاص انقاذاً لهُ من الالم بدعوى ان هذه الميتة اهون الميتات واسرعها . ولكن رأى الاميركيون بالتجربة ان الموت باستنشاق غاز النور اهون من هذه الطريقة فشرعوا يستعملونها عند ارادة قتل الخيل وذلك انهم يضعون الفرس في مكان ضيق ويضعون امامهُ العلف ويطلقون الغاز من انبوبة تحتهُ فيموت ميتة لا نزع فيها ولا الم

تسخين الماء بالكهربائية

اخترعت في اميركا آلة صغيرة لتسخين كميات قليلة من الماء عند الحاجة وهي مؤلفة من انبوبة معدنية طولها ٧ بوصات فاذا أُريد تسخين بعض الماء في كاس وصلت الانبوبة بمجرى كهربائي من طرفها ثم غمس الطرف الآخر في الماء فلا يمضي الأَ القليل حتى يسخن الماء واذا تركت الانبوبة فيهِ غلى في لحظة من الزمان

اعمق مكان في البحر

اعمق مكان في البحر قيس حتى الآن يبلغ عمقهُ ٥٢٦٩ قامة او ٣١٦١٤ قدماً وهو اعلى من اعلى قنة في جبال حملايا التي هي اعلى جبال الدنيا . وموقع هذا المكان في الاوقيانوس الباسيفيكي على ٧٥ ميلاً جنوبي جزيرة اسمها جوام . ومتوسط عمق البحر ٢١٠٠ قامة او ١٢٦٠٠ قدم

اسرع مطبعة

اتمت جريدة نيويورك هرالد المشهورة تركيب مطبعة تطبع ٦٥ الف نسخة في الساعة والنسخ تخرج منها اما مطوية على ٨ صفحات او ١٦ صفحة او ٣٢

اصلاح خطأ

ورد في الصورة التي صدر بها هذا الجزء انها من مقتطف دسمبر والصواب انها تابعة لمقتطف نوفمبر وقد تركت سهواً منهُ فالحقت بهذا الجزء

فهرس الجزء السادس من المجلد التاسع والاربعين

فهرس المجلد التاسع والاربعين